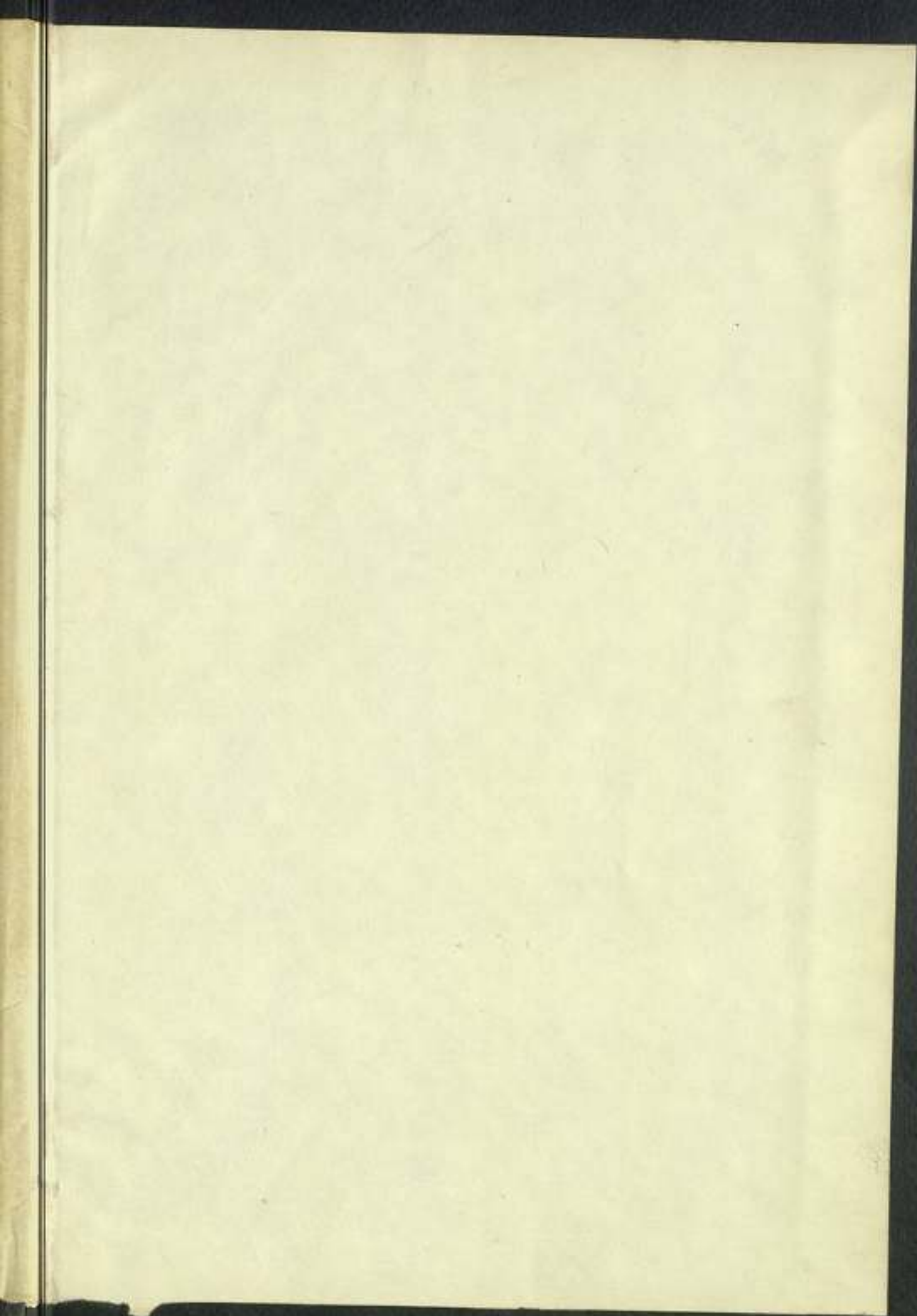


A.D.B. LIBRARY



297.207
I13982A
V.1
ع1

تفسير الخازن

الشمس

لباب التأويل في معاني التنزيل

لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن
المتوفى سنة ٧٢٥ هـ

وبهامته

تفسير البغوي

المعروف بمقال التنزيل

لابي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي

المتوفى سنة ٥١٦ هـ

الجزء الأول

الطبعة الثانية

١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م

مكتبة الطبع والنشر

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

والغرب أبو محمد الحسين
ابن مسعود القراء البغوى
رضى الله عنه وعن والديه
الحمد لله ذى العظمة
والكبرياء والعزة والبقاء
والرفعة والعلاء والمجد
والثناء، تعان عن الأنداد
والشركاء، وتقدس عن
الأمثال والنظراء، والصلوات
والسلام على نبيه وحييه
وصفيه محمد خاتم الأنبياء
وإمام الأتقياء عدد ذرات
الترى ونجوم السماء الحمد
لله الملك السلام المؤمن
المهيمن العالم شارب
الأحكام ذى الجلال
والإكرام الذى أكرمنا
بدين الاسلام ومن علينا
بديننا محمد عليه التحية
والسلام وأنعم علينا بكتابه
المفروق بين الحلال
والحرام والسلاوة والسلام
على حبيبه وخير قمه من خلقه
محمد سيد الأنام عدد
ساعات الليالى والأيام وعلى
آله وأصحابه عدد نجوم
الظلام وعلى جميع الأنبياء
والملائكة البررة الكرام
(أما بعد) فإن الله جل
ذكره أرسل رسوله بالهدى
ودين الحق رحمة للعالمين
وبشيرا للمؤمنين ونذيرا
للمخالفين أكمل به بَيَان
النبوّة وختم به ديوان
الرسالة وأتم به مكارم الأخلاق

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ مُبَيِّنًا لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ

(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق الأشياء فقدرها تقديرا، وصورها شكل الإنسان فأحسنه تصورا، ومنحه بالعقل
وجعله سميا بصيرا وشرقه بما عرفه به من العلم ونور قلبه تنويرا وهذا إلى معرفته فيا طاعة وفضلا
كثيرا وأطلق لسانه فأدغم بشكركم تحديدا وتهيلا وتكبيرا وأرسل محمدا صلى الله عليه وسلم إلى كافة
الخلق بشيرا ونذيرا وأنزل عليه كتابا مبيرا وأودعه حكمة وحكاية أو ترغيبا وتحذيرا وأهم حفاظه
تلاوة له وتحبيرا وعلم عباده علومه تفهيرا وتصيرا وضرب فيه الأمثال ليذيل جهالتهم وتحبيرا وجعله
برهانا واضحا وصوابا لا تحا ووفر فضله توفيرا فى الصدور محفوظا وبالأسنة متلوا وفى الصحف
مسطورا يهتدى التى هى أقوم ويوشرك المؤمنون الذين يعلمون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا او جعل كل
يلبس عن الإتيان بسورة مثله حسيرا قل أين اجتعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (أحمد) على تواتر إنعامه حمدا كثيرا وأتواكل عليه
مفوضا أمرى إليه مستجيرا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يعدهو قلب قائلها مطمئنا
مستبيرا، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى كساه من فضله عزا ومهابة وتوقرا صلى الله عليه وسلم
وعلى آله وأصحابه كما أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا (وبعد) فإن الله جل ذكره ونفذ أمره أرسل
رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله رحمة للعالمين وبشيرا
للمؤمنين ونذيرا للمخالفين أكمل به بَيَان النبوّة وختم به ديوان الرسالة وأتم به مكارم الأخلاق
ونشر فضله فى الآفاق وأنزل عليه نورا هدى به من الضلالة وأنقذه به من الجهالة وحكم الفوز
والفلاح لمن اتبعه وبالخسران لمن أعرض عنه بعدما سمعه عجز الخلاق عن معارضته حين تحذاهم
على أن يأتوا بسورة من مثله فى مقابلته ثم سهل على عباده المؤمنين مع إعجازه تلاوته ويسر
على الألسن قراءته أمر فيه وزجر وبشر وأنذر وذكر المواضع ليتذكر وضرب فيه
الأمثال ليتدبر وقص فيه من أخبار الماضين ليعتبر ودل فيه على آيات التوحيد
ليتذكر ثم لم يرض منا بسرد حروفه دون حفظ حدوده ولا بإقامة كتاباته دون العمل

الرسالة وأتم به مكارم الأخلاق وعما سن الأفعال وأنزل عليه بنضله نورا هدى به من الضلالة وأنقذه به من الجهالة بحمدكاته

2962-451

L145-2062

حكمه الفلاح لمن قبعه وبالخسر ان لمن اعرض عنه بعدما سمعوا أعجز الخليفة عن معارضته عن الإتيان بسور قمن مثله في مقابلته تم سهل
على الخلق مع إعجازه تلاوته ويسر على الألسن قراءته أمر فيه زجر وبشر وأنذر وذكر المواعظ ليتذكر وقص عن أحوال الماضين
ليعتبر وضرب فيه الأمثال ليتدبر ودل على آيات التوحيد ليتفكر ولا حصول لهذه المقاصد منه إلا بدراية تفسيره وأعلامه معرفة أسباب
نزوله وأحكامه والوقوف على ناسخه ومنسوخه ومعرفة اختصاصه وعامة ثم هو كلام معجز وبجر عميق لانه لا سرار علومه ولا إدراك
لحقائق معانيه وقد ألف أئمة السلف في أنواع علومه كتباً كل على قدر فهمه ومبلغ علمه نظراً (٣) تلخيق فشكر الله تعالى سعيهم

محركاته ولا يتلاوته دون تدبر آياته في قراءته ولا يدراسته دون تعلم حقائقه وتفهم دقائقه ولا
حصول هذه المقاصد منه إلا بدراية تفسيره وأحكامه ومعرفة حلاله وحرامه وأسباب نزوله وأقسامه
والوقوف على ناسخه ومنسوخه في خاصه وعامة فانه أرسخ العلوم أصلاً وأسبغها فرعاً وفصيلاً
وأكرمها نتائجاً وأنورها مراً جافلاً شرفاً إلا وهو السبيل إليه ولا خير إلا وهو الدال عليه وقد قبض
الله تعالى له رجلاً موفيقين وبالحق ناطقين حتى صنفوا في سائر علومه المصنفات وجمعوا أسائر فنونه
المترقات كل على قدر فهمه ومبلغ علمه نظر اللخاف واقتداء بالسلف فشكر الله سعيهم ورحم كافتهم
ولما كان كتاب معالم التنزيل الذي صنفه الشيخ الجليل والحبر النبيل الإمام العالم الكامل محي السنقودة
الأئمة وإمام الأئمة مفتي الفرق ناصر الحديث ظهير الدين أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي قدس الله
روحه ونور ضريحه من أجل المصنفات في علم التنسير وأعلامها وأنبئها وأسناها جامعاً للصحيح
من الأقاويل عارياً عن الشبه والتضخيف والتبديل على الأحاديث النبوية مطرراً بالأحكام الشرعية
موشحاً بالنقص الغريبة وأخبار الماضين العجيبة مرصعاً بأحسن الإشارات مخزجاً بأوضح العبارات
مفرغاً في قالب الجمال بأفصح مقال فرحم الله تعالى مصنفه وأجزل ثوابه وجعل الجنة مثليه ومآبه ولما
كان هذا الكتاب كما وصفت أحييت أن أنتخب من غرر فوائده ودرر فرائده وزواهر نصوصه
وجواهر قصوده مختصر جامعاً لعاني التفسير ولباب التأويل والتعبير حاوياً للخلاصة متقوله متضمناً
لشكته وأصوله مع فوائد نقلتها وفرائد لخصتها من كتب التفسير المصنفة في سائر علومه المؤلفة ولم أجعل
لنفسى تصرفاً سوى النقل والانتخاب مجتنباً حد التطويل والإسهاب وحذفت منه الإسناد لأنه أقرب
إلى تحصيل المراد فما أوردت فيه من الأحاديث النبوية والأخبار المصطفوية على تفسير آية أو بيان حكم
فان الكتاب يطلب بيانه من السنة وعليه مدار الشرع وأحكام الدين عزوته إلى مخرجه وبيدت اسم
ناقله وجمعت عوض كل اسم حرفاً يعرف به ليهون على الطالب طلبه فما كان من صحيح أبي عبد الله محمد
بن إسماعيل البخاري فعلامته قبل ذكر اسم الصحابي الراوي للحديث (خ) وما كان من صحيح أبي الحسين
مسلم بن الحجاج النيسابوري فعلامته (م) وما كان مما اقتفا عليه فعلامته (ق) وما كان من كتب السنن
أبي داود والترمذي والنسائي فاني أذكر اسمه بغير علامة ومالم أجد في هذه الكتب ووجدت
البغوي قد أخرجه بسندله انفرده قلت روى البغوي بسنده ومارواه البغوي باسناد الثعلبي قلت روى
البغوي باسناد الثعلبي وما كان فيه من أحاديث زائدة والفاظ متغيرة فاعتمده فاني اجتهدت
في تصحيح ما أخرجه من الكتب المتبعة عند العلماء كالجمع بين الصحيحين للحميدى وكتاب
جامع الأحكام لابن الأثير الجزري ثم اني عوضت عن حذف الإسناد شرح غريب الحديث وما يتعلق

ورحم كافتهم فسألني
جماعة من أصحابي المخلصين
وعلى اقتباس العلم مقبلين
كتاباً في معالم التنزيل
وتفسيره فأجبتهم إليه
معتداً على فضل الله تعالى
وتيسيره تمتثلاً وصية
رسول الله ﷺ فيهما
برويه أبو سعيد الخدري
رضي الله عنه أنه عليه
الصلاة والسلام قال : إن
رجلاً يأتوكم من أقطار
الأرض يتفقون في الدين
فاذا أتوكم فاستوصوا بهم
خيراً واقتداء بالماضين من
السلف في تدوين العلم إبقاء
على الخلق وليس على
مافعلوه مزيد ولكن لا بد
في كل زمان من تجديد
ما طال به العهد وقصر
المطالعين فيه الجدو الجهد
تنبيه للتوفيقين وتحريضاً
للمتتبعين فجمعت بعون
الله تعالى وحسن توفيقه
فيما سألوكم كتاباً متوسطاً
بين التطويل الممل والقصير
المخل أرجو أن يكون

مفيداً لمن أقبل على تحصيله مزيداً وما نقلت فيه من التفسير عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما خبر هذه الأمة ومن
بعده من التابعين وأئمة السلف مثل مجاهد وعكرمة وعطاء بن أبي رباح والحسن البصري رضي الله عنهم، وقناة وأبي العالية
ومحمد بن كعب القرظي وزيد بن أسلم والنكلي والضحالك ومقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان والسدي وغيرهم فأكثرها مما أخبرني
الشيخ أبو سعيد أحمد بن محمد الشريحي الحوازمي فيما قرأه عليه عن الأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي عن شيوخه.
أما تفسير عبد الله بن عباس رضي الله عنهم، أترجمان القرآن الذي قال فيه النبي ﷺ اللهم علمه الكتاب وقال اللهم فقهه في الدين وقال

أبو إسحاق أخبرنا أبو محمد بن عبد الله بن حامد أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدوس الطوائفي ثنا عثمان بن سعيد الدارمي ثنا عبد الله بن صالح
أن معاوية بن صالح حدثه عن علي بن أبي طلحة الوالبي عن عبد الله بن عباس وقال أنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب ثنا عبد الله بن محمد
الثقلبي أنا أبو جعفر محمد بن نصر وبه المأزني أنا محمد بن سعيد بن محمد بن الحسن بن عطية تسعد العوفي قال حدثني عمي الحسين بن الحسن بن
عطية حدثني أبي عن جدي عطية بن عبد الله بن عباس وقال الثعلبي ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن النيسابوري أنا أحمد بن محمد بن
إبراهيم الثعلبي البصري عن المروزي (٤) أنا أبو العباس أحمد بن الحضرة الصيرفي أنا أبو داود سليمان بن معبد السنجي أنا علي

به ليكون أكل فائدة في هذا الكتاب وأسهل على الطلاب وسفته بأبلغ ما قدرت عليه من الإيجاز
وحسن الترتيب مع التسهيل والتفريب، ويذني لكل مؤلف كتابا في فن قد سبق إليه أن لا يخلو كتابه
من خمس فوائد استنباط شي كان معضلا أو جمعه إن كان متفرقا أو شره إن كان غامضا أو حسن
نظم وتأليف أو إسقاط حشو وتطويل وأرجو أن لا يخلو هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرت
وسميته [باب التأويل في معاني التنزيل] والله تعالى أسأل التوفيق لإتمام ما قصدت وإليه أربغ في
تفسير ما أردت وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن يتقبله مني إنه هو السميع العليم وهو حسبي ونعم
الوكيل عليه توكلت وإليه أنيب وقيل أن أشرع في الكلام على التفسير أقدم مقدمة تنضم من ثلاثة فصول
(الفصل الأول: في فضل القرآن وتلاوته وتعليمه) (م) عن زيد بن أرقم قال قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم ما فينا خطيبا بما يدعي خمسين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال أما بعد ألا
أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وإني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه
الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم
الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي زاد في رواية كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به
كان على الهدى ومن أخطأه ضل وفي رواية كتاب الله هو جبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه
كان على ضلالة وفي رواية الرمدى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن تارك فيكم ما إن تمسكتم
به لن تضلوا بعدى أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي
أهل بيتي لن يضترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما (م) عن عمر بن الخطاب قال أما
إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين وعن الحارث
الأعور قال مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي فقلت يا أمير المؤمنين
الاربي الناس قد خاضوا في الأحاديث قال أو قد فعلوا ما قلت نعم قال أما إن سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ألا إنها ستكون فتنة فقلت ما أخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نيا ما كان قبلكم
وخير ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى
في غيره أضله الله وهو جبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به
الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تشعب منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي
لم ينزه الجن سمعته حتى قالوا إننا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشاد فآمننا به من قال به صدق ومن عمل به
أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم خلد لها إليك يا أعور أخرج الرمدى
وقال حديث غريب وإسناده مجهول وفي الحارث مقال (قوله هو الفصل) أي الناصل بين الحق

ابن الحسين بن واقد عن
يزيد النحوي عن عكرمة
عن ابن عباس وأما تفسير
مجاهد بن حنبل المسكي قال
أبو عبد الله محمد بن
أحمد بن بطة ثنا عبد الله
ابن محمد بن زكريا ثنا سعيد
ابن يحيى بن سعيد الأموي
ثنا مسلم بن خالد الزنجي عن
ابن أبي نجيب عن مجاهد
وأما تفسير عطاء بن
أبي رباح قال ثنا أبو القاسم
الحسن بن محمد بن حسن
النيسابوري ثنا أبو القاسم
عبد الرحمن أحمد بن
ياسين بن الجراح الطبري
أنا أبو محمد بن بكر بن مسهل
الدعياطي ثنا عبد الغني بن
سعيد الثقفني عن أبي محمد
موسى بن عبد الرحمن
الصغاني عن أبي جريح عن
عطاء بن أبي رباح وأما
تفسير الحسن البصري قال
حدثني أبو القاسم الحسن
البصري قال حدثني أبو
القاسم الحسن بن محمد بن
عبد الله بن الملك بن حدثني

أبي أنا أبو الحسن محمد بن أحمد الصلة المعروف بابن شيوة المقدني ثنا سعيد بن محمد ثنا المنهل بن واصل والباطل
عن أبي صالح عن عمرو بن عبيد عن الحسن بن أبي الحسن البصري. وأما تفسير قتادة قال أنا أبو محمد عبد الله بن حامد
محمد بن الأصماني أنا أبو علي حامد بن محمد بن المروزي ثنا أبو يعقوب إسحاق بن الحسن بن ميمون الحرابي ثنا أبو محمد
الحسين بن محمد المروزي ثنا شبان بن عبد الرحمن النحوي عن قتادة وقال ثنا أبو القاسم الحبيبي أنا أبو زكريا العتبري
ثنا جعفر بن محمد بن موار أنا محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر بن قتادة عن دعامة السدوسي. وأما تفسير أبي العالبي واسمه رفيع

ابن مهران قال ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر أنا أبو عمر أحمد بن محمد بن منصور العمري بن حسن ثنا أبو الحسن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مزيد السرخسي أنا أبو علي الحسن بن محمد بن موسى الأزدي عن عمار بن الحسن بن بشير الهمداني عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبي عالية الرياحي. وأما تفسير القرظي قال ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب عن أبي ثنا أبو العباس محمد بن الحسن الهروي ثنا رجاء بن عبد الله أنا مالك بن سليمان الهروي عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي. وأما تفسير زيد بن أسلم قال أنا الحسن بن محمد بن الحسن قال كتب لي (٥) أحمد بن كامل بن خلف بن محمد

ابن جرير الطبري حدثهم قال ثنا يونس بن عبد الأعلى الصيرفي أنا عبد الله بن زهير أخبرني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه وأما تفسير الكلبي فقد قرأت بمرو على الشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسن المروزي في شهر رمضان سنة أربع وستين وأربعمائة قال أنا أبو مسعود محمد بن أحمد بن محمد بن يونس الخطيب الكشمي في عمر سنة خمسين وأربعمائة قال أنا أبو إسحاق بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن معروف الطرموزي ثنا محمد بن علي الأنصاري المفسر ثنا علي بن إسحاق بن صالح بن محمد السمرقندي قال ثنا محمد بن مروان عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي نصر عن أبي صالح أنا ذاذان مولى أم هانئ بنت أبي طالب عن ابن عباس

والباطل ليس بالهزل أي هو جد كله ليس فيه شيء من الهزل والجبار في صفة آدمي هو المتسلط العاق المتكبر على الناس قصمه الله أي أهلكه (قوله وهو حبل الله المتين) الحبل يرد على وجوده منها العهد ومنها الأمان فإذا اعتصم به الإنسان آواه الله تعالى إلى جواره والذكر الشرف والحكيم الحكم العاري من الاختلاف والاضطراب والصراط المستقيم الطريق الواضح ومعنى لا تزيع به الأهواء أي لا يعيبل عن الحق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الحربة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (خ) عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه (ق) عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ الماهر بالقرآن مع السفر والكرام البرير وهو الذي يقرأ القرآن ويتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران (قوله الماهر بالقرآن) يعني الحاذق الكامل الحفظ الجيد التلاوة وقوله مع السفر جمع سافر وهو الرسول من الملائكة تسمى بذلك لأنه يسفر برسالات الله إلى أنبيائه وقيل السفر الكعبة من الملائكة والبرق المطيعون لله تعالى فيما يأمر به ومعنى كونه من الملائكة أن له منازل في الجنة يكون فيها ريقا لهم وقوله يتتبع أي يتردد في تلاوته لتضعف حفظه له أجران يعني يحصل له أجر بسبب القراءة وأجر بسبب تعبه فيها والمشقة التي تحصل لها ليس معناه أن له أجرا أكثر من الماهر بل الماهر أفضل منه وأكثر أجرا (ق) عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل الثمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الناجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل الناجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الخنزيرة طعمها امر ولا ريح لها فيه دليل على فضيلة حفاظ القرآن واستحباب ضرب الأمثال لإيضاح المقاصد عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالا لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وقدره بعضهم عن ابن مسعود ووقفه بعضهم عليه عن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حل ارتحل أخرجه الترمذي عن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ يقول لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزل لك عند الله آخر آية تقرؤها أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح. عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال يحيى القرآن يوم القيامة فيقول يا رب حللته فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضي عنه فيقال اقرأ وارتق ورتل بكل آية حسنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن عن سهل بن

وأما تفسير الضحاك بن مزاحم الخليلي قال أنا أستاذ إسحاق النخعي ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن منصور العمري بن حسن ثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمرو أحمد بن محمد بن جليل المروزي ثنا أبو معاذ عن عبيد بن سليمان الباهلي عن الضحاك وأما تفسير مقاتل بن حيان قال أنا عبد الله بن حامد الوزاني ثنا أحمد بن محمد بن عبدوس ثنا إسماعيل بن قتيبة ثنا أبو خالد يزيد بن صالح القراء النيسابوري حدثنا بكير بن معروف والبخي الأزدي ثنا أبو معاذ عن مقاتل بن حيان. وأما تفسير مقاتل بن سليمان قال أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المهرجاني أنا أبو محمد عبد الخالق بن الحسن بن محمد السقيطي المعروف بابن أبي روية ثنا

عبد الله بن ثابت بن يعقوب المقرئ هكذا المقرئ أبو محمد قال ثنا أبو محمد حدثني أبي الهذيل بن حبيب أبو صالح الزيداني عن مقاتل بن سليمان - وأما تفسير السدي قال ثنا أبو القاسم حسن بن محمد بن الحسن أنا أبو الطيب محمد بن عبد الله ابن مبارك الشيعري ثنا أحمد بن محمد بن نصر الليادي ثنا عمرو بن طلحة القناد عن أسباط عن السدي وأما ما نقلته عن المبتدأ لوهب ابن منبه وعن المغازي لمحمد بن إسحاق فأخبرني أبو سعيد الشريحي قال أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي قال أنبأني أبو نعيم عبد الملك بن الحسن (٦) بن محمد بن إسحاق الأزهرى أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن إسحاق

معاذ الجهني عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال من قرأ القرآن وعمل به ليس والداه يوم القيامة تاجا وصوفه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كان - فيكم فطاطمكم بالذي عمل به. أخرجه أبو داود عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم محرماه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم فموجب لم النار أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وليس له إسناد صحيح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ما أذن الله لشئ كاذبه لني يتغنى بالقرآن يجهر به معنى أذن في اللغة استمع ولا تحمله على الإصغاء فإنه يستحيل على الله تعالى بل هو كناية عن تقريبه قارئ القرآن وإجزال ثوابه في ذلك وذلك لأن سماع الله لا يختلف فوجب تأويل الحديث وقوله يتغنى بالقرآن أي بحسن صوته به ويكون ذلك مع تحزين وترقيق في القراءة. وقيل معناه يستغنى به عن الناس والقول الأول أولى ويدل عليه سياق الحديث وهو قوله يجهر به (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ليس من آمن لم يتغنى بالقرآن (الفصل الثاني في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم ووعيد من أوتي القرآن فحسبه ولم يعهد به) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وفي رواية من قال في القرآن برأيه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن (قوله فليتبوأ) معناه فليتخذ له مباءة أي منزلا من النار. عن جندب بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فأصاب فقد أخطأ أخرجه أبو داود الترمذي وقال حديث غريب وسئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى وفا كرموا فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقطنني إذا قلت في كتاب الله بغير علم قال العلماء الهي عن القول في القرآن بالرأى إنما ورد في حق من يتأول القرآن على مراد نفسه وما هو قابع ذواه وهذا لا يخلو إما أن يكون عن علم أو لا فإن كان عن علم كمن يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أن المراد من الآية غير ذلك لكن غرضه أن يلبس على خصمه بما يقوى حججه على بدعته كما يسته له الباطنية والخوارج وغيرهم من أهل البدع في المقاصد الفاسدة ليغروا بذلك الناس وإن كان القول في القرآن بغير علم لكن عن جهل وذلك بأن تكون الآية تهمة لوجوده فيفسرها بغير ما حتمت له من المعاني والوجود فهذه التهمة مذمومة مان وكلاهما داخل في الهي والوعيد الوارد في ذلك فأما التأويل وهو صرف الآية على طريق الاستنباط إلى معنى يليق بها محتمل لما قبلها وما بعدها وغير مخالف للكتاب والسنة فتقدر خصص في أهل العلم فإن الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القرآن واختابروا في تفسيره على وجوده وليس كل ما قالوه معوه من النبي ﷺ ولكن على قدر ما فهموا من القرآن تكلموا في معانيه وقد دعا النبي ﷺ لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فكان أكثر ما نقل عنه التفسير (ق) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده

ابن راهويه بن أخت أبي عوانة أنا أبو الحسن محمد ابن أحمد بن البراء العبدي قال قرأت على أبي عبد الله عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب بن منبه وأنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو العباس محمد ابن يعقوب بن يوسف المعقل ثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي أنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق بن يسار المدني وأنا أبو سعيد الشريحي قال أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو محمد عبد الله بن محمد ابن أحمد بن عتبيل الأنصاري أنا أبو الحسن علي بن الفضل الخزازي أنا أبو شعيب بن عبد الله بن الحسن الحراني أنا الثقبلي أنا محمد بن

سلمة عن محمد بن إسحاق فهذه أسانيد أكثر ما نقلته هو

عن هؤلاء الأئمة وهي مائة من طرق سواها تركت ذكرها حذراً من الإطالة وربما حكيت عنهم أو عن غيرهم من الصحابة أو التابعين قولاً سمعته بغير هذه الأسانيد بعضها في موضع من الكتاب إن شاء الله تعالى عز وجل ثم إن الناس كما أنهم متعبدون بتأديع أحكام القرآن وحفظ حدوده فهم متعبدون بتلاوته وحفظ حروفه على سنخ نخط المصحف أعني لإمام الذي اتفقت عليه الصحابة وأن لا يجاوزوا فيها يوافق الخط ما قرأ به القراء المعروفون الذين خلفوا الصحابة والتابعين

والتفت الأئمة على اختيارهم وقد ذكرت في الكتاب قراءة من أشهر منهم بالقراآت واختياراتهم على ما قرأه على الإمام
أبي نصر محمد بن أحمد بن علي المقرئ المروزي رحمه الله عليه تلاوة ورواية قال قرأت على أبي القاسم طاهر بن علي
الصرفي قال قرأت على أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران بإسناده المذكور في كتابه المعروف بكتاب العناية وهم أبو جعفر
يزيد بن القعقاع وأبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن المدنيان وأبو معبد عبد الله بن كثير الداربي المسكن وأبو عمران عبد الله
ابن عامر الشامي وأبو عمرو زبارة بن العلاء المازني العطار وأبو محمد بن يعقوب (V) بن إسحاق الحضرمي البصريان

وأبو بكر عاصم بن أبي
النجد الأسدي وأبو عمارة
حمزة بن حبيب الزيات
وأبو الحسن علي بن
حمزة الكسائي الكوفيون
فأما أبو جعفر فإنه أخذ
القراءة عن عبد الله
ابن عباس وأبي هريرة
وغيرهما وهم قرءوا على
أبي بن كعب، وأما نافع
فإنه قرأ على أبي جعفر
القاري وعبد الرحمن بن
هرمز الأعرج قرأ على
أبي هريرة قرأ أبو هريرة
على أبي بن كعب وأما
عبد الله بن كثير فإنه قرأ على
جاهد بن جبير وقرأ جاهد
على ابن عباس وقرأ ابن
عباس على أبي بن كعب
وقرأ أبي بن كعب على
رسول الله ﷺ، وأما
عبد الله بن عامر فإنه
قرأ على المغيرة بن أبي
شعاب الخزومي وقرأ
المغيرة على عثمان بن عفان
وأما عاصم فإنه قرأ على

هو أشد تغلثا من الإبل في عقلها (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال إنما مثل صاحب
القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة إن تعاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت الإبل المعقلة التي حبست
بالعقال وهذا مثل ضرب به لصاحب القرآن فيه الحث على تعاهده بكثرة التلاوة والتكرار للتلاويح
(ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ يسما لأحدكم أن يقول نسيت آية كيت
وكيت بل هو نسي استذكروا القرآن فإنه أشد تفصيلا من صدور الرجال من النعم من عقابها وفي رواية
لا يقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا بل هو نسي (قوله يسما لأحدكم) أي نسيت الحالة حالة من
حفظ القرآن ثم غفل عنه حتى نسيه (قوله لا يقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا) معناه إنما كره نسبة النسيان
إلى النفس لأجل أن الله تعالى هو المقدر للأشياء كلها وهو الذي أنساها إياها. وقيل أصل النسيان الترك
فكره أن يقول تركت القرآن أو قصدت إلى نسيانه وقوله بل نسي هو بضم النون وتشديد السين
وفتح الياء أي عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه أو سوء تعهده القرآن وقوله أشد تفصيلا أي خروجا
من صدور الرجال وفي معناه تغلثا من الإبل في عقلها أي تغلثا من العقل وهو الحيل الذي تربط به
عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه
إلا أتى الله يوم القيامة أجذم أخرجه أبو داود الأجدم قيل هو مقطوع اليد، وقيل هو مقطوع الحجة
وقيل هو الذي به جذام. عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال عرضت على أجور
أمتي حتى التقذا فيخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب أمتي فلم أرف فيها ذنبا أعظم من سورة من
القرآن أو آية أو تبارجل ثم نسيتها أخرجه أبو داود والنسائي وقال حديث غريب (ق) عن عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن ينال
بسوء أرواد بالقرآن المصحف فلا يجوز حمله إلى أرض العدو وهي بلاد الكفار لأنها الوارد فيه ولو
كتب كتابا إليهم فيما بينهم من القرآن فلا بأس بذلك لأن النبي ﷺ كتب إلى هرقل ملك الروم قل يا أهل
الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم عن عمران بن حصين أنه مر على رجل يقرأ ثم سأله فاسترجع
ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من قرأ القرآن فليسال الله به فإنه سيحيى أقوام يقرءون
القرآن يسألون به الناس أخرجه الترمذي عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما آمن
بالقرآن من استحل محارمه أخرجه الترمذي وقال ليس بإسناده بالقوي. عن عتبة بن عامر قال سمعت
رسول الله ﷺ يقول الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسرى بالقرآن كالمرس بالصدقة أخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب (الفصل الثالث في جمع القرآن وترتيب زو له وفي كونه نزل على سبعة أحرف)
(خ) عن يزيد بن ثابت قال بعث إلى أبو بكر لقتل أهل النمامة عنده عمر فقال أبو بكر إن عمر جاءني فقال
إن القتل قد استحر يوم النمامة بقرء القرآن وإن أخشى أن يستحر القتل بالقرء في كل الموطن فيذهب

أبي عبد الرحمن السلمي وقرأ أبو عبد الرحمن علي بن أبي طالب قال عاصم فكنت أرجع من عند أبي عبد الرحمن
فأقرأ على ذر بن حبيش وكان ذر قد قرأ على عبد الله بن مسعود، وأما حمزة فإنه قرأ على عبد الرحمن بن أبي ليلى وسليمان
ابن مهران الأعمش ومحمد بن الأعين وغيرهم وقرأ عبد الرحمن بن أبي ليلى على جماعة من أصحاب علي وقرأ سليمان
ابن الأعمش على يحيى بن وثاب وقرأ يحيى على جماعة من أصحاب عبد الله وقرأ عثمان بن عفان على أبي الأسود
الدثلي وقرأ علي بن عثمان وقرأ علي بن عثمان وقرأ علي بن عثمان وقرأ علي بن عثمان وقرأ علي بن عثمان وقرأ علي بن عثمان

سلام على عاصم فذكرت قراءة هؤلاء للاختلاف على جواز القراءة بها وما ذكرت من أحاديث رسول الله ﷺ في أثناءه الكتاب على وفاق آية أو بيان حكم فان الكتاب يطلب بيانه من السنة وعلمه ما مدار الشرع وأمور الدين فهي من الكتب المسموعة للحفاظ وأتمه الحديث وأعرضت عن ذكر المتأخير وما لا يلين بحال التفسير فأرجو أن يكون مباركا على من أرادته وبالله التوفيق (فصل) في فضائل القرآن وتعليمه أنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد (٨) بن عبد العزيز البغوي ثنا علي بن الجهم أنا شعبة عن علقمة بن مرثد قال سمعت

سعد بن عبيدة يحدث عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان قال شعبة قلت عن النبي ﷺ قال نعم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه صحیح أخرجه البخاري عن الحجاج بن مہال عن شعبة أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترمذي أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد حموية السرخسي أنا أبو إسحاق إبراهيم بن حزم الشاشي أنا أبو محمد عبد بن حميد الشاشي ثنا حسين بن علي الجعفي قال سمعت حمزة الزيات عن أبي اختار الطائي عن ابن أبي الحارث الأعور عن الحارث الأعور قال مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي رضي الله عنه فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد

من القرآن كثير وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن قال قلت له، وكيف فعل شيئا لم يفعل رسول الله ﷺ فقال: عمر هو والله خير فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدرى للذي شرح له صدر عمر ورأيت في ذلك الذي رأى عمر قال زيد فقال لي أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك فقد كتبت لكتبت الوحي لرسول الله ﷺ فتشيع القرآن فاجده مع قال زيد فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن فقدت كيف تفعل شيئا لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذي شرح له صدر أبي بكر وفي رواية فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ورأيت في ذلك الذي رأيت قال فتدعت القرآن أحدهم من الرقاق والعصب والخفاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة فاتت بتم مع خزيمه أو مع أبي خزيمه الأنصاري فلم أجدها مع أحد غيره لقد جاءكم رسول من أنسكم إلى آخر برائة فألحقها في سورتها قال فكانت الصحف عند أبي بكر حياته حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر قال بعض الرواة للخفافيعي الخرف (ع) عن أنس أن حذيفة بن يمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفرغ حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسل إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها إليه فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق قال ابن شهاب وأخبرني بخارجة بن زيد أنه سمع زيد بن ثابت يقول فقدت آية من سورة الأحزاب حين نسخت الصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتفتنا فوجدناها مع خزيمه بن ثابت الأنصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فألحقناها في سورتها في المصحف قال في رواية ابن الجهم مع خزيمه بن ثابت الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين زاد في رواية قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ في التابوت فقال زيد التابوت وقال عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص التابوت فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال اكتبوه التابوت فأنه بلسان قريش. (شرح غريب ألفاظ الحديثين وما يتعلق بهما) (قوله بعث إلى أبو بكر لمقتل أهل البياضة) أي لأوان قتلهم وأراد به الوقعة

خاضوا في الأحاديث قال أو قد فعلوها ؟ قلت نعم قال أما إنني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا إنها ستكون فتنه فقلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتب الله في قلبك وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا يزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تشع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه هو الذي لم تنته الجن أي لم يتوقفوا

في قبوله وأنه كلام الله تعالى إذ سمعته حتى قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فلأمتنا به من قال به صدق ومي عمل به
أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم خذها إليك يا أعور . قال أبو عيسى هذا الحديث لا تعرفه إلا
من هذا الوجه وإسناده مجهول والحديث في مقال . أنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن السمعاني
أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا إسحاق بن عيسى قال سمعت ابن لهيعة يقول ثنا
مسرح بن هاعان قال سمعت عقبة بن عامر يقول : سمعت النبي (٩) صلى الله عليه وسلم يقول لو كان القرآن

في إهاب ما مسته النار
قبل معناه من حمل
القرآن وقرأه لم تمسه
النار يوم القيامة . أنا
عبد الواحد المليحي أنا
أبو منصور السمعاني أنا
أبو جعفر الزياتي ثنا
حميد بن زنجويه ثنا
جعفر بن عوف أنا إبراهيم
ابن مسلم عن أبي الأحوص
عن عبد الله بن مسعود
قال : إن هذا القرآن مادبة
الله فتعلموا من مادبته
ما استطعتم إن هذا
القرآن حبل الله والنور
المبين والشفاء النافع
وعصمة لمن تمسك به
ونجاة لمن تبعه لا يزيغ
فيستعجب ولا يعوج
فيقوم ولا تنقض عجايبه
ولا تخلق هرثرة الرد
فاتلوه فان الله عز وجل
بأجركم على تلاوته بكل
حرف عشر حسنات أما
إني لأقول ألم ولكن
الألف واللام والميم يرواه
بعضهم عن ابن مسعود

التي كانت بالهامة في زمن أبي بكر الصديق ، وهي وقعة الردة مع أصحاب الردة فقتل فيها
خلق كثير من قراء القرآن . والهامة مدينة باليمن على يومين من الطائف وعلى أربعة أيام من
مكة ، ولها عمار وهي في عداد أرض نجد (قوله استحر القتل) أي كثر وبشرب المكروه
إلى الحر والمحبوب إلى البرد . وشرح الصدر سعة . وقوله الخير (قوله فتلبثت القرآن جمعه من
الرقاع) جمع رقعة وهي ما يكتب فيها والعصب يضم العين والسين المهم ، لثمن جمع عصب وهو جريد
التخل وسعفه واللخاف حجارة بيض رقاق واحدة لخرة (قوله بغازي أهل الشام) أي مع
أهل الشام في فتح إرمينية بكسر الهمة وتحقير الباء لا غير ، سميت يارمين بن لطي بن لومن
ابن يافث بن نوح وهو أول ما نزل بها سميت باسمه وأذربيجان بفتح الهمة وسكون الدال
وغير ذلك في ضبطها ، وقال ابن جنى فيها خمسة موانع من الصرف التعريف والتأنيث والعجمة
والتركيب والألف والنون ، وهو موضع من بلاد العمجم يشتمل على بلاد كثيرة (قوله حتى
وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمية) أو مع أبي خزيمية الأنصاري وفي الحديث الآخر فقدت
آية من سورة الأحزاب إلى قوله فوجدناها مع خزيمية من ثبات الأنصاري من المؤمنين رجال
صدقوا ما عهدوا الله عليه الآية فاعلم أن المذكور في الحديث الأول غير المذكور في الحديث
الثاني وهما قضيتان فأما المذكور في الحديث الأول فهو أبو خزيمية بن أوس بن زيد بن أصرم
ابن ثعلبة بن عمر بن مالك بن النجار الأنصاري شهيد بدر وما بعدها وتوفي في خلافة عثمان
وهو الذي وجدت عنده آخر سورة التوبة كما ذكره ابن عبد البر وأما المذكور في الحديث
الثاني فهو أبو عمارة خزيمية بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن مساعدة الخطمي الأوسي الأنصاري
يعرف بلقب الشهادة بن شهيد بدر وما بعدها وقتل يوم صفين مع علي بن أبي طالب (قوله فقدت
آية من سورة الأحزاب إلى قوله فوجدنا مع خزيمية) معناه أنه كان يطلب نسخ القرآن من الأصل الذي
كتب بأمر النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجد تلك الآية إلا مع خزيمية وليس فيه إثبات القرآن بقول
الواحد لأن زيدا كان قد سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم موضعها من سورة الأحزاب
بتعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح به الحديث قد كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرأ بها وتبعه الرجال كان للاستظهار لا لاستحداث علم لأن القرآن العظيم كان محفوظا عند زيد
وغيره من الصحابة فقد ثبت في الصحيح عن أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم أربعة كلهم من الأنصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد وزيد بن ثابت قلت لأنس
من أبو زيد ؟ قال أحد عموتي وأخ رجاء في الصحيحين اسم أبي زيد سعد بن عبيد وأخرج الترمذي من
حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وأبي بن

(٢ - خازن بالبغوي - أول) مرفوعا . أنا أبو جعفر أحمد بن أبي أحمد بن مقوية أنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد
ابن علي الحسيني الحراني فيما كتب إلى أنا أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجدى ثنا أبو الفضل جعفر بن محمد
ابن الصلبي ثنا الحسن بن محمد الرضواني ثنا علي بن عاصم عن إبراهيم الأجرى عن أبي الأحوص عن عبد الله قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم معناه . أنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي ثنا أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن
بامويه الأصمغاني أنا أبو محمد عبد الرحمن بن يحيى القاضي الرهري بمكة أنا محمد بن إسماعيل بن سالم الصائغ أنا سليمان بن

داود الهاشمي ثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب الزهري عن عامر بن وائلة بن الطقييل أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر
 ابن الخطاب رضي الله عنه بعسفان وكان عمر استعمله على مكة فقال له عمر: من استخلفت على أهل الوادي؟ قال استخلفت عليهم ابن
 أزي. قال ومن ابن أزي؟ قال مولى من مولينا قال عمر فاستخلفت عليهم مولى. فقال يا أمير المؤمنين إنه رجل قاري القرآن علم
 بالفرانس قاض بالكتاب فقال عمر أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قال: إن الله يرفع بالقرآن أقواما ويضع به آخرين، صحيح أخرجه مسلم
 عن زهير بن حرب. أنا يعقوب (١٠) بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم بن سعد التبراني أنا أبو بكر بن محمد بن عبد الصمد التبراني

المعروف بابن أبي الهيثم،
 أنا الحاكم أبو الفضل محمد
 ابن الحسين الخدادي
 سنة أربع وثمانين وثلثمائة
 أنا أبو يزيد محمد بن يحيى
 ابن خالد أنا اسحاق
 ابن إبراهيم الخنظلي
 أنا جرير يعني: ابن
 عبد الحميد عن قابوس
 ابن أبي ظبيان عن أبيه عن
 ابن عباس رضي الله عنهما
 قال قال رسول الله ﷺ
 وإن الرجل الذي ليس
 في جوفه شيء من القرآن
 كالبيت الخرب قال
 أبو عيسى هذا حديث صحيح
 حسن. أنا عبد الواحد
 المليحي أنا أبو منصور
 السهماني أنا أبو جعفر
 الزياتي ثنا عبد بن رجبويه
 أنا أبو أيوب الدمشقي ثنا
 سعدان بن يحيى ثنا عبد الله
 ابن أبي ح. يد عن أبي الحاكم
 الهذلي عن وائلة بن الأمتع
 عن رسول الله ﷺ قال
 وأعطيت مكان التوراة
 السبع الطوال وأعطيت

كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة قال حديث حسن صحيح وتقدم حديث زيد بن ثابت وفيه
 أنه استحر التتاليف بالقرآن فثبتت معجزة هذه الأحاديث أن القرآن كان على هذا التأليف والجمع
 في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما ترك جمعه في مصحف واحد لأن النسخ كان يرد على بعضه
 ويرفع الشيء بعد الشيء عن التلاوة كما كان ينسخ بعض أحكامه فلم يجمع في مصحف واحد ثم لورفع
 بعض تلاوته أدى ذلك إلى الاختلاف واختلاط أمر الدين فحفظ الله كتابه في القلوب إلى انقضاء من
 النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم وثبت بالدليل الصحيح أن الصحابة إنما
 جمعوا القرآن بين الدفين كما أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ من غير أن زادوا فيه أو نقصوا
 منه شيئا والذي حمله على جمعه ما جاء مبينا في الحديث وهو أنه كان مفرقا في العصب والخفاف
 وصدور الرجال فخافوا إذا ذهب بعضه يذهب حذفته فنزعوا إلى خلية رسول رب العالمين ﷺ
 أن يكره فدعوا إلى جمعه فقرأهم فأمر بجمعه في موضع واحد باتفاق من جاءهم فكتبوا
 كما سمعوه من رسول الله ﷺ من غير أن قدموا أو أحرروا شيئا ووضعوا له ترتيبا لم يأخذوا
 من رسول الله ﷺ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من
 القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحنا بتوقيف جرير عليه السلام إياه على ذلك وإعلامه
 عند نزول كل آية أن هذه الآية تكذب عتب آية كذا في سورة كذا فثبت أن سعى الصحابة كان
 في جمعه في موضع واحد لاقى ترتيبه فإن القرآن يكتوب في اللوح المحفوظ على النحو الذي هو
 في مصاحنا الآن وقد صرح في حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على
 جرير عليه السلام في كل عام مرة في رمضان وأنه عرضه في العام الذي توفي فيه مرتين ويقال إن زيد
 ابن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي عرضها رسول الله ﷺ على جرير عليه السلام وهي العرضة
 التي نسخ فيها ما نسخ وبقي فيها ما بقي ولهذا أقام أبو بكر زيد بن ثابت في كتابة المصحف والزومه
 بها لأنه قرأ على النبي ﷺ في العام الذي توفي فيه مرتين فكان جمع القرآن سببا لبقيته في الأمة
 ورحمة من الله تعالى له بإدائه وتحتية الوعدة في حفظه على ما قال تعالى: وإننا لنزلنا الذكر وإننا له لحافظون
 واعلم أن الله تعالى أنزل القرآن المجيد من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى سماء الدنيا في شهر رمضان
 في ليلة القدر ثم كان ينزله مفرقا على لسان جرير عليه السلام إلى النبي ﷺ مدة رسالته نحو ما عند
 الحاجة وحديث ما يحدث على ما شاء الله تعالى وترتيب نزول القرآن غير ترتيبه في التلاوة والمصحف
 فاما ترتيب نزوله على رسول الله ﷺ فأول ما نزل من القرآن بسم الله الرحمن الرحيم ثم نزل
 والقلم ثم بأيتها المرمل ثم المدثر ثم تبت يدا أبي لهب ثم إذا الشمس كورت ثم سبح اسم ربك الأعلى
 ثم والليل إذا يغشى ثم والنجم ثم الضحى ثم ألم نشرح ثم والعصر ثم والعاديات ثم إننا أعطيناك الكوثر

مكان الإنجيل المسان وأعطيت مكان الزبور المثاني وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة
 من تحت العرش لم يعطها نبي قبلي وأعطاني ربي المفضل، ناقله غريب (فصل في فضائل تلاوة القرآن) أنا عبد الواحد بن
 أحمد بن المليحي أنا أبو محمد أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم بغوي ثنا علي بن الجعد أنا شعبة عن قتادة عن ذرارة بن
 أبي أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: مثل الماهر بالقرآن مثل السفرة الكرام البررة ومثل الذي
 يقرؤه وهو عليه شاق له أجران، صحيح وقال هشام الدستوائي عن قتادة بهذا الإسناد الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة

الكرام البقرة أنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو عمر بكر بن محمد بن عبد الله حنيد العباس بن حمزة، ثنا أبو علي الحسين ابن الفضل الجبلى ثنا عفان ثنا أبان بن زيد ثنا قتادة عن أنس عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول «مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل النخلة طعمها طيب ولا يريحها، ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة طعمها مر ولا يريحها» صحيح أخرجه البخارى عن قتبية (١١) عن أبي عوانة عن قتادة .

أنا عبد الواحد المليحي
 أنا أبو منصور السمعاني
 ثنا أبو جعفر الزياتي
 ثنا حميد بن زنجويه ثنا
 أبو نعيم ثنا سفيان عن
 عاصم ، يعنى ابن بهدلة
 عن ذر عن عبد الله بن
 عمر رضى الله عنهما
 عن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال «يقال يعنى
 لصاحب القرآن اقرأ
 وارقق ورتل كما كنت
 ترتل في الدنيا فان منزل
 عند آخر آية تقرؤها»
 قال أبو عيسى هذا
 حديث صحيح حسن .
 أنا عبد الواحد المليحي
 أنا أبو منصور السمعاني
 أنا أبو جعفر الزياتي
 ثنا حميد بن زنجويه
 ثنا النضر بن شميل ثنا
 هشام الدستوائى عن يحيى
 ابن كثير عن أبي سلام عن
 أنى أمامة أنه حدثه قال سمعت
 النبي صلى الله عليه وسلم
 يقول «اقرأ القرآن فانه
 يأتي شافعا لأصحابه اقرأ

ثم إذا كتم التكاثر ثم أرابت الذى ثم قل يا أيها الكافرون . ثم القيل . ثم قل هو الله أحد .
 ثم والنجم . ثم عبس . ثم سورة القدر . ثم سورة البروج . ثم التين . ثم لإيلاف قريش . ثم التارعة .
 ثم القيامة . ثم الحمزة . ثم الرسائل . ثم ق . ثم سورة البلد . ثم الطارق . ثم اقربت الساعة . ثم ص .
 ثم الأعراف . ثم الجن . ثم يس . ثم الفرقان . ثم فاطر . ثم مريم . ثم طه . الواقعة . ثم الشعراء
 ثم الليل ثم القصص . ثم سورة بني إسرائيل . ثم يونس . ثم هود ثم يوسف . ثم الحجر . ثم الأنعام .
 ثم والصافات . ثم لقمان . ثم سبأ . ثم الزمر . ثم المؤمن . ثم السجدة . ثم حم عسق . ثم الزخرف . ثم
 الدخان . ثم الجاثية . ثم الأحقاف . ثم الذاريات . ثم العاشية . ثم الكهف . ثم النحل . ثم نوح . ثم
 إبراهيم . ثم الأنبياء . ثم قد أفلح المؤمنون . ثم تنزيل السجدة . ثم الطور . ثم الملك . ثم الحاقة . ثم
 سأل سائل . ثم عم يتساءلون ثم النازعات . ثم إذا السماء انشطرت . ثم إذا السماء انشقت . ثم الروم .
 ثم العنكبوت و اختلفوا فى آخر ما نزل بمكة فقال ابن عباس العنكبوت وقال الضحاك وعطاء
 المؤمنون وقال مجاهد وبل لله لطفين فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة فذلك ثلاث وثمانون سورة على
 ما استقرت عليه روايات الثقات وأما ما نزل بالمدينة فاحدو ثلاثون سورة فأول ما نزل بها سورة البقرة .
 ثم الأنفال . ثم آل عمران . ثم الأحزاب . ثم الممتحنة . ثم النساء . ثم إذا زلزلت الأرض .
 ثم الحديد . ثم سورة محمد صلى الله عليه وسلم . ثم الرعد . ثم سورة الرحمن . ثم هل أتى
 على الانسان . ثم الطلاق . ثم لم يكن . ثم الحشر . ثم الفلق . ثم الناس . ثم إذا جاء نصر الله والفتح
 ثم النور . ثم الحج . ثم إذا جاءك المنافقون . ثم المجادلة . ثم الحجرات . ثم التحريم . ثم الصف . ثم الجمعة .
 ثم التغابن . ثم التمتع . ثم التوبة . ثم المائدة . ومنهم من يقدم المائدة على التوبة فهذا ترتيب ما نزل من القرآن
 بالمدينة . واختلفوا فى شورى ف قيل نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة وسند كذا ذلك فى مواضعه إن شاء الله
 تعالى (فصل فى كون القرآن نزل على سبعة أحرف وما قيل فى ذلك) (ق) عن عمر بن الخطاب
 رضى الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فاستعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكادت
 أساوره فى الصلاة فتربصت حتى سلم فليته برذائه فقلت من أقرأك هذه السورة التى سمعتك
 تقرؤها قال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كاذب فان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقلت يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أرسله ، أقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التى سمعاه يقرؤها فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم «هكذا أنزلت» ثم قال النبي الله صلى الله عليه وسلم «اقرأ يا عمر» فقرأت

الزهرابن البقرة وآل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما
 اقرأوا البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة» صحيح أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر
 الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم ثنا بشر بن مهاجر الغنوي ثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال كنت جالسا عند النبي صلى
 الله عليه وسلم فسمعت يقول «تعالوا سورة البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة ثم سكت ساعة ثم قال تعالوا
 سورة البقرة وآل عمران فانهما الزهرابن وإنهما نفلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من

طير صواك وإن القرآن يأتي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له هل تعرفني ؟ فيقول ما أعرفك . فيقول له أنا صاحبك القرآن الذي أظمتك بأذواجر وأسهرت ليلتك وإن كل ناجر من وراء تجارتك وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيديه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حاتين لا يتوم لهما أهل الدنيا فيقولان يم كسينا هذا ؟ فيقول لهما بأخذ ولدكما القرآن . ثم يقال اقرأ واضعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعودها مادام يقرأها كان (١٢) أو ترثيلا غريب . أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمان أنا أبو جعفر الزياتي

ثنا حميد بن زنجويه ثنا
 أيوب الدمشقي ثنا
 إسماعيل بن عباس ثنا
 ليث بن أبي سليم عن
 مجاهد عن أبي هريرة
 رضي الله عنه عن رسول
 الله ﷺ قال من استمع
 لي آية من كتاب الله
 عز وجل كتبت له
 حسنة مضاعفة ومن
 قرأ آية من كتاب الله
 كانت له نورا يوم
 القيامة أخبرنا الإمام
 أبو علي حسين بن
 محمد القاضي أنا
 أبو طاهر محمد بن محمد
 ابن محمد الزياتي أنا
 أبو بكر محمد بن عمر بن
 حفص التاجر ثنا إبراهيم
 ابن عبد الله بن عمر
 ابن بكير المكنوني أنا
 وكيع عن الأعمش
 عن أبي صالح عن
 أبي هريرة قال قال
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أحب أحدكم

بقراءتي التي أقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فافرقوا ما تيسر منه (قوله فكذلك أساوره
 في الصلاة) أي أو أثمه وأقاتله وهو في الصلاة والتربص التثبت (قوله فليبت به برادته) هو بتشديد
 الباء الأولى ومعناه أخذت بمجامع رذائله في عنته وجلبته به مأخوذ من اللذة وفيه بيان ما كانوا
 عليه من الاعتناء بالقرآن والذب عنه والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غير عدول إلى ما تجوزه
 العربية وأما أمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر بإرساله فلأنه لم يثبت عنده ما يتنصت تعزيره
 ولأن عمر إنما نسبة إلى مخالفته في القراءة والتي صلى الله عليه وسلم كان يعلم من جواز القراءة
 ووجوبها مالا يعلمه عمر ولأنه إذا قرأ وهو ملبب لا يتسكن من حضور القلب وتحقيق
 القراءة تمكن المطلق (قوله إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فافرقوا ما تيسر منه) قال
 العلماء سبب أنزاله على سبعة أحرف التخفيف والتسهيل واختلافوا في المراد بسبعة أحرف
 فقيل هو توسعة وتسهيل ولم يقصد به الحصر وقال الأكثرون هو حصر العدد في سبعة أحرف
 ثم قيل هي في سبع من المعاني كالوعد والوعيد والحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص
 والأمثال والأمر والنهي وقيل هي في صورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القرآن
 من إدغام وإظهار وتخييم وترقيق ومد وقصر وإمالة لأن العرب كانت مختلفة اللغات في هذه
 الوجوه فيسر الله تعالى عليهم ليقرأ كل إنسان بما يوافق لغته ويسهل على لسانه . وقال أبو عبيدة
 هي سبع لغات من لغات العرب تميزها ومعناها وهي أفصح لغات العرب وأعلاها وقيل هي لغة
 قريش وهوازن وهذيل وأهل اليمن وقيل السبعة كلها لمصر وحدها وهي متفرقة في القرآن
 العزيز غير مجتمعة في كلمة واحدة وقيل بل هي مجتمعة في بعض الكلمات كقوله تعالى وعبد
 الطاغوت وترتع ونلعب وباعد بين أسنانتنا وبعذاب بئس وقيل هي سبع قراءات وهو
 الصحيح الموافق للحديث لأن هذه السبعة ظهرت واستفاضت عن النبي صلى الله عليه وسلم
 وضبطها عنه الصحابة وأثبتها عثمان والجماعة في المصاحف وأخبروا بصحتها وحذفوا منها
 ما لم يثبت متواترا وإن هذه الأحرف تختلف معانيها فارة وألفاظها أخرى وليست متضادة
 ولا متباينة فأما من قال إن المراد بالأحرف سبعة معان مختلفة كالأحكام والأمثال والقصص
 فخطأ محض لأن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى جواز القراءة بكل واحد من الحروف
 وإبدال حرف بحرف وقد تقرر إجماع المسلمين على أنه يحرم إبدال آية أمثال آية أحكام
 وقول من قال إن المراد خواتم الآي فيجعل مكان غفور رحيم جميع علم فمفسد أيضا وخطأ
 للإجماع على أنه لا يجوز تغيير نظم القرآن والله أعلم (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله

إذا رجع إلى أهله أن يحذ فيه ثلاث خلفات عظام سمان ؟ قلنا نعم يا رسول الله
 قال ثلاث آيات يقرؤهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان صحیح . أنا عبد الواحد
 المليحي أنا أبو منصور السمان أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو الأسود ثنا ابن ذبيان عن زيان هو ابن
 فائد عن سهل هو ابن معاذ الجهني عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ القرآن فأحكمه وعمل
 بما فيه أليس والثناء يوم القيامة تاجا ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كان فيه فاطنكم بالذي

عمل به . أنا أحمد بن عبد الله الصالحى ، أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرى أنا محمد بن عبد الله الصفار ، ثنا أحمد بن محمد
ابن عيسى البولى ، ثنا أبو حذيفة ثنا سفیان الثورى عن الأعمش عن حثيمة عن رجل أن عمران بن حصين مر على رجل يقرأ
علي قوم فلما قرأ سأل فقال عمران إنا لله وإنا إليه راجعون سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من قرأ القرآن
فليسأل الله به فانه سيحى » أقوام يقرءون القرآن يسألون الناس به » رواه أبو عيسى عن محمد بن غيلان عن أبى أحمد عن
سفیان عن الأعمش عن حثيمة عن الحسن بن عمران بن حصين قال (١٣) وقال محمد بن إسماعيل هو حثيمة

البصرى الذى روى
عنه جابر الجعفى وليس
هو حثيمة بن عبد الرحمن
(فصل فى وعيد من
قال فى القرآن برأيه من
غير علم) . أنا أبو بكر
محمد بن عبد الصمد
الترابى أنا أبو محمد
عبد الله بن أحمد بن
حموية السرخسى أنا
أبو إسحاق إبراهيم بن
حزيم الشاشى ، ثنا
أبو محمد حميد بن حميد
ثنا عبد الرزاق أنا الثورى
عن عبد الأعلى عن
سعيد بن جبیر عن
ابن عباس رضى الله
عنه ما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« من قال فى القرآن برأيه
فليتوبأ مقعده من النار »
أنا أبو منصور محمد
ابن عبد الملك المظفرى
أنا أبو سعيد أحمد
ابن محمد بن الفضل
الفتية أنا أبو عبد الله

صلى الله عليه وسلم قال « أقرأتى جبريل على حرف فراجعت فزادنى فلم أزل استزبده
ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف » معنى الحديث لم أزل أطلب من جبريل أن يطلب من
الله عز وجل الزيادة فى الأحرف للتوسعة والتخفيف ويسأل جبريل ربه عز وجل فيزبده حتى
انتهى إلى السبعة (م) عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال كنت فى المسجد فدخل رجل يصلى
فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة
دخلنا جاسعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن ههنا قرأ قرأ قرأ قرأ قرأ قرأ قرأ قرأ قرأ
آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ فحسن
النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما فاستطقت فى نفسى من التكذيب ولا إذ كنت فى الجاهلية فلما
رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عشيبنى ضرب فى صدرى ففضت عرقا وكأنا أنظر إلى
الله عز وجل فرقا فقال لي يا أبى أرسل إلى أن أقرأ على حرف واحد فرددت إليه أن هون على أمتى
فرد إلى الثانية أن أقرأ على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتى فرد إلى الثالثة أن أقرأه
على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها فقلت : اللهم اغفر لأمتى اللهم اغفر
لأمتى وأخرت الثالثة ليوم نرغب إلى الناس كلهم حتى إبراهيم (قوله فستطقت فى نفسى
من التكذيب ولا إذ كنت فى الجاهلية) معناه وسوس لى الشيطان تكذيبا للنبوة أشد مما كنت
عليه فى الجاهلية لأنه كان فى الجاهلية غافلا ومشككا فوسوس له الشيطان الجرم بالتكذيب .
وقيل معناه أنه اعترته حيرة ودهشة ونزع الشيطان فى قلبه تكديبا لم يعتقده وهذه الحواطر
إذا لم يستر عليها الإنسان لا يؤاخذ بها (قوله ضرب فى صدرى ففضت عرقا) قال القاضى
عباس ضرب به صلى الله عليه وسلم فى صدره تبييتا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم
(قوله وكأنا أنظر إلى الله تعالى فرقا) الترقى بالتحريك الخوف والخشية والمعنى أنه غشيه من
المية والخوف والعظمة حين ضربه ما زال عنه ذلك الخاطر (قوله ولك بكل ردة رددتها
مسألة تسألنيها) معناه مسألة مجابة قطعا وأما باقى الدعوات فمرجوة الإجابة وليست قطعية
الإجابة والله أعلم . روى البغوى بسنده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
« إن القرآن نزل على سبعة أحرف لكل آية منه ويروى لكل حرف منه ظهر وبطن والكل
حد مطع » قيل فى معناه الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله . وقيل فى معناه الظهر ما حدث عن
أقوام أنهم عصوا فعوقبوا فهو فى الظاهر خير وفى الباطن عظة . وقيل الظهر التلاوة باللسان
كما نزل والبطن التدبر والتفهم والتسكّر بالقلب فالتلاوة باللسان كما تكون بالتعليم والتلقين
والتدبر والتفهم تكون بصدق النية وتعظيم الحرمات وإخلاص العمل وطيب المطعم من الحلال

الحسين بن الحسن البصرى ثنا أبو الفضل العباس بن محمد الدورى أخبرنا يحيى بن حماد ثنا أبو عوافة عن عبد الأعلى عن سعيد
ابن جبیر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قال فى القرآن بغير علم فليتوبأ مقعده
من النار » أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابى حدثنا عبد الله بن أحمد بن حموية أنا إبراهيم بن حزم أنا عبد بن
حميد ، ثنا حبان بن هلال ثنا سهيل أخو حزم القطعى ، ثنا أبو عمران الحوفى عن جند بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » غريب . وسئل أبو بكر الصديق رضى الله عنه

عن قوله تعالى « وفاكهة وأبا » فقال وأي سماء تظلمني وأي أرض تثقلني إذا قلت في كتاب الله مالا أعلم. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لا تنفخه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها كثيرة. قال حذاد قلت لأبي أيوب ما معني قول أبي الدرداء رضي الله عنه فجعل يكره فقلت هو أن ترى له وجوها فتهاب الإقدام عليه فقال هو ذلك. قال شيخنا الإمام رحمه الله قد جاء الوعيد في حق من قال في القرآن برأيه وذلك فيمن قال من قبل نفسه شيئا من غير علم فأما التأويل وهو صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها (١٤) غير مخالف الكتاب والسنة من طريق الاستنباط فقد رخص فيه لأهل العلم.

أما التفسير وهو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها فلا يجوز إلا بالسمع بعد ثبوته من طريق النقل وأصل التفسير من التفسر وهي الدليل من الماء الذي ينظر فيه الطيب فيكشف عن علة المريض كذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصتها واشتقاق التأويل من الأول وهو الرجوع ، يقال أولته فأول أي صرفته فانصرف أخبرنا أبو بكر بن أبي الميثم البرقي أنا الحاكم أبو الفضل الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى أنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ثنا جرير بن عبد الحميد عن المغيرة عن واصل بن حيان عن ابن هانبل عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

الخص (قوله ولكل حد مطلع) معنا، مصدر يصعد إليه من معرفة علمه. وقيل المطلع الفهم وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر في القرآن العزيز من التأويل والمعاني ما لا يفتحه على غيره ووقوف كل ذي علم عليه ، والله أعلم (فصل في معنى التفسير والتأويل) فأما التفسير فأصله في اللغة من التفسر ، وهو كشف ما غطى ، وهو بيان المعاني المعقولة فكل ما يعرف به الشيء ومعناه فهو تفسير. وقد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وتجزئتها تفسير. وقيل هو من التفسر وهو الدليل الذي ينظر فيه الطيب فيكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن معنى الآية وشأنها وقصتها. وأما التأويل فاشتقاقه من الأول وهو الرجوع إلى الأصل يقال أولته فأول أي صرفته فانصرف ، وهو رد الشيء إلى الغاية والمراد منه بيان غايته المقصودة منه فالتأويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الآية. والفرق بين التفسير والتأويل أن التفسير يتوقف على النقل المسموع والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح والله أعلم (التول في الاستعاذة) ولفظها المختار أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لوافقة قوله تعالى « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » ومعني أعوذ بالله أتجني إليه وامتنع به مما أخشاه من عاذ يعوذ، والشيطان أصله من شطن أي تباعد من الرحمة وقيل من شاط بشيط إذا هلك واحترق غضبا والشيطان اسم لكل عارم عات من الجن والانس وشيطان الجن مخلوق من قوة النار فلذلك فيه القوة العنصرية الرجيم فعيل بمعنى فاعل أي يرمي بالوسوسة والشر وقيل بمعنى منوعول أي مرجوم بالشبه عند استراق السمع وقيل مرجوم بالعلاب وقيل مرجوم بمعنى مطرود عن الرحمة وعن الخبرات وعن منازل الملأ الأعلى. وأما حكم الاستعاذة ففيه مسائل (المسئلة الأولى) اتفق الجمهور على أن الاستعاذة سنة في الصلاة فلو تركها لم تبطل صلاته سواء تركها عمدا أو سهوا ويستحب لقارىء القرآن خارج الصلاة أن يتعوذ أيضا. وحكى عن عطاء وجوبها سواء كانت في الصلاة أو غيرها. وقال ابن سيرين إذا تعوذ الرجل في عمره مرة واحدة كفي في إسقاط الوجوب، دليل الوجوب ظاهر قوله تعالى « فاستعذوا بالأمر والأمر للوجوب، وأن النبي صلى الله عليه وسلم واظب على التعوذ فيكون واجبا، ودليل الجمهور أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم الأعرابي الاستعاذة في جملة أعمال الصلاة وتأخير البيان عن وقتها غير جائز. وأجيب عن قوله تعالى فاستعذوا بأن معناه عند جاهير العلماء إذا أردت القراءة فاستعذ بكفوله « إذا قمت إلى الصلاة فاغسلوا » معناه إذا أردتم القيام إلى الصلاة. وأجيب عن مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم بأنه صلى الله عليه وسلم واظب على أشياء كثيرة من أفعال الصلاة ليست بواجبة كتكبيرات الانتقالات والتسبيحات في الصلاة فكان التعوذ

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن القرآن أنزل على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حده مطلع » وروى « لكل حرف حد ولكل حد مطلع » واختلفوا في تأويله قبل الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله، وقيل الظهر ما حدث عن أقوام أنهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر وباطنه عظة وتحذير أن يفعل أحد مثل ما فعلوا فيحل به ما حل بهم. وقيل معنى الظهر والبطن التلاوة والتفهم، يتول لكل آية ظاهر وهو أن تقرأها كما أنزلت قال الله تعالى « ورتل القرآن ترتيلا » وباطن وهو التدبر والتفكير قال الله تعالى « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ثم التلاوة فتكون بالتعلم والحفظ بالدرس والتفهم يكون مثلها

مثلها (المسألة الثانية) وقت الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور سواء كان في الصلاة أو خارجها وحكى عن النخعي أنه بعد القراءة وهو قول داود وإحدى الروايتين عن ابن سيرين حجة الجمهور ما روى عن أبي سعيد الخدري قال «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ثم يقول الله أكبر كبيرا، ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه» أخرجه الترمذي وقال هذا الحديث أشهر حديث في الباب وقد تكلم في بعض رجاله وقال أحمد لا يصح ولأبي داود والنسائي عن أبي سعيد نحوه. وعن جبير بن مطعم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة قال عمر ولأدري أي صلاة هي قال: الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه، قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة أخرجه أبو داود وقيل الموتة الجنون لأن من جن فقد مات عقله. وقيل همزه هو الذي يوسوس في الصلاة ونفخه هو الذي يلقيه من الشبه في الصلاة ليقطع عليه صلواته. واحتج مخالف الجمهور بظاهر قوله تعالى «فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله» وأجيب عنه بما تقدم. وقال مالك لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ في قيام رمضان بعد القراءة. لنا ما تقدم من الأدلة (المسألة الثالثة) المختار من لفظ الاستعاذة عند الشافعي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبه قال أبو حنيفة لموافقة قوله تعالى «فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم» والحديث جبير بن مطعم. وقال أحمد الأول أن يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ما بين هذه الآية وبين قوله تعالى «فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم» والحديث أبي سعيد. وقال الثوري والأوزاعي الأول أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم، وبالجملة فلا استعاذة تطهر القلب عن كل شيء يشغله عن الله تعالى. ومن لطائف الاستعاذة أن قوله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إقرار من العبد بالعجز والضعف واعتراف من العبد بقدرته الباري عز وجل وأنه هو الغني القادر على دفع جميع المضرات والآفات واعتراف من العبد أيضا بأن الشيطان عدو مبين في الاستعاذة التجاء إلى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الغوي الفاجر، وأنه لا يقدر على دفعه عن العبد إلا الله تعالى والله أعلم.

(تفسير سورة الفاتحة)

وهي سبع آيات بالاتفاق وسبع وعشرون كلمة ومائة وأربعون حرفا. واختلف العلماء في نزولها فقيل نزلت بمكة وهو قول أكثر العلماء. وقيل نزلت بالمدينة وهو قول مجاهد. وقيل نزلت مرتين بمكة ومرة بالمدينة. وسبب ذلك التنبه على شرفها وفضلها ولما عدة أسماء وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى وفضله (فأول ذلك فاتحة الكتاب) سميت بذلك لأن بها افتتح القرآن وبها افتتح كتابة المصاحف وبها افتتح الصلاة (الثاني سورة الحمد) سميت بذلك لافتتاحها بالحمد لله (الثالث أم القرآن) وأم الكتاب، سميت بذلك لأنها أصل القرآن وأم كل شيء أصله. وقيل هي إمام لما ينزلها من السور (الرابع السبع المثاني) سميت بذلك لأنها تنهى في الصلاة ويقرأ بها في كل ركعة، وقيل لأن الله تعالى استثنى هذه الأمة وأدخرها ثم لم ينزلها على غيرهم وقيل لأنها أنزلت مرتين (الخامس الوافية) سميت بذلك لأنها لا تنقسم في القراءة في الصلاة كما ينقسم غيرها من السور (السادس الكافية) سميت بذلك لأنها تكفي عن غيرها في الصلاة ولا يكفي عنها غيرها.

بصدق النية وتعظيم
الحرمة وطيب الطعمة.
وقوله لكل حرف حد
أراد به من حد في التلاوة
والتفسير لا يجاوز
المصحف وفي التفسير
لا يجاوز المسوع. وقوله
لكل حد مطلع، أي
متعدد يصعد إليه من
معرفة علمه ويقال المطلع
التمهم وقد يفتح الله
علي المتدبر والمتفكر في
التأويل والمعاني مالا
يشع علي غيره، وفوق
كل ذي علم عليم، وما
توفيتي إلا بالله العزيز
الحكيم.

(سورة الفاتحة)

ولما ثلاثة أسماء معروفة
فاتحة الكتاب وأم القرآن
والسبع المثاني سميت فاتحة
الكتاب لأنه تعالى لها
افتتح القرآن، وأم
الكتاب لأنها أصل
القرآن منها بدئ القرآن
وأم الشيء أصله، ويقال
لمكة أم القرى لأنها أصل
البلاد دحيت الأرض

(فصل : في ذكر فضلها) (خ) عن أبي سعيد بن العلى قال كنت أصلى في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه ثم أتيت فقلت يا رسول الله إلى أين كنت أصلى فقال ألم يقل الله استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم ثم قال لي لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له يا رسول الله ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قال : الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته ورواه مالك في الموطأ عنه وقال فيه إن النبي صلى الله عليه وسلم نادى أبي ابن كعب وهو يصلى وذكر نحوه وفيه حتى تعلم سورة ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور مثلها ورواه الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أبي وهو يصلى وذكر نحوه رواية الموطأ وقال فيه حديث حسن صحيح عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني وهو متسومة بيني وبين عبدى ولعبدى ما سألت أخرجه الترمذي والتسائي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح (م) عن ابن عباس قال بينا جبريل قاعد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع نقيصا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيت (قوله سمع نقيصا) هو بالقاف والضاد المعجمة أى صوتا كصوت فتح الباب (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج هي خداج غير تمام قال فقلت يا أبا هريرة إننا حينما نكون وراء الإمام فغمز ذراعي وقال اقرأ بها في نفسك يا فارسي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى « قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفها لي ونصفها لعبدى ولعبدى ما سألت فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدنى عبدى وإذا قال الرحمن الرحيم قال أنى على عبدى وإذا قال مالك يوم الدين قال حمدنى عبدى وربما قال فوض إلى عبدى وإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدى ولعبدى ما سألت وإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدى ولعبدى ما سألت (قوله فهي خداج) أى ناقصة (قوله فغمز ذراعي) أى كبس ساعدى بيده (قوله قسمت الصلاة) أراد بالصلاة هنا القراءة لأنه فسرهما بها ولأن القراءة ركن من أركانها وجزء من أجزائها (قوله تصفين) حقيقة هذه القسمة التي جعلها بينه وبين عبده راجعة إلى المعنى لا إلى اللفظ لأن هذه السورة من جهة المعنى نصفها ثناء ونصفها مسئلة ودعاء وقسم الثناء انتهى عند قوله تعالى إياك نعبد وإياك نستعين من قسم الدعاء ولهذا قال هذا بيني وبين عبدى ولعبدى ما سألت (قوله حمدنى عبدى وحمدنى) أى أنى على لأن الحمد هو الثناء بحميد الفعل والتعجب بالصفات الجلال وقيل التحميد والتعجب والتعظيم (قوله وربما قال فوض إلى عبدى) وجه مطابقة هذا لقوله مالك يوم الدين يقال فلان فوض أمره إلى فلان إذا رده إليه وعول فيه عليه وفي الحديث دليل على وجوب قراءة فاتحة وأنها متعينة وهو مذهب الشافعي وجماعة وستأتى هذه المسئلة إن شاء الله تعالى بعد ذكر تفسير الفاتحة ، والله أعلم .

من تحتها وقيل لأنها مقدمة وإمام لما يتلوها من السور يبدأ بكتابتها في الصحف وبقراتها في الصلاة والسبع المثاني لأنها سبع آيات باتفاق العلماء ، وسميت مثاني لأنها تنفي في الصلاة فنقرأ في كل ركعة وقال مجاهد سميت مثاني لأن الله تعالى استثنى لها الحمد الأمة فدخرها ثم وهي مكة على قول الأكثرين وقال مجاهد مدنية وقيل نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة ولذلك سميت مثاني ، والأول أصح أنها مكة لأن الله تعالى من علي الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله « ولقد آتيناك سبعا من المثاني والمراد منها فاتحة الكتاب وسورة الحجر مكة فلم يكن بمن عليه بها قبل نزولها

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله بسم الله الباء زائدة تخفص ما بعدها مثل من وعن والمتعلق به محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره أبداً بسم الله أو قل بسم الله وأستطقت الألف من الاسم طلباً للخفة لتكررة استعمالها وطولت الباء قال القطيبي لا تكون افتتاح كلام كتاب الله بحرف معظم كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول لكتاباه طولوا الباء ، وأظهروا السين وفرجوا بينهم ، وادوروا الميم تعظيماً لكتاب الله عز وجل وقيل لما أستطوا الألف ردوا (١٧) طول الألف على الباء ليكون

دالاً على سقوط الألف إلا ترى أنه لما كتب الألف في أقرأ باسم ربك ردت الباء إلى صيغتها ولا تحذف الألف إذا أضيف الاسم إلى غير الله ولا مع غير الباء . والاسم هو المسمى وعينه وذاته قال الله تعالى «إنا نبدل الأسماء» وأجاب عن قوله تعالى «إنا نبدل الأسماء» فقال «يا يحيى» ثم نادى الاسم فقال «يا يحيى» وقال «ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها» وأراد الأشخاص المعبودة لأنهم كانوا يعبدون المسميات وقال «سبح اسم ربك» و «تبارك اسم ربك» ثم يقال للتسمية أيضاً اسم فاستعماله في التسمية أكثر من المسمى . فإن قيل ما معنى التسمية من الله لنفسه ؟ قيل هو تعليم العباد كيف يستفتحون القراءة واختلفوا في اشتقاقه قال المراد من البصريين هو مشتق من السم وهو

(بسم الله الرحمن الرحيم) الباء في بسم الله حرف تخافض يخفص ما بعده مثل من وعن والمتعلق به محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره أبداً بسم الله أو باسم الله أبداً أو أقرأ وإنما طولت الباء في بسم الله وأستطقت الألف طلباً للخفة ، وقيل لما أستطوا الألف ردوا طولها على الباء ليدل طولها على الألف الخذوفة وأثبتت الألف في قوله تعالى «سبح باسم ربك العظيم» لثقل استعجاله وقيل إنما طولوا الباء لأنهم أرادوا أن يستفتحوا كتاب الله بحرف معظم وقيل الباء حرف منخفص الصورة فلما اتصل باسم الله ارتفع واستعمل وقيل إن عمر بن عبد العزيز كان يقول لكتاباه طولوا الباء من بسم الله وأظهروا السين وادوروا الميم تعظيماً لكتاب الله عز وجل . والاسم هو المسمى وعينه وذاته قال الله تعالى «إنا نبدل الأسماء» وأجاب عن قوله تعالى «إنا نبدل الأسماء» فقال «يا يحيى» وقال «ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها» وأيضاً فقوله «فادعوهن» أمر أن يدعى الله تعالى بأسمائه فلا اسم آلة الدعاء والمدعو هو الله تعالى فالمغايرة خاصلة بين ذات المدعو وبين اللفظ المدعو به . وأجاب عن قوله تعالى «إنا نبدل الأسماء» فقال «يا يحيى» بأن المراد ذات الشخص المعبر عنه يحيى لانفس الاسم . وأجاب عن قوله تعالى «سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك» بأن معنى هذه الألفاظ يقتضي إضافة الاسم إلى الله تعالى وإضافة الشيء إلى نفسه محال وقيل كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى عن النقص فكأنك يجب تنزيه أسماءه وكون الاسم غير التسمية هو أن التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشيء والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر . واختلفوا في اشتقاق الاسم فقال البصريون من السم وهو العلو فاسم الشيء ما علاه حتى ظهر به وعلا عليه فكأنه علا على معناه وصار علواً له وقال الكوفيون من السمة وهي العلامة فكأنه علامة لمسماه وحجة البصريين لو كان الاسم اشتقاقاً من السمة لكان تصغيره وسمي وجمعه أوسام وأجمعوا على أن تصغيره سمي وجمعه أسماء وأسام (الله) هو اسم علم خاص لله تعالى تفرد به الباري سبحانه وتعالى ليس بمشتق ولا يشركه فيه أحد . وهو الصحيح المختار دليله قوله تعالى «هل تعلم له سمياً» يعني لا يقال لغيره الله وقيل هو مشتق من آله بآء الإلحاح مثل عبد الرجل يعبد عبادة دليله «ويبارك وآفئك» أي وعبادتك ومعناه المستحق للعبادة دون غيره ؛ وقيل من الوله وهو الفرع لأن الخلق يولون إليه أي يفزعون إليه في حوائجهم ، قال بعضهم :

ولدت إليكم في بلاياتنوبني فألفتكم فيها كرائم عتد وقيل أصله آله
يقال آلت إلى فلان أي سكنت إليه فكأن الخلق يسكنون إليه ويطنون بذكره ، وقيل

(٣ - خازن بالبعوى - أول) معناه وظهور عليه وصار معناه لآلته ؛ وقال ثعلب من الكوفيين هو من الوسم والسمة وهي العلامة وكأنه علامة لمعناه وعلامة للمسمى ، والأول أصح لأنه يصغر على سمي ولو كان من السمت لكان يصغر على الوسم كما يقال في الوعد وعيد ويقال في تصريفه سميت ولو كان من الوسم لتبيل وسمت ، قوله تعالى (الله) قال الخليل وجماعة هو اسم علم خاص لله عز وجل لا اشتقاق له كأسماء الأعلام للعباد مثل زيد وعمر ، وقال جماعة

مشتق ثم اختلفوا في اشتقاقه فقيل من آله إلهة أى عبادة، وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما، وينورك وإلهتك أى عبادتك
معناه أنه المستحق للعبادة دون غيره وقيل أصله إله قال الله عز وجل «وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق»
قال المبرد هو قول العرب أهدت إلى فلان أى سكت إليه قال الشاعر «أهدت إليها والحوادث جمة . فكان الخلق يسكنون
إليه ويظنون بذكره يقال أهدت (٨) إليه أى فرغت إليه ، وقال الشاعر : « وأهدت إليها والركائب وقفت »

وقيل أصل الإله ولاه فأبدلت الواو همزة سمي بذلك لأن كل مخلوق والله نحوه إما بالتحير أو بالإرادة
فأبدلت الواو بالهمزة مثل وشاح وإشاح اشتقاقه من الوله لأن
العباد يوطون إليه أى يفزعون إليه في الشدائد ويلجئون إليه في الحوائج كما يوله كل طفل إلى
أمه، وقيل هو من الوله وهو ذهاب العقل لفقد
من يعز عليك . قوله (الرحمن الرحيم) قال
ابن عباس رضى الله عنهما هما اسمان رقيقان
أحدهما أرق من الآخر واختلفوا فيهما ، منهم
من قال هما بمعنى واحد مثل ندمان ونديم
ومعناهما ذو الرحمة وذكر أحدهما بعد الآخر
تطبعها لقلوب الراغبين وقال المبرد هو إنعام
بعد إنعام وتفضل بعد تفضل ، ومنهم من
فرق بينهما فقال للرحمن معنى العموم
والرحيم معنى الخصوص فالرحمن بمعنى الرزاق
في الدنيا وهو على

أصله ولاه فأبدلت الواو همزة سمي بذلك لأن كل مخلوق والله نحوه إما بالتحير أو بالإرادة
ومن هذا قيل الله محبوب كل الأشياء يأن عليه، وإن من شيء إلا يسبح بحمده، ومن خصائص
هذا الاسم أنك إذا حذفته شيتا بقي الباقي يدل عليه فإن حذفته لألف بقي الله وإن حذفته
اللام وأثبت الألف بقي إله وإن حذفته أبقى له وإن حذفته الألف واللامين معا بقي هو والواو
عوض عن الضمة . وذهب بعضهم إلى أن هذا الاسم هو الاسم الأعظم لأنه يدل على القات
وباقى الأسماء تدل على الصفات (الرحمن الرحيم) قال ابن عباس هما اسمان رقيقان أحدهما
أرق من الآخر قيل هما بمعنى مثل ندمان ونديم ومعناهما ذو الرحمة وإنما جمع بينهما للتأكيد
وقيل ذكر أحدهما بعد الآخر تطبعها لقلوب الراغبين إليه، وقيل الرحمن فيه معنى العموم
والرحيم فيه معنى الخصوص فالرحمن بمعنى الرزاق في الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق
المؤمن والكافر والرحيم بمعنى الغفور الكافي لا يؤمنين في الآخرة فهو على الخصوص ولذلك
قيل رحمن الدنيا ورحيم الآخرة ورحمة الله لإرادة الخير والاحسان لأهله، وقيل هي ترك
عقوبة من يستحق العقاب وإساءة الخير والإحسان إلى من لا يستحق فهو على لأول صفة
ذات، وعلى الثاني صفة فعل ، وقيل الرحمن بكشف الكروب والرحيم بغير النوب، وقيل
الرحمن بتبيين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق .

(فصل : في حكم البسملة) وفيه مستلثان (الأولى) في كون البسملة الفاتحة وغيرها من السور
سوى سورة براءة . اختلف العلماء في ذلك، فذهب الشافعي وجماعة من العلماء إلى أنها آية
من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت في أوها سوى سورة براءة وهو قول ابن عباس وابن عمر
وأبي هريرة وسعيد بن جبير وعطاء وابن المبارك وأحمد في إحدى الروايتين عنه وإسحاق
ونقل البيهقي هذا القول عن علي بن أبي طالب والزهرى والثورى ومحمد بن كعب . وذهب
الأوزاعي ومالك وأبو حنيفة إلى أن البسملة ليست بآية من الفاتحة زاد أبو داود ولا من غيرها
من السور وإنما هي بعض آية في سورة النمل وإنما كتبت للفصل والتبرك قال مالك ولا يستفتح
بها في الصلاة المفروضة، وللشافعي قول إنها ليست من أوائل السور مع التقطع بأنها من الفاتحة.
فأما حجة من منع كون البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها فحديث أنس المشهور المخرج
في الصحيحين وحديث عائشة قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير
والقراءة الحمد لله رب العالمين، قالوا ولأن أول ما نزل به جبريل «اقرأ باسم ربك الذى خلق»
ولم يذكر البسملة في أوها فدل على أنها ليست منها قالوا ولأن عمل القرآن لا يثبت إلا بالتواتر
والاستفاضة ولأن الصحابة أجمعوا على عدم كثير من السور منها سورة الملك ثلاثون آية
وسورة الكوثر ثلاث آيات وسورة الإخلاص أربع آيات فلو كانت البسملة منها لكانت
خمساً . وأما حجة من ذهب إلى إثباتها في أوائل السور من جهة النقل فقد صرح عن أم سلمة
«أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة وعدّها آية منها» وعن ابن

عباس

العموم لكافة الخلق والرحيم بمعنى المعاني

في الآخرة والعموم في الآخرة للمؤمنين على الخصوص ولذلك قيل في الدعاء يارحمن الدنيا ورحيم الآخرة فالرحمن
من يصل رحمة إلى الخلق على العموم والرحيم من يصل رحمة إليهم على الخصوص ولذلك يدعى غير الله رحماً ولا
يدعى رحمن، فالرحمن عام المعنى خاص اللفظ والرحيم عام اللفظ خاص المعنى، والرحمة لإرادة الله الخير لأهله، وقيل هي

رك عقوبة من يستحقها وإسداء الخبر إلى من لا يستحق فهي علي الأول صفة ذات وعلي الثاني صفة فعل . واختلفوا في آية التسمية ، فذهب قراء المدينة والبصرة وفقهاء الكوفة إلى أنها ليست من فاتحة الكتاب ولا من غيرها من السور ، والافتتاح بها للتين والتبرك وذهب قراء مكة والكوفة وأكثر فقهاء الحجاز إلى أنها ليست من الفاتحة وليست من سائر السور فأنما كتبت للفصل ، وذهب جماعة إلى أنها من الفاتحة ومن كل سورة إلا سورة (١٩) التوبة وهو قول الثوري

وابن المبارك والشافعي في قول لأنها كتبت في المصحف بخط سائر القرآن . وانفقوا على أن الفاتحة سبع آيات والآية الأولى عند من بعدها من الفاتحة ، بسم الله الرحمن الرحيم ، وابتداء الآية الأخيرة « صراط الدين » ومن لم يبعدها من الفاتحة قال ابتداءها الحمد لله رب العالمين ، وابتداء الآية الأخيرة « غير المغضوب عليهم » واحتج من جعلها من الفاتحة ومن السور بأنها كتبت في المصحف بخط القرآن . وبما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد التميمي أنا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم وأنا الربيع بن سليمان أنا الشافعي أنا عبد المجيد عن ابن جريج أخبرني أبي عن سعيد بن جبير

عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم » قال هي فاتحة الكتاب قيل فإين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم أخرجهما ابن خزيمة وغيره ، وروى عن ابن عباس « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فضل السورة وفي رواية انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم » أخرجه أبو داود والحاكم أبو عبد الله في مستدركه وقال فيه إنه صحيح على شرط الشيخين وروى الدارقطني عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا قرأتم الحمد لله فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم فأنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم أحد آياتها » قال الدارقطني في رجال إسناده كلهم ثقات وروى موقوفاً ، وروى الدارقطني عن أم سلمة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين إلى آخرها قطعها آية آية وعدها عد الأعراب وعده بسم الله الرحمن الرحيم آية ولم يبعدها عليهم » وأخرج مسلم في أفراده عن أنس قال « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا إذ غفا غفوة ثم رفع رأسه متبسها فنقلنا ما مضحكك يا رسول الله قال أنزلت علي آتفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر » الحديث . قال البيهقي أحسن ما احتج به أصحابنا في أن بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وأنها من فوائغ السور سوى سورة براءة مارويناه في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف وأنهم كتبوا فيها بسم الله الرحمن الرحيم على رأس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم أنهم كتبوا فيها آية وثلاثة عشر آية ليست من القرآن ، قال وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس أنه كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة وروى الشافعي بسنده عن ابن عمر أنه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لأمر القرآن والسورة التي بعدها زاد غيره عنه إنه كان يقول لما كتبت في المصحف لم لم تقرأ وروى الشافعي عن ابن عباس أنه كان يفعل ويقول انزع الشيطان منهم خبر آية في القرآن . وفي أفراد البخاري من حديث أنس « أنه سئل كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مداً ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم بمد الله ومد الرحمن ومد الرحيم » فقد ثبت بهذه الأدلة الصحيحة الواضحة أن البسملة من الفاتحة من كل موضع ذكرت فيه وأيضاً فاجمع الصحابة على إثباتها في المصاحف وأنهم طلبوا بكتابة المصاحف تجريد كلام الله عز وجل المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قرآناً وتدوينه مخافة أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه ولهذا لم يكتبوا فيه لفظة آمين وإن كان قد ورد أنه كان يقولها بعد الفاتحة فلم تكن البسملة من القرآن في أوائل السور لما كتبوها وكان حكمها حكم آمين . (المسئلة الثانية في حكم الجهر بالبسملة والإسرار)

إذا ثبت بما تقدم من الأدلة أن البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها من السور حيث كتبت كان حكمها في الجهر والإسرار حكم الفاتحة فيجهر بها مع الفاتحة في الصلاة الجهرية ويسرها

المثاني والقرآن العظيم ، هي أم القرآن قال أبي وقرأها علي سعيد بن جبير حتى ختمها ثم قال « بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة قال سعيد قرأها علي وابن عباس كما قرأها عليك ثم قال « بسم الله الرحمن الرحيم » الآية السابعة قال ابن عباس فذخرها لكم فما أخرجهما لأحد قبلكم ، ومن لم يجعلها من الفاتحة احتج بما ثنا أبو الحسن محمد بن محمد الشيرازي أنا زاهر بن أحمد ثنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن حميد الطويل عن أنس بن مالك أنه قال « قت وراه أبي بكر الصديق

وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كلهم كانوا لا يقرءون بسم الله الرحمن الرحيم إذا افتتح الصلاة قال سعيد بن جبير
عن ابن عباس كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يعرف ختم السورة حتى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم

وعن أبي مسعود قال كنا
لأنعم فصل ما بين السورتين
حتى ينزل بسم الله
الرحمن الرحيم وقال
الشعبي كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يكتب في بدء الأمر
على رسم قرئش بامتك
اللهم حتى نزل وقال
أركبوا فيها بسم الله
عزيرها فنكتب باسم الله
حتى نزلت قل ادعوا
الله أو ادعوا الرحمن
فنكتب بسم الله الرحمن
حتى نزلت إنه من سليمان
وإنه بسم الله الرحمن
الرحيم فنكتب مثله قوله
(الحمد لله) لفظه خبر
كأنه يخبر عن المستحق
لحمد هو الله عز وجل
وفيه تعليم الخلق تقديره
قولوا الحمد لله والحمد
يكون بمعنى الشكر على
النعمة ويكون بمعنى
الثناء عليه بما فيه من
الحصول الحديدة يقال
حمدت فلانا على
ما أسدى إلى من نعمة
وحدثته على علمه
وشجاعته والشكر لا يكون
إلا على النعمة والحمد
أعم من الشكر إذ
لا يقال شكرت فلانا
على علمه فكل حامد

مع فاتحة في الصلاة السرية ، ومن قال بالجهر بالبسملة من الصحابة أبو هريرة وابن عباس
وابن عمر وابن الزبير . ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبير وأبو قلابة والزهري وعكرمة
وعطاء وطاوس ومجاهد وعلي بن الحسين وسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي وابن سيرين
وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمر ويزيد بن أسلم وعمر ومكحول وعمر بن عبد العزيز وعمر
ابن دينار ومسلم بن خالد وإليه ذهب الشافعي وهو أحد قولين وهب صاحب مالك ويحكي
أيضا عن ابن المبارك وأبي ثور . ومن ذهب إلى الإسرار بها من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان
وعلي وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم . ومن التابعين فمن بعدهم الحسن والشعبي
وإبراهيم النخعي وقتادة والأعمش والأوربي وإليه ذهب مالك وأبو حنيفة وأحمد وغيرهم .
أما حجة من قال بالجهر فقد روى جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وابن عباس وأنس
وعلي بن أبي طالب وسمرة بن جندب وأم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم جهر بالبسملة
فمنهم من صرح بذلك ومنهم من فهم ذلك من عبارته ولم يرد في صريح الإسرار بها عن النبي
صلى الله عليه وسلم إلا روايتان إحداهما ضعيفة وهي رواية عبد الله بن مغفل والأخرى عن
أنس وهي في الصحيح وهي معلة بما أوجب سقوط الاحتجاج بها ، وروى نعيم بن عبد الله
المجمر قال «صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأمر القرآن وذكر
الحديث وفيه ثم يقول إذا سلم إلى لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم» أخرجه
السنائي وابن خزيمة في صحيحه وقال أما الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم فقد ثبت
وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى الدارقطني بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
«كان إذا قرأ وهو يؤم الناس افتتح بيسم الله الرحمن الرحيم» وذكر الحديث قال الدارقطني
إسناده كلهم ثقات وعن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر بيسم الله الرحمن
الرحيم» أخرجه الدارقطني وقال ليس في روايته مجروح وأخرجه الحاكم أبو عبد الله وقال
إسناده صحيح وليس له علة وفي رواية عن ابن عباس قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفتح الصلاة بيسم الله الرحمن الرحيم» أخرجه الدارقطني وقال صحيح ليس في إسناده مجروح
وأخرجه الترمذي وقال ليس إسناده بذلك قال الشيخ أبو شامة أي لا يماثل إسناده ما في
الصحيح ولكن إذا انضم إلى ما تقدم من الأدلة رجح على ما في الصحيح وعن أنس قال
«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة بيسم الله الرحمن الرحيم» أخرجه الدارقطني
وقال إسناده صحيح وفيه عن محمد بن أبي السرى العمري قال صليت خلف المعتز
ابن سليمان ما لا أحصى صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم قبل
فاتحة الكتاب وبعدها وسمعت المعتز يقول ما أرى أن أفتدى بصلاة أنس بن مالك وقال
أنس بن مالك ما أرى أن أفتدى بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الدارقطني
وقال كلهم ثقات وأخرجه الحاكم أبو عبد الله وقال رواة هذا الحديث عن آخرهم كلهم
ثقات . قلت وفي الباب أحاديث وأدلة وإبرادات وأجوبة من الجانبين يطول ذكرها وفي
هذا القدر كفاية وبالله التوفيق . قوله عز وجل (الحمد لله) لفظه خبر كأنه سبحانه وتعالى

شاكر وليس كل شاكر حامد . وقيل الحمد باللسان قولاً والشكر بالأركان فعلا قال الله تعالى
ووقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً وقال اعلموا آل داود شكراً يعني اعلموا الأعمال لأجل الشكر فشكراً مفعولاً له وانصب

بأعمالها . قوله (لله) اللام فيه للإستحقاق كما يقال الدار رب الدار لزيد . قوله (رب العالمين . الرحمن الرحيم) فالرب يكون بمعنى المالك كما يقال مالك الدار رب الدار ويقال رب الشيء إذا ملكه ويكون بمعنى (٢١) التريبة والإصلاح يقال رب فلان

يخبر أن المستحق للحمد هو الله تعالى ومعناه الأمر أي قولوا الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدهم والحمد والمدح أخوان ، وقيل بينهما فرق وهو أن المدح قد يكون قبل الإحسان وبعده والحمد لا يكون إلا بعد الإحسان ، وقيل إن المدح قد يكون منبها عنه وأما الحمد فأمور به ، والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء بحميد الأفعال تقول حدثت الرجل على علمه وكرمه والشكر لا يكون إلا على النعمة فالحمد أعم من الشكر ، إذ لا تقول شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكرك وليس كل شاكر حامدا ، وقيل الحمد باللسان قولوا والشكر بالأركان فعلا والحمد ضد الام واللام في لله لام الاستحقاق كقولك الدار لزيد يعني أنه المستحق للحمد لأنه المحسن المتفضل على كافة الخلق على الإطلاق (رب العالمين) الرب بمعنى المالك كما يقال رب الدار ورب الشيء أي مالكة ويكون بمعنى التريبة والإصلاح يقال رب فلان الضيعة يربها إذا أصلحها فالله تعالى مالك العالمين ومري بهم ومصالحهم ، ولا يقال الرب للمخلوق معرفة بل يقال رب الشيء مضافا . والعالمين جمع علم لا واحد له من لفظه ، وهو اسم لسلك وجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع الخلق . وقال ابن عباس هم الجن والإنس لأنهم المكلفون بالخطاب وقيل العالم اسم للدوى العلم من الملائكة والجن والإنس ولا يقال للمهاثم عالم لأنها لا تعقل . واختلف في مبلغ عددهم فقيل لله ألف عالم سبائة عالم في البحر وأربعمائة في البر وقيل ثمانون ألف عالم أربعون ألفا في البر ومثلهم في البحر وقيل ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما الهـران في الخراب إلا كفسطاط في صحراء . الفسطاط الخيمة واشتقاق العالم من العلم وقيل من العلامة وإنما سمي بذلك لأنه دال على الخالق سبحانه وتعالى (الرحمن الرحيم) فالرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدور تلك النعمة من العباد والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور تلك النعمة من العباد فلا يقال لغير الله رحمن ، ويقال لغيره من العباد رحيم . فإن قلت قد سمي مسيما الكتاب بـرحمن التمامة وهو قول شاعرهم فيه : وأنت غيث الوري لا زلت رحمانا . قلت هو من باب تعنتهم في كفرهم ومبالغتهم في مدح صاحبه فلا يلتفت إلى قوفهم هنا . فإن قلت قد ذكر الرحمن الرحيم في البسمة فافائدة تكريرها مرة ثانية . قلت ليعلم أن العناية بالرحمة أكثرها من غيرها من الأمور وأن الحاجة إليها أكثر فبها سبحانه وتعالى يشكر بذكر الرحمة على كثرتها وأنه هو المتفضل بها على خلقه . قوله تعالى (مالك يوم الدين) يعني أنه تعالى صاحب ذلك اليوم الذي يكون فيه الجزاء . والمالك هو المنصرف بالأمر والنهي وقيل هو القادر على اختراع الأعيان من العدم إلى الوجود ولا يقدر على ذلك إلا الله تعالى . وقيل مالك أوسع من ملك لأنه يقال مالك العبد والداية ولا يقال ملك هذه الأشياء لأنه لا يكون ملكا لشيء إلا وهو يملكه . وقد يكون مالك لشيء ولا يملكه وقيل ملك أولى لأن كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا وقيل هما بمعنى واحد مثل فرحين وفارحين قال ابن عباس مالك يوم الدين قاضي يوم الحساب وقيل الذين الجزاء ويقع على الخير والأشر يقال كما تدين تदान وقيل هو يوم لا ينفع فيه إلا الدين وقيل الدين النهار يقال دنه دنه أي قهرته فذل . فإن قلت لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للأيام كلها . قلت لأن ملك الأملاك

الضيعة يربها إذا أتمها وأصلحها فهو رب ، مثل طب ورف الله تعالى مالك العالمين ومري بهم ولا يقال للمخلوق وهو الرب معرفة إنما يقال رب كذا مضافا لأن الألف واللام للتعظيم وهو لا يملك الكل والعالمين جمع علم والعالم جمع لا واحد له من لفظه واختلفوا في العالمين قال ابن عباس هم الجن والإنس لأنهم مكلفون بالخطاب قال الله تعالى «الذين نذروا» وقال قتادة ومجاهد والحسن جمع المخلوقين قال الله تعالى : وقال فرعون وما رب العالمين ؟ قال رب السموات والأرض وما بينهما «واشتقاقه من العلم والعلامة سموا به لظهور أثر الصنعة فيهم قال أبو عبيدة أربع أمم الملائكة والإنس والجن والشياطين مشتق من العلم ولا يقال للمهاثم عالم لأنها لا تعقل واختلفوا في مبلغهم قال سعيد بن المسيب لله ألف عالم سبائة في البحر وأربع مائة

في البر ، وقال مقاتل بن حيان لله ثمانون ألف عالم أربعون ألفا في البحر وأربعون ألفا في البر ، وقال وهب لله ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منها وما العميران في الخراب إلا كفسطاط في صحراء ، وقال كعب الأحبار ولا يخصى عدد العالمين أحد إلا الله قال . وما يعلم جنود ربك إلا هو . قوله (مالك يوم الدين) قرأ عاصم والكسائي ويعقوب مالك ، وقرأ الآخرون ملك

قال قوم معناهما واحد مثل فرحين وفرهين وحلرين وحاذرين ومعناهما الرب يقال رب الدار ومالكها، وقيل المالك هو القادر على اختراع الأعيان من العدم إلى الوجود ولا يقدر عليه أحد غير الله. قال أبو عبيدة مالك أجمع وأوسع لأنه يقال مالك العبد والطيور والدواب ولا يقال ملك الأشياء ولأنه لا يكون ملك لشيء إلا وهو يملكه وقد يكون ملك الشيء ولا يملكه. وقال قوم ملك أولى لأن كل ملك مالك وليس كل مالك ملكاً ولأنه أوفق أسائر القرآن مثل قوله تعالى «فتعالى الله الملك الحق» والملك التندوس - وملك الناس - قال ابن عباس ومقاتل والسدي «ملك يوم الدين» قاضي يوم الحساب وقال قتادة الدين الجزاء، ويقع على الجزاء في الخير والشرج يعا كما يقال: كما تدين تدان. قال محمد بن كعب القرظي ملك يوم لا يضع فيه إلا الدين. وقال عيان بن ريان الدين القهور يقال ذنته فدان أي قهرته فذل، وقيل الدين الطاعة أي يوم الطاعة وإنما خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للأيام كلها لأن الأملاك يومئذ زائلة فلا ملك ولا أمر إلا ما قال الله تعالى «الملك يومئذ الحق للرحمن» (٢٢) وقال «لمن الملك اليوم لله الواحد القهار» وقال «والأمر يومئذ لله» وقرأ أبو عمرو

يومئذ زائل فلا ملك ولا أمر يومئذ إلا لله تعالى كما قال تعالى «الملك يومئذ الحق للرحمن» وقال «لمن الملك اليوم لله الواحد القهار» وقد يسمى في دار الدنيا آحاد الناس بالملك وذلك على الحجاز لأعلى الحقيقة. قوله تعالى (إياك نعبد) رجوع من الخبر إلى الخطاب وفائدة ذلك من أول السورة إلى هنا ثناء والثناء في الغيبة أولى. ومن قوله إياك نعبد دعاء والخطاب في الدعاء أولى وقيل فيه ضمير أي قولوا إياك نعبد والمعنى إياك نخضع بالعبادة ونوحدهك ونطيعك خاضعين لك. والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل وسمى العبد عبد الذلته وانقياده وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذي يؤدي به المرض لتعظيم الله تعالى فقول العبد إياك نعبد معناه لأعبد أحدا سواك والعبادة غاية التذلل من العبد ونهاية التعظيم للرب سبحانه وتعالى لأنه العظيم المستحق للعبادة ولا تستعمل العبادة إلا في الخضوع لله تعالى لأنه مولى أعظم النعم وهي إيجاد العبد من العدم إلى الوجود ثم هداه إلى دينه فكان العبد حقيقاً بالخضوع والتذلل له (وإياك نستعين) أي منك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا. فإن قلت الاستعانة على العمل إنما تكون قبل الشروع فيه فلم أحر الاستعانة على العبادة وما الحكمة فيه؟ قلت ذكرها فيه وجوها أحدها أن هنا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن بحمد الله نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتأخير. الثاني أن الاستعانة نوع تعبد فكأنه ذكر جملة العبادة أولاً ثم ذكر ما هو من تفاصيلها ثانياً. الثالث كأن العبد يقول شرعت في العبادة فانه استعين بك على إتمامها فلا يمنعني من إتمامها مانع. الرابع إن العبد إذا قال إياك نعبد حصل له الفخر وذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك العجب فأردفت ذلك بقوله وإياك نستعين ليزول ذلك العجب الحاصل بسبب تلك العبادة (اهدنا الصراط المستقيم) أي أرشدنا وقيل

الرحيم ملك بادغام الميم في الميم وكذلك يدغم كل حرفين من جنس واحد أو مخرج واحد أو قريب المخرج سواء كان الحرف ساكناً أو متحركاً إلا أن يكون الحرف الأول مشدداً أو منوناً أو مقصوراً أو مفتوحاً أو تاء الخطاب قبله ساكن من غير المثلين فإنه لا يدغمها وإدغام المتحرك يكون في الإدغام الكبير وافقه حمزة في إدغام المتحرك في قوله «بيت طائفة» والصفات صفا فالزجرات زجراً فالتاليات ذكر - والناريات ذروا وأدغم

ثبتنا

الثاء فيها بعدها من الحروف وافقه حمزة برواية رجاء وخلف والكسائي

إلا في الراء عند اللام والذال عند الجيم وكذلك لا يدغم حمزة الدال عند السين والصاد والراء ولا إدغام لسائر القراء إلا في أحرف معدودة. قوله (إياك) إيا كلمة ضمير خصت بالإضافة إلى المضمر ويستعمل مقديماً على الفعل فيقال إياك أعنى وإياك أسأل ولا يستعمل مؤخراً إلا منفصلاً فيقال ما عنيت إلا إياك. قوله (نعبد) أي نوحدهك ونطيعك خاضعين والعبادة الطاعة مع التذلل والخضوع، وسمى العبد عبداً لذلته وانقياده، يقال طريق معبد أي مذل (وإياك نستعين) نطلب منك المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا. فإن قيل لم قدم ذكر العبادة على الاستعانة والاستعانة تكون قبل العبادة فهلما يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن بحمد الله نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتأخير ويقال الاستعانة نوع تعبد فكأنه ذكر جملة العبادة أولاً ثم ذكر ما هو من تفاصيلها قوله (اهدنا الصراط المستقيم) اهدنا أرشدنا. وقال علي وأبي بن كعب ثبتنا كما يقال للقاتم قم حتى أعود إليك أي دم على ما أنت عليه، وهذا الدعاء من المؤمنين

مع كونهم على الهداية بمعنى التثبيت وبمعنى طلب مزيد الهداية لأن الألفاظ والهدايات من الله تعالى لا تنتهي على مذهب أهل السنة. الصراط وصراط قرئ بالسین رواه رويس عن يعقوب وهو الأصل، سمي صراطا لأنه بسراط السابلة ويقرأ بالزاي، وقرأ حمزة باشمام الزاي وكلها لغات صحيحة والاختيار الصاد عند أكثر النراة لوافق المصحف. والصراط المستقيم قال ابن عباس وجابر هو الإسلام وهو قول مقاتل، وقال ابن مسعود هو القرآن وروى عن علي مرفوعا والصراط المستقيم كتاب الله وقال سعيد بن جبیر طريق الجنة، وقال سهل بن عبد الله طريق السنة والجماعة وقال بكر بن عبد الله المزني طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال أبو العالية والحسن رسول الله وآله وصاحبه، وأصله في اللغة الطريق الواضح (صراط الذين أنعمت عليهم) أي منته عليهم بالهداية والتوفيق قال عكرمة منته عليهم بالثبات على الإيمان والاستقامة وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقيل هم كل من ابته الله على الإيمان من النبيين والمؤمنين الذين ذكر الله تعالى في قوله « فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين » الآية وقال ابن عباس (٢٣) هم قوم موسى وعيسى عليهما السلام قبل أن يغيروا دينهم،

ابتنا وهو كما تقول للقاتم قم حتى أعود إليك ومعناه دم على ما أنت عليه وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى التثبيت وطلب مزيد الهداية لأن الألفاظ والهدايات من الله لا تنتهي وهذا مذهب أهل السنة والصراط الطريق قال جرير .
أمير المؤمنين على صراط إذا عوج الموارد مستقيم
أي على طريقة حسنة قال ابن عباس هو دين الإسلام وقيل هو القرآن وروى ذلك مرفوعا. وقيل السنة والجماعة وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة (صراط الذين أنعمت عليهم) هذا بدل من الأول، أي الذين منته عليهم بالهداية والتوفيق، وهم الأنبياء والمؤمنين الذين ذكرهم الله تعالى في قوله « فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته (غير المغضوب عليهم) يعني غير صراط الذين غضبت عليهم. والغضب في الأصل هو ثوران دم القلب لإرادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « اتقوا الغضب فإنه جرة تتوقد في قلب ابن آدم ألم تروا إلى انتفاخ أو داجه وحمرة عينيه » وإذا وصف الله به فلراد منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لا يلحق عصاة المؤمنين إنما يلحق الكافرين (ولا الضالين) أي وغير الضالين عن الهدى وأصل الضلال الغيوبة والهلاك يقال ضل الماء في اللبن إذا غاب فيه وهلك وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى. عن عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال » أخرجه الترمذي وذلك لأن الله تعالى حكم على

وقال عبد الرحمن
هم النبي ومن معه، وقال
أبو العالية هم الرسول
صلى الله عليه وسلم
وأبو بكر وعمر رضي
الله عنهم وقال عبد الرحمن
ابن زيد إنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وأهل بيته، وقال شهر بن
حوشب هم أصحاب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأهل بيته .
قرأ حمزة عليهم ولبيهم
ولبيهم بضم هاءاتها ،
ويضم يعقوب كل
هاء قبلها ياء ساكنة
تثنية وجمعا لإقوله

« بين أيديهن وأرجلهن » وقرأ الآخرون بكسرها فن ضم الهاء ردها إلى الأصل لأنها مضمومة عند الانفراد ومن كسرها فلأجل الياء الساكنة والياء أخت الكسرة، وضم ابن كثير وأبو جعفر كل ميم جمع مشبعا في الوصل إذا لم يأنها ساكن فان لقبها ساكن فلا تشيع ونافع بخير ويضم ورش عند ألف القطع وإذا تلقته ألف وصل وقيل الهاء كسر أو ياء ساكنة ضم الهاء والميم حمزة والكسائي وكسرها أبو عمرو وكذلك يعقوب إذا انكسر ما قبله والآخرون يقرمون بضم الميم وكسر الهاء لأجل الياء أو لكسر ما قبلها وضم الميم على الأصل قوله (غير المغضوب عليهم) يعني غير صراط الذين غضبت عليهم . والغضب هو إرادة الانتقام من العصاة وغضب الله تعالى لا يلحق عصاة المؤمنين إنما يلحق الكافرين (ولا الضالين) أي وغير الضالين عن الهدى وأصل الضلال الهلاك والغيوبة يقال ضل الماء في اللبن إذا هلك وغاب وغير ههنا بمعنى لا ولا بمعنى غير ولذلك جاز العطف عليها كما يقال فلان غير محسن ولا مجمل فإنه كان غير معنى سوى فلا يجوز العطف عليها بلا ، لا يجوز في الكلام عدي سوى عبد الله ولا زيد، وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه صراط من أنعمت عليهم لأن الله

تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى بالضلال غير المغضوب عليهم وغير الضالين وقيل المغضوب عليهم هم اليهود والضالون هم النصارى فقال ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وقال سهل ابن عبد الله غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة . والسنة للقارئ أن يتول بعد فراغه من قراءة فاتحة (آمين) مفضولا عن الفاتحة بسكته وهو مخفف ويجوز تمدودا ومقصورا ومعناه اللهم اسمع واستجب . وقال ابن عباس وقتادة معناه كذلك يكون ، وقال مجاهد هو اسم من أسماء الله تعالى ، وقيل هو طابع الدعاء ، وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع به الآفات عنهم الخاتم الكتاب يمتعه من الفساد وظهور ما فيه . أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد بن القاضي وأبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي قالوا أنا أبو بكر أحمد بن حسن الجبيري أنا أبو علي محمد بن أحمد بن محمد بن معقل الميداني ثنا محمد بن يحيى ثنا عبد الرزاق أنا معمر بن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فتولوا آمين فإن الملائكة تقول آمين وإن الإمام يقول آمين فمن وافق تأمينة (٢٤) تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه صحیح . (فصل في فضل فاتحة الكتاب)

اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى بالضلال فقال ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والله أعلم

(فصل : في آمين وحكم الفاتحة وفيه مسثلتان : الأولى) السنة للقرئ بعد فراغه من الفاتحة أن يقول آمين مفضولا عنها بسكته وهو مخفف وفيه لغتان المد والقصر قال في المد : ويرحم الله عبدا قال آمينا . وقال في القصر : آمين فزاد الله ما بيننا بعدا . ومعنى آمين اللهم اسمع واستجب وقال ابن عباس معناه كذلك يكون وقيل هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل هو خاتم الله تعالى على عباده به يدفع عنهم الأثام (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا أمن الإمام فأمنوا فإن من وافق تأمينة تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين وفي رواية للبخاري أن الإمام إذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فتولوا آمين فإن الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينة تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه (قوله فمن وافق تأمينة تأمين الملائكة) معناه وافقهم في وقت التأمين فأمن مع تأمينهم وقيل وافقهم في الصفة والشعور والإخلاص والتول الأول هو الصحيح . واختلفوا في هؤلاء الملائكة فتيل هم الحفظة وقيل غيرهم من الملائكة (قوله غفر له ما تقدم من ذنبه) يعني تغفر له الذنوب الصغار دون الكبائر وقول ابن شهاب كان

أنا أبو الحسن أحمد بن عبد الرحمن ابن محمد الكتاني أنا أبو نصر محمد بن علي الفضل الخرازي أنا أبو عثمان عمر بن عبد الله البصري ثنا محمد بن عبد الله الوهاب ثنا خالد بن مخلد القطراني حدثني محمد بن جعفر ابن أبي كثير هو أخو إسماعيل بن جعفر عن ابن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بن

كعب وهو قائم يصلي فصاح به فقال تعال يا أباي ففعل أي في صلاته ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما منعك يا أباي أن تجيبني إذ دعوتك أليس الله يقول يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحییكم قال أبو لاجرم يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدعوني إلا أجبتك وإن كنت مصليا قال أحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها فقال أي نعم يا رسول الله فقال لا يخرج من باب المسجد حتى تلعنها والنبي صلى الله عليه وسلم يمشی يريد أن يخرج من المسجد فلما بلغ الباب ليخرج قال له أي سورة يا رسول الله فوقف فقال نعم كيف تقرأ في صلاتك فقرا أي أم القرآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها وإنما هي السبع من المثاني التي أتاني الله عز وجل وهذا حديث حسن صحيح . أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد التبراني أنا الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد أنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ثنا يحيى بن آدم ثنا أبو الأحوص عن عمار بن ذريق عن عبد الله بن عيسى عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل إذ سمع تقضا

من فؤقه فرقع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب ففتح من السماء ما فتح قط قال فنزل منه ملك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبشر بنورين أو تيتهما لم يؤتتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما إلا أعطيته » صحيح . أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد الشيرازي ثنا زاهر بن أحمد (٢٥) السرخسي أنا أبو إسحاق

إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري عن مالك عن العلاء ابن عبد الرحمن أنه سمع أبا السائب مولى هشام بن زهرة يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج غير تمام » قال فقلت يا أبا هريرة إني أحيانا أكون وراء الإمام فغدر ذراعي وقال اقرأ بها يا قارئ في نفسك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال الله عز وجل قدمت الصلاة بيني وبين عبدتي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدتي ولعبدتي ما سألت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأوا يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدتي يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله أنبي على عبدتي يقول العبد مالك يوم

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين معناه أن هذه صيغة تأمينة صلى الله عليه وسلم (المسئلة الثانية في حكم الفاتحة) اختلف العلماء في وجوب قراءة الفاتحة فذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء إلى وجوب الفاتحة وأنها معينة في الصلاة ولا تجزئ إلا بها واحتجوا بما روى عبادة ابن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب » أخرجاه في الصحيحين وبحديث أبي هريرة « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج ثلاثا غير تمام » الحديث وقد تقدم في فضل سورة الفاتحة وذهب أبو حنيفة إلى أن الفاتحة لا تتعين على المصلي بل الواجب عليه قراءة آية من القرآن طويلة أو ثلاث آيات فصار واحتج بقوله تعالى « فاقروا بما تيسر منه » ويقول صلى الله عليه وسلم في حديث الأعرابي المسمى « صلواته » تم اقرأ بما تيسر معك من القرآن أخرجاه في الصحيحين دليل الجمهور ما تقدم من الأحاديث . فان قيل المراد من الحديث لا صلاة كاملة قلنا هذا خلاف ظاهر لفظ الحديث ومما يدل عليه حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تجزئ صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب » أخرجه الدارقطني وقال إسناده صحيح وعنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يخرج فينادي لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب فما زاد » أخرجه أبو داود . وأجيب عن حديث الأعرابي بأنه محمول على الفاتحة فانها متيسرة أو على ما زاد على الفاتحة أو على العاجز عن قراءة الفاتحة ، والله أعلم . [تفسير سورة البقرة]

قال ابن عباس هي أول منازل بالمدينة قيل سوى آية وهي قوله تعالى « وانقروا يوما ترجعون فيه إلى الله » فانها نزلت يوم النحر بمكة في حجة الوداع وهي مائتان وست وقيل سبع وثمانون آية وستة آلاف ومائة وإحدى وعشرون كلمة وخمسة وعشرون ألف حرف وخمسة مائة حرف . (فصل : في فضلها) (م) عن أبي أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اقرأوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما اقرأوا البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة » قال معاوية بن سلام بلغني أن البطلة السحرة (قوله اقرأوا الزهراوين) سميتها بذلك لنورهما يقال لكل مستنير زاهر (قوله كأنهما غمامتان أو غيابتان) قال أهل اللغة الغمامة والغيابة كل شيء أظلم للإنسان فوق رأسه من سحابة وغيرها والمعنى أن ثوابهما يأتي كغمامتين (قوله فرقان من طير صواف) الفرقان الجماعة من الطير والصواف جمع صافق وهي التي تصف أجنحتها عند الطيران يحاجان . الحاجة المحادلة والمخاصمة وإظهار الحجة والبطلة السحرة كما جاء في الحديث مبيتا يقال أبطل إذا جاء بالباطل . وفي الحديث دليل على جواز قول سورة البقرة وسورة آل عمران وكذا باقي السور وأنه لا كراهة في ذلك وكرهه بعض المتقدمين . وقال إنما يقال السورة التي يذكر فيها البقرة وكذا باقي السور والصواب هو الأول وبه قال الجمهور لورود النص به (م)

(٤ - خازن بالغوي - أول) الدين يقول الله حمدني عبدتي يقول العبد إياك نعبد وإياك نستعين يقول الله عز وجل هذه الآية بيني وبين عبدتي ولعبدتي ما سألت ماسأل يقول العبد الهدانا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يقول الله فهو لاء لعبدتي ولعبدتي ما سألت صحيح . [سورة البقرة مدنية وهي مائتان وثمانون وسبع آيات]

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) قال الشعبي وجماعة الم وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وهي سر القرآن فتحن تؤمن بظواهرها وتكمل العلم فيها إلى الله تعالى ، وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها قال أبو بكر الصديق : في كل كتاب (٣٦) سر وسر الله في القرآن أوائل السور . وقال علي أن لكل كتاب صفة

وصفة هذا الكتاب حروف التهجى قال داود بن أبي هند كنت أسأل الشعبي عن فوائح السور فقال يا داود إن لكل كتاب سرا وإن سر القرآن فوائح السور فدعها وسل عما سوى ذلك وقال جماعة معلومة المعاني فتميل كل حرف منها مفتاح اسم من أسمائه كما قال ابن عباس في كريمة الكاف من كاف والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق وقيل في المص أنا الله الملك الصادق . وقال الربيع بن أنس في الم الألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه اللطيف والميم مفتاح اسمه المحيد . وقال محمد بن كعب الألف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال معنى الم أنا الله أعلم ومعنى المص أنا الله أعلم وأفضل ومعنى المر أنا الله أرى ومعنى المر أنا الله أعلم

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينز من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة . وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء سنام وإن سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (الم) قيل إن حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وهي سر الله في القرآن فتحن تؤمن بظواهرها وتكمل العلم فيها إلى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في كل كتاب سر وسر الله في القرآن أوائل السور وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إن لكل كتاب صفة وصفة هذا الكتاب حروف التهجى . وأورد على هذا القول بأنه لا يجوز أن يخاطب الله عباده بما لا يعقلون . وأجيب عنه بأنه يجوز أن يكلف الله عباده بما لا يعقل معناه كرمي الجار فإنه مما لا يعقل معناه ، والحكمة فيه هو كمال الانقياد والطاعة فكذلك هذه الحروف يجب الإيمان بها ولا يلزم البحث عنها . وقال آخرون من أهل العلم هي معروفة المعاني . ثم اختلفوا فيها فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من أسماء الله فالألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه اللطيف والميم مفتاح اسمه المحيد وقيل الألف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه ويؤيد هذا أن العرب تذكر حرفا من كلمة تريد كلها قال الراجز :

قلت لما قفي فقالت قاف لا تحسبي أنا نسيتا الإيجاف

قولها قاف أي وقفت فاكتفت بحرف الكلمة عن كلها ، والإيجاف الإسراع في السير قال ابن عباس الم أنا الله أعلم وقيل هي أسماء الله منقطع لو علم الناس تأليتها لعلوا واسم الله الأعظم الأثرى أنك تقول المر وحم ون فيكون يح و عها الرحمن وكذلك سائرهما ولكن لم ينهيا تأليتها جميعا وقيل أسماء السور وبه قال جماعة من المحققين وقال ابن عباس هي أقسام فقيل أقسم الله بهذه الحروف لشرورها وفضلها لأنها مباني كتبه المنزلة وأسمائه الحسنی وصفاته العليا وإنما اقتصر على بعضها وإن كان المراد كلها فهو كما تقول قرأت الحمد لله وتريد أنك قرأت السورة بكافا فكانت تعالی أقسم بهذه الحروف أو هذا الكتاب هو الكتاب المثلث في اللوح المحفوظ وقيل إن الله تعالى لما تحدثهم بقوله فاتتوا بسورة من مثله وفي آية بعشر سور مثله فعجزوا عنه أنزل هذه الأحرف ومعناه أن القرآن ليس هو إلا من هذه الأحرف وأنتم قادرون عليها فكان يجب أن تتأوا بمثله فاما عجزتم عنه دل ذلك على أنه من عند الله لا من عند البشر وقيل لهم لما عرضوا عن سماع القرآن وأراد الله صلاح بعضهم أنزل هذه الأحرف فكانوا إذا سمعوا قالوا كالتعجبين اسمعوا إلى ما يحيى به محمد فاذا أصغوا إليه وسمعوه رسخ في قلوبهم فكان ذلك سببا لإيمانهم وقيل إن الله تعالى جبر عقول الخلق في ابتداء خطابه ليعلموا أن لا سبيل لأحد إلى معرفة خطابه إلا باعترافيهم بالعجز عن معرفة كنه حقيقة خطابه . واعلم أن مجموع الأحرف

المنزلة

وأرى قال الزجاج وهذا حسن فان العرب

تذكر حرفا من كلمة تريد ما كقولهم . قلت لما قفي فقالت لي قاف . أي وقفت . وعن سعيد بن جبير قال هي أسماء الله تعالى منقطع لو أحسن الناس تأليتها لعلوا واسم الله الأعظم الأثرى أنك تقول المر وحم ون فيكون الرحمن

وكذلك سائرهما إلا أنا لا نقدر على وصلها وقال قتادة هذه الحروف أسماء القرآن. وقال مجاهد وابن زيد هي أسماء السور
وبيانه أن القائل إذا قال قرأت المص عرف السامع أنه قرأ السورة التي افتتحت بالمص وروى عن ابن عباس أنها أقسام
وقال الأخنخش إنما أقسم الله بهذه الحروف لشرها وفضلها لأنها مباني كتبه المنزلة ومبادئ أسمائه الحسنى. قوله (في ذلك الكتاب)
أي هذا الكتاب وهو القرآن وقيل هذا فيه مضمرة أي هذا ذلك الكتاب قال القراء (٢٧) كان الله قد وعد نبيه صلى

الله عليه وسلم أن ينزل
عليه كتابا لا يمحوه الماء
ولا يخلق على كثرة الرد
فلما أنزل الله القرآن قال
هذا ذلك الكتاب الذي
وعدتكم أن أنزله عليكم
في التوراة والإنجيل
وعلى لسان النبيين من
قبلك ، وهذا للتقريب
وذلك للتبديد . وقال ابن
كيسان إن الله تعالى
أنزل قبل سورة البقرة
سورا كذب بها المشركون
ثم أنزل سورة البقرة
فقال ذلك الكتاب يعنى
ما تقدم البقرة من السور
لاشك فيه والكتاب
مصدر وهو بمعنى المكتوب
كما يقال للمخلوق
خلق وهذا الدرهم
ضرب فلان أى مضروبه
وأصل الكتاب الضم
والجمع ويقال للجدد
كناية لاجتماعها وسمي
الكتاب كتابا لأنه
جمع حرف إلى أحرف.
قوله تعالى (لا ريب
فيه) أى لا شك فيه أنه

المنزلة في أوائل السور أربعة عشر حرفا في تسع وعشرين سورة وهى الألف واللام والميم والصاد
والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والتون وهى نصف حروف
المعجم وسيأتي الكلام على باقيةا في مواضعها إن شاء الله تعالى . وقوله تعالى (ذلك الكتاب)
أى هذا الكتاب هو القرآن وقيل فيه إضمار والمعنى هذا الكتاب الذي وعدتكم به وكان الله قد
وعد نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما
أنزل القرآن قال هذا ذلك الكتاب الذى وعدتكم به . وقيل إن الله وعد بنى إسرائيل أن ينزل
كتابا ويرسل رسولا من ولد إسماعيل فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة
وبها من اليهود خلق كثير أنزل الله تعالى هذه الآية لم ذلك الكتاب أى هذا الكتاب الذى
وعدتكم به على لسان موسى أن أنزله على النبي الذى هو من ولد إسماعيل والكتاب مصدر بمعنى
المكتوب وأصله الضم والجمع ومنه يقال للجدد كناية لاجتماعها فسمى الكتاب كتابا لأنه يجمع
الحروف بعضها إلى بعض والكتاب اسم من أسماء القرآن (لا ريب فيه) أى لا شك فيه أنه من
عند الله وأنه الحق والصدق ، وقيل هو خبر بمعنى النبي أى لا ترتابوا فيه . فان قلت قد ارتاب به
قوم فما معنى لا ريب فيه . قلت معناه أنه في نفسه حق وصدق فمن حقق النظر عرف حقيقة
ذلك (هدى للمتقين) الهدى عبارة عن الدلالة وقيل دلالة بلعاف وقيل الهداية الإرشاد والمعنى
هو هدى للمتقين وقيل هو هاد لا ريب في هدايته والمتقى اسم فاعل من وقاه فائق والتقوى جعل
النفس في وقاية مما تخاف وقيل التقوى في عرف الشرع حفظ النفس مما يؤثم وذلك بترك الخطور
وبعض المباحات قال ابن عباس المتقى من يتقى الشرك والكبائر والفواحش وهو مأخوذ من
الافتقار وأصله الحجز بين الشيتين يقال اتقى بترسه إذا جعله حاجزا بينه وبين ما يقصده وفي
الحديث « كنا إذا اشتد البأس اتقىنا رسول الله صلى الله عليه وسلم معناه أننا كنا إذا اشتد الحرب
جعلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجزا بيننا وبين العدو فكأن المتقى يجعل امتثال أوامر
الله واجتناب نواهيه حاجزا بينه وبين النار وقيل المتقى هو من لا يرى نفسه خيرا من أحد وقيل
التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما فرض وقيل التقوى ترك الإصرار على المعصية وترك الاعتزاز
بالطاعة وقيل التقوى أن لا يراك مولاك حيث نهاك وقيل التقوى الافتقار بالنبي صلى الله عليه
وسلم وأصحابه . وفي الحديث « جماع التقوى في قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية » وقيل
المتقى هو الذى يترك ما لا بأس به حائرا مما به بأس وخص المتقين بالذكور بشرط أنهم لأن مقام
التقوى مقام شريف عزيز لأنهم هم المنتفعون بالهداية ولو لم يكن للمتقين فضل إلا قوله تعالى
هدى للمتقين لكناهم . فان قلت كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون . قلت هو

من عند الله وأنه الحق والصدق وقيل هو خبر بمعنى النبي أى لا ترتابوا فيه لقواه تعالى « فلا رفث ولا فسوق »
أى لا ترفثوا ولا تفسقوا ، قرأ ابن كثير فيه بالإشباع في الوصل وكذلك كل هاء كتابة قبلها ساكن يشبعها وصلها ما لم يلبها
ساكن ثم إن كان الساكن قبل الهاء ياء يشبعها بالكسر ياء وإن كان غيرها يشبعها بالضم واوا ووافقه حفص في قوله فيه
مهانا فأشبعه . قوله تعالى (هدى للمتقين) يدغم الغنة عند اللام والراء أبو جعفر وابن كثير وحيدة والكسائي زاد حمزة

والكسافي عند الياء وزاد حمزة عند الواو والآخرون لا يدغمونها ويحذف أبو جعفر النون والتبوين عند الحاء والغين هدى للمتقين أي هو هدى أي رشد وبيان لأهل التقوى وقيل هو نصب على الحال أي هاديا تقدره لأريب فيه في هدايته للمتقين والهدى ما يهتدى به الإنسان للمتقين أي للمؤمنين. قال ابن عباس المتقى من يتقى الشرك والكبائر والفواحش وهو مأخوذ من الاتقاء وأصله الحجز بين شيئين ومنه يقال اتقى بترسه أي جمعه حاجزا بين نفسه وبين ما يقصده وفي الحديث كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم أي إذا اشتد الحرب جعلناه حاجزا بيننا وبين العدو فكان المتقى يجعل امتثال أمر الله والاجتناب عما نهاه حاجزا بينه وبين العذاب. قال عمر بن الخطاب لكعب الأحبار حدثني عن التقوى. فقال هل أخذت طريقا ذا شوك قال نعم قال فما عملت فيه قال حلزرت وتشمريت قال كعب وذلك التقوى. وقال شهر بن حوشب المتقى الذي يترك مالا بأمن به حلزا لما به بأمن. وقال عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما فرض الله فما رزق الله بعد ذلك فهو خير إلى خير وقيل هو اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم. وفي الحديث «جماع التقوى في قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية» وقال ابن عمر التقوى أن لا ترى نفسك خيرا من أحد وتخصيص المتقين بالذكر تشریف لهم أو لأنهم هم المنتفعون بالهدى. قوله تعالى (الذين يؤمنون) موضع الذين خفضت نعتا للمتقين يؤمنون يصدقون ويترك حمزة أبو عمرو ورش والآخرون يمزونه وكذلك يتركان كل حمزة ساكنة هي فاء الفعل نحو يؤمن ومؤمن إلا أحرفا معدودة وحيثية الإيمان التصديق بالقلب قال الله تعالى «وما آتت مؤمن لنا» أي تصديق لنا وهو في الشريعة الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان فسمي الإقرار والعمل إيمانا لوجه من المناسبة لأنه من شرائعه. والإسلام هو الخضوع والالتقياد فكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيمانا إذا لم يكن معه تصديق قال الله تعالى «قالت الأعراب آتينا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا» وذلك لأن الرجل قد يكون مستسلما في الظاهر غير مصدق في الباطن ويكون مصدقا في الباطن غير منقاد في الظاهر. (٢٨) وقد اختلف جواب النبي صلى الله عليه وسلم عن ما حين سأله جبريل عليه

السلام وهو ما أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي ابن محمد التوبة الزراد

كقولك للعزير الكريم أعزك الله وأكرمك يزيد طلب الزيادة له إلى ما هو ثابت فيه كقوله تعالى «اهدنا الصراط المستقيم» (الذين يؤمنون)

بالغيب

البخاري أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزازي ثنا أبو سعيد المهيم بن كليب

الشاشي ثنا أبو أحمد عيسى بن أحمد العسقلاني أنا يزيد بن هارون أنا كهيم بن الحسن عن عبد الله بن بريدة عن يحيى ابن يعمر قال كان أول من تكلم في القدر يعني بالبصرة معبد الجهني فخرجت أنا وحيد بن عبد الرحمن يزيد مكة قلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالناه ما يقول هؤلاء فلقينا عبد الله بن عمر فاكتمتة. أنا وصاحبي أحلنا عن عبيد والآخر عن شماله فعلمت أنه سيكل الكلام إلى فقالت أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا أناس يتفكرون هذا العلم ويطلبونه يزعمون أن لا قدر إنما الأمر أفق قال فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منهم برى وأنهم مني براء والذي نفسي بيده لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبل الله منه شيئا حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ثم قال حدثنا عمر بن الخطاب قال «بيننا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ما يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد فأقبل حتى جلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبته تمس ركبته فقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا فقال صدقت فتعجبنا من سؤاله وتصديقه ثم قال فما الإيمان قال أن تؤمن بالله وحده وملائكته وكتبه ورسوله وبالبعث بعد الموت والجنة والنار وبالقدر خيره وشره فقال صدقت ثم قال فما الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فانك إن لم تكن تراه فإنه يراك قال صدقت ثم قال فأخبرني عن الساعة فقال ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال صدقت قال فأخبرني عن أماراتها قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في بنيان المدر قال صدقت ثم انطلق فلما كان بعد ثلاثة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر هل تدري من الرجل قال قلت الله ورسوله أعلم قال ذلك جبرائيل أنا كم يعلمكم أمر دينكم وما أتاني في صورة إلا عرفته فيها إلا في صورته هذه قال الغراء فالنبي صلى الله عليه وسلم جعل الإسلام في ما

الحديث اسم لما ظهر من الأعمال والإيمان اسم لما بطن من الاعتقاد وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان وتصديق بالقلب ليس من الإسلام بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شئ واحد وجاءها الدين ولذلك قال ذلك جبرائيل أنا كم يعلمكم أمر دينكم ، والدليل علي أن الأعمال من الإيمان ما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحني أنا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن علي ابن الشاة ثنا أبو أحمد بن محمد بن قريش بن سليمان ثنا بشير بن (٢٩) موسى ثنا خلف بن الوليد عن

جرير الرازي عن سهل ابن أبي صالح عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياة شعبة من الإيمان قيل الإيمان مأخوذ من الأمان فسمى المؤمن مؤمنا لأنه يؤمن نفسه من عذاب الله والله تعالى مؤمن لأنه يؤمن العباد من عذابه (بالغيب) والغيب مصدر وضع موضع الامم ف قيل للغائب غيب كما قيل للعادل عدل وللزائر زور والغيب ما كان مغيبا من العيون قال ابن عباس الغيب هاهنا كل ما أمرت بالإيمان به فيما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراطو الميزان

بالغيب) أي يصدقون بالغيب ، وأصل الإيمان في اللغة التصديق قال الله تعالى « وما أنت بمؤمن لنا ، أي بمصدق فإذا فسر الإيمان بهذا فإنه لا يزيد ولا ينقص لأن التصديق لا يتجزأ حتى يتصور كماله مرة ونقصانه أخرى . والإيمان في لسان الشرع عبارة عن التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان وإذا فسر بهذا فإنه يزيد وينقص وهو مذهب أهل السنة من أهل الحديث وغيرهم ، وفائدة هذا الخلاف تظهر في مسألة وهي أن المصدق بقلبه إذا لم يجمع إلى تصديقه العمل بموجب الإيمان من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك من أركان الدين هل يسمى مؤمنا أم لا ؟ فيه خلاف ، والمختار عند أهل السنة أنه لا يسمى مؤمنا لقوله صلى الله عليه وسلم « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » فني عنه اسم الإيمان أو كمال الإيمان وأنكر أكثر المتكلمين زيادة الإيمان ونقصانه وقالوا متى قبل الزيادة والنقص كان ذلك شكاً وكنهياً . وقال المحققون من متكلمي أهل السنة إن نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والإيمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة الأعمال ونقصانها وهذا أمكن الجمع بين ظواهر نصوص الكتاب والسنة التي جاءت بزيادة الإيمان ونقصانه وبين أصله من اللغة . وقال بعض المحققين إن نفس التصديق قد يزيد وينقص بكثره النظر في الأدلة والبراهين وقلة إمعان النظر في ذلك ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى وأثبت من إيمان غيرهم لأنهم لا تعتبرهم شبهة في إيمانهم ولا تزلزل ، وأما غيرهم من آحاد الناس فليس كذلك ، إذ لا يشك عاقل أن نفس تصديق أبي بكر رضي الله عنه لا يساويه تصديق غيره من آحاد الأمم وقيل إنما سمي الإقرار والعمل إيمانا لوجه المناسبة لأنه من شرائعه ، والدليل على أن الأعمال من الإيمان ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياة شعبة من الإيمان » أخرجاه في الصحيحين . البضع بكسر الباء ما بين الثلاثة إلى العشرة . والشعبة القطعة من الشئ . وإماطة الأذى عن الطريق وهو عزل الحجر والشوك ونحو ذلك عنه . والحياة بالمذ وهو انقباض النفس عن فعل القبيح وإنما جعل من الإيمان وهو اكتساب لأن المستحجي ينزجر باستحيائه عن المعاصي فصار من الإيمان ، وقيل الإيمان مأخوذ من الأمان فسمى المؤمن مؤمنا لأنه يؤمن نفسه من عذاب الله . والإسلام هو الانقياد والخضوع فكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيمانا إن لم يكن معه تصديق وذلك أن الرجل قد يكون مسلما في الظاهر غير مصدق في الباطن (ق) عن أبي هريرة قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فأتاه رجل فقال يا رسول الله ما الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وألقائه ورسوله وتؤمن بالبعث الآخر قال يا رسول الله ما الإسلام قال أن تعبد

وقيل الغيب هاهنا هو الله تعالى وقيل القرآن وقال الحسن الأخرق وقال زر بن حبیش وابن جريح الوحي نظيره أعنده علم الغيب وقال ابن كيسان بالقدر وقال عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما سيقوا به فقال عبد الله إن أمر محمد كان بينا لمن رآه والنبى لا إله غيره ، ما آمن أحد قط إيمانا أفضل من إيمان بغيب ثم ترا الم ذلك الكتاب إلى قوله المفلحون . قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وورش يؤمنون بترك الهمة وكذلك يترك أبو جعفر كل همزة ساكنة إلا في أنبئهم وينبئهم ونبئنا ويترك أبو عمرو وكلها إلا أن يكون علامة للجزم نحو نبئهم وأنبئهم وتسؤمهم

وتسؤم وإن نشأ ونساها ونحاهما (٣٠) أو يكون خروجاً من لغة إلى أخرى نحو مؤصدة ورتبا ويترك ورش كل

همزة ساكنة كانت فاه
الفعل إلا تؤوى وتؤويه
ولا يترك من عين الفعل
إلا الرقبا وبابه إلا
ما كان على وزن فعل
قوله (ويقيمون الصلوة)
أى يدعونها ويحافظون
عليها في مواقيتها بخدودها
وأركانها وهيئاتها يقال
قام بالأمر وأقام الأمر
إذا أتى به معطياً
حقوقه أو المراد بها
الصلوات الخمس ذكر
بلفظ الواحد كقوله
تعالى فبعث الله النبيين
مبشرين ومنذرين وأنزل
معهم الكتاب بالحق
يعنى الكتب . والصلوة
في اللغة الدعاء قال الله
تعالى «فصل عليهم» أى
ادعهم . وفي الشريعة
اسم لأفعال مخصوصة
من قيام وركوع وسجود
وقعود ودعاء ، وثناء
وقيل في قوله تعالى «إن
الله وملائكته يصلون
على النبي» الآية إن
الصلوة من الله في هذه
الآية الرحمة ومن
الملائكة الاستغفار
ومن المؤمنين الدعاء .
قوله (وما رزقناهم)
أى أعطيناهم والرزق
اسم لكل ما ينتفع به حتى

الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال
يارسول الله ما الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال يارسول
الله متى الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها إذا ولدت
الأمّة ربها فذلك من أشراطها وإذا كانت الخفأة العراة رعوس الناس فذلك من أشراطها وإذا
تطاول رعاء البهم في البليان فذلك من أشراطها وخمس لا يعلمهن إلا الله ثم تلا رسول الله صلى
الله عليه وسلم: إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام إلى قوله عليم خبير
قال ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا على هذا الرجل فأخذوا لبريدود
فلم يروا شيئاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم وفى أفراد
مسلم من حديث عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث ومعناه وقد تقدم الكلام على معنى الإيمان
والإسلام. وبقي أشياء تتعلق بمعنى الحديث ؛ فتوابعه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً
أبرز أى ظاهراً ، وقوله أن تؤمن بالله وتؤمن بالبعث الآخر هو بكسر الخاء وقيل فى
الجمع بين قوله وتؤمن بالله وبالبعث فإن الاتاء يحصل بمجرد الانتقال إلى الدار الآخرة
وهو الموت والبعث هو بعده عند قيام الساعة وفى تقييده بالآخر وجه آخر وهو أن الخروج
إلى الدنيا بعث من الأرحام وخروجه من التراب إلى الآخرة بعث آخر. قوله ما الإحسان هو هنا
الإخلاص فى العمل وهو شرط فى صحة الإيمان والإسلام لأن من أتى بلفظ الشهادة وأتى بالعمل
من غير إخلاص لم يكن محسناً ، وقيل أراد بالإحسان المراقبة وحسن الطاعة فإن من راقب الله
حسن عمله وهو المراد بتوابعه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. وأشراط الساعة علاماتها التى تظهر
قيامها . قوله إذا ولدت الأمّة ربها يعنى سيدها والمعنى أن الرجل تكون له الأمّة فتلد له ولداً
فيكون ذلك الولد ابنها وسيدها ورعاء البهم بكسر الراء وفتح الباء وإسكان الهاء من البهم وهى
الصغار من أولاد الضأن ، والمعنى أنه يبسط المال على أهل البادية وأشياهم حتى يباهون فى البناء
ويسودون الناس فذلك من أشراط الساعة والله أعلم. قوله تعالى بالغيب ، الغيب هنا مصدر وضع
موضع الاسم فتيل الغائب غيب وهو ما كان مغيباً عن العيون قال ابن عباس الغيب هنا كل
ما أمرت بالإيمان به مما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والحجة والنار والصراط والميزان .
وقيل الغيب هنا هو الله تعالى وقيل القرآن وقيل بالآخرة وقيل بالوحى وقيل بالقدر وقال
عبدالرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وما سببونا به فقال عبد الله بن مسعود إن أمر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن رآه والذي
لا إله غيره ما آمن أحد قط أفضل من إيمان بغيره ثم قرأتم ذلك الكتاب لاريب فيه إلى قوله
وأولئك هم المفلحون (ويقيمون الصلوة) أى يداومون عليها فى مواقيتها بخدودها وإتمام أركانها
وحفظها من أن يقع فيها خلل فى فرائضها وسننها وآدابها يقال قام بالأمر وأقام الأمر إذا أتى
به معطياً حقوقه والمراد به الصلوات الخمس . والصلوة فى اللغة الدعاء والرحمة ومنه وصل
عليهم أى ادعهم وأصله من صليت العود إذا لينته فكأن المصلين يدين ويتشجع . وفى الشرع اسم
لأفعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء مع النية (وما رزقناهم) أى أعطيناهم
من الرزق وهو اسم لما ينتفع به من مال وولد وأصله الحظ والنصيب (ينفقون) أى يخرجون

الولد والعبد وأصله فى اللغة الحظ والنصيب (ينفقون) يتصدقون قال قتادة ينفقون فى سبيل الله وطاعته ويتصدقون
وأصل الإنفاق الإخراج عن اليد والمملك ومنه تنفق السوق لأنه يخرج فيه السلعة عن اليد ومنه نفقت الدابة إذا خرجت

روحها فهذه الآية في المؤمنين من مشركي العرب. قوله (والذين يؤمنون بما أنزل إليك) يعني القرآن (وما أنزل من قبلك) من التوراة والإنجيل وسائر الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ويترك أبو جهم وابن كثير وقائلون وأهل البصرة ويعقوب كل مندبغ بين كل كلمتين والآخرون يمدونها وهذه الآية في المؤمنين من أهل الكتب. قوله (وبالآخرة) أي بالدار الآخرة سميت الدنيا دنيا لدنوها من الآخرة وسميت الآخرة آخرة لتأخرها وكونها بعد الدنيا (هم يوقنون) أي يستيقنون أنها كائنة من الإيقان وهو العلم، وقيل الإيقان واليقين (٣١) علم عن استدلال ولذلك لا يسي الله

موقنا ولا علمه يقينا
إذ ليس علمه عن
استدلال. قوله (أولئك)
أي أهل هذه الصفة
وأولاء كلمة معناها
الكناية عن جماعة نحوهم
والكاف للخطاب كما في
حرف ذلك (على هدى)
أي رشد وبيان وبصيرة
(من ربهم وأولئك هم
المفلحون) الناجون
والقائرون فازوا بالجنة

ويتصدقون في طاعة الله تعالى وسبيله ويدخل فيه إنفاق الواجب كالزكاة والتصدق والإنفاق على النفس وعلى من تجب نفقته عليه والإنفاق في الجهاد إذا وجب عليه والإنفاق في المنسوب وهو صدقة التطوع ومواساة الإخوان وهذه كلها مما يمدح بها وأدخل من التي هي لتبعض صيانة لهم وكفا عن السرف والتبذير المنهي عنهما في الإنفاق (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) أي يصدقون بالقرآن المنزل عليك وبالكتب المنزلة على الأنبياء من قبل كالتوراة والإنجيل والزبور وكتب الأنبياء كلها فيجب الإيمان بذلك كله (وبالآخرة) يعني بالدار الآخرة سميت آخرة لتأخرها عن الدنيا وكونها بعدها (هم يوقنون) من الإيقان وهو العلم والمعنى يستيقنون ويعلمون أنها كائنة (أولئك) أي الذين هذه صفتهم (على هدى من ربهم) أي على رشاد ونور من ربهم وقيل على استقامة (وأولئك هم المفلحون) أي الناجون الفائزون نجوا من النار وفازوا بالجنة والمفلح الظاهر المطلوب أي الذي انضحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه ويكون الفلاح بمعنى البقاء قال الشاعر:

لو كان حي مدرك الفلاح أدركه ملاعب الزمراح

ونجوا من النار ويكون
الفلاح بمعنى البقاء أي
باقون في النعيم المقيم،
وأصل الفلاح التقطع
والشق ومنه سمي الزراع
فلاحا لأنه يشق الأرض
وفي مثل: الحديد بالحديد
يفلح أي يشق، فم
المقطوع لهم بالخير
في الدنيا والآخرة. قوله
(إن الذين كفروا) يعني

يريد البقاء فيكون المعنى أولئك هم الباقون في النعيم المقيم والفلاح والظفر وإدراك البغية من السعادة والعز والبقاء والغنى وأصل الفلاح الشق كما قيل: إن الحديد بالحديد يفلح. أي يقطع فعلى هذا يكون المعنى أولئك هم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة. وأعلم أن الله عز وجل صدر هذه السورة بأربع آيات أنزلها في المؤمنين وبآيتين أنزلها في الكافرين وبثلاث عشرة آية أنزلها في المنافقين فأما التي في الكفار فقولته تعالى (إن الذين كفروا) أي جعلوا وأنكروا وأصل الكفر في اللغة السر والتغطية ومنه سمي الليل كافرا لأنه يستر الأشياء بظلمته قال الشاعر: في ليلة كفر النجوم غمامها. أي سترها والكفر على أربعة أضرب: كفر إنكار وهو أن لا يعرف الله أصلا ككفر فرعون وهو قوله ما علمت لكم من إله غيري وكفر جحود وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر إبليس وكفر عناد وهو أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أمية بن أبي الصلت وأبي طالب حيث يقول في شعره:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذلك مينا

مشركي العرب قال الكلبي
يعني اليهود، والكفر هو
الجحود وأصله من السر ومنه سمي الليل كافرا لأنه يستر الأشياء بظلمته ومنه سمي الزراع كافرا لأنه يستر الحب بالتراب فالكافر يستر الحق بجحوده. والكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار وكفر جحود وكفر عناد وكفر نفاق فكفر الإنكار هو أن لا يعرف الله أصلا ولا يعترف به وكفر الجحود هو أن يعرف الله بقلبه ولا يعترف بلسانه ككفر إبليس وكفر اليهود قال الله تعالى: فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، وكفر العناد هو أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذلك مينا

وأما كفر النفاق فهو أن يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب وجميع هذه الأنواع سواء في أن من أتى الله تعالى بواحد منها لا يعتمده . قوله (سواء عليهم) متساوولديهم (الأنذرهم) خوفهم وحذرهم ، والإنذار إعلام مع تخويف وتخدير فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا ، وحقق ابن عامر وعاصم وحذرة والكسائي الهزرتين في أنذرهم وكذلك كل هزرتين تقعان في أول الكلمة والآخرين يليون الثانية (أم) حرف عطف على الاستفهام (لم) حرف جزم لايلي إلا الفعل لأن الجزم يختص بالأفعال (تنذرهم لا يؤمنون) وهذه الآية (٣٢) في أقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله ثم ذكر سبب

تركهم الإيمان فقال (ختم الله) أي طبع الله (على قلوبهم) فلا تعي خيرا ولا تفهمه وحقيقة الختم الاستيقاق من الشيء كيلا يدخله ماخرج منه ولا يخرج عنه ما فيه ومنه الختم على الباب قال أهل السنة أي حكم على قلوبهم بالكفر لما سبق من علمه الأولى فيهم وقال المعتزلة جعل على قلوبهم علامة تعرفهم الملائكة بها (وعلى سمعهم) أي على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا يفتنعون به وأراد على أسماعهم كما قال على قلوبهم وإنما وحده لأنه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع (وعلى أبصارهم غشاوة) هذا ابتداء كلام غشاوة أي غطاء فلا يرون الحق وقرأ أبو عمر والكسائي أبصارهم بالإمالة وكذلك كل ألف

وكفر نفاق وهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه ، فجاءت هذه الأنواع كفر . وحاصله أن من جحد الله أو أنكر وحدانيته أو أنكر شيئا مما أنزله على رسوله أو أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو أحدا من الرسل فهو كافر فإن مات على ذلك فهو في النار خالدا فيها ولا يغفر الله له نزلت في مشركي العرب وقيل في اليهود (سواء عليهم) أي متساوولديهم (الأنذرهم) أي خوفهم وحذرهم والإنذار إعلام مع تخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا (أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أي لا يصدقون وهذه الآية في أقوام حقت عليهم كلمة العذاب في سابق علم الله الأزلي أنهم لا يؤمنون . ثم ذكر سبب تركهم الإيمان فقال تعالى (ختم الله على قلوبهم) أي طبع الله عليها فلا تعي خيرا ولا تفهمه وأصل الختم التغطية وحقيقة الاستيقاق من الشيء لكي لا يخرج منه ماحصل فيه ولا يدخله ماخرج منه ومنه ختم الكتاب . قال أهل السنة ختم الله على قلوبهم بالكفر لما سبق في علمه الأزلي فيهم وإنما خص القلب بالختم لأنه محل الفهم والعلم (وعلى سمعهم) أي وختم على موضوع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا يفتنعون به لأنها تتجه وتنبو عن الاصغاء إليه كأنها مستوتقة منها بالختم أيضا ، وذكر السمع بلفظ التوحيد ومعناه الجمع قيل إنما وحده لأنه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع (وعلى أبصارهم غشاوة) هذا ابتداء كلام والعشاوة الغطاء ومنه غاشية السرج أي وجعل على أبصارهم غشاوة فلا يرون الحق وهي غطاء التعامى عن آيات الله ودلائل توحيده (ولم عذاب عظيم) يعني في الآخرة وقيل الأمر والقتل في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى وحقيقة العذاب هو كل ما يؤلم الإنسان ويعيبه ويشق عليه وقيل هو الإجماع الشديد وقيل هو ما يمنع الإنسان من مراده ومنه الماء العذب لأنه يمنع العطش والعظيم ضد الحقير . قوله عز وجل (ومن الناس من يقول آمنا بالله) نزلت في المنافقين عبدالله بن أبي ابن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس وأصحابهم وذلك أنهم أظهروا كلمة الإسلام ليسوا بها من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأسروا الكفر واعتقدوه وأكثرهم من اليهود . وصفة المنافق أن يعترف بلسانه بالإيمان ويقربه وينكره بقلبه ويصبح على حال ويمسى على غيرها ، والناس جمع إنسان مسمى به لأنه عهد إليه قسسي

بعداءه مجردة في الأسماء كانت لام الفعل يميلانها ويميل حمزة منها . أيكرر الراء كالقرار ونحوه زاد الكسائي قال إمالة جبارين والجوار والجار ومأواكم ومن أنصاري ونسارع وبابه وكذلك يميل هؤلاء كل ألف بمنزلة لام الفعل أو كانت عليه للتأنيث إذا كان قبلها راء فعمل التأنيث مثل الكبرى والأخرى ولام الفعل مثل ترى وفترى يكسرون الراء منها (ولم عذاب عظيم) أي في الآخرة وقيل القتل والأسر في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى والعذاب كل ما يعنى الإنسان ويشق عليه قال الخليل العذاب ما يمنع الإنسان عن مراده ومنه الماء العذب لأنه يمنع العطش . قوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله) نزلت في المنافقين عبدالله بن أبي ابن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس وأصحابهم حيث أظهروا كلمة الإسلام ليسوا بها من النبي صلى الله عليه وسلم

وأصحابه واعتقدوا خلافها وأكثرهم من اليهود، وأتباع جح إنسان سمي به لأنه عهد إليه فقتسى كما قال الله تعالى « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فقتسى » وقيل لظهوره من قوخم : أتت أي أبصرت وقيل لأنه يستأنس به (وباليوم الآخر) أي يوم القيامة قال الله تعالى (وما هم بمؤمنين يخادعون الله) أي يخالفون الله وأصل الخداع في اللغة الإخفاء ومنه الخدع للبيت الذي يخفى فيه المتاع فالخداع يظهر خلاف ما يصدّر والخداع من الله في قوله « وهو خادعهم » أي يظهر لهم ويعجل لهم من النعم في الدنيا خلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة . وقيل أصل الخداع الفساد معناه ينسلون ما أظهروا من الإيمان بما أضفروا من الكفر وقوله « وهو خادعهم » أي يأسد عليهم نعيمهم في الدنيا بما يصدرونهم إليه من (٣٣) عذاب الآخرة . فان قيل

من معنى قوله يخادعون الله والمفاعلة لا مشاركة وقد جل الله تعالى عن المشاركة في الخداعه اقبل قد ترد المفاعلة لا على معنى المشاركة كقولك عافاك الله وعافيت فلانا وطارقت النعل . وقال الحسن معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى « إن الذين يؤذون الله » أي أولياء الله . وقيل ذكر الله ما هنا تحسين والقصد بالخداعه الذين آمنوا كقوله تعالى « فان الله خمس وللرسول » وقيل معناه يفعلون في دين الله ما هو خداع في دينهم (والذين آمنوا) أي يخادعون المؤمنين بقوهم إذا رأوهم : آمنوا وهم غير مؤمنين (وما يخادعون) قرأ ابن كثير

قال الشاعر « سميت إنساناً لأنك ناسي » وقيل سمي إنساناً لأنه يستأنس بخله (وباليوم الآخر) أي وآمننا باليوم الآخر وهو يوم القيامة سمي بذلك لأنه يأتي بعد الدنيا وهو آخر الأيام المحدودة المعنودة وما بعده فلا حمله ولا آخر قال الله تعالى رداعلى المنافقين (وما هم بمؤمنين) نفي عنهم الإيمان بالكليّة (يخادعون الله والذين آمنوا) أي يخالفون الله والخديعة الخيلة والمكر وأصله في اللغة الإخفاء والخداع يظهر ضد ما يصدّر ليتخلص فهو بمنزلة النفاق ، وهو خادعهم أي يظهر لهم نعيم الدنيا ويعجل لهم خلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة . فان قلت الخداعه مفاعلة وإنما تجيء في النعل المشترك ، والله تعالى منزّه عن المشاركة . قلت المفاعلة قد ترد لا على وجه المشاركة تقول عافاك الله وطارقت النعل . وعاقبت اللص بالخداعه هنا عبارة عن فعل الواحد والله تعالى منزّه عن أن يكون منه خداع . فان قلت كيف يخادع الله وهو يعلم الضائر والأسرار فخادعة الله ممتنعة فكيف يقال يخادعون الله ؟ قلت إن الله تعالى ذكر نفسه وأراد به رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك تضحيم لأمره وتعظيم لشأنه ، وقيل أراد به المؤمنين وإذا خادعوا المؤمنين فكأنهم خادعوا الله تعالى وذلك أنهم ظنوا أن النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لم يعلموا حادهم ولتجرى عليهم أحكام الإسلام في الظاهر وهم على خلافه في الباطن (وما يخادعون إلا أنفسهم) أي إن الله تعالى يجازيهم على ذلك ويعاقبهم عليه فلا يكونون في الحقيقة إلا خادعين أنفسهم ؛ وقيل إن وبال ذلك الخداع راجع إليهم لأن الله تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى . والنفس ذات الشيء ، وحديثه . وقيل للدم نفس لأن به قوة البدن (وما يشعرون) أي لا يعلمون أن وبال خداعهم راجع عليهم (في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق وأصل المرض الضعف والخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان وسمي الشك في الدين والنفاق مرضاً لأنه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن (فزادهم الله مرضاً) يعني أن الآيات كانت تنزل تترى ، أي آية بعد آية فلما كفروا بآية ازدادوا بعد ذلك كفراً ونفاقاً

(٥ - خازن بالبعوى - أول)

ونافع وأبو عمر : وما يخادعون كالحرف الأول ويجعلوه من المفاعلة التي تختص بالواحد ، وقرأ الباقون وما يخادعون على الأصل (إلا أنفسهم) لأن وبال خداعهم راجع إليهم لأن الله يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى (وما يشعرون) أي لا يعلمون أنهم يخادعون أنفسهم وأن وبال خداعهم يعود عليهم (في قلوبهم مرض) شك ونفاق ، وأصل المرض الضعف سمي الشك في الدنيا مرضاً لأنه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن (فزادهم الله مرضاً) لأن الآيات كانت تنزل تترى آية بعد آية كلما كفروا بآية ازدادوا كفراً ونفاقاً وذلك معنى قوله تعالى « وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم » قرأ ابن عامر وحذرة فزادهم بالإمالة وزاد حمزة إمالة زاد حيث وقع وزاغ ونحاب وطاب وحاق وضاق ، والآخرون لا يميلونها

(ولم عذاب اليم) مؤلم يخلص وجهه إلى قلوبهم (بما كانوا يكذبون) ما للمصدر أي بتكذيبهم الله ورسوله في السر وقرأ الكوفيون يكذبون بالتخفيف أي يكذبهم إذا قالوا آمنا وهم غير مؤمنين ، وإذا قيل قرأ الكسائي قيل وغيب وجي وحيل وسبق وسيت بروم أو اللهن الضم ووافق أهل المدينة في سبي وسيت ووافق ابن عامر في سبق وحيل وسبي وسيت لأن أصلها قول بضم القاف وكسر الواو مثل قتل وكذلك في إخوانه فأشير إلى الضمة لتكون دالة على الواو المتقلبة والباقيون يكسر أو اللهن استقلوا الحركة على الواو فنقلوا كسرتها إلى فاء الفعل وانقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها (وإذا قيل لهم) يعني للمنافقين ، وقيل لليهود أي قال لهم المؤمنون (لا تفسدوا في الأرض) بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ، وقيل معناه لا تكفروا والكفر أشد فسادا في الدين (قالوا إنما نحن مصلحون) يقولون هذا القول كذبا كقولهم آمنا وهم كاذبون (ألا) كلمة تنبيه ينبه بها الخاطب (إنهم هم المفسدون) أنفسهم بالكفر والفساد بالتعويق عن الإيمان (ولكن لا يشعرون) أي لا يعلمون أنهم مفسدون لأنهم يظنون أن الذي هم عليه من

(ولم عذاب اليم) أي مؤلم يخلص وجهه إلى قلوبهم (بما كانوا يكذبون) أي بتكذيبهم الله ورسوله في السر ، وقرئ بالتخفيف أي يكذبهم إذ قالوا آمنا وهم غير مؤمنين (وإذا قيل لهم) يعني المنافقين وقيل لليهود والمعنى إذا قال لهم المؤمنون (لا تفسدوا في الأرض) أي بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن (قالوا إنما نحن مصلحون) يعني يقولونه كذبا (ألا) كلمة تنبيه ينبه بها الخاطب (إنهم هم المفسدون) يعني في الأرض بالكفر وهو أشد الفساد (ولكن لا يشعرون) وذلك لأنهم يظنون أن ما هم عليه من النفاق وإبطان الكفر صلاح وقيل لا يعلمون ما أعد الله لهم من العذاب (وإذا قيل لهم) أي للمنافقين وقيل لليهود (آمنا كما آمن الناس) عبد الله بن سلام وغيره من مؤمنى أهل الكتاب وقيل كما آمن المهاجرون والأنصار (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) أي الجاهل . فان قلت كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم : أنؤمن كما آمن السفهاء . قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لأعداء المؤمنين فأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك فرد الله ذلك عليهم بقوله (ألا إنهم هم السفهاء) يعني الجاهل . وأصل السفه خفة العقل ورقدة العلم وإنما سمي الله المنافقين سفهاء لأنهم كانوا عند أنفسهم عقلاء رؤساء فقلب ذلك عليهم وسماهم سفهاء (ولكن لا يعلمون) يعني أنهم كانوا كذلك . قوله تعالى (وإذا لقوا الذين آمنوا) يعني هؤلاء المنافقين إذا لقوا المهاجرين والأنصار (قالوا آمنا) كمايمانكم (وإذا خلوا) أي رجعوا . وقيل هو من الخلوة (إلى) قيل بمعنى الباء أي (بشياطينهم) وقيل بمعنى مع أي مع شياطينهم والمراد بشياطينهم رؤسائهم وكهنتهم . قال ابن عباس وهم خمسة نفر : كعب بن الأشرف من اليهود بالمدينة وأبو بردة من بني أسلم ، وعبد النار في جهينة وعوف بن عامر في بني أسد وعبد الله بن السوداء

إبطان الكفر صلاح وقيل لا يعلمون ما أعد الله لهم من العذاب (وإذا قيل لهم) أي للمنافقين وقيل لليهود (آمنا كما آمن الناس) عبد الله بن سلام وغيره من مؤمنى أهل الكتاب وقيل كما آمن المهاجرون والأنصار (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) أي الجاهل . فان قلت كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم : أنؤمن كما آمن السفهاء . قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لأعداء المؤمنين فأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك فرد الله عليهم

فقال (ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) أنهم كذلك . والسفيه خفيف العقل رقيق الحلم بالشام من قولهم ثوب سفیه أي رقيق . وقيل السفية الكذاب الذي يعتمد بخلاف ما يعلم . قرأ أهل الكوفة والشام السفهاء ألا بتحقيق الهمزتين وكذلك كل همزتين وقعتا في كلمتين اتفقتا أو اختلفتا ، والآخرون يحققون الأولى ويلينون الثانية في المختلفتين طلبا للخفة فان كانتا متفتحتين مثل هؤلاء إن وأولياء أولئك وجاء أمر ربك قرأ أبو عمرو البزى عن ابن كثير همزة واحدة وقرأ أبو جعفر وورش والنواشر . ويعتوب بتحقيق الأولى وتلين الثانية وقرأ قالون بتلين الأولى وتحقق الثانية لأن ما يستأنف أولى بالهمزة مما يسكت عليه (وإذا لقوا الذين آمنوا) يعني هؤلاء المنافقين إذا لقوا المهاجرين والأنصار (قالوا آمنا) كمايمانكم (وإذا خلوا) رجعوا ويجوز أن يكون من الخلوة و (إلى) بمعنى الباء أي بشياطينهم وقيل إلى بمعنى مع كما قال الله تعالى ولا تأكلوا أموالكم إلى أموالكم أي مع أموالكم (شياطينهم) أي رؤسائهم وكهنتهم قال ابن عباس وهم خمسة نفر من اليهود :

كعب بن الأشرف بالمدينة وأبو بردة في بني أسلم وعبد الدار في جهينة وعوف بن عامر في بني أسد وعبد الله بن السوداء بالشام ولا يكون كاهن إلا ومعه شيطان تابع له والشيطان المتمرد العاني من الجن والإنس ومن كل شيء وأصله اليعديقال بر شطون أي بعيدة العمق سمى الشيطان شيطانا لامتداده في الشر وبعده من الخير وقال مجاهد إلى أصحابهم عن المنافقين والمشركين (قالوا إنا معكم) أي على دينكم (إنما نحن مستهزون) بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه بما نظهر من الإسلام قرأ أبو جعفر « مستهزون ويستهزون وقل استهزوا وليطفتوا وليواطئوا ويستنبئونك وخاطين وخاطون ومتكبن ومتكون فالون والمثنون بترك الهمزة فيهن (الله يستهزي بهم) أي يجازيهم (٣٥) جزاء استهزائهم سمى الجزاء باسمه

لأنه بمقابلته كما قال الله تعالى أوجزاء سيئة سيئة مثلها قال ابن عباس هو أن يفتح لهم باب الجنة فإذا انتهوا إليه سد عنهم وردوا إلى النار وقيل هو أن يضرب للمؤمنين نور يمشون على الصراط فإذا وصل المنافسون إليه حيل بينهم وبين المؤمنين كما قال الله تعالى « وحيل بينهم وبين ما يشتهون » وقال الله تعالى « فضرب بينهم بسور له باب الآية وقال الحسن معناه : الله يظهر المؤمنين على نفاقهم (ويعدهم) يتركهم وأصل الإمداد واحد وأصله الزيادة إلا أن المد كثيرا ما يأتي في الشر والإمداد في الخير قال الله تعالى

بالشام ولا يكون كاهن إلا ومعه شيطان تابع لهم ، وقيل هم رؤسائهم الذين شابهوا الشياطين في تمردهم (قالوا إنا معكم) أي على دينكم (إنما نحن مستهزون) أي بمحمد وأصحابه بما نظهر لهم من الإسلام لتأمين شرهم ونقف على سرهم ونأخذ من غنائمهم وصدقاتهم . قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه ، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن أبي لأصحابه انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم ؟ فذهب فأخذ بيد أبي بكر الصديق فقال : مرحبا بالصدق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر فقال : مرحبا بسيد بني عدى بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد علي فقال : مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخته موسى بن هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له علي : اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خلق الله . فقال مهلا يا أبا الحسن إنى لا أقول هذا نفاقا والله إن إيماننا كما عانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم تفرقوا فقال عبد الله لأصحابه كيف رأيتموني فعلت ؟ فأنتموا عليه خيرا (الله يستهزي بهم) أي يجازيهم جزاء استهزائهم بالمؤمنين قسمي الجزاء باسمه لأنه في مقابله . قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فإذا انتهوا إليه سد عنهم وردوا إلى النار (ويعدهم) أي يتركهم ويمهلهم والمد والإمداد واحد وأصله الزيادة وأكثر ما يأتي المد في الشر والإمداد في الخير (في طغيانهم) أي في ضلالهم وأصل الطغيان مجاوزة الحد (يعمهمون) أي يترددون في الضلالة متحيرين (أولئك) يعني المنافقين (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أي استبدلوا الكفر بالإيمان وإنما أخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لأن الشراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر . فان قلت كيف قال اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى . قلت جعلوا التمسك منه كأنه في أيديهم فإذا تركوه إلى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوه بها . والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتمام (فما رحمت تجارتهم) أي ما رحوا في تجارتهم والريح الفضل عن رأس المال وأضاف الريح إلى التجارة لأن الريح يكون فيها (وما كانوا مهتدين) أي مصيبين في تجارتهم لأن رأس المال هو الإيمان فلما أضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى . وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالهم . قوله عز وجل (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) المثل عبارة عن قول يشبه ذلك القول قول آخر بينهما مشابة ليبين

في المد ويحمد له من العذاب مدا وقال في الإمداد « وأمددناكم بأموال وبنين ، وأمددناهم بقا كهنة (في طغيانهم) أي في ضلالهم وأصل الطغيان مجاوزة الحد ومنه « طغى الماء » (يعمهمون) أي يترددون في الضلالة متحيرين (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) بالإيمان (فما رحمت تجارتهم) أي استبدلوا الكفر أي ما رحوا في تجارتهم وأضاف الريح إلى التجارة لأن الريح يكون فيها كما تقول العرب ربح يبعك وخسرت صفقتك (وما كانوا مهتدين) من الضلالة وقيل مصيبين في تجارتهم (مثلهم) شبههم وقيل صنتهم . والمثل قول سائر في عرف الناس يعرف به معنى الشيء وهو أحد أقسام القرآن السبعة (كمثل الذي يعني الذين بدليل سياق الآية . ونظيره « والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون » (استوقد نارا) أوقد نارا

(فلما أضاعت) النار (ماحولة) أى حول المستوقد وأضاء لازم ومتعدّ يقال أضاء الشيء بنفسه وأضاء غيره وهو ههنا متعدّ (ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) قال ابن عباس وقتادة ومقاتل والضحّاك والسدي نزلت في المنافقين يقول منهم في نفاقهم كمثل رجل (٣٦) أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفاً ورأى ماحولة فاتتني مما

يخاف فيينا هو كذلك إذ طفت ناره فبقى في ظلمة خائفاً متحيراً فكذلك المنافقون باظهار كلمة الإيمان أمنوا على أموالهم وأولادهم وناكحوا المؤمنين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم فنلك نورهم فاذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف وقيل ذهب نورهم في القبر وقيل في القيامة حيث يقولون «الذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم» وقيل ذهب نورهم باظهار عقيدتهم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم فحسب النار مثلاً لم يقل : أظلمنا الله نارهم لكن عبر بالذهاب للنور عنه لأن النار نور وحرارة فيذهب نورهم وتبقى الحرارة عليهم وقال مجاهد إضاءة النار إقبالهم إلى المسلمين والهندى وذهب نورهم إقبالهم إلى المشركين والضلالة وقال حطاء ومحمد بن

أحدهما الآخر وبصوره وذلما ضرب الله تعالى الأمثال في كتابه وهو أحد أقسام القرآن السبعة وما ذكر الله تعالى حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان لأنه يؤثر في القلوب مالا يؤثره وصف الشيء في نفسه ولأن المثل تشبيه الشيء بالحقى بالجلى فيتأكد الوقوف على ماهيته وذلك هو النهاية في الإيضاح، وشرطه أن يكون قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه كمثل الذى استوقد ناراً لينتفع بها (فلما أضاعت) يعنى النار (ماحولة) يعنى حول المستوقد (ذهب الله بنورهم) فان قلت كيف وحدهم أولاً ثم جمع ثانياً . قلت يجوز وضع الذى موضع الذين كقولهم «وخضعت كالذى خاضوا» وقيل إنما شبه قصتهم بقصة المستوقد، وقيل معناه مثل الواحد منهم كمثل الذى استوقد ناراً (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) قال ابن عباس نزلت في المنافقين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفاً ورأى ماحولة فاتتني مما يخاف فيينا هو كذلك إذ طفت ناره فبقى في ظلمة حائراً متخوفاً ، فكذلك حال المنافقين أظهروا كلمة الإيمان فأمنوا بها على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وناكحوا المسلمين وقاسموهم في الغنائم فنلك نورهم ، فلما ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف وقيل ذهب نورهم عقيدتهم لآؤمين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل ذهب نورهم في القبر أو على الصراط . فان قلت ما وجه تشبيه الإيمان بالنور والكنر بالظلمة . قلت وجه تشبيه الإيمان بالنور أن النور أبلغ الأشياء في الهداية إلى الخيرة التصوى وإلى الطريق المستقيم وإزالة الحيرة وكذلك الإيمان هو الطريق الواضح إلى الله تعالى وإلى جنانه ، وشبه الكنر بالظلمة لأن الفصال عن الطريق المسلوكة في الظلمة لايزداد إلا حيرة وكذلك الكنر لايزداد صاحبه في الآخرة إلا حيرة . وفي ضرب المثل للمنافقين بالنار ثلاث حكم : إحداهما أن المستضىء بالنار مستضىء بنور غيره فاذا ذهب ذلك بقى هو في ظلمته فكأنهم لما أقروا بالإيمان من غير اعتقاد قلوبهم كان إيمانهم كالمستعار . الثانية أن النار تحتاج في دوامها إلى مادة الحطب لتدوم فكذلك الإيمان يحتاج إلى مادة الاعتقاد ليدوم . الثالثة أن الظلمة الحادثة بعد الضوء أشد على الإنسان من ظلمة لم يبد قبلها ضياء فشيء حالهم بذلك . ثم وصفهم الله تعالى فقال (صم) أى عن سماع الحق لأنهم لا يقبلونه وإذا لم يقبلوه فكأنهم لم يسمعه (بكم) أى حرس عن النطق بالحق فهم لا يقولونه (عمى) أى لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن لا يبصره من من لا يبصر له فهو أعمى ، كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن سماع الحق آذانهم وأبوا أن تنطق به ألسنتهم وأن ينظروا إليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهب إدراكه قال الشاعر :
صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به وإن ذكرت بسوء كلهم أذن
(فهم لا يرجعون) أى عن ضلالتهم ونفاقهم . قوله تعالى (أو كصيب) أى كأصحاب

كعب : نزلت في اليهود وانتسارهم خروج النبي صلى الله عليه وسلم واستفناحهم به على مشركى العرب صيب فلما خرج كفروا به ثم وصفهم الله فقال (صم) أى هم صم عن الحق لا يقبلونه وإذا لم يقبلوا فكأنهم لم يسمعه (بكم) حرس عن الحق لا يقولونه أو أنهم لما أبطنوا خلاف ما أظهروا فكأنهم لم ينطقوا بالحق (عمى) أى لا بصائر لهم ومن لا يبصره من من لا يبصر له (فهم لا يرجعون) عن الضلالة إلى الحق (أو كصيب) أى كأصحاب صيب وهذا مثل آخر ضرب به الله تعالى

للمنافقين بمعنى إن شئت مثلهم المستوفد وإن شئت بأهل الصيب وقيل أو بمعنى الواو يريد وكصيب كقوله تعالى «أو يزيدون»
 بمعنى يزيدون. والصيب المطر وكل ما نزل من الأعلى إلى الأسفل فهو صيب فعيل من صاب يصوب أي نزل (من السماء)
 أي من السحاب وقيل هي السماء بعينها، والسماء كل ما علاك فأظلك وهي من أسماء الأجناس يكون واحدا وجمعها (فيه) أي
 في الصيب، وقيل في السماء أي في السحاب ولذلك ذكره. وقيل السماء يذكر ويؤنث قال الله تعالى «السماء منقطر به» وقال
 «إذا السماء انفطرت» (ظلمات) جمع ظلمة (ورعد) وهو الصوت الذي يسمع من السحاب (ورق) وهو النار التي تخرج
 منه. قال علي وابن عباس وأكثر المفسرين الرعد اسم ملك يسوق السحاب، والبرق (٣٧) لمعان صوت من نور يزجر

به الملك السحاب. وقيل
 الصوت زجر السحاب.
 وقيل تسبيح الملك. وقيل
 الرعد نطق الملك والبرق
 ضحكته، وقال مجاهد
 الرعد اسم الملك ويقال
 لصوته أيضا رعد
 والبرق اسم ملك يسوق
 السحاب. وقال شهر بن
 حوشب: الرعد ملك
 يزجر السحاب فإذا تبددت
 ضمها فإذا اشتد غضبه
 طارت من فيه النار
 فهي الصواعق. وقيل
 الرعد صوت الحرق
 الريح بين السحاب والأول
 أصح (يجمعون أصابعهم
 في آذانهم من الصواعق)
 جمع صاعقة وهي
 الصيحة التي يموت من
 يسمعها أو يغشى عليه.
 ويقال لكل عذاب
 مهلك صاعقة، وقيل
 الصاعقة قطعة عذاب
 ينزلها الله على من يشاء

حبيب وهو المطر، وكل ما نزل من الأعلى إلى الأسفل فهو صيب (من السماء) أي من السحاب
 لأن كل ما علاك فأظلك فهو سماء ومنه قيل لستف البيت سماء وقيل من السماء بعينها، وإنما ذكر
 الله تعالى السماء وإن كان المطر لا ينزل إلا منها ليرد على من زعم أن المطر يتعد من أنجرة الأرض
 فأبطل مذهب الحكماء بقوله من السماء ليعلم أن المطر ليس من أنجرة الأرض كما زعم الحكماء
 (فيه) أي الصيب (ظلمات) جمع ظلمة (ورعد) هو الصوت الذي يسمع من السحاب
 (ورق) يعني النار التي تخرج منه. قال ابن عباس: الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق
 لمعان سوط من نور يزجر به السحاب. وقيل الرعد اسم ملك يزجر السحاب إذا تبددت
 جمعها وضمها فإذا اشتد غضبه يخرج من فيه النار فهي البرق والصواعق، وقيل الرعد تسبيح
 الملك. وقيل اسمه (يجمعون أصابعهم في آذانهم من الصواعق) جمع صاعقة وهي الصيحة
 التي يموت كل من يسمعها أو يغشى عليه، وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من
 يشاء. عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق
 قال: اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك «أخرجه الترمذي وقال حديث
 غريب (حار الموت) أي مخافة الهلاك (والله محيط بالكافرين) أي عالم بحالهم وقيل يجمعهم
 ويعذبهم (يكاد البرق) أي يقرب، يقال كاد يفعل ولم يفعل (يخطف أبصارهم) أي يختلسها. والخطف
 استلاب الشيء بسرعة (كلما) أي متى ما جاء (أضواءهم) يعني البرق (مشوا فيه) أي
 في إضاءته ونوره (وإذا أظلم عليهم قاموا) أي وقفوا متحيرين، وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى
 للمنافقين، ووجه التمثيل أن الله عز وجل شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة في ليلة
 مظلمة أصابهم مطر فيه ظلمات وهي ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة تلك
 الظلمات أن الساري لا يمكنه المشي فيها، ورعد من صفته أن يضم سامعوه أصابعهم إلى آذانهم
 من هولته. وورق من صفته أن يخطف أبصارهم ويعبها من شدته فهنا مثل ضربه الله تعالى
 للقرآن وضميع الكافرين والمنافقين معه، فالمطر هو القرآن لأنه حياة القلوب كما أن المطر حياة
 الأرض، والظلمات ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك والنفاق. والرعد ما خوفوا به من الوعيد
 وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة للكافرين والمنافقين يسدلون

روى عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال: اللهم
 لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك. قوله (حار الموت) أي مخافة الهلاك (والله محيط بالكافرين) أي عالم
 بهم وقيل جامعهم. قال مجاهد يجمعهم فيعذبهم. وقيل هلكهم دليله قوله تعالى «إلا أن يحاط بهم» أي هلكوا جميعا. ويميل
 أبو عمرو والكسائي الكافرين في محل النصب أو الخفض ولا يميلان أول كافر به (يكاد البرق) أي يقرب يقال كاد يفعل
 إذا قرب ولم يفعل (يخطف أبصارهم) يختلسها ويخطف استلاب بسرعة (كلما) كل حرف جملة ضم إلى ما الجزاء فصار أداة
 للتكرار ومعناه متى ما (أضواءهم مشوا فيه) وإذا أظلم عليهم قاموا (أي وقفوا متحيرين) فأنه تعالى شبههم في كفرهم ونفاقهم
 بقوم كانوا في مفازة وسواد في ليلة مظلمة أصابهم مطر فيه ظلمات من صفتها أن الساري لا يمكنه المشي فيها ورعد من صفته

أن يضم السامعون أصابعهم إلى آذانهم من حوله وبرق من صفته أن يقرب من أن يخطف أبصارهم ويعمها من شدة توقده
فهذا مثل ضربه الله للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه، فالخطر القرآن لأنه حياة الجنان كما أن المخطر حياة الأبدان
والظلمات ماني القرآن من ذكر الكفر والشرك والرعد ماخوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق مافيه من الهدى والبيان
والوعد. وذكر الجنة فالكافرون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن مخافة ميل القلب إليه لأن الإيمان عندهم كقر والكفر موت
يكاد البرق يخطف أبصارهم أي القرآن يهز قلوبهم. وقيل هذا مثل ضربه الله للإسلام فالخطر الإسلام والظلمات مافيه من البلاء
والخن والرعد مافيه من الوعيد والخوف في الآخرة والبرق مافيه من الوعد، يجعلون أصابعهم في آذانهم يعني أن المنافقين إذا
رأوا في الإسلام بلاء وشدة هربوا خذوا من الهلاك، والله يحيط بالكافرين جاءهم، يعني لا ينعمهم هربهم لأن الله تعالى
من ورائهم يحسبهم فيعابهم، يكاد البرق (٣٨) يعني دلائل الإسلام ترجعهم إلى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة،

آذانهم عند قراءة القرآن وسماعه مخافة أن تميل قلوبهم إليه لأن الإيمان به عندهم كفر والكفر
موت، وقيل هنا مثل ضربه الله تعالى للإسلام، فالخطر هو الإسلام والظلمات مافيه من البلاء
والخن والرعد مافيه من ذكر الوعيد والخوف في الآخرة والبرق مافيه من الوعد يجعلون أصابعهم
في آذانهم يعني المنافقين إذا رأوا في الإسلام بلاء وشدة هربوا خذوا من الهلاك، والله يحيط
بالكافرين، يعني لا ينعمهم أخرب لأن الله من ورائهم يحسبهم ويعابهم، يكاد البرق يعني دلائل
الإسلام ترجعهم إلى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلمة أضاع لهم يعني المنافقين وإضاعته
لهم هو تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان ومشوا فيه، يعني على المسألة باظهار كلمة الإيمان وقيل
كلما نالوا غنمة وراحة في الإسلام ثبتوا وقالوا إنا معكم وإذا أظلم عليهم قاموا يعني إذا رأوا
شدة وبلاء تأخروا (ولو شاء الله لذهب بسهمهم) أي بصوت الرعد (وأبصارهم) بوميض
البرق. وقيل أي لذهب بأساعهم وأبصارهم الظاهرة كما أذهب أسماعهم وأبصارهم الباطنة
(إن الله على كل شيء قدير) أي هو الفاعل لما يشاء لا منازع له فيه. قوله عز وجل (يا أيها
الناس) قال ابن عباس: يا أيها الناس خطاب لأهل مكة. ويا أيها الذين آمنوا خطاب لأهل المدينة
وهو هنا خطاب عام لسائر المسلمين (اعبدوا ربكم) قال ابن عباس: وحدوا ربكم وكل ما ورد
في القرآن من العبادة فعناه التوحيد. وأصل العبودية التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها
إلا من له غاية الإفضال والإنعام وهو الله تعالى (الذي خلقكم) أي ابتدع خلقكم على غير
مثال سبق (والذين من قبلكم) أي وخلق الدين من قبلكم (لعلكم) لعل وعسى حرفا ترج
وهما أي كل منهما من الله واجب (تتقون) أي لكي تنجوا من العذاب، وقيل معناه تكونوا
على رجاء التقوى بأن تصبروا في ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد (الذي جعل لكم الأرض فراشا) أي خلق لكم الأرض بساطا ووطاء مذلة

كلما أضاع لهم مشوا
فيه يعني أن المنافقين إذا
أظهروا كلمة الإيمان
آمنوا فإذا ماتوا عادوا
إلى الظلمة، وقيل معناه
كلما نالوا غنمة وراحة
في الإسلام ثبتوا وقالوا
إنا معكم، وإذا أظلم عليهم
يعني رأوا شدة وبلاء
تأخروا وقاموا أي وقفوا
كما قال الله تعالى ومن
الناس من يعبد الله على
حرف، (ولو شاء الله
لذهب بسهمهم) أي
بأسماعهم (وأبصارهم)
الظاهرة كما ذهب
بأسماعهم وأبصارهم،
الباطنة. وقيل لذهب بما
استفادوا من العز والامان
الذي لهم بمنزلة الصبح

والبصر (إن الله على كل شيء قدير) قادر، قرأ ابن عامر وحده

ولم
شاء وجاء حيث كان بالإمالة. قوله تعالى (يا أيها الناس) قال ابن عباس يا أيها الناس خطاب أهل مكة، ويا أيها الذين آمنوا
خطاب أهل المدينة وهو معهما عام إلا من حيث إنه لا يدخله الصغار والمجانين (اعبدوا) وحدوا. قال ابن عباس كل ما ورد
في القرآن من العبادة فعناها التوحيد (ربكم الذي خلقكم) والخلق اختراع الشيء على غير مثال سبق (والذين من قبلكم) أي
وخلق الدين من قبلكم (لعلكم تتقون) لكي تنجوا من العذاب، وقيل معناه كونوا على رجاء التقوى بأن تصبروا في ستر ووقاية
من عذاب الله، وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء كما قال (فقلوا له قولا لينا لعله يذكر أو يخشى أي ادعوه إلى الحق وكونوا
على رجاء التذكروا وحكم الله من ورائه يفعل ما يشاء. قال سيديويه لعل وعسى حرفا ترج وهما من الله واجب (الذي جعل لكم
الأرض فراشا) أي بساطا، وقيل مناما وقيل وطاء، أي ذلها ولم يجعلها حزنة لا يمكن التفرار عنها، والجعل هاهنا بمعنى الخلق

(والسما بناء) سقفا مرفوعا (وأُتزل من السماء) أي من السحاب (ماء) وهو المطر (فأخرج به من الثمرات) من ألوان الثمرات وأنواع النبات (رزقا لكم) طعاما لكم وعلفا لدوابكم (فلا تجعلوا لله أندادا) (٣٩) أي أمثالا تعبدونهم كعبادة الله

وقال أبو عبيدة: النداء ضد وهو من الأضداد والله تعالى يرى من المثل والصد (وأنتم تعلمون) أنه واحد خالق هذه الأشياء (وإن كنتم في ريب) أي وإن كنتم في شك لأن الله تعالى علم أنهم شاكون (مما نزلنا) يعني القرآن (على عبدنا) محمد (فأتوا) أمر تعجيز (بسورة) والسورة قطعة من القرآن معلومة الأول والآخِر ، من أسارت أي أفضلت حلفت الهمزة ، وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة ، ومنه سور البلاد لارتفاعه سميت سورة لأن القارئ ينال بقرائها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن (من مثله) أي القرآن (من مثله) أي مثل القرآن ، وقيل الضمير في مثله راجع إلى عبدنا ، يعني من مثل محمد ﷺ أي لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلماء ولم يأخذ العلم عن أحد ، ورد الضمير إلى القرآن أوجه وأولى ويدل عليه أن ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة في التحدي وإنما وقع الكلام في المنزل ألا ترى أن المعنى وإن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فأتوا أتم بسورة مما يمثله ويحاكسه ، ولو كان الضمير مردودا إلى محمد ﷺ لقال وإن ارتبتم في أن محمدا منزل عليه فها أتوا قرآنا مثل محمد صلى الله عليه وسلم ، ويدل على كون القرآن معجزا ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة في طرفي الإيجاز والإطالة فتارة يأتي بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يحل بالمقصود الأول ، وأنه فارقت أساليبه أساليب الكلام وأوزانه أوزان الأشعار والخطب والرسائل ولما تحدثت العرب به فعجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة ولهم النظم والنثر من الأشعار والخطب والرسائل ، حتى قال الوليد بن المغيرة في وصف القرآن : والله إن له خلوة وإن عليه لطلاوة وإن أمسه لمغدق وإن أعلاه لمثمر (وادعوا شهداءكم من دون الله) أي استعينوا بأدبكم التي تعبدونها من دون الله والمعنى إن كان الأمر كما تقولون أنها تستحق العبادة فاجعلوا الاستعانة بها في دفع ما نزل بكم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم وإلا فاعلموا أنكم مبطون في دعواكم أنها لافية. وقيل معناه وادعوا أناسا يشهدون لكم (إن كنتم صادقين) أن محمدا ﷺ تنقوله من تلقاء نفسه (فإن لم تفعلوا) أي فيما مضى (ولن تفعلوا) فيما بقي وهذه الآية

ولم يجعلها حزمة لا يمكن القرار عليها ، والحزن ما غلط من الأرض (والسما بناء) أي سقفا مرفوعا قيل إذا تأمل الإنسان المنفكر في العالم وجدته كالبيت المعمور فيه كل ما يحتاج إليه فالسما مرفوعة كالسقف والأرض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والإنسان كمالك البيت وفيه ضروب النبات المهيأة لنتافعه وأصناف الحيوان مصروفة في مصالحه ، فيجب على الإنسان المسخر له هذه الأشياء شكر الله تعالى عليها (وأزل من السماء) يعني السحاب (ماء) يعني المطر (فأخرج به) أي بذلك الماء (من الثمرات) يعني من ألوان الثمرات وأصناف النبات (رزقا لكم) أي وعلفا لدوابكم (فلا تجعلوا لله أندادا) يعني أمثالا تعبدونهم كعبادته ، والذليل المثل (وأنتم تعلمون) يعني أنكم بعقولكم تعلمون أن هذه الأشياء والأمثال لا يضح جعلها أندادا لله ، وأنه واحد خالق الجميع الأشياء وأنه لا مثل له ولا ضد له . قوله تعالى (وإن كنتم في ريب) أي إن كنتم في شك لأن الله تعالى علم أنهم شاكون (مما نزلنا على عبدنا) أي محمد ﷺ لما تقرر إثبات الربوبية لله سبحانه وتعالى وأنه الواحد الخالق وأنه لا ضد له ولا ند أتبعه بإقامة الحججة على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة وأنه من عند الله تعالى لا من عند نفسه كما تدعون فيه ، وقوله على عبدنا إضافة تشرىف ل محمد ﷺ وأن القرآن منزل عليه من عند الله سبحانه وتعالى (فأتوا) أمر تعجيز (بسورة) والسورة قطعة من القرآن معلومة الأول والآخِر. وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة ، ومنه سور البلاد لارتفاعه ، سميت سورة لأن القارئ ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن (من مثله) أي مثل القرآن ، وقيل الضمير في مثله راجع إلى عبدنا ، يعني من مثل محمد ﷺ أي لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلماء ولم يأخذ العلم عن أحد ، ورد الضمير إلى القرآن أوجه وأولى ويدل عليه أن ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة في التحدي وإنما وقع الكلام في المنزل ألا ترى أن المعنى وإن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فأتوا أتم بسورة مما يمثله ويحاكسه ، ولو كان الضمير مردودا إلى محمد ﷺ لقال وإن ارتبتم في أن محمدا منزل عليه فها أتوا قرآنا مثل محمد صلى الله عليه وسلم ، ويدل على كون القرآن معجزا ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة في طرفي الإيجاز والإطالة فتارة يأتي بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يحل بالمقصود الأول ، وأنه فارقت أساليبه أساليب الكلام وأوزانه أوزان الأشعار والخطب والرسائل ولما تحدثت العرب به فعجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة ولهم النظم والنثر من الأشعار والخطب والرسائل ، حتى قال الوليد بن المغيرة في وصف القرآن : والله إن له خلوة وإن عليه لطلاوة وإن أمسه لمغدق وإن أعلاه لمثمر (وادعوا شهداءكم من دون الله) أي استعينوا بأدبكم التي تعبدونها من دون الله والمعنى إن كان الأمر كما تقولون أنها تستحق العبادة فاجعلوا الاستعانة بها في دفع ما نزل بكم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم وإلا فاعلموا أنكم مبطون في دعواكم أنها لافية. وقيل معناه وادعوا أناسا يشهدون لكم (إن كنتم صادقين) أن محمدا ﷺ تنقوله من تلقاء نفسه (فإن لم تفعلوا) أي فيما مضى (ولن تفعلوا) فيما بقي وهذه الآية

(وادعوا شهداءكم) أي واستعينوا بأدبكم التي تعبدونها (من دون الله) وقال مجاهد ناسا يشهدون لكم (إن كنتم صادقين) أن محمدا صلى الله عليه وسلم تنقوله من تلقاء نفسه فلها تعدهم عجزوا فقال (فإن لم تفعلوا) فيما مضى (ولن تفعلوا) أبدا فيما بقي ، وإنما قال ذلك لبيان الإعجاز وأن القرآن كان معجز النبي صلى الله عليه وسلم حيث عجزوا عن الإتيان بمثله . قوله

(فأتقوا النار) أي قاتلوا وانتقوا بالإيمان النار (التي وقودها الناس والحجارة) قال ابن عباس وأكبر المفسرين يعني حجارة الكبريت لأنها أكثر الثيابا وقيل جميع الحجارة، وهو دليل على عظم تلك النار، وقيل أراد بها الأصنام لأن أكثر أصنامهم كانت منحوتة من الحجارة كما قال «إنكم وما تعبدون (٤٠) من دون الله حصب جهنم» (أعدت) هيئت (للكافرين) قوله تعالى

(وبشر الذين آمنوا) أي أخبر والبشارة كل خير صدق تتغير به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشر وفي الخير أغلب (وعملوا الصالحات) أي الفعلات الصالحات يعني المؤمنين الذين هم من أهل الطاعات قال عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه: وعملوا الصالحات أي أخلصوا الأعمال كما قال: فليعمل عملا صالحا، أي خاليا عن الرياء. قال معاذ العمل الصالح الذي فيه أربعة أشياء: العلم والنية والصبر والإخلاص (أن لهم جنات) جمع الجنة، والجنة البستان الذي فيه أشجار مثمرة سميت بها لاجتماعها وتسترها بالأشجار. وقال القراء: الجنة ما فيه النخيل والقرودس ما فيه الكرم (تجري من تحتها) أي من تحت أشجارها ومسكنها (الأنهار) أي المياه في الأنهار لأن النهر لا يجري وقيل مع تحتها أي بأمرهم لقوله تعالى حكاية

دالة على عجزهم وأنهم لم يأتوا بمثله ولا بعمل شيء منه، وذلك أن النفوس الأبية إذا قرعت بمثل هذا التقرير استغرقت الوسع في الإيمان بمثل القرآن أو بمثل سورة منه ولو قدروا على ذلك لأنوابه فحيث لم يأتوا بشيء ظهرت المعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وبأن عجزهم وهم أهل الفصاحة والبلاغة، والقرآن من جنس كلامهم، وكانوا حراصا على إطفاء نوره وإبطال أمره ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة من أحدهم ورضوا بسبي النزارى وأخذ الأموال والقتل وإذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا كان الأمر كذلك وجب ترك العناد وهو قوله تعالى (فاتقوا النار) أي قاتلوا وانتقوا بالإيمان النار (التي وقودها) أي حطبها (الناس والحجارة) قال ابن عباس يعني حجارة الكبريت لأنها أكثر الثيابا. وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها. وقيل أراد بها الأصنام لأن أكثر أصنامهم كانت من الحجارة وإنما قرن الناس مع الحجارة لأنهم كانوا يعبدونها معتقدين فيها أنها تنفعهم وتشفع لهم فجعلها الله عذابهم في نار جهنم (أعدت) أي هيئت (للكافرين) قوله عز وجل (وبشر الذين آمنوا) أي أخبر المؤمنين، وهذا أمر للنبي صلى الله عليه وسلم. والبشارة إيراد الخبر السار على سامع يستبشر به ويظهر السرور في بشرة وجهه لأن الإنسان إذا فرح بشيء عوسر به يظهر ذلك على بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخير والشر ومنه قوله: وبشرهم بعذاب أليم، ولكن هو في السرور والخير أغلب (وعملوا الصالحات) أي الفعلات وهي الطاعات. قيل العمل الصالح ما كان فيه أربعة أشياء: العلم والنية والصبر والإخلاص. وقال عثمان بن عفان: وعملوا الصالحات أي أخلصوا الأعمال يعني عن الرياء (أن لهم جنات) جمع جنة وهي البستان الذي فيه أشجار مثمرة سميت جنة لاجتماعها وتسترها بالأشجار والأوراق. وقيل الجنة ما فيه النخيل والقرودس ما فيه كرم (تجري من تحتها) أي من تحت أشجارها ومسكنها (الأنهار) أي تجري المياه في الأنهار لأن الأنهار لا تجري وقيل معناه تجري بأمرهم وفي الحديث «إن أنهار الجنة تجري في غير أخلود» أي في غير شق والخد الشق (كلما رزقوا) أي أطعموا (منها) أي من الجنة (من ثمرة رزقا) أي طعاما (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) أي في الدنيا وقيل إن ثمار الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم فإذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الأولى (وأتوا به) أي بالرزق (متشابهها) قال ابن عباس مختلفا في الطعم وقيل يشبه بعضه بعضا في الجودة لارداة فيها وقيل يشبه ثمار الدنيا في الاسم لافي الطعم (م) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبرقون بدهون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشامور شح كرشح المسك وفي رواية ورشهم المسك» قوله بدهون التسبيح كما يلهمون النفس أي يجري على ألسنتهم كما يجري النفس فلا يشغلهم عن شيء كما أن النفس لا يشغل عن شيء قوله طعامهم جشامور يعني أن فضول طعامهم يخرج في الجشامور وهو تنس المعدة. والرشح العرق

عن فرعون وهذه الأنهار تجري من تحتها بأمرى والأنهار جمع نهر سمي به لسعته وضياؤه ومنه النهار وفي الحديث وقوله «وأنا جنة تجري في غير أخلود» (كلما) مني ما (رزقوا) أطعموا (منها) أي من الجنة (من ثمرة) أي ثمرة ومن صلة (رزقا) طعاما (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) وقيل رفع على الغاية قال الله تعالى «لله الأمر من قبل ومن بعد» قيل من قبل في الدنيا وقيل الثمار في الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم فإذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الأولى (وأتوا به) رزقا (متشابهها) قال ابن عباس

ومجاهد والربيع تشابها في الألوان مختلفا في الطعوم . وقال الحسن وقتادة متشابه أي يشبه بعضها بعضا في الجودة أي كلها خيار لأردالة فيها . وقال محمد بن كعب يشبه ثمر الدنيا غير أنها أطيب . وقيل متشابه في الاسم مختلفا في الطعم . قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء . أنا أبو حماد بن عبد الله الصالحني أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصبري أنا أبو عبد الله محمد بن الصفار أنا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي أنا محمد بن كثير أناسيفيان الثوري عن الأعمش عن أبي سنين عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يسولون ولا يتعوطون ولا يمتخطون ولا يبرقون يلهمون الحمد والتسبيح كما تلهون النفس طعامهم الخشاء ورشهم المسك وقوله تعالى (ولم فيها) في الجنان (أزواج) نساء وجوار يعني من الخور العين (مطهرة) (٤١) من الغائط والبول

العرف . وقوله تعالى (ولم فيها) أي في الجنات (أزواج) أي من الخور العين (مطهرة) يعني من البول والغائط والحبيض والوليد وسائر الأبقار وقيل من عجائزكم الغمص العمش طهرون من قدرات الدنيا وقيل طهرون من مساوي الأخلاق قيل في الجنة جماع ماشئت ولا ولد (وهم فيها خالدون) أي لا يخرجون منها ولا يموتون . والخلد البقاء الدائم الذي لا انقطاع له (ق) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يصفقون ولا يمتخطون ولا يتعوطون ولا يبواون أمشاطهم الذهب وورشهم المسك وجمامهم الألوّة وأزواجهم الخور العين على خلق رجل واحد وعلى صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء . وفي رواية «ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا » (ق) عن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن لله مؤمن في الجنة نجيمة من لؤلؤة واحدة بحوطة طولها في السماء ستون ميلا لله مؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا » عن أبي هريرة قال « قلت يا رسول الله ثم خلق الله الخلق ؟ قال من الماء ، قلت الجنة ما بناؤها ؟ قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابهم ولا يقنى شابههم أخرجه الترمذي بزيادة وقال ليس إسناده بذلك القوي . عن عبادة ابن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والقرودس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش فإذا سألت الله فأسأله القرودس » أخرجه الترمذي (م) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن في الجنة لسوقا يأتيها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحول في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلهم والله لقد ازدادتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وأنتم والله لقد ازدادتم بعدنا حسنا وجمالا » عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن في الجنة لختما للخور العين يرفعن بأصوات لم

والحبيض والنفاس والصداق والغائط والمني والوليد وكل قدر . قال إبراهيم النخعي في الجنة جماع ماشئت ولا ولد . وقال الحسن بن عجايزكم الغمص العمش طهرون من قدرات الدنيا . وقيل مطهرة عن مساوي الأخلاق (وهم فيها خالدون) دائمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها . أنا أبو عمرو عبد الواحد ابن أحمد المليحي أنا أبو حماد أحمد بن عبد الله النعماني أنا محمد بن يوسف العززي أنا محمد ابن إسماعيل البخاري أنا قتيبة بن سعيد أنا جابر عن عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله

(٦ - خازن بالبعوى - أول) صلى الله عليه وسلم « إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبواون ولا يتعوطون ولا يمتخطون ولا يبرقون ولا يصفقون ولا يمتخطون ولا يبرقون يلهمون الحمد والتسبيح كما تلهون النفس طعامهم الخشاء ورشهم المسك وقوله تعالى (ولم فيها) في الجنان (أزواج) نساء وجوار يعني من الخور العين (مطهرة) (٤١) من الغائط والبول والحيض والنفاس والصداق والغائط والمني والوليد وكل قدر . قال إبراهيم النخعي في الجنة جماع ماشئت ولا ولد . وقال الحسن بن عجايزكم الغمص العمش طهرون من قدرات الدنيا . وقيل مطهرة عن مساوي الأخلاق (وهم فيها خالدون) دائمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها . أنا أبو عمرو عبد الواحد ابن أحمد المليحي أنا أبو حماد أحمد بن عبد الله النعماني أنا محمد بن يوسف العززي أنا محمد ابن إسماعيل البخاري أنا قتيبة بن سعيد أنا جابر عن عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله

علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الرحمن بن أبي شرحبيل أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشمي أنا علي بن حجر
 أنا إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الهذلي عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن
 امرأة من نساء أهل الجنة اطلمت على الأرض لأضاعت ما بين يديها وما بين يديها من الدنيا وما
 فيها » صحيح أخرجه محمد بن عبد الله بن محمد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن حميد . أنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني
 أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي أنا عبد الله بن محمد بن مسلم أنا أبو بكر الجويري أنا أحمد بن الفرج الحمصي أنا
 عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار أنا محمد بن المهاجر عن الضحاك المغافري عن سليمان بن موسى حدثني كريب أنه سمع أسامة
 ابن زيد يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا هل من مشرر للجنة وإن الجنة لا يخطر لها وهي ورب الكعبة نورية لألا
 وربحانة تهز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمره نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام أبد في دار سليمة وفاكهة
 لخصرة وحبرة ونعمة في حلة عالية هبة قالوا نعم يا رسول الله نحن المشركون لها قال قولوا إن شاء الله قال النعم إن شاء الله وروى
 عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أهل الجنة جرد مرد كحل لا يفنى شبابهم ولا يبلى ثيابهم » أنا أبو بكر محمد
 ابن عبد الصمد التبراني أنا الحاكم (٤٣) أبو الفضل الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى أنا إسحاق الحنظلي أنا أبو معاوية

أنا عبد الرحمن بن إسحاق
 عن النعمان بن سعيد
 عن علي قال : قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 « إن في الجنة لسوقا ليس
 فيها بيع ولا شراء إلا
 الصور من الرجال والنساء
 فإذا انتهى الرجل
 صورة دخل فيها وإن
 فيها لجمع الحور العين
 ينادين بصوت لم يسمع
 الخلائق مثله : نحن
 الخالونات فلا نبيد أبدا
 ونحن النائمات فلا نبأس
 أبدا ونحن الراضيات

تسمع الخلائق مثلها يقلن : نحن الخالونات فلا نبيد ونحن النائمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا
 نخططون لمن كان لنا وكنا له » أخرجه الترمذي وقال حديث غريب . قوله تعالى (إن الله
 لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) سبب نزول هذه الآية أن الله تعالى لما ضرب المثل
 بالذباب والعنكبوت وذكر النحل والنمل قالت اليهود . ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الحسنة .
 وقيل قال المشركون إنا لا نعبد إلا ما يذكر هذه الأشياء وذلك لأن الكفار واليهود كانوا متفقين
 على إنشاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتألموا ذلك فأنزل الله تعالى إن الله لا يستحي . الخياء تعبير
 وانكسار يعترى لإنسان من خوف ما يعاب به ويذم عليه . وقيل هو انقباض النفس عن التبايح
 هذا أصله في وصف الإنسان ، والله تعالى منزّه عن ذلك كله فإذا وصف الله تعالى به يكون معناه
 الترك وذلك لأن لكل فعل بداية ونهاية فبداية الخياء هو التغير الذي يلحق الإنسان من خوف
 أن يقسب إليه ذلك الفعل التبيح ونهاية ترك ذلك الفعل التبيح فإذا ورد وصف الخياء في حق الله تعالى
 فليس المراد منه بدايته وهو التغير والخوف بل المراد منه ترك الفعل الذي هو نهاية الخياء وغايته
 فيكون معنى إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا أي لا يترك المثل لقول الكفار واليهود « ما قبل ما صلت
 فيكون المعنى أن يضرب مثلا بعوضة وقيل ليس هي بصلة بل هي للأيام والسكر والبعض
 صغار البق وهو من عجيب خلق الله تعالى فإنه في غاية الصغر وله خرطوم مجوف وهو مع صغره
 بغوص خرطومه في جلد القمل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية حتى إن الجملة يموت من قرصه

فما

فلا نخطط فطوي لمن كان لنا وكنا له أو نحن له »

ورواه أبو عيسى عن هشام وأحمد بن منيع عن أبي معاوية مرفوعا وقال هذا حديث غريب أنا إسماعيل بن عبد القاهر
 الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ، أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو عثمان
 سعيد بن عبد الجبار البصري أنا حماد بن مسلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 « إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثوا في وجوههم وثيابهم فيزدودون حسنا وجمالا فيرجعون إلى
 أهلهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا
 حسنا وجمالا . الآية قوله تعالى (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) سبب نزول هذه الآية أن الله تعالى لما ضرب
 المثل بالذباب والعنكبوت فقال « إن الذين يذمون من ذنوب الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له » وقال : مثل الذين اتخذوا من دون
 الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا قالت اليهود ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الحسنة . وقيل قال المشركون إنا لا نعبد إلاها

يذكر مثل هذه الأشياء فأمر الله تعالى إن الله لا يستحي أي لا يترك ولا يمتنع الحياء أن يضرب مثلا بذكر شيئا بعوضة ، ماصلة أي مثلا بالعوضة وبعوضة نصب بدل عن المثل . والبعوض صغار البق سميت بعوضة لأنها كانت بعض البق ، فما فوقها يعني الذباب والعنكبوت وقال أبو عبيدة أي فما دونها كما يقال فلان جاهل فيقال وفوق ذلك أي وأجهل (فأما الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (فيعلمون أنه) يعني المثل هو (الحق) الصدق (من ربهم ، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) أي بهذا المثل فلما حذف الألف واللام نصب على الحال والقطع . ثم أجابهم فقال (يضل به كثيرا) من الكفار وذلك أنهم يكذبونه فيزدادون ضلالا (ويهدى به) أي بهذا المثل (كثيرا) من المؤمنين فيصدقونه . والإضلال (٤٣) هو الصرف عن الحق إلى

الباطل . وقيل هو الهلاك . وقيل ضل الماء في اللبن إذا هلك (وما يضل به إلا الفاسقين) الكافرين وأصل التسق الخروج يقال فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرها ، قال الله تعالى وفسق عن أمر ربه أي خرج ثم وصفهم فقال (الذين يتقصون) ويتركون . وأصل التقص الكسر (عهد الله) أمر الله الذي عهد إليهم يوم الميثاق بقوله «أنت بربكم قالوا بلى» والثاني المراد به الذي أخذ على أجداد اليهود في التوراة أن يؤمنوا بمحمد عليه السلام وبينوا نعمة وصفته . الثالث المراد به الكفار والمنافقون الذين نقضوا عهدا أبرمه الله تعالى وأحكمه بما أنزل في كتابه من الآيات الدالة على توحيدهِ (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) يعني الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ووجه مع الرسل فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود . وقيل أراد به قطع الأرحام التي أمر الله بوصلها (ويفسدون في الأرض) يعني بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد عليه السلام والقرآن (أولئك هم الخاسرون) أي المغبونون . وأصل الخسار التخص ثم قال تعالى لمشركي العرب على وجه التعجب لكن فيه تبيك وتعتيف لهم (كيف تكفرون بالله) يعني بعد نصب الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته ثم ذكر الدلائل فقال تعالى (وكنتم أمواتا) يعني نطقا في أصلاب آباءكم (فأحياكم) يعني في الأرحام والدنيا (ثم يميتكم) أي عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) يعني بعد الموت للبعث (ثم إليه ترجعون) أي تردون في الآخرة فيجزىكم بأعمالكم . قوله عز وجل

لما فوقها يعني الذباب والعنكبوت وما هو أعظم منهما في الجنة . وقيل معناه فما دونها وأصغر منها وهذا القول أشبه بالآية لأن الغرض بيان أن الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الصغير الحقير وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للعنكبوت وهو أصغر منها وقد ضربت العرب المثل بالمحقرات فقيل هو أجتر من ذرة وأجمع من نملة وأطيش من ذبابة وألح من ذبابة (فأما الذين آمنوا) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فيعلمون أنه) يعني ضرب المثل (الحق) يعني الصدق (من ربهم) الثابت الذي لا يجوز إنكاره لأن ضرب المثل من الأمور المستحسنة في العقل وعند العرب (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) أي بهذا المثل (يضل به كثيرا) أي من الكفار وذلك أنهم يكذبونه فيزدادون به ضلالا (ويهدى به كثيرا) يعني المؤمنين يصدقونه ويعلمون أنه حق (وما يضل به إلا الفاسقين) يعني الكافرين وقيل المنافقين . وقيل اليهود والنسق الخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصفهم فقال تعالى (الذين يتقصون) أي يخالفون ويتركون وأصل التقص النسخ وفك المركب (عهد الله) أي أمر الله وأصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال (من بعد ميثاقه) أي من بعد عقده وبوكيده وفي معنى هذا العهد أقوال أجدها أنه الذي أخذ عليهم يوم الميثاق وهو قوله تعالى «أنت بربكم قالوا بلى» والثاني المراد به الذي أخذ على أجداد اليهود في التوراة أن يؤمنوا بمحمد عليه السلام وبينوا نعمة وصفته . الثالث المراد به الكفار والمنافقون الذين نقضوا عهدا أبرمه الله تعالى وأحكمه بما أنزل في كتابه من الآيات الدالة على توحيدهِ (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) يعني الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ووجه مع الرسل فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود . وقيل أراد به قطع الأرحام التي أمر الله بوصلها (ويفسدون في الأرض) يعني بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد عليه السلام والقرآن (أولئك هم الخاسرون) أي المغبونون . وأصل الخسار التخص ثم قال تعالى لمشركي العرب على وجه التعجب لكن فيه تبيك وتعتيف لهم (كيف تكفرون بالله) يعني بعد نصب الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته ثم ذكر الدلائل فقال تعالى (وكنتم أمواتا) يعني نطقا في أصلاب آباءكم (فأحياكم) يعني في الأرحام والدنيا (ثم يميتكم) أي عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) يعني بعد الموت للبعث (ثم إليه ترجعون) أي تردون في الآخرة فيجزىكم بأعمالكم . قوله عز وجل

(من بعد ميثاقه) توكيده . والميثاق العهد المؤكد (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) يعني الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبجميع الرسل عليهم السلام ، لأنهم قالوا تؤمن ببعض ونكفر ببعض ، وقال المؤمنون لا نفرق بين أحد من رسله . وقيل أراد به الأرحام (ويفسدون في الأرض) بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن (أولئك هم الخاسرون) المغبونون ثم قال لمشركي العرب على وجه التعجب (كيف تكفرون بالله) بعد نصب الدلائل ووضوح البرهان ثم ذكر الدلائل فقال : (وكنتم أمواتا) نطقا في أصلاب آباءكم (فأحياكم) في الأرحام والدنيا (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) للبعث (ثم إليه ترجعون) أي تردون في الآخرة فيجزىكم بأعمالكم . قرأ يعقوب

ترجعون كل القرآن بفتح الياء والتاء على نسبة الفاعل. قوله تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا) للحى لى تعتبر وا
 وتمسكوا. وقيل لى تنفضوا (ثم استوى إلى السماء) قال ابن عباس وأكثر مفسرى السلف أى ارتفع إلى السماء وقال ابن كيسان
 والفراء وجماعة من التحويين. أى أقبل على خلق السماء: وقيل قصد لأنه خلق الأرض أولا ثم عمد إلى خلق السماء (فسواهن
 سبع سموات) خلقهن مستويات لافطور فيها ولا صدوع (وهو بكل شئ عليم) قرأ أبو جعفر وأبو عمرو والكسائى وقالون
 وهو وهى يسكون الهاء إذا كان قبل الهاء واو أو فاء أو لام زاد الكسائى وقالون ثم هو وقالون أن يمل هو. قوله تعالى (وإذ قال
 ربك) أى وقال ربك. وإذ زائدة (٤٤) وقيل معناه واذكر إذ قال ربك وكذلك كل ما ورد فى القرآن من هذا

التحو فهذا سبيله. وإذا
 وإذا حرفا توقيت إلا أن
 إذلاماضى وإذلاماضى
 وقد يوضع أحدهما
 موضع الآخر قال المبرد
 إذا جاء إذ مع المستقبل
 كان معناه ماضيا كقوله
 تعالى وإذ يكره بريدوا
 مكر. وإذا جاء إذا مع
 الماضى كانت معناه
 مستقبلا كقوله فإذا
 جاءت الطامة. وإذا
 جاء نصر الله أى يجرى
 (للملائكة) جمع ملك
 وأصله مألوك من المألوك
 والألوك والألوك، وهى
 الرسالة فقلب فقيل
 ملائكة ثم حذف الهجمة
 طلبا للتحفة لكثرة
 استعماله ونقلت حركتها
 إلى اللام فقيل ملك
 وأراد بهم الملائكة الذين
 كانوا فى الأرض وذلك
 أن الله تعالى خلق السماء

(هو الذي خلق لكم ما فى الأرض جميعا) يعنى من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار والمعنى
 كيف تكبرون بالله وقد خلق لكم ما فى الأرض جميعا لتنفضوا به فى مصالح الدين والدنيا أما
 مصالح الدين فهو الاعتبار والتسكرفى عجائب مخلوقات الله تعالى البالغة على وجهه أذنه، وأما مصالح
 الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها (ثم استوى إلى السماء) أى قصد وأقبل على خلقها وقيل عمد وقال
 ابن عباس ارتفع وفى رواية عنه صعد قال الأزهرى معناه صعد أمره وكذا ذكره صاحب المحكم
 وذلك أن الله تعالى خلق الأرض أولا ثم عمد إلى خلق السماء. فان قلت كيف الجمع بين هذا
 وقوله تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها) قلت البحر البسط فيحتمل أن الله تعالى خلق جرم
 الأرض ولم يبسطها ثم خلق السماء وبسط جرم الأرض بعد ذلك فان قلت هذا مشكل أيضا لأن
 قوله تعالى خلق لكم ما فى الأرض جميعا يقتضى أن ذلك لا يكون إلا بعد الدحو. قلت يحتمل
 أنه ليس هنا ترتيب وإنما هو على سبيل تعداد النعم كقوله الرجل لمن يذكر ما أنعم به عليه: ألم
 أعطك ألم أرفع ذكرك ألم أدفع عنك ولعل بعض هذه النعم متقدمة على بعض والله أعلم (فسواهن
 سبع سموات) خلقهن سبع سموات مستويات لاصدع فيها ولا فطور وسيأتى ذكر خلق الأرض
 عند قوله تعالى قل أتستكبرون بالذى خلق الأرض فى يومين فى سورة حم السجدة إن شاء
 الله تعالى (وهو بكل شئ عليم) يعنى يعلم الجزئيات كما يعلم الكلليات قوله تعالى (وإذ قال ربك)
 أى واذكر يا محمد إذ قال ربك وكل ما ورد فى القرآن من هذا النحو فهذا سبيله وقيل إذ زائدة
 والأول أوجه (للملائكة) جمع ملك وأصله مألوك من المألوك والألوك وهى لفظ البغوى وهى
 الرسالة وأراد بالملائكة الذين كانوا فى الأرض وذلك أن الله تعالى خلق الأرض والسماء وخلق
 الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الأرض فعبادوا دهرها طويلا ثم ظهر فيهم
 الحسد والبغى فأفسدوا وقتلوا فبعث الله إليهم جنات من الملائكة يقال لهم الجن ورأسهم إبليس
 وهم خزان الجنان فهبطوا إلى الأرض وطردوا الجن إلى جزائر البحور وشعوب الجبال وسكنوا
 هم الأرض وخفف الله عنهم العبادة وأعطى الله إبليس ملك الأرض وملك السماء الدنيا وخزاة
 الجنة وكان رئيسهم ومرشدهم وأكثرهم علما فكان يعبد الله تارة فى الأرض وتارة فى السماء
 وتارة فى الجنة فدخله العجب وقال فى نفسه ما أعطانى الله هذا الملك إلا لأنى أكرم الملائكة عليه
 فقال له ولجناته (إنى جاعل فى الأرض خليفة) أى إنى خالق خليفة يعنى بدلا منكم ورافعكم

والأرض وخلق للملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الأرض فعبادوا دهرها طويلا
 فى الأرض ثم ظهر فيهم الحسد والبغى فأفسدوا وقتلوا فبعث الله إليهم جنات من الملائكة يقال لهم الجن وهم خزان الجنان اشتق لهم
 من الجنة، رأسهم إبليس وكان رئيسهم ومرشدهم وأكثرهم علما فهبطوا إلى الأرض فطردوا الجن إلى شعوب الجبال وجزائر
 البحور وسكنوا الأرض وخفف الله عنهم العبادة فأعطى الله إبليس ملك الأرض وملك السماء الدنيا وخزاة الجنة وكان يعبد
 الله تارة فى الأرض وتارة فى السماء وتارة فى الجنة فدخله العجب وقال فى نفسه ما أعطانى الله هذا الملك إلا لأنى أكرم الملائكة
 عليه فقال الله له ولجناته (إنى جاعل فى الأرض خليفة) أى بدلا منكم ورافعكم أى ففكر هو ذلك لأنهم كانوا أهون الملائكة

والمراد بالخليفة ههنا آدم سماه خليفة لأنه خلف الجن أي جاء بعدهم. وقيل لأنه يخلفه غيره، والصحيح أنه خليفة الله في أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ قضاياه (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) بالمعاصي (٤٥) (ويستفك الدماء) بغير حق، أي

كما فعل بنو الجان فقتلوا
الشاهد على الغائب وإلا
فهم ما كانوا يعلمون
الغيب (ونحن نسبح
بحمدك) قال الحسن
نقول: سبحان الله وبحمده

وهو صلاة الخلق وصلاة
البهائم وغيرهما سوى
الآدميين وعليها يرزقون.

أخبرنا إسماعيل بن
عبد القاهر أنا عبد الغافر
ابن محمد أنا محمد بن عيسى

أنا إبراهيم بن محمد
ابن سفيان أنا مسلم بن
الحجاج أنا زهير بن

جرب أنا جنيان بن هلال
أنا وهيب أنا سعيد
الجريري عن أبي عبد الله

الجريري عن ابن الصامت
عن أبي ذر أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم

سئل أي الكلام
أفضل؟ قال: ما اصطفى
الله للملائكة أو لعباده:

سبحان الله وبحمده، وقيل
ونحن نصلى بأمرك قال
ابن عباس كل ما في

القرآن من التسبيح فالمراد
منه الصلاة (وتقدس لك)
أي نشئ عليك بالقدس

والطهارة عما لا يليق
بعظمتك وجلالك. وقيل
ونظير أنفسنا لطاعتك

وقيل ونزحك. واللام
حالة وقيل لم يكن هذا من الملائكة على طريق الاعتراض والعجب بالعمل، بل على سبيل التعجب وطلب وجه
الحكمة فيه (قال) الله (إني أعلم ما لا تعلمون) من المصلحة فيه. وقيل إني أعلم أن في ذريته من بطيئني ويعبدني من

إلى ففكر هو ذلك لأنهم كانوا أهون الملائكة عبادة والمراد بالخليفة هنا آدم عليه الصلاة والسلام
لأنه خلف الجن وجاء بعدهم. وقيل لأنه يخلفه غيره، والصحيح إنه إنما سمي خليفة لأنه خليفة الله
في أرضه لإقامة حدوده وتنفيذ قضاياه (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) أي بالمعاصي (ويستفك
الدماء) أي بغير حق كما فعل الجن. فإن قلت من أين عرفوا ذلك حتى قالوا هذا القول؟ قلت
يحتمل أن يكونوا عرفوا ذلك بأخبار الله إياهم أو قاسوا الشاهد على الغائب؛ وقيل لأنهم لما رأوا أن
آدم خلق من أخلاط مركبة على ما أنه يكون فيه الحقد والغضب ومنهما يتولد الفساد وسفك الدماء
فهذا قالوا ذلك. وقيل لما خلق الله تعالى النار خافت الملائكة وقالوا لمن خلقت هذه النار قال لمن
عصاني فلما قال إني جاعل في الأرض خليفة قالوا هو ذلك. فإن قلت الملائكة معصومون فكيف
وقع منهم هذا الاعتراض. قلت ذهب بعضهم إلى أنهم غير معصومين واستدل على ذلك بوجوه
منها قوله «أتجعل فيها من يفسد فيها» ومن ذهب إلى عصمتهم أجاب عنه بأن هذا السؤال إنما وقع
على سبيل التعجب لا على سبيل الانتكار والاعتراض فانهم تعجبوا من كمال حكم الله تعالى
وإحاطة علمه بما خلق عليهم وهذا إجابهم بقوله «إني أعلم ما لا تعلمون» وقيل إن العبد المخلص في حب
سيده يكره أن يكون له عبد آخر يعصيه فكان مؤالفاً على وجه المبالغة في إعظام الله عز وجل
(ونحن نسبح بحمدك) أي تقول: سبحان الله وبحمده وهي صلاة الخلق وعليها يرزقون (م)
عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الكلام أفضل قال: ما اصطفى الله للملائكة
أو لعباده سبحان الله وبحمده قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما جاء في القرآن من التسبيح
فالمراد منه الصلاة فيكون المعنى ونحن نصلى لك. وقيل أصل التسبيح تزيه الله عما لا يليق بجلاله
فيكون المعنى ونحن ننزهك عن كل سوء وتقيصة ومعنى بحمدك جامدين لك أو متلبسين بحمدك
فإنه لو لا إنعامك علينا بالتوفيق لم تكن من ذلك (وتقدس لك) أصل التقديس التطهير أي تطهرك عن
التقائص وكل سوء ونصفتك بما يليق بعزك وجلالك من العلو والعظمة واللام صلة وقيل معناه
نظير أنفسنا لطاعتك وعبادتك (قال إني أعلم ما لا تعلمون) قيل إنه جواب لقول الملائكة أتجعل
فيها فقال تعالى: أعلم من وجوه المصلحة والحكمة ما لا تعلمون. وقيل أعلم أن فيهم من يعبدني
ويطيعني وهم الأنبياء والأولياء والصالحون، ومن يعصيني منك وهو إبليس وقيل أعلم أنهم يذنبون
ويستغفرون فأغفر لهم.

(فصل: في ماهية الملائكة وقصة خلق آدم عليه السلام) قيل إن الملائكة أجسام لطيفة
هوائية خلقت من التور تقدر أن تتشكل بأشكال مختلفة مسكنهم السموات. عن أبي ذر قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أظت الشفاء وحتى لها أن
تنظ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضح جبهته لله سجداً» أخرجه الترمذي بزيادة وقال
حديث حسن غريب. وأما صفة خلق آدم عليه السلام فقال وهب بن منبه لما أراد الله تعالى أن
يخلق آدم أوحى إلى الأرض أي خالق منك خليفة منهم من بطيئني ومنهم من يعصيني فمن أطاعني
أدخلته الجنة ومن عصاني أدخلته النار قالت الأرض أخلق مني خلقاً يكون للنار قال نعم فيك
الأرض فانتجرت منها العيون إلى يوم القيامة فبعث الله إليها جبريل ليأنيه بقبضة منها من أحمرها

حالة وقيل لم يكن هذا من الملائكة على طريق الاعتراض والعجب بالعمل، بل على سبيل التعجب وطلب وجه
الحكمة فيه (قال) الله (إني أعلم ما لا تعلمون) من المصلحة فيه. وقيل إني أعلم أن في ذريته من بطيئني ويعبدني من

وأسودها وطينها وخيبتها فلما أنهاها ليقبض منها قالت أعود بعزة الله الذي أرسلك إلى أن لاتأخذ
 مني شيئا فرجع جبريل إلى مكانه وقال يارب استعازت بك مني فكرهت أن أقدم عليها فقال
 الله تعالى لميكائيل انطلق فأنتى بقبضة منها فلما أنهاها ليقبض منها قالت له مثل ما قالت بلجبريل
 فرجع إلى ربه فقال ما قالت له فقال لعزرائيل انطلق فأنتى بقبضة من الأرض فلما أنهاها قالت له
 الأرض أعود بعزة الله الذي أرسلك أن لاتأخذ مني شيئا فقال وأنا أعود بعزته أن أعصى له أمرا
 وقبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذبا وما حلها وحلها ومرها وطيبها وخيبتها وصعد بها إلى
 السماء فسأله ربه عز وجل وهو أعلم بما صنع فأخبره بما قالت له الأرض وبما رد عليها فقال الله
 تعالى وعزتي وجلالي لأخلفن مما جئت به خائفا ولأسطنتك على قبض أرواحهم لفة رحمتك
 ثم جعل الله تلك القبضة نصفها في الجنة ونصفها في النار ثم تركها ماشاء الله ثم أخرجها فجعلها
 طينا لازبا مدة ثم جمأ مسنونا مدة ثم صلصلا ثم جعلها جسدا وألقاه على باب الجنة فكانت
 الملائكة يعجبون من صفة صورته لأنهم لم يكونوا رأوا مثله وكان إبليس يجر عليه ويقول لأمر ما
 خلق هذا ونظر إليه فاذا هو أجوف فقال هذا خلق لايتالك ، وقال يوما للملائكة إن فضل هذا
 عليكم ما تسمعون ؟ فقالوا نطيع ربنا ولا نعصيه فقال إبليس في نفسه لئن فضل على لأعصيه ولن
 فضلت عليه لأهلكه فلما أراد الله تعالى أن ينفخ فيه الروح أمرها أن تدخل في جسد آدم فنظرت
 فرأت مدخلا ضيقا فقالت يارب كيف أدخل هذا الجسد ؟ قال الله عز وجل لما أدخله كرها
 وستخرجين منه كرها فدخلت في يافوخه فوصلت إلى عينيه فجعل ينظر إلى سائر جسده طينا
 فصارت إلى أن وصلت منخره فعطس فلما بلغت لسانه قال الحمد لله رب العالمين وهي أول
 كلمة قالها فداده الله تعالى رحمتك ربك يا أبا محمد ولما خلقتك ولما بلغت الروح إلى الركبتين
 هم ليقوم فلم يقدر قال الله تعالى خلق الإنسان من عجل ، فلما بلغت إلى الساقين والتقدمين استوى
 قائما بشر أسويا لحما ودما وعظما وعروقا وعصبا وأجشاء وكسبي لباسا من ظفر يزداد جسده
 جمالا وحسنا كل يوم ، وجعل في جسده تسعة أبواب سبعة في رأسه وهي الأذنان يسمع بهما
 والعيان يبصر بهما والمنخران يشم بهما والشم فيه اللسان يتكلم به والأسنان يطحن بها ما يأكله
 ويجعل لثة المطحومات بها وبابين في أسفل جسده وهما القبل والذبر يخرج منهما ثقل طعامه وشرا به
 وجعل عقله في دماغه وفكره وصرامته في قلبه وشرا به في كليته وغضبه في كبده ورغبته في رثته وضحكه في
 طحال وفرجه وخرنه في وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف
 بهم وركب فيه الشهوة وججزه بالحياة (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خلق الله تعالى آدم
 عليه السلام وطوله ستون ذراعا ثم قال إذ ذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة فاستمع ما يخبرونك
 به فلما تخبرتك ونحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله وبركاته
 فقال من يدخل الجنة على صورة آدم قال فلم يزل الخلق يتقص حتى الآن (م) عن أنس قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صور الله آدم تركه ماشاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطوف
 به ينظر ما هو فلما رأى أجوف عرف أنه لايتالك عن أبي موسى قال سمعت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقول إن الله تبارك وتعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على
 قدر الأرض منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخيث والطيب

الأنبياء والأولياء
 والصلحاء وقيل إنى أعلم
 أن فيكم من يعصيني وهو
 إبليس وقيل إنى أعلم أنهم
 يذنبون وأنا أغفر لهم
 قرأ أهل الحجاز والبصرة
 إنى أعلم بفتح الياء وكذلك
 كل ياء إضافة استقبلها
 ألف مفتوحة إلا في
 مواضع معدودة وتتكون
 في بعض مواضع عند
 الألف المضمومة
 والمكسورة وعند غير
 الألف وبين القراء في
 تفسيره اختلاف

قوله (وعلم آدم الأسماء كلها) سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض وقيل لأنه كان آدم اللون وكنيته أبو محمد وأبو البشر فلما خلقه الله عز وجل علمه أسماء الأشياء، وذلك أن الملائكة قالوا لما قال الله تعالى «إني جاعل في الأرض خليفة» ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقا أكرم عليه منا وإن كان غيرنا أكرم عليه فنحن أعلم منه لأننا خلقنا قبله، ورأينا ما لم يره فأظهر الله تعالى فضله عليهم بالعلم وفيه دليل على أن الأنبياء أفضل من الملائكة. وإن كانوا رسلا كما ذهب إليه أهل السنة والجماعة قال ابن عباس ومجاهد وقتادة علمه اسم كل شيء حتى القصعة والتصبيعة. وقيل اسم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة. وقال الربيع بن أنس أسماء الملائكة وقيل أسماء ذريته. وقيل صنعة كل شيء قال أهل التأويل إن الله عز وجل علم آدم جميع اللغات ثم تكلم كل واحد من أولاده بلغة ففترقوا في البلاد واختص كل فرقة منهم بلغة (ثم عرضهم على الملائكة) (٤٧) إنما قال عرضهم ولم يقل: عرضها لأن

المسميات إذا جاءت من يعقل ومن لا يعقل يكفى عنها بلفظ من يعقل والإناث بلفظ الذكور وقال مقاتل: خلق الله كل شيء الحيوان والجماد ثم عرض تلك الشخص على الملائكة فالكتابة راجعة إلى الشخص فلذلك قال عرضهم (فقال أنبؤوني) أخبروني (بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) أي إني لم أعجزهم (لا أعلم لنا إلا ما علمتنا) أي إنك أجل من أن تحبش بشيء من علمك إلا ما علمتنا (إنك أنت العليم) أي بخفائك وهو من أسماء الصفات التامة وهو المحيط بكل المعلومات (الحكيم) أي في أمرك، وله معنيان أحدهما أنه القاضى العدل والثاني الحكم بالأمر كيلا يتطرق إليه الفساد (قال) يعنى الله تعالى (يا آدم أنبئهم بأسمائهم) وذلك لما ظهر عجز الملائكة فسمى كل شيء باسمه وذكر وجه الحكمة التي خلقها (فلما أنبأهم بأسمائهم قال) يعنى الله تعالى (ألم أقل لكم) يعنى يا ملائكتي (إني أعلم غيب السموات والأرض) يعنى ما كان وما سيكون وذلك أنه سبحانه وتعالى علم أحوال آدم قبل أن يخلقه فلهذا قال لهم: إني أعلم ما لا تعلمون (وأعلم ما تبديون) يعنى قول الملائكة: أن يجعل فيها (وما كنتم تكتمون) يعنى قولكم لن يخلق الله تعالى خلقا أكرم عليه منا وقال ابن عباس أعلم ما تبديون من الطاعة وما كنتم تكتمون، يعنى إبليس من المعصية. قوله عز وجل

أخبره الترمذى وأبو داود. قوله عز وجل (وعلم آدم الأسماء كلها) سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض. وقيل لأنه كان آدم اللون وكنيته أبو محمد وقيل أبو البشر ولما خلق الله آدم وتم خلقه علمه أسماء الأشياء كلها وذلك أن الملائكة قالوا ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقا أكرم علم منا وإن كان نحن أعلم منه لأننا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره، فأظهر الله فضل آدم عليهم بالعلم. وفيه دليل للذهب أهل السنة أن الأنبياء أفضل من الملائكة. وإن كانوا رسلا قال ابن عباس علمه اسم كل شيء حتى القصعة والتصبيعة وقيل خلق الله كل شيء من الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم آدم أسماءها كلها فقال يا آدم هذا يعير وهذا فرس وهذه شاة حتى أتى على آخرها. وقيل علم آدم أسماء الملائكة. وقيل أسماء ذريته. وقيل علمه اللغات كلها (ثم عرضهم) يعنى تلك الأشخاص، وإنما قال عرضهم ولم يقل عرضها لأن المسميات إذا جاءت من يعقل ومن لا يعقل عبر عنه بلفظ من يعقل لتغليب العقلاء عليهم كما يعبر عن الذكور والإناث بلفظ الذكور (على الملائكة فقال) يعنى تعجزوا هم (أنبؤوني) أي أخبروني (بأسماء هؤلاء) يعنى تلك الأشخاص (إن كنتم صادقين) أي إني لم أخلق خلقا إلا كنتم أفضل منه وأعلم (قالوا) يعنى الملائكة (سبحانك) تنزيها لك وذلك لما ظهر عجزهم (لا أعلم لنا إلا ما علمتنا) أي إنك أجل من أن تحبش بشيء من علمك إلا ما علمتنا (إنك أنت العليم) أي بخفائك وهو من أسماء الصفات التامة وهو المحيط بكل المعلومات (الحكيم) أي في أمرك، وله معنيان أحدهما أنه القاضى العدل والثاني الحكم بالأمر كيلا يتطرق إليه الفساد (قال) يعنى الله تعالى (يا آدم أنبئهم بأسمائهم) وذلك لما ظهر عجز الملائكة فسمى كل شيء باسمه وذكر وجه الحكمة التي خلقها (فلما أنبأهم بأسمائهم قال) يعنى الله تعالى (ألم أقل لكم) يعنى يا ملائكتي (إني أعلم غيب السموات والأرض) يعنى ما كان وما سيكون وذلك أنه سبحانه وتعالى علم أحوال آدم قبل أن يخلقه فلهذا قال لهم: إني أعلم ما لا تعلمون (وأعلم ما تبديون) يعنى قول الملائكة: أن يجعل فيها (وما كنتم تكتمون) يعنى قولكم لن يخلق الله تعالى خلقا أكرم عليه منا وقال ابن عباس أعلم ما تبديون من الطاعة وما كنتم تكتمون، يعنى إبليس من المعصية. قوله عز وجل

يحبط بشيء من علمك إلا ما علمتنا (إنك أنت العليم) بخفائك (الحكيم) في أمرك. والحكيم له معنيان: أحدهما الحاكم وهو القاضى العدل والثاني الحكم بالأمر كي لا يتطرق إليه الفساد. وأصل الحكمة في اللغة المنع فهي تمنع صاحبها من الباطل ومنه حكمة الدابة لأنها تمنعها من الاعوجاج، فلما ظهر عجزهم (قال) الله تعالى (يا آدم أنبئهم بأسمائهم) أخبرهم بأسمائهم فسمى آدم كل شيء وذكر الحكمة التي لأجلها خلق (فلما أنبأهم بأسمائهم قال) الله تعالى (ألم أقل لكم) يا ملائكتي (إني أعلم غيب السموات والأرض) ما كان منها وما يكون لأنه قد قال لهم: إني أعلم ما لا تعلمون. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وإني بفتح الياء وكذلك يفتحون كل ياء إضافة استقبلها ألف قطع مفتوحة إلا أحرفا معدودة، ويفتح نافع وعمرو عند الألف المكسورة أيضا إلا أحرفا معدودة، ويفتح نافع عند المضرومة إلا أحرفا معدودة والآخرون لا يفتحون إلا في أحرف معدودة (وأعلم ما تبديون) قال الحسن وقتادة يعنى قولهم وأنجعل فيها من يفسد فيها (وما كنتم تكتمون) قولكم: لن يخلق الله خلقا أكرم عليه منا.

قال ابن عباس هو أن إبليس مر على جسد آدم وهو ملقى بين مكة والطائف لاروح فيه فقال لأمر ما خلق هذا ثم دخل في فيه وخرج من دبره وقال إنه خلق لابن آسك لأنه أجوف ثم قال للملائكة الذين معه أرأيتم إن فصل هذا عليكم وأمرتم بطاعته ماذا تصنعون؟ قالوا نطيع أمر ربنا فقال إبليس في نفسه والله لن سلطت عليه لأهلكته ولن سلطت على لأعصيته فقال الله تعالى «وأعلم ما تبدون» يعني ما يبديه الملائكة من الطاعة وما كنتم تكفرون» يعني إبليس من المعصية. وقوله تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) قرأ أبو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء على جوار ألف اسجدوا وكذلك قرأ «قل رب احكم بالحق» بضم الباء، وضعفه النحاة جدا ونسوه إلى الغلط فيه واختلفوا في أن هذا الخطاب مع أي الملائكة فقال بعضهم مع الذين كانوا سكان الأرض، والأصح أنه مع جميع الملائكة. لقوله تعالى «فسجد للملائكة كلهم أجمعون» وقوله اسجدوا فيه قولان الأصح أن السجود كان لآدم على الحقيقة وتضمن معنى الطاعة لله عز وجل امتثال أمره، وكان ذلك سجود تعظيم وتحية، لا سجود عبادة كسجود إخوة يوسف له في قوله عز وجل «وخرؤا له سجدا» ولم يكن فيه (٤٨) وضع الوجه على الأرض إنما كان الخناء فلا جاء الإسلام أبطل ذلك

(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) قيل هذا الخطاب كان مع الملائكة الذين كانوا سكان الأرض والأصح أنه خطاب مع جميع الملائكة بدليل قوله «فسجد للملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس» (فسجدوا) يعني الملائكة وفي هذا السجود قولان أصحهما أنه كان لآدم على الحقيقة ولم يكن فيه موضع الجبهة على الأرض وإنما هو الانحناء وكان سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة كسجود إخوة يوسف له في قوله «وخرؤا له سجدا» فلما جاء الإسلام أبطل ذلك بالسلام. وفي سجود الملائكة لآدم معنى الطاعة لله تعالى والامتثال لأمره والقول الثاني أن آدم كان كالقبلة وكان السجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله تعالى وفي هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة في تفضيل الأنبياء على الملائكة (إلا إبليس) سمي به لأنه أبلس من رحمة الله أي يئس، وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحرث فلما عصى غير اسمه فسمى إبليس وغيرت صورته قال ابن عباس كان إبليس من الملائكة بدليل أنه استثناه منهم وقيل إنه من الجن لأنه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور ولأنه أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس والأول أصح لأن الخطاب كان مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استثناه منهم (أبي) أي امتنع من السجود فلم يسجد (واستكبر) أي تكبر وتعظم عن السجود لآدم (وكان من الكافرين) أي في علم الله تعالى فإنه وجبت له النار لسابق علم الله تعالى بشقاوته (م) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول ياويله وفي رواية ياويلناه أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار. قوله عز وجل (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) أي اتخذها مأوى ومنزلا وليس معناه الاستقرار لأنه لم يقل

بالسلام. وقيل معنى قوله اسجدوا لآدم أي إلى آدم فكان آدم قبلة والسجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله عز وجل (فسجدوا) يعني الملائكة (إلا إبليس) وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحرث فلما عصى غير اسمه وصورته فقيل إبليس، لأنه أبلس من رحمة الله تعالى أي يئس واختلفوا فيه فقال ابن عباس وأكثر المفسرين كان إبليس من الملائكة وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة لقوله تعالى «إلا إبليس

كان من الجن فقتل عن أمر ربه» فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس ولأنه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور ولأن له ذرية ولا ذرية للملائكة والأول أصح لأن خطاب السجود كان مع الملائكة وقوله «كان من الجن» أي من الملائكة الذين هم نخزة الجنة. وقال سعيد بن جبير من الذين يعملون في الجنة. وقال قوم من الملائكة الذين كانوا يصوغون حلي أهل الجنة وقيل إن فرقة من الملائكة خلقوا من النار سموها جنا لاستقرارهم عن الأعين، وإبليس كان منهم والدليل عليه قوله تعالى «وجعلوا بينه وبين الجنة نسيا» وهو قولهم الملائكة بنات الله. ولما أخرج الله من الملائكة جعل له ذرية. قوله (أبي) أي امتنع فلم يسجد (واستكبر) أي تكبر عن السجود لآدم (وكان) أي وصار (من الكافرين) وقال أكثر المفسرين وكان في سابق علم الله من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة. أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد التبراني أنا ابن الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الخنكادي، أنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد أنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي أنا جرير ووكيع وأبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول ياويله أمر ابن آدم بالسجود فأطاع فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار. قوله تعالى (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) وذلك

أن آدم لم يكن له في الجنة من يجالسها فنام نومة فخلق الله وجهه حواء من قصير أمشقه الأيسر وسميت حواء لأنها خلقت من حي خلقها الله عز وجل من غير أن أحسن به آدم ولا وجد له المألوف وجد الما لعطف رجل على امرأة قط فلما هب من نومه رآها جالسة عند رأسه كأحسن ما خلق الله فقال لها من أنت قالت زوجتك خلقتني الله لك تسكن إلى وأسكن إليك (وكلا منها رغدا) واسعا كثيرا (حيث شئتما) كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما (ولا تقربا هذه الشجرة) (٤٩) يعني بالأكل قال بعض العلماء

وقع النبي على جنس من الشجرة، وقال آخرون على شجرة مخصوصة واختلفوا في تلك الشجرة قال ابن عباس ومحمد بن كعب ومقاتل هي السبلة. وقال ابن مسعود هي شجرة العشب وقال ابن جريج شجرة التين وقال قتادة شجرة العلم وفيها من كل شيء. وقال على شجرة الكافور (فتكونا) فتصبرا (من الظالمين) أي الضارين بأنفسكما بالمعصية وأصل الظالم وضع الشيء في غير موضعه (فأزلهما) استزل (الشیطان) آدم وحواء أي دعاهما إلى الزلة وقرأ حمزة فآزلهما أي نحاهما الشيطان، فيعال من شطن أي بعد سمي به لبعده عن الخير وعن الرحمة (عنها) عن الجنة (فأخرجهما مما كانا فيه) من التميم وذلك أن

أسكنتك الجنة لأنه خلق لعمارة الأرض ولما أسكن الله آدم في الجنة بقي وجده ليس معه من يستأنس به ويجالسها فألقى الله عليه النوم ثم أخذ ضلعا من أضلاع جنبه الأيسر، وهو الأقصر فخلق منه زوجته حواء ووضع مكان الضلع لحما من غير أن يحس بذلك آدم ولم يبدأ الما ولو وجد الما لما عطف رجل على امرأة قط وسميت حواء لأنها خلقت من حي فلما استيقظ آدم من نومه وراها جالسة كأحسن ما خلق الله تعالى فقال لها من أنت؟ قالت أنا زوجتك حواء قال ولماذا خلقت؟ قالت لتسكن إلى وأسكن إليك. واختلفوا في الجنة التي أمر آدم بسكناها فقيل إنها جنة كانت في الأرض بدليل أنه لو كانت الجنة التي هي دار الجزاء والثواب لما أخرج منها. وأجاب صاحب هذا القول عن قوله تعالى: اهبطا بأن المراد من الهبوط التحول والانتقال فهو كقوله تعالى «اهبطوا مصر» والقول الصحيح أنها الجنة التي هي دار الجزاء والثواب لأن الألف واللام للعهد والجنة بين المسلمين وفي عرفهم التي هي دار الجزاء والثواب. وقيل كلا القولين ممكن فلا وجه للقطع (وكلا منهما رغدا) أي واسعا كثيرا (حيث شئتما) أي كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما والمقصود منه الإطلاق في الأكل من الجنة بلا منع إلا ما نهى عنه، وهو قوله تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة) يعني للأكل قيل إنما وقع هذه النبي عن جنس الشجرة. وقيل عن شجرة مخصوصة. قال ابن عباس هي السبلة وقيل الكرمة. وقيل هي شجرة التين. وقيل هي شجرة العلم. وقيل الكافور. وقيل ليس في ظاهر الكلام ما يدل على التبيين إذ لا حاجة إليه لأنه ليس المقصود تعريف عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصود لا يجب بيانه (فتكونا من الظالمين) يعني إن أكلنا من هذه الشجرة ظلمنا أنفسكما فن يجوز ارتكاب الذنوب على الأنبياء قال ظلم نفسه بالمعصية. وأصل الظالم وضع الشيء في غير موضعه ومن لم يجوز ذلك على الأنبياء حال الظالم على أنه فعل ما كان الأولى أن لا يفعل. وقيل يحمل على أنه فعل هذا قبل النبوة. فان قلت هل يجوز وصف الأنبياء بالظلم أو بظلم أنفسهم؟ قلت لا يجوز أن يطلق عليهم ذلك لما فيهم من الذم. قوله عز وجل (فأزلهما الشيطان) أي استزل آدم وحواء ودعاهما إلى الزلة وهي الخطيئة، وسيأتي الكلام إن شاء الله تعالى على عصمة الأنبياء والجواب عما صدر منهم عند قوله عز وجل «وعصى آدم ربه فغوى» في سورة طه (عنها) أي الجنة (فأخرجهما مما كانا فيه) يعني من التميم وذلك أن إبليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فتمعه الخزنة فألقى الحية وكانت صديقة لإبليس وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كتقوائم البعير وكانت من خز أن الجنة فسأها أن تدخل الجنة في فيها فأدخلته ومررت به على الخزنة وهم لا يعلمون. وقيل إنما رآهما على باب الجنة لأنهما كانا يخرجان منهما، وكان إبليس يقرب الباب فوسوس لهما وذلك أن

(٧ - خازن بالبعوى - أول)

فدعه الخزنة فألقى الحية وكانت صديقة لإبليس وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كتقوائم البعير وكانت من خز أن الجنة فسأها إبليس أن تدخل في فيها فأدخلته ومررت به على الخزنة وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة. وقال الحسن إنما رآهما على باب الجنة لأنهما كانا يخرجان منها وقد كان آدم حين دخل الجنة ورأى ما فيها من التميم قال: لو أن خلدا فاغتم ذلك منه الشيطان فأناه الشيطان من قبل الخلد فلما دخل الجنة وقف بين يدي آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه إبليس فبكي وناح نياحة أحزنتهما

وهو أول من ناح فقال له ما يبيحك قال أبكى عليكما ثموتان فنتصار فان ماأنتا فيه من النعمة فوقع ذلك في أنفسهما فاغتما ومضى إبليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال : يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد فأني أن يقبل منه وقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين فاغتما وما ظنا أن أحدا يخلف بالله كاذبا فبادرت حواء إلى أكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى أكلها . وكان سعيد بن المسيب يخلف بالله .
 ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى سكر فادته إليها فأكل قال إبراهيم بن آدم أورثتنا تلك الأكلة حزنا طويلا . قال ابن عباس (٥٠) وقتادة قال الله عز وجل لآدم : ألم يكن قبلا أجتك من الجنة مندوحة

عن الشجرة قال بل يارب وعزتك ولكن ماظننت أن أحدا يخلف بك كاذبا قال : فبعزتي لأهبطك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا نكدًا فأهبط من الجنة ، وكانا يأكلان فيها رغدا فعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع ثم سقى حتى إذا بلغ حصده ثم درس ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ ماشاء الله . قال سعيد بن جبیر عن ابن عباس إن آدم لما أكل من الشجرة التي نهى عنها قال الله عز وجل يا آدم ما حملك على ما صنعت ؟ قال يارب زينته لي حواء قال فإني أعقبها أن لا تحمل إلا كرها ولا تضع إلا كرها ودميتها في الشهر مرتين فرئت حواء عند ذلك فقيل عليك الرنة

آدم لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم قال لو أن خلدا فاغتم ذلك الشيطان منه وأناه من قبل الخلد . وقيل لما دخل الجنة وقفت على آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه إبليس فسكى وناح لباحة أحزنتهما وهو أول من ناح فقال ما يبيحك قال أبكى عليكما لأنكما تموتان فنتصار فان ماأنتا فيه من النعمة فوقع ذلك في أنفسهما واغتما ومضى إبليس ثم أتاهما بعد ذلك . وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد فأني أن يقبل منه وقاسمهما بالله إنى لكما لمن الناصحين فاغتما وما ظنا أن أحدا يخلف بالله كاذبا فبادرت حواء إلى أكل الشجرة ثم ناولت آدم فأكل منها . قال إبراهيم بن آدم أورثتنا تلك الأكلة حزنا طويلا . قال ابن عباس قال الله تعالى يا آدم ألم يكن قبلا أجتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بل يارب وعزتك ولكن ماظننت أن أحدا يخلف بك كاذبا قال فبعزتي لأهبطك إلى الأرض ثم لا تنال العيش فيها إلا نكدًا فأهبط من الجنة وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع وسقى حتى إذا بلغ واشتد حصده ثم درسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه وخبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه الجهد . وفي رواية أخرى عن ابن عباس إن آدم لما أكل من الشجرة التي نهى عنها قال الله تعالى يا آدم ما حملك على ما صنعت ؟ قال يارب زينته لي حواء قال فإني أعقبها أن لا تحمل إلا كرها ولا تضع إلا كرها ودميتها في الشهر مرتين فرئت حواء عند ذلك فقيل عليك الرنة والرفة الصوت فلما أكل من الشجرة تهاقت عنهما ثيابهما وأخرجها من الجنة فذلك قوله عز وجل (وقلنا اهبطوا) أي انزلوا إلى الأرض يعني آدم وحواء وإبليس والحية فهبط آدم بسر نديب من أرض الهند على جبل يقال له نود وأهبطت حواء بجدة وإبليس بالإبله من أعمال البصرة والحية بأصبهان (بعضكم لبعض عدو) يعني العداوة التي بين المؤمنين من ذرية آدم وبين إبليس وإليه الإشارة بقوله عز وجل « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » والعداوة التي بين ذرية آدم والحية . عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ترك الحيات محافة طلبهن فليس منا ما سألنا من منذ حاربناهن » أخرجه أبو داود . وله عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اقتلوا الحيات كلهن فمن خافت من ثارهن فليس مني » وفي رواية « اقتلوا الكبار كلها إلا الجمان الأبيض الذي كأنه قضيب فضة » (م) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن بالمدينة جنا قد أسلموا فإذا رأيتم منهم شيئا فأذنوه ثلاثه أيام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان » وفي رواية « إن بهذه البيوت حوامر فإذا رأيتم منها

شيتا

وعلى بناتك فلما أكل منها فتنت عنهما ثيابهما وبدت

سواتهما وأخرجها من الجنة فذلك قوله تعالى (وقلنا اهبطوا) انزلوا إلى الأرض يعني آدم وحواء وإبليس والحية فهبط آدم بسر نديب من أرض الهند على جبل يقال له نود وحواء بجدة وإبليس بالإبله والحية بأصبهان (بعضكم لبعض عدو) أراد العداوة التي بين ذرية آدم والحية وبين المؤمنين من ذرية آدم وبين إبليس ، قال الله تعالى « إن الشيطان لكما عدو مبين » . أنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسن بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصغار أنا أحمد بن محمد بن الصغار حدثنا منصور الرمادى أنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال لأعلمه إلا رفع الحديث أنه كان يأمر بقتل الحيات . وقال من

تركهن خشية أو مخافة ثائر فليس متا زاد موسى بن مسلم عن عكرمة في الحديث ما سألناهن منذ حاربناهن وروى أنه نهي عن ذوات البيوت، وروى عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أن بالمدينة جنا قد أسدوا، وكان رأيهم منهم شيئا فاذنوه ثلاثة أيام فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فأعانا جوشيطان، قوله تعالى (ولكم في الأرض مستقر) موضع قرار (ومتاع) باعثة ومستمتع (إلى حين) إلى انقضاء آجالكم (فتاى) والتلقى هو قبول عن فطنة وفهم. وقيل هو التعلم (آدم من ربه كلمات) قراءة العامة آدم برفع الميم وكلمات بخفض التاء، وقرأ ابن كثير آدم بالنصب كما مات برفع التاء (٥١) يعني جاءت الكلمات آدم من

ربه وكانت سبب توبته واختلّفوا في تلك الكلمات قال سعيد بن جبير ومجاهد والحسن هي قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي هي قوله: لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فب على إنك أنت التواب الرحيم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فاعف عني إنك أنت الغفور الرحيم، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فارجحني إنك أنت أرحم الراحمين. وقال عبيد بن عمير هي أن آدم قال يارب رأيت ما أنيت أشيئ ابتدعته من تلقاء نفسي أم شيء قدرته على شيء قبل أن تخلفني قال بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكما قدرته على فأغفر لي. وقيل أن الله تعالى أمر آدم بالحج وعماه أركانه فطاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة حمراء ثم صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم إنك تعلم سرى وعلايتي فأقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلى وتعلم ما في نفسي فأغفر لى ذنوبى فأوحى الله تعالى إليه يا آدم قد غفرت لك ذنوبك وقيل إن آدم لما أهبط إلى الأرض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله تعالى. وقيل هي ثلاثة أشياء: الحياء والدعاء والبكاء قال ابن عباس بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما. وقيل لو أن دموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع داود أكثر منها حيث أصاب الخطيئة ولو أن دموع داود ودموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله من الجنة (فتاب عليه) أى فتجاوز عنه وغفر له، وأصل التوبة من تاب يتوب إذا رجع فكأن التائب رجع عن ذلك الذنب الذى كان عليه، ولا تتحقق التوبة منه إلا بثلاثة أمور: علم وحال وعمل أما العلم فهو أن يعلم العبد ضرر الذنب وأنه حجاب عن الله تعالى فإذا حصل هذا العلم تألم القلب فعند ذلك يحصل الندم وهو الحال فيترك العبد الذنب، ويعزم في المستقبل أن لا يعود إليه وهو العمل فإذا تحققت هذه الثلاثة الأمور حصلت التوبة وسيأتى بسط هذا عند قوله تعالى «توبوا إلى الله توبة نصوحا» في سورة التحريم إن شاء الله تعالى (إنه هو التواب) أى الرجوع على عباده بقبول التوبة. والتواب في وصف الله سبحانه وتعالى: المبالغ في قبول توبة عباده (الرحيم) أى بخلقه وصف سبحانه وتعالى نفسه مع كونه توابا بأنه رحيم (قلنا اهبطوا منها جميعا) معنى هؤلاء الأربعة. وقيل إن الهبوط الأول من الجنة إلى سماء الدنيا والهبوط الثانى من السماء الدنيا إلى الأرض، وفيه ضعف لأنه قال في الهبوط الأول «ولكم في الأرض مستقر» فدل على أنه كان من الجنة إلى الأرض، والأصح أنه

شيئا فخرجوا عليه ثلاثا فان ذهب وإلا فاقتلوه فإنه كافر» (ولكم في الأرض مستقر) أى موضع قرار (ومتاع) أى باعثة ومستمتع (إلى حين) أى إلى وقت انقضاء آجالكم. قوله عز وجل (فتلقى آدم) أى فتلقى، والتلقى هو قبول عن فطنة وفهم. وقيل هو التعلم (من ربه كلمات) أى كانت سبب توبته. وقيل إن تلك الكلمات هي قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل هي لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فب على إنك أنت التواب الرحيم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فأغفر لى إنك أنت الغفور الرحيم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فأرحمني إنك أنت أرحم الراحمين. وقيل قال آدم يارب رأيت ما أنيت أشيئ ابتدعته من تلقاء نفسي أم شيء قدرته على شيء قبل أن تخلفني قال بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكما قدرته على فأغفر لى. وقيل أن الله تعالى أمر آدم بالحج وعماه أركانه فطاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة حمراء ثم صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم إنك تعلم سرى وعلايتي فأقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلى وتعلم ما في نفسي فأغفر لى ذنوبى فأوحى الله تعالى إليه يا آدم قد غفرت لك ذنوبك وقيل إن آدم لما أهبط إلى الأرض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله تعالى. وقيل هي ثلاثة أشياء: الحياء والدعاء والبكاء قال ابن عباس بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما. وقيل لو أن دموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع داود أكثر منها حيث أصاب الخطيئة ولو أن دموع داود ودموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله من الجنة (فتاب عليه) أى فتجاوز عنه وغفر له، وأصل التوبة من تاب يتوب إذا رجع فكأن التائب رجع عن ذلك الذنب الذى كان عليه، ولا تتحقق التوبة منه إلا بثلاثة أمور: علم وحال وعمل أما العلم فهو أن يعلم العبد ضرر الذنب وأنه حجاب عن الله تعالى فإذا حصل هذا العلم تألم القلب فعند ذلك يحصل الندم وهو الحال فيترك العبد الذنب، ويعزم في المستقبل أن لا يعود إليه وهو العمل فإذا تحققت هذه الثلاثة الأمور حصلت التوبة وسيأتى بسط هذا عند قوله تعالى «توبوا إلى الله توبة نصوحا» في سورة التحريم إن شاء الله تعالى (إنه هو التواب) أى الرجوع على عباده بقبول التوبة. والتواب في وصف الله سبحانه وتعالى: المبالغ في قبول توبة عباده (الرحيم) أى بخلقه وصف سبحانه وتعالى نفسه مع كونه توابا بأنه رحيم (قلنا اهبطوا منها جميعا) معنى هؤلاء الأربعة. وقيل إن الهبوط الأول من الجنة إلى سماء الدنيا والهبوط الثانى من السماء الدنيا إلى الأرض، وفيه ضعف لأنه قال في الهبوط الأول «ولكم في الأرض مستقر» فدل على أنه كان من الجنة إلى الأرض، والأصح أنه

قال ابن عباس بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما ولم يقرب آدم حواء مائة سنة، وروى المسعودي عن يونس بن خباب وعلقمة بن مرثد قالوا لو أن دموع جميع أهل الأرض جمعت لكانت دموع داود أكثر حيث أصاب الخطيئة ولو أن دموع داود ودموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله من الجنة قال شهر بن حوشب: بلغنى أن آدم لما أهبط إلى الأرض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى. قوله (فتاب عليه) فتجاوز عنه (أنه هو التواب) يقبل توبة عباده (الرحيم) بخلقه. قوله أنفال (قلنا اهبطوا منها جميعا) معنى هؤلاء الأربعة. وقيل الهبوط

الأول من الجنة إلى السماء الدنيا والمبوط الثاني من السماء الدنيا إلى الأرض (فأما بآبائكم) أي فان بآبائكم باذرية آدم (منى هدى) أي
 رشد وبيان شريعة وقيل كتاب ورسول (فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) قرأ يعقوب فلا خوف بالفتح في كل
 القرآن، والآخرون بالضم والتثنية فلا خوف عليهم فيما يستقبلهم ولا هم يحزنون على ما خافوا. وقيل لا خوف عليهم في الدنيا ولا
 هم يحزنون في الآخرة (والذين كفروا) جحدوا (وكذبوا بآياتنا) بالقرآن (أولئك أصحاب النار) يوم القيامة (هم فيها خالدون)
 لا يخرجون منها ولا يموتون فيها (٥٢) قوله تعالى (يا بني إسرائيل) يا أولاد يعقوب ومعنى إسرائيل عبد الله وإيل

هو الله تعالى . وقيل
 صفوة الله وقرأ أبو جعفر
 إسرائيل بغير همزة
 (اذكروا) احفظوا
 والذكر يكون بالقلب
 ويكون باللسان . وقيل
 أراد به الشكر وذكر
 بلفظ الذكر لأن في الشكر
 ذكرا وفي الكفران نسيانا
 قال الحسن ذكر النعمة
 شكرها (نعمتي) أي
 نعمى لفظها واحد
 ومعناها جمع كقوله تعالى
 ، وإن تعدوا نعمة الله
 لاتحصوها (التي أنعمت
 عليكم) أي على أجدادكم
 وأسلافكم قال قتادة : هي
 النعم التي خصت بها
 بنو إسرائيل فلق البحر
 وإجاثهم من فرعون
 بإفراقه وتقليل الغمام
 عليهم في التيه وإنزال المن
 والساوي وإنزال التوراة
 في نعم كثيرة لا تحصى .
 وقال غيره هي جميع
 النعم التي لله عز وجل على
 عباده (وأوفوا بعهدى)
 بامثال أمري (أوف

للتأكيد (فأما بآبائكم منى هدى) فيه تشبيه على عظم نعم الله على آدم وحواء كأنه قال وإن أمم بطنكم
 من الجنة إلى الأرض فقد أنعمت عليكم منى هدى التي تؤدبكم إلى الجنة مرة أخرى على الوام الذي
 لا ينقطع وقيل مخاطب هم ذرية آدم يعني باذرية آدم إما بآبائكم منى رشديان وشريعة وقيل كتاب
 ورسول (فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم) يعني فيما يستقبلهم (ولاهم يحزنون) أي على ما خافوا
 وقيل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة (والذين كفروا) أي جحدوا (وكذبوا بآياتنا) أي
 بالقرآن (أولئك أصحاب النار) أي يوم القيامة (هم فيها خالدون) أي لا يخرجون منها ولا يموتون
 فيها قوله عز وجل (يا بني إسرائيل) اتفق المفسرون على أن إسرائيل هو يعقوب بن إسحق بن
 إبراهيم صلى الله عليهم وسلم أجمعين ومعنى إسرائيل عبد الله وقيل صفوة الله والمعنى يا أولاد
 يعقوب (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) أي اشكروا نعمتي وإنما عبر عنه بالذكر لأن من
 ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحدتها فقد كفرها وقيل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان ووجد
 النعمة لأنها المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير ومعناه أن المصرة المحضة لان تكون نعمة
 ولو فعل الإنسان منفعة وقصد نفسه بها لاتسمى نعمة إذا لم يقصد بها الغير ثم إن النعم ثلاثة: نعمة
 تفرد بها الله تعالى وهي إيجاد الإنسان ورزقه ونعمة وصلت إلى الإنسان بواسطة الغير لكن الله
 مكنه من ذلك فالنعم بها في الحقيقة هو الله تعالى ونعمة حصلت للإنسان بسبب الطاعة وهي أيضا
 من الله تعالى فالنعم المطلق في الحقيقة لأن أصول النعم كلها منه . وأما النعم المختصة ببنى
 إسرائيل فكثيرة لأن قوله اذكروا نعمتي لفظها واحد ومعناها الجمع فمن النعم أن الله تعالى أتاهم
 من فرعون وقلق البحر لهم وأغرق فرعون وتظليلهم بالعمام وإنزال المن والساوي في التيه عليهم
 وإنزال التوراة ونعم غير هذه كثيرة . فان قلت إذا فسر النعمة بهذا فما كانت على المخاطبين بها بل
 كانت على آباؤهم فكيف تكون نعمة عليهم حتى يذكروها . قلت إنما ذكر المخاطبين بها لأن فخر
 الآباء فخر الأبناء ولأن الأبناء إذا تيقنوا أن الله قد أنعم على آباؤهم بهذه النعم فقد وجب عليهم
 ذكرها وشكرها . وقيل إن هذه النعم هي إدرالك المخاطبين بها من محمد صلى الله عليه وسلم وذكرها
 الإيمان به (وأوفوا بعهدى) أي امتثلوا أمري (أوف بعهدكم) أي بالقول والثواب وأصل للعهد
 حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال ومنه سمي الموثق الذي تلزم مراعاته عهدا . وقيل لواد بالعهد
 جميع ما أمر الله به من غير تخصيص ببعض التكليف دون بعض وقيل أراد به ما ذكر في سورة
 المائدة وهو قوله ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل ويعتدنا منهم اثني عشر نقيبا إلى قوله لا كفرن
 عنكم سيئاتكم فهذا قوله أوف بعهدكم . وقيل هو قوله وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعتنا فوقكم الطور
 خلعوا ما آتيناكم بقوة يعني شريعة التوراة . وقيل هو قوله وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لاتعبدون

بعهدكم) بالقول والوابة . قال قتادة ومجاهد أراد بهذا العهد ما ذكر في سورة المائدة . ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل إلا
 ويعتدنا منهم اثني عشر نقيبا . إلى أن قال لا كفرن عنكم سيئاتكم . فهذا قوله أوف بعهدكم . وقال الحسن هو قوله وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعتنا
 فوقكم الطور خلعوا ما آتيناكم بقوة فهو شريعة التوراة وقال مقاتل هو قوله وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لاتعبدون إلا الله . وقال
 الكلبي عهد الله إلى بني إسرائيل على لسان موسى إني يا مع من بني إسماعيل نبيا أميا فمن اتبعه وصدق بالنور الذي يأتي به
 غفرت له ذنبه وأدخلته الجنة وجعلت له أجرين اثنين ، وهو قوله وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس يعني أمر

محمد صلى الله عليه وسلم (وإياي فارهبون) فخافوني في نقض العهد . وأثبت يعقوب الياءات المخلوطة في الخط مثل فارهبون فاتقون واحشون ، والآخرون حذفونها على الخط (وآمنوا بما أنزلت) يعني القرآن (مصدقا لما معكم) أي موافقا لما معكم من التوراة في التوحيد والنبوة والأخبار ونعت النبي ﷺ نزلت في كعب بن الأشرف (٥٣) وأصحابه من علماء اليهود رؤسائهم

(ولا تكونوا أول
كافر به) أي بالقرآن
يريد من أهل الكتاب
لأن قريشا كفرت قبل
اليهود بمكة ، معناه ولا
تكونوا أول من كفر
بالقرآن فتابعكم اليهود
على ذلك فتبوعوا بآثامكم
وآثامهم (ولا تشتروا)
أي ولا تستبدلوا (بآياتي)
ببيان صفة محمد صلى
الله عليه وسلم (ثمنا قليلا)
أي عوضا يسيرا من الدنيا
وذلك أن رؤساء اليهود
وعلماءهم كانت لهم
مأكلة يصيبونها من
سفلتهم وجهانهم يأخذون
كل عام منهم شيئا معلوما
من زروعهم وضروعهم
ونقودهم فخافوا أنهم
إن بينوا صفة محمد
صلى الله عليه وسلم
وتابعوه أن تنوتهم تلك
لما كلفه فغيروا نعتهم وكتبوا
اسمه فاختاروا الدنيا على
الآخرة (وإياي فاتقون)
فاحشوني (ولا تلبسوا
الحق بالباطل) أي لا تخلطوا
يقال ليس الثوب يلبس

إلا الله . وقيل أراد بهذا العهد ما أنبأه في كتب الأنبياء المتقدمة من وصفت محمد صلى الله عليه وسلم وأنه مبعوث في آخر الزمان ، وذلك أن الله عهد إلى بني إسرائيل على لسان موسى عليه الصلاة والسلام أني باعث من بني إسماعيل نبيا آميا فمن تبعه وصدق النور الذي يأتي به غفرت له ذنبه وأدخلته الجنة وجعلت له أجرين اثنين ، وهو قوله : وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس يعني أمر محمد ﷺ وصفته (وإياي فارهبون) أي فخافوني في نقضكم العهد (وآمنوا بما أنزلت) يعني بالقرآن (مصدقا لما معكم) يعني أن القرآن موافق لما في التوراة من التوحيد والنبوة والأخبار ونعت النبي صلى الله عليه وسلم فالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن تصديق للتوراة لأن التوراة فيها الإشارة إلى نعت النبي صلى الله عليه وسلم وأنه نبي مبعوث فمن آمن به فقد آمن بما في التوراة ومن كذبه وكفر به فقد كذب التوراة وكفر بها (ولا تكونوا أول كافر به) الخطاب لليهود ، نزلت في كعب بن الأشرف ورؤساء اليهود ، والمعنى ولا تكونوا يامعشر اليهود أول من كفر به . فان قلت كيف جعلوا أول من كفر به وقد سبقهم إلى الكفر به مشركو العرب من أهل مكة وغيرهم . قلت هذا تعريض لهم والمعنى كان يجب أن تكونوا أول من آمن به لأنكم تعرفون صفة نعتهم بخلاف غيركم وكنتم تستفتحون به على الكفار فلما بعث كان أمر اليهود بالعكس . وقيل معناه ولا تكونوا أول كافر به من اليهود فينتعكم غيركم على ذلك فتبوعوا بآثامكم وإثم غيركم ممن تبعكم على ذلك (ولا تشتروا) أي ولا تستبدلوا (بآياتي) أي ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي في التوراة (ثمنا قليلا) أي عوضا يسيرا من الدنيا لأن الدنيا بالنسبة إلى الآخرة كالشئ اليسير الخفيف الذي لا قيمة له والذي كانوا يأخذونه من الدنيا كالشئ اليسير بالنسبة إلى جميعها فهو قليل القليل فلهذا قال الله تعالى : ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا . وذلك أن كعب بن الأشرف ورؤساء اليهود وعلماءهم كانوا يصيبون المأكلة من سفلتهم وجهانهم وكانوا يأخذون منهم في كل سنة شيئا معلوما من زروعهم وثمارهم ونقودهم وضروعهم فخافوا أن بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه أن تنوتهم تلك المأكلة فغيروا نعتهم وكتبوا اسمه واختاروا الدنيا على الآخرة وأصروا على الكفر (وإياي فاتقون) أي فخافوني في أمر محمد صلى الله عليه وسلم . والتقوى قرب من معنى الرهبة والفرق بينهما أن الرهبة خوف مع حزن واضطراب والتقوى جعل النفس في وقاية مما تخاف . قوله عز وجل (ولا تلبسوا الحق بالباطل) أي ولا تكتسبوا في التوراة ما ليس فيها فيختلط الحق المزول بالباطل الذي كتمتم . وقيل معناه ولا تخلطوا الحق الذي أنزل عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة الباطل الذي تكتبونه بآياتكم من تغيير صفة نعتهم وقيل لا تخلطوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي الحق بالباطل أي بصفة الدجال وذلك أنه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده اليهود وقالوا ليس هو الذي ننتظره وإنما هو المسيح ابن داود يعني الدجال وكتبوا فيها قالوا (وتكتبوا الحق وأنتم تعلمون) يعني أن محمدا صلى الله

ليس وليس عليه الأمر يابس لبسا أي خلط ، يقال لا تخلطوا الحق الذي أنزل عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم بالباطل الذي تكتبونه بآياتكم من تغيير صفة محمد ﷺ والآخرون على أنه أراد لا تلبسوا الإسلام باليهودية والنصرانية وقال مقاتل إن اليهود أقروا ببعض صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتبوا بعضا ليصدقوا في ذلك فقالوا ولا تلبسوا الحق الذي تغيرون بالباطل يعني بما تكتبونه فالحق يباينهم والباطل كتمانهم (وتكتبوا الحق) أي لا تكتبوه ، ويهني نعت محمد صلى الله عليه وسلم (وأنتم تعلمون)

أنه نبي مرسل (وأقيدوا الصلوة) يعني الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها (وآتوا الزكاة) أدوا زكاة أموالكم المفروضة فهى مأخوذة من زكاة الزرع إذا نما وكثر . وقيل من زكى أي تطهر وكلا المعنيين موجودان فى الزكاة لأن فيها تطهيرا وتسمية للمال (واركعوا مع الراكعين) أي صلوا (٥٤) مع المصلين محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وذكر بلنظ الركوع لأن

الركوع ركن من أركان الصلاة ولأن صلاة اليهود لم يكن فيها ركوع وكانه قال : صلوا صلاة ذات ركوع . قيل وإعادته بعد قوله : وأقيدوا الصلاة فإذا أى صلوا مع الذين فى صلواتهم ركوع فالأول مطلق فى حق الكل وهذا فى حق أقوام مخصوصين وقيل هذا حث على إقامة الصلاة جماعة كأنه قال ثم : صلوا مع المصلين الذين سبقوكم بالإيمان (أتأمرون الناس بالبر) أى بالطاعة نزلت فى علماء اليهود وذلك أن الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه إذا سأله عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم أثبت على دينه فإن أمره حق وقوله صدق وقيل إن جماعة من اليهود قالوا لمشركى العرب : إن رسولا سيظهر منكم ويدعوكم إلى الحق وكانوا يرغبونهم فى اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كفروا به فبكتهم الله وبخهم بذلك حيث إنهم كانوا يأمرون الناس باتباعه قيل ظهوره فلما ظهر تركوه وأعرضوا عنه . وقيل كانوا يأمرون الناس بالصلاة والزكاة وأنواع البر ولا يفعلونه فوبخهم الله بذلك (وتلونون أنفسكم) أى وتعبدون عما لها فيه نفع والتسبيح عبارة عن السهو الحادث بعد حصول العلم والمعنى أتتركون أنفسكم ولا تتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم (وأنتم تتلون الكتاب) يعنى تقرءون التوراة وتدرسونها وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وفيها أيضا الحث على الأفعال الحسنة والإعراض عن الأفعال القبيحة (أفلا تعقلون) يعنى أنه حق فتتبعونه . والعقل قوة بهى قبول العلم ويقال للعلم الذى يستمده الإنسان بتلك القوة عقل ومنه قول على بن أبى طالب .

وإن العقل عقلان فطبيع ومسوع
ولا ينفع مطبوع إذا لم يك مسوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

وأصل العقل الإمساك لأنه مأخوذ من عقال الدابة كعقل البعير بالعقل يمنعه من الشرود فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود والأفعال القبيحة . ومعنى الآية أن المقصود من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو إرشاد الغير إلى تحصیل المصلحة وتحذيره عما يوقعه فى المفسدة والإحسان إلى النفس أولى من الإحسان إلى الغير وذلك لأن الإنسان إذا وعظ غيره ولم يتعظ هو فكأنه أتى بفعل متناقض لا يقبله العقل فلعلنا قال أفلا تعقلون وقيل إن من وعظ الناس يجتهد

أن

(وأنتم تتلون الكتاب) أنقرءون التوراة فيها نعته وصفته

(أفلا تعقلون) أنه حق فتتبعونه والعقل مأخوذ من عقال الدابة وهو ما يشد به ركة البعير فيمنعه عن الشرود فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود . أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى . أنا أبو عمرو بكر بن محمد المزنى أنا أبو بكر محمد بن عبد الله حفيد العباس بن حمزة أنا الحسين بن الفضل البجلي أنا عفان أنا حماد بن سلمة أنا على بن زيد عن أنس بن مالك : أن

رسول الله ﷺ قال « رأيت ليلة أسري في رجالا تقترض شفاهم عقاربض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا علي بن عبد الله أنا سفيان الأعمش عن أبي واثل (٥٥) قال قال أسامة سمعت رسول الله

ﷺ يقول جاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : أي فلان ما شأنك اليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتية وأناكم عن المنكر وآتية » وقال شعبة عن الأعمش « فيطحن بها كما يطحن الحمار برحاه » (واستعينوا) على ما يستقبلكم من أنواع البلاء . وقيل على طلب الآخرة (بالصبر والصلاة) على تحييض نحو الذنوب أراد حبس النفس عن المعاصي ، وقيل أراد بالصبر الصبر على أداء الفرائض وقال مجاهد الصبر الصوم ، ومنه سمى شهر رمضان شهر الصبر وذلك لأن الصوم يزهد في الدنيا والصلاة ترغبه في الآخرة . وقيل النواو تعني على أي واستعينوا بالصبر على الصلاة كما

أن ينفذ موعظته إلى القلوب فإذا خالف قوله فعله كان ذلك سبب تشفير القلوب عن قبول موعظته (ق) عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه فيدور كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك لم تكن تأمر الناس بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بل كنت آمر بالمعروف ولا آتية وأنهي عن المنكر وآتية » قوله فتندلق ، أي تخرج أفتاب بطنه أي أمعاء بطنه واحداها قلب وروى البغوي بسنده عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « رأيت ليلة أسري في رجالا تقترض شفاهم عقاربض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون قيل مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه . وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ، ومن وعظ بفعله نفذت سهامه ، وقال بعضهم :

أبدأ بنفسك فانها عن غيبها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يسمع ما تقول ويقتدى بالقول منك وينضج التعليم

قوله عز وجل (واستعينوا بالصبر والصلاة) قبل إن الخطابين بهذاهم المؤمنون لأن من ينكر الصلاة والصبر على دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يقال له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم وجب صرفه إلى من صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وآمن به . وقيل يجتم على أن يكون الخطاب لبني إسرائيل لأن صرف الخطاب إلى غيرهم يوجب تفكيك نظم القرآن ولأن اليهود لم ينكروا أصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم غير صلاة المؤمنين ، فعلى هذا القول أن الله تعالى لما أمرهم بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام شريعته وترك الرياسة وحب الجاه والمال قال لهم استعينوا بالصبر أي بحبس النفس عن اللذات وإن ضمتهم إلى ذلك الصلاة فإن ذلك الصلاة ترك ما أنتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال ، وعلى القول الأول يكون معنى الآية واستعينوا على حوائجكم إلى الله . وقيل على ما يشغلكم من أنواع البلاء . وقيل على طلب الآخرة بالصبر وهو حبس النفس عن اللذات وترك المعاصي . وقيل بالصبر على أداء الفرائض . وقيل الصبر هو الصوم لأن فيه حبس النفس عن المنغرات وعن سائر اللذات وفيه انكسار النفس والصلاة ، أي أجمعوا بين الصبر والصلاة وقيل معناه واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى ما يجب فيها من تصحيح النية وإحضار القلب ومراعاة الأركان والآداب مع الخشوع والخشية فإن من اشتغل بالصلاة ترك ما سواها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ، أي إذا أمره أمر لجأ إلى الصلاة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه نعى لـ أخوه قثم وهو في سفره فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فصلى ركعتين أطال فيهما السجود ثم قام إلى راحلته وهو يقول فاستعينوا بالصبر والصلاة (ولانها)

قال الله تعالى « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها » (ولانها) ولم يقل وإنما « ارد الكناية إلى كل واحد منهما أي وإن كل خصلة منهما كما قال « كلنا الجنين آتت أكلها » أي أكل كل واحد منهما . وقيل معناه واستعينوا بالصبر وإنه لكبير وبالصلاة وإنها لكبيرة فحذف أحدهما اختصارا . وقال المورج رد الكناية إلى الصلاة لأنها أعم كقوله تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها » رد الكناية إلى الفضة لأنها أعم . وقيل رد الكناية إلى الصلاة لأن الصبر داخل فيها كما قال الله تعالى « والله ورسوله

أحق أن يرصوه ، ولم يقل برصوه لأن رضى الرسول داخل في رضى الله عز وجل وقال الحسين بن الفضل رد الكتابة إلى الاستعانة (لكبيرة) أى ثقيلة (إلا على الخاشعين) يعنى المؤمنين . وقال الحسن الخائفي . وقيل المطيعين وقال مقاتل بن حيان المتواضعين . وأصل الخشوع السكون . قال الله تعالى : ونخשת الأصوات للرحمن ، فالخاشع ساكن إلى طاعة الله تعالى (الذين يظنون) يستيقنون بالظن (٥٦) من الأضداد يكون شكاً ويقيناً ، كالرجاء يكون أمناً وخوفاً

يعنى الصلاة وقبل الاستعانة (لكبيرة) أى ثقيلة (إلا على الخاشعين) يعنى المؤمنين وقيل الخائفين : وقيل المطيعين المتواضعين لله وأصل الخشوع السكون فالخاشع ساكن إلى الطاعة وقيل الخشوع الضراعة وأكثر ما تستعمل في الجوارح وإنما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين لأن من لا يرجو لها ثواباً ولا يخاف على تركها عقاباً فهى ثقيلة عليه . وأما الخاشع الذى يرجو لها ثواباً وخاف على تركها عقاباً فهى سهلة عليه (الذين يظنون) أى يستيقنون وقيل يعلمون وأنهم ملاقوا ربهم) يعنى في الآخرة وفيه دليل على ثبوت رؤية الله تعالى في الآخرة (وأنهم إليه راجعون) يعنى بعدت فيجزئهم بأعمالهم . قوله عز وجل (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) إنما أعاد هذا الكلام مرة أخرى توكيداً للمحجة عليهم وتحذيراً من ترك إتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وأنى فضاتكم على العالمين) يعنى على عالمي زمانكم وهذا التفضيل وإن كان في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف للأبناء (واتقوا يوماً) أى واخشوا عذاب يوم (لا تجزى) أى لا تنقضى (نفس عن نفس شيئاً) يعنى حقاً لزمها . وقيل معناه لا تنوب نفس عن نفس يوم القيامة ولا ترد عنها شيئاً مما أصابها ، بل يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه (ولا تقبل منها شفاعة) أى في ذلك اليوم والمعنى لا تقبل الشفاعة إذا كانت النفس كافرة وذلك أن اليهود قالوا يشفع لنا آبأؤنا فرد الله عليهم ذلك بقوله ولا تقبل منها شفاعة وقيل إن طاعة المطيع لا تنقضى عن العاصي ما كان واجبا عليه وقيل معناه أن النفس الكافرة لو جاءت بشفيع لا يقبل منها (ولا يؤخذ منها عدل) أى فدية وهو مماثلة الشيء بالشيء (ولاهم ينصرون) أى لا يمتنعون من العذاب . قوله عز وجل (وإذ نجيناكم) أى واذكروا إذ خلاصنا أسلافكم وأجدادكم فاعتدتها نعمتة ممنة عليهم لأنهم نجوا بنجاة أسلافهم (من آل فرعون) أى من أتباعه وأهل دينه وفرعون اسم علم لمن كان يملك مصر من القبط والعماليق وفرعون هذا كان اسمه الوليد بن مصعب بن الريان وعمر أكثر من أربع مائة سنة (يسومونكم) أى يكافونكم ويذيقونكم (سوء العذاب) أى أشد العذاب وأسوأه وقيل يصرفونكم في العذاب مرة كذا ومرة كذا وذلك أن فرعون جعل بني إسرائيل خلعاً وحولاً وصنفتهم في الأعمال أصنافاً صنفت بينون ويزرعون وصنفت يخدمونه ومن لم يكن في عمل وضع عليه الجزية وقال ابن وهب كانوا أصنافاً في أعمال فرعون فلو والثوة يسألون السوارى من الجبال حتى تفرعت أيديهم وأعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها وصنفت ينقلون الحجارة والطين بينون له القصور وطائفة يضربون اللبن ويطحون الآجر وطائفة نجارون وحدادون والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج يعنى الجزية ضريبة يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل أن يؤدى ضريبته غلبت يدها إلى عنقه شهراً والنساء يغزلن الكتان وينسجهن

(أنهم ملاقوا) معانين (ربهم) في الآخرة وهو رؤية الله تعالى . وقيل المراد من اللقاء الصيرورة إليه (وأنهم إليه راجعون) فيجزئهم بأعمالهم (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضاتكم على العالمين) أى على زمانكم وذلك التفضيل وإن كان في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف في حق الأبناء (واتقوا يوماً) واخشوا عذاب يوم (لا تجزى نفس) عن نفس شيئاً (أى جفا لزمها) وقيل لا تنقضى ، وقيل لا تنكف شيئاً من الشدائد (ولا تقبل منها شفاعة) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالتاء لتأنيث الشفاعة ، وقرأ الباقون بالياء لأن الشفيع والشفاعة معنى واحد كالوعظ والموعظة فالنذكير على المعنى والتأنيث على اللفظ كقوله تعالى قد جاءكم موعظة من ربكم وقال

وقيل

في موضع آخر فمن جاءه موعظة من ربه ، أى لا تقبل منها شفاعة إذا كانت

كافرة (ولا يؤخذ منها عدل) أى فداء وسمي به لأنه مثل المعدى العدل والعدل المثل (ولاهم ينصرون) يمتنعون من عذاب الله (وإذ نجيناكم) أى أسلافكم وأجدادكم فاعتدتها ممنة عليهم لأنهم نجوا بنجاتهم (من آل فرعون) أتباعه وأهل دينه . أو فرعون هو الوليد بن مصعب بن الريان ، وكان من القبط والعماليق وعمر أكثر من أربعة مائة سنة (يسومونكم) يكلفونكم ويذيقونكم (سوء العذاب)

أشد العذاب وأسوأ وقيل بصر فؤدكم في العذاب مرة هكذا ومرة هكذا كالإبل السائمة في البرية. وذلك أن فرعون جعل بني إسرائيل
خدما وخولا وصنعتهم في الأعمال فصنفت بينون وصنفت بحراون وبزرعون وصنفت يخدمونه ومن لم يكن منهم في عمل وضع عليه
الجزية. قال وهب كانوا أصنافا في أعمال فرعون فذوو القوة ينحتون السوارى من الجبال حتى قرحت أعناقهم ودرت ظهورهم
من قطعها ونقلها وطائفة يتقلون الحجارة وطائفة يبثون له القصور وطائفة منهم يضربون اللبن ويطبخون الآجر وطائفة تجارون
وحدادون والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج ضريبة يؤديونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل أن يؤدي ضربيته غلت بمينه إلى
عنته شهرا والقساء يغزلن الكتان وينسجن وقيل تفسير قوله يسومونكم سوء العذاب ما بعده وهو قوله تعالى (يذبحون أبناءكم)
فهو مذكور على وجه البذل من قوله يسومونكم سوء العذاب (ويستحيون نساءكم) (٥٧) يتركونهن أحياء وذلك

أن فرعون رأى في منامه
كان نارا أقبلت من بيت
المقدس وأحاطت بمصر
وأحرقت كل قبلي فيها
ولم يتعرض لبني إسرائيل
فهاه ذلك وسأل الكهنة
عن رؤياه فقالوا يولد
ولد في بني إسرائيل غلام
يكون على يده هلاكك
وزوال ملكك فأمر
فرعون يقتل كل غلام
يولد في بني إسرائيل
وجمع القوابل فقال هن
لا يسقط على أيديكن
غلام من بني إسرائيل
لا تقتل ولا جارية إلا
زكيت ووكل بالقوابل
فكن يفعلن ذلك حتى
قيل إنه قتل في طلب
موسى عليه السلام اثني
عشر ألف صبي وقال
وهب بلغني أنه ذبح
في طلب موسى عليه السلام
تسعين ألف ولیدتم أسرع

وقيل تفسير يسومونكم سوء العذاب ما بعده وهو قوله عز وجل (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) أي يتركونهن أحياء. وذلك أن فرعون رأى في منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبلي بها ولم يتعرض لبني إسرائيل فهاه ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد غلام يكون على يديه هلاكك وزوال ملكك فأمر فرعون يقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قتل في طلب موسى اثني عشر ألفا وقيل سبعين ألفا وأسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل فدخّل رؤساء القبط على فرعون وقالوا إن الموت قد وقع ببني إسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبح فيها وولد موسى في السنة التي يذبح فيها (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) أي اختيار وامتحان، والبلاء يطلق على النعمة العظيمة وعلى الخنة الشديدة ليختبر الله العبد على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر فإن حمل قوله «وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم» على صنع فرعون كان من البلاء والخنة وإن حمل على الإنجاء كان من النعمة. قوله عز وجل (وإذ فرقنا بكم البحر) أي فصلنا بعضه من بعض وجعلنا فيه مسالك بسبب دخولكم البحر وسمى بحرا لاتساعه.

(ذكر سياق القصة)

وذلك أنه لما دنا هلاك فرعون أمر الله موسى عليه الصلاة والسلام أن يسري ببني إسرائيل من مصر بالليل فأمر موسى قومه أن يسر جوا في بيوتهم السرج إلى الصبح وأن يستعيروا حلي القبط ليتبقي لهم أوليتبوعهم لأجل الماء وأخرج الله كل ولدنا كان في القبط من بني إسرائيل إلى بني إسرائيل وكل ولدنا كان في بني إسرائيل من القبط إلى القبط حتى يرجع كل ولد إلى أبيه وألقى الله الموت على القبط فمات كل بكر لهم فاشتغلوا بدفنههم وقيل بلغ ذلك فرعون فتان لا أخرج في طلبهم حتى يصيبح الديك فما صاح تلك الليلة ديك وخرج موسى في بني إسرائيل وهم ستائة ألف وعشرون ألفا لا يعدون ابن عشرين سنة لصفوه ولا ابن ستين سنة لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين إنسانا مابين رجل وامرأة فلما أرادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى

(٨ - خازن بالبعوي - أول)

الموت في مشيخة بني إسرائيل فدخّل رموس القبط على فرعون وقالوا إن الموت قد وقع في بني إسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) قيل البلاء الخنة أي في صومهم إياكم سوء العذاب محنة عظيمة وقيل البلاء النعمة أي في إنجائهم إياكم منهم نعمة عظيمة فالبلاء يكون بمعنى النعمة وبمعنى الشدة فإنه تعالى قد يختبر على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر قال الله تعالى «ونبلوكم بالشر والخير فتنة» (وإذ فرقنا بكم الأرض) قيل معناه فرقنا لكم وقيل فرقنا البحر بدخولكم إياه وسمى البحر بحرا لاتساعه ومنه قيل للفرس بحر إذا اتسع في جريه وذلك أنه لما دنا هلاك فرعون أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يسير ببني إسرائيل من مصر ليلا فأمر موسى قومه أن يسر جوا في بيوتهم إلى الصبح

وأخرج الله تعالى كل ولد زنا في القبط من بني إسرائيل إليهم وكل ولد زنا في بني إسرائيل من القبط إلى القبط حتى رجع كل إلى أبيه وأتى الله الموت على القبط فمات كل بكر لهم فاشتغلوا بدفنه حتى أصبحوا حتى طلعت الشمس وأخرج موسى عليه السلام في سبائة ألف وعشرين مقاتل لا يعدون ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يشوب اثنين وسبعين إنسانا ما بين رجل وامرأة وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان أصحاب موسى سبائة ألف وسبعين ألفا وعن عمرو بن ميمون قال كانوا سبائة ألف فلما أرادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبوا فدعا موسى مشيخة بني إسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا إن يوسف عليه السلام لما حضره الموت أخذ على إخوته عهدا أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك اتسدت علينا الطريق فسألهم عن (٥٨) موضع قبره فلم يعلموا فقام موسى ينادي أنشد الله كل من يعلم أين موضع

مشيخة بني إسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا إن يوسف لما حضره الموت أخذ على إخوته عهدا أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك اتسدت علينا الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقال موسى ينادي أنشد الله كل من يعلم أين قبر يوسف إلا أخبرني به ومن لم يعلم سمع قولي فكان يمر بالرجل وهو ينادي فلا يسمع صوته حتى سمعته عجوز منهم فقالت له أرايتك إن دلتك على قبره أتعطيني كل ما أسألك فأني عليها وقال حتى أسأل ربي فأمره أن يعطيها سؤالها فقالت إني عجوز لا أستطيع المشي فأحملني معك وأخرجني من مصر هذا في الدنيا وأما في الآخرة فأسألك أن لا تنزل غرفة من غرف الجنة إلا نزلتها معك قال نعم قالت إنه في النيل في جوف الماء فدع الله أن يحسر عنه الماء فدعا الله فحسر عنه الماء ودعا الله أن يؤخر عنه طلوع الفجر حتى يفرغ من أمر يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام فعند ذلك فتح لهم الطريق فسار موسى ببني إسرائيل هو في ساقهم وهرون في مقدمتهم ثم خرج فرعون في طلبهم في ألف وسبعين ألفا وكان فيهم سبعون ألفا من دهم الخيل سوى سائر الشيات وقيل كان معهم مائة ألف حصان أدهم وكان فرعون في الدهم وكان على مقدمة عسكر هامان وكان فرعون في سبعة آلاف وكان بين يديه مائة ألف ناشب ومائة ألف حراب ومائة ألف معهم الأعمدة وسار بنو إسرائيل حتى وصلوا البحر والماء في غاية الزيادة ونظروا حين أشرقت الشمس فإذا هم بفرعون في جنوده فيبتوا متحيرين وقالوا يا موسى أين ما وعدتنا به فكيف تصنع هذا فرعون خلفنا إن أدركنا قتلنا والبحر أمامنا إن دخلناه غرقنا ، فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطلعه فأوحى الله إليه أن كنه فضربه وقال انفلق يا أيها جالد فانفلق فمكنا كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط منهم طريق وارقع الماء بين كل طريقين كالجلج وأرسل الله الريح والشمس على قهر البحر حتى صار يبسا وخاضت بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق عن جوانبهم الماء كالجبال الضخمة لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط منهم قد هلك إخواننا فأوحى الله إلى جبال الماء أن تشبكي فصار الماء كالشباك يرى

قبر يوسف عليه السلام إلا أخبرني به ومن لم يعلم به فهمت أذناه عن قولي وكان يمر بين الرجلين ينادي ولا يسمعان صوته حتى سمعته عجوز لهم فقالت أرايتك إن دلتك على قبره أتعطيني كل ما أسألك فأني عليها وقال حتى أسأل ربي فأمره الله تعالى بإيثارها سؤالها فقالت إني عجوز كبيرة لا أستطيع المشي فأحملني وأخرجني من مصر هذا في الدنيا وأما في الآخرة فأسألك أن لا تنزل غرفة من الجنة إلا نزلتها معك قال نعم قالت إنه في جوف الماء في النيل فدع الله حتى يحسر عنه الماء فدعا الله تعالى فحسر عنه الماء ودعا أن يؤخر طلوع الفجر إلى أن يفرغ

من أمر يوسف عليه السلام فحضر موسى عليه السلام ذلك الموضع واستخرجه في صندوق من مرمر وحمله بعضهم حتى دفنه بالشام ففتح لهم الطريق فساروا وموسى عليه السلام على ساقهم وهارون على مقدمتهم ونذرهم فرعون فجمع قومه وأمرهم أن لا يخرجوا في طلب بني إسرائيل حتى يصيح الديك فوالله ما صاح الديك تلك الليلة فخرج فرعون في طلب بني إسرائيل وعلى مقدمة عسكره هامان في ألف ألف وسبعين ألفا وكان فيهم سبعون ألفا من دهم الخيل سوى سائر الشيات وقال محمد بن كعب رضي الله عنه كان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم سوى سائر الشيات وكان فرعون في الدهم وقيل كان فرعون في سبعة آلاف وكان بين يديه مائة ألف ناشب ومائة ألف أصحاب حراب ومائة ألف أصحاب الأعمدة فصارت بنو إسرائيل حتى وصلوا إلى البحر أو الماء في غاية الزيادة ونظروا فإذا هم بفرعون حين أشرقت الشمس فيبتوا متحيرين

فقالوا يا موسى كيف نصنع وأين ما وعدتنا هذا فرعون خلسنا إن أدركنا قتلنا والبحر أمامنا إن دخلناه غرقنا قال الله تعالى فلهذا
 نراعى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال موسى كلا إن معي ربي سيهدين فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر
 فضره فلم يطفئه فأوحى الله إليه أن كنه فضره وقال انقل يا أبا خالد بإذن الله تعالى فانقل فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر
 فيه لنا عشر طريقا لكل سبط طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وأرسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صار
 يبسا فخاضت بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق وعن جانبيهم الماء كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال
 كل سبط قد قتل إخواننا فأوحى الله تعالى إلى جبال الماء أن تشبكي فصار الماء شبكات كالطبقات يرى بعضهم بعضا ويسمع
 بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فلذلك قوله تعالى وإذا فرقنا بك البحر (٥٩) (فأخبيناكم) من آل فرعون والفرق

بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فلذلك قوله تعالى « وإذا فرقنا

بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فلذلك قوله تعالى « وإذا فرقنا
 بك البحر (فأخبيناكم) يعني من فرعون (وأغرقنا آل فرعون) . وذلك أن فرعون لما وصل إلى
 البحر فرآه مغلقا قال لقومه انظروا إلى البحر كيف انقل من ههنا حتى أدرك عبيدي الذين
 أبقوا مني ادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوا وقيل قالوا له إن كنت ربا فادخل البحر كما دخل
 موسى وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن في خيل فرعون فرس أنى فجاء جبريل عليه السلام
 على فرس أنى ودينق فتقدمه وخاض البحر فلما شم أدهم فرعون ربحها اقتحم البحر في أرضها ولم
 يملك فرعون من أمره شيئا واقتحمت الحياض خلفه في البحر وجاء ميكائيل خلفهم يسوقهم وهو
 على فرس ويقول الحقوا بأصحابكم حتى صاروا كلهم في البحر وخرج جبريل من البحر وهم
 أوهم بالخروج فأمر الله البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم وأغرقهم أجمعين وكان بين طرفي
 البحر أربع فراسخ وهو بحر التلزم وهو على طرف من بحر فارس وقيل هو بحر من وراء مصر
 يقال له إساف وكان إغراق آل فرعون بمرأى من بني إسرائيل فلذلك قوله (وأنتم تنظرون)
 يعني إلى هلاكهم وقيل إلى مصارعهم وقيل إن البحر قد فهم حتى نظروا إليهم ووافق ذلك
 يوم عاشوراء فصام موسى عليه السلام ذلك اليوم شكراً لله تعالى . قوله عز وجل (وإذا وعدنا)
 من المواعدة وهو من الله الأمر ومن موسى القبول وذلك أن الله وعده بمجيء الميقات (موسى)
 اسم عبري معرب فموسى بالعبرية الماء والشجر سمي موسى لأنه أخذ من بين الماء والشجر ثم قلبت
 الشين سينا فسمى موسى (أربعين ليلة) أي انقضاء أربعين ليلة ثلاثين من ذي القعدة وعشر من
 ذي الحجة وقرن التاريخ بالليل دون النهار لأن الأشهر العربية وضعت على سير القمر وقيل لأن
 الظلمة أقدم من الضوء . ذكر القصة في ذلك : قال العلماء لما أنجى الله بني إسرائيل من
 البحر وأغرق عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليها وعد الله موسى أن ينزل عليه
 التوراة فقال موسى لقومه إنى ذاهب إلى ميقات ربي لأتيكم منه بكتاب فيه بيان ما تأتون وما
 تدرون ووعدهم أربعين ليلة واستخلف عليهم أخاه هارون فلما جاء الموعد أتاه جبريل عليه
 الصلاة والسلام على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيئاً إلا حيي ليذهب بموسى إلى ميقات

خلف القوم يسوقهم حتى لا يشد رجل منهم ويقول لهم الحقوا بأصحابكم حتى خاضوا كلهم البحر وخرج جبريل
 من البحر وخرج ميكائيل من البحر وهم أوهم بالخروج فأمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم وأغرقهم أجمعين وكان
 بين طرفي البحر أربعة فراسخ وهو على طرف بحر من بحر فارس قال قتادة بحر من وراء مصر يقال إساف وذلك
 بمرأى من بني إسرائيل فلذلك قوله تعالى (وأنتم تنظرون) إلى مصارعهم وقيل إلى هلاكهم (وإذا وعدنا) هو من المفاصلة التي
 تكون من الواحد كتوهم عافاك الله وعاقبت اللص وطارت النعل وقال الزجاج كان من الله الأمر ومن موسى القبول فلذلك
 ذكر بلنظ المواعدة ، وقرأ أبو عمرو وأهل البصرة وإذا وعدنا من الوعد (موسى) اسم عبري معرب وهو بالعبرانية الماء والشجر
 سمي به لأنه أخذ من بين الماء والشجر ثم قلبت الشين المعجمة سينا في العربية (أربعين ليلة) أي انقضاءها ثلاثون من ذي القعدة

وعشر من ذى الحجة وقرن بالليل دون النهار لأن شهور العرب وضعت على سير القمر والحلال إنما يهل بالليل وقيل لأن الظلمة أقدم من الضوء وخلق الليل قبل النهار قال الله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وذلك أن بني إسرائيل لما آمنوا من عدوهم ودخلوا مصر لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليهما فوعدهم الله موسى أن ينزل عليهم التوراة فقال موسى لتقومه إلى ذاهب لميقات ربكم آتيتكم بكتاب فيه بيان ما أنتمون وما تنذرون وواعدهم أربعين ليلة ثلاثين من ذى القعدة وعشر من ذى الحجة واستخلف عليهم أخاه هارون فلما أتى الوعد جاء جبريل على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيئا إلا حياي يذهب بموسى إلى ربه فلما رآه السامري وكان رجلا صائغا من أهل باجرى واسمه ميخا وقال سعيد بن جبير كان من أهل كرمان وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وقال قتادة كان من بني إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة ورأى موضع قدم الفرس تخضر من ذلك وكان منافقا أظهر الإسلام وكان (٦٠) من قوم يعبدون البقر فلما رأى جبرائيل على ذلك الفرس علم أن فلانا

شأننا فأخذ قبضة من ترابها فحفر فرس جبرائيل عليه السلام قال عنك مرة أتى في روعه أنه إذا أتى في شيء غيره حياي وكانت بنو إسرائيل قد استعاروا حلية كثيرة من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر لعلهم عرس لهم فأهلك الله فرعون وبقيت تلك الحلية في أيدي بني إسرائيل فلما فصل موسى قال السامري لبني إسرائيل إن الحلية التي استعتموها من قوم فرعون غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفرة وادفنوها فيها حتى يرجع موسى ويرى فيها رايه وقيل إن هارون أمرهم بذلك فلما اجتمعت الحلية أخذها السامري وصاغها عجلا في ثلاثة أيام ثم أتى فيها التبرضة التي أخذها من تراب فرس جبريل عليه الصلاة والسلام فصار عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر وخار خورة وقيل كان يخور ويمشي فقال لهم السامري هذا لكم وإله موسى ففسى أي فتركه ههنا وخرج يطلبه وكان بنو إسرائيل قد أخطأوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا في القننة وقيل كان موسى وعندهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنهم في تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا أنه قد مات ورأوا العجل وسمعوا قول السامري فعكف عليه ثمانية آلاف رجل يعبدونه وقيل عبده كلهم إلا هارون مع اثني عشر ألف رجل وهذا أصح فذلك قوله عز وجل (ثم اتخذتم العجل) يعني إلها (من بعده) أي من بعد موسى

شأننا فأخذ قبضة من ترابها فحفر فرس جبرائيل عليه السلام قال عنك مرة أتى في روعه أنه إذا أتى في شيء غيره حياي وكانت بنو إسرائيل قد استعاروا حلية كثيرة من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر لعلهم عرس لهم فأهلك الله فرعون وبقيت تلك الحلية في أيدي بني إسرائيل فلما فصل موسى قال السامري لبني إسرائيل إن الحلية التي استعتموها من قوم فرعون غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفرة وادفنوها فيها حتى يرجع موسى ويرى فيها رايه وقال السامري إن هارون عليه السلام

أمرهم أن يلقوها في حفرة حتى يرجع موسى فيرى

ففعولوا فلما اجتمعت الحلية صاغها السامري عجلا في ثلاثة أيام ثم أتى فيها القبضة التي أخذها من تراب فرس جبرائيل عليه السلام فخرج عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر كأحسن ما يكون فخار خورة وقال السامري كان يخور ويمشي فقال السامري هذا لكم وإله موسى ففسى أي فتركه ههنا وخرج يطلبه وكانت بنو إسرائيل قد أخطأوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا في القننة وقيل كان موسى وعندهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنهم في تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا أنه قد مات ورأوا العجل وسمعوا قول السامري فعكف ثمانية آلاف رجل منهم على العجل يعبدونه وقيل كلهم عبده إلا هارون مع اثني عشر ألف رجل وهذا أصح وقال الحسن كلهم عبده إلا هارون وحده فذلك قوله تعالى (ثم اتخذتم العجل) أي إلها (من بعده) أظهر ابن كثير وحفص المال من أخذت واتخذت

والآخرون يدغمونها (وأنتم ظالمون) ضارون لأنفسكم بالمعصية وأضعون العبادة في غير موضعها (ثم عتونا عنكم) عتونا ذنوبكم (من بعد ذلك) من بعد عبادتكم العجل (لعلمكم تشكرون) لكي تشكروا عفتي عنكم وصنعي إليكم قبل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية. قال الحسن شكر النعمة ذكرها قال الله تعالى «وأما بركة ربك فحدث» قال الفضيل : شكر كل نعمة أن لا يوصي الله بعد تلك النعمة وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر . حتى أن موسى عليه السلام قال لشي أنعمت على النعم السوابغ وأمرتني بالشكر وإنما شكري إياك نعمة منك قال الله تعالى : (٦١) يا موسى تعلمت العلم الذي لا يفوقه

شي من علم حسي من عبدى أن يعلم أن ما به من نعمة فهو منى . وقال داود : سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة . قوله تعالى (وإذ آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (والفرقان) قال مجاهد هو التوراة أيضا ذكرها باسمين ، وقال الكسائي : الفرقان نعت الكتاب والواو زائدة يعني الكتاب الفرقان أى المفرق بين الحلال والحرام . وقال عمان بن ريان : أراد بالفرقان انفرق البحر كما قال وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم (لعلمكم تهتدون) بالتوراة (وإذ قال موسى لقومه) الذين عبدوا العجل (يا قوم إنكم ظالمون أنفسكم) ضررتم بأنفسكم (باتخاذكم العجل) لها

(وأنتم ظالمون) أى وأنتم ضارون لأنفسكم بالمعصية حيث وضعتم العبادة في غير موضعها (ثم عتونا عنكم) أى عتونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم (من بعد ذلك) أى من بعد عبادتكم العجل (لعلمكم تشكرون) أى لكي تشكروا عفتي عنكم وحسن صنعي إليكم وأصل الشكر هو تصور النعمة وإظهارها وبضاده الكبر وهو نسيان النعمة وسرها والشكر على ثلاث أضرب : شكر القلب وهو تصور النعمة . وشكر اللسان وهو الثناء على النعمة . وشكر يسائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقلوب استحقاقها ، وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية ؛ وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر . وحكى أن موسى عليه الصلاة والسلام قال الهى أنعمت على النعم السوابغ وأمرتني بالشكر وإنما شكري إياك نعمة منك فأوحى الله تعالى إليه يا موسى تعلمت العلم الذي لا يفوقه علم حسي من عبدى أن يعلم أن ما به من نعمة فهى منى . وقال داود عليه الصلاة والسلام سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة . وقال الفضيل شكر كل نعمة أن لا يعصى بعدها تلك النعمة وقيل شكر النعمة ذكرها وقيل شكر النعمة أن لا يراها ألبتة ويرى المنعم وقيل الشكر لمن فوقك بالطاعة والثناء ولنظيرك بالمكافأة ولن دونك بالإحسان والإفضال . قوله عز وجل (وإذ آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (والفرقان) قبل هو نعت الكتاب والواو زائدة . والمعنى الكتاب المنزق بين الحلال والحرام والكرو والإيمان وقيل الفرقان هو النصر على الأعداء والواو أصلية (لعلمكم تهتدون) يعني بالتوراة (وإذ قال موسى لقومه) يعني الذين عبدوا العجل (يا قوم إنكم ظالمون أنفسكم) باتخاذكم العجل (يعني لما تعبتموه فكأنهم قالوا ما نضع قال (فتوبوا إلى بارئكم) أى ارجعوا إلى خالقكم بالتوبة قالوا كيف نتوب قال (فذقتوا أنفسكم) يعني ليقتل البرىء منكم المحرم . فان قلت التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح والعزم على أن لا يعود إليه وهذا معيار للقتل فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل . قلت ليس المراد تفسير التوبة بالقتل بل بيان أن توبتهم لانتم إلا بالقتل وإنما كان كذلك لأن الله أوحى إلى موسى عليه الصلاة والسلام أن توبة المرتد لانتم إلا بالقتل . فان قلت التائب من الردة لا يقتل فكيف استحقوا القتل وقد تابوا من الردة . قلت ذلك مما تختلف فيه الشرائع فلعل شرع موسى كان يقتضى أن يقتل التائب من الردة إما عاما في حق الكل أو خاصا في حق الذين عبدوا العجل (ذلك خير لكم عند بارئكم) يعني القتل وتحميل هذه الشدة لأن الموت لا بد منه فلما أمرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لأمر الله تعالى فجلسوا

قالوا فأى شي نصنع ؟ قال (فتوبوا) فارجموا (إلى بارئكم) خالقكم قالوا كيف نتوب ؟ قال (فاقتلوا أنفسكم) يعني ليقتل البرىء منكم المحرم (ذلكم) أى القتل (خير لكم عند بارئكم) فلما أمرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لأمر الله فجلسوا بالأفنية محبين وقيل هم : من حل جيبوته أو مد طرفه إلى قائله أو اتفاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته وأصلت القوم عليهم الخناجر وكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره فلم يمكنهم المضي لأمر الله تعالى قالوا : يا موسى كيف نفع ؟ فأرسل الله تعالى عليهم ضبابا وصحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلونهم إلى المساء فلما كثر القتل دعا موسى وهارون عليهما السلام ويكيا وتضرعا وقال يا رب هلكت بنو إسرائيل البقية البقية فكشفت الله تعالى الصحابة وأمرهم أن يكتبوا عن القتل فكشفت عن أوف

من القتل . يروي عن علي رضي الله عنه أنه قال كان عدد القتلى سبعين ألفا فاشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى إليه أما رضيعك أن أدخل القتال والمقتول في الجنة ؟ فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي مكفرا عنه ذنوبه فذلك قوله تعالى (فتاب عليكم) أي فعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم فنجاوز عنكم (إنه هو الثواب) القابل للتوبة (الرحيم) بهم . قوله تعالى (وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى ترى الله جهرة) وذلك أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتادون إليه من عبادة العجل فاختار موسى سبعين رجلا من قومه (٦٢) من خيارهم وقال لهم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا فخرج بهم

موسى إلى طور سيناء
لميقات ربه فقالوا لموسى
اطلب لنا أن نسمع كلام
ربنا فقال أفعل فلما
دنا موسى من الجبل وقع
عليه عمود الغمام وتغشى
الجبل كله فدخل في الغمام
وقال للقوم ادنوا فدنا
القوم حتى دخلوا في
الغمام وخرروا سجدا
وكان موسى إذا كلمه
ربه وقع على وجهه نور
ساطع لا يستطيع أحد
من بني آدم أن ينظر إليه
فصرب دونهم الحجاب
وسمعه وهو يكلم موسى
بأمره وينهاه ، وأسمعهم الله
إني أنا الله لا إله إلا أنا
ذوبكة أخرجتكم من
أرض مصر بيد شديدة
فاعبدوني ولا تعبدوا غيري
فلما فرغ موسى وانكشف
الغمام أقبل إليهم فتنالوا
له ولن تؤمن لك حتى ترى

سبعين رجلا من قومه
موسى إلى طور سيناء
لميقات ربه فقالوا لموسى
اطلب لنا أن نسمع كلام
ربنا فقال أفعل فلما
دنا موسى من الجبل وقع
عليه عمود الغمام وتغشى
الجبل كله فدخل في الغمام
وقال للقوم ادنوا فدنا
القوم حتى دخلوا في
الغمام وخرروا سجدا
وكان موسى إذا كلمه
ربه وقع على وجهه نور
ساطع لا يستطيع أحد
من بني آدم أن ينظر إليه
فصرب دونهم الحجاب
وسمعه وهو يكلم موسى
بأمره وينهاه ، وأسمعهم الله
إني أنا الله لا إله إلا أنا
ذوبكة أخرجتكم من
أرض مصر بيد شديدة
فاعبدوني ولا تعبدوا غيري
فلما فرغ موسى وانكشف
الغمام أقبل إليهم فتنالوا
له ولن تؤمن لك حتى ترى

الله جهرة ، معاينة ذلك أن
العرب تجعل الميم بالقلب رؤية فقال جهرة ليعلم أن المراد منه العيان (فأخذتكم الصاعقة) أي الموت ، وقيل نار جاءت
من السماء فأحرقتهم (وأنتم تنظرون) أي ينظر بعضهم لبعض حين أخذكم الموت ، وقيل تعلمون . والنظر يكون بمعنى
العلم فلما هللكوا جعل موسى يسكي ويتضرع ويقول ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد هلك خيارهم لو شئت أهلكتهم من
قبل ولإيائي أهلكتنا بما فعل السفهاء منا ، فم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله تعالى رجلا رجلا بعد ما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم

إذا

إلى بعض كيف يجيئون؟ فذلك قوله تعالى (ثم بعثناكم) أحييناكم والبعث إثارة الشيء عن محله، يقال بعثت البعير وبعثت النائم فانبعث (من بعد موتكم) قال قتادة أحياهم ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم ولو ماتوا بأجلهم لم يبعثوا إلى يوم القيامة (لعلكم تشكرون وظللنا عليكم الغمام) في آتية تقيكم حر الشمس، والغمام من الغم وأصله التطفية والستر حتى السحاب غماما لأنه يغطي وجه الشمس وذلك أنه لم يكن لهم في آتية كمن يسترهم فشكوا إلى موسى فأرسل الله تعالى غماما أبيض رقيقا أطيب من غمام المطر وجعل لهم عمودا من نور يضيء لهم الليل إذا لم يكن لهم قمر (وأنزّلنا عليكم المن والسلوى) أي في آتية والأكثر على أن المن هو الترنجيبين وقال مجاهد هو شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار طعمه كالشهد وقال وهب هو الخبز الرقاق، قال الزجاج جملة المن ما يمن الله به من غير تعب. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي (٦٣) أنا محمد بن يوسف أنا محمد

بن إسماعيل أنا أبو نعيم
أنا سفيان عن عبد الملك
هو ابن عمير عن عمرو بن
حريث عن سعيد بن زيد
قال قال النبي ﷺ الكفاة
من المن وماؤها شفاء
للعين قالوا فكان هذا
المن كل ليلة يقع على
أشجارهم مثل اللبغ لكل
إنسان منهم صاع فقالوا
يا موسى قتلنا هذا المن
بخلوته فادع لنا ربك
أن يطعمنا اللحم فنأزل
الله تعالى عليهم السلوى
وهو طائر يشبه السمانى،
وقيل هو السمانى بعينه
بعث الله صحابة فطمرت
السمانى في عرض ميل
وطول رمح في السماء
بعضه على بعض. وقال
المؤرخ: السلوى العسل

إذا أتيتهم وقد هلك حيارهم لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أهلكتنا بما فعل السفهاء
مناء فلم يزل ينادى ربه حتى أحياهم الله رجلا بعد رجل بعد ما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم
إلى بعض كيف يجيئون فذلك قوله تعالى (ثم بعثناكم) أي أحييناكم (من بعد موتكم) أي لتستوفوا
بقية آجالكم وأرزاقكم ولو أنهم كانوا قد ماتوا لانقضاء آجالهم لم يبعثوا إلى يوم القيامة (لعلكم
تشكرون) قوله عز وجل (وظللنا عليكم الغمام) يعني في آتية تقيكم حر الشمس وذلك أنه
لم يكن لهم في آتية شيء يسترهم ولا يستظلون به فشكوا إلى موسى فأرسل الله غماما أبيض رقيقا
يسترهم من الشمس وجعل لهم عمودا من نور يضيء لهم بالليل إذا لم يكن قمر (وأنزّلنا عليكم
المن والسلوى) أي في آتية الأكثر على أن المن هو الترنجيبين وقيل هو شيء كالصمغ يقع
على الشجر طعمه كالشهد. وقال وهب هو الخبز الرقاق، وأصل المن هو ما يمن الله به من غير
تعب (ق) عن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكفاة من المن وماؤها
شفاء للعين ومعنى الحديث أن الكفاة شيء أئبته الله من غير سعي أحد ولا مؤنة وهو بمنزلة
المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل، وقوله وماؤها شفاء للعين معناه أن يخاط مع الأدوية
فينتفع به لأنه يقطر ماؤها تحت العين وقيل إن تطهيره في العين ينفع لكن لوجع مخصوص
وليس يوافق كل وجع العين وكان هذا المن ينزل على أشجارهم في كل ليلة من وقت السحر إلى طلوع
الشمس كاللبغ لكل إنسان صاع فقالوا يا موسى قد قتلنا هذا المن بخلاوته فادع لنا ربك أن يطعمنا
اللحم فأرسل الله عليهم السلوى وهو طائر يشبه السمانى وقيل هو السمانى بعينه فكان الرجل يأخذ
ما يكتفيه يوما وليلة فإذا كان يوم الجمعة يأخذ ما يكتفيه ليومين لأنه لم يكن ينزل يوم السبت
شيء (كلوا) أي وقتنا لهم كلوا (من طبيبات) أي حلالات (مارزقناكم) أي ولا تدخروا لغد
فخالفوا وادخروا فدود وفسد فنتفع الله عنهم ذلك (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال
رسول الله ﷺ لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخبز اللحم ولولا جوارح لم نخن أنثى زوجها
الدهر قوله لم يخبز اللحم لم ينخن ولم يتغير (وما ظلمونا) أي وما نخسوا حننا (ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون) يعني بأخذهم أكثر مما حولم فاستحوتوا بذلك عذابي وقطع عادة الرزق الذي

فكان الله ينزل عليهم المن والسلوى كل صباح من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فيأخذ كل واحد منهم ما يكتفيه يوما وليلة
وإذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد منهم ما يكتفيه ليومين لأنه لم يكن ينزل يوم السبت (كلوا) أي وقتنا لهم كلوا (من طبيبات)
حلالات (مارزقناكم) ولا تادخروا لغد فنتفعوا الله ذلك عنهم ودود وفسد ما ادخروا فقال الله تعالى (وما ظلمونا
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي وما نخسوا بخننا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون باستحبابهم عذابي وقطع مادة الرزق
الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة في الدنيا ولا حساب في العقب. أخبرنا حسان بن سعيد المنعيمي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن محمد
الزيادى أنا أبو بكر محمد بن الحسين النطائى أنا أحمد بن يوسف السلطى أنا عبد الرزاق أنا معمر بن حماد بن منبه أنا أبو هريرة
قال: قال رسول الله ﷺ لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخبز اللحم، ولولا جوارح لم نخن أنثى زوجها الدهر قوله تعالى

(وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية) سميت القرية قرية لأنها تجمع أهلها ومنه المقرأة للحوض لأنها تجمع الماء قال ابن عباس رضي الله عنهما هي أريحاء وهي قرية الجبارين كان فيها قوم من بنية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنتق وقيل بلقاه وقال مجاهد بيت المقدس وقال الضحاك هي الرملة والأردن وفلسطين وتدمر. وقال مقاتل إيليا وقال ابن كيسان الشام (وكلوا منها حيث شئتم رغدا) موسعا عليكم (وادخلوا الباب) يعني بابا من أبواب القرية وكان ثمانية أبواب (سعدا) أي ركعا خضعا منحنيين وقال وهب فإذا دخاته وه فاجحدوا شكر الله تعالى (وقولوا حطة) قال قتادة حط عنا خطايانا أمروا بالاستغفار وقال ابن عباس لإله إلا الله لأنها تحط الذنوب ورفعها على تقدير قولوا مثلثا حطة (تغفر لكم خطاياكم) من الغفر وهو الستر فالمغفرة تستر الذنوب وقرأ نافع بالياء وخضعا وفتح الفاء. (٦٤) وقرأها ابن عامر بالثاء وضمها وفتح الفاء وفي الأعراف قرأ جيعا ويعتوب

بالثاء وضمها وقرأ الآخرون فيها ما ينصب اليون وكسر الفاء (وسيزيد المحسنين) ثوابا من فضلنا (فبدل) فقير (الدين ظلوا) أتقنهم وقالوا (قولا غير الذي قيل لهم) وذلك أنهم بدلوا قول الحطة بالحنطة فقالوا بلسانهم حطانا سحفا أي حنطة حمراء استخفاقا بأمر الله تعالى، وقال مجاهد طوطى لهم الباب ليخفصوا رموسهم فأبو أن يدخلوها سجدا فدخلوا يزحفون على أستاههم مخالفة في الفعل كما بدلوا القول وقالوا قولا غير الذي قيل لهم. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إسحاق بن نصر

كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا تعب في الدنيا ولا حساب في العقبى. قوله عز وجل (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية) سميت قرية لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس هي أريحاء قرية الجبارين وقيل كان فيها قوم من بنية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنتق فعمل هذا يكون القائل يوشع بن نون لأنه هو الذي فتح أريحاء بعد موت موسى لأن موسى مات في التيه وقيل هي بيت المقدس وعلى هذا فيكون القائل موسى. والمعنى إذا خرجتم من التيه بعد مضي الأربعين سنة ادخلوا بيت المقدس (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) أي موسعا عليكم (وادخلوا الباب) فن قال إن القرية أريحاء قال ادخلوا من أي باب كان من أبوابها وكان لها سبعة أبواب ومن قال إن القرية هي بيت المقدس قال هو باب حطة (سعدا) منحنيين خضعا متواضعين كالراكع ولم يرد بد نفس السجود (وقولوا حطة) أي حط عنا خطايانا أمروا بالاستغفار. وقال ابن عباس قولوا لإله إلا الله لأنها تحط الذنوب والخطايا على تقدير مثلثا حطة (تغفر لكم خطاياكم) أي تسترها عليكم من الغفر وهو الستر لأن المغفرة تستر الذنوب (وسيزيد المحسنين) يعني ثوابا (فبدل) أي فقير (الدين ظلوا) قولا غير الذي قيل لهم (أي قالوا قولا غير ما قيل لهم، وذلك أنهم بدلوا قول الحطة بالحنطة وقالوا بلسانهم حطانا سحفا أي حنطة حمراء وذلك استخفاقا منهم بأمر الله تعالى وقيل طوطى لهم للباب ليخفصوا رموسهم فأبو أن يدخلوها سجدا فدخلوا يزحفون على أستاههم مخالفة في الفعل كما بدلوا القول وقالوا قولا غير الذي قيل لهم. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إسحاق بن نصر

أنا عبد الرزاق عن معمر بن عمار بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ: قيل ليني إسرائيل لكل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حبة في شعرة (فأتر لنا على الذين ظلموا رجزا من السماء) قيل أرسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفا (بما كانوا يفسقون) يعصون ويخرجون من أمر الله تعالى (وإذ استسقى موسى لقومه) أي طلب السقيا لقومه وذلك أنهم عطشوا في التيه فسألوا موسى أن يستسقى لهم ففعل فأوحى الله إليه كما قال ميثاقا (فقلنا اضرب بعصاك) وكانت العصا من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى عليه الصلاة والسلام ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا واسمها عليق وقيل نبعة حملها آدم من الجنة فتوارثها الأنبياء حتى وصلت إلى شعيب فأعطاه موسى (الحجر) قال وهب لم يكن حجرا معينا بل كان موسى يضرب أي حجر كان في شجر عيوننا

من عرض الحجارة فينجر عيوننا لكل سبط عين وكانوا اثني عشر سبطا ثم تسيل كل عين في جدول إلى السبط الذي أمران
 يسئهم وقال الآخرون كان حجرا معينا بدليل أنه عرفه بالألف واللام قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا على قدر رأس
 الرجل كان يضعه في محلاته فإذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه ، وقال عطاء كان للحجر أربعة وجوه لكل وجه ثلاثة
 أعين لكل سبط عين وقيل كان الحجر خاما وقيل كان من الكذبان فيه اثنا عشرة حفرة يلبع من كل حفرة عين ماء عذب
 فإذا فرغوا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان يسقى كل يوم سبائة ألف . وقال سعيد بن جبير هو الحجر الذي
 وضع موسى ثوبه عليه ليغتسل فضره بلويه ومر به على ملا من بني إسرائيل حين رموه بالأدرة فلما وقف أتاه جبرائيل فقال إن الله
 تعالى يقول ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة فرفعه ووضعوه في محلاته (٦٥) قال عطاء كان يضربه موسى

اثني عشرة ضربة
 فيظهر على موضع كل
 ضربة مثل ثدي المرأة
 فيعرق تفجر الأنهار ثم
 يسيل وأكثر أهل
 التفسير يقولون انبجست
 وانفجرت واحد وقال
 أبو عمرو بن العلاء
 انبجست عرقت وانفجرت
 أي سالت فذلك قوله تعالى
 (فانفجرت) أي فضررت
 فانفجرت أي سالت (منه
 اثنا عشرة عينا) على عدد
 الأسباط (قد علم كل أناس
 مشربهم) موضع شربهم
 لا يدخل سبط على غيره
 في شربه (كلوا واشربوا
 من رزق الله) أي وكلنا
 هم كلوا من المن والسلوى
 واشربوا من الماء فهذا كله
 من رزق الله الذي يأتيكم
 بلا مشقة (ولا تعوا

لكل سبط عين وكانوا اثني عشر سبطا وقيل كان حجرا معينا بدليل أنه عرفه بالألف واللام
 قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا قدر رأس الرجل وكان موسى عليه الصلاة والسلام يضعه
 في محلاة فإذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه وقيل كان للحجر أربعة وجوه في كل وجه
 ثلاثة أعين لكل سبط عين وقيل كان من الرخام وقيل كان من الكذبان وهي الحجارة اللينة
 وقيل هو الحجر الذي وضع عليه موسى ثوبه ليغتسل فضره فأناه جبريل وقال إن الله يأمرك أن
 ترفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة فوضعه في محلاة فلما سأله السقيا قيل اضرب
 بعصاك الحجر فكان إذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه فتفجر منه عيون لكل سبط
 عين تسيل إليهم في جدول وكان إذا أراد حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء ويبس الحجر فذلك قوله
 تعالى (فانفجرت منه اثنا عشرة عينا) يعني على عدد أسباط بني إسرائيل والمعنى فضره فانفجرت
 قال المنسرون انفجرت وانبجست بمعنى واحد وقيل انبجست أي عرقت وانفجرت أي سالت
 (قد علم كل أناس مشربهم) أي موضع شربهم لا يدخل سبط على غيره (كلوا واشربوا) أي
 وكلنا هم كلوا واشربوا (من رزق الله) يعني المن والسلوى والماء فهذا كله من رزق الله كان يأتيهم
 بلا مشقة ولا كلفة (ولا تعوا في الأرض مفسدين) العيث أشد الفساد في هذه الآية معجزة عظيمة
 لموسى عليه الصلاة والسلام حيث انفجر من الحجر الصغير ماروى منه الجمع الكثير ومعجزة
 نبينا محمد ﷺ أعظم لأنه انفجر الماء من بين أصبعيه فروى منه الجم الغفير لأن انفجار الماء من
 الدم واللحم أعظم من انفجاره من الحجر . قوله عز وجل (وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام
 واحد) وذلك أنهم مشوا من المن والسلوى وملوه فاشتبهوا عليه غيره لأن المواظبة على الطعام
 الواحد تكون سببا لنقصان الشهوة . فان قلت هما طعامان فما بالهم قالوا على طعام واحد . قلت
 أرادوا بالواحد مالا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائة الرجل عدة ألوان يداوم عليها في كل
 يوم لا يبدلها كانت بمنزلة الطعام الواحد (فادع لنا ربك) أي فاسأل لنا ربك (يخرج لنا مما تنبت
 الأرض من بقلها وقناتها وقومها) قال ابن عباس القوم الخبز وقيل هو الحنطة وقيل هو الثوم
 (وعندسها وبصلها) إنما طلبوا هذه الأنواع لأنها تعين على تقوية الشهوة أو لأنهم ملوا من البقاء

(٩ - خازن بالبعوى - أول) في الأرض مفسدين) والمعنى أشد الفساد ، يقال عني يعنى عينا
 وعنا يعنو وعوا وعات يعيث عينا . قوله تعالى (إذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) وذلك أنهم اجتمعوا ومشوا من أكل
 المن والسلوى وإنما قال على طعام واحد وهما اثنتان لأن العرب تعبر عن الاثنين بلفظ الواحد كما تعبر عن الواحد بلفظ الاثنين
 كقوله تعالى (يخرج منها الثولوث والمرجان) وإنما يخرج من المالح دون العذب وقيل كانوا يأكلون أحدهما بالآخر فكأنهما كطعام
 واحد . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كانوا يعجبون المن والسلوى فيصيران واحدا (فادع لنا) فسل لأجلنا (ربك) يخرج لنا
 مما تنبت الأرض من بقلها وقناتها وقومها) قال ابن عباس القوم الخبز وقال عطاء الحنطة وقال الفتيبي رحمه الله تعالى الحبوب
 التي تؤكل كلها وقال الكلبي الثوم (وعندسها وبصلها) قال لهم موسى عليه السلام

(أتستبدلون الذي هو أدنى) أخس وأردأ (بالذي هو خير) أشرف وأفضل، وجعل الخنطة أدنى في القيمة وإن كانت هي خيرا من المن والسلوى أو أراد أنها أسهل وجودا على العادة ويجوز أن يكون الخير راجعا إلى اختيار الله لهم واختيارهم لأنفسهم (اهبطوا مصرا) يعني فان أيتم إلا ذلك فانزلوا مصرا من الأمصار، وقال الضحاك هو مصر موسى وفرعون والأول أصبح لأمة لو أراد له لم يصرفه (فان لكم ماسألتهم) من نبات الأرض (وضربت عليهم) جعلت عليهم وألزموا (الذلة) الذل والخوان، وقيل بالجزية، وقال عطاء بن السائب هو الكسطينج والزناز وزى اليهودية (والمسكنة) الفقر سمي الفقير مسكينا لأن الفقر أسكنه وأقعدته عن الحركة فترى اليهود وإن كانوا مياسير كأنهم فقراء، وقيل الذلة هي فقر القلب فلا ترى في أهل الملل أذل وأحرص على المال من اليهود (وباموا بغضب من الله) رجعوا ولا (٦٦) يقال باء إلا بالشر. وقال أبو عبيدة احتملوا وأقروا به ومنه الدعاء أبو

في التيه فسألوا هذه الأطعمة التي لا توجد إلا في البلاد وكان غرضهم الوصول إلى البلاد لائتلك الأطعمة (قال) يعني موسى (أتستبدلون الذي هو أدنى) أي الذي هو أخس وأردأ وهو الذي طلبوه (بالذي هو خير) يعني بالذي هو أشرف وأفضل وهو ما هم فيه (اهبطوا مصرا) يعني إن أيتم إلا ذلك فأتوا مصرا من الأمصار، وقيل بل هو مصر البلد الذي كانوا فيه ودخول التنوين عليه كدخوله على نوح ولوط والقول هو الأول (فان لكم ماسألتهم) يعني من نبات الأرض (وضربت عليهم الذلة) أي جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم وألزموا الذل والخوان وقيل الذلة الجزية وزى اليهودية وفيه بعد لأنه لم تكن ضربت عليهم الجزية بعد (والمسكنة) أي الفقر والفاقة وسمى الفقير مسكينا لأن الفقر أسكنه وأقعدته عن الحركة فترى اليهود وإن كانوا أغنياء مياسير كأنهم فقراء فلا ترى أجدا من أهل الملل أذل ولا أحرص على المال من اليهود (وباموا) أي رجعوا ولا يقال باء إلا بشر (بغضب من الله) وغضب الله إرادة الانتقام من عصاه (ذلك) أي الغضب (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) أي بصفة محمد ﷺ وآية الرجم التي في التوراة ويكفرون بالإنجيل والقرآن (ويقتلون النبيين) النبي معناه المحبر من أنبا ينيء وقيل هو بمعنى الرفيع مأخوذ من النبوة وهو المكان المرتفع (بغير الحق) أي بغير جرم. فان قلت قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير حق فما فائدة ذكره. قلت ذكره وصفا للقتل والقتل بوصف تارة بالحق وهو ما أمر الله به وتارة بغير الحق وهو قتل العدوان فهو كقوله «قل رب احكم بالحق» فالحق وصف للحكم لأن حكمه ينقسم إلى حق وجور. يروى أن اليهود قتلت سبعين نبيا في أول النهار وقامت إلى سوق بقلها في آخره وقتلوا زكريا ويحيى وشعياة وغيرهم من الأنبياء (ذلك بما عصوا) أي ذلك القتل والكفر بما عصوا أمرى (وكانوا يعتدون) أي يتجاوزون أمرى ويرتكبون محاربي قوله عز وجل (إن الذين آمنوا والذين هادوا) يعني اليهود سموا بذلك لقولهم «إنا هدنا إليك» أي مانا إليك وقيل هادوا أي تابوا عن عبادة العجل وقيل لأنهم مالوا عن دين الإسلام ودين موسى عليه السلام (والنصارى) سموا بذلك لقول الحوارين نحن «أنصار الله» وقيل لاغترأهم إلى قرية يقال لها ناصرة وكان المسيح ينزلها (والصائبين) أصله من صبا إذا خرج من دين إلى دين آخر

لك بتعدتك على وأبوء بذنبي» أي أقر (ذلك) أي الغضب (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) بصفة محمد ﷺ وآية الرجم في التوراة ويكفرون بالإنجيل والقرآن (ويقتلون النبيين) تفرد نافع بن يحيى وبإيه فيكون معناه الخبر من أنبا ينيء ونبا ينيء والقراءة المعروفة ترك الهمزة وله وجهان أحدهما هو أيضا من الإنباء تركت الهمزة فيه تخفيفا لكثرة الاستعمال والثاني هو بمعنى الرفيع مأخوذ من النبوة وهي المكان المرتفع فعلى هذا يكون النبيين على الأصل (بغير الحق) أي بلا جرم. فان قيل فلم قال بغير الحق وقتل النبيين لا يكون إلا بغير الحق قيل ذكره وصفا للقتل والقتل

تارة بوصف بالحق وتارة بوصف بغير الحق وهو مثل قوله تعالى «وقال رب احكم بالحق» ذكر الحق

وصفا للحكم لأن حكمه ينقسم إلى الجور والحق. يروى أن اليهود قتلت سبعين نبيا في أول النهار وقامت سوق بقتلهم في آخر النهار (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) يتجاوزون أمرى ويرتكبون محاربي قوله تعالى (إن الذين آمنوا والذين هادوا) يعني اليهود سموا به لقولهم «إنا هدنا إليك» أي ملنا إليك وقيل لأنهم هادوا أي تابوا عن عبادة العجل وقيل لأنهم مالوا عن دين الإسلام وعن دين موسى عليه السلام وقال أبو عمرو بن العلاء لأنهم يهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة ويقولون إن السوات والأرض تحركت حين أتى الله موسى التوراة (والنصارى) سموا به لقول الحوارين نحن «أنصار الله» وقال مقاتل لأنهم نزلوا قرية يقال لها ناصرة وقيل لاغترأهم إلى نصرة وهي قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام (والصائبين) قرأ أهل المدينة والصابين والصابون بترك الهمزة

والباقون بالهدية وأصله الخروج ، يقال صبا فلان أي خرج من دين إلى دين آخر وصبات النجوم إذا خرجت من مطالعها وصبا قاب العبر إذا خرج فيؤلا سوايه لخروجهم من دين إلى دين . قال عمر بن الخطاب وابن عباس هم قوم من أهل الكتاب قال عمر تحل ذبايحهم مثل ذبايح أهل الكتاب . وقال ابن عباس لا تحل ذبايحهم ولا مناكحتهم قال مجاهد هم قبيلة نحو الشام بين اليهود والنصارى وقال الكلبي هم قوم بين اليهود والنصارى يحلقون أو ساط رءوسهم وينجبون مذاكيرهم وقال قتادة هم قوم يقرون بالله ويقرون الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون إلى الكعبة أخذوا من كل دين شيئا . قال عبد العزيز بن يحيى انقروا (من آمن بالله واليوم الآخر) فان قيل كيف يستقيم قوله من آمن بالله (٦٧) وقد ذكر في ابتداء الآية : إن

الذين آمنوا قيل اختلفوا في حكم الآية فقال بعضهم أراد بقوله إن الذين آمنوا على التحقيق ثم اختلفوا في هؤلاء المؤمنين فقال قوم هم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل المبعث وهم طلاب الدين مثل جيب النجار وقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن تغلب وورقة بن نوفل والبراء الشني وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي وعبدة الراهب ووقد النجاشي فمنهم من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه وقيل هم المؤمنون من الأمم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الأمة والذين هادوا الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصابئين يعني في زمن استقامة أمرهم من آمن منهم ومات وهو مؤمن لأحقمة الإيمان تكون بالوفاة . وأما الطريقة الثانية فقالوا إن المذكورين بالإيمان في أول الآية إنما هو على طريق الحجاز دون الحقيقة وهم الذين آمنوا بالأنبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل هم المنافقون الذين آمنوا بالسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصابئون فكأنه تعالى قال هؤلاء المظلومون كل من آمن منهم الإيمان الحقيقي صار مؤمنا عند الله ، وقيل إن المراد من قوله إن الذين آمنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة حين الماضي وثبتوا على ذلك في المستقبل وهو المراد من قوله تعالى من آمن بالله واليوم الآخر

سوا بذلك لخروجهم من الدين قال عمر وابن عباس هم قوم من أهل الكتاب قال عمر ذبايحهم ذبايح أهل الكتاب وقال ابن عباس لا تحل ذبايحهم ولا مناكحتهم وقيل هم قوم بين اليهود والنصارى لا تحل ذبايحهم ولا مناكحتهم وقيل هم بين اليهود والنصارى يحلقون أو ساط رءوسهم ويقبل هم قوم يقرون بالله ويقرون الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون إلى الكعبة أخذوا من كل دين شيئا والأقرب أنهم قوم يعبدون الكواكب وذلك أنهم يعتقدون أن الله تعالى خلق هذا العلم وجعل الكواكب مدبرة له فيجب على البشر عبادتها وتعظيمها وأنها هي التي تقرب إلى الله تعالى . ولما ذكر هذه الوظائف قال (من آمن بالله واليوم الآخر) فان قلت كيف قال في أول الآية إن الذين آمنوا وقال في آخرها من آمن بالله فما فائدة التعميم أولا ثم التخصيص آخرها قلت اختلف العلماء في حكم الآية فلهم فيه طريقان أحدهما أنه أراد أن الذين آمنوا على التحقيق ثم اختلفوا فيهم فقيل هم الذين آمنوا في زمن الفطرة وهم طلاب الدين مثل جيب النجار وقس ابن ساعدة وورقة بن نوفل وعبدة الراهب وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي فمنهم من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه فكأنه تعالى قال إن الذين آمنوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل المبدل من اليهود والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وبمحمد صلى الله عليه وسلم فلهم أجرهم عند ربهم وقيل هم المؤمنون من الأمم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الأمة والذين هادوا يعني الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصابئين يعني في زمن استقامة أمرهم من آمن منهم ومات وهو مؤمن لأحقمة الإيمان تكون بالوفاة . وأما الطريقة الثانية فقالوا إن المذكورين بالإيمان في أول الآية إنما هو على طريق الحجاز دون الحقيقة وهم الذين آمنوا بالأنبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل هم المنافقون الذين آمنوا بالسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصابئون فكأنه تعالى قال هؤلاء المظلومون كل من آمن منهم الإيمان الحقيقي صار مؤمنا عند الله ، وقيل إن المراد من قوله إن الذين آمنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة حين الماضي وثبتوا على ذلك في المستقبل وهو المراد من قوله تعالى من آمن بالله واليوم الآخر

الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام ولم يغيروا وماتوا على ذلك قالوا وهذا إن لزمهم زمن موسى وعيسى عليهما السلام حيث كانوا على الحق كالإسلام لأمة محمد صلى الله عليه وسلم والصابئون زمن استقامة أمرهم من آمن أي من مات منهم وهو مؤمن لأن حقيقة الإيمان بالوفاة ويجوز أن يكون الواو مضمر أي ومن آمن بعدك يا محمد إلى يوم القيامة وقال بعضهم إن المذكورين بالإيمان في أول الآية على طريق الحجاز دون الحقيقة ثم اختلفوا فيهم فقال بعضهم الذين آمنوا بالأنبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل أراد بهم المنافقين الذين آمنوا بالسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى الذين اعتقدوا اليهودية والنصرانية بعد التبديل والصابئون بعض أصناف الكفار من آمن بالله واليوم الآخر من هذه الأصناف بالقلب واللسان

(وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم) وإنما ذكر بلفظ الجمع لأن من يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث (ولا خوف عليهم) في الدنيا (ولا هم يحزنون) في الآخرة. قوله تعالى (وإذا أخذنا ميثاقكم) عهدكم بامعشر اليهود (ورفعنا فوقكم الطور) وهو دليل بالسريانية في قول بعضهم وهو قول مجاهد وقيل مامن لغة في الدنيا إلا في القرآن، وقال الأكتروبي ليس في القرآن لغة غير لغة العرب لقوله تعالى «قرآنا عربيا» وإنما هذا وأشباهه وفاق وقع بين اللغتين. وقال ابن عباس أمر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانتلع من أصله حتى قام على رؤوسهم وذلك أن الله تعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام فأمر موسى قومه أن يقبلوها ويعملوا (٦٨) بأحكامها فأبوا أن يقبلوها للأصوار والأشكال التي هي فيها وكانت شريعة

ثابتة فأمر الله تعالى (وعمل صالحا) أي في إيمانه (فلهم أجرهم عند ربهم) أي جزاء أعمالهم (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي في الآخرة. قوله عز وجل (وإذا أخذنا ميثاقكم) أي عهدكم بامعشر اليهود (ورفعنا فوقكم الطور) يعني الجبل العظيم قال ابن عباس أمر الله جبلا من جبال فلسطين فانتلع من أصله حتى قام على رؤوسهم وسبب ذلك أن الله تعالى لما أنزل التوراة على موسى وأمرهم أن يعملوا بأحكامها فأبوا أن يقبلوها لما فيها من الأصوار يعني الأشكال والتكاليف الشاقة أمر الله تعالى جبيل عليه السلام أن يقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان قدره فرسخا في فرسخ فرعه فوق رؤوسهم قدر قامة كالظلة وقيل لم إن لم تقبلوا ما في التوراة (ولا أرسلت هذا الجبل عليكم) (خلوا) أي قلنا لهم خلوا (ما آتيناكم) أي ما أعطيناكم (بقوة) أي بجد واجتهاد (واذكروا ما فيه) أي ادرسوا ما فيه (لعلكم تتقون) أي لكي تتنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى (ولا رضخت رؤوسكم بهذا الجبل فلما رأوا ذلك نازل بهم قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة في سجود اليهود لا يسجدون إلا على أنصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب (ثم توليت) أي عرضتم (من بعد ذلك) أي من بعد ما قبلم التوراة (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) أي بالإمهال (لكنتم من الخاسرين) أي المغبونين بذهاب الدنيا والعذاب في العقبى. قوله عز وجل (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم) أي جاؤوا الحد (في السبت) يقال سبت اليهود لأنهم يعظمونه ويقطعون فيه أعمالهم، وأصل السبت القطع.

﴿ذكر الإشارة إلى القصة﴾

قال العلماء بالأخبار إنهم كانوا في زمن داود عليه الصلاة والسلام بقربة بأرض إيلة وحرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان إذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك حتى لا يرى الماء من كثرتها فإذا مضى السبت تفرقت الحيتان ولزم من قعر البحر فذلك قوله تعالى إذ أتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبوتن لآياتهم ثم أن الشيطان وسوس إليهم وقال إنما نهيتهم عن أخذها يوم السبت ولم تنهوا عن أخذها في غيره فعبد رجال منهم فحضرها حياضا كبيرا حول البحر وشرعوا منه إليها أنهارا فإذا كان عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان إلى تلك الحياض فيقعن فيها ولا يقدرن هلى الخروج منها لعمقها فإذا كان يوم الأحد أخلوها وقيل أنهم كانوا ينصبون الشخوص والحبال يوم الجمعة ويخرجونها يوم الأحد فتعلوا ذلك زمانا ولم تنزل بهم عقوبة فتجرعوا على السبت وقالوا ما نرى السبت إلا

ثابتة فأمر الله تعالى جبيل عليه السلام فقتلع جبلا على قدر عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ فرعه فوق رؤوسهم مثل قامة الرجل كالظلة وقال لهم إن لم تقبلوا التوراة أرسلت هذا الجبل عليكم وقال عطاء بن عباس رضي الله تعالى عنها ما رفع الله فوق رؤوسهم الطور وبعث نارا من قبل وجوههم وآتاهم البحر الملح من خلفهم (خلوا) أي قلنا لهم خلوا (ما آتيناكم) أعطيناكم (بقوة) بجد واجتهاد ومواظبة (واذكروا) وادرسوا (ما فيه) وقيل احتفظوا وأعملوا (لعلكم تتقون) لكي تتنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى فان قبلتم (ولا رضختكم بهذا الجبل) وأغرقتكم في هذا البحر

وأغرقتكم بهذه النار فلما رأوا أن لا مهرب لهم منها قبلوا وسجدوا أو جعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار سنة قد في اليهود لا يسجدون إلا على أنصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب (ثم توليت) أي عرضتم (من بعد ذلك) من بعد ما قبلم التوراة (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) يعني بالإمهال والادراج وتأخير العذاب عنكم (لكنتم) لصرتم (من الخاسرين) من المغبونين بالعقوبة وذهاب الدنيا والآخرة، وقيل من المعابين في الحال كأذنه رحمهم بالإمهال. قوله تعالى (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت) أي جاؤوا الحد وأصل السبت القطع قيل سمي يوم السبت بذلك لأن الله تعالى قطع فيه الخلق، وقيل لأن اليهود أمروا فيه بقطع الأعمال. والقصة فيه أنهم كانوا زمن داود عليه السلام بأرض يقال لها إيلة حرم الله

عليها صيد السمك يوم السبت فكان إذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك حتى يخرج خراطيمهم من الماء لامتها حتى لا يرى الماء ليكثرتها فإذا مضى السبت تفرقوا ولزم قعر البحر فلا يرى شيء منها فلذلك قوله تعالى إذ تأتهم حيتانهم يوم سبئهم شرعا ويوم لا يسبون لأن تأتهم ثم أن الشيطان وسوس إليهم وقال إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت فعمد رجال فحسروا الحياض حول البحر وشرعوا منه إليها الأنهار . فإذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار فأقبل المروج بالحيتان إلى الحياض فلا يقدرن على الخروج لبعدها وقلة ماؤها فإذا كان يوم الأحد أخذوها وقيل كانوا يسوقون الحيتان إلى الحياض يوم السبت ولا يأخذونها ثم يأخذونها يوم الأحد . وقيل كانوا ينصبون الحياض والشحوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الأحد ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل عليهم عقوبة فنجروا على الذنب وقالوا ما ندري السبب إلا وقد أحل لنا فأخذوا وأكلوا وملحوا وباعوا وأثروا وكثر ملهم فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية وكانوا نحو من سبعين ألفا ثلاثة أصناف : صنف أمسا ونهسي ، وصنف أمسك ولم يذ ، وصنف انتهك الحرمة وكان الناهون اثني عشر ألفا فلما أتى المخرمون قبول نصحتهم قالوا والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسوا القرية بجدار وغيروا بذلك (٦٩) سنتين ولعنهم داود عليه السلام وغضب الله عليهم لإصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بينهم ولم يخرج من المخرمين أحد ولم يفتحوا بابهم فلما أبطوا تسوروا عليهم الحائط فإذا هم جميع قردة لها أذنان بتعاونون قال قتادة صار الشبان قردة والشيوخ خنازير فكنوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاث ولم يتولدوا . قال الله عز وجل (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أمر تحويل وتكوين ، ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين ، وقيل فيه تقديم وتأخير معناه كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل خاسئات (فجعلناها) يعني عقوبتهم بالمسخ (نكالا) أي عقوبة وعبرة (لما بين يديها وما خلفها) قيل معناه عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم وقيل جعلنا عقوبة قرية أصحاب السبت عبرة لمن بين يديها من القرى التي كانت عامرة في الحال وما خلفها أي ما يحدث بعدها من القرى ليتعظوا بذلك وقوله عز وجل (وموعظة للمتقين) أي المؤمن من أمة محمد ﷺ لئلا يفعلوا مثل فعلهم . قوله عز وجل (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) البقرة واحدة البقر وهي الأنثى وأصلها البقر وهو الشق سميت بذلك لأنها تشق الأرض للحراثة

قد أحل لنا فأخذوا وملحوا وأكلوا وباعوا واشتروا فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية ثلاثة أصناف وكانوا نحو سبعين ألفا صنف أمسك عن الصيد ونهسي عن الاصطياد وصنف أمسك ولم يشه وصنف انتهكوا في الذنب وهتكوا الحرمة وكان الصنف الناهون اثني عشر ألفا فلما أتى المخرمون قبول نصيحتهم قالوا والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسوا القرية بينهم بجدار فغيروا على ذلك سنتين ، ثم لعنهم داود وغضب الله عليهم لإصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بينهم ولم يخرج من المخرمين أحد ولم يفتحوا الباب فلما أبطوا تسوروا عليهم الجدار فإذا هم جميع قردة لهم أذنان وهم يتعاونون وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير فكنوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاث ولم يتولدوا . قال الله عز وجل (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أمر تحويل وتكوين ، ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين ، وقيل فيه تقديم وتأخير معناه كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل خاسئات (فجعلناها) يعني عقوبتهم بالمسخ (نكالا) أي عقوبة وعبرة (لما بين يديها وما خلفها) قيل معناه عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم وقيل جعلنا عقوبة قرية أصحاب السبت عبرة لمن بين يديها من القرى التي كانت عامرة في الحال وما خلفها أي ما يحدث بعدها من القرى ليتعظوا بذلك وقوله عز وجل (وموعظة للمتقين) أي المؤمن من أمة محمد ﷺ لئلا يفعلوا مثل فعلهم . قوله عز وجل (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) البقرة واحدة البقر وهي الأنثى وأصلها البقر وهو الشق سميت بذلك لأنها تشق الأرض للحراثة

تقديم وتأخير أي كونوا خاسئين قردة ولذلك لم يقل خاسئات . وانحسا الطرد والإبعاد وهو لازم ومتعد يقال خسأته خسا فحسأ خسوما مثل رجعت رجعا فرجع رجوعا (فجعلناها) أي جعلنا عقوبتهم بالمسخ (نكالا) أي عقوبة وعبرة عقوبة ينكال الناظر من فعل ما جعلت العقوبة جزاء عليهم منه الشكول عن التبين وهو الامتناع وأصله من الشكال وهو القيد وجمعه يكون إنكالا (لما بين يديها) قال قتادة أراد بما بين يديها يعني ما سبق من الذنوب أي جعلنا تلك العقوبة جزاء لما تقدم من ذنوبهم قبل نهيهم عن أخذ الصيد (وما خلفها) ما حضر من الذنوب التي أخذوا بها وهي العصيان بأخذ الحيتان ، وقال أبو العالية والربيع عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم أن يستنوا بسنتهم وما الثانية بمعنى من وقيل جعلناها أي جعلنا قرية أصحاب السبت عبرة لما بين يديها أي القرى التي كانت مبنية في الحال وما خلفها وما يحدث من القرى من يعد ليتعظوا وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره فجعلناها وما خلفها أي ما أحدثهم من العذاب في الآخرة نكالا وجزاء لما بين يديها أي لما تقدم من ذنوبهم باعتبارهم في السبت (وموعظة للمتقين) للمتقين من أمة محمد ﷺ لئلا يفعلوا مثل فعلهم قوله عز وجل (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) البقرة هي الأنثى من البقر يقال هي مأخوذة من البقر وهو الشق سميت به لأنها

تيفر الأرض أي تشقها للحراثة. والقصة فيه أنه كان في بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وراث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله إلى قرية أخرى وألقاه بفنائهم ثم أصبح يطلب ثاره وجاء بناس إلى موسى يدعى عليهم القتل فسألهم موسى فوجدوا فاشتبه أمر القتل على موسى قال الكلبي وذلك قبل نزول قسامة في التوراة فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم بدعائه فأمرهم الله بذبح بقرة فقال لهم موسى: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة (قالوا أنتخذنا هزوا) أي تستهزئ بنا نحن نسألك عن أمر القتل وتأمرا بنا بذبح البقرة؟ وإنما قالوا ذلك ليعذبوا الأبرار في الظاهر ولم يدبروا ما الحكمة فيه. قرأ حمزة هزرا وكفوا بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتنقيط ويترك الهضرة حفص (قال) موسى (أعوذ بالله) أمتنع بالله (أن أكون من الجاهلين) أي من المستهزئين بالمؤمنين، وقيل من الجاهلين بالجواب لاعلى وفق السؤال لأن الجواب لاعلى وفق السؤال جهل فلما علم القوم أن ذبح البقرة عزم من الله عز وجل استوصفوها ولو أنهم عملوا إلى أذى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم وكانت تحته حكمة، وذلك أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة أتى بها إلى غيضة وقال: اللهم (٧٠) إني استودعتك هذه العجلة لابني حتى تكبر ومات الرجل فصارت

(ذكر الإشارة إلى القصة في ذلك)

قال علماء السير والأخبار إنه كان في زمن بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وراث له سواه فلما طال عليه موته وحمله إلى قرية أخرى وألقاه على بابها ثم أصبح يطلب ثاره وجاء بناس إلى موسى يدعى عليهم بالقتل فوجدوا واشتبه أمر القتل على موسى عليه الصلاة والسلام فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم ما أشكل عليهم فسأل موسى ربه في ذلك فأمره بذبح بقرة وأمره أن يضربه ببعضها فقال لهم إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة (قالوا أنتخذنا هزوا) أي نحن نسألك أمر القتل وأنت تستهزئ بنا وتأمرا بنا بذبح بقرة وإنما قالوا ذلك ليعذبوا الأبرار في الظاهر، ولم يعادوا ماوجه الحكمة فيه (قال) يعني موسى (أعوذ بالله) أي أمتنع بالله (أن أكون من الجاهلين) أي المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لاعلى وفق السؤال فلما علموا أن ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه إياها ولو أنهم عملوا إلى أي بقرة كانت فذبحوها لأجزأت عنهم ولكن شددوا فشدد عليهم وكان في ذلك حكمة لله عز وجل، وذلك أنه كان رجل صالح في بني إسرائيل وله ابن طفل وله عجلة أتى بها غيضة وقال اللهم إني استودعتك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات ذلك الرجل وصارت العجلة في الغيضة عوانا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك الطفل وكان يراها وكان يقدم ليلة ثلاثة أجزاء يوصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فإذا أصبح انطلق فيحتطب ويأتي به السوق فيبيعه بما يشاء الله فيتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطى وثلثه ثلثة فقالت له أمه يوما إن أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع إليه إبراهيم وإسحاق أن يردها عليك

العجلة في الغيضة عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن كان يرا بوالدته وكان يقسم الليل ثلاثة أجزاء يوصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فإذا أصبح انطلق فيحتطب على ظهره فيأتي به إلى السوق فيبيعه بما يشاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطى وثلثه ثلثة فقالت له أمه يوما إن أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع إليه إبراهيم وإسحاق أن يردها عليك

وعلامتها أنك إذا نظرت إليها تخيل إياك أن شعاع الشمس يخرج من جلودها وكانت تلك البقرة وإسحاق وتسمى المذبة لحسنها وصغرتها فأتى النبي الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال: أعزم عليك باله إبراهيم وإسحاق ويعقوب فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها بفوقها فتكلمت البقرة بأذن الله تعالى فقالت أيها النبي البار بوالدتك اركبني فإن ذلك أهون عليك فقال النبي إن أمرني بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة باله بني إسرائيل لو ركبتني ما كنت تتقدم على أبدا فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن ينقل من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بأملك فسار النبي بها إلى أمه فقالت له أنك فقير لا مال لك فيشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبيع هذه البقرة قال بكم أبيعها قالت بثلاثة دنائير ولا تبع بغير مشورتى وكان ثمن البقرة يومئذ ثلاثة دنائير فانطلق بها إلى السوق فبعث الله ملكا ليرى خلفه فكرهه وليخبر النبي كيف به بأمه وكان الله به خيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة قال بثلاثة دنائير وأشترط عليك رضى والدتي فقال الملك لك ستة دنائير ولا تستأمر والدتك فقال النبي لو أعطيتني وزنها ذهب لم آخذها إلا برضا أمي فردها إلى أمه وأخبرها بالنبي فقالت أروج فبعها بستة دنائير على رضى مني، فانطلق بها إلى السوق وأتى الملك؟ فقال استأمرت أمك؟ فقال النبي إنها أمرتني أن لا أتبعها عن ستة دنائير على أن استأمرها وقال الملك فإني أعطيتك اثني عشر على أن لا تستأمرها فإني النبي ورجع إلى أمه

فأخبرها بذلك فقالت إن الذي يأتيك ذلك في صورة آدمي ليختبرك فإذا أتاك فقل له أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ففعل فقال له الملك اذهب إلى أمك وقل لها أمسكي هذه البقرة فإن موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل في بني إسرائيل فلا تبعها إلا بمئة مسكها دنائير فأمسكها وقدر الله تعالى على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا يستوصفونها حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها مكافأة له على بره بوالدته فضلا منه (٧٨) بروحمة فلذلك قوله تعالى (قالوا ادع

لنا ريبك بين لنا ماهي) أي ما سنها (قال) موسى (إنه يقول) يعني فسأل الله تعالى فقال إنه يعني أن الله تعالى يقول (إنها بقرة لا فارض ولا بكر) أي لا كبيرة ولا صغيرة والفاضر المسنة التي لا تلد يقال منه فرضت تفرض فروضا، والبكر الفتية الصغيرة التي لم تلد قط وحذفت الهاء منها للاختصاص بالإناث كالحائض (عوان) وسط نصف (بين ذلك) أي بين السنين يقال عونت المرأة تعوينها إذا زادت على الثلاثين قال الأخفش العوان التي نتجت مرارا وجمعها عيون (فافعلوا ما تؤمرون) من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال (قالوا ادع لنا ريبك بين لنا ما لونها؟ قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها) قال ابن عباس شديد الصفرة وقيل (الناظرين) أي يعجبهم حسنها وصفاء لونها (قالوا ادع لنا ريبك بين لنا ماهي) أي سأئمة أو عاملة (إن البقرة تشابه علينا) أي التيس واشتبه أمرها علينا (ولنا إن شاء الله لمهتدون) أي إلى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيم الله لو لم يسننوا لما بيث لحم آخر الدهر

وإسماعيل وإسحاق أن يردها عليك وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يحبل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبية لحسنها وصغرتها فأتى النبي غيضة فرأها ترعى فصاح بها وقال أعزم عليك باله إبراهيم وإسماعيل وإسحق فأقبلت البقرة حتى وقعت بين يديه فقبض على قرنها يقودها فشكمت البقرة. بإذن الله تعالى وقالت أيها النبي البار بأمة أركبني فإنه أهون عليك فقال النبي إن أمي لم تأمرني بذلك فقالت البقرة والله لو ركبتني ما كنت تقدر على أبدا فانطلق فانك لو أمرت الجليل أن ينقلع من أصله لانقلع لبرك بأملك فسار النبي بها إلى أمه فقالت له أمه إنك رجل فقير ولا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع البقرة فقال بكم أبيعها قالت بثلاثة دنائير ولا تبع بغير مشورتني وكان ثمن البقرة ثلاثة دنائير فانطلق بها النبي إلى السوق وبعث الله ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر النبي كيف بره بأمه وهو أعلم فقال له الملك بكم هذه البقرة قال بثلاثة دنائير وأشترط عليك رضى أمي فقال له الملك لك ستة دنائير ولا تستأمر أمك فقال له النبي لو أعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه إلى برضا أمي ورجع النبي إلى أمه فأخبرها بالثمن فقالت له ارجع فبعها بستة دنائير ولا تبعها إلا برضا فرجع بها إلى السوق وأتى الملك فقال له استأمرت أمك فقال النبي نعم إنها أمرتني إن لا أنتقصها عن ستة على رضاها فقال الملك إنى أعطيتك اثني عشر دينارا ولا تستأمرها فأبى النبي ورجع إلى أمه فأخبرها بذلك فقالت له أمه إن الذي يأتيك ملك في صورة آدمي ليجربك فإذا أتاك فقل له أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ففعل فقال له الملك اذهب إلى أمك فقل لها أمسكي هذه البقرة فإن موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل في بني إسرائيل فلا تبعها إلا بمئة مسكها دنائير فأمسكها وقلد الله تعالى على بني إسرائيل ذبح البقرة بعينها فما زالوا يستوصفونها حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها مكافأة بذلك النبي على بره بأمه فضلا من الله تعالى ورحمة فلذلك قوله تعالى (قالوا ادع لنا ريبك بين لنا ماهي) أي ما سنها (قال) موسى (إنه يقول) يعني الله عز وجل (إنها بقرة لا فارض ولا بكر) أي لا كبيرة ولا صغيرة والفاضر المسنة التي لم تلد، والبكر الفتية التي لم تلد، والفاضر المسنة التي لم تلد، والبكر الفتية التي لم تلد (عوان) أي نصف (بين ذلك) أي بين السنين (فافعلوا ما تؤمرون) أي من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال (قالوا ادع لنا ريبك بين لنا ما لونها؟ قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها) قال ابن عباس شديد الصفرة وقيل (الناظرين) أي يعجبهم حسنها وصفاء لونها (قالوا ادع لنا ريبك بين لنا ماهي) أي سأئمة أو عاملة (إن البقرة تشابه علينا) أي التيس واشتبه أمرها علينا (ولنا إن شاء الله لمهتدون) أي إلى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيم الله لو لم يسننوا لما بيث لحم آخر الدهر

قتادة صافها قال الحسن الصفراء السوداء والأول أصح لأنه لا يقال أسود فاقع إنما يقال أصفر فاقع وأسود حالاه وأحمر قاني وأخضر فاضر وأبيض يفتق للمبالغة (تسر الناظرين) إليها يعجبهم حسنها وصفاء لونها (قالوا ادع لنا ريبك بين لنا ماهي) أي سأئمة أم عاملة (إن البقرة تشابه علينا) ولم يقل تشابهت لتذكير لفظ البقر كقولهم تعالى أعجاز نخل منقعة وقال الزجاج أي جلس البقر تشابه أي التيس واشتبه أمره علينا فلا نهتدى إليه (ولنا إن شاء الله لمهتدون) أي إلى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيم الله لو لم يسننوا لما بيث لحم آخر الدهر

الله لو لم يستنوا لما بينت لهم إلى آخر الأبد (قال إنه يقول إنها بقرة لاذلول) ممللة بالعمل يقال رجل ذلول بين الملل ودابة ذلوله بينة الملل (تثير الأرض) تلقبها للزراعة (ولانسى الحرث) أي ليست بسانية (مسلمة) بريئة من العيوب (لاشية فيها) لا لون لها سوى لون جميع جلدها قال عطاء لا عيب فيها قال مجاهد لا يبايض فيها ولا سواد (قالوا الآن جئت بالحق) أي بالبيان التام الشافي الذي لا إشكال فيه وطلبوها فلم يجدوها بكمال وصفها إلا مع الفتى فاشتروها بماله مسكها ذهباً (فدبحوها وما كادوا يفعلون) من غلاء ثمنها وقال محمد بن كعب وما كادوا يجدونها باجتماع أوصافها وقيل وما كادوا يفعلون من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها. قوله عز وجل (ولاذ قتلتم نفساً) هذا أول القصة وإن كان مؤخراً في التلاوة واسم القتل عاميل (فادارأتم فيها) أصله تدارأتم فأدغمت التاء في الدال وأدخلت الألف مثل قوله اننا قتلتم قال ابن عباس ومجاهد معناه فاحفظتم وقال الربيع بن أنس تدافعتم أي يحيل بعضكم على بعض من الدرء وهو الدفع فكان كل واحد يدفع عن نفسه (والله مخرج) أي مظهر (ما كنتم تكتمون) فإن القاتل كان يكتم القتل قوله عز وجل (فقلنا اضربوه) يعني القتل (بعضها) أي ببعض البقرة واختلوا في ذلك البعض قال ابن (٧٣) عباس رضي الله عنه وأكثر المفسرين ضربوه بالعظم الذي يلي العضروف

وهو المقتل وقال مجاهد وسعيد بن جبيرة يعجب الذنب لأنه أول ما خلق وأخر ما يبلى ويركب عليه اتلقى ثانياً وهو البعث ، وقال الضحاك بلسانها وقال الحسين بن الفضل هذا أدل بها لأنه آلة الكلام وقال الكلبي وعكرمة بن خذها الأيمن وقيل بعضونها لا يعينه ففعلوا ذلك فقام القتل حياً بأذن الله تعالى وأوداجه أي عروق العنق تشخب دماً وقال قتلى فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث وفي الخبر

(قال إنه يقول إنها بقرة لاذلول) أي ليست ممللة بالعمل (تثير الأرض) أي تقلبها للزراعة (ولا تسقى الحرث) أي ليست بسانية والسانية هي التي تستسقي الماء من البئر لسقى الأرض (مسلمة) أي بريئة من العيوب (لاشية فيها) أي لا لون فيها غير لونها (قالوا الآن جئت بالحق) أي بالبيان التام الذي لا إشكال فيه فطلبوها فلم يجدوها بقرة بكمال وصفها إلا بقرة ذلك الفتى فاشتروها منه بماله مسكها ذهباً (فدبحوها وما كادوا يفعلون) أي وما قاربوا أن يفعلوا ما أمروا به، قيل لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة وقيل لعزلة وجودها بهذه الأوصاف جميعاً. قوله عز وجل (ولاذ قتلتم نفساً) خوطبت الجماعة بذلك لوجود القتل فيهم (فادارأتم فيها) قال ابن عباس أي اختلفتم واختصمتم من الدرء وهو الدفع لأن المتخاصمين يدفع بعضهم بعضاً (والله مخرج) أي مظهر ما كنتم تكتمون) أي مظهر ما كنتم من أمر القتل لا محالة ولا يتركه مكتوماً (فقلنا اضربوه) يعني القتل (بعضها) أي ببعض البقرة قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي العضروف وهو أصل الأذن وقيل ضربوه بلسانها وقيل يعجب الذنب وقيل بفخذها اليمين والأقرب أنهم كانوا مخبرين في ذلك البعض ولهم إذا ضربوه بأي جزء منها أجزا وحصل المقصود وإنه ليس في القرآن ما يدل على ذلك البعض ما هو وذلك يقتضي التخيير وفي الآية إضمار تقديره فضر به فحجى وقام بأذن الله تعالى وأوداجه تشخب دماً وقال قتلى فلان يعني ابن عمه ثم سقط ميتاً مكانه أحرم قاتله الميراث وفي الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة (كذلك) أي كما أحيا الله عاميل صاحب البقرة (يحجي الله الموتى) يعني يوم القيامة (وربكم آياته لعلكم تعقلون) أي

وما ورث قاتل بعد صاحب البقرة ، وفيه إضمار تقديره فضربت فحجى (كذلك يحجي الله الموتى) كما أحيا

عاميل (وربكم آياته لعلكم تعقلون) قيل تمنعون أنفسكم من المعاصي أما حكم هذه المسئلة إذا وجد في الإسلام قاتل في الإسلام موضع ولا يعرف قاتله فإن كان ثم لوث على إنسان واللوث أن يغلب على القلب صدق المدعى بأن اجتماع جماعة في بيت أو صحراء ففترقوا عن قاتل يغلب على القلب أن القاتل فيهم أو وجد قاتل في محلة أو قرية كلهم أعداء للقتيل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على القلب أنهم قتلوه فادعى الولي على بعضهم يخلف المدعى خمسين يمينا على من يدعى عليه وإن كان الأولياء جماعة توزع الأيمان عليهم ثم بعد ما حفظوا أخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه إن ادعوا قتل خطأ وإن ادعوا قتل عمد فمن ماله ولا قود على قول الأكثرين وذهب بعضهم إلى وجوب القود وهو قول عمر بن عبدالعزيز وبه قال مالك وأحمد وإن لم يكن على المدعى عليه لوث فالقول قول المدعى عليه مع يمينه ثم هل يخلف يمينا واحدة أم خمسين يمينا فيه قولان أحدهما يمينا واحدة كما في سائر الدعاوى والثاني يخلف خمسين يمينا تغليظاً لأمر الدم وعند أبي حنيفة رضي الله عنه لا حكم للوثة ولا يبدأ يمين المدعى وقال إذا وجد قاتل في محلة يختار الإمام خمسين رجلاً من صلحاء أهلها فيحلفهم أنهم ما قتلوه ولا عرفوا له قاتلاً ثم يأخذ الدية من سكانها

والدليل على أن البداءة يمين المدعى عند وجود اللوث ما أخبرنا به عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الحلال
أنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا عبد الوهاب (٧٣) بن عبد الحميد الثقفي عن

تمنعون أنفسكم عن المعاصي . فان قلت كان حق هذه القصة أن يقدم ذكر القتل أولاً ثم
ذكر ذبح البقرة بعد ذلك ، فما وجه ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب ؟ قلت وجهه أن الله لما
ذكر من قصص بني إسرائيل وما وجد من خياناتهم تفرعاً لهم على ذلك وما وجد فيهم من الآيات
العظيمة وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التفرع وإن كانتا متصلتين متحدثين في نفس
الأمر فالأولى لتزويرهم على ترك المسارعة إلى امتثال الأمر وما يتبعه والثانية لتزويرهم على قتل
النفس المحرمة فلو قدم قصة القتل على قصة الذبح لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض من
تنبيه التزوير فلهذا قدم ذكر الذبح أولاً ثم عتبه بذكر القتل . فان قلت ما الفائدة ضرب القتل
ببعض البقرة والله تعالى قادر على أن يجيبه ابتداء من غير ضرب بشيء ؟ قلت الفائدة فيه أن
تكون الحجة أوكد وعن الحيلة أبعده لاحتمال أن يتوهم متوهم أن موسى عليه السلام إنما أحياه بضرب
من السحر والحياة فإذا أحيى القتل عند ما ضرب بعض البقرة انتفتت الشبهة وعلم أن ذلك من
عند الله تعالى وبأمره كان ذلك . فان قلت هلا أمروا بذبح غير البقرة ؟ قلت الكلام في غير
البقرة لو أمروا به كالكلام في البقرة ثم في ذبح البقرة فوائد منها التقرب بالقرابان على ما كانت
العادة جارية عندهم ، ومنها أن هذا القرابان كان عندهم من أعظم القرابين ومنها تحمل المشقة
العظيمة في تحصيلها بتلك الصفة ومنها حصول ذلك المال العظيم الذي أخذها صاحبها من ثمنها .
(فصل : في حكم هذه المسئلة في شريعة الإسلام إذا وقعت) وذلك أنه إذا وجد قتيل

يعني بن سعيد عن بشر
ابن يسار عن سهل بن
أبي حنيفة أن عبد الله بن
سهل ومحيصة بن مسعود
خرجا إلى خيبر ففترقا
لحاجتهما فقتل عبد الله
ابن سهل فانطلق هو
وعبد الرحمن أخو
المقتول ومحيصة
مسعود إلى رسول الله
ﷺ فذكروا له قتل
عبد الله بن سهل فقال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم تحلفون خمسين يمينا
وتستحقون دم صاحبكم
أو قاتلكم فقالوا يا رسول
الله نشهد ولم تحضر فقال
رسول الله ﷺ فتركتكم
يهود بخمسين يمينا فقالوا
يا رسول الله كيف تقبل
أيمان قوم كفار فعزم
النبي صلى الله عليه وسلم
عقله من عنده وفي لفظ
آخر فزعم أن النبي صلى
الله عليه وسلم عقله من
عنده قال بشر بن يسار
قال سهل لقد ركضتني
فريضة من تلك الفرائض
في مربد لنا وفي رواية لقد
ركضتني ناقة حمراء من
تلك الفرائض في مربد لنا

في موضع ولا يعرف قاتله فان كان ثم لوث على إنسان ادعى به . واللوث أن يغلب على الظن
صدق المدعى بأن اجتمع جماعة في بيت أو صحراء ثم تفرقوا عن قتيل فيغلب على الظن أن القاتل
فيهم أو وجد قتيل في عملة أو قرية وكلهم أعداء القتل لا يخاطبهم غيرهم فيغلب على الظن أنهم
قتلوه فان ادعى الولي على بعضهم حلف خمسين يمينا على من يدعى عليه وإن كان الأولياء جماعة
توزع الإيمان عليهم فاذا حلفوا أخذوا الدية من عاقبة المدعى عليه إن ادعوا قتل خطأ وإن
ادعوا قتل عمد فمن مال المدعى عليه ولا قود عليه في قول الأكثرين وذهب عمر بن عبد العزيز
إلى وجوب التهود وبه قال مالك وأحمد فان لم يكن ثم لوث فالقول قول المدعى عليه لأن الأصل
براءة ذمته من القتل وهل يحلف يمينا واحدة أم خمسين يمينا ؟ فيه قولان أحدهما أنه يحلف يمينا
واحدة كما في سائر الدعاوى والثاني أنه يحلف خمسين يمينا تعليلاً لأمر القتل وعند أبي حنيفة
لا حكم لوث ولا يبدأ به بين المدعى بل إذا وجد قتيل في عملة يختار الإمام خمسين رجلاً من
صلحاء أهلها فيحلفهم أنهم ما قتلوه ولا يعرفون له قاتلاً فان حلفوا وإلا أخذ الدية من سكانها .
والدليل على أن البداءة يمين المدعى عند وجود اللوث ما روى عن سهل بن أبي خبيشة قال
انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود إلى خيبر وهي يومئذ صلح ففترقا فأتى محيصة إلى
عبد الله بن سهل وهو يتشحط في دمه قتيلاً فدفعته ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل
ومحيصة ومحيصة ابنة مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يشكلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كبير كبير وهو أحدث القوم منا فسكت شكلماً فقال أتاهم ونستحقون

(١٠ - خازن بالبغوي - أول)

وجه الدليل من الخبر أن النبي ﷺ بدأ بأيمان

المدعين لتقوى جانبهم باللوث ، وهو أن عبد الله بن سهل وجد قتيلاً في خيبر وكانت العداوة ظاهرة بين الأنصار وأهل
خيبر وكان يغلب على القلب أنهم قتلوه واليمين أبداً تكون حجة لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث تقوى جانب المدعى عليه

من حيث أن الأصل براءة ذمته وكان القول قوله مع يمينه قوله (ثم قست قلوبكم) أي بيست وجفت جفاف القلب خروج
 الرحمة واللين عنه وقيل غلظت وقيل اسودت (من بعد ذلك) من بعد ظهور الدلالات قال الكلبى قالوا بعد ذلك نحن لم نقتله
 فلم يكونوا قط أعمى قلبا ولا أشد تكديبا لنبيهم منهم عند ذلك (فهمى) فى الغلظة والشدة (كالحجارة أو أشد قسوة) قيل أو بمعنى
 بل أو بمعنى الواو كقوله «مائة ألف أو يزيدون» أى بل يزيدون أو يزيدون وإنما لم يشبهها بالحديد مع أنه أصلب من الحجارة لأن الحديد
 قابل للين فإنه يلين بالنار وقد لان لداود عليه السلام والحجارة لا تلين قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسى فقال (وإن
 من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) قيل أراد به جميع الحجارة وقيل أراد به الحجر الذى كان يضرب عليه موسى للأسباط
 (وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء) أراد به عيوننا دون الأنهار (وإن منها لما يهبط) أى أسنله (من
 خشية الله) وقلوبكم لا تلين ولا تتخشع بامعشر اليهود . فان قيل الحجر جماد لا يفهم فكيف يخشى قبل الله يفهمه ويلهمه فيخشى
 بأخاهم ومذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى علما فى الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غير الله فلها
 صلاة وتسبيح وخشية كما قال (٧٤) جل ذكره « وإن من شيء إلا يسبح بحمده » وقال « والظير صافات كل قد

علم صلته وتسبيحه »
 وقال « ألم تر أن الله يسجد
 له من فى السموات ومن
 فى الأرض والشمس
 والقمر » الآية فيجب على
 المرء الإيمان به وبكل
 علمه إلى الله سبحانه
 وتعالى ويروى أن النبي
 ﷺ كان على نبي
 والكفار يطلبونه فقال
 الجبل انزل عني فاني
 أخاف أن تؤخذ علي
 فيعاقبني الله بملك فقال
 له جبل حراء إلى يارسول
 الله أخبرنا الإمام أبو على
 الحسين بن محمد القاضى
 ثنا السدى أبو الحسين

قالكم أو قال صاحبكم قالوا كيف نخلف ولم نشهد ولم نر ؟ قال فبئس لكم بيود بأيمان خمسين منهم
 قالوا كيف نأخذ بأيمان قوم كفار فعقده النبي صلى الله عليه وسلم من عنده وفى رواية يقسم خمسون
 منكم على رجل منهم فيدفع برمته وذكر نحوه وزاد فى رواية فكره رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أن يبطل دمه فوداه بمائة من إبل الصدقة أخرجه فى الصحيحين ، ووجه الدليل من هذا
 الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ بأيمان المدعين ليقوى جانبهم باللوث لأن التيمين أبدا
 تكون لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث تكون من جانب المدعى عليه من حيث إن الأصل
 براءة ذمته فكان القول قوله مع يمينه والله أعلم . قوله عز وجل (ثم قست قلوبكم) أى بيست
 وجفت وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه وقيل معناه غلظت واسودت (من بعد ذلك) أى
 من بعد ظهور الدلالات التى جاء بها موسى وقيل هى إشارة إلى إحياء القليل بعد ضربه بعض
 البقرة (فهمى) يعنى القلوب فى الغلظ والشدة (كالحجارة) أى كالثىء الصلب الذى لا تتخلل
 فيه (أو) قيل أو بمعنى بل وقيل بمعنى الواو أى و (أشد قسوة) فإن قلت لم شبه قلوبهم بالحجارة
 ولم يشبهها بالحديد وهو أشد من الحجارة وأصلب . قلت لأن الحديد قابل للين بالنار وقد لان
 لداود عليه الصلاة والسلام والحجارة ليست قابلة للين فلا تلين قط ثم فضل الحجارة على القلب
 القاسى فقال (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) قيل أراد به جميع الحجارة وقيل أراد
 به الحجر الذى كان يضرب عليه موسى ليسيئ الأسباط والتفجير التفتيح بالسعة والكثرة (وإن
 منها لما يشقق فيخرج منه الماء) يعنى العيون الصغار التى دون الأنهار (وإن منها لما يهبط من خشية الله)

محمد بن حسن العلوى أنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب النيسابورى أنا محمد بن إسماعيل الصائغ أنا يحيى بن
 أى بكر أنا إبراهيم بن طهمان عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله ﷺ « إني لأعرف حجرا ممكنا كان يسلم على
 قيل أن أبعث وإني لأعرفه الآن » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبه عن يحيى بن أبى بكر وصح عن أنس
 أن رسول الله ﷺ طلع له أحد فقال « هذا جبل يحبنا ونحبه » وروى عن أبى هريرة يقول « صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الصبح ثم أقبل على الناس بوجهه وقال بينا رجل يسوق بقرة إذ عبي فركبها فضربها فقالت إنا لم نخلقنا للحراثة
 الأرض فقال الناس سبحان الله بقرة تتكلم ؟ فقال رسول الله ﷺ فإني أؤمن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم « وقال بينا رجل
 فى غم له إذ عدا الذئب على شاة منها فأدركها صاحبها فاستفندها فقال الذئب فمن ذا يوم السبع أى يوم القيامة يوم لا راعى
 لما غيرى فقال الناس سبحان الله ذئب يتكلم فقال أؤمن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم « وصح عن أبى هريرة « قال وكان
 رسول الله ﷺ عنى حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
 اهدأ أى اسكن فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد صحيح أخرجه مسلم . أنا عبد الله الصالحى أنا أبو سعيد يحيى بن أحمد بن

على الصانع أنا أبو الحسن علي بن إصحاق بن هشام الرازي أنا محمد أيوب بن ضريس وهو بجلى الرازي أنا محمد بن الصباح عن الوليد ابن أبي ثور عن السدي عن عباد بن أبي يزيد عن علي بن أبي طالب (٧٥) رضي الله عنه قال وكتنا مع رسول

الله ﷺ بمكة فخرجنا فنواحيها خارجا من مكة بين الجبال والشجر فلم يمر بشجرة ولا جبل إلا قال السلام عليك يا رسول الله أنا أبو الحسن عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز ابن أحمد الحلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا عبد المهيد ابن عبد العزيز عن ابن جريح أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب استند إلى جلد نخلة من سوارى المسجد فلما صنع له المنبر فاستوى عليه اضطربت تلك السارية وحن كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد حتى نزل رسول الله ﷺ فاعتنقها فسكنت » قال مجاهد لا ينزل حجر من الأعلى إلى الأسفل إلا من خشية الله ويشهد لما قلنا قوله تعالى « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك

أى ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله ، وخشيته عبارة عن انقيادها لأمر الله وأنها لا تمتنع عما يريد منها ، وقلوبكم بأمعش اليهود لا تلتين ولا تخشع . فان قلت الحجر جماد لا يعقل ولا يفهم فكيف يخشى ؟ قلت إن الله تعالى قادر على إفهام الحجر والجمادات فتعقل وتخشى باهامه لها ، ومذهب أهل السنة إن الله تعالى أودع في الجمادات والحيوانات علما وحكمة لا يقف عليهما غيره فلها صلاة وتسييح وخشية يدل عليه قوله ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده وقال الله تعالى (م) عن جابر بن سمرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث وإني لأعرفه الآن » عن علي قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا إلى بعض نواحيها فاستقبله شجر ولا جبل إلا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (خ) عن جابر بن عبد الله قال « كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جذع في قبلته يقوم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته فلما وضع المنبر سمعنا للجدع جينا مثل صوت العشار حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه ، وفي رواية : صاحت النخلة صباح الصبي فنزل صلى الله عليه وسلم حتى أخذها فضمها إليه فجعلت تن أتبين الصبي الذي لا يسكت حتى استقرت قال بكيت على ما كانت تسمع من الذكر » قال مجاهد ما ينزل حجر من أعلى إلى أسفل إلا من خشية الله وذلك يشهد لما قلنا (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد والمعنى أن الله بالمرصاد هؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لأعمالهم حتى يجازيهم بها في الآخرة . قوله عز وجل (أفنطمعون) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه ذو الداعي إلى الإيمان وإنما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لأنهم كانوا يدعونهم إلى الإيمان أيضا ومعنى أفنطمعون أفرجعون (أن يؤمنوا لكم) أى يصدقكم اليهود بما تخبرونهم وقيل معناه أفنطمعون أن يؤمنوا لكم مع أنهم لم يؤمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام وكان هو السبب في خلاصهم من اللذ وظهور المعجزات على يده (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) قيل المراد بالفريق هم الذين كانوا مع موسى يوم الميقات وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى وقيل المراد بهم الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الأقرب لأن الضمير راجع إليهم في أفنطمعون أن يؤمنوا لكم ، فعلى هذا يكون معنى يسمعون كلام الله يعني التوراة لأنه يصحح أن يقال لمن يسمع التوراة يسمع كلام الله (ثم يخرفونه) أى يغيرون كلام الله ويبدلونه فمن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله بالفريق الذين كانوا مع موسى عليه السلام استدل بقول ابن عباس رضي الله عنهما إنها نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه وذلك لأنهم لما رجعوا إلى قومهم بعد ما سمعوا كلام الله أما الصادقون منهم فأنهم أدوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله يقول في آخر كلامه إن استظتم أن تفعلوا فافعلوا وإن شئتم فلن تفعلوا فكان هذا تخريفهم ومن فسر الفريق الذين كانوا يسمعون كلام الله بالذين كانوا في زمن النبي صلى الله

الأمثال ففسرها للناس لعلمهم بتفكيرهم قوله عز وجل (وما الله بغافل) ساء (عما تعملون) وعيد وتهديد وقيل بتارك عقوبة ما تعملون بل يجازيكم به . قرأ ابن كثير يعملون بالياء والآخرين بالتاء . قوله عز وجل (أفنطمعون) أفرجون يريد محمدا وأصحابه (أن يؤمنوا لكم) تصادقكم اليهود بما تخبرونهم به (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) يعني التوراة (ثم يخرفونه) يغيرون ما فيها

من الأحكام (من بعد ما عقلوه) علموه كما غيروا صفة محمد ﷺ وآية الرجم (وهم يعلمون) أنهم كاذبون هنا قول مجاهد وقتادة وعكرمة والسدي وجماعة وقال ابن عباس ومقاتل نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى لبقائه ربه وذلك أنهم لما رجعوا بعد ما سمعوا كلام الله إلى قومهم رجع الناس إلى قولهم وأما الصادقون منهم فأدوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله يقول في آخر كلامه إن استطعتم أن تفعلوا فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا فهذا تحريفهم وهم يعلمون أنه الحق قوله عز وجل (وإذا لقوا الذين آمنوا) قال ابن عباس والحسن وقتادة يعني منافق اليهود الذين آمنوا بألسنتهم إذا لقوا المؤمنين المخلصين (قالوا آمنا) كما يمانكم (وإذا خلا) رجع (بعضهم إلى بعض) كعب بن الأشرف وكعب بن أسد ووهب بن يهودا أو غيرهم من رؤساء اليهود (٧٦) لا موهم على ذلك (قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) بما

عليه وسلم قال كان تحريفهم تبديلهم صفة النبي ﷺ وآية الرجم في التوراة (من بعد ما عقلوه) أي علموا صحة كلام الله ومراده فيه ثم مع ذلك خالفوه (وهم يعلمون) أي فساد مخالفة ويعلمون أيضا أنهم كاذبون . قوله عز وجل (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) نزلت هذه الآية في اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما إن منافق اليهود كانوا إذا لقوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم آمنا بالذي آمنتم به وإن صاحبكم صادق وقوله حق وإنا نجد نعمته وصفته في كتابنا (وإذا خلا بعضهم إلى بعض) يعني كعب بن الأشرف وكعب بن أسد ووهب بن يهودا ورؤساء اليهود لا موهم منافق اليهود على ذلك (قالوا) أتحدثونهم بما فتح الله عليكم (يعني قص الله عليكم في كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه حق وقوله صادق (ليحاجوكم به) أي ليخاصمكم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا عليكم بقولكم فيقولون لكم قد أقررتم أنه نبي حق في كتابكم لم لا تتبعونه ، وذلك أن اليهود قالوا لأهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم : آمنوا به فإنه نبي حق ثم لام بعضهم بعضا وقالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم (عند ربكم) أي في الدنيا والآخرة وقيل هو قول يهود بني قريظة بعضهم لبعض حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا إخوان القردة والخنازير قالوا من أخبر محمدا بهذا ؟ هذا ما خرج إلا منكم وقيل أن اليهود أخبروا المؤمنين بما عليهم الله به من الجنايات فقال بعضهم لبعض أتحدثونهم بما قضى الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لأنفسهم عليكم عند الله (أفلا تعقلون) أي إن ذلك لا يليق بما أنتم عليه (أولا يعلمون) يعني اليهود (أن الله يعلم ما يسرون) أي ما يخفون (وما يعلنون) أي ما يبشرون وما يظهرون . قوله عز وجل (ومنهم) أي من اليهود (أميون) أي لا يحسنون الكتابة ولا القراءة جمع أي وهو المنسوب إلى أمه كأنه باق على ما انفصل من الأم لم يتعلم كتابة ولا قراءة (لا يعلمون الكتاب إلا أماني) جمع أمية وهي التلاوة ، ومنه قول الشاعر :
تمنى كتاب الله أول ليلة
تمنى داود الزبور على رسل
أي تلا كتاب الله . وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه غير عارفين بمعاني كتاب الله تعالى وقيل

قص الله عليكم في كتابكم أن محمدا حق وقوله صادق والفتح القاص . وقال الكسائي بما بيده لكم من العلم بصفة محمد ﷺ ونعتوه قال الواقدي بما أنزل الله عليكم وأعطاكم ونظيره « لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » أي أنزلنا ، وقال أبو عبيدة عما من الله عليكم وأعطاكم (ليحاجوكم به) ليخاصمواكم به يعني أصحاب محمد ﷺ ويحتجوا بقولكم عليكم فيقولوا قد أقررتم أنه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه وذلك أنهم قالوا لأهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد ﷺ آمنوا به فإنه حق ثم قال

بعضهم لبعض أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به ويعني لتكون لهم الحجة عليكم (عند ربكم) في الدنيا والآخرة وقيل إنهم أخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به على الجنايات فقال بعضهم لبعض أتحدثونهم بما أنزل الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به عند ربكم ليروا الكرامة لأنفسهم عليكم عند الله . وقال مجاهد هو قول يهود قريظة قال بعضهم لبعض حين قال لهم النبي ﷺ يا إخوان القردة والخنازير فقالوا من أخبر محمدا بهذا ما خرج هذا إلا منكم (أفلا تعقلون) قوله عز وجل (وما يعلنون) أي يبشرون ويعلمون (ومنهم أميون) أي من اليهود (أميون) أي لا يحسنون الكتابة ولا القراءة (لا يعلمون الكتاب إلا أماني) جمع أمية وهي التلاوة ، ومنه قول الشاعر :
تمنى كتاب الله أول ليلة
تمنى داود الزبور على رسل
أي تلا كتاب الله . وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه غير عارفين بمعاني كتاب الله تعالى وقيل

الأماني

الترآن حذف إحدى الياء من تخفيفا وقراءة العامة بالتشديد وهو جمع الأمانة وهي التلاوة قال الله تعالى وإذ اتممت آياتي الشيطان في أميته أي في قرأته ، قال أبو عبيدة إلا تلاوة وقراءة عن ظهر القلب لا يقرؤته من كتاب وقيل يعلمونه حفظا وقراءة لا يعرفون معناه قال ابن عباس يعني غير عازفين بمعاني الكتاب وقال مجاهد وقتادة إلا كذبا وباطلا . قال السراة إلا أمانى الأحاديث المتعلقة . قال عثمان رضي الله عنه ما تمنيت منذ أسلمت أي ما كذبت وأراد بها الأشياء التي كتبها علماء مؤمن من عند أنفسهم ثم أضافوها إلى الله من تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وغيره وقال الحسن وأبو العالية هي من التمني وهي أمانتهم الباطلة التي يتعنونها على الله عز وجل مثل قولهم ان يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وقولهم ولن تمسنا النار إلا أياما معدودة وقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه فعل هذا لا يكون بمعنى لكن (٧٧) أي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون

أشياء لا يحصل لهم (وإن هم) وما هم (الايضون) يعني وما يظنون إلا ظنا وتوهمنا لا يقينا قاله قتادة والربيع وقال مجاهد يكذبون قوله عز وجل (فويل) قال الزجاج ويل كلمة تنفوخها العرب لكل واقع في هلكة وقيل هو دعاء الكفار على أنفسهم بالويل واليبور وقال ابن عباس شدة العذاب وقال سعيد ابن المسيب ويل واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لانماعت ولذابت من شدة حرها أحمرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو ظاهر محمد بن أحمد ابن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسافي

الأمانى الأحاديث الكاذبة المختلفة وهي الأشياء التي كتبها علماء مؤمن من عند أنفسهم وأضافوها إلى الله تعالى وذلك من تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك ، وقيل هو من التمني وهو قولهم ولن تمسنا النار إلا أياما معدودة وغير ذلك مما تمنوه فعل هذا يكون المعنى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أشياء لا تحصل لهم (وإن هم إلا يظنون) أي على يقين (فويل) الويل كلمة تنفوخها العرب لكل من وقع في هلكة وأصلها في اللغة العذاب والحلاك وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره » أخرجه الترمذي وقال حديث غريب . الخريف سنة (للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) تأكيد للكتابة لأنه يحتمل أن يأمر غيره بأن يكتب فقال بأيديهم لئني هذه الشبهة والمراد بالذين يكتبون الكتاب اليهود وذلك أن رؤساء اليهود خافوا ذهاب ما كلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق سفلتهم عن الإيمان به فعمدوا إلى صفته في التوراة فغيروها وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر أكحل العينين ربعة العنق ربعة فغيروا ذلك وكتبوا مكانه طوال أزرق العينين سبط الشعر فكانوا إذا سأهم سفلتهم عن ذلك قرعوا عليهم ما كتبوا (ثم يقولون هذا من عند الله) يعني هذه الصفة التي كتبوها . فاذا نظروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى تلك وجدوه مخالفا لها فيكذبونه ويقولون إنه ليس به (ليشتروا به) أي مما كتبوا (ثمنا قليلا) أي المآكل والرثا التي كانوا يأخذونها من سفلتهم : قال الله تعالى (فويل لهم بما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) . قوله عز وجل (وقالوا) أي اليهود (لن تمسنا) أي لن تصيبنا (النار إلا أياما معدودة) أي قلنا مقدرا ثم يزول عنا العذاب قال ابن عباس قالت اليهود مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعدب بكل ألف سنة يوما ثم ينقطع عنا العذاب بعد سبعة أيام وقيل لأنهم عنوا بالأيام الأربعين يوما التي عبدوا فيها العجل وقيل إن اليهود زعموا أن الله تعالى عتب عليهم

أنا عبد الله بن محمد وأنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الحلال أنا عبد الله بن المبارك عن رشيد بن سعد عن عمرو بن الحارث أنه حدث عن أبي السرح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره والصعود جبل من نار ينصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فهو كذلك (للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) وذلك أن أحبار اليهود خافوا ذهاب ما كلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق اليهود عن الإيمان به فعمدوا إلى صفته في التوراة وكانت صفته فيها : حسن الوجه حسن الشعر أكحل العينين ربعة القامة فغيروها وكتبوا مكانها طوال أزرق العينين سبط الشعر ، فاذا سأهم سفلتهم عن صفته قرعوا ما كتبوه فيجاءونه مخالفا لصفته ويكذبونه قال الله تعالى (فويل لهم بما كتبت أيديهم) يعني كتبوه بأنفسهم اختراعا من تغيير نعتهم صلى الله عليه وسلم (وويل لهم مما يكسبون) من المآكل ويقال من المعاصي (وقالوا) يعني اليهود (لن تمسنا النار) لن تصيبنا النار (إلا أياما معدودة) قلنا مقدرا ثم يزول عنا العذاب واختلفوا في هذه الأيام فقال

ابن عباس ومجاهد كانت اليهود يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما تعذب بكل ألف سنة يوماً واحداً ثم يتقطع العذاب بعد سبعة أيام. وقال قتادة وعطاء يعنون أربعين يوماً التي عبد فيها آباؤهم العجل وقال الحسن وأبو العالية قالت اليهود إن ربنا عتب علينا في أمرنا فأقسم الله ليعذبنا أربعين يوماً فلن نتمسنا النار إلا أربعين يوماً تحلة القسم فقال الله عز وجل تكذبوا لهم (قل) يا محمد (أخذتم عند الله) ألف استنهام دخلت على ألف الوصل (عهداً) موثقاً أن لا يعذبكم إلا هذه المدة (قلن يخاف الله عهداً) وعده قال ابن مسعود عهداً بالتوحيد (٧٨) يدل عليه قوله تعالى إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً يعني قوله لا إله إلا الله

(أم تقولون صلى الله
ملا تملون) ثم قال
(بل) وبلى وبل حرفاً
استبرك ومعناها نفي
الخبر الماضي وإثبات
الخبر المستقبل (من كسب
سنة) يعني الشرك
(وأحاطت به خطيئته)
قرأ أهل المدينة خطيئته
بالجمع، والإحاطة
الإحاطة بالشئ من
جميع نواحيه قال ابن
عباس وعطاء والضحاك
وأبو العالية والربيع
وجماعة هي الشرك يموت
عليه وقيل السنة الكبيرة
والإحاطة به أن يصر
عليها فيموت غير نائب
قاله عنكرمة والربيع بن
حكيم قال الواحدى رحمه
الله في تفسيره الوسيط
المؤمنون لا يدخلون في
حكم هذه الآية لأن
الله تعالى أوعد بالخلود
في النار من أحاطت به
خطيئته وتقدمت منه

في أمر فأقسم ليعذبهم أربعين يوماً تحلة القسم فقال الله ردا عليهم وتكذيباً لهم (قل) أي
يا محمد لليهود (أخذتم عند الله عهداً) أي موثقاً أن لا يعذبكم إلا هذه المدة (قلن يخلف الله عهداً)
أي وعده (أم تقولون على الله مالا تعلمون؟) بل) إثبات لما بعد حرف التثنية وهو قوله لن نتمسنا
النار والمعنى بل نتمسك النار أبداً (من كسب سنة) السنة اسم يتناول جميع المعاصي كبيرة
كانت أو صغيرة. والسنة هنا الشرك في قول ابن عباس (وأحاطت به خطيئته) أي أحاطت
به من جميع جوانبه قال ابن عباس هي الشرك يموت عليه صاحبه وقيل أحاطت به أي
أهلكته خطيئته وأحبطت ثواب طاعته فعلى مذهب أهل السنة يتعين تفسير السنة والخطيئة
في هذه الآية بالكفر والشرك لقوله تعالى (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فإن الخلود
في النار هو للكفار والمشركين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) فإن قات العمل الصالح
خارج عن اسم الإيمان لأنه تعالى قال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) فلو دل الإيمان على
العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعد الإيمان تكراراً. قلت أجاب بعضهم بأن الإيمان
وإن كان يدخل فيه جميع الأعمال الصالحة إلا أن قوله آمن لا يفيد إلا أنه فعل فعلاً واحداً
من أعمال الإيمان فإذا حسن أن يقول والذين آمنوا وعملوا الصالحات وقيل إن قوله آمنوا يفيد
الماضي وعملوا الصالحات يفيد المستقبل فكانه تعالى قال آمنوا أولاً ثم داموا عليه آخراً ويدخل
فيه جميع الأعمال الصالحة (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) قوله عز وجل (وإذا
أخذنا ميثاق بني إسرائيل) يعني في التوراة. والميثاق العهد الشديد (لا تعبدون إلا الله) أي أمر الله
تعالى بعبادته فيدخل تحته النهي عن عبادة غيره لأن الله تعالى هو المستحق للعبادة لا غيره
(وبالوالدين إحساناً) أي براهما ورحمة هما ونزولاً عند أمرهما فيما لا يخالف أمر الله تعالى
ويوصل إليهما ما يحتاجان إليه ولا يؤذيهما بالية وإن كانا كافرين بل يجب عليه الإحسان إليهما
ومن الإحسان إليهما أن يدعوهما إلى الإيمان بالرفق واللين وكذا إن كانا فاسقين بأمرهما
بالمعروف بالرفق واللين من غير عنف وإنما عطف بر الوالدين على الأمر بعبادته لأن شكر
النعم واجب والله على عبده أعظم النعم لأنه هو الذي خلقه وأوجده بعد العدم فيجب تقديم
شكره على شكر غيره ثم إن للوالدين على الوالد نعمة عظيمة لأنهم ما سبب في كونه الولد ووجوده
ثم أن لما عليه حق التربية أيضاً فيجب شكرهما ثانياً (وذى القربى) أي القرابة لأن حق القرابة
تابع لحق الوالدين والإحسان إليهم إنما هو بواسطة الوالدين فلهذا حسن عطف القرابة على

سنة وهي الشرك، والمؤمن وإن عمل الكبائر لم يوجد منه الشرك وقال مجاهد هي الذنوب تحيط بالقلب كلما عمل الوالدين
ذنباً ارتفعت حتى يعشى القلب وهي الرين. قال الكلبي أوبقته ذنوبه دليله قوله تعالى (إلا أن يحاط بكم أي تهلكوا) فأولئك
أصحاب النار هم فيها خالدون، والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) قوله تعالى (وإذا أخذنا ميثاق
بني إسرائيل) في التوراة. والميثاق العهد الشديد (لا تعبدون إلا الله) قرأ ابن كثير وحمرزة والكسائي لا يعبدون بالياء والآخرين
بالتاء كقوله تعالى (وقولوا للناس حسناً) معناه أن لا تعبدوا فلما أخذتم أن صار الفعل مرفوعاً وقرأ أبي بن كعب لا تعبدوا على النبي
(وبالوالدين) أي وصيناهم بالوالدين (إحساناً) براهما وعطفنا عليهم ما نوزولاً عند أمرهما فيما لا يخالف أمر الله تعالى (وذى القربى)

أى وبذى القرابة والقربى مضار كالحسنى (واليتامى) جمع يتيم وهو الطفل الذى لأب له (والمساكين) يعنى الفقراء
(وقولوا للناس حسنا) صدقا وحقا فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم فمن سألكم عنه فأصدقوه وبيّنوا صفة ولا تكذبوا أمره
هذا قول ابن عباس وسعيد بن جبیر وابن جریج ومقاتل وقال سفیان الثورى مروهم بالمعروف وانهم عن المنكر وقيل هو
اللين فى القول والمعاشرة بحسن الخلق قرأ حمزة والكسائى ويعقوب حسنا بفتح الحاء والسين أى قولاً حسناً (وأقيموا الصلاة
وآتوا الزكاة ثم توليتهم) أعرضتم عن العهد والميثاق (إلا قليلاً منكم) وذلك أن قوماً منهم آمنوا (وأنتم معرضون) كاعراض
آبائكم . قوله عز وجل (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون) أى لا تريقون (دماءكم) أى (٧٩) لا يسفك بعضكم دم بعض

وقيل لا تسفكوا دماء
غيركم فبشك دماءكم
فكأنكم سفكتم دماء
أنفسكم (ولا تخرجون
أنفسكم من دياركم) لا يخرج
بعضكم بعضاً من داره
وقيل لا تسيئوا جوارم
جواركم فتلجنوهم إلى
الخروج بسوء جواركم
(ثم أقررتم) بهذا العهد
أنه حق وقبلتم (وأنتم
تشهدون) اليوم على
ذلك يامعشر اليهود
وتعترفون بالقول . قوله
عز وجل (ثم أنتم هؤلاء)
يعنى يا هؤلاء ، وهؤلاء
للتبعية (تقتلون أنفسكم)
أى يقتل بعضكم بعضاً
(وتخرجون فريقاً منكم
من ديارهم تظاهرون
عليهم) بتشديد الظاء
أى تظاهرون أذغمت
الهاء فى الظاء وقرأ عاصم

الوالدين (واليتامى) جمع يتيم وهو الذى مات أبوه وهو طفل صغير فإذا بلغ الحلم زال عنه
اليتيم ونجب رعاية حقوق اليتيم ثلاثة أمور لصغره وبسفه وخلوه عن يقوم بمصلحته إذ لا يقدر
هو أن يفتنع بنفسه ولا يقوم بحوائجه (والمساكين) جمع مسكين وسيأتى بيانه إن شاء الله تعالى
وإنما تأخرت درجة المساكين عن اليتامى لأنه قد يمكن أن يفتنع بنفسه وينفع غيره بالخدمة
(وقولوا للناس حسناً) فيه وجهان : أحدهما أنه خطاب للحاضرين من اليهود فى زمن النبى صلى
الله عليه وسلم فلهذا عدل من الغيبة إلى الحضور ، والمعنى قولوا حقاً وصدقاً فى شأن محمد صلى
الله عليه وسلم فمن سألكم عنه فأصدقوه وبيّنوا صفة ولا تكذبوا . والوجه الثانى
إن المخاطبين به هم الذين كانوا فى زمن موسى عليه السلام وأخذ عليهم الميثاق وإنما عدل من الغيبة
إلى الحضور على طريق الالتفات كقوله (حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم) وقيل فيه حذف تقديره
وقلناهم فى الميثاق وقولوا للناس حسناً ومعناه مروهم بالمعروف وانهم عن المنكر وقيل هو اللين
فى القول والعشرة وجسن الخلق (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) ولما أمرهم الله تعالى بهذه الشكليات
الثمانية لتكون لهم المنزلة عنده بما التزموا به أخبر عنهم أنهم ماوفوا بذلك بقوله تعالى (ثم توليتهم)
أى أعرضتم عن العهد (إلا قليلاً منكم) يعنى من الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه فانهم
وفوا بالعهد (وأنتم معرضون) أى كاعراض آبائكم . قوله عز وجل (وإذ أخذنا ميثاقكم) قيل هو
خطاب لمن كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود وقيل هو خطاب لآبائهم وفيه تفریع
لهم (لا تسفكون) أى لا تريقون (دماءكم) أى لا يسفك بعضكم دم بعض وقيل معناه لا تسفكوا دماء غيركم
فبشك دماءكم فكأنكم أنتم سفكتم دماء أنفسكم (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أى لا يخرج بعضكم
بعضاً من داره ، وقيل لا تفعوا شيئاً فتخرجوا بسببه من دياركم (ثم أقررتم) أى بهذا العهد أنه
حق (وأنتم تشهدون) يعنى أنتم يامعشر اليهود اليوم تشهدون على ذلك (ثم أنتم هؤلاء) يعنى يا هؤلاء
اليهود (تقتلون أنفسكم) أى يقتل بعضكم بعضاً (وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم) أى يخرج بعضكم
بعضاً من ديارهم (تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان) أى تتعاونون عليهم بالمعصية والظلم (وإن يأتوك
أسارى) جمع أسير (تفادوهم) أى بالمال وهو استنقاذهم بالشرء وقرىء تفادوهم أى تبادلتم
وهو مفادة الأسير بالأسير ومعنى الآية أن الله تعالى أخذ على بنى إسرائيل فى التوراة أن لا يقتل

وحمزة والكسائى بخفيف الظاء فحذفوا تاء التفاعل وأبقوا تاء الخطاب كقوله تعالى (ولا تعاونوا) معناهما جميعاً
تعاونون ، والظهير العون (بالإثم والعدوان) بالمعصية والظلم (وإن يأتوك أسارى) قرأ حمزة أسرى وهما جمع أسير ومعناه ما واحد
(تفادوهم) بالمال وتقتدوهم وقرأ أهل المدينة وعاصم والكسائى ويعقوب تفادوهم أى تبادلوهم أراد مفادة الأسير بالأسير وقيل
معنى القراءتين واحد ومعنى الآية قال السلى إن الله تعالى أخذ على بنى إسرائيل فى التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضاً ولا يخرج
بعضهم بعضاً من ديارهم وأما عبد أو أمة وجدتموه من بنى إسرائيل فاشتروه بما قام من ثمنه وأعتصوه ، وكانت قريظة حلفاء
الأوس والنضير حلفاء الخزرج وكانوا يقتلون فى حرب سين فيقاتل بنو قريظة مع حلفائهم وبنو النضير مع حلفائهم وإذا غلبوا
خربوا ديارهم وأخرجوهم منها وإذا أمر رجل من القرقيبين جمعوا له حتى يقدوه وإن كان الأسير من علومهم فعبدهم العرب

ويقولون كيف تقاتلونهم وتذوبونهم قالوا إنا أمرنا أن نقتلهم فبقوا ولم تقاتلهم قالوا إنا نستحي أن نذل حلفائنا فغيرهم الله تعالى فقال : ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وفي الآية تقديم وتأخير ونظما ونحوه ونحوه فربما منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان (وهو محرم عليكم إخراجهم) وإن يأتوكم أسارى فتدوهم فكان الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهدود ترك القتال وترك الإخراج وترك المظاهرة (٨٠) عليهم مع أعدائهم وفداء أسراهم فأعرضوا عن الكل إلا الفداء قال الله

بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وأيمانهم أو آمنهم بنى إسرائيل وجدتموه فاشتروه بما قام من ثمنه وأعتوه وكان قريظة حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج وكان بين الأوس والخزرج حروب فكانت بنو النضير تقاتل مع حلفائهم وبنو قريظة تقاتل مع حلفائهم فإذا غلب أحد الفريقين أخرجه من ديارهم وخربوها وكان إذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا يقدونه به فغيرتهم العرب وقالوا كيف تقاتلونهم ثم تذوبونهم فقالوا إنا أمرنا أن نقتلهم فقالوا كيف تقاتلونهم فقالوا إنا نستحي أن نذل حلفائنا فغيرهم الله تعالى فقال : ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وفي الآية تقديم وتأخير وتقديم وتذويره ونحوه فربما منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان (وهو محرم عليكم إخراجهم) وإن يأتوكم أسارى فتدوهم فكان الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهدود ترك القتال وترك الإخراج وترك المظاهرة مع أعدائهم وفك أسراهم فأعرضوا عن الكل إلا الفداء قال الله عز وجل (أفتمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) معناه إن وجدتموه في يد غيركم فديته وهم وأنتم تقتلونهم بأيديكم فكان لإيمانهم الفداء وكثرهم قتل بعضهم بعضا فدمهم على مناقضة أفعالهم لأعلى الفداء لأنهم أتوا ببعض ماوجب عليهم وتركوا البعض (فما جزاء من يفعل ذلك منكم) يعني يامعشر اليهود (الإخزي في الحياة الدنيا) أي عذاب وهوان فكان إخزي بنى قريظة القتل والسبي وإخزي بنى النضير الأجلاء والتي من منازلهم إلى أريحاء وأذرعات من أرض الشام (ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب) وهو عذاب النار (وما الله بغافل عما تعملون) قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالياء والباقون بالثاء قوله عز وجل (أولئك الذين اشتروا) استبدلوا (الحياة الدنيا بالآخرة) فلا يخفف عنهم العذاب أي فلا يهون عليهم (ولا هم ينصرون) أي ولا يمنعون من عذاب الله تعالى . قوله عز وجل (ولقد آتينا) أي أعطينا (موسى الكتاب) يعني التوراة جملة واحدة (وقتينا) أي وأتبعنا من التنقيب وهو أن يقفوا أثر الآخر (من بعده بالرسول) يعني رسولا بعد رسول وكانت الرسل بعد موسى إلى زمن عيسى عليهم السلام متواترة يظهر بعضهم في أثر بعض والشريعة واحدة : قيل إن الرسل بعد موسى يوشع بن نون وأخنوخ وداود وسليمان وأرميا وحز قيل وإلياس ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وكانوا يحكمون بشريعة موسى إلى أن بعث الله تعالى عيسى عليه السلام فجاءهم بشريعة جديدة وغير بعض أحكام التوراة فلذلك قوله تعالى (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) أي الدلالات الواضحات وهي المعجزات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وقيل هي الإنجيل . واسم عيسى بالسريانية أيشرع ومرم بمعنى الخادم وقيل هو اسم علم لها كزيد من الرجال (وأيدناه) أي وقويناه (بروح القدس) قيل أراد بالروح الذي نفخ فيه

تعالى (أفتمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) يعني يامعشر اليهود (إلا إخزي) عذاب وهوان (في الحياة الدنيا) فكان إخزي بنى قريظة القتل والسبي وإخزي بنى النضير الأجلاء والتي من منازلهم إلى أذرعات وأريحاء من الشام (ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب) وهو عذاب النار (وما الله بغافل عما تعملون) قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالياء والباقون بالثاء . قوله عز وجل (أولئك الذين اشتروا) استبدلوا (الحياة الدنيا بالآخرة) فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) لا يمنعون من عذاب الله عز وجل . قوله تعالى (ولقد آتينا) أعطينا (موسى الكتاب) التوراة جملة واحدة (وقتينا)

وأتبعنا (من بعده بالرسول) رسولا بعد رسول (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) الدلالات الواضحات والقدس وهي ما ذكر الله في سورة آل عمران والمائدة وقيل أراد الإنجيل (وأيدناه) قويناه (بروح القدس) قرأ ابن كثير القدس بسكون اللال والآخرون بضمها وهما لغتان مثل الرعب والرعب واختلفوا في روح القدس قال الربيع وغيره أراد الروح الذي نفخ فيه والقدس هو الله إضافة إلى نفسه تكريما وتخصيضا أي التي نفخ فيه نحو بيت الله وناقته الله كما قال فضحنا فيه من روحنا

وروح منه وقيل أراد بالقدس الطهارة يعني الروح الطاهرة سمى روحه قدسا لأنه لم تتضمنه أصلاب الفحول ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث إنما كان أمرا من أمر الله تعالى قال قتادة والسدي والضحاك روح القدس جبريل عليه السلام ، وقيل وصف جبريل بالقدس أي بالطهارة لأنه لم يقترف ذنبا وقال الحسن القدس هو الله وروحه جبريل قال الله تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق وتأيد عيسى بجبريل عليهما السلام أنه أمر أن يسير معه حيث سار حتى صعد به إلى السماء وقيل سمى جبريل عليه السلام روحا للطفاته ولمكانته من الوحي الذي هو سبب حياة القلوب وقال ابن عباس وسعيد بن جبير روح القدس هو اسم الله تعالى الأعظم الذي كان يحيي به الموتى ويرى الناس العجائب وقيل هو الإنجيل جعل له روحا كما جعل القرآن روحا لمحمد صلى الله عليه وآله لأنه سبب حياة القلوب وقال الله تعالى وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا فلما سمعت اليهود ذكر عيسى عليه السلام فقالوا : يا محمد

والقدس هو الله تعالى وأضاف روح عيسى إليه تشريفا وتكريما وتخصيضا له كما تقول عبد الله وأمة الله وبيت الله وناقة الله وقال ابن عباس هو اسم الله الأعظم الذي كان عيسى يحيي به الموتى وقيل هو الإنجيل لأنه حياة القلوب سماه روحا كما سماه القرآن روحا وقيل هو جبريل ووصف بالقدس وهو الطهارة لأنه لم يقترف ذنبا وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبريل كما تقول عبد الله ، سمى جبريل روحا للطفاته لأنه روحاني خلق من النور وقيل سمى روحا لمكانته من الوحي الذي هو سبب حياة القلوب وحمل روح القدس هنا على جبريل أولى لأنه تعالى قال وأيدناه أي قويناه بجبريل وذلك أنه أمر أن يكون مع عيسى ويسير معه حيث سار فلم يفارقه حتى صعد به إلى السماء فلما سمعت اليهود بذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما ينقص علينا من أخبار الأنبياء فعلت فأتنا بما أتى به عيسى إن كنت صادقا قال الله تعالى (أفكلما جاءكم) يعني يامعشر اليهود (رسول بما لا ينهون) تقبل (أنفسكم استكبرتم) أي تعظمتم عن الإيمان به (فتريقا كذبتم) يعني مثل عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم (وفريقا تقتلون) يعني مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوه ، وذلك أن اليهود كانوا إذا جاءهم رسول بما لا يهونون كذبوه فإن تبيها لم يقتله وسائر من قتلوه وإنما كانوا كذلك لإرادتهم الدنيا وطلب الرياسة (وقالوا) يعني اليهود (قلوبنا غلفت) جمع أغلف وهو الذي عليه غشاوة فلا يعي ولا يفقه . قال ابن عباس غلفت بضم اللام جمع غلاف والمعنى أن قلوبنا أوعية للعلم فلا تحتاج إلى علمك وقيل أوعية من الوعي لا تسمع حديثا إلا وعته إلا حديثك فإنها لا تعيه ولا تعقله ولو كان خيرا لتهمت به ووعته قال الله تعالى (بل لعنهم الله بكفرهم) أي طردهم وأبعدهم من كل خير . وسبب كفرهم أنهم اعترفوا بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم ثم إنكروه وجحدوه فلعلنا لعنهم الله تعالى (فقليل ما يؤمنون) أي لم يؤمن منهم إلا قليل لأن من آمن من المشركين كان أكثر منهم . قوله عز وجل (ولما جاءهم كتاب من عند الله) يعني القرآن (مصدق لما معهم) يعني التوراة وهذا التصديق في صحة نبوة

السلام فقالوا : يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما ينقص علينا من الأنبياء فعلت فأتنا بما أتى به عيسى إن كنت صادقا ، قال الله تعالى (أفكلما جاءكم) يامعشر اليهود (رسول بما لا ينهون) أنفسكم استكبرتم) تكبرتم وتعظمتم عن الإيمان (فتريقا) طائفة (كذبتم) مثل عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم (وفريقا تقتلون) أي قتلتم مثل زكريا ويحيى وشعيا وسائر من قتلوا من الأنبياء عليهم السلام (وقالوا) يعني اليهود (قلوبنا غلفت) جمع أغلف وهو الذي عليه

(١١ - حازن بالهوى - أول)

غشاوة معناه عليها غشاوة فلا تسمع ولا تفقه ما يقول قل مجاهد وقتادة نظره قوله تعالى وقالوا قلوبنا في أكنة وقرأ ابن عباس غلفت بضم اللام وهي قراءة الأعرج وهي جمع غلاف أي قلوبنا أوعية لكل علم فلا تحتاج إلى علمك قاله ابن عباس وعطاء فقال الكلبي معناه أوعية لكل علم فهي لا تسمع حديثا إلا وعته إلا حديثك لا تعقله ولا تعيه ولو كان فيه خير لوعته وفهمته قال الله عز وجل (بل لعنهم الله) طردهم الله وأبعدهم عن كل خير (بكفرهم فقليل ما يؤمنون) قال قتادة معناه لا يؤمن منهم إلا قليل لأن من آمن من المشركين أكثر ممن آمن من اليهود أي قليل ما يؤمنون ونصب قليلا على الحال . وقال معمر لا يؤمنون إلا بقليل مما في أيديهم ويكفرون بأكثره أي قليل ما يؤمنون ونصب قليلا بنوع الخافض وما صلة على قولهما وقال الواقدى معناه لا يؤمنون إلا قليلا ولا كثيرا كقول الرجل الآخر ما أقل ما تفعل كنا أي لا تفعله أصلا (ولما جاءهم كتاب من عند الله) يعني القرآن (مصدق) موافق (لما معهم) يعني التوراة

(وكانوا) يعني اليهود (من قبل) من قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم (يستفتحون) يستنصرون (على الذين كفروا) على مشركي العرب وذلك أنهم كانوا يقولون إذا أخرجهم أمر ودهمهم عدو: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين قد أظلم زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وثمود وإرم (فلما جاءهم ما عرفوا) يعني محمدا ﷺ من غير بني إسرائيل وعرفوا نعتهم وصفته (كفروا به) بغيا وحسدا (فلعنة الله على الكافرين بثنا اشتروا به أنفسهم) بثس ونعم فعلا ن ماضيان وضعا للمدح والذم لا يتصرفان تصرف الأفعال معناه بثس الذي اختاروا لأتقنهم حين استبدلوا الباطل بالحق وقيل الاشتراء ههنا بمعنى البيع والمعنى بثس ما باعوا به حظ أنفسهم أي اختاروا للكفر وبدلوا أنفسهم للنار (أن يكفروا) (٨٢) بما أنزل الله) يعني القرآن (بغيا) أي حسدا وأصل البغي الفساد يقال

محمد صلى الله عليه وسلم لأن نبوته وصفته ثابتة في التوراة (وكانوا) يعني اليهود (من قبل) أي من قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم (يستفتحون) أي يستنصرون به (على الذين كفروا) يعني مشركي العرب وذلك أنهم كانوا إذا أخرجهم أمر ودهمهم عدو يقولون: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين قد أظلم زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم (فلما جاءهم ما عرفوا) أي الذي عرفوه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم عرفوا نعتهم وصفته وأنه من غير بني إسرائيل (كفروا به) أي جحدوه وأنكروه بغيا وحسدا (فلعنة الله على الكافرين بثنا اشتروا به أنفسهم) أي بثس شيء اشتروا به أنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق واشتروا بمعنى باعوا والمعنى بثس ما باعوا به حظ أنفسهم (أن يكفروا بما أنزل الله) يعني القرآن (بغيا) أي حسدا (أن ينزل الله من فضله) يعني الكتاب والنبوة (على من يشاء من عباده) يعني محمدا ﷺ (قرأ أهل مكة والبصرة ينزل وبابه بالتحفيف إلا في سبحانه الذي في موضعين ونزل من القرآن وحتى تنزل علينا كتابا نقرؤه. فان ابن كثير يشدهما وشدد البصريون في الأنعام على أن ينزل آية زاد يعقوب تشديد بما ينزل في التحل ووافق حمزة والكسافي في تحفيف وينزل الغيث

بغى الجرح إذا فسد والبغى الظلم وأصله الطلب والباعى طالب الظلم والخاصد يظلم المحسود جهده طلبا لإزالة نعمة الله تعالى عنه (أن ينزل الله من فضله) أي النبوة والكتاب (على من يشاء من عباده) محمد ﷺ (قرأ أهل مكة والبصرة ينزل وبابه بالتحفيف إلا في سبحانه الذي في موضعين ونزل من القرآن وحتى تنزل علينا كتابا نقرؤه. فان ابن كثير يشدهما وشدد البصريون في الأنعام على أن ينزل آية زاد يعقوب تشديد بما ينزل في التحل ووافق حمزة والكسافي في تحفيف وينزل الغيث

برئ

في سورة لقمان وجمعت ، والآخرون يشددون

الكل ولم يختلفوا في تشديد وما نزله إلا بقدر في الحجر (فباعوا) رجعوا (بغضب على غضب) أي مع غضب ، قال ابن عباس ومجاهد الغضب الأول بتضيعهم التوراة وتبديلهم ، والثاني بكفرهم بمحمد ﷺ والقرآن ، وقال قتادة الأول بكفرهم بعيسى والإنجيل ، والثاني بكفرهم بمحمد ﷺ والقرآن وقال السدي الأول بعبادة العجل ، والثاني بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (وللكافرين) الجاحدين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم (عذاب مهين) أي يهانون فيه (وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله) يعني بالقرآن وقيل بكل ما أنزل الله (قالوا) يؤمن بما أنزل علينا) يعني التوراة وما أنزل على أنبيائهم (ويكفرون بما وراه) أي بما سواه من الكتب وقيل بما بعده يعني الإنجيل والقرآن (وهو الحق) يعني القرآن (مصدقا لما معهم) يعني التوراة (قل) يا محمد (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل) وإنما أضاف القتل للمخاطبين من اليهود وإن كان سلفهم قتلوا لأنهم رضوا بفعالهم قبل إذا عملت المعصية في الأرض فمن كرهها وأنكرها

الخبر والاستفهام كقولهم فيم ويم (إن كنتم مؤمنين) بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل الأنبياء عليهم السلام. قوله عز وجل (ولقد جاءكم موسى بالبينات) بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة (ثم اتخذتم العجل من بعده) أي من بعد انطلاقة إلى الجبل (وأنتم ظالمون) وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا) أي استجبوا وأطيعوا سميت الطاعة والإجابة سمعا على الحجاز لأنه سبب للطاعة والإجابة (قالوا سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك وقيل سمعنا بالأذن وعصينا بالقلوب. قال أهل المعاني إنهم لم يقولوا هذا بالسنتهم ولكن لما سمعوه و تلقوه بالعصيان نسب ذلك إلى القول اتساعا (وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) أي حب العجل أي معناه أدخل في قلوبهم حب العجل وخالطها كاشراب اللون لشدة الملازمة يقال فلان أشرب اللون إذا اختلط بياضه بالحمرة. وفي القصص أن موسى أمر أن يبرد العجل (٨٣) بالبرد ثم يذره في النهر وأمرهم

بالشرب منه فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهرت سمالة الذهب على شاربه. قوله عز وجل (قل بشأنا يأمركم به إيمانكم) أن تعبدوا العجل من دون الله، أي بشأنا يأمر بعبادة العجل (إن كنتم مؤمنين) بزعمكم وذلك أنهم قالوا نؤمن بما أنزل علينا فكذبهم الله عز وجل. قوله تعالى (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس) وذلك أن اليهود ادعوا دعوى باطلة منها قوهم: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً وقوهم: نحن أبناء الله وأحباؤه فكذبهم الله وألزمهم الحجة فقال قل يا محمد لليهود إن كانت لكم الدار الآخرة يعني الجنة خالصة لكم دون الناس (فتمنوا الموت) أي فاطلبوه واسألوه لأن من علم أن الجنة مأواه وأنها له حن إليها ولا سبيل إلى دخولها إلا بعد الموت فاستعجلوه بالتمنى (إن كنتم صادقين) أي في قولكم ودعواكم، روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال «لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه وما بقى على وجه الأرض يهودي إلا مات» قال الله تعالى (ولن يتنوه أبداً) أي لعلمهم أنهم في دعواهم كاذبون (بما قدمت أيديهم) يعني من الأعمال السيئة وإنما أضاف العمل إلى اليد لأن أكثر جنائيات الإنسان تكون من يده (والله عليم بالظالمين) فيه تخويف وتهديد لهم وإنما خصصهم بالظلم لأنه أعم من الكفر لأن كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافراً فلهذا كان أعم وكانوا أولى به (ولتجنسهم) اللام للقسم والنون للتوكيد تقديره والله لتجنسهم يا محمد

بري منها ومن رضيها كان من أهلها (إن كنتم مؤمنين) أي بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل الأنبياء. قوله عز وجل (ولقد جاءكم موسى بالبينات) أي بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة (ثم اتخذتم العجل من بعده) أي من بعد موسى لما ذهب إلى الميقات (وأنتم ظالمون) إنما كرره تبكيثاً لهم وتأكيذاً للحجة عليهم (وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا) أي استجبوا وأطيعوا أي فيما أمرتم به (قالوا سمعنا) يعني قولك (وعصينا) يعني أمرك وقيل إنهم لم يقولوا بالسنتهم ولكن لما سمعوه و تلقوه بالعصيان فنسب ذلك إليهم (وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) أي تداخل حبه في قلوبهم والحرص على عبادته كما يتداخل الصبيغ في الثوب. وقيل إن موسى أمر أن يبرد العجل وينثره في النهر وأمرهم أن يشربوا منه فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهر سمالة الذهب على شاربه (قل بشأنا يأمركم به إيمانكم) أي بأن تعبدوا العجل والمعنى بشأنا يأمر بعبادة العجل (إن كنتم مؤمنين) أي بزعمكم وذلك أنهم قالوا نؤمن بما أنزل علينا فكذبهم الله تعالى بذلك في قوله تعالى (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس) وذلك أن اليهود ادعوا دعوى باطلة منها قوهم: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً وقوهم: نحن أبناء الله وأحباؤه فكذبهم الله وألزمهم الحجة فقال قل يا محمد لليهود إن كانت لكم الدار الآخرة يعني الجنة خالصة لكم دون الناس (فتمنوا الموت) أي فاطلبوه واسألوه لأن من علم أن الجنة مأواه وأنها له حن إليها ولا سبيل إلى دخولها إلا بعد الموت فاستعجلوه بالتمنى (إن كنتم صادقين) أي في قولكم ودعواكم، روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال «لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه وما بقى على وجه الأرض يهودي إلا مات» قال الله تعالى (ولن يتنوه أبداً) أي لعلمهم أنهم في دعواهم كاذبون (بما قدمت أيديهم) يعني من الأعمال السيئة وإنما أضاف العمل إلى اليد لأن أكثر جنائيات الإنسان تكون من يده (والله عليم بالظالمين) فيه تخويف وتهديد لهم وإنما خصصهم بالظلم لأنه أعم من الكفر لأن كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافراً فلهذا كان أعم وكانوا أولى به (ولتجنسهم) اللام للقسم والنون للتوكيد تقديره والله لتجنسهم يا محمد

نحن أبناء الله وأحباؤه، فكذبهم الله عز وجل وألزمهم الحجة فقال قل لهم يا محمد إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله يعني الجنة (خالصة) أي خاصة (من دون الناس فتمنوا الموت) أي فأريدوه أو اسألوه لأن من علم أن الجنة مأواه حن إليها ولا سبيل إلى دخولها إلا بعد الموت فاستعجلوه بالتمنى (إن كنتم صادقين) أي في قولكم. وقيل فتمنوا الموت أي ادعوا بالموت على الفحمة الكاذبة، وروى عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال «لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه وما بقى على وجه الأرض يهودي إلا مات» قال الله تعالى (ولن يتنوه أبداً بما قدمت أيديهم) لعلمهم أنهم في دعواهم كاذبون وأراد بما قدمت أيديهم ما قدموه من الأعمال وأضاف العمل إلى اليد لأن أكثر جنائيات الإنسان تكون باليد فأضيف إلى اليد أعماله وإن لم يكن لليد فيها عمل (والله عليم بالظالمين ولتجنسهم) اللام للقسم والنون تأكيد للقسم تقديره والله لتجنسهم يا محمد، يعني اليهود

(أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا) قيل هو متصل بالأول أي وأحرص من الذين أشركوا. وقيل ثم الكلام بقوله على حياة ثم ابتداء ومن الذين أشركوا وأراد بالذين أشركوا الجيوس قال أبو العالبيه والربيع سموا مشركين لأنهم يقولون بالنور والظلمة (يود) يريد ويتضمن (أحدهم لو يعمر ألف سنة) يعني تعبير ألف سنة وهي تحية الجيوس فيما بينهم يقولون عش ألف سنة وكل ألف نبروز ومهرجان يقول الله تعالى: اليهود أحرص على الحياة من الجيوس الذين يقولون ذلك (وما هو بمنزحته) مباعده (من العذاب) من النار (أن يعمر) أي طول عمره لا يعده من العذاب وزحزح لازم ومتعد يقال زحزحته فزحزحه وزحزحته فزحزح (والله بصير بما يعملون) قرأ يعقوب بالتاء والباقون بالياء. قوله عز وجل (قل من كان عدوا لجبريل قال ابن عباس (٨٤) رضي الله عنهما إن حبرا من أحبار اليهود يقال له عبد الله بن سوريا قال

لنبي ^{عليه السلام} أي ملك يأتيك من السماء قال جبريل قال ذلك عدونا من الملائكة ولو كان ميكائيل لآمننا بك إن جبريل ينزل بالعباب والقتال والشدة وإنه عادانا مرارا كان أشد ذلك علينا أن الله تعالى أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له مختصر وأخبرنا بالحين الذي يخرب فيه فلما كان وقته بعثنا رجلا من أقوياء بني إسرائيل في طلبه ليقتله فانطلق حتى لقيه ببابل غلاما مسكينا فأخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وكبر مختصر وقوى وغزانا وخرب بيت المقدس فلهدا نتخذة عدوا فأنزل الله هذه الآية. وقال مقاتل قالت اليهود إن جبريل عدونا لأنه أمر أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا. وقال قتادة أحب

بمعنى اليهود (أحرص الناس على حياة) أي حياة متطاولة، وأحرص أشد الطلب (ومن الذين أشركوا) قيل هو متصل بما قبله ومعطوف عليه والمعنى وأحرص من الذين أشركوا. فان قلت الذين أشركوا قد دخلوا تحت الناس في قوله أحرص الناس فلم أفردهم بالذكر؟ قلت أفردهم بالذكر لشدة حرصهم وفيه توبيخ عظيم لليهود لأن الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها فإذا زاد عليهم في الأحرص من له كتاب وهو مقر بالبعث والجزاء كان حقيقا بالتوبيخ العظيم وقيل إن الواو واو استئناف تقديره ومن الذين أشركوا أناس (يود أحدهم) وهم الجيوس سموا بذلك لأنهم يقولون بالنور والظلمة يود أي يتمنى أحدهم (لو يعمر ألف سنة) أي تعبير ألف سنة وإنما خص الألف لأنها نهاية العهود ولأنها تحية الجيوس فيما بينهم يقولون زه هزلرسال أي عش ألف سنة أو ألف نبروز أو ألف مهرجان فهذه تحيتهم. والمعنى أن اليهود أحرص من الجيوس الذين يقولون ذلك (وما هو بمنزحته) أي مباعده (من العذاب) أي النار (أن يعمر) أي لو عمر طول عمره لا يتقدمه من العذاب (والله بصير بما يعملون) أي لا يخفى عليه خافية من أحوالهم. قوله عز وجل (قل من كان عدوا لجبريل) قال ابن عباس سب نزول هذه الآية أن عبد الله بن سوريا حبر من أحبار اليهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم أي ملك يأتيك من السماء؟ قال جبريل قال ذلك عدونا ولو كان ميكائيل لآمننا بك إن جبريل ينزل بالعذاب والشدة والخسف وإنه عادانا مرارا وأشد ذلك علينا أن الله أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له مختصر فلما كان زمنه بعثنا من يقتله فلقية ببابل غلاما مسكينا فأخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال إن كان الله أمره بهلا كنتم فلن تسلط عليه وإن لم يكن هو فعل أي حتى تقتله فلما كبر ذلك الغلام وقوى غزانا وخرب بيت المقدس فلهدا نتخذة عدوا فأنزل الله هذه الآية وقيل قالوا إن الله أمره أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا فأنخذناه عدوا. وقيل إن عمر بن الخطاب كان له أرض بأعلى المدينة وكان عمرة إليها على مدارس اليهود فكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم فقالوا يوم ما في أصحاب محمد

الآية. وقال مقاتل قالت اليهود إن جبريل عدونا لأنه أمر أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا. وقال قتادة أحب وعكرمة والسدي كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة وممرها على مدارس اليهود فكان يرى أن أرضه يأتهم ويسمع منهم فقالوا له ما في أصحاب محمد أحب إلينا منك، إنهم يمرون بها فيؤذوننا وأذت لآؤذينا وإنما لطمع فيك فقال عمر والله ما آتاكم ليكم ولا أسألكم لأنني شاك في ديني وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره في كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذي يأتيه من الملائكة قال جبريل فقالوا ذاك عدونا بطلع محمدا على مرقا وهو صاحب كل عذاب وخسف وسنة وشدة وإن ميكائيل إذا جاء جاء بالخصب والسلام فقال لهم عمر تعرفون جبريل وتكبرون محمدا قالوا نعم قال فأخبروني عن منزلة جبريل وميكائيل من الله عز وجل قالوا جبريل عن عينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل قال عمر فإني أشهد أن من كان عدوا لجبريل فهو عدو لميكائيل ومن كان عدوا لميكائيل فإنه

عدو لجبريل ومن كان عدوا لهما كان الله عدوا له ثم رجع عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبّه بالوحي فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات فقال لقد وافقتك ربك يا عمر فقال عمر لقد رأيتني بعد ذلك في دين الله أصيب من الحجر قال الله تعالى: قل من كان عدوا لجبريل (فانه) يعني جبريل (نزله) يعني القرآن كناية عن غير مذكور (على قلبك) يا محمد (باذن الله) بأمر الله (مصدقا) موافقا (لما بين يديه) لما قبله من الكتب (وهدى ويشري للمؤمنين) قوله عز وجل (من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال) (٨٥) تخصهما بالذکر من جملة الملائكة

مع دخولهما في قوله وملائكته تفضيلا وتخصيصا كقوله تعالى «فيهما فاكهة ونخل ورمان» خص النخل والرمان بالذكر مع دخولهما في ذكر الفاكهة للتفضيل والواو فيهما بمعنى أو، يعني من كان عدوا لأحد هؤلاء فانه عدو لكل لأن الكافر بالواحد كافر بكل (فان الله عدو للكافرين) قال عكرمة جبر وميكال وإسراف هي العبد بالسريانية وال وابل هو الله تعالى ومعناها عبد الله وعبد الرحمن وقرأ ابن كثير جبريل بفتح الجيم غير مهموز بوزن فعليل قال حسان:

وجبريل رسول الله
 فينا
 وروح القدس ليس
 له كفاء
 وقرأ حذرة والسكاني

أحب إلينا منك وإنما لنطمع فيك فقال عمر والله ما أتيتكم لحبكم ولا أسألكم لأني شاك في ديني وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره في كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذي يأتيه من الملائكة قال جبريل قالوا ذلك عدونا بطبع محمدنا على سرنا وهو صاحب كل عذاب وحسن وشدة وإن ميكائيل يحيي بالخصب والسلامة فقال لهم تعرفون جبريل وتذكرون محمد صلى الله عليه وسلم قالوا نعم قال فأخبروني عن منزلة جبريل وميكائيل من الله تعالى قالوا: جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر أشهد أن من كان عدوا لأحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبّه بالوحي فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات وقال: لقد وافقتك ربك يا عمر، فقال عمر: والله لقد رأيتني بعد ذلك في ديني أصيب من الحجر. والأقرب أن سبب هذه العداوة كون جبريل كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي لأن قوله: فانه نزله على قلبك مشعر بذلك وقوله (فانه نزله) يعني جبريل نزل بالقرآن كناية عن غير مذكور (على قلبك) يا محمد وإنما خص القلب بالذكر لأنه محل الحفظ (باذن الله) أي بأمره (مصدقا) أي موافقا (لما بين يديه) أي لما قبله من الكتب (وهدى ويشري للمؤمنين) أي في القرآن هداية للمؤمنين إلى الأعمال الصالحة التي يترقب عليها الثواب ويشري لهم بتوابعها إذا أتوا بها (من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال) لما بين في الآية الأولى أن من كان عدوا لجبريل لأجل أنه نزل بالقرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وجب أن يكون عدوا لله لأن الله تعالى هو الذي نزله على محمد بين في هذه الآية أن كل من كان عدوا لأحد هؤلاء فانه عدو لجبريل معهم وبين أن الله عدو للكافرين) فاما عداوتهم لله فانها لا تنصره ولا تؤزر وعداوتهم لهم تؤديهم إلى العذاب الدائم الذي لا ضرر أعظم منه وقيل المراد من عداوتهم لله وعداوتهم لأوليائه وأهل طاعته فهو كقوله: وإنما جزاء الذين يخارون الله ورسوله أي يخارون أولياء الله وأهل طاعته. وقوله وملائكته ورسوله يعني أن من عادى واحدا منهم فقد عادى جميعهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بجمعهم وجبريل وميكائيل إنما خصهما بالذكر وإن كانا داخلين في جملة الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما وعلو منزلتهما وقدم جبريل على ميكائيل لفضله عليه لأن جبريل ينزل بالوحي الذي هو غذاء الأرواح وميكائيل ينزل بالمطر الذي هو سبب غذاء الأبدان وجبريل وميكائيل اسمان أعجميان ومعناها عبد الله وعبد الله لأن جبر وميكال

بالمهززة والإشباع بوزن مسيليل وقرأ أبو بكر بالاختلاس وقرأ الآخرون بكسر الجيم غير مهموز وميكائيل قرأ أبو عمرو ويعقوب وحفص ميكال بغير همز. قال جرير:

عدوا الصليب وكتبوا بمحمد
 ويجريئيل وكتبوا ميكال
 ويوم ينزل لقبنا كم لنا مند
 فيه مع نصر جبريل وميكال

وقال آخر: وقرأ نافع وأهل المدينة بالمهززة والاختلاس بوزن ميكاعيل وقرأ الآخرون بالمهززة والإشباع بوزن ميكاعيل. قال ابن

صوريا ما جئنا بشيء نعرفه فأنزل الله تعالى (ولقد أنزلنا إليك آيات بينات) واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والأحكام (وما يكفر بها إلا الفاسقون) الخارجون عن أمر الله عز وجل (أو كلما) أو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام (عاهدوا عهدا) يعني اليهود عاهدوا لمن خرج محمد لتؤمنن به فلما خرج إليهم محمد كفروا به قال ابن عباس رضي الله عنهما لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخذ الله عليهم وعهد إليهم في محمد أن يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله ما عهد إينا عهدا في محمد فأنزل الله (٨٦) تعالى هذه الآية يدل عليه قراءة أبي رجاء العطاردي أو كلما

عاهدوا فجعلهم مفعولين وقال عطاء هي اليهود التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اليهود أن لا يعاونوا المشركين على قتاله فنقضوها كفعل بني قريظة والنضير ، دليله قوله تعالى والذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم (نبذه) طرحه ونقضه (فريق) طوائف (منهم) من اليهود (بل أكثرهم لا يؤمنون . ولما جاءهم رسول من عند الله) يعني محمدا (مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم) يعني التوراة وقيل القرآن (كأنهم لا يعلمون) قال الشعبي كانوا يقرءون التوراة ولا يعادون بها وقال سفيان بن عيينة أدرجوها في الحرير

بالسر بانية هو العبد وإيل هو الله (ولقد أنزلنا إليك آيات بينات) قال ابن عباس هذا جواب لابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية بينة فتبعك بها فأنزل الله هذه الآيات ، ومعنى بينات واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والأحكام (وما يكفر بها) أي وما يجحد بهذه الآيات (إلا الفاسقون) أي الخارجون عن طاعتنا وما أمروا به (أو كلما عاهدتوا عهدا) قال ابن عباس لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخذ عليهم من اليهود في محمد صلى الله عليه وسلم وأن يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله ما عهد إينا في محمد عهد فأنزل الله هذه الآية أو كلما استفهام إنكار عاهدوا عهدا هو قولهم إنه قد أظل زمان نبي مبعوث وإنه في كتابنا وقيل إنهم عاهدوا الله عهدا كثيرة ثم نقضوها (نبذه) أي طرح العهد ونقضه (فريق منهم) يعني اليهود (بل أكثرهم لا يؤمنون) يعني كفر فريق منهم بتنقض العهد وكفر فريق منهم بالجحد للحق (ولما جاءهم رسول من عند الله) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معهم) يعني مصدق بصحة التوراة ونبوة موسى عليه الصلاة والسلام وقيل إن التوراة بشرت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كان مجرد مبعوث مصدقا للتوراة (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم) قيل أراد بالكتاب القرآن وقيل التوراة وهو الأقرب لأن النبذ لا يكون إلا بعد التمسك ولم يمتسكوا بالقرآن أما نبذهم التوراة فانهم كانوا يقرءونها ولا يعملون بها وقيل إنهم أدرجوها في الحرير وحاولوا بالذهب ولم يعملوا بما فيها (كأنهم لا يعلمون) يعني أنهم نبذوا كتاب الله ورقضوه عن علم به ومعرفة وإنما حملهم على ذلك عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وهم علماء اليهود الذين كانوا في زمن النبي ﷺ وكتبوا أمره وكان أولئك الشر قليلا . قوله عز وجل (واتبعوا ما اتتلوا الشياطين) يعني اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ما اتتلوا الشياطين ومعنى تتلو تقرأ من التلاوة وقيل معناه تفتري وتكذب (على ملك سليمان) وهو قولهم إن سليمان ملك الناس بالسحر وقيل على ملك سليمان أي على عهده وزمانه وقصة ذلك أن الشياطين كتبوا السحر والبرنجيات على لسان آصف : هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك وكتبوه ودفنوه تحت كرسيه وذلك حين نزع الله عنه الملك ولم يشعر بذلك وقيل إن بني إسرائيل اشتغلوا بتعليم السحر في زمانه ففتنهم سليمان من ذلك وأخذ كتبهم ودفنها تحت سريره فلما مات استخرجها الشياطين وقالوا للناس إنما ملككم سليمان بهذا فتعلموه فأما صلحاء بني إسرائيل وعلمائهم فأنكروا ذلك وقالوا معاذ الله أن يكون هذا العلم من علم سليمان وأما السفلة منهم فقالوا هذا هو علم سليمان وأقبلوا على تعليمه وتركوا كتب أنبيائهم وقشت

الملامة

والدياح وحلوا بالذهب والفضة ولم يعملوا بها فذلك نبذهم (واتبعوا)

يعني اليهود (ما اتتلوا الشياطين) أي ماتلت والعرب تضع المستقبل موضع الماضي والماضي موضع المستقبل وقيل ما كانت تتلو أي تقرأ قال ابن عباس رضي الله عنه تتبع وتعمل به وقال عطاء تحدث وتتكلم به (على ملك سليمان) أي في ملكه وعهده . وقصة الآية أن الشياطين كتبوا السحر والبرنجيات على لسان آصف بن برخيا سليمان الملك ثم دفنوها تحت مضلاه حتى نزع الله الملك عنه ولم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوها وقالوا للناس إنما ملكهم سليمان

بهذا فتعلموها فأما علماء بني إسرائيل وصلحاؤهم فقالوا معاذ الله أن يكون هذا من علم سليمان وأما السفلة فقالوا هلنا علم سليمان وأقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب أنبيائهم وفتت الملازمة لسليمان فلم يزل هذا حالهم حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه براءة سليمان هذا قول الكلبي وقال السدي كانت الشياطين تصعد إلى السماء فيستمعون كلام الملائكة فيما يكون في الأرض من موت وغيره فيأتون الكهنة ويخلطون بما سمعوا في كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بها فاكتب الناس ذلك وفسا في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب فيبعث سليمان في الناس ويجمع تلك (٨٧) الكتب وجعلها في صندوق

ودفنه تحت كرسية وقال لا أسمع أحدا يقول إن الشيطان يعلم الغيب إلا ضربت عنقه فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان ودفنه الكتب وخلف من بعدهم خلف تمثل الشيطان على صورة إنسان فأتى نفرا من بني إسرائيل فقال هل أدلكم على كنز لانا يكونه أبدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت الكرسي وذهب معهم فأراهم المكان وقام ناحية فقالوا ادن قال لا ولكن هاهنا فان لم تجدوه فاقبلوني وذلك أنه لم يكن أحد من الشياطين يدنو من الكرسي إلا احترق فحفروا وأخرجوا تلك الكتب قال الشيطان إن سليمان كان يضبط الجن والإنس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وفسا في الناس

الملازمة لسليمان فلم يزل هذه حالهم إلى أن بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه براءة سليمان عليه السلام فقال تعالى واتبعوا ما تلتوا الشياطين على ملك سليمان (وما كفر سليمان) يعني بالسحر ولم يعمل به، وفيه تزيه سليمان عن السحر، وذلك أن اليهود أنكروا نبوة سليمان وقالوا إنما حصل له هذا الملك وسخرت الجن والإنس له بسبب السحر وقيل إن السحرة من اليهود زعموا أنهم أخذوا السحر عن سليمان فبرأه الله من ذلك، وقيل إن بعض أخبار اليهود قال ألا تعجبون من محمد يزعم أن سليمان كان نبيا وما كان إلا ساحرا فأنزله الله تعالى وما كفر سليمان يعني أن سليمان كونه نبيا ينافي كونه ساحرا كافر ثم بين الله تعالى أن الذي برأه منه لاحق بغيره فقال (ولكن الشياطين كفروا) يعني أن الذين أخذوا السحر لأنفسهم هم الذين كفروا ثم بين سبب كفرهم فقال تعالى (يعلمون الناس السحر) يعني ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر وقيل يحتمل أن يكون يعلمون يعني اليهود الذين عنوا بقوله: واتبعوا. وسمى السحر سحرا لخطئه سببه فلا يفعل إلا في خفية وقيل معنى السحر الإزالة وصرف الشيء عن وجهه تقول العرب ما سحر كذا عن كذا أي ما صرفك عنه فكان الساحر لما رأى الباطل في صورة الحق فقد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه هذا أصلا من حيث اللغة، وأما حقيقته فقد قيل إنه عبارة عن التوهم والتخييل، ومذهب أهل السنة أن له وجودا أوحقيقة والعمل به كفر وذلك إذا اعتقد أن الكواكب هي المؤثرة في قلب الأعيان وروى عن الشافعي أنه قال السحر يخيل ويمرض وقد يقتل حتى أوجب القصاص على من قتل به وقيل إن السحر يؤثر في قلب الأعيان فيجعل الإنسان على صورة الحمار والحمارة على صورة الكلب وقد يطير الساحر في الهواء وهذا القول ضعيف عند أهل السنة لأنهم قالوا إن الله تعالى هو الخالق الفاعل لهذه الأشياء عند عمل الساحر لذلك إلا أن الساحر هو الفاعل لها المؤثر فيها والأصح أن السحر يخيل ويؤثر في الأبدان بالأمراض والجنون والموت ويدل على ذلك أن للكلام تأثيرا في الطباع فقد يسمع الإنسان ما يكره فيحرم وقد مات قوم بكلام سمعوه فالسحر بمنزلة العمل في الأبدان وأما حكمه فانه من الكبائر التي نهى عنها ويحرم تعلمه لما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن؟ قال الإشراك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم والزنا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وأخرجاه في الصحيحين فقد روى رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر من الكبائر وثناه بالشرك وأمرنا باجتنابه وقوله الموبقات يعني المهلكات. والسحر على قسمين أحدهما يكتم به صاحبه وهو أن يعتقد أن القدرة لنفسه في ذلك وهو المؤثر أو يعتقد

أن سليمان كان ساحرا وأخا بنو إسرائيل تلك الكتب فلذلك أكثر ما يوجد السحر في اليهود فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم برأ الله تعالى سليمان من ذلك وأنزل في عهد سليمان (وما كفر سليمان) بالسحر. وقيل لم يكن سليمان كافرا يسحر ويعمل به (ولكن الشياطين كفروا) قرأ ابن عباس رضي الله عنه والكسائي وحمرزة ولكن خبيثة التون والشياطين رفع، وقرأ الآخرون ولكن مشددة التون والشياطين نصب وكذلك ولكن الله قتلهم، ولكن الله ربي ومعنى لكن نفي الخبر الماضي وإثبات المستقبل (يعلمون الناس السحر) قيل معنى السحر العلم والخلق بالشيء قال الله تعالى ووقلوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك أي العالم، والصحيح أن السحر عبارة عن

التوبة والتخيل والسحر . وجوده حقيقة عند أهل السنة وعليه أكثر الأمم ولكن العمل به كفر ، حكى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال السحر يخيل ويمرض وقد يقتل حتى أوجب القصاص على من قتل به فهو من عمل الشيطان يلقاه الساحر منه بتعليمه إياه فإذا تلقاه منه بتعليمه إياه استعمله في غيره . وقيل إنه يؤثر في قلب الأعيان فيجعل الآدمي على صورة الخمار ويجعل الخمار على صورة الكلب ، والأصح أن ذلك تخيل قال الله تعالى : يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى لكنه يؤثر في الأبدان بالأمراض والموت والجنون والكلام (٨٨) تأثير في الطباع والنفس وقد يسمع الإنسان ما يكره فيحس وبغضب

وربما يحس منه وقد مات قوم بكلام سمعوه فهو بمنزلة العوارض والعلل التي تؤثر في الأبدان ، قوله عز وجل (وما أنزل على الملئكين بيابيل) أي ويعلمون الذي أنزل على الملئكين ، أي إلهاما وعلمنا فالإنزال بمعنى الإلهام والتعليم ، وقيل واتبعوا ما أنزل على الملئكين . وقرأ ابن عباس والحسن للملئكين بكسر اللام . وقال ابن عباس هما رجلان ساحران كانا بيابيل . وقال الحسن عليجان لأن الملائكة لا يعلمون السحر . وبيابيل هي بيابيل العراق سميت بيابيل لتبليبل الألسنة بها عند سقوط صرح نمروذ أي تفرقتها . قال ابن مسعود بيابيل أرض الكوفة : وقيل جبل نهاوند والقراءة المعروفة على الملئكين بالفتح ، فإن قيل كيف يجوز تعليم

أن الكواكب هي المؤثرة الصالحة فإذا انتهى به السحر إلى هذه الغاية صار كافرا بالله تعالى ويجب قتله لما روى عن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا سحر غريمه بالسيف أخرجه الترمذي . والقسم الثاني من السحر وهو التخيل الذي يشاكل البر نجيات والشعبذة ولا يعتقد صاحبه لنفسه فيه قدرة ولا أن الكواكب هي المؤثرة ويعتقد أن القدرة لله تعالى وأنه هو المؤثر فهذا القدر لا يكفر به صاحبه ولكنه معصية وهو من الكبائر ويحرم فعله فإن قتل بسحر قتل قصاصا لما روى عن مالك أنه بلغه أن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرها وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت أخرجه في الموطأ . قوله عز وجل (وما أنزل على الملئكين) أي ويعلمون الذي أنزل على الملئكين والإلهام هنا بمعنى الإلهام والتعليم أي ما ألهما وعلما . وقيل في الشاذ الملئكين بكسر اللام قال هما رجلان ساحران كانا بيابيل وقيل عليجان ووجهه أن الملائكة لا يعلمون السحر والقراءة المشهورة بفتح اللام . فإن قلت كيف يجوز أن يضاف إلى الله تعالى إنزال ذلك على الملائكة وكيف يجوز للملائكة تعليم السحر ؟ قلت قال ابن جرير الطبري إن الله تعالى عرف عباده جميع ما أمرهم به وجميع ما نهاهم عنه ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه ولو كان الأمر على غير ذلك لما كان للأمر والنهي معنى مفهوم والسحر مما نهى عباده من بني آدم عنه فغير منكر أن يكون الله تعالى علمه الملئكين الذين نهاهم في تنزيهه وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم كما أخبر عنهم أنهم يقولون لمن جاء يتعلم ذلك منهما : إنما نحن فتنة فلا تتكبر ليختر بهما عبادة الذين نهاهم عن السحر وعن التفرقة بين المرء وزوجه فيتمحض المؤمن بتركه التعليم منهما ويجري للكافر بتعلمه الكفر والسحر منهما ويكون الملائكة في تعليمهما ما علما من ذلك مطيعين لله تعالى إذ كان عن إذن الله تعالى لهما بتعليم ذلك وغير ضارهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما بعد نهيهما إياه عنه بقوله إنما نحن فتنة فلا تتكبر إذ كانا قد أديا ما أمرا به وقال غيره إنهما لا يعتمدان ذلك بل يصفان السحر ويذكران بطلانه ويأمران بإجتنابه فالشقي من ترك نصحهما وتعلم السحر من وصفهما والسعيد من قبل نصحهما وترك تعلم السحر منهما . وقيل إن الله تعالى امتحن الناس بهما في ذلك الزمان فالشقي من تعلم السحر منهما فيكفر به والسعيد من تركه فبقي على إيمانه والله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء كما امتحن بني إسرائيل بنهر طالوت بقوله وفمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني (بيابيل) قيل هي بيابيل العراق بأرض الكوفة سميت بذلك لتبليبل الألسنة بها عند سقوط صرح نمروذ وقيل إنها بيابيل نهاوند والأول أصح وأشهر (هاروت وماروت) اسمان سر يانيان ، وقصة الآية على ما ذكره ابن عباس وغيره قالوا إن الملائكة لما رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال

السحر من الملائكة ؟ قيل له تأويلان : أحدهما أنها لا يعتمدان التعليم لكن يصفان السحر ويذكران بطلانه . بني آدم ويأمران بإجتنابه ، والتعليم بمعنى الإلهام ، فالشقي يترك نصيحتهما ويتعلم السحر من صنعتهما . والتأويل الثاني وهو الأصح أن الله تعالى امتحن الناس بالملئكين في ذلك الوقت ، فمن شقى يتعلم السحر منهما فيكفر به ، ومن سعاد يتركه فبقي على الإيمان ويزداد المعان بالتحريم عذبا ، فقيمه ابتلاء للعلم والمتعلم ، والله أن يمتحن عباده بما شاء فله الأمر والحكم . قوله عز وجل (هاروت وماروت) هما اسمان سر يانيان وهما في محل الخفض على تفسير الملئكين إلا أنها نصبا لعجهتهما ومعرفتهما وكانت

فصنم ما على ما ذكر ابن عباس والمفسرون أن الملائكة رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة في زمن إدريس عليه السلام فعبروهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض خليقة واخترتهم فهم يعصونك فقال الله تعالى لو أنزلتكم إلى الأرض وركبت فيكم ماركيت فيهم لارتكبتم مثل ما ارتكبوا فقالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم أهبطهما إلى الأرض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم وقال الكلبي قال الله تعالى ثم اختاروا ثلاثة فاختاروا عزرا وهو هاروت وعزرا وهو ماروت وغير اسمهما (٨٩) لما قارفا الذنب وعزرايل فركب الله

فهم الشهوة وأهبطهم إلى الأرض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فأما عزرايل فإنه لما وقعت الشهوة في قلبه استقبل ربه وسأله أن يرفعه إلى السماء فأقاله فسجد أربعين سنة لم يرفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطا طار رأسه حيا من الله تعالى وأما الآخران فانهما ثبتا على ذلك وكانا يقضيان بين الناس يومها فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم وصعدا به إلى السماء قال قتادة فما مر عليهما شهر حتى افتننا قالوا جميعا وذلك أنه اختصم إليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكانت من أهل فارس وكانت ملكة في بلدها فلما رأياها

بني آدم الخبيثة في زمن إدريس عليه السلام عبروهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض واخترتهم وهم يعصونك فقال الله تعالى لو أنزلتكم إلى الأرض وركبت فيكم ماركيت فيهم لارتكبتم مثل ما ارتكبوا فقالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم أهبطهما إلى الأرض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم وكان اسم هاروت عزرا وماروت عزرايا فغير اسمهما لما قارفا الذنب وركب الله فيهما الشهوة وأهبطهما إلى الأرض وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومها فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم وصعدا إلى السماء فما مر عليهما شهر حتى افتننا . وقيل بل افتننا في أول يوم وذلك أنه اختصم إليهما امرأة يقال لها الزهرة وكانت من أجمل أهل فارس وقيل كانت ملكة فلما رأياها أخذت بقلوبهما فقال أحدهما لصاحبه هل سقط في تنسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم فرأوداها عن نفسها فأبى وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلت مثل ذلك فأبى وقالت لا إلا أن تعبدنا هذا الصنم وتقتل النفس وتشرب الخمر فقالا : لاسبيل إلى هذه الأشياء فإن الله تعالى قد نهاانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح خمر وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها فرأوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالأمس فقالا : الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا فلما انتشيا وقعا بالمرأة فزنيا بها فرآهما إنسان فقتلاه خوفاً الفضيحة . وقيل لهما سجد للصنم وقيل جاءتهما امرأة من أحسن الناس تخاصم زوجها فقال أحدهما للآخر هل سقط في تنسك مثل الذي سقط في نفسي ؟ قال نعم قال هل لك أن تقضي لها على زوجها فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسألاها نفسها فقالت : لا إلا أن تقضيا لي على زوجي فقضيا ثم سألاها نفسها فقالت لا إلا أن تقتلاه فقال أحدهما لصاحبه أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب ؟ فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة ؟ فقتلاه ثم سألاها نفسها فقالت : لا إلا أن لي صنبا أعبدته إن أنثا صليتنا معي عنده فعلت فقال أحدهما لصاحبه مثل القول الأول فرد عليه مثله فصليا معها عنده فسخت شهبا . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه قالت لهم لن تتركاني حتى تحببني بالذي تصعبان به إلى السماء فقالا : أمم الله الأكبر قالت فما أنتا بمدركي حتى تعلماني إياه فقال أحدهما للآخر علمها فقال إني أخاف الله فقال الآخر فأين رحمة الله فعلمها ذلك فتكلمت به وصعدت إلى السماء فسخطها الله كوكبا فذهب

(١٢) - خازن بالبغوي - أول

أخذت بقلوبهما فرأوداها عن نفسها فأبى وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلت مثل ذلك فأبى وانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها فرأوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالأمس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانثيا ووقعا بالمرأة فزنيا فلما فرغا رآهما إنسان فقتلاه قال الربيع بن أنس وصعدا للصنم فسخط الله الزهرة كوكبا وقال بعضهم جاءتهما امرأة من أحسن الناس تخاصم زوجها لما فقال

أحدهما الآخر هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم فقال وهل لك أن تقضى لها على زوجها فقال له صاحبه أما تعلم ما عهد الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه أما تعلم ما عهد الله من العفو والرحمة فسالها عن نفسها فقالت لا إلا أن تقضى لي على زوجي فقضى لها ثم سالها نفسها فقالت : لا إلا أن تقتله فقال أحدهما أما تعلم ما عهد الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه أما تعلم ما عهد الله من العفو والرحمة فقترت له فقالت لا إلا أن لنا صننا فبعده إن أننا صليتا معي عنده فقلت فقال أحدهما لصاحبه مثل (٩٠) القول الأول وقال صاحبه مثله فصليا معها فمسخت شهابا قال على

ابن أبي طالب رضي الله عنه
والكلبي والسادي إنها
قالت لهما إن تمركاني
حتى تخبراني بالذي تصعدان
به إلى السماء فقالا باسم
الله الأكبر قالت فما أنها
بمدركي حتى تعلمتا به
فقال أحدهما لصاحبه
علمها فقال إن أخاف
الله ، قال الآخر فأين
رحمة الله تعالى فعلمتا ما
ذلك فتكلمت به
وصعدت إلى السماء
فمسخت الله كوكبا وذهب
بعضهم إلى أنها هي الزهرة
بعينها وأنكر الآخرون
هذا وقالوا إن الزهرة
من الكواكب السبعة
السيارة التي أقسم الله بها
فقال : فلا أقسم بالخمس
الجوار الكفيس ، والتي فذنت
هاروت وماروت امرأة
كانت تسمى الزهرة
لجمانها فلما بغت مسختها
الله تعالى شهابا قالوا
فلما أمسى هاروت

بعضهم إلى أنها هي الزهرة بعينها وأنكر الآخرون ذلك وقالوا إن الزهرة من الكواكب السبعة التي أقسم الله بها فقال : فلا أقسم بالخمس الجوار الكفيس ، والتي فذنت هاروت وماروت امرأة تسمى الزهرة لجمانها فلما بغت مسختها الله تعالى شهابا قالوا فلما أمسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود إلى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلمتا ما حل بهما فقصدتا إدريس النبي عليه السلام وأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله عز وجل وقال له : رأينا يصعد لك من العبادات مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاشفع لنا إلى ربك ففعل ذلك إدريس فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاخترتا عذاب الدنيا إذ علما أنه ينقطع فهما يبابل يعذبان قبل إنهما معلقان بشعورهما إلى قيام الساعة وقيل إنهما متكوسان يضربان بسياط الحديد وقيل إن رجلا قصدهما ليتعلم السحر فوجدتهما معلقين بأرجلهما مزرقا عيونهما مسودة جلودهما ليس بين أسنتما وبين الماء إلا قطر أربع أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله فقال : لاله إلا الله فلما سمعا كلامه قال لاله إلا الله من أنت قال رجل من الناس فقالا من أي أمة أنت؟ قال من أمة محمد ﷺ فالا؟ أو قد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فقال الحمد لله وأظهر الاستبشار فقال الرجل من استبشار كما؟ قال إنه نبي الساعة وقد دنا إنقضاء علابنا .

(فصل : في القول بعصمة الملائكة) أجمع المسلمون على أن الملائكة معصومون فضلا وانفق أئمة المسلمين على أن حكم الرسل من الملائكة حكم النبيين سواء في العصمة في باب البلاغ عن الله عز وجل وفي كل شيء ثبت فيه عصمة الأنبياء فكانت الملائكة وأنهم مع الأنبياء في التبليغ إليهم كالأنياء مع أمهم ثم اختلفوا في غير المرسلين من الملائكة فذهب طائفة من المحققين وجميع المعتزلة إلى عصمة جميع الملائكة عن جميع الذنوب والمعاصي واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية وذهب طائفة إلى أن غير المرسلين من الملائكة غير معصومين واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية منها قصة هاروت وماروت عن علي وما نقله أهل الأخبار والسير ونقله ابن جرير الطبري في تفسيره عن جماعة من الصحابة والتابعين فنقل قصة هاروت وماروت باللفظ متقاربة عن علي بن أبي طالب وابن مسعود وكعب الأبحار والسدي والربيع ومجاهد وأجاب من ذهب إلى عصمة جميع الملائكة عن قصة هاروت وماروت بأن ما نقله المفسرون وأهل الأخبار في ذلك لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شيء وهذه الأخبار إنما أخذت من اليهود وقد علم افتراقهم على الملائكة والأنبياء

وقد

وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود إلى السماء

فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلمتا ما حل بهما فقصدتا إدريس النبي عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله عز وجل وقال له إننا رأيناك يصعد لك من العبادات مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاستشفع لنا إلى ربك ففعل ذلك إدريس عليه السلام فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاخترتا عذاب الدنيا إذ علما أنه ينقطع فهما يبابل يعذبان واختلفا في كيفية عذابهما فقال عبد الله بن مسعود هما معلقان بشعورهما إلى قيام الساعة وقال عطاء بن أبي رباح رعدوهما

مصوبة تحت اجنحتها وقال قتادة كعبا من اقدامهما إلى أصول أفخاذهما وقال مجاهد جعلتا في جب مليء نارا وقال عمر بن سعد منكوسان يضربان بسياط الحديد وروى أن رجلا قصد هاروت وماروت لتعلم السحر فوجدهما معلقين بأرجلهم مزرقة أعينهما مسودة جلودهما ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلا أربع أصابع وهما يعدبان بالعطش فلما رأى ذلك حاله مكانهما فقال لا إله إلا الله فلما سمع كلامه قال له من أنت قال رجل من الناس قال من أي أمة قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال أوقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم قال الحمد لله وأظهر الاستبشار فقال الرجل (٩١) وبم استبشاركما قال إنه نبي الساعة

وقد ذكر الله عز وجل في هذه الآيات افتراء اليهود على سليمان أولا ثم عطف على ذلك قصة هاروت وماروت ثانيا قالوا ومعنى الآية وما كفر سليمان يعني بالسحر الذي افتعله عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود فأخبر عن افتراءهم وكذبهم ، وذكروا أيضا في الجواب عن هذه القصة وأنها باطلة وجوها : الأول إن في القصة أن الله تعالى قال للملائكة لو ابتليتم بما ابتليت به بنو آدم لعصيتن وفي قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك وفيه رد على الله تعالى وذلك كفر وقد ثبت أنهم كانوا معصومين قبل ذلك فلا يقع هذا منهم . الوجه الثاني أنهما خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، وذلك فاسد لأن الله تعالى لا يخير من أشرك وإن كان قد صححت توبتهما فلا عقوبة عليهما . الوجه الثالث أن المرأة لما فجرت فكيف يعقل أنها صعدت إلى السماء وصارت كوكبا وعظم الله قدرها بحيث أقسم بها في قوله فلا أقسم بالجوار الكنيس ، فإن بهذه الوجوه ركة هذه القصة ، والله أعلم بصحة ذلك وسقمه . والأولى تنزيه الملائكة عن كل ما لا يليق بمنصبهم وقوله تعالى (وما يعلمان من أحد حتى يقولوا) يعني وما يعلمان أحدا حتى ينصحاه أولا ويقولوا (إنما نحن فتنة) أي ابتلاء ومحنة (فلا تكفر) أي لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر ، قيل يقولان إنما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات فإن أبي قبول نصيحتهما وصمم على التعلم يقولان له أنت هذا الرماد قبل عليه فإذا فعل ذلك خرج منه نور ساطع في السماء فذلك الإيمان والمعرفة وينزل شيء أسود مثل الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله تعالى (فيتعلمون منها) يعني من الملكيين (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) أي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين كالقويه والتخييل والنفت في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده البقضاء والتشوز والخلاف بين الزوجين ابتلاء من الله تعالى لأن السحر له تأثير في نفسه بدليل قوله (وما هم) يعني السحرة (بضارين به) أي بالسحر (من أحد) أي أحدا (إلا باذن الله) أي يعلمه وقضائه وتكوينه فالساحر يسحر والله تعالى يقدر ويكون ذلك بقضائه تعالى وقدرته ومشيتته (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) يعني السحر لأنهم يقصدون به الشر (ولقد علموا) يعني اليهود (لمن اشتراه) أي اختار السحر (ماله في الآخرة من خلاق) يعني ماله نصيب في الجنة (ولبئس ما شروا به أنفسهم) أي باعوا حط أنفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق (لو كانوا يعلمون) فإن قلت كيف أثبت الله لهم العلم أولا في قوله ولقد علموا على التوكيد القسري ثم نفاه عنهم آخر في قوله لو كانوا يعلمون . قلت قد علموا أن من اشترى السحر ماله في الآخرة من خلاق ثم مع هذا العلم خالفوا واشتغلوا بالسحر وتركوا العمل بكتاب الله تعالى وما جاءت به الرسل عنادا منهم وبغيا وذلك على معرفة منهم بما

وتختلف فيما بينهما شيطان في كل مسألة اختلافتوا واحدة (فيتعلمون منها) أي يفرقون به بين المرء وزوجه) وهو أن يؤخذ كل واحد عن صاحبه ويعرض كل واحد إلى صاحبه قال الله تعالى (وما هم) قيل أي السحرة وقيل الشياطين (بضارين به) أي بالسحر (من أحد) أي أحدا (إلا باذن الله) أي يعلمه وتكوينه فالساحر يسحر والله يكون . قال سفيان الثوري معناه إلا بقضائه وقدرته ومشيتته (ويتعلمون ما يضرهم) يعني السحر يضرهم (ولا ينفعهم ولقد علموا) يعني اليهود (لمن اشتراه) أي اختار السحر (ماله في الآخرة) أي في الجنة (من خلاق) من نصيب (ولبئس ما شروا به) باعوا به (أنفسهم) حط أنفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق (لو كانوا يعلمون) أي يعلمون

وتختلف فيما بينهما شيطان في كل مسألة اختلافتوا واحدة (فيتعلمون منها) أي يفرقون به بين المرء وزوجه) وهو أن يؤخذ كل واحد عن صاحبه ويعرض كل واحد إلى صاحبه قال الله تعالى (وما هم) قيل أي السحرة وقيل الشياطين (بضارين به) أي بالسحر (من أحد) أي أحدا (إلا باذن الله) أي يعلمه وتكوينه فالساحر يسحر والله يكون . قال سفيان الثوري معناه إلا بقضائه وقدرته ومشيتته (ويتعلمون ما يضرهم) يعني السحر يضرهم (ولا ينفعهم ولقد علموا) يعني اليهود (لمن اشتراه) أي اختار السحر (ماله في الآخرة) أي في الجنة (من خلاق) من نصيب (ولبئس ما شروا به) باعوا به (أنفسهم) حط أنفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق (لو كانوا يعلمون)

فان قيل اليس قد قال ولقد علموا لمن اشتراه فامعنى قوله تعالى لو كانوا يعلمون بعد ما اخبر انهم علموا . قيل اراد بقوله ولقد علموا يعنى الشياطين وقوله لو كانوا يعلمون يعنى اليهود وقيل كلاهما فى اليهود ولكنتهم لما لم يعلموا بما علموا فكأنهم لم يعلموا (ولو انهم آمنوا) بمحمد ﷺ والقرآن (واتقوا) اليهودية والسحر (لمثوبة من عند الله خير) لكان ثواب الله إياهم خيرا لهم (لو كانوا يعلمون) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتمولوا راعنا) وذلك أن المسلمين كانوا يقولون راعنا يارسول الله من المراجعة أى راعنا (٩٢) سمعتك أى فرغ سمعتك لكل منا يقال أرى إلى الشئ وأرعا دوراعاه أى أضغى إليه

واستمعه وكانت هذه اللفظة سببا قبيحا بلغة اليهود . وقيل كان معناها عندهم اسم لا سمعت وقيل هى من الرعونة كانوا إذا أرادوا أن يحمقوا إنسانا قالوا راعنا بمعنى يا أحمق فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين قالوا فيها بينهم كنا نسب محمدا سرا بأعلنوا به الآن فكانوا يأتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيها بينهم فسماها سعد بن معاذ ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود لئن سمعتم من أحد منكم يقولوا رسول الله ﷺ لأضربن عنقه فقالوا الله تعالى لا تقولوا راعنا ولا تقولوا راعنا سبيلا إلى شتم رسول الله ﷺ (وقولوا انظرونا) أى انظرونا لئلا يتطرق أحد إلى شتمه وأمرهم بتوقيره وتعظيمه وأن يتخبروا بخطابه صلى الله عليه وسلم من الألفاظ أحسنها ومن المعاني أدقها وإن سألوه يسألوه بتعظيم وتبجيل ولين لا يتخاطبوه بما يسر اليهود (وللكافرين) يعنى اليهود (عذاب أليم) أى مؤلم (مايود) أى ما يجب (الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى اليهود (ولا المشركين) يعنى عبدة الأوثان لأن الكفر اسم جنس تحته نوعان أهل الكتاب وهم الذين بدلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعبدة الأوثان وهم من عبدوا غير الله (أن ينزل عليكم من خير من ربكم) يعنى ما أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم من الوحي النبوة وإنما كرهت اليهود وأبغاهم من المشركين ذلك حسدا وبغيا منهم على المؤمنين وذلك أن المسلمين قالوا لخصمهم من اليهود آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا الذى تدعوننا إليه بخير مما نحن فيه ولو ددنا لو كان خيرا فأنا نزل الله تعالى هذه الآية تكذيبا لهم (والله يخصص برحمته من يشاء) يعنى أنه تعالى يختص بنبوته ورسالته من يشاء من عباده ويفضل بالإيمان والهداية على من أحب من خلقه رحمة منه لهم (والله ذو الفضل العظيم) يعنى أن كل خير ناله عباده فى دينهم ودنياهم فإنه منه ابتداء وتفضلا عليهم من غير استحقاق أحد منهم

لمن فعل ذلك منهم من العقاب فكأنهم حين لم يعلموا يعلمهم كانوا منسلخين منه (ولو انهم) يعنى اليهود (آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (واتقوا) يعنى اليهودية والسحر وما يؤتمهم (لمثوبة من عند الله) أى لكان ثواب الله إياهم (خير) لهم يعنى هذا الثواب (لو كانوا يعلمون) يعنى ذلك . قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) سبب نزول هذه الآية أن المسلمين كانوا يقولون راعنا يارسول الله من المراجعة أى راعنا سمعتك وفرغه للكلامنا وكانت هذه اللفظة سببا قبيحا بلغة اليهود ومعناها عندهم اسم لا سمعت . وقيل من الرعونة إذا أرادوا أن يحمقوا إنسانا قالوا راعنا يعنى يا أحمق فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين قالوا فيها بينهم كنا نسب محمدا سرا بأعلنوا به الآن فكانوا يأتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيها بينهم فسماها سعد بن معاذ ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود لئن سمعتم من أحد منكم يقولوا رسول الله ﷺ لأضربن عنقه فقالوا الله تعالى لا تقولوا راعنا ولا تقولوا راعنا سبيلا إلى شتم رسول الله ﷺ (وقولوا انظرونا) أى انظرونا لئلا يتطرق أحد إلى شتمه وأمرهم بتوقيره وتعظيمه وأن يتخبروا بخطابه صلى الله عليه وسلم من الألفاظ أحسنها ومن المعاني أدقها وإن سألوه يسألوه بتعظيم وتبجيل ولين لا يتخاطبوه بما يسر اليهود (وللكافرين) يعنى اليهود (عذاب أليم) أى مؤلم (مايود) أى ما يجب (الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى اليهود (ولا المشركين) يعنى عبدة الأوثان لأن الكفر اسم جنس تحته نوعان أهل الكتاب وهم الذين بدلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعبدة الأوثان وهم من عبدوا غير الله (أن ينزل عليكم من خير من ربكم) يعنى ما أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم من الوحي النبوة وإنما كرهت اليهود وأبغاهم من المشركين ذلك حسدا وبغيا منهم على المؤمنين وذلك أن المسلمين قالوا لخصمهم من اليهود آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا الذى تدعوننا إليه بخير مما نحن فيه ولو ددنا لو كان خيرا فأنا نزل الله تعالى هذه الآية تكذيبا لهم (والله يخصص برحمته من يشاء) يعنى أنه تعالى يختص بنبوته ورسالته من يشاء من عباده ويفضل بالإيمان والهداية على من أحب من خلقه رحمة منه لهم (والله ذو الفضل العظيم) يعنى أن كل خير ناله عباده فى دينهم ودنياهم فإنه منه ابتداء وتفضلا عليهم من غير استحقاق أحد منهم

وانتذرتهم ومنه قوله تعالى انظرونا نقبوس من نوركم . قال مجاهد معناه فهنا (واسمعوا) ما تقولون به لذلك وأطيعوا (وللكافرين) يعنى اليهود (عذاب أليم) قوله تعالى (مايود الذين كفروا من أهل الكتاب) وذلك أن المسلمين كانوا إذا قالوا لخصمهم من اليهود آمنوا بمحمد ﷺ قالوا ما هذا الذى تدعوننا إليه بخير مما نحن عليه ولو ددنا لو كان خيرا فأنا نزل الله تكذيبا لهم (مايود الذين) أى ما يجب وما يتمنى الذين كفروا من أهل الكتاب يعنى اليهود (ولا المشركين) جره بالنسق على من (أن ينزل عليكم من خير من ربكم) أى خير ونزوة ومن صلة (والله يخصص برحمته) بنبوته (من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

والفضل ابتداء إحصان بلاغة وقيل المراد بالرحمة الإسلام والهداية وقيل معنى الآية أن الله تعالى بعث الأنبياء من ولد إسحاق
فلما بعث النبي ﷺ من ولد إسماعيل لم يقع ذلك بولد اليهود ومحبتهم، وأما المشركون فإنما لم يقع بولدهم لأنه جاء بتفضيهم
وعيب آلهتهم فنزلت الآية فيه . قوله عز وجل (مانسخ من آية أو نفسها) وذلك أن المشركين قالوا إن محمدا يأمر أصحابه بأمر
ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلاف ما يقوله إلا من تلقاء نفسه يقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً كما أخبر الله . وإذا بدلنا آية مكان
آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر . وأنزل مانسخ من آية أو نفسها فبين وجهه (٥٣) الحكمة في النسخ بهذه الآية.

والنسخ في اللغة شيان أحدهما
بمعنى التحويل والنقل
ومنه نسخ الكتاب وهو
أن يحول من كتاب إلى
كتاب فعلى هذا الوجه
كل القرآن منسوخ
لأنه نسخ من اللوح
المحفوظ . والثاني يكون
بمعنى الرفع يقال نسخت
الشمس الظل أي ذهبت
به وأبطلته فعلى هذا
يكون بعض القرآن ناسخاً
وبعضه منسوخاً وهو
المراد من الآية وهذا على
وجه أحدها أن يثبت
الخط وينسخ الحكم مثل
آية الوصية للأقارب
وآية عدة الوفاة بالحول
وآية التخفيف في القتال
وآية المتحنته ونحوها
وقال ابن عباس رضي
الله عنهما في قوله تعالى
«مانسخ من آية» ما نزلت
تخطها وتبدل حكمها
ومنها أن يرفع تلاوتها
ويبقى حكمها مثل آية
الرحم ومنها أن يرفع أصلاً

لذلك بل له الفضل والمدة على خلقه . قوله عز وجل (مانسخ من آية أو نفسها) الآية . وسبب
نزولها أن المشركين قالوا إن محمدا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم
قولاً ويرجع عنه غداً ما يقول إلا من تلقاء نفسه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله «إذا بدلنا آية مكان
آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر» . فأنزل مانسخ من آية فبين بهذه الآية وجه الحكمة
في النسخ وأنه من عنده لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم . وأصل النسخ في اللغة يكون بمعنى
النقل والتحويل ومنه نسخ الكتاب وهو أن ينقل من كتاب إلى كتاب آخر كذلك لا يقتضي إزالة
الصورة الأولى بل يقتضي إثبات مثله في كتاب آخر، فعلى هذا المعنى يكون القرآن كله منسوخاً
وذلك أنه نسخ من اللوح المحفوظ ونزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا ويكون النسخ بمعنى
الرفع والإزالة وهو إزالة شيء بشيء يعقبه كنسخ الشمس الظل والشيب الشباب فعلى هذا
المعنى يكون بعض القرآن منسوخاً وبعضه ناسخاً وهو المراد من حكم هذه الآية وهو إزالة
الحكم بحكم يعقبه .

(فصل في حكم النسخ) هو في اصطلاح العلماء عبارة عن رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر
عنه والنسخ جائز عقلاً وواقع سماعاً خلافاً لليهود فإن منهم من ينكره عقلاً لكنه منعه سمعاً وشذت
طائفة قليلة من المسلمين فأنكرت النسخ احتج الجمهور من المسلمين على جواز النسخ ووقوعه
بأن الدلائل قد دللت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لا تصح إلا مع القول بالنسخ وهو
نسخ شرع من قبله فوجب القطع بالنسخ . ولنا على اليهود إزامات : منها أن الله تعالى حرم عليهم
العمل في يوم السبت ولم يحرمه على من كان قبلهم . ومنها أنه قد جاء في التوراة أن الله تعالى
قال لنوح عليه الصلاة والسلام عند خروجه من الفلك إن جعلت كل دابة ما كولا لك وللريتك
وأطأنت ذلك لكم ثم إنه تعالى حرم على موسى عليه الصلاة والسلام وعلى بني إسرائيل كثيراً
من الحيوانات . ومنها إن آدم عليه الصلاة والسلام كان يزوج الأخ لالأخت وقد حرمه على من
بعده وعلى موسى عليه الصلاة والسلام فثبت بهذا جواز النسخ وحيث ثبت جواز النسخ فقد
اختلفوا فيه على وجه : أحدها أن القرآن نسخ جميع الشرائع والكتب القديمة كالتوراة والإنجيل
وغيرهما . الوجه الثاني المراد من النسخ هو نسخ القرآن ونقله من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا
الوجه الثالث وهو الصحيح الذي عليه جمهور العلماء أن المراد من النسخ هو رفع حكم بعض
الآيات بدليل آخر يأتي بعده وهو المراد بقوله تعالى «مانسخ من آية أو نفسها» بتغيير منها
أو مثلها لأن الآية إذ أطأنت فالمراد به آيات القرآن لأنه هو المعهود عندنا (مسئلة) قال الشافعي

عن المصحف وعن الثوب كما روى عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن قوماً من الصحابة رضي الله عنهم قاموا ليلة ليقرأوا
سورة فلم يذكروا منها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فعدوا إلى النبي ﷺ فأخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك سورة
رفعت تلاوتها وأحكامها . وقيل كانت سورة الأحزاب مثل سورة البقرة فرفع أكثرها تلاوة وحكماً . ثم من نسخ الحكم
ما يرفع ويقام غيره مقامه كما أن القبلة نسخت من بيت المقدس إلى الكعبة والوصية للأقارب نسخت بالميراث وعادة الوفاة
نسخت من الحول إلى أربعة أشهر وعشر ومضاربة الواحد العشر في القتال ونسخت بمضاربة الاثنين ومنها ما يرفع ولا يقام

غيره مقامه كاستحان النساء والنسخ إنما يعترض على الأوامر والنواهي دون الأخبار . أما معنى الآية فقوله ما ننسخ من آية قراءة العامة بفتح النون والسين من النسخ أي نرفعها . وقرأ ابن عامر بضم النون وكسر السين من الإنساخ وله وجهان أحدهما نجعله في المنسوخ . والثاني أن نجعله (٩٤) في المنسوخ نسخة لك يقال نسخ الكتاب أي كتبه وأنسخته غيري إذا جعلته

نسخة له ، أو نفسه أي نفسا عن قلبك وقال ابن عباس رضي الله عنهما تركها لأنسخها قال الله تعالى « نسا الله فليسيم » أي تركوه فتركهم وقيل نفسه أي نأمر بتركها يقال أنسيت الشيء إذا أمرت بتركه فيكون النسخ الأول من رفع الحكم وإقامة غيره مقامه والإنساء يكون نسخا من غير إقامة غيره مقامه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو أو نساها بفتح النون الأول والسين مهموزا أي تؤخرها فلا ينطق يقال نسا الله في أجله وأنسا الله أجله في معناه قولان : أحدهما نرفع تلاوتها وتؤخر حكمها كما فعل في آية الرجم فعلى هذا تكون النسخ الأول بمعنى رفع التلاوة والحكم . والقول الثاني قال سعيد بن المسيب وعطاء أما ما نسخ من آية فهو ما قد نزل من القرآن جعله من

رضي الله عنه الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة واستدل بهذه الآية وهو أنه تعالى قال وما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » وذلك يفيد أنه تعالى هو الآتي والمأتي به هو من جنس القرآن وما كان من جنس القرآن فهو قرآن . وقوله نأت بخير منها يفيد أنه هو المنزلة بالإنسان بذلك الخير وهو القرآن الذي هو كلام الله دون السنة ولأن السنة لا تكون خيرا من القرآن ولا مثله . واحتج الجمهور على جواز نسخ الكتاب بالسنة بأن آية الوصية للأقربين منسوخة بقوله صلى الله عليه وسلم « لا وصية لوارث » أحاب الشافعي رضي الله تعالى عنه بأن هذا ضعيف لأن كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه إلى الوصية فثبت أن آية الميراث مانعة من الوصية ، وتقرير هذا وبسطه معروف في أصول الفقه . ثم النسخ في القرآن على وجوه : أحدها ما رفع حكمه وتلاوته كما روى عن أبي إمامة بن سهل أن قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرأوا سورة فلم يذكروا منها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فدلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال رسول الله ﷺ تلك السورة رفعت بتلاوتها وحكمها » أخرجه البيهقي وغيره . وقيل إن سورة الأحزاب كانت مثل سورة البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكما . الوجه الثاني ما رفع تلاوته وبقي حكمه مثل آية الرجم روى عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله بعث محمدا بالحق وأزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعناها وعقلناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : ما نجد الرجم في كتاب الله فيفضلوا بترك فريضة أنزلها الله وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البيضة أو كان الحليل أو الاعتراف . أخرجه مسلم والبخاري نحوه . والوجه الثالث ما رفع حكمه وثبت خطه وتلاوته وهو كثير في القرآن مثل آية الوصية للأقربين نسخت بآية الميراث عند الشافعي وبالسنة عند غيره وآية عدة الوفاة بالحول نسخت بآية أربعة أشهر وعشرا وآية القتال وهي قوله « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » الآية نسخت بقوله « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا » الآية ومثل هذا كثير في القرآن . وأما معنى الآية فقوله : ما ننسخ من آية أي نرفعها أو نرفع حكمها نسا قرئ بضم النون وكسر السين ومعناه ذهبنا على قلبك وقال ابن عباس تركها لأنسخها وقيل معناه نأمر بتركها فعلى هذا يكون النسخ الأول رفع الحكم وإقامة غيره مقامه . الإنساء نسخ من غير إقامة غيره مقامه وقرئ نساها بفتح النون والسين وبالهمزة ومعناها تؤخرها فلا نزلها أو نرفع تلاوتها وتؤخر حكمها كتابة الرجم فعلى هذا يكون النسخ الأول بمعنى رفع التلاوة والحكم قال سعيد بن المسيب وعطاء ما ننسخ من آية فهو ما نزل من القرآن جعله من نسخ الكتاب إذا نقلته إلى كتاب آخر ونساها أن تؤخرها وتركها في اللوح المحفوظ فلا نزلها (نأت بخير منها) أي بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لأجوركم وليس معناه أن آية خير من آية لأن كلام الله تعالى كله واحد (أو مثلها) أي في المنفعة والثواب فما نسخ إلى الأيسر كان

أسهل

النسخة أو نساها أي تؤخرها وتركها في اللوح المحفوظ

فلا نزلها (نأت بخير منها) أي بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لأجوركم ، لأن آية خير من آية لأن كلام الله واحد وكله خير (أو مثلها) في المنفعة والثواب فكل ما نسخ إلى الأيسر فهو أسهل في العمل وما نسخ إلى الأشق فهو في الثواب أكثر

(ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) من النسخ والتبديل ، لفظه استفهام ومعناه تقرير أي إنك تعلم (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم) يامعشر الكفار عند نزول العذاب (من دون الله) مما سوى الله (من ولي) قريب وصديق وقيل وال وهو القيم بالأمور (ولا نصير) ناصر يمنعكم من العذاب . قوله (٩٥) (أم تريدون أن تسألوا رسولكم)

نزلت في اليهود حين قالوا يا محمد اثنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة فقال تعالى : أم تريدون يعني تريدون فالمي صلة وقيل بل تريدون أن تسألوا رسولكم محمدا صلى الله عليه وسلم (كما سئل موسى من قبل) سأله قومه أرنا الله جهرة وقيل إنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبلا كما أن موسى سأله قومه فقالوا أرنا الله جهرة فقيه منهم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلائل والبراهين (ومن يتبدل الكفر بالإيمان) يتبدل الكفر بالإيمان (فقد ضل سواء السبيل) أخطأ وسط الطريق وقيل قضا السبيل قوله تعالى (ود كثير من أهل الكتاب) الآية نزلت في نفر من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد : لو كنتم على الحق ما هزمتهم فارجعوا إلى ديننا فتحن أهدى سبيلا منكم فقال لهم عمار كيف نقض العهد فيكم ؟ قالوا شديدا قال فإني قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود ، أما هذا فقد صبا ، وقال حذيفة أما أنا فقد رضيت بالله تعالى ربا وبمحمد نبيا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخوانا ، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم

أسهل في العمل كالتبديل كان على المؤمنين من فرض قيام الليل ثم نسخ ذلك فكان خيرا لهم في عاجلهم لسقوط التعب والمشقة عليهم وما نسخ إلى الأشق كان أكمل في الثواب كالتبديل كان عليهم من صيام أيام معنودات في السنة فتسوخ ذلك وفرض صيام شهر رمضان فكان صوم شهر كامل في كل سنة أثقل على الأبدان وأشق من صيام أيام معنودات فكان ثوابه أكمل وأكثر . أما المثل فكان نسخ التوجه إلى بيت المقدس وصرفه إلى المسجد الحرام واستواء الأجر في ذلك لأن على المصلحة التوجه إلى حيث أمره الله تعالى (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) أي على النسخ والتبديل ، والمعنى ألم تعلم يا محمد أني قادر على تعويضك مما نسخت من أحكامي وغيرته من فرائض التي كنت أقرضتها عليك ما أشاء مما هو خير لك ولعبادى المؤمنين وأفجع لك ولهم عاجلا وآجلا (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) يعني أنه تعالى هو المتصرف في السموات والأرض وله سلطانها دون غيره يحكم فيها وفيها فيما بما شاء من أمر ونهى ونسخ وتبديل هذا الخبر وإن كان خطابا للنبي ﷺ لكن فيه تكذيب لليهود الذين أنكروا النسخ وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فأخبرهم الله أن له ملك السموات والأرض وأن الخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه يحكم فيهم بما يشاء وعليهم السمع والطاعة (وما لكم) يعني يامعشر الكفار عند نزول العذاب (من دون الله) أي مما سوى الله (من ولي) أي قريب وصديق ، وقيل من وال وهو القيم بالأمور (ولا نصير) أي ناصر يمنعكم من العذاب وقيل في معنى الآية وليس لكم أيها المؤمنون بعد الله من قيم يأمركم ولا نصير يؤيدكم ويقويكم على أعدائكم . قوله عز وجل (أم تريدون أن تسألوا رسولكم) نزلت في اليهود وذلك أنهم قالوا يا محمد اثنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة ، وقيل إنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبلا كما سأل قوم موسى فقالوا : أرنا الله جهرة فأنزله تعالى هذه الآية ، والمعنى تريدون وقيل بل تريدون أن تسألوا رسولكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (كما سئل موسى من قبل) وذلك أن موسى سأله قومه فقالوا : أرنا الله جهرة في الآية منهم ونهيم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلائل والمعجزات وثبوت الحجج والبراهين على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ومن يتبدل) أي يتبدل (الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) أي أخطأ قصد الطريق ، وقيل إن قوله ومن يتبدل الكفر بالإيمان خطاب للمؤمنين أعلمهم أن اليهود أهل غش وحسد وأنهم يتمنون للمؤمنين المكارة فنهاهم الله تعالى أن يقبلوا من اليهود شيئا ينصحونهم به في الظاهر وأخبرهم أن من ارتد عن دينه فقد أخطأ قصد السبيل . قوله عز وجل (ود كثير من أهل الكتاب) نزلت هذه الآية في نفر من اليهود ، وذلك أنهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد : لو كنتم على الحق ما هزمتهم فارجعوا إلى ديننا فتحن أهدى سبيلا منكم ، فقال عمار ابن ياسر كيف نقض العهد فيكم قالوا شديدا قال إني عاهدت أن لا أكفر بمحمد صلى الله

ما هزمتهم فارجعوا إلى ديننا فتحن أهدى سبيلا منكم فقال لهم عمار كيف نقض العهد فيكم ؟ قالوا شديدا قال فإني قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود ، أما هذا فقد صبا ، وقال حذيفة أما أنا فقد رضيت بالله تعالى ربا وبمحمد نبيا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخوانا ، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فأخبراه بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصبنا الخير وأفلحنا فأنزل الله تعالى: ود كثير من أهل الكتاب أى
 تمنى وأراد كثير من أهل الكتاب من اليهود (لو ردوكم) يامعشر المؤمنين (من بعد إيمانكم كفارا حسدا) نصب على المصدر
 أى بصدونكم حسدا (من عند أنفسهم) أى من ثناء أنفسهم ولم يأمرهم الله بذلك (من بعد ما تبين لهم الحق) فى التوراة أن
 قول محمد صلى الله عليه وسلم صدق ودينه حق (فاعنوا) فأتروا (واصفحوا) وتجاوزوا فالفغو هو والصفح الإعراض
 وكان هذا قبل آية القتال (٩٦) (حتى يأتى الله بأمره) بعدابه القتل والسبي لبنى قريظة والجلاء والتقى لبنى

النضير وقال ابن عباس
 رضى الله عنهما وقال
 قتادة هو أمره بقتالهم
 فى قوله قاتلوا المشركين
 الذين لا يؤمنون بالله ولا
 باليوم الآخر، إلى قول
 « وهم صاغرون » وقال
 ابن كيسان بعد مواساة
 قبيهم حكم لبعضهم
 بالإسلام ، ولبعضهم
 بالقتل والسبي والجزية
 (إن الله على كل شئ
 قدير ، وأقروا الصلاة
 وآتوا الزكاة وما تقدموا
 تسلفوا) لأنتم من
 خير طاعة وعمل صالح
 (تجدوه عند الله) وقيل
 أراد بالخير المال كقوله
 تعالى إن ترك خيرا وأراد
 من زكاة أو صدقة
 تجدوه عند الله العثرة
 والمقمة مثل أحد (إن
 الله بما تعملون بصير)
 قوله (وقالوا لن يدخل
 الجنة إلا من كان هودا)
 أى يهوديا قال الفراء

عليه وسلم ما عشت قالت اليهود ، أما هذا فقد صبا وقال حذيفة : أما أذ فقد رضى الله ربا
 وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخوانا ثم إنهما أتيا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بذلك فقال أصبنا الخير وأفلحنا فأنزل الله تعالى (ود) أى
 تمنى كثير من أهل الكتاب يعنى اليهود (لو ردوكم) أى يامعشر المؤمنين (من إيمانكم كفارا)
 أى ترجعون إلى ما كنتم عليه من الكفر (حسدا) أى بصدونكم حسدا وأصل الحسد تمنى
 زوال النعمة ممن يستحزها وربما يكون مع ذلك سعى فى إزالتها الحسد مذموم لما روى عن أبى هريرة
 أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب
 أو قال العشب » أخرجه أبو داود فإذا أنعم الله على عبده نعمة فتمنى آخرز والمأ عنه فهذا هو
 الحسد وهو حرام فإن استعان بتلك النعمة على الكفر والمعاصى فتمنى آخرز وإذا عنه فليس
 بحسد ولا يحرم ذلك لأنه لم يحسد على تلك النعمة من حيث إنها نعمة بل من حيث إنه يتوصل
 بتلك النعمة إلى الشر والفساد وقوله (من عند أنفسهم) أى من تلقاء أنفسهم لم يأمرهم الله بذلك
 (من بعد ما تبين لهم الحق) يعنى فى التوراة أن قول محمد صلى الله عليه وسلم ودينه حق لا يشكون
 فيه فكفروا به حسدا وبغيا (فاعفوا واصفحوا) أى فتجاوزوا عما كان منهم من إساءة وحسد
 وكان هذا الأمر بالعفو والصفح قبل أن يؤمر بالقتال (حتى يأتى الله بأمره) أى بعدابه وهو
 القتل والسبي لبنى قريظة والإجلاء والتقى لبنى النضير قال ابن عباس هو أمر الله له بقتالهم فى قوله
 قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية (إن الله على كل شئ قدير) فيه وعيد
 وتهديد لهم (وأقروا الصلاة وآتوا الزكاة) لا الله المؤمنين بالعفو والصفح عن اليهود أمرهم بما
 فيه صلاح أنفسهم من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة الواجبتين وتبه بذلك على سائر الواجبات ثم
 قال تعالى (وما تقدموا لأنفسكم من خير) أى من طاعة وعمل صالح ، وقيل أراد بالخير المال يعنى
 صدقة التطوع لأن الزكاة تقدم ذكرها (تجدوه عند الله) يعنى ثوابه وأجره حتى العثرة واللقمة
 مثل أحد (إن الله بما تعملون بصير) أى لا يخفى عليه شئ من قليل الأعمال وكثيرها فبغيره ترغيب
 فى الطاعات وأعمال البر وزجر عن المعاصى . قوله عز وجل (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من
 كان هودا) يعنى يهوديا ، وقيل هو جمع هائد (أو نصارى) وذلك أن اليهود قالوا لن يدخل
 الجنة إلا من كان يهوديا ولا دين إلا دين اليهودية وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان
 نصرانيا ولا دين إلا دين النصرانية قيل نزلت فى وفد نجران وكانوا نصارى اجتهدوا مع اليهود
 فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب بعضهم بعضا فى دعواه قال الله (تلك أمانيهم)
 أى شهوراتهم الباطلة التى تمنوها على الله بغير حق (قل) يعنى يا محمد (هاتوا برهانكم) أى حججتكم

حذف الياء الزائدة ورجع إلى الفعل من اليهودية

على

وقال الأخفش أفود جمع هائد مثل عائد وعود وحائل وحول (أو نصارى) وذلك أن اليهود قالوا لن يدخل الجنة إلا من
 كان هودا ولا دين إلا دين اليهودية، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا ولا دين إلا دين النصرانية. وقيل
 نزلت فى وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اليهود فكذب بعضهم بعضا ، قال
 الله تعالى (تلك أمانيهم) أى شهوراتهم الباطلة التى تمنوها على الله بغير الحق (قل) يا محمد (هاتوا برهانكم) أى حججتكم

على ما زعمتم (إن كنتم صادقين) ثم قال ردا عليهم (بلى من أسلم وجهه لله) أي ليس كما قالوا بل الحكم للإسلام وإنما يدخل الجنة من أسلم وجهه لله) أي أخلص دينه لله وقيل أخلص عبادته لله وقيل خضع وتواضع لله وأصل الإسلام الاستسلام والخضوع ونخص الوجه لأنه إذا جاد بوجهه في السجود لم يدخل بسائر جوارحه (وهو محسن) في عمله وقيل مؤمن وقيل مخلص (فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) قوله (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء) نزلت في يهود المدينة ونصارى أهل نجران، وذلك أن وفد نجران لما قدموا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتاهم أخبار اليهود (٩٧) فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم

فقال لهم اليهود ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعتسى والإنجيل وقالت لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بموسى والتوراة فأرسل الله تعالى (وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب) وكلا الفريقين يقرءون الكتاب، قيل معناه ليس في كتبهم هذا الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم ما فيه على كونهم على الباطل (كذلك قال الذين لا يعلمون) يعني آباءهم الذين مضوا (مثل قولهم) قال مجاهد يعني عوام النصارى. وقال مقاتل يعني مشركي العرب كذلك قالوا في نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه

على دعواكم أن الجنة لا يدخلها إلا من كان يهوديا أو نصرانيا دون غيرهم (إن كنتم صادقين) يعني فيما تدعون. ثم قال تعالى ردا عليهم (بلى) أي ليس الأمر كما تزعمون ولكن (من أسلم وجهه لله وهو محسن) فإنه الذي يدخل الجنة وينعم فيها ومعنى أسلم وجهه لله أخلص في دينه لله وقيل أخلص عبادته لله وقيل خضع وتواضع لله لأن أصل الإسلام الاستسلام وهو الخضوع وإنما خص الوجه بالذكر لأنه أشرف الأعضاء وإذا جاد الإنسان بوضع وجهه على الأرض في السجود فقد جاد بجميع أعضائه، قال عمرو بن قنبل:

وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صحرا ثقلا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا

يعني بذلك استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته الأرض والمزن وهو محسن أي في عمله لله (فله أجره عند ربه) أي ثواب عمله (ولا خوف عليهم) أي في الآخرة (ولاهم يحزنون) أي على ما فاتهم من الدنيا. قوله عز وجل (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء) نزلت في يهود المدينة ونصارى نجران وذلك أن وفد نجران لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم أخبار اليهود وتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقاتل اليهود للنصارى ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعتسى والإنجيل، وقالت النصارى لليهود ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بموسى والتوراة فأرسل الله تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء) وقالت النصارى ليست اليهود على شيء (وهم يتلون الكتاب) يعني وكلا الفريقين يقرءون الكتاب وليس في كتبهم هذا الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم لما فيه على كفرهم وكونهم على الباطل. وقيل إن الإنجيل الذي تدبره بصحته النصارى يحقق ما في التوراة من نبوة موسى وما فرض الله فيها على بني إسرائيل من الفرائض؛ وإن التوراة التي تدبره بصحتها اليهود تحقق نبوة عيسى وما جاء به من عند ربه من الأحكام ثم كلا الفريقين قالوا ما أخبر الله عنهم بقوله (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء) وقالت النصارى ليست اليهود على شيء مع علم كل واحد من الفريقين ببطلان ما قاله (كذلك قال الذين لا يعلمون) يعني مشركي العرب قالوا في نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه إنهم ليسوا على شيء (مثل قولهم) يعني مثل قول اليهود للنصارى والنصارى لليهود. وقيل أمم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا في أنبيائهم ليسوا على شيء (فالله يحكم) أي يقضى (بينهم يوم القيامة) يعني بين الحق والمبطل (فما كانوا يختلفون) يعني من أمر الدين. قوله عز وجل (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر

(١٣) خازن بالبعوى - أول

كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام قالوا انبيئهم إنه ليس على شيء (فالله يحكم بينهم يوم القيامة) يقضى بين الحق والمبطل (فما كانوا فيه يختلفون) من الدين. قوله (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر) الآية نزلت في ططوس بن اسيسبانوس الرومي وأصحابه وذلك أنهم غزوا بني إسرائيل فقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم وحرقوا التوراة وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيها الجيف وذبخوا فيه الخنازير فكان خرابا إلى أن بناه المسلمون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقال قتادة والسدي هو يختصر

وأصحابه غزوا اليهود وخرّبوا بيت المقدس وأعادتهم على ذلك النصراني ططوس الرومي وأصحابه من أهل الروم قال السدي من أجل أنهم قتلوا يحيى بن زكريا وقال قتادة حملهم بعض اليهود على معاونة بختصر البابلي الجوسني فأترل الله تعالى: ومن أظلم أي أكفر ممن منع مساجد الله يعني بيت المقدس ومحاربهه أن يذكر (فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين) وذلك أن بيت المقدس موضع حجج النصراني ومحل زيارتهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما لم يدخلها يعني بيت المقدس بعد عمارتها رومي (٩٨) إلا خائفا لو علم به قتل ، وقال قتادة ومقاتل لا يدخل بيت المقدس

أحد من النصراني إلا مستنكرا لو قدر عليه لعوقب قال سيدي أخيفوا بالجزيرة وقيل هذا خبر بمعنى الأمر أي أجهضوهم بالجهاد حتى لا يدخلها أحد منهم إلا خائفا من القتل والسبي ، أي ما ينبغي لهم (لهم في الدنيا خزي) عذاب وهو أن قال قتادة هو القتل للحربي والجزيرة للذي قال مقاتل والكلبي تفتح مدائنهم الثلاثة قسطنطينية رومية وعمورية (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وهو النار وقال عطاء وعبد الرحمن بن زيد نزلت في مشركي مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام ، منعوا رسول الله ﷺ وأصحابه من حجه والصلاة فيه عام الحديبية وإذا منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يعمره يذكر الله فقد سعوا في خرابها أولئك ما كان

فيها اسمه) نزلت في خراب بيت المقدس وذلك أن ططوس الرومي غزا بني إسرائيل فقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم وحرق التوراة وخرّب بيت المقدس فلم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب فأترل الله تعالى ومن أظلم أي ومن أكفر وأبغى ممن منع مساجد الله يعني بيت المقدس ومحاربهه أن يذكر فيها اسمه أي بعد ويصل له فيها (وسعى في خرابها) وقيل أن بختصر الجوسني من أهل بابل هو الذي غزا بني إسرائيل وخرّب بيت المقدس وأعادته على ذلك النصراني من أجل اليهود قتلوا يحيى بن زكريا (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين) وذلك أن بيت المقدس موضع حجج النصراني وزيارتهم قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها رومي أو نصراني إلا خائفا إن علم به قتل وقيل أخيفوا بالجزيرة والقتل بالجزيرة على الذي والقتل على الحربي وقيل خوفهم هو فتح مدائنهم الثلاثة قسطنطينية ورومية وعمورية (لهم في الدنيا خزي) يعني الصغار والذلل والقتل والسبي (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) يعني النار. وقيل أن الآية نزلت في مشركي مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام وذلك أنهم منعوا رسول الله ﷺ وأصحابه أن يصلوا فيه في ابتداء الإسلام ومنعوا من حجه، والصلاة فيه عام الحديبية وإذا منعوا من يعمره يذكر الله تعالى وصلواته فيه فقد سعوا في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين يعني مشركي مكة بقول الله تعالى أفتحها عليكم أيها المسلمون حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم ففتحها عليهم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادى بالموسم لما نزلت سورة براءة: ألا لا يحجن البيت بعد هذا العام مشرك فكان هذا خوفهم وثبت في الشرع أن لا يمكن مشرك من دخول الحرم. فان قلت كيف قيل مساجد الله وإنما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو إما بيت المقدس أو المسجد الحرام؟ قلت يجوز أن يحيى الحكم عام وإن كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن أظلم ممن آذى الصالحين. فان قلت أي القولين أرجح؟ قلت رجح الطبري القول الأول وقال إن النصراني هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس بدليل أن مشركي مكة لم يسعوا في خراب المسجد الحرام وإن كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأوقات من الصلاة فيه ، وأيضا فإن الآية التي قبل هذه والتي بعدها في ذم أهل الكتاب ولم يجر لمشركي مكة ذكر ولا للمسجد الحرام فتعين أن يكون المراد بهذه بيت المقدس ، ورجح غيره القول الثاني بدليل أن النصراني يعظون بيت المقدس أكثر من اليهود فكيف يسعون في خرابه وهو موضع حججهم. وذكر ابن العربي في أحكام القرآن قولنا ثالثا وهو أنه كل مسجد قال وهو الصحيح لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد أو ببعض الأزمنة محال. قوله عز وجل (وللشرك والمغرب فأبنا قولوا فم وجه الله)

لهم أن يدخلوها إلا خائفين يعني أهل مكة يقول أفتحها عليكم حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم ففتحها عليهم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك فهذا خوفهم وثبت في الشرع أن لا يمكن مشرك من دخول الحرم لهم في الدنيا خزي الذلل واذوان والقتل والسبي والنفي. قوله عز وجل (ولله المشرق والمغرب فأبنا تولوا فم وجه الله) قال ابن عباس رضي الله عنهما خرج نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قبل تحويل القبلة إلى الكعبة فأصابهم الضباب وحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم أنهم لم بصيبوا

فلما قدموا سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما نزلت في
المسافر يصلي التطوع حيث ماتوجهت به راحلته . أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي ، أنا زاهر بن أحمد الفقيه
السرخسي أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته في السفر حيث ماتوجهت به ، وقال عكرمة نزلت في
تحويل القبلة قال أبو العالية صرفت القبلة إلى الكعبة عبرت اليهود المؤمنين (٩٩) وقالوا ليست لهم قبلة معلومة فتارة

يستقبلون هكذا وتارة
يستقبلون هكذا
هكذا فأزل الله تعالى
هذه الآية وقال مجاهد
والحسن لما نزلت «وقال
ربكم ادعوني أستجب
لكم» قالوا أين ندعوه
فأزل الله عز وجل
«والله المشرق والمغرب»
ملكوا خلقا فأبنا تولوا
فم وجه الله «يعني أبنا
تحويلوا وجوهكم فم أي
هناك وجه الله . قال
الكلبي فم الله يعلم ويرى
والوجه صلة كقولته تعالى
«كل شيء هالك إلا وجهه»
أي إلا هو وقال الحسن
ومجاهد وقتادة ومقاتل
ابن حيان فم قبلة الله
والوجه والوجهة والجهة
القبلة . وقيل رضا الله
تعالى (إن الله واسع)
أي غني يعطي من السعة
قال الفراء الواسع الجواد
الذي يسع عطاؤه كل
شيء قال الكلبي واسع
المغفرة (علم) بنياتهم
حيث ماصلوا ودعوا

سب نزول هذه الآية قال ابن عباس «خرج نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر قبل تحويل القبلة إلى الكعبة فأصابهم الضباب وحضرت الصلاة فتحروا القبلة
وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم أنهم لم يصبوا فلما قدموا سألو رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية . وعن عامر بن ربيعة عن أبيه قال كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما
أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فأبنا تولوا فم وجه الله . أخرجه
الترمذي وقال حديث غريب . وقال ابن عمر نزلت في المسافر يصلي التطوع حيث توجهت به
راحلته (ق) عن ابن عمر قال «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر راحلته
حيث كان وجهه يومئذ» وكان ابن عمر يفعله وفي رواية لمسلم «كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي
على دابته وهو مقبل من مكة إلى المدينة حيث توجهت وفيه نزلت فأبنا تولوا فم وجه الله»
الآية . وقيل نزلت في تحويل القبلة إلى الكعبة وذلك أن اليهود عبرت المؤمنين وقالوا ليس لهم
قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة يستقبلون هكذا فأزل الله هذه الآية . وقيل أنها نزلت
في تخيير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليصلوا حيث شاموا من النواحي ثم إنها نسخت بقوله
تعالى «فول وجهك شطر المسجد الحرام» ومعنى الآية إن الله المشرق والمغرب وما بينهما خلقا
وملكا ، وإنما خص المشرق والمغرب اكتفاء عن جميع الجهات لأن له كلها وما بينهما خلقه
وعبيده وإن على جميعهم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه فم أمرهم باستقباله فهو القبلة فإن القبلة
ليست قبلة للماتبا بل لأن الله تعالى جعلها قبلة وأمر بالتوجه إليها فأبنا تولوا فم وجه الله أي
فهناك قبلة الله التي وجهكم إليها وقيل معناه فم وجه الله تعالى يعلمه وقدرته . والوجه صفة
ثابتة لله تعالى لا من حيث الصورة . وقيل فم رضا الله أي يريدون بالتوجه إليه رضا (إن الله
واسع) من السعة وهو الغني أي يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجود والتدبير . وقيل واسع
المغفرة (علم) أي بأعمالكم وبنياتكم حينما تصلوا وتدعوا لا يغيب عنه منها شيء (مسئلة تتعلق
بحكم الآية) وهي أن المسافر إذا كان في مفازة أو بلاد الشرك واشتبهت عليه القبلة فإنه يجتهد
في طلبها بنوع من الدلائل ويصلي إلى الجهة التي أدى إليها اجتهاده ولا إعادة عليه وإن لم يصادف
القبلة فإن جهة الاجتهاد قبلته وكذا الغريق في البحر إذا بقي على اللوح فإنه يصلي على حسب حاله
وتصح صلاته وكذلك المشدود على جذع بحيث لا يمكنه الاستقبال . قوله عز وجل (وقالوا اتخذ
الله ولدا) نزلت في يهود المدينة حيث قالوا عزير ابن الله ، وفي نصارى نجران حيث قالوا المسيح
ابن الله وفي مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) أي تنزيها لله فزه الله نفسه

قوله تعالى (وقالوا اتخذ الله ولدا) قرأ ابن عامر قالوا ابلا وا ، وقرأ الآخرون وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت في يهود المدينة حيث قالوا
عزير ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفي مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه وعظم
نفسه . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو النجيان أنا شعيب
عن عبد الرحمن بن أبي حسن نافع بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال «قال الله تعالى كذبتني ابن
آدم ولم يكن له ذلك وشئتني ولم يكن له ذلك فأه كذبتني إياي فزعم أني لأقدر أن أعبد كما كان ، وأما شئتني إياي فقوله لي

ولد فسبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولدا «قوله تعالى (بل له ماقى السموات والأرض) عبيدا وملكا (كل له قانتون) قال مجاهد وعطاء والسدى مطيعون وقال عكرمة ومقاتل مقررون له بالعبودية وقال ابن كيسان قائمون بالشهادة. وأصل القنوت القيام قال النبي صلى الله عليه وسلم «أفضل الصلاة طول القنوت» واختلنا في حكم الآية فذهب جماعة إلى أن حكم الآية نخاص وقال مقاتل هو راجع إلى عزير والمسيح والملائكة. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال هو راجع إلى أهل طاعته دون سائر الناس وذهب جماعة إلى أن حكم الآية عام (١٠٠) في جميع الخلق لأن لفظ «كل» يقتضى الإحاطة بالشئ بحيث

لا يشاء منه شئ ثم سلكوا في الكفار طريقين فقال مجاهد يسجد ظللم الله على كره منهم قال الله تعالى «وظلالهم بالعبودية والآصال» وقال السدى هو يوم القيامة دليله وعذت الوجوه للحق القيوم وقيل قانتون مذللون مسخرون لما خلقوا له. قوله عز وجل (بديع السموات والأرض) أى مبدعها ومنشؤها من غير مثال سبق (وإذا قضى أمرا) أى قدره وقيل أحكمه وأتقنه وأصل القضاء الفراغ ومنه قيل لمن مات قضى عليه لفراغه من الدنيا ومنه قضاء الله وقدره لأنه فرغ منه تقديرا وتدبيراً (فانما يقول له كن فيكون) قرأ ابن عامر كن فيكون ينصب التون في جميع المواضع إلا في آل عمران «كن

عن اتخاذ الولد وعن قوهم وافرأثم عليه (خ) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل «كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فزعم إني لا أقدر إن أعيدته كما كان وأما شتمه إياي فقولته لي ولد فسبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولدا (بل له ماقى السموات والأرض) معنى عبيدا وملكا فكيف ينسب إليه الولد وهو داخل فيهما . وقيل إن الولد لا يلد وأن يكون من جنس الوالد والله تعالى منزّه عن الشبيه والنظير. وقيل إن الولد إنما يتخذ للحاجة إليه والانتفاع به عنه عجز الوالد وكبره، والله تعالى منزّه عن ذلك كله فاضافة الولد إليه عما (كل له قانتون) معنى أن أهل السموات والأرض مطيعون لله ومقررون له بالعبودية وأصل التنوت لزوم الطاعة مع الخضوع. وقيل أصله القيام ومنه قوله ^{تعالى} «أفضل الصلاة طول القنوت» فعل هذا يكون معنى الآية كل له قائمون بالشهادة ومقررون له بالوحدانية. وقيل قانتون أى مذللون مسخرون لما خلقوا له. واختلف العلماء في حكم الآية فقال بعضهم هو نخاص ثم سلكوا في تخصيصه طريقين أحدهما قالوا هو راجع إلى عزير والمسيح والملائكة. الثاني قال ابن عباس رضى الله عنهما هو راجع إلى أهل طاعته دون سائر الكفار وذهب جماعة إلى أن حكم الآية عام لأن لفظه كل تقتضى الشمول والإحاطة ثم سلكوا في الكفار طريقين أحدهما أن ظللمتسجد لله ونطيعه والثاني أن هذه الطاعة تكون في يوم القيامة ومن ذهب إلى تخصيص حكم الآية أجاب عن لفظه كل بأنها لا تقتضى الشمول والإحاطة بدليل قوله تعالى وأوتيت من كل شئ» ولم توت ملك سليمان فدل على أن لفظه كل لا تقتضى ذلك. قوله عز وجل ^{الذي} (بديع السموات والأرض) أى خالقها ومبدعها ومنشؤها على غير مثال سبق. وقيل البديع الذى يبدع الأشياء أى يحدثها مما لم يكن (وإذا قضى أمرا) أى قدره وأراد نطقه. وقيل إذا أحكم أمرا وحتمه وأتقنه. وأصل القضاء الحكم والفراغ والقضاء فى اللغة على وجود كلها ترجع إلى انقطاع الشئ وتمامه والفراغ منه (فانما يقول له كن فيكون) أى إذا أحكم أمرا وحتمه فانما يقول له فيكون ذلك الأمر على ما أراد الله تعالى وجوده. فان قلت المعدوم لا يخاطب فكيف قال فانما يقول له كن فيكون. قلت إن الله تعالى عالم بكل ما هو كائن قبل تكوينه وإذا كان كذلك كانت الأشياء التى لم تكن كأنها كائنة لعلمه بها فجاز أن يقول لها كوني وأمرها بالخروج من حال العدم إلى حال الوجود وقيل اللام فى قوله «له» لام أجل فيكون المعنى إذا قضى أمرا فانما يقول لأجل تكوينه وإرادته له كن فيكون فعلى هذا يذهب معنى الخطاب. قوله عز وجل ^{الذين} (وقال الذين لا يعلمون) قال ابن عباس هم اليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله ^{صلى الله عليه وسلم} وقيل هم النصارى وقيل هم مشركو العرب (لولا) أى هلا

فيكون الحق من ربك «وفى سورة الأنعام «كن فيكون قوله (يكن) بكلمتنا (لكن) وإنما نصها لأن جواب الأمر بالفاء يكون منصوبا. وقرأ الآخرون بالرفع على معنى فهو يكون. فان قيل كيف قال فانما يقول له كن والمعدوم لا يخاطب. قيل قال ابن التبارى معناه فانما يقول له أى لأجل تكوينه فعلى هذا ذهب معنى الخطاب وقيل هو وإن كان معدوما ولكن لما قدر وجوده وهو كائن لإمكانه كان كالموجود فصح الخطاب. قوله عز وجل (وقال الذين لا يعلمون) قال ابن عباس رضى الله عنهما اليهود. وقال مجاهد النصارى. وقال قتادة مشركو العرب (لولا) هلا

(يكلمنا الله) عيانا بأنك رسوله وكل ما في القرآن لولا فهو معنى هلا إلا واحدا وهو قوله فقلوا أنه كان من المسيحين ومعناه فلو لم يكن (أو تأتينا آية) دلالة علامة على صدقك قال الله تعالى (كذلك قال الذين من قبلهم) أي كفار الأمم الخالية (مثل قولهم تشابهت قلوبهم) أي أشبه بعضهم بعضا في الكفر والقسوة وطلب الخيال (قد بينا الآيات لقوم يوقنون . إنا أرسلناك بالحق) أي بالصدق كقوله ويستنبئونك أحق هو قل أي ورنى إنه لخلق أي صدق ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : بالقرآن ، دليله . بل كذبوا بالحق لما جاءهم ، وقال ابن كيسان بالإسلام وشرائعه ، دليله قوله (١٠١) عز وجل وقل جاء الحق ، وقال

مقاتل معناه لم ترسلك عينا إنما أرسلناك بالحق كما قال وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق قوله عز وجل (بشيرا) أي مبشرا لأوليائى وأهل طاعتى بالثواب الكريم (ونذيرا) أي منذرا بخوفا لأعدائى وأهل معصيتى بالعذاب الأليم . قرأ نافع ويعقوب (ولا تسأل) على النهى قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعري ما فعل أبوأي فترأت هذه الآية ، والمعنى إنا أرسلنا لتبليغ ما أرسلت به ولا تسأل عن أصحاب الجحيم . وقرئى ولا تسأل بضم التاء ورفع اللام على الخبر . وقيل على النبي والمعنى إنا أرسلناك بالحق لتبليغ ما أرسلت به فأنما عليك البلاغ ولست مسئولاً عن كفر (عن أصحاب الجحيم) أي عن أهل النار ، سميت النار جحما لشدة تأججها وقيل الجحيم معظم النار . قوله عز وجل (ولئن رضي عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) وذلك أنهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطلبون منه أن يهادنهم حتى تتبع ملتهم فأنزل الله هذه الآية والمعنى إنك وإن هادتهم فلا يرجون بها وإنما يطلبون ذلك تعللا ولا يرجون منك إلا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هذا في أمر القبلة وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يصلى إلى بيت المقدس فلما صرفه الله القبلة إلى الكعبة أبسوامته أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله تعالى ولئن رضي عنك اليهودي إلا باليهودية ، ولا النصارى يعني إلا بالنصرانية وهذا شيء لا يتصور إذ لا يجتمع في رجل واحد شيئا من في وقت واحد وهو قوله وحتى تتبع ملتهم ، يعني دينهم وطريقتهم (قل) أي يا محمد (إن هدى الله) يعني دين الله الذي هو الإسلام (هو الهدى)

(يكلمنا الله) أي عيانا بأنك رسوله (أو تأتينا آية) أي دلالة وعلامة على صدقك (كذلك قال الذين من قبلهم) أي كفار الأمم الخالية (مثل قولهم) وذلك أن اليهود سألوا موسى أن يريهم الله جهرة وأن يسمعهم كلام الله وسألوه من الآيات ما ليس لهم مسئلة فأخبر الله عن الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا مثل ما قال من كان قبلهم (تشابهت قلوبهم) يعني أن المكذبين لرسول تشابهت أقوالهم وأفعالهم . وقيل تشابهت في الكفر والقسوة والتكذيب وطلب الخيال (قد بينا الآيات) أي الدلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (لقوم يوقنون) يعني أن آيات القرآن وما جاء به محمد ^{صلى الله عليه وسلم} من المعجزات البارات كافية لمن كان طالبا لليقين وإنما خص أهل الإيقان بالذكر لأنهم هم أهل التثبت في الأمور ومعرفة الأشياء على يقين . قوله عز وجل (إنا أرسلناك بالحق) أي بالصدق وقال ابن عباس بالقرآن وقيل بالإسلام وقيل معناه إنا لم ترسلك عينا ، بل أرسلناك بالحق (بشيرا) أي مبشرا لأوليائى وأهل طاعتى بالثواب العظيم (ونذيرا) أي منذرا وخوفا لأعدائى وأهل معصيتى بالعذاب الأليم (ولا تسأل) قرئى بفتح التاء على النهى قال ابن عباس وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعري ما فعل أبوأي فترأت هذه الآية ، والمعنى إنا أرسلنا لتبليغ ما أرسلت به ولا تسأل عن أصحاب الجحيم . وقرئى ولا تسأل بضم التاء ورفع اللام على الخبر . وقيل على النبي والمعنى إنا أرسلناك بالحق لتبليغ ما أرسلت به فأنما عليك البلاغ ولست مسئولاً عن كفر (عن أصحاب الجحيم) أي عن أهل النار ، سميت النار جحما لشدة تأججها وقيل الجحيم معظم النار . قوله عز وجل (ولئن رضي عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) وذلك أنهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطلبون منه أن يهادنهم حتى تتبع ملتهم فأنزل الله هذه الآية والمعنى إنك وإن هادتهم فلا يرجون بها وإنما يطلبون ذلك تعللا ولا يرجون منك إلا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هذا في أمر القبلة وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يصلى إلى بيت المقدس فلما صرفه الله القبلة إلى الكعبة أبسوامته أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله تعالى ولئن رضي عنك اليهودي إلا باليهودية ، ولا النصارى يعني إلا بالنصرانية وهذا شيء لا يتصور إذ لا يجتمع في رجل واحد شيئا من في وقت واحد وهو قوله وحتى تتبع ملتهم ، يعني دينهم وطريقتهم (قل) أي يا محمد (إن هدى الله) يعني دين الله الذي هو الإسلام (هو الهدى)

الجحيم) وأصحاب الجحيم معظم النار . قوله عز وجل (ولئن رضي عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) قل إن هدى الله هو الهدى وذلك أنهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطلبون منه أن يهادنهم حتى تتبع ملتهم فأنزل الله هذه الآية ومعناه أنك وإن هادتهم فلا يرجون بها وإنما يطلبون ذلك تعللا ولا رضون منك إلا باتباع ملتهم . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لما في القبلة وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يصلى إلى بيت المقدس فلما صرفه الله القبلة إلى الكعبة أبسوامته أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله تعالى : ولئن رضي عنك اليهود إلا باليهودية ولا النصارى إلا

إلا بالنصرية. والملة الطريقة (ولئن اتبعت أهواءهم) قيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الأمة كقوله ولئن أشركت ليحيطن عملك (بعد الذي جاءك من العلم) البيان بأن دين الله هو الإسلام والقبلة قبله لإبراهيم عليه السلام وهي الكعبة (مالك من الله من ولي (١٠٢) ولا نصير الذين آتيناهم الكتاب) قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت

في أهل السفينة قدموا مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وكانوا أربعين رجلا : اثنان وثلاثون من الحبشة ، وثمانية من رهبان الشام منهم بجيرا ، وقال الضحاك هم من آمن من اليهود عبد الله بن سلام وشعبة بن عمرو وتمام بن يهودا وأسد وأسيد ابنا كعب وابن يامين وعياقة بن صوريا وقال قتادة وعكرمة هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم المؤمنون عامة (يتلونه حتى تلاوته) قال الكلبي يصفونه في كتبهم حتى صفتهم لمن سألهم من الناس ، وإلهاء راجعة إلى محمد صلى الله عليه وسلم وقال الآخرون هي عائدة إلى الكتاب واختلنوا في معناه فقال ابن مسعود رضي الله عنهما يقرؤونه كما أنزل ولا يقرؤونه ويجلون حلاله ويحرموا حرامه وقال الحسن يعلون بحكمه ويؤمنون بمشابهة ويكونون

أى يصح أن يسمى هدى (ولئن اتبعت) يا محمد (أهواءهم) يعني أهواء اليهود والنصارى فيما يرضيهم عنك وقيل أهواءهم أقوالهم التي هي أهواء ويدع (بعد الذي جاءك من العلم) أي البيان لأن دين الله هو الإسلام وأن القبلة هي قبله لإبراهيم عليه السلام وهي الكعبة (مالك من الله من ولي) يعني بل أميرك ويقوم بك (ولا نصير) أي ينصرك ويمنعك من عقابه وقيل في قوله ولئن اتبعت أهواءهم أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته والمعنى إياكم أنا خطاب ولكم أؤدب وأنهى فقد علمتم أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق والصدق وقد عصيته فلا تتبعوا أئمة الكافرين ولئن اتبعتهم أهواءهم بعد الذي جاءكم من العلم والبيئات مالكم من الله من ولي ولا نصير . قوله عز وجل (الذين آتيناهم الكتاب) قال ابن عباس نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب وكانوا أربعين رجلا اثنان وثلاثون رجلا من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بجيرا الرهب ، وقيل هم مؤمنو أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه . وقيل هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل هم مؤمنون عامة (يتلونه حتى تلاوته) أي يقرؤونه كما أنزل لا يغيرونه ولا يجرؤونه ولا يبدلون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل معناه يتبعونه حتى اتبعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بحكمه ويؤمنون بمشابهة ويقفون عنده ويكونون علمه إلى الله تعالى . وقيل معناه تدرسه حتى تدرسه وتفكروا في معانيه وحفائقه وأسراره (أولئك) يعني الذين يتلونه حتى تلاوته (يؤمنون به) أي يصدقون . به فان قلنا إن الآية في أهل الكتاب فيكون المعنى إن المؤمن بالتوراة الذي يتلونها حتى تلاوتها هو المؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لأن في التوراة نعت وصفته . وإن قلنا إنها نزلت في المؤمنين عامة فظاهر (ومن يكفر به) أي يحمد ما فيه من فرائض الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم (فأولئك هم الخاسرون) أي خسروا أنفسهم حيث استبدلوا الكفر بالإيمان . قوله عز وجل (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) أي أيادي لديكم وصنعى بكم واستنقاذي إياكم من أيدي عدوكم في نعم كثيرة أنعمت بها عليكم (وأني فضلتكم على العالمين) أي واذكروا تفضيلي إياكم على عالمي زمانكم وفي هذه الآية عظة لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله ﷺ وكررها في أول السورة وهنا للتوكيد وتذكير النعم (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا) وفي هذه الآية ترهيب لهم والمعنى يامعشر بني إسرائيل البديلين كذابي المحرفين له خافوا عذاب يوم لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئا (ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة) أي لا يقبل منها فدية ولا يشفع لها شافع وهذا من العام الذي يراد به الخاص كقوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ومعنى الآية ولا تنفعها شفاعة إذا وجب عليها العذاب ولم تستحق سواء . وقيل إنه رد على اليهود في قولهم إن آباءنا يشفعون لنا (ولا هم ينصرون) أي ولا ناصر لهم ينصرهم من الله إذا انتقم منهم قوله عز وجل (ولاذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن) إبراهيم اسم أعجمي ومعناه أب رحيم وهو

وهو

علم ما أشكل عليهم إلى علمه . وقال مجاهد يتبعونه حتى اتبعه .

قوله (أولئك يؤمنون به ، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون) يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين . واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون . وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن) قرأ ابن عامر لإبراهيم بالألف في بعض المواضع وهو ثلاثة وثلاثون موضعا جملة تسعة وتسعون

موضعاً. وهو اسم أعجمي، ولذلك لا يجرى عليه الصرف وهو إبراهيم بن تارخ وهو أزر بن ناخور وكان مولده بالسوس من أرض الأهواز. وقيل بابل. وقيل كوفي وقيل كسركر، وقيل حران ولكن أباه نقله إلى أرض بابل بأرض نمرود بن كنعان ومعنى الابتلاء الاختبار والامتحان والأمر. وابتلاء الله العباد ليس ليعلم (١٠٣) أحوالهم بالابتلاء لأنه علم بهم

ولكن ليعلم العباد أحوالهم حتى يعرف بعضهم بعضاً. واختلنوا في الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم فقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: هي ثلاثون سماه شرايع الإسلام لم يبتل بها أحد فأقامها كلها إبراهيم فكتب له البراءة فقال وإبراهيم الذي وفي: عشر في براءة الثالثون العابدون إلى آخرها وعشر في الأحزاب: إن المسلمين والمسلمات إلى آخرها وعشر في سورة المؤمنين في قوله قد أفلح المؤمنون الآيات وقوله لا المصلين في سأل سائل، وقال طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما ابتلاءه الله تعالى بعشرة أشياء وهي الفطرة: خمس في الرأس: قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس. وخمس في البدن: تقليم الأظفار وتنف الإبط

وهو إبراهيم بن تارخ وهو أزر بن ناخور بن شاروع بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، وكان مولد إبراهيم بالسوس من أرض الأهواز وقيل ببابل وقيل بكوفي وهي قرية من سواد الكوفة وقيل بحران ولكن أباه نقله إلى أرض بابل وهي أرض نمرود الجبار. وإبراهيم عليه السلام تعترف بفضلته جميع الطوائف قديماً وحديثاً فأما اليهود والنصارى فانهم مقرون بفضلته ويتشرفون بالنسبة إليه وأنهم من أولاده وأما العرب في الجاهلية فانهم أيضاً يعترفون بفضلته ويتشرفون على غيرهم به لأنهم من أولاده ومن ساكني حرمه وخدام بيته، ولما جاء الإسلام زاده الله شرفاً وفضلاً فحكي الله تعالى عن إبراهيم أموراً توجب على المشركين والنصارى واليهود قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بدينه والانقياد لشريعته لأن ما أوجبه الله على إبراهيم عليه السلام هو من خصائص دين محمد صلى الله عليه وسلم وفي ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركي العرب في وجوب الانقياد لحمد صلى الله عليه وسلم والإيمان به وتصديقه. وأصل الابتلاء الامتحان والاختبار ليعرف حال الانسان وسعى التكليف بلاء لأنه يشق على الأبدان. وقيل ليختبر به حال الإنسان فاذا قيل ابتلى فلان بكذا يتضمن أمرين: أحدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره. والثاني ظهور جودته وورادته وابتلاء الله العباد ليس ليعلم أحوالهم والوقوف على ما يجهل منها لأنه علم بجميع المعلومات التي لانهاية لها على سبيل التفصيل من الأزل إلى الأبد ولكن ليعلم العباد أحوالهم من ظهور جودة وورادة وعلى هذا ينزل قوله تعالى «وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات». واختلنوا في تلك الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم عليه السلام قال ابن عباس هي ثلاثون سماه شرايع الإسلام لم يبتل بها أحد فأقامها كلها لإبراهيم فكتب الله له البراءة فقال وإبراهيم الذي وفي» ومعنى هذا الكلام إنه لم يبتل أحد قبل إبراهيم فإما بعده فقد أتى الأنبياء بجميع ما أمروا به من الدين خصوصاً نبينا محمد ﷺ فقد أتى بجميع ما أمر به وهي عشرة مذكورة في سورة براءة في قوله «الثالثون العابدون» الآية وعشرة في سورة الأحزاب في قوله «إن المسلمين والمسلمات» الآية وعشرة في سورة المؤمنون في قوله «قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلواتهم خاشعون» الآيات وهي مذكورة أيضاً في سورة سأل سائل. وعن ابن عباس أيضاً قال ابتلاءه الله بعشرة أشياء هن الفطرة خمس في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وخمس في الجسد تقليم الأظفار وتنف الإبط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء (ق) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الفطرة خمس» وفي رواية خمس من الفطرة الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظفار وتنف الإبط» (م) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عشر من الفطرة قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك والاستنشاق بالماء وقص الأظفار وغسل البراجم وتنف الإبط وحلق العانة

وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء. وفي الخبر «إن إبراهيم عليه السلام أول من اختن وأول من قلم الأظفار وأول من رأى الشيب فلما رآه قال يارب ما هذا قال الوقر قال يارب زدني وقاراً. قال مجاهد هي الآيات التي بعدها في قوله عز وجل «إني جاعلك للناس إماماً» إلى آخر القصة وقال الربيع وقتادة مناسك الحج، وقال الحسن ابتلاء الله بسبعة أشياء بالكواكب والقمر والشمس فأحسن فيها النظر وعلم أن ربه دائم لا يزول وبالله رفصبر عليها

وبالحجرة وولدع ابنه وبالختان فصر عليها قال سعيد بن جبير هو قول إبراهيم وإسماعيل إذ برفعان البيت : وبنا تقبل منا الآية فرفعاه بسبحان الله والحمد لله (١٠٤) ولا إله إلا الله والله أكبر . قال يمان بن رباب عن مهاجرة قومه

قال الله تعالى « وحاجه قومه » إلى قوله تعالى : « وتلك حجتنا آتيناها لإبراهيم » وقيل هي قوله الذي خلقني فهو يهدين إلى آخر الآيات فأتعن قال قتادة أدهن قال الضحاك قام بين وقال يمان عمل بين قال الله تعالى (قال إني جاعلك للناس إماما) يقتدى بك في الخبر (قال إبراهيم (ومن ذريتي) أي ومن أولادي أيضا فاجعل أمة يقتدى بهم (قال) الله تعالى (لا ينال) لا يصيب (عهدى الظالمين) قرأ حمزة وحفص باسكان الياء والباقون بفتحها أي من كان منهم ظلما لا يصيبه قال عطاء بن أبي رباح عهدى رحمتي وقال السدي نبوي . وقيل الإمامة قال مجاهد ليس لظالم أن يطاع في ظلمه ومعنى الآية لا ينال ما عهدت إليك من النبوة والإمامة من كان ظلما من ولدك وقيل أراد بالعهد الأمان من النار

وانتفاص الماء « يعني الاستنجاء قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة قال وكيع انتفاص الماء يعني الاستنجاء قال العلماء التطيرة سنة وقيل الملة وقيل الطريقة وهذه الأشياء المذكورة في الحديث وأنها من النظرة قيل كانت على إبراهيم عليه السلام فرضا وهي لتاسنة واتفتت العلماء على أنها من الملة وأما معانيها فقد قيل أما قص الشارب وإعفاء اللحية فمخالفة للأعاجم فانهم كانوا يقصون لحاهم أو يوفرون شواريخهم أو يوفرونها معا وذلك عكس الجمال والنظافة وأما السواك والمضمضة والاستنشاق فلتنظيف الفم والأنف من الطعام والقليح والوسخ وأما قص الأظفار فلجمال والزينة فانها إذا طالت قبح منظرها واحتوى الوسخ فيها وأما غسل البراجم وهي العقد التي في ظهور الأصابع فانه يجتمع فيها الوسخ ويشين المنظر وأما حلق العانة وتنف الأبط فلتنظيف عما يجتمع من الوسخ في الشعر وأما الاستنجاء فلتنظيف ذلك الخلل عن الأذى وأما الختان فلتنظيف الثلثة عما يجتمع فيها من البول . واختلت العلماء في وجوبه فذهب الشافعي إلى أن الختان واجب لأنه تنكشف له العورة ولا يباح ذلك إلا في الواجب وذهب غيره إلى أنه سنة . وأول من حتن إبراهيم عليه السلام ولم يحتن أحد قبله (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « حتن إبراهيم بالقدم » بروي القوم بالتخفيف والتشديد فمن خفف ذهب إلى أنه اسم للآلة التي يقطع بها ومن شدد قال إنه اسم موضع . عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول « كان إبراهيم خليل الرحمن أول الناس ضيف الضيف وأول الناس قص شاربه وأول الناس رأى الشيب قال رب ما هذا قال الرب تبارك وتعالى وقارا بإبراهيم قال يارب زدني وقارا » أخرجه مالك في الموطأ وقيل في الكلمات إنها مناسك الحج . وقيل ابتلاه الله بسبعة أشياء بالكوكب والقمر والشمس فأحسن النظر فيهن وبالنار والحجرة وذبح ولده والختان فصر عليها وقيل إن الله اختبر إبراهيم بكلمات أوحاها إليه وأمره أن يعمل بين فأتعن أي أدهن حق التأدية وقام بوجهين حتى القيام وعمل بين من غير تفریط وتوان ولم ينتقص منهن شيئا . واختلفوا هل كان هذا الابتلاء قبل النبوة أو بعدها فقيل كان قبل النبوة بدليل قوله في سياق الآية « إني جاعلك للناس إماما » والسبب يتقدم على المسبب وقيل بل كان هذا الابتلاء بعد النبوة لأن التكليف لا يعلم إلا من جهة الوحي الإلهي وذلك بعد النبوة . والصواب أنه إن فسر الابتلاء بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وإن فسر بما وجب عليه من شرائع الدين كان ذلك بعد النبوة . وقوله تعالى (قال إني جاعلك للناس إماما) أي يقتدى بك في الخير ويأتمون بسنتك وهديك ، والإمام هو الذي يؤتم به (قال ومن ذريتي) أي قال إبراهيم واجعل من ذريتي وأولادي أمة يقتدى بهم (قال) الله (لا ينال) أي لا يصيب (عهدى) أي نبوي . وقيل الإمامة (الظالمين) يعني من ذريتك والمعنى لا ينال ما عهدت إليك من النبوة والإمامة من كان ظلما من ذريتك ووليك . قوله عز وجل (وإذ جعلنا البيت) يعني البيت الحرام وهو الكعبة ويدخل فيه الحرم فان الله تعالى وصفه بكونه آمنا وهذه صفة جميع الحرم (مثابة للناس) أي مرجعا من ثاب بثوب إذا رجع والمعنى يتوبون إليه من كل جانب بحجونه (وأمنا) أي موضعا ذا أمن يؤمنون فيه من أذى

وبالظالم المشرك كقوله تعالى « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن » قال الله تعالى (وإذ جعلنا البيت) يعني الكعبة (مثابة للناس) مرجعا لهم قال مجاهد وسعيد بن جبير يتوبون إليه من جانب ويحجون قال ابن عباس رضي الله عنهما معاذا وملجأ وقال قتادة وعكرمة مجمعا (وأمنا) أي آمنا يؤمنون فيه

المشركين

من إبناء الأشركين فانهم ما كانوا يتعرضون لأهل مكة ويقولون هم أهل الله ويتعرضون لمن حوله كما قال الله تعالى و أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ، أخبرنا عبد الواحد (١٠٥) الملبحي أنا أحمد بن عبد الله

التميمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا علي بن عبد الله أنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس رضی الله عنهم ، قال قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة لا يعصده شوكة ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يخطف أحدها ، ولا ينشد لها ، والشدة رفع الصوت بالتعريف ، واللقطة في جميع الأرض لا تحل إلا لمن عرفها حولا ، فإن جاء صاحبها أخذها ، وإلا انتفع بها الملتقط بشرط الضمان ، وحكم مكة في اللقطة أن يعرفها على الدوام بخلاف غيرهما من البلاد فإنه محدود بسنة ، قوله ولا يخطف أحده ، الخطف مقصور الرطب من النبات الذي برعى وقيل هو اليابس من الحشيش وخلاه قطعه ، وقوله لتقنينهم القين الحداد وقوله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) قيل الحرم كله مقام إبراهيم ، وقيل أراد بمقام إبراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة والمزدلفة والرمي وسائر المشاهد والصحيح أن مقام إبراهيم هو الحجر الذي يصلى عنده الأئمة وذلك الحجر هو الذي قام إبراهيم عليه عند بناء البيت ، وقيل كان أثر أصابع رجل إبراهيم عليه السلام فيه فاندست بكثرة المسح بالأيدي وقيل إنما أمروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه وتقديسه (ق) عن أنس بن مالك قال قال عمر وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت : واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى الحديث ، وكان بدء قصة المقام على ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال أول ما اتخذت النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقا لتعني أثرها على سارية ثم جاء بها إبراهيم وبانها لإسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحه فوق زمزم من أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعها هناك ووضع عندها جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم منطلقا فتبعته أم إسماعيل فقالت يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها فقالت له آله أمرك بهذا قال نعم قالت إذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عندا الأنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرقع يديه وقال ربنا إنى أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نزلها في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه بتلوى أرقا ينثبط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت

المشركين فانهم كانوا لا يتعرضون لأهل مكة ويقولون هم أهل الله وقال ابن عباس معاذا وما جأ (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمه الله تعالى إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة لا يعصده شوكة ، ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يخطف أحدها فقال العباس يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لتقنينهم وبيوتهم فقال إلا الإذخر » . معنى الحديث أنه لا يحل لأحد أن ينصب القتال والحرب في الحرم وإنما أحل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقط ولا يحل لأحد بعده . قوله لا يعصده شوكة ، أى لا يقطع شوكة الحرم وأراد به ما لا يؤذى منه أما ما يؤذى منه كالعوسج فلا بأس بقطعه . قوله ولا ينفر صيده أى لا يتعرض له بالأصطياد ولا يهاج . قوله ولا يلتقط لقطته ، إلا من عرفها أى ينشدها . والشدة رفع الصوت بالتعريف ، واللقطة في جميع الأرض لا تحل إلا لمن عرفها حولا ، فإن جاء صاحبها أخذها ، وإلا انتفع بها الملتقط بشرط الضمان . وحكم مكة في اللقطة أن يعرفها على الدوام بخلاف غيرهما من البلاد فإنه محدود بسنة ، قوله ولا يخطف أحده ، الخطف مقصور الرطب من النبات الذي برعى وقيل هو اليابس من الحشيش وخلاه قطعه . وقوله لتقنينهم القين الحداد وقوله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) قيل الحرم كله مقام إبراهيم ، وقيل أراد بمقام إبراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة والمزدلفة والرمي وسائر المشاهد والصحيح أن مقام إبراهيم هو الحجر الذي يصلى عنده الأئمة وذلك الحجر هو الذي قام إبراهيم عليه عند بناء البيت ، وقيل كان أثر أصابع رجل إبراهيم عليه السلام فيه فاندست بكثرة المسح بالأيدي وقيل إنما أمروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه وتقديسه (ق) عن أنس بن مالك قال قال عمر وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت : واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى الحديث ، وكان بدء قصة المقام على ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال أول ما اتخذت النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقا لتعني أثرها على سارية ثم جاء بها إبراهيم وبانها لإسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحه فوق زمزم من أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعها هناك ووضع عندها جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم منطلقا فتبعته أم إسماعيل فقالت يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها فقالت له آله أمرك بهذا قال نعم قالت إذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عندا الأنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرقع يديه وقال ربنا إنى أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نزلها في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه بتلوى أرقا ينثبط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت

(١٤) - خازن بالبغوى - أول) مثل عرفة ومزدلفة وسائر المشاهد والصحيح أن مقام إبراهيم هو الحجر الذي في المسجد يصلى إليه الأئمة وذلك الحجر الذي قام عليه إبراهيم عند بناء البيت وقيل كان أثر أصابع رجله بينا فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيدي قال قتادة ومقاتل والسدي أمروا بالصلاة عند مقام إبراهيم ولم يؤمروا بمسحه

وتفضيله. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسدد عن يحيى بن حميد
عن أنس قال قال عمر بن الخطاب (١٠٦) رضي الله عنه وافقت الله في ثلاث أو وافقتني ربي في ثلاث قلت يا رسول الله

لو اتخذت مقام إبراهيم
مصلي فأزول الله تعالى
« واتخذوا من مقام إبراهيم
مصلي » وقلت يا رسول
الله يدخل عليك البر
والفاجر فلو أمرت
أمهات المؤمنين بالحجاب
فأزول الله عز وجل آية
الحجاب ، قال وبلغني
معاينة النبي ﷺ بعض
نساته قد دخلت عليهن
فقلت لمن إن اتبينن أو
ليدلتهن الله خيرا متكن
فأزول الله تعالى عسى
ربه إن طلقكن أن
يبدله أزواجا خيرا
متكن ، الآية ورواه
محمد بن إسماعيل أيضا
عن عمرو بن عون أنا
هشام عن حميد عن
أنس رضي الله عنه قال
قال عمر رضي الله عنه
« وافقت ربي في ثلاث
قلت يا رسول الله لو
اتخذت من مقام إبراهيم
مصلي فزولت « واتخذوا
من مقام إبراهيم مصلي ،
وأما بدعة قصة المقام فقد
روى سعيد بن جبير عن
ابن عباس رضي الله
عنه ، قال فلما أتى إبراهيم

عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادي
ورفعت طرف درعها وسعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة
فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال
النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت
صه تريدنفسها ثم سمعت قد سمعت أيضا فقالت يا من قد سمعت إن كان عندك غوث فاذا هي بالملك
عند موضع زمزم فيحث بعقبه أو قال يبتاحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها
هكذا وجعلت تعرف من الماء في سقاها وهو ينفور بعدما تعرف قال ابن عباس قال النبي صلى
الله عليه وسلم يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تعرف من الماء لكانت
زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافي الضيعة فان هاتنا بيننا
الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية
تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل
بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فزولوا في أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا إن هذا
الطائر ليدور على ماء لهدانا هذا الوادي ومافيه ماء فأرسلوا جريا أو جرين فاذا هم بالماء
فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا وأم إسماعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم
ولكن لاحق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالتى ذلك
أم إسماعيل وهي تحب الأنس فأرسلوا إلى أهلهم فزولوا معهم حتى إذا كانوا بها أهل أبيات
منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وآمنهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجته امرأة
منهم وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل بطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل
امرأته عنه فقالت خرج بيتي لنا وفي رواية ذهب يصيد لنا ثم سألتها عن عيشتهم وهيئتهم
فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشككت إليه فقال إذا جاء زوجك أقرني عليه السلام وقولي له
بغير عتبه يابه فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئا فقال هل جاءكم من أحد قالت نعم جاءنا شيخ
كندا وكندا فسألنا عنك فأخبرته فسألني كيف عيشتنا فأخبرته أنا في جهد وشدة فقال هل أوصاك
بشيء قالت نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبه بابك قال ذلك أبي وقد أمرني
أن أفارقك الحق بأهلك ففطقتها وتزوج منهم أخرى فقلت عنهم إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ثم
أتاهم بعد فلم يجدوا فدخل على امرأته فسأل عنه فقالت خرج بيتي لنا قال كيف أنتم وسألتها
عن عيشتهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله عز وجل فقال وما طعامكم قالت اللحم
قال وما شربكم قالت الماء قال اللهم يارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم
يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم حب دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم
يوافقاه وفي رواية فجاء فقال ابن إسماعيل فقالت امرأته قد ذهب بصيد فقالت امرأته ألا تنزل عندنا
فنتطعم وتشرب قال وما طعامكم وشربكم قالت طعامنا اللحم وشربنا الماء قال اللهم يارك لهم
في طعامهم وشربهم قال فقال أبو القاسم بركة دعوة إبراهيم قال فاذا جاء زوجك فاقري عليه السلام

إسماعيل وهاجر وضعهما بمكة وأتت

على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج إسماعيل منهم امرأة وماتت هاجر واستأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر فأذنت
له وشرطت عليه أن لا ينزل فقدم إبراهيم مكة وقد ماتت هاجر فذهب إلى بيت إسماعيل فقال لامرأته ابن صاحبك

ومريه

قالت ذهب بتصيد وكان إسماعيل عليه السلام يخرج من الحرم فيصيد فقال لها إبراهيم هل عندك ضيافة قالت ليس عندي ضيافة وسألها عن عيشهم فقالت نعم في ضيق وشدة فشكت إليه فقال لها إذا جاء زوجك فأقرتيه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فذهب إبراهيم فجاء إسماعيل فوجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد؟ فقالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فما قال لك قالت قال أقرني زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه قال ذلك أبي وقد أمرني أن أفارقك الحق بأهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث إبراهيم ماشاء الله أن يلبث ثم استأذن سارة أن تزور إسماعيل فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فجاء إبراهيم عليه السلام حتى انتهى إلى باب إسماعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب بتصيد وهو يحيى الآن إن شاء الله فأنزله رحمتك الله قال هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم وسألها عن عيشهم فقالت نحن بخير وسعة فدعا لهما بالبركة ولو جاءت يومئذ (١٠٧) بخبز بر أو شعير أو تمر

لكانت أكثر أرض
الله برا أو شعيرا أو تمر
فقالت له أنزل حتى
أغسل رأسك فلم ينزل
فجاءته بالمقام فوضعه
عن شقه الأيمن فوضع
قدمه عليه فغسلت شق
رأسه الأيمن ثم حولته
إلى شقه الأيسر فغسلت
شق رأسه الأيسر فبقي
أر قدميه عليه فقال
لها إذا جاء زوجك
فأقرتيه السلام وقولي له
قد استقامت عتبة بابك
فلما جاء إسماعيل وجد
ريح أبيه فقال لامرأته
هل جاءك أحد قالت
نعم شيخ أحسن الناس
وجها وأطيبهم ريحا وقال
لي كذا وكذا وقلت له

ومر به أن يثبت عتبة بابه فلما جاء إسماعيل قال هل أنا كم من أحد قالت نعم أنا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير قال فأوصاك بشيء قالت نعم يقرأ عليك السلام وبأمرك أن تبيت عتبة بابك فقال: ذلك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك ثم لبث عنهم ماشاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبرى نبلا له تحت دوحة قريمان زمزم فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالولد ثم قال يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر قال فاسمع ما أمرك ربك قال وتعينني قال وأعينك قال فان الله أمرني أن أبني بيتا ههنا وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام إبراهيم عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم: وفي رواية حتى إذا ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان: ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم، وقيل إن امرأة إسماعيل قالت لإبراهيم انزل اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعه عن شقه الأيمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيمن ثم حولته إلى شقه الأيسر فغسلت شق رأسه الأيسر فبقي أر قدميه عليه فقال ابن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب، أخرجه الترمذي وقال هذا يروي عن ابن عمر موقوفا. واختلفوا في قوله: مصلى فمن فسر المقام بمشهد الحج ومشاعره قال مصلى مدعى من الصلاة التي هي الدعاء ومن فسر المقام بالحجر قال معناه واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى قبله أمروا بالصلاة عنده وهذا القول هو الصحيح لأن لفظ الصلاة إذا أطلق لا يعقل منه إلا الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود ولأن مصلى الرجل هو الموضع الذي يصلي فيه (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل) أي أمرناهما زلزمتاهما وأوجبنا

كذا وكذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه فقال: ذلك إبراهيم النبي أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك. وروى عن سعيد بن جبير أيضا عن ابن عباس قال ثم لبث عنهم ماشاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبرى نبلا تحت دوحة قرية من زمزم فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالولد ثم قال يا إسماعيل إن الله تعالى أمرني بأمر تعينني عليه قال أعينك عليه قال إن الله أمرني أن أبني ههنا بيتا فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني فلما ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام إبراهيم على حجر المقام وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. وفي الخبر: الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة ولولا مسته أيدي المشركين لأضاء ما بين المشرق والمغرب، قوله عز وجل (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل) أي أمرناهما وأوصينا إليهما، قيل سمي إسماعيل لأن إبراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولدا ويقول اسمع يا ليل، وليل هو الله فلما رزق الولد سماه به.

جبير وعطاء طهراه من الأوثان والرب وقول الزور وقيل بحراه وخلقاه قاله عمار بن زيار قرأ أهل المدينة وتوخصص بيني بفتح الياء هاهنا وفي سورة الحج وزاد حفص في سورة نوح (للطائفين) الدائرین حوله (والعاكفين) المقيمين الجاورين (والركع) جمع ركع (السجود) جمع ساجد وهم المصلون قال الكلبي ومقاتل الطائفين هم الغرياء والعاكفين أهل مكة قال عطاء ومجاهد وعكرمة الطواف للغرياء أفضل والصلاة لأهل مكة أفضل (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا) يعني مكة ، وقيل الحرم (بلداً آمناً) أي ذا أمن يأمن فيه أهله ، وإنما دعا إبراهيم له بالأمن لأنه بلد ليس فيه زرع ولا ثمر فإذا لم يكن آمناً لم يجلب إليه شيء من النواحي فيتعذر المقام به . فأجاب الله تعالى دعاء إبراهيم وجعله بلداً آمناً فما قصده جبار إلا قصمه الله تعالى كما فعل بأصحاب القبيل وغيرهم من الجبابرة . فان قلت قد غزا مكة الحجاج وخرب الكعبة . قلت لم يكن قصده بذلك مكة ولا أهلها ولا إخراج الكعبة وإنما كان قصده خلع ابن الزبير من الخلافة ولم يتمكن من ذلك إلا بذلك فلما حصل قصده أعاد بناء الكعبة فيهاها وشيها وعظم حرمتها وأحسن إلى أهلها . واختلفوا هل كانت مكة محرمة قبل دعوة إبراهيم عليه السلام أو حرمت بدعوته على قولين ؟ أحدهما أنها كانت محرمة قبل دعوته . بدليل قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض» وقول إبراهيم عليه السلام «إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم فهذا يقتضي أن مكة كانت محرمة قبل دعوة إبراهيم . القول الثاني أنها إنما حرمت بدعوة إبراهيم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم «إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت المدينة» وهذا يقتضي أن مكة كانت قبل دعوة إبراهيم حلالاً كغيرها من البلاد وإنما حرمت بدعوة إبراهيم ، ووجه الجمع بين القولين وهو الصواب أن الله تعالى حرم مكة يوم خلقها كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله «إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض» ولكن لم يظهر ذلك التحريم على لسان أحد من أنبيائه ورسله وإنما كان تعالى يمنعها ممن أرادها بسوء ويدفع عنها وعن أهلها الآفات والعقوبات فلم يزل ذلك من أمرها حتى بوأها الله تعالى إبراهيم وأسكن بها أهله فحينئذ سأل إبراهيم ربه عز وجل أن يظهر تحريم مكة لعباده على لسانه فأجاب الله تعالى دعوته وألزم عباده تحريم مكة فصارت مكة حراماً بدعوة إبراهيم وفرض على الخلق تحريمها والامتناع من استحلالها واستحلال صيدها وشجرها فهذا وجه الجمع بين القولين وهو الصواب ، والله أعلم (وارزق أهله من الثمرات) إنما سأل إبراهيم ذلك لأن مكة لم يكن بها زرع ولا ثمر فاستجاب الله تعالى له وجمع مكة حرماً آمناً يجي إليه ثمرات كل شيء (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) يعني أرزق المؤمنين من أهله خاصة . وسبب هذا التخصيص أن إبراهيم عليه السلام لما سأل ربه عز وجل أن يجعل النبوة والإمامة في ذريته فأجاب الله بقوله «لابنك عهدي الظالمين» صار ذلك تأديباً له في المسئلة فلا حرم خص هاهنا بدعائه المؤمنين دون الكافرين ثم أعلمه أن الرزق في الدنيا يستوى فيه

عليه السلام حتى قلعهما من أصلها وأدارها حول البيت سبعاً ثم وضعها موضعها الذي هي الآن فيه ، فبها أكثر ثمرات (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) دعا للمؤمنين خاصة

(قال) الله تعالى (ومن كفر فأمته) قرأ ابن عامر فأمته خفيقا بضم الهزرة (١٠٩) والباقون مشددا ومعناها

واحد (قليلا) أى
سأرزق الكافر أيضا
قليلا إلى منتهى أجله
وذلك أن الله تعالى
وعد الرزق للخلق كافة
مؤمنهم وكافرهم وإنما
قيد بالقللة لأن متاع
الدنيا قليل (ثم أضطره)
أى أجهه في الآخرة
(إلى عذاب النار ويئس
المصير) أى المرجع يصير
إليه . قال مجاهد وجد
عند المقام كتاب فيه :
« أنا الله ذو بكة صنعتها
يوم خلقت الشمس
والقمر وحرمتها يوم
خلقت السموات
والأرض وحففتها بسبعة
أفلاك حنفاء يأتيها رزقها
من ثلاثة سبل مبارك
لها في اللحم والماء قوله
عز وجل (وإذا رفع
إبراهيم القواعد من
البيت وإسماعيل) قال
الرواة : إن الله تعالى خلق
موضع البيت قبل الأرض
بألفي عام وكانت زبدة
بيضاء على الماء فلحيت
الأرض من تحتها فلما
أهبط الله آدم إلى
الأرض استوحش فشكا
إلى الله تعالى فأُنزل الله

المؤمن والكافر بقوله (قال ومن كفر فأمته) أى سأرزق الكافر أيضا (قليلا) أى فى الدنيا إلى
منتهى أجله وذلك قليل لأنه ينقطع (ثم أضطره إلى عذاب النار) أى أجهه وأدفعه إلى
عذاب النار، والمضطر هو الذى لا يملك لنفسه الامتناع مما اضطر إليه (ويئس المصير) أى ويئس
المكان الذى يصير إليه الكافر وهو العذاب . قوله تعالى (وإذا رفع إبراهيم القواعد من البيت
وإسماعيل) وكانت قصة بناء البيت على ما ذكره العلماء وأصحاب السير أن الله تعالى خلق موضع
البيت قبل أن يخلق الأرض بألفي عام فكانت زبدة بيضاء على وجه الماء فلحيت الأرض
من تحتها فلما أهبط الله آدم إلى الأرض استوحش فشكا إلى الله تعالى فأُنزل البيت المعمور
وهو من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر باب شرقي وباب غربي فوضعه على
موضع البيت وقال يا آدم إني أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلني عنده
كما يصلني عند عرشي وأنزل الله عليه الحجر الأسود وكان أبيض فأسود من مس الخيض
في الجاهلية فتوجه آدم من الهند ماشيا إلى مكة وأرسل الله إليه ملكا يدلّه على البيت فحجج
آدم البيت وأقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا له برحمتك يا آدم لقد حججنا هذا
البيت قبلك بألفي عام . قال ابن عباس : حج آدم أربعين حجة من الهند إلى مكة على رجله
فكان على ذلك إلى أيام الطوفان فرفعه الله إلى السماء الرابعة وهو البيت المعمور يدخله كل
يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه ويبعث الله جبريل حتى يخبأ الحجر الأسود في جبل
أبى قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا إلى زمن إبراهيم عليه السلام ثم إن الله
تعالى أمر إبراهيم بعد ما ولد له إسماعيل وإسحاق ببناء بيت يذكر فيه ويعبد فسأل الله أن يبين
له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهي ريح حجوج لها رأسان تشبه الحية
والحجوج من الرياح هي الشديدة السريعة المهبوب وقيل هي المتلوية في هبوبها وأمر إبراهيم
أن يبني حيث تستقر السكينة فتبعها إبراهيم حتى أتت موضع البيت فتطوقت عليه كتطويق
الحجفة وقال ابن عباس بعث الله سبحانه وتعالى حجابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وإبراهيم
يمشي في ظلها إلى أن وقعت على موضع البيت ونودي منها بالإبراهيم ابن على قدر ظلها لا تزدد
ولا تنقص . وقيل إن الريح كنت له ما حول الكعبة حتى ظهر له أساس البيت الأول فذلك
قوله تعالى « وإذا بوأنا لإبراهيم مكان البيت » فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت فكان إبراهيم يبنيه
وإسماعيل يتناوله الحجارة فذلك قوله تعالى « وإذا رفع إبراهيم القواعد من البيت » جمع قاعدة
وهي أس البيت . وقيل جلدة من البيت . قال ابن عباس بنى إبراهيم البيت من خمسة أجبل : من
طور سيناء وطور زيبا ولبنان جبل بالشام والجودي جبل بالجزيرة وبنى قواعد من حراء جبل
بمكة فلما انتهى إبراهيم إلى موضع الحجر الأسود قال لإسماعيل اتنى بحجر حسن يكون للناس
علما فأتاه بحجر فقال اتنى بأحسن منه فضى إسماعيل ليطلب حجرا أحسن منه فصاح أبو قبيس :
يا إبراهيم إن لك عندي ودعة فخذها فقلد بالحجر الأسود فأخذ إبراهيم فوضعه مكانه
وقيل إن الله أمم إبراهيم وإسماعيل بسبعة أملاك يعينونهما في بناء البيت فلما فرغا من بناءه قال :

البيت المعمور من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع البيت
وقال يا آدم إني أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي تصلني عنده كما يصلني عند عرشي ، وأنزل

الحجر وكان أبيض فأسود من لمس الحيف في الجاهلية فتوجه آدم من أرض الهند إلى مكة ماشيا وقبض الله له ملكا يده على البيت فحج البيت وأقام المناسك فلما فرغ تلتته الملائكة وقالوا برحمتك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالنبى عام. قال ابن عباس رضى الله عنه: حج آدم أربعين حجة من الهند إلى مكة على رجله فكان على ذلك إلى أيام الطوفان فرفعه الله تعالى إلى السماء الرابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة وبعث جبريل عليه السلام حتى نبأ الحجر الأسود في جبل أبي قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا إلى زمن إبراهيم ، ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم بعد ما ولد له إسماعيل وإسحاق ببناء بيت يذكر فيه فسال الله عز وجل أن يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهى ریح نجوج لها رأسان شبه الحية فأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة فتبعها إبراهيم حتى أتيا مكة فتطوقت السكينة على موضع البيت كتطوق الحجفة هذا قول على والحسن . وقال ابن عباس بعث الله به مصابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وإبراهيم عشي في ظلها إلى أن وافق مكة ووقفت على موضع البيت فنودي منها إبراهيم أن ابن على ظلها لا تزدد ولا تنقص ، (١١٠) وقبل أرسل الله جبريل ليدله على موضع البيت فذلك قوله تعالى

وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ، فبني إبراهيم وإسماعيل البيت فكان إبراهيم يبنيه وإسماعيل يناوله الحجر فذلك قوله تعالى وإذ رفع إبراهيم لتقوا علمن البيت وإسماعيل ، يعنى أسسوا وحدتها قاعدة وقال السكاني جدر البيت قال ابن عباس إنما بنى البيت من خمسة أجبل : طور سيناء وطور زيبا ولبنان وهو جبل بالشام والجودى وهو جبل بالجزيرة وبنيا قواعده من حراء وهو جبل بمكة فلما انتهى إبراهيم إلى موضع الحجر

(ربنا تقبل منا) وفي الآية إضمار تقديره ويقولان ربنا تقبل منا أى ماعلمنا لك وتقبل طاعتنا وإياك وعبادتنا لك (إنك أنت السميع) أى لدعائنا (العليم) يعنى بنياتنا . قوله عز وجل (ربنا واجعلنا مسلمين لك) يعنى موحدين مخلصين مطيعين خاضعين لك . فان قلت الاسلام إما أن يكون المراد منه الدين والاعتقاد أو الاستسلام والانقياد وقد كانا كآملك حالة هذا الدعاء فما فائدة هذا الطلب ؟ . قلت : فيه وجهان أحدهما أن الاسلام عرض قائم بالقلب وقد لا يبقى ، فقوله واجعلنا مسلمين لك يعنى في المستقبل وذلك لا ينافى حصوله في الحال . الوجه الثانى يحتدل أن يكون المراد منه طلب الزيادة في الإيمان فكأنهم ما طلبوا زيادة اليقين والتصديق وذلك لا ينافى حصوله في الحال (ومن ذريتنا) أى من أولادنا (أمة) أى جماعة (مسلمة) أى خاضعة متقادة (لك) وإنما أدخل من التى هى للتبويض لأن الله تعالى أعلمهما بقوله ولا ينال عهدى الظالمين . إن في ذريتهما الظالم فهذا خص بعض الذرية بالدعاء . فان قلت لم خص ذريتهما بالدعاء . قلت لأنهم أحق بالشفقة والرحمة ، قال الله تعالى « قوا أنفسكم وأهليكم نارا » ولأن أولاد الأنبياء إذا صلحوا صلح بهم غيرهم ألا ترى أن المتقدمين من العلماء والكبراء إذا كانوا على السداد كيف يتسبون لسداد من وراءهم . وقيل أراد بالأمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى « وبعث فيهم رسولا منهم » (وأرنا) أى علمنا وبصرنا (مناسكنا) أى شرائع ديننا وأعلام حجنا ، وقيل مناسكنا يعنى مذابحنا والنسك الذبيحة ، وقيل متعبداتنا وأصل النسك العبادة والناسك العابد فأجاب الله دعاهما وبعث جبريل فأراهما المناسك في يوم

الأسود قال لإسماعيل اتنى بحجر حسن يكون للناس علما فاتاه بحجر فقال اتنى بأحسن من هذا ، عرفه فضى إسماعيل بطلبه فصاح أبو قبيس بالإبراهيم إن لك عندى ودعة فخذها فأخذ الحجر الأسود فوضعه مكانه . وقيل إن الله تعالى بنى في السماء بيتا وهو البيت المعمور ويسمى ضراح وأمر الملائكة أن يبنوا الكعبة في الأرض بحيماله على قدره ومثاله . وقيل أول من بنى الكعبة آدم واندرس زمن الطوفان ثم أظهره الله لإبراهيم حتى بناه (ربنا تقبل منا) فيه إضمار أى ويقولان ربنا تقبل منا بياتنا (إنك أنت السميع) لدعائنا (العليم) بنياتنا (ربنا واجعلنا مسلمين لك) موحدين مطيعين مخلصين خاضعين لك (ومن ذريتنا) أى أولادنا (أمة) جماعة . والأمة أتباع الأنبياء (مسلمة لك) خاضعة لك (وأرنا) علمنا وعرفنا . قرأ ابن كثير ساكنة الراء وأبو عمرو بالانحلاس والباقون يكسرها ووافق ابن عامر وأبو بكر في الإسكان في حم السجدة وأصله أرنا فحذفت الهذرة طلبا للخفة ونقلت حركتها إلى الراء ومن سكنها قال ذهب الهذرة فذهبت حركتها (مناسكنا) شرائع ديننا وأعلام حجنا وقيل مواضع حجنا وقال مجاهد مذابحنا والنسك الذبيحة وقيل متعبداتنا وأصل النسك العبادة والناسك العابد فأجاب الله تعالى دعاهما فبعث جبريل فأراهما المناسك في يوم عرفه فلما بلغ عرفات قال عرفت بالإبراهيم قال نعم فسمى

الوقت عرفة والموضع عرفات (وتب علينا) تجاوز عنا (إنك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم) أي في الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل، وقيل في أهل مكة (رسولا منهم) أي مرسلًا منهم راد به محمدًا صلى الله عليه وسلم. حدثنا السيد أبو القاسم علي بن موسى الموسوي حدثني أبو بكر أحمد بن محمد بن عباس البلخي، أنا الإمام أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي أنا محمد بن المسكي أنا إسحاق بن إبراهيم أنا ابن أخي بن وهب (١١١) أنا عمي أنا معاوية عن صالح

عرفة فلما بلغ عرفات قال عرفت بإبراهيم قال إبراهيم نعم فسمى ذلك الوقت عرفة والموضع عرفات (وتب علينا) أي تجاوز عنا (إنك أنت التواب) أي المتجاوز عن عبادة (الرحيم) بهم واحتج بقوله «تب علينا» من جوز الذنوب على الأنبياء. ووجهه أن التوبة لا تطالب من الله إلا بعد تقدم الذنب فلولا تقدم الذنب لم يكن لطلب التوبة وجه. وأجيب عنه بأن العبد وإن اجتهد في طاعة ربه عز وجل فإنه لا ينتفك عن تقصير في بعض الأوقات إما على سبيل السهو أو ترك الأولى والأفضل، وكان هذا الدعاء لأجل ذلك، وقيل يحتمل أن الله تعالى لما أعلم إبراهيم أن في ذريته من ظالم فلا حرم سأله ربه التوبة لأولئك الظلمة، والمعنى وتب على الظلمة من أولادنا حتى يرجعوا إلى طاعتك فيكون ظاهر الكلام الدعاء لأنفسهما والمراد به ذريتهما. وقيل يحتمل أنهما لما رفعوا قواعد البيت وكان ذلك المكان أحرى الأماكن بالإجابة دعوا الله بذلك الدعاء ليجعل ذلك سنة وليتدى من بعدهما في ذلك الدعاء لأن ذلك المكان هو موضع التنصل من الذنوب وسؤال التوبة والمخفرة من الله تعالى. قوله عز وجل (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) يعني وابعث في الأمة المسلمة أو النورية وهم العرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام. وقوله رسولا منهم يعني ليدعوهم إلى الإسلام ويكمل الدين والشريعة وإذا كان الرسول منهم يعرفون نسبه ومولده ومنشأه كان أقرب لقبول قوله ويكون هو أشفق عليهم من غيره، وأجمع المفسرون على أن المراد بقوله رسولا منهم هو محمد ﷺ لأن إبراهيم عليه السلام إنما دعا للريثة وهو بمكة ولم يبعث من ذريته بمكة غير محمد ﷺ، فدل على أن المراد به محمد صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي بإسناده عن العرياض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إني عند الله مكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم بأول أمرى أنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأيت حين وضعتني وقد خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام، وأراد بدعوة إبراهيم هذا فإنه دعاء يبعث في بني إسماعيل رسولا منهم. قال ابن عباس كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين (يتلو) يقرأ (عليهم آياتك) كتابك يعني القرآن والآية من القرآن كلام متصل إلى انقطاعه

عن سعيد بن سويد عن عبد الأعلى عن هلال السلمي عن العرياض ابن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إني عند الله مكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم بأول أمرى أنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأيت حين وضعتني وقد خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام، وأراد بدعوة إبراهيم هذا فإنه دعاء يبعث في بني إسماعيل رسولا منهم. قال ابن عباس كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين (يتلو) يقرأ (عليهم آياتك) كتابك يعني القرآن والآية من القرآن كلام متصل إلى انقطاعه

وقيل هي جماعة حروف، يقال خرج القوم بأيّتهم أي يجتمعهم (ويعلمهم الكتاب) يعني القرآن (والحكمة) قال مجاهد فهم القرآن وقال مقاتل موعظ القرآن وما فيه من الأحكام. قال قتبية هي العلم والعمل ولا يكون الرجل حكيمًا حتى يجمعها وقيل هي السنة وقيل هي الأحكام والقضاء وقيل الحكمة الفقه. قال أبو بكر بن دريد كل كلمة وعظمتك أه دعنتك إلى مكرمة أو نهتت عن قبيح فهي حكمة.

(ويزكيم) أى يظهرهم من الشرك والذنوب ، وقيل بأخذ الزكاة من أموالهم وقال ابن كيسان يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ ، من التزكية وهى التعديل (إنك أنت العزيز الحكيم) قال ابن عباس العزيز الذى لا يوجد مثله ، وقال الكلبي المنتقم ، بيانه قوله تعالى « والله عزيز ذو انتقام » وقيل المنيع الذى لا تناله الأيدي ولا يصل إليه شيء ، وقيل القوى ، والعزة القوة (١١٢) قال الله تعالى « فعزنا بثالث » قالوا أى قورينا ، وقيل الغالب قال الله تعالى

إخباراً وعزنى فى الخطاب
أى غلبنى ويقال فى المثل
من عزيز أى من غلب
سلب (ومن يرغب عن
ملة إبراهيم) وذلك أن
عبد الله بن سلام دعا
ابن أخيه سلمة ومهاجراً
إلى الإسلام فقال شما
قد علمتما أن الله عز
وجل قال فى التوراة إنى
باعث من ولد إسماعيل
نبيا اسمه أحمد فمن
آمن به فقد اهتدى
ومن لم يؤمن به فهو ملعون
فأسلم سلمة وأبى مهاجر
أن يسلم فأزل الله عز وجل
« ومن يرغب عن ملة
إبراهيم أى يترك دينه
وشريعته ، يقال رغب
فى الشيء إذا أراد
ورغب عنه إذا تركه قوله
من لفظه استنبههم ومعناه
استفهم واتوبىخ يعنى
ما رغب عن ملة إبراهيم
(إلا من سفه نفسه)
قال ابن عباس من خسرت
نفسه . وقال الكلبي ضل
من قبل نفسه . وقال
أبو عبيدة أهلك نفسه

حكماً إلا إذا اجتمع فيه الأمران . وقيل الحكمة هى التى ترد عن الجهل والخطأ وذلك إنما يكون
بما ذكرناه من الاصابة فى القول والعمل ووضع كل شيء موضعه ، وقيل الحكمة معرفة الأشياء
بمخالفاتها . واختلف المنسرون فى المراد بالحكمة ههنا فروى ابن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة
قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له . وقال قتادة الحكمة هى السنة وذلك لأن الله تعالى
ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه الحكمة فوجب أن يكون المراد بها شيئاً آخر وليس
ذلك إلا السنة . وقيل الحكمة هى العلم بأحكام الله تعالى التى لا يترك علمها إلا ببيان الرسول
صلى الله عليه وسلم والمعرفة بها منه . وقيل الحكمة هى الفصل بين الحق والباطل . وقيل هى
معرفة الأحكام والقضاء وقيل هى فهم القرآن ، والمعنى ويعلمهم ما فى القرآن من الأحكام والحكمة وهى
مافية من المصالح النبوية والأحكام الشرعية . وقيل كل كلمة وعظمتك أو دعوتك إلى مكرمة أو نهتك
عن قبيح فهى حكمة (ويزكيم) أى يظهرهم من الشرك وعبادة الأوثان وسائر الأرجاس
والرذائل والنقائص ، وقيل يزكيمهم من التزكية أى يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا
للأنبياء بالبلاغ ثم ختم إبراهيم الدعاء بالثناء على الله تعالى فقال (إنك أنت العزيز) قال ابن
عباس العزيز الذى لا يوجد مثله . وقيل هو الذى يشهر ولا يشهر وقيل هو المنيع الذى لا تناله
الأيدي وقيل العزيز القوى والعزة القوة من قولهم أرض عزاز أى صلبة قوية (الحكيم) أى العالم
الذى لا تخفى عليه خافية ، وقيل هو العالم بالأشياء وإيجادها على غاية الإحكام . قوله عز وجل
(ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) سبب نزول هذه الآية أن عبد الله بن سلام
دعا ابن أخيه إلى الإسلام مهاجراً وسلمة وقال شما قد علمتما أن الله تعالى قال فى التوراة إنى
باعث من ولد إسماعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون
فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم فأزل الله تعالى « ومن يرغب عن ملة إبراهيم أى
يترك دينه وشريعته ، وفيه تعويض باليهود والنصارى ومشركى العرب لأن اليهود
والنصارى يفتخرون بالانتساب إلى إبراهيم والوصلة إليه لأنهم من بنى إسرائيل وهو
يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم والعرب يفتخرون به لأنهم من ولد إسماعيل بن إبراهيم وإذا
كان كذلك كان إبراهيم هو الذى طلب بعثة هذا الرسول فى آخر الزمان فمن رغب عن الإيمان
بهذا الرسول الذى هو دعوة إبراهيم فقد رغب عن ملة إبراهيم ومعنى يرغب عن ملة إبراهيم أى
يترك دينه وشريعته يقال رغب فى الشيء إذا أراد ورغب عنه إذا تركه إلا من سفه نفسه قال ابن
عباس خسرت نفسه وقيل أهلك نفسه وقيل أمتهن وأستخف بها وأصل السفه الخفة وقيل الجهل
وضعف الرأى فكل سفیه جاهل لأن من عبد غير الله فقد جهل نفسه لأنه لم يعترف بأن الله
خالقها وقد جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه ومعناه أن يعرف نفسه بالذلل والعجز والضعف

والفناء

وقال ابن كيسان والزجاج معناه جهل نفسه . والسفاهة

الجهل وضعف الرأى وكل سفیه جاهل وذلك أن من عبد غير الله فقد جهل نفسه لأنه لم يعرف أن الله خالقها وقد جاء من
عرف نفسه فقد عرف ربه وفى الأخبار « إن الله تعالى أوحى إلى داود اعرف نفسك واعرفنى فقال بارب كيف أعرف نفسى
وكيف أعرفك فأوحى الله إليه اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء واعرفنى بالقوة والقدرة والبقاء . وقال الأحنف معناه

سفه في نفسه، ونفسه على هذا القول نصب بزعم حرف الصفة وقال القراء نصب على التفسير وكان الأصل سلّمته نفسه
فدما أضاف الفعل إلى صاحبها خرجت النفس مفسرة ليعلم موضع السنه كما يقال ضمت به ذرعا أي ضاق ذرعى به (ولقد
اصطفينا في الدنيا) اخترناه في الدنيا (وإنه في الآخرة لمن الصالحين) يعني أي مع الأنبياء في الجنة وقال الحسين بن الفضل
فيه تقديم وتأخير تقديره ولقد اصطفينا في الدنيا والآخرة وإنه لمن الصالحين (١١٣) (إذ قال له ربه أسلم) أي

استقم على الإسلام
وآثبت عليه لأنه كان
مسلمًا قال ابن عباس
قال له ذلك حين خرج
من السرب وقال الكلبي
أخلص دينك وعبادتك
لله وقال عطاء أسلم
نفسك إلى الله عز وجل
وفوض أمورك إليه
(قال أسلمت لرب
العالمين) أي فوضت قال
ابن عباس وقد حقق
ذلك حيث لم يستعن
بأحد من الملائكة حين
أتى في النار (ووصى بها
إبراهيم بنه ويعقوب)
قرأ أهل المدينة والشام
وأوصى بالألف وكذلك
في مصاحفهم . وقرأ
لباقون ووصى مشددا
ومما لغتان مثل نزل
ونزل معناه ووصى بها
إبراهيم بنه ووصى يعقوب
بنه قال الكلبي ومقاتل
يعني كلمة الإخلاص
لإله إلا الله قال أبو عبيدة
إن شئت رددت
الكناية إلى الملة لأنه ذكر
ملة إبراهيم وإن شئت
رددتها إلى الوصية أي

والثناء ويعرف ربه بالعز والتقدرة والقوة والبقاء ويدل على هذا أن الله تعالى أوحى إلى داود
عليه السلام اعرف نفسك واعرفني قال يارب وكيف أعرف نفسي وكيف أعرفك؟ قال اعرف
نفسك بالعجز والضعف والفقار واعرفني بالقوة والتقدرة والبقاء (ولقد اصطفينا) أي اخترناه
(في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين) يعني الناشرين وقيل مع الأنبياء في الجنة (إذ قال
له ربه أسلم) أي استقم على الإسلام واثبت عليه لأنه كان مسلما لأن الأنبياء إنما نشأوا على
لإسلام والتوحيد قال ابن عباس رضي الله عنهما قال له ذلك حين خرج من السرب وذلك
عند استدلاله بالكواكب والشمس والقمر وإطلاعه على أمارات الحدوث فيها واقتدارها إلى
محدث مدير لما عرف ذلك قال له ربه أسلم (قال أسلمت لرب العالمين) أي قال إبراهيم
خضعت بالطاعة وأخلصت العبادة لملك الخلاق ومدبرها ومحدثها . وقيل معنى أسلم أخلص
دينك وعبادتك لله واجعلها سليمة . وقيل الإيمان من صفات القلب والإسلام من صفات
الجوارح وإن إبراهيم كان مؤمنا بقلبه عارفا بالله فأمره الله أن يعمل بجوارحه وقيل معناه
أسلم نفسك إلى الله تعالى وفوض أمرك إليه قال أسلمت أي فوضت أمرى لرب العالمين قال
ابن عباس رضي الله عنهما وقد حقق ذلك حيث لم يستعن بأحد من الملائكة حين أتى في
النار. قوله عز وجل (ووصى بها إبراهيم بنه) يعني بكلمة الإخلاص، وهي لا إله إلا الله. وقيل هي
الملة الحنبلية وكان لإبراهيم ثمانية أولاد إسمائيل وأمه هاجر القبطية وإسحق وأمه سارة قومدين ومدان
ويثقان وزمرا ووشيق وشوخ وأمههم قظورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها إبراهيم حين وفاة سارة
فان قلت لم قال وصى بها إبراهيم بنه ولم يقل أمرهم ؟ قلت لأن لفظ الوصية أوكد من لفظ
الأمر لأن الوصية إنما تكون عند الخوف من الموت وفي ذلك الوقت يكون احتياط الإنسان
لولده أشد وأحفظ وكانوا هم إلى قبول وصيته أقرب وإنما خص بنه بهذه الوصية لأن شفقة
الرجل على بنه أكثر من شفقة على غيرهم . وقيل لأنهم كانوا أئمة يقتدى بهم فكان صلاحهم
صلاحا لغيرهم (ويعقوب) أي ووصى يعقوب بمنال ما وصى به إبراهيم، وصي يعقوب لأنه
هو والعبص كانا توأمين في بطن واحد فتقدم العبص وقت الولادة في الخروج من بطن أمه
ويخرج يعقوب على أثره أخذا بعقبه قال ابن عباس وقيل سمى يعقوب لكثرة عقبه وكان له
من الولد اثنا عشر وهم : روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا وربالون ويشجرونان ونفتالي وجاد
وأشور ويوسف وبليامين ، ثم خاطب يعقوب بنه فقال (يا بني إن الله اصطفى لكم الدين) أي
اختار لكم دين الإسلام (اللاتوتن إلا وأنتم مسلمون) أي مؤمنون مخلصون فالعنى دوموا
على إسلامكم حتى يأتيكم الموت وأنتم مسلمون لأنه لا يعلم في أي وقت يأتي الموت على الإنسان
وقيل في معنى وأنتم مسلمون أي مسنون الظن بالله عز وجل يدل عليه ما روى عن جابر قال

(١٥ - خازن باليعوى - أول) وصى إبراهيم بنه الثانية إسمائيل وأمه هاجر القبطية وإسحاق وأمه سارة وستة
أمهم قظورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها إبراهيم بعد وفاة سارة . ويعقوب سمى بذلك لأنه والعبص كانا توأمين فتقدم عبص
في الخروج من بطن أمه ويخرج يعقوب على أثره أخذا بعقبه قاله ابن عباس وقيل سمى يعقوب لكثرة عقبه يعني ووصى أيضا يعقوب
بنه الاثنى عشر (يا بني) معناه أن يا بني (إن الله اصطفى) اختار (لكم الدين) أي دين الإسلام (فلاتوتن إلا وأنتم مسلمون)

مؤمنون وقيل مخلصون وقيل منصوصون والنهي في ظاهر الكلام وقع على الموت وإنما هو في الحقيقة عن ترك الإسلام معناه داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم الموت إلا وأنتم مسلمون وعن الفضيل بن عياض رحمه الله أنه قال إلا وأنتم مسلمون أي محسنون بربكم الظن . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا أبو جعفر الرازي عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر ابن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل قوله تعالي (أم كنتم شهداء) يعني أكنتم شهداء يريد ما كنتم شهداء حضوراً (إذ حضر يعقوب الموت) أي حين قرب يعقوب من الموت قبل نزلت في اليهود (١١٤) حين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ألمت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى

بنيه باليهودية فعلى هذا القول يكون الخطاب لليهود وقال الكلبي لما دخل يعقوب مصر وآهم يعبدون الأوثان والنيران فجمع ولده وخاف عليهم ذلك فقال عز وجل (إذ قال لبيته ماتعبدون من بعدي) قال عطاء إن الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخبره بين الحياة والموت فلما خير يعقوب قال يارب أنظرني حتى أسأل ولدي وأوصيهم ففعل الله ذلك به فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر أجلى فما تعبدون من بعدي؟ (قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق) وكان إسماعيل عما لهم والعرب فسمى العم أبا كما

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه . أخرجاه في الصحيحين . قوله عز وجل (أم كنتم شهداء) جمع شهيد بمعنى الحاضر أي ما كنتم حاضرين (إذ حضر يعقوب الموت) أي حين احتضر وقرب من الموت نزلت في اليهود وذلك لأنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية فأنزل الله تعالى هذه الآية تكذيباً لهم والمعنى أم كنتم بامعشر اليهود شهوداً على يعقوب إذ حضره الموت أي إنكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على أنبيائي ورسلي الأباطيل وتنبسوهم إلى اليهودية فاني ما ابتعثت خالبي إبراهيم وولده وأولادهم إلا بدين الإسلام وبذلك وصوا أولادهم وبه عهدوا إليهم ثم بين ما قال يعقوب لبيته فقال تعالي (إذ قال) يعني يعقوب (لبيته) يعني لأولاده الاثني عشر (ماتعبدون) أي أي شيء تعبدون (من بعدي) قيل إن الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخبره بين الحياة والموت فلما خير يعقوب وكان قد رأى أهل مصر يعبدون الأوثان والنيران فقال أنظرني حتى أسأل ولدي وأوصيهم فأمهله فجمع ولده وولد ولده قال لهم قد حضر أجلى ماتعبدون من بعدي؟ (قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق) إنما قدم إسماعيل لأنه كان أكبر من إسحاق وأدخله في جملة الآباء وإن كان عما لهم لأن العرب تسمى العم أبا والخالة أما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعم الرجل صنو أبيه وقال في عمه العباس رداً على أبيه (إلهنا واحداً ونحن له مسلمون) أي مخلصون العبودية (تلك) إشارة إلى الأمة المذكورة يعني إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وولدهم (أمة قد خلت) أي مضت أسبيلها والمعنى بامعشر اليهود والنصارى دعوا ذكر إبراهيم وإسماعيل وإسحاق والمسلمين من أولادهم ولا تقولوا عليهم ما ليس فيهم (لما ما كسبت) يعني من العمل (ولكنكم) يعني بامعشر اليهود والنصارى (ما كسبت) أي من العمل (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) يعني كل فريق يسئل عن عمله لا عن عمل غيره . قوله عز وجل (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا) قال ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود: كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وأبي ياسر بن أخطب وفي نصارى نجران السيد والعاقب وأصحابهما وذلك أنهم خاصموا

تسمى الخالة أما قال النبي ﷺ وعم الرجل صنو أبيه . وقال في عمه العباس رداً المؤمنون على أبي فاني أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت نقيض بعروة بن مسعود وذلك أنهم قتلوه (إلهنا واحداً) نصب على البدل من قوله إلهك وقيل نعرفه إلهنا واحداً (نحن له مسلمون تلك أمة) جماعة (قد خلت) مضت (لما ما كسبت) من العمل (ولكنكم ما كسبت) ولا تسئلون عما كانوا يعملون) يعني يسئل كل عن عمله لا عن عمل غيره . قوله (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا) قال ابن عباس نزلت في رؤساء يهود المدينة كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وأبي ياسر بن أخطب وفي نصارى أهل نجران السيد والعاقب وأصحابهما وذلك أنهم خاصموا المسلمين في الدين كل فرقة تزعم أنها أحق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى أفضل الأنبياء وكناننا التوراة أفضل الكتب وديننا أفضل الأديان وكثرت بعيسى والإنجيل وبمحمد

صلى الله عليه وسلم والقرآن وقالت النصراني نبينا أفضل الأنبياء وكتابنا الإنجيل أفضل الكتب ، وديننا أفضل الأديان وكفرت بمحمد ^{صلى الله عليه وسلم} والقرآن وقال كل واحد من الفريقين للذين كوفوا على ديننا فلا دين إلا ذلك فقال تعالى (قل) يا محمد (بل ملة إبراهيم) بل تتبع ملة إبراهيم وقال الكسائي هو نصب على الإغراء كأنه يقول اتبعوا ملة إبراهيم ، وقيل معناه بل تكون على ملة إبراهيم فحذف على فصار منصوبا (حنيفا) نصب على الحال عند نخاة البصرة وعند نخاة الكوفة نصب على القطع أراد به ملة بل إبراهيم الحنيف فلما أسقطت الألف واللام لم تتبع الشكوة المعرفة فانقطع منه فنصب . قال مجاهد الحنيفة اتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماما للناس قال ابن عباس الحنيف المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام وأصله من الحنف وهو ميل وعوج يكون في القدم وقال (١١٥) سعيد بن جبير الحنيف هو الحاج

الحنين ، وقال الضحاك

إذا كان مع الحنيف

المسلم فهو الحاج وإذا لم

يكن مع المسلم فهو المسلم

قال قتادة الحنيفة الحنان

وتحريم الأمهات والبنات

والأنثوات والعمات

والحالات وإقامة المناسك

(وما كان من المشركين)

ثم علم المؤمنين طريق

الإيمان فقال جل ذكره

(قولوا : آتينا بالله وما

أنزل إلينا) يعني القرآن

(وما أنزل إلي إبراهيم)

وهو عشر صحائف (وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط) وهم أولاد يعقوب الاثنا عشر

واحدهم سبط وكانوا أنبياء وقيل السبط هو ولد الولد وهو الحافظ ومنه قيل للحسن والحسين

سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب من بني إسماعيل

وكان في الأسباط أنبياء (وما أتى موسى) يعني التوراة (وعيسى) يعني الإنجيل (وما أتى

النبيون من ربهم) والمعنى آتينا أيضا بالتوراة والإنجيل والكتب التي أتى جميع النبيين وصدقنا

أن ذلك كله حق وهدى ونور وأن الجديع من عند الله وأن جميع ما ذكر الله من أنبيائه

كانوا على هدى وحق (لاتفرق بين أحد منهم) أي لا تؤمن ببعض الأنبياء وتكفر ببعض كما

نبرأت اليهود من عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وأقرت ببعض الأنبياء وكما تبرأت النصراني

من محمد صلى الله عليه وسلم وأقرت ببعض الأنبياء بل تؤمن بكل الأنبياء وأن جميعهم كانوا

على حق وهدى (ونحن له مسلمون) أي ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة مذعنون له بالعبودية

المؤمنين في الدين فكل فريق منهم يزعم أنه أحق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى أفضل الأنبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب وديننا أفضل الأديان وكفروا بعيسى والإنجيل ومحمد والقرآن وقالت النصراني كذلك وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كوفوا على ديننا فلا دين إلا ذلك فأنزل الله عز وجل (قل) يعني يا محمد (بل ملة إبراهيم) يعني إذا كان لابد من الاتباع فتتبع ملة إبراهيم لأنه مجمع على فضله (حنيفا) أصله من الحنف وهو ميل واعوجاج يكون في القدم قال ابن عباس الحنيف المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام ، قال الشاعر :
ولكننا خلقنا إذ خلقنا حنيفا ديننا عن كل دين

والعرب تسمى كل من حجج أو اختن حنيفا تذبها على أنه على دين إبراهيم وقيل الحنيفة الحنان وإقامة المناسك مسما يعني أن الحنيفة هي دين الإسلام وهو دين إبراهيم عليه السلام (وما كان من المشركين) يعني إبراهيم وفيه تعريض لليهود والنصراني وغيرهم ممن يدعى اتباع ملة إبراهيم ودعو على الشرك ثم علم المؤمنين طرائق الإيمان فقال تعالى (قولوا آمنا بالله) يعني قولوا أيها المؤمنون هؤلاء اليهود والنصراني الذين قالوا لكم كونوا هودا أو نصراني تهتلوا : آمنا بالله أي صدقنا بالله (وما أنزل إلينا) يعني القرآن (وما أنزل إلي إبراهيم) يعني وآتينا بما أنزل إلي إبراهيم وهو عشر صحائف (وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط) وهم أولاد يعقوب الاثنا عشر واحدهم سبط وكانوا أنبياء وقيل السبط هو ولد الولد وهو الحافظ ومنه قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب من بني إسماعيل وكان في الأسباط أنبياء (وما أتى موسى) يعني التوراة (وعيسى) يعني الإنجيل (وما أتى النبيون من ربهم) والمعنى آتينا أيضا بالتوراة والإنجيل والكتب التي أتى جميع النبيين وصدقنا أن ذلك كله حق وهدى ونور وأن الجديع من عند الله وأن جميع ما ذكر الله من أنبيائه كانوا على هدى وحق (لاتفرق بين أحد منهم) أي لا تؤمن ببعض الأنبياء وتكفر ببعض كما نبرأت اليهود من عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وأقرت ببعض الأنبياء وكما تبرأت النصراني من محمد صلى الله عليه وسلم وأقرت ببعض الأنبياء بل تؤمن بكل الأنبياء وأن جميعهم كانوا على حق وهدى (ونحن له مسلمون) أي ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة مذعنون له بالعبودية

حافده ، ومنه قيل للحسن والحسين رضي الله عنهما سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم . والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب من بني إسرائيل والشعوب من العجم وكان في الأسباط أنبياء ولذلك قال : وما أنزل إليهم وقيل هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم أنبياء (وما أتى موسى) يعني التوراة (وعيسى) يعني الإنجيل (وما أتى) أعطى (النبيون من ربهم لاتفرق بين أحد منهم) أي تؤمن بالكل لاتفرق بين أحد منهم فتؤمن ببعض وتكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصراني (ونحن له مسلمون) أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن بشار أنا عثمان بن عمر أنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويضرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله الآية (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به) أي بما آمنتم به وكذلك كان يقرؤها ابن عباس والمثل صلة كقوله تعالى ليس كمثل شيء أي ليس هو كشيء وقيل معناه فإن آمنوا بجميع ما آمنتم به أي أتوا بإيمان كما إيمانكم وتوحيدكم وتوحيدكم وقيل معناه فإن آمنوا بمثل ما آمنتم والباء زائدة كقوله تعالى وهو زى إليك جذع النخلة وقال أبو معاذ النحوي معناه فإن آمنوا بكتابتكم كما آمنتم بكتابتهم (فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق) أي في خلاف ومنازعة قال ابن عباس (١١٦) وعطاء يقال شاق مشاقفة إذا خالف كأن بكل واحد أخل في شق غير

شق صاحبه قال الله تعالى ولا تجر منكم شقاق أي خلاف وقيل في عداوة دليله قوله تعالى ذلك بأنهم شاقوا الله أي عادوا الله (فسيكفيهم الله) أي يكفيك شر اليهود والنصارى وقد كفى بإجلاء بني النضير وقتل بني قريظة وضرب الجزية على اليهود والنصارى (وهو المسيح) لأقوامهم (العلم) بأقوامهم . قوله تعالى (صبغة الله) قال ابن عباس في رواية الكلبي وقتادة والحسن دين الله وإنما سماه صبغة لأنه يظهر أثر الدين على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب وقيل لأن المتدين يلزمه ولا يفارقه كالصبغ يلزم الثوب وقال مجاهد فطرة الله وهو قريب من الأول وقيل من الله وقيل أراد به الختان لأنه يصبغ صاحبه بالدم وقال

(خ) عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا الآية. قوله عز وجل (فإن آمنوا) يعني اليهود والنصارى (بمثل ما آمنتم به) أي بما آمنتم به ومثل صلة فو كقوله ليس كمثل شيء أي ليس مثله شيء موقبل فإن أتوا بإيمان كما إيمانكم وتوحيدكم كنوحيكم (فقد اهتدوا) والمعنى إن حصلوا ديناً آخر يساوي هذا الدين في الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لما استحال أن يوجد دين آخر يساوي هذا الدين في الصحة والسداد استحال الاهتداء بغيره لأن هذا الدين مبناه على التوحيد والإقرار بكل الأنبياء وما أنزل إليهم وقيل معناه فإن آمنوا بكتابتكم كما آمنتم بكتابتهم فقد اهتدوا (وإن تولوا) أي أعرضوا (فإنما هم في شقاق) أي في خلاف ومنازعة وقيل في عداوة ومخارفة وقيل في ضلال ، وأصله من الشق كأنه صار في شق غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل هو من المشقة لأن كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه (فسيكفيهم الله) أي يكفيك الله يا محمد شر اليهود والنصارى وهو ضمان من الله تعالى لإظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه إذا تشكل بشيء أجزه وهو إخبار بنبي نبيه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد أجز الله عنه بقتل بني قريظة وسبهم وإجلاء بني النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى (وهو المسيح) لأقوامهم (العلم) بأقوامهم يسمع جميع ما يظنون به ويعلم جميع ما يفسرون من الحسد والقل وهو مجازيهم ومعاقبهم عليه . قوله عز وجل (صبغة الله) قال ابن عباس دين الله وإنما سماه صبغة لأن أثر الدين يظهر على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب وقيل فطرة الله وقيل سنة الله وقيل أراد به الختان لأنه يصبغ المختن بالدم قال ابن عباس إن النصارى إذا ولد لأحدهم مولود وأتى عليه سبعة أيام غمسوه في ماء ثم أصفر به يومه ماء المودة وصبغوه به ليظهره به مكان الختان فإذا فعلوا ذلك به قالوا الآن صار نصرانياً حقاً فأخبر الله أن دينه الإسلام لا ما تفعله النصارى (ومن أحسن من الله صبغة) أي ديناً وقيل تطهيراً لأنه يظهر من أوساخ الكفر (ونحن له عابدون) أي مطيعون (قل) يعني يا محمد لليهود والنصارى الذين قالوا إن دينهم خير من دينكم وأمرؤكم باتباعهم (أتحاجوننا في الله) أي أتخضعوننا ونحاجوننا في دين الله الذي أمرنا أن نتدين به والحاجة المحادة لإظهار الحجية وذلك أنهم قالوا إن ديننا أقدم من دينكم وإن الأنبياء منا وعلى ديننا فنحن أولى بالله منكم فأمر الله تعالى المؤمنين أن يقولوا لهم : أمنا وتنا في الله (وهو ربنا وربكم) أي ونحن وأنتم في الله سواء فإنه ربنا وربكم (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أي لكل واحد

ابن عباس هي أن النصارى إذا ولد لأحدهم ولد فأتت عليه سبعة أيام غمسوه في ماء ثم أصفر يقال له المعسوية يعني وصبغوه به ليظهره بذلك الماء مكان الختان فإذا فعلوا به ذلك قالوا الآن صار نصرانياً حقاً فأخبر الله أن دينه الإسلام لا ما تفعله النصارى ، وهو نصب على الإغراء يعني الزموا دين الله قال الأنخض هي بذلك من قوله : ملة إبراهيم (ومن أحسن من الله صبغة) ديناً وقيل تطهيراً (ونحن له عابدون) مطيعون (قل) يا محمد لليهود والنصارى (أتحاجوننا في الله) أي في دين الله والحاجة المحادة في الله لإظهار الحجية وذلك بأنهم قالوا إن الأنبياء كانوا منا وعلى ديننا وديننا أقدم فنحن أولى بالله منكم فقال الله قل أتحاجوننا في الله (وهو ربنا وربكم) أي نحن وأنتم سواء فإنه ربنا وربكم (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أي لكل واحد

جزاء عمله فكيف تدعون أنكم أولى بالله (ونحن له مخلصون) وأنتم به مشركون قال سعيد بن جبير الإخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله فلا يشرك به في دينه ولا يرأى بعمله قال الفضيل ترك العمل (١١٧) لأجل الناس رياء والعمل

يعنى أن لكل أحد جزاء عمله (ونحن له مخلصون) أى مخلصو الطاعة والعبادة له وفيه توبيخ لليهود والنصارى والمعنى وأنتم به مشركون. والإخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله لله تعالى فلا يشرك في دينه ولا يرأى بعمله قال الفضيل بن عياض ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعاقبك الله منهما وهذه الآية منسوخة بآية السيف . قوله عز وجل (أم تقولون) يعنى اليهود والنصارى وهو استفهام ومعناه التوبيخ (إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى) يعنى أتزعون أن إبراهيم وبنيه كانوا على دينكم وماتكم وإنما حدثت اليهودية والنصرانية بعدهم فثبت كذبكم بامعشر اليهود والنصارى على إبراهيم وبنيه (قل) يا محمد (أنتم أعلم) يعنى بدينهم (أم الله)؟ أى الله أعلم بذلك وقد أسبر أن إبراهيم وبنيه لم يكونوا على اليهودية والنصرانية ولكن كانوا مسلمين حنفاء (ومن أظلم ممن كتم) يعنى أخفى (شهادة عنده من الله) وهى علمهم بأن إبراهيم وبنيه كانوا مسلمين وأن محمداً أحق بعبادته وصنفته وجدوا ذلك في كتبهم وكتبوه وجحدوه، والمعنى ومن أظلم ممن كتم شهادة جماعته من عند الله فكتمها وأخفاها (وما الله بغافل عما تعملون) يعنى من كتمناكم الحق فيما أزمكم به في كتابه من أن إبراهيم وبنيه كانوا مسلمين حنفاء وأن الدين هو الإسلام لا اليهودية والنصرانية، والمعنى وما الله غافل عن عملكم بل هو محصيه عليكم ثم يعاقبكم عليه في الآخرة (تلك أمة قد خلت) يعنى إبراهيم وبنيه (فما كسبت) أى جزاء ما كسبت (ولكم ما كسبتم) أى جزاء ما كسبتم (ولا تسألون عما كانوا يعملون) يعنى أن كل إنسان إنما يستل يوم القيامة عن كسبه وعمله لا عن كسب غيره وعمله وفيه وعظ وزجر لليهود ولأن يشكل على فضل الآباء وشرفهم أى لا تتكلموا على فضل الآباء فكل يؤخذ بعمله وإنما كررت هذه الآية لأنه إذا اختلف مواطن الحجاج والمجاهدة حسن تكرر للتذكير به وتأكيده . قيل وإنما كرره تنبيها لليهود لئلا يغتروا بشرف آبائهم . قوله عز وجل (سيقول السفهاء من الناس) أى الجهال من الناس والسفه خفة في النفس لنقصان العقل في الأمور الدينية والدينية ولا شك أن ذلك في باب الدين أعظم لأن العادل عن الأمر الواضح في أمر دينه يعد سفها فمن كان كذلك في أمر دينه كان أولى بهذا الاسم فلا كافر إلا وهو سفه وهذا أمكن حمل هذا اللفظ على اليهود والمشركين والمنافقين فقبلت هذه الآية في اليهود وذلك إنهم طعنوا في تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة لأنهم لا يرون النسخ وقيل نزلت في مشركي مكة وذلك أنهم قالوا قد تردد على محمد أمره واشتاق مولده وقد توجه إلى نحو بلدكم فلعله يرجع إلى دينكم وقيل نزلت في المنافقين وإنما قالوا ذلك استهزاء بالإسلام وقيل يحتدل أن لفظ السفهاء للعوام فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود ويحتدل وقوع هذا الكلام من كلهم إذ لا فائدة في التخصيص ولأن الأعداء يبالغون في الطعن والقدح فاذا وجدوا مقالا قالوا أو محالا جالوا (ما ولاهم) يعنى أى شئ . صرفهم (عن قبائهم التي كانوا عليها) يعنى بيت المقدس والقبلة هى الجهة التي يستقبلها الإنسان وإنما سميت قبلة لأن المصلى يقابلها وتقابله ولما قال

من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعاقبك الله منهما . قال الله تعالى (أم تقولون) يعنى أتقولون صيغة استفهام ومعناه التوبيخ وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالياء لقوله تعالى « قل أتجادوننا في الله » وقال بعده « قل أنتم أعلم أم الله » وقرأ الآخرون بالياء يعنى يقول اليهود والنصارى (إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل) يا محمد (أنتم أعلم) بدينهم (أم الله)؟ وقد أخبر الله تعالى أن إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفيا مسلما (ومن أظلم ممن كتم) أخفى (شهادة عنده من الله) تعالى وهى علمهم بأن إبراهيم وبنيه كانوا مسلمين ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم حق ورسول أشهدهم الله عليه في كتبهم (وما الله بغافل عما تعملون) تلك أمة قد خلت فاما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما

كانوا يعملون) كرره تأكيدا لقوله تعالى (سيقول السفهاء) الجهال (من الناس ما ولاهم) أى شئ . صرفهم (عن قبائهم التي كانوا عليها) يعنى بيت المقدس والقبلة فعلة من المتأبلة . نزلت في اليهود ومشركي مكة طعنوا في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة فقالوا لمشركي مكة قد تردد على محمد أمره فاشتاق إلى مولده وقد توجه نحو بلدكم وهو راجع إلى دينكم فقال الله

تعالى (قل: لله المشرق والمغرب) ملكا والخلق عبيده (يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم أمة وسطا) نزلت في رؤساء اليهود قالوا لمعاذ بن جبل: ما ترك محمد قبلتنا إلا حسدا وإن قبلتنا قبلة الأنبياء ولقد علم محمد أنا عدل بين الناس فقال معاذ إنا على حق وعدل فأقول (١١٨) الله تعالى: وكذلك، أي وهكذا وقيل الكاف للتشبيه وهي

مردودة على قوله: «ولقد اصطفتيناه في الدنيا، أي كما اخترنا إبراهيم وذريته واصطفتيناهم كذلك جعلناكم أمة وسطا أي عدلا خيارا قال الله تعالى: «قال أوسطهم» أي خیرهم وأعظمهم وخیر الأشياء أوسطها وقال الكلابي يعني أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لأنهما مدمومان في الدين. أخبرني عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو معشر إبراهيم بن محمد بن الحسين الوراق، أنا أبو عبد الله محمد بن زكريا بن يحيى أنا أبو الصلت أنا حماد ابن زيد أنا علي بن زيد عن أبي نصره عن أبي سعيد الخدری رضی الله عنه قال: «قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد العصر، فأتى شينا إلى يوم القيامة إلا ذكره في مقامه ذلك حتى إذا كانت الشمس على رموس النخل وأطراف

السمهاء ذلك رد الله تعالى عليهم بقوله (قل) يا محمد (الله المشرق والمغرب) يعني أن له فطري المشرق والمغرب وما بينهما ملكا فلا يستحق شيء أن يكون لذاته قبلة لأن الجهات كلها شيء واحد وإنما نصير قبلة لأن الله تعالى هو الذي جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وهو قوله (يهدي من يشاء) يعني من عباده (إلى صراط مستقيم) يعني إلى جهة الكعبة وهي قبلة إبراهيم عليه السلام. قوله عز وجل (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) الكاف في قوله وكذلك كاف تشبيه جاء لمشيبه به وفيه وجوه أحدها أنه معطوف على ما تقدم من قوله في حق إبراهيم «ولقد اصطفتيناه في الدنيا»، وكذلك جعلناكم أمة وسطا، الثاني أنه معطوف على قوله «يهدي من يشاء» إلى صراط مستقيم، وكذلك هديناكم وجعلنا قبلكم وسطا بين المشرق والمغرب كذلك جعلناكم أمة وسطا يعني عدولا خيارا وخير الأمور أوسطها، قال زهير:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

وقيل متوسطة والمعنى أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لأنهما مدمومان في أمر الدين لا كغلو النصارى في عيسى ولا كتقصير اليهود في الدين وهو تحريفهم وتبديلهم. وسبب نزول هذه الآية أن رؤساء اليهود قالوا لمعاذ بن جبل: ما ترك محمد قبلتنا إلا حسدا وإن قبلتنا قبلة الأنبياء ولقد علم محمد أننا أعدل الناس فقال معاذ: أنا على حق وعدل فأقول الله تعالى هذه الآية. وروى أبو سعيد الخدری عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا وإن هذه الأمة توفى سبعين أمة هي آخرها وخيرها وأكرمها على الله تعالى». وقوله تعالى (لتكونوا شهداء على الناس) يعني يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم، وقيل إن أمة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على من ترك الحق من الناس أجمعين (ويكون الرسول) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (عليكم شهيدا) يعني عدلا مذكيا لكم وذلك أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الأمم: ألم يأتيكم نذير فيتذكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسأل الله الأنبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البيئته وهو أعلم بهم إقامة الحجة فيقولون أمة محمد تشهد لنا فيؤتى بأمة محمد عليه الصلاة والسلام فيشهدون لهم بأنهم قد بلغوا فتقول الأمم الماضية من أين عدوا وإنما أتوا بعدنا فيسأل هذه الأمة فيقولون أرسلت إلينا رسولا وأنزلت عليه كتابا أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته فيزكهم ويشهد بصدقهم (خ) عن أبي سعيد الخدری قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجاء بنوح وأمه يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم أي رب فيسأل أمته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمه فيجاء بكم فيشهدون ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا» زاد الترمذي وسطا عدولا.

الحيطان قال أما لأنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا ألا وإن هذه

قوله
قوله
الأمّة توفى سبعين أمة هي آخرها وأخيرها وأكرمها على الله تعالى: قوله تعالى (لتكونوا شهداء على الناس) يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم قال ابن جرير قلت لعطاء مامعنى قوله تعالى: (لتكونوا شهداء على الناس) قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على من يترك الحق من الناس أجمعين (ويكون الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم (عليكم شهيدا) عدلا مذكيا لكم

وذلك أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الأمم الماضية: ألم يأتيكم نذير فينبشرون ويقولون ما جاءنا من بشر ولا نذير فيسأل الله الأنبياء عليهم السلام عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسأل البيزة وهو أعلم بهم إقامة للحجة فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا فتقول الأمم الماضية من أين علموا وإنما أتوا بعدنا فيسأل هذه الأمة فيقولون أرسلت إلينا رسولا وأزلت عليه وسلم فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا فتقول الأمم الماضية من أين علموا وإنما أتوا ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته فيزكهم ويشهد بصدقهم أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا إسحاق بن منصور أخبرنا أبو أسامة قال الأعمش أخبرنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُجاء بنوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم يارب فيسأل أمته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال من شهدك فيقول محمد وأمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجاء بكم فتشهدون ثم قرأ رسول الله صلى الله (١١٩) عليه وسلم: وكذلك جعلناكم

قوله عز وجل (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها) أي وما جعلنا صرفك عن القبلة التي كنت عليها وهي بيت المقدس وإنما حذف ذكر الصرف اكتفاء بدلالة اللفظ عليه وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها وهي الكعبة و (إلا لنعلم من يتبع الرسول) فإن قلت ما معنى قوله: إلا لنعلم وهو عالم بالأشياء كلها قيل كونها قلت أراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب فإنه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب إنما يتعلق بما يوجد والمعنى لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب، وقيل العلم هنا بمعنى الرؤية أي لئري ونمير من يتبع الرسول في القبلة ممن ينقلب على عقبيه وقيل معناه إلا لتعلم رسل وحزبي وأوليائي من المؤمنين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكان من شأن العرب إضافة ما فعله الاتباع إلى الكبير كقولهم فتح عمر العراق وجي خراجها وإنما فعل ذلك أتباعه عن أمره، وقيل إنما قال إلا لتعلم وهو بذلك عالم قبل كونه على وجه الرفق بعباده ومعناه إلا لتعلموا أنتم إذ كنتم جهالا به قبل كونه فإضافة العلم إلى نفسه رفقا بعباده المخاطبين وقيل معناه لعلمنا لأنه تعالى سبق في علمه أن تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة آخرين ومعنى من يتبع الرسول أي يطيعه في أمر القبلة وتحويلها (ممن ينقلب على عقبيه) أي يرجع إلى ما كان عليه من الكفر فيرتد وفي الحديث «إنه لما تحولت القبلة إلى الكعبة ارتد قوم إلى اليهودية وقالوا رجع محمد إلى دين آباءه» (وإن كانت) أي وقد كانت (لكبيرة) (يعني تولية القبلة ثقيلة شاقة وقيل هي التولية من بيت المقدس إلى الكعبة وقيل الكبيرة هي القبلة التي وجهه إليها قبل التحويل وهي بيت المقدس وأنت الكبيرة لتأنيث القبلة وقيل لتأنيث التولية (إلا على الذين هدى الله) يعني الصادقين في اتباع الرسول (وما كان الله ليضيع إيمانكم) يعني صلاتكم إلى بيت المقدس، وذلك

أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا» قوله تعالى (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها) أي تحويلها يعني بيت المقدس فيكون من باب حذف المضاف ويحتمل أن يكون المفعول الثاني للجعل محذوف على تقدير (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة وقيل معناه التي أنت عليها وهي الكعبة كقوله تعالى «كنتم خير أمة» أي أنتم (إلا لتعلم من يتبع الرسول) فإن قيل ما معنى قوله «إلا لتعلم» وهو عالم

بالأشياء كلها قبل كونها، قيل أراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب فإنه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب وإنما يتعلق بما يوجد معناه لتعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب، وقيل إلا لتعلم أي لئري ونمير من يتبع الرسول في القبلة (ممن ينقلب على عقبيه) فيرتد وفي الحديث «إن القبلة لما حولت ارتد قوم من المسلمين إلى اليهودية وقالوا رجع محمد إلى دين آباءه» وقال أهل المعاني معناه إلا لعلمنا من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه كأنه سبق في علمه أن تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة قوم وقد يأتي لفظ الاستقبال بمعنى الماضي كما قال الله تعالى «فلم تقتلون أنبياء الله» أي فلم تقتلوهم (وإن كانت) أي وقد كانت أو تولية القبلة وقيل الكناية راجعة إلى القبلة وقيل إلى الكعبة قال الزجاج وإن كانت التحويلة (لكبيرة) ثقيلة شديدة (إلا على الذين هدى الله) أي هداهم الله قال سيبويه وإن تأكيد شبهه باليمين ولذلك دخلت اللام في جوابها (وما كان الله ليضيع إيمانكم) وذلك أن جبي بن أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس إن كانت هدى فقد تحولتم عنها، وإن كانت ضلالة فقد دنتم الله بها ومن مات منكم عليها

فقد مات على الضلالة ؟ فقال المسلمون إنما الهدى ما أمر الله به والضلالة ما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وكان قد مات قبل أن نحول إلى الكعبة من المسلمين أسعد بن زرارة من بني النجار والبراء بن معرور من بني سلمة وكانا من النقباء ورجال آخرون ؟ فانطلق عشائرهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله قد صرفك الله إلى قبلة إبراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزله الله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم يعني صلاتكم إلى بيت المقدس (إن الله بالناس لرعوف رحيم) قرأ أهل الحجاز وابن عامر وحفص لرعوف مشيعا على وزنه فعول لأن أكثر أسماء الله تعالى (١٢٠) على فعول وفعيل كالغفور والشكور والرحيم والكريم وغيرها وأبو حنيفة يلبس الهدية وقرأ

أن حبي بن أخطب وأصحابه من اليهود قالوا لله أساءة بين أخير وتاعن صلاتكم إلى بيت المقدس إن كان على هدى فقد تحولتم عنه وإن كانت على ضلالة فقد دتم الله بها مدة ومن مات عليها فقد مات على ضلالة فقال المسلمون إنما الهدى فيما أمر الله به والضلالة نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وكان قد مات قبل أن نحول القبلة إلى الكعبة أسعد بن زرارة من بني النجار والبراء بن معرور من بني سلمة وكانا من النقباء ورجال آخرون فانطلق عشائرهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد صرفك الله إلى قبلة إبراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزله الله تعالى وهو ما كان الله ليضيع إيمانكم يعني صلاتكم إلى بيت المقدس (إن الله بالناس لرعوف رحيم) يعني لا يضيع أجورهم والرافة أنحص من الرحمة وأرق وقيل الرافة أشد من الرحمة وقيل الرافة الرحمة وقيل في البرق بين الرافة والرحمة أن الرافة بالغة في رحمة خاصة وهي دفع المكروه وإزالة الضرر وأما الرحمة فإنها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه أيضا جميع الإفضال والإيثار فذكر الله الرافة ولا معنى أنه لا يضيع أعمالهم ثم ذكر الرحمة ثانيا لأنها أعم وأشمل . قوله عز وجل (قد ترى تقلب وجهك في السماء) سبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة إلى الكعبة فلما هاجر إلى المدينة أحب أن يستقبل بيت المقدس يتألف بذلك اليهود وتبيل أن الله تعالى أمره بذلك ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى قبلتهم مع ما يجدون من نعمة وصفته في التوراة فصلى إلى بيت المقدس بعد الهجرة ستة عشر ومبعدة عشر شهرا وكان يجب أن يتوجه إلى الكعبة لأنها قبلة أبيه إبراهيم وقيل كان يجب ذلك من أجل أن اليهود قالوا بخالفنا محمد في ديننا ويقع قبلتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت لو حولني الله إلى الكعبة بأنها قبلة أبي إبراهيم فقال جبريل صلى الله عليه وسلم إنما أنا عبد مثلك وأنت كريم على ربك فسل أنت ربك فانك عند الله بمكان ثم عرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر إلى السماء وجاء أن ينزل جبريل بما يجب من أمر القبلة فأنزله الله عز وجل قد ترى تقلب وجهك في السماء يعني تردد وجهك وتصرف نظرك في السماء أي إلى جهة السماء وهذه الآية وإن كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى لأنها رأس القصة وأول ما نسخ من أحكام الشرع أمر القبلة (فلنولينك أي فلنحولنك ولنصرفنك (قبلة) أي ولنصرفنك عن بيت المقدس إلى قبلة

الآخرون بالاختلاس على وزن فعل قال جرير ترى للمسلمين عليك حقا كفعل الواحد الرؤف الرحيم والرافة أشد الرحمة قوله تعالى (قد ترى تقلب وجهك في السماء) هذه الآية وإن كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى فإنها رأس القصة . وأمر القبلة أول ما نسخ من أمور الشرع ، وذلك أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يصلون بمكة إلى الكعبة ، فلما هاجر إلى المدينة أمره الله أن يصلى نحو صحرة بيت المقدس ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى قبلتهم مع ما يجدون من نعمة في التوراة فصلى بعد الهجرة ستة عشر أو

(ترضاها)

سبعة عشر أشهر إلى بيت المقدس وكان يجب أن يوجه إلى الكعبة لأنها كانت قبلة

أبيه إبراهيم عليه السلام وقال مجاهد كان يجب ذلك من أجل اليهود لأنهم كانوا يقولون بخالفنا محمد صلى الله عليه وسلم في ديننا ويتبع قبلتنا فقال جبريل عليه السلام وددت لو حولني الله إلى الكعبة فانها قبلة أبي إبراهيم عليه السلام فقال جبريل إنما أنا عبد مثلك وأنت كريم على ربك فانك عند الله عز وجل بمكان فعرج جبريل عليه السلام وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر إلى السماء وجاء أن ينزل جبريل بما يجب من أمر القبلة فأنزله الله تعالى قد ترى تقلب وجهك في السماء (فلنولينك قبلة) فلنحولنك إلى قبلة :

(رضاهما) أي تحبها وتبهاها (قول) أي حول (وجهك شطر المسجد الحرام) أي نحوه وأراد به الكعبة والحرام المحرم (وحيثما كنتم) من بر أو بحر شرق أو غرب (فولوا وجوهكم شطره) عند الصلاة. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد الملبحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا إسحاق بن نصر أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج عن عطاء قال سمعت ابن عباس قال: لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع ركعتين في قبل الكعبة وقال هذه القبلة. أخبرنا عبد الواحد الملبحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عمرو بن خالد (١٢٨) أخبرنا زهير أخبرنا أبو إسحاق

عن البراء أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الأنصار وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى أول صلاة صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فرأى كهون فقال أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البيت وكانت اليهود قد أعجبهم إذ ذلك أنه صلى قبل بيت المقدس وهي قبله أهل الكتاب فلما ولي وجهه قبل البيت أنكروا ذلك. قال البراء في حديثه هذا وأنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما تقول فيهم فأنزله الله تعالى «وما كان الله ليضيع إيمانكم» واختلفت العلماء في وقت تحويل القبلة فقال الأكرهون كان في يوم الاثنين بعد الزوال للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل كان يوم الثلاثاء لثمانية عشر شهرا وقيل كان ليلة ثمانية عشر شهرا وقيل نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمى ذلك المسجد مسجداً القبليتين ووصل الخبر إلى أهل قباء في صلاة الصبح (ق) عن ابن عمر قال بينا الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال إن النبي صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة وقوله تالي (وحيثما كنتم) أي من بر أو بحر مشرق أو مغرب (فولوا وجوهكم شطره) أي نحو البيت وتلقاه. عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ما بين المشرق والمغرب قبلة» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قيل أراد بالمشرق مشرق الشتاء في أقصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب الصيف في أطول يوم من السنة فمن جعل

(رضاهما) أي تحبها وتبهاها (قول) أي حول (وجهك شطر المسجد الحرام) أي نحوه وتلقاه وأراد به الكعبة (ق) عن ابن عباس قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه ولما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة وقال هذه القبلة يعني أن أمر القبلة قد استقر على هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم فصلوا إلى الكعبة أبداً فهي قبلتكم (ق) عن البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الأنصار وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى أول صلاة صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فرأى كهون فقال أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة فنادوا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد أعجبهم إذ ذلك أنه صلى قبل بيت المقدس وهي قبله أهل الكتاب فلما ولي وجهه قبل البيت أنكروا ذلك. قال البراء في حديثه هذا وأنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما تقول فيهم فأنزله الله تعالى «وما كان الله ليضيع إيمانكم» واختلفت العلماء في وقت تحويل القبلة فقال الأكرهون كان في يوم الاثنين بعد الزوال للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل كان يوم الثلاثاء لثمانية عشر شهرا وقيل كان ليلة ثمانية عشر شهرا وقيل نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمى ذلك المسجد مسجداً القبليتين ووصل الخبر إلى أهل قباء في صلاة الصبح (ق) عن ابن عمر قال بينا الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال إن النبي صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة وقوله تالي (وحيثما كنتم) أي من بر أو بحر مشرق أو مغرب (فولوا وجوهكم شطره) أي نحو البيت وتلقاه. عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ما بين المشرق والمغرب قبلة» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قيل أراد بالمشرق مشرق الشتاء في أقصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب الصيف في أطول يوم من السنة فمن جعل

(١٦) - خازن بالبهوي - أول) هذا إنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما تقول فيهم؟ فأنزله الله تعالى «وما كان الله ليضيع إيمانكم» وكان تحويل القبلة في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين قال مجاهد وغيره نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمى ذلك المسجد مسجداً القبليتين، وقيل كان التحويل خارج الصلاة بين الصلاتين وأهل قباء وصل إليهم الخبر في صلاة الصبح. أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد الفقيه السرخسي أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي السامري أخبرنا

أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري عن مالك بن أنس عن عبد الله بن دينار أن عبد الله بن عمر قال : بينا الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت وقال لهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة ، فلما تحولت القبلة قالت اليهود يا محمد ما هو إلا شيء ابتدعه من تلقاء نفسك فتارة تصلى إلى بيت المقدس وتارة إلى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكانت نرجو أن تكون صاحبنا الذي تنتظره فأنزل الله تعالى (وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه) يعني أمر الكعبة (الحق من ربهم) ثم هددهم فقال (وما الله بغافل عما تعملون) (١٢٢) قرأ أبو جعفر وابن عامر وحذرة والكسائي بالناء ، قال ابن عباس

يريد أنكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم. وقرأ الباقون بالياء. يعني ما أنا بغافل عما يفعل اليهود فأجازيهم في الدنيا وفي الآخرة. قوله تعالى (ولئن آتيت الذين أوتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى قالوا اثنا بآية على ما تقول فقال الله تعالى : ولئن آتيت الذين أوتوا الكتاب (بكل آية) معجزة (ماتبعوا قبلك) يعني الكعبة (وما أنت بتابع قبلتهم) وما بعضهم بتابع قبلة بعض) لأن اليهود تستقبل بيت المقدس وهو المغرب والنصارى تستقبل المشرق وقبلة المسلمين الكعبة. أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن

مغرب الصيف في هذا الوقت عن يمينه ومشرق الشتاء عن يساره كان مستقبلا للقبلة وهذا في حق أهل المشرق لأن المشرق الشتوي جنوبي متباعد عن خط الاستواء بمقدار الميل والمغرب الصيفي شمالي متباعد عن خط الاستواء والذي بينهما افتقوسهما مكة. والفرص لمن بمكة في القبلة إصابة عين الكعبة ولو لم يكن من قبلنا جهة ويعرف ذلك بدلائل القبلة وليس هذا موضع ذكرها. ولما تحولت القبلة إلى الكعبة قالت اليهود يا محمد ما هو إلا شيء ابتدعه من تلقاء نفسك فتارة تصلى إلى بيت المقدس وتارة إلى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكانت نرجو أن تكون صاحبنا الذي تنتظره فأنزل الله تعالى (وإن الذين أوتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (ليعلمون أنه الحق من ربهم) يعني أمر القبلة وتحويلها إلى الكعبة ثم هددهم فقال تعالى (وما الله بغافل عما يعملون) يعني وما أنا بساه عما يفعل هؤلاء اليهود فأنا أجازيهم عليه في الدنيا والآخرة وقرئ تعملون بالناء قال ابن عباس يريد أنكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم فأنا آتيتكم على طاعتكم أفضل الثواب وأجزيتكم أحسن الجزاء. قوله عز وجل (ولئن آتيت الذين أوتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (بكل آية) أي بكل معجزة وقيل بكل حجة وبرهان وذلك بأنهم قالوا اثنا بآية على ما تقول فأنزل الله تعالى هذه الآية (ماتبعوا قبلك) يعني الكعبة (وما أنت بتابع قبلتهم) يعني أن اليهود تصلى إلى بيت المقدس والنصارى إلى المشرق وأنت يا محمد تصلى إلى الكعبة فكيف يكون سبيل إلى اتباع قبلة أحد هؤلاء مع اختلاف جهاتها فالزم أنت قبلك التي أمرت بالصلاة إليها (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) يعني وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى بتابعة قبلة اليهود لأن اليهود والنصارى لا يجتمعون على قبلة واحدة (ولئن اتبعت أهواءهم) يعني مرادهم ورضاهم لو رجعت إلى قبلتهم (من بعد ما جاءك من العلم) أي في أمر القبلة وقيل معناه من بعد ما وصل إليك من العلم بأن اليهود والنصارى مقيدون على باطل وعناد للحق (إنك إذا لمن الظالمين) يعني إنك إن فعلت ذلك كنت بمنزلة من ظلم نفسه وضرها. قيل هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الأمة لأنه صلى الله عليه وسلم لا يتبع أهواءهم أبدا. وقيل هو خطاب له خاصة فيكون ذلك على سبيل التذكير والتنبية. قوله عز وجل (الذين آتواهم الكتاب) يعني علماء اليهود والنصارى وقيل أراد

الجراح أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد الخبوي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي أخبرنا الحسن بن بكر المروزي أخبرنا المعلى بن منصور أخبرنا عبد الله بن جعفر الخزومي عن عثمان الأحمسي عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قاله قبلة ما بين المشرق والمغرب وأراد به في حق أهل المشرق وأراد بالمشرق مشرق الشتاء في أقصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب الصيف في أطول يوم من السنة ، فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت على يمينه ومشرق الشتاء على يساره كان وجهه إلى القبلة (ولئن اتبعت أهواءهم) مرادهم الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الأمة (من بعد ما جاءك من العلم) من الحق في القبلة (إنك إذا لمن الظالمين) قوله تعالى (الذين آتواهم الكتاب)

يعني مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه (يعرفونه) يعني يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم (كما يعرفون أبناءهم) من بين الصبيان . قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن سلام إن الله قد أنزل على نبيه الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فكيف هذه المعرفة ؟ قال عبد الله يا عمر لقد عرفته (١٢٣) حين رأيته كما عرفت أبى ومعرفتى بمحمد صلى الله

به مؤمنى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (يعرفونه) أى يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم معرفة جليلة بالوصف المعين الذى يجدونه عندهم (كما يعرفون أبناءهم) أى لا يشكون فيه ولا يشبهه عليهم كما لا تشبه عليهم أبناؤهم من أبناء غيرهم ، روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لعبد الله بن سلام إن الله أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» فكيف هذه المعرفة ؟ فقال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف أبى ومعرفتى بمحمد صلى الله عليه وسلم أشد من معرفتى بأبى فقال عمر وكيف ذلك فقال : أشهد أنه رسول الله حق من الله وقد نعته الله فى كتابنا ولا أدري ما تصنع النساء فقبل عمر رأس عبد الله وقال وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت . وقيل الضمير فى يعرفونه يعود إلى أمر القبلة والمعنى أن علماء اليهود والنصارى يعرفون أن القبلة التى صرفتكم إليها هى قبلة إبراهيم وقبلة الأنبياء قبلك كما يعرفون أبناءهم لا يشكون فى ذلك (وإن فريقا منهم) أى من علماء أهل الكتاب (ليسكتون الحق) يعنى صفة محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل أمر القبلة (وهم يعلمون) يعنى أن كتابان الحق معصية . وقيل يعلمون أن صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم فى التوراة والإنجيل وهم مع ذلك يكتبونه (الحق) أى الذى يكتبونه هو الحق (من ربك فلا تكونن من المترين) أى من الشاكين فى أن الذين تقدم ذكرهم علماء صحة نبوتك وقيل يرجع إلى أمر القبلة والمعنى أن بعضهم عاند وكنم الحق فلا تشك فى ذلك . فان قلت النبى صلى الله عليه وسلم لم يمت ولم يشك فما معنى هذا النهى ؟ قلت هذا الخطاب وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد غيره والمعنى فلا تشكوا أنتم أيها الناؤمنون وقد تقدم نظير هذا . قوله عز وجل (ولكل وجهة) أى ولكل أهل ملة قبلة والوجهة اسم للوجهة الميثة والحالة فى التوجه إلى القبلة ، وقيل فى قوله (ولكل وجهة) إن المراد به جميع المؤمنين أى ولكل أهل جهة من الآفاق وجهة من الكعبة يصلون إليها . وقيل المراد بالوجهة المنهاج والشرع والمعنى ولكل قوم شريعة وطريقة لأن الشرائع مصالح للعباد فلهذا اختلفت الشرائع بحسب اختلاف الزمان والأشخاص (هو موليا) أى مستقبلها والمعنى أن لكل أهل ملة وجهة هو مول وجهه إليها وقيل متوليا أى مختارها وقيل إن هو عائد على اسم الله تعالى والمعنى إن الله موليا لإياه وقرى موليا أى مصروف إليها (فاستبقوا الخيرات) أى بادروا بالطاعات وقبول الأوامر وفيه حث على المبادرة إلى الأولوية والأفضلية فعلى هذا تكون الآية دليلا لمذهب الشافعى فى أن الصلاة أول الوقت أفضل لقوله : فاستبقوا الخيرات لأن ظاهر الأمر للوجوب فإذا لم يتحقق لوجوب فلا أقل من التنبؤ (أبنا تكونوا) يعنى أنتم وأهل الكتاب (يأت بكم الله جميعا) يعنى يوم القيامة فهو وعاد لأهل الطاعة بالنواب ووعيد لأهل المعصية بالعقاب (إن الله على كل شىء قدير) أى على الإعادة بعد الموت والإثابة لأهل الطاعة والعقاب لمستحق العقوبة . قوله عز وجل (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام) أى من أى موضع خرجت فى سفر وغيره فول وجهك يا محمد قبل المسجد الحرام ونحوه (وإنه) يعنى التوجه إليه (للحق

وعرفتى بمحمد صلى الله عليه وسلم أشد من معرفتى بأبى فقال عمر كيف ذلك فقال : أشهد أنه رسول حق من الله تعالى وقد نعته الله فى كتابنا ولا أدري ما تصنع النساء فقال عمر : وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت (وإن فريقا منهم ليسكتون الحق) يعنى صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمر الكعبة (وهم يعلمون) ثم قال (الحق من ربك) أى هذا الحق خير مبتدأ مضمرة . وقيل رفع باصتار فعمل أى جاء الحق من ربك (فلا تكونن من المترين) الشاكين . قوله تعالى (ولكل وجهة) أى لأهل كل ملة قبلة والوجهة اسم للتوجه إليه (هو موليا) أى مستقبلها ومقبل عليها يقال وليته ووليت إليه إذا قبلت عليه ووليت عنه إذا أدبرت عنه . قال مجاهد هو موليا وجهه وقال الأنخضس هو كناية عن الله عز وجل يعنى مولى

الأمم إلى قبلتهم وقرأ ابن عامر هو موليا أى المستقبل مصروف إليها (فاستبقوا الخيرات) أى إلى الخيرات ، يريد بادروا بالطاعات والمراد المبادرة إلى القبول (أبنا تكونوا) أنتم وأهل الكتاب (يأت بكم الله جميعا) يوم القيامة فيجزىكم بأعمالكم (إن الله على كل شىء قدير) قوله تعالى (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق

من ربك وما الله بغافل عما تعملون) قرأ أبو عمرو بالبلاء ، والباقون بالناء (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) وإنما كرره لتأكيد النسخ (لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا) اختلفوا في تأويل هذه الآية ، ووجه قوله إلا فقال بعضهم معناه حولت القبلة إلى الكعبة لئلا يكون للناس عليكم حجة إذا توجهتم إلى غيرها فيقولون ليست لكم قبلة إلا الله الذين ظلموا وهم قريش واليهود . فأما قريش فتقول رجع محمد إلى الكعبة لأنه علم أنها الحق وأنها قبلة آياته فكذلك يرجع إلى ديننا وأما اليهود فتقول لم ينصرف عن بيت المقدس مع علمه بأنه حق إلا أنه يعمل برأيه وقال قوم لئلا يكون للناس عليكم حجة يعني اليهود وكانت حجبتهم على طريق الاختصاص على المؤمنين في صلاتهم إلى بيت المقدس أنهم كانوا يقولون ما أدى محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أين (١٣٤) قبلتهم حتى هديناهم نحن . وقوله إلا الذين ظلموا وهم مشركو مكة

وحجبتهم أنهم قالوا لما صرفت قبلتهم إلى الكعبة : إن محمداً قد تخير في دينه وسيعود إلى ملتنا كما عاد إلى قبلتنا وهذا معنى قول مجاهد وعطاء وقتادة ، وعلى هذين التأويلين يكون الاستثناء صحيحاً . وقوله إلا الذين ظلموا ، يعني لأحجة لأحد عليكم إلا مشركو قريش فانهم يحاجونكم فيجادلونكم ويحاصونكم بالباطل والظلم والاحتجاج بالباطل يسمى حجة كما قال الله تعالى « حجبتهم داحضة عند ربهم » وموضع الذين خفض كأنه قال سوى الذين ظلموا قاله الكسائي

من ربك) أى الحق الذى لاشك فيه فحافظ عليه (وما الله بغافل عما تعملون) أى ليس هو بساه عن أعمالكم ولكنه محصها لكم وعليكم فيجازيكم بها يوم القيامة (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) فان قلت هل في هذا التكرار فائدة . قلت فيه فائدة عظيمة جليلة وهى أن هذه الواقعة أول الوقائع التى ظهر التسخ فيها فى شرعنا فدعت الحاجة إلى التكرار لأجل التأكيد والتتمير وإزالة الشبهة وإيضاح البيان فحسن التكرار فيهم لنقلهم من جهة إلى جهة (لئلا يكون للناس عليكم حجة) قيل أراد بالناس أهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش واليهود فأما قريش فقالوا رجع محمد إلى الكعبة لأنه علم أنها الحق وأنها قبلة آياته وسيرجع إلى ديننا كما رجعت إلى قبلتنا وقالت اليهود لم ينصرف محمد عن بيت المقدس مع علمه أنه حق إلا أنه يعمل برأيه فعلى هذا يكون الاستثناء في قوله إلا الذين ظلموا منهم متصلاً بصحبا والمعنى لأحجة لأحد عليكم إلا مشركو قريش واليهود فانهم يجادلونك بالباطل والظلم وإنما سمي الاحتجاج بالباطل حجة لأن اشتقاقها من حجة إذا غلبه فكما تكون صحيحة فكذلك تسمى حجة وتكون باطلة قال الله تعالى « حجبتهم داحضة عند ربهم » وقيل هذا الاستثناء منقطع عن الكلام الأول ومعناه لكن الذين ظلموا منهم يجادلونك بالباطل كما قال التابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيفهم بين فلوك من قواع الكتاب

أى لكن سيفهم بين فلوك وليس يعيب وقيل في معنى الآية إن اليهود عرفوا أن الكعبة قبلة إبراهيم ووجدوا في التوراة أن محمداً سيحول إليها فتكون حجبتهم أنهم يقولون إن النبي الذى نجاه في كتابنا سيحول إلى الكعبة . ولم تحول أنت فلما حول إلى الكعبة ذهبت حجبتهم (إلا الذين ظلموا منهم) أى إلا أن يظلموا فيكذبوا ما عرفوا من الحق .

(فلا)

وقال الفراء نصب بالاستثناء قوله . تعالى (منهم) يعنى من الناس وقيل هذا استثناء

منقطع عن الكلام الأول ولكن الذين ظلموا يجادلونكم بالباطل كما قال الله تعالى « ما لهم به من علم إلا اتباع الظن » يعنى لكن يتبعون الظن فهو كقول الرجل عندى حق إلا أن تغلمنى قال أبو روق لئلا يكون للناس يعنى اليهود عليكم حجة وذلك أنهم عرفوا أن الكعبة قبلة إبراهيم ووجدوا في التوراة أن محمداً سيحول إليها فحوله الله تعالى إليها لئلا يكون لهم حجة فيقولوا إن النبي الذى نجاه في كتابنا سيحول إليها ولم تحول أنت فلما حول إليها ذهبت حجبتهم إلا الذين ظلموا يعنى إلا أن يظلموا فيكذبوا ما عرفوا من الحق . وقال أبو عبيدة قبوله إلا الذين ظلموا ليس باستثناء ولكن إلا في موضع واو العطف يعنى والذين ظلموا أيضاً لا يكون لهم حجة ، كما قال الشاعر :

وكل أخ مفارقة أخوه لعمر أيبك إلا الفرقدان

معناه والفرقدان أيضاً يتفرقان فعنى الآية فتوجهوا إلى الكعبة لئلا يكون للناس يعنى اليهود عليكم حجة فيقولوا لم

تركتكم الكعبة وهي قبلة إبراهيم وأنتم على دينه ولا الذين ظلموا وهم مشركو مكة فيقولون لم ترك محمد قبلة جده ونحول عنها إلى قبلة اليهود (فلا تخشوهم) في انصرفتم إلي الكعبة وفي تظاهروهم عليكم بالمجادلة فإني وليكم أظهركم عليهم بالحجة والنصرة (واخشوني ولأنتم نعمتي عليكم) عطف على قوله: لئلا يكون للناس عليكم حجة ولكي أتم نعمتي عليكم بهدائي إياكم إلى قبلة إبراهيم فتم به لكم الملة الخيافية. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الإسلام. قال سعيد ابن جبير لأنتم نعمة على المسلم إلا أن يدخل الجنة (ولعلكم تهتدون) لكي (١٣٥) تهتدوا من الضلالة. ولعل وعسى

(فلا تخشوهم) أي فلا تخافوهم في انصرفتم إلي الكعبة في تظاهروهم عليكم بالمجادلة الباطلة فإني وليكم وفاضركم أظهركم عليهم بالحجة والنصرة (واخشوني) أي احذروا عقابي إن أنتم عدلتم عما أئزمتكم به وفرضته عليكم (ولأنتم نعمتي عليكم) ولكي أتم نعمتي عليكم بهدائي إلى قبلة إبراهيم لتتم لكم الملة الخيافية. وثيل تمام النعمة الموت على الإسلام ثم دخول الجنة ثم رؤية الله تعالى (ولعلكم تهتدون) أي لكي تهتدوا من الضلالة. ولعل وعسى من أقواله. قوله عز وجل (كما أرسلنا فيكم) كاشف التشبيه يحتاج إلى شيء يرجع إليه فقيل يرجع إلى ما قبلها ومعناه ولأنتم نعمتي عليكم كما أرسلنا فيكم وقيل إن إبراهيم قال: ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال: ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك، فبعث الله فيهم رسولا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعدته إجابة الدعوة الثانية بأن يجعل في ذريته أمة مسلمة، والمعنى كما أجيبت دعوته ببعثة الرسول كذلك أجيبت دعوته بأن أهدبكم لدينه وأجعلكم مسلمين وأنتم نعمتي عليكم ببيان شرائع الملة الخيافية وقيل إن الكاشف متعانة بما بعدها وهو قوله «فأذكروني أذكركم» والمعنى كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فأذكروني، ووجه التشبيه أن النعمة بالذكر جارية مجرى النعمة بإرسال الرسول، وإن قلنا إنها متعلقة بما قبلها كان وجه التشبيه أن النعمة في أمر القبلة كالنعمة بالرسالة، وفيكم خطاب لأهل مكة والعرب وكذا قوله منكم. وفي إرساله رسولا منهم نعمة عظيمة عليه لما فيه من الشرف لهم ولأن المعروف من حال العرب الأنفة الشديدة من الانقياد للغير فكان بعثة الرسول منهم وفيهم أقرب إلى قبول قوله والانقياد له، والمعنى كما أرسلنا فيكم بامعشر العرب (رسولا منكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (يتلو عليكم آياتنا) يعني القرآن وذلك من أعظم النعم لأنه معجزة باقية على الدهر (وزكركم) أي ويظهركم من دنس الشرك والذنوب وقيل يعلمكم ما إذا فعلت وهو صرتم أركبوا مثل محاسن الأخلاق ومكارم الأفعال (ويعلمكم الكتاب) يعني أحكام الكتاب وهو القرآن وقيل إن التعليم غير التلاوة فليس بتكرار (والحكمة) يعني السنة والفقه في الدين (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) يعني يعلمكم من أخبار الأمم الماضية والقرون الخالية وقصص الأنبياء والخبر عن الحوادث المستقبلية مما لم تكونوا تعلمون وذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فأذكروني) قبل الذكر يكون باللسان، وهو أن يسبحه ويحمده ويمجده ونحو ذلك من الأذكار ويكون بالقلب وهو أن يتشكر في عظمة الله تعالى وفي الدلائل الدالة على وحدانيته ويكون بالجوارح وهو أن تكون مستفرقة في الأعمال التي أمروا بها مثل الصلاة وسائر الطاعات التي للجوارح فيها فعل (أذكركم) أي بالثواب والرضا عنكم قال ابن عباس

من الله واجب. قوله تعالى (كما أرسلنا فيكم) هذه الكاشف للتشبيه ويحتاج إلى شيء يرجع إليه فقيل بعضهم يرجع إلى ما قبلها معناه ولأنتم نعمتي عليكم كما أرسلنا فيكم رسولا منكم قال محمد بن جرير دعا إبراهيم عليه السلام بدعوتين إحداهما قال: ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك، والثانية قوله: ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فبعث الله الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعدته إجابة الدعوة الثانية بأن يجعل من ذريته أمة مسلمة يعني كما أجيبت دعوته ببعث الرسول كذلك أجيبت دعوته بأن أهدبكم لدينه وأجعلكم مسلمين وأنتم نعمتي عليكم ببيان شرائع الملة الخيافية وقال مجاهد وعطاء والكلبي

هي متعانة بما بعدها وهو قوله: فأذكروني أذكركم معناه كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فأذكروني. وهذه الآية خطاب لأهل مكة والعرب يعني كما أرسلنا فيكم بامعشر العرب (رسولا منكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (يتلو عليكم آياتنا) يعني القرآن (وزكركم ويعلمكم الكتاب والحكمة) قبل الحكمة السنة وقيل مواظب القرآن (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) من الأحكام وشرائع الإسلام (فأذكروني أذكركم) قال ابن عباس أذكروني بطاعتي أذكركم بمعترتي وقيل أذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في الشدة والبلاء، بيانه وقوله لا أنه كان من المسيحين لبث في بطنه

للى يوم يبعثون ، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد الملبحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا عمر بن حفص أخبرنا أبي أخبرنا الأعمش قال سمعت أبا صالح عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خبير منه وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا ومن أتاني بمشي أتيته هرولة ، أخبرنا الإمام (١٣٦) أبو علي الحسين بن محمد بن القاضى وثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة

الكشيحي قال حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان أخبرنا أبو أحمد محمد ابن قريش بن سليمان ، أخبرنا أبو عبد الملك الدمشقي أخبرنا سليمان ابن عبد الرحمن أخبرنا منذر بن زياد عن محضر ابن جويرية عن الحسن عن أنس قال إني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد أنامل هذه العشر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تعالى يقول : يا ابن آدم إن ذكرني في نفسك ذكرتك في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرتك في ملأ خبير منه وإن دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعا وإن دنوت مني ذراعا دنوت منك باعا وإن مشيت إلى

أذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي وقيل أذكروني في التعمه والرخاء أذكركم في الشدة والبلاء وقال أهل المعاني أذكروني بالتوحيد والإيمان أذكركم بالجنان والرضوان وقيل أذكروني بالاخلاص أذكركم بالخلوص أذكروني بالقلوب أذكركم بغفران الذنوب أذكروني بالدعاء أذكركم بالعطاء (ق) علي أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خبير منه وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة ، قوله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي قيل معناه بالغفران إذا استغفر وبالقبول والإجابة إذا دعا وبالكفاية إذا طلب الكفاية . وقيل المراد منه تحقيق الرجاء وتأميل العفو وهذا أصح . قوله : وأنا معه إذا ذكرني يعني بالرحمة والتوفيق والمداية والإعانة . وقوله فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي . النفس في اللغة لها معان : منها ذات الشيء والله تعالى له ذات حقيقة . ومنها الغيب فعلى هذا يكون المعنى فإن ذكرني خاليا ذكرته بالإثابة والحجازة مما لا يطلع عليه أحد . قوله وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خبير منه . الملأ أشراف الناس وعظماؤهم الذين يرجع إلى رأيهم وهذا مما استدلت به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملائكة على الأنبياء . وأجيب عنه بأن الذكر غالبا يكون في جماعة لا نبي فيهم . قوله وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا الخ . وهذا من أحاديث الصفات ويستحيل إرادة ظاهره فلا بد من التأويل فعلى هذا يكون ذكر الشبر والذراع والباع والمشى والهرولة استعارة ومجازا فيكون المراد بقرب العبد من الله تعالى التقرب بالذكر والطاعة والعمل الصالح والمراد بقرب الله من العبد قرب نعمه والطفه وبره وكرمه وإحسانه إليه وفض موابه ورحمته عليه والمعنى كلما زاد بالطاعة والذكر زدت بالبر والإحسان وإن أتاني يمشي في طاعتي أتيته هرولة أي صيبت عليه الرحمة صبا وسبقته بها (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت في شفتاه ، (ق) عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحى والميت (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات ، المفردون الذين ذهب القرن الذي كانوا فيه وبقوا وهم

يذكرون

هرولت إليك وإن هرولت إلى سمعت إليك وإن سألتني أعطيتك

وإن لم تسألني غضبت عليك . أخبرنا عبد الواحد الملبحي أخبرنا أبو منصور السمعا في أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يحيى بن عبد الله أخبرنا الأوزاعي أخبرنا إسماعيل بن عبد الله عن أبي النرداء عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت في شفتاه ، أخبرنا عبد الواحد الملبحي أخبرنا عبد الرحمن أبو شرح أنا أبو القاسم اليعقوبى أخبرنا علي بن الجعد أخبرنا إسماعيل بن عياش أخبرنا عمرو بن قيس السكوني عن عبد الله بن بشير المازني قال : جاء أعرابي إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟

قال أن لا تفارق الدنيا إلا ولسانك رطب من ذكر الله تعالى . قوله تعالى (١٢٧) (واشكروا لي ولا تكفرون)

يعنى واشكروا لي
بالطاعة ولا تكفرون
بالمعصية فان من أطاع
الله فقد شكره ومن عصاه
فقد كفره قوله تعالى
(يا أيها الذين آمنوا
استعينوا بالصبر والصلوة
إن الله مع الصابرين)
بالعون والذصرة (ولا
تقولوا لمن يقتل في سبيل
الله أموات) نزلت
في قتلى بدر من المسلمين
وكانوا أربعة عشر رجلا
سنة من المهاجرين وثمانية
من الأنصار كان الناس
يقولون لمن يقتل
في سبيل الله مات فلان
وذهب عنه نعيم الدنيا
ولدتها فأزول الله تعالى :
ولا تقولوا لمن يقتل في
سبيل الله أموات (بل
أحياء ولكن لا تشعرون)
كما قال في شهاد أحد
ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله أمواتا بل
أحياء عند ربهم يرزقون
قال الحسن إن الشهداء
أحياء عند الله تعالى
تعرض أرواحهم على
أرواحهم فيصل إليهم
الروح والفرح كما
تعرض النار على أرواح
آل فرعون غدوة
وعشية فيصل إليهم

بذكرون الله تعالى ، ويقال ففرد الرجل إذا تفقه واعتزل . وقوله تعالى (واشكروا لي) يعنى
بالطاعة (ولا تكفرون) أى بالمعصية فن أطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره . قوله
عز وجل (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة) إنما خصهما بذلك لما فيهما من المعونة
على العبادات ؛ أما الصبر فهو حبس النفس على احتمال المنكارة في ذات الله وتوطئتها على تحمل
المشاق في العبادات ومحارم الطاعات وتجنب الجزع وتجنب المحظورات ومن الناس من حمل الصبر على
الصوم وفسره به ومنهم من حملاه على الجهاد وأما الاستعانة بالصلوة فلأنها تجب أن تفعل على طريق
الخشوع والتدلل للمعبود والإخلاص له . وقيل استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض
وبالصلوات الخمس في مواقيتها على تمحيص الذنوب (إن الله مع الصابرين) أى بالعون والنصر
(ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات) نزلت فيمن قتل بدر من المسلمين وكانوا أربعة
عشر رجلا ستة من المهاجرين وهم عبدة بن الحارث بن عبد المطلب وعمير بن أبي وقاص بن
أهيب بن عبد مناف بن زهرة الزهري أخو سعد بن أبي وقاص وذو الشايبين وأسمه عمير بن
عبد عمرو بن العاص بن نضلة بن عمرو بن خزاعة ثم بنى غبشان وعافل بن البكير من بني سعد بن
ليث بن كنانة ومهجع مولى لعمر بن الخطاب وصفوان بن بيضاء من بني الحارث بن فهر ومن
الأنصار ثمانية هم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد بن المنذر ويزيد بن الحرث بن قيس بن فضلم وعمير
ابن الحمام ورافع بن المعلبي وحارثة بن سراقة وعوف ومعوذ ابنا الحارث بن رفاع بن سواد وهما ابنا
عفراء وهما كانا الناس يقولون لمن قتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولدتها فأزول
الله تعالى هذه الآية وقيل أن الكفار والمنافقين قالوا إن الناس يمتثلون أنفسهم ظلما لمرضاة محمد
من غير فائدة فنزلت هذه الآية وأخبر أن من قتل في سبيل الله فإنه حتى بقوله تعالى (بل أحياء)
وإنما أحياءهم الله عز وجل في الوقت لأبصال الثواب إليهم . وعن الحسن إن الشهداء أحياء عند
الله تعالى تعرض أرواحهم على أرواحهم ويصل إليهم الروح والريحان والفرح كما تعرض
النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشية فيصل إليهم الألم والوجع ففيه دليل على أن المطيعين
الله يصل إليهم ثوابهم وهم في قبورهم في البرزخ وكذلك العصاة يعذبون في قبورهم . فان قلت
نحن نراهم موتى فما معنى قوله بل أحياء وما وجه النهي في قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل
الله أموات . قلت معناه لا تقولوا أموات بمنزلة غيرهم من الأموات بل هم أحياء فصل
أرواحهم إلى الجنان كما ورد في إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تروح في الجنة فهم
أحياء من هذه الجهة وإن كانوا أمواتا من جهة خروج الروح من أجسادهم وجواب آخر
وهو أنهم أحياء عند الله تعالى في عالم الغيب لأنهم صاروا إلى الآخرة فنحن لا نشاهدهم
كذلك وبدل على ذلك قوله تعالى (ولكن لا تشعرون) أى لا تروهم أحياء فتعلموا ذلك
حقيقة وإنما تعلمون ذلك بأخبارى إياكم به . فان قلت ليس سائر المطيعين من المسلمين لله يصل
إليهم من نعيم الجنة في قبورهم فلم خصص الشهداء بالذكر . قلت إنما خصهم لأن الشهداء
فضلوا على غيرهم بمزيد النعيم وهو أنهم يرزقون من مطاعم الجنة وما كلفها وغيرهم ينعمون
بمادون ذلك وجواب آخر وهو أنه رد لقول من قال أن من قتل في سبيل الله قدم مات وذهب
عنه نعيم الدنيا ولدتها فأخبر الله تعالى بقوله : بل أحياء بأنهم في نعيم دائم . قوله عز وجل
(ولتبلونكم) أى ولتختبرنكم بأمة محمد واللام جواب القسم تقديره والله لتبلونكم والابتلاء

الوجع . قوله تعالى (ولتبلونكم) أى ولتختبرنكم بأمة محمد واللام جواب القسم المحذوف تقديره والله لتبلونكم والابتلاء من
الله لإظهار المطيع من العاصي ، لا يعلم شيئا لم يكن عالما به .

لإظهار الطائع من العاصي لا يعلم شيئا لم يكن علما به فإنه سبحانه وتعالى عالم بجميع الأشياء قبل كونها وحدثها (بشيء) إنما قال بشيء ولم يقل بأشياء لكلا يوهم أن أشياء تدل على ضروب من الخوف وكذلك الباقي فلما قال بشيء كان التقدير بشيء من الخوف وبشيء من الجوع. وقيل معناه بشيء قليل من هذه الأشياء (من الخوف) قال ابن عباس يعني خوف العدو والخوف توقع مكروه يحصل منه ألم في القلب (والجوع) يعني القحط وتعذر حصول القوت (ونقص من الأموال) يعني بالهلاك والحسران (والأنفس) أي ونقص من الأنفس بالموت أو القتل (والثمرات) يعني الجوائح في الثمار وقيل قد يكون بالجدب أيضا وبترك العمل والعمارة في الأشجار. وحكى عن الشافعي رضي الله عنه في تفسير هذه الآية قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الأموال يعني إخراج الزكاة والصدقات والأنفس يعني بالأمراض والثمرات يعني موت الأولاد لأن ولد الرجل ثمرته قلبه. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد الملبحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرباني أخبرنا حيد بن زنجويه أخبرنا الحسن بن موسى أخبرنا حماد بن سلمة عن أبي سنان قال: دقت ابني سنانا وأبو ظلمحة الخولاني على شفير القبر فلما أردت الخروج أخذ بيدي فأخرجني فقال: ألا أبشرك؟ حدثني الضحاك عن عروة عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات ولد العبد قال الله ملائكته: أقبضتم ولد عبدي؟ قالوا نعم قال أقبضتم ثمرة فؤاده قالوا نعم قال فإذا قالوا: حمدك واسترجع قال ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد. أخرجه الترمذي وقال حديث حسن. فان قلت ما الحكمة في تقديم تعريف هذا الابتلاء في قوله: ولنبؤنكم في ذلك البلاء لم يخرج. ومنها أن الكفار إذا شاهدوا المؤمنين مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول البلاء صابرين له علموا بذلك صحة الدين فيدعوهم ذلك إلى متابعتهم والبخول فيه. ومنها أن الله تعالى أخبر بهذا الابتلاء قبل وقوعه فإذا وقع كان ذلك إخبارا عن غيب فيكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها أن المنافقين إنما ظهروا الإيمان طمعا في المال وسعة الرزق من الغنائم فلما أخبر الله أنه مبتلى عباده فعند ذلك تميز المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب ومنها أن الإنسان في حال الابتلاء أشد إخلاصا لله منه في حال الرخاء فإذا علم أنه مبتلى دام على التصرع والانهال إلى الله تعالى لينجيته مما عسى أن ينزل به من البلاء ثم قال تعالى (وبشر الصابرين) يعني عند نزول البلاء والمعنى وبشر يا محمد الصابرين على امتحاني بما أمتحنهم به من الشدائد والمكاره ثم وصفهم بقوله تعالى (الذين إذا أصابهم مصيبة) أي ثابتة وابتلاء (قالوا إنا لله) أي عبدا وملكا (وإنا إليه راجعون) يعني في الآخرة (م) عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيرا منها إلا أجره الله في مصيبته واخلف له خيرا منها» قبل ما أعطى أحد ما أعطيت هذه الأمة يعني الاسترجاع عند المصيبة ولو أعطى أحد لأعطى يعقوب عليه السلام ألا تسمع إلى قوله عند فقد يوسف يا آسنى على يوسف. وقيل في قول العبد إنا لله وإنا إليه راجعون تنويص منه إلى الله وأنه راض بكل ما نزل به من المصائب

والهلاك (والأنفس) يعني بالقتل والموت وقيل بالمرض والشيب (والثمرات) يعني الجوائح في الثمار وحكى عن الشافعي أنه قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام رمضان ونقص من الأموال أداء الزكاة والصدقات والأنفس الأمراض والثمرات موت الأولاد لأن ولد الرجل ثمرته قلبه. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد الملبحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرباني أخبرنا حيد بن زنجويه أخبرنا الحسن بن موسى أخبرنا حماد بن سلمة عن أبي سنان قال: دقت ابني سنانا وأبو ظلمحة الخولاني على شفير القبر فلما أردت الخروج أخذ بيدي فأخرجني فقال: ألا أبشرك؟ حدثني الضحاك عن عروة عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات ولد العبد قال الله ملائكته: أقبضتم ولد عبدي؟ قالوا نعم قال أقبضتم ثمرة فؤاده قالوا نعم قال فإذا قالوا: حمدك واسترجع قال ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد. أخرجه الترمذي وقال حديث حسن. فان قلت ما الحكمة في تقديم تعريف هذا الابتلاء في قوله: ولنبؤنكم في ذلك البلاء لم يخرج. ومنها أن الكفار إذا شاهدوا المؤمنين مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول البلاء صابرين له علموا بذلك صحة الدين فيدعوهم ذلك إلى متابعتهم والبخول فيه. ومنها أن الله تعالى أخبر بهذا الابتلاء قبل وقوعه فإذا وقع كان ذلك إخبارا عن غيب فيكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها أن المنافقين إنما ظهروا الإيمان طمعا في المال وسعة الرزق من الغنائم فلما أخبر الله أنه مبتلى عباده فعند ذلك تميز المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب ومنها أن الإنسان في حال الابتلاء أشد إخلاصا لله منه في حال الرخاء فإذا علم أنه مبتلى دام على التصرع والانهال إلى الله تعالى لينجيته مما عسى أن ينزل به من البلاء ثم قال تعالى (وبشر الصابرين) يعني عند نزول البلاء والمعنى وبشر يا محمد الصابرين على امتحاني بما أمتحنهم به من الشدائد والمكاره ثم وصفهم بقوله تعالى (الذين إذا أصابهم مصيبة) أي ثابتة وابتلاء (قالوا إنا لله) أي عبدا وملكا (وإنا إليه راجعون) يعني في الآخرة (م) عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيرا منها إلا أجره الله في مصيبته واخلف له خيرا منها» قبل ما أعطى أحد ما أعطيت هذه الأمة يعني الاسترجاع عند المصيبة ولو أعطى أحد لأعطى يعقوب عليه السلام ألا تسمع إلى قوله عند فقد يوسف يا آسنى على يوسف. وقيل في قول العبد إنا لله وإنا إليه راجعون تنويص منه إلى الله وأنه راض بكل ما نزل به من المصائب

فؤاده قالوا نعم قال فإذا قال عبدي؟ قالوا: استرجع وحمدك قال ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد (أولئك وبشر الصابرين) على البلايا والرزايا ثم وصفهم فقال (الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله) عبدا وملكا (وإنا إليه راجعون)

في الآخرة. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد (١٢٩) بن سمعان أخبرنا أبو جعفر

(أولئك) يعني من هذه صفتهم (عليهم صلوات من ربهم) قال ابن عباس أي مغفرة من ربه ومنت قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى، أي اغفر لهم وارحمهم وإنما جمع الصلوات لأنه عن مغفرة بعد مغفرة ورحمة بعد رحمة (ورحمة) قال ابن عباس ونعمة والرحمة من الله إنعامه وإفضائه وإحسانه، ومن الآدميين رقة وتعطف. وإنما ذكر الرحمة بعد الصلوات لأن الصلاة من الله الرحمة لاتساع المعنى واتساع اللفظ وتفعل ذلك العرب كثيرا إذا اختلف اللفظ واتفق المعنى وقيل كررها للتأكيد أي عليهم رحمة بعد رحمة (وأولئك هم المهتدون) يعني إلى الاسترجاع. وقيل إلى الجنة الفائزين بالثواب. وقيل المهتدون إلى الحق والصواب. وقال عمر بن الخطاب: نعم العبدان ونعمت العداوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعداوة الهداية.

(فصل) في ذكر أحاديث وردت في ثواب أهل البلاء وأجر الصابرين؛

(خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من يرد الله به خيرا يصيب منه» يعني يتلبه بالمصائب حتى يأجره على ذلك (ق) عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال «ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله عنه بها خطايا» والنصب التعب والإعياء والوصب المرض (ق) عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا - ط الله عنه من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها» (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيثه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تنبز حتى تحصد» الأرز شجر معروف بالشام ويعرف في العراق ومصر بالصنوبر والصنوبر ثمرة الأرزة وقيل: الأرزة الثابتة في الأرض. عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا أراد الله بعبده خيرا عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبده شرا أمسك عنه حتى يوافق يوم القيامة» وبهذا الإستاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط» أخرجه الترمذي. وله عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرصت في الدنيا بالمقارض» وله عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده حتى يلتقي الله وما عليه خطيئة» وقال حديث حسن صحيح (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال الله تعالى ما لعبدى المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة» عن سعد بن أبي وقاص قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يتلى الرجل على دينه فان كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة هون عليه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن.

(١٧ - خازن بالبغوي - أول) صلوات أي رحمة فان الصلاة من الله الرحمة والرحمة ذكرها الله تأكيدا وجب الصلوات، أي رحمه (وأولئك هم المهتدون) إلى الاسترجاع. وقيل إلى الجنة والثواب قال عمر

رضي الله عنه : نعم العبدان ونعمت العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلوة الهداية وقد وردت أخبار في ثواب أهل البلاء وأجر الصابرين منها ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه قال سمعت أبا الحباب سعد بن يسار يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من برد الله به خبرا يصب منه » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن محمد أخبرنا عبد الملك بن عمر أخبرنا زهير بن محمد عن محمد بن عمرو بن حلحلة عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما يصب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها » أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني ، أخبرنا أبو جعفر الثريائي أخبرنا حميد بن زنجويه أنا محمد بن عبيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال جاءت امرأة بها لم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ادع الله لي أن يشفي قال « إن شئت دعوت الله أن يشفيك وإن شئت فاصبري ولا حساب عليك » قالت بل أصبر ولا حساب علي . أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو سعيد خلف بن عبد الرحمن بن أبي نزار أخبرنا أبو منصور العباس بن الفضل النضروي أخبرنا أحمد بن نوح أخبرنا يحيى بن عبد الحميد الحماني أخبرنا حماد بن زيد عن عاصم هو ابن أبي التجدود عن مصعب بن سعد عن سعد قال مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٣٠) عن أشد الناس بلاء قال « الأنبياء والأئمة فالأمثل فالأمثل يبتلى الله الرجل على

حسب دينه فإن كان في دينه صلحا ابتلى على قدر ذلك وإن كان في دينه رقة هون عليه فما يزال كذلك حتى يمشي على الأرض وماله ذنب » أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور

قوله عز وجل : (إن الصفا والمروة من شعائر الله) الصفا جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة المسماة . وقيل هي الحجارة الصافية . والمروة الحجر الرخو ، وجمعها مرو ومروات وهذا أصلهما في اللغة وإنما عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرق المسعى ولذلك أدخل فيهما الألف واللام وشعائر الله أعلام دينه وأصلها من الإشعار وهو الإعلام واحدها شعيرة وكل ما كان معلما لقربان يتقرب به إلى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة من شعائر الله . ومشاعر الحج معاملة الظاهرة للحوائس ويقال شعائر الحج فالمطاف والموقف والمنحر كلها شعائر والمراد بالشعائر هنا المناسك التي جعلها الله أعلاما لظاعته فالصفا والمروة منها حيث يسمى

السمعاني أخبرنا أبو جعفر الثريائي أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبد الله بن صالح بينهما

قال حدثني الليث حدثني يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن سنان عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن عظم الجزاء عند الله مع عظم البلاء فإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط » أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالح أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحبري أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقي الله وما عليه من خطيئة » أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران أخبرنا أبو إسماعيل بن محمد الصفار ، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهمز حتى تستحصد » أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبي إسحاق عن العيزار بن حرب عن عمرو بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ « عجبا لأمة مؤمن إن أصابه خبر حمد الله وشكره وإن أصابه مصيبة حمد الله وصبر فالمؤمن يؤجر في كل أمره حتى يؤجر في القصة برفعها إلى في أمراته » قوله تعالى (إن الصفا والمروة من شعائر الله) الصفا جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة المسماة يقال صفاة وصفا مثل حصاة وحصى ونواة ونوى والمروة الحجر الرخو وجمعها مروات وجمع الكثير مرو مثل تمرة وتمرات وتمر ، وإنما عنى بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرق المسعى ولذلك أدخل فيهما الألف واللام

وشعائر الله أعلام دينه أصلها من الإشعار وهو الإعلام واحدها شعيرة وكل ما كان معلما لقربات يتقرب به إلى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة فالمطاف والموقف والنحر كلها شعائر الله، ومثلها المشاعر والمراد بالشعائر ههنا المناسك التي جعلها الله أعلاما لطاعته فالصفا والمروة منها حتى يطاف بهما جميعا (فمن حج البيت أو اعتمر) فالحج في اللغة القصد والعمرة الزيارة وفي الحج والعمرة المشروعين قصد زيارة (فلا جناح عليه) أي لا إثم عليه وأصله من جنح أي مال عن القصد (أن يطوف بهما) أي يدور بهما وأصله يتطوف أدغمت التاء في الطاء . وسبب نزول هذه الآية أنه كان على الصفا والمروة صبيان إساف ونائلة وكان إساف على الصفا ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين . وقد سحون بهما فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كان المسلمون يخرجون عن السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة والمشروعين قصد الزيارة (فلا جناح عليه) أي فلا إثم عليه وأصله من جنح إذا مال عن القصد المستقيم (أن يطوف بهما) أي يدور بهما ويسعى بينهما . وسبب نزول هذه الآية أنه كان على الصفا والمروة صبيان إساف ونائلة فكان إساف على الصفا ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام تخرج المسلمون عن السعي بين الصفا والمروة فأنزل الله هذه الآية وإذن في السعي بينهما وأخبر أنه من شعائر الله (ق) عن عاصم بن سليمان الأحول قال قلت لأنس : أكنتم تكبرون السعي بين الصفا والمروة؟ فقال نعم لأنها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله « إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » . وفي رواية قال كانت الأنصار

بينهما (فمن حج البيت) قصد البيت هذا أصله في اللغة وفي الشرع عبارة عن أفعال مخصوصة لإقامة المناسك (أو اعتمر) أي زار البيت والعمرة الزيارة في الحج والعمرة المشروعين قصد الزيارة (فلا جناح عليه) أي فلا إثم عليه وأصله من جنح إذا مال عن القصد المستقيم (أن يطوف بهما) أي يدور بهما ويسعى بينهما . وسبب نزول هذه الآية أنه كان على الصفا والمروة صبيان إساف ونائلة فكان إساف على الصفا ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام تخرج المسلمون عن السعي بين الصفا والمروة فأنزل الله هذه الآية وإذن في السعي بينهما وأخبر أنه من شعائر الله (ق) عن عاصم بن سليمان الأحول قال قلت لأنس : أكنتم تكبرون السعي بين الصفا والمروة؟ فقال نعم لأنها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله « إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » . وفي رواية قال كانت الأنصار

حبيبة لإحدى نساء بني عبدالدار، قالت دخلت مع نسوة من قريش دار آل أبي حسين فنظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرأيت يسعى وإن مئزره ليدور من شدة السعي حتى لأقول إنني لأرى ركبته وسمعته يقول اصعوا فإن الله كتب عليكم السعي»

أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال « قلت لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم رأيت قول الله تعالى « إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » فما أرى علي أحد شيئا إلا يطوف بهما قالت عائشة : كلا لو كانت كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذوقا وكانوا يخرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله تعالى « إن الصفا والمروة من شعائر الله » الآية وقال عاصم قلت لأنس مالك أكنتم تكبرون السعي بين الصفا والمروة فقال نعم لأنها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله تعالى « إن الصفا والمروة من شعائر الله » أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المسجد وهو يريد الصفا يقول قيدا بما بدأ الله تعالى به فبدأ بالصفا وقال كان إذا وقف على الصفا يكبر ثلاثا ويقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير يصنع ذلك ثلاث مرات ويدعو ويصنع على المروة مثل ذلك وقال كان إذا نزل من الصفا مشى حتى إذا انصبت قدماءه في بطن الوادي يسعى حتى يخرج منه ، قال مجاهد رحمه الله حج موسى عليه السلام على جبل أحمر وعليه عباستان قطونايتان فطاف بالبيت ثم صعد الصفا ودعا ثم هبط إلى السعي وهو يلبى فيقول « لبيك اللهم لبيك » فقال الله تعالى « لبيك عبدي أنا معك وسماع لك وتناظر إليك » فخر

يكرهون أن يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت « إن الصفا والمروة من شعائر الله » .
 (فصل) اختلف العلماء في حكم السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة
 إلى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن وإليه ذهب مالك والشافعي وذهب
 قوم إلى أنه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين وذهب الثوري وأبو حنيفة إلى أنه
 ليس بركن وعلى من تركه دم وروى عن ابن الزبير ومجاهد وعطاء أن من تركه فلا شيء
 عليه واختلفت الرواية عن أحمد في ذلك فروى عنه أن من ترك السعي بين الصفا والمروة لم يجزه
 حجاً وروى عنه أنه لا شيء في تركه عمداً ولا سهواً ولا ينبغي أن يتركه ونقل الجمهور عنه أنه
 تطوع وسبب هذا الاختلاف أن قوله تعالى « فلا جناح عليه » يصدق عليه أنه لا إثم عليه في فعله
 فدخل تحته الواجب والمندوب والمباح فظاهر هذه الآية لا يدل على أن السعي بين الصفا والمروة
 واجب أو ليس بواجب لأن اللفظ الدال على القدر المشترك بين الأقسام الثلاثة لا دلالة فيه
 على خصوصية أحدهما فإذا لا بد من دليل خارج يدل على أن السعي واجب أو غير واجب
 فحجة الشافعي ومن وافقه في أن السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة ما روى
 الشافعي بسنده عن صفية بنت شيبة قالت أخبرتني بنت أبي تجرة واسمها حبيبة إحدى نساء بني
 عبد الدار قالت دخلت مع نسوة من قريش دار آل أبي حسين فنظر إلى النبي صلى الله عليه
 وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرأيت بسمي وإن مئزره لينور من شدة السعي حتى لأقول
 إنني لأرى ركبته وسمعته يقول « اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي » وصححه الدارقطني (ق) عن
 عروة بن الزبير قال قلت لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم رأيت قول الله « إن الصفا
 والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » فما أرى على
 أحد شيئاً أن لا يطوف بهما فقالت عائشة كلا لو كان كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف
 بهما إنما نزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يهلون لمناة وكانت مائة حذو قديد وكانوا يتخرجون
 أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الإسلام سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُزيل
 الله تعالى : إن الصفا والمروة من شعائر الله الآية (م) عن جابر في حديثه الطويل في صفة حجة
 الوداع قال « ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ « إن الصفا والمروة من شعائر
 الله بدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا » الحديث فإذا ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم سعى وجب
 علينا السعي لقوله تعالى فاتبعوه ، ولقوله صلى الله عليه وسلم « حللوا عني مناسككم » والأمر للوجوب
 ومن القياس أن السعي أشواط شرعت في بئرة من بقاع الحرم ويؤتى به في إحرام كامل فكان
 ركناً كطواف الزيارة واحتج أبو حنيفة ومن لا يرى وجوب السعي بقوله « فلا جناح عليه أن
 يطوف بهما » وهذا لا يقال في الواجبات ثم انه تعالى أكد ذلك بقوله (ومن تطوع خيراً) فيبين
 أنه تطوع وليس بواجب . وأجيب عن الأول بأن قوله تعالى : « فلا جناح عليه » ليس فيه إلا أنه
 لا إثم على فعله وهذا القدر مشترك بين الواجب وغيره كما تقدم بيانه فلا يكون فيه دلالة على
 نفي الوجوب . وعن الثاني وهو التمسك بقوله تعالى « ومن تطوع خيراً » فضعيف لأن هذا لا يقتضي
 أن يكون المراد من هذا التطوع هو الطواف المذكور أولاً بل يجوز أن يكون المقصود منه شيئاً
 آخر يدل على ذلك قول الحسن إن المراد من قوله : « ومن تطوع خيراً » جميع الطاعات في الدين
 يعني فعل فعلاً زائداً على ما فرض عليه من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة وطواف وغير

موسى عليه السلام
 ساجداً . قوله تعالى (ومن
 تطوع خيراً) قرأ حمزة
 والكسائي بإياء وتشديد
 الطاء ، وجزم العين
 وكذلك الثانية فمن تطوع
 خيراً فهو خير له وأن
 تصوموا بمعنى يتطوع
 ووافق يعقوب في الأول
 وقرأ الباقون بالتاء وفتح
 العين في الماضي . وقال
 مجاهد معناه فمن تطوع
 بالطواف بالصفا والمروة
 وقال مقاتل والسكابي :
 فمن تطوع أي زاد في
 الطواف بعد الواجب
 وقيل من تطوع بالحج
 والعمرة بعد أداء الحجة
 الواجبة عليه . وقال الحسن
 وغيره : أراد سائر
 الأعمال ، يعني فعل غير
 المفترض عليه من زكاة
 وصلاة

وطواف وغيرها من أنواع الطاعات (فإن الله شاكر) مجاز لعبده بعمله (علم) بنيته. والشكر من الله تعالى أن يعطى لعبده فوق ما يستحق يشكر ليسير ويعطى الكثير. قوله تعالى (إن الذين يكتفون ما أنزلنا (١٢٣) من البينات والهدى من بعد ما بيناه

لناس في الكتاب) نزلت في علماء اليهود كتفوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغيرها من الأحكام التي كانت في التوراة (أولئك يلعنهم الله) وأصل اللعن الطرد والعد (ويلعنهم اللاعنون) أي يسألون الله أن يلعنهم ويشولون اللهم العنهم. واحتفظوا في هؤلاء اللاعنين قال ابن عباس جميع الخلاق إلا الجن والإنس وقال قتادة هم الملائكة وقال عطاء الجن والإنس وقال الحسن جميع عباد الله قال ابن مسعود ما تلاعن اثنان من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين كتفوا أمر محمد ﷺ وصفته. وقال مجاهد اللاعنون البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر وقالت هذا من شؤم ذنوب بني آدم ثم استثنى فقال (إلا الذين تابوا) من الكفر (وأصلحو) فيها بينهم وبين ربهم (ويتوبوا) ما كتفوا (فأولئك

ذلك من أنواع الطاعات. وقال مجاهد. ومن تطوع خيرا بالطواف بهما وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما فرضا وقيل معناه ومن تطوع خيرا فزاد في الطواف بعد الواجب والقول الأول أولى للعموم (فإن الله شاكر) أي مجاز على الطاعة (علم) أي بنيته وحقيقة الشاكر في اللغة هو المظهر للانعام عليه والشكر هو تصور النعمة وإظهارها والله تعالى لا يوصف بذلك لأنه لا يلحقه المنافع والمضار فالشاكر في صفة الله تعالى مجاز فإذا وصف به أريد به أنه المجازي على الطاعة بالثواب إلا أن اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد مظهرة في الإحسان إليهم. قوله عز وجل (إن الذين يكتفون ما أنزلنا من البينات والهدى) نزلت في علماء اليهود الذين كتفوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغيرها من الأحكام التي كانت في التوراة وقيل إن الآية على العموم فمن كتف شيئا من أمر الدين لأن اللفظ عام والعبارة يوم اللفظ لا بخصوص السبب ومن قال بالقول الأول وإنما في اليهود قال إن الكتم لا يصح إلا منهم لأنهم كتفوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الكتمان ترك إظهار الشيء مع الحاجة إلى بيانه وإظهاره فمن كتف شيئا من أمر الدين فقد عظمت مصيبته (ق) عن أبي هريرة قال لولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدثت شيئا أبدا «إن الذين يكتفون ما أنزلنا من البينات والهدى» وقوله «وإذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه» إلى آخر الآيتين، وهل إظهار علوم الدين فرض كفاية أو فرض عين فيه خلاف والأصح أنه إذا ظهر للبعض بحيث يتمكن كل واحد من الوصول إليه لم يبق مكتوما وقيل متى سئل العالم عن شيء يعلمه من أمر الدين يجب عليه إظهاره وإلا فلا (من بعد ما بيناه للناس في الكتاب) يعني في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المراد بالناس علماء بني إسرائيل ومن قال إن المراد بالكتاب جميع ما أنزل الله على أنبيائه من الأحكام قال المراد بالناس العلماء كافة (أولئك) يعني الذين يكتفون ما أنزل الله من البينات والهدى (يلعنهم الله) أي يبعدهم من رحمته وأصل اللعن في اللغة الطرد والإبعاد (ويلعنهم اللاعنون) قال ابن عباس جميع الخلاق إلا الجن والإنس وذلك أن البهائم تقول إنما معنا القطر بمعاصي بني آدم وقيل اللاعنون هم الجن والإنس لأنه وصفهم بوصف من يعفن وقيل ما تلاعن اثنان من المسلمين إلا رجعت إلى اليهود والنصارى الذين كتفوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنى فقال تعالى (إلا الذين تابوا) أي ندموا على ما فعلوا فرجعوا عن الكفر إلى الإسلام (وأصلحو) يعني الأعمال فيما بينهم وبين الله تعالى (ويتوبوا) يعني ما كتفوا من العلم (فأولئك أتوب عليهم) أي أتجاوز عنهم وأقبل توبتهم (وأنا التواب) أي المتجاوز عن عبادي الرجاء بقلوبهم المنصرفة عني إلى (الرحيم) يعني بهم بعد إقبالهم على. قوله عز وجل (إن الذين كفروا وما توبوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) قيل هذا اللعن يكون يوم القيامة يؤتى بالكافر فيوقف فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس أجمعون. فإن قات الكافر لا يلعن نفسه ولا يلعنه أهل دينه وملته فما معنى قوله والناس أجمعين. قلت فيه أوجه: أحدها أنه أراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون. الثاني أن الكفار يلعن بعضهم بعضا يوم القيامة. الثالث أنهم يلعنون الظالمين والكفار من الظالمين فيكون قد لعن نفسه

أتوب عليهم) أتجاوز عنهم وأقبل توبتهم (وأنا التواب) الرجاء بقاوب عبادي المنصرفة عني إلى (الرحيم) بهم بعد إقبالهم على (إن الذين كفروا وما توبوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة) أي لعنة الملائكة (والناس أجمعين) قال أبو العالية هذا يوم

القيامة يوقف الكافر فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس . فان قيل فقد قال والناس أجمعين والملعون هو من جملة الناس فكيف يلعن نفسه . قيل يلعن نفسه (١٣٤) في القيامة قال الله تعالى « ويلعن بعضكم بعضا » وقيل إنهم يلعون

الظالمين والكافرين ومن يلعن الظالمين والكافرين وهو منهم فقد لعن نفسه (خالدين فيها) مقيمين في اللعنة وقيل في النار (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) لا يمهلون ولا يؤجلون . وقال أبو العالية لا ينظرون فيعتنوا بكفوله تعالى « ولا يؤذونهم فيعتنوا » قوله تعالى (وإلهم الله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) سبب نزول هذه الآية أن كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه ، فأزل الله تعالى هذه الآية وسورة الإخلاص . والواحد الذي لا نظير له ولا شريك له ، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور السماعي أخبرنا أبو جعفر الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا بكر بن إبراهيم وأبو عاصم عن عبد الله بن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أنها قالت : سمعت النبي ﷺ يقول « إن في هاتين الآيتين اسم الله الأعظم : وإلهم الله

(خالدين فيها) أي مقيمين في اللعنة وقيل في النار وإنما أضمرت لعظم شأنها (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أي لا يمهلون ولا يؤجلون . وقيل لا ينظر إليهم نظر رحمة .

(فصل فيما يتعلق بهذه الآية من الحكم) قال العلماء لا يجوز لعن كافر معين لأن حاله عند الوفاة لا يعلم فلعنه يموت على الإسلام وقد شرط الله في هذه الآية إطلاق اللعنة على من مات على الكفر ويجوز لعن الكفار يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجدلوا فيها فباعوها » وذهب بعضهم إلى جواز لعن إنسان معين من الكفار بدليل جواز قتاله وأما العصاة من المؤمنين فلا يجوز لعنة أحد منهم على التعيين وأما على الإطلاق فيجوز لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لعن الله السارق يسرق البيضة والحبل فتنقطع يده » ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة وآكل الربوا ومؤكله ولعن من غير منار الأرض ومن انتسب لغير أبيه وكل هذه في الصحيح . قوله عز وجل (وإلهم الله واحد) سبب نزول هذه الآية أن كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه ، فأزل الله هذه الآية وسورة الإخلاص ومعنى الوحدة الإنفراد وحقيقة الواحد هو الشيء الذي لا يتبعض ولا ينقسم والواحد في صفة الله أنه واحد لا نظير له وليس كمثل شيء وقيل واحد في ألوهيته وربوبيته ليس له شريك لأن المشركين أشركوا معه الآلهة فكذبهم الله تعالى بقوله : وإلهم الله واحد يعني لا شريك له في ألوهيته ولا نظير له في الربوبية والتوحيد هو نبي الشريك والقسم والشبيه فالله تعالى واحد في أفعاله لا شريك له يشاركه في مصنوعاته وواحد في ذاته لا قسم له وواحد في صفاته لا يشبهه شيء من خلقه (لا إله إلا هو) تقرير للوحدانية بنى غيره من الأكوهية وإثباتها له سبحانه وتعالى (الرحمن الرحيم) يعني أنه المولى لجميع النعم وأصولها وفروعها فلا شيء سواه بهذه الصفة لأن كل ما سواه إما نعمة وأما منعم عليه وهو المنعم على خلقه الرحيم بهم . عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : وإلهم الله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، وفاتحة آل عمران » ألم الله لا إله إلا هو الحى القيوم » أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث صحيح وقيل لما نزلت هذه الآية قال المشركون إن محمدا يقول : إلهم الله واحد فليأتنا بآية إن كان صادقا فأزل الله تعالى (إن في خلق السموات والأرض) وعلمه كيفية الاستدلال على وحدانية الصانع وردهم إلى التفكير في آياته والنظر في عجائب مصنوعاته وإتقان أفعاله في ذلك دليل على وحدانيته إذ لو كان في الوجود صانعان هذه الأفعال لاستحال اتفاقهما على أمر واحد ولا تمتنع في أفعالها التساوى في صفة الكمال فثبت بذلك أن خالق هذا العالم والمدبر له واحد قادر عتق ، فبين سبحانه وتعالى من عجائب مخلوقاته ثمانية أنواع أولها : إن في خلق السموات والأرض وإنما جمع السموات لأنها أجناس مختلفة كل سماء من جنس غير جنس الأخرى ووحد الأرض لأنها جنس واحد وهو التراب ، والآية في السماء هي سمكها وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم ، والآية في الأرض مدنها وبسطها على الماء

واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم والله لا إله إلا هو الحى القيوم ، قال أبو الصمعي لما نزلت هذه الآية قال المشركون : وما إن محمدا يقول أن إلهم الله واحد فليأتنا بآية إن كان من الصادقين فأزل الله عز وجل (إن في خلق السموات والأرض)

ذكر السوات بلفظ الجمع والأرض بلفظ الواحد لأن كل سماء من جنس آخر والأرضون كلها من جنس واحد وهو التراب فالآية في السوات سمكها وارتفاعها من غير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم ، والآية في الأرض مدنها ووسطها وسعتها وما يرى فيها من الأشجار والأنهار والجبال والبحار والجواهر والنبات . قوله تعالى (واختلاف الليل والنهار) أي تعاقبهما في الذهاب والحجى يخلف أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه أي بعده ، نظيره قوله تعالى «وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة» قال عطاء أراد اختلافهما (١٣٥) في النور والظلمة والزيادة والنقصان

وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والأنهار والأشجار والثمار والنبات. النوع الثاني قوله تعالى (واختلاف الليل والنهار) أي تعاقبهما في الحجى والذهاب وقيل اختلافهما في الطول والقصر والزيادة والنقصان والنور والظلمة. وإنما قدم الليل على النهار لأن الظلمة أقدم والآية في الليل والنهار أن انتظام أحوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة يكون في النهار وطلب النوم والراحة يكون في الليل فاختلف الليل والنهار إنما هو لتحصيل مصالح العباد. النوع الثالث قوله تعالى (والفلك التي تجرى في البحر) أي السفن واحدة وجمعه سواء وسمى البحر بحرا لانساعة وانبساطه ، والآية في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي موقرة بالأفئال والرجال فلا ترسب وجريانها بالرياح مقلبة ومدبرة، وتسخير البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان الماء وهيجان البحر فلا ينحى منه إلا الله تعالى النوع الرابع قوله تعالى (بما ينضع الناس) يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات لطلب الأرباح ، والآية في ذلك أن الله تعالى لو لم يقو قلب من يركب هذه السفن لما تم الغرض في تجارتهم ومنافعهم وأيضا فإن الله تعالى خص كل قطر من أقطار العالم بشيء معين والسوج الكلل إلى الكل فصار ذلك سببا يدعوهم إلى اقتحام الأخطار في الأسفار من ركوب السفن وخوض البحر وغير ذلك فالخامل ينضع لأنه يربح والحامل إليه ينضع بما حمل إليه . النوع الخامس قوله تعالى (وما أنزل الله من السماء من ماء) يعني المطر قبل أراد بالسماء السحاب سمي سماء لأن كل ما علك فأظلك فهو سماء خلق الله الماء في السحاب ومنه ينزل إلى الأرض وقيل أراد السماء بعينها خلق الله الماء في السماء ومنه ينزل إلى السحاب ثم منه إلى الأرض (فأحياه) أي بالماء (الأرض بعد موتها) أي بيسها وجدها سماء موتا محازا لأنها إذ لم تنبت شيئا ولم يصبها المطر فهي كالميتة ، والآية في إنزال المطر وإحياء الأرض به أن الله تعالى جعله سببا لإحياء الجميع من حيوان ونبات ووزوله عند وقت الحاجة إليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقاء والدعاء وإنزاله يمكن دون مكان . النوع السادس قوله تعالى (وبث أي فرق فيها) أي في الأرض (من كل دابة) قال ابن عباس يريد كل مادب على وجه الأرض من جميع الخلق من الناس وغيرهم ، والآية في ذلك أن جنس الإنسان يرجع إلى أصل واحد وهو آدم ثم ما فهم من الاختلاف في الصور والأشكال والألوان والأنسنة والطبائع والأخلاق والأوصاف إلى غير ذلك ثم يقاس على بني آدم سائر الحيوان. النوع السابع قوله تعالى (ونصريف الرياح) يعني في مهاياها قبولا ودبوراً وشمالاً وجنوباً ونكباء وهي الرياح التي تأتي من غير مهبط المطالب (وما أنزل الله من السماء من ماء) يعني المطر قبل أراد بالسماء السحاب سمي سماء لأن كل ما علك فأظلك فهو سماء خلق الله الماء في السحاب ومنه ينزل إلى الأرض وقيل أراد به السماء المعروفة بخلق الله تعالى الماء في السماء ثم ينزل من السماء إلى السحاب ثم من السحاب ينزل إلى الأرض (فأحياه) أي بالماء (الأرض بعد موتها) أي بعد بيسها وجدوتها (وبث فيها) أي فرق فيها من كل دابة وتصريف الرياح) قرأ حمزة والكسائي بغير ألف وقرأ الباقون بالألف وكل ربح في القرآن ليس فيها ألف ولا لام اختلفوا في جمعها وتوحيدها إلا في الناريات الرياح العقيم اتفقوا على توحيدها وفي الحرف الأول سورة الروم الرياح مبشرات اتفقوا على جمعها وقرأ أبو جعفر سائرهما على الجمع والقراء مختلفون فيها والريح يذكر وتصريفها أنها يتصرف إلى الجنوب والشمال والقبول والدبور والنكباء وقيل تصريفها أنها تارة تكون لنا وتارة

والليل جمع ليلة والليالي جمع الجمع والنهار جمع نهر وقدم الليل على النهار في الذكر لأنه أقدم منه قال الله تعالى « وآية ذم الليل نسلخ منه النهار » (والفلك التي تجرى في البحر) يعني السفن واحدة وجمعه سواء فإذا أريد به الجمع يؤنث وفي الواحد يذكر . قال الله تعالى في الواحد والنذ كبر « إذ أتى إلى الفلك المشحون » وقال في الجمع والتأنيث « حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة . والفلك التي تجرى في البحر » الآية في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي موقرة لا ترسب تحت الماء (بما ينضع الناس) يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب وأنواع المطالب (وما أنزل الله من السماء من ماء) يعني المطر قبل أراد بالسماء السحاب سمي سماء لأن كل ما علك فأظلك فهو سماء خلق الله الماء في السحاب ومنه ينزل إلى الأرض وقيل أراد السماء بعينها خلق الله الماء في السماء ومنه ينزل إلى السحاب ثم منه إلى الأرض (فأحياه) أي بالماء (الأرض بعد موتها) أي بعد بيسها وجدوتها (وبث فيها) أي فرق فيها من كل دابة وتصريف الرياح) قرأ حمزة والكسائي بغير ألف وقرأ الباقون بالألف وكل ربح في القرآن ليس فيها ألف ولا لام اختلفوا في جمعها وتوحيدها إلا في الناريات الرياح العقيم اتفقوا على توحيدها وفي الحرف الأول سورة الروم الرياح مبشرات اتفقوا على جمعها وقرأ أبو جعفر سائرهما على الجمع والقراء مختلفون فيها والريح يذكر وتصريفها أنها يتصرف إلى الجنوب والشمال والقبول والدبور والنكباء وقيل تصريفها أنها تارة تكون لنا وتارة

تكون حارّة وتارة تكون باردة قال ابن عباس أعظم جنود الله الريح والماء ، وسميت الريح ريحا لأنها تريح النفوس . قال شريح القاضي : ماهبت ريح إلا لشفاء سقيم أو لستم صحيح والبخارة في ثلاث من الرياح في الصبا والشمال والجنوب ، أما الدبور فهي الريح العقيم لا بخارة فيها . وقيل الرياح ثمانية : أربعة للرحمة وأربعة للعذاب فأما التي للرحمة المبهترات والناشرات والذاريات والمرسلات ، وأما التي للعذاب فالعقيم والصرصر في البر والعاصف والقاصف في البحر (والسحاب المسخر) أي الغيم المذلل ، سمي سحبا (١٣٦) لأنه ينسحب أي يسير في سرعة كأنه ينسحب أي يجر (بين السماء والأرض

آيات لقوم يعقلون)
 فيعلمون أن هذه الأشياء خالقا وصانعا . قال وهب بن مويهبة : ثلاثة لا يدري من أين نحي : الرعد والبرق والسحاب قوله تعالى (ومن الناس) يعني المشركين (من يتخذ من دون الله أندادا) أي أصناما يعبدونها (يحبونهم كحباب الله) أي يحجون آلهتهم كحباب المؤمنين الله . وقال الزجاج يحجون الأصنام كما يحجون الله لأنهم أشركوها مع الله فسوا بين الله وبين أولادهم في المحبة (والذين آمنوا أشد حيا لله) أي أثبت وأدوم على حبه من المشركين لأنهم لا يختارون على الله ماسواه ، والمشركون إذا اتخذوا صنما ثم رأوا أحسن منه طرحوا الأول واختاروا الثاني

صحيح فكل ربيع تختلف مهابها تسمى نكباء وقيل تصرفها في أحوال مهابها لينة وعاصفة وحارة وباردة وسميت ريحا لأنها تريح قال ابن عباس أعظم جنود الله الريح وقيل ماهبت ريح إلا لشفاء سقيم أو ضده . وقيل البخارة في ثلاث رياح الصبا والشمال والجنوب والدبور هي الريح العقيم التي أملكك بها عاد فلا بخارة فيها ، والآية في الريح أنها جسم لطيف لا يمسك ولا يرى وهي مع ذلك في غاية القوة تنفع الشجر والصخر وتحرب البنيان العظيم وهي مع ذلك حياة الوجود فلو أسكت طرفه عين لمات كل ذي روح وأنتن ما على وجه الأرض النوع الثامن قوله تعالى (والسحاب المسخر بين السماء والأرض) أي الغيم المذلل سمي سحبا لسرعة سيره كأنه ينسحب والآية في ذلك أن السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الأدوية العظيمة يبقى معالقا بين السماء والأرض في هذه الأنواع الثمانية المذكورة في هذه الآية دلالة عظيمة على وجود الصانع القادر المختار وأنه الواحد في ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد من قوله « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو » وقوله (آيات) أي فيها ذكر من دلائل مصنوعاته الدالة على وحدانيته قيل إنما جمع آيات لأن في كل واحد مما ذكر من هذه الأنواع آيات كثيرة تدل على أن خالقا مديرا مختارا (لقوم يعقلون) أي ينظرون بصفاء عقولهم ويتفكرون بالمؤمنين فيعلمون أن هذه الأشياء خالقا ومديرا مختارا وصانعا قادرا على ما يريد . قوله عز وجل (ومن الناس) يعني المشركين (من يتخذ من دون الله أندادا) يعني أصناما يعبدونها والند المثل المنازع فبلى هذا الأصنام أندادا بعضها لبعض وليست أندادا لله تعالى وتعالى الله أن يكون له تد أوله مثل منازع وقيل الأنداد الكفاء من الرجال وهم رؤسؤهم وكبرؤهم الذين يطيعونهم في معصية الله تعالى (يحبونهم) أي يودونهم ويميلون إليهم والحب نقبض البعض وأحببت فلانا أي جعلته معرضا بأن تحبه والمحبة الإرادة (كحباب الله) أي كحباب المؤمنين لله والمعنى يحجون الأصنام كما يحجب المؤمنون ربه عز وجل وقيل معناه يحبونهم كحباب الله فيكون المعنى أنهم يسوون بين الأصنام وبين الله في المحبة فمن قال بالقول الأول لم يثبت للكفار محبة الله تعالى ومن قال بالقول الثاني أثبت للكفار محبة الله تعالى لكن جعلوا الأصنام شركاء له في الحب (والذين آمنوا أشد حيا لله) أي أثبت وأدوم على محبته لأنهم لا يختارون مع الله سواه والمشركون إذا اتخذوا صنما ثم رأوا آخر أحسن منه طرحوا الأول واختاروا الثاني . وقيل إن الكفار يعدلون عن أصنامهم في الشدائد ويقبلون إلى الله تعالى كما أخبر عنهم فاذا ركبوا في الفلك

قال قتادة إن الكافر يعرض عن معبود في وقت البلاء ويقبل على الله تعالى

دعوا

كما أخبر الله عز وجل عنهم فقال « فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين » والمؤمن لا يعرض عن الله في السراء والضراء والشدّة والرخاء قال سعيد بن جبير إن الله عز وجل يأمر يوم القيامة من أحرق نفسه في الدنيا على رؤية الأصنام أن يدخلوا جهنم مع أصنامهم فلا يدخلون لعلهم أن عذاب جهنم على الدوام ثم يقول للمؤمنين وهم بين أيدي الكفار إن كنتم أحبائي فادخلوا جهنم فيقتحمون فيها فينادى مناد من تحت العرش « والذين آمنوا أشد حيا لله » وقيل إنما قال « والذين آمنوا أشد حيا لله » لأن الله تعالى أحبهم أولا ثم أحبوه ومن شهد له للمعبود بالحبّة كانت محبته آثم قال الله تعالى « يحبهم

ويحبونه . قوله تعالى (ولو يرى الذين ظلموا) قرأ نافع وابن عامر ويعقوب ولو ترى بالثناء ، وقرأ الآخرون بالياء وجواب لو ههنا محذوف ومثله كثير في القرآن كقوله تعالى « ولو أن قرأنا سيرة الجبال أو قطعت به الآية يعني لكان هذا القرآن فمن قرأ بالثناء معناه ولو ترى يا محمد الذين ظلموا أنفسهم في شدة العذاب لرأيت أمرا عظيما ، قيل معناه قل يا محمد أيها الظالم لو ترى الذين ظلموا أي أشركوا في شدة العقاب لرأيت أمرا فظيما ، ومن قرأ بالياء معناه ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب أي لو رأوا شدة عذاب الله وعقوبته حين يرون العذاب لعرفوا مضرة الكفر وأن ما اتخذوا من الأصنام لا ينفعهم . قوله تعالى (إذ يرون) قرأ ابن عامر بضم الياء والباقون بفتحها (العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب) أي بأن القوة لله جميعا ، معناه لو رأوا وأيقنوا أن القوة لله جميعا وقرأ أبو جعفر (١٣٧) ويعقوب : إن القوة وإن الله

بكسر الألف على الاستئناف والكلام تام عند قوله إذ يرون العذاب مع إضمار الجواب (إذ يرون الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب) هذا في يوم القيامة حين يجمع الله القادة والأتباع فيترا بعضهم من بعض ، هذا قول أكثر المفسرين وقال السدي هم الشياطين يتبرءون من الإنس (وتقطعت بهم) أي عنهم (الأسباب) أي الصلوات التي كانت بينهم في الدنيا من القربات والصدقات وصارت مخالطتهم عداوة وقال ابن جريج الأرحام كما قال الله تعالى « فلا أتساب بينهم يومئذ » وقال السدي يعني الأعمال التي كانوا يعملونها في الدنيا كما قال الله تعالى « وقدمنا

دعوا الله مخلصين له الدين » والمؤمنون لا يعدلون عن الله تعالى في السراء ولا في الضراء ولا في الشدة ولا في الرخاء وقيل إن المؤمنين بوحدهم وبهم والكفار يعدلون أصناما كثيرة فتنقص الحجة لصنم واحد وقيل إنما قال « والذين آمنوا أشد حبا لله » لأن الله أحبهم أولا فأحبوه ومن شهد له المعبود بأخبة كانت محبته أتم وسيأتي بسط الكلام في معنى أخبة عند قوله : يحبهم ويحبونه (ولو يرى الذين ظلموا) قرئ بالثناء والمعنى ولو ترى يا محمد الذين ظلموا يعني أشركوا في شدة العذاب لرأيت أمرا عظيما وقرئ بالياء ومعناه ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب حين يقدف بهم في النار لعرفوا مضرة الكفر وأن ما اتخذوه من الأصنام لا ينفعهم (إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا) معناه لو رأى الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرون العذاب أن القوة ثابتة لله جميعا ، والمعنى أنهم شاهدوا من قدرة الله تعالى ما يتقنوا معه أن القوة له جميعا وأن الأمر ليس على ما كانوا عليه من الشرك والجلود (وأن الله شديد العذاب) قوله عز وجل (إذ يرون الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب) أي القادة من مشركي الإنس من الأتباع وذلك يوم القيامة حين يجمع القادة والأتباع فيترا بعضهم من بعض عند نزول العذاب بهم ويحرم عن دفعه عن أنفسهم فكيف عن غيرهم . وقيل هم الشياطين يتبرءون من الإنس ، والقول هو الأول (وتقطعت بهم الأسباب) يعني الصلوات التي كانت بينهم في الدنيا يتواصلون بها من قرابة وصدقة . وقيل الأعمال التي كانت بينهم يعملونها في الدنيا . وقيل اليهود والحلف التي كانت بينهم يتوادون عليها . وأصل السبب في اللغة الحبل الذي يصعد به النخل وسمي كل ما يتوصل به إلى شيء من ذريعة أو قرابة أو مودة سببا تشبيها بالحبل الذي يصعد به (وقال الذين اتبعوا) يعني الأتباع (لو أن لنا كرة) أي رجعة إلى الدنيا (فتتبرأ منهم) أي من المتبوعين (كما تبرءوا منا) اليوم (كذلك يريهم الله) أي كما أراهم العذاب يريهم الله (أعمالهم حسرات عليهم) لأنهم أيقنوا بالفلاك . والحسرة الغم على ما فاتته وشدة الندم عليه كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه ، والمعنى إن الله تعالى يريهم السيئات التي عملوها وارتكبوها في الدنيا فيتحسرون لم عملوها ؟ . وقيل يريهم ما تركوا

(١٨ - مخازن البغوى - أول) إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ، وأصل السبب ما يتوصل به إلى الشيء من ذريعة أو قرابة أو مودة ، ومنه يقال للحبل سبب ، وللطريق سبب (وقال الذين اتبعوا) يعني الأتباع (لو أن لنا كرة) أي رجعة إلى الدنيا (فتتبرأ منهم) أي من المتبوعين (كما تبرءوا منا) اليوم (كذلك) أي كما أراهم العذاب كذلك (يريهم الله) وقيل كتبرئ بعضهم من بعض يريهم الله (أعمالهم حسرات) ندومات (عليهم) جمع حسرة . قيل يريهم ما تركبوا من السيئات فيتحسرون لم عملوا ؟ . وقيل يريهم ما تركبوا من الحسنات فيعلمون على تضييعها . وقال ابن كيسان إنهم أشركوا بالله الأوثان رجاء أن تقر بهم إلى الله عز وجل فلما عبدوا على ما كانوا يرجون ثوابه تحسروا وندموا . قال السدي ترفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى يوتهم فيها لو أطاعوا الله فيقال لهم تلك ما كنتم لو أطعتم الله ، ثم تقسم بين المؤمنين فلذلك حين

يلدمون ويتحسرون (وما هم بخارجين من النار) قوله تعالى (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا) نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبنى مدليج فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام فالحلال ما أحله الشرع ، طيبا قبل ما يستطاب ويستلذ والمسلم يستطيب الحلال ويخاف الحرام وقيل الطيب الطاهر (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) قرأ أبو جعفر وابن عامر (١٣٨) والكسائي وحضن ويعقوب بضم الطاء والباقون بسكونها وخطوات

من الحسنات فيندمون على تضييعها. وقيل يرفع لهم منازلهم في الجنة فيقال لهم تلك مساكنكم لو أطمعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يتحسرون ويندمون على ما فاتهم ولا ينفعهم الندم (وما هم بخارجين من النار) قوله عز وجل (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا) نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبنى مدليج فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام. والحلال المباح الذي أحله الشرع وانحلت عمدة الحظر عنه وأصله من الخل الذي هو تقيض العمدة. والطيب ما يستلذ، والمسلم لا يستطيب إلا الحلال ويعاف الحرام. وقيل الطيب هو الطاهر لأن النجس تكرهه النفس وتعافه (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي لا تسلكوا سبيله. وقيل معناه لا تأتمروا به ولا تتبعوا آثاره وزلاته، والمعنى احذروا أن تتعدوا ما أحل الله لكم إلى ما يدعوكم إليه الشيطان. قيل هي الذنوب في المعاصي. وقيل هي المحقرات من الذنوب ثم بين عملة هذا التحذير بقوله تعالى (إنه لكم عدو مبين) أي ظاهر العداوة وقد أظهر الله تعالى عداوته بآية السجود لآدم ثم بين عداوته ما هي فقالت تعالى (إنما يأمركم بالسوء) يعني بالإثم. والسوء ما بسوء صاحبه وبخزيه (والفحشاء) يعني بها المعاصي وما قبيح من قول أو فعل قال ابن عباس السوء ما لا حد فيه، والفحشاء ما يجب فيه الحد. وقيل الفحشاء الزنا. وقيل هو البخل (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) يعني من تحريم الحرث والأنعام ويتناول ذلك جميع المذاهب الفاسدة التي لم يأذن فيها الله ولم ترد عن رسول الله ﷺ. واعلم أن أمر الشيطان وسوسته عبارة عن هذه الخواطر التي يجدها الإنسان في قلبه وما هي هذه الخواطر حروف وأصوات منتظمة خفية تشبه الكلام في الخارج ثم إن فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى وهو المحدث لها في باطن الإنسان وإنما الشيطان كالعرض، والله هو المقدر له على ذلك وقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » وإنما أقدر على ذلك لإبصال هذه الخواطر إلى باطن الإنسان. قوله عز وجل (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) هذه قصة مستأنفة والضمير في « لهم » يعود إلي غير المذكور قال ابن عباس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود إلى الإسلام فقال رافع بن خراجه ومالك بن عوف: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فهم كانوا خيرا منا وأعلم منا فأنزل الله هذه الآية. وقيل إن الآية متصلة بما قبلها والضمير في « لهم » يعود إلي قوله « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا وهم مشركو العرب قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا يعني من عبادة الأصنام. وقيل بل الضمير في « لهم » يعود على قوله « يا أيها الناس كلوا مما في الأرض » والمعنى وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله

الشيطان آثاره وزلاته وقيل هي النار في المعاصي وقال أبو عبيدة هي المحقرات من الذنوب وقال الزجاج : طرفه (إنه لكم عدو مبين) بين العداوة وقيل مظهر العداوة قوة. أظهر عداوته بإبائه السجود لآدم وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة. وأبان يكون لازما ومتعديا ثم ذكر عداوته فقال (إنما يأمركم بالسوء) أي بالإثم وأصل السوء ما بسوء صاحبه وهو مصدر ساء يسوء سوما ومساءة أي أضره وسوائته فساء أي حزنه فقزن (والفحشاء) المعاصي وما قبيح من القول والفعل وهو مصدر كالسراء والضراء زوى بأذن عن ابن عباس قال الفحشاء من المعاصي ما يجب فيه الحد، والسوء من الذنوب ما لا حد فيه وقال السدي هي

الزنا وقيل هي البخل (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) من تحريم الحرث والأنعام .
قوله تعالى (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) قيل هذه قصة مستأنفة والهاء والميم في « لهم » كناية عن غير المذكور وروى عن ابن عباس قال دعا رسول الله ﷺ اليهود إلى الإسلام فقال رافع بن خراجه ومالك بن عوف: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أي ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أفضل وأعلم منا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل الآية متصلة بما قبلها وهي نازلة في مشركي العرب وكفار قريش والهاء والميم عائدة إلى قوله « ومن الناس من يتخذ من

دون الله أندادا ، (قالوا بل نتبع ما ألفينا) أي ما وجدنا (عليه آباءنا) من عبادة الأصنام ، وقيل معناه وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله في تحليل ما حرموا على أنفسهم من الحمر والأنتعام والبحيرة والسائبة والهاء والميم عائدتان إلي الناس في قوله تعالى يا أيها الناس كلوا مما آتواكم بل نتبع قرأ الكسائي : بل نتبع بادغام اللام في النون وكذلك يدغم لام هل وبلى في التاء والتاء والزاء والسين والصاد والطاء والقهاء ووافق حمزة في التاء والسين ، ما ألفينا ما وجدنا عليه آباءنا من التحريم والتحليل قال تعالى (أو لو كان آباؤهم) أي كيف يتبعون آباءهم ، وآباؤهم (لا يعقلون شيئا) الواو في أو لو واو العطف ويقال لها أيضا واو التعجب دخلت عليها ألف الاستفهام للتوبيخ ، والمعنى أيتبعون آباءهم وإن كانوا جهالا لا يعقلون شيئا لفظه عام ومعناه الخصوص أي لا يعقلون شيئا من أمور الدين لأنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا (ولا يهتدون) ثم ضرب لهم مثلا فقال جل ذكره (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع) والتعيق والتعيق صوت (١٣٩) الراعي بالغنم ، معناه

مثلك يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم إلى الله عز وجل كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وقيل مثل واعظ الكفار وداعيتهم معهم كمثل الراعي ينعق بالغنم وهي لا تسمع (إلا دعاء) صوتا (ونداء) فأضاف المثل إلى الذين كفروا لدلالة الكلام عليه كما في قوله تعالى «وأسأل القرية معناه كما أن الهائم تسمع من صوت الراعي ولا تفهم ولا تعقل ما يقال لها كذلك الكافر لا ينتفع بوعظك إنما يسمع صوتك . وقيل معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم

يعني في تحليل ما حرموا على أنفسهم (قالوا بل نتبع ما ألفينا) يعني وجدنا (عليه آباءنا) من التحريم والتحليل ، قال الله تعالى (أو لو كان آباؤهم) يعني الذين يتبعونهم (لا يعقلون شيئا) يعني لا يعلمون شيئا من أمور الدين ، لفظه عام ومعناه خاص وذلك أنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا (ولا يهتدون) أي إلى الصواب. ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء) التعيق صوت الراعي بالغنم ، ولا يقال نعق إلا للراعي بالغنم وحدها ومعنى الآية ومثلك يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم إلى الله كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لا تسمع إلا صوتا فصار الداعي إلى الله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعي وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها ، ووجه المثل أن الغنم تسمع الصوت ولا تفطن للمراد وكذلك الكفار يسمعون صوت الرسول ^{صلى الله عليه وسلم} ولكن لا ينتفعون به وقيل معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله ورسوله كمثل المنعوق به من الهائم التي لا تفهم من الأمر والنهي إلا الصوت فيكون المعنى بالمثل المنعوق به خارج عن الناعت . وقيل معناه ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعت بالغنم فهو لا ينتفع من نعيقه بشيء غير أنه غنى عن الدعاء والنداء فكذلك الكافر ليس له من دعاء الأصنام وعبادتها إلا العناء والبلاء ، والفرق بين هذا القول والقول الذي قبله أن المحذوف هنا هو المدعو وهي الأصنام وفي القول الأول المحذوف هو الداعي وهو الرسول صلى الله عليه وسلم (صم بكم عمي) لما شبههم بالهائم زاد في توكيدهم فقال : صم لأنهم إذا سمعوا الحق ودعاء الرسول ولم ينتفعوا به صاروا بمنزلة الأصم الذي لا يسمع يقال لمن يسمع ولا يعقل كأنه أصم ، بكم أي عن النطق بالحق عمي أي عن طريق الهدى (فهم لا يعقلون) قيل المراد به العقل الكسبي لأن العقل الطبيعي كان حاصلًا فيهم قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) قيل إن الأمر في قوله : كلوا قد يكون للوجوب كالأكل لحفظ النفس ودفع الضرر عنها ، وقد يكون للندب كالأكل مع الضيف وقد يكون

عن الله وعن رسوله كمثل المنعوق به من الهائم التي لا تفقه من الأمر والنهي إلا الصوت فيكون المعنى للمنعوق به والكلام خارج عن الناعت وهو فاش في كلام العرب يفعلون ذلك يقلبون الكلام لإيضاح المعنى عندهم يقولون فلان يخافك كخوف الأسد أي كخوفه الأسد وقال تعالى «إنا منقحوه لنتوء بالعصبة» وإنما العصبة لنتوء بالمفاتيح . وقيل معناه مثل الذين كفروا في دعاء الأصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعت بالغنم فلا ينتفع من نعيقه بشيء غير أنه في عناء من الدعاء والنداء كذلك الكافر ليس له من دعاء الآلهة وعبادتها إلى العناء والبلاء كما قال تعالى «إن ندعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم» وقيل معنى الآية ومثل الذين كفروا في دعاء الأوثان كمثل الذي يصيح في جرف الجبال فيسمع صوتا يقال له الصنداء لا يفهم منه شيء فعنى الآية كمثل الذي ينعق بما لا يسمع منه الناعت إلا دعاء ونداء (صم) تقول العرب لمن لا يسمع ولا يعقل كأنه أصم (بكم) عن الخير لا يقولونه (عمي) عن الهدى لا يبصرونه (فهم لا يعقلون) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات) حلالات (ما رزقناكم) أخبرنا

عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو محمد وعبد الرحمن بن أبي شريح أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أخبرنا علي بن الجلود أخبرنا فضيل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا، يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء: يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك (واشكروا لله) على نعمه (إن كنتم إياه تعبدون) ثم بين المحرمات فقال (إنما حرم عليكم الميتة) قرأ أبو جعفر الميتة كل القرآن بالتشديد والباقون يشددون البعض. والميتة كل ما لم تدرك ذكاته مما يذبح (والدم) أراد به الدم الجاري يدل عليه قوله تعالى «أو دما مسفوحا» واستثنى الشرع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال فأحلها. أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال (١٤٠) أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي

أخبرنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحلت لنا ميتتان ودمان الميتتان الخوت والجراد والدمان أحسبه قال الكبدة والطحال (ولحم الخنزير) أراد به جميع أجزائه فحرم عن ذلك باللحم لأنه معظمه (وما أهل به لغير الله) أي أذبح للأصنام والطواغيت. وأصل الإهلال رفع الصوت وكانوا إذا ذبحوا لآلهتهم يرفعون أصواتهم يذكرونها فحرم ذلك من أمرهم حتى قيل لكل ذابح مهل وإن لم يجهر بالتسمية (فمن اضطر) يعني إلى أكل الميتة وأحوج إليها (غير باغ) أصل البغي الفساد (ولا عاد) أصله

أخبرنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحلت لنا ميتتان ودمان الميتتان الخوت والجراد والدمان أحسبه قال الكبدة والطحال (ولحم الخنزير) أراد به جميع أجزائه فحرم عن ذلك باللحم لأنه معظمه (وما أهل به لغير الله) أي أذبح للأصنام والطواغيت. وأصل الإهلال رفع الصوت وكانوا إذا ذبحوا لآلهتهم يرفعون أصواتهم يذكرونها فحرم ذلك من أمرهم حتى قيل لكل ذابح مهل وإن لم يجهر بالتسمية (فمن اضطر) يعني إلى أكل الميتة وأحوج إليها (غير باغ) أصل البغي الفساد (ولا عاد) أصله

حتى قيل لكل ذابح مهل وإن لم يجهر بالتسمية مهل وقال الربيع بن أنس وغيره وما أهل به لغير الله قال ما ذكر عليه اسم غير الله (فمن اضطر) بكسر التون وإخواته عاصم وحمزة ووافق أبو عمرو إلا في اللام والواو مثل قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ويعقوب إلا في الواو ووافق ابن عامر في التنوين والباقون كلهم بالضم فمن كسر قال لأن الجزم يحرك إلى الكسر ومن ضم فضمه أول الفعل نقل حركتها إلى ما قبلها وأبو جعفر بكسر الطاء ومعناه فمن اضطر إن أكل الميتة أي أحوج وألجئ إليه (غير) نصب على الحال وقيل على الاستثناء وإذا رأيت غير لا يصلح في موضعها إلا فهي حال وإذا صلح في موضعها إلا فهي استثناء (باغ ولا عاد) أصل البغي قصد الفساد يقال بغى الجرح يعني بنيا إذا تراسخ إلى الفساد وأصل العدوان الظلم ومجازة الحد يقال عنا عليه عدوا وعدوانا إذا ظلم. واختلنوا في معنى قوله غير باغ ولا عاد فقال بعضهم غير باغ أي غير خارج على السلطان ولا عاد متعد عاص بسفوره بأن يخرج لقطع الطريق أو لفساد في الأرض وهو قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقالوا لا يجوز للعاصي بسفوره أن يأكل الميتة إذا اضطر إليها ولا أن يترخص برخص المسافر حتى يتوب وبه قال الشافعي لأن إباحة الميتة له إعانة له على فساده وذعب جماعة إلى أن البغي والعدوان راجعان إلى الأكل واختلنوا في تفصيله فقال الحسن وقتادة غير باغ يأكله من غير اضطرار ولا عاد أي لا يعدو لشبهه وقيل

غير باغ أى غير طالها وهو يجد غير ها ولا عاد أى غير متعدد ما حد له فبأكل حتى يشبع ولكن بأكل منها قوتا مقدارا ما يمكس رمة وقال مقاتل بن حيان غير باغ أى مستحل لها ولا عاد أى مزود منها وقيل غير باغ أى غير مجاوز للقدر الذى أحل له ولا عاد أى لا يقصر فيها أيسح له فبعدة قال مسروق من اضطر إلى الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل ولم يشرب حتى مات دخل النار . واختلف العلماء فى مقدار ما يحل للمضطر أكله من الميتة فقال بعضهم مقدار ما يسد رمة وهو قول أن حنيفة رضى الله عنه وأحد قولى الشافعى رضى الله عنه والقول الآخر يجوز أن يأكل حتى يشبع وبه قال مالك رحمه الله تعالى وقال سهل بن عبد الله غير باغ مفارق للجماعة ولا عاد مبتدع مخالف لسنة ولم يرخص للمبتدع فى تناول المحرم عند الضرورة (فلا إثم عليه) فلا حرج عليه فى أكلها (إن الله غفور) لمن أكل فى حال الاضطرار (رحيم) حيث رخص

أصله من العدوان وهو الظلم ومجاوزة الحد (فلا إثم عليه) أى فأكل فلا إثم عليه أى فلا حرج فى أكلها (إن الله غفور) أى لما أكله فى حال الضرورة (رحيم) يعنى حيث رخص لعباده فى ذلك .

(فصل فى حكم هذه الآية وفيه مسائل) الأولى فى حكم الميتة أجمعت الأمة على تحريم أكل الميتة وأنها نجسة واستثنى الشرع منها السمك والجراد أما السمك فلقوله يُطَيَّبُ فى البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته أخرجه الجماعة غير البخارى ومسلم قال الترمذى فيه حديث حسن صحيح . وأما الجراد فلما روى عن ابن أبى أوفى قال « غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أوستا وكنا نأكل الجراد ونحن معه » أخرجاه فى الصحيحين . واختلف فى السمك الميت الطافي على الماء فقال مالك والشافعى لا بأس به وقال أبو حنيفة وأصحابه والحسن بن صالح بن جنى إنه مكروه وروى عن على بن أبى طالب أنه قال ما طفت من صيد البحر فلا تأكله وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله مثله وروى عن أبى بكر الصديق وأبى أيوب أباحت . واختلف فى الجراد فقال الشافعى وأبو حنيفة لا بأس بأكل الجراد كله ما أخفته وما وجدته ميتا وروى مالك أن ما وجد ميتا فلا يحل وما أخذ حيا يتركى زكاة مثله بأن يقطع رأسه ويشوى رأسه فان غفل عنه حتى يموت فلا يحل (المسئلة الثانية فى حكم الدم) اتفق العلماء على أن الدم حرام نجس لا يؤكل ولا ينتفع به قال الشافعى تحرم جميع الدماء سواء كان مسفوحا أو غير مسفوح وقال أبو حنيفة دم السمك ليس بحرام قال لأنه إذا يدس أبيض واستثنى الشارع من الدم الكبد والطحال . روى الدارقطنى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أحل لنا من الدم دمان ومن الميتة ميتتان الخوت والجراد ومن الدم الكبد والطحال » وفى لفظ آخر وأحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالجراد والخوت وأما الدمان فالطحال والكبد أخرجه ابن ماجه وأحمد بن حنبل . قال أحمد وعلى بن المدبني عبد الرحمن بن زيد ضعيف وأخوه عبد الله بن زيد قوى ثقة وقد أخرج الدارقطنى هذا الحديث من رواية عبد الله بن زيد عن أبيه عن ابن عمر مرفوعا وضعف أبو بكر بن العربى هذا الحديث وقال يروى عن عمر بما لا يصح سنده وقال البيهقى يروى هذا الحديث عن ابن عمر موقوفا ومرفوعا والصحيح الموقوف . واختلف فى تخصيص هذا العموم فى الكبد والطحال فقال مالك لا تخصيص لأن الكبد والطحال لحم ويشهد لذلك العيان الذى لا يفتقر إلى برهان وقال الشافعى هما دمان ويشهد له الحديث فهو تخصيص من العموم (المسئلة الثالثة فى الخنزير) أجمعت الأمة على أن الخنزير بجميع أجزائه محرم وإنما ذكر الله تعالى لحمه لأن معظم الانتفاع متعلق به ثم اختلفوا فى نجاسته فقال جمهور العلماء إنه نجس وقال مالك إنه طاهر وكذا كل حيوان عنده لأن علة الطهارة هى الحياة وللشافعى قولان فى ولوغ الخنزير الجديد أنه كالسكب والقديم يكنى فى ولوغ غساة واحدة والفرق بينهما أن التغليظ فى الكلب لأن العرب كانت تألفه بخلاف الخنزير وقيل إن التغليظ فى السكب تعبدى لا يعقل معناه فلا يتعدى إلى غيره (المسئلة الرابعة فى حكم قوله وما أهل به لغير الله) من الناس من زعم أن المراد بذلك ذبائح عبدة الأوثان التى كانوا يذبحونها لأصنامهم وأجاز ذبيحة النصرانى إذا مسمى عليها باسم المسيح وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب لعموم قوله « وطعام الذين أوتوا الكتاب

كانوا يصيدون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم ولما بعث محمد صلى الله عليه وسلم من غيرهم خافوا ذهاب ما كلهم وزوال رياستهم فعمدوا إلى صفة رسول الله ﷺ فغيروها ثم أخرجوها إليهم فلما نظرت السفلة إلى النعت المغير وجدوه مخالفا لصفة محمد ﷺ ونبوته فلم يتبعوه فأنزل الله تعالى «إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب» يعنى صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته (ويشتركون به) أى بالمكتموم (ثمنا قليلا) أى عوضا يسيرا يعنى المآكل التى يصيدونها من سفلتهم (أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار) يعنى إلا ما يؤديهم إلى النار وهو الرشوة والحرام وتمن الدين فلما كان يقضى ذلك بهم إلى النار فكأنهم أكلوا النار وقيل معناه إنه يصير ناراً في بطونهم (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) أى لا يكلمهم بالرحمة وبما يسرهم إنما يكلمهم بالتوبيخ وقيل أراد به أن يكون عليهم غضبان كما يقال فلان لا يكلم فلانا إذا كان عليه غضبان (ولا يذكهم) أى لا يظهرهم من دنس الذنوب (ولهم عذاب أليم) أى

حل لكم» وقال مالك والشافعى وأبو حنيفة لا يحل ذلك والحجة فيه أنهم إذا ذبحوا على اسم المسيح فقد أهلوا به لغير الله فوجب أن يحرم . وروى عن علي بن أبي طالب أنه قال إذا سمعت اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تأكلوا وإذا لم تسمعوهم فكلوا فإن الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون (المسئلة الخامسة في حكم المضطر) المضطر هو المكلف بالشىء الملجأ إليه المكروه عليه والمراد بالمضطر في قوله فمن اضطر أى خاف التلف حتى قيل من اضطر إلى أكل الميتة فلم يأكل منها حتى مات دخل النار . والمضطر على ثلاثة أقسام: إما باكره أو يجوع في غمصة أو يفتقر لا يجد شيئا البتة فان التحريم يرتفع مع وجود هذه الأقسام بحكم الاستثناء في قوله: فلا إثم عليه وتباح له الميتة فأما الإكراه فيبيح ذلك إلى زوال الإكراه وأما الغمصة فلا يخلو إن كانت دائمة فلا خلاف في جواز الشبع منها وإن كانت نادرة فاختلف العلماء فيه . وللشافعى قولان أحدهما أنه يأكل ما يسد به الرمق وبه قال أبو حنيفة . والثانى يأكل قدر الشبع وبه قال مالك (المسئلة السادسة في قوله غير باغ ولا عاد) قال ابن عباس معنى غير باغ غير خارج على السلطان ولا عاد أى معتد بنهى العاصى بسفوره بأن يخرج لقطع الطريق أو أبق من مولاه فلا يجوز للعاصى بسفوره أن يأكل من الميتة إذا اضطر إليها ولا يترخص برخص المسافرين حتى يتوب وبه قال الشافعى لأن إباحة الميتة له إعانة له على فساده وذهب قوم إلى أن البغى والعدوان يرجعان إلى الأكل وبه قال أبو حنيفة وأباح أكل الميتة للمضطر وإن كان عاصيا وقيل في معنى قوله غير باغ أى غير طالب الميتة وهو يجد غيرها ولا عاد أى غير متعد ما حد له وقيل غير مستحل لها ولا مزود منها . قوله عز وجل (إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم وذلك أنهم كانوا يصيدون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو من غيرهم خافوا على ذهاب ما كلهم وزوال رياستهم فعمدوا إلى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبوها فأنزل الله «إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب» أى في الكتاب من صفة رسول الله ﷺ ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين قال الإمام فخر الدين الرازى وعند المتكلمين هذا ممتنع لأن التوراة والإنجيل قد بلغا من الشهرة والتواتر إلى حيث تعدى ذلك فيها بل كانوا يكتمون التأويل لأنه قد كان منهم من يعرف الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكأنوا يذكرونها تأويلات باطلة ويصرفونها عن محالها الصحيحة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا هو المراد بالكتمان فيصير المعنى إن الذين يكتمون معانى ما أنزل الله من الكتاب (ويشتركون به) أى بالكتمان وقيل يعود الضمير إلى ما أنزل الله من الكتاب (ثمنا قليلا) أى عوضا يسيرا وهى المآكل التى كانوا يأخذونها من سفلتهم (أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار) يعنى ما يؤديهم إلى النار وهو الرشا والحرام فلما كان يقضى بهم ذلك إلى النار فكأنهم أكلوا النار (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) أى كلام رحمة وما يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وهو قوله اخسثوا فيها وقيل أراد به الغضب يقال فلان لا يكلم فلانا إذا غضب عليه (ولا يذكهم) أى ولا يظهرهم من دنس الذنوب (ولهم عذاب أليم) أى وجيع يصل ألمه إلى قلوبهم (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) معناه أنهم

فما أصبرهم على النار) قال عطاء والسدي هو ما الاستفهام معناه ما الذي صبرهم على النار وأي شيء صبرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل قال الحسن وقتادة والله ما لهم عليها من صبر ولكن ما أجرهم على العدل الذي يقرهم إلى النار وقال الكسائي فما أصبرهم على عمل النار أي ما أدومهم عليه (ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق) يعني ذلك العذاب بأن الله نزل الكتاب بالحق فأنكروه وكفروا به وحينئذ يكون ذلك في محل الرفع وقال بعضهم محله نصب معناه فعلنا ذلك بهم بأن الله أي لأن الله نزل الكتاب بالحق فاختلّفوا فيه وقيل معناه ذلك أي فعلهم الذين يفعلون من الكفر والاختلاف والاجترار على الله من أجل أن الله نزل الكتاب بالحق وهو قوله تعالى «إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذروهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم» (وإن الذين اختلّفوا في الكتاب) فآمنوا ببعض وكفروا ببعض (لن شقاق بعيد) أي في خلاف وضلال بعيد. قوله تعالى (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) قرأ حمزة (١٤٣) وحفص ليس البر ينصب

الراء والياقون برفعها فمن رفعها جعل البر اسم ليس وخبره في قوله: أن تولوا تقديره ليس البر توليتكم وجوهكم ومن نصب جعل أن تولوا في موضع الرفع على اسم ليس تقديره ليس توليتكم وجوهكم البر كله كقوله تعالى وما كان حجتهم إلا أن قالوا اتوا هو البر كل عمل خير ينضوي بصاحبه إلى الجنة. واخلتفوا في الحافظين بهذه الآية فقال قوم عنى بها يهود والنصارى وذلك أن اليهود كانت تصلى قبل المغرب إلى بيت المقدس

اختاروا الضلالة على الهدى واختاروا العذاب على المغفرة لأنهم كانوا عظيمين بالحق ولكن كتموه وأخفوه. وكان في إظهاره الهدى والمغفرة وفي كتمانها العذاب فلما أقدموا على إخفاء الحق وكتمانها كانوا ياتين الهدى بالضلالة والمغفرة بالعذاب (فما أصبرهم على النار) أي ما الذي صبرهم وأي شيء جسرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل فهو استفهام بمعنى التوبيخ وقيل إنه بمعنى التعجب من حالهم في التباسهم بحجيات النار من غير مبالاة منهم فلما أقدموا على ما يوجب النار مع علمهم بذلك صاروا كالراضين بالعذاب والصابرين عليه تعجب من حالهم بقوله: فما أصبرهم على النار (ذلك بأن الله نزل الكتاب) يعني ذلك العذاب بسبب إن الله نزل الكتاب (بالحق) فكفروا به وأنكروه وقيل معناه فعلنا بهم ذلك لأن الله أنزل الكتاب بالحق فحرفوه فعلى هذا يكون المراد بالكتاب التوراة (وإن الذين اختلّفوا في الكتاب) يعني اختلّفوا في معانيه وتأويله فحرفوها وبدلوا وقيل آمنوا ببعض وكفروا ببعض (لن شقاق) أي خلاف ومنازعة (بعيد) يعني عن الحق. قوله عز وجل (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) هذا خطاب لأهل الكتاب لأن النصارى تصلى قبل المشرق واليهود قبل المغرب إلى بيت المقدس وزعم كل طائفة منهم أن البر في ذلك فأخبر الله تعالى أن البر ليس فيما زعموا ولكن فيما بينه في هذه الآية. وقال ابن عباس هو خطاب للمؤمنين وذلك أن الرجل كان في ابتداء الإسلام إذا أتى بالشهادتين وصلى إلى أي جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرائض وصرفت القبلة إلى الكعبة أنزل الله هذه الآية فقال تعالى (ليس البر أن تولوا وجوهكم) أي في صلاتكم قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا ذلك (ولكن البر) يعني ما بينته لكم والبر اسم جامع لكل الطاعات وأعمال الخير المقررة إلى الله الموجبة للنواب والمؤدية إلى الجنة ثم بين خصالا من البر فقال تعالى (من آمن بالله) أي ولسكن البر من آمن بالله فالمراد بالبر هنا الإيمان بالله والتسوى من الله

والنصارى قبل المشرق وزعم كل فريق منهم أن البر في ذلك فأخبر الله تعالى أن البر غير دينهم وعملهم ولكنه ما بينه في هذه الآية وعلى هذا القول قتادة ومقاتل بن حيان، وقال الآخرون المراد بها يؤمنون وذلك أن الرجل كان في ابتداء الإسلام قبل نزول الفرائض إذا أتى بالشهادتين وصلى الصلاة إلى أي جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة وأما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرائض وحددت الحدود وصرفت القبلة إلى الكعبة أنزل الله هذه الآية فقال ليس البر أي كله أن تصلوا قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا على غير ذلك (ولكن البر) ما ذكر في هذه الآية وعلى هذا القول ابن عباس ومجاهد وعطاء والضحاك ولكن البر قرأ نافع وابن عامر ولكن خفيفة الذون البر رفع وقرأ الياقون بتشديد الذون ونصب البر. قوله تعالى (من آمن بالله) جعل من وفي اسم خبر البر وهو فعل ولا يقال البر زيد واخلتفوا في وجهه قيل لما وقع من في موقع المصدر جعله خبرا للبر كأنه قال ولكن البر الإيمان بالله والعرب تجعل الاسم خبرا للفعل وأنشد القراء: له ركب ما القتيان إن تهب العلي ولكما القتيان كل فتى قدى

فجعل ثبات اللحية خبر اللقي وقيل فيه إصغار معنا ولكن البربر من آمن بالله فاستغنى بذكر الأول عن الثاني كقولهم الجود حاتم أي الجود جرد حاتم وقيل معناه ولكن ذا البر من آمن بالله كقوله تعالى هم درجات عند الله أي ذو درجات وقيل معناه ولكن الزمن آمن بالله كقوله تعالى والعاقبة للمتقوى أي لآلئ النبي والمراد من البر هاهنا الإيمان والتقوى (واليوم الآخر) (والملائكة) كلهم (والكتاب) يعني الكتب المنزلة (والبين) أجمع (وآتى المال) أعطى المال (على حبه) اختلفوا في هذه السكتاية يقال أكثر أهل التفسير إنها راجعة إلى المال أي أعطى المال في حال صحته ومحبهته المال قال ابن م. عود أن توقيه وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا موسى (١٤٤) بن إسماعيل أخبرنا عبد الواحد ثنا عمارة بن الزعقاع أنا أبو زرعة أخبرنا

أبو هريرة قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجرا قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الخلقوم قلت لفلان كذا و لفلان كذا وقد كان لفلان وقيل هي عذبة إلى الله عز وجل أي على حب الله تعالى (ذوى القربى) أهل القرابة. أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى أخبرنا أبو الباس الجبوى أخبرنا أبو عيسى الترمذى أخبرنا ناسفیان ابن عيينة عن عاصم الأحول عن حفصة بنت

(واليوم الآخر) وإنما ذكر الإيمان باليوم الآخر لأن عبدة الأوثان كانوا ينكرون البعث بعد الموت (والملائكة) أي ومن البر الإيمان بالملائكة كلهم لأن اليهود قالوا : إن جبريل عبدونا (والكتاب) قيل أراد به القرآن وقيل جميع الكتب المنزلة لسباق ما بعده وهو قوله (والتبيين) يعني أجمع وإنما خص الإيمان بهذه الأمور الخمسة لأنه يدخل تحت كل واحد منها أشياء كثيرة مما يلزم المؤمن أن يصدق بها (وآتى المال على حبه) يعني من أعمال البر إيتاء المال على حبه قيل إن الضمير راجع إلى المال فالتقدير على هذا وآتى المال على حب المال (ق) عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجرا قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الخلقوم قلت لفلان كذا و لفلان كذا وقد كان لفلان (قوله حتى إذا بلغت الخلقوم) يعني الروح وإن لم يتقدم لها ذكر وقوله لفلان كذا هو كناية عن الموصى له وقوله وقد كان لفلان كناية عن الوارث وقيل الضمير في حبه راجع إلى الله تعالى أي وآتى المال على حب الله وطلب مرضاته (ذوى القربى) يعني أهل قرابة المعطى وإنما قدمهم لأنهم أحق بالإعطاء. عن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذوى الرحم ثنتان صدقة وصلته أخرجه الترمذى (ق) «إن ميهونة رضى الله عنها أعتقت وليدة ولم تستأذن النبي ﷺ فلما كان يومها الذى يدور عليها فيه قالت أشعرت يا رسول الله أنى أعتقت وليدتي قال أوعدت فقلت نعم قال أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك والوليدة الجارية (واليتامى) اليتيم والذى لأب له مع الصغر وقيل يقع على الصغير والبالغ أي وآتى النفر من اليتامى (والمساكين) جمع مسكين ممي بذلك لأنه دائم السكون إلى الناس لأنه لا شيء له (وابن السبيل) يعني المسافر المنقطع عن أهله سمى المسافر ابن السبيل ملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل لأنه إنما وصل إليه من السبيل وهو الطريق والأول أشبه لأن ابن السبيل اسم جامع جعل للمسافر (والسائلين) يعني الطالبين المستطعين. عن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسائل حق ولو جاء على فرس أخرجه أبو داود عن زيد بن أسلم أن رسول الله

صبرين عن الرباب عن عمها سليمان بن عامر يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال «الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذوى الرحم ثنان صدقة وصلته قرله تعالى (واليتامى والمساكين وابن السبيل) نال مجاهد يعني المسافر المنقطع عن أهله يمر عليك ويقال لا سافر ابن السبيل ملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل قال النبي ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (والسائلين) يعني الطالبين أخبرنا أبو الحسن البرنجى أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمى أخبرنا أبو بصير عن مالك بن زيد بن أسلم عن أبي مجاهد الأنصارى وهو عبد الرحمن بن بن مجاهد عن جدته وهي أم نجيد أن رسول الله ﷺ قال «ردوا السائل ولو بظلف محرقة» وفي رواية قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لم تجدى شيئا إلا ظلما محرقا فادفعيه

إليه قوله تعالى (وفي الرقاب) يعني المكاتبين قاله أكثر المفسرين. وقيل عتق التسمية ذك الرقبة. وقيل فداء لأسارى (وأقام الصلاة وآتى الزكاة) وأعطى الزكاة (والموفون بعهدهم) فيما بينهم وبين الله عز وجل وفيما بينهم وبين الناس (إذا عاهدوا) يعني إذا وعدوا أنجزوا وإذا حلفوا ونذروا أو فؤوا وإذا عاهدوا وفؤوا وإذا قالوا صدقوا وإذا اتتمنوا أدوا، واختلفوا في رفع قوله والموفون قيل هو عطف على خبر معناه ولكن ذا البر المؤمنون والمرفون عدهم وقيل تقديرهم المرفون كأنه عد أصنافاً ثم قال هم والموان كذا وقيل رفع على الابتداء والخبر يعني وهم المرفون ثم قال (والصابرين) وفي نصبها أربعة أوجه. قال أبو عبيدة نصبها على نطاول الكلام ومن شأن العرب أن تعبر الإعراب إذا طال الكلام والنسق ومثله في سورة النساء والمتيمين الصلاة وفي سورة المائدة والصابثون والتصابري وقيل معناه أعنى الصابرين وقيل نصبه نسقا على قوله ذوى القربى أى وأتى الصابرين وقال الخليل نصب على المدح والعرب تنصب الكلام على المدح والذم كأنهم يريدون أفراد المدح والمذموم فلا يبدؤا به أول الكلام وينصبونه فالمدح كقوله تعالى «والمقيمين الصلاة» والذم كقوله تعالى (۱۴۵) «ما عوفين أبناً ثقفوا» قوله تعالى

(في البأساء) أى الشدة والفقير (والضراء) المرض والزمانة (وحين البأس) أى القتال والحرب. أخبرنا المطهر ابن علي بن عبد الله الفارسي. أخبرنا أبو ذر محمد بن إبراهيم الصالحاني أخبرنا أبو محمد عبد الله ابن محمد بن جعفر بن حبان. أخبرنا عبد الله بن محمد البغوي، أخبرنا علي بن الجعد، أخبرنا زهير عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال «كنا إذا احمر البأس ولقى القوم القوم اتقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون

صلى الله عليه وسلم قال «أعطوا السائل ولو جاء على فرس» أخرجه مالك في الموطأ عن أم نجيد قالت: قلت يا رسول الله إن المسكين لي قوم على بابي فلم أجد شيئاً أعطيته إياه قال «إن لم تجدى إلا ظلفاً محرقاً فأدفعه إليه في يده» أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية مالك في الموطأ عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ردوا المسكين ولو بظلف محرق» قوله ردوا المسكين، لم يرد به رد الحرمان وإنما أراد به ردوه بشئ تعطونه إياه ولو كان ظلفاً وهو خف الشاة وفي كونه محرقاً مبالغة في قلة ما يعطى (وفي الرقاب) يعني المكاتبين وقيل هو فك التسمية وعتق الرقبة وفداء الأسارى (وأقام الصلاة) يعني افروضة في أوقاتها (وآتى الزكاة) يعني الواجبة (والموفون بعهدهم) يعني ما أخذ الله من اليهود على عباده بالقيام بحدوده والعمل بطاعته وقيل أراد بالعهد ما يجعله الإنسان على نفسه ابتداء من نذر وغيره. وقيل العهد الذي كان بينه وبين الناس مثل الوفاء بالمواعيد وأداء الأمانات (إذا عاهدوا) يعني إذا وعدوا أنجزوا وإذا نذروا أو فؤوا وإذا حلفوا بروا في إيمانهم وإذا قالوا صدقوا في أقوالهم وإذا اتتمنوا أدوا (والصابرين في البأساء) أى في الشدة والفقير والفاقة (والضراء) يعني المرض والزمانة (وحين البأس) يعني القتال والحرب في سبيل الله ومعنى الحرب بأساً لما فيه من الشدة (في) عن البراء قال كنا والله إذا احمر البأس نتقى به وأن الشجاع منا الذي يخاذى به يعني النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأوصاف هم الذين صدقوا في إيمانهم (وأولئك هم الممتقون) قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى) نزلت في حين من أحياء العرب اقتتلوا في الجاهلية بسبب قتل، فكانت بينهم قتلى وحروب وجراحات كثيرة ولم يأخذ بعضهم من بعض حتى جاء

(۱۹ - خازن بالبغوي - أول)

أحد أقرب إلى العدو منه. يعني إذا اشتد الحرب (أولئك الذين صدقوا) في إيمانهم (وأولئك هم الممتقون) حارم الله. قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص) قال الشعبي والكلبي وقتادة: نزلت هذه الآية في حين من أحياء العرب اقتتلوا في الجاهلية قبيل الإسلام بقليل وكانت بينهما قتلى وجراحات لم يأخذها بعضهم من بعض حتى جاء الإسلام قال قتادة ومقاتل بن حيان: كانت بين بني قريظة والنضير، وقال سعيد بن جبیر: كانت بين الأوس والخزرج قالوا جريماً وكان لأحد الحيين على الآخر طول في الكثرة والشرف وكانوا يشكحون نساءهم بغير مهور فأقسموا لقتلن بالعبد منا الحر منهم، وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وبالرجلين منا أربعة رجال منهم، وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات أولئك فرفعوا أمرهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل الله تعالى هذه الآية وأمر بالمساواة فرضوا وأسدوا. قوله كتب عليكم القصاص أى فرض عليكم القصاص (في القتلى) والقصاص المساواة والمماثلة في الجراحات والديارات وأصله من قص الأثر إذا اتبعه فالمنعول به يتبع ما فعل به فيقتل مثله ثم بين المماثلة فقال:

(الحر بالحر والعبد بالعبد والأثني بالأثني) وجملة الحكم فيه أنه إذا تكافأ الدمان من الأحرار المسلمين أو العبيد من المسلمين أو الأحرار من المعاهدين أو العبيد منهم قتل من كل صنف منهم الذكـر إذا قتل بالذكـر وبالأثني وتقتل الأثني إذا قتلت بالأثني وبالذكـر ، ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد ولا مسلم بذي ، ويقتل الذمي بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد . هذا قول أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم . أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب . أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو الهيثم الأصم ، أخبرنا الربيع بن سليمان أنا الشافعي ، أخبرنا سفيان بن عيينة عن مطرف عن الشعبي عن أبي جحيفة قال سألت علياً رضي الله عنه : هل عندك عن النبي ﷺ شيء سوى القرآن ؟ فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يؤتى الله عبداً فهما في القرآن وما في هذه (١٤٦) الصحيحة قلت وما في هذه الصحيفة قال العتل فكذلك الأسير ولا يقتل مؤمن

بكافر . وروى عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ الانتقام الحود في المساجد ولا ياد بالولد الوالد ، وذهب الشعبي والنخعي وأصحاب الرأي إلى أن المسلم يقتل بالكافر الذمي وإلى أن الحر يقتل بالعبد والحديث حجة لمن لم يوجب القصاص على المسلم بتل الذمي ، وتقتل الجماعة بالواحد . روى عن سعيد ابن المسيب أن عمر بن الخطاب قتل سبعة أو خمسة برجل قتأوه غير وقال : لو عملاً عليه أهل صنعاء لقتلتم به جميعاً . ويجرى القصاص في الأطراف كما يجري في النفوس إلا في شيء واحد وهو أن الصحيح السوي يقتل بالمرضى والزمن وفي الأطراف لو قطع بدا شلاء أو ناقصة بالأصبع لا تقطع بها الصحيحة الكاملة . وذهب أصحاب الرأي إلى أن القصاص في الأطراف لا يجري إلا بين حرين أو حرين . ولا يجري بين الذكـر والأثني ولا بين العبد ولا بين الحر والعبد وعند الآخرين : الطرف في القصاص مقبس على النفس . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد اللبدي . أخبرنا أحمد بن عبد الله ثعلبي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن منيرة أنه سمع عبد الله بن بكر السهمي أخبرنا حميد عن أنس بن النضر أن الربيع عمته كسرت ثنية جارية فطأوا إليها العفو فأبوا فعرضوا الأرض فأبوا فأبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبوا إلا القصاص فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص . قال أنس بن النضر يا رسول الله أتكسر ثنية الربيع لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . يا أنس كتاب الله

الاسلام وقيل نزات في الأوس والخزرج وكان لأحد الخيين طول على الآخر في الكثرة والشرف وكانوا ينسجون تساهم بغير مهر وأقسموا لثقتل بالعبد منا الحر منهم وبالمراة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين ، وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات أولئك فرفعوا أمرهم إلى النبي ﷺ فأنزل الله هذه الآية وأمره بالمساواة فرضوا وسلموا . وقيل إنما نزات هذه الآية لإزالة الأحكام التي كانت قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن اليهود كانوا يوجبون القتل فقط بلا عفو والنصارى يوجبون العفو بلا قتل والعرب في الجاهلية كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون أخذ الدية تارة وكانوا يتعدون في الحكمين فان وقع القتل على شريف قتلوا به عدداً ويأخذون دية الشريف أضعاف دية الخسيس ، فلما بعث محمد ﷺ أوجب الله رعاية العدل وسوى بين عباده في حكم القصاص فأنزل الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم أي فرض عليكم (التصاص في القتل) . فان قات كيف يكون القصاص فرضاً والولي غير فيه بين العفو والقصاص وأخذ الدية ؟ قلت إن التصاص فرض على القاتل للولي لا على الولي . وقيل إذا أردتم القصاص فقد فرض عليكم ، والقصاص المساواة والمماثلة في القتل والدية والجراح من قص الأثر إذا اتبعه فالمتعمول به يتبع ما فعل فيفعل به مثل ذلك فلو قتل رجل رجلاً بعضاً أو ختقه أو شدخ رأسه فمجر فمات فيقتل القاتل بمثل الذي قتل به وهو قول مالك والشافعي وإحدى الروايتين عن أحمد وقيل يقتل بالسيف وهو قول أبي حنيفة والرواية الثانية عن أحمد (الحر بالحر والعبد بالعبد والأثني بالأثني) ومعناه أنه إذا تكافأ الدمان من الأحرار المسلمين أو العبيد من المسلمين أو الأحرار من المعاهدين أو العبيد منهم فيقتل كل صنف إذ قتل بمثله الذكـر بالذكـر والأثني بالأثني وبالذكـر ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد ويقتل الذمي بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد هذا مذهب مالك والشافعي وأحمد ويدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن أبي جحيفة قال سألت علياً هل عندكم من النبي صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يؤتى الله عبداً فهما في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت : وما في هذه الصحيفة قال : العقل وفك الأسير وأن لا يقتل مؤمن

بكافر
 والزمن وفي الأطراف لو قطع بدا شلاء أو ناقصة بالأصبع
 لا تقطع بها الصحيحة الكاملة . وذهب أصحاب الرأي إلى أن القصاص في الأطراف لا يجري إلا بين حرين أو حرين . ولا يجري بين الذكـر والأثني ولا بين العبد ولا بين الحر والعبد وعند الآخرين : الطرف في القصاص مقبس على النفس . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد اللبدي . أخبرنا أحمد بن عبد الله ثعلبي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن منيرة أنه سمع عبد الله بن بكر السهمي أخبرنا حميد عن أنس بن النضر أن الربيع عمته كسرت ثنية جارية فطأوا إليها العفو فأبوا فعرضوا الأرض فأبوا فأبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبوا إلا القصاص فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص . قال أنس بن النضر يا رسول الله أتكسر ثنية الربيع لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . يا أنس كتاب الله

القصاص فرضي القوم فغفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره » قوله تعالى (فمن عفى له من أخيه شيء) أي ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضى بالدية هذا قول أكثر المفسرين قالوا العفو أن يقبل الدية في قتل العمد وقواه من أخيه أي من دم أخيه وأراد بالأخ (١٤٧) المقبول والكتابتان في قوله : له

ومن أخيه ترجعان إلى من وهو القاتل وقوله : شيء دليل على أن بعض الأولياء إذا عفا سقط القود لأن شيئا من الدم قد بطل . قوله تعالى (فاتباع بالمعروف) أي على الطالب للدية أن يتبع بالمعروف فلا يطالب بأكثر من حقه (وأداء إليه بإحسان) أي على المطلوب منه أداء الدية بالإحسان من غير مماطلة ، أمر كل واحد منهما بالإحسان فيما له وعليه ، ومذهب أكثر العلماء من الصحابة والتابعين أن ولي الدم إذا عفا عن القصاص على الدية فله أخذ الدية وإن لم يرض به القاتل وقال قوم لا دية له إلا يرضى القاتل وهو قول الحسن والنخعي وأصحاب الرأي ، وحجة المذهب الأول : ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الحلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي

بكافر ، وقد أخرج مسلم عن علي نحو هذا من غير رواية أبي جحيفة العقل هنا هو الدية والعاقلة الجماعة من أولياء القاتل الذين يعقلون . عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا تقام الحدود في المساجد ولا يقتل الوالد بالولد » أخرجه الترمذي ، وذهب أصحاب الرأي إلى أن المسلم يقتل بالدمي والحرب بالعمد وهذه الآية مع الأحاديث حجة للمذهب الشافعي ومن وافقه ويقولون هي مفسرة لما أهدم في قوله « النفس بالنفس » وأن تلك الواردة لحكاية ما كتب علي بن أبي إسرائيل في التوراة وهذه الآية خطاب لا سامعين بما كتب عليهم وذهب أصحاب الرأي إلى أن هذه منسوخة بقوله « النفس بالنفس » وقتل الجماعة بالواحد يدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر أن غلاما قتل غيلة فقال عمر لو اشترك فيه أهل صنعاء لقتلتهم به قال البخاري وقال مغيرة بن حكيم عن أبيه أن أربعة قتلوا صبيا فقال عمر مثله وروى مالك في الموطأ عن ابن المسيب أن عمر قتل نفرا خمسة أو سبعة رجل واحد قتلوه غيلة وقال لو تمألا عليه أهل صنعاء لقتلهم جميعا . الغيلة أن يقتل الرجل خديعة ومكر من غير أن يعلم ما يراد به وقوله لو تمألا أي تعاونوا واجتمعوا عليه . وقوله تعالى (فمن عفى له من أخيه شيء) أي ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضى بالدية أو العفو عنها ، أو قبول الدية في قتل العمد من أخيه أي من دم أخيه وأراد بالأخ وولي المتول ، وإنما قيل له أخ لأنه لا يسه من قبل أنه ولي الدم والمطالب به وقيل إنما ذكره بلفظ الأخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بما هو ثابت بينهما من الجنسية وأخوة الإسلام . وفي قوله شيء دليل على أن بعض الأولياء إذا عفا سقط القود وثبتت الدية لأن شيئا من الدم قد بطل (فاتباع بالمعروف) أي فليتبع الولي القاتل بالمعروف فلا يأخذ أكثر من حقه ولا يعنفه (وأداء إليه بإحسان) أي على القاتل أداء الدية إلى ولي الدم من غير مماطلة ، أمر كل واحد منهما بالإحسان فيما له وعليه وقيل في تقدير الآية وإذا عفا ولي الدم عن شيء يتعاقب بالقاتل وهو وجوب القصاص فليتبع القاتل ذلك العفو معروف وليؤد ما وجب عليه من الدية إلى ولي الدم بإحسان من غير مظل ولا مدافعة . وفي الآية دليل على أن القاتل يصير كافرا وأن الفاسق مؤمن ووجه ذلك من وجوه : الأول إن الله تعالى نجأه بعد أن نزل بالإيمان وساء مؤمنا بقوله « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص » فسواء مؤمنا حيا ما وجب عليه من القصاص . وإنما وجب عليه بعد صدور القتل منه وقيل العمد والعدوان من الكبائر بالإجماع فدل على أن صاحب الكبيرة مؤمن . الوجه الثاني أنه تعالى أثبت الأخوة بين القاتل وولي الدم بقوله « فمن عفى له من أخيه شيء » وأراد بالأخوة أخوة لإيمان فلولا أن الإيمان باق على القاتل لم ثبت له الأخوة . الوجه الثالث أنه تعالى ندب إلى العفو عن القاتل والعفو لا يليق إلا عن المؤمن لاعتن الكافر . وقوله تعالى (ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) يعني الذي ذكر من الحكم بشرع القصاص والعفو عن القصاص وأخذ الدية تخفيف من ربكم ، يعني في حقكم ورحمة ، وذلك لأن العفو وأخذ الدية كان حراما على اليهود

أخبرنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد المتبري عن أبي شريح الكعبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ثم أتم يا خزاعة قد قتلتم هذا الثميل من هذيل وأنا والله عاقله فمن قتل بمدية قبيلة فأهله بين خيرين إن أحبوا قتلوا وإن أحبوا أخذوا العقل » قوله تعالى (ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) أي ذلك الذي ذكرت من العفو عن القصاص وأخذ الدية تخفيف

من ربكم ورحمة وذلك أن القصاص في النفس والجراح كان حتما في التوراة علي اليهود ولم يكن لهم أخذ الدية وكان في شرع النصارى الدية ولم يكن لهم القصاص فخير الله هذه الأمة بين القصاص وبين العفو عن الدية تخفيفا منه ورحمة (فمن اعتدى بعد ذلك) فقتل الجاني بعد العفو وقبول الدية (١٤٨) (فله عذاب أليم) وهو أن يقتل قصاصا قال ابن جرير يتحتم قتله

حتى لا يقتل بعد العفو وفي الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافرا بالقتل لأن الله تعالى خاطبه بعد القتل بخطاب الإيمان فقال يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص وقال في آخر الآية فمن عفى له من أخيه شيئا وأراد به أخوة الإيمان فلم يقطع الأخوة بينهما بالقتل قوله تعالى (ولكم في القصاص حياة) أي بقاءه وذلك أن القاصد للقتل إذا علم أنه إذا قتل يقتل بقتل عن القاتل فيكون فيه بقاءه وبقاء من هم يقتله . وقيل إن نفس القصاص سبب للحياة وذلك أن القاتل إذا اقتص منه ارتدع غيره ممن كان بهم بالقتل . واعلم أن هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص الذي هو القتل بل يدخل فيه جميع الجراح والشجاج وغير ذلك لأن الجراح إذا علم أنه إذا جرح جرح لم يجرح فيصير ذلك سببا لبقاء الجراح والجروح وربما أفضت الجراحة إلي الموت فيقتص من الجراح . وقيل في معنى الآية إن الحياة سلامته من قصاص الآخرة فانه إذا اقتص منه في الدنيا لم يقتص منه في الآخرة وفي ذلك حياته وإذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الآخرة (يا أولى الألباب) أي يا ذوى العقول الذين يعرفون الصواب لأن العاقل لا يريد إتلاف نفسه بإتلاف غيره (لعلكم تتقون) يعني لعلكم تتنبهون عن القتل خوفا للقصاص . قوله عز وجل (كتب) أي فرض وأوجب (عليكم إذا حضر أحدكم الموت) أي قرب وذنابه وظهرت آثاره عليه من العلل والأمراض المخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لأنه في ذلك الوقت يعجز عن الإبضاء (إن ترك خيرا) يعني ما لا قبل يطلق على القليل والكثير وهو قول الزهري فتجب الوصية في الكل وقيل إن لفظة الخير لا تطلق إلا على المال الكثير وهو قول الأكثرين واختلفوا في مقدار الكثير الذي تقع فيه الوصية فقول ألف درهم فما زاد عليها وقيل سبعمائة فما فوقها وقيل ستون دينارا فما فوقها وقيل إنه من خمسمائة إلي ألف وقيل إنه المال الكثير الفاضل عن العيال روى أن رجلا قال لعائشة إنى أريد أن أوصي فقالت كم مالك ؟ قال ثلاثة آلاف درهم قالت كم عيالك قال أربعة قالت إنما قال الله وإن ترك خيرا وهذا شيء يسير فأركه لعيالك (الوصية) أي الإبضاء والوصية التقدم إلي الغير عما يعمل به وقيل هي القول المبين لما يستأنف من العمل والقيام به بعد الموت (لوالدين والأقربين) كانت الوصية في ابتداء الإسلام فريضة للوالدين والأقربين على من مات وله مال . وسبب ذلك أن أهل الجاهلية كانوا يوصون للأبعدين طلبا للفخر والشرف والرياء ويتركون الأقربين فقراء فأوجب الله تعالى الوصية للأقربين ثم نسخت هذه الآية بآية الموارث وبما روى عن عمرو بن بخارجة قال كنت آخذنا بزمام ناقه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطلب فسمعتة يقول إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث . أخرجه النسائي والترمذي نحوه وذهب ابن عباس إلى أن وجوبها صار منسوخا في حق من يرث وبقى وجوبها في حق من لا يرث من الوالدين والأقربين وهو قول الحسن

وكان القصاص حتما في التوراة ، وكان في شرع النصارى أخذ الدية ولم يكتب عليهم القصاص وقيل كان عليهم العفو دون القصاص وأخذ الدية فخير الله هذه الأمة بين القصاص أو العفو وأخذ الدية توسعة عليهم وتيسيرا وتفضيلا لهم على غيرهم (فمن اعتدى بعد ذلك) يعني بعد هذا التخفيف فقتل الجاني بعد العفو أو قبول الدية (فله عذاب أليم) وهو أن يقتل قصاصا ولا يتقبل منه دية ولا يعني عنه . وقيل المراد بالعذاب الأليم عذاب الآخرة . قوله عز وجل (ولكم في القصاص حياة) أي بقاءه وذلك أن القاصد للقتل إذا علم أنه إذا قتل ترك القتل وامتنع عنه فيكون فيه بقاءه وبقاء من هم يقتله . وقيل إن نفس القصاص سبب للحياة وذلك أن القاتل إذا اقتص منه ارتدع غيره ممن كان بهم بالقتل . واعلم أن هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص الذي هو القتل بل يدخل فيه جميع الجراح والشجاج وغير ذلك لأن الجراح إذا علم أنه إذا جرح جرح لم يجرح فيصير ذلك سببا لبقاء الجراح والجروح وربما أفضت الجراحة إلي الموت فيقتص من الجراح . وقيل في معنى الآية إن الحياة سلامته من قصاص الآخرة فانه إذا اقتص منه في الدنيا لم يقتص منه في الآخرة وفي ذلك حياته وإذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الآخرة (يا أولى الألباب) أي يا ذوى العقول الذين يعرفون الصواب لأن العاقل لا يريد إتلاف نفسه بإتلاف غيره (لعلكم تتقون) يعني لعلكم تتنبهون عن القتل خوفا للقصاص . قوله عز وجل (كتب) أي فرض وأوجب (عليكم إذا حضر أحدكم الموت) أي قرب وذنابه وظهرت آثاره عليه من العلل والأمراض المخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لأنه في ذلك الوقت يعجز عن الإبضاء (إن ترك خيرا) يعني ما لا قبل يطلق على القليل والكثير وهو قول الزهري فتجب الوصية في الكل وقيل إن لفظة الخير لا تطلق إلا على المال الكثير وهو قول الأكثرين واختلفوا في مقدار الكثير الذي تقع فيه الوصية فقول ألف درهم فما زاد عليها وقيل سبعمائة فما فوقها وقيل ستون دينارا فما فوقها وقيل إنه من خمسمائة إلي ألف وقيل إنه المال الكثير الفاضل عن العيال روى أن رجلا قال لعائشة إنى أريد أن أوصي فقالت كم مالك ؟ قال ثلاثة آلاف درهم قالت كم عيالك قال أربعة قالت إنما قال الله وإن ترك خيرا وهذا شيء يسير فأركه لعيالك (الوصية) أي الإبضاء والوصية التقدم إلي الغير عما يعمل به وقيل هي القول المبين لما يستأنف من العمل والقيام به بعد الموت (لوالدين والأقربين) كانت الوصية في ابتداء الإسلام فريضة للوالدين والأقربين على من مات وله مال . وسبب ذلك أن أهل الجاهلية كانوا يوصون للأبعدين طلبا للفخر والشرف والرياء ويتركون الأقربين فقراء فأوجب الله تعالى الوصية للأقربين ثم نسخت هذه الآية بآية الموارث وبما روى عن عمرو بن بخارجة قال كنت آخذنا بزمام ناقه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطلب فسمعتة يقول إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث . أخرجه النسائي والترمذي نحوه وذهب ابن عباس إلى أن وجوبها صار منسوخا في حق من يرث وبقى وجوبها في حق من لا يرث من الوالدين والأقربين وهو قول الحسن

ومسروق

أي جاء أسباب الموت وآثاره من العلل والأمراض

(إن ترك خيرا) أي مالا ظاهرا قوله تعالى « وما تفرقوا من خير » (الوصية للوالدين والأقربين) كانت الوصية فريضة في ابتداء الإسلام للوالدين والأقربين على من مات وله مال ثم نسخت بآية الموارث . أخرنا الإمام أبو علي الحسن بن محمد القاضي

أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن حمش الزبدي. أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر ، أخبرنا محمد بن أحمد ابن الوليد أخبرنا الهيثم بن جميل ، أخبرنا حماد بن سلمة عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن عمرو ابن خارجة قال كنت أخذنا بزمام ناقه النبي صلى الله عليه وسلم فقال « إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » فذهب جماعة إلي أن وجوبها صار منسوخا في حق الأقارب الذين يرثون ، وبقي وجوبها في حق الذين لا يرثون من الوالدين والأقارب وهو قول ابن عباس وطاوس وقتادة والحسن ، قال طاوس من أوصى بقوم سماهم وترك ذوي قرابته محتاجين انتزعت منهم وردت إلي ذوي قرابته ، وذهب الأكثرون إلي أن الوجوب صار منسوخا في حق الكافة ، وهي مستحبة في حق الذين لا يرثون. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا طاهر بن أحمد أخبرنا (١٤٩) أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب

عن مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه » قوله تعالى (بالمرءوف) يريد يوصي بالمرءوف ولا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويدع الفقير قال ابن مسعود : الوصية للأخجل فالأخجل ، أي الأخرج فالأخروج. أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله الصالح أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين البخري أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن رجم الشيباني ، أخبرنا أحمد بن حازم ابن أبي عروة أخبرنا عبد الله بن موسى وأبو نعيم عن سفيان الثوري ،

ومسروق و طاوس والضحاك ومسلم بن يسار وحجة هؤلاء أن الآية دالة على وجوب الوصية للوالدين والأقربين ثم نسخ ذلك الوجوب في حق من يرث بأية الميراث وبالحديث المذكور فوجب أن تبقى الآية دالة على وجوب الوصية للتقريب الذي لا يرث فعلى قول هؤلاء النسخ يتناول بعض أحكام الآية ، وذهب الأكثرون من المفسرين والعلماء وفقهاء الحجاز والعراق إلى أن وجوبها صار منسوخا في حق الكافة وهي مستحبة في حق من لا يرث ويدل على استحباب الوصية والحث عليها ما روى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه » وفي رواية « له شيء » يريد أن يوصي به أن يبيت ليلتين ، وفي رواية « ثلاث ليال إلا ووصيته مكتوبة عنده » قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مررت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك إلا ووصيته مكتوبة عندي أخرجه الجماعة . قوله ما حق امرئ الحق يشتمل معناه على الوجوب والتدب والحث ، فيجمل هنا على الحث في الوصية لأنه لا يدرى متى يأتي الموت فرمما أتاه بغتة فيمنعه عن الوصية . وقوله تعالى (بالمرءوف) أي بالعدل الذي لا وكس فيه ولا شطط فلا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويدع الفقير (ق) عن سعد بن أبي وقاص قال « جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذني عام حجة الوداع من وجع اشتد لي فقلت يا رسول الله إني قد بلغ من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنتي أفأصدق بثلثي مالي قال لا قلت فإلشطر يا رسول الله قال لا قلت فالثلث قال الثلث والثلث كثير أوقال والثلث كثير إنك أن تدرك تربتك أعنياء خير من أن تدرك عالة يتكفون والناس العالة الفقراء وقوله يتكفون الناس التكفف المستقلة من الناس كأنه من الطلب بالألف (ق) عن ابن عباس قال في الوصية لو أن الناس غصوا من الثلث إلى الربع فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسعد و الثلث كبير وقال علي بن أبي طالب لأن أوصى بالخمس أحب إلي من أن أوصى بالربع ولأن أوصى بالربع أحب إلي من أن أوصى بالثلث فمن أوصى بالثلث فلم يترك ، وقيل يوصى بالسدس أو بالخمس أو الربع (ح) أي ثابتا بثبوت نذب لا بثبوت فرض ووجوب (على المتقين) أي على المؤمنين الذين يتقون الشرك (فمن بدله) أي غير الوصية من الأولياء والأوصياء وذلك التغيير يكون إما في الكتابة

عن سعيد بن إبراهيم عن عامر بن سعيد عن سعد بن مالك قال « جاء في النبي صلى الله عليه وسلم يعوذني فقلت يا رسول الله أوصى بمالي كله قال لا ، قلت فالشطر قال لا قلت فالثلث قال الثلث والثلث كثير إنك إن تدع وترثك أعنياء خير من أن تدعهم عالة يتكفون الناس بأيديهم » فقوله يتكفون الناس أي يسألون الناس الصدقة بأكنهم وعن ابن أبي مليكة أن رجلا قال لعائشة رضي الله عنها إني أريد أن أوصى قالت كم مالك قال ثلاثة آلاف قالت كم عيالك قال أربعة قالت إنما قال الله إن ترك خيرا وإن هداشي ، يسير فتركه لعيبك ، وقال علي رضي الله عنه : لأن أوصى بالخمس أحب إلي من أن أوصى بالربع ولأن أوصى بالربع أحب إلي من أن أوصى بالثلث فمن أوصى بالثلث فلم يترك. وقال الحسن البصري رضي الله عنه يوصي بالسدس أو بالخمس أو الربع . وقال الشعبي إنما كانوا يوصون بالخمس أو الربع . قوله تعالى (حقا) نصب على المصدر وقيل على المقعول ، أي جعل الوصية حقا (على المتقين) المؤمنين . قوله تعالى (فمن بدله) أي غير الوصية من الأوصياء

أو الأولياء أو الشهود (بعد ماسمعه) أي بعد ما سمع قول الموصي ، ولذلك ذكر الكناية مع كون الوصية مؤنثة ، وقيل : الكناية راجعة إلى الإيصاء كقولته تعالى «فمن جاءه موعظة من ربه» ، ورد الكناية إلى الوعظ (فإنما إثمهم على الذين يدلونهم) والميت يرى معناه (إن الله سميع) لما أوصى به الموصي (علم) بتبديل المبدل أو جميع الوصية علم بنيته. قوله تعالى (فمن خاف) أي علم كقولته تعالى «فإن خفتم ألا يتقيا حدود الله» أي علمتم (من موص) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب بفتح الواو وتشديد الصاد كقولته تعالى «ما وصى به نوحا ووصينا الإنسان» وقرأ الآخرون بسكون الواو وتخفيف الصاد كقولته تعالى «يوصيكم الله في أولادكم من بعد وصية يوصي بها أو دين» (جنفا) أي جورا وعدولا عن الحق والجنف الميل (أو إنما) أي ظلما ، وقال السدي وعكرمة والربيع الجنف الخطأ والإثم العمد (١٥٠) (فأصلح بينهم فلا إثم عليه) واختلَفوا في معنى الآية . قال مجاهد

معناها أن الرجل إذا حضر مريضاً وهو يوصي قرأه بميل : إما بتقصير ، أو إسراف أو وضع الوصية في غير موضعها فلا حرج على من حضره أن يأمره بالعدل وينهاه عن الجنف فينظر للموصي له والورثة. وقال الآخرون إنه أراد به أنه إذا أخطأ الميت في وصيته أو جازع عمداً فلا حرج على وليه أو وصيه أو ولي أمور المسلمين أن يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصي لهم ويرد الوصية إلى العدل والحق فلا إثم عليه ، أي لا حرج عليه (إن الله غفور رحيم) وقال طاووس جنفه توجيهه وهو أن يوصي لئبي بن يزيد ابنه أو ولد

أو في قسمة الحقوق ، أو الشهود بأن يكتموا الشهادة أو يغيروها ، وإنما ذكر الكناية في بدله مع أن الوصية مؤنثة لأن الوصية بمعنى الإيصاء كقولته «فمن جاءه موعظة» أي وعظ والتقدير فمن بدل قول الميت ، أو ما أوصى به (بعد ماسمعه) أي من الموصي وتحققه (فإنما إثمهم على الذين يدلونهم) أي إن إثم ذلك التبديل لا يعود إلا على المبدل ، والموصي والموصى له بريئان منه (إن الله سميع) يعني لما أوصى به الموصي (علم) يعني بتبديل المبدل (فمن خاف) أي علم وهو خطاب عام لجميع المسلمين (من موص جنفا) يعني جورا في الوصية وعدولا عن الحق ، والجنف الميل (أو إنما) أي ظلما (فأصلح بينهم) وقيل الجنف الخطأ في الوصية والإثم العمد. وقيل في معنى الآية إنه إذا حضر رجل مريضاً وهو يوصي قرأه بميل في وصيته إما بتقصير أو إسراف أو وضع الوصية في غير موضعها فلا حرج عليه أن يأمره بالعدل في وصيته وينهاه عن الجنف والميل ، وقيل إنه أراد به إذا أخطأ الميت في وصيته أو حاف متعمداً فلا حرج على وليه أو وصيه أو ولي أمور المسلمين أن يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصي لهم ويرد الوصية إلى العدل والحق (فلا إثم عليه) أي فلا حرج عليه في الصلح (إن الله غفور رحيم) أي لمن أصلح وصيته بعد الجنف والميل . عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال «إن الرجل والمرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار» ثم قرأ أبو هريرة «ومن بعد وصية يوصي بها أو دين» إلى قوله «وذلك الفوز العظيم» أخرجه أبو داود والترمذي . قوله فيضاران إن المضارة إيصال الضرر إلى شخص ومعنى المضارة في الوصية أن لا ترضى أو ينقص بعضها أو يوصي لغير أهلها أو يحيف في الوصية ونحو ذلك . قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كتب) أي فرض (عليكم الصيام) والصوم في اللغة : الإمساك يقال صام النهار إذا اعتدل وقام قائم الظهر ومنه قوله تعالى «إني نذرت للرحمن صوما» أي صمتاً لأنه إمساك عن الكلام ، والصوم في الشرع : عبارة عن الإمساك عن الأكل والشرب والجماع في وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس

ابنته ولزوج ابنته يزيد بذلك ابنته . وقال الكلبي كان الأولياء والأوصياء بمضمون وصية الميت بعد نزول قوله مع تعالى «فمن بدل بعد ماسمعه» الآية وإن استغرق المال كله ولم يبق للورثة شيء ، ثم نسخها قوله تعالى «فمن خاف من موص جنفا» الآية . قال ابن زيد فعجز الموصي أن يوصي للأقربين كما أمر الله تعالى وعجز الوصي أن يصلح فانتزع الله تعالى ذلك منهم ففرض الترافض . روى عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال «إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار» ثم قرأ أبو هريرة «ومن بعد وصية إلى قوله غير مضار» قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) أي فرض وأوجب الصوم . والصيام في اللغة الإمساك يقال صام النهار إذا اعتدل وقام قائم الظهر ، لأن الشمس إذا بلغت كبد السماء ، كأنها وقفت وأمسكت عن السير سريعة . ومنه قوله تعالى «فقولوا إني نذرت للرحمن

صوما ، أى صمتا لأنه إمساك عن الكلام ، وفى الشريعة الصوم وهو : الإمساك عن الأكل والشرب والجماع مع النية فى وقت مخصوص (كما كتب على الذين من قبلكم) من الأنبياء والأمم. واختلقوا فى هذا التشبيه فقال سعيد بن جبير كان صوم من قبلنا من العتمة إلى الليلة القابلة كما كان فى ابتداء الإسلام. وقال جماعة من أهل العلم أراد أن صيام رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فرما كان يقع فى الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم فى أسفارهم ويضرهم فى معاشهم فاجتمع رأى علمائهم ورؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم فى فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه فى الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصار أربعين ثم إن ملكا لهم اشتكى ففعل الله عليه إن هو برأ من وجعه أن يزيد فى صومهم أسبوعا فبرأ فزاد فيه أسبوعا ثم مات ذلك الملك ووليهم ملك آخر (١٥١) فقال أتموه خمسين يوما . وقال

بجاهد أصابهم موتان فقالوا زيدوا فى صيامكم فزادوا فيه عشرا قبل وعشرا بعد قال الشعبي لو صمت السنة كلها لأفطرت اليوم الذى يشك فيه فيقال من شعبان ويقال من رمضان ، وذلك أن النصارى فرض الله عليهم شهر رمضان فصاموا قبله يوما وبعده يوما ثم لم يزل الآخر يستن بسنة القرن الذى قبله حتى صاروا إلى خمسين يوما فلذلك قوله تعالى : (كما كتب على الذين من قبلكم) (لعلمكم تتقون)

مع النية (كما كتب على الذين من قبلكم) يعنى من الأنبياء والأمم من لادن آدم إلى عهدكم والمعنى أن الصوم عبادة قديمة أى فى الزمن الأول ما أحلى الله أمة لم يفرضه عليهم كما فرضه عليكم وذلك لأن الصوم عبادة شاقة والشىء الشاق إذا عم سهل عمله وقيل إن صيام شهر رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فصاموا رمضان زمانا فرما وقع فى الحر الشديد والبر الشديد وكان يشق ذلك عليهم فى أسفارهم ويضرهم فى معاشهم فاجتمع رأى علمائهم ورؤسائهم أن يجعلوه فى فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتاء فجعلوه فى فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصاموا أربعين يوما ثم بعد زمان اشتكى ملكهم ففعل الله عليه إن هو برأ من وجعه أن يزيد فى صومهم أسبوعا فبرأ فزاد فيه أسبوعا ثم مات ذلك الملك بعد زمان ووليهم ملك آخر فقال ماشأن هذه الثلاثة أيام أتموه خمسين يوما فأتوه وقيل أصابهم موتان فقالوا زيد وافى صيامكم فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده . وقيل إن النصارى فرض الله عليهم صوم رمضان فصاموا قبله يوما وبعده يوما ثم لم يزالوا يزيدونه يوما بعد يوم حتى بلغ خمسين فلذلك نهى عن صوم يوم الشك (لعلمكم تتقون) يعنى ما حرم عليكم فى صيامكم لأن الصوم وصلة إلى التقوى لما فيه من كسر النفس وترك الشهوات من الأكل والجماع وغيرهما وقيل معناه لعلمكم تتقون ما فعله النصارى من تغيير الصوم وقيل لعلمكم تتقون فى زمرة المتقين لأن الصوم من شعارهم (أياما معدودات) أى مقدرات وقيل قليلات قيل إنه كان فى ابتداء الإسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجبا وصوم يوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بفريضة صوم شهر رمضان . قال ابن عباس أول ما نسخ بعد الهجرة أمر القبلة ثم الصوم (ق) عن عائشة قالت كان يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فى الجاهلية فلما قدم رسول الله ^{صلى الله عليه وسلم} المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه . وقيل إن المراد من قوله أياما معدودات أيام شهر رمضان ووجهه أن الله تعالى قال أولاء كتب عليكم الصيام وهذا يحتل صوم يوم أو يومين ثم بينه بقوله : معدودات تتقون تحذرون عن الشهوات من الأكل والشرب والجماع (أياما معدودات) قيل كان فى ابتداء الإسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجبا وصوم يوم عاشوراء فصاموا كذلك من الربيع إلى شهر رمضان سبعة عشر شهرا ثم نسخ بصوم رمضان قال ابن عباس أول ما نسخ بعد الهجرة أمر القبلة والصوم ويقال نزل صوم شهر رمضان قبل بئس شهر وأيام قال محمد بن إسحاق كانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشر ليلة خلت من شهر رمضان على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة + حدثنا أبو الحسن الشيرازى أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت كان يوم عاشوراء يوما تصومه قريش فى الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فى الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وأمر الناس بصيامه فلما فرض رمضان كان هو الفريضة

تتقون تحذرون عن الشهوات من الأكل والشرب والجماع (أياما معدودات) قيل كان فى ابتداء الإسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجبا وصوم يوم عاشوراء فصاموا كذلك من الربيع إلى شهر رمضان سبعة عشر شهرا ثم نسخ بصوم رمضان قال ابن عباس أول ما نسخ بعد الهجرة أمر القبلة والصوم ويقال نزل صوم شهر رمضان قبل بئس شهر وأيام قال محمد بن إسحاق كانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشر ليلة خلت من شهر رمضان على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة + حدثنا أبو الحسن الشيرازى أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت كان يوم عاشوراء يوما تصومه قريش فى الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فى الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وأمر الناس بصيامه فلما فرض رمضان كان هو الفريضة

وترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه. وقيل المراد من قوله أياما معدودات شهر رمضان وهي سيرة منسوخة ونصب أياما على الظرف أي في أيام معدودات وقيل على التيسير وقيل على أنه هو خير ما لم يسم فاعله (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة) أي فإفطر فعدة (من أيام آخر) أي فعليه عدة والعدة والعدة واحد من أيام آخر، أي غير أيام مرضه وسفره وأخر في موضع خفض لكنها لا تنصرف فلذلك نصبته. قوله تعالى (وعلى الذين يطيقونه) اختلف العلماء في تأويل هذه الآية وحكمها فذهب أكثرهم إلى أن الآية منسوخة وهو قول ابن عمر وسلمة بن الأكوع وغيرهما وذلك أنهم كانوا في ابتداء الإسلام يخبرين بين أن يصوموا وبين أن يفطروا أو يفطروا أو يفطروا خبرهم الله تعالى لتلايشق عليهم لأنهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت (١٥٢) العزيمة بقوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) قال قتادة هي خاصة

في حق الشيخ الكبير الذي يطيق الصوم ولكن يشق عليه رخص له في أن يفطر ويفدى ثم نسخ وقال الحسن هذا في المريض الذي به ما يقع عليه اسم المرض وهو مستطيع للصوم خير بين أن يصوم وبين أن يفطر أو يفدى ثم نسخ بقوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) ونبت الرخصة للذين لا يطيقون وذهب جماعة إلا أن الآية محكمة غير منسوخة ومعناه وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب فعجزوا عنه في حال الكبر فعابهم الفدية بدل الصوم. وقرأ ابن عباس «وعلى الذين يطيقونه» بضم الياء وفتح الطاء

على أنه أكثر من ذلك لكنها غير منحصرة بعدد ثم بين حصرها بتوله شهر رمضان فإذا أمكن ذلك فلا وجه لحمل الأيام المعدودات على غير رمضان فتكون الآية غير منسوخة يقال إن فريضة رمضان نزلت في السنة الثانية من الهجرة وذلك قبل غزوة بدر بشهر وأيام وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة (فمن كان منكم مريضا أو على سفر) أي فأفطر (فعلية) (عدة من أيام آخر) يعني غير أيام مرضه وسفره (وعلى الذين يطيقونه) أي يطيقون الصوم. واختلف العلماء في حكم هذه الآية فذهب أكثرهم إلى أنها منسوخة وهو قول عمر بن الخطاب وسلمة بن الأكوع وغيرهما وذلك أنهم كانوا في ابتداء الإسلام يخبرين بين أن يصوموا وبين أن يفطروا ويفدوا وإنما خبرهم الله تعالى لتلايشق عليهم لأنهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فصارت هذه الآية ناسخة للتخيير (ق) عن سلمة بن الأكوع قال لما نزلت هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من أراد أن يفطر ويفتدى فعل حتى نزلت هذه الآية التي بعدها فلنسخها وفي رواية حتى نزلت هذه الآية (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وقال قتادة هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذي لا يطيق الصوم ولكن يشق عليه رخص له أن يفطر ويفتدى ثم نسخ ذلك. وقال الحسن هذا في المريض الذي يقع عليه اسم المرض وهو يستطيع الصوم خير بين الصيام وبين أن يفطر ويفتدى ثم نسخ وذهب جماعة منهم ابن عباس إلى أن الآية محكمة غير منسوخة ومعناها وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب ثم عجزوا عنه عند الكبر فعابهم الفدية بدل الصوم وقرأ ابن عباس «وعلى الذين يطيقونه» بضم الياء وفتح الطاء وبالواو المشددة المفتوحة عوض الياء ومعناه يكلفون الصوم (خ) عن عطاء أنه سمع ابن عباس يقرأ «وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين» قال ابن عباس ليست منسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيقطعان مكان كل يوم مسكينا (فدية طعام مسكين) الفدية الجزاء وهو القدر الذي يبذله للإنسان بقى به نفسه من تقصير وقع منه في عبادة ونحوها ويجب على من أفطر في رمضان ولم يقدر على القضاء لكبير أن يطعم

وتحقيقها وفتح الواو وتشديدها أي يكلفون الصوم وتأويله على الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان الصوم مكان المريض الذي لا يرجى زوال مرضه فهم يكلفون الصوم ولا يطيقونه فلهم أن يفطروا ويطعموا مكان كل يوم مسكينا وهو قول سعيد بن جبير وجعل الآية محكمة. قوله تعالى (فدية طعام مسكين) قرأ أهل المدينة والشام مضافا وكذلك في المائدة: كفارة طعام مسكين «أصناف الفدية إلى الطعام وإن كان واحد الاختلاف الفقهاء كقوله تعالى «وحب الحصيد» وقولهم: مسجد الجامع وربع الأول وقرأ الآخرون فدية وكفارة متونة طعام رفع وقرأ مسكين بالجمع هنا أهل المدينة والشام وآخرون على التوحيد فمن جمع نصب النون ومن وحد خفض النون ونونها. والفدية الجزاء ويجب أن يطعم مكان كل يوم مسكينا منا من الطعام بمد النبي ﷺ وهو رطل وثلاث من غالب قوت البلد. هذا قول فقهاء الحجاز وقال بعض

فقهاء أهل العراق عليه لكل مسكين نصف صاع لكل يوم يفطر وقال بعضهم نصف صاع من فح أو صاع من غيره
 وقال بعض الفقهاء ما كان المنقطر يتقوته يومه الذي أفطره وقال ابن عباس يعطى كل مسكين عشاءه وسحوره (فمن تطوع
 خيرا فهو خير له) أي زاد على مسكين واحد فأطعم مكان كل يوم مسكينين فأكثر قال مجاهد وعطاء وطاوس وقيل من
 زاد على المقدر الواجب عليه فأعطى صاعا وعليه مد فهو خير له (وأن تصوموا خيرا لكم) فمن ذهب إلى النسخ قال معناه
 الصوم خير له من الفدية وقيل هذا في الشيخ الكبير لو تكاثف الصوم وإن شق عليه فهو خير له من أن يفطر ويفدى
 (إن كنتم تعلمون) واعلم أنه لا رخصة لمؤمن مكاثف في إفطار رمضان إلا لثلاثة. أحدهم يجب عليه القضاء والكفارة والثاني
 عليه القضاء دون الكفارة والثالث عليه الكفارة دون القضاء. أما الذي (١٥٣) عليه القضاء والكفارة فالحامل

مكان كل يوم مسكينا مدا من غالب قوت البلاد وهذا قول فقهاء الحجاز وقال بعض فقهاء
 العراق عليه لكل مسكين نصف صاع عن كل يوم وقال بعضهم نصف صاع من البر وصاع
 من غيره وقال ابن عباس يعطى كل مسكين عشاءه وسحوره (فمن تطوع خيرا فهو خير له) يعني
 زاد على مسكين واحد فأطعم عن كل يوم مسكينين فأكثر وقيل فمن زاد على قدر الواجب عليه
 فأطعم صاعا وعليه مد فهو خير له (وأن تصوموا خيرا لكم) قيل هو خطاب مع الذين يطيقونه
 فيكون المعنى وأن تصوموا أي المطيقون وتعدوا المشقة فهو خير لكم من الإفطار والفدية وقيل هو
 خطاب مع الكافة وهو الأصح لأن اللفظ عام فرجوعه إلى الكل أولى (إن كنتم تعلمون) يعني أن
 الصوم خير لكم وقيل معناه إذا صمتهم عاصم ما في الصوم من المعاني المورثة للخير والنموى. واعلم أنه
 لا رخصة لأحد من المساكين المكثفين في إفطار رمضان بغير عشر والأعداء المبيحة للفطر ثلاثة
 أحدها السفر والمرض والحيض والثمن فهؤلاء إذا أفطروا فعليهم القضاء دون الكفارة. الثاني
 الحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما أفطرتا وعليهما القضاء والكفارة وإليه ذهب الشافعي وذهب
 أهل الرأي إلى أنه لا فدية عليهما. الثالث الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة والمرضى الذي لا يرجى
 برؤه فعليهم الكفارة دون القضاء. قوله عز وجل (شهر رمضان) يعني وقت صيامكم شهر
 رمضان سمي الشهر شهرا لشهرته يقال للسر إذا أظهره شهره وسمي الهلال شهرا لشهرته وبيانه
 وقيل سمي الشهر شهرا باسم الهلال، وأما رمضان فاشتقاقه من الرمضاء وهي الحجارة المحمأة في
 الشمس وقيل إنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيهاوافق هذا
 الشهر أيام رمض الحر فسماه به وقيل إن رمضان اسم من أسماء الله تعالى فيكون معناه شهر
 الله والأصح أن رمضان اسم لهذا الشهر كشهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان (الذي
 أنزل فيه القرآن) لما خص الله شهر رمضان بهذه العبادة العظيمة بين سبب تخصيصه بانزال
 أعظم كتبه فيه والقرآن اسم هذا الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم روى
 عن الشافعي أنه كان يقول القرآن اسم وليس بمهوز وليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا
 الكتاب كالتوراة والإنجيل فعلى هذا القول إنه ليس بمشتق وذهب الأكرهون إلى أنه مشتق

والمرضع إذا خافتا على
 ولديهما فانهما تفطرا
 وتقضيان وعليهما مع
 القضاء الفدية وهو قول
 ابن عمر وابن عباس وبه
 قال مجاهد وإليه ذهب
 الشافعي رحمه الله
 وقال قوم لا فدية عليهما
 وبه قال الحسن وعطاء
 وإبراهيم النخعي والزهري
 وإليه ذهب الأوزاعي
 والثوري وأصحاب الرأي
 وأما الذي عليه القضاء
 دون الكفارة فالمرضى
 والمسافر والحائض
 والنساء وأما الذي عليه
 الكفارة دون القضاء
 فالشيخ الكبير والمرضى
 الذي لا يرجى زوال
 مرضه ثم بين الله تعالى
 أيام الصيام فقال
 (شهر رمضان) رفعه على
 معنى هو شهر رمضان

(٣٠ - خازن بالغي - أول) وقال الكسائي كتب عليكم شهر رمضان وسمى الشهر شهرا لشهرته وأما رمضان
 فقد قال مجاهد هو من أسماء الله تعالى يقال شهر رمضان كما يقال شهر الله والصحيح أنه اسم للشهر سمي به من الرمضاء وهي
 الحجارة المحمأة وهم كانوا يصومونه في الحر الشديد وكانت ترمض فيه الحجارة من الحرارة. قوله تعالى (الذي أنزل فيه القرآن)
 سمي القرآن قرآنا لأنه يجمع السور والآي والخروف وجمع فيه القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد وأصل القرء الجمع
 وقد يخلط المحمأة فيقال قررت الماء في الحوض إذا جمعه وقرأ ابن كثير القرآن بفتح الراء غير مهموز، وكذلك كان يقرأ
 الشافعي ويقول ليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والإنجيل روى عن مقسم عن ابن عباس أنه مثل
 عن قوله عز وجل (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) وقوله (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وقوله (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) وقد

نزل في سائر الشهور وقال عز وجل « وقرأنا فرقناه » فقال أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ نجوما في ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله تعالى « فلا أقسم بمواقع النجوم » قال داود بن أبي هند قلت للشعبي شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن أما كان ينزل في سائر الشهور قال بلى ولكن كان جبرائيل يعارض محمدنا صلى الله عليه وسلم في رمضان ما أنزل الله إليه فيحكم الله ما يشاء ويثبت ما يشاء وينسبه ما يشاء. وروى عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أنزلت صحف إبراهيم في ثلاث ليال مضين من رمضان وروى في أول ليلة من رمضان وأنزلت توراة موسى في ست ليال مضين من رمضان وأنزل الإنجيل على عيسى في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان (١٥٤) وأنزل الزبور على داود في ثمان عشرة ليلة مضت من رمضان

من القرء وهو الجمع فسمى قرآنا لأنه يجمع السور والآيات بعضها إلى بعض ويجمع الأحكام والقصص والأمثال والآيات الدالة على وحدانية الله تعالى. قال ابن عباس أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله « فلا أقسم بمواقع النجوم » وروى أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أنزلت صحف إبراهيم في ثلاث ليال مضين من رمضان وفي رواية في أول ليلة من رمضان وأنزلت توراة موسى في ست ليال مضين من رمضان وأنزل إنجيل عيسى في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان وأنزل زبور داود في ثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وأنزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة والعشرين لست بقين بعدها فعل هكذا يكون ابتداء نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان وهو قول ابن إسحاق وأبي سليمان اللدمشقي وقيل في معنى الآية شهر رمضان الذي نزل بفرض صيامه القرآن كما تقول نزلت هذه الآية في الصلاة والزكاة ونحو ذلك من الفرائض يروى ذلك عن مجاهد والضحاك وهو اختيار الحسن بن الفضل (هدى للناس) يعنى من الضلال (وبيئات من الهدى والفرقان). فان قلت هذا فيه إشكال وهو أنه يقال مامعنى قوله : وبيئات من الهدى بعد قوله هدى الناس ؟ قلت إنه تعالى ذكر أولا أنه هدى ثم الهدى على قسمين تارة يكون هدى جليا وتارة لا يكون كذلك فكانه قال هو هدى في نفسه ثم قال : هو المبين من الهدى الفارق بين الحق والباطل وقيل إن القرآن هدى في نفسه فكانه قال إن القرآن هدى للناس على الإجمال وبيئات من الهدى والفرقان على التفصيل لأن البيئات هي الدلالات الواضحات التي تبين الحلال والحرام والحدود والأحكام ومعنى الفرقان الفارق بين الحق والباطل. قوله عز وجل (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أى فمن كان حاضرا مقبيا غير مسافر فأدركه الشهر فليصمه والشهود الحضور ، وقيل هو محمول على العادة بمشاهدة الشهر وهي رؤية الهلال ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » أخرجاه في الصحيحين ولا خلاف أنه يصوم رمضان

وأنزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة والعشرين من شهر رمضان لست بقين بعدها . قوله تعالى (هدى للناس) من الضلالة وهدى في محل النصب على القطع لأن القرآن معرفة وهدى نكرة (وبيئات من الهدى) أى دلالات ووضحات من الحلال والحرام والحدود والأحكام (والفرقان) أى الفارق بين الحق والباطل. قوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أى فمن كان مقبيا في الحضر فأدركه الشهر. واختلف أهل العلم فيمن أدركه الشهر وهو مقيم ثم

سافر ، روى عن علي رضي الله عنه أنه قال يجوز له الفطر

وبه قال عبدة السلف لقوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أى الشهر كله وذهب أكثر الصحابة والفقهاء إلى أنه إذا أنشأ السفر في شهر رمضان جاز له أن يفطر ومعنى الآية فمن شهد منكم الشهر كله فليصمه أى الشهر كله ومن لم يشهد منكم الشهر كله فليصمه ما شهد منه ، والدليل عليه ما أخبرنا أبو الحسن المرعشي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو منصور عن مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس « أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكعبه ثم أفطر وأفطر الناس معه فكانوا يأخذون بالأحدث فألاحدث من أمر رسول الله ﷺ »

قوله تعالى (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) أباح الفطر لعذر المرض والسفر وأعاد هذا الكلام ليعلم أن هذا الحكم ثابت في الناسخ بثبوته في المنسوخ. واختلفوا في المرض الذي يبيح الفطر فذهب أهل الظاهر إلى أن ما يطلق عليه اسم المرض يبيح الفطر وهو قول ابن سيرين قال طريف بن تمام العطاردي: دخلت على محمد بن سيرين في رمضان وهو يأكل فقال إنه وجعت أصبعي هذه. وقال الحسن وإبراهيم النخعي هو المرض الذي يجوز به الصلاة قاعدا وذهب الأكثرون إلى أنه مرض يخاف معه من الصوم زيادة علة غير محتملة. وفي الجملة أنه إذا أجهده الصوم فأفطر وإن لم يجهده فهو كالصحيح. وأما السفر فالنظر فيه مباح والصوم جائز عند عامة أهل العلم إلا ما روى عن ابن عباس وأبي هريرة وعروة ابن الزبير وعلى بن الحسين أنهم قالوا لا يجوز الصوم في السفر (١٥٥) ومن صام فعليه القضاء احتجوا بقول

من رأى الهلال ومن أخبر به واختلف العلماء في وجه الخبر عنه منهم من قال يجزى فيه خبر الواحد قاله أبو ثور ومنهم من أجراه مجرى الشهادة في سائر الحقوق قاله مالك ومنهم من أحرى أوله مجرى الأخبار فقبل فيه خبر الواحد وأجرى آخره مجرى الشهادة فلا يقبل في آخره أقل من اثنين قاله الشافعي وهذا للاحتياط في أمر العبادة لدخولها وخروجها (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) إنما كرهه لأن الله تعالى ذكر في الآية الأولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخ تخيير المقيم الصحيح بقوله «فمن شهد منكم الشهر فليصمه» فلو اقتصر على هذا لاحتمل أن يشمل النسخ الجميع فأعاد بعد ذكر النسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم أن الحكم باق على ما كان عليه.

(فصل في حكم الآية، وفيه مسائل: الأولى) اختلفوا في المرض المبيح للنظر على ثلاثة أقوال: أحدها وهو قول أهل الظاهر أي مرض كان وهو ما يطلق عليه اسم المرض فله أن يفطر تبريلا للفظ المطلق على أقل أحواله وإليه ذهب الحسن وابن سيرين. القول الثاني وهو قول الأصم إن هذه الرخصة مختصة بالمريض الذي لو صام لوقع في مشقة عظيمة تبريلا للفظ المطلق على أقل أحواله. القول الثالث وهو قول أكثر الفقهاء إن المرض المبيح للفطر هو الذي يؤدي إلى ضرر في النفس أو زيادة علة محتملة كالحموم إذا خاف أنه لو صام اشتدت حماه وصاحب وجع العين يخاف لو صام أن يشتد وجع عينه فالمراد بالمرض ما يؤثر في تقويته قال الشافعي إذا أجهده الصوم أفطر، إلا فهو كالصحيح.

(المسألة الثانية) النظر في السفر مباح والصوم جائز وبه قال عامة العلماء وقال ابن عباس وأبو هريرة وبعض أهل الظاهر لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه القضاء واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر، وحمله عامة العلماء على من يجهده الصوم في السفر فالأولى له الفطر وبدل على ذلك ما روى عن جابر قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرأى رجلا ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا صائم قال ليس من البر الصيام في السفر» أخرجه البخاري ومسلم، وحجة الجمهور على جواز الصوم والفطر في السفر ما روى عن أنس قال

النبي صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصوم في السفر، وذلك عند الآخرين في حق من يجهده الصوم فالأولى له أن يفطر، والدليل ما أخبرنا به عبد الواحد ابن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا آدم أخبرنا شعبة أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الأنصاري قال سمعت محمد بن عمرو ابن الحسين بن علي عن جابر بن عبد الله قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرأى رجلا ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا هذا صائم فقال ليس من البر الصوم في السفر» والدليل على

جواز الصوم ما حدثنا الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، أخبرنا أبو نعيم الإسفرايني أخبرنا أبو عوانة أخبرنا أبو أمية أخبرنا عبد الله القواريري أخبرنا حماد بن زيد أخبرنا الحريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال «كنا نسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فتنا الصائم ومنا المنظر فلا يعيب الصائم على المنظر ولا المنظر على الصائم» واختلفوا في أفضل الأمرين فقالت طائفة الفطر في السفر أفضل من الصوم روى ذلك عن ابن عمر وإليه ذهب سعيد بن المسيب والشعبي، وذهب قوم إلى أن الصوم أفضل وروى ذلك عن معاذ بن جبل وأنس وبه قال إبراهيم النخعي وسعيد بن جبير، وقالت طائفة أفضل الأمرين أيسرها عليه لقوله تعالى «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» وهو قول مجاهد وقتادة وعمر بن عبد العزيز. ومن أصبح مقيا صائما ثم سافر في أثناء النهار لا يجوز له أن يفطر ذلك اليوم عند أكثر

أهل العلم ، وقالت طائفة له أن يفطر وهو قول الشعبي وبه قال أحمد ، أما المسافر إذا أصبح صائماً فيجوز له أن يفطر بالاتفق ، والدليل عليه ما أخبر عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد العزيز بن محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ كراخ الغميم صام الناس معه فقيل له يا رسول الله إن الناس قد شق عليهم الصيام فدعا بقدر من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون فأفطر بعض الناس وصام بعضهم فبلغه أن ناساً صاموا فقال أولئك العصاة، واختلفوا في السفر الذي يبسح الفطر فنال قوم مسيرة يوم وذهب جماعة إلى مسيرة يومين وهو قول الشافعي رحمه الله وذهب جماعة إلى مسيرة (١٥٦) ثلاثة أيام وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي. قوله تعالى

(يريد الله بكم اليسر)
 بإباحة الفطر في المرض
 والسفر (ولا يريد بكم
 العسر) قرأ أبو جعفر
 العسر واليسر ونحوها
 نضم السين وقرأ الآخرون
 بالسكون وقال الشعبي
 ماخير رجل بين أمرين
 فاختر أيسرهما إلا كان
 ذلك أحبهما إلى الله عز
 وجل (ولتكلوا العدة)
 قرأ أبو بكر بتشديد
 الميم وقرأ الآخرون
 بالتخفيف وهو الاختيار
 لقوله تعالى « اليوم
 أكملت لكم دينكم » والواو
 في قوله تعالى « ولتكلوا »
 واو اللبس واللام لام كي
 تقديره ويريد لكي
 تكلوا العدة أي لتكلوا
 عدة أيام الشهر بقضاء

« سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم » أخرجاه في الصحيحين .
 (المسألة الثالثة) اختلف العلماء في قدر السفر المبيح للفطر فقال داود الظاهري أي سفر كان ولو كان فرسخاً وقال الأوزاعي السفر المبيح للفطر مسيرة يوم واحد وقال الشافعي وأحمد ومالك أقله مسيرة ستة عشر فرسخاً يومان وقال أبو حنيفة وأصحابه أقله مسيرة ثلاثة أيام .
 (المسألة الرابعة) إذا استهل الشهر وهو مقيم ثم أنشأ السفر في أثناءه جازله أن يفطر حالة السفر ويجوز له أن يصوم في بعض السفر وأن يفطر في بعضه إن أحب ، يدل عليه ما روى عن ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر وأفطر الناس معه وكانوا يأخذون بالأحدث فالأحدث من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم » أخرجاه في الصحيحين . الكديد اسم موضع وهو على ثمانية وأربعين ميلاً من مكة .
 (المسألة الخامسة) اختلفوا في الأفضل . فذهب الشافعي إلى أن الصوم أفضل من الفطر في السفر وبه قال مالك وأبو حنيفة وقال أحمد الفطر أفضل من الصوم في السفر وقالت طائفة من العلماء هما سواء ، وأفضل الأمرين أيسرهما ، لقوله تعالى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .
 (المسألة السادسة) يبسح الفطر كل سفر سباح ليس سفر معصية ولا يجوز للعاصي بسفره أن يترخص برخص الشرع وقوله تعالى « عدة من أيام أخر » معناه فأفطر فعليه عدة من أيام أخر فظاهر هذا أنه يجوز قضاء الصوم متفرقاً وإن كان التتابع أولى ، وفيه أيضاً وجوب القضاء من غير تعيين لزمن القضاء فيدل على جواز التراخي في القضاء ويدل عليه أيضاً ما روى عن عائشة قالت « كان يكون على الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضي إلا في شعبان ذلك من الشغل بالنبي صلى الله عليه وسلم » أخرجاه في الصحيحين (يريد الله بكم اليسر) أي التسهيل في هذه العبادة وهي إباحة الفطر للمسافر أو المريض (ولا يريد بكم العسر) أي وقد نهي عنكم الحرج في أمر الدين قبل ماخير رجل بين أمرين فاختر أيسرهما إلا كان ذلك أحب إلى الله تعالى (ولتكلوا العدة) أي عدد الأيام التي أفطرتم فيها بعد السفر والمرض والحيض انقضوا بعدد ما وقيل أراد عدد

أي عدد أيام الشهر . وقال عطاء ولتاكلوا العدة ما أفطرتم في مرضكم وسفركم .
 أي عدد أيام الشهر . أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا مالك بن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فأكلوا العدة ثلاثين » أخبرنا أحمد بن عبد الله الصلحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحبري أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا يزيد ابن هارون ، أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لا تقدموا الشهر بصوم يوم ولا يومين إلا أن يوافق ذلك صوماً كان يصومه أحدكم ، صوموا لرؤيته وأفطروا لرأيته فان غم عليكم فعدوا ثلاثين ثم أفطروا »

(ولتكبروا الله) واتعظوا الله (على ما هذاكم) أرشدكم إلي ما رضى به من صوم شهر رمضان وخصمكم به دون سائر أهل الملل قال ابن عباس هو تكبيرات ليلة الفطر وروى الشافعي عن ابن المسيب وعروة وأبي سلمة أنه كانوا يكبرون ليلة الفطر يجهرون بالتكبير، وشبه ليلة النحر بها إلا من كان حاجا وذكره التلبية (ولعلكم تشكرون) الله على نعمه وقد وردت أخبار في فضل شهر رمضان وثواب الصائمين أخبرنا أبو عبد الله محمد بن حسن المروزي أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان أخبرنا علي بن عبد العزيز المسكي أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام حدثني إسماعيل بن جعفر عن أبي مهبل نافع بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إذا دخل رمضان صفدت الشياطين وفتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار أخبرنا أبو عثمان (١٥٧) سعيد بن إسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد

أيام الشهر (ق) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقفروا له، وفي رواية فأكلوا العدة ثلاثين (ولتكبروا الله) فيه قولان أحدهما أنه تكبير ليلة العيد قال ابن عباس حق على المسلمين إذا رأوا إهلال شوال أن يكبروا. وقال الشافعي واجب إظهار التكبير في العيدين وبه قال مالك وأحمد وأبو يوسف ومحمد وقال أبو حنيفة لا يكبر في عيد الفطر ويكبر في عيد الأضحي حجة الشافعي ومن وافقه قوله تعالى: ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم قالوا معناه ولتكملوا عدة صوم رمضان ولتكبروا الله على ما هداكم إلى آخر هذه العبادة. القول الثاني في معنى قوله ولتكبروا الله أي ولتعظموا الله شكرا على ما أنعم به عليكم ووقفكم للقيام بهذه العبادة (على ما هذاكم) أي أرشدكم إلى طاعته وإلى ما رضى به عنكم (ولعلكم تشكرون) الله على نعمه.

(فصل: في فضل شهر رمضان وفضل صيامه) (ق) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إذا دخل شهر رمضان صفدت الشياطين وفتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار الصفد الغل أي شدت بالأغلال (ق) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه. قوله إيمانا واحتسابا أي طلبا لوجه الله تعالى وثوابه وقيل إيمانا بأنه فرض عليه، واحتسابا ثوابه عند الله وقيل معناه نية وعزيمة وهو أن يصوم على التصديق به والرغبة في ثوابه طيبة بها نفسه غير كراهة (ق) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كل عمل ابن آدم له يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، ولخولوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك، زاد في رواية: والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن شربه أحد أو قتاله فليقل إلى صائم. قوله كل عمل ابن آدم له معناه أن له فيه حظا لإطلاع الخالق عليه إلا الصوم فإنه لا يطلع عليه أحد وإنما خص الصوم بقوله تعالى: لي وإن كانت جميع الأعمال الصالحة له وهو يجزي عليها لأن الصوم لا يظهر من ابن آدم بقول ولا فعل

أخبارنا أبو محمد بن عبد الجبار بن محمد بن الجراح أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي أخبرنا أبو كريب محمد بن العلاء أخبرنا أبو بكر محمد بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر والله عتقاء من النار وذلك

كل ليلة أخبرنا أبو بكر أحمد بن أبي نصر بن أحمد الكوفاني المروزي بها أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد النجيني المصري ما المعروف بأبي النجاش قيل له أخبركم أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد المقبري البصري بمكة المعروف بابن الأعرابي أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني أخبرنا سفيان بن عيينة عن الزهري أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه أخبرنا الإمام أبو علي الحسين ابن محمد القاضي أخبرنا أبو سعيد خلف بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي نزار حدثنا الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الصفار أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي إسحاق العنزي، أخبرنا علي بن حجر بن لباس السعدي

أخبرنا يوسف بن زياد عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن سلمان قال «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال يا أيها الناس إنه قد أظلمكم شهر عظيم وفي رواية قد أظلمكم بالطاء أطل أشرف شهر عظيم شهر مبارك شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فيه فريضة كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواصلة أي المساهمة وشهر يزد فيه الرزق ومن فطر فيه صائما كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبة من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء قالوا يا رسول الله ليس كلنا نجد ما نفطر به الصائم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائما على مذقة لبن أو تمر أو شربة من ماء ومن أشبع صائما سقاه الله عز وجل من حوضي شربة لا يظلم بعدها حتى يدخل الجنة ومن تخفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار حتى يدخل الجنة وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بها ربكم وخصلتين لا غنى بكم عنهما (١٥٨) أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه

حتى تكتبه الحفظة وإنما هو من أعمال القلوب بالنية ولا يطلع عليه إلا الله تعالى أقول الله تعالى: إنما أوتي جزاءه على ما أحب لا على حساب ولا كتاب له. وقوله وللصائم فرحتان فرحة عند فطره أي بالطعام لما بلغ به من الجوع لتلذذ النفس حاجتها منه وقيل فرحة بما وفق له من إتمام الصوم الموعود عليه بالثواب وهو قوله: وفرحة عند لقاء ربه لما يرى من جزيل ثوابه. وقوله ولخلوف بضم الخاء وفتحها لغتان وهو تغير طعم اللحم وريحه لتأخير الطعام ومعنى كونه أطيب عند الله من ريح المسك هو الثناء على الصائم والرضا بفعله لئلا يمتنع من المواظبة على الصوم الجالب للخلوف والمعنى أن خلوف فم الصائم أبلغ عند الله في القبول من ريح المسك عند أحدكم. قوله للصيام جنة أي حصن من المعاصي لأن الصوم يكسر الشهوة فلا يواقع المعاصي قوله فلا يرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الإنسان من المرأة وقيل هو التصريح بذكر الجماع والصخب الضجر والجلبة والصباح (ق) عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة بابا يقال له باب الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة يقال أين الصائمون فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلا يدخل منه أحد وفي رواية إن في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون» عن أبي أمامة قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرني بأمر ينفعني الله به قال «عليك بالصوم فإنه لا مثل له» وفي رواية أي العمل أفضل فقال عليك بالصوم فإنه لا عدل له، أخرجه النسائي. قوله عز وجل (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب) قال ابن عباس قال يهود المدينة يا محمد كيف يسمع

وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار « أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد الناقضي أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد الزيادي أخبرنا أبو بكر محمد ابن عمر بن حفص الناجر أخبرنا إبراهيم ابن عبد الله بن عمر بن بكير الكوفي أخبرنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة

ضعف قال الله تعالى إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع الصائم طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ربنا للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، وخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك الصوم جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يقسو فان سابه أحد أو قاتله فليقل إلى امرؤ صائما» أخبرنا عبد الواحد بن أحمد الملبحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعماني أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسحاق أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا محمد ابن عمار حدثني أبو حازم عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «وقى الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون» أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الخوارثي أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبد الله بن محمود أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الحلال أخبرنا عبد الله بن المبارك عن راشد بن سعد عن يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحلبي عن عبد الله بن عمر رضی الله عنهما عن النبي ﷺ قال «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يقول الصيام أي رب إنى منعتك الطعام والشراب والشهوات بالنهار فشفعني فيه ويقول القرآن رب إنى منعتك النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان» قوله تعالى (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب) روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس

قال قال اليه د أهل المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام وإن غلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية. وقال الضحاك سألت بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أقرب ربنا فنأجبه أم بعيد فنأديه فأنزله الله تعالى «وإذا سألك عبادي عني فإني قريب» وفيه إضمار (١٥٩) كأنه قال فقل لهم إنني قريب

منهم بالعلم لا يخفى على شيء كما قال «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» أخبرنا عبد الواحد المديحي أخبرنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد الواحد عن عاصم عن أبي عثمان عن أبي موسى الأشعري قال : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ، أوقال : لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير إلا الله أكبر الله صلى الله عليه وسلم وأربعوا على أنفسكم إنكم لاتدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم . قوله تعالى (أجب دعوة الداع إذا دعان) أي أسمع دعاء عبدى الداعي إذا دعاني وقيل الدعاء عبارة عن التوحيد والثناء على الله تعالى كقول العبد : يا الله لا إله إلا أنت فتقولك يا الله فيه دعاء وقولك لا إله إلا أنت فيه توحيد وثناء على الله تعالى فسمى هذا دعاءً لها الاعتبار وسمى قبوله إجابة لتجانس اللفظ ، وفيه إشارة إلى أن العبد يعلم أن له رباً ومدبراً يسمع دعاءه إذا دعاه ولا يخيب رجاء من رجاء وذلك ظاهر فإن العبد إذا دعا وهو يعلم أن له رباً باخلاص وتضرع أجاب الله دعوته . فان قلت إننا نرى الداعي يباليغ في الدعاء والتضرع فلا يجاب له فما وجه : قوله أجب دعوة الداع ؟ وقوله تعالى ادعوني أستجب لكم . قلت ذكر العلماء فيه أجوبة : أحدها أن هذه الآية مطلقة وقد وردت آية أخرى مقيدة وهي قوله « بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء » والمطلق يحمل على المقيد . وثانيها أن معنى الدعاء هنا هو الطاعة ومعنى الإجابة هو الثواب وذلك في الآخرة . وثالثها أن معنى الآيتين خاص وإن كان لفظهما عاماً فيكون معناه أجب دعوة الداعي إذا وافق القضاة أو أجيبه إن كانت الإجابة خيراً له أو أجيبه إذا لم يسأل إنما أو محالاً . ورابعها أن معناها عام أي أسمع وهو معنى الإجابة المذكورة في الآية ، وأما إعطاء الأمانة فليس بمذكور فالإجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد يجيب السيد عبده ولا يعطيه سؤله . وخامسها أن للدعاء أدياباً وشرائط وهي أسباب الإجابة فمن استكملها وآتى بها كان من أهل الإجابة ومن أخطأها كان من أهل الاعتناء في الدعاء فلا يستحق الجواب والله أعلم . وقوله تعالى (فليستجيبوا لي)

ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وأن غلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقيل سألت بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : أقرب ربنا فنأجبه أم بعيد فنأديه وقيل إنهم سألوه في أي ساعة ندعو ربنا فنزلت وقيل إنهم قالوا أين ربنا ؟ فنزلت هذه الآية . وهذا السؤال لا يخلو إما أن يكون عن ذات الله أو عن صفاته أو عن أفعاله أما السؤال عن ذات الله فهو سؤال عن القرب والبعد حسب الذات ، وأما السؤال عن صفاته تعالى فهو أن يكون السائل سأل هل يكون ربنا دعاءنا ، وأما السؤال عن أفعاله تعالى فهو أن يكون السائل سأل هل يجيب ربنا إذا دعونا ؟ فنزله تعالى «وإذا سألك عبادي عني فإني قريب» وهذه الوجوه كلها ، وقوله تعالى فإني قريب معناه قريب بالعلم والحفظ لا يخفى على شيء ، وفيه إشارة إلى سهولة إجابته لمن دعاه وإنجاح حاجته من سأله (في) عن أبي موسى الأشعري قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر ، أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير : الله أكبر لا إله إلا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس أربعوا على أنفسكم فانتم لاتدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم . قوله أربعوا على أنفسكم أي ارفعوا بها وقيل معناه أمسكوا عن الجهر فإنه قريب يسمع دعاءكم . وقوله تعالى (أجب دعوة الداع إذا دعان) أي أسمع دعاء عبدى الداعي إذا دعاني وقيل الدعاء عبارة عن التوحيد والثناء على الله تعالى كقول العبد : يا الله لا إله إلا أنت فتقولك يا الله فيه دعاء وقولك لا إله إلا أنت فيه توحيد وثناء على الله تعالى فسمى هذا دعاءً لها الاعتبار وسمى قبوله إجابة لتجانس اللفظ ، وفيه إشارة إلى أن العبد يعلم أن له رباً ومدبراً يسمع دعاءه إذا دعاه ولا يخيب رجاء من رجاء وذلك ظاهر فإن العبد إذا دعا وهو يعلم أن له رباً باخلاص وتضرع أجاب الله دعوته . فان قلت إننا نرى الداعي يباليغ في الدعاء والتضرع فلا يجاب له فما وجه : قوله أجب دعوة الداع ؟ وقوله تعالى ادعوني أستجب لكم . قلت ذكر العلماء فيه أجوبة : أحدها أن هذه الآية مطلقة وقد وردت آية أخرى مقيدة وهي قوله « بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء » والمطلق يحمل على المقيد . وثانيها أن معنى الدعاء هنا هو الطاعة ومعنى الإجابة هو الثواب وذلك في الآخرة . وثالثها أن معنى الآيتين خاص وإن كان لفظهما عاماً فيكون معناه أجب دعوة الداعي إذا وافق القضاة أو أجيبه إن كانت الإجابة خيراً له أو أجيبه إذا لم يسأل إنما أو محالاً . ورابعها أن معناها عام أي أسمع وهو معنى الإجابة المذكورة في الآية ، وأما إعطاء الأمانة فليس بمذكور فالإجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد يجيب السيد عبده ولا يعطيه سؤله . وخامسها أن للدعاء أدياباً وشرائط وهي أسباب الإجابة فمن استكملها وآتى بها كان من أهل الإجابة ومن أخطأها كان من أهل الاعتناء في الدعاء فلا يستحق الجواب والله أعلم . وقوله تعالى (فليستجيبوا لي)

دعان (قرأ أهل المدينة غير قالون وأبو عمرو بالياء فيها في الوصل ، والباقون يحذفونها وصلوا ووقفوا وكذلك اختلف القراء في إثبات الياءات المحذوفة من الخط وحذفها في التلاوة وأثبت يعقوب جميعها وصلوا ووقفوا وانفقوا على إثبات ما هو مذموم في الخط وصلوا ووقفوا (فليستجيبوا لي) قيل الاستجابة بمعنى الإجابة أي فليستجيبوا لي بالطاعة ، والإجابة في اللغة الطاعة وإعطاء ما سئل فالإجابة من الله تعالى العطاء ومن العبد الطاعة وقيل فليستجيبوا لي أي ليستدعوا مني الإجابة وحقيقته

فليطبعوني (وليؤمنوا بي لعلمهم يرشدون) لكي يهتدوا . فان قيل فما وجه قوله تعالى : أجب دعوة الداع وقوله ادعوني أستجب لكم وقد يدعى كثيرا فلا يجيب . قلنا اختلفوا في معنى الآيتين قيل معنى الدعاء ههنا الطاعة ومعنى الإجابة الثواب وقيل معنى الآيتين خاص وإن كان لفظهما عاما (١٦٠) تقديرها : أجب دعوة الداع إن شئت كما قال فيكشف ما تدعون

إليه إن شاء أو جيب دعوة الداع إن وافق القضاء أو أجبه إن كانت الإجابة خيرا له أو أجبه إن لم يسأل محالاً . أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد السهماني أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبد الله ابن صالح حدثني معاوية ابن صالح أن ربيعة بن يزيد حدثه عن أبي إدريس عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يستجيب الله لأحدكم ما لم يدع بأثم أو قطيعة رحم أو يستعمل قالوا وما الاستعمال يا رسول الله قال يقول قد دعوتك يا رب قد دعوتك يا رب فلا أرتجيب لي فيستحسر عند ذلك فيدع الدعاء » وقيل هو عام ومعنى قوله أجب أي أسمع ويقال ليس في الآية أكثر من استجابة الدعوة ، فأما

يعني إذا دعوتهم إلى الإيمان والطاعة كما أتى أجبهم إذا دعوني لحوائجهم . والإجابة في اللغة الطاء فالإجابة من العبد الطاعة ومن الله الإجابة والعطاء (وليؤمنوا بي لعلمهم يرشدون) أي لكي يهتدوا إلى مصالح دينهم ودنياهم .

(فضل : في فضل الدعاء وآدابه) (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « ينزل ربه كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له » هذا الحديث من أحاديث الصفات ، وفيه مذهب مشهوران للعلماء : أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يجب الإيمان به وبأن حق على ما يليق به وبشكل علمه إلى الله تعالى ورسوله وإن ظاهره المتعارف في حقنا غير مراد ولا نسكلم في تأويله مع اعتقادنا تزييه الله تعالى عن صفات المخلوقين وعن الانتقال والحركات . والمذهب الثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف أنها تزول على ما يليق فعلى هذا نقل عن مالك وغيره أن معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته وقيل إنه على الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللفظ وفي الحديث الحث على الدعاء والترغيب فيه عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا خائبين » أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب . الصفر الخالي يقال بيت صفر ليس فيه مناع . عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال « ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من الشر مثلها ما لم يدع بأثم أو قطيعة رحم فقال رجل من القوم إذا نكثرت قال الله أكثر » أخرجه الترمذي . قوله الله أكثر معناه الله أكثر إجابة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه » أخرجه الترمذي وقال حديث غريب . عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » أخرجه الترمذي وله عن أنس أن النبي ﷺ قال « الدعاء مخ العبادة » وله عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من فتح له باب من الدعاء ففتح له أبواب الرحمة وما مثل الله شيئا أحب إليه من أن يسئل العافية وإن الدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل أوله عن سلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر » وله عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من لم يسأل الله بغضب عليه » (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل بقوله قد دعوت فلم يستجب لي » ولمسلم قال « لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بأثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعمال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء » . قوله يستحسر أي يستنكف عن السؤال وأصله من حسر الطرف إذا كل وضعف (ق) عن

أبي هريرة

إعطاء المنية فليس بمذكور فيها ، وقد يجيب السيد عبده

والوالد ولده ثم لا يعطيه سؤله فالإجابة كائنة لاحتمال عند حصول الدعوة ، وقيل معنى الآية أنه يجيب دعاءه فان قدر له ما سأل أعطاه وإن لم يقدر له ادخر له الثواب في الآخرة أو كف عنه به سوما ، والدليل عليه ما أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السهماني أخبرنا أبو جعفر الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا ابن ثوبان وهو

محمد بن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن عبادة بن الصامت حدثهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ما على الأرض رجل يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها أو كلف عنه من سوء مثلها ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم» وقيل إن الله تعالى يجيب دعاء المؤمن في الوقت ويؤخر إعطاءه من يجيب مراده ليدعوه فيسمع صوته ويعجل إعطاءه من لا يحبه لأنه يبعث ضوته . وقيل إن للدعاء آداباً وشرائط وهي أسباب الإجابة فمن استكملها كان من أهل الإجابة ومن أحل بها فهو من أهل الاعتداء في الدعاء فلا يستحق الإجابة . قوله تعالى (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) فالرفث كناية عن الجماع . قال ابن عباس إن الله حيي كريم يكره (١٦١) كل ما ذكر في القرآن من

المباشرة والملازمة والإفضاء والدخول والرفث فانما عني به الجماع وقال الزجاج الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من النساء . قال أهل التفسير كان في ابتداء الأمر إذا أفطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع إلى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقد قبلها فإذا صلى العشاء أو رقد قبلها حرم عليه الطعام والشراب والنساء إلى الليلة القابلة ثم إن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه واقع أهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل أخذ يركي ويلوم نفسه فأتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إنى أعنتر إلى الله وإليك من هذه الخطيئة من نفسي هذه الخطيئة إنى رجعت إلى أهل بعد ما صليت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسوات لي نفسي فجمعت أهلى فقال النبي ﷺ ما كنت بذلك جديراً يا عمر فقام رجال فاعترفوا بذلك فنزلت في عمر وأصحابه أحل لكم أى أيسح لكم ليلة أراد بالليلة ليالى الصيام الرفث إلى نسائكم الرفث كلام يستفصح لفظه من ذكر الجماع ودواعيه وهو هنا كناية عن الجماع قال ابن عباس إن الله تعالى حيي كريم يكره ما ذكره من المباشرة والملازمة وغير ذلك إنما هو الجماع (من لباس لمن) أى سكن لكم (وأنتم لباس لمن) أى سكن لمن قيل لا يسكن شئ إلى شئ كسكون أحد الزوجين إلى الآخر وسعى كل واحد من الزوجين لباساً لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد وقيل اللباس اسم لما يوارى فيكون كل واحد منهما سترًا لصاحبه عملاً لا يحل كما جاء في الحديث «من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه» (علم الله أنكم كنتم تخفون أنفسكم) قال ابن عباس يريد فيها التمسك عليه وخبايتهم أنهم كانوا يباشرون في ليالى الصوم والمعنى يظلمونها بالجماع بعد العشاء وهو من الخيانة وأصل الخيانة أن يؤتمن

أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت اللهم أرحمني إن شئت ولكن ليحزم المسئلة فان الله لا يكره له» زاد البخارى «ارزقني إن شئت ليحزم مسئلته فانه يفعل ما يشاء لا يكره له» قوله ليحزم المسئلة أى لا تسكن في دعائك ربك مترددا بل أعزم وجد في المسئلة . عن فضالة بن عتيق قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي ﷺ يحل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليبدع بما شاء أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح . قوله عز وجل (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) سبب نزول هذه الآية أنه كان في ابتداء الأمر بالصوم إذا أفطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع إلى أن يصلى العشاء الآخرة أو يرقد قبلها فإذا صلى العشاء أو رقد قبلها حرم عليه ذلك كله إلى الليلة القابلة ثم إن عمر بن الخطاب واقع أهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل أخذ يركي ويلوم نفسه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أعنتر إلى الله وإليك من هذه الخطيئة إنى رجعت إلى أهل بعد ما صليت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسوات لي نفسي فجمعت أهلى فقال النبي ﷺ ما كنت بذلك جديراً يا عمر فقام رجال فاعترفوا بذلك فنزلت في عمر وأصحابه أحل لكم أى أيسح لكم ليلة أراد بالليلة ليالى الصيام الرفث إلى نسائكم الرفث كلام يستفصح لفظه من ذكر الجماع ودواعيه وهو هنا كناية عن الجماع قال ابن عباس إن الله تعالى حيي كريم يكره ما ذكره من المباشرة والملازمة وغير ذلك إنما هو الجماع (من لباس لمن) أى سكن لكم (وأنتم لباس لمن) أى سكن لمن قيل لا يسكن شئ إلى شئ كسكون أحد الزوجين إلى الآخر وسعى كل واحد من الزوجين لباساً لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد وقيل اللباس اسم لما يوارى فيكون كل واحد منهما سترًا لصاحبه عملاً لا يحل كما جاء في الحديث «من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه» (علم الله أنكم كنتم تخفون أنفسكم) قال ابن عباس يريد فيها التمسك عليه وخبايتهم أنهم كانوا يباشرون في ليالى الصوم والمعنى يظلمونها بالجماع بعد العشاء وهو من الخيانة وأصل الخيانة أن يؤتمن

(٢١ - - حازن بالهوى - أول) ما صليت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسوات لي نفسي فجمعت أهلى فقال النبي ﷺ ما كنت بذلك جديراً يا عمر فقام رجال واعترفوا بمثله فنزل في عمر وأصحابه «أحل لكم ليلة الصيام» أى أيسح لكم ليلة الصيام والرفث إلى نسائكم (من لباس لمن) أى سكن لكم (وأنتم لباس لمن) أى سكن لمن ، دليله قوله تعالى «وجعل منها زوجها ليسكن إليها» وقيل لا يسكن شئ إلى شئ كسكون أحد الزوجين إلى الآخر وقيل سعى كل واحد من الزوجين لباساً لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذى يليه وقال الربيع بن أنس هن فراش لكم وأنتم لحاف لمن قال أبو عبيدة وغيره يقال للمرأة هى لباسك وفراشك وإزارك وقيل اللباس اسم لما يوارى الشئ فيجوز أن يكون كل واحد منهما سترًا لصاحبه عملاً لا يحل كما جاء في الحديث «من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه» (علم الله أنكم كنتم تخفون أنفسكم) أى تخفونونها وتظلمونها بالجماع بعد العشاء قال البراء لما نزل صوم رمضان كانوا

لا يقربون النساء رمضان كله وكان رجال يخونون أنفسهم فأُنزل الله تعالى «علم الله أنكم كنتم تخانونون أنفسكم» (فتاب عليكم) تجاوز عنكم (وعفا عنكم) بما ذنوبكم (فالآن يا شرهون) جامعوهن حلالا سميت الجامعة مباشرة لملاصقة بشرة كل واحد منهما صاحبه (ابتغوا ما كتب الله لكم) أي فاطلبوا ما قضى الله لكم وقيل ما كتب الله لكم في اللوح المحفوظ يعني الولد قاله أكثر المفسرين قال مجاهد ابتغوا الولد إن لم تلد هذه فهذه وقال قتادة وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم باباحة الأكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ وقال معاذ بن جبل وابتغوا ما كتب الله لكم يعني ليلة القدر قوله (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض) نزلت (١٦٢) في رجل من الأنصار اسمه أبو صرمة بن قيس بن صرمة وقال عنكم

أبو قيس بن صرمة وقال الكلبي أبو قيس صرمة ابن أنس بن صرمة وذلك أنه ظل نهاره يعمل في أرض له وهو صائم فلما أمسى رجع إلى أهله بنمر وقال لأهله قدمي الطعام فأرادت المرأة أن تطعمه شيئا فحينما أخذت تعمل له ضيقة وكان في الابتداء من صلي العشاء أوتام حرم عليه الطعام والشراب فلما فرغت من طعامه إذ هو به قد نام وكان قد أعيأ وكل فأيقظته فكره أن يعصى الله ورسوله غشي عليه فلما أفاق أتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال يا أبا قيس مالك أمسيت طليحا فذكر له حاله فاغتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وقوله طليحا أي هزولا مجهودا (خ) عن البراء قال كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائما فحضر الإفطار فنام قيل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائما فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال أعينك طعام قالت لا ولكن أنطلق فأطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه فجاءته امرأته فلما رآته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية «أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم» ففرحوا بها فرحا شديدا ونزلت «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر» ومعنى الآية واكلوا واشربوا في ليالي الصوم حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود: بياض النهار من سواد الليل وسميا خيطين لأن واحدا كل منهما يبدو في الأفق ممثدا كالخيط ، قال الشاعر :

الرجل على شيء فلا يؤدي فيه الأمانة ويقال للعاصي خائن لأنه مؤتمن على دينه (فتاب عليكم) أي قبيتم فتاب عليكم ونجاوز عنكم (وعفا عنكم) أي محاذنوبكم (خ) عن البراء قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله فكان رجال يخونون أنفسهم فأُنزل الله «علم الله أنكم كنتم تخانونون أنفسكم وعفا عنكم» الآية قال ابن عباس فكان ذلك مما نفع الله به الناس ورخص لهم وبسر (فالآن يا شرهون) أي جامعوهن فهو حلال لكم في ليالي الصوم وسميت الجامعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد بصاحبه (وابتغوا ما كتب الله لكم) أي ما قضى لكم في اللوح المحفوظ يعني الولد وقيل وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم باباحة الأكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ وقيل اطلبوا ليلة القدر (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) نزلت في صرمة بن قيس بن صرمة الأنصاري ويقال قيس بن صرمة وذلك أنه ظل يعمل في أرض له وهو صائم فلما أمسى رجع إلى أهله بنمر وقال لأهله قدمي الطعام فأرادت المرأة أن تطعمه شيئا فحينما أخذت تعمل له ذلك فلما فرغت نام وكان قد أعيأ من التعب فأيقظته فكره أن يعصى الله ورسوله وأبى أن يأكل وأصبح صائما مجهدا فلم ينتصف النهار حتى غشى عليه فلما أفاق أتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال يا أبا قيس مالك أمسيت طليحا فذكر له حاله فاغتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وقوله طليحا أي هزولا مجهدا (خ) عن البراء قال كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائما فحضر الإفطار فنام قيل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائما فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال أعينك طعام قالت لا ولكن أنطلق فأطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه فجاءته امرأته فلما رآته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية «أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم» ففرحوا بها فرحا شديدا ونزلت «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر» ومعنى الآية واكلوا واشربوا في ليالي الصوم حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود: بياض النهار من سواد الليل وسميا خيطين لأن واحدا كل منهما يبدو في الأفق ممثدا كالخيط ، قال الشاعر :

رسول الله ﷺ قال له يا أبا قيس مالك أصبحت طليحا فذكر له حاله فاغتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل «وكلوا واشربوا» يعني في ليالي الصوم حتى يتبين لكم الخيط الأبيض (من الخيط الأسود) يعني بياض النهار من سواد الليل سميا خيطين لأن كل واحد منهما يبدو في الابتداء ممثدا كالخيط . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا سعيد بن أبي مریم أخبرنا أبو غسان محمد بن مطرف ثنا أبو حازم عن سهل بن سعد قال أنزلت «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود» ولم ينزل قوله: من الفجر فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ولا يزال يأكل ويشرب

حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل الله تعالى بعده (من الفجر) فعلموا إنما يعني بهما الليل والنهار ، أخبرنا عبد الواحد المليحي
 أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا حجاج بن منهال أخبرنا هشيم
 أخبرنا حصين بن عبد الرحمن عن الشعبي عن عدي بن حاتم قال لما نزلت حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود
 عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت (١٦٣) أنظر إليها إلى الليل فلا يستبين
 لي فغدوت إلى رسول

فلما أضاعت لنا صدقة ولاح من الصبح خيط أنارا

السدف اختلاط الظلام وأسدف الفجر أضاء (ق) عن سهل بن سعد قال لما نزلت «وكلوا
 واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود» ولم ينزل «من الفجر» فكان رجال
 إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ولا يزال يأكل حتى
 يتبين له رؤيتهما فأنزل الله عز وجل بعده (من الفجر) فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار
 (ق) عن عدي بن حاتم «لما نزلت حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود عمدت
 إلى عقال أسود وعقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت أنظر في الليل فلا يتبين لي
 فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال إنما ذلك سواد الليل وبياض
 النهار» (ق) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال «إن بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن
 ابن أم مكتوم» قال وكان ابن أم مكتوم رجلا أعمى لا ينادي حتى يقال له: أصبحت أصبحت.
 واعلم أن الفجر الذي يحرم به على الصائم الطعام والشراب والجماع هو الفجر الصادق المستطير
 المنتشر في الأفق سريعا، لا الفجر الكاذب المستطيل. فان قلت كيف شبه الصبح الصادق بالخيط
 والخيط مستطيل والصبح الصادق ليس مستطيل؟ قلت إن القدر الذي يبدو من البياض
 هو أول الصبح يكون رقيقا صغيرا ثم ينتشر فلهاذا شبه بالخيط، والفرق بين الفجر الصادق
 والفجر الكاذب أن الفجر الكاذب يبدو في الأفق فيرتفع مستطिला ثم يضمحل ويذهب
 ثم يبدو الفجر الصادق بعده منتشرا في الأفق مستطيرا (م) عن سمرة بن جندب قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم «لا يقرنكم من سحوركم أذان بلال ولا بياض الأفق المستطيل هكذا
 حتى يستطير هكذا» وحكاة حماد يديه قال يعني معترضا وفي رواية الترمذي «لا يمتنعكم من
 سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الأفق» فإذا تحقق طلوع
 الفجر الثاني وهو الصادق حرم على الصائم الطعام والشراب والجماع إلى غروب الشمس
 وهو قوله تعالى ثم آتموا الصيام إلى الليل» يعني منتهى الصوم إلى الليل فإذا دخل الليل حصل
 الفطر (ق) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أقبل الليل من ههنا
 وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم» وهل يلزم الصائم أن يتناول عند
 تحقق غروب الشمس شيئا؟ فيه وجهان: أحدهما نعم يلزم ذلك لئله صلى الله عليه وسلم عن
 الوصال. والثاني لا، لأنه قد حصل الفطر بمجرد دخول الليل سواء أكل أو لم يأكل وتمسكت
 الشافية بهذه الآية في أن الصوم النفل يجب إتمامه وقالوا لأن قوله تعالى (ثم آتموا الصيام إلى
 الليل) أمر وهو للوجوب وهو يتناول كل الصيام. أجاب أصحاب الشافعي عنه بأن هذا إنما

لي فغدوت إلى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 فذكرت ذلك له فقال
 إنما ذلك سواد الليل
 وبياض النهار. أخبرنا
 أبو الحسن السرخسي
 أخبرنا زاهر بن أحمد
 أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي
 أخبرنا أبو مصعب عن
 مالك عن ابن الشهاب
 عن مسلم بن عبد الله
 ابن عمرو عن أبيه أن
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال «إن بلا لا ينادي
 بليل فكلوا واشربوا
 حتى ينادي ابن أم مكتوم»
 قال وكان ابن أم مكتوم
 رجلا أعمى لا ينادي حتى
 يقال له: أصبحت
 أصبحت. واعلم أن الفجر
 فجران كاذب وصادق
 فالكاذب يطلع أولا
 مستطिला كاذب السرحان
 يصعد إلى السماء فيطلوعه
 لا يخرج الليل ولا يحرم
 الطعام والشراب على
 الصائم ثم يغيب فيطلع

بعده الفجر الصادق مستطيرا ينتشر سريعا في الأفق فيطلوعه يدخل النهار ويحرم الطعام والشراب على الصائم أخبرنا
 أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أخبرنا أبو العباس المحبوبي أخبرنا أبو عيسى
 الترمذي أخبرنا هناد بن يوسف بن عيسى قال أخبرنا وكيع عن أبي هلال عن سواد بن حنظلة عن سمرة بن جندب قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يمتنعكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الأفق» قوله
 تعالى (ثم آتموا الصيام إلى الليل) فالصائم يحرم عليه الطعام والشراب بطلوع الفجر الصادق ويمتد إلى غروب الشمس وإذا

فمرت حصل الفطر أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا الحسيني أخبرنا صفيان الأوري أخبرنا هشام بن عروة قال سمعت أني يقول سمعت جصاص بن عمر ابن الخطاب عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أفبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم » قوله تعالى (١٦٤) (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد) العكوف هو الإقامة على الشيء

والاعتكاف في الشرع هو الإقامة في المسجد على عبادة الله وهو سنة ولا يجوز في غير المسجد ويجوز في جميع المساجد أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن يوسف أخبرنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى ثم اعتكفت أزواجه من بعده » والآية نزلت في نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون في المسجد فإذا عرضت للرجل منهم الحاجة إلى أهله خرج إليها فجامعها ثم اغتسل فرجع إلى المسجد فنها عن ذلك

ورد في بيان أحكام صوم الفرض فكان المراد منه صوم الفرض ويند على إباحة الفطر من النفل ما روى عن عائشة قالت « دخل النبي ﷺ ذات يوم فقال هل عندكم شيء قلنا لا قال فاني إذا صائم ثم أتانا يوما آخر فقلت يا رسول الله أهدى لنا حيس قال أرنيه فلقد أصبحت صائما فأكل » أخرجه مسلم الحيس هو خلط الأقط والتمر والسن وقد يجعل عوض الأقط دقيق أو قثيب وقيل هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والأول أعرف قوله عز وجل (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد) الاعتكاف هو الإقبال على الشيء والملازمة له على سبيل التعظيم وهو في الشرع عبارة عن الإقامة في المسجد على عبادة الله تعالى وسبب نزول هذه الآية أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون في المسجد فإذا عرض لرجل منهم حاجة إلى أهله خرج إليها وخالها ثم اغتسل ورجع إلى المسجد فنها عن ذلك حتى يفرغوا من اعتكافهم . واعلم أن الله تعالى بين أن الجماع يحرم على الصائم بالنهار ويباح له في الليل فكان يحتمل أن يكون حكم الاعتكاف كحكم الصوم فيبين الله تعالى في هذه الآية أن الجماع يحرم على المعتكف في النهار والليل حتى يخرج من اعتكافه .

(فصل في حكم الاعتكاف) الاعتكاف سنة ولا يجوز في غير المسجد وذلك لأن المسجد يتميز عن سائر البقاع بالفضل لأنه مبنى لإقامة الطاعات والعبادات فيه ثم اختلفوا فتنقل عن علي أنه لا يجوز إلا في المسجد الحرام لقوله « وطهور بيني للطائفين والركع السجود » فخصه به وقال عطاء لا يجوز إلا في المسجد الحرام ومسجد المدينة وقال حذيفة يجوز في هاتين المسجدين ومسجد بيت المقدس وقال الزهري لا يصح إلا في الجامع وقال أبو حنيفة لا يجوز إلا في مسجد له إمام ومؤذن وقال الشافعي ومالك وأحمد يجوز في سائر المساجد له وم قوله « وأنتم عاكفون في المساجد » إلا أن المسجد الجامع أفضل حتى لا يحتاج إلى الخروج من معتكفه لصلاة الجمعة (ق) عن عائشة « أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه بعده » (ق) عن ابن عمر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان » .

[فروع : الأول] يجوز الاعتكاف بغير صوم والأفضل أن يصوم معه وقال أبو حنيفة الصوم شرط في الاعتكاف ولا يصح إلا به وحجة الشافعي ما روى عن ابن عمر قال قال رسول الله إن نذرت في الجاهلية أن اعتكف ليلة في المسجد الحرام قال فأوف بنذرك وأخرجاه في الصحبة بين ومعلوم أنه لا يصح الصوم في الليل .

ليلا ونهار حتى يفرغوا من اعتكافهم فالجماع حرام في حال الاعتكاف ويفسده الاعتكاف ، أما مادون الجماع (الفروع من المباشرات كالقبلة واللمس بالشهوة فمكروه ولا يفسد به الاعتكاف عند أكثر أهل العلم وهو أظهر قول الشافعي كما لا يبطل به الحج وقال طائفة يبطل بها اعتكافه وهو قول مالك وقيل إن أنزل بطل اعتكافه وإن لم ينزل فلا كالمصوم ، وأما اللمس الذي لا يقصده التلذذ فلا يفسد به الاعتكاف لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عمر بن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها أنها

قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اعتكف أدنى إلى رأسه فأرجله ، (١٦٥) وكان لا يدخل البيت إلا الحاجة

الإنسان . قوله تعالى (تلك حدود الله) يعني تلك الأحكام التي ذكرها في الصيام والاعتكاف حدود الله أي ما منع الله عنها قال السدي شروط الله وقال شهر بن حوشب فرائض الله وأصل الحد في اللغة المنع ومنه يقال للباب حداد لأنه يمنع الناس من الدخول وخروجهم الله ما يمنع الناس من مخالفتها (فلا تقربوها) فلا تأتوها (كذلك) هكذا (بين الله آياته للناس لعلهم يتقون) لكي يتقوا فينجوا من العذاب قوله تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) قبل نزول هذه الآية في امرئ القيس بن عابس الكندي ادعى عليه ربيعة ابن عبدان الحضرمي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن حلف على ماله ليأكله ظلما ليلقن الله وهو عنه معرض فأنزله الله هذه الآية : ولا

(الفرع الثاني) لا يقدر للاعتكاف زمان عند الشافعي وأقاربه لحظة ولا حد لا كثره ولو نذر اعتكاف ساعة صح نذره ولو نذر أن يعتكف معالقا مخرج من نذره باعتكاف ساعة قال الشافعي وأحب أن يعتكف يوما وإنما قال ذلك للخروج من الخلاف فإن أقل زمن الاعتكاف عند مالك وأبي حنيفة يوم بشرط أن يدخل فيه قبل طلوع الفجر ويخرج منه بعد غروب الشمس .

(الفرع الثالث) الجماع حرام في حال الاعتكاف ويفسد به وأمامادون الجماع كالقبلة ونحوها فنكوهه ولا يفسد به عند أكثر العلماء وهو أظهر قول الشافعي والثاني يبطل به وهو قول مالك وقيل إن أنزل بطل اعتكافه وإن لم ينزل فلا وهو قول أبي حنيفة . وأما الملامسة بغير شهوة فجائز ولا يفسد به الاعتكاف لما روي عن عائشة « أنها كانت ترجل النبي صلى الله عليه وسلم وهي حائض وهو معتكف في المسجد وهي في حجرتها يناولها رأسه » زاد في رواية « وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة إذا كان معتكفا » وفي رواية « وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان » أخرجاه في الصحيحين الرجل تمسريح الشعر وقومها إلا لحاجة حوائج الإنسان كثيرة والمراد منها ههنا كل ما يضطر الإنسان إليه مما لا يجوز له فعاه في المسجد وموضع معتكفه . وقوله تعالى (تلك حدود الله) يعني تلك الأحكام التي ذكرت في الصيام والاعتكاف من تحريم الأكل والشرب والجماع حدود الله وقيل حدود الله فرائض الله . وأصل الحد في اللغة المنع ، والحد الحاجز بين الشيتين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر وحد الشيء بالوصف المحيط بمعناه المميز له عن غيره وقيل معنى حدود الله المقادير التي قدرها ومنع من مخالفتها (فلا تقربوها) أي فلا تأتوها ولا تغشوها . فإن قلت في الآية إشكالان : أما الأول فهو أنه قال : تلك حدود الله وهو إشارة إلى ما تقدم من الأحكام وبعضها فيه إباحة وبعضها فيه حظر فكيف قال في الجميع فلا تقربوها ؟ . الإشكال الثاني هو أنه تعالى قال في هذه الآية : تلك حدود الله فلا تقربوها . وقال في آية أخرى : تلك حدود الله فلا تعتدوها . وقال في آية أخرى : « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده » فكيف الجمع بين هذه الآيات ؟ . قلت : الجواب عن السؤالين من وجهين : أما الإشكال الأول فجوابه أن الأحكام التي تقدمت فيها قبل وإن كانت كثيرة إلا أن أقربها إلى هذه الآية قوله تعالى « ولا تبشروهن وأنتم حاكمتون في المساجد » وذلك يوجب تحريم الجماع في حال الاعتكاف وقال قبلها « ثم أتوا الصيام إلى الليل » وذلك يوجب تحريم الأكل والشرب في النهار فلما كان الأقرب إلى هذه الآية جانب التحريم قال : « تلك حدود الله فلا تقربوها » والجواب عن الإشكال الثاني أن من كان في طاعة الله تعالى والدليل بفرائضه فهو منصرف في حيزي الحق فنهى أن يتعداه فيقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهى أن يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل اثلا يداني الباطل فيقع فيه فهو كقول الله صلى الله عليه وسلم : « كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه » وقيل أراد بحدوده هنا محارمه ومناهيه لقوله « ولا تبشروهن وأنتم عاكفون في المساجد » ونحو هذا من التحريم فهي حدود لا تقرب (كذلك) أي كما بين لكم ما أمركم به ونهاكم عنه كذلك (بين الله آياته) أي معالم دينه وأحكام شريعته (فلناس) مثل هذا البيان الشافي الوافي (لعلهم يتقون) أي لكي يتقوا ما حرم عليهم فينجوا من العذاب . قوله عز وجل (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) نزلت في امرئ القيس بن عابس الكندي ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي عند رسول الله

تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل أي من غير الوجه الذي أباحه الله . وأصل الباطل الشيء المذهب والأكل بالباطل أنواع قد يكون بطريق الغصب والنهب وقد يكون بطريق النهو كالقمار وأجرة المغني

وغيرهما وقد يكون بطريق الرشوة والخيانة (وتدلوا بها إلى الحكام) أي تلقوا أمور تلك الأموال بينكم وبين أربابها إلى الحكام وأصل الإدلاء إرسال الدلو والقاذرة في البئر يقال أدلي دلوه إذا أرسله ودلاه يدلوه إذا أخرجه . قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد المال ويخاصم فيه الحاكم وهو يعرف أن الحق عليه وأنه آثم بمنعه قال مجاهد في هذه الآية لا يخاصم وأنت ظالم قال الكلبي هو أن يقيم شهادة الزور . وقوله وتدلوا أي عمل الجزم بتكرير حرف التهم معناه ولا تدلوا بها إلى الحكام وقيل معناه ولا تأكلوا (١٦٦) بالباطل وتفسونه إلى الحكام قال قتادة لا تدل بمال أخيك إلى الحاكم وأنت

تعلم أنك ظالم فإن قضاءه لا يجل حراما وكان شرح القاضى يقول إني لأقضى لك وإني لأظنك ظلما ولكن لا يسعني إلا أن أقضى لك بما يحضرنى من البينة وإن قضائي لا يجل لك حراما . أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وإنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه فإنما أقطع له

صلى الله عليه وسلم في أرض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحضري : ألك بينة قال لا قال فلك بينة فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إن حلف على ماله ليا كله ظلما لياقن الله وهو عنه معرض فأنزله الله هذه الآية . والمعنى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل أي من غير الوجه الذي أباحه الله له . وأصل الباطل الشيء الذاهب . (فصل) أما حكم الآية فأكل المال بالباطل على وجوه : الأول أن يأكله بطريق التعدي والنهب والغصب . الثاني أن يأكله بطريق النهو كالقمار وأجرة المغني وثمان الخمر والملاهي ونحو ذلك . الثالث أن يأكله بطريق الرشوة في الحكم وشهادة الزور . الرابع الحياة وذلك في الوديعة والأمانة ونحو ذلك . وإنما عبر عن أخذ المال بالأكـل لأنه المقصود الأعظم ، ولهذا وقع في التعارف فلان يأكل أموال الناس بمعنى يأخذها بغير حلها (وتدلوا بها إلى الحكام) أي وتلقوا أمور تلك الأموال التي فيها الحكومة إلى الحكام قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه المال وليس عليه بينة فيجحد ويخاصم إلى الحكام وهو يعلم أن الحق عليه وهو آثم بمنعه وقيل هو أن يقيم شهادة الزور عند الحاكم وهو يعلم ذلك . وقيل معناه ولا تأكلوا المال بالباطل وتفسونه إلى الحكام وقيل لا تدل بمال أخيك إلى الحاكم وأنت تعلم أنك ظالم فإن قضاءه لا يجل حراما وكان شرح القاضى يقول إني لأقضى لك وإني لأظنك ظلما ولكن لا يسعني إلا أن أقضى لك بما يحضرنى من البينة وإن قضائي لا يجل لك حراما (ق) عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلية خصم يباب حجرته فخرج إليهم فقال إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم فعمل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض ، وفي رواية ألحن بحجته من بعض فأحسب أنه صادق فأقضى له فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو يلبسها ، قوله سمع جلية خصم يعني أصوات خصم قوله ألحن بحجته يقال فلان ألحن بحجته من فلان أي أقوم بها منه وأقدر عليها ، من اللحن بفتح الحاء وهو القطة (لتأكلوا فريقتا) أي طائفة وقطعة (من أموال الناس بالإثم) يعني بالظلم وقال ابن عباس باليمين الكاذبة وقيل بشهادة الزور (وأنتم تعلمون) يعني أنكم على الباطل . قوله عز وجل (يسألونك) أي يا محمد (عن الأهلة) نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاريين قالوا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يتملأ ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حال واحدة فأنزله الله : يسألونك عن الأهلة وكان هذا سؤالا منهم على وجه الفائدة عن وجه الحكمة في تبين حال الأهلة في الزيادة والنقصان والأهلة جمع هلال وهو أول حال القمر حين يراه الناس أول ليلة من الشهر (قل هي مواقيت للناس)

قطعة من النار قوله تعالى (لتأكلوا فريقتا) طائفة (من أموال الناس بالإثم) بالظلم ، وقال ابن عباس يأتين جمع الكاذبة ينقطع بها مال أخيه (وأنتم تعلمون) أنكم ميطلون . قوله تعالى (يسألونك عن الأهلة) نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة ابن غنم الأنصاريين قالوا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يتملأ ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حالة فأنزله الله تعالى يسألونك عن الأهلة وهي جمع هلال مثل رداء وأردية سمي هلالا لأن الناس يرفعون أصواتهم بالذكر عند رؤيته من قولهم استهل الصبي إذا صرخ حين يولد وأهل التوم بالحج إذا رفعوا أصواتهم بالثلبية (قل هي مواقيت للناس

(والحج) جمع ميقات أى فعلنا ذلك ليعلم الناس أوقات الحج والعمرة والصوم والإفطار وأجال الديون وعدد النساء وغيرها فلذلك خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) قال أهل التفسير كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة لم يدخل حائطا ولا بيتا ولا دارا من بابه فان كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته ليدخل منه ويخرج أو يتخذ سلما فيصعد منه وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الحيمة والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج من الباب (١٦٧) حتى يحل من إحرامه ويرون

ذلك را إلا أن يكون من الخمس وهم قريش وكنانة وخزاعة وتقيف وخيتم وبنو عامر بن صعصعة وبنو نضر بن معاوية ، سوا حسا لتشدهم في دينهم والحماسة الشدة والصلابة قالوا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بيتا لبعض الأنصار فدخل رجل من الأنصار يقال له رفاعه بن الثابوت على أثره من الباب وهو محرم فأنكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم دخلت من الباب وأنت محرم فقال رأيتك دخلت فدخلت على أترك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت أحسب أني كنت أحسب أني كنت

جمع ميقات ، والمعنى أن فعلنا ذلك لمصالح دينية ودينوية ليعلم الناس أوقات حجهم وصومهم وإفطارهم وحل ديونهم وأجارهم وعدد النساء وأوقات الحيض وغير ذلك من الأحكام المتعلقة بالأهلة ولهذا خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة (والحج) أى وللحج وإنما أفرد الحج بالذكر وإن كان داخلا في جملة العبادات لفائدة عظيمة وهي أن العرب في الجاهلية كانت تحج بالعدد وتبدل الشهور فأبطل الله ذلك من فعلهم وأخبر أن الحج مقصور على الأشهر التي عينها لفرس الحج بالأهلة وأنه لا يجوز نقل الحج عن تلك الأشهر التي عينها الله تعالى له كما كانت العرب تفعل بالنسبة (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) (ق) عن البراء قال نزلت هذه الآية فينا فكانت الأنصار إذا حجوا فجاجوا لم يدخلوا من قبل أبواب البيوت فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكانه عبر بذلك فنزلت : وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها وفي رواية كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيوت من ظهورها فأنزل الله هذه الآية وقيل كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم لم يدخل حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من بابه فان كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج أو يتخذ سلما يصد منه وإن كان من أهل الوبر دخل وخرج من خلف الحياء ولا يدخل ولا يخرج من الباب ويرون ذلك برا وكانت الخمس وهم قريش وكنانة وخزاعة ومن دان بدينهم ، سوا حسا لتشدهم في دينهم والحماسة الشدة كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا بيتا البتة ولم يستظلوا بظل ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حائطا فدخل رجل من الأنصار معه وقيل كانت الخمس لا يزالون بذلك ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتا فدخل على أثره رجل من الأنصار يقال له رفاعه بن الثابوت من الباب وهو محرم فأنكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وأنت محرم فقال رأيتك دخلت فدخلت على أترك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى أحسب أنى كنت أحسب أنى كنت أحسب أنى كنت إذا أهلوا بالعمرة لم يجعلوا بينهم وبين السماء شيئا وكان الرجل يخرج مهلا بالعمرة فقبلوه له الحاجة بعد ما خرج من بيته ف يرجع ولا يدخل من باب الحجر من أجل سقف البيت أن يحول بيته وبين السماء فيفتح الجدار من وراءه ثم يقوم في حجرته فيأمر بحاجته ثم بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل من

هذه الآية . وقال الزهري كان ناس من الأنصار إذا أهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السماء شيء وكان الرجل يخرج مهلا بالعمرة فقبلوه له الحاجة بعد ما خرج من بيته ف يرجع ولا يدخل من باب الحجر من أجل سقف البيت أن يحول بيته وبين السماء فيفتح الجدار من وراءه ثم يقوم في حجرته فيأمر بحاجته حتى بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل على أثره من الأنصار من بني سلمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك قال لأنى رأيتك دخلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى أحسب أنى كنت أحسب أنى كنت

وأنا على دينك فأنزله الله تعالى وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها قرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر: البيوت والغيوب والجيوب والغيوب وشيوخنا بكسر أوائلهن لمكان الياء، وقرأ الباقون بالضم على الأصل وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي جيوب بكسر الجيم وقرأ أبو بكر وحمزة والغيوب بكسر العين (ولكن البر من اتقى) أي البر من اتقى (وأتوا البيوت من أبوابها) في حال الإحرام (واتقوا الله لعلكم تفلحون وقاتلوا في سبيل الله) أي في طاعة الله (الذين يقاتلونكم) (١٦٨) كان في ابتداء الإسلام أمر الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر إلى المدينة أمره بقتال من قاتله منهم بهذه الآية روى الربيع بن أنس في القتال ثم أمره بقتال المشركين كافة فقاتلوا أو لم يقاتلوا بقوله اقتلوا المشركين وفصارت هذه الآية منسوخة بها وقيل نسخ بقوله اقتلوا المشركين قريب من سبعين آية وقوله (ولا تعتدوا) أي لا تبدهوهم بالقتال وقيل هذه الآية محكمة غير منسوخة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال المقاتلين ومعنى قوله ولا تعتدوا أي لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير والرهبان ولا من أتى إليكم السلام، هذا قول ابن عباس ومجاهد. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو بكر

الأنصار من بني سامة على أمره فقال النبي ﷺ لم فعلت ذلك قال لأنى رأيتك دخلت فقال عليه الصلاة والسلام إلى أحمرى فقال الأنصارى وأنا أحمرى يقول أنا على دينك فأنزله الله تعالى وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها (ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) يعنى في حال الإحرام وغيره (واتقوا الله لعلكم تفلحون) قوله عز وجل (وقاتلوا في سبيل الله) أي في طاعة الله وطلب رضوانه (ق) عن أبي موسى الأشعري قال سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أى ذلك في سبيل الله لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (الذين يقاتلونكم) كان في ابتداء الإسلام أمر الله رسول الله ﷺ بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر إلى المدينة أمر بقتال من قاتله منهم بهذه الآية قال الربيع بن أنس هذه أول آية نزلت في القتال ثم أمر الله بقتال المشركين كافة فقاتلوا أو لم يقاتلوا به وله تعالى وقاتلوا المشركين كافة وقوله اقتلواهم حيث تفتتوهم وفصارت آية السيف ناسخة هذه الآية وقيل إنها محكمة ومعناها على هذا القول وقاتلوا في سبيل الله الذين أعدوا أنفسهم للقتال فأما من لم يعد نفسه للقتال كالرهبان والشيوخ والزمنى والمكافض والمجانين فلا تقتلواهم لأنهم لم يقاتلواكم وهو قوله تعالى (ولا تعتدوا) وقال ابن عباس ولا تقتلوا النساء والصبيان والشيوخ والرهبان ولا من أتى إليكم السلام (م) عن بريدة قال كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أو صاه في خاصته يتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تعتدوا ولا تمتلوا ولا تقتلوا وليداً. قوله ولا تغلوا الغلول الحياطة وهو ما يخفيه أحد الغزاة من الغنيمة وقوله ولا تعتدوا أى ولا تقتلوا العهد وقيل في معنى الآية لا تعتدوا أى لا تبدهوهم بالقتال فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية القتال قال ابن عباس لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخار له مكة ثلاثة أيام يطوف بالبيت فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لعمرة القضاء خافوا أن لأنى قريش بما قالوا ويصدوهم عن البيت وكره المسلمون قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فأنزله الله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فأطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم في الشهر الحرام وفي الحرم ورفع عنهم الحرج والجناح في ذلك وقال ولا تعتدوا

بن محمد بن سهل القهستاني المعروف بابن تراب أخبرنا محمد بن عيسى الطوسى أنا يحيى بن بكير أنا الليث بن سعد بابتداء عن جرير بن حازم عن شعبة عن علقمة بن يزيد عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيشاً قال اغزوا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله لا تغلوا ولا تعتدوا ولا تقتلوا امرأة ولا وليداً ولا شيخاً كبيراً. وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس نزلت هذه الآية في صلح الحديبية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مع أصحابه للعمرة وكانوا ألفاً وأربعمائة فساروا حتى نزلوا الحديبية فصدتهم المشركون عن البيت الحرام فصالحهم على أن

يرجع غامه ذلك على أن يخلوا له مكة العام القابل ثلاثة أيام فيطوف بالبيت فلما كان العام القابل تجوز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا أن لا يفي قريش بما قالوا وأن يصدوهم عن البيت الحرام وكره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قناتهم في الشهر الحرام وفي الحرم فأنزله تعالى بوقالتوا في سبيل الله يعني محرمين الذين يتناولونكم يعني قريشا ولا تعتدوا فبتدوا بالقتال في الحرم محرمين (إن الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقتهم وهم) قيل : نسخت الآية الأولى بهذه الآية وأصل الثقافة الخلق والبصر بالأمر ومعناه واقتلوهم حيث أبصرتم مقاتلتهم وتمكنتم من قتلهم (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) وذلك أنهم أخرجوا المسلمين من مكة فقال أخرجوهم (١٦٩) من ديارهم كما أخرجوكم من دياركم (والفتنة أشد

من القتل) يعني شركهم بالله عز وجل أشد وأعظم من قتلكم إياهم في الحرم والإحرام (ولا تقتلواهم عند المسجد الحرام حتى يقتلواكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم) قرأ حمزة والنكسائي ولا تقتلواهم حتى يقتلواكم فان قاتلوكم بغير ألف فهين من القتل على معنى ولا تقتلوا بعضهم تقول العرب قتلنا بني فلان وإنما قتلوا بعضهم ، وقرأ الباقون بالألف من القتال وكان هذا في ابتداء الإسلام كان لا يجل بدانتهم بالقتال في البلد الحرام ثم صار منسوخا بقوله تعالى : واقتلوهم حيث ثقتهم وهم

با ابتداء القتال (إن الله لا يحب المعتدين) قواه عز وجل (واقتلوهم حيث ثقتهم وهم) أي حيث وجدتموهم وأدرتوهم في الحل والحرم ، وتحقق القول فيه أن الله تعالى أمر بالجهاد في الآية الأولى بشرط إقدام الكفار على القتال وفي هذه الآية أمرهم بالجهاد معهم سواء قاتلوا أو لم يقاتلوا واستثنى منه المقاتلة عند المسجد الحرام (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أي وأخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم من دياركم (والفتنة أشد من القتل) يعني أن شركهم بالله أشد وأعظم من قتلهم إياهم في الحرم وإحرام وإنما سمي الشرك بالله فتنة لأنه فساد في الأرض يؤدي إلى الظلم. وإنما جعل أعظم من القتل لأن الشرك بالله ذنب يستحق صاحبه الخلود في النار وليس القتل كذلك ، والكفر يخرج صاحبه من الأمة وليس القتل كذلك فثبت أن الفتنة أشد من القتل (ولا تقتلواهم عند المسجد الحرام حتى يقتلواكم فيه) اختلف العلماء في هذه الآية فذهب مجاهد في جماعة من العلماء إلى أنها محكمة وأنه لا يجل أن يقاتل في المسجد الحرام إلا من قاتل فيه وهو قوله (فان قاتلوكم فاقتلوهم) أي قاتلوهم ، وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن مكة لا تحمل لأحد قلى ولا تحمل لأحد بعدى وإنما أحلت لي ساعة من نهار ثم عادت حراما إلي يوم القيامة ، فثبت بهذا تحريم القتال في الحرم إلا أن يقاتلوا فيقاتلوا ويكون دفعاً لهم وذهب قتادة إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فأمر يقتلهم في الحل والحرم. وقيل إنها منسوخة بقوله واقتلوهم حتى لا تكون فتنة (كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا) يعني عن القتال. وقيل عن الشرك والكفر (فان الله غفور) يعني لما سلف (رحيم) يعني بعبادته حيث لم يعاملهم بالعقوبة (وقتلوهم) أي وقاتلوا المشركين (حتى لا تكون فتنة) أي شرك والمعنى واقتلوهم حتى يسلموا ولا يتقبل من الوثني إلا الإسلام والقتل بخلاف السكتاني والفرق بينهما أن أهل الكتاب معهم كتب منزلة فيها شرائع وأحكام يرجعون إليها وإن كانوا قد حرفوا وبدلوا فأمرهم الله تعالى بحرمة تلك الكتب من القتل وأمر بإصغارهم وأخذ الجزية منهم لينظروا في كتبهم ويتدبروها فيتحققوا على الحق منها فيتبعوه كفعل مؤمنى أهل الكتاب الذين عرفوا الحق فأسلموا ، وأما عبدة الأصنام فلم يكن لهم كتاب يرجعون إليه ويرشدون إلى الحق فكان إيهامهم زيادة في شركهم وكفرهم فأبى الله عز وجل أن يرضى منهم إلا بالإسلام أو القتل (ويكون الدين لله) أي الطاعة والعبادة لله وحده فلا

(٢٢ - مخازن بالبعوى - أول) أي حيث أدركتموهم في الحل والحرم صارت هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : ولا تقتلواهم عند المسجد الحرام ثم نسخها آية السيد في براءة فهي ناسخة منسوخة وقال مجاهد وجماعة هذه الآية محكمة ولا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم (كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا) عن القتال والكفر (فان الله غفور رحيم) أي غفور لما سلف رحيم بالعباد (وقاتلوهم) يعني المشركين (حتى لا تكون فتنة) أي شرك يعني قاتلوهم حتى يسلموا فلا يقبل من الوثني إلا الإسلام فان أبي قتل (ويكون الدين) أي الطاعة والعبادة لله) وحده فلا يعبد شيء دونه قال نافع جاء رجل إلى ابن عمر في فتنة ابن الزبير فقال ما يمنعك أن تخرج قال يمنعني أن الله حرم دم أخي قال ألا تسمع ما ذكره الله عز وجل وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ، فقال يا ابن أخي ولأن أحب إلي من أن أقتل بهاء الآية ولا أقاتل أحب إلي من أن أقتل بالآية التي يقول

الله عز وجل فيها «ومن يقتل مؤمنا متعمداً قال ألم يقل الله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال قد فعلنا على عهد رسول الله ﷺ
إذ كان الإسلام قليلاً وكان الرجل يفتن في دينه إما يقتلونه أو يعذبونه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة وكان الدين لله وأنتم
تريدون أن تتقاتلهم حتى تكون فتنة ويكون الدين لله . وعن سعيد بن جبير قال قال رجل لابن عمر كيف ترى في قتال
الفتنة فقال هل تدري ما الفتنة كان محمد ﷺ يتأمل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة وليس قتالكم كقتالهم على الملك
(فان انتهوا) عن الكفر وأسلموا (فلا عدوان) فلا سبيل (إلا على الظالمين) قاله ابن عباس يدل عليه قوله تعالى «أما الأجلين
قضيت فلا عدوان على أي فلا (١٧٠) سبيل على وقال أهل المعاني العدوان الظلم أي إن أسلموا فلا تهب ولا أسر

ولا قتل إلا على الظالمين
الذين بقوا على الشرك
وما يفعل بأهل الشرك
من هذه الأشياء لا يكون
ظالماً وسماه عدواناً على
طريق المجازة والمقابلة
كقوله «فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه» وكقوله
تعالى «جزاء سيئة سيئة
مثلها» وسمى الكافر ظالماً
لأنه يضع العبادة في غير
موضعها . قوله تعالى
(الشهر الحرام بالشهر
الحرام) نزلت هذه الآية
في عمرة القضاء وذلك أن
النبي صلى الله عليه وسلم
خرج معتمراً في ذي
القعدة فصده المشركون
عن البيت بالحديبية
فصالح أهل مكة على أن
ينصرف عامه ذلك
ويرجع العام المقبل
فيقضى عمرته فانصرف
رسول الله صلى الله

يعبد من دونه شيء (فان انتهوا) يعني عن القتال وقيل عن الشرك والكفر (فلا عدوان) أي فلا
سبيل (إلا على الظالمين) قاله ابن عباس فعلى القول الأول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى
القول الآخر الآية محكمة . وقيل : معناه فلا تظلموا إلا الظالمين ، سمي جزء الظالمين ظالماً على سبيل
المشاكله ، وسمى الكافر ظالماً لوضعه العبادة في غير موضعها . قوله عز وجل (الشهر الحرام بالشهر
الحرام) نزلت في عمرة القضاء وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج معتمراً في ذي القعدة
سنة ست من الهجرة فصده المشركون عن البيت بالحديبية فصالح أهل مكة على أن ينصرف عامه
ذلك ويرجع من قابل فيقضى عمرته فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع في ذي
القعدة سنة سبع فقضى عمرته وذلك قوله تعالى «الشهر الحرام» يعني ذا القعدة الذي دخلتم فيه مكة
وقضيت عمرتكم «بالشهر الحرام» الذي صدقتم فيه عن البيت (والحرمان) جمع حرمة وإنما
جمعت لأنه أراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الإحرام (قصاص) القصاص المساواة
والمماثلة وهو أن يفعل بالفاعل مثل ما فعل ، والمعنى أنهم لما منعوكم عن العمرة وأصاعوا هذه
الحرمان في ستة ست فقد وقتم حتى قضيتموها على رغمهم في ستة سبع . وقيل هذا في القتال
ومعناه فان بدوكم بالقتال في الشهر الحرام فاقتلوهم فيه فانه قصاص (فمن اعتدى عليكم) أي
بالقتال (فاعتدوا عليه) أي فقاتلوه (بمثل ما اعتدى عليكم) سمي الجزء بالاعتداء على سبيل
المشاكله (واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) قوله عز وجل (واتقوا في سبيل الله) يعني
به الجهاد وذلك أن الله تعالى لما أمر بالجهاد والاشتغال به يحتاج إلى الاتفاق فأمر به ، والاتفاق
هو صرف المال في وجوه المصالح الدينية كالاتفاق في الحج والعمرة وصلة الرحم والصدقة
وفي الجهاد وتجهيز الغزاة وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة لله تعالى لأن كل ذلك
مما هو في سبيل الله لكن إطلاق هذه اللفظة ينصرف إلى الجهاد (خ) عن أبي هريرة أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال «من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً واحتساباً لله وتصديقاً بوعده
فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة» يعني حسبات . عن خريم بن فاتك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أنفق نفقة في سبيل الله كتب الله له سبعمائة ضعف» أخرجه

الترمذي

عليه وسلم عامه ذلك ويرجع في العام القابل في ذي القعدة وقضى عمرته .

سنة سبع من الهجرة فذلك معنى قوله تعالى «الشهر الحرام» يعني ذي القعدة الذي دخلتم فيه مكة وقضيت عمرتكم سنة سبع
«بالشهر الحرام» يعني ذا القعدة الذي صدقتم فيه عن البيت سنة ست (والحرمان قصاص) جمع حرمة وإنما جمعها لأنه أراد
حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الإحرام والقصاص المساواة والمماثلة وهو أن يفعل بالفاعل مثل ما فعل وقيل
هذا في أمر القتال معناه إن بدوكم بالقتال في الشهر الحرام فاقتلوهم فيه فانه قصاص بما فعلوا فيه (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه) وقاتلوه (بمثل ما اعتدى عليكم) سمي الجزء باسم الابداء على ازدواج الكلام كقوله تعالى «وجزاء سيئة سيئة مثلها»
(واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) قوله تعالى (واتقوا في سبيل الله) أراد به الجهاد وكل خبر هو في سبيل الله ولكن

إطلاقه ينصرف إلى الجهاد (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) قيل الباء في قوله تعالى بأيديكم زائدة يريد ولا تلقوا بأيديكم أي أنفسكم إلى التهلكة عبر عن الأنفس بالأيدي كقوله تعالى بما كسبت أيديكم أي بما كسبتم وقيل الباء في موضعها وفيه حذف أي ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة أي الهلاك وقيل التهلكة كل شيء يصير عاقبته إلى الهلاك أي ولا تأخذوا في ذلك وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه والعرب لا تقول للإنسان ألقى بيده إلا في الشر واختلفوا في تأويل هذه الآية فقال بعضهم هنا في البخل وترك الإنفاق يقول ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بترك الإنفاق في سبيل الله وهو قول حليضة والحسن وقتادة وعكرمة وعطاء وقال ابن عباس في هذه الآية أنفق (١٧١) في سبيل الله وإن لم يكن

لك إلا سهم أو شقص ولا يقول أحدكم إنى لا أجد شيئاً. وقال السدي فيها أنفق في سبيل الله ولو عقالا ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ولا نقل ليس عندى شيء وقال سعيد بن المسيب ومقاتل بن حبان لما أمر الله تعالى بالإنفاق قال رجال أمرنا بالإنفاق في سبيل الله ولو أنفقنا أموالنا بقينا فقراء فأزل الله هذه الآية وقال مجاهد فيها لا يمنعكم من نفقة في حق خيفة العيلة. أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أحمد بن الحسن الحبري أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني أخبرنا أحمد بن حازم ابن أبي غرزة أخبرنا أبو غسان أخبرنا

الترمذي والنسائي (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) قيل: الباء زائدة ومعناه لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، والمراد بالأيدي الأنفس والمعنى ولا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة عبر بالأيدي عن الأنفس وقيل الباء على أصلها وفي الكلام حذف تقديره ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة كما يقال أهلك فلان نفسه بيده، إذا تسبب في هلاكها وقيل التهلكة كل شيء يصير عاقبته إلى الهلاك وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه، ومعنى الآية النهي عن ترك الإنفاق في سبيل الله لأنه سبب الإهلاك قال ابن عباس أنفق في سبيل الله وإن لم يكن لك إلا سهم أو مشقص ولا يقول أحدكم لا أجد شيئاً. السهم هنا هو ما يرمى به والمشقص سهم فيه نصل عريض وقيل كان رجال يخرجون في البعوث بغير نفقة فاما أن يتقطع بهم وإما أن يكونوا عالة فأمرهم الله تعالى بالإنفاق على أنفسهم في سبيل الله ومن لم يكن عنده شيء ينفق عليه في الغزو فلا يخرج لئلا يلقى نفسه في التهلكة وهو أنه يهلك من الجوع والعطش والمشى. وقيل نزلت الآية في ترك الجهاد (ت) عن أبي عمران واسمه أسلم قال كنا بمدينة الروم فأخرجوا لنا صفا عظيما من الروم فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر وعلى أهل مصر عاقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس سبحان الله يلقى بيديه إلى التهلكة فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: أيها الناس إنكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه فقال بعضهم لبعض سرا دون رسول الله ﷺ إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ماضع منها فأزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم رد علينا ما قلنا وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركها الغزو فما زال أبو أيوب شاخصا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم، وقال حديث غريب صحيح: مات أبو أيوب في آخر غزوة غزاها بأرض أسطنبطية ودفن في أصل سورها فهم يتبركون بقبره ويستسقون به (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق قال ابن المبارك فرى أن ذلك كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل

خالد بن عبد الله الواسطي أخبرنا وأصل مولى أبي عتبة عن يشار بن أبي سيف عن الوليد بن عبد الرحمن عن عبياض بن غضيف قال أتينا أبا عبيدة نعوذ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسببها ومن أنفق نفقة على أهله فالجنة بعشرة أمثالها. وقال زيد بن أسلم كان رجال يخرجون في البعوث بغير نفقة فاما أن يتقطع بهم وإما أن يكونوا عيالا فأمرهم الله تعالى بالإنفاق على أنفسهم في سبيل الله ومن لم يكن عنده شيء ينفقه فلا يخرج بغير نفقة ولا قوت فيلقى بيده إلى التهلكة فالتهلكة أن يهلك من الجوع والعطش أو المشى. وقيل نزلت الآية في ترك الجهاد قال أبو أيوب الأنصاري نزلت فينا معشر الأنصار وذلك أن الله تعالى لما أعز دينه ونصر رسوله قلنا فيها بيننا إذا قد تركنا أهلنا وأموالنا حتى فشا الإسلام ونصر الله نبيه فلو رجعنا إلى أهلنا وأموالنا فأقمنا فيها فأصلحنا ماضع منها فأزل

الله تعالى وأذفوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة فالتهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد فما زال أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى كان آخر غزوة غزاهما بقسطنطينية في زمن معاوية فتوفي هناك ودفن في أصل سور القسطنطينية وهم يستسقون به. وروى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من مات ولم يعز ولم يحدث نفسه بالغزوات على شعبة من الشناق، وقال محمد بن سيرين وعبيدة السلماني الإلقاء إلى التهلكة هو القنوط من رحمة الله تعالى قال أبو قلابة هو الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لي توبة فيياس من رحمة الله ويهملك في المعاصي فبهاهم الله تعالى عن ذلك قال الله تعالى «إنه لا يياس من روح الله (١٧٢) إلا القوم الكافرون» (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) قوله عز وجل

(وأتموا الحج والعمرة لله) قرأ علقمة وإبراهيم النخعي وأقيموا الحج والعمرة لله واختلفوا في إتمامها فقال بعضهم هو أن يتمها بمناسكها وحدودها وسنتها وهو قول ابن عباس وعلقمة وإبراهيم النخعي ومجاهد. وأركان الحج خمسة الإحرام والوقوف بعرفة وطواف الزيارة والسعي بين الصفا والمروة وحلق الرأس أو التقصير. وللحج تحللان وأسباب التحلل ثلاث هي جمره العقبة يوم النحر وطواف الزيارة والحلق فإذا وجد شيئا من هذه الأشياء الثلاثة حصل التحلل الأول، وبالثلث حصل التحلل الثاني، وبعد التحلل الأول يستباح جميع محظورات الإحرام إلا النساء وبعد

الإلقاء إلى التهلكة هو أن يقنط من رحمة الله وهو أن الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لي توبة فيياس من رحمة الله ويهملك على المعاصي فهو القنوط فهي الله عن ذلك وقيل في معنى الآية أنفقوا في سبيل الله ولا تقولوا إنا نخاف الزمر إن أنفقنا فهلك فهو أن يجعلوا أنفسهم هالكين بالإففاق (خ) عن حذيفة قال أنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة قال نزلت في النفقة (وأحسنوا) أي بالإففاق على من تلزمكم مؤنته ونفقته وقيل أحسنوا في الإففاق ولا تسرفوا ولا تقتروا، فهو عن الإسراف والافتقار في الإففاق وقيل معناه وأحسنوا في أداء فرائض الله تعالى (إن الله يحب المحسنين) أي يذهبهم على إحسانهم. قوله عز وجل (وأتموا الحج والعمرة لله) قال ابن عباس وهو أن يتمها بمناسكها وحدودها وسنتها وقيل إتمامها أن تحرم بهما من دورة أهلك وقيل هو أن تفرد لكل واحد منهما سفرا وقيل إتمامها أن تكون النفقة حلالا وتنتهي عما نهى الله عنه. وقيل إتمامها أن تخرج من أهلك لهما للتجارة ولا حاجة. وقيل إذا شرع فيهما وجب عليه لإتمام.

(فصل) : وافقت الأمة على وجوب الحج على من استطاع إليه سبيلا (م) عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا، فقال رجل أفي كل عام يارسول الله؟ فسكت حتى قاما ثلاثا فقال رسول الله ﷺ لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم» وفي وجوب العمرة قولان للشافعي أحدهما أنها واجبة وهو قول علي وابن عمر وابن عباس والحسن وابن سيرين وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومجاهد وإليه ذهب أحمد بن حنبل، والقول الثاني أنها سنة ويروي ذلك عن ابن مسعود وجابر وإبراهيم والشعبي وإليه ذهب مالك وأبو حنيفة. حجة من أوجب العمرة ما روى في حديث الضبي بن معبد أنه قال لعمر بن الخطاب إني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي وإني أهلك بهما فقال أهديت لسنة نبيك محمد ﷺ أخرجه أبو داود والتمسائي بأطول من هذا وجه الدليل أنه أخبر عن وجوبها عليه وصوبه عمر وبين أنه مهتد بما رآه في وجوبها عليه لسنة النبي صلى الله عليه وسلم. وروى عن ابن عباس أنها كقرينها في كتاب الله «وأتموا الحج والعمرة لله» وعن ابن عمر قال «الحج والعمرة فريضتان» وعنه «ليس أحد من خلق الله إلا وعليه حجة وعمرة واجبتان

الثاني يستباح الكل. وأركان العمرة أربعة: الإحرام والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والحلق. قال سعيد بن جبير وطاوس تمام الحج والعمرة أن تحرم بهما مفردين مستأنفين من دورة أهلك وسئل علي بن أبي طالب عن قوله تعالى «وأتموا الحج والعمرة لله» قال أن تحرم بهما من دورية أهلك ومثله عن ابن مسعود قال فتادة تمام العمرة أن تعمر في غير أشهر الحج فإن كانت في أشهر الحج ثم أقام حتى حج فهي تمتعه وعليه فيها. الهدى إن وجدته أو الاضيام إن لم يجد الهدى، وتمام الحج أن يؤتي بمناسكها كلها حتى لا يازمه عما ترك دم بسبب قرآن ولا متعة. وقال الضحاك إتمامها أن تكون النفقة حلالا وينتهي عما نهى الله عنه وقال سفيان الثوري إتمامها أن تخرج من أهلك لهما ولا تخرج لتجارة ولا حاجة أخرى. قال عمر بن الخطاب الوقد كئيب والحاج قليل، وافقت الأمة على وجوب الحج على من استطاع إليه سبيلا

واختلفوا في وجوب العمرة فذهب أكثر أهل العلم إلى وجوبها وهو قول عمر وعلي وابن عمر وروى عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال والله أن العمرة تقربية للحج في كتاب الله وأتموا الحج والعمرة لله، وبه قال عطاء وطلوس ومجاهد والحسن وقتادة وسعيد بن جبير وإليه ذهب الثوري والشافعي في أصح قوليه وذهب قوم إلى أنها سنة وهو قول جابر، وبه قال الشعبي وإليه ذهب مالك وأهل العراق وتأولوا قوله تعالى «وأتموا الحج والعمرة لله» على معنى أتموها إذا دخلتم فيها أما ابتداء الشروع فيها فنطوع واحتج من لم يوجبها بما روى عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن العمرة أواجبة هي فقال لا وأن تعسروا خير لكم والقول الأول أصح ومعنى قوله «وأتموا الحج والعمرة لله» أي (١٧٣) ابتدئوهما فإذا دخلتم فيهما

فأتموهما، فهو أمر بالإبداء والإتمام أي أقروهما كقوله تعالى «ثم أتموا الصيام إلى الليل» أي ابتدئوه وأتموه. أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا ابن أبي شيبة أخبرنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس عن عاصم عن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكبر خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحج المبرور جزاء إلا الجنة» وقال ابن عمر ليس من خالق الله أحد إلا وعليه حجة وعمرة

من استطاع إلى ذلك سبيلا» وعن ابن عباس قال «العمرة واجبة كوجوب الحج» وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهم ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكبر خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب إلا الجنة» أخرجه النسائي والترمذي وزاده وما من مؤمن يظل يومه محرما لا يغيب الشمس بذنوبه وقال حديث حسن صحيح. وجه الدليل أنه أمر بالتتابع بين الحج والعمرة والأمر لا وجوب ولأنها قد نظمت مع الحج في الأمر بالإتمام فكانت واجبة كالحج، وحجة من قال بأنها سنة ما روى عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة أواجبة هي؟ قال لا وأن تعسروا خير لكم» أخرجه الترمذي. وأجيب عنه بأن هذا الحديث يرويه حجاج بن أرطاة وحجاج ليس من يقبل منه ما انفرد به لسوء حفظه وقلة مراعاته لما يحدث به واجتمعت الأمة على جواز أداء الحج والعمرة على ثلاثة أنواع إفراد وتمتع وقران فصورة الإفراد أن يحج ثم بعد فراغه منه يعتمر من أدنى الحل أو يعتمر قبل أشهر الحج ثم يحج في تلك السنة. وصورة التمتع أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج وبأبى أعمالها فإذا فرغ من أعمالها أحرم بالحج من مكة في تلك السنة وإنما سمي تمتعا لأنه يستمتع بحظائرات الإحرام بعد التحلل من العمرة إلى أن يحرم بالحج. وصورة القران أن يحرم بالحج والعمرة معا في أشهر الحج فينويهما بقلبه وكذلك لو أحرم بالعمرة في أشهر الحج ثم أدخل عليها الحج قبل أن يفتتح الطواف فيصير قارنا. واختلفوا في الأفضل فذهب مالك والشافعي إلى أن الإفراد أفضل ثم التمتع ثم القران يدل عليه ما روى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد الحج، أخرجه مسلم وله عن ابن عمر قال «أهلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أفردوا الحج» وفي رواية إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بالحج مفردا، وله عن جابر قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصرخ بالحج صراخا. وعن ابن عمر قال «أفصلوا بين حجكم وعمركم فان ذلك أتم حج أحدكم وأتم لعمركم» وفي غير أشهر الحج أخرجه مالك في الموطأ وذهب الثوري وأبو حنيفة إلى أن القران أفضل يدل عليه ما روى عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى بالحج والعمرة جميعا وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك عمرة وحججا أخرجاه في الصحيحين وذهب أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه إلى أن

واجبتان إن استطاع إلى ذلك سبيلا كما قال الله تعالى «وأتموا الحج والعمرة لله» فمن زاد بعد ذلك فهو خير ونطوع. واتفقت الأمة على أنه يجوز أداء الحج والعمرة على ثلاثة أوجه: الإفراد والتمتع والقران فصورة الإفراد أن يفرد الحج ثم بعد الفراغ منه يعتمر بصورة التمتع أن يعتمر في أشهر الحج ثم بعد الفراغ من الحج من مكة فيحج في هذا العام وصورة القران أن يحرم بالحج والعمرة معا، أو يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل أن يفتتح الطواف فيصير قارنا، واختلفوا في الأفضل من هذه الوجوه فذهب جماعة إلى أن الإفراد أفضل ثم التمتع ثم القران وهو قول مالك والشافعي لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الأسود محمد ابن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين، أنها قالت «أخرجتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام

حجة الوداع فنامن أهل بعمره ونامن أهل يحج وعمره ونامن أهل يحج وآهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج فاما من أهل بالعمرة فحل وأما من أهل بالحج أو جمع بين الحج والعمرة فلن يحلوا حتى كان يوم النحر، أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا مسلم عن ابن جريج عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر وهو يحدث عن حجة النبي صلى الله عليه وسلم وقال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لانتوى إلا الحج ولا نعرف غيره ولا نعرف العمرة، وروى عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم أفرد الحج، وذهب قوم إلى أن القرآن أفضل (١٧٤) وهو قول الثوري وأصحاب الرأي واحتجوا بما أخبرنا أحمد بن

عبد الله الصالح أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم أخبرنا محمد بن هشام ابن ملا بن الفخيري أخبرنا مروان بن معاوية القراري أخبرنا حميد قال أنس ابن مالك أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لبيك بحجة وعمرة. وذهب قوم إلى أن التمتع أفضل وهو قول أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه واحتجوا بما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا يحيى بن بكير أخبرنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر قال، تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج وأهدى فساق معه الهدى من ذى الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج وأهدى فساق معه الهدى من ذى الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة إلى الحج وكان من الناس من أهدى ومنهم لم يهدى فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس من كان منكم أهدى فإنه لا يحل من شيء حرم منه حتى يقضى حجه ومن لم يكن منكم أهدى فليطف بالبيت والصفاء والمروة وليقتصر وليتحلل ثم ليل بالحج وليهدى فمن لم يجد هدبا فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فاستلم الركن أول شيء ثم غرب ثلاثة أطواف من السبع ومشى أربعة أطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فأتى الصفا فطاف بالصفاء والمروة سبعة أشواط ثم لم يحل من شيء حرم منه حتى يقضى حجه ونحر هديه يوم النحر وأفاض وطاف بالبيت ثم حل من كل شيء حرم منه وفعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهدى فساق الهدى من الناس. اختلفت الروايات في حجة النبي صلى الله عليه وسلم هل كان مفردا أو متمتا أو قارنا؟ وهي ثلاثة أقوال للعلماء بحسب مذاهمم السابقة ورجحت كل طائفة نوعا وادعت أن حجة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك وطريق الجمع بين روايات الصحابة واختلافهم في حجة النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان أولا مفردا ثم إنه صلى الله عليه وسلم أحرم بالعمرة بعد ذلك وأدخلها على الحج فصار قارنا فمن روى أنه كان مفردا فهو الأصل ومن روى القرآن اعتمد آخر الأمر ومن روى التمتع أراد التمتع اللغوي وهو الانقضاء والارتفاق وقد ارتفق بالقرآن كارتفاق التمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد، وهذا يمكن الجمع بين الأحاديث المختلفة في صفة حجة الوداع وهو الصحيح وذكر الشافعي في كتاب اختلاف الحديث كلاما موجزا في ذلك فقال إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان يأخذ منه أمر نسكه ويصدر عن تعليمه فأضيف الكمال إليه على معنى أنه أمر به وأذن فيه ويجوز في لغة العرب إضافة الفعل إلى الأمر به كما تجوز إضافته إلى فاعله كما يقال

التمتع أفضل يدل عليه ما روى عن ابن عباس قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان فأول من نهى عنهما معاوية أخرجه الترمذي (ق) عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج وأهدى فساق معه الهدى من ذى الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة إلى الحج وكان من الناس من أهدى ومنهم لم يهدى فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس من كان منكم أهدى فإنه لا يحل من شيء حرم منه حتى يقضى حجه ومن لم يكن منكم أهدى فليطف بالبيت والصفاء والمروة وليقتصر وليتحلل ثم ليل بالحج وليهدى فمن لم يجد هدبا فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فاستلم الركن أول شيء ثم غرب ثلاثة أطواف من السبع ومشى أربعة أطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فأتى الصفا فطاف بالصفاء والمروة سبعة أشواط ثم لم يحل من شيء حرم منه حتى يقضى حجه ونحر هديه يوم النحر وأفاض وطاف بالبيت ثم حل من كل شيء حرم منه وفعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهدى فساق الهدى من الناس. اختلفت الروايات في حجة النبي صلى الله عليه وسلم هل كان مفردا أو متمتا أو قارنا؟ وهي ثلاثة أقوال للعلماء بحسب مذاهمم السابقة ورجحت كل طائفة نوعا وادعت أن حجة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك وطريق الجمع بين روايات الصحابة واختلافهم في حجة النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان أولا مفردا ثم إنه صلى الله عليه وسلم أحرم بالعمرة بعد ذلك وأدخلها على الحج فصار قارنا فمن روى أنه كان مفردا فهو الأصل ومن روى القرآن اعتمد آخر الأمر ومن روى التمتع أراد التمتع اللغوي وهو الانقضاء والارتفاق وقد ارتفق بالقرآن كارتفاق التمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد، وهذا يمكن الجمع بين الأحاديث المختلفة في صفة حجة الوداع وهو الصحيح وذكر الشافعي في كتاب اختلاف الحديث كلاما موجزا في ذلك فقال إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان يأخذ منه أمر نسكه ويصدر عن تعليمه فأضيف الكمال إليه على معنى أنه أمر به وأذن فيه ويجوز في لغة العرب إضافة الفعل إلى الأمر به كما تجوز إضافته إلى فاعله كما يقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج وأهدى فساق معه الهدى من ذى الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج وأهدى فساق معه الهدى من ذى الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة إلى الحج فكان من الناس من أهدى فساق الهدى، ومنهم من لم يهد فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس من كان منكم أهدى فإنه لا يحل من شيء حرم منه حتى يقضى حجه ومن لم يكن منكم أهدى فليطف بالبيت ويسع بين الصفا والمروة ويقتصر وليتحلل ثم ليل بالحج فمن لم يجد هدبا فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله فطاف حين قدم مكة واستلم الركن أول شيء ثم غرب ثلاثة أشواط ومشى أربعة ركعات حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فأتى الصفا فطاف بالصفاء والمروة سبعة أشواط، ثم لم يتحلل من شيء حرم منه حتى يقضى حجه ونحر هديه يوم النحر وأفاض فطاف

بالبيت ثم حل من كل شيء حرم منه وفعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهدي وساق الهدى من الناس وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أخبرته عن النبي صلى الله عليه وسلم في تمتعه بالعمرة إلى الحج فتمتع الناس معه بمثل الذي أخبرني سلم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شيخنا الإمام رضي الله عنه قد اختلف الرواة في إحرام النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا وذكر الشافعي في كتاب اختلاف الأحاديث كلاما موجزا أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والتمتع وكل كان يأخذ منه أمر نسكه ويصدر عن تعليمه فأضيف الكل إليه على معنى أنه أمر به وأذن فيه فيجوز في لغة العرب إضافة الفعل إلى الأمر به كما يجوز إضافته إلى الفاعل له (١٧٥) كما يقال بنى فلان دارا وأريد أنه

بنى فلان داره وأريد به أنه أمر ببنائها وكما يروى « أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا » وإنما أمر برجمه واختار الشافعي الأفراد واحتج في ترجيحه بأنه صح ذلك من رواية جابر وابن عمر وابن عباس وعائشة وهؤلاء لهم زينة في حجة الوداع على غيرهم فأما جابر فهو أحسن الصحابة سياقة الرواية حديث حجة الوداع فإنه ذكرها من حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى آخرها فهو أضيف لها من غيره وأما ابن عمر فصح عنه أنه كان أخذنا بخطام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وإنما سمعه يلبى بالحج وأما ابن عباس فحلته من العلم والفقه والدين معروف مع كثرة بحثه عن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عائشة فقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف واطلاعا على باطن أمره وظاهره مع كثرة فقها وعلمها، ومن دلائل ترجيح الأفراد أن الخلفاء الراشدين أقرروا الحج بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وواظبوا عليه. وأركان الحج خمسة الإحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعي بين الصفا والمروة وحلق الرأس أو التقصير في أصح القولين. وأركان العمرة أربعة: الإحرام والطواف والسعي والحلق أو التقصير وبهذه الأركان تمام الحج والعمرة. قوله تعالى (فان أحصرتم) أصل الحصر في اللغة الحبس والتضييق ثم اختلف أهل اللغة في الحصر والاحصار فقيل إذا رد الرجل عن وجه يريده فقد أحصر، وإذا حبس فقد حصر وقال ابن السكيت أحصره المرض إذا منعه من السفر أو حاجة يريدها وحصره العدو إذا ضيق عليه. وقال الزجاج الرواية عن أهل اللغة يقال للذي يمنعه الخوف أو المرض أحصر والمحبوس حصر. وقال ابن قتيبة في قوله « فان أحصرتم » هو أن يعرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرض أو كسر أو عد ويقال أحصر فهو محصر فان حبس في دار أو سجن قيل حصر فهو محصور وذهب قوم إلى أنها بمعنى واحد قال الزجاج يقال الرجل من حصره هنا ومن أحصره وقال أحمد بن يحيى أصل الحصر والاحصار الحبس وحصر في الحبس أقوى من أحصر وقيل الإحصار يقال في المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن كالمرض والحصر لا يقال إلا في المنع الباطن. وأما قوله فان أحصرتم فمحمول على الأمرين وبجسب اختلاف أهل اللغة في معناها اختلف الفقهاء في حكمها فذهب قوم إلى أن كل مانع من عدو أو مرض

أمر ببنائها وكما يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا » وإنما أمر برجمه، واختار الشافعي الأفراد لرواية جابر وعائشة وابن عمر وقدمها على رواية غيرهم لتقدم صحة جابر النبي صلى الله عليه وسلم وحسن سياقه لابتداء قصة حجة الوداع وآخرها ولتفضل حفظ عائشة وقرب ابن عمر من النبي صلى الله عليه وسلم. وقال الشافعي في اختلاف الأحاديث إلى التمتع وقال ليس شيء من الاختلاف أيسر من هذا وإن كان الغلط فيه قبيحا من جهة أنه مباح لأن الكتاب ثم السنة ثم مالا أعلم فيه خلافا يدل على أن التمتع بالعمرة إلى الحج وإفراد الحج والقران واسع كله أي التمتع والإفراد والقران وقال من قال إنه أفرد الحج يشبه أن يكون قاله على

ما يعرف من أهل العلم الذين أذكروا دور رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحدا لا يكون مقبلا على الحج إلا وقد ابتداء إحرامه بالحج. قال شيخنا الإمام ومما يدل على أنه كان متعاً أن الرواية عن ابن عمر وعائشة متعارضة وقدر وينان ابن شهاب عن سلم عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج، وقال ابن شهاب عن عروة إن عائشة أخبرته عن النبي صلى الله عليه وسلم في تمتعه بالعمرة إلى الحج فتمتع الناس معه بمثل الذي أخبرني سلم عن ابن عمر وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذه عمرة استمتعنا بها » وقال سعد بن أبي وقاص في المتعة صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنعناها معه قال شيخنا الإمام وما روى عن جابر أنه قال خرجنا لالتوى إلا الحج لا ينافي التمتع لأن خروجهم كان لتقصده الحج ثم منهم من قدم العمرة ومنهم من أهل بالحج إلى أن أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعله متعة. قوله تعالى (فان أحصرتم) اختلف العلماء في الإحصار

الذي يبيح للمحرم التحلل من إحرامه فذهب جماعة إلى أن كل مانع يمنعه عن الوصول إلى البيت الحرام والمضي في إحرامه من عدو أو مرض أو جرح أو ذهاب نفقة أو ضلال راحلة يبيح له التحلل. وبه قال ابن مسعود وهو قول إبراهيم النخعي والحسن ومجاهد وعطاء وقتادة وعروة بن الزبير. وإليه ذهب سفیان الثوري وأهل العراق وقالوا إن الإحصار في كلام العرب هو حبس العلة أو المرض وقال الكسائي وأبو عبيدة ما كان من مرض أو ذهاب نفقة يقال منه أحصر فهو محصر وما كان من حبس عدو أو محين يقال منه حصر فهو محصور وإنما جعله هنا حبس العدو إحصارا قياسا على المرض إذ كان في معناه واحتجوا بما روي عن عكرمة عن الحجاج بن عمرو الأنصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل. قال عكرمة فسألت ابن عباس وأبا هريرة فقالا صدق وذهب جماعة إلى أنه لا يباح له التحلل إلا بحبس العدو وهو قول ابن عباس قال لا حصر إلا حصر العدو. وروى معناه عن ابن عمر وعبد الله بن الزبير وهو قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وإليه ذهب (١٧٦) الشافعي وأحمد وإسحاق وقالوا الحصر والإحصار بمعنى واحد وقال ثعلب

تقول العرب: حصرته الرجل عن حاجته فهو محصور وأحصره العدو إذا منعه عن السير أو محصر واحتجوا بأن نزول هذه الآية في قصة الحديدية وكان ذلك حبسا من جهة العدو ويدل عليه قوله تعالى في سياق الآية: فاذا أمنتم والأمن يكون من الخوف وضعفوا حديث الحجاج بن عمرو بما ثبت عن ابن عباس أنه قال لا حصر إلا حصر العدو وتأوله بعضهم على أنه إنما يحل بالكسر والعرج إذا كان قد شرط ذلك في عقد الإحرام كما روى أن ضباعة بنت

أو ذهاب نفقة فإنه يبيح له التحلل من إحرامه وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب أبي حنيفة ويدل عليه ما روى عن عكرمة قال حدثني الحجاج بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كسر أو عرج فقد حل وعليه حجة أخرى قال عكرمة فذكرت ذلك لأبي هريرة وابن عباس فقالا صدق أخرجه أبو داود والسنائي والترمذي وقال حديث حسن وذهب قوم إلى أنه لا يباح له التحلل إلا بحبس العدو وهو قول ابن عمر وابن عباس وأنس وبه قال مالك والليث والشافعي وأحمد وقالوا الحصر والإحصار بمعنى واحد واحتجوا بأن نزول الآية كان في قصة الحديدية في سنة ست وكان ذلك حبسا من جهة العدو لأن كفار مكة منعوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الطواف بالبيت فنزلت هذه الآية فحل النبي صلى الله عليه وسلم من عمرته ونحر هديه وقضاها من قابل ويدل عليه أيضا سياق الآية وهو قوله: فاذا أمنتم والأمن لا يكون إلا من خوف وثبت عن ابن عباس أنه قال لا حصر إلا حصر العدو فثبت بذلك أن المراد من الإحصار هو حصر العدو دون المرض وغيره. وأجيب عن حديث الحجاج بن عمرو بأنه محمول على من شرط التحلل بالمرض ونحوه حال إحرامه ويدل على جواز الاشتراط في الإحرام ما روى عن ابن عباس أن ضباعة بنت الزبير أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إنني أريد الحج فأشترط قال نعم قالت كيف أقول؟ قال فولي لبيك اللهم لبيك محلي من الأرض حيث تحبسني أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولغيره أن ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبي ﷺ حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فذهب الشافعي وأحمد وإسحاق إذا اشترط في الحج فعرض له مرض أو عذر أن يتحلل ويخرج

الزبير كانت وجعة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم «حجي

من واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني» ثم المحصر يتحلل بذبح الهدى وحلق الرأس والهدى بشاة وهو المراد من قوله تعالى «فما استيسر من الهدى» وعمل ذبجه حيث أحصر عند أكثر أهل العلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الهدى عام الحديدية بها وذهب قوم إلى أن المحصر يقم على إحرامه ويبعث يديه إلى الحرم ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل وهو قول أهل العراق واختلف القول في المحصر إذا لم يجد هدبا في قول لا يدل له فيتحلل والهدى في ذمته إلى أن يجده والقول الثاني له بدل فعلى هذا اختلف القول فيه ففي قول عليه صوم التمتع وفي قول تقوم الشاة بدراهم ويجعل الدراهم طعاما فيتصدق به فإن عجز عن الإطعام صام عن كل مد من الطعام يوما كما في فدية الطيب واللبس فإن المحرم إذا احتاج إلى ستر رأسه لحر أو برد أو إلى لبس قيص أو مرض فاحتاج إلى مداواته بدواء فيه طيب فعل وعليه الفدية وفديته على الترتيب والتعديل؛ فعليه ذبح شاة فإن لم يجد يقوم الشاة بدراهم والدراهم يشترى بها طعاما فيتصدق به فإن عجز صام عن كل مد يوما، ثم المحصر إن كان إحرامه بفرض قد استقر عليه

فذلك الفرض في ذمته وإن كان يحج تطوع فهل عليه القضاء؟ اختلفوا فيه فذهب جماعة إلى أنه لا قضاء عليه وهو قول مالك والشافعي وذهب قوم إلى أن عليه القضاء وهو قول مجاهد والشعبي والنخعي وأصحاب الرأي قوله تعالى (فما استيسر من الهدى) أي فعلية ما يسر من الهدى ومحل رفع وقيل ما في محل النصب أي فاهدا ما استيسر والهدى جمع هدية وهي اسم لكل ما يهدى إلى بيت الله تقربا إليه وما استيسر من الهدى شاة قاله علي بن أبي طالب وابن عباس لأنه أقرب إلى اليسر وقال الحسن وقناة أعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة. قوله تعالى (ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله) اختلفوا في المحل الذي يحل المحصر يبلغ هديه إليه فقال بعضهم هو ذبجه بالموضع الذي أحصر فيه سواء كان في الحل أو في الحرم ومعنى محله حيث يحل ذبجه فيه، أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن (١٧٧) إسماعيل أخبرنا عبد الله بن محمد أخبرنا عبد الرزاق

محمد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرني الزهري أخبرني عمرو بن الزبير عن المسور بن مخرمة في قصة الحديبية، قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: قوموا فاتحروا ثم احلقوا فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما نزلت من الناس فقالت أم سلمة يا نبي الله أحب ذلك أخرج ثم لا تكلم أحدا منهم بكلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا

من إحرامه ثم المحصر يتحلل بذيح الهدى وحلق الرأس وهو المراد من قوله تعالى (فما استيسر من الهدى) ومعنى الآية فإن أحصرتم دون تمام الحج أو العمرة فحللتم فعليكم ما استيسر من الهدى. والهدى ما يهدى إلى البيت وأعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة قال ابن عباس شاة لأنه أقرب إلى اليسر، وعمل ذبج هدى المحصر حيث أحصر وإليه ذهب الشافعي لأن النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الهدى عام الحديبية بها وذهب أبو حنيفة إلى أنه يقم على إحرامه ويبيع هديه إلى الحرم ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل في ذلك الوقت (ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله) أي مكانه الذي يجب أن يذبح فيه، وفيه قولان أحدهما أنه الحرم فإن كان حاجا فحلله يوم النحر وإن كان معتبرا فحلله يوم يبلغ هديه إلى الحرم وهو قول أبي حنيفة والقول الثاني محل ذبجه حيث أحصر سواء كان في الحل أو في الحرم، ومعنى محله يعني حيث يحل ذبجه وأكله وهو قول مالك والشافعي وأحمد ويبدل عليه ما روى عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرين فحال كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلق رأسه أخرجه البخاري. قوله عز وجل (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه) معناه ولا تحلقوا رءوسكم في حال الإحرام إلا أن تضطروا إلى حلقه لمرض أو أذى وهو القمل أو الصداع (فقديت) فيه إضمار تقديره فحلق رأسه فعليه فدية، نزلت هذه الآية في كعب بن عجرة (ق) عن كعب بن عجرة قال أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أوقدت تحت قدرتي والقمل يتناثر على وجهي فقال أبو ذؤيبك هوام رأسك؟ قال قلت نعم قال فاحلق وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو انسلت نسبكت لا أدرى بأي ذلك بدأ وفي رواية قال نزلت هذه الآية (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه فقديت من صيام أو صدقة أو نسك) وذكر نحوه وفي أخرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو بالحديبية قبل أن يدخل مكة وهو محرم وذكره، وفي أخرى أن النبي ﷺ قال له ما كنت أرى أن الوجع بلغ منك ما أرى أو ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك ما أرى أنجد شاة قلت لا قال فصم ثلاثة أيام أو أطعم

(٢٣ - خازن بالبغوى - أول) ذلك قاموا فاتحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا أي ازدحاما غما. وقال بعضهم محل هدى المحصر الحرم فإن كان حاجا فحلله يوم النحر وإن كان معتبرا فحلله يوم يبلغ هديه الحرم. قوله تعالى (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه) معناه لا تحلقوا رءوسكم في حال الإحرام إلا أن تضطروا إلى حلقه لمرض أو لأذى في الرأس من هوام أو صداع (فقديت) فيه إضمار أي فحلق فعليه فدية نزلت في كعب بن عجرة، أنا أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا الحسن بن خلف أخبرنا إسحاق بن يوسف عن أبي بشر ورواه عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال حدثني عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه وقله يسقط على وجهه فقال «أبو ذؤيبك هوامك؟ قال نعم فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحلق وهو بالحديبية ولم يبين لهم أنهم يحلون بها وهم على طمع أن يدخلوا مكة

فأنزل الله الفدية فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطعم فرقا بين ستة مساكين أو يهدي شاة أو يصوم ثلاثة أيام. قوله تعالى ففدية (من صيام) أي ثلاثة أيام (أو صدقة) أي ثلاثة أصع على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع (أو نسك) واحداً نسبته أي ذبيحة أعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة أي شاة ذبح. فهذه الفدية على التخيير والتقدير ويتخير بين أن يذبح أو يصوم أو يتصدق وكل هدى أو طعام يلزم الحرم يكون بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم إلا هدياً يلزم المحصر فإنه يذبحه حيث أحصر وأما الصوم فله أن يصوم حيث شاء. قوله تعالى (فإذا أمنتم) أي من خوفكم وبرأتكم من مرضكم (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى) اختلفوا في هذه المتعة فذهب عبد الله بن الزبير إلى أن معناه فمن أحصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة يخرج (١٧٨) من إحرام بعمل عمرة واستمتع باحلاله ذلك فذلك العمرة إلى السنة

المبذة ثم حج فيكون متمتعاً بذلك الإحلال إلى إحرامه الثاني في العام القابل. وقال بعضهم معناه فإذا أمنتم وقد حللت من إحرامكم بعد الإحصار ولم تقضوا عمرتكم وأخرتم العمرة إلى السنة القابلة فاعتزتم في أشهر الحج ثم حللت فاستمتعتم باحلالكم إلى الحج ثم أحرمتم بالحج فعليكم ما استيسر من الهدى، وهو قول علقمة وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير. وقال ابن عباس وعطاء وجماعة هو الرجل يقدم معتزاً من أفق من الآفاق في أشهر الحج ففرض عمرته وأقام حللاً بمكة حتى أنشأ منها الحج فحج من عامه ذلك فيكون متمتعاً بالإحلال من

ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع، قال كعب بن زيد في خاصة وهي لكم عامة ومعنى قوله تعالى ففدية (من صيام) أي صوم ثلاثة أيام (أو صدقة) يعني إطعام ثلاثة أصوع ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع (أو نسك) واحداً نسبته أي ذبيحة وأعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة وهذه الفدية على التخيير إن شاء ذبح أو صام أو تصدق وكل هدى أو طعام يلزم الحرم فإنه لمساكين الحرم إلا هدى المحصر فإنه يذبحه حيث أحصر. وأما الصوم فله أن يصوم حيث شاء. قوله تعالى (فإذا أمنتم) يعني من خوفكم وبرأتكم من مرضكم وقيل إذا أمنتم من الإحصار (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج) قال ابن الزبير معناه فمن أحصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة فخرج من إحرامه بعمل عمرة فاستمتع باحلاله ذلك بتلك العمرة إلى السنة المستقبلة ثم حج فيكون متمتعاً بذلك الإحلال إلى إحرامه الثاني في العام المقبل وقيل معناه فإذا أمنتم وقد أحللت من إحرامكم بعد الإحصار ولم تعتزتم رواه في تلك السنة ثم اعتزتم في السنة القابلة في أشهر الحج ثم أحللت فاستمتعتم باحلالكم إلى الحج ثم أحرمتم بالحج فعليكم ما استيسر من الهدى وقال ابن عباس هو الرجل يقدم معتزاً من أفق الآفاق في أشهر الحج ففرض عمرته وأقام بمكة حللاً حتى أنشأ منها الحج فحج من عامه ذلك فيكون متمتعاً بالإحلال من العمرة إلى إحرامه بالحج. ومعنى التمتع في اللغة هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة والتلذذ بما كان محظوراً عليه في حال الإحرام إلى إحرامه بالحج (فما استيسر من الهدى) يعني فعليه ما استيسر من الهدى وهو شاة يذبحها يوم النحر فلو ذبح قبله بعد ما أحرم بالحج أجزأه عند الشافعي كدم الجبرائات ولا يجوز ذبحه عند أبي حنيفة قبل يوم النحر كدم الأضحية. ولو جوب دم التمتع خمس شرائط: أحدها أن يقدم العمرة على الحج الثاني أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج الثالث أن يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة الرابع أن يحرم بالحج من مكة ولا يعود إلى ميقات بلده فإن رجع إلى الميقات وأحرم منه لم يكن متمتعاً الخامس أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام فهذه الشروط معتبرة في وجوب دم التمتع ومتى فقد شيء منها لم يكن متمتعاً ودم التمتع دم جبران عند الشافعي فلا يجوز أن يأكل منه وقال أبو حنيفة هو دم نسك فيجوز أن يأكل منه وقوله (فمن لم يجد) يعني الهدى (فصيام ثلاثة أيام في الحج) أي فعليه صيام ثلاثة أيام في وقت اشتغاله بالحج قبل يصوم

العمرة إلى إحرامه بالحج فعني التمتع هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة بما كان محظوراً عليه في الإحرام إلى إحرامه بالحج. ولو جوب هدى التمتع أربع شرائط: أحدها أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج. والثاني أن يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة. الثالث أن يحرم بالحج في مكة ولا يعود إلى الميقات لإحرامه. الرابع أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام حتى وجدت هذه الشروط فعليه ما استيسر من الهدى، وهو دم شاة ويذبحها يوم النحر فلو ذبحها قبله بعد ما أحرم بالحج يجوز عند بعض أهل العلم كدماء الجزيات وذهب بعضهم إلى أنه لا يجوز قبل يوم النحر كدم الأضحية. قوله تعالى (فمن لم يجد) الهدى (فصيام ثلاثة أيام في الحج) أي صوموا ثلاثة أيام يصوم يوماً قبل التزوية ويوم التزوية ويوم عرفة ولو صام قبله بعد ما أحرم بالحج جاز ولا يجوز يوم النحر ولا أيام التشريق عند أكثر أهل العلم وذهب بعضهم إلى جواز صوم الثلاثة في أيام التشريق بروى ذلك

عن عائشة وابن عمر وابن الزبير وهو قول مالك والأوزاعي وأحمد وإسحاق. قوله تعالى (وسبعة إذا رجعتن) أي صوموا سبعة أيام إذا رجعتن إلى أهليكم وبذلك فلو صام السبعة قبل الرجوع إلى أهله لا يجوز وهو قول أكثر أهل العلم روى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وقيل يجوز أن يصومها بعد الفراغ من أعمال الحج وهو المراد من الرجوع المذكور في الآية. قوله تعالى (تلك عشرة كاملة) ذكرها على وجه التأكيد وهذا لأن العرب ما كانوا يهتدون إلى الحساب فكانوا يحتاجون إلى فضل شرح وزيادة بيان وقيل فيه تقديم وتأخير يعني فصيام عشرة أيام ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجعتن فهي عشرة كاملة وقيل كاملة في الثواب والأجر وقيل كاملة فيما أريد به من إقامة الصوم بذلك الهدى وقيل كاملة بشرطها وحدودها وقيل لفظه خبر ومعناه أمر أي فأكلوها ولا تنقصوها (ذلك) أي هذا الحكم (لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) (١٧٩) واختلفوا في حاضري المسجد

الحرام فذهب قوم إلى أنهم أهل مكة وهو قول مالك، وقيل هم أهل الحرم وبه قال طاوس وقال ابن جريج أهل عرفة والرجيع وضجنان وقال الشافعي كل من كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر فهو من حاضري المسجد الحرام. وقال عكرمة هم من دون الميقات وقيل هم أهل الميقات فما دونه وهو قول أصحاب الرأي ودم القرآن كدم التمتع والمسكى إذا قرن أو تمتع فلا هدى عليه قال عكرمة سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال أهل المهاجرون والأنصار وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع

وما قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وقيل بل المستحب أن يصوم في أيام الحج بحيث يكون يوم عرفة مفطرا فان لم يصم قبل يوم النحر فقيل يصوم أيام التشريق وبه قال مالك وأحمد وهو أحد قولي الشافعي وقيل بل يصوم بعد أيام التشريق وهو رواية عن أحمد والقول الآخر للشافعي (وسبعة إذا رجعتن) يعني وصوموا سبعة أيام إذا رجعتن إلى أوطانكم وأهليكم قاله ابن عباس وبه قال الشافعي فلو صام قبل الرجوع إلى أهله لم يجزه عنده وقيل المراد من الرجوع هو الفراغ من أعمال الحج والأخذ في الرجوع فعلى هذا يبرزه أن يصوم السبعة أيام بعد الفراغ من أعمال الحج وقيل الرجوع إلى أهله وبه قال أبو حنيفة (تلك عشرة كاملة) يعني في الثواب والأجر وقيل كاملة في قيامها مقام الهدى لأنه قد يحتمل أن يقان ظان أن الثلاثة قد قامت مقام الهدى فاعلم الله أن العشرة بكاملها هي القائمة مقام الهدى وقيل فائدة التكرار التوكيد كقول الفرزدق:

ثلاث واثنتان فهن خمس وسادسة تميل إلى سهام

ولأن القرآن أنزل بلغته العرب والعرب تكرر الشيء تريد به التوكيد وقيل فائدة ذلك القصد لئلا في علم الحساب وهو أن يعلم العدد مفصلا ثم يعلمه جملة ليحتاج به من جهتين فكذلك قوله تعالى (فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتن تلك عشرة كاملة) وقيل أن العرب لما كانوا لا يعلمون الحساب وكانوا يحتاجون إلى زيادة بيان وإيضاح فلذلك قال تلك عشرة كاملة وقيل لفظه خبر ومعناه أمر أي أكلوها ولا تنقصوها (ذلك) أي هذا الحكم الذي تقدم (لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) قيل حاضرو المسجد الحرام هم أهل مكة وهو قول مالك وقيل هم أهل الحرم وبه قال طاوس وقال ابن جريج هم أهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلة وقال الشافعي كل من كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل هم من دون الميقات وقال أبو حنيفة حاضرو المسجد الحرام أهل الميقات والمواقف ذوالخليفة والجحفة وقرن وباهل وذات عرق فمن كان من أهل هذه المواضع فما دونها إلى مكة فهو من حاضري المسجد الحرام. وقيل حاضرو المسجد الحرام من تلزمه الجمعة فيه ومعنى الآية

وأهلنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله ﷺ اجعلوا إهلالكم بالحج ٦ مرة إلا من قلد الهدى فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب ثم أمرنا عشية التروية أن نهبل بالحج فإذا فرغنا فقد ثم حجنا وعلينا الهدى فجمعوا بين تسكين في عام بين الحج والعمرة فانه الله أنزل في كتابه وسنة نبيه وأباحه للناس من غير أهل مكة قال الله تعالى (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) ومن فاته الحج وفواته يكون بفوات الوقوف بعرفة حتى يطلع الصبح يوم النحر فانه يتحل بعمل العمرة وعليه القضاء من قابل والقضية وهي على الترتيب والتقدير كقضية التمتع والقرآن. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق إذا شئنا أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن سلمان بن يسار أن هناد بن الأسود جاء يوم النحر وعمر ابن الخطاب ينحرف هديه فقال يا أمير المؤمنين أخطأنا العدد كنا نظن أن هذا اليوم يوم عرفة فقال له عمر اذهب إلى مكة فطف أنت ومن معك بالبيت واسعوا بين الصفا والمروة وانحروا هديا إن كان معكم ثم احلقوا وقصروا ثم ارجعوا فإذا كان العام

(واعلموا أن الله شديد العقاب) على ارتكاب المناهي. قوله تعالى (الحج أشهر معلومات) أي وقت الحج أشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر وبروي عن ابن عمر شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة وكل واحد من اللفظين صحيح غير مختلف فيه فن قال عشر غير به عن الليالي ومن قال تسع غيره عن الأيام فإن آخر أيامها يوم عرفة وهو يوم التاسع، وإنما قال أشهر بلفظ الجمع وهي شهران وبعض الثالث لأنها وقت والعرب تسمى الوقت تاما بقليله وكثيره فيقول أتيتك يوم الخميس وإنما أتاه في ساعة منه ويقولون زرتك العام وإنما زاره في بعض وقيل الاثنان فأفوقهما جماعة لأن معنى الجمع ضم شيء إلى شيء فإذا جاز أن يسمى الاثنان جماعة جاز أن يسمي الاثنان وبعض الثالث جماعة وقد ذكر الله تعالى الاثني بلفظ الجمع فقال « فقد صنعت

أن المشار إليه في قوله «ذلك» يرجع إلى أقرب ما كور وهو لزوم الهدى أو بدله على المتمتع وهو الآفقي فأما المسكي إذا تمتع أو قرن فلا هدى عليه ولا بدله لأنه لا يجب عليه أن يحرم من الميقات فأقدمه على التمتع لا يوجب خللا في حجه فلا يجب عليه الهدى وبدل على ذلك ما أخرجه البخاري تمليقا من حديث عكرمة قال سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال أهل المهاجرون والأنصار وأزواج رسول الله ﷺ في حجة الوداع وأهلنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا إهلا لسكم بالحج عمرة لإيمان قلد الهدى فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب وقال من قاد الهدى فإنه لا يخل من شيء حتى يبلغ الهدى محله ثم أمرنا عشية الزوية أن نهل بالحج فإذا فرغنا من التماسك جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وقد تم حجنا وعلينا الهدى كما قال تعالى فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصييام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم إلى أمصاركم والشاة تجزيء فجهعوا بين الفسكين في عام بين الحج والعمرة فإن الله أنزله في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأباحه للناس من غير أهل مكة قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام وفي الحديث زيادة قال الحميدي قال أبو مسعود الدمشقي هذا حديث غريب ولم أجده إلا عند مسلم بن الحجاج ولم يخرج في صحيحه من أجل عكرمة فإنه لم يرو عنه في صحيحه. وعندى أن البخاري إنما أخذه من مسلم. وقوله تعالى (واتقوا الله) أي فيما فرضه عليكم ونهاكم عنه في الحج وفي غيره (واعلموا أن الله شديد العقاب) يعني لمن خالف أمره وتهاون بحدوده وارتكب مناهيه. قوله عز وجل (الحج أشهر معلومات) يعني أشهر الحج أشهر معلومات وقيل وقت الحج أشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر وبه قال عبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله وعبد الله بن الزبير ومن التابعين الحسن وابن سيرين والشعبي وهو قول الشافعي والثوري وأبي ثور وحجة الشافعي ومن وافقه أن الحج بفوت بطلوع الفجر الثاني من يوم النحر والعبادة لا تفوت مع بقاء وقتها فدل على أن يوم النحر ليس من أشهر الحج وأيضا فإن الإحرام بالحج فيه لا يجوز فدل على أنه وما بعده ليس من أشهر الحج. وقال ابن عباس أشهر الحج شوال وذو القعدة وعشرة أيام من ذي الحجة آخرها يوم النحر وبه قال ابن عمر وعروة بن الزبير وطاوس وعطاء والنخعي وقتادة ومكحول والضحاك والسدي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل وهي إحدى الروايتين عن مالك وحجة هنا القول أن يوم النحر وهو يوم الحج الأكبر ولأن فيه يقع طواف الإفاضة وهو تمام أركان الحج وقيل إن أشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة بكامله وهو رواية عن ابن عمر وبه قال الزهري وهي الرواية الأخرى عن مالك وحجة هذا القول أن الله تعالى ذكر أشهر الحج بلفظ الجمع وأقل الجمع المطلق ثلاث ولأن كل شهر كان قوله من أشهر الحج كان آخره كذلك. فإن قلت هنا إشكال. وهو أن الله تعالى قال قبل هذه الآية «بأولئك عن الأهل قل هي مواقيت للناس والحج» فجعل الأهل كإيها مواقيت للحج. قلت قوله هي مواقيت للناس والحج عام وهذه الآية وهي قوله تعالى «الحج أشهر معلومات» خاص والخاص مقدم على العام وقيل إن الآية الأولى مجملة وهذه الآية مفسرة لها. فإن قلت إنما قال الحج أشهر بلفظ الجمع وعند الشافعي أشهر الحج شهران وعشر ليال وعند أبي حنيفة وعشرة أيام فما وجه هذا؟ قلت إن لفظ الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صنعت

شوالا وذا القعدة وذا الحجة كما لا لأنه يبقى على الحاج أمور بعد عرفه يجب عليه فعلها مثل الرمي والذبح والحلق وطواف الزيارة والبيتوتة بنى فكانت في حكم الحج (فمن فرض فيمن الحج) أي فمن أوجب على نفسه الحج بالإحرام والتلبية وفيه دليل على أن من أحرم بالحج في غير أشهر الحج لا ينعقد إحرامه بالحج وهو قول ابن عباس وجابر وبه قال عطاء وطاوس ومجاهد وإليه ذهب الأوزاعي والشافعي وقال سعيد ينعقد إحرامه بالعمرة لأن الله تعالى خص هذه الأشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص فائدة كما أنه علق الصلوات بالمواقيت ثم من (١٨١) أحرم بفرض الصلاة قبل

دخول وقته لا ينعقد إحرامه عن الفرض وذهب جماعة إلى أنه ينعقد إحرامه بالحج وهو قول مالك والثوري وأبي حنيفة رضي الله عنه. وأما العمرة فجميع أيام السنة لها وقت إلا أن يكون مثلها بالحج وروى عن أنس أنه كان بمكة فكان إذا حمم رأسه خرخراقة ريقه تعالى (فلا رقت ولا نسوق) قرأ ابن كثير وأهل البصرة فلا رقت ولا نسوق بالرفع والتنوين فيها وقرأ الآخرون بالنصب من غير تنوين كقوله تعالى «ولا جدال في الحج» وقرأ أبو جعفر كلها بالرفع والتنوين واختلفوا في الرقت قال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر هو الجماع وهو قول الحسن ومجاهد وعمرو بن دينار وقتادة وعكرمة والربيع وإبراهيم النخعي وقال

قلوبكماء وقيل أنه نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا وإنما رآه في ساعة منها ولا إشكال فيه على القول الثالث وهو قول من قال إن أشهر الحج ثلاث شوال وذا القعدة وذا الحجة بكامله (فمن فرض فيمن الحج) يعني فمن أوجب نفسه وأوجب عليها فيمن الحج والمراد بهذا الفرض ما به يصير حاجا وهو فعل يفعله ثم اختلفوا في ذلك الفعل فقال الشافعي ينعقد الإحرام بمجرد النية من غير حاجة إلى التلبية ووجهه أن فرض الحج عبارة عن النية فوجب أن تكون النية كافية في انعقاد الحج وقال أبو حنيفة لا يصح الشروع في الإحرام بمجرد النية حتى تنضم إليه التلبية أو سوق الهدى ووجهه أن الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا به من انضمام شيء إلى النية كتكبير الإحرام مع النية في الصلاة، وفي الآية دليل على أن الإحرام بالحج لا ينعقد إلا في أشهره وهو قول ابن عباس وإليه ذهب الشافعي وأحمد وإسحاق لأن الله تعالى خص هذه الأشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص وجه ولا فائدة وقال مالك والثوري وأبو حنيفة ينعقد إحرامه بالحج في جميع شهور السنة ووجهه أن الإحرام لإزام الحج فجاز تقديمه على الوقت كالنذر لأن الله تعالى جعل الأهلة كلها موافقت للحج بقوله هي موافقت للناس والحج وقد تقدم الجواب عنه. وقوله تعالى (فلا رقت) قال ابن عباس الرقت الجماع وفي رواية عنه إن الرقت عشيان النساء والتقبيل والغمز وأن يعرض من الفحش من الكلام فعلى هذا القول التلفظ به في غيبة النساء لا يكون رقتا، قال حصين ابن قيس أخذ ابن عباس بذهب بعيره بلويه وهو يحدو ويقول :

وهن يمشين بنا هميسا إن تصدق الطير نك لميسا

فقلت آرتفت وأنت محرم فقال إن الرقت ما قبل عند النساء وقوله لميسا هو اسم امرأة وقيل الرقت كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وقوله فلا رقت يحتل أن يكون نهيًا عن تعاطي الجماع وأن يكون نهيًا عن الحديث في ذلك لأنه من دواعيه وقيل الرقت هو الفحش والحنا والقول القبيح. وقيل الرقت اللغو من الكلام وبدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب» (ولا فسوق) أصله الخروج عن الطاعة قال ابن عباس هي المعاصي كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهرى والربيع والقرظي وقال ابن عمر هو ما نهى عنه المحرم في حال الإحرام من قتل الصيد وتعلم الأظافر وأخذ الشعر وما أشبه ذلك وقيل هو السباب والتنازع بالألقاب (ق) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من حج ولم يرفث ولم يفسق

على بن أبي طلحة عن ابن عباس الرقت عشيان النساء والتقبيل والغمز وأن يعرض لها بالفحش من الكلام قال حصين بن قيس أخذ ابن عباس رضي الله عنه بذهب بعيره بلويه وهو يحدو ويقول وهن يمشين بنا هميسا إن تصدق الطير نك لميسا فقلت له آرتفت وأنت محرم ؟ فقال إنما الرقت ما قبل عند النساء. قال طاوس الرقت التعريض للنساء بالجماع وذكره ابن أبيهين. وقال عطاء الرقت قول الرجل للمرأة في حال الإحرام إذا حلت أصبتك وقيل الرقت: الفحش والقول القبيح. أما الفسوق فقد قال ابن عباس هو المعاصي كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهرى والربيع والقرظي

وقال ابن عمر هو ما نهى عنه المحرم في حال الإحرام من قتل الصيد وتقليم الأظفار وأخذ الأشعار وما أشبههما وقال إبراهيم وعطاء ومجاهد هو السبب بدليل قول النبي ﷺ سبب المسلم فسوق وقتاله كفره وقال الضحاك هو التنازع بالألقاب بدليل قوله تعالى «ولا تتنازوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان» أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا آدم أخبرنا شعبة أخبرنا سيار أبو الحكم قال سمعت أبا حازم يقول سمعت أبا هريرة قال : (١٨٢) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من حجج الله فلم يرفث

ولم يفسق رجع من أئوبه
كيوم ولدته أمه قولا
تعالى (ولاجدال في الحج)
قال ابن مسعود وابن
عباس الجدال أن يجاري
صاحبه وبخاصه حتى
يغضبه وهو قول عمرو بن
دييار وسعيد بن جبير
وعكرمة والزهرى وعطاء
وقنادة وقال القاسم بن
محمد هو أن يقرل بعضهم
الحج اليوم ويقول بعضهم
الحج غدا وقال القرظي
كانت قريش إذا
اجتمعت بمعنى قال هؤلاء
حجنا أتم من حجكم
وقال هؤلاء حجنا أتم
من حجكم وقال مقاتل
هو أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لهم في حجة
الوداع وقد أحره وبالْحج
«اجعلوا إهلالكم بالحج
عمرة إلا من قلد الهدى
قالوا كيف نجعله عمرة
وقد سمينا الحج» فهنا
جدالهم وقال ابن زيد
كانوا يقفون مواقف
مختلفة كلهم يزعم أن

رجع كيوم ولدته أمه (ولاجدال في الحج) قال ابن عباس الجدال هو المراء وهو أن يجاري الرجل صاحبه وبخاصه حتى يغضبه وقيل هو قول الرجل الحج اليوم ويقول آخر الحج غدا وقيل هو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع وقد أحرهوا بالحج «اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا من قلد الهدى قالوا كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج فهنا كان جدالهم . وقيل هو ما كان عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وبعضهم في ذي الحجة وكل يقول الصواب فيما فعلته فأُتزل الله «ولاجدال في الحج» فأخبر أن أمر الحج قد استقر على ما فعله رسول الله ﷺ إلا اختلاف فيه بعده وذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم «لأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» وقيل معناه ولا شك في الحج أنه في ذي الحجة فأبطل النبي . وقيل ظاهر الآية خبر ومعناه نهى أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج وإنما نهى عن ذلك وأمر باجتنابه في الحج وإن كان اجتناب ذلك في كل الأحوال والازمان واجبا لأن الرفث والفسوق والجدال في الحج أسيح وأفطع منه في غيره (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) أي لا يفتن عليه شيء من أعمالكم وهو الذي يجازيكم عليها حث الله على فعل الخير عقيب النهي عن الشر وهو أن يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجيلة وقيل جعل فعل الخير عبارة عن ربط الأئفس عن الشر حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه . وقيل إنما ذكر الخير وإن كان عاما لجميع أفعال العباد من الخير والشر لفائدة وهي أنه تعالى إذا علم من العباد الخير ذكره وشهره وإذا علم منه الشر ستره وأخفاه فإذا كان هذا فعلم مع عبده في الدنيا فكيف يكون في العقبى وهو أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) زادت في أئفس من أهل الجن كانوا يخرجون للحج من غير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نخرج بيت ربنا أفلا يظلمنا فإذا قدموا مكة سألوا الناس وربما أفضى بهم الحال إلى النهب والغصب فأُتزل الله وتزودوا أي ما تبلغون به وتكفون به وجوهكم عن الناس واتقوا إبراهيم والتبجيل عليهم فإن خير الزاد التقوى وقيل في معنى الآية تزودوا من التقوى فإن الإنسان لا بد له من سفر في الدنيا ولا بد فيه من زاد ويحتاج فيه إلى الطعام والشراب والمركب وسفر من الدنيا إلى الآخرة ولا بد فيه من زاد أيضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد أفضل من الزاد الأول فإن الدنيا يوصل إلى مراد النفس وشهواتها وزاد الآخرة يوصل إلى

موقفه موقف إبراهيم فكانوا يجادلون فيه وقيل هو ما كان عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بالمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وكان بعضهم يحج في ذي الحجة فكل يقول ما فعلته فهو الصواب فقال جل ذكره «ولاجدال في الحج» أي استقر أمر الحج على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا اختلاف فيه من بعد وذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم «لأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» قال مجاهد معناه ولا شك في الحج أنه في ذي الحجة فأبطل النبي . قال أهل المعاني ظاهر الآية نهي ومعناها نهى أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا كقوله تعالى «لا يرب فيه» أي لا ترفثوا (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) أي لا يفتن عليه فيجازيكم به . قوله تعالى (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى)

تُرأت في ناس من أهل اليمن كانوا يخرجون إلى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحن نخرج بيت الله فلا يظعننا
 فإذا قدموا مكة سألوا الناس وربما يفضي بهم الخال إلى الثوب والغصب فقال الله جل ذكره : وزودوا أي ما يتبلغون به
 وتكونون به وجوهكم. قال أهل التفسير الكعك والزبيب والسويق والتمر ونحوها فإن خير الزاد التقوى من السؤال والناس
 (واتقون يا أولي الألباب) ياذوي العقول - قوله تعالى (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) أخبرنا عبد الواحد بن
 أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا (١٨٣) محمد بن إسماعيل أخبرنا علي

ابن عبد الله أخبرنا سفيان
 عن عمرو بن دينار عن
 ابن عباس رضي الله عنه
 قال كانت عكاظ ومجنة
 وذو الحجاز أسواقا في
 الجاهلية فلما كان الإسلام
 تأثموا من التجارة فيها
 فأزل الله تعالى ليس
 عليكم جناح أن تبتغوا
 فضلا من ربكم في مواسم
 الحج قرأ ابن عباس كذا
 وروى عن أبي أمامة
 التيمي قال قلت لأبي عمر
 إنا قوم نكري في هذا
 الوجه يعني إلى مكة
 فيزعمون أن لاجح لنا
 فقال ألسن محرمون كما
 يحرمون وتطوفون كما
 يطوفون وترمون كما
 يرمون قلت بلى قال أنت
 حاج جاء رجل إلى
 النبي صلى الله عليه
 وسلم يسأله عن الذي
 سألتني عنه فلم يجبه بشيء
 حتى نزل جبريل بهذه
 الآية ليس عليكم جناح

النعيم المقيم في الآخرة وفي هذا المعنى قال الأعشى :
 إذا أنت لم ترحل بزاد من التقي ولا قيت بعد الموت من قد تزودا
 فدمت على أن لا تكون كمثلها وأنت لم ترصد كما كان أرسدا
 (واتقون) أي وخافوا عقابي وقيل معناه واشتغلوا بتقواي وفيه تبيه على كمال عظمة
 الله جل جلاله (يا أولي الألباب) ياذوي العقول الذين يعاونون حقائق الأمور . قوله عز
 وجل (ليس عليكم جناح) أي حرج (أن تبتغوا فضلا من ربكم) يعني رزقا ونقعا وهو الربح
 في التجارة (خ) عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذو الحجاز أسواقا في الجاهلية فلما كان
 الإسلام فكأنهم تأثموا أن يتجروا في المواسم فنزلت « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم
 في مواسم الحج » . وقرأها ابن عباس هكذا وفي رواية أن تبتغوا في مواسم الحج فضلا من ربكم
 وعكاظ سوق معروف بقرب مكة ومجنة بفتح الميم وكسرها سوق بقرب مكة أيضا قال
 الأزرقى هي بأسفل مكة على بريد منها وذو الحجاز سوق عند عرفة كانت العرب في الجاهلية
 يتجرون في هذه الأسواق وفيها مواسم فكانوا يقيمون بعكاظ عشرين يوما من ذي القعدة ثم
 ينتقلون إلى مجنة فيقيمون بها ثمانية عشر يوما عشرة أيام من آخر ذي القعدة وثمانية أيام من أول
 ذي الحجة ثم يخرجون إلى عرفة في يوم التروية وقال الداودي مجنة عند عرفة وعن أبي أمامة
 التيمي قال كنت رجلا أكرى في هذا الوجه وكان الناس يقولون لي إنه ليس لك حج فالتقيت
 ابن عمر فقلت له يا أبا عبد الرحمن إني رجل أكرى في هذا الوجه وإن أنا ما يقولون إنه ليس
 لك حج فقال ابن عمر ليس تحرم وتلبى وتطوف بالبيت وتقبض من عرفات وترى الجمار
 فقلت بلى قال فان ذلك حج جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسأله عن مثل ما سألتني عنه فسكت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه حتى نزلت هذه الآية « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا
 من ربكم » فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم « وقرأها عليه وقال لك حج » أخرجه أبو داود
 والترمذي وقال بعض العلماء إن التجارة إن أوقعت نقصا في أعمال الحج لم تكن مباحة وإن لم
 توقع نقصا فيه كانت من المباحات التي الأولى تركها لتجريد العبادة عن غيرها لأن الحج بدون
 التجارة أفضل وأكمل . قوله تعالى (فاذا أفضتم) أي دفعتم والإفاضة دفع بكثرة (من عرفات)
 جمع عرفة سميت بذلك وإن كانت بقعة واحدة لأن كل موضع من تلك المواضع عرفة فسمى
 بمجموع تلك المواضع عرفات وقيل إن اسم الموضع عرفات واسم اليوم عرفة قال عطاء كان

أي حرج « أن تبتغوا فضلا » أي رزقا « من ربكم » يعني بالتجارة في مواسم الحج (فاذا أفضتم) دفعتم والإفاضة دفع بكثرة وأصله من قول
 العرب أفاض الرجل ماله أي سبه (من عرفات) هي جمع عرفة جمعت عرفة بما حولها وإن كانت بقعة واحدة كقولهم : ثوب
 أخلاق . واختلفوا في المعنى الذي لأجله سمى الموقف عرفات واليوم عرفة فقال عطاء كان جبريل عليه السلام يرى إبراهيم
 عليه السلام ويقول أعرفت ؟ فيقول عرفت فسمى ذلك المكان عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك إن آدم عليه
 السلام لما أهبط إلى الأرض وقع بالهند وحواء مجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعارفا
 فسمى اليوم يوم عرفة والموضع عرفات وقال السدي لما أذن إبراهيم في الناس بالحج وأجابوه باللبية وأناه من أناه أمره الله

أن يخرج إلى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الجذرة عند العقبة استقبله الشيطان ليرده فرماه بسبع حصيات فكبر مع كل حصاة فطار فوق على الجذرة الثانية فرماه وكبر فطار فوق على الجذرة الثالثة فرماه وكبر فلما رأى الشيطان أنه لا يطيعه ذهب فانطلق إبراهيم حتى أتى ذا الحجاز فلما نظر إليه لم يعرفه فجاز فسمى ذا الحجاز ثم انطلق حتى وقف بعرفات فعرفها بالنعت فسمى الوقت عرفة والموضع عرفات حتى إذا أمسى ازدلف أي قرب إلى جمع فسمى المزدلفة وروى عن أبي صالح عن ابن عباس أن إبراهيم (١٨٤) عليه السلام رأى ليلة التروية في منامه أنه يؤمر بأن يذبح ابنه فلما أصبح روى

يومه أجمع أي فكر أمن الله تعالى هذه الرؤيا أم من الشيطان فسمى اليوم يوم التروية ثم رأى ذلك ليلة عرفة ثانيا فلما أصبح عرف أن ذلك من الله تعالى فسمى اليوم يوم عرفة وقيل سمي بذلك لعلوا الناس فيه على جهاله والعرب تسمى ماعلا عرفة ومنه سمي عرف الديك لعلوه وقيل سمي بذلك لأن الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم وقيل سمي بذلك من العرف وهو الطيب وسمي لأنه يعني فيه الدم أي يصب فيه فيكون فيه الفروث والدماء ولا يكون الموضع طيبا وعرفات طاهرة عنها فتكون طيبة . قوله تعالى (فاذكروا الله بالدعاء والتلبية) عند المشعر الحرام) وهو ما بين جبلي المزدلفة من مرمى عرفة إلى المحسر وليس المازمان

جبريل يرى إبراهيم المناسك ويقول له عرفت فبئروا عرفات فسمى ذلك المكان عرفات واليوم عرفة . وقال الضحاك إن آدم لما أخط وقع بالخند وحواء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات في يوم عرفة فتعارفا فسمى اليوم عرفة والموضع عرفات وقال السدي إن إبراهيم لما أذن في الناس بالحج وأجابوه بالتلبية وأنى من أبي أمره الله تعالى أن يخرج إلى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان برده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوق على الجذرة الثانية فرماه وكبر فطار فوق على الجذرة الثالثة فرماه وكبر فطار فلما رأى الشيطان أنه لا يطيعه ذهب فانطلق إبراهيم حتى أتى ذا الحجاز فنظر إليه فلم يعرفه فجاز فسمى ذا الحجاز ثم انطلق إبراهيم حتى وقع بعرفات فعرفها بالنعت فسمى الوقت عرفة والموضع عرفات حتى إذا أمسى ازدلف إلى جمع فسمى ذلك الموضع المزدلفة وفي رواية عن ابن عباس أن إبراهيم رأى ليلة التروية في منامه أنه يؤمر بأن يذبح ولده فلما أصبح تروى يومه أجمع أي تفكر هل هذه الرؤيا من الله تعالى أم من الشيطان فسمى يوم التروية ثم رأى ذلك في ليلة عرفة ثانيا فلما أصبح عرف أن ذلك من الله فسمى اليوم عرفة وقيل سمي بذلك لأن الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم وقيل سمي عرفات من العرف وهو الطيب وسمي لأنه يعني فيه الدم أي يصب فيه فيكون فيه الفروث والدماء فلا يكون الموضع طيبا وعرفات طاهرة عن مثل هذا فتكون طيبة . واعلم أن الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج ولا يتم الحج إلا به ومن فاته الوقوف في وقته فقد فاته الحج . ويدخل وقت الوقوف بعرفة بزوال الشمس من يوم عرفة ويمتد إلى طلوع الفجر الثاني من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة فمن وقف بعرفات في هذا الوقت ولو لحظة واحدة من ليل أو نهار فقد حصل له الوقوف ويتم حجة وقال أحمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة إلى طلوعه من يوم النحر ووقت الإضافة من عرفات بعد غروب الشمس فإذا غربت الشمس دفع من عرفات وأخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بمزدلفة (ق) عن أسامة بن زيد قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفات حتى إذا كان بالشعب نزل فبال ثم توطأ ولم يسبغ الوضوء فقلت الصلاة يا رسول الله فقال الصلاة أمامك ثم ركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوطأ فأسبغ الوضوء ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم أتى كل إنسان بعيره في منزله ثم أقيمت العشاء فصلى ولم يصل بينهما شيئا . وقوله تعالى (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) سمي مشعرا من الشعار وهي العلامة لأنه من معالم الحج وأصل الحرام المنع فهو

ولا المحسر من المشعر الحرام وسمى مشعرا من الشعار وهي العلامة لأنه من معالم الحج وأصل الحرام المنع ممنوع فهو ممنوع أن يفعل فيه ما لم يؤذن فيه وسمى المزدلفة جمعا لأنه يجمع فيه بين صلاة المغرب والعشاء والإفاضة من عرفات تكون بعد غروب الشمس ومن جمع قبل طلوعها من يوم النحر . قال طاوس كان أهل الجاهلية يدفنون من عرفات قبل أن تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد أن تطلع الشمس ويقولون: أشرق شير كيتا تغير فأمر الله هذه وقدم هذه ، أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن موسى بن عقبة عن كريب مولى عهد الله بن عباس عن أسامة بن زيد أنه سمعه يقول دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفات حتى إذا كان بالشعب نزل

فإن تم توضع فلم يسبح الوضوء فقلت له الصلاة يا رسول الله قال فقال الصلاة أمامك فركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فأسبح الوضوء ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم أتى كل إنسان بعيره في منزله، ثم أقيمت العشاء فصلاها ولم يصل بينهما شيئا. وقال جابر دفع رسول الله ﷺ حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة (١٨٥) ثم ركب القصواء حتى أتى

المشعر الحرام فاستقبل القبلة ودعاه وكبره وهله ووحده فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا فرفع قبل أن تطلع الشمس. أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا زهير بن حرب أخبرنا وهب بن جرير أخبرنا أي عن يونس الأيلي عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن زید كان ردف النبي ﷺ من عرفة إلى المزدلفة ثم أردف الفضل من مزدلفة إلى منى قال فكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة قوله تعالى (واذكروه كما هداكم) أي اذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهذا كما لدبته ومناسك حجة (وإن كنتم من قبله لمن

ممنوع من أن يفعل فيه ما لم يؤذن فيه والمشعر الحرام هو ما بين جبل المزدلفة من مازمي عرفة إلى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام وقيل المشعر الحرام هو المزدلفة وسماه الله بذلك لأن الصلاة والمبيت به والدعاء عنده من معالم الحج وقيل للمشعر الحرام هو قرح وهو آخر حد المزدلفة والأول أصبح وسميت المزدلفة من الازدلاف وهو الاقتراب لأنها منزلة من الله تعالى وقربة وقيل لنزول الناس بها زلف الليل وقيل لاجتماع الناس بها وتسمى المزدلفة جمعا لأنه يجتمع فيها بين المغرب والعشاء ، قيل المراد بالذكر عند المشعر الحرام هو الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء هناك ويدل عليه أن قوله فاذكروا الله أمر وهو للوجوب ولا يجب هناك إلا الصلاة ، والذي عليه جمهور العلماء أن المراد بالذكر هو الدعاء والتلبية والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير (ق) عن ابن عباس أن أسامة بن زيد كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة إلى المزدلفة ثم أردف الفضل من المزدلفة إلى منى فكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة، عن جابر قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئا، ثم اضطجع حتى طلع الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهله ووحده ولم يزل واقفا حتى أسفر جدا ودفع قبل أن تطلع الشمس هذا الحديث ذكره البغوي بغير سند ولم أجده في الأصول قال طاوس كانوا في الجاهلية يدفعون من عرفة قبل أن تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد طلوعها وكانوا يقولون: أشرق ثبير كما نغير، فنسخ الله تعالى أحكام الجاهلية فأخر الإفاضة من عرفة إلى ما بعد غروب الشمس وقدم الإفاضة من المزدلفة إلى ما قبل طلوعها. وثبير جبل بمكة ومعنى قوظم أشرق ثبير ادخل أيها الجبل في الشروق وهو نور الشمس وقوظم كما نغير أي ندفع للشحريقال أغار إذ أسرع ودفع في عدوه (خ) عن عمرو بن ميمون قال قال عمر كان أهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس وكانوا يقولون: أشرق ثبير فخالقهم النبي صلى الله عليه وسلم فأفاض قبل طلوع الشمس. وقوله تعالى (واذكروه كما هداكم) أي اذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهذا كما لدبته ومناسك حجة (وإن كنتم من قبله لمن الضالين) أي لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه ، والهاء في من قبله راجعة إلى الهدى وقيل إلى الرسول والمعنى واذكروه كما هداكم بكتابه الذي أنزله عليكم وإن كنتم من قبل أنزله لمن الضالين . قوله عز وجل (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) أي لتسكن إفاضتكم من حيث أفاض الناس وفي الخطابين بهذا قولان أحدهما أنه خطاب لغريش قال أهل التفسير كانت قريش ومن دان

(٢٤ - خازن بالبغوي - أول) الضالين) أي وقد كنتم وقيل وما كنتم من قبله إلا من الضالين كقوله تعالى « وإن نظنك لمن الكاذبين ، أي وما نظنك إلا من الكاذبين والهاء في قوله من قبله راجعة إلى الهدى وقيل إلى رسول الله ﷺ كناية عن غير مذكور قوله تعالى (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) قال أهل التفسير كانت قريش وحلفاؤها ومن دان يدينها وهم الخمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل الله وقطان حرمة فلا تخلف الحرم ولا تخرج منه ويتعظمون أن يقفوا مع سائر العرب بعرفات وسائر الناس كانوا يقفون بعرفات فإذا أفاض الناس من عرفات أفاض الخمس من المزدلفة

فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منها إلى جمع مع سائر الناس وأخبرهم أنه سنة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وقال بعضهم خاطب به جميع المسلمين وقوله تعالى من حيث أفاض الناس من جمع أي ثم أفيضوا من جمع إلى منى وقالوا لأن الإفاضة من عرفات قبل الإفاضة من جمع فكيف يسوغ أن يقول فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله ثم أفيضوا من عرفات والأول قول أكثر أهل (١٨٦) التفسير وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره فمن فرض فبين الحج فلا

رفت ولا فسوق ولا جدال في الحج ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام وقيل ثم بمعنى الواو أي وأفيضوا كقولته تعالى ثم كان من الذين آمنوا وأما الناس فهم العرب كلهم غير الحمس وقال الكلبي هم أهل اليمن وربيعه وقال الضحاك الناس هاهنا إبراهيم عليه السلام وحده كقوله تعالى أم يحسدون الناس وأراد به محمدا صلى الله عليه وسلم وحده ويقال هذا الذي يقتدي به ويكون لسان قومه وقال الزهري الناس هاهنا آدم عليه السلام وحده دليله قراءة سعيد بن جبير ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس بالياء وقال هو آدم نسي عهد الله حين أكل من الشجرة أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله

بدينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل الله وقطان حرمه فلا يخلف الحرم ولا تخرج منه ويتعظمون أن يقفوا مع سائر الناس بعرفات وكان سائر الناس يقفون بعرفات فإذا أفاض الناس من عرفات أفاض الحمس من المزدلفة فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات مع سائر الناس ثم يفيضوا منها إلى جمع وأخبرهم أنه سنة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان قريش ومن دان بدينها يقفون بالمزدلفة وكان يسمون الحمس وكانت سائر العرب يقفون بعرفة فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأتي عرفات فيقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس قولها كانوا يسون الحمس هو جمع أحسن وأصله من الشدة والشجاعة وإنما سميت قريش وكنانة حمسا لتشددهم في دينهم فعلى هذا القول الناس معناتهم جميع العرب سوى الحمس والقول الثاني إنه خطاب لسائر المسلمين أمرهم الله أن يفيضوا من حيث أفاض إبراهيم وهو المراد بقوله من حيث أفاض الناس، وقيل الناس هنا آدم وحده بدليل قراءة سعيد بن جبير ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس بالياء وقال هو آدم عهد إليه فتنسى، ووجه هذا أن الوقوف بعرفات والإفاضة منها شرع قديم وما سواه مبدع محدث وقيل المراد من هذه الآية أن الإفاضة من المزدلفة إلى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر وأراد بالناس إبراهيم وإسماعيل وأتباعهما لأنه كانت لإفاضة من المزدلفة قبل طلوع الشمس ووجه هذا القول أن الإفاضة من عرفات قد تقدم ذكرها في قوله فإذا أفضتم من عرفات ثم قال بعد ذلك ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فدل على أن هذه الإفاضة من المزدلفة إلى منى لكن القول الأول هو الأصح الذي عليه جمهور المفسرين . فان قلت على القول الأول الذي هو قول جمهور المفسرين إشكال وهو أن ظاهر الكلام لا يقتضي ذلك لأن قوله فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله والإفاضة من عرفات قبل الإفاضة من جمع فكيف قال ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فكأنه قال فإذا أفضتم من عرفات فأفيضوا من عرفات وذلك غير جائز . قلت أجيب عن هذا الإشكال بأن فيه تقدما وتأخيرا وتقديره ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله فعلى هذا الترتيب يصح أن تكون هذه الإفاضة تلك الإفاضة بعينها وقيل إن ثم في قوله ثم أفيضوا بمعنى الواو أي وأفيضوا كقوله ثم كان من الذين آمنوا والإفاضة الدفع (ق) عن هشام بن عروة عن أبيه قال سئل أسامة بن زيد وأنا جالس كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في حجة الوداع قال كان يسير العتيق فإذا وجد فجوة نص قال هشام

التعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن

النص هشام بن عروة عن أبيه أنه قال سئل أسامة وأنا جالس كيف كان يسير رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع حين دفع قال كان يسير العتيق فإذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العتيق . أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله التعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا إبراهيم بن سويد حدثني عمرو ابن أبي عمرو مولى المطلب قال أخبرني سعيد بن جبير مولى والده الكوفي حدثني ابن عباس أنه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم

يوم عرفة فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وراءه زجرا شديدا وضربا للإبل ، فأشار بسوطه إليهم وقال أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع . قوله تعالى (واستغفروا الله إن الله (١٨٧) غفور رحيم) فإذا قضيت مناسككم

أي فرغتم من حجكم
وذبحتم مناسككم أي
ذبايحكم يقال نسك
الرجل ينسك نسكا إذا
ذبح نسكته وذلك بعد
رمى جمرة العقبة
والاستقرار بمعنى

(فاذكروا الله) بالتكبير
والتحميد والثناء عليه

(كذا ذكركم آباءكم) وذلك
أن العرب كانت إذا

فرغت من الحج وقفت
عند البيت فذكرت

مفاخر آباؤها فأمرهم الله
بذكره وقال فاذكروني

فأني الذي فعلت ذلك بكم
وبآبائكم وأحسن إليكم

وللهم قال ابن عباس
وعطاء معناه فاذكروا

الله كذا ذكر الصبيان
الصغار الآباء وذلك أن

الصبي أول ما يتكلم بلهج
بذكر أبيه لا يذكر

غيره فيقول الله فاذكروا
الله لا غير كذا ذكر الصبي

آباء (أو أشد ذكرا)
وسئل ابن عباس عن

قوله : فاذكروا الله
كذا ذكركم آباءكم فقيل قد

بأني على الرجل اليوم
لا يذكر فيه آباء . قال

ابن عباس ليس كذلك
ولكن أن تغضب الله إذا

عصى أشد من غضبك
لوالديك إذا شتا . وقوله تعالى أو أشد ذكرا أي وأكبر ذكرا (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا)
أراد به المشركين كانوا لا يسألون الله تعالى في الحج إلا الدنيا يقولون : اللهم أعطنا غنا وإبلا وبقرا وعبيدا وكان الرجل يقوم
فيقول اللهم إن أبي كان عظيم القبة كبير الجنة كثير المال فأعطني مثل ما أعطيت قال قتادة هذا عبد نبيته الدنيا لها أنفق ولها

والنص فوق العنق . العنق يفتح العين ضرب من السير سريع هو أشد من المشي والفجوة : الفرجة
وهي المتسع من الأرض والنص السير السريع حتى يستخرج من الناقة أقصى وسعها (خ) عن
ابن عباس أنه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وراءه
زجرا شديدا وضربا للإبل فأشار بسوطه إليهم وقال يا أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس
بالإيضاع ، الإيضاع السير السريع الشديد . قوله تعالى (واستغفروا الله) أي من مخالفتكم
في الموقف ولجئ بكم (إن الله غفور رحيم) يعني إن الله هو السائر لذنوب عباده برحمته
والغفور يقيد المبالغة في الغفر وكنا الرحيم وفيه دليل على أنه تعالى يقبل التوبة من عباده الثابتن
ويغفر لهم لأنه تعالى أمر المذنب بالاستغفار ثم وصف نفسه تعالى بأنه كثير الغفران كثير الرحمة فدل
ذلك على أنه تعالى يغفر للاستغفرين ويرحم المذنبين منه وكرمه . قوله عز وجل (فإذا قضيت
مناسككم أي فرغتم من حجكم وعبادتكم وذبحتم مناسككم أي ذبايحكم وذلك بعد رمي جمرة
العقبة والاستقرار بمعنى (فاذكروا الله) يعني بالتحميد والتكبير والثناء عليه
(كذا ذكركم آباءكم) قال أهل التفسير كانت العرب في الجاهلية إذا فرغوا من حجهم وقتوا بين
المسجد منى وبين الجبل وقيل عند البيت فيذكرون مفاخر آباؤهم ومآثرهم وفضائلهم ومحاسنهم
ومناقبهم فيقول أحدهم كان أبي كبير الجنة رحب الفناء يقرى للضيف وكان كذا وكذا بعد
مفاخره ومناقبه ويتناشدون الأشعار في ذلك ويشكدون بالمشور والمنظوم من الكلام الفصيح
وغيرهم الشهرة والسمعة والرفعة بذكر مناقب سلفهم وآبائهم فلما من الله عليهم بالإسلام
أمرهم أن يكون ذكرهم لله لا لآبائهم وقال اذكروني فأنا الذي فعلت ذلك بكم وبهم وأحسن
إليكم وإليهم قال ابن عباس معناه فاذكروا الله كذا ذكر الصبيان الصغار الآباء وذلك أن الصبي
أول ما يفصح بالكلام ويقول أبي أمه لا يعرف غير ذلك فأمرهم أن يذكروه كذا ذكر الصبيان
الصغار الآباء (أو أشد ذكرا) أي بل أشد ذكرا ، وقيل أو بمعنى الواو أي وأشد ذكرا أي وأكثر
ذكرا للآباء لأنه هو المنعم عليهم وعلى الآباء فهو المستحق للذكر والحمد مطلقا وسئل ابن عباس
عن هذه الآية قبل له قد يأتي على الرجل اليوم ولا يذكر فيه آباء فقال ليس كذلك ولكن أن
تغضب الله عز وجل إذا عصى أشد من غضبك لوالديك إذا شتا (فمن الناس من يقول ربنا آتنا
في الدنيا) يعني أن المشركين كانوا يسألون الله في حجهم للدنيا ونعيمها كانوا يقولون اللهم أعطنا
إبلا وغنا وبقرا وعبيدا وإماء وكان أحدهم يقوم فيقول اللهم إن أبي كان عظيم القبة كبير الجنة
كثير المال فأعطني مثل ما أعطيت قال قتادة هذا عبد نبيته الدنيا لها أنفق ولها عمل ونصب (خ)
عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعس عبد الدنثار وعبد الدرهم وعبد الحميصة
إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش . قوله تعس عبد الدنثار
هذا دعاء عليه بالهلاك وهو الوقوع على الوجه من العثار والحميصة ثوب من خز أو صوف
علم وقوله وانتكس هذا دعاء عليه أيضا لأن من انتكس على رأسه أو في أمره فقد خاب وخسر
وقوله وإذا شيك هذا فعل ما لم يتم فاعله تقول شاكته الشوكة إذا دخلت في جسده والانتقاش

لوالديك إذا شتا . وقوله تعالى أو أشد ذكرا يعني بل أشد أي وأكبر ذكرا (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا)
أراد به المشركين كانوا لا يسألون الله تعالى في الحج إلا الدنيا يقولون : اللهم أعطنا غنا وإبلا وبقرا وعبيدا وكان الرجل يقوم
فيقول اللهم إن أبي كان عظيم القبة كبير الجنة كثير المال فأعطني مثل ما أعطيت قال قتادة هذا عبد نبيته الدنيا لها أنفق ولها

عمل وذنب (وما له في الآخرة من خلاق) من حظ ونصيب (ومهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) يعني المؤمنين . واحتجوا في معنى الحسنين قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الدنيا حسنة امرأة صالحة وفي الآخرة حسنة الجنة والخور العين . أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنفي أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الطوسي أخبرنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلاد ، أنا الحارث بن أسامة أنا أبو عبد الرحمن المقرئ أخبرنا حياة وابن نبيعة قالا أخبرنا شرحبيل بن شريك أنه سمع أبا عبد الرحمن الجليل يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقال الحسن في الدنيا حسنة العلم والعبادة وفي الآخرة حسنة الجنة والنظر وقال السدي وابن حبان في الدنيا حسنة (١٨٨) رزقا حلالا وعملا صالحا وفي الآخرة حسنة المغفرة والثواب . أخبرنا أبو بكر

ابن محمد بن عبد الله بن أبي وبرة أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبد الله بن محمود أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيوب حدثني عبيد الله بن زجر عن علي بن يزيد عن القاسم ابن عبد الرحمن عن أبي إمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وأعظم أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه فأطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار إليه بالأصابع وكان رزقه كفافا فصب على ذلك ثم نفر بيده

إخراج الشوك من الجسم وإنما كان سؤال المشركين لا دينار ولم يطلبوا التوبة والمغفرة ونعم الآخرة لأنهم كانوا ينكرون البعث (وماله في الآخرة من خلاق) أي وماله في الآخرة من حظ ولا نصيب (ومهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) يعني المؤمنين . واعلم أن الله تعالى قسم الداعين فريقين فريق اقتصروا في الدعاء على طلب الدنيا وهم الكفار لأنهم كانوا لا يعتقدون البعث والآخرة ، والفريق الثاني هم المؤمنون الذين جمعوا في الدعاء بين طلب الدنيا والآخرة وذلك لأن الإنسان خلق ضعيفا محتاجا لاطاقة له بآلام الدنيا ومتاعها فالأولى له أن يستعبد بالله من شرها وآلامها لأنه لو اضطرب علي الإنسان عرق من عروقه لشوش عليه حياته في الدنيا وتعطل عن الاشتغال بطاعة الله تعالى فثبت بذلك أن طلب الدنيا في الدعاء من أمر الدين فلذلك قال الله تعالى إخبارا عن المؤمنين «ومهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة» قيل إن الحسنة في الدنيا عبارة عن الصحة والأمن والكفاية والتوفيق إلى الخير والنصر على الأعداء والولد الصالح والزوجة الصالحة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقيل الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقيل الحسنة في الدنيا الرزق الحلال والعمل الصالح وفي الآخرة المغفرة والثواب وقيل من آتاه الله الإسلام والقرآن وأهلا ومالا فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة يعني في الدنيا عافية وفي الآخرة عافية (م) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد خفف فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله ﷺ هل كنت تدعو الله بشيء أوتسأله إياه قال نعم كنت أقول اللهم ما كنت معاقبتك به في الآخرة فمجله لي في الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه أفلا قلت اللهم آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قال فدعا الله به فشفاه (ق) عن أنس بن مالك قال كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . عن عبد الله بن السائب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين الركبتين «ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» أخرجه

فقال هكذا مجلت منية قلت بواكيه قل ترائه « وقال قتادة في الدنيا عافية وفي الآخرة عافية وقال عوف أبو داود في هذه الآية من آتاه الله الإسلام والقرآن وأهلا ومالا فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة . أخبرنا الشيخ أبو القاسم عبد الله بن علي الكرماني الطوسي أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمض الزيادي أخبرنا أبو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور السمسار أخبرنا أبو حاتم محمد بن إدريس الخنظلي الرازي أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، أخبرنا حميد الطويل عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا قد صار مثل الفرخ فقال هل كنت تدعو الله بشيء أوتسأله إياه فقال يا رسول الله كنت أقول اللهم ما كنت معاقبتك به في الآخرة فمجله لي في الدنيا فقال سبحان الله لا تستطيعه ولا تطيقه هلا قلت اللهم آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد

السرخسي . أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي إسحاق الحمياحي أخبرنا أبو العباس محمد بن عبد الرحمن الداغولي أخبرنا محمد بن مسكان أخبرنا أبو داود أخبرنا شعبة عن ثابت عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثُر أن يقول : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا سعيد بن سالم القداح عن ابن جريح عن يحيى بن عبيد مولى السائب عن أبيه عن عبد الله بن السائب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما بين ركن بني جمح والركن الأسود ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . قوله تعالى (أولئك لهم نصيب) حظ (مما كسبوا) من الخير والدعاء بالثواب والجزاء (والله سريع الحساب) يعني إذا (١٨٩) حاسب عبده فحسابه سريع

لا يحتاج إلى عقد يد ولا وعى صدر ولا إلى روية ولا فكير . قال الحسن أسرع من لمح البصر : وقيل معناه إتيان القيامة قريب لأن ما هو آت لا محالة فهو قريب قال الله تعالى « وما يدريك لعل الساعة قريب » قوله تعالى (وأذكروا الله) يعني التكبيرات أذبار الصلاة وعند الجهرات يكبر مع كل حصاة وغيرها من الأوقات (في أيام معدودات) الأيام المعدودات هي أيام التشريق وهي أيام منى ورمي الجمار سميت معدودات لقلتهن كقوله « دراهم معدودة » والأيام المعلومات عشر ذي الحجة آخرهن يوم النحر هذا قول أكثر

أبو داود (أولئك) إشارة إلى المؤمنين الداعين بالحسنتين ووجه هذا القول أن الله ذكر حكم الفريق بكامله فقال وماله في الآخرة من خلاق وقيل يرجع إلى الفريقين (لهم) جميعاً أي لكل فريق من هؤلاء (نصيب) أي حظ (مما كسبوا) يعني من الخير والدعاء بالثواب والجزاء على الدعاء بالدنيا من جنس ما كسب ودعا (والله سريع الحساب) ذكروا في معنى الحساب أن الله تعالى يعلم العباد بمآلهم وعليهم بمعنى أن الله تعالى يخلق العلوم الضرورية في قلوبهم بمقادير أعمالهم وكتابتها وكتابتها ومقادير ما لهم من الثواب وعليهم من العقاب وقيل إن المحاسبة عبارة عن المجازاة ويدل عليه قوله تعالى « وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً » وقيل إن الله تعالى يكلم عباده يوم القيامة ويعرفهم أحوال أعمالهم وما لهم من الثواب والعقاب وقيل إنه تعالى إذا حاسب عباده فحسابه سريع لأنه تعالى لا يحتاج إلى عقد يد وروية فكير وصف الله نفسه تعالى بسرعة الحساب مع كثرة الخلائق وكثرة أعمالهم ليدل بذلك على كمال قدرته لأنه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولا يحتاج إلى آلة ولا مادة ولا مساعد فلا جرم كان قادراً على أن يحاسب جميع الخلائق في أقل من لمح البصر وروى أنه تعالى يحاسب الخلائق في قدر حلب شاة أو ناقة وقيل في معنى كونه تعالى سريع الحساب أي سريع القبول للدعاء عباده والإجابة لهم وذلك أنه تعالى يسأله السائلون في الوقت الواحد كل واحد منهم أشياء مختلفة من أمور الدنيا والآخرة فيعطى كل واحد مطلوبه من غير أن يشغله شيء من ذلك لأنه تعالى عالم بجميع أحوال عباده وأعمالهم وقيل في معنى الآية إن إتيان القيامة قريب لأن كل ما هو كائن وآت قريب لا محالة وفيه إشارة إلى المبادرة بالدعاء والذكر وسائر الطاعات وطلب الآخرة . قوله عز وجل (وأذكروا الله) يعني بالتوحيد والتعظيم والتكبير في إذبار الصلوات وعند رمي الجهرات وذلك أنه يكبر مع كل حصاة من حصي الجمار فقد ورد في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كبر مع كل حصاة (في أيام معدودات) يعني أيام التشريق وهي أيام منى ورمي الجمار سميت معدودات لقلتهن وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر أولها اليوم الحادي عشر من ذي الحجة ودو قول ابن عمرو بن عباس والحسن وعطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب الشافعي وقيل إن

أهل الم وروى عن ابن عباس المعلومات يوم النحر ويومان بعده والمعدودات أيام التشريق وعن علي قال المعلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده وقال عطاء عن ابن عباس المعلومات يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق وقال محمد بن كعب هما شيء واحد وهي أيام التشريق وروى عن نبيشة الهذلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله » ومن الذكر في أيام التشريق التكبير واختلفوا فيه فروى عن عمر وعن عبد الله بن عمر أنها كانا يكبران بمعنى تلك الأيام حلف الصلاة وفي المجلس وعلى الفرائض والتسباط وفي الطريق ويكبر الناس بتكبيرهما ويتلوان هذه الآية والتكبير أذبار الصلاة مشروع في هذه الأيام في حق الحاج وغير الحاج عند عامة العلماء . واختلفوا في قدره فذهب قوم إلى أنه يتدنى التكبير عقب صلاة الصبح من يوم عرفة ويحتم بعد العصر من آخر أيام التشريق يروى ذلك عن عمر

وعن علي رضي الله عنهما وبه قال مكحول وإليه ذهب أبو يوسف رضي الله عنه وذبح قوم إلى أنه يبتدىء التكبير عقيب صلاة الصبح من يوم عرفة ويحتم بعد العصر من يوم النحر يروي ذلك عن ابن مسعود وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه وقال قوم يبتدىء التكبير عقيب (١٩٠) صلاة الظهر من يوم النحر ويحتم بعد الصبح من آخر أيام التشريق يروي

ذاك عن ابن عباس وبه قال مالك والشافعي في أحد قوليه قال الشافعي لأن الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت التلبية ويأخذون في التكبير يوم النحر من بعد صلاة الظهر ولفظ التكبير كان سعيد بن جبير والحسن يقولان الله أكبر الله أكبر الله أكبر ثلاثا نسقا وهو قول أهل المدينة وإليه ذهب الشافعي وقال وما زاد من ذكر الله فهو حسن وعند أهل العراق يكبر اثنين يروي ذلك عن ابن مسعود . قوله تعالى (فن تعجل في يومين فلا إثم عليه) أراد من فطر الحاج في اليوم الثاني من أيام التشريق فلا إثم عليه وذلك أنه على الحاج أن يبيت بمبنى الليلة الأولى والثانية من أيام التشريق ويرى كل يوم بعد الزوال إحدى وعشرين حصة عند كل جرة بسبع حصيات ورخص في ترك البيوتة لرعاة الإبل وأهل سقاية الحاج ثم كل من يرى اليوم الثاني من أيام التشريق

الأيام المعاودات يوم النحر ويومان بعده وهو قول علي بن أبي طالب ويروي عن ابن عمر أيضا وهو مذهب أبي حنيفة (م) عن نبیة اهلالي قال قال رسول الله ﷺ وأيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله ومن الذكر في هذه الأيام التكبير (خ) عن ابن عمر أنه كان يكبر بمعنى تلك الأيام ويحتم الصلوات وعلى فراشه وفي فسطاطه وفي مجلسه وفي مشاه في تلك الأيام جميعا وفي رواية أنه كان يكبر في قبته فيسمعه أهل المسجد فيكبرون ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى أخرجه البخاري بغير إسناد وأجمع العلماء على أن المراد بهذا هو التكبير عند رمي الجمار وهو أن يكبر مع كل حصة يرمى بها في جميع أيام التشريق وأجمعوا أيضا على أن التكبير في عيد الأضحى وفي هذه الأيام في إدبار الصلوات سنة واختلوا في وقت التكبير فقبل يبدأ به من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق فيكون التكبير على هذا القول في خمسة عشر صلاة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال الشافعي في أصح أقواله قال الشافعي لأن الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت هو التلبية ويأخذون في التكبير يوم النحر من صلاة الظهر وقبل إنه يبدأ به من صلاة المغرب ليلة النحر ويحتم بصلاة الصبح من آخر أيام التشريق وهو القول الثاني للشافعي فيكون التكبير على هذا القول في ثمانية عشر صلاة والقول الثالث للشافعي إنه يبدأ بالتكبير من صلاة الصبح يوم عرفة ويحتم به بعد صلاة العصر من آخر أيام التشريق فيكون التكبير على هذا القول في ثلاث وعشرين صلاة وهو قول علي بن أبي طالب ومكحول وبه قال أبو يوسف ومحمد وقال ابن مسعود يبدأ به من صبح يوم عرفة ويحتم بصلاة العصر من يوم النحر فعلى هذا القول يكون التكبير في ثمان صلوات وبه قال أبو حنيفة وقال أحمد بن حنبل إذا كان حلالا كبر عقيب ثلاث وعشرين صلاة أولا الصبح من يوم عرفة وآخرها صلاة العصر من آخر أيام التشريق وإن كان محرما كبر عقيب سبعة عشر صلاة أولا الظهر من يوم النحر وآخرها عصر آخر أيام التشريق . ولفظ التكبير عند الشافعي ثلاثا نسقا الله أكبر الله أكبر الله أكبر وهو قول سعيد بن جبير والحسن وهو قول أهل المدينة قال الشافعي وما زاد من ذكر الله فحسن ويروي عن ابن مسعود أنه يكبر مرتين فيقول الله أكبر الله أكبر وهو قول أهل العراق . وقوله تعالى (فن تعجل في يومين) أي فن تعجل الفطر الأول وهو في الثاني من أيام التشريق (فلا إثم عليه) أي فلا حرج عليه وذلك أنه يجب على الحاج المبيت بمبنى الليلة الأولى والثانية من ليالي أيام التشريق ليرى كل يوم بعد الزوال إحدى وعشرين حصة يرمى عند كل جرة سبع حصيات ثم من رمى في اليوم الثاني وأراد أن يفطر ويدع البيوتة الليلة الثالثة يرمى يومها فذلك واسع له لقوله تعالى (فن تعجل في يومين) فلا إثم عليه يعني فلا إثم على من تعجل ففطر في اليوم الثاني في تعجيله (ومن تأخر فلا إثم عليه) يعني ومن تأخر إلى الفطر الثاني وهو اليوم الثالث من أيام

التشريق

وأهل سقاية الحاج ثم كل من يرى اليوم الثاني من أيام التشريق

وأراد أن يفطر فيدع البيوتة الثالثة ويرى يومها فذلك له واسع لقوله تعالى (فن تعجل في يومين) فلا إثم عليه ومن لم يفطر حتى غربت الشمس فعليه أن يبيت حتى يرمى اليوم الثالث ثم يفطر وقوله (ومن تأخر فلا إثم عليه) يعني لا إثم على من تعجل ففطر في اليوم الثاني في تعجيله ومن تأخر حتى يفطر في اليوم الثالث فلا إثم عليه في تأخيره وقبل معناه فن تعجل فقد رخص فلا

لأن عليه بالترخص ومن تأخر فلا إثم عليه بترك الترخيص وقيل معناه رجوع مغفورا له لا ذنب عليه تعجل أو تأخر كما روينا
ومن حج فلم يرفث ولم يفسق رجع أي خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وهذا قول علي وابن مسعود . قوله تعالى (لمن اتقى) أي
لمن اتقى أن يصيب في حجه شيئا نهى الله عنه كما قال من حج فلم يرفث (١٩١) ولم يفسق . قال ابن مسعود :

لأنما جعلت مغفرة الذنوب
لمن اتقى الله تعالى في حجه
وفي رواية الكلبي عن ابن
عباس معناه لمن اتقى
الصيد لا يهل له أن يقتل
صيدا حتى تنقضي أيام
الشريق ، وقال أبو العالية
ذهب أئمة إن اتقى فيما
بقي من عمره (واتقوا الله
واعلموا أنكم إليه
تخشعون) تجتمعون في
الآخرة يجزيكم بأعمالكم
قوله تعالى (ومن الناس
من يعجبك قوله في الحياة
الدنيا) قال الكلبي ومقاتل
وعطاء نزلت في الأخنس
ابن شريق الثقفي حليف
بني زهرة واسمه أبي وسمى
الأخنس لأنه خنس يوم
بدر بثلاثمائة رجل
من بني زهرة عن
قتال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان
رجلا حلو الكلام حلوا
المنظر وكان يأتي رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فيجالسه ويظهر الإسلام
ويقول إني لأحبك ويخلف
بالله على ذلك وكان عنافا
فكان رسول الله صلى

الشريق فلا إثم عليه في تأخره . واعلم أنه إنما يجوز التعجيل لمن نقر بعد الزوال من اليوم الثاني
من أيام التشريق وقبل غروب الشمس من ليلة ذلك اليوم وإن غربت عليه الشمس وهو بمنى
لزمه المبيت بها لرمي اليوم الثالث هذا مذهب الشافعي وأكثر الفقهاء وقال أبو حنيفة يجوز
له أن يضر ما لم يطلع الفجر لأنه لم يدخل وقت الرمي بعد ورخص لرعاة الإبل وأهل سقاية
الحجاج ترك المبيت بمنى ليالي منى . فان قلت قوله ومن تأخر فلا إثم عليه فيه إشكال وهو أن
الذي أتى بأفعال الحج كاملة تامة فقد أتى بما يلزمه فما معنى قوله فلا إثم عليه إنما يخاف من
الإثم من قصر فيما يلزمه . قلت فيه أجوبة أحدها أنه تعالى لما أذن في التعجيل على سبيل الرخصة
احتمل أن يخطر ببال قوم أن من لم يجر على موجب هذه الرخصة فإنه يأثم فأزال الله تعالى
هذه الشبهة وبين أنه لا إثم عليه في الأمرين فإن شاء عجل وإن شاء أخر . الجواب الثاني أن من
الناس من كان يتعجل ومنهم من كان يتأخر وكل فريق يصوب فعله على فعل الفريق الآخر
فبين الله تعالى أن كل واحد من الفريقين مصيب في فعله وأنه لا إثم عليه . الجواب الثالث إنما
قال ومن تأخر فلا إثم عليه لمشاكلة اللفظة الأولى فهو كقوله « وجزاء سيئة سيئة مثلها » ومعلوم
أن جزاء السيئة ليس بسيئة . الجواب الرابع أن فيه دلالة على جواز الأمرين فكأنه تعالى قال
فتمتعوا أو تأخروا فلا إثم في التعجيل ولا في التأخير (لمن اتقى) أي ذلك التحخير ونفى الإثم
للحجاج المتقي وقيل لمن اتقى أن يصيب في حجه شيئا نهى الله عنه من قتل صيد وغيره مما هو
محظور في الحج وقيل معناه أنه ذهب إثم إن اتقى فيه من بقي من عمره وذلك أن الحجاج يرجع
مغفورا له بشرط أن لا يرتكب ما نهى عنه فيما بقي من عمره وهو قوله (واتقوا الله) أي في المستقبل
والتقوى عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات (واعلموا أنكم إليه تخشعون) أي فيجاز بكم
بأعمالكم وفيه حث على التقوى . قوله عز وجل (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا)
نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه أبي وإنما سمي الأخنس لأنه خنس
يوم بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه أشار
على بني زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم إن محمدا ابن أختكم فإن يك كاذبا كفا كوه الناس
وإن يك صادقا كنتم أسعد الناس به قالوا نعم ما رأيت قال إني سأخنس بكم فاتبعوني فخنس
فسمى الأخنس بذلك وكان الأخنس حلو الكلام حلوا المنظر وكان يأتي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويجالسه ويظهر الإسلام ويقول إني لأحبك ويخلف بالله على ذلك وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبنى مجلسه وكان الأخنس منافقا فنزل فيه ومن الناس من يعجبك قوله
أي يروقك وتستحسنه ويعظم في قلبك في الحياة الدنيا يعني أن حلوة كلامه فيما يتعلق بأمر
الدنيا (ويشهد الله على ما في قلبه) يعني قوله : والله إني بك مؤمن ولك محب (وهو ألد الخصام)
أي شديد الجدال في الباطل ، وقيل هو كاذب القول وقيل هو شديد القسوة في المعصية جدل

الله عليه وسلم يبنى مجلسه فنزل قوله تعالى « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا » أي تستحسنه ويعظم في قلبك
ويقال في الاستحسان أعجبتني كذا وفي الكراهية والإنكار عجبت من كذا (ويشهد الله على ما في قلبه) يعني قول الأخنس
المنافق والله إني بك مؤمن ولك محب (وهو ألد الخصام) أي شديد الخصومة يقال لدت ياهلما وأنت تلد للدا ولدادة فإذا
أردت أنه غلب على خصمه قلت لده يلد له لدا يقال رجل ألد وامرأة لداء وقوم لدا قال الله تعالى « وتقدر به قوما لدا » .

قال الزجاج اشتقاقه من لد يدي العنق وهما صفحتان وقاويله أنه في أي وجه أخذ من يمين أو شمال في أبواب الخصومة غلب
والخصام مصدر خاصمه وخصاما وخصامة قاله أبو عبيدة وقال الزجاج وهو جمع خصم يقال خصم وخصام وخصوم مثل بحر
وبحار وبحور قال الحسن ألد الخصام أي كاذب القول . قال قتادة شديد القسوة في المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة
ويعمل بالخطيئة . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف
أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا (١٩٣) أبو عاصم عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها عن

النبي صلى الله عليه وسلم
قال إن أبعض الرجال
إلى الله تعالى الألد الخصم
(وإذا تولى) أي أدبر
وأعرض عنك (سعى في
الأرض) أي عمل فيها
وقبل صار فيها ومشى
(ليفسد فيها) قال ابن
جرير قطع الرحم
وسفك دماء المسلمين
(وهلك الحرث والنسل)
وذلك أن الأخصس كان
بينه وبين ثقيف خصومة
فيبتهم ليلته فأحرق زروعهم
وأهلك مواشيهم . قال
مقاتل خرج إلى الطائف
مقتضيا مالا له على غريم
فأحرق له كنسا وعقر
له أتاناً . والنسل نسل كل
داية والناس منهم .
وقال الضحاك وإذا تولى
أي ملك الأمر وصار
واليا سعى في الأرض .
قال مجاهد في قوله عز
وجل ، وإذا تولى سعى
في الأرض ، قال إذا ولى

الباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة (ق) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال إن أبعض الرجال إلى الله الألد الخصم يعني الشديد في الخصومة (وإذا تولى) أي
أدبر وأعرض عنك بعد إلانة القول وحلاوة المنطق (سعى في الأرض) أي صار ومشى في الأرض
(ليفسد فيها) يعني يقطع الأرحام وسفك دماء المسلمين (وهلك الحرث والنسل) وذلك أن
الأخصس بن شريق كان بينه وبين ثقيف خصومة فيبتهم ليلاً فأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم
وقبل خرج إلى الطائف مقتضيا ديناً كان له على غريم فأحرق له كنسا وعقر له أتاناً وقيل
معناه إذا تولى أي صار واليا وملك الأمر سعى في الأرض ليفسد فيها يعني بالظلم والعدوان كما
يفعله ولاية سوء والظلمة وقيل يظهر ظلمه حتى يمنع الله بثؤم ظلمه الفطر فيهلك الحرث
والنسل بسبب منع المطر وقيل أن الآية عامة في حق كل من كان موصوفاً بهذه الصفات
المذكورة ولا يمتنع أن تنزل في رجل واحد ثم تكون عامة في حق كل من كان موصوفاً بهذه
الصفات (والله لا يحب الفساد) قال ابن عباس لا يرضى بالمعاصي واحتجت المعزلة بهذه الآية
على أن الهبة عبارة عن الإرادة . وأجيب عنه بأن الإرادة بمعنى غير الهبة فإن الإنسان قد يريد شيئاً
ولا يحبه وذلك لأنه قد يتناول الدواء المر ولا يحبه فبان الفرق بين الإرادة والهبة وقيل إن
هبة مدح الشيء وتعظيمه والإرادة بخلاف ذلك (وإذا قيل له اتق الله) أي خف الله في سرك
وعلانيتك (أخذته العزة بالإثم) أي حملته العزة وحمية الجاهلية على فعل الإثم وقيل بأن يعمل
الإثم وهو الظلم وترك الالتفات إلى الوعظ وعدم الإصغاء إليه وأصل العزة المنعة والتكبر
(فحسبه جهنم) أي كافية له جهنم جزاء وعذاباً وجهنم اسم من أسماء النار التي يعذب بها
الكفار في الآخرة وقيل هو اسم أعجمي وقيل بل هو عربي سميت النار بذلك ليعدقها (ولبئس
المهاد) أي الفراش والمهاد التوطئة أيضاً والمعنى أن العذاب بالنار يجعل تحته وفوقه قال ابن
مسعود إن من أكبر الذنوب عند الله أن يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وروى أنه
قيل لعمر اتق الله فوضع خده على الأرض تواضعا لله تعالى . قوله عز وجل (ومن الناس من
يشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في سرية الرجيع وكأنت بعد
أحد (ح) عن أبي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن
ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا الحى
من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقرب من مائة رام فاقتضوا آثارهم حتى أتوا منزلاً نزلوه

فوجدوا

يعمل بالعدوان والظلم فأمسك الله المدر وأهلك الحرث والنسل (والله لا يحب الفساد)

أي لا يرضى بالفساد . وقال سعيد بن المسيب قطع الدراهم من الفساد في الأرض . قوله (وإذا قيل له اتق الله) أي خف الله
(أخذته العزة بالإثم) أي حملته العزة وحمية الجاهلية على الفعل بالإثم أي بالظلم والعزة الشكر والمنعة وقيل معناه أخذته العزة
للإثم الذي في قلبه فأقام الباء مقام اللام . قوله (فحسبه جهنم) أي كافية (ولبئس المهاد) أي الفراش قال عبد الله بن مسعود
إن من أكبر الذنوب عند الله أن يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك . وروى أنه قيل لعمر بن الخطاب اتق الله فوضع
خده على الأرض تواضعا لله عز وجل قوله تعالى (ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله) أي اطلب رضا الله تعالى

فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا أثرهم حتى لحقوهم فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجئوا إلى قدفد وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق إن زلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلا فقال عاصم أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر اللهم أخبر عنا رسولك فقاتلوهم فرمواهم حتى قتلوا عاصما في سبعة نفر بالنبل وبقي خبيب وزيد ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذي معهم هذا أول الغدر فأبى أن يصحبهم فجروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر فكث عقدهم أسيرا حتى إذا اجتمعوا على قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستجد بها فأعارتها فقالت ففعلت عن صبي لي فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه فلما رأته فرزت فرعة عرف ذلك منى وفي يده موسى فقال أتخشين منى أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى وكانت تقول : ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب لقد رأته يأكل من قطف عنب رما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثق في الحديد وما كان إلا رزقا رزقه الله خبيبا فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال دعوني أصلى ركعتين فصلى ركعتين ثم انصرف فقال لولا ترون إن ما بي جزع من الموت لزدت فكان أول من سن ركعتين عند القتل ، وقال اللهم أحصهم عددا وقال :

فلمت أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو مزرع

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله وبعث قريش إلى عاصم ليأتوا بشيء من جسده بعد موته وكان قتل عظيما من عظائمهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظللة من الدر فحمته من رسلهم فلم يقتلوا منه على شيء زاد في رواية وأخبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم أصيبوا خبرهم . القدفد الموضع الذي فيه غلظ وارتقاع وقوله عالجوه أي مارسوه وأراد به أنهم يتخذونه ليتبعهم فأبى . وقوله ليستجد الاستجداد حلق العانة . والقطف المعقود من العنب قوله على أوصال شلو الشلو العضو من أعضاء الإنسان والمزرع المفرق والظلة الشيء الذي يظل من فوق الإنسان والدر جماعة التحل والزناير . وقال أهل التفسير إن كفار قريش بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة أنا قد أسلمنا فابعث إلينا نفرا من عداء أصحابك يعلمونا دينك وكان ذلك مكرًا منهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب ابن عدي الأنصاري ومرثد بن أبي مرثد الغنوي وخالد بن بكر وعبدالله بن طارق بن شهاب الباهلي وزيد بن الدثنة وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي أفضح الأنصاري وذكر نحو حديث البخاري . زاد عليه فقالوا نصلب خبيبا حيا فقال اللهم إنك تعلم أنه ليس لي أحد حولي يبلغ سلامي رسولك فأبلغه سلامي فقام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله ويقال كان رجلا من المشركين يقال له أبو ميسرة سلامان معه رمح فوضعه بين يدي خبيب فقال له خبيب اتق الله فما زاده ذلك إلا اعتوا فطعنوه فأنفذه فذلك قوله تعالى « وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم » يعني سلامان . وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف

فبعته مع مولى له يسمى بنسطاس إلى التنعيم ليقتله في الحل واجتمع رهط من قريش فيهم
 أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل أنشدك الله بازيد أتحب محمدا عندنا
 الآن مكانك يضرب عنقه وأنت في أهلك فقال زيد والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه
 الذي هو فيه نصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي فقال أبو سفيان ما رأيت أحدا يحب
 أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس ، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا
 الخبر قال لأصحابه أيكم ينزل خبيبا عن خشبته وله الخنة فقال الزبير أنا يا رسول الله وصاحبي
 المقداد بن الأسود فخرجا يمشيان الليل ويكتمان النهار حتى أتيا التنعيم ليلا ، فاذا حول الخشبة
 أربعون من المشركين نشأوا وهم نيام فأزلاه عن خشبته فاذا هو رطب ينثى ولم يتغير منه
 شيء بعد أربعين يوما ويده على جراحته وهي تبض دما اللون لون الدم والريح ريح المسك
 فحمله الزبير على فرسه وسار فانتهى الكفار وقد فقدوا خبيبا فأخبروا قريشا فركب معهم
 سبعون فارسا فلما لحقوهم قذف الزبير خبيبا فابتلعته الأرض فسمى بليع الأرض وقال
 الزبير ما أجرأكم علينا يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن رأسه وقال أنا الزبير بن العوام وأبي
 سفية بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الأسود أسدان ضاربان يدفعان عن أشبالهما فإن
 شتمت ناضلتكم وإن شتمت نازلتمكم وإن شتمت انصرفتم فانصرفوا إلى مكة وقدم الزبير
 وصاحبه المقداد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده فقال يا محمد إن الملائكة
 لتباهي بهذين من أصحابك ونزل في الزبير والمقداد «ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات
 الله » حين شريا أنفسهما بأزال خبيب عن خشبته . وقال أكثر المفسرين نزلت في صهيب
 ابن سنان الرومي وإنما نسب إلى الروم لأن منازلهم كانت بأرض الموصل فأغارت الروم على
 تلك الناحية فسيوه وهو غلام صغير فلشأ بالروم وإنما كان من العرب ابن عمر بن قاسط قال
 سعيد بن المسيب وعطاء أقبل صهيب مهاجرا إلى النبي ﷺ فاتبه نفر من مشركي قريش
 فنزل عن راحلته ونزل ما كان في كنيانته وقال والله لا نصلوا إلى أو أرم بكل سهم معي ثم
 اضرب بسيفي ما بقى في يدي وإن شتمت دللتكم على مال دفتته بمكة وخطيتم سبيلى فقالوا نعم
 ففعل فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء
 مرضات الله » الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع أبا يحيى وتلا عليه هذه
 الآية . وقال الحسن أتدرون فيم نزلت هذه الآية ؟ نزلت في المسلم يلقى الكافر فيقول له قل : لا
 إله إلا الله فيأبى أن يقولها فيقولها يقول المسلم والله لأشترين نفسي لله فتقدم فقاتل وحده
 حتى قتل ، وقيل نزلت هذه الآية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال ابن عباس رضي
 الله عنهما أرى من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله يقوم فيأمر هذا بتقوى الله فإذا لم يقبل
 وأخذته العزة بالإثم قال وأنا أشترى نفسي لله فقاتله وكان على كرم الله وجهه إذا قرأ هذه
 الآية يقول اقتتلا ورب الكعبة وسمع عمر رجلا يقرأ هذه الآية « ومن الناس من يشرى نفسه
 ابتغاء مرضاة الله » فقال عمر إنا لله وإنا إليه راجعون قام رجل فأمر بالمعروف ونهى عن
 المنكر فقتل . عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعظم الجهاد كلمة عدل
 عند سلطان جائر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وأما تفسير الآية فذكر المفسرون
 أن المراد بهذا الشراء البيع ومنه قوله « وشروه بشمن » أي باعوه والمعنى أن المسلم باع نفسه بثواب

(واقتموه بالعباد) روى عن ابن عباس والضحاك أن هذه الآية نزلت في سريفة الرجيع وذلك أن كفار قريش بعثوا إلى رسول الله ﷺ وهو بالمدينة إنا قد أسلمنا فابعث إلينا نفرًا من علماء أصحابك يعلموننا دينك وكان ذلك مكرًا منهم فبعث رسول الله ﷺ حبيب بن عدى الأنصاري ومرثد بن أبي مرثد الغنوي وخالد بن بكير وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوي وزيد بن الدثنة وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري. قال أبو هريرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري فساروا فزولوا بطن الرجيع بين مكة والمدينة ومعهم تمر مجوفة فأكلوا فمرت بجوز فأبصرت النوى فرجعت إلى قومها بمكة وقالت قد سلك هذا الطريق أهل بئر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فركب سبعون رجلاً منهم معهم الرماح حتى أحاطوا بهم وقال أبو هريرة رضى الله عنه ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم فمرب من مائة رجل رام فاقترضوا آثارهم حتى وجدوا ما كلهم اتمر في منزل نزلوه فقالوا تمر بئر فاتبعوا آثارهم فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجؤا إلى فدق فأتوا بهم القوم فقتلوا مرثدا وخالدا وعبد الله بن طارق ونثر عاصم بن ثابت كتانته وفيها سبعة أسهم فقتل بكل سهم رجلاً من عظماء المشركين ثم قال : اللهم إني قد حميت دينك صدر النهار فأحمي لحي آخر النهار ثم أحاط به المشركون فقتلوه فلما قتلوه أرادوا جز رأسه لبيعه من سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت قد نزلت حين أصاب ابنها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشرين في قحفه الخمر فأرسل الله رجلاً من الدبر، وهي الزنابير فحمت عاصم فلم يقدروا عليه فسمى حمي الدبر فقالوا دعوه حتى تسمى فتذهب عنه فتأخذ فجاءت سخابة سوداء وأمطرت مطراً كالغزالي فبعث الله الوادي غدبرا فاحتمل عاصم به فذهب به إلى الجنة وحمل خمسين من المشركين إلى النار وكان عاصم قد أعطى الله تعالى عهداً أن لا يمس مشرك ولا يمس مشركاً أبداً (١٩٥) وكان عمر بن الخطاب رضى

الله تعالى في الدار الآخرة وهذا البيع هو أن يذل نفسه في طاعة الله من صلاة وصيام وحب وجهاد وأمر بمعروف ونهي عن المنكر، فكان ما يبذله من نفسه كالسلعة فصار كالبايع والله تعالى المشترى والتمن هو ثواب الله تعالى في الآخرة ابتغاء مرضاة الله أي طلب رضا الله (والله رءوف بالعباد) أي من رافة الله بعباده أن جعل النعيم الدائم في الجنة جزاء على العمل الليل المتقطع ومن رافته أنه يقبل توبة عبده ومن رافته أن نفس العباد وأموالهم له ثم إنه

الله عنه يقول حين بلغه أن الدبر منعه عجيباً لحفظ الله العبد المؤمن. إن عاصم نذر أن لا يمس مشرك ولا يمس مشركاً أبداً فتمعه الله

بعد وفاته كما امتنع عاصم في حياته وأمر المشركون حبيب بن عدى الأنصاري وزيد بن الدثنة فذهبوا بهما إلى مكة فلما حبيب فابتاعه بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ليقتلوه بأبيهم وكان حبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر فلبث حبيب عندهم أسيراً حتى أجمعوا على قتله فاستعار من بعض بنات الحارث موسى ليستحديها فأعارته فدرج بنى لها وهي غافلة فأراغ المرأة إلا حبيب قد أجلس الصبي على فخذه والموسى بيده فصاحت المرأة فقال حبيب أنتخشتين أن أقتلهما كنت لأفعل ذلك إن العذر ليس من شأننا فقالت المرأة بعد والله ما رأيت أسيراً خيراً من حبيب والله لقد وجدته يوماً يأكل قطعاً من عنب في يده وإنه لموتى بالحنيد وما بمكة من ثمرة إن كان إلا رزقا رزقه الله خبيبا ثم إنهم خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل وأرادوا أن يصلوه فقال لهم حبيب دعوني أصلي ركعتين فتركوه فكان حبيب هو أول من سن لكل مسلم قتل نصيراً الصلاة فركع ركعتين ثم قال لولا أن يحسبوا أن ما بي جزع لزدت اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تبق منهم أحداً ثم أنشأ يقول :

فلس أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو مزمع

فصليوه حياً فقتل : اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد حولي يبلغ سلامي رسولك فأبلغه سلامي ثم قام أبو سرور عقيب بن الحارث فقتله، ويقال كان رجل من المشركين يقال له سلامان أبو ميسرة معه رمح فوضعه بين ندي حبيب فقال له حبيب اتق الله فما زاده ذلك إلا عتوا فطعمه فأنفذه وذلك قوله عز وجل وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم يعني سلامان وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف فبعثه مع مولى له يسمى نسطاس إلى التميم ليقتله بأبيه واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل أنشدك الله يا زيد أحب أن محمداً عندنا الآن بمكانك ونضرب عنقه وأنت في أهلك فقال والله ما أحب أن محمداً صلى الله عليه وسلم الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة

تؤذيه وأتجالس في أهلي . فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا . كحب أصحاب محمد محمدًا ثم قتله نسطاس فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر ، قال لأصحابه وأيكم ينزل خبيبا عن خشبته وله الجنة ؟ فقال الزبير أنا يا رسول الله وصاحبي المقداد بن الأسود فخرجا عشيان بالليل ويكتمان بالنهار حتى أتيا التنعيم ليلا ، وإذا حول الخشب أربعون رجلا من المشركين فاعلمون نشاوي فأنزلوا فإذا هو رطب يذني لم يتغير منه شيء بعد أربعين يوما ويده على جراحتيه وهي تبص دما اللون لون الدم والريح ريح المسك فحمله الزبير على فرسه وساروا فأتته الكفار وقد قتلوا خبيبا فأخبروا قريشا فركب منهم سبعون فلما لحقوهم قذف الزبير خبيبا فابتلعته الأرض فسمى ببيع الأرض فقال الزبير ماجراكم علينا يا معشر قريش . ثم رفع السامة عن رأسه وقال أنا الزبير بن العوام وأبي صفية بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الأسود أسدان رابضان ينافعان عن شبيهما فإن شئتم ناضلتكم وإن شئتم نازلتكم وإن شئتم انصرفتم فالصرفوا إلى مكة وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل عنده فقال يا محمد إن الملائكة لتباهي بهذين من أصحابك فنزل في الزبير والمقداد بن الأسود ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ، حين شريا أنفسهما بأنزال خبيب عن خشبته وقال أكثر المفسرين نزلت في صهيب بن سنان الرومي حين أخذه المشركون في رهط من المؤمنين فعذبوهم فقال لهم صهيب إلى شيخ كبير لا يضركم أم من غيركم فهل أن تأخذوا مالي وتلدوني وديني ففعلوا وكان شرط عليهم راحلة ونفقة فأقام بمكة ماشاء الله ثم خرج إلى المدينة فأتاه أبو بكر وعمر في رجال فقال له أبو بكر ريح يبعك يا أبا يحيى فقال له صهيب وبيعك فلا تتحسر قال صهيب : ماذا لي ؟ فقال قد أنزل الله فيك وقرأ هذه الآية وقال سعيد بن المسيب وعطاء أقبل صهيب مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونزل (١٩٦) ما كان في كنانته ثم قال يا معشر قريش لقد علمتم أني لمن أركانكم

رجلا والله لا أضع سهما مما في كنانتي إلا في قلب رجل منكم وإيم الله لا تصلون إلى حتى أرى بكل سهم في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقى

تعالى يشتري ملكه بملكه فضلا منه ورحمة وإحسانا قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) نزلت في مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وذلك لما أسلوا قاموا على تعظيم شرائع موسى فعضوا والسبت وكرهوا لحوم الإبل وألبانها وقالوا إن ترك هذه الأشياء مباح في الإسلام وواجب في التوراة وقالوا أيضا يا رسول الله إن التوراة كتاب الله دعنا فلنقيم به في صلاتنا بالليل فأنزل الله هذه الآية وأمرهم أن يدخلوا في السلم أي في

شرائع

في يدي ثم افعلوا ما شئتم وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليمت

سبيل قالوا نعم ففعل ذلك فأنزل الله هذه الآية . وقال الحسن : أتلدرون فيمن نزلت هذه الآية ؟ نزلت في المسلم بلقي الكافر فيقول له قل : لا إله إلا الله فيأبى أن يقولها فقال المسلم : والله لأشربن نفسي لله فتقدم فقاتل وحده حتى قتل ، وقيل نزلت الآية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال ابن عباس أرى من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله يقوم فيأمر هذا بتقوى الله فإذا لم يقبل وأخذته العزة بالإثم قال وأنا أشري نفسي لله فقاتله فاقتل الرجلان لذلك وكان على إذا قرأ هذه الآية بقول اقتتلا ورب النكبة وقال أبو الخليل سمع عمر بن الخطاب إنسانا يقرأ هذه الآية ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ، فقال عمر إن الله وإننا إليه راجعون قام رجل بأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فقتل . أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا عبد الرحمن بن شريح أخبرنا أبو القاسم البغوي أخبرنا علي بن الجعد أخبرنا حماد بن سلمة عن أبي غالب عن أبي أمامة أن رجلا قال يا رسول الله أي الجهاد أفضل قال أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان جائر قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) قرأ أهل الحجاز والكسافي السلم ههنا بفتح السين وقرأ الباقون بكسر هاو في سورة الأنفال بالكسر وقرأ أبو بكر والباقون بالفتح وفي سورة محمد صلى الله عليه وسلم بالكسر حمزة وأبو بكر نزلت هذه الآية في مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام النضيري وأصحابه وذلك أنهم كانوا يعظمون السبت ويكرهون لحوم الإبل وألبانها بعد ما أسلموا وقالوا يا رسول الله إن التوراة كتاب الله فدعنا فلنقيم بها في صلاتنا بالليل فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) أي في الإسلام . قال مجاهد في أحكام أهل الإسلام وأعمالهم كافة أي جميعا وقيل ادخلوا في الإسلام إلى منتهى شرائعه كافرين عن المخاوية إلى غيره وأصل السلم السلم من الاستسلام والانقياد والملك قبل الصلح سلم قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية : الإسلام ثمانية أمور . فعد الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال

قد خاب من لاسهم له (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أى آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الإبل وغيره (إنه لكم عدو مبين) أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو العباس الطحان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش أخبرنا علي بن عبد العزيز المكي أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام أخبرنا هاشم أخبرنا محمد بن علي عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتاه عمر فقال إنا نسمع أحاديث من يهود نعتجنا أفترى أن نكتب بعضها فقال أنتم تكونون أمم كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتمكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حيا ما وسعه إلا (١٩٧) اتباعي (فان زلتم) ضلتم وقيل

ملتم يقال زلت قدمه
زل زلا وزلا إذا
دحضت قال ابن عباس
يعنى الشرك قال قتادة قد
علم الله أنه سيزل زلون
من الناس فتقدم في ذلك
وأوعده فيه ليكون لديه
الحجة عليهم (من بعد
ما جاءكم البينات) أى
الدلالات الواضحات
(فاعلموا أن الله عزيز)
في نعمته (حكيم) في أمره
فالعزيز هو الغالب الذي
لا يقوته شيء، والحكيم
ذو الإصابة في الأمر
قوله تعالى (هل ينظرون)
أى هل ينظرون التاركون
الدخول في السلم والمتبعون
خطوات الشيطان يقال
نظرته وانتظرته بمعنى
واحد فإذا كان النظر
مقسرنا بذكر الوجه أو
إلى لم يكن إلا بمعنى الروية
(إلا أن يأتيهم الله في ظلل)
جمع ظلة (من الغمام)
وهو السحاب الأبيض
الرقيق سمى غماما لأنه

شرائع الإسلام ولا يتمسكوا بالتوراة فإنها منسوخة والمعنى استسلموا لله وأطيعوه فيما أمركم به وقيل هو خطاب لمن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى ادخلوا في السلم كافة أى في الإسلام. وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتاه عمر فقال إنا نسمع أحاديث من يهود وتعتجنا فترى أن نكتب بعضها فقال صلى الله عليه وسلم أنتم تهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتمكم بها بيضاء نقية ولو أن موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي، قوله أنتم تهوكون أى تحيرون أنتم في دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى وقوله لقد جئتمكم بها بيضاء نقية أى لا تحتاج إلى شيء وقيل يحتمل أن يكون خطابا للمنافقين من المؤمنين والمعنى يا أيها الذين آمنوا بالسنتهم ادخلوا في السلم أى الاتقياد والطاعة لأن أصل السلم الاستسلام وهو الاتقياد كافة أى بأجمعكم ولا تتفرقوا وقيل يحتمل أن يرجع إلى الإسلام والمعنى ادخلوا في أحكام الإسلام وشرائعه كافة وهذا المعنى ألبق بظاهر التفسير لأنهم أمروا بالقيام بها كلها قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية للإسلام ثمانية أسهم فعل الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال وقد خاب من لاسهم له (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) يعنى آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الإبل وغير ذلك، وقيل ولا تلتفتوا إلى الشبهات التي يلقيها إليكم أصحاب الضلالة والغواية والأحواء المضلة لأن من اتبع سنة إنسان فقد تبع أثره (إنه لكم عدو مبين) يعنى الشيطان. فان قلت عداوته بإرسال الضرر وإلقاء الوسوسة فكيف يصح ذلك مع الاعتقاد فان الله هو الفاعل لجميع الأشياء. قلت إنه يحاول إرسال الضرر والبلاء إلينا ولكن الله منعه عن ذلك وأما معنى الوسوسة فمعلوم أنه يزين المعاصي وإلقاء الشبهات وكل سبب لوقوع الإنسان في مخالفة الله تعالى فيصده بذلك عن الثواب فهذا من أعظم جهات العداوة. فان قلت كيف يصح وصف الشيطان بأنه مبين مع أنا لأتراه. قلت إن الله تعالى بين عداوته ما هي فكانه بين وإن لم يشاهد (فان زلتم) أى ملتم وضلتم وقال ابن عباس أشركتم (من بعد جاءكم البينات) أى الدلالات الواضحات (فاعلموا أن الله عزيز) أى في نعمته ممن خالفه غالب لا يعجزه شيء (حكيم) يعنى أنه لا ينتقم إلا بحق والحكيم ذو الإصابة في الأمور كلها وفي الآية وعيد وتهديد لمن في قلبه شك ونفاق أو عتده شبهة في الدين. قوله عز وجل (هل ينظرون) أى ينظرون التاركون للدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان (إلا أن يأتيهم الله في ظلل) جمع ظلة (من الغمام) يعنى السحاب الأبيض الرقيق سمى غماما لأنه يعم ويسر وهو شيء غير السحاب ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تبهم وهو كهيفة الضباب الأبيض (والملائكة)

يعم أى يسر. وقال مجاهد هو غير السحاب ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تبهم وقال مقاتل كهيفة الضبابه أبيض قال الحسن في منورة من الغمام فلا ينظر إليهم أهل الأرض (والملائكة) قرأ أبو جعفر بالخفض عطفًا على الغمام تقديره مع الملائكة تقول العرب أقبل الأمير في العسكر أى مع العسكر وقرأ الباقون بالرفع على معنى إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام والأولى في هذه الآية وفيها شاكلتها أن يؤمن الإنسان بظواهرها ويكفر علمها إلى الله تعالى أو يعتقد أن الله عز اسمه منزه عن سمات الحدوث على ذلك مضت أئمة السلف وعلما السنة قال الكلبي: هذا من المكترم الذي لا يفسر وكان مكحول والزهرى والأوزاعي ومالك

أحد وتأنيهم الملائكة . وروى الطبري في تفسيره بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من الغمام طاقات يأتي الله عز وجل فيها محفوظا ، وذلك قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر » قال عكرمة والملائكة حوله وقيل معناه حول الغمام وقيل حول الرب تبارك وتعالى . واعلم أن هذه الآية من آيات الصفات وللعلماء في آيات الصفات وأحاديث الصفات مذهبان أحدهما وهو مذهب سلف هذه الأمة وأعلام أهل السنة : الإيمان والتسليم لما جاء في آيات الصفات وأحاديث الصفات وأنه يجب علينا الإيمان بظاهرها ونؤمن بها كما جاءت ونكمل علمها إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم مع الإيمان والاعتقاد بأن الله تعالى منزّه عن سمات الحدوث وعن الحركة والسكون قال الكلبي . هذا من الذي لا يفسر وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتنسيبه قراءته والسكوت عليه ليس لأحد أن يفسره إلا الله ورسوله وكان الزهري والأوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه يقولون في هذه الآية وأمثالها أقروها كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل هذا مذهب أهل السنة ومعتقد سلف الأمة ، وأنشد بعضهم في المعنى :

عقيدتنا أن ليس مثل صفاته ولا ذاته شيء عقيدة سائب
نسلم آيات الصفات بأسرها وأخبارها الظاهر المتقارب
ونؤمن عنها كنه فهم عقولنا وتأويلنا فعل اللبيب المغالب
ونركب للتسليم سفنا فاتنا لتسليم دين المرء خير المراكب

(المذهب الثاني) وهو قول جمهور علماء المتكلمين وذلك أنه أجمع جميع المتكلمين من العقلاء والمعتبرين من أصحاب النظر على أنه تعالى منزّه عن الجسدي والذهابي وبدل على ذلك أن كل ما يصح عليه الجسدي والذهابي لا يفتك عن الحركة والسكون وما لا يفتك عن المحدث فهو محدث ، والله تعالى منزّه عن ذلك فيستحيل ذلك في حقه تعالى فثبت بذلك أن ظاهر الآية ليس مرادا فلا بد من التأويل على سبيل التخصيص فعلى هذا قيل في معنى الآية هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله الآيات فيكون مجيء الآيات مجيئا لله تعالى على سبيل التضخم لشأن الآيات وقيل معناه إلا أن يأتيهم أمر الله ووجه هذا التأويل أن الله تعالى فسره في آية أخرى فقال هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك فصار هذا الحكم مفسرا لهذا المجهل في هذه الآية وقيل معناه يأتيهم الله بما أوعده من الحساب والعقاب فحذف ما يأتي به فهو لا عليهم إذ لو ذكر ما يأتي به كان أسهل عليهم في باب الوعيد وإذا لم يذكر كان أبلغ وقيل يحتمل أن تكون الفاء بمعنى الباء لأن بعض الحروف يقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بظلال من الغمام والملائكة والمراد العذاب الذي يأتي من الغمام مع الملائكة . قيل معناه ما ينظرون إلا أن يأتيهم قهر الله وعذابه في ظلل من الغمام . فان قلت لم كان إتيان العذاب في الغمام . قلت لأن الغمام مظلة الرحمة ومنه ينزل المطر فإذا نزل منه العذاب كان أعظم وأقظع وهيل إن نزل الغمام علامة لظهور القيامة وأحوالها (وقضى الأمر) أي وجب العذاب وفرغ من الحساب وذلك فصل الله القضاء بين العباد يوم القيامة (وإلى الله ترجع الأمور) أي إلى الله تصير أمور العباد في الآخرة . فان قلت هل كانت ترجع إلى غيره . قلت إن أمور جميع العباد ترجع إليه في الدنيا

وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد وأحمد وإسحاق يقولون فيه وفي أمثاله أمرها كما جاء بلا كيف قال سفيان ابن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتنسيبه قراءته والسكوت عليه ليس لأحد أن يفسره إلا الله تعالى ورسوله . قوله تعالى (وقضى الأمر) أي وجب العذاب وفرغ من الحساب وذلك فصل الله القضاء بالحق بين الخلق يوم القيامة (وإلى الله ترجع الأمور) قرأ ابن عامر وحمة والكسائي ويعقوب يفتح التاء وكسر الجيم وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الجيم . قوله تعالى

(مل بنى إسرائيل) أى سئل يا محمد يهود المدينة (كم آتيناهم) أعطيتناهم آباءهم وأسلافهم (من آية بيته) قرأ أهل الحجاز وقتيبة بتشديد الياء والياء والباقون بتشديد الياء دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا واليد البيضاء وقلق البحر وغيرها وقيل معناه الدلالات التى آتاهم الله فى التوراة والإنجيل على نبوة محمد ^{صلى الله عليه وسلم} (ومن يبدل) يعنى بغير (نعمة الله) كتاب الله وقيل عهد الله وقيل من ينكر الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (١٩٩) من بعد ما جاءته فان الله شديد

والآخرة ولكن المراد من هذا إعلام الخلق إنه محازى على الأعمال بالنواب والعقاب، وجواب آخر وهو أنه لما عبد قوم غيره فى الدنيا أضافوا أفعالهم إلى سواه ثم فإذا كان يوم القيامة وانكشف الغطاء ردوا إلى الله ما أضافوه إلى غيره فى الدنيا. قوله عز وجل (سئل بنى إسرائيل) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أمره أن يسأل يهود المدينة وليس المراد بهذا السؤال العلم بالآيات لأنه كان صلى الله عليه وسلم قد علمها بإعلام الله لياه ولكن المراد بهذا السؤال التفرير والتوبيخ والمبالغة فى الزجر عن الإعراض عن دلائل الله وترك الشكر وقيل المراد بهذا السوال التفرير وتذكير النعم التى أنعم بها على سلفهم (كم آتيناهم من آية بيته) أى من دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا واليد البيضاء وقلق البحر وإنزال المن والسليوى (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته) يعنى بغير الآية التى جاءته من الله لأنها هى سبب الهدى والنجاة من الضلالة وقيل هى صريح الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنهم أنكروها وبدلوها وقيل المراد نعم الله عهده الذى عهد إليهم فلم يفوا به (فان الله شديد العقاب) يعنى لمن بدل نعمة الله. قوله عز وجل (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) نزلت فى مشركى العرب أى جهل وأصحابه لأنهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم فى الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد، وقيل نزلت فى المنافقين عبد الله بن أبى وأصحابه وقيل نزلت فى رؤساء اليهود ويحتمل أنها نزلت فى الكل والمزبن هو الله تعالى بدليل قرأة من قرأ زين بفتح الزاى وذلك أنه لا يمنع أن يكون الله تعالى هو المزبن لهم بما أظهره فى الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة. وخلق الأشياء العجيبة والمناظر الحسنة وإنما فعل ذلك ابتلاء العباد وذلك أنه جعل دار الدنيا ابتلاء وامتحان وركب فى الطباع الميل إلى اللذات وحب الشهوات لأعلى سبيل الاجراء والفسر الذى لا يمكن تركه بل على سبيل التحجب الذى تميل النفس إليه مع إمكان ردها عنه فنظر الخلق إلى الدنيا أكثر من قدرها فأعجبهم حسناتها وزهرتها وزينتها فأحبوها وفتنوا بها وقيل إن المراد من التزيين أنه تعالى أمهلهم فى الدنيا حتى أقبلوا عليها وأحبوها فكان هذا الإمهال هو التزيين وقيل إن المزبن هو الشيطان وغواية الجن والإنس وذلك أنهم زينوا للكفار الحرص على الدنيا وطلبها وقبحوا لهم أمر الآخرة وقيل أوحى لهم أن لا آخرة ليقبلوا على لذات الدنيا وطلب الحرص عليها وهذا التأويل ضعيف لأن قوله تعالى زين الذين كفروا يتناول جميع الكفار فيدخل فيه الشيطان وغواية الجن والإنس وأن كلهم مزبن لهم وهذا المزبن لابد وأن يكون مغايراً لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة (ويسخرون من الذين آمنوا) يعنى أن الكفار يستهزئون بفقراء المؤمنين قال ابن عباس مثل عبد الله ابن مسعود وعمار بن ياسر وصهيب وبلال ونظرائهم وقيل كانوا يقولون انظروا إلى هؤلاء الذين يزعم محمد أنه يغلب بهم (والذين اتقوا) يعنى الفقراء من المؤمنين (فوقهم) أى فوق الكفار (يوم القيامة) لأن الفقراء فى عليين والكفار والمنافقين فى أسفل السافلين (ق) عن حارثة

والباقون بتشديد الياء والياء والباقون بتشديد الياء دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا واليد البيضاء وقلق البحر وغيرها وقيل معناه الدلالات التى آتاهم الله فى التوراة والإنجيل على نبوة محمد ^{صلى الله عليه وسلم} (ومن يبدل) يعنى بغير (نعمة الله) كتاب الله وقيل عهد الله وقيل من ينكر الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (١٩٩) من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب ولكن المراد من هذا إعلام الخلق إنه محازى على الأعمال بالنواب والعقاب، وجواب آخر وهو أنه لما عبد قوم غيره فى الدنيا أضافوا أفعالهم إلى سواه ثم فإذا كان يوم القيامة وانكشف الغطاء ردوا إلى الله ما أضافوه إلى غيره فى الدنيا. قوله عز وجل (سئل بنى إسرائيل) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أمره أن يسأل يهود المدينة وليس المراد بهذا السؤال العلم بالآيات لأنه كان صلى الله عليه وسلم قد علمها بإعلام الله لياه ولكن المراد بهذا السؤال التفرير والتوبيخ والمبالغة فى الزجر عن الإعراض عن دلائل الله وترك الشكر وقيل المراد بهذا السوال التفرير وتذكير النعم التى أنعم بها على سلفهم (كم آتيناهم من آية بيته) أى من دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا واليد البيضاء وقلق البحر وإنزال المن والسليوى (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته) يعنى بغير الآية التى جاءته من الله لأنها هى سبب الهدى والنجاة من الضلالة وقيل هى صريح الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنهم أنكروها وبدلوها وقيل المراد نعم الله عهده الذى عهد إليهم فلم يفوا به (فان الله شديد العقاب) يعنى لمن بدل نعمة الله. قوله عز وجل (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) نزلت فى مشركى العرب أى جهل وأصحابه لأنهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم فى الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد، وقيل نزلت فى رؤساء اليهود ويحتمل أنها نزلت فى الكل والمزبن هو الله تعالى بدليل قرأة من قرأ زين بفتح الزاى وذلك أنه لا يمنع أن يكون الله تعالى هو المزبن لهم بما أظهره فى الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة. وخلق الأشياء العجيبة والمناظر الحسنة وإنما فعل ذلك ابتلاء العباد وذلك أنه جعل دار الدنيا ابتلاء وامتحان وركب فى الطباع الميل إلى اللذات وحب الشهوات لأعلى سبيل الاجراء والفسر الذى لا يمكن تركه بل على سبيل التحجب الذى تميل النفس إليه مع إمكان ردها عنه فنظر الخلق إلى الدنيا أكثر من قدرها فأعجبهم حسناتها وزهرتها وزينتها فأحبوها وفتنوا بها وقيل إن المراد من التزيين أنه تعالى أمهلهم فى الدنيا حتى أقبلوا عليها وأحبوها فكان هذا الإمهال هو التزيين وقيل إن المزبن هو الشيطان وغواية الجن والإنس وذلك أنهم زينوا للكفار الحرص على الدنيا وطلبها وقبحوا لهم أمر الآخرة وقيل أوحى لهم أن لا آخرة ليقبلوا على لذات الدنيا وطلب الحرص عليها وهذا التأويل ضعيف لأن قوله تعالى زين الذين كفروا يتناول جميع الكفار فيدخل فيه الشيطان وغواية الجن والإنس وأن كلهم مزبن لهم وهذا المزبن لابد وأن يكون مغايراً لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة (ويسخرون من الذين آمنوا) يعنى أن الكفار يستهزئون بفقراء المؤمنين قال ابن عباس مثل عبد الله ابن مسعود وعمار بن ياسر وصهيب وبلال ونظرائهم وقيل كانوا يقولون انظروا إلى هؤلاء الذين يزعم محمد أنه يغلب بهم (والذين اتقوا) يعنى الفقراء من المؤمنين (فوقهم) أى فوق الكفار (يوم القيامة) لأن الفقراء فى عليين والكفار والمنافقين فى أسفل السافلين (ق) عن حارثة

ويقولون انظروا إلى هؤلاء الذين يزعم محمد أنه يغلب بهم وقال عطاء نزلت فى رؤساء اليهود من بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع سخروا من فقراء المهاجرين فوعدهم الله أن يعطيهم أموال بنى قريظة والنضير بغير قتال ويسخرون من الذين آمنوا لفقروهم (والذين اتقوا) يعنى هؤلاء الفقراء (فوقهم يوم القيامة) لأنهم فى أعلى عليين وهم فى أسفل السافلين. أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهرى أخبرنا جدى عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أخبرنا أبو بكر محمد بن زكريا

العذاهرى أخبرنا إسحاق الديري أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: وقفت على باب الجنة فرأيت أكثر أهلها المساكين ووقفت على باب النار فرأيت أكثر أهلها النساء وإذا أهل الجحيم محبوسون إلا من كان منهم من أهل النار فقد أمر به إلى النار. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي (٢٠٠) أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل ثنا إسحاق بن إبراهيم

حدثني عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن مهمل بن سعد الساعدي أنه قال مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس ما رأيك في هذا فقال رجل من أشرف الناس هذا والله حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع قال فنكح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيك في هذا فقال يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حري إن خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يسمع لقوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملء الأرض مثل هذا (والله يرزق من يشاء بغير حساب) قال ابن عباس يعني كثير غيره مقدار لأن كل ما دخل

ابن وهب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف أو أقمم على الله لأبوه ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ جعظري مستكبر العتل الفظ الغليظ الشديد في الخصومة الذي لا يبتعد عن الجواظ الفاجر الخنثى في مشيته وقيل هو القصر البطين والجعظري الفظ الغليظ وقيل هو الذي يتمدح بما ليس فيه أو عنده (ق) عن أسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجحيم محبوسون غير أن أصحاب النار قد أمرهم إلى النار وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء الجحيم بمتع الجحيم هو الحظ والغنى وكثرة المال (والله يرزق من يشاء بغير حساب) قال ابن عباس يعطى كثيرا بغير مقدار لأن كل ما يدخل عليه الحساب فهو قليل والمعنى أنه يوسع لمن يشاء من عباده وقيل يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة وقيل معناه أنه يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب وقيل معناه أنه يرزقه بغير استحقاق وقيل معناه أنه تعالى لا يخاف نقاد ما في خزائنه حتى يحتاج إلى حساب لما يخرج منها لأن الحساب إنما يكون ليعلم قدر ما يعطى والله غني عالم بما يعطى ولا يخاف نقاد خزائنه لأنها بين الكفاف والنون وقيل معناه إن الله يقتر الرزق على ما يشاء ويبسط الرزق لمن يشاء ولا يعطى كل واحد على قدر حاجته بل يعطى الكثير لمن لا يحتاج إليه ولا معارض له في حكمه ويحاسب فيما رزق ولا يقال له لم أعطيت هذا وحرمت هذا ولا لم أعطيت هذا أكثر من ذلك لأنه تعالى لا شريك له في ملكه ينازعه ولا يسأل عما يفعل . وقيل يحتمل أن يكون المراد منه ما يعطى الله المتقين في الآخرة من الثواب والكرامة بغير محاسبة منه لهم على ما من به عليهم وذلك أن نعيم الجنة لا نقاد له ولا انقطاع وقيل إنه تعالى يعطى أهل الجنة الثواب والأجر بقدر أعمالهم ثم يتفضل عليهم فذلك الفضل منه إليهم بغير حساب قوله عز وجل (كان الناس أمة واحدة) أي على دين واحد قيل هو آدم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد إلى أن قتل قابيل هايل فاختلفوا وقيل كان الناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من وقت آدم إلى مبعث نوح ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وهو أول رسول بعث ثم بعث بعده الرسل وقيل هم أهل السيفينة الذين كانوا مع نوح وكانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاته وقيل إن العرب كانت على دين إبراهيم عليه السلام إلى أن غيره عمرو بن لحي وقيل كانت الناس أمة واحدة حين أخرجوا من ظهر آدم لأخذ الميثاق فقال ألسنت بربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا أمة واحدة غير ذلك اليوم ثم لما ظهروا إلى الوجود اختلفوا بسبب البغي والحسد وقيل إن آدم وحده كان أمة واحدة يعني إماما وقنوة يقتدى به وإنما ظهر الاختلاف بعده وقيل كان الناس أمة واحدة على الكفر والباطل بدليل قوله فبعث الله النبيين عليه الحساب فهو قليل يريد يوسع على من يشاء ويبسط لمن يشاء من عباده وقال الضحاك يعني من غير قبة فإن يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة وقيل هذا يرجع إلى الله معناه يقتر على من يشاء ويبسط لمن يشاء ولا يعطى لكل أحد بقدر حاجته بل يعطى الكثير من لا يحتاج إليه ولا يعطى القليل من يحتاج إليه فلا يعترض عليه ولا يحاسب فيما رزق ولا يقال لم أعطيت هذا وحرمت هذا ولم أعطيت هذا أكثر مما أعطيت ذلك وقيل معناه لا يخاف نقاد خزائنه فيحتاج إلى حساب ما يخرج منها لأن الحساب من العطي إنما يكون بما يخاف من نقاد خزائنه فيحتاج إلى حساب على دين واحد

فإن يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة وقيل هذا يرجع إلى الله معناه يقتر على من يشاء ويبسط لمن يشاء ولا يعطى لكل أحد بقدر حاجته بل يعطى الكثير من لا يحتاج إليه ولا يعطى القليل من يحتاج إليه فلا يعترض عليه ولا يحاسب فيما رزق ولا يقال لم أعطيت هذا وحرمت هذا ولم أعطيت هذا أكثر مما أعطيت ذلك وقيل معناه لا يخاف نقاد خزائنه فيحتاج إلى حساب ما يخرج منها لأن الحساب من العطي إنما يكون بما يخاف من نقاد خزائنه فيحتاج إلى حساب على دين واحد

قال مجاهد أراد آدم وحده كان أمة واحدة قال منى الواحد بلفظ الجمع لأنه أصل النسل وأبو البشر ثم خلق الله تعالى منه حواء ونشر منهما الناس فانتشروا وكانوا مسلمين إلى أن قتل قابيل هابيل فاختلفوا (فبعث الله النبيين) قال الحسن وعطاء مكان الناس من وقت وفاة آدم إلى مبعث نوح أمة واحدة على ملة الكثرة أمثال البهائم فبعث الله نوحا وغيره من النبيين وقال قتادة وعكرمة كان الناس من وقت آدم إلى مبعث نوح وكان بينهم عشرة قرون كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى ثم اختلفوا في زمن نوح فبعث الله إليهم نوحا فكان أول نبي بعث ثم بعث بعده النبيين ، وقال الكلبي هم أهل سقاية نوح كانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاة نوح وروى عن ابن عباس قال كان الناس على عهد إبراهيم عليه السلام أمة واحدة كفارا كلهم فبعث الله إبراهيم وغيره من النبيين وقيل كان العرب على دين إبراهيم إلى (٢٠١) أن غيره عمرو بن لحي لعنة

فان قيل ليس قد كان فيهم من هو مسلم نحو هابيل وشيث وإدريس ونحوهم . فالجواب أن الغالب في ذلك الزمان كان الكفر والحكم للغالب وقيل إن الآية دللت على أن الناس كانوا أمة واحدة وليس فيها ما يدل على أنهم كانوا على إيمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج (فبعث الله النبيين) وجملتهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر المذكورون منهم في القرآن بأسماء الأعلام ثمانية وعشرون نبيا (مبشرين) بالوهاب لمن آمن وأطاع (ومنذرين) يعني مخوفين بالعقاب لمن كفر وعصى وإنما قدم البشارة على الإنذار لأن البشارة تجري مجرى حفظ الصحة للإبدان والإنذار يجري مجرى إزالة المرض ولا شك أن المقصود هو الأول فكان أولى بالتقديم (وأُنزل معهم الكتاب) أي الكتب أو يكون التقدير وأنزل مع كل واحد الكتاب (بالحق) أي بالعدل والصدق وجملة الكتب المنزلة من السماء مائة وأربعة كتب أنزل على آدم عشر صحائف وعلى شيث ثلاثون وعلى إدريس خمسون وعلى موسى عشر صحائف والتوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى الإنجيل وعلى محمد ﷺ وعليهم القرآن (ليحكم بين الناس) يعني الكتاب وإنما أضيف الحكم إلى الكتاب وإن كان الحاكم هو الله تعالى لأنه أنزله والمعنى ليحكم الله بالكتاب الذي أنزله وقيل معناه ليحكم بين الناس كل نبي بكتابه المنزل عليه فاستاد الحكم إلى الكتاب أو للنبي مجاز والله هو الحاكم في الحقيقة (فما اختلفوا فيه) أي في الحق الذي اختلفوا فيه من بعد ما كانوا متفقين عليه (وما اختلف فيه) أي في الحق (إلا الذين أوتوه) أي أعطوا الكتاب والمراد به التوراة والإنجيل والذين أوتوه اليهود والنصارى واختلفهم هو تكثير بعضهم بعضا بغيا وحسدا وقيل اختلفهم هو تحريفهم وتبديلهم وقيل الكتابة فيمراجعة إلى محمد ﷺ والمعنى وما اختلف في أمر محمد صلى الله عليه وسلم بعد وضوح الدلالات على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم إلا اليهود الذين أوتوا الكتاب بغيا منهم وحسدا (من بعد ما جاءتهم البينات) أي الدلالات الواضحات على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (بغيا بينهم) أي إنهم لم يبق لهم غير في العناد عنه وترك ما جاء به وإنما تركوا إتياعه بغيا

(٢٦ - خازن بالغوي - أول) مع كل واحد منهم الكتاب (بالحق) بالعدل والصدق (ليحكم بين الناس) قرأ أبو جعفر ليحكم بضم الياء وفتح الكاف ههنا وفي أول آل عمران وفي النور موضعين لأن الكتاب لا يحكم في الحقيقة وإنما يحكم به وقراءة العامة بفتح الياء وضم الكاف أي ليحكم الكتاب ذكره على سعة الكلام كقوله تعالى «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق» وقيل معناه ليحكم كل نبي بكتابه (فما اختلفوا فيه وما اختلف فيه) أي في الكتاب (إلا الذين أوتوه) أي أعطوا الكتاب (من بعد ما جاءتهم البينات) يعني أحكام التوراة والإنجيل قال القراء واختلفهم معنيين أحدهما كفر بعضهم بكتاب بعض قال الله تعالى «ويقولون تؤمن ببعض ونكفر ببعض» والآخر تحريفهم كتاب الله قال الله «يحرفون الكلم عن مواضعه» وقيل الآية راجعة إلى محمد ﷺ وكتابه اختلف فيه أهل الكتاب من بعد ما جاءتهم البينات صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، في كتبهم (بغيا) ظلما وحسدا (بينهم)

فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه (أي إلى ما اختلفوا فيه) من الحق بأذنه) بعلمه وإرادته فيهم . قال ابن زيد في هذه الآية اختلفوا في القبلة فمنهم من يصلي إلى المشرق ومنهم من يصلي إلى المغرب ومنهم من يصلي إلى بيت المقدس فهذانا الله إلى الكعبة . واختلفوا في الصيام فهذانا الله لشهر رمضان . واختلفوا في الأيام فأخذت اليهود السبت والنصارى الأحد فهذانا الله للجمعة . واختلفوا في إبراهيم (٢٠٢) عليه السلام فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان

نصرانيا فهذانا الله للحق من ذلك واختلفوا في عيسى فجعلته اليهود القرية وجعلته النصارى لها وهذانا الله للحق فيه (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) قوله تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) قال قتادة والسدي: نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وأنواع الأذى كما قال الله تعالى « وبلغت القلوب الحناجر » وقيل نزلت في حرب أحد وقال عطاء لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة اشتد عليهم الضر لأنهم خرجوا بلامال وتركوا ديارهم وأمواهم بأيدي المشركين وآثروا رضا الله ورسوله وأظهرت اليهود العداوة لرسول

وحسدا وهو طلب الدنيا وطلب الرياسة (فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) أي إلى ما اختلفوا فيه (من الحق) والمعنى فهدي الله الذين آمنوا لمعرفة ما اختلفوا فيه من الحق وقيل هو من المقلوب والمعنى فهدي الله الذين آمنوا للحق الذي اختلفوا فيه وكان اختلافهم الذي اختلفوا فيه الجمعة فهدي الله تعالى هذه الأمة الإسلامية إليها (ف) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نحن الآخرون السابقون يقوم القيامة أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناها من بعدهم فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهذانا الله فعدا اليهود وبعد غد للنصارى » وفي رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ونحن الآخرون السابقون يريد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهذانا الله له زاد الناس في معنى يوم الجمعة ثم انتقفا الناس لتابع اليهود غدا والنصارى بعد غد (م) عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أصل الله عن يوم الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهذانا اليوم الجمعة فجعل الله الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا الأولون يوم القيامة المقضى لهم يوم القيامة قبل الخلائق وقيل اختلفوا في شأن القبلة فصلى اليهود نحو المغرب إلى بيت المقدس وصلت النصارى إلى المشرق وهذانا الله إلى الكعبة وقيل اختلفوا في الصيام فهذانا الله لشهر رمضان واختلفوا في إبراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهذانا الله إلى الحق فقلنا كان حنيفا مسلما واختلفوا في عيسى بن مريم فاليهود فرطوا فيه والنصارى أفرطوا فيه فهذانا الله في ذلك كله للحق والمعنى فهدي الله الذين آمنوا إلى الحق الذي اختلف فيه من اختلف (بأذنه) يعني بعلمه وأمره وإرادته (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) قوله عز وجل (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) نزلت في غزوة الأحزاب وهي غزوة الخندق وذلك أن المسلمين أصابهم ما أصابهم من الجهد والشدة والخوف والبرد وضيق العيش الذي كانوا فيه يومئذ . وقيل نزلت في غزوة أحد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة في أول الهجرة اشتد عليهم الضر لأنهم خرجوا بلامال وتركوا أمواهم وديارهم بأيدي المشركين وآثروا رضا الله ورسوله وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآثروا قوم النفاق فأزل الله هذه الآية تطيبيا لقلوبهم ومعنى الآية أحسبتم والميم صلة وقيل هل حسبتم والمعنى أظنتم أي المؤمنون أن تدخلوا الجنة بمجرد الإيمان ولم يصبكم مثل ما أصاب من كان قبلكم من إتيان الأنبياء والرسول من الشدائد والمحن والابتلاء والاختبار وهو قوله (ولما يأتيكم مثل الذين خلوا من قبلكم) أي شبه الذين مضوا قبلكم من النبيين وأتباعهم من المؤمنين ومثل محنتهم (مستهم البأساء) أي أصابهم الفقر والشدة والمسكنة وهو اسم من البؤس (والضراء) يعني المرض والزمانة وضروب الخوف (وزلزلوا) أي حركوا بأنواع البلايا والرزايا وأصل

الزلزلة

الله صلى الله عليه وسلم وأسر قوم النفاق

فأزل الله تعالى تطيبيا لقلوبهم « أم حسبتم معناه حسبتم والميم صلة قاله الفراء وقال الزجاج بل حسبتم ومعنى الآية أظنتم أي المؤمنون أن تدخلوا الجنة (ولما يأتيكم) أي ولم يأتيكم وما صلة (مثل الذين خلوا) شبه الذين مضوا (من قبلكم) من النبيين والمؤمنين (مستهم البأساء) الفقر والشدة والبلاء (والضراء) المرض والزمانة (وزلزلوا) أي حركوا بأنواع البلايا والرزايا وخوفوا

(حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه منى نصر الله) ما زال البلاء بهم حتى استبطوا النصر قال الله تعالى (ألا إن نصر الله قريب)
 فأنا نافع حتى يقول الرسول بالرفع معناه حتى قال الرسول وإذا كان الفعل الذي يلي حتى في معنى الماضي ولفظه لفظ المستقبل
 فلك فيه الوجهان الرفع والنصب فالنصب على ظاهر الكلام لأن حتى (٢٠٣) تنصب الفعل المستقبل والرفع

لأن معناه للماضي وحتى
 لا تعمل في الماضي قوله
 تعالى (يستلونك ماذا
 ينفقون) نزلت في عمرو
 ابن الجوح وكان شيخا
 كبيرا ذا مال فقال
 يا رسول الله بماذا تنصدق
 وعلى من نفق فأترل الله
 تعالى « يسألونك ماذا
 ينفقون » وفي قوله ماذا
 وجهان من الإعراب
 أحدهما أن يكون محله
 نصبا بقوله ينفقون
 تقديره أى شئ ينفقون
 والآخر أن يكون رفعا
 بما ومعناه ما الذى ينفقون
 (قل ما أنفقتم من خير)
 أى من مال (فلاوالدين
 والأقربين واليتامى
 والمساكين وابن السبيل
 وما تفعلوا من خير فإن
 الله به عليم) يجازيكم
 به قال أهل التفسير كان
 هذا قبل فرض الزكاة
 فنسخت بالزكاة قوله
 تعالى (كتب عليكم
 القتال) أى فرض عليكم
 الجهاد واختلف العلماء
 في حكم هذه الآية فقال
 عطاء الجهاد تطوع والمراد
 من الآية أصحاب رسول

الزكاة والحركة وذلك لأن الخائف لا يستقر بل لا يزال بضطرب ويتحرك لقلقه (حتى يقول الرسول
 والذين آمنوا معه منى نصر الله) وذلك لأن الرسل أنهت من غيرهم وأصبر وأضبط للنفس عند
 زول البلاء وكذا أتباعهم من المؤمنين والمعنى أنه بلغ بهم الجهد والشدة والبلاء ولم يبق لهم صبر
 وذلك هو الغاية القصوى في الشدة فلما بلغ بهم الحال في الشدة إلى هذه الغاية واستبطوا النصر
 قيل لهم (ألا إن نصر الله قريب) إجابة لهم في طلبهم والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول
 البلاء والشدة عن دينهم إلى أن يأتيهم نصر الله فكفوا بامعشر المؤمنين كذلك وتحملوا الأذى
 والشدة والمشقة في طلب الحق فان نصر الله قريب (خ) عن حباب بن الأرت قال شكونا إلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برده له في ظل الكعبة فقلنا ألا تنتصر لنا ألا تدعو
 لنا فقال « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمشار
 فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه وعظمه ما يصدده ذلك
 عن دينه والله ليشن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا
 الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » قوله عز وجل (يستلونك ماذا ينفقون) نزلت
 في عمرو بن الجوح وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال يا رسول الله بماذا تنصدق وعلى من نفق
 فأترل الله تعالى يسألونك ماذا ينفقون (قل ما أنفقتم من خير) أى مال والمعنى وما تفعلوا من
 إنفاق شئ من المال قل أو كثر (فلاوالدين) وإنما قدم الإنفاق على الوالدين لوجوب حقهما
 على الولد لأنهما كانا السبب في إخراجهم من العدم إلى الوجود (والأقربين) وإنما ذكر بعد
 الوالدين الأقربين لأن الإنسان لا يقدر أن يقوم بمصالح جميع الفقراء فتقديم القرابة أولى من
 غيرهم (واليتامى) وإنما ذكر بعد الأقربين اليتامى لصغرهم ولأنهم لا يقدرون على اكتساب
 ولا لهم أحد يتفق عليهم (والمساكين) وإنما أخرجهم لأن حاجتهم أقل من حاجة غيرهم (وابن
 السبيل) يعنى المسافر فإنه بسبب انقطاعه عن بلده قد يقع في الحاجة والفقر فانظر إلى هذا
 الترتيب الحسن العجيب في كيفية الإنفاق . ثم لما فصل الله هذا التفصيل الحسن الكامل أتبعه
 بالإجمال فقال تعالى (وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم) وما تفعلوا من خير مع هؤلاء أو غيرهم
 طلبا لوجه الله تعالى ورضوانه فان الله به عليم فيجازيكم عليه وذكر علماء التفسير أن هذه الآية
 منسوخة قال ابن مسعود نسختها آية الزكاة وقال الحسن إنها حكمة ووجه لإحكامها أن الله ذكر فيها
 من نجب النفقة عليهم فقره وهما الوالدان وقال ابن زيد هذا في النفل وهو ظاهر الآية فمن أحب
 التقرب إلى الله تعالى بالإنتفاق فالأولى به أن يتفق في الوجوه المذكورة في الآية فيقدم الأول فالأول .
 (بقى في الآية سؤال : وهو أنه كيف طابق السؤال الجواب وهو أنهم سألوا عن بيان ما يتفق
 فأجيبوا ببيان المصروف وأجيب عن هذا السؤال بأنه قد تضمن قوله ما أنفقتم من خير بيان
 ما يتفقونه وهو المال ثم ضم إلى جواب السؤال ما يكمل به المقصود وهو بيان المصروف لأن
 النفقة لا تعد نفقة إلا أن تنفق موقعا قال الشاعر :

إن الصنعة لا تعد صنعة حتى يصاب بها طريق المصنع
 قوله عز وجل (كتب عليكم القتال) أى فرض عليكم الجهاد . واختلف العلماء في حكم

الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم وإليه ذهب الثوري واحتج من ذهب إلى هذا بقوله تعالى « فضل الله المجاهدين بأموالهم
 وأنفسهم على القاعدن درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعد تاركا فرضا لم يكن بعده الحسنى وجرى بعضهم على
 ظاهر الآية وقال الجهاد فرض على كافة المسلمين إلى قيام الساعة ، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي الخوارزمي

أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبي القرائي . أخبرنا أبو الميثم بن كليب أخبرنا أحمد ابن حازم بن أبي غرزة أخبرنا سعيد (٢٠٤) بن عثمان العبدي عن عمرو بن محمد بن المشكك عن سمي عن أبي صالح

الآية فقال عطاء الجهاد تطوع والمراد من الآية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم وإليه ذهب الثوري وحكى عن الأوزاعي نحوه وحجة هذا القول أن قوله كتب يقتضى الإيجاب ويكفى العمل به مرة واحدة وحجة من أوجه على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قوله عليكم يقتضى تخصيص هذا الخطاب بالموجودين في ذلك الوقت وقيل بل الآية على ظاهرها والجهاد فرض على كل مسلم ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم والجهاد واجب عليكم مع كل أمير براكبان أو فاجرا . أخرجه أبو داود بزيادة فيه (ق) عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ يوم الفتح بعد الفتح ولكن جهادونية وإذا استنفرتم فأنفروا وقيل إن الجهاد فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط الفرض عن الباقين وهذا القول هو المختار الذي عليه جمهور العلماء قال الزهري كتب الله القتال على الناس جاهلوا أو لم يجاهدوا فمن غزا فيها ونعمت ومن قعد فهو عدة إن استعين به أعان وإن استنفرتم وإن استغنى عنه قعد قال الله تعالى وفضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة وكلا وعد الله الحسنى . ولو كان القاعد قار كما فرضنا لم يعده بالحسنى واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على ثلاثة أقوال : أحدها أنها محكمة ناسخة للعقود عن المشركين القول الثاني أنها منسوخة لأن فيها وجوب الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة القول الثالث أنها ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه فالناسخ منها إيجاب الجهاد مع المشركين بعد المنع منه والمنسوخ إيجاب الجهاد على الكافة . وقوله تعالى (وهو كره لكم) أى القتال شاق عليكم وهذا الكره إنما حصل من حيث نفور الطبع عن القتال لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح والخوف لأنهم كرهوا أمر الله قبل أن يفرض عليهم لما فيه من الخوف والشدة وكثرة الأعداء فبين الله تعالى أن الذين تكروهون من القتال هو خير لكم من تركه لئلا يكروهونه بعد أن فرض عليهم (وعسى أن تنكروا شيئا وهو خير لكم) لفظة عسى توهم الشك مثل لعل وهى من الله يقين وقيل إنها كلمة مطمعة فهى لا تدل على حصول الشك للقاتل وتدل على حصول الشك للمستمع والمعنى أن الغزو فيه إحدى الحسنيين إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والجنة وقيل ربما كان الشىء شاقا في الحال وهو سبب المنافع الجليلة في المستقبل ومثل شرب الدواء المر فإنه ينفع عن الطبع في الحال ويكرهه لكن يتحمل هذه الكراهة والمشقة لترقع حصول الصحة في المستقبل (وعسى أن تحبوا شيئا) يعنى القعود عن الغزو (وهو شر لكم) يعنى لما فيه من فوات الغنيمة والأجر وطمع العدو فيكم لأنه إذا علم ميلكم إلى الراحة والدعة والسكون قصد بلادكم وحاول قتالكم وإذا علم أن فيكم شهامة وجلادة على القتال كف عنكم (والله يعلم) يعنى ما في الجهاد من الغنيمة والأجر والخير (وأنتم لا تعلمون) يعنى ذلك والمعنى أن العبد إذا علم قصور علمه وكمال علم الله ثم إن الله تعالى أمره بأمر كان ذلك الأمر فيه مصلحة عظيمة فيجب على العبد امتثال أمر الله تعالى وإن كان يشق على النفس في الحال . قوله عز وجل (يستلوثك عن الشهر الحرام قتال فيه) سبب نزول

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق . وقال قوم وعليه الجمهور إن الجهاد فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين مثل صلاة الجنازة ورد السلام قال الزهري والأوزاعي كتب الله الجهاد على الناس غزوا أو قعدوا فمن غزا فيها ونعمت ومن قعد فهو عدة إن استعين به أعان وإن استنفرتم وإن استغنى عنه قعد . قوله تعالى (وهو كره لكم) أى شاق عليكم قال بعض أهل المعاني هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح لأنهم كرهوا أمر الله تعالى وقال عكرمة نسخها قوله تعالى ومنعنا وأطعنا يعنى أنهم كرهوا ثم أحبوه فقالوا سمعنا وأطعنا قال الله تعالى (وعسى أن تنكروا شيئا وهو خير لكم) لأن في الغزو إحدى الحسنيين إما الظفر والغنيمة وإما

الشهادة والجنة (وعسى أن تحبوا شيئا) يعنى القعود عن الغزو (وهو شر لكم) لما فيه من فوات الغنيمة والأجر هذه (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) قوله تعالى (يستلوثك عن الشهر الحرام قتال فيه) سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ

بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمه النبي صلى الله عليه وسلم أخت أبيه في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين على رأس
سبعة عشر شهرا من مقدمه إلى المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين (٣٠٥) سعد بن أبي وقاص الزهري

وعكاشة بن محصن
الأسدي وعتبة بن غزوان
السلمي وأبا حذيفة بن
عتبة بن ربيعة وسهيل
ابن يضام وعامر بن ربيعة
وواقد بن عبدالله وخالد
ابن بكر وكتب لأمرهم
عبدالله بن جحش كتابا
وقال له سر على اسم
الله ولا تنظر في الكتاب
حتى تسير يومين فإذا
نزلت فافتح الكتاب
واقراء على أصحابك ثم
امض لما أمرتك ولا
تستكرهن أحدا من
أصحابك على السير معك
فسار عبد الله يومين
ثم نزل وفتح الكتاب
فإذا فيه بسم الله الرحمن
الرحيم أما بعد فسر على
بركة الله بمن تبعك من
أصحابك حتى تنزل بطن
نخلة فرصد بها عير
قريش لعلك تأتينا منه
بخبر فلما نظروا في الكتاب
قال سمعا وطاعة ، ثم
قال لأصحابه ذلك وقال
إنه نهاني أن أستكره أحدا
منكم فمن كان يريد
الشهادة فليطلق ومن
كره فليرجع ثم مضى
ومضى معه أصحابه لم
يتخلف عنه منهم أحد

هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمته في سرية
في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين وأمره على السرية وكتب له كتابا وقال سر على اسم
الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فإذا نزلت فافتح الكتاب فاقرأه على أصحابك ثم امض
لما أمرتك به ولا تستكرهن أحدا منهم على السير معك فصار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب
فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فسر على بركة الله تعالى بمن معك من أصحابك حتى تنزل
بطن نخلة فرصد بها عيرا لقريش لعلك تأتينا منها بخبر فقال سمعا وطاعة ثم قال لأصحابه ذلك وقال
أنه نهاني أن أستكره أحدا منكم فمن كان يريد الشهادة فليطلق ومن كان يكره فليرجع ثم مضى
ومضى أصحابه معه وكانوا ثمانية رهط ولم يتخلف عنه أحد منهم حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع
بموضع من الحجاز يقال له نجران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا
يعتقانه فتحلفا في طلبه ومضى عبد الله ببقية أصحابه حتى نزل في بطن نخلة بين مكة والطائف
فبينما هم كذلك إذ مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وأدما ونجارة من نجارة الطائف وفي العير
عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعمان بن عبدالله بن المغيرة ونوفل بن عبدالله بن الحزوميان
فلما رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فقال عبد الله بن
جحش إن القوم قد ذعروا منكم فاحلوا رأس رجل منكم وليتعرض لهم فإذا رأوه محلوقا أمئوا
نحلوا وأرأس عكاشة بن محصن ثم أشرف عليهم فلما رأوه آمنوا وقالوا قوم عمار فلا بأس علينا
وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون أنه من رجب فتشاور القوم فيهم وقالوا
مضى تركتوهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليتبعن منكم فأجمعوا أمرهم في مواجعة القوم فرمى
واقد بن عبدالله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله فكان أول قتيل من المشركين وأمر الحكم
ابن كيسان وعمان وكانا أول أسيرين في الإسلام وأقلت نوفل فأعجزهم واستاق المسلمون العير
والأسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر
الحرام وسفك الدماء وأخذ الخراب يعني المال وعير بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين
وقالوا يا معشر الصباة استحلتم الشهر الحرام وقانتم فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لعبد الله بن جحش وأصحابه ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والأسيرين
وأبي أن يأخذ شيئا من ذلك وعنف المسلمون أصحاب السرية فيما صنعوا وقالوا لم صنعتم ما لم تؤمروا
به فعظام ذلك على أصحاب السرية وظنوا أنهم قد هلكوا وسقط في أيديهم وقالوا يا رسول الله
إنا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا هلال رجب فلا ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى
وأكثر الناس في ذلك فأنزل الله هذه الآية فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل
منها الخمس وكان أول خمس في الإسلام وأول غنيمة قدمت فقسم الباقي على أصحاب السرية
وبعث أهل مكة في فداء أسيرهم فقال بل نبقيهما حتى يقدم سعد وعتبة وإن لم يقدما قتلناهما
بهما فلما قدما فاداهما فأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة
فقتل يوم بدر معونة شهيدا وأما عمان بن عبد الله فرجع إلى مكة فمات بها كافرا وأما نوفل
فضرب بطن فرسه يوم الأحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا

حتى كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له نجران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما يعتقانه
فتحلفا في طلبه ومضى ببقية أصحابه حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك إذ مرت عير لقريش تحمل زبيبا

وأدما وتجارة من تجارة الطائف فهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله الخزوميان فلما رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم فقال عبد الله بن جحش إن القوم قد دعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم وليتعرض لهم فحلقوا رأس عكاشة ثم أشرفوا عليهم فقالوا قوم عمار لا بأس عليكم فأتوهم وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون أنه من جمادى وهو من رجب فلتشاور القوم وقالوا لن تركتوهم الليلة ليدخلن الحرم فليمتعن منكم فأجمعوا أمرهم في موافقة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو ابن الحضرمي بسهم فقتله فكان أول قتيل من المشركين وهو أول قتيل في الحجرة وأدى النبي صلى الله عليه وسلم دية ابن الحضرمي إلى ورثته من قريش قال مجاهد وغيره لأنه كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش عهد وادع أهل مكة سنتين أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه واستأسر الحكم وعثمان فكانا أول أسيرين في الإسلام وأفلت نوفل فأخزجه واستاق المؤمنون العير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر

(٢٠٦)

الحرام فسفك فيه الدماء وأخذ الحراب وعبر بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحلتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لابن جحش وأصحابه ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ شيئا من ذلك فعظم ذلك على أصحاب السرية وظنوا أن قد هلكوا وسقط في أيديهم وقالوا يا رسول الله إننا قد قتلنا ابن الحضرمي

وقتل الله قطب المشركون جيئته باليمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية وأما تفسير الآية فقوله تعالى «يسألونك» يعني يا محمد عن الشهر الحرام يعني رجبا وسمى بذلك لتحريم القتال فيه وفي السائلين رسول الله صلى الله عليه وسلم قولان أحدهما أنهم المسلمون سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أخطأوا أم أصابوا وقيل إن المسلمين كانوا يعلمون أن القتال في الحرم وفي الشهر الحرام لا يحل فلما كتب عليهم القتال سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال في الشهر الحرام فنزلت هذه الآية والقول الثاني أن السائلين هم المشركون وإنما سألوه على وجه العيب على المسلمين فنزلت هذه الآية يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه (قل) أي قل لهم يا محمد (قتال فيه كبير) أي عظيم مستكبر واختلف العلماء في حكم هذه الآية على قولين أحدهما أنها محكمة وأنه لا يجوز الغزو في الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا فيه فيقاتلوا على سبيل الدفع روى عن عطاء أنه كان يخلف بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الشهر الحرام ولأن يقاتلوا فيه وما نسخت والقول الثاني الذي عليه جمهور العلماء وهو الصحيح أنها منسوخة قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار القتال جائز في الشهر الحرام وهذه الآية منسوخة بقوله «أقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» ويتولوه وقاتلوا المشركين كافة ويعني في الأشهر الحرم وغيرها (وصد عن سبيل الله) هذا ابتداء كلام والمعنى وصدكم المسلمين عن الحج أو وصدكم عن الإسلام من يريد (وكفر به) أي بالله (والمسجد الحرام) أي وصدكم عن المسجد الحرام (وأخرج أهله منه) يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حين أذوهم حتى هاجروا وتركوا مكة وإنما جعلهم الله أهله لأنهم كانوا هم القائمين بحقوق المسجد الحرام دون المشركين (أكبر عند الله) أي أعظم وزرا عند الله من القتال في الشهر الحرام (والفتنة)

ثم أمسينا فنظرنا إلى هلال رجب فلا نرى أفي رجب أصبناه أم في جمادى وأكثر الناس في ذلك فأرسل أي الله تعالى هاه الآية فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس فكان أول خمس في الإسلام وقسم الباقي بين أصحاب السرية فكان أول غنيمة في الإسلام وبعث أهل مكة في فداء أسيرهم فقال بل نبيهما حتى يقدم سعد وعقبة وإن لم يقمعا قتلناهما بهما فلما قدما فاداما فأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بدر معونة شهبدا وأما عثمان بن عبد الله فرجع إلى مكة فمات بها كافرا وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الأحزاب ليدخل الخندق فوق في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا فقتله الله فطلب المشركون جيئته باليمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فإنه خبيث الجيفة حيث الدية فهذا سبب نزول هذه الآية قوله تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام) يعني رجبا وسمى بذلك لتحريم القتال فيه قوله تعالى (قتال فيه) أي عن قتال فيه (قل) يا محمد (قتال فيه كبير) عظيم ثم الكلام هنا ثم ابتداء فقال (وصد عن سبيل الله) وصدكم المسلمين عن الإسلام (وكفر به) أي كفركم بالله (والمسجد الحرام) أي بالمسجد الحرام وقيل وصدكم عن المسجد الحرام (وأخرج أهله) أي إخراج أهل المسجد (منه أكبر) أعظم وزرا (عند الله والفتنة)

أى الشرك الذى أنتم عليه (أكبر من القتل) أى أعظم من قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن أنيس إلى مؤمنى مكة إذا غيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فغيروهم أنتم بالكفر وإخراج رسول الله ﷺ من مكة ومنعهم المسلمين عن البيت الحرام ثم قال (ولا يزالون) يعنى مشركى مكة وهو فعل لامصدر له مثل عمى (بقاتلونكم) يامعشر المؤمنين (حتى يردوكم) يصر فوكم (عن دينكم إن استطاعوا ومن (٢٠٧) برئد منكم عن دينه قيمت

جزم بالنسق (وهو كافر فأولئك حبطت) بطلت (أعمالهم) حسناتهم (في الدنيا والآخرة) وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (قال أصحاب السرية يارسول الله هل نؤجر على وجهنا هذا وهل نطمع أن يكون سفرنا هذا غزوا فأنزل الله تعالى (إن الذين آمنوا والذين هاجروا) فارقوا عشائرهم ومنازلهم وأموالهم (وجاهدوا) المشركين (في سبيل الله) طاعة الله فجعلها جهادا (أولئك يرجون رحمة الله) أخبر أنهم على رجاء الرحمة (والله غفور رحيم) قوله تعالى (يستلونك عن الخمر والميسر) الآية نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وتفر من الأنصار أتوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا يارسول الله افتنا في الخمر والميسر

أى الشرك الذى أنتم عليه (أكبر من القتل) يعنى قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن أنيس وقيل عبد الله بن جحش إلى مؤمنى مكة إن غيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فغيروهم أنتم بالكفر وإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة والمسلمين ومنعهم إياهم من البيت (ولا يزالون) يعنى مشركى مكة (بقاتلونكم) يعنى يامعشر المؤمنين (حتى يردوكم عن دينكم) يعنى إلى دينهم وهو الكفر (إن استطاعوا) يعنى إن قدروا على ذلك وفيه استبعاد لاستطاعتهم فهو كقول الرجل لعبدوه إن ظفرت بى فلا تبقي على وهو واثق أنه لا يظفر به (ومن برئد منكم عن دينه قيمت وهو كافر) يعنى ومن يطاوعهم مشكم فيرجع إلى دينهم قيمت على ردة قبل أن يتوب (فأولئك حبطت أعمالهم) أى بطلت أعمالهم (في الدنيا والآخرة) وهو أن المرتد يقتل وتبين زوجته منه ولا يستحق الميراث من أقاربه المؤمنين ولا ينصر إن استنصر ولا يمدح ولا يثنى عليه ويكون ماله فينا للمسلمين هذا في الدنيا ولا يستحق الثواب على أعماله ويحبط أجرها في الآخرة وظاهر الآية يقتضى أن الارتداد إنما تنفرد عليه الأحكام إذا مات المرتد على الكفر أما إذا أسلم بعد الردة لم يثبت عليه شئ من أحكام الردة وفيه دليل للشافعى أن الردة لا تحبط الأعمال حتى يموت المرتد على ردة وعند أبى حنيفة أن الردة تحبط العمل وإن أسلم (وأولئك أصحاب النار) يعنى الذين ماتوا على الردة والكفر هم أصحاب النار (هم فيها خالدون) أى لا يخرجون منها أبدا (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله) نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه وذلك أن أصحاب السرية قالوا يارسول الله هل نؤجر على وجهنا هذا ونطمع أن يكون لنا غزوا فأنزل الله هذه الآية وعن جندب بن عبد الله قال لما كان من أمر عبد الله بن جحش وأصحابه وأمر ابن الحضرمي ما كان قال بعض المسلمين إن لم يكونوا أصابوا في سفرهم وزرا فليس لهم فيه أجر فأنزل الله هذه الآية إن الذين آمنوا والذين هاجروا أى فارقوا مساكنهم وعشائرهم وأموالهم وفارقوا مساكنة المشركين في أمصارهم ومجاورتهم في ديارهم فتحولوا عن المشركين وعن بلادهم إلى غيرها وجاهدوا يعنى المشركين في سبيل الله أى في طاعة نبي الله فجعل الله لأصحاب هذه السرية جهادا (أولئك يرجون رحمة الله) أى يطمعون في نيل رحمة الله أخبر أنهم على رجاء الرحمة وقيل المراد من الرجاء هنا القطع في أصل الثواب وإنما دخل الظن في كنيته ووقته قال قتادة أثنى الله تعالى على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحسن الثناء فقال (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله) هؤلاء هم خيار هذه الأمة ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون وأنه من رجاء طلب ومن خاف هرب (والله غفور) أى للذنوب عباده (رحيم) بهم والمعنى أنه تعالى غفر لعبد الله بن جحش وأصحابه ما لم يعلموا به قوله عز وجل (يستلونك عن الخمر والميسر)

فإنها منهية للعقل مسلبة لمدالك فأنزل الله هذه الآية وجملة القول في تحريم الخمر على ما قاله المفسرون أن الله تعالى أنزل في الخمر أربع آيات نزلت بمكة وهي ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخادون منه سكرا ورزقا فكان المسكرون يشربونها وهي لهم حلال يومئذ ثم نزلت هذه الآية في مسألة عمر ومعاذ بن جبل (يستلونك عن الخمر والميسر) قل فيها إثم كبير فلهما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ إن الله تقدم في تحريم الخمر فتركها قوم لقوله إثم كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس إلى أن

صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعا ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا وحضرت صلاة المغرب فقدموا بعضهم ليصلي بهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبدوا ما تعبدون هكذا إلى آخر السورة بحذف لا ، فأنزل الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » فحرم السكر في أوقات الصلاة فلما نزلت هذه الآية تركها قوم وقالوا لا خير في شيء (٣٠٨) يحول بيننا وبين الصلاة وتركها قوم في أوقات الصلاة وشربوها في غير

حين الصلاة حتى كان الرجل يشرب بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال عنه السكر ويشرب بعد صلاة الصبح فيصبحوا إذا جاء وقت الظهر واتخذ عتيان بن مالك صنيعا ودعا رجالا من المسلمين فيهم سعد بن أبي وقاص ، وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا منه وشربوا الخمر حتى أخذت منهم ثم إنهم افتخروا عند ذلك والتبسوا وتناشدوا الإشعار ، فأشاد سعد قصيدة فيها جهاء للأنصار وفخر بقومه فأخذ رجل من الأنصار لحي بعير فضرب به رأس سعد فشجه موضحة .

فانطلق سعد إلى رسول الله ﷺ وشكا إليه الأنصاري فقال عمر اللهم بين لنا رأيتك في الخمر بيانا شافيا فأنزل الله تعالى تحريم الخمر في سورة المائدة إلى قوله فهل أنتم مشنون وذلك بعد غزوة

الآية نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الأنصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله أفتنا في الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فأنزل الله هذه الآية وأصل الخمر في اللغة السمر والتغطية وسميت الخمر خمر لأنها تخامر العقل أي تحالطه وقيل لأنها تسترته وتغطيه وجملة القول في تحريم الخمر أن الله عز وجل أنزل في الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ، فكان المسلمون يشربونها في أول الإسلام وهي لهم حلال ثم نزل بالمدينة في جواب سؤال عمر ومعاذ « يستلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير » فتركها قوم لقوله ثم كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس ثم إن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما ودعا إليه ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعمهم وسقاهم الخمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا أحدهم ليصلي بهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبدوا ما تعبدون بحذف حرف لا إلى آخر السورة فأنزل الله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » فحرم الله السكر في أوقات الصلوات فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال سكره فيصلي الصبح ويشربها بعد صلاة الصبح فيصبح وقد زال سكره فيصلي الظهر ثم إن عتيان بن مالك اتخذ صنيعا يعنى ولجئة ودعا رجالا من المسلمين وفيهم سعد بن أبي وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم فافتخروا عند ذلك واتسبوا وتناشدوا الإشعار فأشاد سعد قصيدة فيها فخر قومه وهجاء الأنصار فأخذ رجل من الأنصار لحي البعير فضرب به رأس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه الأنصاري فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ويروى أن حمزة بن عبد المطلب شرب الخمر يوما وخرج قلبي رجلا من الأنصار ويده ناضح له والأنصاري يتمثل بيبتين لكعب بن مالك يمدح قومه وهما:

جمعت مع الإيواء نصرا وهجرة فلم ير حي مثلنا في المعاشر
فأحيوا ناسا من خير أحياء من مضى وأمواتنا من خير أهل المقابر

فقال حمزة أولئك المهاجرون وقال الأنصاري بل نحن الأنصار فتنازعا فجرد حمزة سيفه وعدا على الأنصاري فهرب الأنصاري وترك ناضحة فقتله حمزة فجاء الأنصاري مستعبدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بفعل حمزة فغرم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ناضحة فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فأنزل الله تعالى الآية التي في المائدة إلى قوله فهل أنتم مشنون فقال عمر انتهينا يارب وذلك بعد غزوة الأحزاب بأيام والحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب أن الله تعالى علم أن القوم كانوا قد ألتوا شرب الخمر وكان انتفاعهم

الأحزاب بأيام فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يارب قال أنس حرمت الخمر ، ولم يكن يومئذ للعرب عيش بذلك

أعجب منها وما حرم عليهم شيء أشد من الخمر وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما نزلت الآية التي في سورة المائدة حرمت الخمر فخرجنا بالحجاب إلى الطريق فمنا من كسر حبه ومنا من غسله بالماء والطين ولعله غودرت أزرقة المدينة بعد ذلك حسنا فلما مطرت استبان فيها لون الخمر وفاحت منها ريحها وعن أنس رضي الله عنه سميت الخمر خمر لأنهم كانوا يدعونها في الدفان

حتى تخمّر وتغير وعن ابن المسيب لأنها تركت حتى صفا لونها ورسب كدرها أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ، أخبرنا أحمد عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا يعقوب بن إبراهيم ، أخبرنا ابن علية أخبرنا عبد العزيز بن سبيب قال قال لي أنس بن مالك ما كان لنا خمر غير فضيخكم وإني لقاتم أسقى أبا طلحة وفلانا وفلانا إذ جاء رجل فقال حرمت الخمر فقالوا أهرق هذه القلال يا أنس قال فما (٣٠٩) سألوها عنها ولا راجعوها بعد خبر

الرجل واختلف العلماء في ماهية الخمر فقال قوم هي عصير العنب أو الرطب الذي اشتد وغلا من غير عمل النار فيه وانفتحت الأئمة على أن هذه الخمر نجس بحد شارها ويفسق ويكفر مستحلها وذهب سفيان الثوري وأبو حنيفة وجماعة إلى أن التحريم لا يتعدى هذا ولا يحرم ما يتخذ من غيرهما كالخنة من الخنطة والشعير والذرة والعسل والفانيد إلا أن يسكر منه فيحرم وقالوا إذا طبخ عصير العنب والرطب حتى ذهب نصفه فهو حلال ولكنه يكره وإن طبخ حتى ذهب ثلثاه قالوا هو حلال مباح شربه إلا أن السكر منه حرام ويحتجون بما روي أن عمر بن الخطاب كتب إلى بعض عماله أن أوزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه ونبي الله ورأى أبو عبيدة ومعاذ شرب الطلاء على

بذلك كثير أفعلم أنه لو منعهم من الخمر دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فلا جرم استعمل هذا التدرج وهذا الرفق قال أنس حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش أعجب منها وما حرم عليهم شيء أشد من الخمر (ق) عن أنس قال ما كان لنا خمر غير فضيخكم وإني لقاتم أسقى أبا طلحة وأبا أيوب وفلانا وفلانا إذ جاء رجل فقال حرمت الخمر فقالوا أهرق هذه القلال يا أنس فما سألوها عنها ولا راجعوها بعد خبر هذا الرجل ، الفضيخ بالضاد والحاء المعجمتين شراب يتخذ من بسر مطبوخ والمقصوخ المشدوخ والمكسور والاهراق الصب والقلال جمع قلة وهي الجرة الكبيرة :

(فصل : في تحريم الخمر ووعيد من شربها) أجمعت الأمة على تحريم الخمر وأنه يحذر شارها ويفسق بذلك مع اعتقاد تحريمها فإن استحلها كفر بذلك ويجب قتله (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يدمنها ولم يقب منها لم يشربها في الآخرة» لفظ مسلم (م) عن جابر «أن رجلا قدم من جيشان وجيشان من اليمن فسأل النبي ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أو مسكر هو؟» قال نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وإن على الله عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخليل قالوا وما طينة الخليل يا رسول الله قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار » وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا بخست صلواته أربعين صباحا فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد الرابعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخليل قيل وما طينة الخليل يا رسول الله قال صديد أهل النار » أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من شرب الخمر فجعلها في بطنه لم تقبل منه صلاة سبعا وإن مات فيها مات كافرا» فإن أذهبت عقله عن شيء من الفرائض . وفي رواية عن القرآن لم تقبل صلواته أربعين يوما وإن مات فيها مات كافرا » أخرجه النسائي . عن عثمان بن عفان قال اجتنبوا الخمر فإنها أم الحيات فانها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا يوشك أن يخرج أحدهما صاحبه أخرجه النسائي موقوفا عليه وفيه قصة عن أنس قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وساقبها وحاملها والحاملة إليه وياتعها وميتاعها وواهبها وآكل ثمنها أخرجه الترمذي .

(فصل : في أحكام تتعلق بالخمر) وفيه مسائل : الأولى في ماهيتها . قال الشافعي الخمر عبارة عن عصير العنب النبيء الشديد الذي قذف بالزبد وكذلك نقيع الزبيب والتمر المتخذ من العسل والخنطة والشعير والأرز والذرة وكل ما أسكر فهو خمر وقال أبو حنيفة الخمر من

(٢٧ - حازن باليعقوبي - أول) الثلث وقال قوم إذا طبخ العصير أدى طبخ صار - لالا وهو قول إسماعيل بن علية وذهب أكثر أهل العلم إلى أن كل شراب أسكر كثيره فهو خمر وقيل حرام بحد شاربه واحتجوا بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق إذ شئنا أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت سئل رسول الله ﷺ عن البتع فقال «كل شراب أسكر فهو حرام» أخبرنا أبو عبد الله بن محمد بن الفضل الخرق

أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أخبرنا أحمد بن علي للكشمي أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر عن داود بن بكر بن أبي القرات عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما أسكر كثيره فقليله حرام» أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني، أنا عبد الغافر بن محمد القارمي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن (٢١٠) أبي سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو الربيع العتكي أخبرنا حماد بن زيد

عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وموئدها في النار» أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أحمد بن أبي رجاء أنا يحيى عن أبي حيان التميمي عن الشعبي عن ابن عمر قال خطب عمر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنه قد نزل تحريم الخمر وهي من خمسة أشياء من العنب والتمر والخميرة والشعير والعلس والخمر ما خامر العقل وروى الشعبي عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله

العنب والرطب ونقيع التمر والزبيب فإن طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه والمسكر منه حرام واحتج علي ذلك بما روى عن عمر بن الخطاب أنه كتب إلى بعض عماله أن ارزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وفي رواية أما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فإن له اثنين ولكم واحد أخرجه النسائي الطلاء بكسر الطاء والمد الشراب المطبوخ من عصير العنب الذي ذهب ثلثاه وبقي ثلثه واحتج أيضا بما روى عن ابن عباس قال حرمت الخمر بعينها قليلا وكثيرها والسكر من كل شراب أخرجه النسائي واستدل أيضا على أن السكر حرام لما روى عن أبي الأحوص عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بردة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «اشربوا ولا تسكروا» وعن عائشة نحوه أخرجه النسائي وقال هذا حديث غير ثابت واستدل الشافعي على أن الخمر من عدة أشياء بما روى عن ابن عمر أن عمر قال على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد أيها الناس أنه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة العنب والتمر والعسل والخميرة والشعير والخمر ما خامر العقل ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهدا ليينا فبين عهدا ننهي إليه الجمل والسكالة وأبواب من أبواب الربا أخرجه البخاري وسلم (ق) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن البتع فقال كل شراب أسكر فهو حرام البتع شراب يتخذ من العسل كان أهل اليمن يشربونه . عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن من العنب خمرا وإن من البر خمرا وإن من الشعير خمرا وإن من التمر خمرا» أخرجه أبو داود وزاد في رواية والذرة وإنها كم عن كل مسكر وللهزمي نحوه وزاد «إن من العسل خمرا (خ) عن ابن عباس أنه سئل عن الباذق فقال سبق حكم محمد الباذق فما أسكر فهو حرام عليك والشراب الحلال الطيب ليس بعد الحلال الطيب إلا الحرام الخبيث قال صاحب المطالع الباذق بفتح الذال المعجمة هو الطلاء المطبوخ من عصير العنب كان أول من صنعه وسماه بنو أمية لينقلوه عن اسم الخمر وكل ما أسكر فهو خمرا لأن الاسم لا ينقله عن معناه الموجود فيه وقال ابن الأثير في النهاية الباذق الخمر تعريب باذ وهو اسم للخمر بالفارسية أي لم يكن في زمانه أو سبق قوله فيها وفي غيرها من جنسها وقيل معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم إن ما أسكر فهو حرام . عن أم سلمة قالت نهي رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومضر أخرجه أبو داود والمقرن كل شراب أحمى الجسد . وصار فيه فتور وضعف وانكسار واستدل الشافعي على ما أسكر كثيره فقليله حرام مما روى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما أسكر كثيره فقليله حرام» أخرجه الترمذي وأبو داود عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما أسكر منه الفرق فقل والكف منه حرام أخرجه أبو داود والنسائي وفي رواية له والخسوة منه حرام الفرق بالتحريك مكيا

خمرًا فثبت أن الخمر لا يختص بما يتخذ من العنب أو الرطب أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد بسع أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد أنه أخبره أن عمر بن الخطاب خرج عليهم فقال إني وجدت من فلان ربح خمرا أو شراب وزعم أنه شرب الطلاء وأنا سائل عما شرب فإن كان يسكر جلده فجلده عمر الحد تاما وما روى عن عمر وأبي عبيدة ومعاذ في الطلاء فهو فيما طبخ حتى يخرج عن أن يكون مسكرا مثل ابن عباس عن

الباذق فقال سبق محمد الباذق فما أسكر فهو حرام قوله تعالى والميسر يعني القمار قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر
الرجل على أهله وماله فأيهما قمر صاحبه ذهب بأهله وماله فأزل الله تعالى هذه (٢١١) الآية والميسر مقول من

قولهم يسر لي الشيء إذا
وجب يسر يسر أو يسرا
ثم قيل للقمار ميسر
ولمقامه يسر ويسر وكان
أصل الميسر في الجزور
وذلك أن أهل الثروة
من العرب كانوا يشترون
جزورا فينحرونها
ويجزونها عشرة أجزاء
ثم يسهون عليها بعشرة
قداح يقال لها الأزلام
والأقلام السبعة منها
أنصباء وهي الفذ وله
نصيب واحد والثوأم وله
نصيبان والرقيب وله
ثلاثة أسهم والجلس وله
أربعة والنافس وله
خسة والمسيل وله ستة
والمعلى وله سبعة وثلاثة
منها لا أنصباء لها وهي
المنيع والسقيح والوعد
ثم يجعلون القداح في
خريطة تسمى الريابة
ويضعونها على يدي
رجل عدل عندهم يسمى
الحيل والمفيض ثم يحيلها
ويخرج قدحا منها باسم
رجل منهم فأبهم خسر
اسمه أخذ نصيبه على قدر
ما خرج فان خرج له
واحد من هذه الثلاثة
التي لا أنصباء لها كان
لا يأخذ شيئا ويغرم عن

يسع تسعة عشر رطلا بالبغدادى وأجيب عن حديث عمر في الطلاء بأنه معارض بما روى عن
السائب بن يزيد أن عمر قال وجدت من فلان ربح شراب وزعم أنه شرب الطلاق وأنا سائل
عنه فان كان يسكر جلده فسأل عنه فقيل له إنه يسكر فجلده عمر الخلد تاما أخرجه مالك في الموطأ
وأما حديث ابن عباس فهو قوت عليه ومعارض بما روى عنه في الباذق وقوله والسكر من كل شراب
قد رواه الحفاظ السكر بفتح السين قال صاحب الغريبين السكر خمر الأعاجم ويقال لما يسكر
السكر وروى هذا الحديث ابن حنبل وقال فيه والسكر من كل شراب وقال موسى بن هارون وهو
الصواب وأما حديث أبي الأحوص فقيه وهما أحدهما في سننه حيث قال عن أبي بردة وإنما
يرويه سماك عن القاسم عن أبي بريدة عن أبيه والوهم الثاني في منته حيث قال اشربوا ولا تسكروا
وإنما يرويه الناس ولا تشربوا مسكرا ويدل على صحة هذا ما روى مسلم في صحيحه عن محارب بن
دثار عن ابن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كنت نبيتكم عن الأشربة
في ظروفت الأم فاشربوا في كل وعاء غير أن لا تشربوا مسكرا» وقال النسائي في حديث أبي الأحوص
هذا حديث منكر غلط فيه أبو الأحوص سلام بن سليم لا يعلم أن أحدا تابعه عليه من أصحاب
سماك وأما حديث عائشة فيه فهو غير ثابت كما تقدم في قول النسائي.

المسئلة الثانية في الحكم بنجاسة الخمر . الخمر وما يلحق بها نجسة العين ويدل على نجاستها
قوله تعالى « وإنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه »
والرجس في اللغة النجس والشيء المستنفر وقوله تعالى « فاجتنبوه » فأمر باجتنابها فكانت
نجسة العين ويدل على نجاستها أيضا أنها محرمة تناول للاحترام ولأن الناس مشغوفون بها فيلبغى
أن يحكم بنجاستها تأكيذا للزجر عنها .

المسئلة الثالثة في تحريم بيعها والانتفاع بها . أجمعت الأمة على تحريم بيع الخمر والانتفاع
بها وتحريم ثمنها ويدل على ذلك ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
عام فتح مكة « إن الله تعالى حرم بيع الخمر والانتفاع بها والميتة والخنزير والأصنام » أخرجاه
في الصحيحين مع زيادة اللفظ (ق) عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
« حرمت التجارة في الخمر » (ق) عن ابن عباس قال بلغ عمر بن الخطاب أن فلانا باع خمر فقال قاتل
الله فلانا ثم يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم
فجمعوها فباعوها » عن المغيرة بن شعبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من باع الخمر
فليشقص الخنازير » أخرجه أبو داود وقوله فليشقص الخنازير أي فليقطعها قطعاً قطعاً كما تقطع
الشاة للبيع والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنازير فإنهما في التحريم سواء . عن
أبي طلحة قال يابني الله إني اشتريت خمر لأيتام في حجرى فقال اهرق الخمر واكسر الدنان أخرجه
الترمذي وقال وقد روى عن أنس إن أبا طلحة كان عنده خمر لأيتام وهو أصح . فان قلت فما
وجه قوله تعالى « ومنافع للناس » . قلت منافعها اللذة التي توجد عند شربها والفرح والطرب معها
وما كانوا يصيبون من الریح في ثمنها وذلك قبل التحريم فلما حرمت الخمر حرم ذلك كله .
(فصل) وأما الميسر فهو القمار واشتقاقه من اليسر لأنه أخذ مال بسهولة من غير تعب

الجزور كله وقال بعضهم كان لا يأخذ شيئا ولا يغرم ويكون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور إلى الفقراء ولا يأكلون منه شيئا
وكانوا يفتخرون بذلك ويلمون من لم يفعل ذلك ويسر . وفيه البرم وهو أصل القمار الذي كانت تفعله العرب والمراد من الآية أنواع القمار

على رضى الله عنه في الرد
والشطرنج أنهما من الميسر
قوله تعالى (قل فيهما
إثم كبير) وزر عظيم من
الخاصة والمشامة وقول
الفحش ، قرأ حمزة
والكسائي إثم كبير بالثاء
المثلثة وقرأ الياقون بالياء
قال إثم في الخمر والميسر
ما ذكره الله في سورة
المائدة وإنما يريد الشيطان
أن يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر
والميسر ويصدكم عن ذكر
الله وعن الصلاة فهل أنتم
متنبون (ومنافع للناس)
فمنعة الخمر اللذة عند
شربها والفرح واستمراء
الطعام وما يصيبون من
الريح بالتجارة فيها ومنفعة
الميسر لإصابة المال من
غير كد ولا تعب وارتفاق
الفقراء به والإثم فيه أنه
إذا ذهب ماله من غير
عوض ساء ذلك فعادى
صاحبه فقصد به بالسوء
(وإثمهما أكبر من نفعهما)
قال الضحاك وغيره
إثمهما بعد التحريم أكبر
من نفعهما قبل التحريم
وقيل إثمهما أكبر من
نفعهما قبل التحريم
وهو ما يحصل به من العداوة
والبغضاء قوله تعالى :
(ويستلونك ماذا ينفقون)

وكذا قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على أهله وماله فأيهما قر صاحبه
ذهب بأهله وماله فأنزله الله هذه الآية وأصل الميسر أن أهل الثروة من العرب في الجاهلية كانوا
يشترون جزورا فينحرونها ويحزونها ثمانية وعشرين جزءا ثم يسهمون عليها بعشرة قدامح يقال
لها الأزلام والأقلام وأسماؤها الفلد والتوام والرقيب والحلس والتنافس والمسبل والمعل
والمنيح والسنيح والوغد وكانوا يسهمون لسبعة منها أنصباة فللقد سهما وللتوام سهمين
والرقيب ثلاثة أسهم وللحلس أربعة وللتنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعل سبعة وثلاثة من القدامح
لأنصباة لها وهي المنيح والسنيح والوغد قال بعضهم :

ل في الدنيا سهام ليس فبين ربيع إنما سهمي وغد ومنيح وسفيح
ثم يجمعون القدامح في خريطة يسونها الربابة ويضعونها على يد رجل عدل عندهم يسمونه
الحيل والمقبض فيحيلها في الخريطة ويخرج منها قدحا باسم رجل منهم فأيهما خرج اسمه أخذ
نصيبه على قدر ما يخرج من القدامح وإن خرج له قدح من الثلاثة التي لأنصباة لها لم يأخذ شيئا
وعزم ثمن الجزور كله وقيل لا يأخذ ولا يغرم ويسمون ذلك القدامح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور
إلى الفقراء ولا يأكلون منه شيئا وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لا يفعلها ويسمونه البرم
يعنى البخيل الذي لا يخرج شيئا بين الأصحاب ليخذه وأما حكم الآية فالمراد به جميع أنواع القمار
فكل شيء فيه قمار فهو من الميسر روى عن ابن سيرين ومجاهد وعطاء كل شيء فيه خطريعى
الرهن فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب وأما الرد فيحرم اللعب به سواء كان
بخطر أم لا ويحل على تحريمه ما روى عن بريدة أن رسول الله ﷺ قال من لعب بالرد شير
فكأنما صبغ يده في دم خنزير أخرجه مسلم وعن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم «من لعب ببرد أو برد شير فقد عصى الله ورسوله» أخرجه أبو داود وعن علي بن أبي طالب
قال الرد والشطرنج من الميسر. واختلفوا في الشطرنج فذهب أبي حنيفة أنه يحرم اللعب به سواء
كان برهن أو بغير رهن ومذهب الشافعي أنه مباح بشروط ذكرها الشافعي فقال إذا خلا
الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان وروى عن الهذيان والصلاة عن التسيان لم يكن
حراما وهو خارج عن الميسر لأن الميسر ما يوجب دفع مال وأخذ مال وهذا ليس كذلك
وقوله تعالى (قل فيهما) يعنى في الخمر والميسر (إثم كبير) أى وزر عظيم وقيل إن الخمر عدو
للعقل فإذا غلبت على عقل الإنسان ارتكب كل قبيح ففي ذلك آثام كبيرة منها إقدامه على
شرب المحرم ومنها فعل مالا يحل فعله وأما الإثم الكبير في الميسر فهو أكل المال الحرام بالباطل
وما يجرى بينهما من الشتم والخاصة والمعادة وكل ذلك فيه آثام كثيرة (ومنافع للناس) يعنى
لأنهم كانوا يربحون في بيع الخمر قبل تحريمها. وأما منافع الميسر فهو أخذ مال بغير كد ولا تعب
قيل ربما أن الواحد منهم كان يقمر في المجلس الواحد مائة بغير فيحصل له المال الكثير وربما
كان يصرقه إلى المحتاجين فيكسب بذلك الثناء والمدح وهو المنفعة (وإثمهما أكبر من نفعهما)
يعنى إثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل إثمهما قوله تعالى «إنما يريد الشيطان
أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم
متنبون» فهذه ذنوب يترتب عليها آثام كبيرة بسبب الخمر والميسر. قوله تعالى (ويستلونك
ماذا ينفقون) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حضهم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق
فقال الله تعالى (قل العنق) يعنى الفضل والعفو ما فضل عن قدر الحاجة فكانت الصحابة يكتسبون

وقتادة وابن أبي إسحاق العفو بالرفع معناه أي الذي ينفقون هو العفو وقرأ الآخرون بالنصب على معنى قل أنفقوا العفو واختلّفوا في معنى العفو فقال قتادة وعطاء والسدي: هو ما فضل عن الحاجة وكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل بحكم هذه الآية ثم نسخ بآية الزكاة وقال مجاهد معناه التصديق عن ظهر غنى حتى لا يفتني كلال على الناس أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن عشم الزبادي أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر أنا إبراهيم بن عبد الله بن عمر الكوفي أنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى» واليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تعول» وقال عمرو بن دينار الوسط من غير إسراف ولا إقتار قال الله تعالى: «والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا» وقال طاوس ما يسر والعفو اليسر من كل شيء ومنه قوله تعالى «خذ العفو» أي الميسور من أخلاق الناس أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصبهاني أنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أنا سفيان بن محمد بن عجلان عن سعيد بن أبي سعد عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله عندي دينار قال صلى الله (٢١٣) عليه وسلم أنفقه على نفسك

قال عندي آخر قال ﷺ أنفقه على ولدك قال عندي آخر قال صلى الله عليه وسلم أنفقه على أهلك قال عندي آخر قال صلى الله عليه وسلم أنفقه على خادمك قال عندي آخر قال صلى الله عليه وسلم أنفقه على زوجك قال صلى الله عليه وسلم أنفق على الواحد وهو مخاطب جماعة لأن الجماعة معناها القبيل كأنه قال كذلك أي القبيل وقيل هو خطاب للنبي ﷺ

المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفاضل بحكم هذه الآية ثم نسخ ذلك بآية الزكاة وقيل هو التصديق عن ظهر غنى (ق) عن الزهري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى» واليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تعول» وقيل هو الوسط في الإنفاق من غير إسراف ولا إقتار وقيل هو في صدقة التطوع إذ لو كان المراد بهذا الإنفاق الواجب لبين الله قدره فلما لم يبينه دل ذلك على أن المراد به صدقة التطوع (كذلك بين الله لكم الآيات) أي بين لكم الأمور التي سأتم عنها من وجوه الإنفاق ومصارفة (لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) يعني فتأخذون ما يصلحكم في الدنيا وتنفقون الباقي فينفعكم في الآخرة وقيل لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا فترهّدوا فيها وفي إقبال الآخرة ويقاؤها فترغبوا فيها. قوله عز وجل (ويسألونك عن اليتامى) قال ابن عباس لما نزلت «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً» نخرج المسلمون من أموال اليتامى نحر جاشداً حتى عزّوا أموالهم عن أموالهم وتركوا مخالطهم وربما كان يصنع لليتيم الطعام فيفضل منه فيتركونه ولا يأكلونه فاشتد ذلك عليهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُنزل الله تعالى ويسألونك عن اليتامى (قل إصلاح لهم خير) أي إصلاح أموال اليتامى من غير أخذ أجره ولا عوض خير لكم أي أعظم أجراً وقيل هو أن يوسع على اليتيم من طعام نفسه ولا يوسع من طعام اليتيم (وإن مخالطوهم) يعني في الطعام والخدمة والسكنى وهذا فيه إباحة المخالطة أي شاركوهم في أموالهم واخططوها بأموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من أموالهم عوضاً من قيامكم بأموالهم أو تكافؤهم

فإنه خطاب يشتمل على خطاب الأمة كقوله تعالى «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء» قوله تعالى (لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) قيل معناه بين الله لكم الآيات في أمر النفقة لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة فتحيسون من أموالكم ما يصلحكم في معاش الدنيا وتنفقون الباقي فيها ينفعكم في العقبى وقال أكثر المفسرين معناها هكذا بين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة لتفكرون وقيل معناه بين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة ويقاؤها فترغبوا فيها قوله تعالى (ويسألونك عن اليتامى) قال ابن عباس وقتادة لما نزل قوله تعالى «ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن» وقوله تعالى «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً» الآية نخرج المسلمون من أموال اليتامى نحر جاشداً حتى عزّوا أموال اليتامى عن أموالهم حتى كان يصنع لليتيم طعام فيفضل منه شيء فيتركونه ولا يأكلونه حتى يفسد فاشتد ذلك عليهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُنزل الله تعالى هذه الآية (قل إصلاح لهم خير) أي الإصلاح لأموالهم من غير أجره ولا أخذ عوض خير وأعظم أجراً لما لكم في ذلك من الثواب وخير لهم لما في ذلك من توفر أموالهم عليهم قال مجاهد يوسع عليه من طعام نفسه ولا يوسع من طعام اليتيم (وإن مخالطوهم) هذه إباحة المخالطة أي إن تشاركوهم في أموالهم ومخالطوها بأموالكم في

نفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من أموالهم عوضا من قيامكم بأموالهم أو تكافؤهم على ما نصيبون من أموالهم (فاخوانكم) أي فهم إخوانكم والأخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من أموال بعض على وجه الإصلاح والرضا (والله يعلم المفسد) لأموالهم (من المصلح) لما يعنى الذي يقصد بالمخالطة الحياة وإفساد مال اليتيم وأكله بغير حق من الذي يقصد الإصلاح (ولو شاء الله لأعنتكم) أي لضيق عليكم وما أباح لكم مخالطتهم وقال ابن عباس ولو شاء الله لجعل ما أصبتم من أموال البتاي موبقا لكم وأصل العنت الشدة والمشقة ومعناه كلفكم في كل شيء ما يشق عليكم (إن الله عزيز) أي عزيز في سلطانه وقدرته على الاعانت وقيل العزيز الذي يأمر بعزه سهل على العباد أو شق عليهم (حكيم) فيما صنع من تدبيره وترك الاعانت قوله تعالى (ولا تنكحوا) (٢١٤) المشركات حتى يؤمن) سبب نزول هذه الآية أن أبا مرثد بن أبي مرثد

الغنوي وقال مقاتل هو أبو مرثد الغنوي وقال عطاء أبو مرثد كنانة بن الحصين وكان شجاعا بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته في الجاهلية فأنته وقالت يا أبا مرثد ألا تخلو فقال لها وعناق يا عناق إن الإسلام قد حال بيننا وبين ذلك قالت فهل لك أن تزوج بي قال نعم ولكن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فقالت أبي تبرم ثم ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة

على ما نصيبون من أموالهم (فاخوانكم) أي فهم إخوانكم والإخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض على وجه الإصلاح والرضا (والله يعلم المفسد) يعني المفسد لمال اليتيم والمصلح له ويعلم الذي يقصد بالمخالطة الحياة وأكل مال اليتيم بغير حق والذي يقصد الإصلاح (ولو شاء الله لأعنتكم) أي لضيق عليكم وما أباح لكم مخالطتهم وأصل العنت الشدة والمشقة والمعنى لكلفكم في كل شيء ما يشق عليكم (إن الله عزيز حكيم) أي غالب يقدر أن يشق على عباده ويعنتهم ولكنه حكيم لا يكلف عباده إلا ما تتسع فيه طاقتهم . قوله عز وجل (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) نزلت في أبي مرثد بن أبي مرثد الغنوي واسم أبي مرثد يسار بن حصين بعثه رسول الله ﷺ إلى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته في الجاهلية فأنته فقالت ألا تخلو فقال وعناق يا عناق إن الإسلام قد حال بيننا وبين ذلك قالت فهل لك أن تزوج بي قال نعم ولكن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فقالت أبي تبرم واستعانت عليه فضر به ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة وانصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه بما كان من أمره وأمر عناق وما لقي بسببها وقال يا رسول الله أيجل لي أن أتزوجها فأنزله الله تعالى هذه الآية وأصل النكاح في اللغة الوطء ثم كثر حتى قيل العقد نكاح ومعنى الآية ولا تنكحوا أي المؤمنون المشركات حتى يؤمن أي يصدقن بالله ورسوله وهو الإقرار بالشهادتين والتزام أحكام المسلمين واختلاف العلماء في حكم هذه الآية فقيل إنها تدل على أن كل مشركة يحرم نكاحها على كل مسلم من أي أجناس الشرك كانت كالوثنية والمجوسية والنصرانية وغيرهن من أصناف المشركات ثم استثنى الله تعالى من ذلك نكاح الحرائر الكتابيات بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم فأباح الله تعالى نكاحهن بهذه الآية قال ابن عباس في قوله تعالى «ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن» ثم استثنى نساء أهل الكتاب فقال «والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم» وقيل إن حكم الآية نزل في مشركات العرب الوثنيات خاصة ولم ينسخ منها شيء ولم يستثن وإنما حكها عام مخصوص قال قتادة ولا تنكحوا

وانصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه بالذي كان من أمره وأمر عناق وما لقي بسببها وقال يا رسول الله أيجل لي أن أتزوجها فأنزله الله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وقيل الآية منسوخة في حق الكتابيات لقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ونجبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وباجتماع الأمة روى الحسن عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «تزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا» فإن قيل كيف أطلقتم اسم الشرك على من لم ينكر إلا نبوة محمد ﷺ قال أبو الحسن بن فارس لأن من يقول القرآن كلام غير الله فقد أشرك مع الله غيره وقال قتادة وسعيد بن جبيرة أراد بالمشركات الوثنيات فإن عثمان تزوج نائلة بنت فراقصة وكانت نصرانية فأسلمت تحتها وتزوج طلحة بن عبد الله نصرانية وتزوج حذيفة يهودية فكتب إليه عمر رضي الله عنه خل سبيلها فكتب إليه أنزع

أنها حرام فقال لأزعم أنها حرام ولكنني أخاف أن تتعاطوا المؤمنات منهن قوله تعالى (ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) بحالها وما لها نزلت في خنساء وليدة سوداء كانت لحذيفة بن اليمان قال حذيفة يا خنساء (٢١٥) قد ذكرت في الملاء الأعلى

المشركات حتى يؤمن يعني مشركات العرب اللاتي ليس فيهن كتاب يقرأنه ويبان هذا في مسألة وهي أن لفظ الشرك على من يطاق فالأكثر من العلماء وهو القول الصحيح المختار أن لفظ الشرك يندرج فيه أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذلك عبدة الأصنام والمجوس وغيرهم ويدل على أن اليهود والنصارى يطلق عليهم اسم الشرك قوله تعالى «وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله» ثم قال تعالى «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا لهما واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون» فهذه الآية صريحة في شرك اليهود والنصارى وقيل كل من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وإن زعم أن الله تعالى واحد فهو مشرك وذلك أن من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم مع صحة نبوته وظهور معجزاته فقد زعم أن ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم هو من عند غير الله فقد أشرك مع الله غيره فعلى هذا القول أيضا يدخل فيه اليهود والنصارى لإنتكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل إن اسم الشرك لا يتناول إلا عبدة الأوثان فقط والأول أصح لما تقدم من الأدلة فعلى قول من قال أن اسم الشرك لا يتناول إلا الوثنيات تكون الآية محكمة وعلى قول الأكثرين أن اسم الشرك يتناول الوثنيات والكتايبات وغيرهن تكون الآية محكمة في حق الوثنيات منسوخة في حق الكتايبات وقوله تعالى (ولأمة مؤمنة خير) يعني أنفع وأصلح وأفضل (من مشركة) يعني حرة (ولو أعجبتكم) يعني بجمالها وما لها فالأمة المؤمنة خير وأفضل عند الله من الحرة المشركة نزلت في خنساء وليدة كانت لحذيفة بن اليمان فقال يا خنساء قد ذكرت في الملاء الأعلى على سوادك ودما منتك ثم اعتقها وتزوجها وقيل نزلت في عبد الله بن رواحة كانت عنده أمة سوداء فغضب عليها يوما فطلبها ثم فرغ فأق النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال وما هي يا عبد الله قال هي تشهد أن لا إله إلا الله وأنك الله وأنتك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلى فقال رسول الله ﷺ «هذه مؤمنة» قال عبد الله «والذي بعثك بالحق نبيا لأعتقها ولأتزوجها ففعل ذلك فظعن عليه ناس من المسلمين وقالوا أنت كح أمة وعرضوا عليه حرة مشركة فأنزله الله تعالى هذه الآية (ولا تتكحوا المشركين حتى يؤمنوا) هذا خطاب لأولياء المرأة أي لا تزوجوا المسلمة من المشركين حرم على المؤمنات أن ينكحن مشركين من أي أصناف الشرك كان وانعقد الإجماع على أنه لا يجوز له سلامة أن يتزوج بالمشرك (ولعبد مؤمن خير من مشرك) يعني حرا (ولو أعجبتكم) بحسنه وماله وجهاله (أولئك يدعون إلى النار) يعني يدعون إلى الشرك الذي يؤدي إلى النار (والله يدعو إلى الجنة والمغفرة) يعني أنه تعالى بين هذه الأحكام وأباح بعضها وحرم بعضها فاعملوا بما أمركم به واتقوا عما نهاكم عنه فاتمه من عمل بذلك استحق الجنة والمغفرة (بأذنه) أي بتيسير الله وإرادته وتوفيقه (وبين آياته للناس) أي بوضوح أدلته وحججه في أوامره ونواهيه وأحكامه (لعلهم يتذكرون) أي فيتذكرون. قوله عز وجل (ويستلونك عن المحيض) (م) عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فأنزله الله عز وجل «ويستلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض» الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا

على سوادك ودما منتك فأعتقها وتزوجها وقال السدي نزلت في عبد الله ابن رواحة كانت له أمة سوداء فغضب عليها ولطمها ثم خرج فأق النبي ﷺ وأخبره بذلك فقال له ﷺ وما هي يا عبد الله فقال هي تشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلى فقال رسول الله ﷺ «هذه مؤمنة» قال عبد الله «والذي بعثك بالحق نبيا لأعتقها ولأتزوجها ففعل ذلك فظعن عليه ناس من المسلمين وقالوا أنت كح أمة وعرضوا عليه حرة مشركة فأنزله الله تعالى هذه الآية (ولا تتكحوا المشركين حتى يؤمنوا) هذا إجماع لا يجوز له سلامة أن تنكح المشرك (ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبتكم أولئك) يعني المشركين (يدعون إلى النار) أي إلى الأعمال الموجبة للنار (والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بأذنه) أي بقضائه وقدره وإرادته (وبين آياته للناس) أي

أوامره ونواهيه (لعلهم يتذكرون) يتعظون قوله تعالى (ويستلونك عن المحيض) أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني أنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي أنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي أنا أبو داود سليمان بن الأشعث

المسجدي أنا موسى بن إسماعيل أنا حماد هو ابن سلمة أنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن اليهود كانوا إذا حاضت منهم
 المرأة أخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيت فسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله
 تعالى (ويستلونك عن الحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في الحيض) الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جامعوهن في
 البيوت واصنعوا كل شيء إلا النكاح فقالت اليهود ما يريد هذا الرجل أن يدع شيئا من أمرنا إلا خالفنا فيه فجاء أسيد بن
 حضير وعباد بن بشر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا أفلا ننكحهن في الحيض فتغير
 وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أن قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن إلى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فبعث في آثارهما فسقاها فعرفنا أنه لم يجد عليهما قوله تعالى (ويستلونك عن الحيض) أي عن الحيض وهو مصدر حاضت
 المرأة تحيض حيضا ومحضاً كالسير والمسير وأصل الحيض الانفجار والسيلان وقوله (قل هو أذى) أي قدر والأذى كل ما يكره
 من كل شيء فاعتزلوا النساء في الحيض أراد بالاعتزال ترك الوطء (ولا تقربوهن) أي لا تجامعوهن أما الملامسة والمضاجعة
 . معها فجازة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا
 قبيصة أنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت أغتسل أنا والنبي صلى الله عليه
 وسلم من إناء واحد كلانا جنب وكان يأمرني أن أتزر فيباشرني وأنا حائض وكان يخرج رأسه إلى وهو معتكف فأغسله وأنا
 حائض أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا سعد بن حفص
 أنا شيبان عن يحيى عن أبي سلمة عن زيلب بنت أبي سلمة حدثتني أن أم سلمة قالت حاضت وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في الحميلة فانتسلت فخرجت منها (٢١٦) فأخذت ثياباً حبيصتي فلبستها فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم

أنفتت ، قلت نعم فدعاني فأدخلني معه في الحميلة أخبرنا أبو القاسم ابن عبد الله بن محمد الخنفي ، أنا أبو الحارث طاهر بن محمد الظاهري أنا محمد الحسن بن محمد

أنفتت ، قلت نعم فدعاني فأدخلني معه في الحميلة أخبرنا أبو القاسم ابن عبد الله بن محمد الخنفي ، أنا أبو الحارث طاهر بن محمد الظاهري أنا محمد الحسن بن محمد

ابن حكيم أنا أبو الموجة محمد بن عمرو أنا صدقة أنا وكيع أنا مسعر وسفيان عن المقدم بن شرح عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت أشرب وأنا حائض فأنا وله النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع في وأتغرق العرق فيتناوله فيضع فاه على موضع في فوطء الحائض حرام ومن فعله يعص الله عز وجل ويعزره الإمام إن علم منه ذلك واختلف أهل العلم في وجوب الكفارة عليه فذهب أكثرهم إلى أنه لا كفارة عليه فيستغفر الله ويشوب إليه وذهب قوم إلى وجوب الكفارة عليه . منهم قتادة والأوزاعي وأحمد وإسحاق لما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شرح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا أبو جعفر الرازي عن عبد الكريم بن أبي الحارث عن مقسم عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في رجل جامع امرأته وهي حائض قال إن كان الدم عبيطاً فليتصدق بدينار وإن كان صفرة فنصف دينار ويروي هذا . وقولاً على ابن عباس ويمنع الحيض جواز الصلاة وجوبها ويمنع جواز الصوم ولا يمنع وجوبه حتى إذا ظهرت يجب عليها قضاء الصوم ولا يجب قضاء الصلاة . وكذلك النساء أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس محمد بن أحمد الجبوي أنا أبو عيسى الترمذي أنا علي بن جبر أنا علي بن مسهر عن عبيدة بن علقم الضبي عن عبد الكريم عن إبراهيم التيمي عن الأسود عن عائشة قالت وكنا نحيض عند رسول الله ﷺ ثم نطهر فيأمرنا بقضاء الصيام ولا يأمرنا بقضاء الصلاة ولا يجوز للحائض الطواف بالبيت ولا الاعتكاف في المسجد ولا لمس المصحف ولا قراءة القرآن ولا يجوز للزوج غشيانها أخبرنا عمر بن عبد العزيز أنا القاسم بن جعفر أنا أبو علي اللؤلؤي أنا أبو داود أنا مسدد أنا عبد الواحد بن زياد أنا أفلت بن خليفة قال حدثتني جصرة بنت دجاجة قالت سمعت عائشة تقول جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه بيوت أصحابه شارعة في المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فإني لأحجل المسجد الحائض ولا جنب

قوله تعالى (حتى يطهرن) قرأه عاصم برواية أبي بكر وحذرة والكسائي بتشديد الطاء والمعنى يغتسلن وقرأ الآخرون بسكون الطاء وهو
الهاء مخفف ومعناه حتى يطهرن من الحيض وينقطع دمهن (فاذا تطهرن) يعني اغتسلن (٢١٧) (فأتوهن) أي فجامعوهن

(من حيث أمركم الله)
أي من حيث أمركم أن
تعزلوهن منه وهو
الفرج قاله مجاهد وقتادة
وعكرمة وقال ابن عباس
طنوهن في الفرج ولانه دونه

في الحيض (حتى يطهرن) يعني من الحيض والمعنى ولا تتربوهن حتى يزول عنهن الدم وقرئ يطهرن
بتشديد الطاء ومعناه حتى يغتسلن (فاذا تطهرن) أي اغتسلن من حيضهن (فأتوهن من حيث
أمركم الله) قال ابن عباس طنوهن في الفرج ولا تعتدوا إلى غيره فانه هو الذي أمر الله به ولا تأتوهن
إلى غير المأني وقيل فأتوهن من الوجه الذي أمركم الله به وهو الظهر وقيل معناه وأتوهن من حيث
يجل لكم غشيانهن وذلك بان لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محررات .

(فصل: في حكم هذه الآية وفيه مسائل)

(المسئلة الأولى) أجمع المسلمون على تحريم الجماع في زمن الحيض ومستحل كافر عن أبي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناتاً فقد كفر بما
أنزل على محمد » أخرجه الترمذي وقال إنما معنى هذا عند أهل العلم على التغليظ ومن فعله وهو عالم
بالتحريم عزره الإمام وفي وجوب الكفارة قولان أحدهما أنه يستغفر الله ويتوب إليه ولا كفارة
عليه وهو قول أبي حنيفة والشافعي في الجدي والفقول الثاني أنه يجب عليه الكفارة وهو القول القديم
للشافعي وبه قال أحمد بن حنبل لما روى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يقع
على امرأته وهي حائض قال يتصدق بنصف دينار وفي رواية قال إذا كان دماً أحرف دينار وإن
كان دماً أصفر فنصف دينار أخرجه الترمذي وقال رفعه بعضهم عن ابن عباس ووقفه بعضهم .
(المسئلة الثانية) أجمع العلماء على جواز الاستمتاع بالمرأة الحائض بما فوق السرة ودون
الركبة وجواز مضاجعتها وملامستها ويدل على ذلك ما روى عن عائشة قالت كانت إحدانا إذا
كانت حائضاً وأراد رسول الله ﷺ أن يباشرها أمرها أن تأتزر بزاز في فور حيضها ثم يباشرها
وأبكم بملك إربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك إربه وفي رواية قالت كنت اغتسل
أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء واحد وكلانا جنب وكان يأمرني أنأتزر فيباشرني وأنا
حائض أخرجه في الصحيحين المراد بالباشرة الاستمتاع بما دون الفرج وفور كل شيء أوله
وابتهائه وقولها بملك إربه يروى بسكون الراء وهو العضو ويتمحها وهو الحاجة (م) عن عائشة
قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناوليني الحمرة من المسجد قلت أنا حائض قال إن
حيضتك ليست في يديك الحمرة حصى صغير مضغور من سعف النخل أو غيره بقدر الكف
وقولها من المسجد يعني ناداها من المسجد لأنه صلى الله عليه وسلم كان معتكفاً في المسجد وعائشة
في حجرتها فقلت منها الحمرة وهي حائض .

(المسئلة الثالثة) يحرم على الحائض الصلاة والصوم ودخول المسجد وقراءة القرآن ومس
المصحف وحماه فلو أنه من التلوث في عبور المسجد جاز في أحد الوجهين قياساً على
الجنب والثاني لا لأن جنبها أظف ويجب على الحائض قضاء الصوم دون الصلاة لما روى عن معاذة
العدوية قالت سألت عائشة نقلت ما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة قالت أحرورية
أنت قلت لست بحرورية ولكني أسأل قالت كان يصينا ذلك فتؤمر بقضاء الصوم ولا تؤمر
بقضاء الصلاة أخرجه في الصحيحين .

لدى غيره أي أتوا الأدبار
وقيل من حيث بمعنى في
أي في حيث أمركم الله تعالى
وهو الفرج كقوله عز
وجل « إذا نودى للصلاة
من يوم الجمعة » أي في يوم
الجمعة وقيل فأتوهن
من الوجه الذي أمركم الله
أن تأتوهن وهو الظهر .
وقال ابن الحنفية من
قبل الحلال دون الفرج
وقيل لا تأتوهن صائمات
ولا معتكفات ولا
محررات وأتوهن
وغشيانهن لكم حلال ،
واعلم أنه لا يرتفع تحريم
شيء مما منعه الحيض
بانقطاع الدم ما لم تغتسل
أو تميم عند علم الماء
إلا تحريم الصوم فان
الحائض إذا انقطع دمها
بالليل ونوت الصوم
فوقع غسلها بالنهار صح
صومها والطلاق في حال
الحيض يكون بدعيًا

(٢٨ - خازن بالبعوى - أول)

وإذا طلقها بعد انقطاع الدم قبل الغسل لا يكون
بدعيًا وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه إلى أنه إذا انقطع دمها لأكثر الحيض وهي عنده عشرة أيام يجوز للزوج غشيانها قبل الغسل
وقال مجاهد وعطاء وطاوس إذا غسلت فرجها يجوز للزوج غشيانها قبل الغسل وأكثر أهل العلم على التحريم ما لم تغتسل أو

لثيمم عند عدم الماء لأن الله تعالى عاق جواز وطئها بشرطين بانقطاع الدم والغسل فقال حتى يطهرن يعني من الحيض فاذا تطهرن يعني اغتسلن فأنوهن (٢١٨) ومن قرأ يطهرن بالتشديد فالمراد منه الغسل كقوله تعالى « وإن كنتم جنباً

(المسألة الرابعة) لا يرتفع شيء مما منعه الحيض بانقطاع الدم ما لم تغتسل أو تقيم عند عدم الماء إلا الصوم فإنه إذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فإنه يصبح وإن اغتسلت في النهار وذهب أبو حنيفة إلى أنه يجوز للزوج غشيانها إذا انقطع الدم لأكثر الحيض وهو عشرة أيام عنده قبل الغسل ومذهب الشافعي وغيره من العلماء أنه لا يجوز للزوج غشيانها ما لم تغتسل من الحيض أو تقيم عند عدم الماء لأن الله تعالى عاق جواز وطئ الحائض بشرطين: أحدهما انقطاع الدم والثاني الغسل فقال ولا تقربوهن حتى يطهرن يعني من الحيض فاذا تطهرن يعني اغتسلن وقأتوهن من حيث أمركم الله، فدل ذلك على أن الوطء لا يحل قبل الغسل. وقوله تعالى (إن الله يحب التوابين) يعني من الذنوب والتواب الذي كلما أذنب جدد توبة وقيل التواب هو الذي لا يعود إلى الذنب (ويحب المتطهرين) يعني من الأحداث وسائر النجاسات بالماء وقيل المتطهرين من الشرك وقيل هم الذين لم يصيبوا الذنوب. قوله عز وجل (نساؤكم حرث لكم) الآية (ق) عن جابر قال كانت اليهود تقول إذا جامعها من وراءها جاء الولد أحول فترت نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وفي رواية للترمذي كانت اليهود تقول من أتى المرأة في قبلها من دبرها وذكر الحديث وعن ابن عباس قال جاء عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما أهلكك قال حولت رجلي الليلة قال فلم يرد عليه شيئاً فأوحى الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية «نساؤكم حرث لكم» فأتوا حرثكم أنى شئتم أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله حولت رجلي هو كناية عن الإتيان في غير المحل المعتاد هذا ظاهره ويجوز أن يريد به أنه أتاها في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها وعن ابن عباس قال كان هذا الحى من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحى من يهود وهم أهل كتاب فكانوا يرون لهم فضلاً عليهم في العلم فكانوا يقتلون بكثير من فعلهم وكان من شأن أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا على حرف وذلك أشق ما تكون المرأة فكان هذا الحى من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحى من قريش يشرحون النساء شرحاً منكراً ويتلذذون بين مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب أن يصنع بها ذلك فأنكرته عليه وقالت إنا كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك وإلا فاجتنبني حتى سرى أمرها فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل الله عز وجل «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم» أى مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك موضع الولد أخرجه أبو داود والوثن الصنم وقيل الصورة لاجئة لها وقوله على حرف الحرف الجانب وحرف كل شيء جانبه وقوله يشرحون النساء يقال شرح فلان جاريته إذا وطئها على قفاها وأصل الشرح البسط وقوله سرى أمرها أى ارتفع وعظم وتضخم وأصله من سرى البرق إذا ليج في اللمعان عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم» فى صمام واحد، ويروى صمام بالسين أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى «حرث لكم» معناه مزرع لكم ومنبت للولد وهذا على سبيل التشبيه فجعل فرج المرأة كالأرض والنطفة كالبلر والولد كالثبات الخارج (فأتوا حرثكم أنى شئتم) يعني كيف شئتم وحيث شئتم إذا كان في القبل والمعنى كيف شئتم

فاطهروا أى فاغتسلوا فدل على أن قبل الغسل لا يحل الوطء. قوله تعالى (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) قال عطاء ومقاتل بن سليمان والكلبي يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين بالماء من الأحداث والنجاسات وقال مقاتل بن حيان يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين من الشرك وقال سعيد ابن جبير التوابين من الشرك والمتطهرين من الذنوب وقال مجاهد التوابين من الذنوب لا يعودون فيها والمتطهرين منها لم يصيبوها والتواب الذي كلما أذنب تاب نظيره قوله تعالى « فإنه كان للأوابين غفورا » قوله تعالى (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) أخرنا أبو سعيد أحمد ابن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق الثعالبى أخرنا عبد الله بن حامد الأصبهاني أخرنا محمد بن يعقوب أنا ابن المنادى أنا يونس أنا يعقوب القمي عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير

مقبلة

عن ابن عباس جاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما أهلكك قال حولت رجلي البارحة فلم يرد عليه شيئاً وأوحى الله إليه «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم» بقول أدبر وأقبل واتق الدبر والحيضة

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أحمد بن الحسين الحيرى أنا صاحب بن أحمد الطوسى أنا عبد الرحيم بن منيب أنا
 ابن عيينة عن ابن المنكر أنه سمع جابر بن عبد الله يقول كانت اليهود تقول فى الذى يأتى امرأته من دبرها فى قبلها أن الولد يكون
 أنحول فنزلت نسأؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وروى مجاهد عن ابن عباس قال كان من شأن أهل الكتاب أن لا يأتوا
 النساء إلا على حرف وذلك أستر ما تكون المرأة وكان هذا الحى من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحى من
 قريش يتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب
 يصنع بها ذلك فأنكرت عليه وقالت إنا كنا نؤتى على حرف فان شئت فاصنع ذلك وإلا فاجتنبى حتى سرى أمرها فبلغ ذلك
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى نسأؤكم حرث لكم الآية يعنى موضع الولد فأتوا حرثكم أنى شئتم مقبلات ومدبرات
 ومستلقيات وأنى حرف استنهام يكون مؤالا عن الحال والمحل معناه كيف شئتم وحيث شئتم ومد أن يكون فى ضمام واحد وقال
 عكرمة أنى شئتم إنما هو الفرج ومثله عن الحسن وقيل حرث لكم أى مزرع لكم ومنبت الولد بمنزلة الأرض التى تزرع وفيه
 دليل على تحريم الأدبار لأن محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر وقال سعيد بن (٢١٩) المسبب هذا فى العزل يعنى

المقبلة ومدبرة على كل حال إذا كان فى الفرج وفى الآية دليل على تحريم إتيان النساء فى أدبارهن
 لأن محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر ويؤيد ذلك ما روى عن أبى هريرة قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم «ملعون من أتى امرأة فى دبرها» أخرجه أبو داود وقال سعيد بن المسبب
 هذا فى العزل يعنى إن شئتم فاعزلوا وإن شئتم لا تعزلوا وسئل ابن عباس عن العزل فقال
 حرثك إن شئت فاعطش وإن شئت فارو وروى
 عنه أنه قال تستأمر
 الحرف فى العزل ولا تستأمر
 الجارية وبه قال أحمد
 وكره جماعة العزل
 وقال هو الواد الخفى
 وروى عن مالك عن نافع
 قال كنت أمسك على
 ابن عمر المصحف فقرا
 هذه الآية نسأؤكم حرث
 لكم فقال أتدري قيم
 نزلت هذه الآية قلت

مقبلة ومدبرة على كل حال إذا كان فى الفرج وفى الآية دليل على تحريم إتيان النساء فى أدبارهن
 لأن محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر ويؤيد ذلك ما روى عن أبى هريرة قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم «ملعون من أتى امرأة فى دبرها» أخرجه أبو داود وقال سعيد بن المسبب
 هذا فى العزل يعنى إن شئتم فاعزلوا وإن شئتم لا تعزلوا وسئل ابن عباس عن العزل فقال
 حرثك إن شئت فاعطش وإن شئت فارو وروى عنه أنه قال تستأمر الحرف فى العزل ولا تستأمر
 الجارية وبه قال أحمد وكره جماعة العزل وقالوا هو الواد الخفى وروى نافع قال كنت أمسك
 على ابن عمر المصحف فقرا هذه الآية نسأؤكم حرث لكم قال أتدري قيم نزلت هذه الآية قلت
 لا قال نزلت فى رجل أتى امرأته فى دبرها فشق ذلك عليه فنزلت هذه الآية وروى عبد الله
 ابن الحسن أنه لقي سالم بن عبد الله بن عمر فقال له يا عم ما حديث يحدثه نافع عن عبد الله أنه لم
 يكن يرى بأسا بإتيان النساء فى أدبارهن فقال كذب العبد وأخطأ إنما قال عبد الله يؤتون
 فى فروجهن من أدبارهن ويحكى عن مالك بإحاطة ذلك وأنكره أصحابه وأجمع جمهور العلماء
 على تحريم إتيان النساء فى أدبارهن وقالوا لأن الله حرم الفرج فى حال الحيض لأجل النجاسة
 العارضة وهو الدم فأولى أن يحرم الدبر لأجل النجاسة اللازمة ولأن الله تعالى نص على ذكر
 الحرث والحرث به يكون نيات الولد فلا يحل العنول عنه إلى غيره . وقوله تعالى (وقدموا
 لأنفسكم) يعنى الولد وقيل قدموا التسمية والدعاء عند الجماع (ق) عن ابن عباس قال قال النبي

لا قال نزلت فى رجل أتى امرأته فى دبرها فشق ذلك عليه فنزلت هذه الآية ويحكى عن مالك بإحاطة ذلك وأنكره أصحابه وروى
 عن عبد الله بن الحسن أنه لقي سالم بن عبد الله فقال له يا أبا عمر ما حدثت حديث نافع عن عبد الله أنه لم يكن يرى بأسا بإتيان النساء
 فى أدبارهن فقال كذب العبد وأخطأ إنما قال عبد الله يؤتون فى فروجهن من أدبارهن والليل على تحريم الأدبار ما أخبرنا عبد الوهاب
 ابن محمد بن الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أخبرنا الشافعى أنا عمر محمد بن علي بن
 شافع أخبرنى عبد الله بن علي بن السائب عن عمرو بن أبى أجنحة بن الحلاج عن خزيمة بن ثابت أن رجلا سأل النبي ﷺ عن
 إتيان النساء فى أدبارهن فقال النبي صلى الله عليه وسلم فى أى الخزمتين أو فى أى الخزمتين أى من دبرها فى قبلها
 فعم أو من دبرها فى دبرها فلا فإن الله لا يستحي من الحق لأناتوا النساء فى أدبارهن أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشرىعى أنا
 أبو إسحاق الثعلبى أنا أبو عبد الله الحسين بن محمد الحافظ أنا عمر بن أحمد بن القاسم التهاوقدى أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان
 الحضرمى أنا عبد الله بن أبان أنا يحيى بن زكريا بن أبى زائدة عن مسلم بن خالد عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم «ملعون من أتى امرأته فى دبرها» قوله تعالى (وقدموا لأنفسكم) قال عطاء التسمية عند الجماع قال
 مجاهد وقدموا لأنفسكم يعنى إذا أزر أهله فليدع أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعمى أنا محمد بن إسحاق بن

أنا عثمان بن أبي شيبة أنا جرير عن منصور عن سالم عن كريب عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا » وقيل قدموا لأنفسكم يعني طلب الولد أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقى أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا مات الإنسان انتزع عمله إلا من ثلاثة صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » وقيل هو الزوج بالعفاف ليكون الولد صالحا أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا مسدد أنا يحيى عن عبد الله حدثني سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها (٢٢٠) ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » وقيل معنى الآية تقديم

الإفراط أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتسمه النار إلا تحلة القسم » وقال الكلبي والسدي وقدموا لأنفسكم يعني الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية (واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه) صائرُونَ إليه فيجزبكم بأعمالكم (ويشرك المؤمنون) قوله تعالى (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم)

صلى الله عليه وسلم « لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا » وقيل أراد به تقديم الإفراط (ق) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتسمه النار إلا تحلة القسم » قوله « إلا تحلة القسم » يعني قدر ما يبر الله قسمه فيه وهو قوله تعالى « وإن منكم إلا واردها » فإذا وردها جاوزها فقد أبر الله قسمه وقيل قدموا لأنفسكم يعني من الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية (واتقوا الله) أي احذروا أن تأتوا شيئا مما نهاكم الله عنه (واعلموا أنكم ملاقوه) أي صائرُونَ إليه في الآخرة فيجزبكم بأعمالكم (ويشرك المؤمنون) يعني بالكفر من الله تعالى. قوله عز وجل (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين خنته بشر بن النعمان شيء فحلف عبد الله لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصم له فكان إذا قيل له فيه يقول قد حلفت بالله أن لا أفعل فلا يجعل لي إلا أن تبرئيني فأزل الله هذه الآية وقيل نزلت في أبي بكر الصديق حين حلف ألا يفتق على مسطح حين خاض في حديث الإفك والعرضة ما يجعل معرضا للشيء وقيل العرضة الشدة والقوة وكل ما يعترض فيمنع عن الشيء فهو عرضة والمعنى ولا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى أحدكم إلى بر وصلة رحم فيقول قد حلفت بالله لا أفعله فيعتل بيديته في ترك البر والإصلاح (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) قبل معناه لا تحلفوا بالله أن لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من حلف علي يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأتها وليكفر عن يمينه » وقيل معناه لا تكثروا الحلف بالله وإن كنتم بارين متقين مصلحين فإن كثرة الحلف بالله ضرب من الجراءة عليه (والله سميع) أي لحلفكم (علم) يعني بنياتكم. قوله عز وجل

نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين خنته على أشد بشر بن النعمان الأنصاري شيء فحلف عبد الله أن لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصمه وإذا قيل له فيه قال قد حلفت بالله أن لا أفعل فلا يجعل لي إلا أن تبرئيني فأزل الله هذه الآية وقال ابن جرير نزلت في أبي بكر الصديق حين حلف أن لا يفتق على مسطح حين خاض في حديث الإفك والعرضة أصلها الشدة والقوة ومنه قيل للدابة التي تتخذ للسفر عرضة لقوتها عليه ثم قيل لكل ما يصلح لشيء هو عرضة له حتى قالوا للمرأة هي عرضة النكاح إذا صلحت له والعرضة كل ما يعترض فيمنع عن الشيء ومعنى الآية لا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى أحدكم إلى صلة رحم أو بر فيقول حلفت بالله أن لا أفعله فيعتل بيديته في ترك البر (أن تبروا) معناه أن لا تبروا كتقوله تعالى « بين الله لكم أن تضلوا » أي لا تضلوا (واتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع علم) أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق

لا يؤاخذكم

الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف بيمين فرأى خيرا منها فليكثر عن يمينه وليفعل الذي هو خير « قوله تعالى (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) اللغو كل مطرح من الكلام لا يعتد به واختلف أهل العلم في لغو اليمين المذكورة في الآية فقال قوم هو ما يسبق إلى اللسان على عجلة لصلوة الكلام من غير عقد وقصد كقول القائل لا والله وبلى والله وكلا والله أنجزنا عبد الوهاب (٢٢١) بن محمد الكسائي أنا عبد العزيز

ابن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت : لغو اليمين قول الإنسان لا والله وبلى والله ورفع بعضهم وإلى هذا ذهب الشعبي وعكرمة وبه قال الشافعي وروى عن عائشة أيمان اللغو ما كانت في الغزل والمرء والخصومة والحديث الذي لا يعقد عليه القلب وقال قوم هو أن يحلف على شيء يرى أنه صادق فيه ثم يتبين له خلاف ذلك وهو قول الحسن والزهرى وإبراهيم النخعي وقتادة ومكحول وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه وقال علي هو اليمين على الغضب وبه قال طاوس وقال سعيد بن جبير هو اليمين في المعصية لا يؤاخذ الله بالحث فيها بل يحث ويكفر وقال مسروق

(لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) اللغو كل ما سقط مطرح من الكلام وما لا يعتد به وهو الذي يورد لاعن روية وفكر واللغو في اليمين هو الذي لا عقد معه كقول القائل لا والله وبلى والله على سبق اللسان من غير قصد ونية وبه قال الشافعي وبعضه ما روى عن عائشة قالت نزل قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم « في قول الرجل لا والله وبلى والله أخرجه البخاري موقوفا ورفع أبو داود قال قالت عائشة قال رسول الله ﷺ « هو قول الرجل في يمينه كلاً والله وبلى والله » ورواه عنها أيضا موقوفا وقيل في معنى اللغو هو أن يحلف الرجل على شيء يرى أنه صادق ثم يتبين له خلاف ذلك وبه قال أبو حنيفة ولا كفارة فيه ولا إثم عليه عنده قال مالك في الموطأ أحسن ما سمعت في ذلك أن اللغو حلف الإنسان على الشيء يتيقن أنه كذا ثم يوجد بخلافه فلا كفارة فيه قال والذي يحلف على الشيء وهو يعلم أنه فيه أثم كاذب ليرضى به أحدا ويعتذر الخلق أو يقتطع به مالا فهذا أعظم من أن تكون فيه كفارة وإنما الكفارة على من حلف أن لا يفعل الشيء المباح له فعله ثم فعله أو أن يفعله ثم لا يفعله مثل أن يحلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك أو يحلف ليضرب غلامه ثم لا يضربه وفائدة الخلاف الذي بين الشافعي وأبي حنيفة في لغو اليمين أن الشافعي لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها فيها إذا حلف على شيء يعتقد أنه كان ثم بان أنه لم يكن وأبو حنيفة يحكم بصد ذلك ومذهب الشافعي هو قول عائشة والشعبي وعكرمة ومذهب أبي حنيفة هو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعي والزهرى وسليمان بن يسار وقتادة ومكحول وقيل في معنى اللغو أنه اليمين في الغضب وقيل هو ما يقع سهوا من غير قصد البتة ومعنى لا يؤاخذكم أي لا يعاتبكم الله بلغو اليمين وقيل لا يؤاخذكم أي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) يعني لكن يؤاخذكم بما عزمتم عليه وقصدتم له وكسب القلب هو العقد والنية .

(فصل في بيان حكم الآية : وفيه مسائل)

(المسئلة الأولى) لا تتعد اليمين إلا بالله وبأسمائه وصفاته فأما اليمين بالله فهو كقول الرجل والذي نفسي بيده والذي أعبده ونحو ذلك والحلف بأسمائه كقوله والله والرحمن والرحيم والمهيمن ونحو ذلك والحلف بصفاته كقوله وعزة الله وقدرته وعظمتته ونحوه فإذا حلف بشيء من ذلك ثم حث فعليه الكفارة .

(المسئلة الثانية) لا يجوز الحلف بغير الله كقوله والكعبة والنبي وأبي ونحو ذلك فإذا حلف بشيء من ذلك لا تعتد يمينه ولا كفارة عليه ويكره الحلف به لما روى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله صلى الله

ليس عليه كفارة أنكفر خطوات الشيطان وقال الشعبي في الرجل يحلف على المعصية كفرته أن يتوب منها وكل يمين لا يجل لك أن تنى بها فليس فيها كفارة ولو أمرته بالكفارة لأمرته أن يتم ويستمر على قوله وقال زيد بن أسلم هو دعاء الرجل على نفسه كقول الإنسان أعمى الله بصري أن أفعل كذا فهذا كله لغو لا يؤاخذ الله به ولو أخذهم به لعجل لهم العقوبة ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم وقال « ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير » قوله تعالى (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) أي عزمتم وقصدتم إلى اليمين وكسب القلب العقد والنية

(والله غفور حلیم) واعلم ان اليمين لاتتعد إلا بالله أو باسم من أسمائه أو بصفة من صفاته فاليمين بالله أن يقول والذي أعبدته والذي أصلى له والذي ندمت بيده ونحو ذلك واليمين بأسمائه كقوله والله والرحمن ونحوه واليمين بصفاته كقوله وعزة الله وعظمة الله وجلال الله وقدرته الله ونحوها فإذا حلف بشيء منها على أمر في المستقبل فحنت يجب عليه الكفارة وإذا حلف على أمر ماض أنه كان ولم يكن أو على أنه لم يكن وقد كان إن كان عالما به حالة ما حلف فهو اليمين الغموس وهو من الكبائر ويجب فيه الكفارة عند بعض أهل العلم (٢٢٢) عالما كان أو جاهلا وبه قال الشافعي ولا يجب عند بعضهم وهو قول

أصحاب الرأي وقالوا إن كان عالما فهو كبيرة ولا كفارة لها كما في سائر الكبائر وإن كان جاهلا فهو يمين اللغو عندهم ومن حلف بغير الله مثلا مثل أن قال : والكعبة وبيت الله وفي الله أو حلف بأبيه ونحو ذلك فلا يكون يمينا فلا يجب به الكفارة إذا حلف وهو يمين مكروهة قال الشافعي وأخشى أن يكون معصية أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله ﷺ « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم فمن كان جاهلا فليحلف بالله أو

عليه وسلم » إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم فمن كان جاهلا فليحلف بالله أو ليصمت » أخرجاه في الصحيحين .

(المسئلة الثالثة) إذا حلف على أمر في المستقبل فحنت فعليه الكفارة وإن كان على أمر ماض ولم يكن أو على أنه لم يكن فكان فإن كان عالما به حال حلفه بأن يقول والله ما فعلت وقد فعل أو لقد فعلت وما فعل فهذه اليمين الغموس وهي من الكبائر سميت غموسا لأنها تغمس صاحبها في الإثم وتجب فيها الكفارة عند الشافعي سواء كان عالما أو جاهلا وذهب أبو حنيفة إلى أنه لا كفارة عليه فإن كان عالما فهي كبيرة وإن كان جاهلا فهي من لغو اليمين (والله غفور) يعني لعباده فيما لغوا من أيمانهم التي أخبر أنه لا يؤاخذهم عليها ولو شاء آخذهم والزمهم للكفارة في العاجل والعنوبة عليها في الآجل (حلیم) يعني في ترك معاملة أهل العصيان بالعقوبة قال الخليلي في معنى الحلیم أنه الذي لا يجبس إنعامه وأفضاله عن عباده لأجل ذنوبهم ولكنه يرزق العاصي كما يرزق المطيع ويبقيه وهو منهك في ماصيه كما يبقى البر المتقى وقد يقبه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره فضلا عن أن يدعوها كايقتها الناسك الذي يدعوها ويسأله وقال أبو سليمان الخطابي الحلیم ذو الصفح والأناة الذي لا يستغزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل ولا عصيان عاص ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحلیم إنما الحلیم الصفوح مع القدرة على الانتقام المتأنق الذي لا يعجل بالعقوبة . قوله عز وجل (للذين يؤلون من نسائهم) يؤلون أي يخلفون والألية اليمين قال كثير :

قليل الألباء حافظ ليمينه وإن سبقت منه الألية برت

والإبلاء في عرف الشرع هو اليمين على ترك الوطء كما إذا قال والله لأبجمعك أولا أباضعك أولا أفربك قال ابن عباس كان أهل الجاهلية إذا طلب الرجل من امرأته شيئا فابت أن تعطيه حلف لا يقربها السنة والسنين والثلاث فيدعها لأبما ولا ذات بعل فلما كان الإسلام جعل الله ذلك للمسلمين أربعة أشهر وأنزل هذه الآية وقال سعيد بن المسيب كان الإبلاء ضرار أهل الجاهلية فكان الرجل يريد امرأته ولا يجب أن يتزوجها غيره فيحلف أن لا يقربها أبدا فيتركها لأبما ولا ذات بعل وكانوا عليه في ابتداء الإسلام فجعل الله تعالى له الأجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المرأة أربعة أشهر وأنزل هذه الآية للذين يؤلون من نسائهم (تربص) أي انتظار (أربعة أشهر) والتربص التثبت والانتظار

فإن

ليصمت » قوله تعالى (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر) يؤلون أي

يخلفون والألية اليمين والمراد من الآية اليمين على ترك وطء المرأة قال قتادة كان الإبلاء مطلقا لأهل الجاهلية وقال سعيد بن المسيب كان ذلك من ضرار أهل الجاهلية وكان الرجل لا يجب امرأته ولا يريد أن يتزوج بها غيره فيحلف أن لا يقربها أبدا فيتركها لأبما ولا ذات بعل وكانوا عليه في ابتداء الإسلام ففرض الله له أجلا في الإسلام ، واختلف أهل العلم فيه فذهب أكثرهم إلى أنه إن حلف أن لا يقرب زوجته أبدا أو سمي مدة أكثر من أربعة أشهر يكون موليا فلا يتعرض قبل مضي أربعة أشهر وبعد مضيا بوقف ويؤمر بالنقء أو بالطلاق بعد مطالبة المرأة والتيء هو الرجوع عما قاله بالوطئ إن قلدر عليه وإن لم

يُلقب بالقول فان لم يف ولم يطلق طلق عليه السلطان واحدة وذهب إلى الوقوف بعد مضي المدة عمرو عثمان وعلى وأبو الدرداء
 وابن عمر قال سليمان بن يسار أدركت بضعة عشر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يقولون بوقف المولى وإليه ذهب سعيد بن جبير
 وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وقال بعض أهل العلم إذا مضت أربعة أشهر يقع عليها طلاق
 بائنة وهو قول ابن عباس وابن مسعود وبه قال سفيان الثوري وأصحاب الرأي ، وقال سعيد بن المسيب والزهرى يقع طلاق
 رجعية ولو حلف أن لا يبطأها أقل من أربعة أشهر لا يكون موليا بل هو (٢٢٣) حالف فإذا وطئها قبل مضي تلك

المدة تجب عليه كفارة
 التيمين ولو حلف أن
 لا يبطأها أربعة أشهر
 لا يكون موليا عند من
 يقول بالوقف بعد مضي
 المدة لأن بقاء المدة شرط
 للوقف وثبوت المطالبة
 بالنية أو الطلاق وقد
 مضت المدة وعند من
 لا يقول بالوقف يكون
 موليا ويقع الطلاق
 بمضي المدة ؛ ومدة
 الإيلاء أربعة أشهر في حق
 الحر والعبد جميعا عند
 الشافعي رحمه الله لأنها
 ضربت لمعنى يرجع إلى
 الطبع وهو قلة
 صبر المرأة عن الزوج
 فيستوى فيه الحر والعبد
 كدعة العنة وعند مالك
 رحمه الله وأبي حنيفة
 رحمه الله تنصف مدة
 العنة بالرق غير أن عند
 أبي حنيفة تنصف رِق

(فان قاموا) أي رجعوا عن التيمين بالوطء والمعنى فان رجعوا عما حلقوا عليه من ترك جماعها
 (فان الله غفور رحيم) للزوج إذا تاب من إضراره بامرأته فانه غفور رحيم لكل التائبين .
 (فروع) تتعلق بحكم الآية :
 (الفرع الأول) إذا حلف أنه لا يقرب زوجته أبدا أو مدة هي أكثر من أربعة أشهر فهو
 مول فإذا مضت أربعة أشهر يوقف الزوج ويؤمر بالنية وهو الرجوع أو الطلاق وذلك بعد
 مطالبة الزوجة فان رجع عما قال بالوطء إن قدر عليه أو بالقول مع العجز عنه فان لم يبق ولم
 يطلق طلق عليه الحاكم واحدة وهو قول عمر وعثمان وأبي الدرداء وابن عمر قال سليمان بن يسار
 أدركت بضعة عشر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يقول بوقف المولى وذهب إليه
 سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وقال ابن عباس
 وابن مسعود إذا مضت مدة أربعة أشهر يقع عليها طلاق بائنة وبه قال سفيان الثوري وأبو حنيفة
 وقال سعيد بن المسيب والزهرى يقع عليها طلاق رجعية .
 (الفرع الثاني) لو حلف أن لا يبطأها أقل من أربعة أشهر فليس بمول بل هو حالف فان
 وطئها قبل مضي المدة لزمه كفارة ممن .
 (الفرع الثالث) لو حلف أن لا يبطأها أربعة أشهر فليس بمول بعد مضي المدة عند الشافعي
 لأن بقاء المدة شرط للوقوف وثبوت المطالبة بالنية أو الطلاق وقد مضت المدة وعند أبي
 حنيفة يكون موليا ويقع الطلاق بمضي المدة .
 (الفرع الرابع) مدة الإيلاء أربعة أشهر في حق الحر والعبد جميعا عند الشافعي لأنها مدة
 ضربت لمعنى يرجع إلى الطبع وهو قلة صبر المرأة عن الزوج فيستوى فيه الحر والعبد كدعة
 العنة وعن مالك وأبي حنيفة تنصف مدة الإيلاء بالرق غير أن عند أبي حنيفة تنصف مدة
 الإيلاء برق المرأة وعند مالك برق الزوج كما في الطلاق .
 (الفرع الخامس) إذا وطئ حرج من الإيلاء ويجب عليه كفارة ممن وهذا قول أكثر
 العلماء وقيل لا كفارة عليه لأن الله تعالى وعده المغفرة فقال « فان قاموا فان الله غفور رحيم »
 ومن قال بوجوب الكفارة عليه قال ذلك في إسقاط العقوبة عنه لاقى الكفارة . قوله تعالى
 (وإن هم لم يأتوا بالطلاق) أي تحققوه بالإيقاع (فان الله سميع) يعني أي لأقوالهم (عليم) يعني بنياتهم
 وفيه دليل على أنها لا تطلق ما لم يطلقها زوجها لأنه تعالى شرط فيها العزم . قوله عز وجل

المرة وعند مالك برق الزوج كما قال في الطلاق قوله تعالى « تربص أربعة أشهر » أي انتظر أربعة أشهر والتربص التثبت
 والتوقف (فان قاموا) رجعوا عن التيمين بالوطء (فان الله غفور رحيم) وإذا وطئ في الفرج حرج عن الإيلاء وتجب
 عليه كفارة التيمين عند أكثر أهل العلم وقال الحسن وإبراهيم النخعي وقتادة لا كفارة عليه لأن الله تعالى وعده بالمغفرة فقال
 « فان الله غفور رحيم » وذلك عند الأكثرين في سقوط العقوبة لاقى الكفارة ولو قال لزوجته إن قربتك فعبدي حر أو
 ضربتك فأنت طالق أو لله على عتي عبد أو صوم أو صلاة فهو مول لأن المولى من يلزمه أمر بالوطء ويوقف بعد مضي
 المدة فان قام يقع الطلاق أو العتق المعلق به وإن التزم في الذمة تنزمت كفارة التيمين في قول وفي قول يلزمه ما التزم في ذمته
 من الإعتاق أو الصلاة والصوم (وإن هم لم يأتوا بالطلاق) أي حققوه بالإيقاع (فان الله سميع) لقولهم (عليم) بنياتهم وفيه دليل على

أنها لا تطلق بعد مضي المدة مالم يظفها زوجها لأنه شرط فيه العزم وقال فان الله مبيح عليم فدل على أنه يقتضى مسموعا والقول هو الذى يسمع قوله تعالى (والمطلقات) أى الخليات من حبال أزواجهن (يتربصن) ينتظرن (بأنفسهن ثلاثة قروء) فلا يتزوجن والقروء جمع قرء مثل قرع وجمعه القليل أقرؤ والجمع الكثير أقرء واختلف أهل العلم فى القرء فذهب جماعة إلى أنها الحيض وهو قول عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد وإليه ذهب الأوزاعي والثوري وأصحاب الرأي واحتجوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمستحاضة دعى الصلاة أيام أقرائك وإنما تدع المرأة

الصلاة أيام حيضها وذهب جماعة إلى أنها الأطهار وهو قول زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وعائشة وهو قول الفقهاء السبعة والزهري وبه قال ربيعة ومالك والشافعي واحتجوا بأن ابن عمر رضى الله عنه لما طلق امرأته وهى حائض قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم إن شاء أمسك وإن شاء طلق قبل أن يمسه فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء فأخبر أن زمان العدة هو الطهر ومن جهة اللغة قول الشاعر :

فى كل عام أنت جاشم غزوة

تشد لأقصاها عزم عرائكا

مورثة مالا وفى الحى رفعة لما ضاع فيها من قروء نساككا

(والمطلقات) أى الخليات من حبال أزواجهن والمطلقة هى التى وقع الزوج عليها الطلاق (يتربصن بأنفسهن) أى ينتظرن فلا يتزوجن (ثلاثة قروء) جمع قرء والقروء اسم يقع على الحيض والظهر قال أبو عبيدة الأقرء من الأضداد كالشقق اسم للحدرة والبياض وقيل إنه حقيقة فى الحيض مجاز فى الطهر وقيل بالعكس واختلفوا فى أصله فتيل أصله الجمع من قرأ أى جمع لأن فى وقت الحيض يجتمع الدم فى الرحم وفى وقت الطهر يجتمع فى البدن وقيل أصله الوقت يقال رجع فلان امرته أى لوقته الذى كان نيه لأن الحيض يأتى لوقت والطهر يأتى لوقت وبحسب اختلاف أهل اللغة فى الأقرء اختلف الفقهاء على قولين أحدهما أن الأقرء هى الحيض روى ذلك عن عمرو على وابن مسعود وابن عباس وأبي موسى وعبادة بن الصامت وأبي الدرداء وبه قال عكرمة والضحاك والسدى والأوزاعي وسفيان الثوري وأبو حنيفة وأصحابه وقال أحمد بن حنبل كنت أقول إن الأقرء هى الأطهار وأنا اليوم أذهب إلى أنها الحيض القول الثانى أنها الأطهار يروى ذلك عن زيد بن ثابت وابن عمر وعائشة وبه قال الزهري وأبان بن عثمان ومالك والشافعي وحجة من يقول إن الأقرء هى الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعى الصلاة أيام أقرائك يعنى أيام حيضك لأن المرأة لا تدع الصلاة إلا أيام حيضها وحجة من يقول إنها الأطهار أن ابن عمر لما طلق امرأته وهى حائض قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم إن شاء أمسكها وإن شاء طلق قبل أن يمسه فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء فأخبر أن زمان العدة هو الطهر لا الحيض ويعضده من اللغة قول الأعشى :

فى كل عام أنت جاشم غزوة تشد لأقصاها عزم عرائكا

مورثة مالا وفى الحى رفعة لما ضاع فيها من قروء نساككا

أراد أنه كان يخرج للغزو ولم يغش نساءه فمضي أقرؤه وإنما تضييع بالسفر زمان الطهر لازمان الحيض وفائدة الخلاف أن مدة العدة عند الشافعي أقصر وعند غيره أطول وذلك أن المعتدة إذا شرعت فى الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للأزواج وبحسب بقية الطهر الذى وقع فيه الطلاق قرءا على قول من يجعل الأقرء الأطهار قالت عائشة رضى الله عنها إذا دخلت المطلقة فى الحيضة الثالثة فقد بان من زوجها وحلت للأزواج وروى عنها أنها قالت القرء الطهر ليس بالحيضة قال الشافعي والنساء بهذا أعلم لأن هذا مما يبتلى به النساء وإن طلقتها فى حال الحيض فإذا شرعت فى الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعلى قول من يجعل

الأقرء

وأراد به أنه كان يخرج إلى الغزو ولم يغش نساءه فمضي أقرؤه

وإنما تضييع بالسفر زمان الطهر لازمان الحيض وفائدة الخلاف تطهر فى أن المعتدة إذا شرعت فى الحيضة الثالثة تنقض عدتها على قول من يجعلها أطهارا وبحسب بقية الطهر الذى وقع فيه الطلاق قرءا ، قالت عائشة رضى الله عنها إذا طلعت المطلقة فى الدم من الحيضة الثالثة فقد برئت منه ويرى منها ومن ذهب إلى أن الأقرء هى الحيض يقول لا تنقض عدتها مالم تطهر من الحيضة الثالثة وهذا الخلاف من حيث إن اسم القرء يقع على الطهر والحيض جميعا ، يقال أقرأت المرأة إذا حاضت وأقرأت إذا ظهرت فهى مقرئ واختلفوا فى أصله فقال أبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة هو الوقت لحيء الشيء

وذهابه يقال رجع فلان لقرئه. ولقارنه أي لوقته الذي يرجع فيه وهذا قارئ الرياح أي وقت هبوبها. قال مالك بن الحارث الهذلي :

كرهت العقر عقر بني شليل إذا هبت لقارنها الرياح

أي لوقتها والقرء يصلح للوجهين لأن الحيض يأتي لوقت والطهر مثله وقيل هو من القرء وهو الحبس والجمع ؛ تقول العرب ما قرأت الناقة سلا قط أي لم تضم رحمها على ولد ومنه قرئت الماء في المقرأة وهي الحوض ؛ أي جمعتها بترك حمزها فالقرء ههنا احتباس الدم واجتماعه ؛ فعلى ذلك يكون الترجيح فيه للطهر لأنه يحبس الدم ويجمعه والحيض يرخيه ويرسله رجلا. الحكم في العدد أن المرأة إذا كانت حاملا فعندتها بوضع الحمل ، سواء وقعت الرقة بينها وبين الزوج بالطلاق أو بالموت لقوله تعالى «وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن» فان لم تكن (٢٢٥) حاملا نظر إن وقعت الرقة

بينها بموت الزوج فعليها أن تعتد بأربعة أشهر وعشر سواء مات الزوج قبل الدخول أو بعده وسواء كانت المرأة ممن تحيض أو لا تحيض لقول الله والذين يتوفون

منكم ويأرون أزواجهم يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا وإن وقعت الرقة بينهما بالطلاق

في الحياة نظر إن كان قبل الدخول بها فلا عدة عليها

لقول الله تعالى «إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن

فما لكم عليهن من عدة تعتدونها» وإن كان بعد الدخول نظر إن كانت المرأة ممن لم تحض قط

أو بلغت في الكبر سن الآيسات فاعتدتها ثلاثة أشهر لقول الله تعالى

الأقراء حيضا وهو مذهب أبي حنيفة لا تنقض عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة إن كان وقع الطلاق في حال الطهر أو من الحيضة الرابعة إن وقع في حال الحيض . فان قلت مامعنى الإخبار عنهن بالتربص في قوله والمطلقات يتربصن بأنفسهن . قلت هو خبر في صورة الأمر وأصل الكلام وليتربص المطلقات فاخرج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بانتهما يجب . يأتي بالمسارعة إلى امتثاله إلى امتثالهن فكأنهن امثلن الأمر بالتربص فهو خبر عن موجود ونظيره قولهم في الدعاء يرحمك الله أخرج في صورة الخبر ثقة بالإجابة فكأنه قال وجدت الرحمة فهو خبر عنها .

(فصل في أحكام العدة) وفيه مسائل :

(المسئلة الأولى) عدة الحامل تنقض بوضع الحمل سواء المطلقة والمتوفى عنها زوجها وسواء في ذلك الحرة والأمة .

(المسئلة الثانية) عدة المتوفى عنها سوى الحامل أربعة أشهر وعشرة أيام سواء مات عنها زوجها قبل الدخول أو بعده وسواء في ذلك الحيض والأمة والآيسة .

(المسئلة الثالثة) عدة المطلقة المدخول بها وهي ضربان : أحدهما الحيض فعندتها بالإقراء وهي ثلاثة أقراء الضرب الثاني الآيسات من الحيض وإما الكبر أو تكون لم تحض قط فعندتها ثلاثة أشهر وأما المطلقة قبل الدخول فلا عدة عليها .

(المسئلة الرابعة) عدة الإمام نصف عدة الحرائر فيما له نصف وفي الأقراء قرآن لأنه لا ينصف قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ينكح العبد اثنتين ويطلق طليقتين وتعتد الأمة بحيضتين وقوله تعالى (ولا يجلي لمن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن) قال ابن عباس يعني الولد وقيل الحيض ؛ والمعنى أنه لا يجلي للمرأة كتمان ما خلق الله في رحمها من الحيض أو الحمل لتبطل بذلك الكتمان حتى الزوج من الرجعة والولد (إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر) «إذا وعيد شديد لتأكيد تحريم الكتمان وإيجاب أداء الأمانة في الإخبار» في الإخبار في الرحم من الحيض أو الولد والمعنى أن هذا

(٢٩ - خازن بالهوى - أول) واللاتي يتسن من الحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتي لم

يحضن وإن كانت ممن تحيض فعندتها ثلاثة أقراء لقوله تعالى «والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء» وقوله يتربصن بأنفسهن لفظه خبر ومعناه أمر وعدة الأمة إن كانت حاملا بوضع الحمل كالحررة وإن كانت حائلا في الوفاة عدتها شهران وخمسة ثيال وفي الطلاق إن كانت ممن تحيض فعندتها قرآن وإن كانت ممن لا تحيض فشهرا ونصف وقيل شهران كلقائه من في حق من تحيض قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ينكح العبد امرأتين ويطلق طليقتين وتعتد الأمة بحيضتين فان لم تكن تحض فشهريين أو شهرا ونصفا. قوله عز وجل (ولا يجلي لمن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن) قال عكرمة يعني الحيض وهو أن يريد الرجل مراجعتها فتقول قد حضت ثلاثة وقال ابن عباس وقناة يعني الحمل ومعنى الآية لا يجلي للمرأة كتمان ما خلق الله في رحمها من الحيض والحمل لتبطل - في الزوج من الرجعة والولد (إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر) معناه أن ههنا من فعل المؤمنات وإن كانت

المؤمنة والكافرة في هذا الحكم سواء كما تقول أد حتى إن كنت مؤمنا ، يعني أداء الحقوق من فعل المؤمنين (ويعولن) يعني أزواجهن جمع بعل كالفحولة جمع فحل سمى الزوج بعلا لقيامه بأمر زوجته وأصل البعل السيد والمالك (أحن بردهن) أولى برجعتهن إليهم (في ذلك) أي في حال العدة (إن أرادوا إصلاحا) أي إن أرادوا بالرجعة الصلاح وحسن العشرة لا الإضرار كما كانوا يفعلونه في الجاهلية كالرجل يطلق امرأته فإذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم تركها مدة ثم طاقها فإذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم بعد مدة طلقها يقصد بذلك تطويل العدة عليها (وبن) أي للنساء على الأزواج مثل الذي عليهن للأزواج بالمعروف قال ابن عباس في معناه إن أحب أن أتزين لامرأتي كما تحب امرأتي أن تتزين لي لأن الله تعالى قال (وبن مثل الذي عليهن بالمعروف) أخبرنا أبو عبد الله (٢٣٦) محمد بن الحسن المرزى أخبرنا أبو سهل محمد بن عمر بن طرفة

الشجري أنا أبو سليمان الخطابي أخبرنا أبو بكر ابن داسم أنا أبو داود السجستاني أنا موسى بن إسماعيل أنا حماد أنا أبو قرعة سويد بن حجر الباهلي عن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه قال « قلت يارسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه قال أن تطعمها إذا طعمت وأن تكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت » أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا أبو إسحاق إبراهيم

من فعل المؤمنات وإن كانت المؤمنة والكافرة فيه سواء فهو كقولك أد حتى إن كنت مؤمنا يعني أن أداء الحقوق من أفعال المؤمنين وتقول للذي يظلم إن كنت مؤمنا فلا تظلمني ، والمعنى ينبغي أن يمنعك إيمانك من الظلم وفي سبب وعيد النساء بهذا قولان أحدهما أنه لأجل ما يستحقه الزوج من الرجعة قاله ابن عباس والثاني أنه لأجل إلحاق الولد بغير أبيه قاله قتادة وقيل كانت المرأة إذا رغبت في زوجها تقول إنى حائض وإن كانت قد طهرت ليراجعها وإن كانت زاهدة فيه كتبت حيفها وتقول قد طهرت لتفوته فهاهن الله عن ذلك وأمرهن بأداء الأمانة (ويعولن) أحن بردهن (في ذلك) يعني أزواجهن سمى الزوج بعلا لقيامه بأمر زوجته وأصل البعل السيد والمالك والمعنى أزواجهن أولى برجعتهن وردهن إليهم في ذلك أي في حال العدة فإذا انقضى وقت العدة فقد يطل حتى الرد والرجعة (إن أرادوا إصلاحا) يعني إن أراد الزوج بالرجعة الإصلاح وحسن العشرة لا الإضرار بهن وذلك أن أهل الجاهلية كانوا راجعون ويريدون بذلك الإضرار فنهى الله المؤمنين عن مثل ذلك وأمرهم بالإصلاح وحسن العشرة بعد الرجعة (وبن) يعني وللنساء على الأزواج (مثل الذي عليهن) يعني للأزواج (بالمعروف) وذلك أن حق الزوجية لا يتم إلا إذا كان كل واحد منهما يراعى حق الآخر فيما له وعليه فيجب على الزوج أن يقوم بجميع حقها ومصالحها ويجب على الزوجة الاتقياد والطاعة له قال ابن عباس في معنى الآية إنى أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي لأن الله تعالى قال (وبن مثل الذي عليهن بالمعروف (م) عن جابر أنه ذكر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وقال فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فاتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانات الله واستحلتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح وبن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . قوله فاتقوا الله في النساء فيه الحث على الوصية بين ومراعاة حقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف . قوله فانكم أخذتموهن بأمانات الله ويروى بأمانة وقوله واستحلتم فروجهن بكلمة الله معناه بإباحة الله والكلمة هي قوله « فاتكحوا ما طاب لكم من النساء وقيل الكلمة هي قوله « فامسك بمعروف أو تسرخ بإحسان » وقيل الكلمة هي كلمة

التوحيد

ابن محمد بن سفيان أنا محمد بن الحجاج أنا أبو بكر بن

أبي شيبة أنا حاتم بن إسماعيل المدني عن جعفر بن محمد عن أبيه أنه قال دخلنا على جابر بن عبد الله فقلت أخبرني عن حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسرد قصة حجة الوداع إلى أن ذكر خطبته يوم عرفة قال « فاتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحلتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح وبن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم ما إن تمسكن به لئن تفضلوا بعده كتاب الله وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بأصبعه السبابة رافعها إلى السماء وينكها إلى الناس اللهم أشهد ثلاث مرات » أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أحمد بن الحسن الحريرى أنا حاجب بن أحمد الطوسى أنا محمد بن يحيى أنا يعلى بن عبيد أنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وإن أكمل المؤمنين

إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم للسائكم. قوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) قال ابن عباس بما ساق إليها من المهر وأنفق عليها من المال وقال قتادة بالجهاد وقيل بالعقل وقيل بالشهاد وقيل بالميراث (٢٢٧) وقيل بالدية وقيل بالطلاق

لأن الطلاق بيد الرجال وقيل بالرجعة وقال سفیان وزيد بن أسلم بالإمارة وقال القتيبي وللرجال عليهن درجة معناه فضيلة في الحق (والله عزير حكيم) أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحی أخبرنا أبو سعيد محمد ابن موسى الصيرفي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي أنا حذيفة أنا سفیان عن الأعمش عن أبي ظبيان أن معاذ بن جبل خرج في غزاة بعنه النبي صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجعت امرأته رجلاً يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ولو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها. إن تسجدت المرأة لزوجها فبطلت نكاحها. قال ابن زبير قال كان الرجل إذا طلق زوجته ثم ارتجعها قبل أن تنقضي عدتها كان له ذلك وإن طلقها ألف مرة فعد رجل إلى امرأته فطلقها حتى إذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها ثم قال والله لا آويك إلى ولا تحلين أبداً فأنزل الله تعالى والطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان فاستقبل الناس الطلاق جديداً من ذلك اليوم من كان طلق أو لم يطلق أخرجه الترمذي وله عن عائشة قالت كان الناس والرجل يطلق امرأته ما شاء الله أن يطلقها وهي امرأته إذا ارتجعها وهي في العدة وإن طلقها مائة أو أكثر حتى قال رجل لامرأته والله لا أطلقك فتبيني مني ولا آويك أبداً قالت وكيف ذلك قال أطلقك فكلمنا عمت عدتكم أن تنقضي راجعتك فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فأخبرتها فسكت عائشة حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل القرآن الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان قالت عائشة فاستأنف الطلاق مستقبلاً من كان قد طلق ومن لم يطلق ومعنى الآية أن الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثالثة إلا أن تنكح زوجاً آخر وهذا التفسير هو قول من جوز الجمع بين الطلاق الثلاث في دفعة واحدة وهو الشافعي، وقيل في معنى الآية إن التطبيق الشرعي يجب أن يكون تطليقة بعد تطليقة بعد تطليقة على التفرقة دون الجمع والإرسال دفعة واحدة وهذا التفسير هو قول من قال إن الجمع بين الثلاثة حرام إلا أن أبا حنيفة قال يقع الثلاث وإن كان حراماً وقيل إن الآية دالة على عدد الطلاق الذي يكون للرجل فيه الرجعة على زوجته والعدد الذي تبين به زوجته منه، والمعنى أن عدد الطلاق الذي لكم فيه رجعة على أزواجكم إذا كن مدخولاً بهن تطليقتان وأنه لا رجعة

التوحيد وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله إذ لا تحل مسلمة لغير مسلم وقوله لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه معناه ولا يأذن لأحد أن يتحدث إليهن وكان من عادة العرب أن يتحدث الرجال مع النساء ولا يرون ذلك عيباً ولا يعدونه ريباً إلى أن نزلت آية الحجاب فنهوا عن ذلك وليس المراد بوطء القرش نفس الزنا فإن ذلك محرم على كل الوجوه فلا معنى لاشتراط الكراهة فيه ولو كان المراد ذلك لم يكن الضرب فيه ضرباً غير مبرح إنما كان فيه الحد والضرب المبرح هو الشديدي وقوله ونحن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف يعني بالعدل وفيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وذلك ثابت بالإجماع. وقوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) أي منزلة ورفعة قال ابن عباس بما ساق إليها من المهر وأنفق عليها من المال وقيل إن فضيلة الرجال على النساء بأمر منها العقل والشهادة والميراث والدية وصلاحية الإمامة والقضاء وللرجال أن يتزوج عليها ويتسرى وليس لها ذلك وبيد الرجل الطلاق فهو قادر على تطليقها وإذا طلقها رجعية فهو قادر على رجعتها وليس شيء من ذلك بيدها (والله عزير) أي غالب لا يجتمع عليه شيء (حكيم) أي في جميع أفعاله وأحكامه روى البغوي بسنده عن أبي ظبيان أن معاذ بن جبل خرج في غزاة بعنه رسول الله ﷺ فيها ثم رجعت امرأته رجلاً يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها. قوله عز وجل (الطلاق مرتان) عن عروة بن الزبير قال كان الرجل إذا طلق زوجته ثم ارتجعها قبل أن تنقضي عدتها كان له ذلك وإن طلقها ألف مرة فعد رجل إلى امرأته فطلقها حتى إذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها ثم قال والله لا آويك إلى ولا تحلين أبداً فأنزل الله تعالى والطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان فاستقبل الناس الطلاق جديداً من ذلك اليوم من كان طلق أو لم يطلق أخرجه الترمذي وله عن عائشة قالت كان الناس والرجل يطلق امرأته ما شاء الله أن يطلقها وهي امرأته إذا ارتجعها وهي في العدة وإن طلقها مائة أو أكثر حتى قال رجل لامرأته والله لا أطلقك فتبيني مني ولا آويك أبداً قالت وكيف ذلك قال أطلقك فكلمنا عمت عدتكم أن تنقضي راجعتك فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فأخبرتها فسكت عائشة حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل القرآن الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان قالت عائشة فاستأنف الطلاق مستقبلاً من كان قد طلق ومن لم يطلق ومعنى الآية أن الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثالثة إلا أن تنكح زوجاً آخر وهذا التفسير هو قول من جوز الجمع بين الطلاق الثلاث في دفعة واحدة وهو الشافعي، وقيل في معنى الآية إن التطبيق الشرعي يجب أن يكون تطليقة بعد تطليقة بعد تطليقة على التفرقة دون الجمع والإرسال دفعة واحدة وهذا التفسير هو قول من قال إن الجمع بين الثلاثة حرام إلا أن أبا حنيفة قال يقع الثلاث وإن كان حراماً وقيل إن الآية دالة على عدد الطلاق الذي يكون للرجل فيه الرجعة على زوجته والعدد الذي تبين به زوجته منه، والمعنى أن عدد الطلاق الذي لكم فيه رجعة على أزواجكم إذا كن مدخولاً بهن تطليقتان وأنه لا رجعة

قاربت انقضاء عدتها رجعتا ثم طلقها كذلك ثم رجعتا بقصد مضاربتها فنزلت هذه الآية الطلاق مرتان يعني الطلاق الذي يملك الرجعة عفية مرتان فإذا طلق ثلاثاً فلا تحل له إلا بعد نكاح زوج آخر. قوله تعالى (فامسك بمعروف) قيل أراد بالإمسك الرجعة بعد الثانية والصحيح أن المراد منه الإمساك بعد الرجعة يعني إذا راجعها بعد الطلقة الثانية فعليه أن يمسكها بالمعروف والمعروف كل

ما يعرف في الشرع من أداء حقوق النكاح وحسن الصحبة (أو تسريح باحسان) هو أن يتركها بعد الطلاق حتى تنتفض عديتها وقبل الطلقة قوله تعالى أو تسريح باحسان وصرح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلاثة الطلاق والفراف والسراح وعند أبي حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فحسب وجملة الحكم فيه أن الحر إذا طلق زوجته طلقة أو طلقين بعد الدخول بها يجوز له مراجعتها بغير رضاها مادامت في العدة وإن لم يراجعها حتى انقضت عديتها أو طلقها قبل الدخول بها أو خالعهما فلا تحل له إلا بنكاح جديد باذنها وإذن ولها فان طلقها ثلاثا فلا تحل له ما لم تنكح زوجا غيره وأما العبد إذا كانت تحته امرأة فطلقها طلقتين فإنها لا تحل إلا بعد نكاح زوج آخر. (٢٢٨) واختلف أهل العلم فيها إذا كان أحد الزوجين رقيقا فذهب أكثرهم

إلى أنه يعتبر عدد الطلاق بالزوج فالحر يملك على زوجته الأمة ثلاث طلاقات والعبد لا يملك على زوجته الحرة إلا طلقتين. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الطلاق بالرجال والعدة بالنساء يعني يعتبر في عدد الطلاق حال الرجل وفي قدر العدة حال المرأة وهو قول عثمان وزيد بن ثابت وابن عباس رضي الله عنهم وبه قال عطاء وسعيد بن المسيب وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحاق، وذهب قوم إلى أن الاعتبار بالمرأة في عدد الطلاق فيملك العبد على زوجته الحرة ثلاث طلاقات ولا يملك الحر على زوجته الأمة إلا

له بعد التطليقتين إن سرحها فطلقها الثالثة (فاساك بمعروف) يعني بعد الرجعة وذلك أنه إذا راجعها بعد التطليقة الثانية فعليه أن يمسكها بالمعروف وهو كل ما عرف في الشرع من أداء حقوق النكاح وحسن الصحبة (أو تسريح باحسان) يعني أنه يتركها بعد الطلاق حتى تنتفض عديتها من غير مضارة وقيل هو أنه إذا طلقها أدى إليها جميع حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا يفر الناس عنها.

(فروع) تتعلق بأحكام الطلاق :

(الفرع الأول) صريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلاث الطلاق والفراف والسراح ، وعند أبي حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فقط .

(الفرع الثاني) الحر إذا طلق زوجته طلقة أو طلقتين بعد الدخول بها فله مراجعتها من غير رضاها مادامت في العدة فإذا لم يراجعها حتى انقضت عديتها أو طلقها قبل الدخول بها أو خالعهما فلا تحل له إلا بنكاح جديد باذنها وإذن ولها .

(الفرع الثالث) العبد يملك على زوجته الأمة تطليقتين. واختلف فيها إذا كان أحد الزوجين حرا فالحر يملك على زوجته الأمة ثلاث تطليقات والعبد يملك على زوجته الحرة تطليقتين فلا اعتبار بحال الزوج في عدد الطلاق وبه قال الشافعي ومالك وأحمد وذهب أبو حنيفة إلى أن الاعتبار بالمرأة فالعبد يملك على زوجته الحرة ثلاث تطليقات والحر يملك على زوجته الأمة تطليقتين (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتتوهن) يعني أعطيتوهن (وهن شيئا) يعني من مير أو غيره ثم استثنى الخلع فقال تعالى (إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله) نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي أوفى ويقال حبيبة بنت سهل الأنصاري كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وكان بينهما كلام فأتت أباها تشكو إليه زوجها وقالت إنه يسب أبي ويضربني فقال أرجعني إلى زوجك فإني أكره للمرأة أن لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها قال فرجعت إليه الثالثة وبها أمر الضرب فقال أرجعني إلى زوجك فلما رأت أن أباها لا يشكها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت إليه زوجها وأرته آثارا بها من ضربه وقالت يا رسول الله لا أنا ولا هو فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثابت فقال مالك ولأهلك فقال والذي بعثك

طلقتين وهو قول سفیان الثوري وأصحاب الرأي قوله تعالي (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتتوهن شيئا) باحق أعطيتوهن وهن شيئا من المهور وغيرها ثم استثنى الخلع فقال (إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله) نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي أوفى ويقال في حبيبة بنت سهل كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فكان بينهما كلام فأتت أباها فشكت إليه زوجها وقالت له إنه يسبني فقال أرجعني إلى زوجك فإني أكره للمرأة أن لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها قال فرجعت إليه الثانية وبها أمر الضرب فقال لها أرجعني إلى زوجك فلما رأت أن أباها لا يشكها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت إليه زوجها وأرته آثارا بها من ضربه وقالت يا رسول الله لا أنا ولا هو فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثابت بن قيس فقال مالك ولأهلك فقال والذي بعثك بالحق نبيا ما على وجه الأرض أحب إلى منها غيرك فقال لها ما متولين فكرهت

ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألتها فقالت صدق يا رسول الله ولكن قد خشيت أن يهلكني فأخرجني منه وقالت يا رسول الله ما كنت لأحدثك حديثاً ينزل الله عليك بخلافه فهو من أكرم الناس محبة لزوجته ولكني أبغضه فلا أنا ولا هو قال ثابت يا رسول الله قد أعطيتها حديقة فقل لها تردها علي وأخلي سبيلها ، فقال لها تردين عليه حديقته وتملكين أمرك قالت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما أعطيتها وخل سبيلها . ففعل أخبرنا عبد الواحد المريحي أنا أحمد بن عبد الله النعمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا زاهر بن جميل أخبرنا عبد الوهاب الثقفي أنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما « أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت

يا رسول الله ما أعجب عليه في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الإسلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين عليه حديقته قالت نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل الحديقة وطلقها تطليقة قوله تعالى إلا أن يخاف أي يعلم أن لا يقرب حدود الله . قرأ أبو جعفر وحزة ويعقوب إلا أن يخاف بضم الياء أي يعلم ذلك منهما يعني يعلم القاضى والوالى ذلك من الزوجين بدليل قوله تعالى فان ختم فجع الخوف لغير الزوجين ولم يقل فان خافا وقرأ الآخرون خافا بفتح الياء

بالحق نبيا ما على وجه الأرض أحب إلى منها غيرك فقال لها ماتقولين ؟ فكرهت أن تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألتها فقالت صدق يا رسول الله ولكني خشيت أن يهلكني فأخرجني منه وقالت يا رسول الله ما كنت لأحدثك حديثاً ينزل الله عليك بخلافه هو أكرم الناس محبة لزوجته ولكني أبغضه فلا أنا ولا هو قال ثابت أعطيتها حديقة فقل لها فلتردها علي وأخلي سبيلها فقال لها تردين عليه حديقته وتملكين أمرك قالت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما أعطيتها وخل سبيلها ففعل (خ) عن ابن عباس « أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت يا رسول الله إن ثابت بن قيس ما أعجب عليه في خلق ولا مال ولكني أكره الكفر في الإسلام قال أبو عبد الله يعني تبغضه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين عليه حديقته ؟ قالت نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل الحديقة وطلقها تطليقة » قوله ما أعجب عليه يعني ما أجد عليه والعنى الموجودة والحديقة البستان من النخل إذا كان عليه الحائط ومعنى قوله تعالى إلا أن يخاف أي يعلم الزوجان من أنفسهما أن لا يقربا حدود الله والمعنى تخاف المرأة أن تعصى الله في أمور زوجها وتخاف الزوج أنه إذا لم تطعه أن يعتدى عليها فنهى الله الرجل أن يأخذ من امرأته شيئاً مما أعطتها إلا أن يكون النشوز من قبلها وذلك أن تقول لا أطيع لك أمراً ولا أطأ لك مضجعاً ونحو ذلك وقرئ يخافا بضم الياء ومعناه إلا أن يعلم ذلك من حالهما يعني يعلم القاضى والوالى (فان ختم) يعني فان خشيتهم وأشفتهم وقيل معناه فان ظنتم (الأيقيا حدود الله) يعني ما أوجب الله على كل واحد منهما من طاعته فيما أمره به من حسن الصحبة والمعاشرة بالمعروف وقيل هو يرجع إلى المرأة وهو سوء خلقها واستخفافها بحق زوجها (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) أي لا جناح على المرأة في النشوز إذا خشيت الهلاك والمعصية فيما افتدت به نفسها أو أعطت من المال لأنها ممنوعة من إتلاف المال بغير حق ولا على الزوج فيما أخذ من المال إذا أعطته المرأة طائعة راضية .

(فصل : في حكم الخلع وفيه مسائل)

الأولى قال الزهري والنخعي وداود : لا يباح الخلع إلا عند الغضب والخوف من أن لا يقربا حدود الله فان وقع الخلع في غير هذه الحالة فهو فاسد وحجة هذا القول أن الآية صريحة في أنه

تعصى الله في أمر زوجها وتخاف الزوج إذا لم تطعه امرأته أن يعتدى عليها ، فنهى الله الرجل أن يأخذ من امرأته شيئاً مما أتتها إلا أن يكون النشوز من قبلها فقالت لا أطيع لك أمراً ولا أطأ لك مضجعاً ونحو ذلك قال الله تعالى (فان ختم الأيقيا حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به) أي يقربا نفسها منه قال القراء أراد به قوله عليها الزوج دون المرأة فذكرها جميعاً لا قراً بينهما كقولته تعالى نسيا حوتهما وإنما الناسى فنى موسى دون موسى وقيل أراد أنه لا جناح عليهما جميعاً لا جناح على المرأة في النشوز إذا خشيت الهلاك والمعصية ولا فيما افتدت به وأعطت من المال لأنها ممنوعة من إتلاف المال بغير حق ولا على الزوج فيما أخذ منها من المال إذا أعطته طائعة وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الخلع جائز على أكثر مما أعطتها وقال الزهري لا يجوز بأكثر مما أعطتها من المهر وقال سعيد بن المسيب لا يأخذ منها جميع ما أعطتها بل يترك شيئاً ويجوز الخلع على

غير حال التشوز غير أنه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب . أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله
ابن فنجويه الدينوري أنا عبد الله بن محمد بن شيبه أنا أحمد بن جعفر المستملي أنا أبو محمد يحيى بن إسحاق بن شاذان بن أحمد
ابن حجاب أنا عيسى بن يونس أنا عبيد الله بن الوليد الوصافي عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « إن من أبعض الحلال إلى الله تعالى (٢٣٠) الطلاق ولا أحب إليه من العتق » أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا

أبو إسحاق الثعلبي أخبرني
ابن فنجويه أنا ابن
أبي شيبه أنا محمد بن
عثمان بن أبي شيبه أنا
أبي أنا أسامة عن حماد
ابن زيد عن أبي أيوب
عن أبي قلابة عن أبي أسماء
الرحبي عن ثوبان يرفعه
إلى النبي صلى الله عليه
وسلم قال « أيما امرأة
سألت زوجها الطلاق
في غير بأس فحرام عليها
رائحة الجنة » . وقال
طاوس الخلع يختص
بحالة خوف التشوز
لظاهر الآية والآية
خرجت على وفق العادة
في أن الخلع لا يكون
إلا في حال خوف
التشوز غالبا وإذا طلق
الرجل امرأته بلفظ
الطلاق على مال فقبيلت
وقعت البيونة وانتقض
به العدد . واختلف أهل
العلم في الخلع ، فذهب
أكثرهم إلى أنه تطليقة
بأئنة ينتص بها عدد

لا يجوز للزوج أن يأخذ من المرأة شيئا عند طلاقها ثم استثنى الله تعالى حالة مخصوصة فقال إلا
أن يخاف أن لا يقيا حدود الله فكانت هذه صريحة في أنه لا يجوز الأخذ في غير حالة الغضب
والخوف من أن لا يقيا حدود الله ، وذهب جمهور العلماء إلى أنه يجوز الخلع من غير تشوز ولا
غضب غير أنه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة » أخرجه
أبو داود والترمذي . عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أبعض الحلال إلى الله الطلاق »
أخرجه أبو داود ودليل الجمهور على جواز الخلع من غير تشوز قوله تعالى « فإن طبن لكم عن
شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » فإذا جاز لها أن تهب مهرها من غير أن يحصل لها شيء فإذا
بذلت كان ذلك في الخلع الذي تصير بسببه مالكة أمر نفسها أولى . وأجيب عن الاستثناء المذكور
في هذه الآية أنه محمول على الاستثناء المنقطع .

(المسئلة الثانية) الخلع جائز على أكثر مما أعطاها وبه قال أكثر العلماء ، وقال بعضهم لا يجوز
أن يأخذ أكثر مما أعطاها وهو قول علي وبه قال الزهري والشعبي والحسن وعطاء وطاوس وقال
سعيد بن المسيب بلى يأخذ دون ما أعطاها حتى يكون الفضل فيه وحجة الجمهور أن الخلع عقد على
معاوضة فوجب أن لا يفيد بمقدار معين كما أن للمرأة أن لا ترضى عند عقد النكاح إلا بالكثير
فكانت للزوج أن لا يرضى عند الخلع إلا بالبدل الكثير لاسيما وقد أظهرت الاستخفاف بالزوج
حيث أظهرت بغضه وكرهته .

(المسئلة الثالثة) اختلف العلماء في الخلع هل هو فسخ أو طلاق فقال الشافعي في القديم إنه
فسخ وهو قول ابن عباس وطاوس وعكرمة وبه قال أحمد وإسحاق وأبو ثور وقال الشافعي
في الجديد إنه طلاق وهو الأظهر وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود والحسن والشعبي والنخعي وعطاء
وابن المسيب ومجاهد ومكحول والزهري وبه قال أبو حنيفة ومالك وسفيان الثوري . وحجة القول
القديم أن الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال « فإن طلقها
فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » ولو كان الخلع طلاقا لكان الطلاق أربعة وحجة
القول الجديد أنه لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى كالإقالة في البيع وأيضا لو
كان الخلع فسخا فاذا خالعا ولم يذكر مهرا وجب أن يجب المهر عليها كالإقالة فإن الثمن
يجب رده وإن لم يذكره فثبت أن الخلع ليس بفسخ وإذا بطل ذلك ثبت أنه طلاق وأيضا فإن
الطلقة الثالثة قوله أو تسريح باحسان . وفائدة الخلاف أنها إذا جعلناه طلاقا ينتقص به عدد الطلاق
فإن تزوجها بعده كانت معه على طلقتين وإن جعلناه فسخا بانت منه بثلاث . قوله تعالى

الطلاق وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود
وبه قال سعيد بن المسيب وعطاء والحسن والشعبي والنخعي وإليه ذهب مالك والثوري والأوزاعي وأصحاب الرأي وهو أظهر
قول الشافعي وذهب قوم إلى أنه فسخ لا ينتقص به عدد الطلاق وهو قول عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم
وبه قال عكرمة وطاوس وإليه ذهب أحمد وإسحاق واحتجوا بأن الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر
بعده الطلقة الثالثة فقال « فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » ولو كان الخلع طلاقا لكان الطلاق أربعة ومن

(تلك)

قال بالقول الأول جعل الطلقة الثالثة أو تسريح باحسان. قوله تعالى (تلك حدود الله أي هذه أو امر الله ولواهيته وحدود الله ما منع الشرع من تجاوزته عنه) فلا تعتدوها) فلا تجاوزوها (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) قوله تعالى (فان طلقها) يعني الطلقة الثالثة (فلا تحل له من بعد) أي من بعد الطلقة الثالثة (حتى تنكح زوجا غيره) أي غير المطلق في جامعها والنكاح يتناول الوطء والعقد جميعا نزلت في تميمة وقيل في عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي كانت تحت ابن عمها رفاعة ابن وهب بن عتيك القرظي فطلقها ثلاثا أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب (٢٣١) أنا عبد العزيز بن أحمد

الحلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أخبرنا سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنه سمعها تقول جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني كنت عند رفاعة القرظي فطلقني فبث طلاقا وتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وإنما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة فقالت نعم قال لا حتى يذوق عسيلتك يعني على المرأة والزوج الأول (أن يتراجعا) يعني ينكحا جديدا (إن ظنا) أي علما وأيقنا وقيل إن رجوا لأن أحدا لا يعلم ما هو كائن إلا الله تعالى (أن يقيا حدود الله) يعني يقيا بينهما الصلاح وحسن العشرة والصحبة وقيل معناه إن علما أن نكاحها على غير دلالة والمراد بالدلالة التحليل (فرعان : الأول) مذهب جمهور العلماء أن المطلقة بالثلاث لا تحل للزوج المطلقة منه بالثلاث إلا بشرائط وهي أن تعتد منه ثم تزوج بزواج آخر وبطأها ثم يطلقها ثم تعتد منه فإذا

(تلك حدود الله) يعني هذه أو امر الله ونواهيته وهو ما تقدم من أحكام الطلاق والرجعة والخلع وحدود الله ما منع من تجاوزتها وهو قوله (فلا تعتدوها) أي فلا تجاوزوها (ومن يتعد حدود الله) أي تجاوزها (فأولئك هم الظالمون) قوله عز وجل (فان طلقها) يعني الطلقة الثالثة (فلا تحل له من بعد) أي لا تحل له رجعتها بعد الثلاث (حتى تنكح زوجا غيره) يعني حتى تزوج زوجا آخر غير المطلق في جامعها والنكاح يتناول العقد والوطء جميعا والمراد هنا الوطء نزلت في تميمة وقيل عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي وكانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي فطلقها ثلاثا (ق) عن عائشة قالت « جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني كنت عند رفاعة فطلقني فبث طلاقا فتزوجت بعده عبد الرحمن ابن الزبير وإنما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك وقد ذوق عسيلتك وهو كناية عن استرخاء الذكركر قوله حتى يذوق عسيلتك بضم العين تصغير العسل شبه لذة الجماع بالعسل وهو كناية عنه وإنما أنت العسل لأن من العرب من يؤنثه وقيل أنه حمل لاه على المعنى لأن المراد منه النطفة وعبد الرحمن المذكور هو عبد الرحمن ابن الزبير بفتح الزاي وكسر الباء مشددة ، وروى أنها لبثت ما شاء الله ثم رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن زوجي قد مسني فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الأول فلن أصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله ﷺ فأتت أبا بكر فقالت يا خليفته رسول الله صلى الله عليه وسلم أرجع إلى زوجي الأول فان زوجي الآخر قد مسني وطلقني فقال لها أبو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتيت وقال لك ما قال فلا ترجعي إليه فلما قبض أبو بكر أتت عمر وقالت لأبي بكر فقال لها لئن رجعت إليه لأرجمنك . قوله تعالى (فان طلقها) يعني الزوج الثاني بعد وطئها (فلا جناح عليهما) يعني على المرأة والزوج الأول (أن يتراجعا) يعني ينكحا جديدا (إن ظنا) أي علما وأيقنا وقيل إن رجوا لأن أحدا لا يعلم ما هو كائن إلا الله تعالى (أن يقيا حدود الله) يعني يقيا بينهما الصلاح وحسن العشرة والصحبة وقيل معناه إن علما أن نكاحها على غير دلالة والمراد بالدلالة التحليل (فرعان : الأول) مذهب جمهور العلماء أن المطلقة بالثلاث لا تحل للزوج المطلقة منه بالثلاث إلا بشرائط وهي أن تعتد منه ثم تزوج بزواج آخر وبطأها ثم يطلقها ثم تعتد منه فإذا

فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الأول فلن أصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم فأتت أبا بكر رضي الله عنه فقالت يا خليفته رسول الله ﷺ أرجع إلى زوجي الأول فان زوجي الآخر قد مسني وطلقني فقال لها أبو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتيت وقال لك ما قال فلا ترجعي إليه فلما قبض أبو بكر رضي الله عنه أتت عمر رضي الله عنه وقالت له مثل ذلك فقال لها عمر رضي الله عنه لا ترجعي إليه لئن رجعت إليه لأرجمنك . قوله تعالى (فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا) يعني فان طلقها الزوج الثاني بعد ما جامعها فلا جناح عليهما يعني على المرأة وعلى الزوج الأول أن يتراجعا يعني ينكحا جديدا (إن ظنا) أي علما وقيل رجوا لأن أحدا لا يعلم ما هو كائن إلا الله عز وجل (أن يقيا حدود الله)

أى يكون بينهما الصلاح وحسن الصحبة ، وقال مجاهد معناه إن علما أن نكاحهما على غير دلالة وأراد بالدلالة التحليل وهو مذهب سفيان الثوري والأوزاعي ومالك وأحمد وإسحاق قالوا إذا تزوجت المطلقة ثلاثاً زوجها آخر ليحلها للزوج الأول فإن النكاح فاسد وذبح جماعة إلى أنه إذا لم يشترط في النكاح مع الثاني أنه يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل ولها صداق مثلها غير أنه يكره إذا كان في عزمها ذلك . أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التميمي أخبرنا أبو التمام حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو أحمد عبد الله بن عبد الحافظ أنا الحسن بن الفرج أخبرنا عمرو بن خالد الحراني أنا عبيد الله ابن عبد الكريم هو الجوزي عن أبي واصل (٢٣٢) عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لعن الله

الحلل والمحلل له ، وقال نافع أتى رجل ابن عمر فقال له إن رجلاً طلق امرأته ثلاثاً فانطلق أخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للأول فقال لا إلا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله ﷺ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعن الله المحلل والمحلل له (وتلك حدود الله بيننا لقوم يعلمون) يعنى يعلمون ما أمرهم الله تعالى به . قوله تعالى (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) الآية نزلت في رجل من الأنصار يدعى ثابت ابن يسار طلق امرأته حتى قاربت انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها يقصد بذلك مضاربتها قوله تعالى فبلغن أجلهن أى أشرفن على أن تيبن بانقضاء العدة ولم يرد انقضاء العدة لأنه لو انقضت عدتها لم يكن للزوج إمساكها فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة كما يقال بلغ فلان البلد إذا قاربه وشارفه فهذا من باب المجاز الذى يطلق اسم الكل فيه على الأكثر وقيل إن الأجل اسم للزمان فيحمل على الزمان الذى هو آخر زمان يمكن إيقاع الرجعة فيه بحيث إذا فات لا يتي بعده مكنة إلى الرجعة وعلى هذا التأويل فلا حاجة لنا إلى المجاز (فأمسكوهن) أى راجعوهن (بمعروف) وهو أن يشهد على رجعتها وأن يراجعها بالقول لا بالوطء (أو سرحوهن بمعروف) أى أتركوهن حتى تنقضى عدتهن فيه . يمكن أنفسهن (ولا تمسكوهن ضراً) أى لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس وقيل كانوا يضاروهن لتفتدى المرأة منه بما لها (لنعتدوا) أى لتنظروهن مجاوزة تمك في أمورهن حدود الله التى بينها لكم وقيل معناه لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) أى ضر نفسه بمخالفة أمر الله وتعرضها عناب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزواً) يعنى

حصلت هذه الشرائط فقد حلت للأول وإلا فلا وقال سعيد بن جبيرة وسعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد والمذهب الأول هو الأصح واختلف العلماء في اشتراط الوطء هل ثبت بالكتاب أو بالسنة على ثلاثة أقوال الثالث وهو المختار أنه ثبت بهما (الثاني) إذا تزوج بالمطلقة ثلاثاً ليحلها للأول فهذا نكاح باطل وعقد فاسد وبه قال مالك وأحمد لما روى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لعن المحلل والمحلل له ، أخرجه الرمذى وقال حديث حسن صحيح وروى أنه قال هو التيس المستعار ولو تزوجها ولم يشترط في النكاح أنه يارقهما فلنكاح صحيح ويحصل به التحليل إذا طلقها واقضت العدة غير أنه يكره إذا كان في عزمها ذلك وبه قال الشافعي وأبو حنيفة ودليل ذلك أن الآية دلت على أن الحرمة تنهى بوطء مسبق بعقد وقد وجد ذلك فوجب القول بانتهاج الحرمة وقال نافع أتى رجل إلى ابن عمر فقال إن رجلاً طلق امرأته ثلاثاً فانطلق أخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للأول فقال لا إلا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله ﷺ وقوله تعالى (وتلك حدود الله بيننا لقوم يعلمون) يعنى يعلمون ما أمرهم الله تعالى به . قوله تعالى (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) الآية نزلت في رجل من الأنصار طلق امرأته حتى إذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها يقصد بذلك مضاربتها (فبلغن أجلهن) أى قاربت انقضاء عدتهن وشارفن منهاها ولم يرد انقضاء العدة لأنه لو انقضت عدتها لم يكن للزوج إمساكها فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة كما يقال بلغ فلان البلد إذا قاربه وشارفه فهذا من باب المجاز الذى يطلق اسم الكل فيه على الأكثر وقيل إن الأجل اسم للزمان فيحمل على الزمان الذى هو آخر زمان يمكن إيقاع الرجعة فيه بحيث إذا فات لا يتي بعده مكنة إلى الرجعة وعلى هذا التأويل فلا حاجة لنا إلى المجاز (فأمسكوهن) أى راجعوهن (بمعروف) وهو أن يشهد على رجعتها وأن يراجعها بالقول لا بالوطء (أو سرحوهن بمعروف) أى أتركوهن حتى تنقضى عدتهن فيه . يمكن أنفسهن (ولا تمسكوهن ضراً) أى لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس وقيل كانوا يضاروهن لتفتدى المرأة منه بما لها (لنعتدوا) أى لتنظروهن مجاوزة تمك في أمورهن حدود الله التى بينها لكم وقيل معناه لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) أى ضر نفسه بمخالفة أمر الله وتعرضها عناب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزواً) يعنى

تعالى فبلغن أجلهن أى أشرفن على أن تيبن بانقضاء العدة ولم يرد حقيقة انقضاء العدة لأن العدة إذا انقضت لم يكن للزوج إمساكها فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة ، وقى قوله تعالى بعد هذا فبلغن أجلهن فلا تعضوهن حقيقة انقضاء العدة والبلوغ يتناول المعنيين يقال بلغت المدينة إذا قريت منها وإذا دخلتها (فأمسكوهن) أى راجعوهن (بمعروف) قيل المراجعة بالمعروف أن يشهد على رجعتها وأن يراجعها بالقول لا بالوطء (أو سرحوهن بمعروف) أى أتركوهن حتى تنقضى عدتهن فيمكن أملك لأنفسهن (ولا تمسكوهن ضراً) أى لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) أى أضر بنفسه بمخالفة أمر الله تعالى (ولا تتخذوا آيات الله هزواً) قال الكاظمي يعنى قوله تعالى وفامسك بمعروف أو تسريح بإحسان وكل من خالف أمر الشرع فهو متخذ آيات الله هزواً وقال أبو الدرداء هو أن الرجل

كان يطلق امرأته ثم يقول كنت لاعبا ويعتق ويقول مثل ذلك وينكح ويقول مثل ذلك. أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقى أنا أبو الحسن الطيسفوني أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشميري أخبرنا علي بن حجر أخبرنا إسماعيل بن جعفر عن أبي حبيب بن أردك هو عبد الرحمن بن حبيب وابن ماعك هو يوسف بن ماعك عن عطاء بن أبي رباح عن أبي ماعك عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال ثلاث جدهن جلدوهن (٢٣٣) جلد الطلاق والنكاح والرجعة

(وإذا كروا نعمت الله
عليكم) بالإيمان (وما
أزل عليكم من الكتاب)
يعني القرآن (والحكمة)
يعني السنة وقيل مواعظ
القرآن (يعظكم به
وتقوا الله واعلموا أن
الله بكل شيء عليم وإذا
طلقت النساء فبلغن
أجلهن) نزلت في جميلة
بنت يسار أخت معقل
ابن يسار المزني كانت
تحت أبي القداح بن عاصم
بن عدى بن عجلان
فطلقها أخبرنا عبد الواحد
المليحي أخبرنا أحمد
ابن عبد الله النعماني
أنا محمد بن يوسف
أنا محمد بن إسماعيل
أخبرنا أحمد بن عمرو
حدثني أبي حدثني أبو هاشم
عن يونس عن الحسن
قال حدثني معقل بن يسار
قال زوجت أختي من
رجل فطلقها حتى إذا
انقضت عدتها جاء بخطبها
فقات له زوجها وفرشتك
وأكرمتك فطلقتها ثم
جئت بخطبها لا والله

بذلك ما بين من حلاله وحرامه وأمره ونهيه في وجهه وتزويله فلا تتخذوا ذلك استهزاء ولعباً
فمن وجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصل إليه هذه الأحكام التي تقدم ذكرها في العدة
والرجعة والخلع وترك المضارة فلا يتخذها هزواً ففيه تهديد عظيم ووعيد شديد وقيل هو
راجع إلى قوله فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان فكل من خالف أمراً من أمور الشرع فهو
متخذ آيات الله هزواً وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعباً فبها عن
ذلك. عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال ثلاث جدهن جلدوهن جلد الطلاق والنكاح والرجعة
والرجعة أخرجه أبو داود والترمذي. وقوله تعالى (وإذا كروا نعمة الله عليكم) يعني بالإيمان الذي
أنعم به الله عليكم فهذا كم له وسائر نعمه التي أنعم بها عليكم (وما أزل عليكم) أي واذكروا
نعمته فيما أزله عليكم (من الكتاب) يعني القرآن (والحكمة) يعني السنة التي علمها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسنها لكم وقيل المراد بالحكمة مواعظ القرآن (يعظكم به) أي بالكتاب
الذي أزله على نبيه صلى الله عليه وسلم (واتقوا الله) يعني خافوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه
(واعلموا أن الله بكل شيء عليم) يعني أن الله تعالى يعلم ما أخفيتم من طاعة ومعصية في سر وعلان لا يخفى
عليه شيء من ذلك. قوله عز (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) نزلت في معقل بن يسار المزني عضل
أخته جميلة وكانت تحت أبي القداح بن عاصم بن عدى فطلقها معقل بن يسار قال كانت لي أخت
تخطب لي وأمنعتها من الناس فأتاني ابن عم لي فأنكحها إياه فاصطحبها ماشاء الله ثم طلقها طلاقاً
له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت لي أتاني يخطبني مع الخطاب فقات له خطبت
لي فمعتها الناس وأترتك بها فزوجتك ثم طلقها طلاقاً لك فيه رجعة ثم تركتها حتى انقضت
عدتها فلما خطبت لي أتيتني تخطبني مع الخطاب والله لا أنكحها لك أبداً ففي ذلك نزلت هذه
الآية وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن الآية فكثرت عن
يمنى وأنكحها إياه أخرجه البخاري. وقيل أن جابر ابن عبد الله كانت له ابنة عم فطلقها زوجها
نطليقة فلما انقضت عدتها أراد أن يرجعها فأبى جابر وقال طلق ابنة عمنا ثم تريد أن تنكحها
الثانية وكانت المرأة تريد زوجها قدر رضيته فنزلت هذه الآية وأراد بلوغ الأجل في قوله فبلغن
أجلهن انقضاء العدة بخلاف الآية التي قبل هذه الآية قال الشافعي دل اختلاف الكلامين على
افتراق البلوغين (فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) خطاب للأولياء والمعنى لانقضت واعلمن
أيها الأولياء فتنبهوا من مراجعة أزواجهن بنكاح جديد يتبعون بذلك مضارتهن فهو خطاب
عام لجميع الأولياء وإن كان سبب الآية خاصاً وأصل العضل المنع والتضييق ومنه قول أوس
ابن حجر :

وليس أخوك الدائم العهد بالذي يذمك إن ولي ورضيك مقبلاً

(٣٠ - خازن بالبعوى - أول) لا تعود إليك أبداً وكان رجلاً لا بأس به وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه فأزل
الله تعالى (فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) فقلت الآن أفعل يا رسول الله قال فزوجها إياه. قوله تعالى: فبلغن أجلهن
أي انقضت عدتهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن أي لا تمنعهن عن النكاح والعضل المنع وأصله الضيق والشدة
يقال عضلت المرأة إذا نشب ولدها في بطنها ففراق عليه الخروج والداء العضال الذي لا يطاق علاجه وفي الآية دليل على

ان المرأة لا تلي عقد النكاح إذ لو كانت تملك ذلك لم يكن هناك عضل ولا لنهي الولى عن العضل معنى وقيل الآية خطاب مع الأزواج لمنعهم من الإضرار لأن ابتداء الآية خطاب معهم والأول أصح (إذا تراضوا بينهم بالمعروف) بعقد حلال ومهر جائز (ذلك) أى الذى ذكر من النهى (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) وإنما قال ذلك موحدا والخطاب للأولياء لأن الأصل فى مخاطبة الجمع ذلك ثم كثر حتى نوهوا أن الكاف من نفس الحرف وايسر بكاف خطاب فقالوا ذلك فاذا قالوا هذا كانت الكاف موحدة مستوية فى الاثنين والجمع والمؤنث والمذكر قيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فلذلك وجد ثم رجع إلى خطاب المؤمنين فقال (ذلكم أزكى لكم) أى خير لكم (وأطهر) لقلوبكم من الريسة وذلك أنه كان فى نفس كل واحد منهما علاقة حيث لم يؤمن أن يتجاوز ذلك إلى غير ما أحل الله عما ولم يؤمن من الأولياء أن يسبق إلى قلوبهم منهما ما لعلمها أن يكونا (٢٣٤) يربين من ذلك فيأثمون (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) أى يعلم من حب

ولكنه الثانى إذا كنت آمنة وضاحية الأذى إذا الأمر أعضلا

يعنى إذا أضاف الأمر، وفى الآية دليل للشافعى ومن وافقه فى أن المرأة لا تلي عقد النكاح ولا تأذن فيه إذ لو كانت تملك ذلك لم يكن عضل ولا لنهي الولى عن العضل معنى . وقوله تعالى (إذا تراضوا بينهم بالمعروف) يعنى إذا تراضى الخطاب والنساء والمعروف هنا ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر جائز وقيل هو أن يرضى كل واحد منهما بما التزمه لصاحبه بحق العقد حتى تحصل الصحة الحسنة والعشرة الجميلة (ذلك) أى ذلك الذى ذكر من النهى (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) يعنى أن المؤمن هو الذى ينتفع بالوعظ دون غيره (ذلكم أزكى لكم وأطهر) يعنى أنه خير لكم وأطهر لقلوبكم وأطيب عند الله (والله يعلم) يعنى ما فى ذلك من التزكاة والتطهير (وأنتم لا تعلمون) يعنى ذلك . قوله عز وجل (والوالدات) يعنى المطلقات اللاتي هن أولاد من أزواجهن وقيل المراد بهن جميع الوالدات سواء كن مطلقات أو متزوجات وبدل عليه أن اللفظ عام وما قام على دليل التخصيص فوجب تركه على عمومه ولأنه ظاهر اللفظ فوجب حمله عليه (يرضعن أولادهن) هذا خبر بمعنى الأمر والتقدير والوالدات يرضعن أولادهن فى حكم الله الذى أوجبه وهذا الأمر ليس أمر بإيجاب وإنما هو أمر ندى واستحباب لأن تربية الطفل بلبن الأم أصلح له من لبن غيرها ولكمال شفقتها عليه وبدل على أنه لا يجب على الوالدة إرضاع الولد . قوله فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استحققت الأجرة وقال تعالى « وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى » وهذا نص صريح فى ذلك فان لم يوجد من يرضع الطفل أو لم يقبل غير لبن أمه وجب عليها إرضاعه كما يجب على كل أحد مواساة المضطر فان رغبت الأم فى إرضاع ولدها فهى أولى به من غيرها (حولين كاملين) الحول السنة وأصله من حال يحول إذا انقلب وإنما قال كاملين للتوكيد لأنه مما يقسام فيه تقول أمت عند فلان

كل واحد منهما بالصاحبه مالا تعلمون أنتم . قوله تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن) أى المطلقات اللاتي هن أولاد أزواجهن يرضعن خبر بمعنى الأمر ، وهو أمر استحباب لأمر إيجاب لأنه لا يجب عليهن الإرضاع إذا كان يوجد من يرضع الولد لقوله تعالى فى سورة الطلاق « فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن » فان رغبت الأم فى الإرضاع فهى أولى من غيرها (حولين كاملين) أو مستثنى وذكر الكمال

حولا

للتأكيد كقوله تعالى « تلك عشرة كاملة » وقيل إنما قال كاملين لأن العرب

قد تسمى بعد الحول وحولا وبعض الشهر شهرا كما قال الله تعالى الحج أشهر معلومات وإنما هى شهران وبعض الثالث وقال « فمن تعجل فى يومين فلاثم عليه » وإنما يتعجل فى يوم وبعض يوم ويقال أقام فلان بموضع كذا حولين وإنما أقام بمحولا وبعض آخر فى بن الله تعالى أنهما حولان كاملان أربعة وعشرون شهرا . واختلف أهل العلم فى هذا الحد فمنهم من قال هو حد لبعض المولودين فروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها إذا وضعت لسته أشهر فانها ترضعه حولين كاملين وإن وضعت لسته أشهر فانها ترضعه ثلاثا وعشرين شهرا وإن وضعت لسته أشهر فانها ترضعه أحدًا وعشرين شهرا وإن وضعت لعشرة أشهر فانها ترضعه عشرين شهرا كل ذلك تمام ثلاثين شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال قوم هو لكل مولود بأى وقت ولد لا ينقص رضاعه عن حولين إلا باتفاق الأبوين فأيهما أراد القطام قبل تمام الحولين ليس له ذلك إلا أن يجتمعا عليه لقوله تعالى « فان أراد إفضالا عن تراض منهما وتشاور » وهذا قول ابن جريج والنورى ورواية الواجب

عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل المراد من الآية بيان أن الرضاع الذي يثبت الحرمة ما يكون في الحولين فلا يحرم ما يكون بعد الحولين. قال قتادة فرض الله على الوالدات إرضاع حولين كاملين ثم أنزل التخفيف فقال (لمن أراد أن يتم الرضاعة) أي هنا. انتهى الرضاعة وليس فيها دون ذلك حد محدود وإنما هو على مقدار صلاح الصبي وما يعيش به (وعلى المولود له) يعني الأب (رزقه) طعامه (وكسوته) لباسه (بالمعروف) أي على قدر الميسرة (لا تكلف نفس إلا وسعها) أي طاقتها (لا تضار والده بولدها) قرأ ابن كثير وأهل البصرة برفع الراء نسقا على قوله (٢٣٥) لا تكلف وأصله تضار فأدغمت

الراء في الراء وقرأ الآخرون تضار بنصب الراء وقالوا لما أدغمت الراء في الراء حركت إلى أخف الحركات وهو التصب؛ ومعنى الآية لا تضار والده بولدها فينزع الولد منها إلى غيرها بعد أن رضيت بارضاعه (ولا مولود له بولده) أي لا تلقيه المرأة إلى أبيه بعد ما ألقتها تضاره بذلك وقيل معناه لا تضار والده فتكره على إرضاعه إذا كرهت إرضاعه وقيل الصبي من غيرها لأن ذلك ليس بواجب عليها ولا مولود له بولده فيحتمل أن يعطى الأم أكثر مما يجب لها إذا لم ترضع الولد من غيرها فعلى هذين القولين أصل الكلمة لا تضار بفتح الراء الأولى على الفعل المجهول والوالدة والمولود مفعولان ويحتمل أن يكون الفعل لهما

حولا وإن لم تستكماه فبين الله أنهما حولان كاملان أربعة وعشرون شهرا وهذا التحديد بالحولين ليس لتحديد إيجاب ويدل على ذلك قوله بعده (لمن أراد أن يتم الرضاعة) فلما علق الإتمام بإرادتنا علمنا أن هذا الإتمام غير واجب فثبت أن المقصود من هذا التحديد قطع النزاع بين الزوجين في مقدار زمن الرضاعة فقدر الله تعالى ذلك بالحولين حتى يرجعا إليه عند النزاع قال ابن عباس في رواية عنكرمة إذا وضعت الولد لسته أشهر أرضعته حولين وإن وضعته لسبعة أشهر أرضعته ثلاثا وعشرين شهرا وإن وضعته لثلاثة أشهر أرضعته أحدنا وعشرين شهرا ككل ذلك ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفضاله ثلاثون شهرا وقال في رواية الوالي عنه هو حد لكل مولود في أي وقت ولد لا ينقص رضاعه عن حولين إلا بانقضاء من الأبوين فأيهما أراد فطام الولد قبل الحولين فليس له ذلك إلا إذا اتفقا عليه يدل على ذلك قوله فان أراد فصلا عن تراض منهما وقيل فرض الله على الوالدات إرضاع الولد حولين ثم أنزل التخفيف فقال لمن أراد أن يتم الرضاعة أي هذا منتهى الرضاع لمن أراد إتمام الرضاعة وليس فيها دون ذلك حد محدود وإنما هو على مقدار صلاح الطفل وما يعيش به (وعلى المولود له) يعني الأب وإنما عبر عنه بهذا لأن الوالدات إنما ولدن للآباء ولذلك ينسب الولد للأب دون الأم قال بعضهم :
وإنما أمهات الناس أوعية مستودعات وللآباء أبناء

وقيل إن هذا تنبيه على أن الولد إنما يلتحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه فكأنه قال إذا ولدت المرأة الولد لأجل الرجل وعلى فراشه وجب عليه رعاية مصالحه (رزقه) أي طعامه (وكسوته) أي لباسه (بالمعروف) أي على قدر الميسرة (لا تكلف نفس إلا وسعها) يعني طاقتها، والمعنى أن أبا الولد لا يكلف في الإتيان عليه وعلى أمه إلا قدر ما تتسع به قدرته ولا يبلغ إسراف القدرة (لا تضار والده بولدها) يعني لا ينزع الولد من أمه بعد أن رضيت بارضاعه ولا يدفع إلى غيرها وقيل معناه لا تكره الأم على إرضاع الولد إذا قبل الصبي لبن غيرها لأن ذلك ليس بواجب عليها (ولا مولود له بولده) يعني لا تلقي المرأة الولد إلى أبيه وقد ألقتها تضاره بذلك وقيل معناه لا يلزم الأب أن يعطى أم الولد أكثر مما يجب عليه لها إذا لم يرضع الولد من غير أمه فعلى هذا يرجع الضرر إلى الوالدين فيكون المعنى لا يضار كل واحد منهما صاحبه بسبب الولد وقيل يحتمل أن يكون الضرر راجعا إلى الولد والمعنى لا يضار كل واحد من الأبوين الولد فلا ترضعه حتى يموت فيضرر بذلك ولا ينفق عليه الأب أو ينزعه من أمه فيضره بذلك فعلى هذا تكون الباء صلة والمعنى لا تضار والده ولدها ولأب ولده (وعلى الوارث مثل ذلك) يعني وعلى وارث أبي الولد إذا مات مثل ما كان يجب عليه من النفقة والكسوة فيلزم وارث

وتكون تضار بمعنى تضار بکسر الأولى على تسمية الفاعل والمعنى لا تضار والده فتأني أن ترضع ولدها ليشق على أبيه ولا مولود له أي لا يضار الأب أم الصبي فينزع منها ويمنعها من إرضاعه وعلى هذه الأقوال يرجع الضرر إلى الوالدين يضار كل واحد منهما صاحبه بسبب الولد ويجوز أن يكون الضرر راجعا إلى الصبي أي لا يضار كل واحد منهما الصبي ولا ترضعه الأم حتى يموت أو لا ينفق الأب أو ينزعه من الأم حتى يضر بالصبي فعلى هذا تكون الباء زائدة ومعناه لا تضار والده ولدها ولأب ولده وكل هذه الأقوال مروية عن المفسرين. قوله تعالى (وعلى الوارث مثل ذلك) اختلفوا في هذا الوارث فقال قوم هو

وارث الصبي معناه وعلى وارث الصبي الذي لو مات الصبي وله مال ورثته مثل الذي كان على أبيه في حال حياته ثم اختلفوا في أنه أي وارث هو من ورثته فقال بعضهم هو عصبه الصبي من الرجال مثل الجدة والأخ وابن الأخت والعم وابن العم وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وبه قال إبراهيم والحسن ومجاهد وعطاء وهو مذهب سفيان قالوا إذا لم يكن للصبي مال ينفق عليه أجبرت عصبته الذين يرثونه على أن يسترضعوه وقيل هو وارث الصبي من كان من النساء والرجال وهو قول قتادة وابن أبي ليلى ومذهب أحمد وإسحاق وقالوا يجبر على نفقته كل وارث على قدر ميراثه عصبته كانوا أو غيرهم وقال بعضهم هو من كان ذا رحم محرم من ورثة المولود فمن ليس بمحرم مثل ابن العم والمولى فغير مراد بالآية وهو قول أبي حنيفة رحمه الله وذهب جماعة إلى أن المراد (٢٣٦) بالوارث هو الصبي نفسه الذي هو وارث أبيه المنوف فيكون أجره رضاعه

والنفقة في ماله فإن لم يكن له مال فعلى الأم ولا يجبر على نفقة الصبي إلا الوالدان وهو قول مالك والشافعي رحمهما الله وقيل هو الباقي من والدي المولود بعد وفاة الآخر عليه مثل ما كان على الأب من أجره الرضاع والنفقة والكسوة وقيل ليس المراد منه النفقة بل معناه وعلى الوارث ترك المضارة ، وبه قال الشعبي والثوري (فإن أرادوا) يعني الوالدين (فصلا) فطاماً قبل الحولين (عن تراض منهن) أي اتفاق الوالدين (وتشاور) أي يشاورون أهل العلم به حتى يجبروا أن تضاعفوا أو لا تضاعفوا (فلا جناح عليهما) أي فلا حرج ولا إثم على الوالدين في النظام قبل الحولين إذا لم يضر بالولد (وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم) أي لأولادكم مرضع غير أمهاتهم إذا أبت أمهاتهم إرضاعهم أو تعذر ذلك لعلتهن من انقطاع لبن أو غير ذلك أو أردن التزويج (فلا جناح عليكم إذا سلمتم) يعني إلى المرضع (ما آتيتن) يعني لمن من أجره الرضاع وقيل إذا سلمتم إلى أمهاتهم من أجره الرضاع بقدر ما أرضعن (بالمعروف) أي بالإحسان والإجمال أمروا أن يكونوا عند تسليم الأجرة مستبشرين الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لأنفس المرضع بما أمكن حتى يؤمن من تفرطهن بقطع معاذيرهن (واتقوا الله) يعني وخافوا الله فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما أوجب عليكم لأولادكم (واعلموا أن الله بما تعملون بصير) يعني لا يخفى عليه خافية من جميع أعمالكم سرها وعلانياتها فانه تعالى يراها ويعلمها . قوله عز وجل (والذين يتوفون) يعني يموتون (منكم) وأصل التوفى أخذ الشيء ، وفيما فن مات فقد استوفى عمره كاملاً ويقال توفي فلان يعني قبض وأخذ (ويبدون) أي ويتكون (أزواجاً) والمراد بالأزواج هنا النساء لأن العرب تطلق اسم الزوج على الرجل والمرأة (يترصن) أي ينتظرن (بأنفسن أربعة أشهر وعشراً) يعني قدر هذه

جناح عليهما) أي لا حرج عليهما في النظام قبل الحولين (وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم) أي لأولادكم مرضع غير أمهاتهم إذا أبت أمهاتهم إرضاعهم أو تعذر لعلتهن أو انقطاع لبن أو أردن التزويج (فلا جناح عليكم إذا سلمتم) إلى أمهاتهم (ما آتيتن) ما سميتن لمن من أجره الرضاع بقدر ما أرضعن وقيل إذا سلمتم أجور المرضع إليهن (بالمعروف) قرأ ابن كثير ما آتيتن وفي الروم وما آتيتن من ربا بقصر الألف ومعناه ما فعلتم يقال آتيت جميلًا إذا فعلته فعل هذه القراءة يكون التسليم بمعنى الطاعة والالتقياد لا بمعنى تسليم الأجرة يعني إذا سلمتم لأمره وانقدهم لحكمه وقيل إذا سلمتم للإسترضاع عن تراض وإتفاق دون الضرر (واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير) قوله تعالى (والذين يتوفون منكم) أي يموتون ويتوفى آجالهم وتوفى واستوفى بمعنى واحد ومعنى التوفى أخذ الشيء ، وفيما (ويبدون أزواجاً) يتكون أزواجاً (يترصن) ينتظرن (بأنفسن أربعة أشهر وعشراً) أي يعتدّن بترك الزينة والطيب والنقطة على فراق أزواجهن هذه المدة إلا أن يكن حوامل

فعدتهن بوضع الحمل وكانت عدة الوفاة في الابتداء حولاً كاملاً لقوله تعالى «والذين يتوفون منكم ويلذون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج» ثم نسخت بأربعة أشهر وعشراً وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد كانت هذه العدة بعني أربعة أشهر وعشراً واجبة عند أهل زوجها فانزل الله تعالى «متاعاً إلى الحول» فجعل لها تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة وصية إن شاءت سكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت وهو قول الله عز وجل غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم فبا فعلن فالعدة كما هي واجبة عليها وقال عطاء قال ابن عباس رضي الله عنهما نسخت هذه الآية عندها عند أهلها وسكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت قال عطاء ثم جاء الميراث فنسخ السكنى فتعدت حيث شاءت ولا سكنى لها ويجب عليها الإحداد في عدة الوفاة وهي أن تمتع من الزينة والطيب فلا يجوز لها تدهين رأسها بأي (٢٣٧) دهن سواء كان فيه طيب

المدة وإنما قال عشراً بلفظ التأنيث لأن العرب إذا أهملت في العدد من الليالي والأيام غلبوا الليالي حتى إن أحدهم ليقول صمت عشراً من الشهر لكثرة تغليبهم الليالي على الأيام فإذا أظهرها الأيام قالوا صمتنا عشرة أيام وقيل إن هذه الأيام أيام حزن ولبس لإحداد فشبها بالليالي على سبيل الاستعارة ووجه الحكمة في أن الله تعالى حد العدة بهذا التقدير لأن الولد يركض في بطن أمه نصف مدة الحمل يعني يتحرك وقيل إن الروح ينفخ في الولد في هذه العشرة أيام ويدل على ذلك ما روى عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكاً يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح» أخرجاه في الصحيحين بزيادة قبل هذا الحديث على أن خلق الولد يجمع في عدة أربعة أشهر ويتكامل خلقه بنفخ الروح فيه في هذه الأيام الزائدة.

المدة وإنما قال عشراً بلفظ التأنيث لأن العرب إذا أهملت في العدد من الليالي والأيام غلبوا الليالي حتى إن أحدهم ليقول صمت عشراً من الشهر لكثرة تغليبهم الليالي على الأيام فإذا أظهرها الأيام قالوا صمتنا عشرة أيام وقيل إن هذه الأيام أيام حزن ولبس لإحداد فشبها بالليالي على سبيل الاستعارة ووجه الحكمة في أن الله تعالى حد العدة بهذا التقدير لأن الولد يركض في بطن أمه نصف مدة الحمل يعني يتحرك وقيل إن الروح ينفخ في الولد في هذه العشرة أيام ويدل على ذلك ما روى عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكاً يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح» أخرجاه في الصحيحين بزيادة قبل هذا الحديث على أن خلق الولد يجمع في عدة أربعة أشهر ويتكامل خلقه بنفخ الروح فيه في هذه الأيام الزائدة.

(فصل : في حكم عدة المتوفى عنها زوجها والإحداد. وفيه مسائل)

(المسئلة الأولى) عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً وعدة الأمة على نصف عدة الحرة شهران وخمسة أيام وبه قال جمهور العلماء وقال أبو بكر الأصم عدة الأمة كعدة الحرائر وتمسك بظاهر هذه الآية وعدة الحامل بوضع الحمل سواء فيه الحرة والأمة ولو وضعت بعد وفاة زوجها بلحظة حل لها أن تتزوج ويدل على هذا ما روى عن سبيعة الأسلمية أنها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدر افتوت عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تلبث أن وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلمت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السائب بن بعلك رجل من بني عبد الدار فقال مالي أراك تجملت للخطاب لعلك ترجين النكاح وإنك والله ماأرت بنا كبح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشراً قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت على ثيابي حين أمسيت وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فأفتاني بأنني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدالي أخرجاه في الصحيحين وفيه قال ابن شهاب ولا

الوجه فلا يجعله إلا بالليل وتنزعيه بالنهار ولا يجوز لها الخضاب ولا لبس الوثني والديباج والخلي ويجوز لها لبس البيض من الثياب ولبس الصوف والوبر ولا تلبس الصوف المصبوغ للزينة كالأحمر والأخضر الناضر والأصفر، ويجوز ما صبغ لغبر زينة كالسواد والكحل وقال سفيان لا تلبس المصبوغ بحال أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن حميد بن نافع عن زيب بنت أبي سلمة أنها أخبرته بهذه الأحاديث الثلاثة قالت زيب «دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي أبوها أبو سفيان ابن حرب فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدعنت به جارية ثم مست به يظنها ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامرأة أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً» وقالت زيب «ثم دخلت على زيب بنت جحش حين توفي أخوها عبد الله فدعت بطيب فمست

به ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لايجل لامرأة تؤمن بالله أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا قالت زينب وسمعت أم سلمة تقول: «جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن ابنتي توفى عنها زوجها وقد اشتكت عنها أفشكحلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ثم قال إنما هي أربعة أشهر وعشرا وقد كانت إحدا كن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول» قال حميد فقلت لزينب وما ترمي بالبعرة على رأس الحول فقالت زينب كانت المرأة إذا توفى عنها زوجها دخلت خفشا وليست شريفاها ولم تمس طيبا ولا شيئا حتى يمر بها سنة ثم توفى بداية حمارا أو شاة أو طيرا فتقضم به فقلما تفتنض بشيء إلا مات ثم تخرج فتعطي (٢٣٨) بعرة فترمي بها ثم تراجع بعد ذلك ماشاءت من طيب أو غيره وقال مالك

تفتنض أي تفسخ جلدتها
وقال سعيد بن المسيب
الحكمة في هذه المدة أن
فيها ينفخ الروح في الولد
ويقال إن الولد يرتكض
أي يتحرك في البطن
لنصف مدة الحمل
أربعة أشهر وعشرا قريبا
من نصف مدة الحمل
وإنما قال عشرا بلفظ
المؤنث لأنه أراد الليالي
لأن العرب إذا أهملت
العدد بين الليالي والأيام
غلبت عليها الليالي
فيقولون صمنا عشرا
والصوم لا يكون إلا
بالتهار وقال المبرد إنما
أنت العشر لأنه أراد
المدة أي عشر مدد كل
مدة يوم ويلة وإذا كانت
المتوفى عنها زوجها حاملا
فعدتها وضع الحمل عند

أرى بأسا أن تزوج حين وضعت وإن كانت في دمها غير أنه لا يقربها حتى تطهر فعلى هذا حكم الآية عام في كل من توفى عنها زوجها بأن تعد أربعة أشهر وعشرا ثم خصص من هذا العموم أولات الأحمال بهذا الحديث وبقوله تعالى وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن»
(المسئلة الثانية) يجب على من توفى عنها زوجها الإحناد وهو ترك الزينة والطيب ودهن الرأس بكل دهن والسكحل المطيب فإن اضطرت إلى كحل فيه زينة فيرخص لها وبه قال مالك وأبو حنيفة وقال الشافعي تكحل به بالليل وتمسحه بالنهار عن أم سلمة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفى أبو سلمة وقد جعلت على صبرها فقال ما هذا يا أم سلمة فقالت إنما هو صبر يا رسول الله ليس فيه طيب فقال إنه يشب الوجه فلا يجعله إلا بالليل وتزعيه بالنهار ولا تمتشطى بالطيب ولا بالحناء فإنه خضاب قات بأي شيء أمتشطى يا رسول الله قال بالسدر تغلقين به رأسك أخرجه أبو داود وللناس في نحوه قوله فإنه يشب الوجه أي يوقده ويحسبه وينوره من شب النار إذا أوقدها قوله تغلقين به رأسك أي تلتطخين به رأسك والتغلق هو العمرة على وجه المرأة وكذا رأسها إذا لطحته بشيء فأكثرته منه ولا يجوز لها لبس ما يصيب لغير الزينة كالأسود والأزرق ويجوز لها أن تلبس البياض من الثياب والصوف والوبر (ق) عن زينب بنت أبي سلمة قالت دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفى أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مست يعارضها ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لايجل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا قالت زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفى أخوها فدعت بطيب فست منه ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لايجل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا (م) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لايجل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت

فوق

أكثر أهل العلم من الصحابة من بعدهم روى

عن علي وابن عباس رضي الله عنهم أنها تنتظر آخر الأجلين من وضع الحمل أو أربعة أشهر وعشرا وقال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أنزلت سورة النساء القصص بعد الطولي أراد بالقصص سورة الطلاق وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن نزلت بعد قوله تعالى «يربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا» في سورة البقرة فحمل على النسخ وعامة الفقهاء خصوا الآية بحديث سبعة وهو ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن المسور بن مخرمة أن سبيعة نفست بعد وفاة زوجها بليال فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنته أن تتكح فأذن لها فتكحت قوله تعالى

(فاذا بلغن أجلهن) أي انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) خطاب للأولياء (فيا فعلن في أنفسهن) أي من اختيار الأزواج دون العقد إلى الولى وقيل فيا فعلن من التزين للرجال زينة لا ينكرها الشرع (بالمعروف) (٢٣٩) والله بما تعملون خبير)

فوق ثلاث إلا على زوجها أربعة أشهر وعشرا (ق) عن أم عطية قالت «كنا نهيى أن نحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا ولا نكتحل ولا نتطيب ولا نلبس ثوبا مصبوغا إلا ثوب عصب وقد رخص لنا عند الطهر إذا اغتسلت إحدانا من حيضتها في نبتة من كست أظفار» قولها إلا ثوب عصب بالعين والصاد المهملتين من البرود الذى صبغ غزله قبل التسح قولها نبتة من كست النبتة الشئ اليسير والكست لغة في القسط وهو شئ معروف يتخبر به عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تلبس المتوفى عنها زوجها المعصفرة من الثياب ولا المشقة ولا الخلى ولا تختضب ولا تكتحل ولا تطيب» أخرجه أبو داود قولها ولا المشقة الثياب المشقة هي المصبوغة بالمشق وهي المغرة عن ذافع «أن صفة بنت عبد الله اشتكت عينا وهي حاد على زوجها ابن عمر فلم تكتحل حتى كادت عيناها ترمصان» أخرجه مالك في الموطأ .

(المسئلة الثالثة) اختلفوا في أن هذه المدة سببها الوفاة أو العلم بالوفاة فقال بعضهم ما لم تعلم بوفاة زوجها لا تعتد بانقضاء الأيام في العدة واحتجوا على ذلك بأن الله تعالى قال «يتربصن بأنفسهن» وذلك لا يحل إلا بالقصد إلى التربص ولا يحل ذلك إلا مع العلم قال الجمهور السبب هو الموت فلو انقضت المدة أو أكثرها أو بعضها ثم بلغها خبر موت الزوج وجب أن تعتد بما انقضى ويدل على ذلك أن الصغيرة التي لا علم لها يكتفى في انقضاء عدتها هذه المدة .

(المسئلة الرابعة) أجمع العلماء على أن هذه الآية ناسخا لما بعدها من الاعتداد بالحول وإن كانت هذه الآية متقدمة في التلاوة وسندكر تمام الكلام عايه بعد في موضعه إن شاء الله تعالى والله أعلم . وقوله تعالى (فاذا بلغن أجلهن) أي انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) خطاب للأولياء لأنهم هم الذين يتولون العقد (فيا فعلن في أنفسهن بالمعروف) يعنى من التزين والتطيب والنقلة من المسكن الذى كانت معتدة فيه ونكاح من يجوز لها نكاحه وقيل إنما عني بذلك النكاح خاصة وقيل معنى قوله بالمعروف هو النكاح الحلال الطيب واحتج أصحاب أبي حنيفة على جواز النكاح بغير ولى بهذه الآية لأن إضافة الفعل إلى الفاعل محمول على المباشرة . وأجاب أصحاب الشافعى إن قوله تعالى فلا جناح عليكم خطاب للأولياء ولو صح العقد بغير ولى لما كان مخاطبا . وأجيب على قوله فيا فعلن في أنفسهن إنما هو التزين والتطيب بعد انقضاء العدة لا أنها تزوج نفسها (والله بما تعملون خبير) يعنى أنه تعالى لا يخفى عليه خافية والخبير في صفة الله تعالى هو العالم بكنهه الشئ وحقيقته من غير شك والخبير في صفة المخلوقين إنما يستعمل في نوع من العلم وهو الذى يتوصل إليه بالاجتهاد والفكر والله تعالى منزّه عن ذلك كله . قوله عز وجل (ولا جناح) أي لا حرج (عليكم فيما عرضتم به) أي لو حتم وأشرتم به والتعريض ضد التصريح ومعناه أن يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على مقصوده ويصلح للدلالة على غير مقصوده ولكن إشعاره بجانب المقصود أتم وأرجح وقيل هو الإشارة إلى الشئ بما يفهم السامع مقصوده من غير تصريح به وقيل التعريض من الكلام ماله ظاهر وباطن (من خطبة النساء) يعنى

والإحداد واجب على المرأة في عدة الوفاة أما المعتدة عن الطلاق نظر فإن كانت رجعية لأحداد عليها في العدة لأن لها أن تضع ما يشوق قلب الزوج إليها ليراجعها وفي البائنة بالخلع والطلاق الثلاث قولان : أحدهما الإحداد كالمتوفى عنها زوجها وهو قول سعيد ابن المسيب وبه قال أبو حنيفة والثاني لأحداد عليها وهو قول عطاء وبه قال مالك قوله تعالى (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) أى النساء المعتدات وأصل التعريض هو التلويح بالشئ ، والتعريض في الكلام بما يفهم به السامع مراده من غير تصريح والتعريض بالخطبة مباح في العدة وهو أن يقول رب راغب فيك من يجد مثلك إنك لجميلة وإنك لصالحة وإنك على كبريمتولى فيك لراغب وإن من عرضى أن أزواج بك وإن جمع

الله بينى وبينك بالحلال أعجبنى ولئن تزوجتك لأحسن إليك ونحو ذلك من الكلام من غير أن يقول أنك حيتنى والمرأة تجيبه بمثله وإن رغبته فيه ، وقال إبراهيم لأبأس أن يهدى إليها ويقوم بشغلها في العدة إذا كانت غير شابة روى أن سكينه بنت حنظلة بانت مع زوجها فدخل عليها أبو جعفر محمد بن علي الباقر في عدتها وقال يا بنت حنظلة أنا من قد علمت

قُرَابِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَقَّ جَدِي عَلِيٌّ وَقَدِمَ فِي الْإِسْلَامِ ؟ فَقَالَتْ سَكِينَةُ أَخْطَبْنِي وَأَنَا فِي الْعِدَّةِ وَأَنْتَ
يُؤْخَذُ عَنْكَ فَقَالَ إِنَّمَا أَخْبَرْتِكَ بِقُرَابِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ وَهِيَ فِي عِدَّةٍ زَوْجِهَا أَيْ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَنْزِلَتَهُ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ مُتَحَامِلٌ عَلَى يَدِهِ حَتَّى آثَرَ الْخَصِيرَ فِي يَدِهِ مِنْ
شِدَّةِ تَحَامُلِهِ عَلَى يَدِهِ وَالتَّعْرِيفُ (٣٤٠) بِالْخَطْبَةِ جَائِزٌ فِي عِدَّةِ الْوَفَاةِ أَمَا الْمَعْتَدَةُ عَنْ فِرْقَةِ الْحَيَاةِ يَنْظَرُ إِنْ كَانَتْ مِنْ

لَا يَحِلُّ لِمَنْ بَانَتَ مِنْهُ
نِكَاحُهَا كَالْمَطْلُوقَةِ ثَلَاثًا
وَالْمُبَايِنَةِ بِاللِّعَانِ وَالرِّضَاعِ
فَإِنَّهُ يَجُوزُ خَطْبَتُهَا تَعْرِيفًا
وَإِنْ كَانَتْ مِنْ مَحَلِّ
لِلزَّوْجِ نِكَاحُهَا كَالْمَحْتَلَةِ
وَالْمَفْسُوخِ نِكَاحُهَا يَجُوزُ
لِزَّوْجِهَا خَطْبَتُهَا تَعْرِيفًا
وَتَصْرِيحًا وَهَلْ يَجُوزُ
لِلغَيْرِ تَعْرِيفًا ، فِيهِ
قَوْلَانِ : أَحَدُهُمَا يَجُوزُ
كَالْمَطْلُوقَةِ ثَلَاثًا وَالثَّانِي
لَا يَجُوزُ لِأَنَّ الْمَعَاوِدَةَ
ثَابِتَةٌ لِصَاحِبِ الْعِدَّةِ
كَالرَّجْعِيَّةِ لَا يَجُوزُ
لِغَيْرِ تَعْرِيفًا بِالْخَطْبَةِ
وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَمَنْ خَطَبَ
النِّسَاءَ الْخَطْبَةَ التَّمَّاسَ النِّسَاحَ
وَهِيَ مَصْدَرُ خَطَبَ
الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ يَخْطُبُ
خَطْبَةً وَقَالَ الْأَخْفَشُ
الْخَطْبَةُ الذَّكْرُ وَالْخَطْبَةُ
التَّشْبِيهُ فَيَكُونُ مَعْنَاهُ فِيهَا
عَرَضُكُمْ بِهِ مِنْ ذِكْرِ
النِّسَاءِ عِنْدَهُنَّ (أَوْ أَكُنْتُمْ)
أَضْمَرْتُمْ (فِي أَنْفُسِكُمْ) مِنْ
فَكَالْحَمَلِ يَقَالُ أَكُنْتُ
الشَّيْءَ مَوْكِنْتُهُ لِعَتَانٍ وَقَالَ
ثَعْلَبٌ أَكُنْتُ الشَّيْءَ أَيْ

الْمَعْتَدَاتِ فِي عِدَّتِهِنَّ وَالْخَطْبَةُ بِالسِّكْرِ طَلَبُ النِّسَاحِ وَالتَّمَّاسُ وَقِيلَ هُوَ ذِكْرُ النِّسَاءِ وَالْخَطْبَةُ
بِالضَّمِّ كَلَامٌ مَنْظُومٌ لَهُ أَوَّلٌ وَآخِرٌ وَمَعْنَى الْآيَةِ فِيهَا عَرَضْتُكُمْ بِهِ مِنْ ذِكْرِ النِّسَاءِ عِنْدَهُنَّ وَالتَّعْرِيفُ
بِالْخَطْبَةِ فِي الْعِدَّةِ مَبَاحٌ وَهُوَ أَنْ يَقُولَ إِنَّكَ بِلَسَانِي وَإِنَّكَ بِصَالِحِي وَإِنْ غَرَضِي التَّزْوِجُ وَإِنِّي فَيْكَ
لِرَاغِبٍ وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَبْسُرَ لِي امْرَأَةً صَالِحَةً وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ الْمَوْهَمِ مِنْ غَيْرِ تَصْرِيحٍ
لِأَنَّ يَقُولَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكَحَكَ أَوْ أَتَزَوَّجَكَ وَنَحْوَ ذَلِكَ وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا التَّأْوِيلِ مَا رَوَى
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «فِيهَا عَرَضْتُكُمْ بِهِ مِنْ خَطْبَةِ النِّسَاءِ» هُوَ أَنْ يَقُولَ إِنِّي أُرِيدُ التَّزْوِجَ وَإِنْ
النِّسَاءَ لِمَنْ حَاجَتِي وَلَوْ دِدْتُ أَنْ تَبْسُرَ لِي امْرَأَةً صَالِحَةً أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ . وَرَوَى أَنَّ سَكِينَةَ بَلَغَتْ
حَنْظَلَةَ تَأْتَتْ فَدَخَلَ عَلَيْهَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَاقِرُ فِي عِدَّتِهَا فَقَالَ قَدْ عَلِمْتُ قُرَابِي مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَقَّ جَدِي عَلِيٌّ وَقَدِمَ فِي الْإِسْلَامِ فَقَالَتْ سَكِينَةُ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ أَخْطَبْتِي فِي الْعِدَّةِ
وَأَنْتَ يُؤْخَذُ عَنْكَ فَقَالَ إِنَّمَا أَخْبَرْتِكَ بِقُرَابِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ دَخَلَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ وَهِيَ فِي عِدَّةٍ زَوْجِهَا أَيْ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَنْزِلَتَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ وَهُوَ مُتَحَامِلٌ عَلَى يَدِهِ حَتَّى آثَرَ الْخَصِيرَ فِي يَدِهِ مِنْ شِدَّةِ تَحَامُلِهِ عَلَيْهَا
فَمَا كَانَتْ تِلْكَ خَطْبَةً (أَوْ أَكُنْتُمْ) يَعْنِي أَضْمَرْتُمْ (فِي أَنْفُسِكُمْ) يَعْنِي مِنْ نِكَاحِهِنَّ وَقِيلَ هُوَ أَنْ
يَدْخُلَ وَيَسْلَمُ وَيَهْدِي إِنْ شَاءَ وَلَا يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ فِي التَّعْرِيفِ لِلْمَرْأَةِ
فِي عِدَّةِ الْوَفَاةِ وَلَا فِيهَا يَضْمُرُ الرَّجُلُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الرَّغْبَةِ فِيهَا (عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذَكَّرُونَهُنَّ) يَعْنِي
بِقَوْلِكُمْ لِأَنَّ شَهْوَةَ النَّفْسِ وَالتَّمَنِّيَ لَا يَخْلُو مِنْهُ أَحَدٌ فَلَمَّا كَانَ هَذَا الْخَاطِرُ كَالشَّيْءِ الشَّاقِ اسْقَطَ
عَنْهُ الْحَرَجَ (وَلَكِنْ لَا تَوَاعَدُوهُنَّ سِرًّا) ااخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى هَذَا السَّرِّ الْمُنْهَى عَنْهُ فَقِيلَ هُوَ الزَّوْنُ كَانَ
الرَّجُلُ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ يَعْزُضُ بِالنِّسَاحِ وَمِرَادُهُ الزَّوْنُ وَيَقُولُ لَهَا دَعِينِي فَإِذَا وَفَيْتَ عِدَّتِكَ
أَظْهَرْتَ نِكَاحَكَ فَهِيَ عَنْ ذَلِكَ وَقِيلَ هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ لَا تَقُولِي نَفْسِكَ فَاتِي نَا كَحَاكِ
وَقِيلَ هُوَ أَنْ يَأْخُذَ عَلَيْهَا الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا تَتَزَوَّجَ غَيْرَهُ وَقِيلَ هُوَ أَنْ يَخْطُبَهَا فِي الْعِدَّةِ وَقَالَ
الشَّافِعِيُّ السَّرُّ الْجَمَاعُ وَهُوَ رِوَايَةٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ السَّكِينَةُ لَا تَنْصَبُوا أَنْفُسَكُمْ لِمَنْ بَكَرْتُمُ الْجَمَاعَ
وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَفْظَ السَّرِّ كُنْيَةٌ عَنِ الْجَمَاعِ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ :

أَلَا زَعَمْتَ بِسَبَابَةِ الْيَوْمِ أَنْتِي كَبِيرَتْ وَأَلَا يَحْسُنُ السَّرُّ أَمْثَالِي

بِسَبَابَةِ اسْمِ امْرَأَةٍ وَإِنَّمَا وَقَعَ الْكُنْيَةُ عَنِ الْجَمَاعِ بِالسَّرِّ لِأَنَّهُ مِمَّا يَسِرُّ وَاللَّهُ تَعَالَى حَتَّى كَرَّمَ
فَكَتَبْنِي بِهِ عَنْ لَفْظِ الْجَمَاعِ الصَّرِيحِ وَمَعْنَى الْآيَةِ لَا تَوَاعَدُوهُنَّ مَوَاعِدَةَ سَرِيَّةٍ أَوْ لَا تَوَاعَدُوهُنَّ
بِالشَّيْءِ الْمَوْصُوفِ بِالسَّرِّ وَقِيلَ فِي مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَذَّنَ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ فِي التَّعْرِيفِ بِالْخَطْبَةِ

أَخْفِيَتْهُ فِي نَفْسِهِ وَكُنْتُمْ سَتَرْتُهُ قَالَ السُّدِّيُّ هُوَ أَنْ يَدْخُلَ فَيَسْلَمُ وَيَهْدِي إِنْ شَاءَ وَلَا يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ (عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذَكَّرُونَهُنَّ) وَمَنْعَ
بِقَوْلِكُمْ (وَلَكِنْ لَا تَوَاعَدُوهُنَّ سِرًّا) ااخْتَلَفُوا فِي السَّرِّ الْمُنْهَى عَنْهُ فَقَالَ قَوْمٌ هُوَ الزَّوْنُ كَانَ الرَّجُلُ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ أَجْلِ الزَّوْنِ
وَهُوَ يَعْزُضُ بِالنِّسَاحِ وَيَقُولُ لَهَا دَعِينِي فَإِذَا وَفَيْتَ عِدَّتِكَ أَظْهَرْتَ نِكَاحَكَ ، هَذَا قَوْلُ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ وَإِبْرَاهِيمَ وَعِظَاءَ
وَرِوَايَةٌ عَطِيَّةٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ أَيْ لَا يَتَنَكَّحُهَا سِرًّا فَيَسْكُنُهَا فَإِذَا حَلَّتْ أَظْهَرَ ذَلِكَ وَقَالَ مُجَاهِدٌ
هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ لَا تَقُولِي نَفْسِكَ فَاتِي نَا كَحَاكِ وَقَالَ الشَّعْبِيُّ وَالسُّدِّيُّ لَا يَأْخُذُ مِثْقَلًا أَنْ لَا تَنْكَحَ غَيْرَهُ وَقَالَ عِكْرَمَةُ لَا يَتَنَكَّحُهَا

ولا يخطبها في العدة . قال الشافعي السر هو الجماع وقال الكلبي أي لا تصفوا أنفسكم من بكثرة الجماع فيقول أتيتك الأربعة والخمسة وأشبه ذلك ويذكر السر ويراد به الجماع قال امرؤ القيس :

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وألا يحسن السر أمثالي

وإنما قيل للزنا والجماع سر لأنه يكون في خفاء بين الرجل والمرأة . قوله تعالى (إلا أن تقولوا قولاً معلوماً) هو ما ذكرنا من التعريض بالخطبة . قوله تعالى (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) أي لا تحققوا العزم على عقد النكاح في العدة حتى يبلغ الكتاب أجله أي حتى تنقضي العدة وبماها الله كتاباً لأنها فرض من الله كقوله تعالى كتب عليكم أي فرض عليكم (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) أي فخافوا الله (واعلموا) (٢٤١) أن الله غفور حلِيم) لا يعجل بالعقوبة ، وقوله تعالى

ومنع في آخرها عن التصريح بالخطبة (إلا أن تقولوا قولاً معلوماً) يعني هو ما ذكر من التعريض بالخطبة وقيل هو إعلام ولي المرأة أنه راغب في نكاحها (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) أي لا تحققوا العزم على عقد النكاح في العدة حتى تنقضي وإنما سماها الله كتاباً لأنها فرضت به (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) أي فخافوه (واعلموا أن الله غفور حلِيم) لا يعجل بالعقوبة على من جاهره بالمعصية بل يستر عليه . قوله عز وجل (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة) أي ولم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة يعني ولم تعينوا لهن صداقاً ولم توجبوه عليكم نزلت في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يسم لها صداقاً ثم طلقها قبل أن يمسا فزلت هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتعها ولو بقلنسوتك . فان قلت هل على من طلق امرأته جناح بعد المسيس حتى يوضع عنه الجناح قبل المسيس فما وجه نفي الجرح والجناح عنه . قلت فيه سبب قطع الوصلة وما جاء في الحديث وإن أبغض الحلال إلى الله الطلاق فني الله الجناح عنه إذا كان الفراق أروح من الإمساك وقيل معناه لا حرج عليكم في تطليقهن قبل المسيس في أي وقت شئتم حائضاً كانت المرأة أو طاهراً لأنه لا سنة في طلاقهن قبل الدخول (ومتعوهن) أي أعطوهن من مالكم مائة تمنع به والمتعة والمتاع ما يتبلغ به من الزاد (على الموسع) أي الغني الذي يكون في سعة من عناه (قدره) أي قدر إمكانه وطاقته (متاعاً بالمعروف) يعني متعوهن تمتعاً بالمعروف يعني من غير ظلم ولا حيف (حقاً) أي حتى ذلك التمتع حقاً واجباً لازماً (على المحسنين) يعني إلى المطلقات بالتتمتع وإنما خص المحسنين بالذكر لأنهم الذين يقتضون بهذا البيان وقبل معناه من أراد أن يكون من المحسنين فهذا شأنه وطريقه والحسن هو المؤمن .

فصل : في بيان حكم الآية وفيه فروع

(الفرع الأول) إذا تزوج امرأة ولم يفرض لها مهرًا ثم طلقها قبل المسيس يجب لها عليه المتعة

(٣١) - خازن باليعقوبي - أول) «أو تفرضوا لهن فريضة» أي توجبوا لهن صداقاً فان قيل فما الوجه في نفي الجناح عن المطلق قيل الطلاق قطع سبب الوصلة وجاء في الحديث أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق فني الجناح عنه إذا كان الفراق أروح من الإمساك وقيل معناه لا سبيل للنساء عليكم إن طلقتموهن من قبل المسيس والفرض بصدائق ولا نفقة وقيل لا جناح عليكم في تطليقهن قبل المسيس في أي وقت شئتم حائضاً كانت المرأة أو طاهراً لأنه لا سنة ولا بدعة في طلاقهن قبل الدخول بها بخلاف المدخول بها فإنه لا يجوز تطليقها في حال الحيض (ومتعوهن) أي أعطوهن من مالكم مائة تمنع به والمتعة والمتاع ما يتبلغ به من الزاد (على الموسع) أي على الغني (قدره وعلى المقتر) أي التقير (قدره) أي إمكانه وطاقته قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص قدره بفتح الدال فيهما وقرأ الآخرون بسكونهما وهما لغتان وقيل التدر بسكون الدال المصدر وبالفتح الاسم متاعاً نصب على المصدر أي متعوهن (متاعاً بالمعروف) أي بما أمركم الله به من غير ظلم (حقاً على المحسنين) وبيان حكم الآية أن من

بالعقوبة ، وقوله تعالى (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة) أي ولم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة من بني حنيفة ولم يسم لها مهرًا ثم طلقها قبل أن يمسا فزلت هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتعها ولو بقلنسوتك قرأ حمزة والكسائي ما لم تمسوهن بالألف هاهنا وفي الأحزاب على المفاعلة لأن بدن كل واحد منهما يلاق بدن صاحبه كما قال الله تعالى (من قبل أن يناسا) وقرأ الباقون تمسوهن بلا ألف لأن الغشيان يكون من فعل الرجل دليله قوله تعالى «ولم يمسن بشرة»

تزوج المرأة ولم يفرض لها مهرا ثم طلقها قبل المسيس يجب عليه المتعة بالانفاق وإن طلقها بعد الفرض قبل المسيس فلا متعة لها على قول الأكثرين ولها نصف المهر المفروض . واختلفوا في المطلقة بعد الدخول بها ، فذهب جماعة إلى أنها لا متعة لها لأنها تستحق المهر وهو قول أصحاب الرأي وذهب جماعة إلى أنها تستحق المتعة لقوله تعالى وللا مطلقات متاع بالمعروف وهو قول عبد الله بن عمر وبه قال عطاء ومجاهد والقاسم بن محمد وإليه ذهب الشافعي لأن استحقاقها المهر بمثابة ما أتلف عليها من منفعة البضع المأهولة على وحشة الفراق فعلى القول الأول لا متعة إلا لو احدثت وهي المطلقة قبل الفرض والمسيس وعلى القول الثاني لكل مطلقة متعة إلا لو احدثت وهي المطلقة بعد الفرض قبل المسيس قال عبد الله بن عمر لكل مطلقة متعة إلا التي فرض لها ولم يمسه زوجها فحسبها نصف المهر قال الزهري متعتان : يقضى بأحدهما السلطان ولا يقضى بالأخرى بل يلزمه فيما بينه وبين الله تعالى فأما التي يقضى بها السلطان فهي المطلقة قبل الفرض والمسيس وهو قوله تعالى حقا على المحسنين والتي تلزمه فيما بينه وبين الله تعالى ولا يقضى بها السلطان (٢٤٢) فهي المطلقة بعد المسيس وهو قوله تعالى حقا على المتقين وذهب الحسن

وسعيد بن جبير إلى أن لكل مطلقة متعة سواء كان قبل الفرض والمسيس أو بعد الفرض قبل المسيس لقوله تعالى وللا مطلقات متاع بالمعروف ولقوله تعالى في سورة الأحزاب فقتوهن وسرحوهن سرا حجابيلا وقالوا معنى قوله تعالى لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة) أي لو لم يفرضا لمن فريضة وقال بعضهم المتعة غير واجبة والأمر بها أمر تديب واستحباب روى أن رجلا طلق

وبه قال الشافعي وأبو حنيفة وأحمد وقال مالك المتعة مستحبة ولو طلقها قبل الدخول وقد فرض لها مهرا وجب لها عليه نصف المهر المفروض ولا متعة لها عليه .

(الفرع الثاني المطلقة المدخول بها) فيها قولان قال في القديم لا متعة لها لأنها تستحق المهر كاملا وبه قال أبو حنيفة وهو إحدى الروايتين عن أحمد وقال في الجديد لها المتعة لقوله تعالى وللا مطلقات متاع بالمعروف وهو الرواية الأخرى عن أحمد قال ابن عمر لكل مطلقة متعة إلا التي فرض لها المهر ولم يدخل بها زوجها فحسبها نصف المهر .

(الفرع الثالث في قدر المتعة) قال ابن عباس أعلاها خادم وأوسطها ثلاثة أثواب درع وخمار وإزار وأقلها دون ذلك وقاية أو شئ من الورق وهو مذهب الشافعي لأنه قال أعلاها على الموسع خادم وأوسطها ثوب وأقلها ماله ثمن وحسن ثلاثون درهما . وروى أن عبد الرحمن بن عوف طلق امرأته وحمامها يعني متعها بجارية سوداء ومتع الحسن بن علي زوجته بعشرة آلاف درهم فقالت . متاع قليل من حبيب مفارق . وقال أبو حنيفة مبلغها إذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز وقال أحمد في إحدى الروايتين عنه تقدر بما تجزى فيه الصلاة وقال في الرواية الأخرى تقدر بتقدير الحاكم والآية تدل على أن المتعة تعتبر بحال الزوج في اليسر والعسر وأنه مفروض إلى الاجتهاد لأنها كالنفقة التي أوجبه الله تعالى للزوجات وبين أن حال الموسر مخالف حال المعسر في ذلك .

(الفرع الرابع) ومن حكم الآية أن من تزوج امرأة بالغة برضاها على غير مهر صح النكاح ولها مطالبته بأن يفرض لها صداقا فإن دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وإن طلقها

امرأته وقد دخل بها فخاصمته إلى شريح في المتعة فقال شريح لا تاب أن تكون من المحسنين ولا تاب أن تكون من المتقين ولم يجبره على ذلك . واختلفوا في قدر المتعة فروى عن ابن عباس أعلاها خادم وأوسطها ثلاثة أثواب درع وخمار وإزار ودون ذلك وقاية أو شئ من الورق وبه قال الشعبي والزهري وهذا مذهب الشافعي قال أعلاها على الموسع خادم وأوسطها ثوب وأقلها ماله ثمن وحسن ثلاثون درهما وطلق عبد الرحمن بن عوف امرأته وحمامها جارية سوداء أي متعها ومتع الحسن بن علي رضي الله عنه امرأة له بعشرة آلاف درهم فقالت : متاع قليل من حبيب مفارق .

وقال أبو حنيفة رحمه الله مباحها إذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز والآية تدل على أنه يعتبر بحال الزوج في العسر واليسر ومن حكم الآية أن من تزوج امرأة بالغة برضاها على غير مهر بصرح النكاح وللمرأة مطالبته بأن يفرض لها صداقا فإن دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وإن طلقها قبل الفرض والدخول فلها المتعة وإن مات أحدهما قبل الفرض والدخول فاختلف أهل العلم في أنها هل تستحق المهر أم لا ؟ فذهب جماعة إلى أنه لا مهر لها وهو قول علي وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس كما لو طلقها قبل الفرض والدخول ، وذهب قوم إلى أن لها المهر لأن الموت

كالدخول في تقرير المسمى كذلك في إيجاب مهر المثل إذا لم يكن في العقد مسمى وهو قول الثوري وأصحاب الرأي واحتجوا بما روى عن علقمة عن ابن مسعود أنه مثل عن رجل تزوج امرأة ولم يفرض لها صداقا ولم يدخل بها حتى مات فقال ابن مسعود لها صداق نسائها ولاوكس ولاشطط وعليها العدة ولها الميراث فقال معقل بن يسار الأشجعي فقال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق امرأة منا مثل ما قضيت ففرض بها ابن مسعود رضي الله عنه وقال الشافعي رحمه الله فإن ثبت حديث بروع بنت واشق فلا حجة في قول أحد دون قول النبي صلى الله عليه وسلم (٢٤٣) وإن لم يثبت فلا مهر لها ولها

قبل الفرض والدخول فلها المتعة . قوله عز وجل (وَأَن تَطْلِقَـهُ وَهِيَ مِن قَبْلِ أَن تَمْسُوهُنَّ) يعني تماموهن وهذا في المطلقة بعد تسمية المهر وقبل الدخول حكم الله لها بنصف المهر ولا عدة عليها وهو قوله تعالى (وقد فرضتم من فريضة) أي سميتم من مهرها (فنصف ما فرضتم) أي فلهن نصف المهر المسمى ، ومذهب الشافعي أن الخلوة من غير مسيس لا توجب إلا نصف المهر المسمى لأن المسيس إما حقيقة في المس باليد أو جعل كناية عن الجماع وأيهما كان فقد وجد الطلاق قبله وقال أبو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر ومعنى الخلوة الصحيحة أن يتخلوها وليس هناك مانع حسي ولا شرعي ، فالحسي نحو الرثق والقرن أو يكون معهما ثالث ، والشرعي نحو الحيض والثقبان وصوم الفرض وصلاة الفرض والإحرام سواء كان فرضا أو نفلا والآية حجة لمذهب الشافعي ، قال شريح لم أسمع الله ذكر في كتابه بابا ولا سترًا إن زعم أنه لم يمسها فلها نصف الصداق وقال ابن عباس إذا خلاها ولم يمسها فلها نصف المهر .

الميراث وكان على يقول في حديث بروع لا تقبل قول أعرابي من أشجع على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقوله تعالى (وإن طلقتموهن من قبل أن يمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم) هذا في المطلقة بعد الفرض قبل المسيس فلها نصف المفروض وإن مات أحدها قبل المسيس فلها كمال المهر المفروض والمراد بالمس المذكور في الآية الجماع واختلف أهل العلم فيما لو خلا الرجل بأمراته ثم طلقها قبل أن يدخل بها فذهب قوم إلى أنه لا يجب لها إلا نصف الصداق ولا عدة عليها لأن الله تعالى أوجب بالطلاق قبل المسيس نصف المهر ولم يوجب العدة وهو قول ابن عباس

(فرع) لومات أحد الزوجين بعد التسمية وقبل المسيس فلها المهر كاملا وعليها العدة إن كان الزوج هو الميت . وقوله تعالى (إلا أن يعفون) يعني النساء المطلقات والمعنى إلا أن لا تترك المرأة نصيبها من الصداق فبها للزوج فيعود جميع الصداق إلى الزوج (أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح) فيقولان : أحدهما أنه الولي وهو قول ابن عباس في رواية عنه والحسن وعلقمة وطاوس والشعبي والنخعي والزهري والسدي وبه قال الشافعي في القديم ومالك . والقول الثاني أنه الزوج وهو قول علي وابن عباس في الرواية الأخرى وجير بن مطعم وسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والربيع وقتادة ومقاتل والضحاك ومحمد بن كعب القرظي وهو قول أبي حنيفة والشافعي في الجديد وأحمد وجههور الفقهاء فعلى القول الأول يكون معنى الآية إلا أن تعفو المرأة إذا كانت ثيبا بالغة من أهل العفو عن نصيبها للزوج أو يعفو وليا إذا كانت المرأة بكرا صغيرة أو غير جائزة التصرف فيجوز عفو وليها فيترك نصيبها للزوج وإنما يجوز عفو الولي بشروط وهي أن تكون بكرا صغيرة ويكون الولي أبا أو جدا لأن غيرهما لا يزوج الصغيرة وعلى القول الثاني أن الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج وصحح هذا القول الطبري والواحدى فيكون معنى الآية أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح يعني الزوج فيعطي المرأة الصداق كاملا لأن الله تعالى لما ذكر عفو المرأة عن النصف الواجب لها ذكر عفو الزوج عن النصف الساقط عنه فيحسن للمرأة أن تعفو ولا تطالب بشيء من الصداق وللرجل أن يعفو فيوفي لها

رضى الله عنه وابن مسعود وبه قال الشافعي رحمه الله وقال قوم يجب لها كمال المهر وعليها العدة لما روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال إذا أرخيت الستور فقد وجب الصداق ومثله عن زيد بن ثابت وحمل بعضهم قول عمر على وجوب تسليم الصداق إليها إذا سلمت نفسها لأعلى تقدير الصداق وقيل هذه الآية ناسخة للآية التي في الأحزاب «فإن لكم عليهن من عدة تعتدونها فتموهن» فقد كان للمطلقة قبل المسيس متاع فتسخت بهذه الآية وأوجب للمطلقة المفروض لها قبل المسيس نصف المفروض ولا متاع لها وقوله تعالى «وقد فرضتم لهن فريضة» أي سميتم لهن مهرًا فنصف ما فرضتم أي لها نصف المهر المسمى (إلا أن يعفون) يعني النساء أي إلا أن تترك المرأة نصيبها فيعود جميع الصداق إلى الزوج قوله تعالى (أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح) اختلفوا

فيه فذهب بعضهم إلى أن الذي بيده عقدة النكاح هو الولي وبه قال ابن عباس رضي الله عنه معناه إلا أن تعفو المرأة بترك نصيبها إلى الزوج إن كانت ثيبا من أهل العفو أو يعفو ولها فيترك نصيبها إن كانت المرأة بكرا أو غير جائزة العفو فيجوز عفو ولها وهو قول علقمة وعطاء والحسن والزهرى وربيعة وذهب بعضهم إلى أنه إنما يجوز عفو الولي إذا كانت المرأة بكرا فإن كانت ثيبا فلا يجوز عفو ولها وقال بعضهم الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج وهو قول علي وبه قال سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والشعبي والشرحبي ومجاهد (٢٤٤) وقتادة وقالوا لا يجوز لوليها ترك الشيء من الصداق بكرا كانت أو ثيبا

كما لا يجوز له ذلك قبل الطلاق بالاتفاق كما لا يجوز له أن يهب شيئا من ماله وقالوا معنى الآية إلا أن تعفو المرأة بترك نصيبها فيعود جميع الصداق إلى الزوج أو يعفو الزوج بترك نصيبه فيكون لها جميع الصداق فعلى هذا التأويل وجه الآية الذي بيده عقدة النكاح نكاح نفسه في كل حال قبل الطلاق أو بعده (وأن تعفو أقرب للتقوى)

موضعه رفع بالابتداء أي والعفو أقرب للتقوى أي إلى التقوى والخطاب للرجال والنساء جميعا لأن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا كانت الغلبة للمذكر معناه وعفو بعضكم عن بعض أقرب للتقوى (ولا تنسوا الفضل بينكم) أي إفضال بعضكم على بعض بإعطاء

المهر كاملا. وروى أن جبير بن مطعم تزوج امرأة ثم طلقها قبل الدخول بها فأكل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو ولأن المهر حق المرأة فليس لوليها أن يهب من ماله شيئا فكذلك المهر لأنه مال لها (وأن تعفو أقرب للتقوى) هذا خطاب للرجال والنساء جميعا وإنما غلب جانب التذكير لأن الذكورة هي الأصل والتأنيث فرع عنها والمعنى وعفو بعضكم عن بعض أيها الرجال والنساء أقرب إلى حصول التقوى وقيل «وخطاب للزوج والمعنى وليعفو الزوج فيترك حقه الذي ساق من المهر إليها قبل الطلاق فهو أقرب للتقوى (ولا تنسوا الفضل بينكم) يعني ليتفضل بعضكم على بعض فيعطى الرجل الصداق كاملا أو يترك المرأة نصيبها من الصداق حثما جميعا على الإحسان ومكارم الأخلاق (إن الله بما تعملون) يعني من عفو بعضكم لبعض عما وجب له عليه من حق (بصير) أي لا يخفى عليه شيء من ذلك. قوله عز وجل (حافظوا) أي داوموا وواظبوا (على الصلوات) يعني الخمس المكتوبات أمر الله عز وجل عباده بالحفاظة على الصلوات الخمس المكتوبات بجميع شروطها وحدودها وإتمام أركانها وفعلها في أوقاتها المختصة بها (والصلوة الوسطى) تأنيث الأوسط ووسط كل شيء خير وأعدله وقيل الوسطى يعني الفضل من قوائم الأفضل أوسط وإنما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وقيل سميت الوسطى لأنها أوسط الصلوات محلا.

فصل في ذكر اختلاف العلماء في الصلاة الوسطى

قد اختلف العلماء من الصحابة فمن بعدهم في الصلاة الوسطى على مذاهب: الأول أن الصلاة الوسطى هي صلاة الفجر وهو قول عمرو بن عمرو وابن عباس ومعاذ وجابر وعطاء وعكرمة ومجاهد والربيع بن أنس وبه قال مالك والشافعي ويبدل على ذلك أن مالكا بلغه أن علي ابن أبي طالب وابن عباس كانا يقولان الصلاة الوسطى صلاة الفجر أخرجه مالك في الموطأ وأخرجه الترمذي عن ابن عباس وابن عمر تعليقا لأنها بين صلاتي جمع فالظهر والعصر يجمعان وهما صلاتا نهار والمغرب والعشاء يجمعان وهما صلاتا ليل وصلاة الفجر لا تقصر ولا تجمع إلى غيرها ولأنها تأتي في وقت مشقة بسبب برد الشتاء وطيب النوم في الصيف وفتور الأعضاء وكثرة النعاس وغفلة الناس عنها فخصت بالحفاظة عليها لكونها معرضة للضياع ولأن الله تعالى قال عقبها وقوموا لله قانتين والقنوت هو طول القيام وصلاة الفجر مخصوصة بطول القيام ولأن الله تعالى خصها بالذكر في قوله وقرآن الفجر (إن قرآن الفجر كان مشهودا) يعني تشهد ملائكة

الرجل تمام الصداق أو ترك المرأة نصيبها حثما جميعا على الإحسان (إن الله بما تعملون بصير) قوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) أي وواظبوا وداوموا على الصلوات المكتوبات بمواقيتها وحدودها وإتمام أركانها ثم خص من بينها الصلاة الوسطى بالحفاظة عليها دلالة على فضلها ووسطى تأنيث الأوسط ووسط الشيء خير وأعدله واختلف العلماء من الصحابة ومن بعدهم في الصلاة الوسطى فقال: فقال قوم هي صلاة الفجر وهو قول عمرو بن عمرو وابن عباس ومعاذ وجابر وبه قال عطاء وعكرمة ومجاهد وإليه مال مالك والشافعي لأن الله تعالى قال وقوموا لله قانتين فالقنوت طول القيام وصلاة الصبح مخصوصة بطول القيام والقنوت لأن الله تعالى خصها في آية أخرى من بين

الليل

الصلاة فقال الله تعالى «وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا» يعني تشهدا ملائكة الليل وملائكة النهار فهي مكتوبة في ديوان الليل وديوان النهار ولأنها بين صلاتي جمع وهي لا تقصر ولا تجمع إلى غيرها وذهب قوم إلى أنها صلاة الظهر وهو قول زيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري وأسامة بن زيد لأنها في وسط النهار وهي أوسط صلاة النهار في الطول أخبرنا عمر بن عبد العزيز أخبرنا أبو القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي اللؤلؤي أنا أبو داود أنا محمد بن المثنى أنا محمد بن جعفر أنا شعبة حدثني عمرو بن أبي حكيم قال سمعت الزبير يحدث عن عروة بن الزبير عن زيد (٢٤٥) بن ثابت قال «كان رسول الله

الليل وملائكة النهار فهي مكتوبة في ديوان حفظة الليل وديوان حفظة النهار فدل ذلك على مزيد فضلها . المذهب الثاني أنها صلاة الظهر وهو قول زيد بن ثابت وأسامة بن زيد وأبي سعيد الخدري ورواية عائشة وبه قال عبيد الله بن شداد وهو رواية عن أبي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن زيد بن ثابت وعائشة قالا الصلاة الوسطى صلاة الظهر أخرجه مالك في الموطأ عن زيد والترمذي عنهما تعليقا وأخرجه أبو داود عن زيد قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فنزلت : حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى» وقال إن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولأن صلاة الظهر تأتي وسط النهار وفي شدة الحر ولأنها تأتي بين البردين يعني صلاة الفجر وصلاة العصر . المذهب الثالث أنها صلاة العصر وهو قول علي وابن مسعود وأبي أيوب وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس وأبي سعيد الخدري وعائشة وهو قول عبيدة السلماني والحسن البصري وإبراهيم النخعي وقتادة والضحاك والكلبي ومقاتل وبه قال أبو حنيفة وأحمد وداود وابن المنذر وقال الترمذي هو قول أكثر الصحابة فمن بعدهم وقال الماوردي من أصحابنا هذا مذهب الشافعي لصحة الأحاديث فيه قال وإنما نص على أنها الصبح لأنه لم يبلغه الأحاديث الصحيحة في العصر ومذهبه إتباع الحديث ويدل على صحة هذا المذهب ما روي عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب وفي رواية يوم الخندق «ملا الله قلوبهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس» وفي رواية «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر» وذكر نحوه وزاد في أخرى «ثم صلاها بين المغرب والعشاء» أخرجه في الصحيحين (م) عن ابن مسعود قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس أو اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر» ملا

الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فنزلت : حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى» وقال إن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولأن صلاة الظهر تأتي وسط النهار وفي شدة الحر ولأنها تأتي بين البردين يعني صلاة الفجر وصلاة العصر . المذهب الثالث أنها صلاة العصر وهو قول علي وابن مسعود وأبي أيوب وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس وأبي سعيد الخدري وعائشة وهو قول عبيدة السلماني والحسن البصري وإبراهيم النخعي وقتادة والضحاك والكلبي ومقاتل وبه قال أبو حنيفة وأحمد وداود وابن المنذر وقال الترمذي هو قول أكثر الصحابة فمن بعدهم وقال الماوردي من أصحابنا هذا مذهب الشافعي لصحة الأحاديث فيه قال وإنما نص على أنها الصبح لأنه لم يبلغه الأحاديث الصحيحة في العصر ومذهبه إتباع الحديث ويدل على صحة هذا المذهب ما روي عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب وفي رواية يوم الخندق «ملا الله قلوبهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس» وفي رواية «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر» وذكر نحوه وزاد في أخرى «ثم صلاها بين المغرب والعشاء» أخرجه في الصحيحين (م) عن ابن مسعود قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس أو اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر» ملا

الله أجوافهم وقبورهم نارا أوحشا الله أجوافهم وقبورهم نارا» عن سمرة بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الصلاة الوسطى صلاة العصر» أخرجه الترمذي وله عن ابن مسعود مثله وقال في كل واحد منهما حسن صحيح (م) عن أبي يونس مولى عائشة قال أمرتني عائشة أن أكتب مصحفا وقالت إذا بلغت هذه الآية فأذني «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى» قال فلما بلغتها آذنتها فأملت على «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى» وقالت «قوموا الله قانتين» قالت عائشة سمعتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن حفصة نحو ذلك ولأن صلاة

لما مصحفا وقالت إذا بلغت هذه الآية فأذني «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى» قداما بلغتها آذنتها فأملت على «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى» وقالت عائشة سمعتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن حفصة مثل ذلك أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر الزياتي أنا حميد بن زنجويه أخبرنا أبو نعيم أناسفیان عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش قال قلنا لعبيدة هل عليا عن الصلاة الوسطى فسأله قال كنا نرى أنها صلاة الفجر حتى سمعت رسول الله ﷺ يوم يوم الخندق «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر» ملا الله أجوافهم وقبورهم نارا» ولأنها بين صلاتي نهار وصلاتي ليل وقد خصها النبي ﷺ بالتغليظ . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد

ابن عبد الله التميمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسلم بن إبراهيم أنا هشام أنا يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة
 عن أبي المليح قال كنا مع بريدة في غزوة في يوم ذي غيم فقال بكروا بصلاة العصر فان النبي ﷺ قال « من ترك صلاة العصر
 فقد حبط عمله » وقال قبيصة بن ذؤيب هي صلاة المغرب لأنها وسط ليس بأقلها ولا أكثرها وقال بعضهم إنها صلاة العشاء
 ولم ينقل عن السلف فيها شيء وإنما ذكرها بعض المتأخرين لأنها بين الصلاتين لا تقصران وقال بعضهم هي إحدى الصلوات
 الخمس لا بعينها أهمها الله تعالى (٢٤٦) تحريضا للعباد على المحافظة على أداء جميعها ، كما أثنى ليلة القدر

العصر تأتي وقت اشتغال الناس بعبادتهم فكان الأمر بالمحافظة عليها أولى ولأنها تأتي بين صلاتي
 نهار وهما القجر والظهر وصلاتي ليل وهما المغرب والعشاء وقد خصت بمزيد التأكيد والأمر
 بالمحافظة والتغليظ لمن ضيعها ويدل على ذلك ما روى عن أبي المليح قال كنا مع بريدة في غزوة
 فقال في يوم ذي غيم بكروا بصلاة العصر فان النبي صلى الله عليه وسلم قال « من ترك صلاة العصر
 فقد حبط عمله » أخرجه البخاري . قوا بكروا بصلاة العصر أي قوموا بها في أول وقتها (ق) عن
 ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الذي تنوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله »
 قوله وتر أي نقص وسلب أهله وماله فبقي فردا بلا أهل ولا مال ومعنى الحديث ليكون حذره
 من فوت صلاة العصر كحذره من ذهاب أهله وماله . المذهب الرابع أنها صلاة المغرب قاله
 قبيصة بن ذؤيب وحجة هذا المذهب أن صلاة المغرب تأتي بين بياض النهار وسواد الليل ولأنها
 تزيد من ركعتين كما في الصبح وأقل من أربع ولا تقصر في المنزور وهي وتر النهار ولأن صلاة
 الظهر تسمى الأولى لأن ابتداء جريها كان بها وإذا كانت الظهر أولى الصلوات كانت المغرب
 هي الوسطى . المذهب الخامس أنها صلاة العشاء ولم ينقل عن أحد من السلف فيها شيء وإنما
 ذكرها بعض المتأخرين وحجة هذا المذهب أنها متوسطة بين الصلاتين لا تقصران وهما المغرب
 والصبح ولأنها أثقل صلاة على المتأخرين . المذهب السادس أن الصلاة الوسطى هي إحدى
 الصلوات الخمس لا بعينها لأن الله تعالى أمر بالمحافظة على الصلوات الخمس ثم عطف عليها
 بالصلاة الوسطى وأيسر في الآية ذكر بيانها وإذا كان كذلك أمكن أن يقال في كل واحدة من
 الصلوات الخمس أنها هي الوسطى أهمها الله على عبادته مع ما خصها بمزيد التأكيد تحريضا لهم
 على المحافظة على أداء جميع الصلوات على صفة الكمال والتمام ولقد السبب أثنى الله تعالى
 ليلة القدر في شهر رمضان وأثنى ساعة الإجابة في يوم الجمعة وأثنى اسمه الأعظم في جميع
 أممائه ليحافظوا على ذلك كله وهذا المذهب اختاره جمع من العلماء قال محمد بن سيرين إن
 رجلا سأل زيدا بن ثابت عن الصلاة الوسطى فقال حافظ على الصلوات كلها تصبها وسئل الربيع
 ابن خيم عن الصلاة الوسطى فقال للسائل الوسطى واحدة منهن فحافظ على الكل تكن محافظا
 على الوسطى ثم قال أرأيت لو علمتها بعينها أكنت محافظا عليها ومضيعا سائرهن فقال السائل
 لا فقال الربيع إنك إن حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى والصحيح من هذه الأقوال
 كلها قولان قول من قال إنها الصبح وقول من قال إنها العصر وأصح الأقوال كلها أنها العصر
 للأحاديث الصحيحة الواردة فيها والله تعالى أعلم . وقوله تعالى (وقوموا لله قانتين) أي طائعتين

في شهر رمضان وساعة
 إجابة الدعوة في يوم
 الجمعة وأثنى الاسم
 الأعظم في الأسماء
 ليحافظوا على جميعها
 قوله تعالى (وقوموا لله
 قانتين) أي مطيعين
 قال الشعبي وعطاء وسعيد
 ابن جبير والحسن وقتادة
 وطاوس القنوت الطاعة
 قال الله تعالى وأمة قانتا
 لله أي مطيعا وقال الكلبي
 ومقاتل لكل أهل دين
 صلاة يقومون فيها
 عاصين فتوموا أنتم لله
 في صلاتكم مطيعين ،
 وقيل القنوت السكوت
 عما لا يجوز التكلم به في
 الصلاة أخبرنا أبو عثمان
 سعيد بن إسماعيل الضبي
 أنا أبو محمد عبد الجبار
 ابن محمد الجراحي
 أنا أبو العباس محمد
 ابن أحمد المحبوبي أنا
 أبو عيسى الترمذي
 أنا أحمد بن منيع

أنا هشام ، أنا إسماعيل بن أبي خالد عن الحارث بن سفيان عن أبي عمرو
 الشيباني عن زيد بن أرقم قال كنا « نتكلم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة يكلم الرجل منا صاحبه إلى جنبه حتى نزلت
 ووقوموا لله قانتين » فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وقال مجاهد خاشعين ، وقال من القنوت طول الركوع وغض البصر
 والركود وخفض الجناح كان العلماء إذا كان أحدهم يصل يهاب الرحمن أن يلفظ أو يقلب الحصن أو يعيب بشيء أو يحدث
 نفسه بشيء من أمر الدنيا إلا ناسيا وقيل المراد من القنوت طول القيام . أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي أنا
 أبو العباس المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا ابن أبي عمر أنا سفيان بن عيينة عن ابن الزبير عن جابر ، قال قيل للنبي ﷺ أي

الصلاة أفضل قال طول القنوت وقيل قانتين أي داعين ، دليله ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «فنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا متتابعاً يدعو على أحياء من بني سليم على رجل وذكوأن وعصية وقيل معناه مصلين لقوله تعالى «أمن هو قانت آناء الليل» أي مصل. قوله تعالى (فان خضم فرجالا أو ركبانا) فرجالا (٢٤٧) أي رجالة يقال راجل ورجال

مثل صاحب وصحاب
وقائم وقيام ونائم ونيام
أو ركبانا على دوابهم
وهو جمع راكب معناه
إن لم يمكنكم أن تصلوا
قانتين موفين للصلاة
حقها الخوف فصلوا مشاة
على أرجلكم أو ركبانا
على ظهور دوابكم وهذا
في حال المقاتلة والمسابقة
يصلى حيث كان وجهه
راجلا أو راكبا مستقبل
القبلة وغير مستقبلها
ويومى بالركوع والسجود
ويجعل السجود أخفض
من الركوع ، وكذلك إذا
قصده سبع أو غشبه
سبيل يخاف منه على نفسه
فعد إمامه مصليا بالإيماء
يجوز والصلاة في حال
الخوف على أقسام فهذه
أحد أقسام شدة صلاة
الخوف وسائر الأقسام
سيأتي بيانها في سورة
النساء إن شاء الله
تعالى ولا ينتقص عند
الركعات بالخوف عند

فهو عبارة عن إكمال الطاعة وإتمامها والاحتراز عن إيقاع الخلل في أركانها وسننها قبل لكل أهل دين صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا أنتم لله في صلاتكم طائعين وقيل القنوت هو الدعاء والذكر بدليل «أمن هو قانت» ولما أمر بالحافظة على الصلوات وجب أن يحمل هذا القنوت على ما فيها من الذكر والدعاء فعنى الآية وقوموا لله داعين ذاكرين وقيل إنما خص القنوت بصلاة الصبح والوتر لهذا المعنى وقيل القنوت هو السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة وبدل على ذلك ما روى عن زيد بن أرقم قال «كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت: وقوموا لله قانتين فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام» أخرجاه في الصحيحين وقيل القنوت هو طول القيام في الصلاة وبدل عليه ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفضل الصلاة طول القنوت» أخرجه مسلم ومن القنوت أيضا طول الركوع والسجود وغض البصر والهدوء في الصلاة وخفض الجناح والخشوع فيها وكان العلماء إذا قام أحدهم يصلى يهاب الرحمن أن يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبت بشيء أو يحدث نفسه بشيء من أمور الدنيا إلا ناسيا. قوله عز وجل (فان خضم فرجالا) أي رجالة (أو ركبانا) يعني على الدواب جمع راكب والمعنى إن لم يمكنكم أن تصلوا قانتين موفين حقوق الصلاة من إتمام الركوع والسجود والخشوع والخنوع الخوف عدو أو غيره فصلوا مشاة على أرجلكم أو ركبانا على دوابكم مستقبلي القبلة وغير مستقبلها وهذا في حال المقاتلة والمسابقة في وقت الحرب وصلاة الخوف قسما: أحدهما أن يكون في حال القتال وهو المراد بهذه الآية وقسم في غير حال القتال وهو المذكور في سورة النساء في قوله تعالى «وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة» وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى في موضعه فإذا التحم القتال ولم يمكن تركه لأحد فذهب الشافعي أنهم يصلون ركبانا على الدواب ومشاة على الأرجل إلى القبلة وإلى غير القبلة يومنون بالركوع والسجود ويكون السجود أخفض من الركوع ويحترزون عن الصباح فإنه لا حاجة إليه وقال أبو حنيفة لا يصلى الماشي بل يؤخر الصلاة ويقضيها لأن النبي ﷺ أخر الصلاة يوم الخندق فضلى الظهر والعصر والمغرب بعدما غربت الشمس فيجب علينا الاقتداء به في ذلك واحتج الشافعي بهذه الآية. وأجيب عن تأخير النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم الخندق بأنه لم يكن نزل حكم صلاة الخوف وإنما نزل بعد فلما نزلت صلاة الخوف لم يؤخر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صلاة قط أما الخوف الحاصل لافي القتال بل بسبب آخر كالحارب من العدو أو قصده سبع هائج أو غشبه سبيل يخاف على نفسه الهلاك لو صلى صلاة أمن فله أن يصل صلاة شدة الخوف بالإيماء في حال العدو لأن قوله تعالى (فان خضم) مطلق يتناول الكل. فان قلت قوله تعالى «فرجالا أو ركبانا» يدل على أن المراد منه خوف العدو حال القتال. قلت هو كذلك إلا أنه هناك ثابت لدفع الضرر وهذا المعنى موجود هنا فوجب أن يكون الحكم كذلك ها هنا وروى عن ابن عباس قال «فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعة وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة وهو قول عطاء وطاوس والحسن ومجاهد وقتادة أنه يصل في حال شدة الخوف ركعة وقال سعيد بن جبير إذا كنت في القتال وضرب الناس بعضهم بعضا فقل سبحان الله ولا إله إلا الله

أكثر أهل العلم وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعة وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة» وهو قول عطاء وطاوس والحسن ومجاهد وقتادة أنه يصل في حال شدة الخوف ركعة وقال سعيد بن جبير إذا كنت في القتال وضرب الناس بعضهم بعضا فقل سبحان الله ولا إله إلا الله

والله أكبر واذكر الله فإذا ذكرت الله فذلك صلاتك (فإذا أمنتم فاذا كبروا الله) أي فصلوا الصلوات الخمس ثامة بحقوقها (كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) قوله تعالى (والذين يتوفون منكم) يامعشر الرجال (ويذرون) أي يتركون (أزواجاً) أي زوجات (وصية لأزواجهم) قرأ أهل البصرة وابن عامر وحمزة وحفص وصية بالنصب على معنى فليوصوا وصية وقرأ الباقون بالرفع أي كتب عليكم الوصية (٢٤٨) (متاعاً إلى الحول) متاعاً نصب على المصدر أي متعوهن متاعاً وقيل

جعل الله ذلك لمن متاعاً والمتاع نفقة سنة لضعفها وكسوتها وسكنها وما تحتاج إليه (غير إخراج) نصب على الحال وقيل ينزع حرف على الصفة أي من غير إخراج نزلت هذه الآية في رجل من أهل الطائف يقال له حكيم بن الحارث هاجر إلى المدينة وله أولاد ومعه أبواؤهم وامراته فمات فأرسل الله هذه الآية فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم والديه وأولاده من ميراثه ولم يؤت امرأته شيئاً وأمرهم أن يتفقوا عليها من تركة زوجها حولا كاملاً وكانت عدة الوفاة في ابتداء الإسلام حولا كاملاً وكان يحرم على الوارث إخراجها من البيت قبل تمام الحول وكانت نفقتها وسكنها واجبة في مال زوجها تلك السنة ما لم تخرج ولم يكن لها الميراث فان خرجت من بيت زوجها

ركعة ، وأخرجه مسلم وقد عمل بظاهر هذا جماعة من السلف منهم الحسن البصري وعطاء وطاوس ومجاهد وقتادة والضحاك وإبراهيم وإسحاق بن راهويه قالوا يصلى في حال شدة الخوف ركعة وقال الشافعي ومالك وجمهور العلماء صلاة الحول كصلاة الأمن في عدد الركعات فإن كان الخوف في الحضر وجب عليه أن يصلي أربع ركعات وإن كان في السفر صلى ركعتين ولا يجوز الاقتصار على ركعة واحدة في حال من الأحوال وتناولوا حديث ابن عباس هذا على أن المراد به ركعة مع الإمام وركعة أخرى يأتي بها منفرداً كما جاءت الأحاديث الصحيحة في صفة صلاة النبي ﷺ وأصحابه في صلاة الحول وهذا التأويل لا بد منه للجمع بين الأحاديث . وقوله تعالى (فإذا أمنتم) يعني من خوفكم (فاذا كبروا الله) أي فصلوا لله الصلوات الخمس ثامة بأركانها وسننها (كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) فيه إشارة إلى إنعام الله تعالى علينا بالعلم ولولا هديته وتعليمه إيانا لم نعلم شيئاً ولم نصل إلى معرفة شيء . فله الحمد على ذلك . قوله عز وجل (والذين يتوفون منكم) يعني يامعشر الرجال (ويذرون أزواجاً) يعني زوجات (وصية لأزواجهم) قرئ بالنصب على معنى فليوصوا وصية وبالرفع على معنى كتب عليهم وصية (متاعاً إلى الحول) أي متعوهن متاعاً وقيل جعل الله لمن ذلك متاعاً والمتاع نفقة سنة لضعفها وكسوتها وما تحتاج إليه (غير إخراج) أي غير مخرجات من بيوتهن نزلت هذه الآية في رجل من أهل الطائف يقال له حكيم بن الحارث هاجر إلى المدينة ومعه أبواؤهم وامراته وله أولاد فمات فرفع ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل الله هذه الآية فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم أبويه وأولاده ميراثه ولم يعط امرأته شيئاً وأمرهم أن يتفقوا عليها من تركة زوجها حولا وكان الحكم في ابتداء الإسلام أنه إذا مات الرجل اعتدت زوجته حولا وكان يحرم على الوارث إخراجها من البيت قبل تمام الحول وكانت نفقتها وسكنها واجبتين في مال زوجها تلك السنة وليس لها من الميراث شيء ولو كانت تكون عميرة فان شامت اعتدت في بيت زوجها ولها النفقة والسكنى وإن شامت مخرجت قبل تمام الحول وليس لها نفقة ولا سكنى وكان يجب على الرجل أن يوصى بذلك فذلت هذه الآية على مجموع أمرين : أحدهما أن لها النفقة والسكنى من مال زوجها سنة والثاني أن عليها عدة سنة ثم إن الله تعالى نسخ هذين الحكمين أما الوصية بالنفقة والسكنى فنسخ بآية الميراث فجعل لها الربع أو الثمن عوضاً عن النفقة والسكنى ونسخ عدة الحول بأربعة أشهر وعشراً . فان قلت كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة . قلت قد تكون الآية المتقدمة متقدمة في التلاوة متأخرة في النزول كقوله تعالى (سبقول السفهاء من الناس) مع قوله تعالى (قد نرى ثقلب وجهك في السماء) . وقوله تعالى (فان خرجن فلا جناح عليكم) يعني يامعشر أولياء الميت (فيما فعلن في أنفسهن من معروف)

سقطت نفقتها وكان على الرجل أن يوصى بها فكان كذلك حتى نزلت آية الميراث فنسخ الله تعالى نفقة الحول يعني بالربع والثمن ، ونسخ عدة الحول بأربعة أشهر وعشراً . قوله تعالى (فان خرجن) يعني من قبل أنفسهن قبل الحول من غير إخراج الورثة (فلا جناح عليكم) يا أولياء الميت (فيما فعلن في أنفسهن من معروف) يعني التزين للسكاح . والرفع الجناح عن الرجال وجهان أحدهما لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهم إذا خرجن قبل انقضاء الحول ، والآخر لا جناح عليكم في ترك

منعهم من الخروج لأن مقامها في بيت زوجها حولا غير واجب عليها خيرها الله تعالى بين أن تقيم حولا ولها النفقة والسكنى وبين أن تخرج فلا نفقة ولا سكنى إلى أن نسخها بأربعة أشهر وعشرا (والله عزير حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين) إنما أعاد ذكر المتعة ههنا لزيادة معنى وذلك أن في غيرها بيان حكم غير المسوسة ، وفي هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة . وقيل إنه لما نزل قوله تعالى «ومتعوهن على الموسع قدره» (٢٤٩) وعلى المفتر قدره إلى قوله «حقا

على الحسين» قال رجل من المسلمين إن أحسنت فعلت وإن لم أرد ذلك لم أفعل فقال الله تعالى «وللمطلقات متاع» جعل المتعة لمن بلام التملك وقال «حقا على المتقين» يعني المؤمنين المتقين الشرك (كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تعقلون) قوله تعالى (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم) قال أكثر أهل التفسير كانت قرية يقال لها داوردان وقع الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فهلك أكثر من بقي بالقرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سلمين فقال الذين بقوا أصحابنا كانوا أحزم منا لوصنعنا كما صنعوا ليقينا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن إلى أرض لاوباء من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا واديا أبيض فلما

يعنى التزين للنكاح ولرفع الحرج عن الورثة وجهان: أحدهما أنه لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن إذا خرجن قبل انقضاء الحول . والوجه الثاني لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لأن مقامها في بيت زوجها حولا غير واجب عليها خيرها الله تعالى بين أن تقيم في بيت زوجها حولا ولها النفقة والسكنى وبين أن تخرج ولا نفقة لها ولا سكنى ثم نسخ الله ذلك بأربعة أشهر وعشرا (والله عزير) أي غالب قوى في انتقامه ممن خالف أمره ونهيه وتعدي حدوده (حكيم) يعنى فيما شرع من الشرائع وبين من الأحكام . قوله عز وجل (وللمطلقات متاع بالمعروف) إنما أعاد الله تعالى ذكر المتعة ههنا لزيادة معنى وهو أن في تلك الآية بيان حكم غير المسوسة وفي هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة وقيل لأنه لما نزل قوله تعالى «ومتعوهن على الموسع قدره» إلى قوله «حقا على الحسين» قال رجل من المسلمين إن فعلت أحسنت وإن لم أرد لم أفعل فأرسل الله تعالى «وللمطلقات متاع بالمعروف» فجعل المتعة لمن بلام التملك وقال تعالى (حقا على المتقين) يعنى المؤمنين الذين يتنون الشرك وقد تقدم أحكام المتعة . وقوله تعالى (كذلك بين الله لكم آياته) يعنى بين لكم ما يلزمكم ويلزم أزواجكم أي المؤمنون وكما عرفتمكم أحكامي والحق الذي يجب لبعضكم على بعض في هذه الآيات كذلك بين لكم سائر أحكامي في آياتي التي أنزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب (لعلكم تعقلون) أي لكي تعقلوا ما بينت لكم من الفرائض والأحكام وما فيه صلاح دينكم اه . قوله عز وجل (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم) قال أكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فسلم الذين خرجوا وهلك أكثر من بقي بالقرية فلما ارتفع الطاعون رجع الذين خرجوا سلمين فقال الذين بقوا كان أصحابنا أحزم منا رأيا لو صنعنا كما صنعوا ليقينا كما بقوا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن إلى أرض لاوباء فيها فرجع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا أبيض فلما نزلوا المكان الذين يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من أسفل الوادي وملك آخر من أعلاه أن موتوا فماتوا جميعا (ق) عن عمر أنه خرج إلى الشام فلما جاء سرغ بلغه أن الوباء قد وقع بها فأنخبره عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها فرارا منه» فحمد الله عز وجل ثم انصرف وقيل إنما فروا من الجهاد وذلك أن ملكا من ملوك بني إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى قتال عدوهم فمكروا ثم جنوا بكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا للملكهم إن الأرض التي تأتيها بها وباء فلا تخرج حتى ينقطع منها الوباء فأرسل الله عليهم الموت فخرجوا فرارا منه فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب وإله موسى قد ترى معصية عبادك فأرهم آية في أنفسهم حتى يعلموا أنهم

(٣٢ - خازن بالبغوى - أول) نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه أن موتوا فماتوا جميعا . أخبرنا أبو الحسن السرخسي ، أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج إلى الشام فلما جاء سرغ بلغه أن الوباء قد وقع بالشام فأنخبره عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع

بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه فرجع عمر من سرخ قال الكلبى ومقاتل والضحاك إنما فروا من الجهاد، وذلك أن ملكا من ملوك بني إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى قتال عدوهم فمكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا للملكهم إن الأرض التي تأتيها بها الوباء فلا تأتيها حتى ينقطع منها الوباء فأرسل الله عليهم الموت فخرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى الملك ذلك، قال: اللهم رب يعقوب وإله موسى وهارون قد ترى معصية عبادك فأرهم آية في أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال لهم الله تعالى موتوا عقوبة لهم فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فأتى عليهم ثمانية أيام حتى انتضخوا وأروحت أجسادهم فخرج إليهم الناس فعجزوا عن دفنهم، فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها واختلنوا في مبلغ عددهم قال عطاء الخراساني كانوا ثلاثة آلاف وقال وهب أربعة آلاف وقال مقاتل والكلبي ثمانية آلاف وقال أبو رواف عشرة آلاف وقال السدي بضعة وثلاثون ألفا وقال ابن جريج أربعون ألفا. وقال عطاء بن أبي رباح سبعون ألفا. وأولى الأقوال قول من قال كانوا زيادة على عشرة آلاف لأن الله تعالى قال وهم ألوف والألوف جمع الكثير وجمعه القليل آلاف والألوف (٣٥٠) لا يزال لما دون عشرة آلاف قالوا فأتت على ذلك مدة وقد بليت

أجسادهم وعريت
عظامهم فر عليهم نبي
يقال له حزقيل بن بوذي
ثالث خلفاء بني إسرائيل
من بعد موسى عليه السلام
وذلك أن النبي بعد موسى
بأمر بني إسرائيل يوشع
ابن نون ثم كالب بن وقنا
ثم حزقيل كان يقال
له ابن العجوز لأن أمه
كانت عجوزا فسألت
الله الولد بعد ما كبرت
وعقمت فوهبه الله تعالى
لها قال الحسن ومقاتل
هو ذو الكفل وسُمي
حزقيلا ذا الكفل لأنه
تكلل بسبعين نبيًا وأنجاهم

لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال لهم موتوا عقوبة لهم فماتوا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فأتى عليهم ثمانية أيام حتى انتضخوا وأروحت أجسادهم فخرج الناس إليهم فعجزوا عن دفنهم فحظروا حظيرة دون السباع فذلك قوله تعالى ألم تر أي ألم تعلم يا محمد باعلامي إياك وهو من رؤية القلب قال أهل المعاني هو تعجب له يقول هل رأيت مثل هؤلاء كما تقول ألم تر إلى صنيع فلان وكل ما في القرآن من قوله ألم تر ولم يعاينه النبي صلى الله عليه وسلم فهذا معناه. قوله تعالى (وهم ألوف) قيل هو من العدد واختلنوا في مبلغ عددهم فقيل ثلاثة آلاف وقيل عشرة آلاف وقيل بضع وثلاثون ألفا وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وأصح الأقوال قول من قال إنهم كانوا زيادة على عشرة آلاف لأن الله تعالى قال (وهم ألوف) والألوف جمع الكثير وجمع القليل آلاف وقيل معنى وهم ألوف مؤنثون جمع ألف والأول أصح قالوا فر عليهم مدة فبليت أجسادهم وعريت عظامهم فر عليهم حزقيل ابن بوذي هو ثالث خلفاء بني إسرائيل بعد موسى وذلك أن النبي بعد موسى كان يوشع بن نون ثم كان من بعده كالب بن وقنا ثم قام من بعده حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لأن أمه كانت عجوزا فسألت الله تعالى الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهب الله لها حزقيلا ويقال له ذو الكفل سُمي به لأنه تكلم سبعين نبيًا وأنجاهم من القتل فلما مر حزقيل على هؤلاء الموتى وقف عليهم وجعل يفكر فيهم فأوحى الله تعالى إليه أتريد أن أريك قال نعم يا رب فأحياهم الله تعالى وقيل دعا ربه حزقيل أن يحييهم فأحياهم الله تعالى وقيل إنهم من القتل فلما مر حزقيل على أولئك الموتى وقف عليهم، فجعل يشكر فيهم منعميا فأوحى الله تعالى إليه تريد أن أريك آية قال نعم فأحياهم الله وقيل دعا حزقيل ربه أن يحييهم فأحياهم وقال مقاتل والكلبي هم كانوا قوم حزقيل آية بعد ثمانية أيام وذلك أنه لما أصابهم ذلك خرج حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى فسكى وقال يا رب كنت في قوم يحمدونك ويسبحونك ويقدمونك ويكبرونك ويهللونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فأوحى الله تعالى إليه إني جعلت حياتهم إليك. قال حزقيل أحيوا بإذن الله فعاشوا قال مجاهد إنهم قالوا حين أحيوا سبحانك اللهم ربنا وبعمسك لا إله إلا أنت فرجعوا إلى قومهم وعاشوا دعرا طويلا وسنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا إلا عاد دنسا مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم قال ابن عباس رضي الله عنهما وإنما لتوجد اليوم في ذلك السبط من اليهود تلك الروح قال قتادة مفتهم الله على فرارهم من الموت فماتتهم عقوبة لهم ثم بعثوا ليستوفوا مدة آجالهم ولو جاءت آجالهم ما بعثوا فذلك قوله تعالى ألم تر أي ألم تعلم باعلامي إياك وهو من رؤية القلب وقال أهل المعاني هو تعجب يقول هل رأيت مثلهم؟ كما تقول ألم تر إلى ما يصنع فلان وكل ما في القرآن ألم تر ولم يعاينه النبي صلى الله عليه وسلم فهذا وجهه ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم (وهم ألوف) جمع ألف وقيل مؤنثون فلو بهم

من القتل فلما مر حزقيل على أولئك الموتى وقف عليهم، فجعل يشكر فيهم منعميا فأوحى الله تعالى إليه تريد أن أريك آية قال نعم فأحياهم الله وقيل دعا حزقيل ربه أن يحييهم فأحياهم وقال مقاتل والكلبي هم كانوا قوم حزقيل آية بعد ثمانية أيام وذلك أنه لما أصابهم ذلك خرج حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى فسكى وقال يا رب كنت في قوم يحمدونك ويسبحونك ويقدمونك ويكبرونك ويهللونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فأوحى الله تعالى إليه إني جعلت حياتهم إليك. قال حزقيل أحيوا بإذن الله فعاشوا قال مجاهد إنهم قالوا حين أحيوا سبحانك اللهم ربنا وبعمسك لا إله إلا أنت فرجعوا إلى قومهم وعاشوا دعرا طويلا وسنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا إلا عاد دنسا مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم قال ابن عباس رضي الله عنهما وإنما لتوجد اليوم في ذلك السبط من اليهود تلك الروح قال قتادة مفتهم الله على فرارهم من الموت فماتتهم عقوبة لهم ثم بعثوا ليستوفوا مدة آجالهم ولو جاءت آجالهم ما بعثوا فذلك قوله تعالى ألم تر أي ألم تعلم باعلامي إياك وهو من رؤية القلب وقال أهل المعاني هو تعجب يقول هل رأيت مثلهم؟ كما تقول ألم تر إلى ما يصنع فلان وكل ما في القرآن ألم تر ولم يعاينه النبي صلى الله عليه وسلم فهذا وجهه ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم (وهم ألوف) جمع ألف وقيل مؤنثون فلو بهم

جميع آلف مثل قاعد وقعود والصحيح أن المراد منه العند (حذر الموت) أي خوف الموت (فقال لهم الله موتوا) أمر تحويل
كقوله تعالى كونوا فردة خاسئين (ثم أحياهم) بعد موتهم (إن الله لئذو فضل على الناس) قيل هو على العموم في حق الكافة
وقيل على الخصوص في حق المؤمنين (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) (٣٥١) أما الكفار فلم يشكروا وأما المؤمنون

فلم يبلغوا غاية الشكر
(وقاتلوا في سبيل الله)
أي في طاعة أعداء الله
(واعلموا أن الله سميع
عليم) قال أكثر أهل
التفسير هنا خطاب للذين
أحبوا أمروا بالقتال
في سبيل الله فخرجوا من
ديارهم فراراً من الجهاد
فأماهم الله ثم أحياهم
وأمرهم أن يجاهدوا وقيل
الخطاب لهذه الأمة أمرهم
بالجهاد. قوله تعالى (من
ذا الذي يقرض الله
قرضاً حسناً) القرض اسم
لكل ما يعطيه الإنسان
ليجازي عليه فسمى الله
تعالى عمل المؤمنين له
على رجاء ما أعد لهم
من الثواب قرضاً لأنهم
يعملونه لطلب ثوابه .
قال الكسائي القرض
ما أسلفت من عمل صالح
أو شيء وأصل القرض
في اللغة القطع سمي به
القرض لأنه يقطع به
من ماله شيئاً يعطيه
ليرجع إليه مثله وقيل
في الآية اختصار مجازه
من ذا الذي يقرض

كانوا قومه أحياهم الله تعالى بعد ثمانية أيام وذلك أنه لما أصابهم ذلك خرج في طلبهم فوجدهم
موتى فبكي وقال يارب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيداً لا قوم لي فأوحى
الله إليه إني قد جعلت حياتهم إليك فقال حزقيل أحيوا بإذن الله فعاشوا ، وقيل إنهم قالوا حين
أحيوا سبحانه ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت ثم رجعوا إلى قومهم وعاشوا دهرًا طويلاً وصحة
الموت على وجوههم لا يلبسون ثوباً إلا عاد دسماً مثل الكفن حتى ماتوا لأجلهم التي كتبت
لهم قال ابن عباس وإنما توجد اليوم تلك الريح في ذلك السبط من اليهود قال قتادة مقتهم الله
على فرارهم من الموت فأماهم عقوبة لهم ثم بعثهم الله ليستوفوا بقية آجالهم ولو جاءت
آجالهم لما بعثوا . فإن قلت كيف أميت هؤلاء مرتين في الدنيا وقد قال الله تعالى لا يدعون فيها
الموت إلا الموتة الأولى قلت إن موتهم كان عقوبة لهم كما قال قتادة وقيل إن موتهم وإحياءهم
كان معجزة من معجزات ذلك النبي ومعجزات الأنبياء خوارج للعادات ونوادير فلا يقاس
عليها فيكون قوله إلا الموتة الأولى عاماً مخصوصاً بمعجزات الأنبياء أي إلا الموتة الأولى التي
ليست من معجزات الأنبياء ولا من خوارج العادات وفي هذه الآية احتجاج على اليهود ومعجزة
عظيمة لنبينا صلى الله عليه وسلم حيث أخبرهم بأمر لم يشاهدوه وهم يعلمون صحة ذلك وفيه
احتجاج على منكري البعث أيضاً إذ قد أخبر الله تعالى وهو الصادق في خبره أنه أماتهم ثم
أحياهم في الدنيا فهو تعالى قادر على أن يحييهم يوم القيامة ، وقوله تعالى (حذر الموت) أي مخافة
الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل إنهم أمروا بالجهاد ففروا منه حذر الموت (فقال لهم الله موتوا)
يحتمل أنهم ماتوا عند قوله تعالى موتوا ويحتمل أن يكون ذلك أمر تحويل فهو كقوله كونوا فردة
خاسئين (ثم أحياهم) يعني بعد موتهم (إن الله لئذو فضل على الناس) يعني أن الله تعالى تفضل
على أولئك الذين أماتهم بإحيائهم لأنهم ماتوا على معصيته فتفضل عليهم بإعادتهم إلى الدنيا
ليتوبوا وقيل هو على العموم فهو تعالى متفضل على كافة الخلق في الدنيا ويخص المؤمنين بفضله
يوم القيامة (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) يعني أن أكثر من أنعم الله عليه لا يشكره أما
الكافر فإنه لم يشكره أصلاً وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره . قوله عز وجل (وقاتلوا في سبيل
الله) قيل هو خطاب للذين أحيوا أحياهم الله ثم أمرهم بالجهاد فعل هذا القول فيه إظهار تقديره
وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله وقيل هو خطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه لا تهربوا
من الموت كما هرب هؤلاء فلم ينفعهم ذلك فبقي تحريض المؤمنين على الجهاد (واعلموا أن
الله سميع) يعني لما يقوله المتعلل عن القتال (عليم) بما يضمروه . قوله عز وجل (من ذا الذي يقرض
الله قرضاً حسناً) القرض اسم لكل ما يعطيه الإنسان ليجازي عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين
له قرضاً على رجاء ما أعد لهم من الثواب لأنهم يعملون لطلب الثواب وقيل القرض من
ما أسلفت من عمل صالح أو شيء قال أمية بن أبي الصلت :

عباد الله والمحتاجين من خلقه كقوله تعالى « إن الذين يؤذون الله ورسوله » أي يؤذون عباد الله كما جاء في الحديث
الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم
استطعمتك فلم تطعمني قال يارب كيف أطعمتك وأنت رب العالمين ؟ قال استطعمتك عبدي فلان فلم تطعمه
أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك الذي » وقوله عز وجل « يقرض الله » أي ينفق في طاعة الله « قرضاً حسناً » قال الحسين

ابن علي الواقدي يعني محتسبا طيبة به نفسه قال ابن المبارك من مال حلال وقال لا يمن به ولا يؤذي (فيضاعفه له) قرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر ويعقوب فيضاعفه وبابه بالتشديد ووافق أبو عمرو في سورة الأحزاب وقرأ الآخرون فيضاعفه بالأنف تخففا وهما لغتان ودليل التشديد (٢٥٢) قوله أضعافا كثيرة لأن التشديد للكثير وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب

بنصب الفاء وكذلك في سورة الحديد على جواب الاستفهام وقيل باضمار أن وقرأ الآخرون برفع الفاء نسقا على قوله يقرض (أضعافا كثيرة) قال السدي هذا التضعيف لا يعلمه إلا الله عز وجل وقيل سبعمائة ضعف (والله يقبض ويبسط) قرأ أهل الإصرة وحمزة يبسط ها هنا وفي الأعراف بسطة بالسين كتنظيرهما وقرأهم الآخرون بالصاد وقيل يقبض بامساك الرزق والنفس والتشهير ويبسط بالتوسيع وقيل يقبض بقبول التوبة والصدقة ويبسط بالخلف والثواب وقيل هو الإحياء والإماتة فمن أماته فقد قبضه ومن مد له في عمره فقد بسط له وقيل هذا في القلوب لما أمرهم الله تعالى بالصدقة أخير أنهم لا يمكنهم ذلك إلا بتوفيقه قال يقبض بعض القلوب فلا ينشط بالخير ويبسط بعضها فيقدم لنفسه خيرا كما جاء في الحديث

كل امرئ سوف يجزي قرضه حسنا أو سيئا أو مدينا كالذي دانا وأصل القرض في اللغة القطع سمي به لأن المقرض يقطع من ماله شيئا فيعطيه ليرجع إليه مثله ومعنى الآية من ذا الذي يقدم لنفسه إلى الله ما يرجو ثوابه عنده وهذا تल्पف من الله تعالى في استدعاء عباده إلى أعمال البر والطاعة وقيل في الآية اختصار تقديره من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه فهو كقولهم إن الذين يؤذون الله أي يؤذون عباد الله وكما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعني قال يارب كيف أطعمتك وأنت رب العالمين قال استطعمتك عبدي فلان فلم تطعته أما علمت أنك لو أطعته لوجدت ذلك عندي الحديث واختلفوا في المراد بهذا القرض فقيل هو الإنفاق في سبيل الله وقيل هو الصدقة الواجبة وقيل صدقة التطوع لأن الله تعالى سماه قرضا والقرض لا يكون إلا تبرعا ولما روى الطبري بسنده عن ابن مسعود قال لما نزلت ومن ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال أبو الدرداء وإن الله يريد منا القرض قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا الدرداء قال ناولني يدك فتناولته فاني قد أقرضت ربّي حائطي حائطا فيه ستائة نخلة ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدرداء في عيالها فناداها يا أم الدرداء قالت ليبيك قال أخرجني من الحائط فاني قد أقرضت ربّي زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم من عذقي رداح لأبي الدرداء وقيل في معنى يقرض الله أي ينتق في طاعته فيدخل فيه الواجب والتطوع وهو الأقرب حسنا يعني محتسبا طيبة به نفسه وقيل هو الإنفاق من المال الحلال في وجوه البر وقيل هو أن لا يمن بالقرض ولا يؤذي وقيل هو الخالص لله تعالى ولا يكون فيه رياء ولا سمعة (فيضاعفه له) يعني ثواب ما أنتق (أضعافا كثيرة) قيل هو يضاعفه إلى سبعمائة ضعف وقال السدي هذا التضعيف لا يعلمه إلا الله تعالى وهذا هو الأصح وإنما أهبهم الله ذلك لأن ذكر المهيم في باب الترغيب أقوى من ذكر الحدود (والله يقبض ويبسط) قيل يقبض بامساك الرزق والتشهير على من يشاء ويبسط بمعنى يوسع على من يشاء وقيل يقبض بقبول الصدقة ويبسط بالخلف والثواب وقيل إنه تعالى لما أمرهم بالصدقة وحسبهم على الإنفاق أخبر أنه لا يمكنهم ذلك إلا بتوفيقه وإرادته وإعانتة والمعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لا تقدر على الإنفاق في الطاعة وعمل الخير ويبسط بعض القلوب حتى تقدر على فعل الطاعات والإنفاق في البر كما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصفه حيث شاء» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك أخرجه مسلم وهذا الحديث من أحاديث الصفات التي يجب الإيمان بها والسكوت عنها وإمرارها كما جاءت من غير تكليف ولا تشبيه ولا إثبات جارحة هذا مذهب أهل السنة وسلف هذه الأمة (وإليه ترجعون) يعني في الآخرة فيجزىكم بأعمالكم. قوله عز وجل (ألم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل) الملائكة أشراف القوم ووجوههم وأصله الجماعة من الناس لا واحد له من

و القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها الله كيف يشاء الحديث (وإليه ترجعون) أي إلى الله تعودون فيجزىكم بأعمالكم وقال قتادة الماء راجعة إلى التراب كناية من غير مذكور أي من التراب خلقهم وإليه يعودون. قوله تعالى (ألم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل) والملائكة القوم ووجوههم وأشرافهم وأصل

لنظفه

الملا الجماعة من الناس ولا واحد له من لفظه كالقوم والرحط والإبل والخيل والحيث وجمعه أملاء (من بعد موسى) أي من بعد موت موسى (إذ قالوا لنبي لهم) واختلنوا في ذلك النبي فقيل هو يوشع بن نون بن أفرام بن يوسف بن يعقوب عليه السلام وقال السدي اسمه شمعون وإنما سمي شمعون لأن أمه دعت الله أن يرزقها (٣٥٣) غلاما فاستجاب الله دعاءها

فولدت غلاما فسمته شمعون تقول سمع الله تعالى دعائي ، والسبع نصير شينا بالعبرانية هو شمعون بن صفية بنت علقمة من ولد لاوي ابن يعقوب وقال سائر المفسرين هو أشمويل

وهو بالعبرانية إسماعيل ابن يال بن علقمة وقال مقاتل هو من نسل هارون وقال مجاهد هو أشمويل وهو بالعبرانية إسماعيل ابن هلقايا وقال وهب وابن إسحاق والكلبي وغيرهم كان سبب مسألتهم إياه ذلك أنه لما مات موسى عليه السلام خلف عنه في بني إسرائيل يوشع بن نون يتم فيهم التوراة وأمر الله تعالى حتى قبضه الله تعالى ثم خلف فيهم كالب ابن يوقنا كذلك حتى عظمت الأحداث في بني إسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الأصنام فبعث الله إليهم إلياس نبيا فدعاهم إلى الله تعالى وكانت الأنبياء من بني إسرائيل من بعدهم موسى يعثون إليهم ليجددوا ما نسوا من التوراة ويأمرهم بالعمل بأحكامها ثم خلف من بعد إلياس اليسع فكان فيهم ما شاء الله تعالى ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده خلوف وعظمت فيهم الخطايا وظهر لهم عدو يقال له البلثاوا وهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بني إسرائيل وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعة مائة وأربعين غلاما فضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراههم ولقي بنو إسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم إلا امرأة حبلى فحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها وجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته أشمويل ومعناه بالعربية إسماعيل تقول سمع الله دعائي فلما كبر الغلام أسلمته لتعليم التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام آتاه جبريل عليه السلام وهو قائم إلى جانب الشيخ وكان الشيخ لا يأمن عليه أحدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا أشمويل ! فقام الغلام فرعا إلى الشيخ وقال يا أبتاه رأيتك تدعوني فكره الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فم فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام دعوتني فقال ثم فان دعوتك فلا تجبني فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل عليه السلام وقال له اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما أتاهم كذبوه وقالوا له استعجلت بالنبوة ولم تنك ولم تنك وقالوا له إن كنت صادقا فبعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله آية على نبوتك وإنما كان قوام أمر بني إسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك أنبياءهم وكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي هو الذي يقم له أمره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من ربه

لفظه كالقوم والرحط (من بعد موسى) أي من بعد موت موسى أي من بعد زمنه (إذ قالوا) يعني أولئك الملأ (لنبي لهم) اختلنوا في ذلك النبي فقيل هو يوشع بن نون بن أفرام بن يوسف بن يعقوب وقيل هو شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوي بن يعقوب وإنما سمي شمعون لأن أمه دعت الله أن يرزقها غلاما فاستجاب الله لها فولدت غلاما فسمته شمعون ومعناه سمع الله دعائي وتبدل السين بالعبرانية شينا وقال أكثر المفسرين هو أشمويل بن يال وقيل هو ابن هلقاي قيل إنه من ولد هارون ومعرفة حقيقة ذلك النبي بعينه ليست مرادة من القصة إنما المراد منها الترغيب في الجهاد وذلك حاصل .

(ذكر الإشارة إلى القصة)

كان سبب مسألة أولئك الملأ لذلك النبي أنه لما مات موسى عليه السلام خلف من بعده في بني إسرائيل يوشع بن نون يتم فيهم أمر الله تعالى ويحكم بالتوراة حتى قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده كالب بن يوقنا كذلك ثم حزقييل كذلك حتى قبضه الله تعالى فعظمت الأحداث في بني إسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الأصنام فبعث الله إليهم إلياس نبيا فدعاهم إلى الله تعالى وكانت الأنبياء من بني إسرائيل من بعدهم موسى يعثون إليهم ليجددوا ما نسوا من التوراة ويأمرهم بالعمل بأحكامها ثم خلف من بعد إلياس اليسع فكان فيهم ما شاء الله تعالى ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده خلوف وعظمت فيهم الخطايا وظهر لهم عدو يقال له البلثاوا وهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بني إسرائيل وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعة مائة وأربعين غلاما فضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراهم ولقي بنو إسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم إلا امرأة حبلى فحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها وجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته أشمويل ومعناه بالعربية إسماعيل تقول سمع الله دعائي فلما كبر الغلام أسلمته لتعليم التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام آتاه جبريل عليه السلام وهو قائم إلى جانب الشيخ وكان الشيخ لا يأمن عليه أحدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا أشمويل ! فقام الغلام فرعا إلى الشيخ وقال يا أبتاه رأيتك تدعوني فكره الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فم فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام دعوتني فقال ثم فان دعوتك فلا تجبني فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل عليه السلام وقال له اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما أتاهم كذبوه وقالوا له استعجلت بالنبوة ولم تنك ولم تنك وقالوا له إن كنت صادقا فبعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله آية على نبوتك وإنما كان قوام أمر بني إسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك أنبياءهم وكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي هو الذي يقم له أمره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من ربه

إسرائيل من بعدهم موسى يعثون إليهم بتجديد ما نسوا من التوراة ثم خلف من بعد إلياس اليسع فكان فيهم ما شاء الله ثم قبضه الله وخلف فيهم الخلوف وعظمت الخطايا فظهر لهم عدو يقال له البلثاوا وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بني إسرائيل وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم

اربعائة واربعين غلاما فصرىوا عليهم الجزية وأخذوا ثورتهم ولقى بنو اسرائيل منهم بلاء وشدة ، ولم يكن لهم من يدبر أمرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا فلم يبق منهم إلا امرأة حبلى فحبسوها في بيت حربية فتبسطا بغلام لما ترى من رغبة بنى اسرائيل في ولدها وجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاما فولدت غلاما قسمته اشمويل تقول سمع الله تعالى دعائى فكبر الغلام فأسلمته ليعلم التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه ، فلما بلغ الغلام أناة جبريل وهو نائم لى جنب الشيخ وكان لا يأتى عليه أحدا ، فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فرعا لى الشيخ فقال بأبنته دعوتنى فكره الشيخ أن يقول لا يفزع الغلام وقال يا بنى ارجع فم فرجع الغلام فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام يا أبت دعوتنى فقال ارجع فم فان دعوتك الثالثة فلا تجبني ، فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل فقال له اذهب إلى قومك فبأنهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما أتاهم كذبوه وقالوا استعجلت بالنبوة ولم تنك وقالوا له إن كنت صادقا فبعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله آية من (٢٥٤) فيوتك وإنما كان قوام أمر بنى اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك لأنبيائهم فكان الملك هو

الذى يسير بالجوع والنبي
يقم له أمره ويشير عليه
برشده ويأتيه بالخبر
من ربه . قال وهب بن منبه
بعث الله تعالى اشمويل نبيا
فلبثوا أربعين سنة بأحسن
حال ثم كان من أمر
جالوت والعمالقة ما كان
فقالوا لشمويل (ابعث
لنا ملكا نقاتل في سبيل
الله) جزم على جواب
الأمر فلما قالوا له ذلك
(قال هل عسىم) استنهم
شك يقول لعلمكم قرأ نافع
عسىم بكسر السين كل
القرآن وقرأ الباقون
بالتشع وهي اللغة الفصحى
بدليل قوله تعالى عسى

ربكم (إن كتب) فرض (عليكم القتال) من ذلك الملك (أن لا تقاتلوا) أن لا تفوا بما تقولون ولا تقاتلوا معه سأل
(قالوا وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله) فان قيل فما وجه دخول أن في هذا الموضع والعرب لا تقول مالك أن لا تفعل وإنما يقال
مالك لا تفعل قيل دخول أن وحذفها لغتان صحيحتان فالإثبات كقوله تعالى مالك أن لا تكون مع الساجدين ، والحذف كقوله
تعالى وما لكم لا تؤمنون بالله ، وقال الكسائي معناه وما لنا في أن لا تقاتل فحذف في وقال الفراء أى وما بمنعنا أن لا نقاتل في سبيل
الله كقوله تعالى وما منعك أن لا تسجد ، وقال الأخفش أن هاهنا أداة معناه وما لنا لا نقاتل في سبيل الله (وقد أخرجنا من ديارنا
وأبنائنا) أى أخرج من غلب عليهم من ديارهم ظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لأن الذين قالوا لبيهم ابعث لنا ملكا
نقاتل في سبيل الله كانوا في ديارهم وأوطانهم وإنما أخرج من أسر منهم ومعنى الآية أنهم قالوا مجيبين لبيهم إنما كنا نزهدي في
الجهاد إذ كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا فأما إذا بلغ ذلك منا فطبيع ربنا في الجهاد ونمنع نسائنا وأولادنا قال
الله تعالى (فلما كتب عليهم القتال تولوا) أى عرضوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله (إلا قليلا منهم) وهم الذين عبروا النهر مع
طالوت واقتصروا على الفرقة على ما سأتى إن شاء الله تعالى (والله عليهم بالظالمين) وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا

وذلك أن اشموبيل سأل الله تعالى أن يعث لهم ملكا فأتى بعضا وقرن فيه دهن القدس وقيل له إن صاحبكم الذي يكون طولُه طول هذه العصا وانظر هذا القرن الذي فيه الدهن فإذا دخل عليك رجل ففش الدهن الذي في القرن فهو ملك بني إسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم وكان طالوت اسمه بالعبرانية ساول بن قيس من أولاد بنيامين بن يعقوب سمي طالوت لظوله وكان أطول من كل أحد برأسه ومنكبويه وكان رجلا دباغا يعمل الأديم قاله وهب وقال السدي كان رجلا سقاء يستقي على حمار له من النبل فضل حماره فخرج في طلبه وقيل كان خربندجا وقال وهب بل ضلت (٢٥٥) حمر لأبي طالوت فأرسله

وغلما له في طلبها فمرا
بيت اشموبيل عليه السلام
فقال الغلام لطالوت
لو دخلنا على هذا النبي
فسألناه عن أمر الحمر
ليرشدنا ويدعو لنا فدخل
عليه فينا هما عنده
يذكران له حاجتهما إذ
نش الدهن الذي في القرن
فقال اشموبيل عليه السلام
فقال طالوت بالعصا
فكانت طولُه فقال
لطالوت قرب رأسك
فقربه فدهنته بدهن
القدس ثم قال له أنت
ملك بني إسرائيل الذي
أمرني الله تعالى أن أملكه
عليهم فقال طالوت أما
علمت أن سبطي أدنى
أسباط بني إسرائيل وبيتي
أدنى بيوت بني إسرائيل ؟
قال بلى قال فبأي آية قال
بآية أنك ترجع وقد وجد
أبوك حمره فكان كذلك
ثم قال لبني إسرائيل

سأل الله عز وجل أن يعث لهم ملكا فأتى بعضا وقرن فيه دهن القدس وقيل له إن صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طولُه طول هذه العصا وانظر إلى القرن الذي فيه الدهن فإذا دخل عليك رجل ففش الدهن في القرن فهو ملك بني إسرائيل فادهن رأسه بالدهن وملكه عليهم واسم طالوت بالعبرانية ساول بن قيس من سبط بنيامين بن يعقوب وإنما سمي طالوت لظوله وكان أطول من جميع الناس برأسه ومنكبويه وكان طالوت رجلا دباغا يدبغ الأديم قاله وهب وقيل كان سقاء يستقي الماء على حمار فضل حماره فخرج بطلبه وقال وهب ضلت حمر لأبي طالوت فأرسله أبوه ومعه غلام في طلبها فر على بيت اشموبيل النبي فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه عن أمر الحمر ليرشدنا أو يدعونا فدخلنا عليه فينا هما عنده يذكران له حاجتهما إذ نش الدهن في القرن فقام اشموبيل ففاس طالوت بالعصا فكانت على طولُه فقال لطالوت قرب رأسك فقربه إليه فدهنته بدهن القدس وقال له أنت ملك بني إسرائيل الذي أمرني الله تعالى أن أملكك عليهم فقال طالوت أو سألته أن سبطي من أدنى أسباط بني إسرائيل قال بلى قال فبأي آية قال بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حمره فكان كذلك ثم قال لبني إسرائيل إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقيل إنه جلس عنده وقال يا أيها الناس إن الله مأك طالوت فأنت عظماء بني إسرائيل إني نبيهم اشموبيل وقالوا له ماشأن طالوت تملك علينا وليس هو من بيت النبوة ولا المملكة وقد عرفت أن النبوة في سبط لاوي بن يعقوب والمملكة في سبط يهوذا بن يعقوب فقال لهم نبيهم اشموبيل إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا (قالوا أنى يكون له الملك علينا) أي من أين يكون له الملك وكيف يستحقه (ونحن أحق بالملك منه) إنما قالوا ذلك لأنه كان في بني إسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة فسبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه كان موسى وهارون وسبط السلام وسبط المملكة سبط يهوذا ابن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من أحدهما وإنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب فلهذا السبب أنكروا كونه ملكا لهم وزعموا أنهم أحق بالملك منه ثم أكدوا ذلك بقومهم (ولم يؤت سعة من المال) يعني أنه فقير والمالك يحتاج إلى المال (قال) يعني اشموبيل النبي (إن الله اصطفاه عليكم) أي اختاره عليكم وخصه بالملك وفي هذه الآية دليل على بطلان قول من زعم من الشيعة أن الإمامة موروثه وذلك لأن بني إسرائيل أنكروا أن يكون ملكهم من لا يكون من بيت المملكة ففرد الله عليهم وأعلمهم أن هذا شرط فاسد والمستحق للملك من خصه الله به (وزاده بسطة) أي فضيلة وسعة (في العلم) وذلك أنه كان من أعلم بني

وإن الله قد بعث لكم طالوت ملكا (قالوا أنى يكون له الملك علينا) أي من أين يكون له الملك علينا (ونحن أحق) أولى (بالملك منه) وإنما قالوا ذلك لأنه كان في بني إسرائيل سبطان سبط النبوة وسبط المملكة فكان سبط النبوة سبط لاوي ابن يعقوب ومنه كان موسى وهارون وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان ، ولم يكن طالوت من أحدهما وإنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا عملوا ذنبا عظيما كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهارا فغضب الله تعالى عليهم ونزع الملك والنبوة عنهم وكانوا يسمونه سبط الإثم فلما قال لهم نبيهم ذلك أنكروا عليه لأنه لم يكن من سبط المملكة ومع ذلك قالوا هو فقير (ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه) اختاره (عليكم وزاده بسطة) فضيلة وسعة (في العلم

والجسم) وذلك أنه كان أعلم بني إسرائيل في وقته وقيل إنه أثناء الوحي حين أوتى الملك وقال الكلبى وزاده بسطة فضيلة وسعة في العلم بالحرب وفي الجسم بالطول وقيل الجسم بالجمال وكان طالوت أجمل رجل في بني إسرائيل وأعلمهم (والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم) قيل الواسع ذو السعة وهو الذى يعطى عن غنى والعليم العالم وقيل العالم بما كان والعليم بما يكون فقالوا له فما آية ملكه فقال هم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت) وكانت قصة التابوت (٢٥٦) أن الله تعالى أنزل تابوتاً على آدم فيه صور الأنبياء عليهم السلام وكان

من عود الشمشاد نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين فكان عند آدم إلى أن مات ثم بعد ذلك عند شيث ثم توارثه أولاد آدم إلى أن بلغ إبراهيم ثم كان عند إسماعيل لأنه كان أكبر ولده ثم عند يعقوب ثم كان في بني إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى فكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعاً من متاعه فكان عنده إلى أن مات موسى عليه السلام ثم تداولته أنبياء بني إسرائيل إلى وقت اشمويل وكان فيه ما ذكر الله تعالى (فيه سكينتان من ربكم) اختلفوا في السكينتين ما هي قال على ابن أبي طالب رضى الله عنه ربح حجوج هفاقة لها رأسان ووجه كوجه الإنسان وعن مجاهد شيء يشبه الهرة له رأس كراس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان وقيل له عينان لها شعاع وجناحان

إسرائيل وقيل إنه أوحى إليه حين أوتى الملك وقيل هو العلم في الحرب (والجسم) يعنى بالطول وذلك لأنه كان أطول من الناس برأسه ومثيبه وقيل بالجمال وكان طالوت من أجمل بني إسرائيل وقيل المراد به القوة لأن العلم بالحروب والثبوت على الأعداء مما فيه حفظ المملكة (والله يؤتى ملكه من يشاء) يعنى أن الله تعالى لا يعترض عليه لأحد في فعله فيخص بملكه من يشاء من عباده (والله واسع) يعنى أن الله تعالى واسع الفضل والرزق والرحمة وسعت رحمته كل شيء ووسع فضله ورزقه كل خلقه والمعنى أنكم طعمتم في طالوت بكونه فقيراً والله واسع الفضل والرزق فإذا فوض إليه الملك فتح عليه أبواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل الواسع ذو السعة وهو الذى يعطى عن غنى (عليم) يعنى أنه تعالى مع قدرته على إغناء الفقير عالم بما يحتاج إليه في تدبير نفسه وملكه والعلم هو العالم بما يكون وبما كان قوله عز وجل (وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت) وذلك أنهم سألوا اشمويل النبي فقالوا ما آية ملكه فقال إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت. وكانت قصة التابوت على ما ذكره علماء السير والأخبار أن الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام تابوتاً فيه صور الأنبياء عليهم السلام وكان التابوت من خشب الشمشاد طوله ثلاثة أذرع في عرض ذراعين فكان عند آدم ثم صار إلى شيث ثم توارثه أولاد آدم إلى أن بلغ إبراهيم عليه السلام ثم كان عند إسماعيل لأنه كان أكبر أولاده ثم صار إلى يعقوب ثم كان في بني إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى عليه السلام فكان يضع فيه التوراة ومتاعاً من متاعه ثم كان عنده إلى أن مات ثم تداولته أنبياء بني إسرائيل إلى وقت اشمويل وكان فيه ما ذكر الله تعالى وهو قوله (فيه سكينتان من ربكم) واختلفوا في تلك السكينتين ما هي فقال على بن أبي طالب هي ربيح حجوج هفاقة لها رأسان ووجه كوجه الإنسان وقال مجاهد هي شيء يشبه الهرة له رأس كراس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان وقيل له عينان لها شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد وكانوا إذا سمعوا صوته تيقنوا النصر فكانوا إذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فإذا سار ساروا وإذا وقف وقفوا وقال ابن عباس هي طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء وقال وهب هي روح من الله تعالى تتكلم إذا اختلفوا في شيء فتحبرهم ببيان ما يريدون وقال عطاء بن أبي رباح هي ما يعرفون من الآيات التي يسكنون إليها وقال قتادة والكلبي هي فعيلة من السكون أى طمأنينة من ربكم ففي أى مكان كان التابوت اطمأنوا وسكنوا إليه وهذا القول أولى بالصحة فعلى هذا كل شيء كانوا يسكنون إليه فهو سكينتان فيحمل على جميع ما قبل فيه لأن كل شيء يسكن إليه القلب فهو سكينتان ولم يرد فيه نص صريح فلا يجوز تصويب قول وتضعيف آخر. وقوله تعالى (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) يعنى موسى

من زمرد وزبرجد فكانوا إذا سمعوا صوته تيقنوا بالنصرة وكانوا إذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم وهارون فإذا سار ساروا وإذا وقف وقفوا وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال هي طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء وعن وهب بن منبه قال هي روح من الله يتكلم إذا اختلفوا في شيء يحبرهم ببيان ما يريدون، وقال عطاء بن أبي رباح هي ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليها وقال قتادة والكلبي السكينتان فعيلة من السكون أى طمأنينة من ربكم ففي أى مكان كان التابوت اطمأنوا إليه وسكنوا (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) يعنى موسى وهارون نفسيهما كان فيه لوحان من التوراة

ورضاض الألواح التي تكسرت وكان فيه عصا موسى وتعلاه وعمامة هارون وعصاه وقتب من المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل فكان التابوت عند بني إسرائيل وكانوا إذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم وإذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم فيستفتحون به على عدوهم فلما عصوا وأفسدوا سلف الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت . وكان السبب في ذلك أنه كان لعلي العالم الذي ربي أشمويل عليه السلام ابنان شابان وكان عيلى حيزهم وصاحب قربانهم فأحدث ابناه في القربان شيئا لم يكن فيه وذلك أنه كان لعلي منوط القربان الذي كانوا ينوطونه به كلا بين فما أخرجنا (٢٥٧) كان للكاهن الذي ينوطه

فجعل ابناه كلاليب وكان النساء يصلين في بيت المقدس فيثبثان بهن فأوحى الله تعالى إلى أشمويل عليه السلام انطلق إلى عيلى فقل له منعك حب الولد من أن تزجر ابنيك عن أن يحدثا في قرباني وقدمي شيئا وأن يعصيانى فلا تزعن الكهانة منك ومن ولدك ولاهلكك وإياهم فأخبر أشمويل عيلى بذلك ففزع فرعاشدينا فصار إليهم عدو ممن حولهم فأمر ابنه أن يخرج بالناس فيقاتلوا ذلك العدو فخرجوا معهمم التابوت فلما تمتهنوا للقتال جعل عيلى يتوقع الخبر ماذا صنعوا فجاءه رجل وهو قاعد على كرسية فقال إن الناس قد انهزموا وإن ابنيك قد قتلوا فما فعل التابوت قال ذهب به العدو فشقق ووقع على

وهارون أنفسهما بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لأبي موسى الأشعري لقد أوتيت مزمارة من مزامير آل داود فالمراد به داود نفسه . واختلفوا في تلك البقية التي ترك آل موسى وآل هارون فقبل رضاض من الألواح وعصا موسى قاله ابن عباس وقيل عصا موسى وعصا هارون وشيء من ألواح التوراة وقيل كانت العلم والتوراة وقيل كان فيه عصا موسى وتعلاه وعصا هارون وعمامته وقتب من المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل فكان التابوت عند بني إسرائيل إذا يتوارثونه قرنا بعد قرن وكانوا إذا اختلفوا في شيء تحاكموا إليه فيتكلّم ويحكم بينهم وكانوا إذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم فينصرون فلما عصوا وأفسدوا سلف الله عز وجل عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وأخذوه منهم . وكان السبب في ذلك أنه كان لعلي وهو الذي ربي أشمويل ابنان شابان وكان عيلى حيز بني إسرائيل وصاحب قربانهم في زمنه فأحدث ابناه في القربان شيئا لم يكن فيه وذلك أنه كان منوط القربان الذي ينوطونه كلاليب فما أخرجنا كالكاهن الذي كانا ينوطه فجعل ابناه كلاليب وكان النساء يصلين في بيت المقدس فيثبثان بهن فأوحى إلى أشمويل أن انطلق إلى عيلى وقل له منعك حب الولد من أن تزجر ابنيك عن أن يحدثا في قرباني وقدمي شيئا وأن يعصيانى فلا تزعن الكهانة منك ومن ولدك ولاهلكك وإياهم فأخبره أشمويل بذلك ففزع وسار إليهم عدوهم من حولهم فأمر عيلى ابنه أن يخرج بالناس فيقاتلوا ذلك العدو فخرجوا وأخرجوا معهمم التابوت فلما تمتهنوا للقتال جعل عيلى يتوقع الخبر فجاءه رجل فأخبره أن الناس قد انهزموا وقد قتل ابناه قال فما فعل في التابوت قال أخذه العدو وكان عيلى قاعدا على كرسية فشقق ووقع على قفاه فمات فخرج أمر بني إسرائيل وتفرقوا إلى أن بعث الله طالوت ملكا فسألوا أشمويل البينة على صحة ملك طالوت فقال لهم نبيهم يعني أشمويل إن آية ملكه يعني علامة التي تدل على صحته أن يأتيكم التابوت وكانت قصة رجوع التابوت على ما ذكره أصحاب الأخبار أن الذين أخذوا التابوت من بني إسرائيل أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها أزدود فجعلوه في بيت أصنام ذم ووضعوه تحت الصنم الأعظم فأصبحوا من الغد والصنم تحته فأخذوه ووضعوه فوقه وسمروا قديم الصنم على التابوت فأصبحوا وقد قطعت يد الصنم ورجلاه وأصبح الصنم ماني تحت التابوت وأصبحت أصنامهم منكسة فأخرجوا التابوت من بيت الأصنام ووضعوه في ناحية من مدينتهم فأخذ أهل تلك الناحية وجع في أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمت أن إله بني إسرائيل لا يقوم له شيء فأخرجوه إلى قرية أخرى فبعث الله على أهل تلك الناحية فأرة فكانت القارة

(٣٣ - خازن بالبغوى - أول) قفاه من كرسية ومات فخرج أمر بني إسرائيل وتفرقوا إلى أن بعث الله طالوت ملكا فسألوه البينة فقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت . وكانت قصة التابوت أن الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها أزدود وجعلوه في بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الأعظم فأصبحوا من الغد والصنم تحته فأخذوه ووضعوه فوقه وسمروا قديم الصنم على التابوت فأصبحوا وقد قطعت يد الصنم ورجلاه وأصبح ماني تحت التابوت وأصبحت أصنامهم منكسة فأخرجوه من بيت الصنم ووضعوه في ناحية من مدينتهم فأخذ أهل تلك الناحية وجع في أعناقهم حتى هلك

أكثرهم فقال بعضهم لبعض اليس قد علمتم أن إله بني إسرائيل لا يقوم له شيء فأخرجوه إلى قرية كذا فبعث الله على أهل تلك القرية قاراً فكانت القارة تبيت مع الرجل فيصبح ميتاً قد أكلت مافي جوفه فأخرجوه إلى الصحراء فدفنوه في محرة لهم فكان كل من تبرز هناك أخذه الباسور والتولنج فتحبروا فقالت لهم امرأة كانت عندهم من سبي بني إسرائيل من أولاد الأنبياء لا تزالون ترون ماتكروهن مادام هذا التابوت فيكم فأخرجوه عنكم فأتوا بعجلة بأشارة تلك المرأة وحملوا عليها التابوت ، ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فأقبل الثوران يسيران ووكل الله تعالى بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما فأقبلا حتى وقفا على أرض بني إسرائيل فكسرا نيريهما وقطعا جباههما ووضعوا التابوت في أرض فيها حصاد بني إسرائيل ورجعا إلى أرضهما فلم يرع بني إسرائيل إلا بالتابوت فكبروا وحمدوا الله فذلك قوله تعالى (تحمله الملائكة)

تبيت مع الرجل فيصبح ميتاً قد أكلت مافي جوفه فأخرجوه إلى الصحراء ودفنوه في محرة لهم فكان كل من تبرز هناك أخذه الباسور والتولنج فتحبروا فيه فقالت لهم امرأة من بني إسرائيل كانت عندهم وهي من بنات الأنبياء لا تزالون ترون ماتكروهن مادام هذا التابوت فيكم فأخرجوه عنكم فأتوا بعجلة بأشارة تلك المرأة وحملوا عليها التابوت ثم علقوها في ثورين وضربوا جنوبهما فأقبل الثوران يسيران ووكل الله بالثورين أربعة أملاك يسوقونهما فأقبلا حتى وقفا على أرض بني إسرائيل فكسرا نيريهما وقطعا جباههما ووضعوا التابوت في أرض فيها حصاد لبني إسرائيل ورجعا إلى أرضهما فلم يرع بني إسرائيل إلا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى (تحمله الملائكة) أي تسوقه . وقال ابن عباس جاءت الملائكة بالتابوت تحملهن بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت ، وقال الحسن كان التابوت مع الملائكة في السماء فلما ولي طالوت الملك حملته الملائكة ووضعتهم بينهم وقال قتادة بل كان التابوت في التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقي هناك فأقبلت الملائكة تحمله حتى وضعت في دار طالوت فأصبح في داره فأقروا بمكة (إن في ذلك آية لكم) يعني قال لهم نبهم أشموا إن في محي التابوت تحمله الملائكة آية لكم يعني علامة ودلالة على صدق فيما أخبرتكم أن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً (إن كنتم مؤمنين) يعني مصدقين بذلك قال المفسرون فلما جاءهم التابوت وأقروا بالملك لطالوت تأهب للخروج إلى الجهاد فأسرعوا لطاقته وخرجوا معه وذلك قوله تعالى (فأتاهم فصل طالوت بالجنود) أي خرج وأصل الفصل التقطع يعني قطع مستقره شاخصاً إلى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم سبعون ألف مقاتل وقيل ثمانون ألفاً وقيل مائة وعشرون ألفاً ولم يتخلف عنه إلا كبير كبيره أو مريض مرضه أو معلور لعدوه وذلك أنهم لما رأوا التابوت لم يشكوا في النصر فسارعوا إلى الخروج إلى الجهاد وكان مسيرهم في حر شديد فشكوا إلى طالوت قلة الماء بينهم وبين عدوهم وقالوا إن الماء لا يحملنا فادع الله أن يجري لنا نهراً (فقال) طالوت (إن الله مبتليكم بنهر) أي يختبركم به لتبين طاعتكم وهو أعلم بذلك قال ابن عباس هو نهر فلسطين وقيل هو نهر عذب بين الأردن وفلسطين (فمن شرب منه فليس مني) أي فليس من أهل ديني وطاعتي (ومن لم يطعمه) أي لم يذقه يعني الماء (فإنه مني)

أي تسوقه ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما جاءت الملائكة بالتابوت تحملهن بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت ، وقال الحسن كان التابوت مع الملائكة في السماء فلما ولي طالوت الملك حملته الملائكة ووضعتهم بينهم وقال قتادة بل كان التابوت في التيه خلفه موسى عند يوشع ابن نون فبقي هناك فحملته الملائكة حتى وضعت في دار طالوت فأقروا بمكة (إن في ذلك آية) لغيره (لكم إن كنتم مؤمنين) قال ابن عباس رضي الله عنهما إن التابوت وعصى موسى في بحيرة طبرية وإنهما نخرجان قبل يوم القيامة . قوله تعالى (فلما فصل طالوت بالجنود) أي خرج بهم وأصل الفصل

التقطع يعني قطع مستقره شاخصاً إلى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم يومئذ سبعون ألف يعني مقاتل وقيل ثمانون ألفاً لم يتخلف عنه إلا كبير لمرمه أو مريض مرضه أو معلور لعدوه وذلك أنهم لما رأوا التابوت لم يشكوا في النصر فسارعوا إلى الجهاد فقال طالوت لأحاجة لي في كل ما أرى لا يخرج معي رجل يبني بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة يشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج امرأة ولم يكن بها ولا يتبعني إلا الشاب النشط القارخ فاجتمع له ثمانون ألفاً ممن شرطه ، وكان في حر شديد فشكوا قلة الماء بينهم وبين عدوهم فقالوا إن الماء قليلة لا يحملنا فادع الله أن يجري لنا نهراً (قال) طالوت (إن الله مبتليكم بنهر) يختبركم ليرى طاعتكم وهو أعلم بنهر قال ابن عباس والسدى هو نهر فلسطين وقال قتادة نهر بين الأردن وفلسطين عذب (فمن شرب منه فليس مني) أي من أهل ديني وطاعتي (ومن لم يطعمه) لم يشربه (فإنه مني)

إلا من اعترف غرفة بيده) قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو غرفة بفتح العين وقرأ الآخرون بضم العين وهما لغتان قال الكسائي الغرفة بالضم الذي يحصل في الكف من الماء إذا غرفت والغرفة بالفتح الاعتراف فالضم اسم والفتح مصدر (فشربوا منه إلا قليلا منهم) نصب على الاستثناء واختلنوا في القليل الذين لم يشربوا فقال السدي كانوا أربعة آلاف وقال غيره ثلثمائة وبضعة عشر وهو الصحيح لما أخبرنا عبد الواحد الملبحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن رجاء أنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال : كنا أصحاب محمد عليه السلام نتحدث (٢٥٩) أن عدة أصحاب بدر على عدة

أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا مؤمن وهم بضعة عشر وثلثمائة وروى ثلثمائة وثلاثة عشر فلما وصلوا إلى النهر وقد ألقى الله عليهم العطش فشرب منه الكل إلا هذا العدد القليل فن اعترف غرفة كما أمر الله قومي فإيمانه وعبر النهر سالما وكففته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه والذين شربوا وخالفوا أمر الله أسودت شفاههم وغلهم العطش فلم يروا وجنوا إلى قسم حين رأوا العدو وكثرته وقلة المؤمنين قالوا لا طاقة لنا اليوم بجنودهم فاجابهم المؤمنين بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ولم يجاوز النهر مع طالوت إلا المؤمنون خاصة لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه. فان قلت فعلى هذا القول من القائل لا طاقة لنا اليوم بجنودهم وجنوده. قلت يحتمل أن يكون أهل الإيمان وهم الثلثمائة وبضعة عشر انقسموا إلى قسمين قسم حين رأوا العدو وكثرته وقلة المؤمنين قالوا لا طاقة لنا اليوم بجنودهم فاجابهم القسم الآخر بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومعنى لا طاقة لنا لا قوة لنا اليوم بجنودهم (قال الذين يظنون) أي يستيقنون ويعلمون (أنهم ملائكة الله) أي ملائكة ثواب الله ورضوانه في الدار الآخرة (كم من فئة قليلة) الفئة الجامعة لا واحد له من لفظه كالرعد (غلبت فئة كثيرة باذن الله) أي بقضاء الله وإرادته (والله مع الصابرين) يعني بالنصر والمعونة. قوله عز وجل (ولم يرزوا) يعني طالوت وجنوده المؤمنين (الجحود وجنوده) يعني الكافرين ومعنى رزوا صاروا بالبراز من الأرض وهو ما ظهر واستوى منها (قالوا) يعني المؤمنين أصحاب طالوت (ربنا أفرغ) أي أصب (علينا صبرا وثبت أقدامنا) أي قو قلوبنا لتثبت

يعني من أهل طاعتي (إلا من اعترف غرفة بيده) قرئ بفتح العين وضمها لغتان ، وقيل الغرفة بالضم التي تحصل في الكف من الماء والغرفة بالفتح الاعتراف فالضم اسم والفتح مصدر (فشربوا منه) يعني من النهر (إلا قليلا منهم) قيل هم أربعة آلاف لم يشربوا منه وقيل ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح ويدل على ذلك ما روى عن البراء بن عازب قال : كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يتحدثون أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوزوه ، إلا مؤمن بضعة عشر وثلثمائة ، أخرجه البخاري قبل البضع هنا ثلاثة عشر ، فلما وصلوا إلى النهر ألقى عليهم العطش فشرب منه الكل إلا هذا العدد القليل ، وكان من اعترف منه غرفة كما أمره الله تعالى كفته لشربه وشرب دوابه وقوى قلبه وصح إيمانه وعبر النهر سالما والذين شربوا منه وخالفوا أمر الله تعالى أسودت شفاههم وغلهم العطش فلم يروا وجنوا وبغوا على شط النهر ولم يجاوزوه ، وقيل جاوزوه كلهم ولكن الذين شربوا لم يحضروا القتال وإنما قاتل أولئك القليل الذين لم يشربوا وهو قوله تعالى (فلما جاوزوه هو) يعني جاوز النهر طالوت (والذين آمنوا معه) يعني أولئك القليل (قالوا) يعني الذين شربوا من النهر وخالفوا أمر الله تعالى وكانوا أهل شك ونفاق فعلى هذا يكون قد جاوز النهر مع طالوت المؤمن والمنافق والطائع والعاصي فلما رأوا العدو قال المنافقون (لا طاقة لنا اليوم بجنودهم) فاجابهم المؤمنون بقولهم « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة » وقيل لم يجاوز النهر مع طالوت إلا المؤمنون خاصة لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه. فان قلت فعلى هذا القول من القائل لا طاقة لنا اليوم بجنودهم وجنوده. قلت يحتمل أن يكون أهل الإيمان وهم الثلثمائة وبضعة عشر انقسموا إلى قسمين قسم حين رأوا العدو وكثرته وقلة المؤمنين قالوا لا طاقة لنا اليوم بجنودهم فاجابهم القسم الآخر بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومعنى لا طاقة لنا لا قوة لنا اليوم بجنودهم (قال الذين يظنون) أي يستيقنون ويعلمون (أنهم ملائكة الله) أي ملائكة ثواب الله ورضوانه في الدار الآخرة (كم من فئة قليلة) الفئة الجامعة لا واحد له من لفظه كالرعد (غلبت فئة كثيرة باذن الله) أي بقضاء الله وإرادته (والله مع الصابرين) يعني بالنصر والمعونة. قوله عز وجل (ولم يرزوا) يعني طالوت وجنوده المؤمنين (الجحود وجنوده) يعني الكافرين ومعنى رزوا صاروا بالبراز من الأرض وهو ما ظهر واستوى منها (قالوا) يعني المؤمنين أصحاب طالوت (ربنا أفرغ) أي أصب (علينا صبرا وثبت أقدامنا) أي قو قلوبنا لتثبت

وكانوا أهل شك ونفاق (لا طاقة لنا اليوم بجنودهم) قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي فاحضروا ولم يجاوزوا (قال الذين يظنون) يستيقنون (أنهم ملائكة الله) وهم الذين ابتوا مع طالوت (كم من فئة) جماعة وهي جمع لا واحد له من لفظه وجمعها فئات وفقون في الرفع وفقن في الخفض والنصب (قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) بقضائه وقدره وإرادته (واسمع الصابرين) بالنصر والمعونة (ولم يرزوا) يعني طالوت وجنوده يعني المؤمنين (الجحود وجنوده) المشركين ومعنى رزوا صاروا بالبراز من الأرض وهو ما ظهر واستوى منها (قالوا ربنا أفرغ علينا) أنزل واصبب (صبرا وثبت أقدامنا) قو قلوبنا

(وانصرتنا على التتوم الكافرين فهزمهم باذن الله) أى بعلم الله تعالى (وقتل داود جالوت) وصفة قتله قال أهل التفسير عبر النهر مع طالوت فومن عبر إيشا أبو داود فى ثلاثة عشر ابنا له وكان داود أصغرهم وكان يرى بالقدافة فقال لأبيه يوما يا أبنا ما ترى بقدافتى شيئا إلا صرخته فقال له أبشر يا بنى فان الله جعل رزقك فى قدافتك ثم أتاه مرة أخرى فقال يا أبنا لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسدا رابضا فركبته فأخذت بأذنيه فلم يهجنى فقال أبشر يا بنى فان هذا خير يريدك الله بك ثم أتاه يوما آخر فقال يا أبنا إني لأمشى بين الجبال فأسبح (٢٦٠) فما بينى جبل إلا أسبح معى فقال أبشر يا بنى فان هذا خير أعطاك الله

أقدامنا (وانصرتنا على القوم الكافرين) وذلك أن جالوت وقومه كانوا يعبدون الأصنام فسأل المؤمنون الله أن ينصرهم على القوم الكافرين (فهزمهم باذن الله) يعنى أن الله تعالى استجاب دعاء المؤمنين فأفرغ عليهم الصبر وثبت أقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين حين التقوا فهزمهم باذن الله يعنى بقضائه وإرادته وأصل الهزم فى اللغة الكسر أى كسرهم وردوهم (وقتل داود جالوت) وكانت قصة قتله ما ذكره أهل التفسير وأصحاب الأخبار أنه عبر النهر فممن عبر مع طالوت إيشا أبو داود فى ثلاثة عشر ابنا له وكان داود أصغرهم وكان يرى بالقدافة فقال داود لأبيه يوما يا أبنا ما ترى بقدافتى شيئا إلا صرخته ، فقال له أبوه أبشر يا بنى فان الله قد جعل رزقك فى قدافتك ثم أتاه مرة أخرى فقال يا أبنا لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسدا رابضا فركبته وأخذت بأذنه فلم يهجنى فقال له أبوه أبشر يا بنى فان هذا خير يريدك الله بك ، ثم أتاه يوما آخر فقال له يا أبنا إني لأمشى بين الجبال فأسبح فلا بينى جبل إلا أسبح معى فقال يا بنى أبشر فان هذا خير أعطاك الله تعالى قالوا فأرسل جالوت الجبار إلى طالوت ملك بني إسرائيل أن ابرز لى وأبرز إليك أو ابرز لى من يقاتلنى ، فان قتلنى فلكم ملكى وإن قتلته فلى ملككم فشق ذلك على طالوت ونادى فى عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتى وناصفته ملكى فهاب الناس جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت نبيهم أن يدعو الله تعالى فدعا الله فى ذلك فأتى بقرن فيه دهن القدس وتنور حديد وقيل له إن صاحبكم الذى يقتل جالوت هو الذى إذا وضع هذا القرن على رأسه سال على رأسه حتى يدهن من رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الإكليل ويدخل فى هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت بنى إسرائيل وجرهم فلم يوافق أحد منهم فأوحى الله إلى نبيهم إن فى ولد إيشا من يقتل جالوت فدعا طالوت إيشا وقال له اعرض على بنيتك فأخرج له اثنى عشر رجلا أمثال السوارى فجعل يعرض واحدا واحدا على القرن فلا يرى شيئا فقال لإيشا هل بقى لك ولد غير هؤلاء فقال لا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم يارب إنه قد زعم أنه لا ولد له غيرهم فقال له كذب فقال له النبي إن ربى قد كذبك فقال إيشا صدق ربى يانى الله إن لى ولدا صغيرا مسقاما اسمه داود استحيت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته فجعلته فى الغم برعاها وهو فى شعب كذا وكان داود عليه السلام رجلا قصيرا مسقاما أزرق أعر مصفرا فدعا به طالوت ويقال إنه خرج إليه فوجده فى الوادى وقد سال الوادى ماء وهو يحمل شاتين شاتين يعبر بهما السيل إلى الزريبة التى يربح فيها غنمه ، فلما

تعالى فأرسل جالوت لى طالوت أن ابرز لى أو ابرز لى من يقاتلنى فان قتلنى فلكم ملكى وإن قتلته فلى ملككم فشق ذلك على طالوت فنادى فى عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتى وناصفته ملكى فهاب الناس جالوت فلم يجبه أحد ، فسأل طالوت نبيهم أن يدعو الله تعالى فدعا الله فى ذلك فأتى بقرن فيه دهن القدس وتنور من حديد فقيل إن صاحبكم الذى يقتل جالوت هو الذى يوضع هذا القرن على رأسه فيغلى الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الإكليل ويدخل فى هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت بنى إسرائيل فجرهم فلم يوافقهم

أحد فأوحى الله إلى نبيهم إن فى ولد إيشا من يقتل

الله به جالوت فدعا طالوت إيشا فقال اعرض على بنيتك فأخرج له اثنى عشر رجلا أمثال السوارى فجعل يعرضهم على القرن فلا يرى شيئا فقال لإيشا هل بقى لك ولد غيرهم فقال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يارب إنه قد زعم أن لا ولد له غيرهم فقال كذب فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن ربى كذبك فقال صدق الله يانى الله إن لى ابنا صغيرا يقال له داود استحيت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته فجعلته فى الغم برعاها وهو فى شعب كذا وكان داود رجلا قصيرا مسقاما أزرق أعر فدعا طالوت ويقال بل خرج طالوت إليه فوجده فى الوادى قد سال بينه وبين الزريبة التى كان يربح إليها فوجده يحمل

شابتين يجيز بهما السبل ولا يتخوض بهما الماء فلما رآه قال هذا هو لاشك فيه هذا يرحم اليه فهو بالناس ارحم فدعا ووضع القرن على رأسه ففاض فقال طالوت هل لك أن تقتل جالوت ، وأزوجهك ابنتي وأجرى خاتمك في ملكي قال نعم قال وهل أنت من نفسك شيئا تتقوى به على قتله قال نعم أنا أرى الغنم فيجىء الأسد أو النمر أو الذئب فيأخذ شاة فأقوم إليه فأفزع لحبيه عنها وأخرجها من قفاه فأخذ طالوت داود وردة إلى عسكره فر داود عليه السلام في طريقه بحجر فناداه الحجر يا داود احملني فاني حجر هارون الذي قتل في ملك كذا وكذا فحملة في محلاته ثم مر (٢٦١) بحجر آخر فقال احملني فاني حجر

موسى الذي قتل في ملك كذا وكذا فحملة في محلاته ثم مر بحجر آخر فقال احملني فاني حجرك الذي تقتل في جالوت فوضعهما في محلاته فلما تصافوا للقتال وبرز جالوت وسأل المبارزة اتدب له داود فأعطاه طالوت فرسا ودرعا وسلاحا فلبس السلاح وركب القرس وسار قريبا ثم انصرف إلى الملك فقال من حوله حين الغلام فجاء فوقف على الملك فقال ماشأنتك فقال إن الله إن لم ينصرني لم يعنني هذا السلاح شيئا فدعني أقاتل جالوت كما أريد ، قال فافعل ماشئت قال نعم فأخذ داود محلاته فتلقاها وأخذ المقلع ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الرجال وأقوام وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة حديد وزنها ثلثمائة رطل فلما نظر إلى داود وهو يريد وقع الرعب في قلبه فقال له جالوت وأنت تبرز لي قال نعم وكان جالوت على فرس أبلق عليه السلاح التام فقال أبيتني بالمقلع والحجر كما يؤني الكلب فقال نعم وأنت شر من الكلب قال جالوت لا جرم لأقسم لحملك بين صباح الأرض وطير السماء فقال داود عليه السلام أو يقسم الله لحملك ثم قال داود : باسم إله إبراهيم وأخرج حجرا ثم قال باسم إله إسحاق وأخرج حجرا ثم قال باسم إله يعقوب وأخرج حجرا ووضعها في مقلعه فصارت الثلاثة حجرا واحدا وأدار داود المقلع ورمى به جالوت فسخر الله له الريح فحملت الحجر حتى أصاب أنف البيضة فخلط دماغ جالوت وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا وخر جالوت صريعا قتيلا فأخذ داود يجره حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح بنو إسرائيل بذلك فرحا شديدا وهزم الله الجيش فرجع طالوت بالناس إلى المدينة سلمين غانمين وجعل الناس يذكرون داود فجاء داود إلى طالوت وقال له أنجز لي ما وعدتني به فقال له أريد ابنة الملك بغير صداق فقال له داود ما شرطت على صداقا وليس لي شيء فقال لا أكلنك إلا ما تطيق أنت رجل جرى

رآه طالوت قال هذا هو الرجل المطلوب لاشك فيه فهذا يرحم اليه فهو بالناس ارحم فدعا وطالوت ووضع القرن على رأسه ففاض فقال له طالوت هل لك أن تقتل جالوت وأزوجهك ابنتي وأجرى خاتمك في ملكي قال نعم فقال له هل أنت من نفسك شيئا تتقوى به على قتله قال نعم أنا أرى الغنم فيجىء الأسد أو النمر أو الذئب فيأخذ شاة من الغنم فأقوم إليه فأفزع لحبيه عنها وأخرجها من قفاه فأخذ طالوت داود وردة إلى العسكر فر داود عليه السلام في طريقه بحجر فناداه يا داود احملني فاني حجر هارون فحملة ثم مر بحجر آخر فقال يا داود احملني فاني حجر موسى فحملة ثم مر بحجر آخر فقال له يا داود احملني فاني حجرك الذي تقتل به جالوت فوضع الثلاثة في محلاته فلما رجع طالوت إلى العسكر ومعه داود وتصافوا للقتال وبرز جالوت يطلب المبارزة فانتدب له داود عليه السلام فأعطى طالوت داود فرسا وسلاحا فلبس السلاح وركب القرس وسار قريبا ثم رجع إلى طالوت فقال من حوله حين الغلام فجاء فوقف على طالوت فقال له ماشأنتك فقال له داود عليه السلام إن لم ينصرني ربي لم يعن هذا السلاح عنى شيئا وإن نصرني فلا حاجة لي به فدعني أقاتل كما أريد قال نعم فأخذ داود محلاته وتلقاها وأخذ المقلع بيده ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الناس وأقوام وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة حديد وزنها ثلثمائة رطل فلما نظر إلى داود وهو يريد وقع الرعب في قلبه فقال له جالوت وأنت تبرز لي قال نعم وكان جالوت على فرس أبلق عليه السلاح التام فقال أبيتني بالمقلع والحجر كما يؤني الكلب فقال نعم وأنت شر من الكلب قال جالوت لا جرم لأقسم لحملك بين صباح الأرض وطير السماء فقال داود عليه السلام أو يقسم الله لحملك ثم قال داود : باسم إله إبراهيم وأخرج حجرا ثم قال باسم إله إسحاق وأخرج حجرا ثم قال باسم إله يعقوب وأخرج حجرا ووضعها في مقلعه فصارت الثلاثة حجرا واحدا وأدار داود المقلع ورمى به جالوت فسخر الله له الريح فحملت الحجر حتى أصاب أنف البيضة فخلط دماغ جالوت وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا وخر جالوت صريعا قتيلا فأخذ داود يجره حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح بنو إسرائيل بذلك فرحا شديدا وهزم الله الجيش فرجع طالوت بالناس إلى المدينة سلمين غانمين وجعل الناس يذكرون داود فجاء داود إلى طالوت وقال له أنجز لي ما وعدتني به فقال له أريد ابنة الملك بغير صداق فقال له داود ما شرطت على صداقا وليس لي شيء فقال لا أكلنك إلا ما تطيق أنت رجل جرى

رطل حديد فلما نظر إلى داود أتى الله في قلبه الرعب فقال له أنت تبرز لي قال نعم وكان جالوت على فرس أبلق وعليه السلاح التام قال فأتيتني بالمقلع والحجر كما يؤني الكلب قال داود عليه السلام نعم أنت شر من الكلب قال جالوت لا جرم لأقسم لحملك بين صباح الأرض وطير السماء فقال داود أو يقسم الله لحملك فقال داود باسم إله إبراهيم وأخرج حجرا ثم أخرج الآخر وقال باسم إله إسحاق وأخرج الثالث وقال باسم إله يعقوب ووضعها في مقلعه فصارت كلها حجرا واحدا ودور داود عليه السلام المقلع ورمى به فسخر الله له الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة فخلط دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا وهزم الله تعالى الجيش وخر جالوت قتيلا فأخذ يجره حتى ألقاه بين يدي طالوت ، ففرح المسلمون

فرحاً شديداً وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين والناس يذكرون داود فجاء داود طالوت وقال آجزي ما وعدتني فقال يزيد
ابنة الملك بغير صدق فقال داود ما شرطت على صدقا وليس لي شيء فقال لا أكلفك إلا ما تطيق أنت رجل جرى ، وفي
حيالنا أعداء لنا غلف فاذا قتلت منهم ماتي رجل وجنتي بغلفهم زوجتك ابنتي فأتاهم فجعل كلما قتل واحدا منهم نظم غلفته
في خيط حتى نظم ماتي غلفة فجاء بها إلى طالوت وألقاها إليه وقال ادفع إلى امرأتى فزوجه ابنته وأجرى خاتمه في ملكه فقال
الناس لي داود وأحبوه وأكثروا ذكره فحسده طالوت وأراد قتله فأخبر بذلك ابنة طالوت ورجل يقال له ذو العينين فقالت
ابنة طالوت لداود إنك مقتول (٣٦٢) في هذه الليلة قال ومن يقتلني قالت أبي قال فهل أجمرت جرما فقالت حدثني

من لا يكذب ولا عليك
أن تغيب هذه الليلة حتى
تنظر مصداق ذلك
قال لأن كان أراد ذلك
ما أستطيع خروجا
ولكن اثنتي بزرق خمر
فأنت به فوضعه
في مضجعه على السرير
وجاء ودخل تحت
السرير فدخل طالوت
نصف الليل فقال لما أين
بعك قالت هو نائم على
السرير فضربه بالسيف
ضربة فسال الخمر فلما
وجد ربح للخمر قال
برحم الله داود ما كان
أكثر شربه الخمر وخرج
فلما أصبح علم أنه لم يفعل
شيئا فقال إن رجلا
طلبته منه ما طلبت لحليق
أن لا يدعني حتى يدرك
مني ثأره فاشتد حجابي
وحراسه وأغلق دونه
أبوابه ثم إن داود أتاه
ليلة وقد هدأت العيون

وفي حيالنا أعداء لنا غلف فان قتلت ماتي رجل وجنتي بغلفهم فأتاهم فجعل
كلما قتل واحدا منهم نظم غلفته في خيط حتى نظم ماتي غلفة فجاء بها إلى طالوت وألقاها
بين يديه وقال ادفع إلى امرأتى فزوجه ابنته وأجرى خاتمه في ملكه فقال الناس إلى داود عليه
السلام وأحبوه وأكثروا ذكره فحسده طالوت وأراد قتله فأخبر بذلك ابنة طالوت ورجل
يقال له ذو العينين فأخبرت بذلك داود وقالت له إنك مقتول الليلة قال ومن يقتلني قالت
أبي قال وهل أجمرت جرما بوجب القتل قالت حدثني بذلك من لا يكذب ولا عليك أن
تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال إن كان يريد ذلك فلا أستطيع خروجا ولكن
اثنتي بزرق فأنته به فوضعه في مضجعه على سريريه وسجده ودخل داود تحت السرير
فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته أين بعك قالت هو نائم على سريريه فضربه بالسيف
فسال الخمر فلما وجد ربح الخمر قال برحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر وخرج فلما
أصبح علم أنه لم يفعل شيئا فقال إن رجلا طلبت منه ما طلبت لحليق أن لا يدعني حتى يدرك
ثأره مني فاشتد حجابي وحراسه وأغلق دونه أبوابه ثم إن داود أتاه ليلة وقد هدأت العيون وأعمى
الله عنه الحجاب ففتح الأبواب ودخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما
عند رجله وسهما عن يمينه وسهما عن شماله وخرج فاستيقظ طالوت فبصر بالسهم فعرفها
فقال برحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفرتني فكف عني ولو شاء لوضع
هذا السهم في حلقى وما أنا بالذى آمنه فلما كان من الليلة القابلة أتاه ثانيا فأعمى الله عنه الحجاب فدخل
عليه وهو نائم فأخذ إبريق وضوئه وكوزه الذى يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيئا من طرف
نوبه ثم خرج وتوارى فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وطلبه أشد الطلب
فلم يقدر عليه ثم إن طالوت ركب يوما فوجد داود يمشى في البرية فقال اليوم أقتله
وركض في أثره فاشتد داود في علوه وكان إذا فرغ لم يدرك فدخل غارا فأوحى الله تعالى إلى
العنكبوت فمسجت عليه فلما انتهى طالوت إلى الغار ونظر إلى بناء العنكبوت قال لو كان دخل
هنا لتخرق هذا النسيج وانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى أتى جبل المتعبدين فتعبد معهم
وطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا ينباه أحد عن قتل داود إلا
قتله فقتل خلقا كثيرا من العباد والعلماء حتى أتى بامرأة تعلم الاسم الأعظم فأمر حجازة بقتلها

فرحها

فأعمى الله سبحانه الحجة وفتح له الأبواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه

فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجله وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج فلما استيقظ طالوت بصر بالسهم فعرفها
فقال برحم الله تعالى داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفرتني فكف عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقى وما
أنا بالذى آمنه ، فلما كانت القابلة أتاه ثانيا وأعمى الله الحجاب فدخل عليه وهو نائم ، فأخذ إبريق طالوت الذى كان يتوقفا منه
وكوزه الذى كان يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيئا من هذب نياه ثم خرج وهرب وتوارى ، فلما أصبح طالوت
ورأى ذلك سلط على داود العيون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه ثم إن طالوت ركب يوما فوجد داود يمشى في البرية فقال

اليوم أقتله فركض على أثره واشتد داود وكان إذا فرغ لم يدرك فدخل غارا فأوحى الله تعالى إلى العنكبوت فلتسج عليه بينما فلما انتهى طالوت إلى الغار ونظر إلى بناء العنكبوت فقال لو كان دخل هاهنا لحرق بناء العنكبوت فتركه ومضى وانطلق داود وأتى الجبل مع المتعبدين فتعبد فيه فظعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت لابنائه أحد عن قتل داود إلا قتله وأغرى على قتل العلماء فلم يكن يقدر على عالم في بني إسرائيل يطبق قتله إلا قتله حتى أتى بامرأة تعلم اسم الله الأعظم فأمر خبازه بقتلها فرحمها الخباز وقال لعننا نحتاج إلى عالم فتركها فوقع في قلب طالوت التوبة وندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج إلى القبور فيبكي وينادي أنشد الله (٢٦٣) عبدا يعلم أن لي توبة إلا أخبرني

بها فلما أكثر عليهم ناداه مناد من القبور يا طالوت أما ترضى أن تقتلنا حتى تؤذينا أمواتنا فازداد بكاء وحزن ف رحمه الخباز فقال ما لك أيها الملك ؟ قال هل تعلم لي في الأرض عالما أسأله هل لي من توبة ؟ فقال الخباز إنما مثلك مثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه فقال لا تتركوا في القرية ديكاً إلا ذبحتموه فلما أراد أن ينام قال لأصحابه إذا صاح الديك فأيقظونا حتى ندبح فقالوا له وهل تركت ديكاً نسمع صوته ولكن هل تركت عالماً في الأرض فازداد حزناً وبكاء فلما رأى الخباز ذلك قال له أرايتك إن دلتك على عالم لعنك أن تقتله قال لا فتوثق عليه الخباز فأخبره أن المرأة

فرحمها الخباز فلم يقتلها وقال لعننا نحتاج إلى عالم فتركها ثم وقع في قلب طالوت التوبة والندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج إلى القبور ويبكي وينادي أنشد الله عبدا يعلم لي توبة إلا أخبرني بها فلما أكثر ذلك منه ناداه مناد من القبور يا طالوت أما ترضى أن تقتلنا حتى تؤذينا أمواتنا فازداد حزناً وبكاء فتوجه الخباز إلى طالوت لما رأى من حاله وقال مالك أيها الملك فأخبره وقال هل تعلم لي توبة أو تعلم في الأرض عالماً أسأله عن توبتي فقال له الخباز أيها الملك إن دلتك على عالم يوشك أن تقتله فقال لا فتوثق منه ياخبره أن تلك المرأة العالمة عنده فقال انطلق لي إليها لأسأفها عن توبتي قال نعم فانطلق به فلما قربا من الباب قال له الخباز أيها الملك إنها إذا رأتك فرعت ولكن ائت خلفي فلما دخلا عليها قال لها الخباز يا هذه أنت تعلمين حتى عليك قالت بلى قال فإن لي إليك حاجة فتقصها قالت نعم قال هذا طالوت قد جاءك يسأل هل له من توبة فلما سمعت يذكر طالوت غشي عليها فلما أفأقت قالت والله ما أعلم له توبة ولكن دلوني على قبر نبي فانطلقوا بها إلى قبر أشمويل فوقفت عليه ودعت وكانت تعلم الاسم الأعظم ثم قالت يا صاحب القبر فخرج بنفض التراب عن رأسه فلما نظر إلى ثلاثتهم قال ما لكم أقامت القيامة قالت المرأة لا ولكن هذا طالوت قد جاء يسألك هل له من توبة فقال أشمويل يا طالوت ما فعلت بعدى قال لم أدع من الشر شيئاً إلا فعلته وجئت أطلب التوبة فقال أشمويل يا طالوت كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما أعلم لك من توبة إلا أن تتخلي من ملكك وتخرج أنت وولدك في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل أنت حتى تقتل آخرهم ثم إن أشمويل سقط ميتاً ورجع طالوت أحزن ما كان رهبة أن لا يتابعه بنوه على ما يريد وكان قد بكى حتى سقطت أشفار عينيه ونخل جسمه فجمع أولاده وقال لهم أرايتم لو دفعت إلى النار هل كنتم تنفدونني منها فقالوا بلى ننفذك بما تقدر عليه قال فانها النار إن لم تفعلوا ما أمركم به قالوا أعرض علينا ما أردت فذكر لهم القصة قالوا وإنك لمقتول قال نعم قالوا فلا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذي سألت فتجهز هو وولده وخرج طالوت مجاهداً في سبيل الله فقدم أولاده فقاتلوا حتى قتلوا ثم شد هو من بعدهم فقاتل حتى قتل وجاء قاتل طالوت إلى داود فبشره بقتله وقال له قد قتلت عدوك فقال داود ما أنت بياق بعده وقتله فكان ملك طالوت إلى أن قتل مدة أربعين سنة فأتى بنو إسرائيل إلى داود

العالمة عنده قال انطلق لي إليها أسأفها هل لي من توبة وكانت من أهل بيت يعلم الاسم الأعظم فإذا فبت رجالهم علمت نسأؤهم فلما بلغ طالوت الباب قال الخباز إنها إذا رأتك فرعت ولكن ائت خلفي ثم دخلا عليها فقال لها أنت أعظم الناس منة عليك أنجيتك من القتل وأوتيتك قالت بلى قال فإن لي إليك حاجة هذا طالوت يسأل هل لي من توبة فغشى عليها من الفرق فقال لها إنه لا يريد قتلك ولكن يسألك هل لعن توبة قالت لا والله لا أعلم لطالوت توبة ولكن أعلم مكان قبر نبي فانطلقت بهما إلى قبر أشمويل فصلت ودعت ثم نادى يا صاحب القبر فخرج أشمويل من القبر بنفض رأسه من التراب فلما نظر إليهم ثلاثتهم قال ما لكم أقامت القيامة قالت لا ولكن طالوت يسألك هل له من توبة قال أشمويل يا طالوت ما فعلت بعدى قال لم أدع من الشر شيئاً إلا أتيت وجئت لطلب التوبة

قال له ثم لك عيال يعني كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما أعلم لك من ثوبة إلا أن تتخل من ملكك وتخرج أنت وولدك تقاتل في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل أنت حتى تقتل آخرهم ثم رجع أشوبيل إلى القبر وسقط وخر ميتا ورجع طالوت أحزن ما كان رهبة أن لا يتابعه ولده وقد بكى حتى سقطت أشفار عيبيه ونحل جسمه فدخل عليه أولاده فقال لهم أرايتم لو دفعت إلى النار هل كنتم تفدونني قالوا بلى تفديك بما قدرنا عليه قال فانها النار إن لم تفعلوا ما أقول لكم قالوا فاعرض علينا فذكر لهم القصة قالوا وإنك لمقتول ، قال نعم قالوا فلا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذي سألت فتجهز بماله وولده فتقدم ولده وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد هو بعدهم للقتال حتى قتل فجاء قاتله إلى داود ليشره وقال قتلت عدوك فقال داود ما أنت بالذي تحبنا بعده فضرب عنقه وكان ملك طالوت إلى أن قتل أربعين ستة وأتى بنو إسرائيل إلى داود وأعطوه خزان طالوت وملكوه على أنفسهم قال الكلبي والضحاك ملك داود بعد قتل طالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد إلا على داود فذلك قوله تعالى (وآتاه الله الملك والحكمة) يعني النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك (٢٦٤) من قبل بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط وقيل الملك والحكمة

هو العلم مع العمل قوله تعالى (وعلمه مما يشاء) قال الكلبي وغيره يعني صنعة الدروع وكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل إلا من عمل يده وقيل منطلق الطير وكلام الجعل والنمل والندر والخنفساء وحمار قبان وما أشبهها مما لا صوت لها وقيل هو الزبور وقيل هو الصوت الطيب والألحان فلم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوته وكان إذا قرأ الزبور تدينو الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها وتظله مصيخة له

فملكوه عليهم وأعطوه خزان طالوت قال الكلبي والضحاك ملك داود بعد قتل جالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد إلا على داود فذلك قوله تعالى (وآتاه الله الملك والحكمة) يعني النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل بل كانت النبوة في سبط والملك في سبط وقيل الحكمة هي العلم مع العمل به (وعلمه مما يشاء) أي وعلم الله داود صنعة الدروع فكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل إلا من عمل يده وقيل علمه من خلقه مثل الطير وقيل علمه الزبور وقيل هو الصوت الطيب والألحان ولم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوت داود فكان إذا قرأ الزبور تدينوا منه الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها وتظله الطير مصيخة له ويركد الماء الجاري وتسكن الرياح عند قراءته وقيل علمه سياسة الملك وضبطه وذلك لأنه لم يكن من بيت الملك حتى يتعلمه من آبائه وقال ابن عباس هو أن الله تعالى أعطاه سلسلة موصولة بالبحر ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النور وحلقها مستديرة مفصلة بالجواهر مدمرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فكان لا يحدث في الهواء حدث إلا صلصت السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث ولا يمسه ذو عاهة إلا برئ وكانوا يتحاكمون إليها بعد داود إلى أن رفعت فن تعدى على صاحبه أو أنكره حقا أتى السلسلة فن كان صادقا مليده إلى السلسلة فناها ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت كذلك إلى أن ظهر فيهم المكر والحيل فبلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما طالبه بالوديعة أنكره إياها فتحاكما إلى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة إلى عكازة ففقرها وجعل الجوهرة فيها واعتمد عليها حتى أتيا السلسلة فقال صاحب

ويركل الماء الجاري ويسكن الريح ، وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما : هو أن الله تعالى أعطاه سلسلة الجوهرة موصولة بالبحر ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة مفصلة بالجواهر مدمرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في الهواء حدث إلا صلصت السلسلة فعلم داود ذلك الحدث ولا يمسه ذو عاهة إلا برئ وكانوا لا يتحاكمون إلا إليها بعد داود عليه السلام إلى أن رفعت فن تعدى على صاحبه وأنكر له حقا أتى السلسلة فن كان صادقا ملده إلى السلسلة فتناولها ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت كذلك إلى أن ظهر بهم المكر والخديعة فبلغنا أن بعض ملوكها أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما استردها أنكرها فتحاكما إلى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة إلى عكازة ففقرها وضمتها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر السلسلة فقال صاحب الجوهرة رد على الوديعة فقال صاحبها ما أعرفك عندي من وديعة فإن كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده فقيل للمنكر قم أنت فتناولها فقال لصاحب الجوهرة خذ عكازتي هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فأخذها المالك عنده ثم قام المنكر نحو السلسلة فأخذها فقال الرجل اللهم إن كنت تعلم أن هذه الوديعة التي يدعيها علي قد وصلت إليه فقرّب مني السلسلة فدبده فتناولها فتمعجب القوم وشكوا فيها فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة

قوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) قرأ أهل المدينة ويعقوب دفاع الله بالألف مهنأوفي سورة الحج وقرأ الأخرى
بغير الألف لأن الله تعالى لا يغالبه أحد وهو الدافع وحده، ومن قرأ بالألف قال قد يكون الدفاع من واحد مثل قول العرب
أحسن الله عنك الدفاع قال ابن عباس وجاهد ولولا دفع الله الناس بجنود المسلمين لغلِب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين وخربوا
المساجد والبلاد وقال سائر المتسرين لولا دفع الله بالمتؤمنين والأبرار عن الكفار والتفجار لهلكت الأرض بمن فيها ولكن الله
يدفع بالمتؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر. أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله بن فضال
أنا أبو بكر بن خزيمة أنا عبد الله بن أحمد بن حنبل أنا أبو حميد الحمصي أنا يحيى بن سعيد الطار أنا حفص بن سليمان عن محمد
ابن سوقة عن وبرة عن عبد الرحمن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (٣٦٥) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الجرهرة رد على الوديعه فقال صاحبه ما أعرف لك عندي وديعه فان كنت صادقا فتناول السلسلة
فتناولها بيده وقال للمكر قم أنت أيضا فتناولها فقال لصاحب الجرهره امسك عكازي
فأخذها الرجل منه وقام المشكر إلى السلسلة وقال : اللهم إن كنت تعلم أن الوديعه التي
يدعها قد وصلت إليه فقرب السلسلة مني ومد يده فتناولها فعجب القوم من ذلك وشكوا
فيها فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة . قوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) يعني
وأولئك الذين دفع الله عنهم آياتنا لكي يتذنبوا ولولا دفع الله عنهم آياتنا لكي يتذنبوا ولولا دفع الله عنهم آياتنا لكي يتذنبوا
ابن عباس ولولا دفع الله بجنوده المسلمين لغلِب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين وخربوا
المساجد والبلاد وقيل معناه ولودفع الله بالمتؤمنين والأبرار عن الكفار والتفجار (لفسدت الأرض)
يعنى هلكت بمن فيها ولكن الله يدفع بالمتؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر روى أحمد
ابن حنبل عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله ليُدفع بالمسلم الصالح عن
مائة أهل بيت من جيرانه البلاء» ثم قرأ «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض»
(ولكن الله ذو فضل على العالمين) يعني إن دفع الفساد بهذا الطريق إتمام وإفضال عم الناس
كلهم (تلك آيات الله) يعني القصص التي اقتصها من حديث الألو ف وإيمانهم وإحيائهم وتقليد
طالبوت وإظهاره بالآية وهي التابوت وإهلاك الجبابرة على يد حسي (تتلوها عليك بالحق)
أي باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لأنه في كتبهم (وإنك لمن المرسلين) يعني حيث تخبر
بهذه الأخبار العجيبة والقصص القديمة من غير أن تعرف بقراءة كتاب ولا سماع أخبار فدل
ذلك على أنك من المرسلين وأن النبي تخبر به وحى من الله تعالى . قوله عز وجل (تلك الرسل)
يعنى جماعة الرسل الذين تقدم ذكرهم في هذه السورة (فضلنا بعضهم على بعض) فيه دليل
على زوال الشبهة التي أوجب التسوية بين الأنبياء في الفضيلة لاستوائهم في القيام بالرسالة وأجمعت
الامة على أن الأنبياء بعضهم أفضل من بعض وأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضلهم لعموم
رسالته وهو قوله تعالى «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا» (منهم) أي من الرسل (من
كلم الله) أي كلمه الله وهو موسى عليه السلام (ورفع بعضهم درجات) يعني محمدا صلى الله

وإن الله عز وجل ليُدفع
بالمسلم الصالح عن مائة
أهل بيت من جيرانه
البلاء» ثم قرأ ابن عمر
رضي الله عنهما : «ولولا دفع
الله الناس بعضهم ببعض
(لفسدت الأرض ولكن
الله ذو فضل على العالمين
تلك آيات الله تتلونها
عليك بالحق وإنك لمن
المرسلين تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض منهم
من كلم الله) أي كلمه الله
تعالى يعني موسى عليه
السلام (ورفع بعضهم
درجات) يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم . قال
الشيخ الإمام : وما أوتي
نبي آية إلا أوتي نبينا مثل
تلك الآية وفضل على
غيره بآيات مثل انشقاق
القمر بإشارته وحنين
الجدع على مفارقه وتسلم
الحجر والشجر عليه

(٣٤ - خازن بالبغوي - أول)

وكلام البهائم والشهادة برسائه وشعب الماء من بين أصابعه وغير ذلك من
المعجزات والآيات التي لا تحصى وأظهرها القرآن الذي يحجز أهل السماء والأرض عن الإتيان بمثله . أخبرنا أبو بكر يعقوب
ابن أحمد بن محمد بن علي الصيرفي أنا أبو الحسن محمد بن أحمد المخلدي أخبرنا أبو العباس بن محمد بن إسحاق التميمي أنا قتيبة بن
سعيد أنا الليث بن سعد عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
«ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطى من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله تعالى لي فأرجو أن
أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» أخبرنا عبد الواحد بن أحمد الملبحي أنا أحمد بن عبد الله التميمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد
ابن إسحاق أنا محمد بن سنان أخبرنا هشيم أنا سيار أنا يزيد القطر أنا جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وأعطيت خمسا

لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب (٢٦٦) مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأبمارجل من أمي

عليه وسلم رفع الله منصبه ومرتبته على كافة سائر الأنبياء بما فضله عليهم من الآيات البيّنات والمعجزات الباهرات فما أوتي نبي من الأنبياء آية أو معجزة إلا أوتي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وفضل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الأنبياء وآيات ومعجزات أخر مثل انشقاق القمر بإشارته وحنين الجذع الذي حن عند مفارقتة وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهائم له شاهدة برسائله ونسب الماء من بين أصابعه وغير ذلك من الآيات والمعجزات التي لا تحصى كثرة، وأعظمها وأظهرها معجزة وآية القرآن العظيم الذي عجز أهل الأرض عن معارضته والإتيان بمثله فهو معجزة باقية إلى يوم القيامة (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله لي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأبمارجل من أمي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون» فإن قلت لم ذكره على سبيل الرمز والإشارة ولم يصرح باسمه صلى الله عليه وسلم؟ قلت: في هذا الإيهام والرمز من تفخيم فضاه وإعلاء قدره صلى الله عليه وسلم مالا يخفى لما فيه من الشهادة بأنه العلم الذي لا يشبهه ولا يأنس به فهو كما يقول الرجل وقد فعل شيئاً فعله بعضكم أو أحدكم ويريد نفسه فيكون أقبح من التصريح به كما سئل الخطيب: من أشعر الناس؟ قال زهير والتابعة. ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث أراد نفسه وقوله تعالى (وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات) يعني الحجج والأدلة الباهرة والمعجزات على نبوته مثل إراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى (وأبدناه بروح القدس) أي وقويتاه بجبريل عليه السلام فكان معه إلى أن رفعه إلى عنان السماء السابعة. فإن قلت لم خص موسى وعيسى بالذكر من بين سائر الأنبياء. قلت لما أوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله تعالى وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية عظيمة وتأييد عيسى بروح القدس آية عظيمة أيضاً فلما أوتي موسى وعيسى من الآيات العظيمة خصا بالذكر في باب التفضيل فعلى هذا كل من كان من الأنبياء أعظم آيات وأكثر معجزات كان أفضل ولهذا أحرز نبينا صلى الله عليه وسلم قصبات سبق في الفضل لأنه أعظم الأنبياء آيات وأكثرهم معجزات فهو أفضلهم صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين (ولو شاء الله) أي ولو أراد الله وأصل المشيئة الإرادة (ما اقتل الذين من بعدهم) يعني بعد الرسل الذين وصفهم الله (من بعد ما جاءتهم البيّنات) أي الدلالات الواضحات من الله بما فيه مزدجر لمن هداه الله تعالى ووفقه (ولكن اختلفوا) يعني اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل (فمنهم من آمن) أي ثبت على إيمانه بالله ورسوله بفضل الله (ومنهم من كفر) أي ومنهم من تعمد الكفر بعد قيام الحجة وبعثه الرسل (ولو شاء الله ما اقتلوا) أي ولو أراد الله أن يجزهم عن الاقتتال والاختلاف لحجزهم عن ذلك (ولكن الله يفعل ما يريد) يعني أنه تعالى يوفق من يشاء لطاعته والإيمان به فضلاً منه ورحمة ويخذل من

أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة. أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرق، أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني، أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشي، يعني، أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «فضلت على الأنبياء بست: أوتيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجداً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون» قوله تعالى (وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات) وأبدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتل الذين من بعدهم) أي من بعد الرسل (من بعد ما جاءتهم البيّنات) ولكن اختلفوا فمنهم من آمن) ثبت على إيمانه بفضل الله (ومنهم من كفر) يخذلانه (ولو شاء الله

يشاء

ولكن الله يفعل ما يريد) يوفق من يشاء فضلاً ويخذل من

يشاء عدلاً. سألت رجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، فقال هو طريق مقام فلا تسلكه

تعالى (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) قال السدي أراد به الزكاة المفروضة ، وقال غيره أراد به صدقة التطوع والشفقة في الخير (من قبل أن يأتي يوم لا تبغى فيه) أي لا فداء فيه سمي يبعأ لأن الفداء شراء نفسه (ولا صدقة) (ولا صدقة) (ولا شفاعة) إلا باذن

الله، قرأ ابن كثير وأهل البصرة كلها بالنصب وكذلك في سورة إبراهيم لا يبيع فيه ولا خلاله وفي سورة الطور لا لغو فيها ولا تأثيم، وقرأ الآخرون كلها بالرفع والتثنية (والكافرون هم الظالمون) لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها. قوله عز وجل (الله لا إله إلا هو الحي القيوم). أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن سميان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد ابن عبد الجبار الزياتي أنا حميد بن زنجويه أنا ابن أبي شيبة أنا عبد الأعلى عن الجريري عن أبي السليل عن عبد الله ابن رباح الأنصاري عن

بشاه عدلامنه لا اعتراض عليه في ملكه وفعله. سأك رجل عليا بن أبي طالب رضى الله عنه عن القدر فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر فقال طريق مظلم فلا تسلكه فأعاد السؤال فقال بحر عميق فلا تلج به فأعاد السؤال فقال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه. قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) قيل أراد به الزكاة الواجبة وقيل أراد به صدقة التطوع والإنفاق في وجوه الخير (من قبل أن يأتي يوم لا يبيع فيه) أي لا فدية فيه وإنما سمي يبعأ لأن الفداء شراء النفس من الملاك، والمعنى قدموا لأنفسكم اليوم من أموالكم من قبل أن يأتي يوم لا تبغى فيه فيكسب الإنسان ما يفتدى به من العذاب (ولا خلة) أي ولا مودة ولا صداقة (ولا شفاعة) وظاهر هذا يقتضي نفي الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة بين المؤمنين فيكون هذا عاما مخصوصا (والكافرون هم الظالمون) لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها. قوله عز وجل (الله لا إله إلا هو الحي القيوم).

(فصل: في فضل هذه الآية الكريمة)

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولكل شيء سنم وإن سنم القرآن البقرة وفيها آية هي سيدة أي القرآن آية الكرسي وأخرجه الترمذي قوله إن لكل شيء سنما سنم كل شيء أعلاه تشبهاً بسنم البعير والمراد منه تعظيم هذه السورة والسيد الفاضل في قومه والشريف والكرام وأصله من ساد يسود وقوله هي سيدة أي القرآن أي أفضله (م) عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها المنذر أتلت أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم فضرب في صدري وقال ليهنك العلم يا أيها المنذر عن واثلة بن الأسقع وأن النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم في صفة المهاجرين فسأله إنسان أي آية في القرآن أعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله لا إله إلا هو الحي القيوم. أخرجه أبو داود وقال العلماء إنما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم آية في القرآن لما جمعت من أصول الأسماء والصفات من الإلغية والوحدانية والحياة والعلم والقومية والملك والقدرة والإرادة فهذه أصول الأسماء والصفات وذلك لأن الله تعالى أعظم المذكور فما كان ذكره من توحيد وتعظيم كان أعظم الأذكار. وفي هذا الحديث حجة لمن يقول بجواز تفضيل بعض القرآن على بعض وتفضيله على سائر كتب الله المنزلة، ومنع من جواز تفضيل بعض القرآن على بعض جماعة منهم أبو الحسن الأشعري وأبو بكر الباقلاني قالوا لأن تفضيل بعضه على بعض يقتضي نقص المنقول وليس في كلام الله عز وجل نقص وتناول هؤلاء ماورد من إطلاق لفظ أعظم وأفضل على بعض الآيات أو السور بمعنى عظيم وفاضل ومن أجاز تفضيل بعض القرآن على بعض من العلماء والمنكلمين قالوا هذا التفضيل راجع إلى عظم أجر القارئ أو جزيل ثوابه وقول إن هذه الآية أو هذه السورة أعظم أو أفضل بمعنى أن الثواب المتعلق بها أكثر وهذا هو المختار وهو معنى الحديث والله أعلم. عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من أول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ يومه ذلك حتى يسمي ومن قرأها حين يسمي حفظ ليلته تلك حتى يصبح. أخرجه الترمذي وقال حديث غريب. وأما التفسير فقوله عز وجل (الله لا إله إلا هو نبي الإله عن آل ماسواه وأثبت الإلهية له سبحانه وتعالى فهو كقولك

أبي بن كعب رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها المنذر أي آية من كتاب الله أعظم؟ قلت؟ الله لا إله إلا هو الحي القيوم قال فضرب في صدري ثم قال ليهنك العلم يا أيها المنذر ثم قال والذي نفس محمد بيده إن هذه الآية لسانا وشفقتين

تقدس الملك عند ساق العرش، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل قال عثمان بن المهيم أبو عمرو أخبرنا عوف بن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال « وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحنو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني محتاج ولي عيال ولي حاجة شديدة قال فخليت سبيله فأصبحت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال أما إنه قد كذبتك وسيعود فعرفت أنه سيعود ليقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فرصدته فجاء يحنو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعني فاني محتاج ولي عيال ولا أعود فرحمته فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته وخلت سبيله قال أما إنه قد كذبتك وسيعود فرصدته الثالثة فجاء يحنو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود قال دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت ما هي قال إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي والله لا إله إلا هو (٢٦٨) الحى القيوم حتى تحم الآبة فانك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك

شيطان حتى تصبح فخلت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل أسيرك البارحة قلت يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخلت سبيله قال وما هي قلت قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تحم الآبة والله لا إله إلا هو الحى القيوم وقال لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وكانوا أحرص الناس على الخير فقال النبي صلى

لا كريم إلا زيد فإنه أبلغ من قولك زيد كريم الحى يعنى الباقي على الأبد الدائم بلا زوال والحى في صفة الله تعالى وهو الذى لم يزل موجودا وبالحياء موصوفام تحدث له الحياة بعد موت ولا يعتره الموت بعد حياة وسائر الأحياء سواء يعترهم الموت والعدم فكل شئ هالك إلا وجهه سبحانه وتعالى. القيوم قال مجاهد القيوم القائم على كل شئ وتأويله أنه تعالى قائم بتدبير خلقه في إيجادهم وأرزاقهم وجميع ما يحتاجون إليه وقيل هو القائم الدائم بلا زوال الموجود الذى يمتنع عليه التغيير وقيل هو القائم على كل نفس بما كسبت والقيوم فيعمل من القيام وهو نعت للقائم على الشئ (لأنأخذه سنة ولا نوم) السنة ما يتقدم النوم من الفتور الذى يسمى نعاسا وهو النوم الخفيف والوسنان بين النائم واليقظان والنوم هو الثقل المزيل للعقل والقوة وقيل السنة في الرأس والنعاس في العين والنوم في القلب فالسنة هي أول النوم والنوم هو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالأشياء والمعنى لأنأخذه سنة فضلا عن أن يأخذه نوم لأن النوم والسهو والغفلة محال على الله تعالى لأن هذه الأشياء عبارة عن عدم العلم وذلك نقص وآفة والله تعالى منزه عن النقص والآفات وأن ذلك تغير والله تعالى منزه عن التغير (م) عن أبي موسى الأشعري قال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا نجمس كلمات فقال إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور، وفي رواية « النار لو كشفته لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه. » شرح ما يتعلق بلفظ هذا الحديث منقول من شرح مسلم للشبخ محي الدين النووي قوله صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن

الله عليه وسلم أما إنه قد صدقتك وهو كدوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟ قلت لا قال ذلك شيطان ينام أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يحيى أخبرنا أبو معاوية عن عبد الرحمن بن أبي بكر هو المليكي عن زرارة بن مصعب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من أول: حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم، حفظ في يومه ذلك حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ في ليلته تلك حتى يصبح، قوله عز وجل: الله رفع بالابتداء وخبره في لا إله إلا هو الحى الباقي الدائم على الأبد وهو من له الحياة والحياة صفة الله تعالى القيوم قرأ عمرو بن مسعود القيام وقرأ علقمة القم وكلها لغات بمعنى واحد قال مجاهد القيوم القائم على كل شئ قال الكلبي القائم على كل نفس وقيل هو القائم بالأمور وقال أبو عبيدة الذى لا يزول (لأنأخذه سنة ولا نوم) السنة النعاس وهو النوم الخفيف والوسنان بين النائم واليقظان يقال منه وسن بسن وسنا وستة وأنوم هو الثقل المزيل للقوة والعقل قال المنفصل الضبي السنة في الرأس والنوم في القلب فالسنة أول النوم وهو النعاس وقيل السنة في الرأس والنعاس في العين والنوم في القلب فهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة

بالاشياء نفي الله تعالى عن نفسه النوم لأنه آفة وهو منزّه عن الآفات ولأنه غير ولا يجوز عليه التغرير. أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرنا عبد الله (٣٩) بن حامد أخبرنا محمد

ابن جعفر أخبرنا علي بن حرب أخبرنا أبو معاوية أخبرنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال قام فينا رسول الله ﷺ خمس كلمات فقال إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ولكنه يخفض القسط ويرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ورواه المسعودي عن عمرو بن مرة وقال حجابه النار (له مافي السموات ومافي الأرض) ملكا وخلقا (من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه) بأمره (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) قال مجاهد وعطاء والسدي ما بين أيديهم من أمر الدنيا وما خلفهم من أمر الآخرة، وقال الكلبي ما بين أيديهم يعني الآخرة لأنهم يقدمون عليهم وما خلفهم من الدنيا لأنهم يتخلفونها وراء ظهورهم، وقال ابن جرير ما بين أيديهم

ينام فعناه الاخبار أنه سبحانه وتعالى لا ينام وأنه مستحيل في حقه لأن النوم انغمار وغلبة على العقل يستقطبه الإحساس والله تعالى منزّه عن ذلك وقوله يخفض القسط ويرفعه أراد بالقسط الميزان الذي يقع به العدل ومعناه إن الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن فيه من أعمال العباد المرتفعة إليه وقيل أراد بالقسط الرزق الذي هو قسط كل مخلوق ومعنى يخفض يقبض ويضيق علي من يشاء ويرفعه أي يوسع على من يشاء وقوله «يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار» يعني أن الحفظة من الملائكة يصعدون بأعمال العباد في الليل بعد انقضائه في أول النهار ويصعدون بأعمال النهار بعد انقضائه في أول الليل قوله «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره» من خلقه، سبحات بمعنى السنين المهمة والباء الموحدة تحت وبضم التاء في آخره جمع سبحة ومعنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه والحجاب أصله في اللغة المنع وحقيقة الحجاب إنما تكون للأجسام المحدودة والله تعالى منزّه عن الجسم والحجاب المراد به هنا الشيء المانع من الرؤية وسمى ذلك الشيء المانع نورا أو نارا لأنهما يمتعان من الإدراك في العادة والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى إليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لأن بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات ولقطة من في قوله من خلقه لبيان الجنس لا للتبعض ومعنى الحديث لو زال المانع وهو الحجاب المسمى نورا أو نارا وتجلي لخلق لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته هنا آخر كلام للشيخ على هذا الحديث والله أعلم. وروى الطبري بسنده عن ابن عباس في قوله «ولا تأخذنه سنة ولا نوم» إن موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام الله تعالى فأوحى الله تعالى إلى الملائكة وأمرهم أن يؤرقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم أعطوه قارورتين فأمسكهما ثم تركوه وحذروه أن يكسرها فجعل ينعس وينتبه وهما في يده في كل يد واحدة حتى نعس نعسة فضرب إحداها بالأخرى فكسرها قال معمر إنما دو مثل ضربه الله تعالى له يقول فكذلك السموات والأرض، ورواه عن أبي هريرة مرفوعا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله وذكر نحو حديث ابن عباس قال بعض العلماء إن صح هذا الحديث فيحتمل على أن هذا السؤال كان من جهال قوم موسى كطالب الرؤية من موسى لأن الأنبياء عليهم السلام هم أعلم بالله من غيرهم فلا يجوز أن ينسب لموسى مثل هذا السؤال والله تعالى أعلم. قوله تعالى (له مافي السموات وما في الأرض) يعني أن الله تعالى مالك جميع ذلك بغير شريك ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده وفي ملكه. فان قلت لم قال له مافي السموات ولم يقل من في السموات؟ قلت لما كان المراد إضافة كل ما سواه إليه من الخلق والملك وكان الغالب فيهم من لا يعزل أجرى الغالب مجرى الكل فعبر عنه بلفظ ما (من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه) أي بأمره وهذا استفهام إنكارى والمعنى لا يشفع عنده أحد إلا بأمره وإرادته وذلك لأن المشركين زعموا أن الأصنام تشفع لهم فأخبر أنه لا شفاعاة لأحد عنده إلا ما استثناء بقوله إلا بأذنه يريد بذلك شفاعاة النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة بعض الأنبياء والملائكة وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) يعني ما بين أيديهم من الدنيا وما خلفهم من الآخرة وقيل بعكسه لأنهم يقدمون على الآخرة ويتخلفون الدنيا وراء ظهورهم وقيل يعلم ما كان قبلهم وما كان بعدهم وقيل يعلم ما قدموه بين أيديهم من خير أو شر

ما مضى أمامهم وما خلفهم ما يكون بعدهم، وقال مقاتل ما بين أيديهم ما كان قبل خلق الملائكة وما خلفهم أي ما كان بعد خلقهم وقيل ما بين أيديهم أي ما قدموه من خير وشر وما خلفهم ما هم فاعلوه

(ولا يحيطون بشيء من علمه) أي من علم الله (إلا بما شاء) أن يطلعهم عليه يعني لا يحيطون بشيء من علم الغيب إلا بما شاء مما أخبر به الرسل كما قال الله تعالى (فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) قوله تعالى (وسع كرسیه السموات والأرض) أي ملأ وأحاط به واختلفوا في الكرسي فقال الحسن هو العرش نفسه وقال أبو هريرة رضى الله عنه الكرسي موضع أمام العرش ومعنى قوله (وسع كرسیه السموات والأرض) أي سمعته مثل سعة السموات والأرض وفي الأخبار أن السموات والأرض في جنب الكرسي (٢٧٠) كحلقة في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقة في فلاة. وروى عن

ابن عباس رضى الله عنهما أن السموات السبع والأرضين السبع في الكرسي كدراهم سبعة أقيت في ترس وقال على ومقاتل كل قائمة من الكرسي طولها مثل السموات السبع والأرضين السبع وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي أربعة أملاك لكل ملك أربعة وجوه وأقدامهم في الصخرة التي تحت الأرض السابعة السفلى مسيرة خمسمائة عام ملك على صورة سيد البشر آدم عليه السلام وهو يسأل للأدميين الرزق والمطر من السنة إلى السنة وملك على صورة الأنعام وهو الثور وهو يسأل للأنعام الرزق من السنة إلى السنة وعلى وجهه غضاضة من ذئب العجل وملك على صورة

وما خلفهم مما هم فاعلوه والمقصود من هذا أنه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من أحوال جميع خلقه (ولا يحيطون بشيء من علمه) يقال أحاط بالشيء إذا علمه وهو أن يعلم وجوده وجنسه وقدره وحقيقته فإذا علمه ووقف عليه وجمعه في قلبه فقد أحاط به والمراد بالعلم المعلوم والمعنى أن أحدا لا يحيط بمعلومات الله تعالى (إلا بما شاء) يعني أن يطلعهم عليه وهم من الأنبياء والرسل ليكون ما يطلعهم عليه من علم غيبه دليلا على نبوتهم كما قال تعالى (ولا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) (وسع كرسیه السموات والأرض) يقال فلان واسع الشيء إذا احتمله وأطاقه وأمكنه القيام به وأصل الكرسي في اللغة من تركب الشيء بعضه على بعض ومنه الكراسية لتركب بعض أوراقيها على بعض الكرسي في العرف اسم لما يقعد عليه سمي به لتركب خشبائه بعضها على بعض. واختلفوا في المراد بالكرسي هنا على أربعة أقوال: أحدها أن الكرسي هو العرش نفسه قال الحسن لأن العرش والكرسي اسم للسرير الذي يصح التمكن عليه. القول الثاني أن الكرسي غير العرش وهو أمامه وهو فوق السموات السبع ودون العرش قال السدي إن السموات والأرض في جوف الكرسي كحلقة ملفاة في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقة في فلاة وعن ابن عباس أن السموات السبع في الكرسي كدراهم سبعة أقيت في ترس وقيل إن كل قائمة من قوائم الكرسي طولها مثل السموات والأرض وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي أربعة أملاك لكل ملك أربعة وجوه وأقدامهم على الصخرة التي تحت الأرض السابعة السفلى: ملك على صورة أبي البشر آدم وهو يسأل الرزق والمطر لبني آدم من السنة إلى السنة وملك على صورة النسر وهو يسأل الرزق للطيور من السنة إلى السنة وملك على صورة الثور وهو يسأل الرزق للأنعام من السنة إلى السنة وملك على صورة العجل وهو يسأل الرزق للموتى من السنة إلى السنة وملك على صورة الأسد وهو يسأل الرزق للوحوش من السنة إلى السنة. وفي بعض الأخبار أن بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجبا من ظلمة وسبعين حجبا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا ذلك لاحتزقت حملة الكرسي من نور جملة العرش. القول الثالث إن الكرسي هو الاسم الأعظم لأن العلم يعتمد عليه كما أن الكرسي يعتمد عليه قال ابن عباس كرسية علمه. القول الرابع المراد بالكرسي الملك والسلطان والقدرة لأن الكرسي موضع الملك والسلطان فلا يبعد أن يكنى عن الملك بالكرسي على سنبل الخجاز (ولا يثوده) أي لا يثقله ولا يجهد ولا يشق عليه (حفظهما) أي حفظ السموات والأرض (وهو العلي) أي الرفيع

سيد السباع وهو الأسد يسأل للرزق من السنة إلى السنة وملك على صورة سيد الطير وهو النسر يسأل فوق الرزق للطيور من السنة إلى السنة. وفي بعض الأخبار أن ما بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجبا من ظلمة وسبعين حجبا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا ذلك لاحتزقت حملة الكرسي من نور جملة العرش وروى سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أراد بالكرسي علمه وهو قول مجاهد ومنه قيل لصحيفة العلم كراسية وقيل كرسية ملكه وسلطانه والعرب تسمى الملك القديم كرسيا (ولا يثوده) أي لا يثقله ولا يشق عليه يقال آذى الشيء أي أثقلني (حفظهما) أي حفظ السموات والأرض (وهو العلي) الرفيع فوق خلقه والتعالي عن الأشباه والأنداد وقيل العلي بالملك والسلطنة

(العظيم) الكبير الذي لا شيء أعظم منه. قوله تعالى (لا إكراه في الدين) قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما كانت المرافعة الأنصار تكون مقلدة والمقالة من النساء التي لا يعيش لها ولد وكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فإذا عاش وادها جعلته في اليهود فجاء الإسلام وفيهم منهم فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الأنصار، فأرادت الأنصار استردادهم وقالوا هم أبناؤنا وإخواننا فنزلت هذه الآية: لا إكراه في الدين فقال (٢٧١) رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد خير أصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وإن اختاروهم فأجلوهم معهم وقال مجاهد كان ناس من مشركين في اليهود من الأوس فلما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأجلاء بني النضير قال الذين كانوا مشركين فيهم لندهم معهم ولنديهم بديتهم ، فنعهم أهلهم فنزلت لا إكراه في الدين وقال مسروق كان لرجل من الأنصار من بني سلم بن عوف يقال له أبو الحصين ابنان متتصران قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الزيت فزماهما أبوهما وقال لأدعكما حتى تسلما فاختصموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر فأرزل الله تعالى لا إكراه في الدين فخل سبيلهما وإذا قبلوا بذل الجزية لم يكروها على الإسلام وذلك أن العرب كانت أمة أمية ولم يكن لهم كتاب يرجعون إليه فلم يقبل منهم إلا الإسلام أو القتل ونزل في أهل الكتاب لا إكراه في الدين يعني إذا قبلوا الجزية فمن أعطى الجزية منهم لم يكروه على الإسلام فعلى هذا القول تكون الآية محكمة ليست منسوخة وقيل بل الآية منسوخة وكان ذلك في ابتداء الإسلام قبل أن يؤمروا بالقتال ثم نسخت بآية القتال وهو قول ابن مسعود وقال الزهري سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى لا إكراه في الدين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لا يكروه أحد في الدين فأبى المشركون إلا أن يقاتلوه فاستأذن الله في قتالهم فأذن له ومعنى لا إكراه في الدين أي دين الإسلام ليس فيه إكراه عليه (قد تبين الرشدين العقي) يعني ظهر ووضح وتميز الحق من الباطل والإيمان من الكفر وأدى من الفضالة بكثرة الآيات والبراهين الدالة على صحته (فمن يكفر بالطاغوت) يعني الشيطان وقيل هو الساحر والكاهن وقيل هو كل ما عبد من دون الله تعالى وقيل كل

فوق خلقه الذي ليس فوقه شيء فيجب له أن يوصف به من معاني الجلال والكمال فهو العلي بالإطلاق المسمى عن الأشباه والأنداد والأضداد وقيل العلي بالملك والسلطنة والقهر فلا أعلى منه أحد وقيل معنى العلي في صفة الله تعالى منقول إلى اقتداره وقهره واستحقاق صفات المدح جميعها على كل وجه وقيل معناه أنه يعلى أن يحيط به وصف الواصفين (العظيم) يعني أنه ذو العظمة والكبرياء الذي لا شيء أعظم منه. وقال ابن عباس العظيم الذي قد كمل في عظمته وقيل العظيم هو ذو العظمة والجلال والكمال وهو في صفة الله تعالى ينصرف إلى عظم الشأن وجمالة القدر دون العظم الذي هو من نعوت الأجسام. قوله عز وجل (لا إكراه في الدين) سبب نزول هذه الآية فيما يروى عن ابن عباس قال كانت المرافعة من الأنصار تكون مقلدة وهي التي لا يعيش لها ولد فنكثت تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فإذا عاش جعلته في اليهود فجاء الإسلام وفيهم منهم ، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الأنصار فأرادت الأنصار استردادهم وقالوا هم أبناؤنا وإخواننا فنزلت الآية لا إكراه في الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير أصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وإن اختاروهم فأجلوهم معهم وقيل كان لرجل من الأنصار من بني سلم بن عوف يقال له أبو الحصين ابنان متتصران قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الزيت فزماهما أبوهما وقال لأدعكما حتى تسلما فاختصموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر فأرزل الله تعالى لا إكراه في الدين فخل سبيلهما وإذا قبلوا بذل الجزية لم يكروها على الإسلام وذلك أن العرب كانت أمة أمية ولم يكن لهم كتاب يرجعون إليه فلم يقبل منهم إلا الإسلام أو القتل ونزل في أهل الكتاب لا إكراه في الدين يعني إذا قبلوا الجزية فمن أعطى الجزية منهم لم يكروه على الإسلام فعلى هذا القول تكون الآية محكمة ليست منسوخة وقيل بل الآية منسوخة وكان ذلك في ابتداء الإسلام قبل أن يؤمروا بالقتال ثم نسخت بآية القتال وهو قول ابن مسعود وقال الزهري سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى لا إكراه في الدين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لا يكروه أحد في الدين فأبى المشركون إلا أن يقاتلوه فاستأذن الله في قتالهم فأذن له ومعنى لا إكراه في الدين أي دين الإسلام ليس فيه إكراه عليه (قد تبين الرشدين العقي) يعني ظهر ووضح وتميز الحق من الباطل والإيمان من الكفر وأدى من الفضالة بكثرة الآيات والبراهين الدالة على صحته (فمن يكفر بالطاغوت) يعني الشيطان وقيل هو الساحر والكاهن وقيل هو كل ما عبد من دون الله تعالى وقيل كل

نزلت في أهل الكتاب إذ قبلوا الجزية وذلك أن العرب كانت أمة أمية لم يكن لهم كتاب فلم يقبل منهم إلا الإسلام فلما أساءوا طوعا أو كرها أنزل الله تعالى لا إكراه في الدين فأمر بقتال أهل الكتاب إلى أن يسلموا أو يقرؤا بالجزية فمن أعطى منهم الجزية لم يكروه على الإسلام وقيل كان هذا في الابتداء قبل أن يؤمر بالقتال فصارت منسوخة بآية السيف وهو قول ابن مسعود رضي الله عنهما (قد تبين الرشدين العقي) أي الإيمان من الكفر والحق من الباطل (فمن يكفر بالطاغوت) يعني بالشيطان ، وقيل كل ما عبد من دون الله تعالى فهو طاغوت وقيل ما يطفى الإنسان فأعول من الطغيان زيدت أثناء فيه بدلا من اللام الفعل كقولهم

حالتوت وثابتت. قائمها فيها مبدل من هاء التأنيث (ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي تمسك واعتصم بالعقد الوثيق
الحكم في الدين والوثق تأنيث الأوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل إلى رضا الله تعالى (لا انفصام لها) لا انقطاع لها
(والله سميع) لدعائك إياهم إلى الإسلام (عليم) بحرصك على إيمانهم قوله تعالى (الله ولي الذين آمنوا) ناصرهم ومعينهم وقيل
عنيهم وقيل متولى أمورهم لا يكلمهم (٢٧٢) إلى غيره وقال الحسن ولي هدايتهم (يخرجهم من الظلمات إلى النور)

ما يظفي الإنسان فهو طاغوت فاعول من الطغيان (ويؤمن بالله) أي ويصدق بالله أنه ربه ومعبوده
من دون كل شيء كان يعبده وفيه إشارة إلى أنه لا يلد للكافر أن يتوب أولاً عن الكفر ويتبرأ
منه ثم يؤمن بعد ذلك بالله فمن فعل ذلك صح إيمانه وهو قوله تعالى (فقد استمسك بالعروة
الوثقى) أي فقد تمسك واعتصم بالعقد الوثيق الحكم في الدين والوثق تأنيث الأوثق وقيل العروة
الوثقى السبب الذي يوصل إلى رضا الله تعالى وهو دين الإسلام (لا انفصام لها) أي لا انقطاع
لها حتى تؤذيه إلى الجنة والمعنى أن الممسك بالدين الصحيح الذي هو دين الإسلام كالمتمسك
بالشيء الوثيق الذي لا يمكن كسره ولا انقطاعه (والله سميع) يعني أنه تعالى يسمع قول من كفر
بالطاغوت وأتى بالشهادتين (عليم) بما في قلبه من الإيمان وقيل معناه سميع لدعائك إياهم إلى
الإسلام عليم بحرصك على إسلامهم. قوله عز وجل (الله ولي الذين آمنوا) أي ناصرهم ومعينهم
وقيل عنيهم ومتولى أمورهم فلا يكلمهم إلى غيره وقيل هو متولى هدايتهم (يخرجهم من الظلمات
إلى النور) أي من الكفر إلى الإيمان وكل ما في القرآن من ذكر الظلمات والنور، فالمراد به الكفر
والإيمان غير الذي في سورة الأنعام وهو قوله تعالى وجعل الظلمات والنور، فالمراد به الليل والنهار
وإنما سمي الكفر ظلمة لالتباس طريقه ولأن الظلمة تحجب الأبصار عن إدراك الحقائق فكذلك
الكفر يحجب القلوب عن إدراك حقائق الإيمان وسمى الإسلام نورا لوضوح طريقه وبيان
أدلة (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) يعني كعب بن الأشرف وحبي بن أخطب وسائر
رموس الضلالة (يخرجونهم من النور إلى الظلمات) أي من الهدى إلى الضلالة. فان قلت كيف
قال يخرجونهم من النور إلى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط؟ قلت هم اليهود كانوا موقنين
بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته قبل أن يبعث لما يجنون في كتبهم من نعته وصفته فلما
بعث كفروا به وجحدوا نبوته وقيل هو على العموم في حق جميع الكفار سمي منع الطاغوت
إياهم عن الدخول فيه إخراجا من الإيمان بمعنى صدهم الطاغوت عنه وحرهم خبره وإن لم
يكونوا دخلوا فيه قط فهو كفول الرجل لأبيه أخرجتني عن مالك إذا أوصى به لغيره في حياته
وحرمه منه وكفول الله تعالى إخبارا عن يوسف عليه السلام (إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله)
ولم يكن قط في ملتهم (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعني الكفار والطاغوت أهل النار
الذين يخلدون فيها دون غيرهم. قوله عز وجل (لم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه) يعني هل
انتهى إليك يا محمد خبر الذي خاصم إبراهيم وجادله لأن لم ترك كلمة يوقف بها المخاطب على
تعجب منها ولفظها استنهام كما يقال لم تر إلى فلان كيف يصنع معناه هل رأيت فلانا في صنعه
والذي حاج إبراهيم هو عمرو بن كنعان الجبار وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجر

أي من الكفر إلى الإيمان
قال الواقدي كل ما في
القرآن من الظلمات
والنور فالمراد منه الكفر
والإيمان غير التي في
سورة الأنعام وجعل
الظلمات والنور فالمراد
منه الليل والنهار سمي
الكفر ظلمة لالتباس
طريقه وسمى الإسلام
نورا لوضوح طريقه
(والذين كفروا أولياؤهم
الطاغوت) قال مقاتل
يعني كعب بن الأشرف
وحبي بن أخطب
وسائر رموس الضلالة
(يخرجونهم من النور
إلى الظلمات) يدعونهم
من النور إلى الظلمات
والطاغوت يكون مذكرا
ومؤننا وواحدا وجمعا
قال تعالى في المذكر
والواحد «يريدون أن
يتحاكوا إلى الطاغوت
وقد أمروا أن يكفروا به»
وقال في المؤنث «والذين
اجتنبوا الطاغوت أن
يعبدوها» وقال في الجمع
«يخرجونهم من النور إلى

الظلمات» فان قيل كيف يخرجونهم من النور إلى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط قيل هم اليهود في الأرض
وكانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته فلما بعث كفروا به وقيل هو على العموم
في حق جميع الكفار قالوا منعهم إياهم من الدخول فيه إخراجا كما يقول الرجل لأبيه أخرجتني من مالك ولم يكن فيه كما قال
الله تعالى إخبارا عن يوسف عليه السلام (إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) ولم يكن قط في ملتهم (أولئك أصحاب النار هم فيها
خالدون) قوله تعالى (لم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه) معناه هل انتهى إليك يا محمد خبر الذي خاصم إبراهيم، أي خاصم

وجادل وهو عمرو وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجرى في الأرض وادعى الربوبية (أن آناه الله الملك) أولان آناه الله الملك فطغى أى كانت تلك الحاجة من بطر الملك وطغيانه. قال مجاهد ملك الأرض أربعة مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسلیمان وذو القرنين وأما الكافران فنمرود وبختنصر. واختلفوا في وقت هذه المناظرة قال مقاتل لما كسر إبراهيم الأصنام سمى نمرود ثم أخرجه ليحرقه بالنار فقال له من ربك الذى تدعوننا إليه؟ فقال ربى الذى يحيى ويميت وقال آخرون كان هذا بعد إلقائه فى النار وذلك أن الناس قحطوا على عهد نمرود وكان الناس يمتارون من عنده (٢٧٣) الطعام فكان إذا آناه الرجل

فى طلب الطعام سأله من ربك فان قال أنت باع منه الطعام فأناه إبراهيم فيمن آناه فقال له نمرود من ربك؟ قال ربى الذى يحيى ويميت فاشتغل بالحاجة ولم يعطه شيئا فرجع إبراهيم فرعى كتيب من رمل أعقر فأخذ منه تطيبا لقلوب أهله إذا دخل عليهم فلما أتى أهله ووضع متاعه نام فقامت امرأته إلى متاعه ففتحت فاذا هو أجود طعام امرأته أخذت فصنعت له منه فقربت له فقال من أين هذا قالت من الطعام الذى جئت به فعرفت أن الله رزقه فحمد الله قال الله تعالى (إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت) وهذا جواب سؤال غير المذكور فقربه قال له من ربك فقال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت

فى الأرض وادعى الربوبية (أن آناه الله الملك) أى لأن آناه الله الملك فطغى وبطغى بسببه وكانت تلك الحاجة من بطر الملك وطغيانه قال مجاهد ملك الأرض أربعة مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسلیمان بن داود وذو القرنين وأما الكافران فنمرود وبختنصر. واختلفوا فى وقت هذه الحاجة فقبل لما كسر إبراهيم الأصنام سمى نمرود ثم أخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذى تدعوننا إليه؟ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت وقيل كان هذا بعد إلقائه فى النار وذلك أن الناس قحطوا على عهد نمرود وكان الناس يمتارون من عنده الطعام فكان إذا آناه أحد يمتار سأل من ربك؟ فيقول أنت فيميره فخرج إبراهيم عليه السلام إليه يمتار لأهله الطعام فأناه فقال له من ربك قال ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فانى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فهت الذى كفرة فرده بغير طعام فرجع إبراهيم إلى أهله فرعى كتيب من رمل أعقر فأخذ منه تطيبا لقلوب أهله إذا دخل عليهم فلما أتى أهله وضع متاعه ثم نام فقامت زوجته سارة إلى رحله ففتحت فاذا هو طعام أجود مما رآه أحد فصنعت منه خبزا فلما انتبه قربته إليه فقال لما إبراهيم من أين هذا؟ وكان عهد أهله وليس عندهم طعام فقالت من الطعام الذى جئت به فعلم إبراهيم أن الله قد رزقه فحمد الله تعالى ثم إن الله تعالى بعث إلى نمرود الجبار ملكا فقال إن ربك يقول لك أن آمن بى وأتركك فى ملكك قال وهل رب غيرى فجاءه الثانية فقال له مثل ذلك ثم آناه الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك اجمع جموعك فجمع الجبار جموعه فأمر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض حتى سترت الشمس فلم يروها فبعثها الله عليهم فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق إلا العظام ونمرود ينظر ولم يصبه شيء من ذلك ثم بعث الله عليه بعوضة فدخلت فى منخره فمكنت فى رأسه أربعة مائة سنة يضرب رأسه بالمطارق وكان أرحم الناس به من يجمع له يديه ثم يضرب بهما رأسه فكان كذلك يعذب أربعة مائة سنة مدة ملكه حتى أماته الله عز وجل (إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت) هذا جواب سؤال غير المذكور فقربه قال له نمرود من ربك قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت (قال) يعنى قال نمرود (أنا أحيى وأميت) قال أكثر المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فجعل ترك القتل إحياء فانتقل إبراهيم صلى الله عليه وسلم إلى حجة أخرى لا يجزا عن نصر حجته الأولى فانها كانت لازمة لأنه أراد بالإحياء إحياء الميت فكان لإبراهيم أن يقول لنمرود فأحيى من أمت إن كنت صادقا ولكن انتقل إلى حجة أخرى أوضح من الأولى لما رأى من قصور فهم نمرود وضعف رأيه فانه عارض

(٣٥ - خازن بالعقوى - أول)

يحيى ويميت قرأ حمزة ربى الذى يحيى ويميت باسكان الياء وكذلك وحرم ربى القواحش، وعن آياتى الذين يشكرون، وقل لعبادى الذين، وآتانى الكتاب، ومسنى الضر، وعبادى الصالحون وعبادى الشكور، ومسنى الشيطان، وإن أراذنى الله، وإن أهلكنى الله أسكن الياء فهى حمزة ووافق ابن عامر والكسائى فى لعبادى الذين آمنوا وابن عامر آياتى الذين وفتحها الآخرون (قال) نمرود (أنا أحيى وأميت) قرأ أهل المدينة أنا بالثبات الألف والمد فى الوصل إذا تلتها ألف مفتوحة أو مضمومة والباقيون بحذف الألف ووقفوا جميعا بالألف، قال أكثر المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فجعل القتل إمامة وترك القتل إحياء فانتقل إبراهيم إلى حجة أخرى ليعجزه فان

حجته كانت لازمة لأنه أراد بالله حيا إحياء الميت فكان له أن يقول فأحي من أمت إن كنت صادقا فانتقل إلى حجة أخرى أوضح من الأولى (قال إبراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر) أي تحير ودهش وانقطعت حجته. فان قيل كيف بهت وكان يمكنه أن يعارض إبراهيم فيقول له سل أنت ربك حتى يأتي بها من المغرب قيل إنما لم يقله لأنه خاف أن لو سأل ذلك دعا إبراهيم ربه فكان زيادة في فضيحته وانقطاعه والصحيح أن الله صرفه عن تلك المعارضة لإظهارا للحجة عليه أو معجزة (٢٧٤) إبراهيم عليه السلام (والله لا يهدي القوم الظالمين) قوله تعالى

الفعل بمثله ونسي اختلاف الفعلين (قال إبراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر) يعني تحير ودهش وانقطعت حجته ولم يرجع إليه شيئا وعرف أنه لا يطبق ذلك. فان قلت كيف بهت الذي كفر وكان يمكنه أن يقول لإبراهيم سل أنت ربك حتى يأتي بها من المغرب. قلت إنما لم يقله لأنه خاف أن لو سأل ذلك دعا إبراهيم ربه فكان ذلك زيادة في فضيحه ودهش وانقطاعه وقيل إن الله تعالى صرفه عن تلك المعارضة لإظهارا للحجة عليه ومعجزة لإبراهيم صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح (والله لا يهدي القوم الظالمين) يعني لا يرشدكم إلى حجة يلحظون بها حجج أهل الحق عند الحاجة والخاصة وعنى بالظالمين نمرود. قوله عز وجل (أو كالذي مر على قرية) هذه معطوفة على الآية التي قبلها والمعنى ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم أو كالذي مر على قرية فيكون هذا عطفًا على المعنى وقيل تقديره هل رأيت كالذي حاج إبراهيم أو إلى الذي مر على قرية واختلفوا في ذلك المار فقال قتادة وعكرمة والضحاك هو عزير بن شرخيا، وقال وهب بن منبه هو أرميا بن حلقيا وكان من سبط هارون وهو الحضرة، وقال مجاهد هو كافر شك في البعث. واختلفوا في تلك القرية فقال وهب وعكرمة وقاتادة هي بيت المقدس وقال الضحاك هي الأرض المقدسة وقال الكلبي هي دير سابر آباد، وقال السدي مسلم آباد وقيل هو دير هرقل وقيل هي قرية العنب وهي على فرسخين من بيت المقدس وقوله هي دير سابر آباد موضع كان بفارس وساما باد محلة أو قرية من نواحي جرجان وقيل أيضا من نواحي همدان ودير هرقل بكسر أوله وراء سا كنة وقام مكسورة دبر مشهور بين البصرة وعسكر مكرم وقيل هو موضع الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم لحزقيل كما تقدم ويقال إن المراد بقوله تعالى «أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها» هي التي عندها أحيا الله حمار عزير (وهي خاوية على عروشها) أي ساقطة على سقوفها وذلك أن السقوف سقطت أولًا ثم وقعت الحيطان عليها بعد ذلك (قال) يعني ذلك المار (أني يحيي هذه الله بعد موتها)

(أو كالذي مر على قرية) وهذه الآية منسوقة على الآية الأولى تقديره «ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه، وهل رأيت كالذي مر على قرية وقيل تقديره هل رأيت كالذي حاج إبراهيم في ربه وهل رأيت كالذي مر على قرية واختلفوا في ذلك المار فقال قتادة وعكرمة والضحاك هو عزير بن شرخيا، وقال وهب بن منبه هو أرميا بن حلقيا وكان من سبط هارون وهو الحضرة، وقال مجاهد هو كافر شك في البعث. واختلفوا في تلك القرية فقال وهب وعكرمة وقاتادة هي بيت المقدس وقال الضحاك هي الأرض المقدسة وقال الكلبي هي دير سابر آباد، وقال السدي مسلم آباد وقيل هو دير هرقل وقيل هي قرية العنب وهي على فرسخين من بيت المقدس وقوله هي دير سابر آباد موضع كان بفارس وساما باد محلة أو قرية من نواحي جرجان وقيل أيضا من نواحي همدان ودير هرقل بكسر أوله وراء سا كنة وقام مكسورة دبر مشهور بين البصرة وعسكر مكرم وقيل هو موضع الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم لحزقيل كما تقدم ويقال إن المراد بقوله تعالى «أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها» هي التي عندها أحيا الله حمار عزير (وهي خاوية على عروشها) أي ساقطة على سقوفها وذلك أن السقوف سقطت أولًا ثم وقعت الحيطان عليها بعد ذلك (قال) يعني ذلك المار (أني يحيي هذه الله بعد موتها)

خرجوا من ديارهم وهم ألوف ونحوي مقصور إذا سقط ونحوي البيت بالفتح خواء ممدودا إذا نبلا (على عروشها) سقوفها واحدها هرش وقيل كل بناء عرش ومعناه أن السقوف سقطت ثم وقعت الحيطان عليها (قال) أي يحيي هذه الله بعد موتها) وكان السبب في ذلك على ما روى محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه أن الله تعالى بعث أرميا إلى ناشية بن أموص ملك بني إسرائيل ليسده في ملكه وبأبيه بالخير من القدر وجل فعظمت الأحداث في بني إسرائيل وركبوا المعاصي فأوحى الله تعالى إلى أرميا أن ذكر قومك

نعمى وعرفهم أحداثهم وادعهم إلى فقال أرمياء إنى ضعيف إن لم تقوى عاجز إن لم تبلغنى مخلول إن لم تنصرفى فقال الله عز وجل: أنا أهلك فقام أرمياء فيهم ولم يدر ما يقول فألمسه الله في الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في آخرها عن الله تعالى وإنى أحلف بعزتى لأقيضن لهم فنته يتحير فيها الحكيم ولأسلطن عليهم جبارا فارسيا أبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله تعالى إلى أرمياء إلى مهلك بنى إسرائيل وياقت من أهل بابل وهم من ولد يافت بن نوح عليه السلام فلما سمع أرمياء ذلك (٢٧٥) صاح وبكى وشق ثيابه ونبد الرماد

على رأسه فلما سمع الله نضرعه وبكائه ناداه يا أرمياء أشق عليك ما أوحيت إليك قال نعم يا رب أهلكنى قبل أن أرى فى بنى إسرائيل مالا أسره فقال الله تعالى وعزتى لأهلك بنى إسرائيل حتى يكون الأمر فى ذلك من قبلك ففرح أرمياء بذلك وطابت نفسه فقال لا والذي بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بنى إسرائيل ثم أتى الملك فأخبره بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح فقال إن يعذبنا ربنا قبل موتنا وإن عفا عنا فبرحمته ثم لهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية وتماديا فى الشر فقتل الوحي فدعاهم الملك إلى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر فخرج فى ست مائة ألف

فمن قال إن ذلك المار كان كافرا وهو ضعيف إنما حملة على الشك فى قدرة الله ومن قال كان نبيا حملة على سبيل الاستبعاد بحسب مجازى العرف والعادة لا على سبيل الإنكار لقدرة الله تعالى أو كان المقصود منه طلب زيادة الدلائل لأجل التأكيد كما قال إبراهيم عليه السلام ورب أرنى كيف تحيى الموتى أو معنى «أنى يحيى هذه الله من أين يحيى هذه القرية والمراد بالإحياء عمارتها فأحب الله أن يريه آية فى نفسه وفى إحياء تلك القرية. وكان سبب القصة فى ذلك ما روى عن وهب بن منبه أن الله تعالى بعث أرمياء إلى ناشية بن أموص ملك بنى إسرائيل ليهتدده ويأنيه بالخبر من الله تعالى فعظمت الأحداث فى بنى إسرائيل وركبوا المعاصى فأوحى الله تعالى إلى أرمياء أن ذكر قومك نعمى عليهم وعرفهم أحداثهم وادعهم إلى فقال أرمياء يا رب إلى ضعيف إن لم تقوى عاجز إن لم تبلغنى مخلول إن لم تنصرفى فقال الله تعالى إلى أهلك فقام أرمياء فيهم ولم يدر ما يقول فألمسه الله تعالى فى الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال فى آخرها عن الله عز وجل إنى أحلف بعزتى لأقيضن لهم فنته يتحير فيها الحكيم ولأسلطن عليهم جبارا فارسيا أبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله تعالى إليه إلى مهلك بنى إسرائيل بياقت وياقت هم أهل بابل وهم من ولد يافت بن نوح فلما سمع أرمياء ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبد الرماد على رأسه فلما رأى الله نضرعه وبكائه ناداه يا أرمياء أشق عليك ما أوحيت إليك قال نعم يا رب أهلكنى قبل أن أرى فى بنى إسرائيل مالا أسره فقال الله عز وجل وعزتى لأهلك بنى إسرائيل حتى يكون الأمر فى ذلك من قبلك ففرح أرمياء بذلك وطابت نفسه وقال لا والذي بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بنى إسرائيل ثم أتى الملك فأخبره بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح فقال إن يعذبنا ربنا قبل موتنا وإن عفا عنا فبرحمته ثم لهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية وتماديا فى الشر فقتل الوحي فدعاهم الملك إلى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر البابلى فخرج فى سبعمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل سائرا وأتى الخبر إلى ملك بنى إسرائيل قال لأرمياء أين مازعت أن الله تعالى أوحى إليك فقال أرمياء إن الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الأجل بعث الله تعالى إلى أرمياء ملكا قد تمثل له فى صورة رجل من بنى إسرائيل فقال له أرمياء من أنت قال أنا رجل من بنى إسرائيل أتيتك أستفتيك فى أهل رحى وصلت أرحامهم ولم آت إليهم إلا حسنا ولا يزيدهم إكراى إياهم إلا سخطا لى فأفتنى فيهم فقال أرمياء

راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل سائرا أتى الملك الخبر فقال لأرمياء أين مازعت أن الله أوحى إليك فقال أرمياء إن الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الأجل بعث الله إلى أرمياء ملكا قد تمثل له رجلا من بنى إسرائيل فقال له أرمياء من أنت قال أنا رجل من بنى إسرائيل أتيتك أستفتيك فى أهل رحى وصلت أرحامهم ولم آت إليهم إلا حسنا ولا يزيدهم إكراى إياهم إلا سخطا لى فأفتنى فيهم قال أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وأبشر بخير فانصرف الملك فكث أياها ثم أقبل إليه فى صورة ذلك الرجل فقعده بين يديه فقال له أرمياء من أنت قال أنا الرجل الذى أتيتك أستفتيك فى شأن أهل ؟ فقال له

أرمياة أما طهرت أخلاقهم بعدلك قال يانبي الله والذي بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتها أحد من الناس إلى رحمة إلا قدمتها إليهم وأفضل فقال له النبي أرمياة عليه الصلاة والسلام ارجع فأحسن إليهم أسألك الله الذي يصلح عبادة الصالحين أن يصلحهم فانصرف الملك فكث أياما وقد نزل مختصر وجنوده حول بيت المقدس بما أكثر من الجراد ففزع منهم بنو إسرائيل فقال ملكهم لأرمياة يانبي الله أين ما وعدك الله قال إنى برى واثق ثم أقبل الملك إلى أرمياة وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده (٢٧٦) فقعد بين يديه فقال له أرمياة من أنت فقال أنا الذى أتيتك فى شأن أهلى مرتين

فقال النبي ألم يأن لهم أن يفيقوا من الذى هم فيه فقال الملك يانبي الله كل شىء كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه فالיום رأيتهم فى عمل لا يرضى الله فقال النبي على أى عمل رأيتهم قال على عمل عظيم من سحق الله فغضبت الله وأتيتك لأخبرك وإنى أسألك بالله الذى بعثك بالحق نبيا إلا مادعوت الله عليهم ليهلكهم فقال أرمياة يامالك السموات والأرض إن كانوا على حق و صواب فأبقيهم وإن كانوا على عمل لا يرضاه فأهلكهم فلما خرجت الكلمة من فى أرمياة أرسل الله صاعقة من السماء فى بيت المقدس فالتب مكان القربان وحسف بسبعة أبواب من أبوابها فلما رأى ذلك أرمياة صاح وشق ثيابه ونبد الرماد على رأسه وقال يامالك

أحسن فيما بينك وبين الله وصلحهم وأبشر بخير فانصرف الملك فكث أياما ثم أقبل إليه فى صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له أرمياة من أنت قال أنا الرجل الذى أتيتك أستفتيك فى شأن أهلى فقال له أرمياة أما طهرت أخلاقهم بعدلك فيهم فقال يانبي الله والذي بعثك بالحق نبيا ما أعلم كرامة يأتها أحد من الناس إلى رحمة إلا قدمتها إليهم فأحسن إليهم وأسألك الله الذى يصلح عبادة الصالحين أن يصلحهم فقام الملك فكث أياما ثم إن مختصر نزل بجنوده بيت المقدس ففزع منهم بنو إسرائيل فقال ملكهم لأرمياة يانبي الله أين ما وعدك الله فقال إنى برى واثق ثم أقبل ذلك الملك إلى أرمياة وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذى وعده فقعد بين يديه فقال له أرمياة من أنت قال أنا الذى جئتك فى شأن أهلى مرتين فقال أرمياة أما أن لهم أن يفيقوا من الذى هم فيه فقال الملك يانبي الله إن كل شىء كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه فالיום رأيتهم على عمل لا يرضى الله تعالى فقال له أرمياة على أى عمل رأيتهم قال على عمل عظيم يسخط الله تعالى فغضبت الله عز وجل فأتيتك لأخبرك وأنا أسألك بالله الذى بعثك بالحق أن تدعوا الله عليهم ليهلكوا فقال أرمياة يامالك السموات والأرض إذا الجلال والإكرام إن كانوا على حق و صواب فأبقيهم وإن كانوا على عمل لا يرضاه فأهلكهم فما خرجت الكلمة من فيه حتى أرسل الله عز وجل صاعقة من السماء على بيت المقدس فالتب مكان القربان وأحرقت سبعة أبواب من أبوابه فلما رأى ذلك أرمياة صاح وشق ثيابه ونبد الرماد على رأسه وقال يامالك السموات والأرض أين ميعادك الذى وعدتني به فتودى إنهم لم يصبهم ما أصابهم إلا بفتياك ودعائك عليهم فاستيقن أرمياة أنها فتياه وأن ذلك السائل كان رسولا من الله تعالى إليه فخرج أرمياة حتى خالط الوحوش ودخل مختصر وجنوده بيت المقدس ووطئ الشام وقتل بنى إسرائيل حتى أفنأهم وخرب بيت المقدس وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ويقذفه فى بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملئوه ثم أمرهم أن يجمعوا من كان بقى فى بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده من كان بقى من بنى إسرائيل من صغير وكبير فاختر منهم سبعين ألف صبي فقسدهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمة وكان فى أولئك الغلمان دانيال عليه السلام وحنانيا وعزير وفرق من بقى من بنى إسرائيل ثلاث فرق فنكأقتلهم وثلاث سبأهم وثلاث أقرهم بالشام فكانت هذه الواقعة الأولى التى أنزها الله بنى إسرائيل بظلمهم فلما ولى مختصر راجعا إلى بابل ومعه سيابا بنى إسرائيل أقبل أرمياة على حمار له

السموات والأرض أين ميعادك الذى وعدتني به فتودى إنهم لم يصبهم ما أصابهم إلا بفتياك ودعائك فاستيقن النبي ومعه عليه السلام أنها فتياه وأن ذلك السائل كان رسولا ربه فطار أرمياة حتى خالط الوحوش ودخل مختصر وجنوده بيت المقدس ووطئ الشام وقتل بنى إسرائيل حتى أفنأهم وخرب بيت المقدس ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ويقذفه فى بيت المقدس ففعلوا حتى ملئوه ثم أمرهم أن يجمعوا من كان فى بلدان بيت المقدس فاجتمع عندهم صغيرهم وكبيرهم من بنى إسرائيل فاختر منهم سبعين ألف صبي فقسدهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمة وكان من

أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وفرقي من بني من بني إسرائيل ثلاث فرق فثقتنا قتلهم وثقتنا سبهم وثقتنا أقرهم بالشام وكانت هذه الواقعة الأولى التي أنزلها الله في بني إسرائيل بظلمهم فلما ولي عنهم بختنصر راجعا إلى بابل ومعه سبانيا بني إسرائيل أقبل أرمياء على حمار له معه عصير عنب في زكوة وسلعة تين حتى غشي إلبيا فلما وقف عليها ورأى خرابها قال أني يحيى هذه الله بعد موتها وقال الذي قال إن المار كان عزيزا وأن بختنصر لما خرب بيت المقدس وقدم بسى بني إسرائيل ببابل كان فيهم عزيز ودانيال وسبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزيز من بابل ارتحل على حمار له حتى نزل دير هرقل على شط دجلة فطاف في القرية فلم يرفها أحدا وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر (٢٧٧) من العنب فشرب منه وجعل

ومعه عصير عنب في زكوة وسلعة تين حتى غشي إلبيا وهي أرض بيت المقدس فلما رأى خرابها قال أني يحيى هذه الله بعد موتها ومن قال إن المار كان عزيزا قال إن بختنصر لما خرب بيت المقدس قدم بسبانيا بني إسرائيل وكان فيهم عزيز ودانيال وسبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزيز من بابل ارتحل على حمار حتى نزل دير هرقل على شط دجلة فطاف بالقرية فلم ير أحدا وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلعة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال أني يحيى هذه الله بعد موتها فإلها تعجبا لاشكا في البعث. رجعا إلى حديث وهب قال ثم ربط أرمياء حماره بجبل جديد فألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح فمات مائة عام وأمات حماره وبقي عصيره وثبته عنده وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحى ومنع لحمه من السباع والطير فلما مضى من وقت موته مدة سبعين سنة أرسل الله تعالى ملكا إلى ملك من ملوك فارس يقال له نوشك وقال له إن الله يأمرك أن تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وإيليا حتى يعود أعمر ما كان فانتدب الملك ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونه وأهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت في دماغه ونجى الله من بني إسرائيل وردهم جميعا إلى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا كأحسن ما كانوا فلما مضت المائة أحيأ الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيأ الله جسده وهو ينظر ثم نظر إلى حماره فاذا عظامه تلوح بيض متفرقة فسمع صوتا من السماء أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعى فاجتمع بعضها إلى بعض ثم نودى إن الله يأمرك أن تتكسنى لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودى إن الله يأمرك أن يحيى فقام الحمار باذن الله ثم نطق وعمر الله أرمياء فهو يلبس في الفلوات فذلك قوله تعالى (فأمانه الله مائة عام) أصل العام من العوم وهو السياحة سميت السنة عاما لأن الشمس تعوم في جميع بروجها (ثم بعثه) أى ثم أحيأه وأصله من بعث الناقة إذا أقيتها من مكانها (قال كم لبثت) يعنى قال الله تعالى له كم قدر الزمان الذى مكنت فيه ميتا قبل أن أبعثك من مكانك حيا ويقال إن الله تعالى لما أحيأه بعث إليه ملكا فسأله كم لبثت (قال) يعنى ذلك المبعوث بعد مماته (لبثت يوما) وذلك أن الله تعالى أماته ضحى في أول النهار

وإيليا حتى يعود أعمر ما كان فانتدب الملك ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونه ، فأهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت دماغه ، ونجى الله من بني إسرائيل ، ولم يمض بيابل أحد وردهم جميعا إلى بيت المقدس ونواحيه وعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى عادوا على أحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة أحيأ الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيأ جسده وهو ينظر إليه ثم نظر إلى حماره فاذا عظامه متفرقة بيض تلوح فسمع صوتا من السماء أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعى فاجتمع بعضها إلى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نودى إن الله يأمرك أن تتكسنى لحما وجلدا فكانت كذلك ثم نودى إن الله يأمرك أن يحيى فقام باذن الله ونطق وعمر الله أرمياء فهو الذى يرى في الفلوات فذلك قوله تعالى (فأمانه الله مائة عام ثم بعثه) أى أحيأه (قال كم لبثت) أى كم مكنت يقال لما أحيأه الله بعث إليه ملكا فسأله كم لبثت (قال لبثت يوما)

وذلك أن الله تعالى أمانه مخفي في أول النهار وأحياء بعد مائة عام في آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال كم لبثت قال لبثت يوماً وهو يرى أن الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال (أو بعض يوم) بل بعض يوم (قال) له الملك (بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك) يعني التين (وشرايك) يعني العصير (لم يتسنه) أي لم يتغير فكان التين كأنه قطف من ساعته والعصير كأنه عصر من ساعته قال الكسائي كأنه لم تأت عليه السنون ، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب لم يتسن بخذف الهاء في الوصل وكذلك «فهداهم اقتده» وقرأ الآخرون بالهاء فيهما وصلًا ووقفًا فن استقط الهاء في الوصل جعل الهاء صلة زائدة وقال أصله يتسن فحذف الياء بالجزم وأبدل منه هاء في الوقف وقال أبو عمرو هو من التسن بنونين وهو التغير ، كقوله تعالى «من حملاً مسنوناً» أي متغير فعوضت من إحدى النونين (٢٧٨) باء كقوله تعالى «ثم ذهب إلى أهله يتمطى» أي يتمطط وقوله

ووقد حاب من دسأه
وأصله دسبها ومن أثبت
الهاء في الخالين جعل الهاء
أصلية لام الفعل وهذا
علي قول من جعل أصل
السنة السنة وتصغيرها
سنيته والفعل من المسائة
وإنما قال لم يتسنه ولم يتسه
مع أنه أخبر عن شيئين
ردا للمتغير إلى أقرب
المفظين به ، وهو
الشراب واكتفى بذكر
أحد المذكورين لأنه
في معنى الآخر (وانظر
إلى حمارك) فنظر فاذا
هو عظام بيض فركب
الله تعالى العظام بعضها
على بعض فكساه اللحم
والجلد وأحياه وهو ينظر
(ولتجعلك آية للناس)
قبل الواو زائدة مقحمة
وقال التبراهي أدخلت الواو
فيه دلالة على أنها شرط

وأحياء بعد مائة سنة في آخر النهار قبل أن تغيب الشمس فقال لبثت يوماً وهو يرى أن الشمس قد غابت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال (أو بعض يوم) قال (وقيل قال الملك له) (بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك) يعني التين الذي كان معه قبل موته (وشرايك) يعني العصير (لم يتسنه) يعني لم يتغيره السنون التي أتت عليه فكان التين كأنه قد قطف من ساعته والعصير كأنه قد عصر من ساعته لم يتغير ولم يتسن (وانظر إلى حمارك) أي وانظر إلى إحياء حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض ثم كساه اللحم والجلد وأحياه وهو ينظر (ولتجعلك آية للناس) قبل الواو زائدة مقحمة وقيل دخول الواو فيه دلالة على أنها شرط لفعل بعدها والمعنى وفعلنا ما فعلنا من الإمامة والإحياء لتجعلك آية للناس يعني عبرة ودلالة على البعث بعد الموت وقال أكثر المفسرين وقيل إنه عاد إلى القرية وهو شاب أسود الرأس واللحية وأولاده وأولاد أولاده شيوخ وعجائز شمت فكان ذلك آية للناس (وانظر إلى العظام كيف نشزها ثم نكسوها لحماً) قرئ بالراء ومعناه كيف نحياها يقال أنشأ الله الميت إنشأه يعني أحياه وقرئ بالزاي ومعناه كيف رفعها من الأرض ونزدها إلى مكانها من الجسد وتركب بعضها على بعض وإنشأ الشيء رفعه وإزعاجه يقال نشزته فنشز أي رفعته فارتفع واختلوا في معنى الآية فقال الأكثرون إنه أراد عظام الحمار قبل أن الله تعالى أحياء عزيراً أو أرمياً على اختلاف التولين فيه ثم قال له انظر إلى حمارك قد هلك وبلت عظامه فنظر وبعث الله ربحاً فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل فاجتمعت فركب بعضها على بعض حتى الكسرة من العظم رجعت إلى موضعها فصار حماراً من عظام ليس عليه لحم ولا فيه دم ثم كسا الله تلك العظام اللحم والعروق والدم فصار حماراً ذا لحم ودم لاروح فيه ثم بعث الله ملكاً فأقبل إليه يمشي حتى أخذ بمنخر الحمار فوضع فيه الروح فقام الحمار حياً باذن الله تعالى ثم نهى وقيل أراد بالعظام عظام هذا الرجل نفسه وذلك أن الله تعالى أمانه ثم بعثه ولم يمض حماره ثم قبل له انظر إلى حمارك فنظر فرأى حماره حياً قائماً كهيئته يوم ربطه

لفعل بعدها معناه ولتجعلك آية عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله أكثر المفسرين وقال الضحاك

لم
وغيره إنه عاد إلى قرينته شاباً وأولاده وأولاد أولاده شيوخ وعجائز وهو أسود الرأس واللحية قوله تعالى (وانظر إلى العظام كيف نشزها) قرأ أهل الحجاز والبصرة تنشزها بالراء معناها نحياها يقال أنشأ الله الميت إنشأه أو نشزه نشوراً قال الله تعالى «ثم إذا شاء أنشروه» وقال في اللازم وإليه النشور وقال الآخرون بالزاي أي رفعها من الأرض ونزدها إلى مكانها وتركب بعضها على بعض وإنشأ الشيء رفعه وإزعاجه فقال أنشزته فنشز أي رفعته فارتفع واختلوا في معنى الآية فقال الأكثرون أراد به عظام حماره وقال السدي إن الله تعالى أحياء عزيراً ثم قال له انظر إلى حمارك قد هلك وبلت عظامه فبعث الله تعالى ربحاً فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل وقد ذهبت بها الظير والسباع فاجتمعت فركب بعضها في بعض وهو ينظر فصار حماراً من عظام ليس فيه لحم ولا دم (ثم نكسوها لحماً) ثم كسى العظام لحماً ودماً فصار حماراً لاروح فيه ثم أخذ ملك يمشي حتى أخذ بمنخر الحمار

فلنخ فيه فقام الخمار وتوق باذن الله وقال قوم اراد به عظام هذا الرجل وذلك ان الله تعالى م يموت حماره بل امانه هو فاحيا الله عينيه وجراسه وسائر جسده ميت ثم قال انظر الى حمارك فنظر فرأى حمارا قائما واقفا كهياته يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرمة في عنقه جديدة لم تتغير وتقدير الآية وانظر الى حمارك وانظر الى عظامك كيف ننشرها وهذا قول قتادة عن كعب والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما والسدي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما لما احيا الله تعالى عزيرا بعد ما امانه مائة سنة وركب حماره حتى اتي محله فأنكره الناس ومنازله فانطلق على وهم حتى اتي منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد اتي عليها مائة وعشرون سنة كانت عرفته وعقلته فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم هذا منزل عزير وبكيت وقالت ما رأيت أحدا من كذا وكذا سنة يذكر عزيرا (٢٧٩) قال فاني أنا عزير قالت سبحان

لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرمة في عنقه جديدة لم تتغير ثم قيل له انظر الى العظام كيف ننشرها وذلك ان الله اول ما احيا منه عينيه فنظر فرأى سائر جسده ميتا وفي الآية تقديم وتأخير تقديره وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشرها ولتجعلك آية للناس وعن ابن عباس وغيره من المفسرين لما احيا الله عزيرا بعد ما امانه مائة سنة وركب حماره حتى اتي الى محله فأنكره الناس وأنكر منازله فانطلق على وهم حتى اتي منزله فاذا بعجوز عمياء مقعدة قد اتي عليها مائة وعشرون سنة وكانت أمة لهم ولما خرج عزير عنهم كانت بذت عشرين سنة وكانت قد عرفته وعقلته فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير فقالت نعم وبكيت وقالت ما رأيت أحدا يذكر عزيرا منذ كذا وكذا فقال أنا عزير فقالت سبحان الله إن عزيرا فقدناه من مائة سنة ولم نسمع له بذكر فقال إني عزير إن الله تعالى امانتي مائة سنة ثم احياني فقالت إن عزيرا كان رجلا مجاب الدعوة وكان يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية فادع الله أن يرد علي بصري حتى أراك فلان كنت عزيرا عرفتك قد دعا ربه ومسح بيده على عينها فصحتا وأخذ بيدها وقال لها قومي باذن الله تعالى فأطلق الله رجلها فصيححة فنظرت إليه وقالت أشهد أنك عزير وانطلقت إلى بني إسرائيل وهم في أنديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانية عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتكم فدعا عزير ربه فرد على بصري وأطلق رجلي وزعم أن الله تعالى قد امانه مائة سنة ثم بعثه قال فهض الناس إليه وقال ابنة كان لأبي شامة سوداء مثل الغلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فنظر إليها فرأها تعرف أنه عزير ، وقيل لما رجع عزير إلى قريته وقد أحرق مختصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين الخلق بيكي عزير على التوراة فأتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فثبت التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل وقد علمه الله التوراة وبعثه نبيا فقال أنا عزير فلم يصدقوه فقال إني عزير وقد بعثني الله إليكم لأجدد لكم توراتكم قالوا أملاها علينا فأملأها عليهم من ظهر قلبه فقالوا ما جعل الله التوراة في قلب رجل بعد ما ذهبت إلا أنه ابنة فقالوا عزير ابن الله وستأتي القصة في سورة التوبة إن شاء الله تعالى . وقوله تعالى (فلما تبين له) يعني فلما اتضح له عيانا ما كان ينكره من إحياء القرية ورآه عيانا في نفسه (قال أعلم)

الله فان عزيرا قد فقدناه من مائة سنة لم نسمع له بذكر قال فاني أنا عزير كان الله امانتي مائة سنة ثم بعثني قالت فان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة ويدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية فادع الله أن يرد لي بصري حتى أراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح بيده على عينها فصحتا وأخذ بيدها وقال قومي باذن الله تعالى فأطلق الله رجلها فصيححة فنظرت إليه فقالت أشهد أنك عزير فانطلقت إلى بني إسرائيل وهم في أنديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ كبير ابن مائة سنة وثمانية عشرة سنة

وبنو بنيه شيوخ في الخلس فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتكم دعا لي ربه فرد على بصري وأطلق رجلي وزعم أن الله كان امانه مائة سنة ثم بعثه فهض الناس فأقبلوا إليه فقال ولده كان لأبي شامة سوداء مثل الغلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هو عزير وقال السدي والكلبي لما رجع عزير إلى قومه وقد أحرق مختصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين الخلق بيكي عزير على التوراة فأتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فثبت التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل وقد علمه الله التوراة وبعثه نبيا فقال أنا عزير فلم يصدقوه ، فقال إني عزير قد بعثني الله إليكم لأجدد لكم توراتكم قالوا أملاها علينا فأملأها عليهم من ظهر قلبه فقالوا ما جعل الله التوراة في صدر رجل بعد ما ذهبت إلا أنه ابنة فقالوا عزير ابن الله وستأتي القصة في سورة براءة إن شاء الله تعالى (فلما تبين له) ذلك عيانا (قال أعلم) قرأ حمزة والكسائي مجزوما موصولا على الأمر

على معنى قال الله تعالى له اعلم وقرأ الآخرون أعلم بقطع الألف ورفع الميم على الخبر عن عزير أنه قال لما رأى ذلك أعلم (أن الله على كل شيء قدير) قوله تعالى (وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى) قال الحسن وقتادة وعطاء الخراساني والضحاك وابن جرير كان سبب هذا السؤال من إبراهيم عليه السلام أنه مر على دابة مبيتة كانت جيفة حمار بساحل البحر قال عطاء في بحيرة طبرية قالوا فرآها وقد توزعها دواب البحر والبر فكان إذ آمد البحر جاءت الحيتان دواب البحر فأكلت منها فما وقع منها بصير في البحر ، فإذا جزر البحر ورجع جاءت السباع فأكلن منها فما سقط منها يصير ترابا ، فإذا ذهبت السباع جاءت الطير فأكلت منها فما سقط منها قطعته الريح في الغواء ، فلما رأى ذلك إبراهيم عليه السلام تعجب منها وقال يارب قد علمت أنك لتجمعها (٢٨٠) من بطون السباع وحواصل الطير وأجواف دواب البحر فأرني كيف

تحببها لأعيننا فأزاد يقينا فعاتبه الله تعالى (قال أولم تؤمن قال بلى) يارب علمت وآمنت (ولكن ليطمئن قلبي) أي ليسكن قلبي إلى المعاينة والمشاهدة أراد أن يصير له علم اليقين عين اليقين لأن الخبر ليس كالمعاينة ، وقيل كان سبب هذا السؤال من إبراهيم أنه لما احتج على عمرود فقال ربني الذي يحيي ويميت قال عمرود أنا أحيي وأميت فقتل أحد الرجلين وأطلق الآخر ، فقال إبراهيم إن الله تبارك وتعالى يقصد إلى جسد ميت فيحييه فقال له عمرود أنت عابته فلم يقدر أن يقول نعم فانتقل إلى حجة أخرى ثم سأل ربه أن يريه إحياء الموتى

قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بقوة حجتي فإذا قيل أنت عابته فأقول نعم قد عابته وقال سعيد خليلا ابن جبير لما اتخذ الله تعالى إبراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه أن يأذن له فيبشر إبراهيم بذلك ، فأذن له فأتى إبراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره ، وكان إبراهيم عليه السلام أغبر الناس إذا أخرج أباه فلما جاء وجد في داره رجلا فثار عليه ليأخذه وقال له من أذن لك أن تدخل داري فقال أذن لي رب هذه الدار فقال إبراهيم صدقت وعرفت أنه ملك فقال من أنت قال أنا ملك الموت جئت أبشرك بأن الله تعالى قد اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل قال فما علامة ذلك قال أن يجيب الله دعائك ويحيي الله الموتى بسؤالك فحينئذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي إنك اتخذتني خليلا وتحييتني إذ دعوتك . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أحمد بن صالح أنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن

وصعد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ورحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي» وأخرج مسلم بن الحجاج (٢٨١) هذا الحديث عن حرملة بن يحيى عن

وهب بهذا الإسناد مثله وقال «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى» حكى محمد بن إسحاق بن خزيمة عن أبي إبراهيم إسماعيل ابن يحيى المزني أنه قال على هذا الحديث لم يشك النبي ﷺ ولا إبراهيم في أن الله قادر على أن يحيي الموتى وإنما شكافي أنه هل يجيها إلى ماسألا وقال أبو سايف الخطابي ليس في قوله نحن أحق بالشك من إبراهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم لكن فيه تقي الشك عنهما يقول إذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى فأبراهيم أولى بأن لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي» وفيه الإعلام أن المسئلة من إبراهيم عليه لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل زيادة العلم بالبيان والعيان يقيد من المعرفة والطأ، أيته مالا يفيد الاستدلال وقيل لما نزلت هذه الآية قال قوم شك إبراهيم ولم يشك نبينا ﷺ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من إبراهيم ومعناه أن هذا الذي تظنونوه شكاً أنا أولى به فانه ليس يشك وإنما هو طلب لمزيد اليقين وإنما أرجح إبراهيم صلى الله عليه وسلم على نفسه صلى الله عليه وسلم تواضعاً منه وأدباً وقيل أن يعلم أنه صلى الله عليه وسلم خير ولد آدم وأما تفسير الآية فقوله تعالى «وإذا قال إبراهيم أي واذكر يا محمد إذ قال إبراهيم وقيل إنه معطوف على قوله «ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه» والتقدير ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه ألم تر إذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى، قال يعني قال الله إبراهيم «أولم تؤمن» الألف في أولم تؤمن ألف إثبات وإيجاب كقول جرير: أستم خير من ركب المطايا. أي أستم كذلك والمعنى أو لست قد أمنت وصدقت أي أحيي الموتى قال بلى قد أمنت وصدقت ولكن ليطمئن قلبي يعني سألتك ذلك إرادة طمأنينة القلب وزيادة اليقين وقوة الحججة وقال ابن عباس: معناه ولكن لأرى من آياتك وأعلم أنك قد أجبتني (قال فخذ أربعة من الطير) قيل أخذ طاوساً وديكاً وحمامةً وغراباً وقيل تسرابداً

خليلاً سأل ملك الموت ربه أن يأذن له فيبشر إبراهيم بذلك فأذن له فأتى إبراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره وكان إبراهيم من أغبر الناس وكان إذا خرج أغلق بابيه فلما جاء وجد في الدار رجلاً فثار إليه ليأخذه وقال له من أذن لك أن تدخل داري فقال أذن لي رب الدار فقال إبراهيم صدقت وعرفت أنه ملك فقال له من أنت قال أنا ملك الموت جئتك أبشرك أن الله قد أخذك خليلاً فحمد الله عز وجل وقال له ما علامه ذلك قال أن يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى بسؤالك فحينئذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بأنك اتخذتني خليلاً وتجيبي إذا دعوتك وتعطيني إذا سألتك (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ورحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي» (القول على معنى الحديث) وما يتعلق به اختلف العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم «نحن أحق بالشك من إبراهيم» على أقوال كثيرة فأحسنها وأصحها ما نقل المزني وغيره من العلماء أن الشك مستحيل في حق إبراهيم فإن الشك في إحياء الموتى لو كان منوطاً إلى الأنبياء لكانت أنا أحق به من إبراهيم ولقد علمتم أني لم أشك فاعلموا أن إبراهيم لم يشك وإنما خص إبراهيم بالذكر لكون الآية قد يسبق إلى بعض الأذهان الفاسدة منها احتمال الشك فتنى ذلك عنه وقال الخطابي ليس في قوله نحن أحق بالشك من إبراهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم لكن فيه تقي الشك عنهما يقول إذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى فأبراهيم أولى بأن لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي» وفيه الإعلام بأن المسئلة من إبراهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل زيادة العلم بالبيان والعيان يقيد من المعرفة والطأ، أيته مالا يفيد الاستدلال وقيل لما نزلت هذه الآية قال قوم شك إبراهيم ولم يشك نبينا ﷺ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من إبراهيم ومعناه أن هذا الذي تظنونوه شكاً أنا أولى به فانه ليس يشك وإنما هو طلب لمزيد اليقين وإنما أرجح إبراهيم صلى الله عليه وسلم على نفسه صلى الله عليه وسلم تواضعاً منه وأدباً وقيل أن يعلم أنه صلى الله عليه وسلم خير ولد آدم وأما تفسير الآية فقوله تعالى «وإذا قال إبراهيم أي واذكر يا محمد إذ قال إبراهيم وقيل إنه معطوف على قوله «ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه» والتقدير ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه ألم تر إذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى، قال يعني قال الله إبراهيم «أولم تؤمن» الألف في أولم تؤمن ألف إثبات وإيجاب كقول جرير: أستم خير من ركب المطايا. أي أستم كذلك والمعنى أو لست قد أمنت وصدقت أي أحيي الموتى قال بلى قد أمنت وصدقت ولكن ليطمئن قلبي يعني سألتك ذلك إرادة طمأنينة القلب وزيادة اليقين وقوة الحججة وقال ابن عباس: معناه ولكن لأرى من آياتك وأعلم أنك قد أجبتني (قال فخذ أربعة من الطير) قيل أخذ طاوساً وديكاً وحمامةً وغراباً وقيل تسرابداً

(٣٦ - خازن بالغوي - أول)

باليقين فان العيان يقيد من المعرفة والطأ، أيته مالا يفيد الاستدلال وقيل لما نزلت هذه الآية قال قوم شك إبراهيم ولم يشك نبينا ﷺ فقال رسول الله ﷺ هذا القول تواضعاً منه وتقديراً لإبراهيم على نفسه . قوله «أولم تؤمن» معناه قد أمنت فلم تسأل؟ شهد له بالإيمان كقول جرير: أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطول راح يعني أنتم كذلك ولكن ليطمئن قلبي بزيادة اليقين (قال فخذ أربعة من الطير) قال مجاهد وعطاء وابن

جريح أخذ طابوسا وديكاً وحمامة وغراباً، وحكى عن ابن عباس رضي الله عنه وسرا يدل الحمامة وقال عطاء الخراساني أوحى إليه أن خذ بطة خضراء وغراباً أسود وحمامة بيضاء وديكاً أحمر (فصره من إليك) قرأ أبو جعفر وحمزة فصره من إليك بكسر السين أي قطعهم ومزقهن يقال صار يصير صبراً إذا قطع وانصار الشيء إنصاراً إذا انقطع قال الفراء هو مقلوب من صريرت نصري صرباً إذا قطعت وقرأ الآخرون فصره من بضم الصاد ومعناه أملهن إليك ووجههن يقال صرت الشيء أصوره إذا أملته ورجل أصور إذا كان مائل العنق وقال عطاء معناه اجتمعن واضمنهن إليك يقال صار يصور صوراً إذا اجتمع ومنه قيل لجماعة النحل صور ومن فسره بالإمالة (٢٨٢) والضم قال فيه إضمار معناه فصره من إليك ثم قطعهن فحذفه اكتفاء

بتوليه ثم اجعل على جبل منهن جزءاً لأنه يدل عليه؛ وقال أبو عبيدة فصره من معناه قطعهن أيضاً والصور القطع قوله تعالى (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً) قرأ عاصم برواية أبي بكر جزءاً مثقلاً مهموزاً والآخرون بالكسيف والهمزة وقرأ أبو جعفر مشدد الزاي بلا همز وأراد بعض الجبال، قال المفسرون أمر الله إبراهيم أن يذبح تلك الطيور وينتف ريشها ويقطعها ويخلط ريشها ودمها على سبعة أجزاء ووضعها على سبع أجيال وقال ابن عباس رضي الله عنه ما وقتادة أمر أن يجعل كل طائر أربعة أجزاء ويجعلها

الحمامة. فان قلت لم خص الطير من جملة الحيوانات بهذه الحالة. قلت لأن الطير صفة الطير ان في السماء والارتفاع في الغواء وكانت همة إبراهيم عليه السلام كذلك وهو العلو في الوصول إلى الملوك فكانت معجزته مشاكلة لهيمته. فان قلت لم خص هذه الأربعة الأجناس من الطير بالأخذ. قلت فيه إشارة في الطاوس إشارة إلى ما في الإنسان من حب الزينة والجاه وفي النكاح إشارة إلى شدة الشغف بالأكل وفي الديك إشارة إلى شدة الشغف بحب النكاح وفي الغراب إشارة إلى شدة الحرص، ففي هذه الطيور مشابهة لنا في الإنسان من حب هذه الأوصاف وفيه إشارة إلى أن الإنسان إذا ترك هذه الشهوات الذميمة لحق أعلى الدرجات في الجنة وفاز بنيل السعادات (فصره من قرئ بكسر الصاد ومعناه قطعهن ومزقهن وقرئ بضم الصاد ومعناه أملهن (إليك) ووجههن وقيل معناه اجتمعن واضمنهن إليك فمن فسره بالإمالة والضم قال فيه إضمار ومعناه فصره من إليك ثم قطعهن فحذفه اكتفاء بقوله (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً) لأنه يدل عليه قال المفسرون أمر الله تعالى إبراهيم صلى الله عليه وسلم أن يذبح تلك الطيور وينتف ريشها وأن يخلط ريشها ولحمها ودمها ببعضه ببعض ففعل ثم أمره أن يجعل على كل جبل منهن جزءاً. واختلفوا في عدد الأجزاء والجبال فقال ابن عباس رضي الله عنه ما أمر أن يجعل كل طائر أربعة أجزاء وأن يجعلها أربعة أجيال على كل جبل ربعاً من كل طائر قيل جبل على جهة الشرق وجبل على جهة الغرب وجبل على جهة الشمال وجبل على جهة الجنوب وقيل جزءاً سبعة أجزاء ووضعها على سبعة أجيال وأمسك رموسهن بيده ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله تعالى فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير إلى القطرة الأخرى وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى وكل عظم يطير إلى العظم الآخر وكل بضعة تطير إلى البضعة الأخرى وإبراهيم ينظر حتى لقيت كل جنة بعضها ببعض في السماء بغير رموس ثم أقبلن سعياً إلى رموسهن كلما جاء طائر مال برأسه فان كان رأسه دنا منه وإن لم يكن تأخر عنه حتى التقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى (ثم ادعهن يا أيها النبي) وقيل المراد بالسعي الإسراع والعدو وقيل المشي، والحكمة في سعي الطيور إليه دون الطيران لأن ذلك أبعد من الشبهة لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطيور أو أن أرجلها غير سليمة ففنى الله تعالى هذه الشبهة بقوله يا أيها النبي سعياً وقيل المراد بالسعي المشي والمراد بالمشي الطيران وفيه ضعف لأنه لا يقال للطائر إذا طار سعي

على أربعة أجيال على كل جبل ربعاً من كل طائر وقيل جبل

وقيل

على جانب الشرق وجبل على جانب الغرب وجبل على الشمال وجبل على الجنوب، وقال ابن جريج والسدي جزأها سبعة أجزاء ووضعها على سبعة أجيال وأمسك رموسهن ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير إلى القطرة الأخرى وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى وكل عظم يصير إلى العظم الأخرى وإبراهيم ينظر حتى لقيت كل جنة بعضها ببعضاً في الهواء بغير رأس ثم أقبلن سعياً فكلما جاء طائر مال برأسه، فان كان رأسه دنا منه وإن لم يكن تأخر حتى التقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى (ثم ادعهن يا أيها النبي سعياً) وقيل المراد

بالسعي الإسراع والعند وقيل المراد به المشي دون الطير كما قال الله تعالى **فاسعوا إلى ذكر الله** أي فامضوا والحكمة في المشي دون الطير أن كونه أبعد من الشبهة لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطير وأن أرجلها غير سليمة والله أعلم، وقيل السعي بمعنى الطيران (واعلم أن الله عزير حكيم) قوله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) فيه إضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم (كمثل زارع حبة) وأراد بسبيل الله الجهاد وقيل جميع أبواب الخير (أثبتت) أخرجت (ميسع سنابل) جمع سنبله (في كل سنبله مائة حبة) فان قيل فما رأينا سنبله فيها مائة حبة فكيف ضرب المثل به قيل ذلك متصور غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا جاز ضرب المثل به وإن لم يوجد (٢٨٣) معناه في كل سنبله مائة حبة

إن جعل الله فيها وقيل هو موجود في اللحن وقيل معناه أنها إن بذرت أثبتت مائة حبة فما حدث من البذر الذي كان فيها كان مضافا إليها وكذلك تأوله الضحاك فقال كل سنبله أثبتت مائة حبة (والله يضاعف لمن يشاء) قبل معناه يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء، وقيل معناه يضاعف على هذا وبزيد لمن يشاء ما بين سبع إلى سبعين إلى سبع مائة إلى ما شاء الله من الأضعاف مما لا يعلمه إلا الله (والله واسع) غنى يعطى عن سعة (علم) بلية من ينفق ماله . قوله تعالى (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) قال الكلبي نزلت هذه الآية في عثمان

وقيل السعي هو الحركة الشديدة (واعلم أن الله عزير) يعني أنه تعالى غالب على جميع الأشياء لا يعجزه شيء (حكيم) يعني في جميع أموره . قوله عز وجل (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) قيل أراد به الإنفاق في الجهاد وقيل هو الإنفاق في جميع أبواب الخير ووجوه البر فيدخل فيه الواجب والتطوع وفيه إضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله (كمثل حبة) أي كمثل زارع حبة (أثبتت) يعني أخرجت تلك الحبة (ميسع سنابل) جمع سنبله (في كل سنبله مائة حبة) . فان قلت فهل رأيت سنبله فيها مائة حبة حتى يضرب المثل بها . قلت ذلك غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا فضرب المثل به جائز وإن لم يوجد والمعنى في كل سنبله مائة حبة إن جعل الله ذلك فيها وقيل هو موجود في اللحن وقيل إن انقصود من الآية أنه إذا علم الإنسان الغائب للزيادة والريح أنه إذا بذر حبة واحدة أخرجت له سبع مائة حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك ولا التقتير فيه فكذلك ينبغي لمن طلب الأجر عند الله في الآخرة أن لا يترك الإنفاق في سبيل الله إذا علم أنه يحصل له بالواحد عشرة ومائة وسبع مائة (والله يضاعف لمن يشاء) يعني أنه تعالى يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء وقيل معناه يضاعف على هذا وبزيد لمن يشاء من سبع إلى سبعين إلى سبع مائة إلى ما يشاء من الأضعاف مما لا يعلمه إلا الله (والله واسع) أي غنى يعطى عن سعة وقيل واسع القدرة على الخجاسة وعلى الجرد والإفضال (علم) يعني بنية من ينفق في سبيله ، وقيل علم بمقادير الإنفاق وبما يستحق الثمن من الجزاء والثواب عليه . قوله عز وجل (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) قيل نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، أما عثمان فجهز المسلمين في غزوة تبوك بألف بعير بأقتابها وأحلاسها فنزلت هذه الآية وقال عبد الرحمن بن سمرة وجاء عثمان بألف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت يده فيها ويقلبها ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم فأزل الله تعالى (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) وأما عبد الرحمن فجاء بأربعة آلاف درهم صدقة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كان عندي ثمانية آلاف فأمسكت لنفسي ولعياي أربعة آلاف وأربعة آلاف أخرجتها لربي عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت والمعنى الذين يعينون المهاجرين في سبيل الله بالإففاق عليهم في حوائجهم ومؤنتهم (ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى) أي لا يتبع نفقته التي أنفقها عليهم باليمن والأذى

ابن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما وجاء عبد الرحمن بأربعة آلاف درهم صدقة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كان عندي ثمانية آلاف فأمسكت منها لنفسي وعيالي أربعة آلاف درهم وأربعة آلاف أقرضتها ربي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت وأما عثمان فجهز جيش المسلمين في غزوة تبوك بألف بعير بأقتابها وأحلاسها فنزلت فيهما هذه الآية، وقال عبد الرحمن بن سمرة وجاء عثمان رضي الله عنه بألف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يدخل فيها يده ويقلبها ويقول ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم فأزل الله تعالى : الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ، في طاعة الله (ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا) وهو أن يمن عليه بعبثه فيقول أعطيتك كلنا وبعد نعمه عليه فيكدرها (ولا أذى) هو أن

يعبره فيقول إلى كم تسأل ولم تؤذيني وقيل من الأذى هو أن يذكر إنفاقه عليه عند من لا يحب وقوفه عليه وقال شفيان منا
ولا أذى هو أن يقول قد أعطيتك (٣٨٤) فما شكرت قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كان أبي يقول إذا أعطيت

وهو أن يمن عليه بعطائه فيقول قد أعطيتك كذا وكذا فيعد نعمه عليه فيشكرها عليه والأذى هو أن يعبره فيقول كم تسأل وأنت فقير أبدا وقد بليت بك وأراحني الله منك وأمثال ذلك والمن في اللغة الإنعام والمنة النعمة الثقيلة يقال من فلان على فلان إذا أنقله بالنعمة ويكون ذلك بالقول أيضا ومنه قول الشاعر :

فمنى علينا بالسلام فانما كلامك يا قوت ودر منظم

ومن المن بالقول ما هو مستقبح بين الناس مثل أن يمن على الإنسان بما أعطاه، قال عبد الرحمن بن زيد كان أبي يقول إذا أعطيت رجلا شيئا ورأيت أن سلامك ينقل عليه فلا تسلم عليه والعرب تمدح بترك المن وكنم النعمة وتذم على إظهارها والمن بها قال قائلهم في المدح بترك المن :

زاد معروفك عندي عظما أنه عندك مستور حتمير

تفتاساه كأن لم تأته وهو في العالم مشهور كبير

وقال قائلهم يذم المنان بالنطاء :

أقوت قليلا ثم أسرع منة فنبلك ممنون لذلك قليل

وأما الأذى فهو ما يصل إلى الإنسان من ضرر بقول أو فعل . إذا عرفت هذا فنقول المن هو إظهار المعروف إلى الناس والمن عليهم به والأذى هو أن يشكو منهم بسبب ما أعطاهم فحرم الله تعالى على عباده المن بالمعروف والأذى فيه وذم فاعله . فان قلت قد وصف الله تعالى نفسه بالمنان فما الفرق . قلت المنان في صفة الله تعالى معناه المتفضل فمن الله إفضال على عباده وإحسانه إليهم فجميع ما هم فيه منة منه سبحانه وتعالى ومن العباد تعبير وتكبير فظهر الفرق بينهما . وقوله تعالى (لهم أجرهم) يعني ثوابهم (عند ربهم) يعني في الآخرة (ولا خوف عليهم) يعني يوم القيامة (ولا هم يحزنون) يعني على ما خلفوا من الدنيا (قول معروف) أي كلام حسن ورد جميل على الفقير السائل وقيل عدة حسنة توعد بها ، وقيل دعاء صالح تدعوه بظهر الغيب (ومغفرة) أي تسر عليه خلته ولا تهتك ستره وقال الكلبى والضحاك يتجاوز عن ظالمه وقيل يتجاوز عن الفقير إذا استطال عليه عند رده (خير من صدقة) أي مستغن من صدقة العباد (يتبعها أذى) وهو أن يعطى الفقير الصدقة ويمن عليه بها ويعبره بقول أو يؤذيه بفعل (والله غنى) أي مستغن عن صدقة العباد والغنى الكمال الغنى الذي لا يحتاج إلى أحد وليس كذلك إلا الله تعالى (حلیم) يعني أنه تعالى حلیم لا يعجل بالعقوبة على من يمن على عباده ويؤذى بصدقته . قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) يعني أجور صدقاتكم (بالمن والأذى) يعني على السائل الفقير وقال ابن عباس بالمن على الله تعالى والأذى لصاحبها ثم ضرب الله تعالى المثل فقال تعالى (كالذي ينفق ماله رثاء الناس) أي مراعاة لهم وسمعة ليروا نفقته ويقولوا إنه سخي كريم (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) يعني أن الرياء يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين لكن من فعل المنافقين لأن الكافر معان

رجلا شيئا ورأيت أن سلامك ينقل عليه فكف سلامك عنه فحظر الله على عباده المن بالصيغة واختص به صفة لنفسه لأنه من العباد تعبير وتكبير ومن الله إفضال وتذكير (لهم أجرهم) أي ثوابهم (عند ربهم) ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف) أي كلام حسن ورد على السائل جميل وقيل عدة حسنة وقال الكلبى دعاء صالح يدعوا لأخيه بظهر الغيب وقال الضحاك نزلت في إصلاح ذات البين (ومغفرة) أي تسر عليه خلته ولا تهتك عليه ستره وقال الكلبى والضحاك يتجاوز عن ظالمه وقيل يتجاوز عن الفقير إذا استطال عليه عند رده (خير من صدقة) يدفعها إليه (يتبعها أذى) أي من تعبير للسائل أو قول يؤذيه (والله غنى) أي مستغن من صدقة العباد (لا يعجل بالعقوبة على من يمن ويؤذى بالصدقة قوله تعالى) (يا أيها الذين آمنوا

لا تبطلوا صدقاتكم) أي أجور صدقاتكم (بالمن) على السائل وقال ابن عباس رضى الله عنهما بالمن على الله تعالى بكفره (والأذى) لصاحبها ثم ضرب المثل فقال (كالذي ينفق ماله) أي كالباطل الذي ينفق ماله (رثاء الناس) أي مراعاة وسمعة ليروا نفقته ويقولوا إنه سخي كريم (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) يريد أن الرياء يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء مع

في المؤمنين وهذا المنافق لان الكافر معلن بكفره غير مراء (فتلله) أي مثل هذا المرأى (كثل صفوان) وهو الحجر
 الأملس وهو واحد وجمع فن جعله جمعا فواحدة صفوانة ومن جعله واحدا فجمع صفوان (عليه تراب) أي على الصفوان (تراب
 فأصابه وابل) وهو المطر الشديد العظيم القطر (فتركه صلدا) أي أملس والصلد الحجر الصلب الأملس الذي لا شيء عليه فهنا
 مثل ضربه الله تعالى لتفقه المنافق والمرأى والمؤمن الذي يصدقته ويؤذي ويرى الناس في الظاهر أن هؤلاء أعمالا كما يرى
 التراب على هذا الصفوان فاذا كان يوم القيامة يطال كله وضمحل لأنه لم يكن لله كما أذهب الوابل ما على الصفوان من التراب
 فتركه صلدا (لا يقدر على شيء مما كسبوا) أي على ثواب شيء مما كسبوا عملوا في الدنيا (والله لا يهدي القوم الكافرين)
 أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل المرق أخبرنا أبو الحسن الطيغوسي أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري أخبرنا أحمد بن
 علي الكشميري أخبرنا علي بن حجر أخبرنا إسماعيل بن جعفر أخبرنا عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب عن عاصم بن عمر عن
 محمود بن لبيد أن النبي ﷺ قال : إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء
 يقول الله لهم يوم يجازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم ترامون في الدنيا (٢٨٥) فانظروا هل تجدون عندهم

جزاء ، أخبرنا أبو بكر
 محمد بن عبد الله بن
 أبي توبة أخبرنا أبو طاهر
 محمد بن أحمد الحارثي
 أخبرنا أبو الحسن محمد
 ابن يعقوب الكسافي
 أخبرنا عبد الله بن محمد
 ابن محمود أخبرنا إبراهيم
 ابن عبد الله الخلال أخبرنا
 عبد الله بن المبارك عن
 حيوة بن شريح أخبرني
 الوليد بن أبي الوليد
 أبو عثمان المدائني أن عتبة
 ابن مسلم حدثه أن أباسفيان
 الأصمعي حدثه أنه دخل
 المدينة فاذا هو برجل قد

بكفره غير مراء به (فتلله) أي مثل هذا المرأى بصدقته وسائر أعماله (كثل صفوان) هو الحجر
 الأملس الصلب وهو واحد وجمع فن جعله جمعا قال واحدة صفوانة ومن جعله واحدا قال
 جمعه صفوان (عليه تراب) أي على ذلك الصفوان تراب (فأصابه وابل) يعني المطر الشديد العظيم
 القطر (فتركه صلدا) يعني ترك المطر ذلك الصفوان صلدا أملس لا شيء عليه من ذلك التراب
 فهذا مثل ضربه الله تعالى لتفقه المنافق والمرأى والمؤمن المئان بصدقته يؤذي الناس يرى الناس
 أن هؤلاء أعمالا في الظاهر كما يرى التراب على الصفوان فاذا جاء المطر أذبه وأزاله وكذلك
 حال هؤلاء يوم القيامة تبطل أعمالهم وتضمحل لأنهم لم تكن لله تعالى كما أذهب الوابل ما على
 الصفوان من التراب (لا يقدر على شيء مما كسبوا) أي لا يقدر على ثواب شيء مما عملوا
 في الدنيا (والله لا يهدي القوم الكافرين) يعني الذين سبق في علمه أنهم يموتون على الكفر. روى
 البيهقي بسنده عن محمود بن لبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنما أخوف ما أخاف
 عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء يقال لهم يوم تجازى
 العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم ترامون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء » (م) عن
 أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى
 الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه . قوله عز وجل (ومثل
 الذين يتفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله) أي طلب رضا الله (وثبتنا من أنفسهم) يعني على

اجتمع عليه الناس فقال من هذا قال أبو هريرة فذنوب منه حتى قدمت بين يديه وهو يحدث الناس ، فلما سكث وخلا قلت له
 أنشدك الله بحق لما حدثني حديثا سمعته من رسول الله ﷺ فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله إذا كان
 يوم القيامة ينزل إلي العباد ليقتضى بينهم وكل أمة جانية فأول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل قتل في سبيل الله ورجل
 كثير المال فيقول الله للقارئ ألم أعلمك ما أنزلت على رسول فقال بلى يا رب قال فإذا عملت قال كنت أقوم به آنا الليل
 وآنا النهار فيقول الله له كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله تعالى بلى أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك
 ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلي أحد قال بلى يا رب قال فما عملت فيما آتيتك ؟ قال
 كنت أصل الرحم وأنصديق فيقول الله له كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله تعالى بلى أردت أن يقال فلان جواد
 فقد قيل ذلك ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله له فيماذا قتلت فيقول يا رب أمرت بالجهاد في سبيلك فماتت حتى قتلت
 فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله تعالى بلى أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك ثم ضرب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على ركبتي فقال يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق تسعر بهم النار يوم القيامة . قوله تعالى (ومثل الذين
 يتفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله) أي طلب رضا الله تعالى (وثبتنا من أنفسهم) قال قتادة احتسابا . وقال الشعبي والكوفي

نصديقا من انفسهم اى يخرجون الزكاة طيبة بها انفسهم على يقين بالثواب وتصديق بوعد الله يملكون ان ما اخرجوا خير لهم مما تركوا وقيل على يقين باختلاف الله عليهم وقال عطاء ومجاهد يثبتون اى يضعون اموالهم . قال الحسن كان الرجل اذا هم بصدقة يثبت فان كان الله امضى وإن كان يخالطه شك أمسك وعلى هذا القول يكون التثبيت بمعنى التثبيت كقوله تعالى «وتحمل إليه تبتيلا» اى تبئلا (كمثل جنة) (٢٨٦) اى يستأن قال المبرد والقراء اذا كان في البستان نخل فهو جنة وإن كان فيه

كرم فهو فردوس (بربوة) قرأ ابن عامر وعاصم بربوة والجزيرة في سورة المؤمنون بفتح الراء قرأ الآخرون بضمها وهي المكان المرتفع المستوى الذى تجرى فيه الأنهار فلا يعلوه الماء ولا يعلو عن الماء وإنما جعلها بربوة لأن النبات عليها أحسن وأزكى (أصاها وأبل) مطر شديد كثير (فأنت أكلها) ثمرها قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف وقرأ الباقون بالتثنية وزاد نافع وابن كثير تخفيف أكلها والأكل وخفف أبو عمرو رسلنا ورسلكم ورسلمهم وسبلنا (ضعفين) أى أضعفت في الحمل : قال عطاء حملت في سنة من الربيع ما يحمل غيرها في سنتين وقال عكرمة حملت في السنة مرتين (فان لم يصبها وأبل فظل) أى فطش وهو المطر الضعيف

الإفراق في طاعة الله تعالى وتصديقا بثوابه وقيل معناه إن انفسهم موقنة بصدق بوعد الله إياها فجا أنفت وقيل إحسانا وقيل تصديقا والمعنى أنهم يخرجون زكاة أموالهم وينفقون أموالهم في سائر وجوه البر والطاعات طيبة انفسهم بما أنفقوا على يقين بثواب الله وتصديق بوعد الله يملكون ان ما أنفقوا خير لهم مما تركوا وقيل معناه على يقين باختلاف الله عليهم وقيل معناه أنهم يثبتون في الموضوع الذى يضعون فيه صدقاتهم قيل كان الرجل إذا هم بصدقة يثبت فان كانت لله خاصة أمضاها وإن خالطه شك أورياه أمسك (كمثل جنة) اى يستأن قال القراء إذا كان في البستان نخل فهو جنة وإن كان فيه كرم فهو فردوس (بربوة) هي المكان المرتفع عن الأرض المستوى لأن ما ارتفع من الأرض عن مسيل الماء والأودية كان ثمرها أحسن وأزكى إذا كان لها من الماء ما يروىها وقيل هي الأرض المستوية الجيدة الطيبة إذا أصابها المطر انتفضت وربت فاذا كانت الأرض بهذه الصفة كثر ريعها وحملت أشجارها (أصاها وأبل) وهو المطر الكثير الشديد قال بعضهم : ماروضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها وأبل هطل

أراد بالحزن ما غاظ وارتفع من الأرض (فأنت أكلها ضعفين) أى فأعطت ثمرتها مثليتين قيل لأنها حملت في سنة من الربيع ما يحمل غيرها في سنتين وقيل أضعفت فحملت في السنة مرتين (فان لم يصبها وأبل فظل) أى طش وهو المطر الخفيف الضعيف ، والمعنى إن لم يكن أصاها وأبل وأصاها ظل فذلك حال هذه الجنة في تضاعف ثمرها فانها لا تنقص بالظل عن مقدار ثمرها بالوابل وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن الخالص في إنفاقه وسائر أعماله ، يقول الله تعالى كما أن هذه الجنة تربع وتركو في كل حال ولا تخلف سواء كان المطر قليلا أو كثيرا فكذلك يضعف الله صدقة المؤمن الخالص في صدقته وإنفاقه الذى لا يمن ولا يؤذى سواء قات نفقته أو كثرت (والله بما تعملون بصير) يعنى أن الله تعالى لا يخفى عليه نفقة الخالص في صدقته الذى لا يمن بها ولا يؤذى والذى يمن بصدقته ويؤذى قوله عز وجل (أبوء أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب) هذه متصلة بما قبلها وهو قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى أبود يعنى يجب أحدكم أن تكون له جنة أى بستان من نخيل وأعناب إما خصصهما بالذكر لأنهما أشرف الثواب وأحسنها ولما فيهما من الغذاء والتشكك (تجرى من تحتها الأنهار) يعنى أن جرى الأنهار فيها من تمام حسنها وسبب لزيادة ثمرها (له فيها من كل الثمرات) لأن ذلك من تمام كمال البستان وحسنه (وأصاها الكبير) يعنى صاحب هذه الجنة كثرت جهات حاجاته ولم يكن له كسب غيرها فحينئذ يكون في غاية الاحتياج إلى تلك الجنة فان قلت كيف عطف وأصاها الكبير على أبود وكيف يجوز عطف الماضى على المستقبل قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون له جنة حال ما أصاها الكبير والوجه الثانى أنه عطف على المعنى

الخفيف ويكون دائما قال السدى هو الذى، وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن الخالص فيقول كما أن هذه الجنة تربع في كل حال ولا تخلف سواء قل المطر أو كثر كذلك يضعف الله صدقة المؤمن الخالص الذى لا يمن ولا يؤذى سواء قلت نفقته أو كثرت وذلك أن الظل إذا كان يدوم يعمل عمل الوابل الشديد (والله بما تعملون بصير) أبود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار) هذه الآية متصلة بقوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى» أبود يعنى يجب أحدكم أن تكون له جنة أى بستان من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار (له فيها من كل الثمرات وأصاها الكبير

وله ذرية ضعفاء (أولاد صغار ضعفاء) مجزة (فأصابها إعصار) وهو الريح العاصف التي ترتفع إلى السماء كأنها عمود
وجمعه أعاصير (فيه نار فاحترقت) هذا مثل ضربه الله لعمل المنافق والمرائي يقول عمله في حسنة كحسن الجنة ينتفع به كما
ينتفع صاحب الجنة بالجنة فإذا كبر أو ضعفت وصار له أولاد ضعفاء وأصاب جنته أعصار فيه نار فاحترقت فصار أحوج
ما يكون إليها وضعفت عن إصلاحها لكبره وضعف أولاده عن إصلاحها (٢٨٧) لصغرهم ولم يجد هو ما يعود به

فكانه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر (وله ذرية ضعفاء) يعني له أولاد صغار
عجزت عن الحركة بسبب الضعف والصغر (فأصابها) يعني أصاب تلك الجنة (إعصار فيه نار
فاحترقت) الإعصار ريح ترتفع إلى السماء وتستدر كأنها عمود وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل
المنافق والمرائي يقول مثل عمل المنافق والمرائي بعمله في حسنة كحسن جنة ينتفع بها صاحبها فلما
كبر وضعف وصار له أولاد ضعفاء أصاب جنته إعصار فيه نار فأحرقها وهو أحوج ما يكون
إليها فحصل في قلبه من الغم والحسرة بما لا يعلمه إلا الله تعالى لكبره وضعفه وضعف أولاده فهو
لا يجد ما يعود به على أولاده وهم لا يجدون ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة لاجئة
بأيديهم فكذلك حال من أتى يوم القيامة بأعمال حسنة ولم يقصد بها وجه الله تعالى فيطلبها الله تعالى
وهو في غاية الحاجة إليها حين لا يستعيب له ولا توبة. وقال عبيد بن عمير قال عمر يوم أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترون نزلت هذه الآية أيود أحدكم قالوا الله أعلم فغضب عمر
وقال قولوا نعم أو لا نعم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين فقال عمر قل يا ابن
أخي ولا تحقر نفسك فقال ضرب الله مثلا لعمل قال لأي عمل قال لرجل غني يعمل بطاعة
الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله كلها (كذلك بين الله لكم الآيات)
يعني كما بين الله تعالى لكم أمر النفقة المقبولة وغير المقبولة كذلك بين الله لكم من الآيات
سوى ذلك (لعلكم تتذكرون) أي فتنهظوا وقال ابن عباس لعلكم تتذكرون يعني في زوال الدنيا
واقبال الآخرة. قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) أي من خيار
ما كسبتم وجيده وقيل من حلالات ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل على إباحة الكسب
وأنه ينقسم إلى طيب وخبيث. عن خولة الأنصارية قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن
هذا المال خضر حلو من أصابه بحق بورك له فيه ورب متخوض فيها شاءت نفسه من مال الله
ورسوله ليس له يوم القيامة إلا النار » أخرجه الترمذي. المتخوض الذي يأخذ المال من غير وجهه
كما يخوض الإنسان في الماء يمينا وشمالا (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن حلال أم من حرام » (خ) عن المقدم أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده
وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
« إن أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن أولادكم من كسبكم » أخرجه الترمذي والنسائي واختلفوا
في المراد بقوله تعالى أنفقوا فقيل المراد به الزكاة المقروضة لأن الأمر للوجوب والزكاة واجبة
فوجب صرف الآية إليها وقيل المراد به صدقة التطوع وقيل إنه يتناول الفرض والنفل جميعا

لأي رجل قال لرجل غني يعمل بطاعة الله بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله (كذلك بين الله لكم
الآيات لعلكم تتذكرون يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات) من خيار قال ابن مسعود رضي الله عنه ومجاهد من
حلالات (ما كسبتم) بالتجارة والصناعة وفيه دلالة على إباحة الكسب وأنه ينقسم إلى طيب وخبيث. أخبرنا عبد الواحد
ابن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سعدان أخبرنا أبو جعفر الزياتي أخبرنا حبيد بن زنجويه أخبرنا يعلى بن عبيد
أخبرنا الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « إن أطيب ما أكل الرجل من

كسبه وإن ولده من كسبه ، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبد الله بن صالح أخبرنا أبو معاوية بن صالح عن يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن المقدم ابن معد يكرب أنه حدثه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وكان داود لا يأكل إلا من عمل يده ، أخبرنا أبو القاسم (٢٨٨) يحيى بن علي بن محمد الكشميهني أخبرنا نجاح بن يزيد الحارثي بالكوفة

أخبرنا أبو جعفر محمد ابن علي بن دحيم الشيباني أخبرنا أحمد بن حازم أخبرنا يحيى بن عبيد أخبرنا أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد بن مرة الهمداني عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكتسب عبد مالا حراما فيتصدق منه فيقبل الله منه ولا يفتق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار إن الله لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيء بالخير إن الخبيث لا يمحو الخبيث ، والزكاة وأجبة في مال التجارة عند أكثر أهل العلم فبعد الحول يقوم العرض فيخرج من قيمتها ربع العشر إذا كان قيمتها عشرين دينارا أو مائتي درهم قال سمرة بن جندب وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمرنا أن نخرج

لأن المفهوم من هذا الأمر ترجيح جانب الفعل على الترك وهذا المفهوم قاصر مشترك بين الفرض والنفل فوجب أن يدخل تحت هذا الأمر فعلى القول الأول أن المراد من هذا الإنفاق هو الزكاة يتفرع عليه مسائل :

(المسئلة الأولى) ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة في كل مال يكتسبه الإنسان فيدخل فيه زكاة الذهب والفضة والنعم وعروض التجارة لأن ذلك يوصف بأنه مكتسب وذهب جمهور العلماء إلى وجوب الزكاة في مال التجارة وقال داود الظاهري لا تجب الزكاة بحكم التجارة في العروض إلا أن ينوي به التجارة في حال تملكه ودليل الجمهور ما روى عن سمرة بن جندب قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بإخراج الصدقة من الذي يعد للبيع ، وأخرجه أبو داود وعن أبي عمرو بن خماس أن أباه قال مررت بعمر بن الخطاب وعلي عتي أدمة أحملها فقال عمر ألا تؤدي زكاتها يا خماس فقلت مالي غير هذا وأهب في الترتظ قال ذلك مال فضع فوضعها فحسبها فأخذ منها الزكاة فإذا حال الحول على عروض التجارة قوم فإن بلغ قيمته عشرين دينارا أو مائتي درهم أخرج منه ربع العشر .

(المسئلة الثانية) في قوام تعالي (ومما أخرجنا لكم من الأرض) ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة في كل ما يخرج من الأرض من النبات مما يزرع الآدميون لكن جمهور العلماء خصصوا هذا العموم فأوجبوا الزكاة في التخييل والكروم وفيها بقتات ويدخر من الحبوب وأوجب أبو حنيفة الزكاة في كل ما يقصد من نبات الأرض كالقواكه والبقول والخضراوات كالبطيخ والفتاء والخيار ونحو ذلك ، دليل الجمهور ما روى عن معاذ أنه كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الخضراوات وهي البقول فقال ليس فيها شيء ، أخرجه الترمذي وقال هذا الحديث ليس بصحيح وليس يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شيء وإنما يروى هذا عن موسى بن طلحة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا والعمل على هذا عند أهل العلم أنه ليس في الخضراوات صدقة . قلت وحديث موسى بن طلحة أخرجه الشيخ مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني في أحكامه عن عطاء بن السائب قال أراد عبد الله بن المغيرة أن يأخذ من أرض موسى بن طلحة من الخضراوات صدقة فقال له موسى ابن طلحة ليس ذلك لك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ليس في ذلك صدقة ، رواه الأثرم في سننه وهو أقوى المراسيل لاحتجاج من أرسله به وقال الزهري والأوزاعي ومالك نجب الزكاة في الزيتون وتجب في البار عند بدو الصلاح وهو أن يبحر البسر ويصفر ووقت الإخراج بعد الاجتماع والحفاش وفي الحبوب عند الاشداد ووقت الإخراج بعد الدرس والتصفية .

الصدقة من الذي نعهده للبيع ، وعن أبي عمرو بن خماس أن أباه قال مررت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه (المسئلة) وعلى عتي أدمة أحملها فقال عمر ألا تؤدي زكاتها يا خماس فقلت مالي غير هذا وأهب في الترتظ فقال ذلك مال فضع فوضعها فأخذ منها الزكاة . قوله تعالي (ومما أخرجنا لكم من الأرض) قيل هذا أمر بإخراج العشور من الثمار والحبوب ، وانفق أهل العلم على إيجاب العشر في التخييل والكروم وفيها بقتات من الحبوب إن كان مسقيا بماء السماء أو من نهر يجري الماء إليه من غير مؤنة وإن كان مسقيا بسانية أو بنضح ففيه نصف العشر . أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي

أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا سعيد بن أبي مزيم أخبرنا عبد الله بن وهب أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم «فما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وفيما سقى بالنضح نصف العشر». أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الله بن نافع عن محمد بن صالح التمار عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن عثمان بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال في زكاة الكرم «يخرص كما يخرص النخل ثم تؤدي زكاته زبيبا كما يؤدي زكاة النخل ثمراه واختلف أهل العلم فيما سوى النخل والكروم وفيما سوى ما يقتات به من الحبوب فذهب قوم إلى أنه لا عشر في شيء منها وهو قول ابن أبي ليلى والشافعي رضي الله عنه وقال الزهري والأوزاعي ومالك رضي الله عنهم يجب في الزيتون وقال أبو حنيفة رضي الله عنه يجب العشر في جميع البقول والخضراوات كالثمار إلا الحشيش والخطب وكل ثمرة أوجبنا فيها الزكاة فانما يجب يبدو الصلاح ووقت الإخراج بعد الاجتناء والجفاف، وكل حب أوجبنا فيه (٢٨٩) العشر فوق وجوبه اشتداد

(المسئلة الثالثة) يجب إخراج العشر فيما سقى بالمطر والأنهار والعيون ونصف العشر فيما سقى بنضح أو سانية ويدل على ذلك ما روى عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «فما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وما سقى بالنضح نصف العشر» أخرجه البخاري ولأبي داود والسنائي قال «فما سقت السماء والأنهار والعيون أو كان بعلا العشر وما سقى بالسواني والنضح نصف العشر» قال أبو داود البعل ما شرب بعروقه ولم يتعن في سقيه وقال وكيع هو الذي يبت من ماء السماء قوله أو كان عثريا أراد به القوي من الزرع وهو البعل وقد فسره في لفظ الحديث والنضح هو الاستسقاء وكذلك السانية وهي الدابة التي يسقى عليها سواء كانت من الإبل أو البقر ولا يجب العشر في السماء والزرع حتى تبلغ خمسة أو سق والوسق ستون صاعا وقال أبو حنيفة يجب العشر في كل قليل أو كثير من الثمار والزرع واحتج الجمهور في إيجاب النصاب بما روى عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال «ليس فيها دون خمسة أوسق صدقة وليس فيها دون خمسة أواق صدقة وليس فيها دون خمسة ذود صدقة» وفي رواية «ليس فيها دون خمسة أوسق من تمر أو حب صدقة» أخرجه في الصحيحين ومن قال إن المراد بقوله تعالى «أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض» صدقة التطوع احتج بما روى عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعاً فبأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة» أخرجه في الصحيحين. وقوله تعالى (ولا تيمموا الخبيث) أي ولا تصدوا الخبيث يعني الرديء من أموالكم (منه تنفقون) أي من الخبيث. عن البراء بن عازب في قوله تعالى «ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون» قال نزلت

الحب ووقت الإخراج بعد الدياسة والتنقية ولا يجب العشر في شيء منها حتى تبلغ خمسة أوسق عند أكثر أهل العلم وعند أبي حنيفة رحمه الله يجب في كل قليل وكثير منها، واحتج من شرط النصاب بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي صعصعة المازني عن أبيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال

(٣٧ - خازن بالغوي - أول)

ليس فيها دون خمسة أوسق من التمر صدقة وليس فيها دون خمسة أواق من الورق صدقة وليس فيها دون خمس ذود من الإبل صدقة وروى يحيى بن عباد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ليس في حب ولا تمر صدقة» حتى تبلغ خمسة أوسق» وقال قوم الآية في صدقات التطوع. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو عروادة عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من مؤمن يغرس غرسا أو يزرع زرعاً فبأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له به صدقة» قوله تعالى (ولا تيمموا) قرأ ابن عامر برواية البرقي بتشديد التاء في الوصل فيها وفي أحواتها وهي إحدى وثلاثون موضعا في القرآن لأنه في الأصل تاء ان أسقطت إحداهما فرد هو الساقطة وأدغم وقرأ الآخرون بالتخفيف ومعناه لا تصدوا (الخبيث منه تنفقون) روى عن علي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: كانت الأنصار تخرج إذا كان جملاد النخل أقتاء من التمر والبسر فيعلاةونه على حبل بين الأسطوانتين في مسجد رسول الله ﷺ فبأكل منه فقراء المهاجرين فكان الرجل منهم يعمل فيدخل قنو الحشو وهو يظن أنه جائز عنه في كثرة ما يوضع من

الآقاء فنزل فيمن فعل ذلك «ولا تيمموا الخبيث» أي الحشف والردي، وقال الحسن ومجاهد والضحاك كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة أموالهم ويعزلون (٢٩٠) الجيد ناحية لأنفسهم فأزل الله تعالى «ولا تيمموا الخبيث» الردي منه تنفقون

فينا معشر الأنصار كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته وكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين فيعلته في المسجد وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم إذا جاع أتى القنو فضر به بعضا فسقط البسر أو التمر فيأكل وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي بالقنوفيه الشيص والحشف والقنو قد انكسر فيعلته فأزل الله تعالى «وبأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم يأخذوه إلا أن تغمضوا فيه» قال لو أن أحدكم أهدى إليه مثل ما أعطى لم يأخذه إلا على إغماض وحياء قال فكانا بهند ذلك يأتي أحدنا بصالح ما عنده أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة أموالهم ويعزلون الجيد لأنفسهم فأزل الله تعالى ولا تيمموا الخبيث يعني الردي منه تنفقون يعني تتصدقون (ولستم يأخذوه) يعني ذلك الشيء الخبيث الرديء (إلا أن تغمضوا فيه) الإغماض في اللغة غمض البصر وإطباق الجفن والمراد به هنا التجوز والمساهلة وذلك أن الإنسان إذا رأى ما يكره أغمض عينيه لئلا يرى ذلك قال ابن عباس معناه لو أن لأحدكم على رجل حقا فجاءه بهذا لم يأخذه إلا وهو يرى أنه قد أغمض عن حقه وتركه وقال البراء هو لو أهدى ذلك ما أخذتموه إلا على استحياء من صاحبه وغيبه فكيف ترضون لي مالا ترضون لأنفسكم إذا كان المال كله جريدا فليس له إعطاء الرديء لأن أهل السهمان شركاء له فيما عنده وإن كان كله ردينا فلا بأس بإعطاء الرديء (واعلموا أن الله غني) يعني عن صدقاتكم لم يأمركم بالتصدق لعوز واحتياج إليها (حميد) أي محمود في أفعاله وقيل حميد بمعنى حامد أي أجركم على ما نفعولونه من الخير . قوله عز وجل (الشیطان يعدكم الفقر) أي يخوفكم الفقر يقال وعدته خيرا ووعدته شرا وإذا لم يذكر الخير والشر يقال في الخير وعدته وفي الشر أوعدته والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد وأصله من كسر فقار الظهر ومعنى الآية أن الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل أمسك عليك مالك فانك إذا تصدقت افتضرت (وبأمركم بالفحشاء) يعني بوسوس لكم وبحسن لكم البخل ومنع الزكاة والصدقة قال الكلبي كل فحشاء في القرآن فهمي الزنا إلا هذا الموضع وفي هذه الآية لطيفة وهي أن الشيطان يخوف الرجل أولا بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف إلى أن يأمره بالفحشاء وهي البخل وذلك لأن البخل على صفة مذمومة عند كل أحد فلا يستطيع الشيطان أن يحسن له البخل إلا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر فلهذا قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر وبأمركم بالفحشاء (والله يعدكم مغفرة منه) يعني مغفرة لذنوبكم وسترا لكم (وفضلا) يعني رزقا وخلفا . فالمغفرة إشارة إلى منافع الآخرة والفضل إشارة إلى منافع الدنيا وما يحصل من الرزق والخلف . عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ «إن للشيطان لمة بآدم ولله لمة فأما لمة الشيطان فإبعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإبعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر وبأمركم بالفحشاء» أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن

(ولستم يأخذوه) يعني الخبيث (إلا أن تغمضوا فيه) الإغماض غمض البصر وأرادها هنا التجوز والمساهلة معناه لو كان لأحدكم على رجل حق فجاءه بهذا لم يأخذه إلا وهو يرى أنه قد أغمض له عن حقه وتركه قال الحسن وقتادة لو وجدتموه يبيع في السوق ما أخذتموه بسعر الجيد، وروى عن البراء قال ولو أهدى ذلك لكم ما أخذتموه إلا على استحياء من صاحبه وغيبه فكيف ترضون لي مالا ترضون لأنفسكم، هذا إذا كان المال كله جريدا فليس له إعطاء الرديء لأن أهل السهمان شركاءه فيما عنده فان كان كل ماله ردينا فلا بأس بإعطاء الرديء (واعلموا أن الله غني) عن صدقاتكم (حميد) محمود في أفعاله (الشیطان يعدكم الفقر) أي يخوفكم بالفقر ويقال وعدته خيرا ووعدته شرا قال الله تعالى في الخير وعدكم الله مغافم كثيرة» وقال في الشر النار وعندها الله الذين

كفروا فإذا لم يذكر الخير والشر قلت في الخير وعدته وفي الشر أوعدته والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد وأصله من كسر الفقار ومعنى الآية أن الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل أمسك عليك مالك فانك إذا تصدقت به افتضرت (وبأمركم بالفحشاء) أي بالبخل ومنع الزكاة وقال الكلبي كل الفحشاء في القرآن فهو الزنا إلا هذا (والله يعدكم مغفرة منه وفضلا)

أى لذئوبكم (والله واسع) عنى (عليه) أخبرنا حسان بن سعيد المنبجى أخبرنا أبو طاهر الزياتى أخبرنا محمد بن الحسين القطان أخبرنا أحمد بن يوسف السلمى أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن هشام بن عمار بن منه قال حدثنا أبو هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى يقول ابن آدم أنفق أنفق عليك» وقال قال رسول الله ﷺ «ومن الله ملائكة لا تضيئها نفقة سماء الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يفض مافى يمينه قال وعرشه على الماء ويده الأخرى القسط يرفع ويخفض» أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليجى أخبرنا (٢٩١) أحمد بن عبد الله النعمى

أخبرنا محمد بن يوسف
أخبرنا محمد بن إسماعيل
أخبرنا عبد الله بن سعيد
أخبرنا عبد الله بن نعيم
أخبرنا هشام بن عروة
عن فاطمة بنت المنذر
عن أسماء أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
ها «أنفقى ولا تحصى
فيحصى الله عليك ولا
توعى فيوعى الله عليك»
قوله تعالى (يؤتى الحكمة
من يشاء) قال السدى
هى النبوة وقال ابن عباس
رضى الله عنهما
وقتادة علم القرآن
ناسخه ومنسوخه ومحكمه
ومتشابهه ومقدمه ومؤخره
وحلاله وحرامه وأمثاله
وقال الضحاك القرآن
والفهم فيه وقال فى
القرآن مائة وتسع آيات
ناسخه ومنسوخه وألف
آية جلال وحرام لا يسع
المؤمنين تركهن حتى
يتعلموهن ولا يكونوا
كأهل النهران تأولوا
آيات من القرآن

غريب قوله إن للشيطان لمة بابن آدم الامة الخطرة الواحدة من الإلام وهو القرب من الشئ والمراد بهذه الامة الامة التى تقع فى القلب من فعل خير أو شر والعزم فأما لمة الشيطان فوسوسة وأما لمة الملك فالقام من الله تعالى (والله واسع) أى غنى قادر على إغنائكم وإخلاف ما تنفقونه (عليه) يعنى بما تنفقونه لا تنفى عليه خافية (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما من يوم يصبح فيه العباد إلا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط متفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً» (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «قال الله تعالى أنفق ينفق عليك» وفى رواية «يد الله ملائكة لا تضيئها نفقة سماء الليل والنهار وقال أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يفض مافى يده» وفى رواية «فانه لم يفض مافى يمينه وكان عرشه على الماء ويده الميزان يخفض ويرفع» وفى رواية ويده الأخرى الفيض القيرى يرفع ويخفض (ق) عن أسماء بنت أبى بكر الصديق قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنفقى ولا تحصى فيحصى عليك ولا توعى فيوعى عليك» قوله ولا توعى أى لا تشحى فيشح الله عليك فيجازيك بالنتير فيرزقك ولا يخاف عليك ولا يبارك لك، والمعنى لا تجمعى وتمنعى بل أنفقى ولا تعدى ولا تشحى. قوله عز وجل (يؤتى الحكمة من يشاء) قال ابن عباس هى علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومثابه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وقال الضحاك القرآن والفهم فيه وإنما قال ذلك لتضمن القرآن الحكمة وقال فى القرآن مائة وتسع آيات ناسخه ومنسوخه وألف آية حلال وحرام لا يسع المؤمنون تركهن حتى يعلموهن ولا يكونوا كأهل النهران يعنى الخوارج تأولوا آيات من القرآن فى أهل القبلة وإنما نزلت فى أهل الكتاب فجهلوا علمها فسفكروا بها الدماء وانتهبوا الأموال وشهدوا على أهل السنة بالضلالة فعليكم بعلم القرآن فإنه من علم فهم نزل لم يختلف فى شئ منه وقيل هى القرآن والعلم والفقه وقيل هى الإصابة فى القول والفعل. وحاصل هذه الأقوال إلى شيتين: العلم والإصابة فيه ومعرفة الأشياء بذواتها وأصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لأنها تمنعها قال الشاعر:
أبى حنيفة أحكموا سفهاءكم
أى امنعوا سفهاءكم، وقال السدى الحكمة النبوة لأن النبى يحكم بين الناس فهو حاكم وقيل الحكمة الورع فى دين الله لأن الورع يمنع صاحبه من أن يقع فى الحرام أو ما لا يجوز له فعله (ومن يؤت الحكمة) يعنى ومن يؤته الله الحكمة (فقد أوتى خيراً كبيراً) تنكير تعظيم معناه فقد أوتى أى خير كبير.

فى أهل القبلة وإنما نزلت فى أهل الكتاب جهلوا علمها فسفكروا بها الدماء وانتهبوا الأموال وشهدوا علينا بالضلالة فعليكم بعلم القرآن فإنه من علم فهم نزل لم يختلف فى شئ منه وقال مجاهد هى القرآن والعلم والفقه وروى ابن أبى نجيب عنه الإصابة فى القول والفعل وقال إبراهيم النخعى معرفة معانى الأشياء وفهمها (ومن يؤت الحكمة) من فى محل الرفع على ما لم يسم فاعله والحكمة خبره ٧ وقرأ يعقوب يؤتى الحكمة بكسر الراء أى من يؤته الله الحكمة دليله قراءة الأعمش ومن يؤته الله حكى عن الحسن ومن يؤت الحكمة قال الورع فى دين الله (فقد أوتى خيراً كثيراً) قال الحسن من أعطى القرآن فكأنما أدرجت النبوة

بين جنبيه لأنه لم يوح إليه (وما يذكر) يتعظ (إلا أولوا الأبواب) ذوو العقول . قوله تعالى (وما أنفقتم من نفقة) فإفترض الله عليكم (أو نذرتم من نذر) (٣٩٢) أي ما أوجبه الله عليكم في طاعة الله فوفيتم به (فإن الله يعلمه)

(وما يذكر إلا أولوا الأبواب) أي وما يتعظ بما وعظه الله إلا ذوو العقول الذين عقولوا عن الله أمره ونبيه. قوله عز وجل (وما أنفقتم من نفقة) يعني فيها فرضه الله عليكم من إعطاء زكاة وغيرها (أو نذرتم من نذر) يعني بهما أوجبتموه على أنفسكم في طاعة الله فوفيتم به والنذر أن يوجب الإنسان على نفسه شيئا ليس بواجب يقال نذرت لله نذرا وأصله من الخوف لأن الإنسان إنما يعتقد على نفسه النذر من خوفه التفتير في الأمر المهم والنذر في الشرع على ضربين مفسر وغير مفسر. فالمفسر أن يقول لله على صوم أو حج أو عتي أو صدقة فيلزمه الوفاء به ولا يجوز غيره وغير المفسر وهو أن يقول نذرت لله لا أفعل كذا ثم يفعله أو يقول لله على نذر من غير تسمية شيء فيلزمه فيه كفارة بيمين (خ) عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه» عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من نذر نذرا لم يدمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا في معصية فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا لا يطيقه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا فأطاقه فليف به» أخرجه أبو داود عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا نذر في معصية ولا فيما لا يملك ابن آدم» أخرجه النسائي (ق) عن ابن عمر «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال أنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل» (م) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن النذر لا يقرب من ابن آدم شيئا لم يكن الله قدره له ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج قال بعض العلماء يحتمل أن يكون سبب النهي عن النذر كون الناذر يصير ملتزما مالا يأتي به تكلفا من غير نشاط أو يكون سببه كونه يأتي به على سبيل المعارضة عن الأمر الذي طلبه فيتنص أجره وشأن العيادة أن تكون متمحضة لله تعالى وقال بعضهم يحتمل أن يكون النهي لسكونه قد يظن بعض الجهلة أن النظر رد القدر أو يمنع من حصول المقدور فتنبى عنه خوفا من اعتقاد ذلك وسباق الحديث يؤكد هذا، وقوله في بعض روايات الحديث إنه لا يأتي بخير معناه أنه لا يرد شيئا من القدر. وقوله فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج معناه أنه لا يأتي بهذه القرية تطوعا محضاً مبتدأ وإنما يأتي بها في مقابلة شيء يريد كقولنا إن شئني الله مريض فله على كذا ونحو ذلك مما يحصل بالنذر والله أعلم ، وقوله تعالى (فإن الله يعلمه) أي يعلم ما أنفقتم ونذرتم فيجازيكم به وإنما قال يعلمه ولم يقل يعلمها لأنه رد الضمير على الآخر منهما فهو كقولنا ومن يكسب خطيئة أو إثمًا ثم يرم به بريئًا وإن شئت حملته على ما كفو له «وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به» ولم يقل بهما (وما للظالمين) الواضعين الصدقة في غير موضعها بالرياء أو يتصدقون من الحرام (من أنصار) من أعوان يدفعون عذاب الله عنهم وهي جمع نصير مثل شريف وأشرف. قوله تعالى (إن تبدوا الصدقات) أي تظهروها (فنعما هي) أي نعمت الخصلة هي وما في محل الرفع وهي في محل النصب كما تقول نعم الرجل رجلا فإذا عرفت رفعت فقلت نعم الرجل زيد وأصله نعم ما وصلت قرأ أهل المدينة غير ورش وثبو عمرو وأبو بكر فعما بكسر النون وسكون العين وقرأ

يخفظه حتى يجازيكم به وإنما قال يعلمه ولم يقل يعلمها لأنه رده إلى الآخر منهما كقولنا تعالى «ومن يكسب خطيئة أو إثمًا ثم يرم به بريئًا وإن شئت حملته على ما كفو له» «وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به» ولم يقل بهما (وما للظالمين) الواضعين الصدقة في غير موضعها بالرياء أو يتصدقون من الحرام (من أنصار) من أعوان يدفعون عذاب الله عنهم وهي جمع نصير مثل شريف وأشرف. قوله تعالى (إن تبدوا الصدقات) أي تظهروها (فنعما هي) أي نعمت الخصلة هي وما في محل الرفع وهي في محل النصب كما تقول نعم الرجل رجلا فإذا عرفت رفعت فقلت نعم الرجل زيد وأصله نعم ما وصلت قرأ أهل المدينة غير ورش وثبو عمرو وأبو بكر فعما بكسر النون وسكون العين وقرأ

ابن عامر وحذرة والكسائي بفتح النون وكسر

العين وقرأ ابن كثير ونافع برواية ورش ويعقوب وحفص بكسرهما وكلها لغات صحيحة وكذلك في سورة النساء

الصدقات

(وإن تحموا) تسروها (وتؤتوها الفقراء) أي تؤتوها الفقراء في السر (فهو خير لكم) وأفضل وكل مقبول إذا كانت النية صادقة ولكن صدقة السر أفضل وفي الحديث صدقة السر تطفي غضب الرب. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد الخدري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «سبعة يظلهم الله في ظله يوم (٢٩٣) لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب

نشأ في عبادة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابيا في الله اجتمعا على ذلك وافتراقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق بيمينه وقيل الآية في صدقة التطوع أما الزكاة المفروضة فالإظهار فيها أفضل حتى يشتدي به الناس كالصلاة المكتوبة في الجماعة أفضل والنافلة في البيت أفضل وقيل الآية في الزكاة المفروضة كان الإخفاء فيها خيرا على عهد رسول الله ﷺ. أما في زماننا فالإظهار أفضل حتى لا يساء به الظن. قوله تعالى (ونكفر عنكم من سياتكم) قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر بالنون ورفع الراء

الصدقات (وإن تحموا) أي تسروا الصدقة (وتؤتوها الفقراء) أي وتعطوها الفقراء في السر (فهو خير لكم) يعني إخفاء الصدقة أفضل من العلانية وكل مقبول إذا كانت النية صادقة واختلفوا في المراد بالصدقة المذكورة في الآية فقال الأكثرون المراد بها صدقة التطوع واتفق العلماء على أن كتابان صدقة التطوع أفضل وإخفاؤها خير من إظهارها لأن ذلك أبعد من الرياء وأقرب إلى الإخلاص ولأن فيه بعدا عما تؤثره النفس من إظهار الصدقة وفي صدقة السر أيضا فائدة ترجع إلى التقير الآخذ وهي أنه إذا أعطى في السر زال عنده الذل والانكسار وإذا أعطى في العلانية يحصل له الذل والانكسار ويدل على أن صدقة السر أفضل ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في طاعة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابيا في الله تعالى اجتمعا على ذلك وافتراقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله تعالى ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق بيمينه أخرجه في الصحيحين ووجه جواز إظهار الصدقة يكون من قد أمن على نفسه من مداخلته الرياء في عمله أو يكون ممن يشتدي به في أفعاله فإذا أظهر الصدقة تابعه غيره على ذلك وأما الزكاة فإظهارها خيرها أفضل من كتابها كالصلاة المكتوبة في الجماعة أفضل وصلاة التطوع في البيت أفضل ولكن في إظهار الزكاة نبي التهمة عن المزي وقيل إن الآية واردة في زكاة الفرض وكان إخفاؤها خيرا على عهد رسول الله ﷺ لأنهم كانوا لا يظنون بأحد أنه يمنع الزكاة فأما اليوم في زماننا إظهار الزكاة أفضل حتى لا يساء الظن به وقيل إن الآية عامة في جميع الصدقات الواجبة والتطوع والإخفاء أفضل في كل صدقة من زكاة وغيرها. وقوله تعالى (ونكفر عنكم من سياتكم) قيل إن من صلة زائدة تقديره ونكفر عنكم سياتكم قال ابن عباس جميع سياتكم وقيل أدخل من للتبعيض ليكون العباد على وجل ولا يتكلموا والمعنى ونكفر عنكم الصغار من سياتكم وأصل التكفير في اللغة التغطية والستر (والله بما تعملون خبير) يعني من إظهار الصدقات وإخفاؤها. قوله عز وجل (ليس عليك هداهم) قيل سبب نزول هذه الآية أن ناسا من المسلمين كان لهم قرابات وأصهار في اليهود وكانوا ينفقون عليهم قيل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوا عليهم وأرادوا بذلك أن يسلموا وقيل كانوا يتصدقون على فقراء أهل المدينة فلما كثرت المسلمون نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصديق على المشركين كي تحم لهم الحاجة إلى الدخول في الإسلام لحرصه صلى الله عليه وسلم على إسلامهم فنزل ليس عليك هداهم ومعناه ليس عليك هداية من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لأجل أن يدخلوا في الإسلام فحينئذ تصدق عليهم فأعلمه الله

أي ونحن نكفر وقرأ ابن عامر وحفص بالياء ورفع الراء أي ونكفر الله وقرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي بالنون والجرم نسقا على الفاء التي في قوله فهو خير لكم لأن موضعها جزم بالجزء وقوله من سياتكم قيل من صلة تقديره نكفر عنكم سياتكم وقيل هو للتحقيق والتبعيض يعني نكفر الصغار من الذنوب (والله بما تعملون خبير ليس عليك هداهم) قال الكلبي سبب نزول هذه الآية أن ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة وأصهار في اليهود وكانوا ينفقون عليهم قيل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوا عليهم وأرادوا على أن يسلموا وقال سعيد بن جبيرة كانوا يتصدقون على فقراء أهل المدينة فلما كثرت فقراء المسلمين

ليس رسول الله ﷺ عن التصديق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الإسلام فنزل قوله « ليس عليك هدايتهم »
فمنعهم الصدقة ليدخلوا في الإسلام حاجة منهم إليها (ولكن الله يهدي من يشاء) وأراد به هداية التوفيق أما هدمي البيان
والدعوة كان على عهد رسول الله ﷺ فأعطوهم بعد نزول الآية (وما تنفقوا من خير) أي مال (فلا أنفسكم) أي تنفقوا ولا أنفسكم
(وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) لفظه جحد ومعناه نهي أي لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله (وما تنفقوا من خير) شرط كالأول
ولذلك حذف النون منهما (يوف إليكم) (٢٩٤) أي يوفركم جزاءه ومعناه يؤدي إليكم ولذلك دخل فيه إلى

(وأنتم لا تظلمون)

لا تنقصون من ثواب

أعمالكم شيئا وهذا

في صدقة التطوع أباح الله

تعالى أن توضع في أهل

الإسلام وأهل الذمة

فأما الصدقة المقرضة

فلا يجوز وضعها إلا

في المسلمين وهم أهل

السهام المذكورون

في سورة التوبة قوله تعالى

(للفقراء الذين أحصروا

في سبيل الله) اختلفوا

في موضع هذا اللام

قبل هي مردودة على

موضع اللام من قوله

فلا أنفسكم كأنه قال

وما تنفقوا من خير

فالفقراء وإنما تنفقون

لأنفسكم وقيل معناها

الصدقات التي سبق

ذكرها وقيل خبر محذوف

تقديره للفقراء الذين

صفتهم كذا حق واجب

وهم فقراء المهاجرين

كانوا نحو من أربع مائة

رجل لم يكن لهم مساكن

بالمدينة ولا عشاير وكانوا

تعالى أنه إنما بعث بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بأذنه فأما كونهم مهتدين فليس ذلك إليك (ولكن
الله يهدي من يشاء) يعني أن الله تعالى يوفق من يشاء فيهديه إلى الإسلام وأراد بالهداية هنا
هداية التوفيق وأما هداية البيان والدعوة فكانت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت
هذه الآية أعطوهم وتصدقوا عليهم (وما تنفقوا من خير) أي من مال (فلا أنفسكم) أي ما تنفقوا
تنفقوا به أنفسكم (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) ظاهره خبر ومعناه نهي أي ولا تنفقوا إلا
ابتغاء وجه الله وقال الزجاج هذا خاص للمؤمنين أعلمهم الله تعالى أنه قد علم أن مرادهم بفتحهم
ما عنده وقيل معناه لستم في صدقاتكم على أقاربكم من المشركين تفضلون إلا وجه الله وقد علم
هذا من قلوبكم فأنفقوا عليهم إذا كنتم إنما تنفقون بذلك وجه الله في صدقة الرحم وسد خلة
مضطر قال بعض العلماء لو أنفقت على شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك وأجمع العلماء
على أنه لا يجوز صرف الزكاة إلا إلى المسلمين وهم أهل السهام المذكورون في سورة التوبة
وجوز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر إلى أهل الذمة وخالفه سائر العلماء في ذلك فعلى هذا
تكون الآية مختصة بصدقة التطوع أباح الله تعالى أن تصرف إلى فقراء المسلمين وفقراء أهل
الذمة فأما زكاة الفرض فلا يجوز صرفها إلى أهل الذمة بحال (وما تنفقوا من خير يوفى
إليكم) أي يوفركم جزاءه وقال ابن عباس يجازيكم به يوم القيامة ومعناه يؤدي إليكم يوم
القيامة ولهذا حسن إدخاله إلى مع التوفيق لأنها تضمنت معنى التأدية (وأنتم لا تظلمون) أي
لا تنقصون شيئا من ثواب أعمالكم . قوله عز وجل (للفقراء) اختلفوا في موضع اللام في قوله
للفقراء فقيل هو مردود على موضع اللام من قوله فلا أنفسكم فكانه قال وما تنفقوا من خير
فالفقراء وإنما تنفقون لأنفسكم وقيل معناه الصدقات التي سبق ذكرها للفقراء وقيل خبر محذوف
تقديره للفقراء الذين من صفتهم كذا وكذا حق واجب وهم فقراء المهاجرين كانوا نحو أربع مائة
رجل لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشاير وكانوا يأوون إلى صفة في المسجد يتعلمون القرآن
بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهم أصحاب الصفة فحث الله تعالى الناس على مواساتهم فكان من عنده فضل أتاهم به
إذا أمسى وقوله (الذين أحصروا في سبيل الله) يعني هم الذين حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل
الله وقيل حبسوا أنفسهم على طاعة الله (لا يستطيعون ضربا في الأرض) يعني لا يتفرغون للتجارة
وطلب المعاش والسكسب وهم أهل الصفة الذين تقدم ذكرهم وقيل حبسهم الفقر والعدم عن
الجهاد في سبيل الله وقيل هم قوم أصابهم جراحات في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

في المسجد يتعلمون القرآن ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله ﷺ وهم أصحاب الصفة فصاروا
فحث الله تعالى عليهم الناس فكان من عنده فضل أتاهم به إذا أمسى والذين أحصروا في سبيل الله فيه أقاويل . قال قتادة هم هؤلاء
حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله (لا يستطيعون ضربا في الأرض) لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش وهم أهل الصفة الذين
ذكرناهم وقيل حبسوا أنفسهم على طاعة الله وقيل معناه حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله وقيل هؤلاء قوم أصابهم
جراحات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد في سبيل الله فصاروا زمنى أحصرهم المرض والزمانة عن الضرب

في سبيل الله للجهاد وقيل معناه من كثرة ما جاهدوا سارت الأرض كلها حربا لهم فلا يستطيعون ضربا في الأرض من كثرة أعدائهم (بحسبهم) قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحزمة بحسبهم وبابه بفتح السين وقرأ الآخرون بالكسر (الجاهل) بحلهم (أغنياء من التعفف) أي من تعففهم عن السؤال وقناعتهم بظن من لا يعرف حالهم أنهم أغنياء والتعفف التضعف من العفة وهي الترك يقال عفف عن الشيء إذا كف عنه وتعفف إذا شكف في الإمساك (تعرفهم بسياهم) السياء والسيما والسيما والسيما والسيما والسيما التي يعرف بها الشيء واختلفوا في معناها هنا فقال مجاهد هي التخضع والتواضع وقال السدي أثر الجهد من الحاجة والفقير وقال الضحاك صفرة ألوانهم من الجوع والضر وقيل رثانة ثيابهم (لا يسألون) (٢٩٥) الناس إلخافا) قال عطاء إذا كان

عندهم غداء لا يسألون عشاء وإذا كان عندهم عشاء لا يسألون غداء وقيل معناه لا يسألون الناس إلخافا أصلا لأنه قال من التعفف والتعفف قال ترك السؤال ولأنه قال تعرفهم بسياهم ولو كانت المسألة من شأنهم لما كانت إلى معرفتهم بالعلامة حاجة فغني الآية ليس لهم سؤال فيقع فيه إلخاف والإلخاف الإلخاف واللجاج أخبرنا الأستاذ الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أخبرنا أبو سعيد محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أخبرنا محمد بن يعقوب أخبرنا محمد بن عبد الله بن الحكم أخبرنا أنس بن عياض عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير قال

فصاروا زمني حصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله (بحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) أي بظن من لم يخبر حالهم أنهم أغنياء من التعفف وهو تضعف من العفة وهي ترك الشيء والكف عنه يقال تعفف إذا ترك السؤال وأزم القناعة والمعنى يظنهم من لم يعرف حالهم أغنياء لأظفارهم التجميل وتركهم المسئلة (تعرفهم بسياهم) السياء والسيما والسيما والسيما والسيما التي يعرف بها الشيء واختلفوا في معناها فقيل هي الخضوع والتواضع وقيل هي أثر الجهد من الحاجة والفقير وقيل هي صفرة ألوانهم من الجوع ورثانة ثيابهم من الضر (لا يسألون الناس إلخافا) يعني إلخافا قيل إذا كان عنده غداء لا يسأل عشاء وإذا كان عنده عشاء لا يسأل غداء وقيل لا يسألون الناس أصلا لأنه قال بحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وهو ترك المسئلة فعلم بذلك أنهم لا يسألون ألبتة ولأنه قال تعالى تعرفهم بسياهم ولو كانت المسئلة من شأنهم لما كانت من معرفتهم بالعلامة حاجة فعني الآية ليس يصدر منهم سؤال حتى يقع فيهم إلخاف فهم لا يسألون الناس إلخافا ولا غير إلخافا (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال ليس الغني عن كثرة العرض ولكن الغني غني النفس (ق) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمران والتمران ولكن المسكين الذي لا يجد غني يغنيه ولا يفتن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس لفظ (خ) عن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومستلته في وجهه خوش أو خلدوش أو كندوش وقيل يارسول الله ما يغنيه قال خمسون درهما أو قيمتها من الذهب أخرجه أبو داود والترمذي والسنائي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ من سأل وله قيمة أو قية فقد ألحف وأخرجه أبو داود وقال زاد هشام في حديثه وكانت الأوقية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين درهما وفي رواية عطاء بن يسار من سأل منكم واه أوقية أو عدلها فقد سأل إلخافا عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله أربعون درهما فهو ملحف أخرجه النسائي (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أشياءهم أعطوه أو منعوه أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمران قالوا فمن المسكين يارسول الله قال الذي لا يجد غني يغنيه ولا يفتن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلخافا) أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الظاهري أخبرنا جدي سهل بن عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أخبرنا محمد بن زكريا بن غدافر أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد الديري أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا

معر عن هارون بن ريان عن كنانة العدوي عن قبيصة بن عمار قال «إني تحملت بحمالة في قومي فأثبت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إني تحملت بحمالة في قومي وأثبتك لتعطيني فيها ، قال بل تحملها عنك يا قبيصة ونؤذيها إليهم من الصدقة ثم قال يا قبيصة أن المسئلة قد حرمت إلا في إحدى ثلاث: رجل أصابته حاجة فاجتاحت ماله فيسأل حتى يصيب قواما من عيشه ثم يمسك: ورجل أصابته حاجة حتى يشهد له ثلاثة نفر من ذوى الحجى من قومه لقد أصابت فلانا فإفة أن المسألة قد حلت له فيسأل حتى يصيب القوام من العيش ثم يمسك ورجل تحمل بحمالة فيسأل حتى إذا بلغ أمسك وما كان غير ذلك فإنه سمع يأكله صاحبه سمعا أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد الهجوي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي أخبرنا قتيبة أخبرنا شريك عن حكيم بن جبير عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسأله (٢٩٦) في وجهه غموش أو خدوش أو كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه

قال خمسون درهما أو قيمتها ذهباً ، قوله تعالى (وما تنفقوا من خير) من مال (فان الله به عليم) وعليه مجازى (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) روى عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب رضى الله عنه كانت عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا ويدرم نهارا ويدرم علانية وعن الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهم قال لما نزلت للفقراء

الله صلى الله عليه وسلم «من سأل الناس تكثرا فانما يسأل جمرا فليستعمل أو ليستكبر». وقوله تعالى (وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) يعنى أن الله تعالى يعلم مقادير الإنفاق ومجازى عليها ففيه حث على الصدقة والإنفاق في الطاعة . قوله عز وجل (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) قال ابن عباس في رواية عنه نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب كانت عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا ويدرم نهارا ويدرم سرا ويدرم علانية وفي رواية عنه قال « لما نزل للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله » بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة إلى أهل الصدقة وبعث علي بن أبي طالب في الليل بوسق من تمر فأرسل الله فيهما « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار » يعنى بنفقة الليل بنفقة على وبالنهار بنفقة عبد الرحمن وفي الآية إشارة إلى أن صدقة السر أفضل من صدقة العلانية لأنه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار وقدم السر على العلانية وقبل نزلت الآية في الذين يرتبطون الخيل للجهاد في سبيل الله لأنهم يلففونها بالليل والنهار وفي السر: والعلانية (خ) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا واحتسابا وتصديقا بوعده كان شيعه وربه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة » يعنى حسنات وقيل إن الآية عامة في الذين ينفقون أموالهم في جميع الأوقات ويعمونها أصحاب الحاجات والفاقات (فلهم أجرهم عند ربهم) أى جزاء أعمالهم (ولا تخوف عليهم ولا هم يحزنون) يعنى في الآخرة . قوله عز وجل (الذين يأكلون الربا) أى يعاملون به وإنما خص الأكل لأنه معظم الأمر المقصود من المال لأن المال لا يؤكل وإنما يصرف في الماء كقول ثم يؤكل فنع الله التصرف في الربا بما ذكر فيه من الوعيد (م) عن جابر قال « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء »

الذين أحصروا في سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة إلى أصحاب الصدقة وبعث علي بن أبي طالب رضى الله عنه في جوف الليل بوسق من تمر فأرسل الله تعالى فيهما « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار » الآية عنى بالنهار علانية صدقة عبد الرحمن بن عوف وبالليل سرا: صدقة على رضى الله عنه ، وقال أبو أمامة وأبو الدرداء ومكحول والأوزاعي نزلت في الذين يرتبطون الخيل للجهاد فانها تغلف ليلا ونهارا سرا وعلانية أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا علي بن جعفر أخبرنا ابن المبارك أخبرنا طلحة بن أبي سعيد قال سمعت سعيد المقبري يحدث أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم «من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده فان شيعه وربه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة وقوله تعالى (فلهم أجرهم عند ربهم) قال الأخصش جعل جواب الخبر بالفاء لأن الذين بمعنى من وجواب من بالفاء في الخبر أو معنى الآية من أنفق كذا فله أجره عند ربه (ولا تخوف عليهم ولا هم يحزنون) قوله تعالى (الذين يأكلون الربا) أى الذين يعاملون به

وأصل

ولما خص الأكل لانه معظم المقصود من المال (لا يقومون) يعني يوم القيامة من قورهم (إلا كما يشوم الذي يتخبطه) أي يصرعه (الشیطان) أصل الخيط الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط للتي تطأ الناس وتضرب الأرض بقوائمها (من المس) أي الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس إذا كان مجنوناً ومعناه أن آكل الربا يبعث يوم القيامة كتل المصروع. أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن محمد ابن يوسف أخبرنا عبد الله بن يحيى أخبرنا يعقوب بن سفيان أخبرنا إسماعيل بن سالم أخبرنا عباد بن عباد عن أبي هارون العبادي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٩٧) في قصة الإسراء قال: فانطلق

وأصل الربا في اللغة الزيادة يقال ربا الشيء برؤ إذا زاد وكثر فالربا الزيادة في المال (لا يقومون) يعني من قورهم يوم القيامة (إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان) أي يصرعه، وأصل الخيط الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط للتي تضرب الأرض بقوائمها وتطأ الناس بأخفافها ومنه قولهم: يخبط خبوطاً عشواء للرجل الذي يتصرف في الأمور على غير اعتدائه وتمييز وتدبير، وتخبطه الشيطان إذا مسه بخبل وجنون (من المس) يعني من الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس إذا كان به جنون ومعنى الآية أن آكل الربا يبعث يوم القيامة مثل المصروع الذي لا يستطيع الحركة الصحيحة لأن الربا زيا في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدر على الإسراع قال سعيد بن جبير تلك علامة آكل الربا إذا استحله يوم القيامة وروى البيهقي بسند الثعلبي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة الإسراء قال: فانطلق في جبريل إلى رجال كثير كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا قال فيقبلون مثل الإبل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فذبل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردوهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة قال وآل فرعون يقولون اللهم لا تقم الساعة أبداً قال ويوم القيامة يقول أدخلوا آل فرعون أشد العذاب قلت يا جبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس» قوله بطنه مثل البيت الضخم أي العظيم الكبير الغليظ، وقوله منضدين أي موضوعين بعضهم على بعض والسابلة الطريق، وقوله مثل الإبل المنهومة التهم بالتحريك إفراط في الشهوة بالطعام من الجوع. قوله عز وجل (ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا) أي ذلك الذي نزل بهم من العذاب بقولهم هذا واستحللهم إياه وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا حل ماله على غيره يظال به فيقول الغريم لصاحب الحق زدني في الأجل حتى أزيدك في المال فيبطل ذلك وكانوا يقولون سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند الخلل لأجل التأخير فكذبهم الله تعالى ورد عليهم ذلك بقوله (وأحل الله البيع وحرم الربا) يعني وأحل الله لكم الأرباح في التجارة بالبيع والشراء وحرم الربا الذي هو زيادة في المال لأجل تأخير الأجل وذلك لأن

(٣٨ - خازن بالبعوى - أول)

من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس. قوله تعالى (ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا) أي ذلك الذي نزل بهم لقولهم هذا واستحللهم إياه وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا حل ماله على غيره يظال به فيقول الغريم لصاحب الحق زدني في الأجل حتى أزيدك في المال فيبطل ذلك ويقولون سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند الخلل لأجل التأخير فكذبهم الله تعالى وقال (وأحل الله البيع وحرم الربا) واعلم أن الربا في اللغة الزيادة قال الله تعالى «وما آتيتكم من ربا ليربوا في أموال الناس» أي ليكثر فلا يربو عند الله فطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام في الجملة إنما المحرم زيادة على صفة

مخصوصة في مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبرنا أبو الحسن عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا
عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الوهاب عن أيوب بن
أبي تيمة عن محمد بن سيرين عن مسلم بن يسار ورجل آخر عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ولا تبعوا الذهب بالذهب ولا الورق بالورق ولا البر بالبر ولا الشعير بالشعير ولا التمر بالتمر ولا الملح بالملح إلا سواء
بسواء عينا بعين يدا بيد ولكن يبيعوا الذهب بالورق والورق بالذهب والبر بالشعير والشعير بالبر والتمر بالتمر والملح بالتمر إذا بيد كيف
شئتم تقص أحدهما الملح أو التمر (٢٩٨) أو زاد أحدهما ومن زاد أو استزاد فقد أربى وروى هذا الحديث مطرف

الله تعالى خلق الخلق فهم عبده وهو مالكم يحكم فيهم بما يشاء ويستعبدهم بما يريد ليس
لأحد أن يعترض عليه في شيء مما حل أو حرم وإنما على كافة الخلق الطاعة والتسليم لحكمه
وأمره ونهيه. وذكر بعض العلماء الفرق بين البيع والربا فقال إذا باع ثوبا يساوي عشرة
بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلا للعشرين فلما حصل التراضي على هذا التقابل صار كل
واحد منهما مقابلا للآخر في المالمية عندهما فلم يكن أخذ من صاحبه شيئا بغير عوض أما إذا
باع عشرة دراهم بعشرين فقد أخذ العشرة الزائدة بغير عوض ولا يمكن أن يقال إن العوض
هو الإمهال في مدة الأجل لأن الإمهال ليس مالا أو شيئا يشار إليه حتى يجعله عوضا عن
العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين .

(فصل : في حكم الربا وفيه مسائل)

(المسئلة الأولى) ذكروا في سبب تحريم الربا وجوها: أحدها أن الربا يقتضى أخذ مال الغير
بغير عوض لأن من يبيع درهما بدرهمين نقدا كان أو نسبة فقد حصل له زيادة درهم من
غير عوض فهو حرام. الوجه الثاني إنما حرم عقد الربا لأنه يمنع الناس من الاشتغال بالتجارة
لأن صاحب الدرهم إذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا
مشقة فيفضى ذلك إلى انقطاع منافع الناس بالتجارات وطالب الأرباح. الوجه الثالث أن الربا
هو سبب إلى انقطاع المعروف بين الناس من القرض فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض
الدراهم للمحتاج واسترجاع مثله لطلب الأجر من الله تعالى. الوجه الرابع أن تحريم الربا قد
ثبت بالنص ولا يجب أن يكون حكم جميع الشكايف معلومة للخلق فوجب القطع بتحريم
الربا وإن كنا لا نعلم وجه الحكمة في ذلك .

(المسئلة الثانية) اعلم أن الربا في اللغة هو الزيادة وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام
فثبت أن الزيادة المحرمة هو الربا وهو على صفة مخصوصة في مال مخصوص بينه رسول الله
صلى الله عليه وسلم (ق) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الذهب
بالورق ربا إلا هاء وهاء والبر بالبر ربا إلا هاء وهاء والشعير بالشعير ربا إلا هاء وهاء والتمر
بالتمر ربا إلا هاء وهاء» وفي رواية «الورق بالورق ربا إلا هاء وهاء والذهب بالذهب ربا إلا
هاء وهاء» (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الذهب بالذهب وزنا

وأثبتوا الربا في جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والفضة ونحوها. بوزن
وأما الأشياء الأربعة فذهب قوم إلى أن الربا ثبت فيها بعلة الكيل وهو قول أصحاب الرأي وأثبتوا الربا في جميع
المنكيات مطموما كان أو غير مطموم كالجص والنورة ونحوهما، وذهب جماعة إلى أن العلة فيها الطعم مع الكيل
والوزن فكل مطموم وهو مكيل أو موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما ليس بمكيل ولا موزون وهو قول سعيد بن المسيب
وقاله الشافعي رحمه الله في القديم وقال في الجديد يثبت فيه الربا بوصف الطعم وأثبت الربا في جميع الأشياء
المطمومة من الثمار والفواكه والبقول والأدوية مكيلة كانت أو موزونة لما روى عن معمر بن عبد الله قال كنت أسمع رسول

عن محمد بن سيرين عن
مسلم بن يسار وعبد الله
ابن عتيك عن عبادة ،
قال النبي صلى الله عليه وسلم
نص على ستة أشياء، وذهب
عامة أهل العلم إلى أن حكم
الربا يثبت في هذه الأشياء
الست بالأوصاف فيها
فيتعدى إلى كل ما لم توجد
فيه تلك الأوصاف ثم
اختلفوا في تلك الأوصاف
فذهب قوم إلى أن المعنى في
جميعها واحد وهو النفع
وأثبتوا الربا في جميع
الأموال وذهب الآخرون
إلى أن الربا يثبت في
الدراهم والدنانير بوصف
وفي الأشياء المطمومة
بوصف آخر. واختلفوا
في ذلك الوصف فقال
قوم ثبت في الدراهم
والدنانير بوصف التقديري
وهو قول مالك والشافعي
وقال قوم ثبت بعلة الوزن
وهو قول أصحاب الرأي

الله عز وجل يقول «الطعام بالطعام مثلاً بمثل» فجعلته مال الربا عند الشافعي ما كان (٢٩٩) تمنا أو مطعوماً والربا نوعان :

ربا الفضل وربا النساء
فاذا باع مال الربا بنفسه
مثلاً بمثل بأن باع أحد
التقدين بنفسه أو باع
مطعوماً بنفسه كالحنطة
بالحنطة ونحوها يثبت
فيه كلا نوعي الربا حتى
لا يجوز إلا متساويين
في معيار الشرع ، فإن
كان موزوناً كالدرهم
والدنانير فيشترط المساواة
في الوزن وإن كان مكيفاً
كالحنطة والشعير يبيع
بجلسه فيشترط المساواة
في الكيل ويشترط
التقايض في مجلس العقد
وإذا باع مال الربا بغير
جلسه نظر إن باع بما
لا يوافق في وصف الربا
مثل أن باع مطعوماً
بأحد التقدين فلا ربا فيه
كما لو باعه بغير مال
الربا وإن باعه بما يوافقه
في الوصف مثل أن باع
الدرهم بالدنانير أو باع
الحنطة بالشعير أو باع
مطعوماً بمطعوم آخر من
غير جنسه فلا يثبت فيه
ربا الفضل حتى يجوز
متفاضلاً أو جزافاً ويثبت
فيه ربا النساء حتى
يشترط التقايض في المجلس
وقول النبي صلى الله

بوزن مثلاً بمثل والفضة بالفضة وزناً بوزن مثلاً بمثل فمن زاد واستزاد فقد أربى، وفي رواية
«التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والملح بالملح مثلاً بمثل يدا بيد فمن زاد واستزاد
فقد أربى إلا ما اختلف ألوانه» (م) عن عباد بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم «الذهب بالذهب والفضة بالفضة واللبر باللبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح
مثلاً بمثل سواء يسوا يدا يدا فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد»
فخص رسول الله صلى الله عليه وسلم على جريان الربا في هذه الستة أشياء وهي النقدان وأربعة
أصناف من المطعومات وهي البر والشعير والتمر والملح، فذهب عامة أهل العلم إلى أن حكم الربا
ثبت في هذه الأشياء لأوصاف فيها فيعتدى إلى كل ما يوجد من تلك الأوصاف فيه ثم اختلفوا
في تلك الأوصاف فذهب قوم إلى أن المعنى في جميعها هو واحد وهو الضع فأنبتوا الربا في جميع
الأموال وذهب الأكثرون إلى أن الربا يثبت في الدراهم والدنانير بوصف وفي الأشياء المطعومة
بوصف آخر واختلفوا في ذلك الوصف فذهب الشافعي ومالك إلى أنه ثبت في الدراهم والدنانير
بوصف النقدية وذهب أصحاب الرأي إلى أنه ثبت بعلة الوزن فأنبتوا الربا في جميع الموزونات
مثل الحديد والنحاس والقطن ونحو ذلك وأما الأربعة أشياء المطعومة فذهب أصحاب الرأي
إلى أن الربا ثبت فيها بعلة الوزن والكيل فأنبتوا الربا في جميع المكيلات والموزونات مطعوماً
كان أو غير مطعوم كالخض والنورة ونحوها وذهب جماعة إلى أن العلة فيها الطعم مع الكيل
والوزن فكل مطعوم مكيل أو موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما سوى ذلك مما ليس بمكيل
أو موزون وهو قول سعيد بن المسيب والشافعي في القديم وقال في الجديد ثبت الربا فيها بوصف
الطعم فأنبت الربا في جميع الأشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والأدوية مكيلة
كانت أو موزونة لما روى عن معمر بن عبد الله أرسل غلامه بصاع قمح فقال به ثم اشتره
شعيراً فذهب الغلام فأخذ صاعاً وزيادة بعض من صاع فلما جاء معمر أخبره بذلك فقال
له معمر لم فعلت ذلك انطلق فرده ولا تأخذن إلا مثلاً بمثل فأنى كنت أسمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول «الطعام بالطعام مثلاً بمثل» وكان طعامنا الشعير قيل له فإنه ليس بمثله فقال
إني أخافت أن يضارع أخرجه مسلم فجعلته مال الربا عند الشافعي ما كان تمناً أو مطعوماً .

(المسألة الثالثة) الربا نوعان ربا فضل وهو الزيادة وربا نسيئة وهو الأجل فإن باع ما يدخل
فيه الربا بنفسه إن باع أحد التقدين بنفسه كالذهب بالذهب أو المطعوم بجنسه كالحنطة بالحنطة
ونحو ذلك فيشترط فيه التماثل والمساواة بمعيار الشرع فإن كان موزوناً كالدرهم والدنانير
فيشترط فيه المساواة في الوزن وإن كان مكيفاً كالحنطة والشعير يشترط في بيعه بنفسه المساواة
في الكيل ويشترط التقايض في مجلس العقد فإن باع ما يدخل فيه الربا بغير جلسه ينظر فإن
باع بما لا يوافق في وصف الربا مثل إن باع مطعوماً بأحد التقدين فلا ربا فيه كما لو باعه بغير
مال الربا فإن باعه بما لا يوافق في الوصف لاقى المجلس مثل أن باع الدرهم بالدنانير أو باع
الحنطة بالشعير أو كان مطعوماً بمطعوم آخر من غير جلسه فلا يثبت فيه ربا التفاضل فيجوز
بيعه متفاضلاً ويثبت فيه ربا النسيئة فيشترط في بيعه التقايض في المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم
«إلا يدا بيد» وقوله «هاء وهاء» ففيه اشتراط التقايض في المجلس وتحريم النسيئة وقوله صلى الله
عليه وسلم «لا يبيعوا الذهب بالذهب إلى أن قال إلا سواء بسواء» فيه إيجاب المائتة وتحريم الفضل عند اتفاق المجلس وقوله عينا
يعين فيه تحريم النساء ، وقوله يدا بيد كيف شئتم فيه إطلاق التفاضل عند اختلاف المجلس مع إيجاب التقايض في المجلس هذا

في ربا اللبايعه ، ومن أقرض شيئا بشرط أن يرد عليه أفضل فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا . قوله تعالى (فمن جاءه موعظة من ربه) تذكير وتخويف وإنما ذكر الفعل ردا إلى الوعظ (فانتهي) عن أكل الربا (فاه ماسلف) أي مامضى من ذنبه قبل النهي مغفور له (وأمره إلى الله) بعد النهي إن شاء عصمه حيث يثبت على الانتهاء وإن شاء خذله حتى يعود وقيل أمره إلى الله فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس إليه من أمر نفسه شيء (ومن عاد) بعد التحريم إلى أكل الربا مستحلا له (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (٣٠٠) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله

النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا محمد بن المنثري حدثني غندر أخبرنا شعبة عن عوف بن أبي جحيفة عن أبيه أنه قال (إن النبي ﷺ نهى عن ثمن الدم وثن الكلب وكسب البغي ولعن آكل الربا ومؤكله والواشمة والمستوشمة والمصور) أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أخبرنا إبراهيم بن محمد بن ميثان أخبرنا مسلم بن الحجاج أخبرنا زاهر بن حرب أخبرنا هشيم بن عمار أخبرنا أبو الزبير عن جابر رضي الله عنه قال (ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء) . أخبرنا أبو سعيد البرقي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو محمد

عليه وسلم « إلا سواء بسواء مثلا بمثل » ففيه إيجاب المماثلة وتحريم التفاضل عند اتفاق الجنس وقوله صلى الله عليه وسلم « فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم » ففيه إطلاق التبايع مع التفاضل عند اختلاف الجنس مع اشتراط التقابل في الجنس وهو قوله صلى الله عليه وسلم « إذا كان يدا بيد » والله أعلم .

(المسألة الرابعة) في القرض وهو من أقرض شيئا وشرط أن يرد عليه أفضل منه فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا يدل عليه ما روى عن مالك قال بلغني أن رجلا أتى ابن عمر فقال إني أسلفت رجلا سلما واشترطت عليه أفضل مما أسلفته فقال عبد الله بن عمر فذلك الربا أخرجه مالك في الموطأ قال فإن لم بشرط فضلا في وقت القرض فرد المستقرض أفضل مما أخذ جاز ويدل على ذلك ما روى عن مجاهد أن ابن عمر استلف دراهم فنضى صاحبها خيرا منها فأنى أن يأخذها وقال هذه خير من دراهمي فقال ابن عمر قد علمت ولكن نفسي بذلك طيبة أخرجه مالك في الموطأ . وقوله تعالى (فمن جاءه موعظة من ربه) أي تذكير وتخويف وإنما ذكر الفعل لأن تأنيبه غير حقيقى فجاز تذكيره وذلك لأن الوعظ والموعظة شيء واحد (فانتهي) أي عن أكل الربا (فاه ماسلف) أي مامضى من ذنبه قبل النهي مغفور له (وأمره إلى الله) يعني بعد النهي إن شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء وإن شاء خذله حتى يعود إلى أكل الربا وقيل معناه وأمره إلى الله فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس إليه من أمر نفسه شيء وقيل إن الآية فيمن يعتقد تحريم أكل الربا ثم يأكله فأمره إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه (ومن عاد) يعني إلى أكل الربا بعد التحريم مستحلا له (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) . قوله عز وجل (يمحى الله الربا) أي ينقصه ويهلكه ويذهب بركته قال ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة ولا حجاج ولا جهادا ولا صلة (ويرى الصدقات) أي يزيد بها ويشمرها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف أجرها في الآخرة (ق) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما تصدق أحد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الطيب إلا أخذها الرحمن يمينه وإن كانت ثمرة فتربوف كلف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يرى أحدكم قلوه أو فصيله » لفظ مسلم والبخاري « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله وفي رواية ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يقبلها يمينه ثم يربها لصاحبها كما يرى أحدكم قلوه حتى تكون مثل الجبل » (والله لا يحب كل كفار) يعني كل مصر على كفره مقيم عليه مستحل لأكل الربا (أئيم) يعني متآدبا في الإنم وفيه نهى عنه وأن من أكل الربا لا يترجر عنه ولا يتركه وقيل

أخبرنا أحمد بن الشرفي أخبرنا أحمد بن يوسف السلمى ، أخبرنا النضر بن محمد أخبرنا عكرمة بن عمار ، أخبرنا يحيى بن جابر قال حدثني أبو سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والربا سبعون بابا أهونها عند الله عز وجل كالذي ينكح أمه ، قوله تعالى (مححق الله الربا) أي ينقصه ويهلكه ويذهب بركته ، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما مححق الله الربا يعني لا يقبل منه صدقة ولا جهادا ولا حجاج ولا صلة (ويرى الصدقات) أي يشمرها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف بها الأجر والشواب في العقبى (والله لا يحب كل كفار) بتحريم الربا (أئيم) فاجر يأكله

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة هم أجروهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بيني من الربا) قال عطاء وعكرمة نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما وكانا قد أسلفا في التمر فلما حضر الجذاذ قال لصاحب التمر إن أنثا أخذتما حثكما لا يبقى لي ما يكفي عيالي فهل لكما أن تأخذنا النصف وتؤخرنا النصف أو تضعف لكما فنعلا فلما حل الأجل طلبا الزيادة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فهما فأنزل الله تعالى هذه الآية فسمعا وأطاعا وأخذا رموس أموالهما . (٣٠١) وقال السدي نزلت في العباس

وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا إلى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فأنزل تعالى هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع في خطبته يوم عرفة «ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أضع من دماءنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع من ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله» وقيل نزلت في أربعة إخوة من ثقيف وهم مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة بن عمرو بن عميرة بن عوف الثقفي كانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم وكانوا يرابون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف أسلم هؤلاء الإخوة بنو عمرو الثقفي وطلبوا رباهم من بني المغيرة فقال بنو المغيرة والله مانعني الربا في الإسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين فاختصموا إلى عتاب بن أسيد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب عتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بقضية الثقيفيين وكان ذلك مالا عظيما فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أي خافوا الله فيما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه وذروا ما بيني من الربا والمعنى وانكروا طلب ما بيني لكم ما فضل على رؤوس أموالكم (إن كنتم مؤمنين) يعني إن كنتم محققين لإيمانكم قولوا وفعلا (فإن لم تفعلوا) أي لم تركوا ما بيني من الربا بعد تحريمه (فأذنوا) قرء بكسر الهمزة والمد على وزن آمنوا ومعناه فاعلموا غيركم أنه حرب لله ورسوله وقرء فأذنوا بفتح الهمزة مع القصر ومعناه فاعلموا أنتم وأبقتوا (بحرب من الله ورسوله) قال ابن عباس يقال لا كل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال أهل المعاني حرب

يحتمل أن يكون الكفار راجعا إلى مستحل الربا والأثم وراجعا إلى من يفعله مع اعتقاد التحريم فتكون الآية جامعة للثقيفيين . قوله عز وجل (إن الذين آمنوا) يعني صدقوا بالله ورسوله (وعملوا الصالحات) يعني التي أمرهم الله بها (وأقاموا الصلاة) يعني المفروضة بأركانها وحدودها في أوقاتها (وآتوا الزكاة) يعني المفروضة عليهم في أموالهم (لم أجروهم عند ربهم) أي لهم ثواب أعمالهم في الآخرة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي يوم القيامة . قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بيني من الربا) قيل نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد أسلفا في التمر فلما كان وقت الجذاذ قال صاحب التمر لهما إن أنثا أخذتما حثكما لم يبقى لي ما يكفي عيالي فهل لكما أن تأخذنا النصف وتؤخرنا النصف أو تضعف لكما فنعلا فلما حل الأجل طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك النبي ﷺ فهما فأنزل الله هذه الآية فسمعا وأطاعا وأخذا رؤوس أموالهما ، وقيل نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا إلى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فيها رواء جابر من أفراد مسلم «ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أضع من دماءنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله» وقيل نزلت في أربعة إخوة من ثقيف وهم مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة بن عمرو بن عميرة بن عوف الثقفي كانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم وكانوا يرابون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف أسلم هؤلاء الإخوة بنو عمرو الثقفي وطلبوا رباهم من بني المغيرة فقال بنو المغيرة والله مانعني الربا في الإسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين فاختصموا إلى عتاب بن أسيد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب عتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بقضية الثقيفيين وكان ذلك مالا عظيما فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أي خافوا الله فيما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه وذروا ما بيني من الربا والمعنى وانكروا طلب ما بيني لكم ما فضل على رؤوس أموالكم (إن كنتم مؤمنين) يعني إن كنتم محققين لإيمانكم قولوا وفعلا (فإن لم تفعلوا) أي لم تركوا ما بيني من الربا بعد تحريمه (فأذنوا) قرء بكسر الهمزة والمد على وزن آمنوا ومعناه فاعلموا غيركم أنه حرب لله ورسوله وقرء فأذنوا بفتح الهمزة مع القصر ومعناه فاعلموا أنتم وأبقتوا (بحرب من الله ورسوله) قال ابن عباس يقال لا كل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال أهل المعاني حرب

ابن عمر بن مخزوم وكانوا يرابون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف أسلم هؤلاء الإخوة فطلبوا رباهم من بني المغيرة فقال بنو المغيرة والله مانعني الربا في الإسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين فاختصموا إلى عتاب بن أسيد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب عتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بقضية الثقيفيين وكان ذلك مالا عظيما فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بيني من الربا) إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا) أي إذا لم تنذروا ما بيني من الربا (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) قرء حمزة وعاصم برواية أبي بكر فأذنوا بالمد على وزن آمنوا ، أي فاعلموا

غيركم أنكم حرب لله ورسوله وأصله من الإذن أي أوقعوا في الأذان وقرأ الآخرون فأذنا مقصورا بفتح الذال أي فاعلموا
أنتم وأيقنوا بحرب من الله ورسوله . وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما يقال لا آكل الربا يوم القيامة خذ
سلاحك للحرب . قال أهل المعاني حرب الله النار وحرب رسول الله السيف (وإن تبتم) أي تركتم استحلال الربا ورجعتم عنه
(فلكم رموس أموالكم لا تظلمون) بطلب الزيادة (ولا تظلمون) بالنقصان عن رأس المال فلما نزلت الآية قال بنو عمرو
التقني ومن كان يعامل بالربا من غيرهم (٣٠٢) بل تنوب إلى الله فإنه لا يدان لنا بحرب من الله ورسوله فرضوا

رأس المال فشكبتو
المغيرة العسرة وقالوا
أخرونا إلى أن تدرك
الغلات فأبوا أن
يؤخروا فأنزله الله تعالى
(وإن كان ذو عسرة)
يعني وإن كان الذي عليه
الدين معسرا رفع الكلام
باسم كان ولم يأت لها
غير وذلك جائز في
الشكوة تقول إن كان
رجل صالحا كرمه وقيل
كان بمعنى وقع وحينئذ
لا يحتاج إلى خبر قرأ
أبو جعفر عسرة بضم
السين (فتظرة) أمر في
صيغة الخبر تقديره فعليه
تظرة (إلى ميسرة) قرأ
نافع ميسرة بضم السين
وقرأ الآخرون بفتحها
وقرأ مجاهد ميسرة بضم
السين مضافا ومعناه
اليسار والسعة (وأن
تصدقوا) أي تركوا
رموس أموالكم إلى

الله النار وحرب رسول الله السيف واختلفوا في معنى هذه أخباره فقبل المراد بها المبالغة في الوعيد
والتهديد دون نفس الحرب، وقيل بل المراد منه نفس الحرب وذلك أن من أصر على أكل
الربا وعلم به الإمام قبض عليه وأجرى فيه حكم الله من التعزير والخمس إلى أن يظهر منه
التوبة وإن كان آكل الربا ذا شوكة وصاحب عسكر حاربه الإمام كما يحارب الفتنة الباغية قال
ابن عباس من كان مقيما على أكل الربا لا ينزع عنه فحتى على إمام المسلمين أن يستتبه فان
نزع أي تاب وإلا ضرب عنقه (وإن تبتم) أي إن تركتم أكل الربا ورجعتم عنه (فلكم رؤوس
أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) يعني لا تظلمون أنتم العرم بطلب زيادة على رأس المال
ولا تظلمون أنتم بنقصان رأس المال فلما نزلت هذه الآية قال بنو عمرو التقني ومن كان
يعامل بالربا من غيرهم بل تنوب إلى الله فإنه لا يدان لنا يعني لا قوة لنا بحرب الله ورسوله
ورضوا برؤوس أموالهم فشكبتو المغيرة العسرة ومن كان عليه دين وقالوا أخرونا إلى أن
تدرك الغلات فأبوا أن يؤخروهم فأنزله الله عز وجل (وإن كان ذو عسرة) يعني وإن كان
الذي عليه الحق من غرمائكم معسرا والعسر نقبض اليسر وهو تعذر وجدان المال وأصر
الرجل إذا أضاق ولم يجد ما يؤديه في دينه (فتظرة) أي فامهاك وتأخير (إلى ميسرة) أي إلى
زمن اليسار وهو ضد الإعسار وهو وجدان المال الذي يؤديه في دينه واختلفوا في حكم الآية
وهل الإنظار يختص بالربا أم هو عام في كل دين على قولين: القول الأول وهو قول ابن عباس
وشرح والضحاك والسدي أن الآية في الربا وذكر عن شرح أن رجلا خاصم رجلا إليه
فقتضى عليه وأمر بحبسه فقال رجل كان عند شرح إنه معسر والله تعالى يقول في كتابه وإن
كان ذو عسرة فتظرة إلى ميسرة فقال شرح إنما ذلك في الربا وإن الله تعالى قال في كتابه «إن
الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل» ولا يأمرنا
الله بشيء ثم يعذبنا عليه. والقول الثاني وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين أن حكم الآية
عام في كل دين على معسر واحتجوا بأن الله تعالى قال (وإن كان ذو عسرة ولم يقل ذا عسرة
ليكون الحكم عاما في جميع المعسرين) (وأن تصدقوا خير لكم) يعني وإن تصدقوا على المعسر
بما عليه من الدين فتركوا رموس أموالكم للمعسر خير لكم وإنما جاز هذا الحذف للعلم به لأنه
قد جرى ذكر المعسرين وذكر رأس المال فعمل أن التصديق راجع إليهما (إن كنتم تعلمون)
يعني أن التصديق خير لكم وأفضل لأن فيه الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى

(فصل)

المعسر (خير لكم إن كنتم تعلمون) قرأ عاصم تصدقوا بتخفيف الصاد والآخرون

بتشديد الصاد أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد الفاضل أخبرنا أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان أخبرنا أبو العباس
إسماعيل بن عبد الله الميكني أخبرنا عبد الله بن أحمد بن موسى بن عبدان الحافظ أخبرنا أبو طاهر أحمد بن عمرو بن السرح
أخبرنا بن وهب عن جرير بن حازم عن أيوب عن يحيى بن كثير عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه أنه كان يطلب رجلا بحق
فاختبى منه فقال ما حملك على ذلك قال العسرة فاستحافه على ذلك فحلفت فدعا بصبك فأعطاه إياه وقال سمعت رسول الله
ﷺ يقول «من أنظر معسرا ووضع عنه أنجاه الله من كرب يوم القيامة» أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور

محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبيد الله بن موسى أخبرنا
 لإسرائيل عن منصور عن ربعي عن ابن مسعود رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم، «إن الملائكة لتعلقن بروح
 رجل كان قبلكم فقالوا له هل علمت خيرا قط قال لا قالوا تذكر قال لا إلا أني رجل كنت أداين الناس فكنت أمر فتياي أن
 ينظروا المعسر ويتجاوزوا عن المعسر قال الله تبارك وتعالى تجاوزوا عنه» أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور
 السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا أحمد بن (٣٠٣) عبد الله أخبرنا زائدة عن

(فصل: في ثواب إنظار المعسر والوضع عنه وتشديد أمر الدين والأمر بقضائه)

(م) عن أبي قتادة أنه طلب غريما له فتوارى عنه ثم وجده فقال إني معسر قال الله قال
 آله قال فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول «من سزاه أن ينجيها الله من كرب القيامة فليبتس
 عن معسر أو يضع عنه» (م) عن أبي اليسر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 «من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» (ق) عن أبي هريرة أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «كان فيمن كان قبلكم تاجر يداين الناس فان رأى معسرا
 قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فتجاوزوا عنه» وعن أبي موسى أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال «إن أعظم الذنوب عند الله أن يلقاه به عبد بعد الكفاية التي نهي الله عنها
 أن يموت رجل وعليه دين لا يدع له قضاء» أخرجه أبو داود (بخ) عن أبي هريرة قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عز وجل عنه ومن
 أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله» (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال «مطل الغني ظلم زاد في رواية وإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع» (ق) عن كعب بن مالك
 أنه تخاصى ابن أبي حنيفة دينا كان له في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فارتفعت
 أصواتهم حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فخرج إليهما حتى كشف
 سجد حجرتهم فنادى فقال يا كعب قلت لبيك يا رسول الله فأشار بيده أن يضع الشطر من
 دينك فقال كعب قد فعلت يا رسول الله قال قم فاقضه (ق) عن أبي هريرة قال «كان لرجل
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم سن من الإبل فجاء بتقاضاه فقال أعطوه فطلبوا منه فلم
 يجدوا إلا سنا فوقها فقال أعطوه فقال أوفيتني وفالك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن
 خيركم أحسنكم قضاء وفي رواية أنه أغلظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين استقضاه حتى
 هم به بعض أصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا ثم أمر له بأفضل من سنه» (م) عن
 أبي قتادة الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم «أنه قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل
 الله والايمن بالله أفضل الأعمال فقام رجل فقال يا رسول الله أرأيت أن قتلت في سبيل الله
 تكفر عني خطايي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت
 صابر محتسب مقبل غير مدبر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت قال أرأيت
 إن قتلت في سبيل الله أنتكفر عني خطايي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وأنت

عبد الملك بن عمير عن
 ربعي عن أبي اليسر قال
 سمعت النبي صلى الله عليه
 وسلم يقول «من أنظر
 معسرا أو وضع عنه
 أظله الله في ظله يوم لا ظل
 إلا ظله»
 (فصل: في الدين وحسن
 قضائه وتشديد أمره)
 أخبرنا عبد الواحد
 المليحي أخبرنا أحمد بن
 عبد الله النعماني أخبرنا
 أحمد بن يوسف أخبرنا
 محمد بن إسماعيل أخبرنا
 أبو الوليد أخبرنا شعبة
 أخبرنا سلمة بن كهيل
 قال سمعت أبا سلمة بن
 يحدث عن أبي هريرة
 رضي الله عنه أن رجلا
 تخاصى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فأغلظ له
 فهم به أصحابه فقال
 «دعوه فان لصاحب
 الحق مقالا واشتروا
 له بعيرا فأعطوه إياه
 قالوا لا نجد إلا أفضل

من سنه قال اشتروه فأعطوه إياه فان خياركم أحسنكم قضاء» أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد
 السرخسي أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنهما أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «مطل الغني ظلم فاذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع» أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب
 أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا إبراهيم بن سعيد بن
 إبراهيم عن أبيه عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «نفس المؤمن
 معلقة بدينه حتى يقضى عنه» أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا

أبو مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن عبد الله بن أبي قتادة الأنصاري عن أبيه أنه قال وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله صاروا محتسبا مقبلا غير مدبر يكفر الله عنى خطاياي فقال رسول الله ﷺ نعم فلما أدبر ناداه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمر به فتودي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت فأعاد عليه قوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم إلا الدين كذلك قال جبريل ؑ قوله تعالى (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) قرأ أهل البصرة (٣٠٤) بفتح التاء أي تصيرون إلى الله وقرأ الآخرون بضم التاء وفتح

الجيم أي تردون إلى الله تعالى (ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) قال ابن عباس رضي الله عنه هذه آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل عليه السلام ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدًا وعشرين يوما: وقال ابن جريج تسع ليال وقال سعيد بن جبير سبع ليال ومات يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول حين زاغت الشمس سنة إحدى عشرة من الهجرة قال الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الربا. قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا تدابرتم بدين إلى أجل مسمى) قال ابن عباس رضي الله

صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين فإن جبريل قال لي ذلك عن محمد بن جحش قال وكنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه إلى السماء ثم وضع يده على جبهته ثم قال: سبحان الله ماذا نزل من التشديد فسكتنا وفرغنا فلما كان من الغد سأله يا رسول الله ما هذا التشديد الذي نزل فقال والذي نفسي بيده لو أن رجلا قتل في سبيل الله ثم أحيى ثم قتل ثم أحيى وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى عنه دينه أخرجه النسائي. قوله عز وجل (وآتوا) أي وخافوا (يوما ترجعون فيه إلى الله) قرئ بفتح التاء أي تصيرون فيه إلى الله وقرئ بضم التاء وفتح الجيم أي تردون فيه إلى الله (ثم توفي كل نفس ما كسبت) يعني من خير أو شر (وهم لا يظلمون) أي في ذلك اليوم. وفي هذه الآية وعد شديد وزجر عظيم قال ابن عباس هذه آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل وضعها على رأس مائتين وثمانين من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدًا وعشرين يوما وقبل سبع ومات صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الأول في يوم الاثنين سنة إحدى عشرة من الهجرة وروى الشعبي عن ابن عباس إن آخر آية نزلت آية الربا. قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا تدابرتم بدين) قال ابن عباس لما حرم الربا أباح السلم وقال أشهد أن السلف المضءون إلى أجل مسمى قد أحله الله في كتابه وأذن فيه وقوله إذا تدابرتم أي تعاملتم بالدين أو دابن بعضكم بعضا والتدابن تفاعل من الدين يقال دابنته إذا عاملته بالدين وإنما قال بدين بعد قوله إذا تدابرتم لأن المدابنة قد تطلق على المجازاة وعلى المعاطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ ويخلص أحد المعتنين من الآخر وقيل وإنما قال بدين ليرجع الضمير إليه في قوله فاكتبوه إذ لو لم يذكر ذلك لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلا يحسن النظم بذلك وقيل إنما ذكره تأكيداً (إلى أجل مسمى) يعني إلى مدة معلومة الأول والآخر مثل السنة والشهر ولا يجوز إلى غير مدة معلومة كما لو قال إلى الحصاد أو نحوه والأجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محل الأجل بخلاف القرض فإنه لا يلزم فيه الأجل عند أكثر أهل العلم (في) عن ابن عباس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في القم العام والعامين فقال لهم « من أسلف في تمر في كيل معلوم أو وزن معلوم إلى أجل معلوم » وقواه تعالى (فاكتبوه) أي اكتبوا الدين الذي تدابرتم به يبيعا كان ذلك أو سلما أو قرضاً واختلفوا في هذه الكتابة فقيل هي واجبة وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعي واختاره محمد بن جرير الطبري وقيل الأمر محمول على النسيب

عنه لما حرم الله الربا أباح السلم وقال أشهد أن السلم المضءون إلى أجل مسمى قد أحله الله تعالى في كتابه وأذن والاستحباب فيه ثم قرأ (يا أيها الذين آمنوا إذا تدابرتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه) قوله إذا تدابرتم أي تعاملتم بالدين يقال دابنته إذا عاملته بالدين. وإنما قال بدين بعد قوله إذا تدابرتم لأن المدابنة قد تكون مجازاة وقد تكون معاطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ وقيل ذكره تأكيداً لقوله تعالى « ولا طائر يطير بجناحيه إلى أجل مسمى » الأجل مدة معلومة الأول والآخر والأجل يلزم في الثمن والمبيع في السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محله وفي القرض لا يلزم الأجل عند أكثر أهل العلم « فاكتبوه » أي اكتبوا الدين الذي تدابرتم به يبيعا كان أو سلما أو قرضاً واختلفوا في هذه الكتابة فقال بعضهم هي واجبة والأكثر

على أنه أمر استحباب فان ترك فلا بأس كقوله تعالى « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض » وقال بعضهم كانت كتابة الدين والإشهاد والرهن فرضا ثم نسخ الكل بقوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اتتمن أمانته وه و قول الشعبي ثم بين كيفية الكتابة فقال جل ذكره (وليكتب بينكم كاتب بالعدل) أى يكتب كتاب الدين بين الطالب والمطلوب كاتب بالعدل أى بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أجل ولا تأخير (ولا يأب) (٣٠٥) أى لا يمتنع (كاتب أن يكتب)

واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشهادة فذهب قوم إلى وجوبها إذا طوّل وهو قول مجاهد وقال الحسن يجب إذا لم يكن كاتب غيره وقال قوم هو على التنب والاستحباب وقال الضحاك كانت غرمة واجبة على الكاتب والشاهد ففسخها قوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد (كما علمه الله) أى كما شرعه الله وأمره (فليكتب وتجلل الذى عليه الحق) يعنى المطلوب يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه والإملاء والإملاء لغتان فصيحتان معانها واحد جاء بهما القرآن فالإملاء هنا والإملاء قوله تعالى فهى تملى عليه بكرة وأصيل (وليتق الله ربه) يعنى المولى (ولا يخس منه شيئا) أى ولا ينقص منه أى من الحق الذى عليه شيئا (فان كان الذى عليه الحق سفيا)

والاستحباب فان ترك فلا بأس وهو قول جمهور العلماء وقيل بل كانت الكتابة والإشهاد والرهن فرضا ثم نسخ بقوله تعالى « فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اتتمن أمانته » وهو قول الحسن والشعبي والحكم بن عيينة ثم بين الله تعالى كيفية الكتابة فقال تعالى (وليكتب بينكم كاتب) أى يكتب الدين بين الطالب والمطلوب كاتب (بالعدل) أى بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أجل ولا تأخير وقيل إن فائدة الكتابة هي حفظ المال من الجانيين لأن صاحب الدين إذا علم أن حقه مقيد بالكتابة تعذر عليه طلب زيادة أو تقديم المطالبة قبل حلول الأجل ومن عليه الدين إذا عرف ذلك تعذر عليه الجحود أو النقص من أصل الدين الذى عليه فلما كانت هذه الفائدة من الكتابة أمر الله تعالى بها (ولا يأب) أى ولا يمتنع (كاتب أن يكتب) واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فقيل بوجوبهما لأن ظاهر الكلام نهى عن الامتناع من الكتابة وإيجابها على كل كاتب فاذا طوّل بالكتابة وتحمل الشهادة من هو من أهلها وجب عليه ذلك وقيل هو من فرض الكفاية وهو قول الشعبي فان لم يوجد إلا واحد وجب عليه ذلك وقيل هو على التنب والاستحباب وذلك لأن الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بها استحبه له أن يكتب ليقضى حاجة أخيه المسلم ويشكر تلك النعمة التى أنعم الله بها عليه وقبل كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبتين على الكاتب والشاهد ثم نسخهما الله تعالى بقوله « ولا يضار كاتب ولا شهيد » (كما علمه الله) أى كما شرعه الله وأمر به (فليكتب) وذلك أن يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص ويكتب ما يصلح أن يكون حجة عند الحاجة ولا يخص أحد الخصمين بالاحتياط له دون الآخر وأن يكون كل واحد منهما آمنا من أبطال حقه وأن يكون ما يكتبه متفقا عليه عند العلماء وأن يجتزأ من الألفاظ التى يقع النزاع فيها وهذه الأمور لا تحصل إلا لمن هو فقيه عالم باللغة ومذهب العلماء (وتجلل الذى عليه الحق) يعنى أن المطلوب الذى عليه الحق يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه من الحق فيذكر قدره وجنسه وصفة الأجل ونحو ذلك والإملاء والإملاء لغتان فصيحتان معانها واحد (وليتق الله) ربه يعنى المولى (ولا يخس) أى ولا ينقص (منه) أى من الحق الذى وجب (شيئا) فان كان الذى عليه الحق سفيا أى جاهلا بالإملاء وقيل هو الطفل الصغير وقال الشافعي السفيف هو المبلر المسد لما له ودينه (أو ضعيفا) يعنى شيخا كبيرا وقيل هو ضعيف العقل لعله أو جنون (أو لا يستطيع أن يمل هو) يعنى نحرس أو عى أو عجمة في كلامه أو حبس أو غيبة لا يمكنه الحضور عند الكاتب أو يجهل بماله وعليه فهو لا يعلمهم لا يصح إقرارهم فلا بد من أن يقوم غيرهم مقامهم وهو قوله تعالى (فليمل وليه) يعنى ولي كل واحد من هؤلاء الثلاثة المحجور عليهم لأنه مقامه في صحة الإقرار وقال ابن عباس أراد بالولى صاحب الدين يعنى إن عجز الذى عليه الحق عن الإملاء فليمل صاحب الحق لانه أعلم بحقه (بالعدل) أى بالصدق

(٣٩ - خازن بالبعوى - أول) أى جاهلا بالإملاء قاله مجاهد وقال الضحاك والسامى طفلا صغيرا وقال الشافعي السفيف المبلر المسد لما له أو في دينه قوله (أو ضعيفا) أى شيخا كبيرا وقيل هو ضعيف العقل لعله أو جنون (أو لا يستطيع أن يمل هو) نحرس أو عى أو عجمة أو حبس أو غيبة لا يمكنه حضور الكتابة أو جهل بماله وعليه (فليمل وليه) أى قيمه (بالعدل) أى بالصدق والحق وقال ابن عباس رضى الله عنه ومقاتل أراد بالولى صاحب الحق يعنى إن عجز من عليه الحق من الإملاء

فليمثل ولي الحق وصاحب الدين بالعدل لأنه اعلم بالحق (واستشهدوا) أي واشهدوا (شهيدين) أي شاهدين (من رجالكم) يعني الأحرار المسلمين دون العبيد والصبيان وهو قول أكثر أهل العلم وأجاز شرح وابن سيرين شهادة العبيد (فإن لم يكونا رجلين) أي لم يكن الشاهدان رجلين (فرجل وامرأتان) أي فليشهد رجل وامرأتان وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء جائزة مع الرجال في الأموال حتى يثبت برجل (٣٠٦) وامرأتين. واختلفوا في غير الأموال فذهب جماعة إلى أنه يجوز

شهادتهن مع الرجال في غير العقوبات وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي وذهب جماعة إلى أن غير المال لا يثبت إلا برجلين عدلين وذهب الشافعي رحمه الله إلى أن ما يطلع عليه النساء غالبا كالولادة والرضاع والثبوت والبراءة ونحوها يثبت بشهادة رجل وامرأتين وبشهادة أربع نسوة واتفقوا على أن شهادة النساء غير جائزة في العقوبات. قوله تعالى (من ترضون من الشهداء) يعني من كان مرضيا في ديانته وأمانته وشرائط قبول الشهادة سبعة : الإسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة وانتفاء التهمة فشهادة الكافر مردودة لأن المعروفين بالكذب عند الناس لا يجوز شهادتهم فالذي يكذب على الله تعالى أولى أن يكون مردود الشهادة ، وجوز

واستشهدوا شهيدين) يعني وأشهدوا على حقوقكم شهيدين لأن المقصود من الكتابة هو الإشهاد (من رجالكم) يعني من أهل ملتكم يعني من المسلمين الأحرار دون العبيد والصبيان وهذا قول أكثر أهل العلم وأجاز شرح وابن سيرين شهادة العبيد وحجة هذا القول أن قوله من رجالكم عام يتناول العبيد وغيرهم وذلك لأن عقل الإنسان ودينه وعدالته تمنعه من الكذب فإذا اجتمعت هذه الشرائط فيه كانت شهادته معتبرة وحجة جمهور العلماء ولا ياب الشهداء إذا مادعوا فهذا نص يقتضي أن من تحمل شهادة وجب عليه الأداء إذا ما طولب بها والعبد ليس كذلك فإن السيد إذا لم يأذن له في ذلك حرم عليه الذهاب إلى الشهادة فوجب أن لا يكون العبد من أهل الشهادة (فإن لم يكونا رجلين) أي فإن لم يكن الشاهدان رجلين (فرجل وامرأتان) أي فليشهد رجل وامرأتان ، وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء مع الرجال جائزة في الأموال فيثبت الحق بشهادة رجل وامرأتين واختلفوا في غير الأموال فذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي إلى أنه يجوز شهادة النساء مع الرجال في سائر الحقوق غير العقوبات وذهب جماعة إلى أن غير المال لا يثبت إلا برجلين عدلين وذهب الشافعي إلى أن ما يطلع عليه النساء غالبا كالولادة والرضاع والبراءة والثبوت والبراءة ونحوها تجوز شهادة رجل وامرأتين أو شهادة أربع نسوة واتفقوا على أن شهادة النساء غير جائزة ولا مقبولة في العقوبات والحدود ، وقوله تعالى (من ترضون من الشهداء) يعني من كان مرضيا عدلكم في دينه وأمانته والشرائط المعتبرة في العدالة وقبول الشهادة عشرة وهي الإسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة وأن لا يجر بتلك الشهادة منفعة إلى نفسه ولا يدفع عنه بها مضرة ولا يكون معروفا بكثرة الغلط والسهو وأن لا يكون بينه وبين من شهد عليه عداوة فشهادة الكافر مردودة لأن الكذاب لا تقبل شهادته فالذي يكذب على الله أولى بأن ترد شهادته وجوز بعض أهل الرأي شهادة أهل الذممة بعضهم على بعض ولا تقبل شهادة العبيد وأجازها ابن شريح وابن سيرين وهو قول أنس ولا قول للمجتون معتبر حتى تصح شهادته ولا تجوز شهادة الصبيان وسئل ابن عباس عن ذلك فقال لا تجوز لأن الله تعالى قال من ترضون من الشهداء والعدالة شرط وهو أن لا يكون الشاهد مقبلا على الكبار مصرا على الصغار والمروءة شرط وهي ما يتصل بأداب النفس مما يعلم أن تاركه قليل الحياء وهي حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة فإن كان الرجل يظهر في نفسه شيئا مما يستحي أمثاله من إظهاره في الأغلب علم بذلك قلة مروءته وترد شهادته وانتفاء التهمة شرط فلا تقبل شهادة العدو على عدوه وإن كان مقبول الشهادة على غيره لأنه منهم في حق عدوه لاق حق غيره ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وتقبل شهادته عليهما ولا تقبل شهادة من يجر بشهادته إلى نفسه نفعاً عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا

أصحاب الرأي شهادة أهل الذممة بعضهم على بعض ولا تقبل شهادة العبيد وأجازها شرح وابن سيرين وهو قول ولا أنس بن مالك رضي الله عنه ولا قول للمجتون حتى يكون له شهادة ولا يجوز شهادة الصبيان ؛ مثل ابن عباس رضي الله عنه عن ذلك فقال لا يجوز لأن الله تعالى يقول من ترضون من الشهداء والعدالة شرط وهي أن يكون الشاهد محتسبا للكبار غير مصرا على الصغار والمروءة شرط وهي ما يتصل بأداب النفس مما يعلم أن تاركه قليل الحياء ، وهي حسن الهيئة والسيرة

والعشرة والصناعة فإن كان الرجل يظهر من نفسه شيئا مما يستحق أمثاله من إظهاره في الأغلب يعلم به قلة مروءته وترد شهادته وانتفاء التهمة شرط حتى لا تقبل شهادة العدو على العدو وإن كان مقبول الشهادة على غيره لأنه منهم في حق عدوه ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وإن كان مقبول الشهادة عليهما ولا يقبل شهادة من يجر إلى نفسه بشهادته نفعاً كالوارث يشهد على رجل يقتل مورثه أو يدفع عن نفسه بشهادته ضرراً كالشهود عليه بشهادته يخرج من شهد عليه فتمكن التهمة في شهادته . أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسين المروزي أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج القطان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان أخبرنا علي بن عبد العزيز المكي أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام أخبرنا مروان الغزاري عن شيخ من أهل الحيرة يقال له يزيد بن زياد عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها رفعة لا يجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا ذي غم على أخيه ولا ظنين في ولاء ولا قرابة ولا القانع مع أهل البيت قوله تعالى (٣٠٧) (أن تفضل إحداهما) قرأ حمزة

إن تفضل بكسر الألف (فتذكر) برفع الراء وناه الجزاء والابتداء وموضع تفضل جزم بالجزاء إلا أنه لا تسق بالتضعيف فتذكر رفع لأن ما بعد فاء الجزاء مبتدأ وقراءة العامة بفتح الألف وتصب الراء على الاتصال بالكلام الأول وتفضل محله نصب بأن فتذكر منسوق عليه ومعنى الآية فرجل وامرأتان كي تذكر (إحداهما الأخرى) ومعنى تفضل أي تفضي يريد إذا نسبت إحداهما شهادتها فتذكرها الأخرى

ولا ذي غم على أخيه ولا يجرب شهادة ولا القانع أهل البيت لهم ولا ظنين في ولاء ولا قرابة قال الغزاري القانع التابع أخرجه الترمذي . قوله لا يجوز شهادة خائن أراد بالخيانة الخيانة في الدين والمال والأمانة فإن من ضيع شيئاً من أوامر الله أو ارتكب شيئاً مما نهى الله عنه لا يكون عدلاً والغمر بكسر العين الحقد والقانع هو السائل المستطعم وقيل المنتطع إلى قوم يخدمهم فترد شهادته للتهمة في جر النفع إلى نفسه لأن التابع لأهل البيت ينتفع بما يصير إليهم والظنين بكسر الظاء المتهم . وقوله تعالى (أن تفضل إحداهما) أي تنسى إحدى المرأتين (فتذكر إحداهما الأخرى) لأن الغالب على طياع النساء النسيان فأقيمت المرأتان مقام الرجل الواحد حتى لو نسبت إحداهما فتذكرها الأخرى فتقول حضرنا مجلس كذا ومعنا كذا فيحصل بذلك الذكرى وحكي عن سفيان بن عيينة أنه قال هو من الذكر أي تجعل إحداهما الأخرى ذكراً والمعنى أن شهادتهما تصيرا كشهادة ذكر والقول الأول أصح لأنه معطوف على تفضل وهو النسيان . وقوله تعالى (ولا يأتب الشهداء إذا مدعوا) يعني إذا دعوا لتحمل الشهادة ومهام شهداء لأنهم يكونون شهداء وهذا أمر إيجاب عند بعضهم وقال قوم يجب إذا لم يكن غيره فإن كان غيره فهو غير ، وقيل هو أمر ندب فهو غير في جميع الأحوال وقال بعضهم هذا في إقامة الشهادة وأدائها ومعنى الآية ولا يأتب الشهداء إذا مدعوا الأداء الشهادة التي تحملوها وقيل الآية في الأمرين جميعاً يعني في التحمل والأداء والإقامة إذا كان عارفاً وقيل الشاهد بالخيار مالم يشهد فإذا شهد وجب عليه الأداء (ولا تساموا) أي ولا تملوا ولا تضجروا (أن تكتبوه) الضمير راجع إلى الحق أو الدين (صغيراً) كان (أو كبيراً) يعني قليلاً كان الحق أو الدين أو كثيراً (إلى أجله) يعني إلى محل الحق والدين (ذلكم) يعني ذلك الكتاب (أفسط عند الله) يعني أعدل عند الله لأنه أمر به واتباع أمره أعدل فتقول ألسنا حضرنا مجلس كذا ومعنا كذا قرأ ابن كثير وأهل البصرة فتذكر محققاً وقرأ الباقون مشدداً وذكرنا وذكرنا

بمعنى واحد وهما متعديان من الذكر الذي هو ضد النسيان وحكي عن سفيان بن عيينة أنه قال هو من الذكر أي تجعل إحداهما الأخرى ذكراً أي تصير شهادتهما كشهادة ذكر والأول أصح لأنه معطوف على النسيان . قوله تعالى (ولا يأتب الشهداء إذا مدعوا) قيل أراد به إذا مدعوا لتحمل الشهادة ستمام شهداء على معنى أنهم يكونون شهداء وهو أمر إيجاب عند بعضهم وقال قوم يجب الإجابة إذا لم يكن غيرهم فإن وجد غيرهم فهم غيرون وهو قول الحسن وقال قوم هو أمر ندب وهو غير في جميع الأحوال وقال بعضهم هذا في إقامة الشهادة وأدائها فمعنى الآية ولا يأتب الشهداء إذا مدعوا لأداء الشهادة التي تحملوها وهو قول مجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير وقال الشعبي الشاهد بالخيار مالم يشهد وقال الحسن الآية في الأمرين جميعاً في التحمل والإقامة إذا كان فارغاً (ولا تساموا) أي ولا تملوا (أن تكتبوه) الأداء راجعة إلى الحق (صغيراً) كان الحق (أو كبيراً) قليلاً كان أو كثيراً (إلى أجله) إلى محل الحق (ذلكم) أي الكتاب (أفسط عند الله) لأنه أمر به واتباع أمره

احدل من تركه (واقوم للشهادة) لأن الكتابة تذكر الشهود (وأدنى) وأخرى وأقرب إلى (الأترتابوا) تشكوا في الشهادة (إلا إن تكون تجارة حاضرة) قرأها عاصم بالنصب على خبر كان وأضمر الاسم مجازا إلا أن تكون التجارة تجارة أو المبيعة تجارة وقرأها الباقون بالرفع وله وجهان أحدهما أن يجعل الكون بمعنى الوقوع معناه إلا أن تقع تجارة والثاني أن يجعل الاسم في التجارة والخبر في الفعل وهو قوله (تديرونها بينكم) تقديره إلا أن تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم ومعنى الآية إلا أن تكون تجارة حاضرة بدا بيد تديرونها بينكم ليس فيها أجل (فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها) يعني التجارة (وأشهدوا إذا تبايعتم) قال الضحاك هو عزم من الله تعالى والإشهاد واجب في صغير الحق وكبيره ونقده ونسته وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه الأمر فيه إلى الأمانة كقوله تعالى (٣٥٨) «فإن أمن بعضكم بعضا» الآية وقال الآخرون هو أمر ندب. قوله تعالى

(ولا يضار كاتب ولا شهيد) هذا نهي للغائب وأصله يضار فادغمت أحد الراء من في الأخرى ونصبت لحق التضعيف لاجتماع الساكنين واختلفوا فيه فهم من قال أصله يضار بكسر الراء الأولى وجعل الفعل للكاتب والشهيد معناه لا يضار الكاتب فيأبى أن يكتب ولا الشهيد فيأبى أن يشهد ولا يضار الكاتب فيزيد أو ينقص أو يحرف ما أملى عليه ولا الشهيد فيشهد بما لم يستشهد عليه وهذا قول طاوس والحسن وقادة وقال قوم أصله يضار بفتح الراء على الفعل المجهول وجعلوا الكاتب والشهيد مفعولين ومعناه أن يدعو الرجل الكاتب أو الشاهد وهما

من تركه (واقوم للشهادة) يعني أن الكتابة تذكر الشهود (وأدنى الأترتابوا) يعني وأخرى وأقرب إلى أن لا تشكوا في الشهادة (إلا أن تكون تجارة حاضرة) أي إلا أن تقع تجارة حاضرة بدا بيد (تديرونها بينكم) أي فيما بينكم ليس فيها أجل (فليس عليكم جناح) أي لا ضرر عليكم (أن لا تكتبوها) يعني التجارة الحاضرة والتجارة تقلب الأموال وتصرفها لطلب الماء والزيادة بالأرباح وإنما رخص الله تعالى في الكتابة والإشهاد في هذا النوع من التجارة لكثرة ما يجري بين الناس فلو كلفوا فيها الكتابة والإشهاد لشق ذلك عليهم ولأنه إذا أخذ كل واحد من المتبايعين حقه من صاحبه في ذلك المجلس لم يكن هناك خوف التجاحد فلا حاجة إلى الكتابة والإشهاد (وأشهدوا إذا تبايعتم) يعني فيما جرت العادة بالإشهاد فيه واختلفوا في هذا الأمر فقيل هو للوجوب فيجب أن يشهد في صغير الحق وكبيره ونقده ونسيته وقيل هو أمر ندب واستحباب وهو قول الجمهور وقيل إنه منسوخ بقوله «فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي ائتمن أمانته». وقوله تعالى (ولا يضار كاتب ولا شهيد) هذا نهي عن المضارة وأصله يضار بكسر الراء الأولى ومعناه لا يضار الكاتب فيأبى أن يكتب والشاهد فيأبى أن يشهد أو يضار الكاتب فيزيد أو ينقص أو يحرف ما أملى عليه فيضر صاحب الحق أو من عليه الحق وكذلك الشاهد وقيل أصله يضار بفتح الراء الأولى ومعناه أن يدعو الرجل الكاتب والشاهد وهما مشغولان فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعي إن الله أمر كما أن نجيبا إذا ذهبنا ويلح علينا فيشغلنا عن حاجتهما فنهى عن مضارتهما وأمر أن يطلب غيرهما (وإن تفعلوا) يعني ما نهيتكم عنه من الضرر (فإنه فسوق بكم) أي معصية وخروج عن الأمر (وانتقوا الله) أي خافوا الله واحذروه فيما نهاكم عنه من المضارة وغيرها (ويعلمكم الله) يعني ما يكون إرشادا لكم في أمر الدنيا كما يعلمكم ما يكون إرشادا لكم في أمر الدين (والله بكل شيء عليم) يعني أن الله تعالى عليم بجميع مصالح عباده لا يخفى عليه شيء من ذلك. قوله عز وجل (وإن كنتم على سفر) أي في سفر (ولم تجدوا كتابا) يعني ولم تجدوا آلات الكتابة (فراهن) جمع رهن وقرئ فرهان (متبوضة) يعني فارتهنوا ممن تدبئونه رهونا مقبوضة لتكون وثيقة تم بأموالكم

على شغل مهم فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعي إن الله أمر كما أن نجيبا ويلح عليها فيشغلنا عن حاجتهما فنهى عن ذلك وأمر بطلب غيرهما (وإن تفعلوا) ما نهيتكم عنه من الضرر (فإنه فسوق بكم) أي معصية وخروج عن الأمر (وانتقوا الله ويعلمكم الله) والله بكل شيء عليم (وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا فرهان مقبوضة) قرأ ابن كثير وأبو عمرو فرهن بضم الهاء والراء وقرأ الباقون فرهان وهو جمع رهن مثل بعل وبغال وجبل وجبال والرهن جمع الرهان جمع قاله الفراء والكسائي وقال أبو عبيدة وغيره هو جمع رهن أيضا مثل سقف وسقف وقال أبو عمرو وإنما قرأنا فرهن لكون فرقا بينهما وبين رهان الخليل وقال عكرمة رهن بضم الراء وسكون الهاء والتخفيف والتثقل في الرهن لغتان مثل كتب وكتب ورسل ورسل ومعنى الآية وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا الآن فارتهنوا ممن تدبئونه رهونا

لتكون وثيقة لكم بأموالكم، وانفذوا على أن الرهن لا يتم إلا بالقبض، وقوله فرهن مقبوضة أي ارتهنوا واقبضوا حتى لو رهن ولم يسلم فلا يجبر الراهن على التسليم فإذا سلم لزم من جهة الراهن حتى (٣٠٩) لا يجوز له أن يسترجعه مادام شيء من الحق باقيا ويجوز في الحضر الرهن مع وجود الكاتب وقال مجاهد لا يجوز الرهن إلا في السفر عند عدم الكاتب لظاهر الآية وعند الآخرين خروج الكلام في الآية على الأعم الأغلب لا على سبيل الشرط والدليل عليه ما روى عن النبي ﷺ «أنه رهن درعه عند أبي الشحم اليهودي» ولم يكن ذلك في السفر ولا عند كاتب (فإن أمن بعضكم بعضا) يعني فإن كان الذي عليه الحق أمينا عند صاحب الحق ولم يرتبن منه شيئا لحسن ظنه به (فليؤد الذي أتمن أمانته) يعني فليؤد المديون الذي عليه الحق الذي كان أمينا في ظن الدائن الذي هو صاحب الحق أمانته يعني حقه سمي الدين أمانة وإن كان مضمونا لا تثاناه عليه حيث أمن من جحوده فلم يكتب ولم يشهد عليه ولم يأخذ منه رهنا حتى المديون على أن يكون عند ظن الدائن الذي أتمنه وأن يؤدي إليه حقه الذي أتمنه عليه ولم يرتبن منه عليه شيئا ثم زاد ذلك تأكيدا بقوله (وليتق الله ربه) أي المديون في أداء الحق عند حلول الأجل من غير ممانعة ولا جحود بل يعامله المعاملة الحسنة كما أحسن ظنه فيه ثم رجع إلى خطاب اليهود فقال تعالى (ولا تكتموا الشهادة) يعني إذا دعيتم إلى إقامتها وأداؤها وذلك لأن الشاهد متى امتنع من إقامة الشهادة وكتمها فقد أبطل بذلك حق صاحب الحق فلهذا نهى عن كتمان الشهادة وبالغ في الوعيد عليه فقال تعالى (ومن يكتمها) يعني الشهادة (فانه آثم قلبه) أي فاجر قلبه والآثم الفاجر وإنما أضيف الإثم إلى القلب لأن الأفعال من الدواعي والصورات إنما تحدث في القلب فلما كان الأمر كذلك أضيف الإثم إلى القلب قيل ما أوعد الله على شيء كما يعاده عن كتمان الشهادة فانه تعالى قال فانه آثم قلبه وأراد به مسخ القلب فعوذ بالله من ذلك (والله بما تعملون عليم) يعني من بيان الشهادة وكتبتها فقيه وعيد وتحذير بأن كتم الشهادة ولم يظهرها . قوله عز وجل (الله ما في السموات وما في الأرض) ملكا وأهلها له عبيد وهو مالكمهم (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) وهذا يتناول حديث النفس والخواطر القاسدة التي ترد على القلب ولا يمكن من دفعها والمؤاخذه بها تجري مجرى تكليف ما لا يطاق: وأجيب عن هذا بأن الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين فمنها ما يوطن الإنسان نفسه عليه ويعزم على إظهاره إلى الوجود فهنا مما يؤخذ الإنسان به والقسم الثاني ما يحظر بالبال ولا يمكن دفعه عن نفسه لكن يكره ولا يعزم

وأصل الرهن الدوام يقال رهن الشيء إذا دام وثبت، والرهن ما وضع عند الإنسان مما يتوب مناب ما أخذ منه ديناً . فإن قلت لم شرط الارتهان في السفر مع عدم الكاتب ولا يختص به سفر دون حضر وقد صرح أن رسول الله ﷺ رهن درعه عند أبي الشحم اليهودي على طعام أخذه لي أجل ولم يكن ذلك في سفر ولا عند عدم كاتب . قلت ليس الغرض تجوز الارتهان في السفر خاصة دون الحضر ولكن لما كان السفر مظنة لإعواز الكاتب والإشهاد أمر الله تعالى به على سبيل الإرشاد إلى حفظ الأموال لمن كان على سفر بأن يقيم التوثيق بالارتهان مقام الكتابة والإشهاد. واتفق العلماء على جواز الرهن في الحضر والسفر جميعا ومع وجود الكاتب وعدمه وقال مجاهد لا يجوز إلا في السفر عند عدم الكاتب لظاهر الآية وعند الآخرين خروج الكلام في الآية على الأعم الأغلب لا على سبيل الشرط والدليل عليه ما روى عن النبي ﷺ «أنه رهن درعه عند أبي الشحم اليهودي» ولم يكن ذلك في السفر ولا عند كاتب (فإن أمن بعضكم بعضا) يعني فإن كان الذي عليه الحق أمينا عند صاحب الحق ولم يرتبن منه شيئا لحسن ظنه به (فليؤد الذي أتمن أمانته) يعني فليؤد المديون الذي عليه الحق الذي كان أمينا في ظن الدائن الذي هو صاحب الحق أمانته يعني حقه سمي الدين أمانة وإن كان مضمونا لا تثاناه عليه حيث أمن من جحوده فلم يكتب ولم يشهد عليه ولم يأخذ منه رهنا حتى المديون على أن يكون عند ظن الدائن الذي أتمنه وأن يؤدي إليه حقه الذي أتمنه عليه ولم يرتبن منه عليه شيئا ثم زاد ذلك تأكيدا بقوله (وليتق الله ربه) أي المديون في أداء الحق عند حلول الأجل من غير ممانعة ولا جحود بل يعامله المعاملة الحسنة كما أحسن ظنه فيه ثم رجع إلى خطاب اليهود فقال تعالى (ولا تكتموا الشهادة) يعني إذا دعيتم إلى إقامتها وأداؤها وذلك لأن الشاهد متى امتنع من إقامة الشهادة وكتمها فقد أبطل بذلك حق صاحب الحق فلهذا نهى عن كتمان الشهادة وبالغ في الوعيد عليه فقال تعالى (ومن يكتمها) يعني الشهادة (فانه آثم قلبه) أي فاجر قلبه والآثم الفاجر وإنما أضيف الإثم إلى القلب لأن الأفعال من الدواعي والصورات إنما تحدث في القلب فلما كان الأمر كذلك أضيف الإثم إلى القلب قيل ما أوعد الله على شيء كما يعاده عن كتمان الشهادة فانه تعالى قال فانه آثم قلبه وأراد به مسخ القلب فعوذ بالله من ذلك (والله بما تعملون عليم) يعني من بيان الشهادة وكتبتها فقيه وعيد وتحذير بأن كتم الشهادة ولم يظهرها . قوله عز وجل (الله ما في السموات وما في الأرض) ملكا وأهلها له عبيد وهو مالكمهم (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) وهذا يتناول حديث النفس والخواطر القاسدة التي ترد على القلب ولا يمكن من دفعها والمؤاخذه بها تجري مجرى تكليف ما لا يطاق: وأجيب عن هذا بأن الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين فمنها ما يوطن الإنسان نفسه عليه ويعزم على إظهاره إلى الوجود فهنا مما يؤخذ الإنسان به والقسم الثاني ما يحظر بالبال ولا يمكن دفعه عن نفسه لكن يكره ولا يعزم

قبل ما أوعد الله على شيء كما يعاده عن كتمان الشهادة قال فانه آثم قلبه وأراد به مسخ القلب فعوذ بالله من ذلك (والله بما تعملون) من بيان الشهادة وكتبتها (عليم الله ما في السموات وما في الأرض) ملكا وأهلها له عبيد وهو مالكمهم (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله

على فعله ولا إظهاره إلى الوجود فهذا معفو عنه بدليل قوله تعالى «لما ما كسبت وعليها ما اكتسبت»
وقال قوم إن هذه الآية خاصة ثم اختلفوا في وجه تخصيصها فقال بعضهم هي متصلة بالآية التي
قبلها وإنما نزلت في كتابان الشهادة ومعنى الآية وإن تبدوا ما في أنفسكم أيها الشهود من كتابان الشهادة
أي تحفوه أي تحفوا الكتابان بحاسبكم به الله وهذا ضعيف لأن اللفظ عام وإن كان أراد عقيب
قضية فلم يلزم صرفه إليها وقال بعضهم إن الآية نزلت فيمن يتولى الكافرين من المؤمنين والمعنى وإن
تبدوا أي تظهروا ما في أنفسكم يعني من ولاية الكفار أو تحفوه فلا تظهروه بحاسبكم به الله وذبح
أكثر العلماء إلى أن الآية عامة ثم اختلفوا فقال قوم هي منسوخة بالآية التي بعدها ويدل عليه
ما روي عن أبي هريرة قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لله ما في السموات وما في الأرض
وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تحفوه الآية اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا أي رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطبق
الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيعها فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم آريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا
وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فلما اقرأها القوم وذلك بها أمنتهم أنزل الله تعالى في أثرها
«آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين
أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله عز وجل
فأنزل الله «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا يؤاخذنا إن نسيتنا
أو أخطأنا» قال نعم «ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا» قال نعم ربنا «ولا تحملنا
مالماتقة لنا به» قال نعم «واعف عنا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ»
قال نعم أخرجه مسلم وله عن ابن عباس نحوه وفيه قد فعلت بدل نعم (ق) عن أبي هريرة أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال «إن الله تعالى تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يعملوا به أو يشكروا
به وفي رواية ما وسوست به صدورها» وقال قوم إن الآية غير منسوخة لأن النسخ لا يرد إلا على
الأمر والنهي ولا يرد على الإنخبار وقول الله تعالى بحاسبكم به الله خبر فلا يرد عليه النسخ ثم
اختلفوا في تأويلها فقال قوم قد أثبت الله تعالى للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم وليس لله عبد
أسر عملا أو أعلته من حركة جارحة أو همة قلب إلا يعلمه الله ثم يخبره به ويحاسب عليه ثم يغفر
لمن يشاء ويعذب من يشاء، وقال آخرون في معنى الآية إن الله تعالى يحاسب خلقه بجميع ما أبدوا
من أعمالهم واخفوه ويعاقبهم عليه غير أن معاقبتهم على ما أخفوه أخف مما لم يعلموا به وهو ما يحدث
لهم في الدنيا من الثواب والمصائب والأمور التي يجزون عليها وهذا قول عائشة عن أمية أنها سألت
عائشة عن قول الله عز وجل وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تحفوه بحاسبكم به الله وعن قوله من يعمل
سوما يجزيه فقالت ما سألتني عنها أحد من سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه معاقبة الله
العبد بما يصيبه من الحمى والذكية حتى البضاعة يضعها في يد قبيصة فيفقد ما في يدها حتى إن العبد
ليخرج من ذنوبه كما يخرج الثبر الأحمر من الكبير» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب وله عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا أراد الله بعبد الخير
مجل له العتوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبد الشر أمسك عليه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة»
وقال قوم في معنى الآية وإن تبدوا ما في أنفسكم يعني مما عزمتم عليه أو تحفوه أي ولا تبدوا وأنتم

فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير) اختلف العلماء في هذه الآية فقال قوم هي خاصة ثم اختلفوا في وجه خصوصها فقال بعضهم هي متصلة بالآية الأولى نزلت في تكيان الشهادة معناه وإن تبدوا ما في أنفسكم أيها اليهود من كتمان الشهادة أو تخفوا الكتمان بحاسبكم به الله وهو قول الشعبي وعكرمة وقال بعضهم نزلت فيمن يتولى الكافرين من دون المؤمنين يعني وإن تعلقوا ما في أنفسكم من ولاية الكفار أو تسروه بحاسبكم به الله وهو قول مقاتل كما ذكر في سورة آل عمران لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين إلى أن قال قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله وذبح الأكترون إلى أن الآية عامة ثم اختلفوا فيها فقال قوم هي منسوخة بالآية التي بعدها والدليل عليه ما أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أخبرنا عبد الغافر بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج حدثني محمد بن المهالك الضرير وأمينة ابن بسطام العيشي واللفظ له قال أخبرنا يزيد بن زريع أن روح وهو ابن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (الله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه بحاسبكم به الله) الآية قال اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله (٣١١) صلى الله عليه وسلم ثم ركوا على

الركب فقالوا أي رسول
الله صلى الله عليه وسلم
كلتفنا من الأعمال ما نطبق
الصلاة والصيام والجهاد
والصدقة وقد أنزلت
عليك هذه الآية ولا نطبقها
قال رسول الله ﷺ
أتريدون أن تقولوا
كما قال أهل الكتابين
من قبلكم سمعنا وعصينا
بل قولوا سمعنا وأطعنا
غفرانك ربنا وإليك
المصير فلما قرأها التوم
وذات بها ألسنتهم أنزل
الله في أرضها آمن الرسول

عازمون عليه بحاسبكم به الله فأما حديث النفس مما لم تعزموا عليه فإن ذلك مما لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ولا يؤخذ بها وقيل معنى الحاسبة الإخبار والتعريف فيرجع معنى هذه الحاسبة إلى كونه تعالى عالما بكل ما في الضمائر والسرائر مما ظهر وخفي ومعنى الآية وإن تبدوا ما في أنفسكم فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونوئتم بحاسبكم به الله أي يخبركم به ويعرفكم إياه ثم يغفر للمؤمنين إظهارا لفضله ويعذب الكافرين إظهارا لعذابه. يروى عن ابن عباس ويدل عليه أنه قال بحاسبكم به الله ولم يقل يؤخذكم به لأن الحاسبة غير المؤاخاة ويدل عليه أيضا ما روى عن صفوان بن محرز المازني قال بينما ابن عمر بطوف إذ عرض له رجل فقال يا أبا عبد الرحمن أخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في التجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويدني المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيزره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول أعرف رب أعرف مرتين فيقول الله سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسابه وأما الآخرون وهم الكفار والمنافقون فينادي بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين أخرجاه في الصحيحين . وقوله تعالى (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) قال ابن عباس يغفر لمن يشاء الذنب العنايم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا يستل عما يفعل وهم يسألون (والله على كل شيء قدير) يعني أنه تعالى

بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها لما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به قال نعم وأعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على التوم الكافرين قال نعم . وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في كل ذلك قد فعلت يدل قوله نعم وهذا قول ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وابن عمرو إليه ذهب محمد بن سيرين ومحمد بن كعب وقتادة والكلبي ، أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصفهاني أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق النخعي أخبرنا يعقوب بن يوسف القزويني أخبرنا أبو القاسم بن الحكم المغربي أخبرنا مسعد بن كدام عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به أنفسها مما يتكلموا أو يعملوا به وقال بعضهم الآية غير منسوخة لأن النسخ لا يرد على الأخبار إنما يرد على الأمر والنهي وقوله بحاسبكم به الله خير لا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا في تأويلها فقال قوم قد أنهت الله تعالى للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم فليس لله عبد أمر عملا أو أعلته من حركة

من جوارحه أو همة في قلبه إلا يخبره الله به بحاسبه عليه ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء وهذا معنى قول الحسن يدل عليه قوله تعالى وإن السميع والبصير والقواد كل أولئك كان عنه مسئولا، وقال الآخرون معنى الآية إن الله عز وجل يحاسب خلقه بحججهم ما أبدوا من أعمالهم أو أخفوه ويعاقبهم عليه غير أن معاقبته على ما أخفوه مما لم يعملوه بما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب والأمور التي يحزنون عليها وهذا قول عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال يا عائشة هذه معاقبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والتكبية حتى الشوكة والبضاعة يضعها في كفه فيفقدوها فيروع لها حتى أن المؤمن يخرج من ذنوبه كما يخرج الثير الأحمر من الكبر، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن مسكان عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال، إذا أراد الله بعبد الخير جعل له العتوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبد الشر أمسك عليه بذنوبه حتى يوفيه به يوم القيامة، وقال بعضهم وإن تبدوا ما أنتمكم يعني ما في قلوبكم مما عزمتم عليه أو تخفوه بحاسبكم به الله ولا تبدوا وأنتم عازمون عليه بحاسبكم به الله فأما ما حدثت به أنفسكم مما لم تعزموا عليه فإن ذلك مما لا يكلف الله (٣١٢) نفسا إلا وسعها ولا يؤخذكم به دليله قوله تعالى لا يؤخذكم الله باللغو في

أيمانكم ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم قال عبد الله بن المبارك قلت لسفيان أبو أخذ الله العبد بالهمة قال إذا كان عزمنا أخذ بها وقيل معنى الحاسبة الإخبار والتعريف ومعنى الآية وإن تبدوا ما أنتمكم فتمهوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونوئتم بحاسبكم به الله ويخبركم به ويعرفكم إياه ثم يغفر للمؤمنين إظهارا لفضله ويعذب

قادر على كل شيء بكامل البلورة فيغفر للمؤمنين فضلا ويعذب الكافرين عدلا . قوله عز وجل (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه) عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه بحاسبكم به الله دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل من شيء فقالوا للذي ينزل قال نعم الله آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون الآية لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا قال قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على التوم الكافرين قال قد فعلت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج ما ذكر الله في هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والإبلاء والحيف والجهاد وأقاصيص الأنبياء وما ذكر من كلام الحكماء حتم السورة بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بجميع ذلك ومعنى آمن الرسول صدق الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى صدق الرسول أن هذا القرآن وجملة ما فيه من الشرائع والأحكام منزل من عند الله عز وجل (والمؤمنون) أي وصدق المؤمنون بذلك أيضا (كل) أي كل واحد من المؤمنين (آمن بالله وعلائقته وكتبه ورسله) فهذه أربع مراتب من أصول الإيمان وضرورياته فأما الإيمان

الكافرين إظهارا لعدله وهذا معنى قول الضحاك وروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما يدل عليه أنه قال بحاسبكم به الله ولم يقل يؤخذكم به والحاسبة غير المؤاخظة والدليل عليه ما أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي الزراد أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزازي أنا أبو سعيد الخدري بن كليب أنا عيسى بن أحمد العسقلاني أنا يزيد بن هارون أنا همام بن يحيى عن قتادة عن صفوان بن محرز قال كنت آخذنا بيد عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فأتاه رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله تعالى يدني المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه يسترّه من الناس فيقول أي عبيد أتعرفت ذنبك كذا وكذا فيقول نعم لم يرب ثم يقول أي عبيد أتعرفت ذنبك كذا وكذا فيقول نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال فأتى سترتها عليك في الدنيا وقد غفرت لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وأما الكافر والمنافق فيقول الأثبات هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين قوله تعالى فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء رفع الراء والياء أبو جعفر وابن عامر وعاصم ويعقوب وجزمهما الآخرون فالرفع على الابتداء والجزم على النسق روى طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما فيغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والله على كل شيء قدير . قوله تعالى (آمن الرسول) أي صدق (بما أنزل إليه من ربه) والمؤمنون كل آمن بالله يعني كل واحد منهم ولذلك وحده الفعل (وملائكته وكتبه ورسله) قرأه الكسائي وكتابه

على الواحد يعني القرآن وقيل معناه الجمع وإن ذكر بلفظ التوحيد كقوله تعالى «فبعت الله النبيين مهشرين ومن آمنين وأرسل معهم الكتاب» وقرأ الآخرون وكتبه بالجمع كقوله تعالى «وملائكته وكتبه ورسوله» (لأنه فرق بين أحل من رسله) فتؤمن ببعض وتفكر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى وفيه إضمار تقديره يقولون لانفرق وقرأ (٣١٣) يعقوب لا يفرق بالياء فيكون

خبر عن الرسول أو معناه لا يفرق الكل وإنما قال بين أحد ولم يقل بين آحاد لأن الأحد يكون للواحد والجمع قال الله تعالى «فما نذك من أحد عنه حاجزين» (وقالوا سمعنا) قولك (وأطعنا) أمرك روى عن حكيم عن جابر رضي الله عنهما «أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ حين نزلت هذه الآية إن الله قد أتى عليك وعلى أمتك فصل تعطه» فسأل بتلقين الله تعالى فقال (غفرانك) وهو نصب على المصدر أي اغفر غفرانك أو على المفعول به أي نسألك غفرانك (ربنا وإليك المصير لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) ظاهر الآية قضاء لحاجته وفيها إضمار السؤال كأنه قال وقالوا لا يكلفنا إلا وسعنا وأجاب أي لا يكلف الله نفسا إلا وسعها أي طاقته والوسع اسم لما يسع الإنسان ولا يضيق عليه واختلפו في تأويله فذهب

بأن يؤمن بأن الله واحد أحد لا شريك له ولا نظير له ويؤمن بجميع أسمائه الحسنى وصفاته العليا وأنه حي عالم قادر على كل شيء ، وأما الإيمان بالملائكة فهو أن يؤمن بوجودهم وأنهم معصومون مطهرون وأنهم السفرة الكرام البررة وأنهم الوسائط بين الله تعالى وبين رسله . وأما الإيمان بكتبه فهو أن يؤمن بأن الكتب المنزلة من عند الله هي وحى الله إلى رسله وأنها حتى وصدق من عند الله بغير شك ولا ارتياب وأن القرآن لم يحرف ولم يبدل ولم يغير وأنه مشتمل على الحكم والمتشابه وأن محكمه يكشف عن متشابهه وأما الإيمان بالرسول فهو أن يؤمن بأنهم رسل الله إلى عباده وأماؤه على وحيه وأنهم معصومون وأنهم أفضل الخلق وأن بعضهم أفضل من بعض وقد أنكر بعضهم ذلك وتمسك بقوله تعالى (لانفرق بين أحد من رسله) . وأجيب عنه بأن المقصود من هذا الكلام شيء آخر وهو إثبات نبوة الأنبياء والرد على اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبت بالنص الصريح تفصيل بعض الأنبياء على بعض بقوله «تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض» ومعنى قوله (لانفرق بين أحد من رسله) فتؤمن ببعض وتكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى بل تؤمن بجميع رسله ، وفي الآية إضمار تقديره وقالوا يعني المؤمنين لانفرق بين أحد من رسله (وقالوا سمعنا وأطعنا) يعني سمعنا قولك وأطعنا أمرك ، والمعنى قال المؤمنون سمعنا قول ربنا فيما أمرنا به وأطعناه فيما ألزمتنا من فرائضه واستعبدنا به من طاعته وسلامنا له فيما أمرنا به ونهانا عنه (غفرانك ربنا) أي نسألك غفرانك ربنا ، أو يكون المعنى اغفر لنا غفرانك ربنا (وإليك المصير) يعني قالوا إليك ياربنا مرجعنا ومعادنا فاعترض ذنوبنا روى البغوي بغير سند عن حكيم بن جابر وأن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل قد أتى عليك وعلى أمتك فصل تعطه ، قال بتلقين الله تعالى غفرانك ربنا وإليك المصير . قوله عز وجل (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) قيل يحتمل أن يكون ابتداء خبر من الله تعالى ويحتمل أن يكون حكاية عن المؤمنين وفيه إضمار كأنه قال الله تعالى عنهم وقالوا لا يكلف الله نفسا إلا وسعها يعني طاقتها والوسع اسم لما يسع الإنسان ولا يضيق عليه قال ابن عباس وأكثر المفسرين إن هذه الآية نسخت حديث النفس والوسوسة وذلك أنه لما نزل وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ضحك المؤمنون منها وقالوا يارسول الله نتوب من عمل اليد والرجل واللسان فكيف نتوب من الوسوسة وحديث النفس فنزلت هذه الآية والمعنى أنكم لا تستطيعون أن تمتنعوا من الوسوسة وحديث النفس كان ذلك ما لم تطيقوه وقال ابن عباس في رواية عنه هم المؤمنون خاصة وسع الله عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم مالا يستطيعون كما قال «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» وقال تعالى «وما جعل عليكم في الدين من حرج» ومثل سفيان ابن عيينة عن قوله لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، قال إلا يسرها ولم يكلفها فوق طاقتها وهذا

(٤٠) - حازن بالبغوي - أول

ابن عباس رضي الله عنه وعطاء وأكثر المفسرين إلى أن أراد به حديث النفس الذي ذكر في قوله «وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه» كما ذكرنا وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال هم المؤمنون خاصة وسع عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم فيه إلا ما يستطيعون كما قال الله تعالى «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» وقال الله تعالى «وما جعل عليكم في الدين من حرج» ومثل سفيان بن عيينة عن قوله عز وجل «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها» قال إلا

يسرها ولم يكتفها فوق طاقتها وهذا قول حسن لأن الوسع مادون الطاقة. قوله تعالى (لها ما كسبت) أي للنفس ما عملت من الخير لها أجره وثوابه (وعليها ما اكتسبت) من الشر وعليها وزره (ربنا لا تؤاخذنا) أي لا تعاقبنا (إن نسينا) جعله بعضهم من النسيان الذي هو السهو قال الكلبي كانت بنو إسرائيل إذا نسوا شيئا مما أمروا به أو أخطئوا عجلت لهم العقوبة فحرم عليهم شيء من مطعم أو مشرب على حسب (٣١٤) ذلك الذنب فأمر الله المؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم

بذلك ، وقيل هو من النسيان الذي هو الترك كقوله تعالى « تسوا الله فنسيهم » قوله تعالى (أو أخطأنا) قيل معناه القصد والعهد يقال خطأ فلان إذا تعمد قال الله تعالى « إن قتلهم كان خطئا كبيرا » قال عطاء إن نسينا أو أخطأنا يعني إن جهلنا أو تعمدنا ، وجعله الأكترون من الخطأ الذي هو الجهل والسهو لأن ما كان عمدا من الذنب فغير معفو عنه بل هو في مشيئة الله والخطأ معفو عنه قال النبي ﷺ « رفع عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » قوله تعالى (ربنا ولا تحمل علينا إصرا) أي عهدا ثقيلًا وميثاقًا لا نستطيع القيام به فتعدبنا بتقصه وتركه (كما حملته على الذين من قبلنا) يعني اليهود فلم يقوموا به فعذبهم هذا قول مجاهد وعطاء وقادة والسدي والكلبي وجماعة يدل عليه

قول حسن لأن الوسع مادون الطاقة وقيل معناه أن الله تعالى لا يكافئ نفسا إلا وسعها فلا يتعبد بها بما لا تطيق (لها ما كسبت) يعني للنفس ما عملت من الخير فلها أجره وثوابه . (وعليها ما اكتسبت) يعني من الشر عليها وزره وعقابه وقيل في معنى الآية إن الله تعالى لا يؤاخذ أحدا بذنب غيره . قوله عز وجل (ربنا لا تؤاخذنا) وهذا تعليم من الله تعالى عباده المؤمنين كيف يدعونه ومعناه قولوا ربنا لا تؤاخذنا أي لا تعاقبنا وإنما جاء بلفظ المفاعلة وهو فعل واحد لأن المسمى قد أمكن من نفسه وطرق السبيل إليها بفعله فكأنه أعدى عليه من يعاقبه بذنبه ويأخذ به (إن نسينا أو أخطأنا) فيه وجهان ٧ أحدهما أنه من النسيان الذي هو السهو وهو ضد التذكر قيل كان بنو إسرائيل إذا نسوا شيئا مما أمروا به أو أخطئوا عجلت لهم العقوبة فيحرم عليهم شيء مما كان حلالا لهم من مطعم أو مشرب ، على حسب ذلك الذنب فأمر الله المؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك . فان قلت أليس فعل الناس في محل العفو يدل على قوله صلى الله عليه وسلم «رفع عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» فإذا كان النسيان في محل العفو قطعاً فما معنى طلب العفو عنه بالدعاء ؟ قلت الجواب عنه من وجوه : الأول أن النسيان على ضربين : أما الأول فهو ما كان من العبد على وجه التضبيع والتفريط وهو ترك ما أمر بفعله كمن رأى على ثوبه دما فأخر لإزالة عنه ثم نسي فصل في ثوبه وهو على ثوبه فيعد مقصر إذ كان يلزمه المبادرة إلى إزالته أما إذا لم يره فيعذر فيه وكذا لو ترك ما أمر بفعله على وجه السهو أو ارتكب منها عنه من غير قصد إليه كما كل آدم عليه السلام من الشجرة التي نهى عنها على وجه النسيان من غير عزم على المخالفة كما قال تعالى « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل قنسى ولم نجد له عزما » مثل هذا يجب أن يسأل الله تعالى أن يعفو له عن ذلك وأما الضرب الثاني فهو كمن ترك صلاة ثم نسها أو ترك دراسة القرآن بعد أن حفظه حتى نسيه فهذا لا يعذر بنسيانه وسهوه لأنه فرط فتبت أن النسيان على قسمين وإذا كان كذلك صح طلب العفو والغفران عن النسيان . الوجه الثاني من الجواب أن الصحابة رضوا الله عنهم كانوا من المتقين لله حق تقاته فان صدر منهم ما لا ينبغي فلا يكون إلا على سبيل السهو والنسيان فطلبهم العفو والغفران لما يقع منهم على سبيل السهو والنسيان إنما هو لشدة خوفهم وتقواهم . الوجه الثالث أن المقصود من هذا الدعاء هو التضرع والتذلل لله تعالى . وأما الخطأ في قوله أو أخطأنا فعل وجهين أيضا : أحدهما أن يأتي العبد ما نهى عنه بقصد وإرادة فذلك خطأ منه وهو به مأخوذ فيحسن طلب العفو والغفران لذلك الفعل الذي ارتكبه . الوجه الثاني أن يكون الخطأ على سبيل الجهل والظن لأن له فعلة كمن ظن أن وقت الصلاة لم يدخل وهو في يوم غم فأخرها حتى خرج وقتها فهذا من الخطأ الموضوع عن العبد لكن طلب العفو والغفران لسبب تقصيره وقوله (ربنا ولا تحمل علينا إصرا) يعني عهدا ثقيلًا وميثاقًا غليظًا فلا نستطيع القيام به فتعدبنا بتقصه وتركه (كما حملته على الذين من قبلنا) يعني اليهود فلم يقوموا به فعذبهم عليه ،

قوله تعالى « وأخذتم على ذلك إصرا » أي عهدى وقيل معناه لا تشدد ولا تغلظ الأمر علينا كما شددت على من قبلنا من وقيل اليهود وذلك أن الله فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم بأداء ربيع أموالهم في الزكاة ومن أصاب ثوبه نجاسة قطعها ومن أصاب ذنبا أصبح وذنبه مكتوب على يابه ونحو ما من الأثقال والأغلال وهذا معنى قول عثمان وعطاء ومالك بن أنس وأبي عبيدة وجماعة يدل عليه قوله تعالى « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » وقيل الإصر ذنب لا توبة له معناه اعصمنا من مثله

والأصل فيه العقل والأحكام. قوله تعالى (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) أي لا تكلفنا من الأعمال ما لا يطيقه وقيل هو حديث النفس والوسوسة حكى عن مكحول أنه قال هو الغلظة قبل الغلظة شدة الشهوة وعن إبراهيم قال هو الحب وعن محمد بن عبد الوهاب قال العشق وقال ابن جريج وهو مسخ القردة والخنازير وقيل (٣١٥) هو شجاعة الأعداء وقيل هو الفرقة

وقيل معناه ولا تشدد علينا كما شددت على اليهود من قبلنا وذلك أن الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم بإداء ربع أموالهم زكاة ومن أصاب منهم ثوبه نجاسة قطعها ومن أصاب ذنبا أصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحو هذا من الأثقال والآصار التي كتبت عليهم فسأل المسلمون ربهم أن يصونهم عن أمثال هذه التعليلات والعهود الثقيلة وقد أجاب الله تعالى دعاءهم برحمته وخفف عنهم بفضله وكرمه فقال تعالى «وما جعل عليكم في الدين من حرج» وقيل الإصر ذنب لا توبة له فسأل المؤمنون ربهم أن يعصمهم من مثله (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) يعني لا تكلفنا من الأعمال ما لا يطيق القيام به لثقل حمله علينا وتكليف ما لا يطاق على وجهين: أحدهما ما ليس في قدرة العبد احتمال كتكليف الأعمى النظر والزمن العدو فهذا النوع من التكليف الذي لا يكلف الله به عبده بحال. الوجه الثاني من تكليف ما لا يطاق هو ما في قدرة العبد احتمال مع المشقة الشديدة والكلفة العظيمة كتكليف الأعمال الشاقة والقرائن الأقبلة كما كان في ابتداء الإسلام صلاة الليل واجبة ونحوه فهذا الذي سأل المؤمنون ربهم لا يحملهم ما لا طاقة لهم به واستدل بهذه الآية من يقول إن تكليف ما لا يطاق جائز إذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تخفيفه بالدعاء من الله تعالى وقيل في قوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو حديث النفس والوسوسة وقيل هيجان الغلظة وقيل هو الحب وقيل هو شجاعة الأعداء وقيل هو الفرقة والتقطيع وقيل هو مسخ القردة والخنازير نعوذ بالله من ذلك كله (واعف عنا) أي تجاوز عن ذنوبنا وإصغرها (واعف لنا) أي اسر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا (وارحمنا) أي تعمدنا برحمة تنجينا بها من عقابك فإنه ليس بناج من عقابك إلا من رحمته وقيل إنا لا ننال العمل بطاعتك ولا نترك معصيتك إلا برحمتك وأصل الرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم وإذا وصف بها الله تعالى فليس يراد بها إلا الإحسان المجرد والتفضل على العباد دون الرقة وقيل إن طلب العفو هو أن يسقط عنه عقاب ذنوبه وطلب المغفرة هو أن يستر عليه صوننا له من الفضيحة كأن العبد يقول اطلب منك العفو وإذا عفوت عني فاستره على فإذا عفا الله تعالى عن العبد وستره طلب الرحمة التي هي الإنعام والإحسان ليفوز بالتعمير والثواب (أنت مولانا) أي ناصرنا وحافظنا ووليانا ومتولى أمورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) يعني الجاحدين الذين عبدوا غيرك وجحدوا وحدانيتك. قال ابن عباس في قوله تعالى غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم وفي قوله لا تؤاخذنا إن نسيتنا أو أخطأنا قال لا تؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا إصرا قال لا أحمل عليكم ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا أحملكم واعف عنا (أنت مولانا) أي ناصرنا ونصرتنا على القوم الكافرين وكان معاذ بن جبل إذا ختم سورة البقرة قال آمين أخبرنا إسماعيل

ابن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو بكر بن أبي شيبة. أنا أبو أمامة حدثني مالك بن مسعود عن الزبير بن عدي عن طلحة بن علي بن مصرف عن مرة عن عبد الله قال ولما أسرى رسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة إليها ينهى ما يبرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينهى ما يهبط فوقها فيقبض منها، قال: إذ يغشى السدرة ما يغشى قال فرأى من ذهب قال

قال: لما أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السادسة

وأعطى رسول الله ﷺ ثلاثاً : الصلوات الخمس وأعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئاً من المقدمات
 أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين الإسفراييني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق
 الحافظ أنا يونس وأحمد بن سنان قال ثنا سفيان بن عيينة عن منصور عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود
 رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه أي عن قيام الليل
 أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه أنا العلاء بن عبد الجبار أنا
 حماد بن سلمة أخبرنا الأشعث بن عبد الرحمن الجرمي عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني عن النعمان بن بشير رضي الله
 عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن الله تعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألثي عام فأنزل منه آيتين
 ختم بهما سورة البقرة فلا تقرأن في دار ثلاث ليال فيقرها الشيطان» . (سورة آل عمران : مدنية وهي مائتا آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى (الم الله) قال الكلبي والربيع بن أنس وغيرهما نزلت هذه الآية في وفد بنجران وكانوا
 ستمين راكبا قدموا على رسول الله (٣١٦) وفيهم أربعة عشر رجلاً من أشرفهم وفي الأربعة عشر ثلاثة نفر

يقول إمامهم العاقب
 أمير القوم وصاحب
 مشورتهم الذي لا يصدرون
 إلا عن رأيه واسمه
 عبد المسيح والسيد ثم ماظم
 وصاحب رحلهم
 ومجتهم واسمه الأيم
 وأبو حارثة بن علقمة
 وهو أسقفهم وحبرهم
 دخلوا مسجد رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 حين صلى العصر عليهم
 ثياب الخبثات جيب
 وأردية في جمال رجال
 وإذا بالخارث بن كعب
 يقول ما رأينا وفداً مثلهم
 وقد حانت صلواتهم

ولها يقضى ما يعرج من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها
 قال إذ يغشي السدرة ما يغشي قال فراش من ذهب قال فأعطى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ثلاثاً أعطى الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئاً
 من المقدمات المقدمات : الذنوب العظام التي تولج مرتكبها النار وأصل الافتحام الولوج (ق)
 عن أبي مسعود الأنصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأيتان من آخر سورة البقرة
 من قرأهما في ليلة كفتاه معناه كمنناه من كل ما يحذر من كل هامة وشيطان فلا يقرب تلك الليلة وقيل
 كفتاه عن قيام الليل (م) عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل
 عليه السلام إذ سمع تقيضاً من فوقه فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال هذا باب من السماء
 فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل من السماء إلى الأرض لم
 ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال أبشر بنورين أتيتهما لم يؤتيتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم
 سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال إن الله كتب لنا كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألثي عام أنزل فيه آيتين ختم بهما
 سورة البقرة ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقرها شيطان أخرجه الترمذي وقال حديث غريب
 آخر تفسير سورة البقرة والله أعلم بمراحه وأسرار كتابه . (تفسير سورة آل عمران)
 (مدنية وهي مائتا آية وثلاث آلاف وأربعمائة وثمانون كلمة وأربعة عشر ألفاً وخمسة
 وعشرون حرفاً) . (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم)

فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ دعوهم فصلوا إلى المشرق فتكلم
 السيد والعاقب فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلما قالوا قد أسلمنا قبلك قال كذبتا بمنعكما من الإسلام ادعوا كما
 ولدا وعبادكما الصليب وأكلكما الخبز قالوا إن لم يكن ولداً لله فن أبوه وخاصموه جميعاً في عيسى فقال لهم النبي ﷺ أستم
 تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه؟ قالوا بلى قال أستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى
 قال أستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه؟ قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً قالوا لا قال أستم تعلمون
 أن الله لا تخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صور
 هيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب قالوا بلى قال أستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعت
 كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا
 فأنزل الله تعالى صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها فقال عز من قائل الم الله مفتوح الميم موصل عند العامة
 وإنما فتح الميم للتقاء الساكنين حرك إلى أخف الحركات وقرأ أبو يوسف ويعقوب بن خليفة الأعشى عن أبي بكر الم الله
 مقطوعاً مسكناً الميم على نية الوقف ثم قطع الهمة للابتداء وأجراه على لغة من يقطع ألف الوصل (لا إله إلا هو الحي القيوم)

قوله تعالى الله ابتداء ما بعده خبره والحي القيوم نعت له (نزل عليك الكتاب) أي القرآن (بالحق) بالصدق (مصدقا لما بين يديه) لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوة والأخبار وبعض الشرائع (٣١٧) (وأنزل التوراة والإنجيل من قبل)

وإنما قال وأنزل التوراة والإنجيل لأن التوراة والإنجيل أنزلا جملة واحدة وقال في القرآن نزل لأنه نزل مفصلا والتنزيل للتكثير والتوراة قال البصريون أصلها وورية على وزن فوعة مثل دوخلة وحوقلة فحولت الواو الأولى تاء وجعلت الياء المفتوحة ألفا فصارت تورا ثم كتبت بالياء على أصل الكلمة، وقال الكوفيون أصلها تفعلة مثل توصية وتوفية فقبلت الياء ألفاعا لغة طين فأنهم يقولون للجارية جارة وللناصية ناصاة وأصلها من قولهم وري الزند إذا خرجت ناره وأورته أنا قال الله تعالى «أفرأيتم النار التي تورون فسمى التوراة لأنها نور وضياء قال الله تعالى «وضياء وذكري لمتقين» وقيل هي من التورية وهي كتمان السر والتعريض بغيره وكان في التوراة معارض من غير تصريح والإنجيل إفعيل من النجل وهو الخروج ومنه سمي الولد نجلا لخروجه فسمى الإنجيل به لأن

قال المفسرون نزلت هذه الآية في وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرفهم منهم ثلاثة نفر إليهم يؤل أمرهم وهم العاقب واسمه عبد المسيح وهو أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه والسيد واسمه الأيهم وهو ثمانهم القائم بأمهم وصاحب رحلهم الذي يقوم بأمر طعامهم وشرابهم وأبو حارثة بن علقمة وهو أسقفهم وجرهم وكان ملوك الروم يكرمونه لما بلغتهم عن علمه واجتهاده في دينه فدخلوا مسجد رسول الله عليه وسلم حين يصلى العصر وعليهم ثياب الخبثات جيب وأردية يقول من رأيهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأينا وقد أمثلهم وقد حازت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فاضلوا إلى المشرق فلما فرغوا كلم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلما قالوا قد أسلما قبلك قال كذبنا يمتنعكما من الإسلام دعوا كما لله ولدا وعباد كما الصليب وأكل كما الخنزير قال إن لم يكن عيسى ولد الله فمن أيوه وخاصة جميعا في عيسى فقال النبي صلى الله عليه وسلم أستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا هو يشبه أباه قالوا بلى قال أستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الموت قالوا بلى قال أستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال أستم تعلمون أن الله لا ينجي عليه شيء في الأرض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما علم قالوا لا قال أستم تعلمون أن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب قالوا بلى قال أستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون لها كما زعمتم فسكتوا فأنزل الله صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها زاد بعضهم فقالوا يا محمد الست تزعم أن عيسى كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسبنا ثم أبوا إلا الجحودا فأنزل الله ردا عليهم ألم الله لا إله إلا هو فكيف يتببون له ولدا فين تعالى أن أحدا لا يستحق العبادة سواه لأنه الواحد الأحد ليس معه إله ولا له ولد ثم اتبع ذلك بما جرى مجرى الدلالة عليه فقال تعالى أما الحي القيوم أما الحي في صفة الله تعالى فهو الدائم الباقي الذي لا يصح عليه الموت وأما القيوم فهو القائم بذاته والقائم بتدبير الخلق ومصالحهم فيما يحتاجون إليه في معاشهم ومعادهم (نزل عليك الكتاب) يعني القرآن (بالحق) أي بالصدق والعدل (مصدقا لما بين يديه) يعني لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوات والأخبار وبعض الشرائع وقوله لما بين يديه من مجاز الكلام وذلك أن ما بين يديه فهو أمامه فقيل لكل شيء متقدم على الشيء هو بين يديه لغاية ظهوره واشتهاره (وأنزل التوراة والإنجيل من قبل) أي من قبل القرآن . فان قلت لم قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والإنجيل . قلت لأن القرآن نزل منجما مفصلا في أوقات كثيرة ونزل هو للتكثير وأنزل التوراة والإنجيل جملة واحدة (هدى للناس) يعني أن أنزل التوراة والإنجيل قبل القرآن كان هدى للناس . فان قلت كيف وصف القرآن في أول البقرة بأنه هدى للمتقين

الله تعالى أخرج به دارسا من الحق عافيا ويقال هو من النجل وهو سعة العين سمي به لأنه أنزل سعة لهم ونورا وقيل التوراة بالعبرانية تور ، وتور معناه الشريعة والإنجيل بالسريانية انجيليون ومعناه الإكليل . قوله تعالى (هدى للناس) هاديا

تصدّرها وأزّل التوراة والإنجيل والفرقان هدى للناس . قوله تعالى (إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء) من الصور المختلفة ذكرا أو أنثى أبيض أو أسود حسنا أو قبيحا تاما أو ناقصا (لا إله إلا هو العزيز الحكيم) وهذا رد على وفد نجران من النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله وكأنه يقول كيف يكون ولدا وقد صورته الله تعالى في الرحم أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو محمد عبد الرحيم ابن أحمد بن محمد الأنصاري أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا أبو خيثمة زهير بن معاوية عن الأعمش عن زين بن وهب قال سمعت عبد الله ابن مسعود يقول حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق إن أحدكم يجمع في بطن

ووصف هنا التوراة والإنجيل بأنهما هدى للناس . قلت إنما وصف القرآن بأنه هدى للمتقين لأنهم هم الذين انتفعوا به وتبعوه ووصف هنا التوراة والإنجيل بأنهما هدى للناس لأن المناظرة كانت مع نصارى نجران وهم يعتقدون صحة التوراة والإنجيل فلهذا السبب قال هنا هدى للناس وقيل إن قوله هدى للناس يعود إلى الكتب الثلاثة يعني القرآن المتقدم ذكره والتوراة والإنجيل وإنما وصف هذه الكتب بأنها هدى للناس لما فيها من الشرائع والأحكام (وأزّل الفرقان) يعني الفارق بين الحق والباطل قيل أراد به القرآن وإنما أعاد ذكره تعظيما لشأنه ومدحاله لكونه فارقا بين الحق والباطل وقيل وإنما أعاد ذكره ليبين أنه تعالى أنزله بعد التوراة والإنجيل ليجمعه فارقا بين ما اختلف فيه اليهود والنصارى في أمر عيسى عليه السلام وقيل المراد به الكتب الثلاثة لأنها كلها هدى للناس ومفرقة بين الحلال والحرام والحق والباطل وقال السدي في الآية تقديم وتأخير تقديره وأزّل التوراة والإنجيل والفرقان هدى للناس (إن الذين كفروا بآيات الله) يعني الكتب المنزلة وغيرها قيل أراد بهم نصارى وفد نجران كفروا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل أن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ فهو يتناول كل من كفر بشيء من آيات الله تعالى (لهم عذاب شديد والله عزيز) أي غالب لا يغلب (ذو انتقام) يعني ممن كفر به والانتقام المبالغة في العقوبة . قوله عز وجل (إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء) أي لا يخفى عليه شيء من أمر العالم وهو المطلع على أحوالهم فنقوله إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء إشارة إلى كمال علمه المتعلق بجميع المعلومات (هو الذي يصوركم في الأرحام) التصوير جعل الشيء على صورة والصورة هيئة يكون عليها الشيء بالتأليف والأرحام جمع رحم (كيف يشاء) يعني الصور المختلفة المتفاوتة في الحلقة ذكرا أو أنثى أبيض أو أسود حسنا أو قبيحا كاملا أو ناقصا والمعنى أنه الذي يصوركم في ظلمات الأرحام صوراً مختلفة في الشكل والطبع واللون وذلك من نطفة (ق) عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث إليه ملك بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله شيء أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « وكل الله بالرحم ملكا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال يا رب أذكر أم أنثى أشقى أم سعيد فما الرزق فما الأجل فكتب له ذلك في بطن أمه » وقيل أن الآية واردة في الرد على النصارى وذلك أن عيسى عليه السلام كان يخبر ببعض الغيب فيقول أكلت في دارك كذا صنعت كذا وإنه أحيا الموتى وأبرا الأكمه والأبرص وخلق من الطين طيرا فادعت النصارى فيه الإلهية وقالوا ما قدر على ذلك إلا أنه إله فرد الله تعالى عليهم بذلك وأخبر أن الإله المستحق لهذا الاسم هو الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وأنه المصور في الأرحام كيف يشاء وأن عيسى عليه السلام ممن صورته في الرحم فبها يكون مصورا في الرحم على أنه عبد مخلوق كغيره وأنه يخفى عليه ما لا يخفى على الله عز وجل (لا إله إلا هو العزيز الحكيم) وهذا أيضا في الرد على النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله

كأنه أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه الملك أو قال يبعث إليه الملك بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشئى أو سعيد قال وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى

ما يكون بينها وبينه غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة (٣١٩) فيدخلها أخبرنا إسماعيل بن

عبد القاهر الجرجاني
أنا عبد الغافر بن محمد
القاسمي أنا أبو أحمد
محمد بن عيسى الجلودي
أنا أبو إسحاق إبراهيم بن
محمد بن سفيان أنا مسلم
ابن الحجاج أنا محمد بن
عبد الله بن غير ثنا سفيان
ابن عيينة عن عمرو بن
ديبار عن أبي الطفيل
عن حذيفة بن أسيد يبلغ
به النبي ^{عليه السلام} قال يدخل
الملك على النطفة بعد
ما تستقر في الرحم بأربعين
أو خمسة وأربعين ليلة
فيقول يا رب أشق أم سعيد
فيكتب ذلك فيقول
يا رب أذكر أم أنثى
فيكتبان ويكتب عمله
وأجله ورزقه ثم تطوى
الصحف فلا يزداد فيها
ولا ينقص وقوله تعالى
(هو الذي أنزل عليك
الكتاب منه آيات
محكمات) مبيّنات
مفصلات سميت محكمات
من الإحكام كأنه أحكمها
فمنع الخلق من التصرف
فيها لظهورها ووضوح
معناها (هن أم الكتاب)
أي أصله الذي يعول عليه
في الأحكام وإنما قال هن
أم الكتاب ولم يقل أمهات
الكتاب لأن الآيات

كأنه قال كيف يكون ولد له وقد صوره الله في الرحم . قوله عز وجل (هو الذي أنزل عليك الكتاب) يعني القرآن (منه آيات محكمات) يعني مبيّنات مفصلات أحكمت عبارتها من احتيال التأويل والاشتباه سميت محكمة من الإحكام كأنه تعالى أحكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها (هن أم الكتاب) يعني هن أصل الكتاب الذي يعول عليه في الأحكام ويعمل به في الحلال والحرام فإن قلت كيف قال هن أم الكتاب ولم يقل أمهات الكتاب قلت لأن الآيات في اجتماعها وتكاملها كالآية الواحدة وكلام الله كله شيء واحد وقيل إن كل آية منهن أم الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وأمه آية يعني أن كل واحد منهما آية (وأخر) جمع أخرى (متشابهات) يعني أن لفظه يشبه لفظ غيره ومعناه يخالف معناه . فإن قلت قد جعله هنا محكما ومتشابهة وجعله في موضع آخر كله محكما فقال في أول هود الركنات أحكمت آياته وجعله في موضع آخر كله متشابهة فقال تعالى في الزمر الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابهة فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت حيث جعله كله محكما أراد أنه كله حق وصدق ليس فيه عيب ولا هزل وحيث جعله كله متشابهة أراد أن بعضه يشبه بعضا في الحسن والحق والصدق وحيث جعله هنا بعضه محكما وبعضه متشابهة فقد اختلفت عبارات العلماء فيه فقال ابن عباس المحكمات الثلاث آيات التي في آخر سورة الأنعام وهي قوله تعالى قل تعالوا أتتوا أئمتنا ما حرم ربكم عليكم ونظيرها في بني إسرائيل وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه الآيات وعنه أن الآيات المحكمات هي النسخة والمتشابهات هي الآيات المنسوخة وبه قال ابن مسعود وقتادة والسدي وقيل إن المحكمات ما فيه أحكام الحلال والحرام والمتشابهات ما سوى ذلك يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا وقيل إن المحكمات ما طلع الله عباده على معناه والمتشابه ما استأثر الله بعلمه فلا سبيل لأحد إلى معرفته نحو الخبر عن أشراط الساعة مثل الدجال وأجوج ومأجوج وزول عيسى عليه السلام وظلوع الشمس من مغربها وفناء الدنيا وقيام الساعة فجمع هذا مما استأثر الله بعلمه وقيل إن المحكم ما لا يحتل من التأويل والإوجها واحدا والمتشابه ما يحتل أوجها وروى ذلك عن الشافعي وقيل أن المحكم سائر القرآن والمتشابه هي الحروف المقطعة في أوائل السور قال ابن عباس أن رهطا من اليهود منهم جحي بن أخطب وكعب بن الأشرف ونظراؤهما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جحي بلغنا أنك أنزلت عليك أم فأنشدك الله أنزلت عليك قال نعم قال إن كان ذلك حقا فاني أعلم مدة ملك أمتك هي إحدى وسبعون سنة فهل أنزل عليك غيرها قال نعم المص قال فهذه أكثر هي إحدى وستون ومائة فهل أنزل عليك غيرها قال نعم الرقال هذه أكثر هي مائتان وإحدى وثلاثون سنة فهل من غيرها قال نعم المر قال هذه أكثر هي مائتان وإحدى وسبعون سنة وقد اختلف علينا فلا ندري أبكثيره نأخذ أم بقليله ونحن ممن لا يؤمن بهذا فأنزل الله هذه الآية قوله تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه وقيل إن المحكم ما لم تتكرر ألفاظه والمتشابه ما تكررت ألفاظه وقيل إن المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتاج إلى بيان والمتشابه ما احتاج إلى بيان وقيل إن المحكم هو الأمر والنهي والوعد والوعيد والمتشابه هو القصص والأمثال . فإن قلت إنما نزل القرآن لبيان الدين وإرشاد العباد وهدايتهم فما فائدة المتشابه وهلا كان كله محكما . قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة أحدها أن القرآن أنزل بالفاظ العرب ولغاتهم وكلام العرب على ضربين أحدهما الإيجاز

كلها في تكاملها واجتماعها كالآية الواحدة وكلام الله تعالى واحد ، وقيل معناه كل آية منهن أم الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وأمه آية أي كل واحد منهما آية (وأخر) جمع أخرى ولم يصرفه لأنه معلول عن الآخر مثل عمر وزفر (متشابهات).

فإن قيل كيف فرق هاهنا بين المحكم والمشابه وقد جعل الله كل القرآن محكما في مواضع أخر فقال في كتاب
 أحكمت آياته « وجعل كله متشابها فقال » الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها ؟ قيل حيث جعل الكل محكما أراد أن
 الكل حق ليس فيه عيب ولا هزل وحيث جعل الكل متشابها أراد أن بعضه يشبه بعضا في الحق والصدق وفي الحسن وجعل
 هاهنا بعضه محكما وبعضه متشابها واختلف العلماء فيهما فقال ابن عباس رضي الله عنهما المحكمات هن الآيات الثلاث في سورة
 الأنعام قل تعالوا أتبل ما حرم ربكم عليكم ونظير هاني بنى إسرائيل وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه الآيات وعند أنه قال المتشابهات
 حروف التهجي في أوائل السور وقال مجاهد وعكرمة المحكم ما فيه الحلال والحرام وما سوى ذلك متشابه يشبه بعضه بعضا
 في الحق ويصدق بعضه بعضا كقوله تعالى وما يضل به إلا الفاسقين ويجعل الرحمن على الذين لا يؤمنون وقال قتادة والضحاك
 والسدي المحكم الناسخ الذي يعمل به (٣٢٠) والمتشابه المنسوخ الذي يؤمن به ولا يعمل به وروى علي بن أبي طلحة عن

ابن عباس رضي الله
 عنها قال محكمات القرآن
 ناسخه وحلاله وحرامه
 وحدوده وفرائضه وما
 يؤمن به ويعمل به
 والمتشابهات منسوخه
 ومقدمه ومؤخره وأمثاله
 وأقسامه وما يؤمن به
 ولا يعمل به وقيل
 المحكمات ما أوقف الله
 الخلق على معناه والمتشابه
 ما استأثر الله تعالى بعلمه
 لا سبيل لأحد إلى علمه
 نحو الخبر عن أشراط
 الساعة وخروج الدجال
 ونزول عيسى عليه السلام
 وطلوع الشمس من مغربها
 وقيام الساعة وفناء الدنيا
 قال محمد بن جعفر بن
 الزبير المحكم ما لا يحتمل

للاختصار والموجز الذي لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره والإطالة لبيان المراد والتوكيد.
 الضرب الثاني المجاز والكتابات والإشارات والتلويحات وإغماض بعض المعاني وهذا الضرب
 هو المستحسن عند العرب واليديع في كلامهم فأنزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين ليتحقق
 مجزهم عن الإتيان بمثله فكأنه قال عارضوه بأى الضربين شئتم ولو نزل كله محكما واضحا لقالوا
 هلا أنزل بالضرب المستحسن عند الجواب الثاني أن الله تعالى أنزل المتشابه لفائدة عظيمة وهي
 أن يشتغل أهل العلم والنظر بردهم المتشابه إلى المحكم فيطول بذلك فكرهم ويتصل بالبحث عن
 معانيه اهتمامهم فيثابون على تعبه كما أتبعوا على عباداتهم. ولو أنزل القرآن كله محكما لاستوى
 في معرفته العالم والجاهل ولم يفضل العالم على غيره ولمانت الحواطر وخذت الفكره ومع العموض
 تقع الحاجة إلى الفكرة والحيلة إلى استخراج المعاني وقد قيل في عيب الغنى أنه يورث البلادة وفي
 فضيلة الفقر أنه يورث الفطنة وقيل إنه يبعث على الحيلة لأنه إذا احتاج احتال الجواب الثالث
 أن أهل كل علم يجعلون في علومهم معاني عامضة ومساائل دقيقة ليختبروا بذلك أذهان المتعلمين
 منهم على انتزاع الجواب لأنهم إذ قدروا على انتزاع المعاني العامضة كانوا على الواضح أفدر فلما
 كان ذلك حسنا عند العلماء جاز أن يكون ما أنزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو. الجواب
 الرابع إن الله تعالى أنزل المتشابه في كتابه مختبرا به عباده ليقف المؤمن عنده ويرد علمه إلى علمه
 فيعظم بذلك ثوابه ويرتاب به المنافق فيداخله الزبغ فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلى بنو إسرائيل
 بالنهر والله أعلم بمراذه. وقوله تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ) أي ميل عن الحق وقيل الزيغ
 الشك واختلفوا في المعنى بهم والمشار إليهم فقيل هم وفد نجران الذين خاصموا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في عيسى عليه السلام وقالوا ألست تزعم أن عيسى روح الله وكأله قال بلى قالوا حسبنا
 فأنزل الله هذه الآية وقيل هم اليهود لأنهم طلبوا معرفة مدة بقاء هذه الأمة واستخراجه بحساب

من التأويل غير وجه واحد والمتشابه ما يحتمل أوجها وقيل المحكم ما يعرف معناه وتكون حجته
 واضحة ودلائله لائحة لا يشبهه والمتشابه هو الذي يدرك علمه بالنظر ولا يعرف العوام تفصيل الحق فيه من الباطل وقال بعضهم
 المحكم ما يستقل بنفسه في المعنى والمتشابه ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية
 بأذان المتشابه حروف التهجي في أوائل السور وذلك أن رهط من اليهود منهم حبي بن أخطب وكعب بن الأشرف ونظراؤهما
 أنوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له حبي بلغنا أنه أنزل عليك ألم تنشدك الله أنزلت عليك قال نعم قال فان كان ذلك
 حقا فاني أعلم مدة ملك أمك هي إحدى وسبعون سنة فهل أنزل غيرها قال نعم المص قال فهذه أكثر هي إحدى وسبعون
 ومائة سنة قال فهل غيرها قال نعم الر قال هذه أكثر هي مائتان وإحدى وسبعون سنة فهل غيرها قال نعم المر قال هذه
 أكثر هي مائتان وإحدى وسبعون سنة ولقد خلطت علينا فلا ندرى أبكبره نأخذ أم يقلبه ونحن ممن لا يؤمن بهذا فأنزل
 الله تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات (فأما الذين في قلوبهم زيغ)

أى ميل عن الحق وقيل شك (فينبعون ما تشابه منه) واختلفوا في المعنى بهذه الآية قال الربيع . هم وقد تجران مخصصوا النبي صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام وقالوا له أنت زعم أنه كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسبنا ذلك فأنزل الله هذه الآية وقال الكلبي هم اليهود طلبوا علم أجل هذه الأمة واستخراجهم بحساب الجمل وقال ابن جريح هم المنافقون وقال الحسن هم الخوارج وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية « فأما الذين في قلوبهم زيغ » قال إن لم يكونوا الخرورية والسبئية فلا أدري من هم . وقيل هم جميع المبتدعة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعماني أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن مسلمة أنا يزيد بن إبراهيم التستري عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات » إلى قوله أولوا الألباب قالت قال رسول الله (٣٢١) صلى الله عليه وسلم « فإذا رأيت

الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحلروهم » قوله تعالى (ابتغاء الفتنة) طلب الشرك قاله الربيع والسدي وقال مجاهد ابتغاء الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم (وابتغاء تأويله) تفسيره وعلمه دليله قوله تعالى « وأنت تعلم بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً » وقيل ابتغاء عاقبته وطلب أجل هذه الأمة من حساب الجمل دليله قوله تعالى « ذلك خير وأحسن تأويلاً » أى عاقبة قوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله والراشخون في العلم) اختلف العلماء في نظم هذه الآية فقال

الجمل من الحروف المقطعة في أوائل السور وقيل هم المنافقون وقيل هم الخوارج وكان قتادة يقول إن لم يكونوا الخرورية والسبئية فلا أدري من هم وقيل هم جميع المبتدعة (فينبعون ما تشابه منه) يعني يحيلون المحكم على المتشابهة والمتشابهة على المحكم ويقولون ما يبال هذه الآية عمل بها كذا وكذا ثم نسخت وقيل كل من احتج لباطله بالمتشابهة فهو المعنى بهذه الآية (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات إلى وما يذكر إلا ما أولوا الألباب » فقال إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين ساءم الله فاحلروهم . وقرله تعالى (ابتغاء الفتنة) أى طلب الشرك والكفر وقيل طلب الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم وقيل طلب إفساد ذات البين (وابتغاء أوليه) أى تفسيره وأصل التأويل في اللغة: المرجع والمصير تقول آل الأمر إلى كذا إذا رجع إليه وتسمى العاقبة تأويلاً لأن الأمر يصير إليه قال ابن عباس في قوله « وابتغاء تأويله أى طلب بقاء ملك محمد ﷺ وقيل المراد بهم الكفار طلبوا متى يدمون وكيف إحياءهم بعد الموت وقيل هو طلب تفسير المتشابهة وعلمه (وما يعلم تأويله إلا الله) يعنى تأويل المتشابهة وقيل لا يعلم انقضاء ملك هذه الأمة إلا الله تعالى لأن انقضاء ملكها مع قيام الساعة . ولا يعلم ذلك إلا الله وقيل يجوز أن يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال وزول عيسى بن مريم وعلم الحروف المقطعة وأشياء ذلك مما استأثر الله بعلمه فالإيمان به واجب وحقائق علومه مقوضة إلى الله تعالى وهذا قول أكثر المفسرين وهو مذهب ابن مسعود وابن عباس في رواية عنه وأبو بن كعب وعائشة وأكثر التابعين فعلى هذا القول تم الكلام عند قوله « إلا الله فيوقف عليه ثم ابتداء فقال عز من قائل (والراشخون في العلم) أى الثابتون في العلم وهم الذين اتقنوا علمهم بحيث لا يسلخ في علمهم شك (يقولون آمناً به) قال ابن عباس ساءم الله راشخين في العلم بقولهم آمناً به

(٤١) - خازن بالغوى - أول)

قوم الواو في قوله والراشخون وأو العطف يعنى أن تأويل المتشابهة يعلمه الله ويعلمه الراشخون في العلم وهم مع علمهم (يقولون آمناً به) وهذا قول مجاهد والربيع وعلى هذا يكون قوله يقولون حالاً معناه والراشخون في العلم مع علمهم قائلين : آمناً به هذا كقولهم تعالى « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فإنه للرسول ولذو القربى » ثم قال « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم » إلى أن قال « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم » ثم قال « والذين جاءوا من بعدهم » وهذا عطف على ما سبق ثم قال « يقولون ربنا اغفر لنا » يعنى هم مع استحقاقهم لئى يقولون : ربنا اغفر لنا أى قائلين على الحال وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول في هذه الآية أنا من الراشخين في العلم وقال مجاهد أنا ممن يعلم تأويله . وذهب الأكثرون إلى أن الواو في قوله والراشخون وأو الاستئناف وتم الكلام عند قوله وما يعلم تأويله إلا الله وهو قول أبي بن كعب وعائشة وعروة بن الزبير رضي الله عنهم ورواية طلوس عن ابن عباس رضي الله عنهما وبه قال الحسن وأكثر التابعين واختاره الكسائي والفراء والأخفش وقالوا لا يعلم تأويل المتشابهة إلا الله ويجوز أن يكون في القرآن تأويل

استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه احدا من خلقه كما استأثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ونحوها واطلق متعبدون في التشابه بالإيمان به وفي الحكم بالإيمان به وللمعلم وبما يصدق ذلك قراءة عبد الله إن تأويله إلا عند الله والراشخون في العلم يتولون آمنة وفي حرف أبي ويقول الراشخون في العلم آمنة به . وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الآية انتهى علم الراشخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا آمنة به كل من عند ربنا وهنا القول أقيس في العربية وأشبه بظاهر الآية قوله تعالى «والراشخون في العلم» أي الداخلون في العلم هم الذين اتقنوا علمهم بحيث لا يخل في معرفتهم شك وأصله من رسوخ الشيء في الشيء وهو ثبوته يقال رسخ الإيمان في قلب فلان رسخ رسخا ورسوخا وقيل الراشخون في العلم مؤمنوا أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه دليله قوله تعالى «لكن الراشخون في العلم منهم» بمعنى المدارس علم التوراة والإنجيل وسئل مالك بن أنس رضي الله عنه (٣٢٢) عن الراشخين في العلم قال العالم العامل بما علم المتبع لما علم وقيل الراشخ

فرسوخهم في العلم هو الإيمان به وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الآية انتهى علم الراشخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا آمنة به (كل من عند ربنا) بمعنى الحكم والمشابه والناسخ والمنسوخ وما علمنا منه وما لم نعلم ونحن معتقدون في المشابه بالإيمان به وفكل معرفته إلى الله تعالى وفي الحكم يجب علينا الإيمان به والعمل بمقتضاه وروى عن ابن عباس أنه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه فنه تفسير لا يسع أحدا جهله وتفسير تعرفه العرب بألسنتها وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله وقيل أن الواو في قوله والراشخون في العلم واو عطف يعني أن تأويل المشابه يعلمه الله ويعلمه الراشخون في العلم وهم مع علمهم يقولون آمنة به روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول أنا من الراشخين في العلم وعن مجاهد عنه أنا ممن يعلم تأويله ووجه هذا القول أن الله تعالى أنزل كتابه لينتفع به عباده ولا يجوز أن يكون في القرآن شيء لا يعرفه أحد من الأمة وفي المراد بالراشخين في العلم هنا قولان أحدهما أنهم مؤمنوا أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه دليله قوله تعالى «لكن الراشخون في العلم منهم» والثقول الثاني أن الراشخين هم العلماء العاملون بعلمهم . سئل أنس ابن مالك عن الراشخين في العلم فقال العلم العامل بما علم المتبع له وقيل الراشخ في العلم من وجد في علمه أربعة أشياء التقوى فيما بينه وبين الله تعالى والتواضع فيما بينه وبين الناس والزهد فيما بينه وبين الدنيا والمجاهدة فيما بينه وبين النفس (وما يذكر إلا أو الألياب) أي وما يتعظ بما في القرآن إلا ذوق العقول وهذا ثناء من الله عز وجل على الذين قالوا آمنة به كل من عند ربنا . قوله عز وجل (ربنا لا ترغ قلوبنا) أي ويتول الراشخون في العلم ربنا لا ترغ قلوبنا أي لا تملها عن الحق والهدى كما أرغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ (بعد إذ هدبنا) أي وفقنا لدينك والإيمان بالحكم والمشابه من كتابك (وهب لنا من لدنك رحمة) أي أعطنا توفيقا وتثبيتا للذي نحن عليه من الإيمان والهدى وقيل هب لنا تجاوزا ومغفرة (إنك أنت الوهاب) الهبة

في العلم من وجد في علمه أربعة أشياء: التقوى بينه وبين الله والتواضع بينه وبين الخلق والزهد بينه وبين الدنيا والمجاهدة بينه وبين نفسه ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والسدى بقولهم آمنة به معاهم الله تعالى راشخين في العلم فرسوخهم في العلم قولهم آمنة به أي بالمشابه (كل من عند ربنا) الحكم والمشابه والناسخ والمنسوخ وما علمنا وما لم نعلم (وما يذكر) ما يتعظ بما في القرآن (إلا أولوا الألياب) ذوق العقول قوله تعالى (ربنا لا ترغ قلوبنا) أي ويقول

الراشخون ربنا لا ترغ قلوبنا أي لا تملها عن الحق والهدى كما

أرغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ (بعد إذ هدبنا) وفقنا لدينك والإيمان بالحكم والمشابه من كتابك (وهب لنا من لدنك) أعطنا من عندك (رحمة) توفيقا وتثبيتا للذي نحن عليه من الإيمان والهدى وقال الضحاك تجاوزا ومغفرة (إنك أنت الوهاب) أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التميمي أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو القاسم أحمد بن عدي الخافظ أنا أبو بكر بن عبد الرحمن بن القاسم القرشي يعرف بأبن الرواس الكبير بدمشق أنا أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني أنا صدقة أنا عبد الرحمن بن جابر حدثني بشر بن عبيد الله قال سمعت أبا إدريس الخولاني يقول حدثني الثواس بن سميان الكلابي قال: قال رسول الله ﷺ «ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن» إذا شاء أن يقيهه أقامه وإن شاء أن يزيغه أرغفه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك والميزان بيد الرحمن برقع قوموا بوضع

العطية

آخرين إلى يوم القيامة أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى حدثنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحميرى أنا حاجب بن أحمد الطوسى
أنا عبد الرحيم بن منيب أنا يزيد بن هارون أنا سعيد بن إياس الحميرى عن غنيم (٢٢٣) بن قيس عن أبي موسى الأشعري

رضى الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم «مثل القلب كبريشة
بأرض فلاة تقلبها الرياح
ظهرا لبطن» قوله تعالى
(ربنا إنك جامع الناس
ليوم) أى لقضاء يوم
وقيل اللام بمعنى فى أى يوم
(لأريب فيه) أى لاشك
فيه وهو يوم القيامة
(إن الله لا يخلف الميعاد)
وهو مفعول من الوعد
قوله تعالى (إن الذين
كفروا لن تغنى) لن تنفع
ولن تدفع (عنهم أموالهم
ولا أولادهم من الله)
قال الكلبي من عذاب
الله وقال أبو عبيدة من
بمعنى عند أى عند الله
(شيئا وأولئك هم وقود
النار كذاب آل فرعون)
قال ابن عباس رضى
الله عنهما وعكرمة
ومجاهد كفعال آل فرعون
وصنيعهم فى الكفر
والتكذيب وقال عطاء
والكسافى وأبو عبيدة
كسنة آل فرعون وقال
الأخفش كأمر آل فرعون
وشأنهم وقال النضر بن
شميل كعادة آل فرعون
يريد عادة هؤلاء الكفار

الخطية الخالية عن الأعراض والأغراض والوهاب فى صفة الله تعالى أنه يعطى كل أحد على قدر
استحقاقه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله عليه وسلم يقول «قلوب بنى آدم كلها
بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصفه حيث يشاء ثم» قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم «اللهم مصرفت القلوب صرف قلوبنا على طاعتك» هذا من أحاديث الصفات وللعلماء
فيه قولان أحدهما الإيمان به وإمراره كما جاء من غير تعرض لتأويل ولا تكليف ولا لمعرفة
معناه بل يؤمن به كما جاء وأنه حق ونكل علمه إلى مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هذا
القول هو مذهب أهل السنة من سلف الأمة وخلفها من أهل الحديث وغيرهم والقول الثانى
أنه يتأول بحسب ما يلقى به وأن ظاهره غير مراد قال تعالى «ليس كمثلته شئ» فعلى هذا المراد
هو الجاز كما يقال فلان فى قبضتى وفى كفى يريد أنه تحت قدرته وفى تصرفه إلا أنه حال فى كفه
فمعنى الحديث أنه سبحانه وتعالى متصرف فى قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا تمتنع عليه منها
شئ ولا يفوته ما أراد منها كما لا تمتنع على الإنسان ما بين أصبعيه فخاطب رسول الله صلى الله
عليه وسلم أصحابه بما يفهمونه ويعلمونه من أنفسهم وإنما شئ لفظ الأصبعين والقدرة واحدة
لأنه جرى على المعهود من التمثيل بحسب ما اعتادوه وإن كان غير مقصود به التثنية أو الجمع وهذا
مذهب جمهور المتكلمين وغيرهم من المتأخرين. وإنما خص القلوب بالذكر لفائدة وهى أن
الله تعالى جعل القلوب محلا للخواطر والإرادات والنيات وهى مقدمات الأفعال ثم جعل سائر
الجوارح تابعة للقلوب فى الحركات والسكنات والله أعلم. قوله عز وجل (ربنا إنك جامع الناس
ليوم لأريب فيه) أى ليوم القضاء وقيل اللام بمعنى فى أى فى يوم لأريب فيه أى لاشك
فيه أنه كائن وهو يوم القيامة (إن الله لا يخلف الميعاد) هذا من بقية دعاء الراسخين فى العلم
وذلك أنهم طلبوا من الله تعالى أن يصرف قلوبهم عن الزبغ وأن يخلصهم بالهداية والرحمة
وذلك من مصالح الدين والدنيا ثم إنهم اتبعوا ذلك بقولهم «ربنا إنك جامع الناس ليوم لأريب
فيه» ومعناه إنا نعلم أنك جامع الناس للجزاء فى يوم القيامة ونعلم أن وعدك حق وأنت لا تخلف
الميعاد فن أرغبت قلبه فهو هالك ومن منفت عليه بالهداية والرحمة فهو ناج من العذاب سعيد
قوله عز وجل (إن الذين كفروا) يعنى برسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم قرينة
والضير (لن تغنى) أى لن تنفع ولن تدفع (عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) أى من
عذاب الله شيئا وقيل من معنى عند أى عند الله شيئا (وأولئك هم وقود النار كذاب آل فرعون)
قال ابن عباس كفعال آل فرعون وصنيعهم فى الكفر وقيل كعادة آل
فرعون والمعنى أن عادة هؤلاء الكفار فى تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجود الحق
كعادة آل فرعون فأنهم كذبوا موسى وصدقوا فرعون (والذين من قبلهم) يعنى كفار الأمم
الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم (كذبوا بآياتنا) يعنى لما جاءتهم بها الرسل (فأخذهم الله بذنوبهم)
أى فعاقبهم الله بسبب تكذيبهم (والله شديد العقاب) وقيل فى معنى الآية إن الذين كفروا لن تغنى
عنهم أموالهم ولا أولادهم عند حلول العقوبة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الأمم الخالية فأخذناهم

فى تكذيب الرسل وجود الحق كعادة آل فرعون (والذين من قبلهم) كفار الأمم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم (كذبوا بآياتنا
فأخذهم الله) فعاقبهم الله (بذنوبهم) وقيل نظم الآية إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم عند حلول العقوبة
مثل آل فرعون وكفار الأمم الخالية أخذناهم فلن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئا (والله شديد العقاب) قوله تعالى

(قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم) قرأ حمزة والنكسائي بالياء فيهما أي أنهم يغلبون وتحشرون وقرأ الآخرون بالياء فيهما على الخطاب أي قل لهم إنكم ستغلبون وتحشرون قال مقاتل أراد مشركي مكة معناه قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون إلى جهنم في الآخرة فلما نزلت هذه الآية، قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر إن الله غالبكم وحاشركم إلى جهنم ووقال بعضهم المراد بهذه الآية اليهود وقال النكسائي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن يهود أهل المدينة قالوا لما هزم رسول الله ﷺ المشركين يوم بدر: هذا، والله النبي الذي بشرنا به موسى لا ترد له راية وأرادوا اتباعه، ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى تنظروا (٣٢٤) إلى وقعة أخرى فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله صلى الله

عليه وسلم شكوا فغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وقد كان بينهم وبين رسول الله عهد إلى مدة فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكباً إلى مكة يستغزهم فأجمعوا أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأزول الله تعالى فيهم هذه الآية وقال محمد بن إسحاق عن رجاله ورواه سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً أنه لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا بدر ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقاتل يامعشر اليهود احدروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر وأسلموا قبل أن ينزل بكم مثل

فلم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم . قوله عز وجل (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون) قرئ بالياء والياء فيهما فن قرأ بالياء المنقوطة تحت فعناه بلغهم يا محمد أنهم سيغلبون وتحشرون ومن قرأ بالياء المنقوطة فوق فعناه قل لهم ستغلبون وتحشرون (إلى جهنم) قيل أراد بالذين كفروا مشركي قريش والمعنى قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون في الآخرة إلى جهنم فلما نزلت هذه الآية قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر إن الله غالبكم وحاشركم إلى جهنم وقيل إن أبا سفيان جمع جماعة من قومه بعد وقعة بدر فأنزله الله تعالى هذه الآية وقيل أن هذه الآية نزلت في اليهود وقال ابن عباس إن يهود المدينة قالوا لما هزم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين يوم بدر هذا والله النبي الذي بشر به موسى لا ترد له راية وأرادوا اتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى تنظروا واقعة أخرى فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة فنقضوا العهد وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكباً إلى مكة ليستغزهم فأجمعوا أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأزول الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس وغيره لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم بدر ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يامعشر اليهود احدروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر وأسلموا قبل أن ينزل بكم منازل بهم فقد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة وأنا والله لو قاتلناك لعرفت إننا نحن الناس فأزول الله عز وجل قل للذين كفروا يعني من اليهود ستغلبون أي ستهزمون وتحشرون يعني في الآخرة إلى جهنم (وبئس المهاد) أي القراش والمعنى بئس ما مهد لهم في النار . قوله عز وجل (قد كان لكم آية في فتنتي الثقتا) قيل الخطاب للمؤمنين يروي ذلك عن ابن مسعود والحسن وقيل هو خطاب لكفار مكة فيكون عطفاً على الذي قبله فيخرج على قول ابن عباس (١) وقيل هو خطاب لليهود قاله ابن جرير . فان قلت لم قال قد كان لكم آية ولم يقل قد كانت لأن الآية مؤنثة قلت كل ما ليس بمؤنث حقيق يجوز تكبيره وقيل إنه رد المعنى إلى البيان فعناه قد كان لكم بيان فذهب إلى المعنى وترك اللفظ وقال القراء إنما ذكر لأنه حالت الصفة بين الفعل والامم للمؤنث

منازل بهم فقد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة وأنا والله لو قاتلناك لعرفت أنا نحن الناس فأزول الله تعالى قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون وتهزمون في الدنيا في قتالكم محمداً وتحشرون في الآخرة إلى جهنم (وبئس المهاد) أي القراش أي بئس ما مهد لهم في النار قوله تعالى (قد كان لكم آية) ولم يقل كانت والآية مؤنثة لأنه رد المعنى إلى البيان أي قد كان لكم بيان فذهب إلى المعنى وقال القراء إنما ذكر لأنه حالت الصفة بين الفعل والإسم المؤنث فذكر الفعل وكل ما جاء من هذا النحو فهذا وجهه فعنى الآية قد كان لكم آية أي عبرة ودلالة على صدق ما أقول إنكم ستغلبون (في فتنتي) فرقتين وأصلها في الحرب لأن بعضهم ينيء إلى بعض (الثقتا)

(١) لم يتقدم لأن ابن عباس قول أنها في كفار قريش حتى تخرج هذا عليه اه من هامش .

يوم بدر (فنة تقائل في سبيل الله) طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم كانوا ثلثة وثلاثون رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الأنصار وصاحب راية المهاجرين على بن أبي طالب رضي الله عنه وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان فرس للمقداد بن عمرو وفرس لمروان بن أبي مرثد وأكثرهم رجالة ؛ وكان معهم من السلاح ستة أذرع وثمانية سيوف قوله تعالى (وأخرى كافرة) أي فرقة أخرى كافرة وهم مشركو مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة برأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم مائة فرس وكانت حرب بدر أول مشهد شهده رسول الله ﷺ (٢٢٥) (يرونهم مثلهم) قرأ أهل

المدينة ويعتوب بالثناء
يعني ترون يا معشر اليهود
أهل مكة مثل عدد المسلمين
وذلك أن جماعة من
اليهود كانوا حضروا
قتال بدر لينظروا على من
تكون الدائرة فأروا
المشركين مثل عدد
المسلمين ورأوا النصر
مع ذلك للمسلمين فكان
ذلك معجزة وآية ؛
وقرأ الآخرون بالياء
واختلفوا في وجهه فجعل
بعضهم الرؤية للمسلمين
ثم له تأويلان أحدهما
يري المسلمون المشركين
مثلهم كما هم فان قيل
كيف قال مثلهم وهم
كانوا ثلاثة أمثالم
قيل هذا مثل قول
الرجل وعنده درهم
أنا أحتاج إلى مثل هذا
الدرهم يعني إلى مثليه
سواه فيكون ثلاثة
دراهم والتأويل الثاني

فذكر الفعل وكل ما جاء من هذا فهنا وجهه ومعنى الآية قد كان لكم آية أي عبرة ودلالة على صدق ما أقول إنكم ستعلمون في فتيين أي فرقتين وأصلها في الحرب لأن بعضهم بنى إلى بعض أي يرجع التقنا يعني يوم بدر (فنة تقائل في سبيل الله) أي في طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا ثلثة وثلاثون رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الأنصار وكان صاحب راية المهاجرين علي بن أبي طالب وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان وكان معهم من السلاح ستة أذرع وثمانية سيوف وقوله تعالى (وأخرى كافرة) أي وفرقة أخرى كافرة وهم مشركو مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة وكان رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان فيهم مائة فرس وكانت وقعة بدر أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقوله تعالى (يرونهم مثلهم) قرئ بالثناء يعني ترون أهل مكة ضبعي المسلمين يا معشر اليهود وذلك أن جماعة من اليهود كانوا قد حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة ولين النصر فأروا المشركين مثل عدد المسلمين ورأوا النصر للمسلمين فكان ذلك معجزة وقرئ يرونهم بالياء واختلفوا في وجه قراءة البياء فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين ثم له تأويلان أحدهما يرى المسلمون المشركين كما هم . فان قلت كيف قال مثلهم وإنما كانوا ثلاثة أمثالهم . قلت هذا مثل قول الرجل وعنده درهم أنا أحتاج إلى مثل هذا الدرهم يعني إلى مثليه سواء فيكون ثلاثة دراهم ووجه آخر وهو أن يكون الله تعالى أظهر للمسلمين من عدد المشركين القدر الذي يعلم المؤمنون أنهم يغلبونهم لإزالة الخوف من قلوبهم وهذا التأويل الثاني هو الأصح قلل الله المشركون في أعين المسلمين حتى رأوهم مثلهم . فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى يرونهم مثلهم وبين قوله هو إذ يريكمهم إذا التقم قبيلاتا ويقالكم في أعينهم وكيف يقال إن المشركين استكثروا المسلمين أو المسلمين استكثروا المشركين وأن الفتيين تساويا في استقلال إحداهما الأخرى . قلت إن التقليل والتكثير كانا في حالتين مختلفتين فان قيل إن الفئة الرابثة هم المسلمون فانهم رأوا عدد المشركين عند بداية القتال على ما هم عليه . ثم قلل الله المشركين في أعين المسلمين حتى اجترأ عليهم فصبوا على قتالهم بذلك السبب قال ابن مسعود نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا فاهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وفي رواية أخرى عنه قال لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى

وهو الأصح كان المسلمون يرون المشركين مثل عدد أنفسهم قللهم الله تعالى في أعينهم حتى رأوهم سبائة وستة وعشرين ثم قللهم الله في أعينهم في حالة أخرى حتى رأوهم مثل عدد أنفسهم . قال ابن مسعود رضي الله عنه نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا ؛ ثم قللهم الله تعالى أيضا في أعينهم حتى رأوهم عددا يسيرا أقل من أنفسهم . قال ابن مسعود رضي الله عنه حتى قلت لرجل إلى جنبي تراهم سبعين قال أراهم مائة وقال بعضهم الرؤية راجعة إلى المشركين يعني يري المشركون المسلمين مثلهم قللهم الله قبل القتال في أعين المشركين ليجتري المشركون عليهم ولا ينصرفوا فلما أخذوا في القتال كثرتهم الله في أعين المشركين ليجيبوا

وقلهم في أعين المؤمنين ليجزوا فذلك قوله تعالى وإذ يريكم وإذ يريكم فإذ التقييم في أعينكم قليلا ويقال لكم في أعينهم قوله تعالى (رأى العين) أي في رأى العين نصب بنزع (٣٣٦) حرف الصفة (والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك) الذي ذكرت

(لعبرة لأولى الأبصار) لذوى العقول وقيل لمن أبصر الجمعين قوله تعالى (زين للناس حب الشهوات) جمع شهوة وهي ما تدعو النفس إليه (من النساء) بدأ بين لأنهن حبات للديار (والبين والقناطير) جمع قنطار واختلفوا فيه فقال الربيع بن أنس القنطار المال الكثير بعضه على بعض وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه القنطار ألف ومائتا أوقية لكل أوقية أربعون درهما وقال ابن عباس رضي الله عنهما والضحك ألف ومائتا مثقال وعنها رواية أخرى اثنا عشر ألف درهم وألف دينار دية أحدكم وعن الحسن قال القنطار دية أحدكم وقال سعيد بن جبير وعكرمة هو مائة ألف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جاء الإسلام ومائة مائة رجل قد قنطروا وقال سعيد بن المسيب وقناة ثمانون ألفا وقال مجاهد سبعون ألفا وعن السدي قال أربعة آلاف

جنبي تراهم سبعين قال أراهم مائة قال فأمرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال ألفا وإن قلنا إن الفئة الرائية هم المشركون علي قول بعضهم إن الرؤية راجعة إلى المشركين يعني رأى المشركون المسلمين مثلهم فقل الله المسلمين في أعين المشركين في أول القتال ليجزوا عليهم ولا ينصرفوا فلما أخذوا في القتال كثر الله المسلمين في أعين المشركين ليجزوا فيكون ذلك سبب خذلانهم وقد روى أن المشركين لما أسروا يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا كنا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا قالوا يعني المشركين ما كنا نراكم إلا تضعفون علينا فكان في وقعة بدر أحوال في التثكير والتقليل وما ذلك إلا إظهار للقدر التام وقوله تعالى (رأى العين) أي في رأى العين (والله يؤيد) أي يقوى (بنصره من يشاء إن في ذلك) يعني الذي ذكر من النصر وقيل رؤية الجيش مثلهم (لعبرة) أي لآية والعبرة الدلالة الموصلة إلى اليقين المؤدية إلى العلم وأصلها من العبور كأنه طريق يعبرونه فيوصلهم إلى مرادهم وقيل العبارة هي التي يعبر منها من منزلة الجهل إلى منزلة العلم (لأولى الأبصار) لذوى العقول والبصائر . قوله عز وجل (زين للناس) قال أهل السنة المزين هو الله تعالى لأنه تعالى خالق الجميع أفعال العباد ولأن الله تعالى خلق جميع ملاذ الدنيا وأباحها لعبيده وإباحتها للعباد زين لما قال الله تعالى وهو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا وقال تعالى وقيل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال الله تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها وقال تعالى وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا وكل ذلك يدل على أن المزين هو الله تعالى ومما يؤيد ذلك قراءة مجاهد زين بفتح الزاي على تسمية الفاعل وقال الحسن المزين هو الشيطان وهو قول طائفة من المعتزلة ويدل على ذلك أن الله تعالى زهد في هذه الأشياء بأن أعلم عباده زوالها ولأن الله تعالى أطلق حب الشهوات فيدخل فيه الشهوات المحرمة والمزين للنك هو الشيطان ولأن الله تعالى ذكر هذه الأشياء في معرض الدم للدنيا ويدل عليه آخرة الآية وهو قوله تعالى والله عنده حسن الحساب ونقل عن أبي علي الجبائي من المعتزلة أن كل ما كان حراما كان المزين له هو الشيطان وكل ما كان مباحا كان المزين له هو الله تعالى والصحيح ما ذهب إليه أهل السنة لأن الله تعالى خالق كل شيء ولا شريك له في ملكه . وقوله تعالى (حب الشهوات) يعني المشيات لأن الشهوة توفيق النفس إلى الشيء المشتهي (من النساء) إنما بدأ بذكر النساء لأن الانتداهن أكثر والاستئناس بهن أتم ولأنهن حبات للديار وأقرب إلى الافتتان (والبين) إنما خص البنين بالذكر لأن حب الولد الذكر أكثر من حب الأنثى ووجه حبه ظاهر لأنه يتكثر به وبعضه ويقوم مقامه وقد جعل الله تعالى في قلب الإنسان حب الزوجة والولد لحكمة بالغة وهي بقاء النسل ولو زالت تلك المحبة لما حصل ذلك (والقناطير المنقطرة) جمع قنطار وسمي قنطار من الإحكام والمعقد يقال قنطرتة إذا أحكمته ومنه القنطرة المحكمة الطاق واختلفوا في القنطار هل محدود أو غير محدود على قولين أحدهما أنه محدود ثم اختلفوا في حده فروى عن معاذ بن جبل أن القنطار ألف ومائتا أوقية وقال ابن عباس ألف ومائتا مثقال وعنه أنه اثنا عشر ألف درهم أو ألف دينار دية أحدكم وبه قال الحسن وقال سعيد بن جبير هو مائة ألف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة

مثقال وقال الحكم القنطار مابين السماء والأرض من مال وقال أبو نصر مائة مثقال من ذهب أو فضة وسمي درهم قنطارا من الإحكام يقال قنطرت الشيء إذا أحكمته ومنه سميت القنطرة قوله تعالى (المنقطرة) قال الضحاك المحصنة المحكمة وقال قتادة هي الكبيرة المنصدة بعضها فوق بعض وقال بمان هي المدفوعة وقال السدي هي المضروبة المنقوشة حتى صارت دراهم ودنانير

وقال الفراء المضعفة فالقناطر ثلاثة والمقنطرة تسعة (من الذهب والفضة) قيل سمى الذهب ذهبا لأنه يذهب ولا يبقى والفضة
فضة لأنها تنفض أي تتفرق (والخيل المسومة) الخيل جمع لا واحد له من (٣٢٧) لفظه واحدا فرس كالقوم والنساء

ودرهم ولقد جاء الإسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا وقال سعيد بن المسيب وقنادة هو
ثمانون ألفا وقال مجاهد سبعون ألفا وقال السدي هو أربعة آلاف مثقال والقول الثاني إن القنطار
ليس بمحدد وقال الربيع بن أنس القنطار المالك الكثير بعضه على بعض وروى عن أبي عبيدة
أنه حكى عن العرب أن القنطار وزن لا يحد وهو اختيار ابن جرير الطبري وغيره وقال الحاكم
القنطار ما بين السماء والأرض من مال وقال أبو نصر القنطار مل مسك ثور ذهبا أو فضة وقال
القنطار من المال ما فيه عبور الحياة تشبها بعبور القنطرة المتقطرة أي المجموعة وقيل المضاعفة لأن
القناطر جمع وأقله ثلاثة والمقنطرة المضاعفة فيحتمل أن تكون ستة أو تسعة وقيل المقنطرة
المسكوكة المتوشة (من الذهب والفضة) إنما بدأ بهما من بين سائر أصناف الأموال لأنها قيم
الأشياء وإنما كان محبوبين لأن المالك لما مالك قادر على ما يريد وهي صفة كمال وهي محبوبة وقيل
سمى الذهب ذهبا لأنه يذهب ولا يبقى والفضة لأنها تنفض أي تتفرق (والخيل المسومة) الخيل
جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط سميت الأفراس خيلا لاختيائها في مشيتها وقيل لأن
الخيل لا يركبها أحد إلا وجد في نفسه نخلة يعني عجا واختلوا في معنى المسومة على ثلاثة أقوال
القول الأول أنها الراعية يقال أمنت الدابة وسومتها إذا أرسلتها المرعى والمقصود أنها إذا رعت
زاد حسنها والقول الثاني أنها من السمة وهي العلامة ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في تلك العلامة
فقيل هي الغرة والتحجيل التي تكون في الخيل وقيل هي الخيل البلق وقيل هي العلامة بالكي
والقول الثالث أنها المضطرة الحسان وتسومها حسنها (والأنعام) جمع نعم وهي الإبل والبقر
والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم إلا للإبل خاصة فإنه غلب عليها (والحرث) يعني الزرع
(ذلك) يعني ذلك الذي ذكر من هذه الأصناف (متاع الحياة الدنيا) أي الذي يستمتع به في الحياة
الدنيا وهي زائلة فانية يشير إلى أن الحياة الدنيا متاع يفنى (والله عنده حسن المتأب) أي المرجع
فيه إشارة إلى التزهد في الدنيا والترغيب في الآخرة وقيل فيه إشارة إلى أن من أتاه الله الدنيا كان
الواجب عليه أن يصرفها فيما يكون فيه صلاحه في الآخرة لأنها السعادة القصوى. قوله عز وجل
(قل أو نبئكم) أي أخبركم (بخير من ذلك) يعني الذي ذكر من متاع الدنيا (للذين اتقوا) قال ابن
عباس في رواية عنه يريد المهاجرين والأنصار. أراد أن يعرفهم ويشوقهم إلى الآخرة قال العلماء
ويدخل في هذا الخطاب كل من اتقى الشرك (عند ربهم) معناه أن الله تعالى أخبر أن ما عنده
خير مما كان في الدنيا وإن كان محبوبا فتحتمل على ترك ما يحبون لما يرجون ثم فسر ذلك الخبر
فقال تعالى (جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله) (ق)
عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة
يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يدك فيقول هل رضيتم فيقولون
يا رب وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من
ذلك فيقولون وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أضغط عليكم بعده
أبدا وقيل إن العبد إذا علم أن الله تعالى قد رضى عنه كان آمنا لسروره وأعظم لفرحه

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا يحيى بن سليمان حدثني
ابن وهب حدثني مالك عن زين بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ إن الله
تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يدك فيقول هل رضيتم فيقولون يا رب

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا يحيى بن سليمان حدثني
ابن وهب حدثني مالك عن زين بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ إن الله
تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يدك فيقول هل رضيتم فيقولون يا رب

ومأثنا لأرضي وقد أعطيتنا ما لم نعتد أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فبما ولون يارب وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا فوله تعالى (والله بصير بالعباد الذين يقولون) إن شئت جعلت محل الذين خفضنا ردا على قوله (٣٢٨) للذين اتقوا وإن شئت جعلته رفعا على الابتداء ويحتمل أن يكون نصبا تقديره

(والله بصير بالعباد) يعني أن الله تعالى عالم بمن يؤثر ماعنده بمن يؤثر شهوات الدنيا فيجازي كلا على عمله فيثيب ويعاقب على قبح الأعمال وقيل إن الله تعالى بصير بالذين اتقوا فلذلك أعد لهم الجنة . قوله عز وجل (الذين يقولون ربنا إننا آمننا) أي صدقنا (فاعفر لنا ذنوبنا) أي اسرنا علينا وتجاوز عنا (وقتنا عذاب النار) الصابرين (والصادقين) لأن شئت نصبتها على المدح وإن شئت خفضتها على النعت يعني الصابرين في أداء الأوامر وعن ارتكاب السيئ وعلى البأس والضراء وحين البأس والصادقين في إيمانهم قال قتادة هم قوم صدقت قلوبهم واستقامت ألسنتهم وقلوبهم في السر والعلانية والصدق يكون في القول والأفعال والنية فأما صدق القول فهو مجانبة الكذب والصدق في الفعل هو عدم الإنصراف عنه قبل إتمامه والصدق في النية العزم على الفعل حتى يبلغه (والقانتين) يعني المطيعين لله وقيل هم المصلون وهو عبارة عن دوام الطاعة والمواظبة عليها (والمنفقين) يعني أموالهم في طاعة الله تعالى ويدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى أهله وأقاربه وصلة رحمه والزكاة والنفقة في جميع القربات (والمستغفرين بالأصحاح) يعني المصلين بالسحر وهو الوقت بعد ظلمة الليل إلى طلوع الفجر وقيل كانوا يصلون بالليل حتى إذا كان وقت السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار فكان هذا دأبهم في ليلهم قال نافع كان ابن عمر يحكي الليل ثم يقول يا نافع أصحرا فأقول لا فيعأود الصلاة فإذا قلت نعم فقد يستغفر ويدعو حتى يصلي الصبح (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له وفي لفظ مسلم فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني الحديث وله في رواية أخرى فيقول هل من سائل فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له حتى يتفجر الصبح ، هذا الحديث من أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفي أمثاله مذهبان معروفان مذهب السلف الإيمان به وإجراؤه على ظاهره ونفي الكيفية عنه والمذهب الثاني هو مذهب من يتأول أحاديث الصفات قال أبو سليمان الخطابي إنما ينكر هذا الحديث من يقيس الأمور على ما يشاهده من النزول الذي هو تدل من أعلى إلى أسفل وانتقال من فوق إلى تحت وهذا صفة الأجسام فأما نزول من لا تستولى عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه وإنما هو خبر عن قدرته ورافته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم بفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كشيء وهو السميع البصير وقيل في قوله والمستغفرين بالأصحاح وصف الله تعالى هؤلاء بما وصف ثم بين أنهم مع ذلك لشدة خوفهم ووجلهم أنهم يستغفرون بالأصحاح وروى أن لقمان قال لابنه يا بني لا تكن أنجز من الديك فإنه يصوت بالأصحاح وأنت تأثم على قراشك وقيل هم الذين يصلون صلاة الصبح في جماعة فعلى هذا القول إنما سميت الصلاة استغفارا لأنهم طلبوا بفعالها المغفرة . قوله عز وجل

أعني الذين يقولون (ربنا إننا آمننا) صدقنا (فاعفر لنا ذنوبنا) اسرنا علينا وتجاوز عنا (وقتنا عذاب النار) الصابرين والصادقين (إن شئت نصبتها على المدح وإن شئت خفضتها على النعت يعني الصابرين في أداء الأوامر وعن ارتكاب السيئ وعلى البأس والضراء وحين البأس والصادقين في إيمانهم قال قتادة هم قوم صدقت قلوبهم وألسنتهم فصدقوا في السر والعلانية (والقانتين) المطيعين المصلين (والمنفقين) أموالهم في طاعة الله (والمستغفرين بالأصحاح) قال مجاهد وقتادة والكلبي يعني المصلين بالأصحاح وعن زيد بن أسلم أنه قال هم الذين يصلون الصبح في الجماعة وقيل بالسحر لقربه من الصبح وقال الحسن مدوا الصلاة إلى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر رضي الله عنهما يحكي الليل ثم يقول يا نافع أصحرا فأقول لا فيعأود الصلاة فإذا قلت نعم فقد وأخذ يستغفر الله ويدعو حتى يصبغ ، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا (شهد

أبو محمد بن الحسن بن أحمد المخلدي حدثنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج أنا قتيبة أنا يعقوب بن عبد الله عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى الثلث

الأخبر فيقول أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، وحكي عن الحسن أن لقمان قال لابنه: يا بني لا تكن أعجز من هذا الديك يصوت بالأبحار وأنت نائم على فراشك. قوله تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو) قيل نزلت هذه الآية في نصارى نجران وقال الكلبي قدم حبران من أبحار الشام على النبي صلى الله عليه وسلم فلما أبصر المدينة قال أحدهما لصاحبه ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا عليه عرفاه بالصفة فقالا له أنت محمد قال نعم قالوا له وأنت أحمد قال (٣٢٥) أنا محمد وأحمد قالوا له فإنا

(شهد الله أنه لا إله إلا هو) قيل سبب نزول هذه الآية أن حبرين من أبحار الشام قدما على النبي صلى الله عليه وسلم فلما أبصر المدينة قال أحدهما لصاحبه ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة فقالوا له أنت محمد قال نعم قالوا وأنت أحمد قال نعم قالوا فإنا نأخبرنا عن شيء ما أنت نأخبرنا به آمنا بك وصدقناك فقال نعم قالوا فأخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فأنزل الله هذه الآية فأسلم الحبران وقيل إن هذه الآية نزلت في نصارى نجران فيما ادعوا في عيسى عليه السلام فقوله تعالى شهد الله يعني بين الله وأظهر لأن معنى الشهادة تبيين وإظهار وقيل معنى شهد الله حكم الله وقضى وقيل معناه أعلم الله أنه لا إله إلا هو وذلك ببيان الدلائل لما أمكن التوصل إلى معرفة الوجودانية فهو تعالى أرشد عباده إلى معرفة توحيده بما بين من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته مثل بعض الأعراب ما الدليل على وجود الصانع فقال إن البعرة تدل على البعير وأثار القدم تدل على المسير فهيكلك علوى بهذه اللطافة ومركز سفلى بهذه الكثافة أما بدلان على وجود الصانع الحبير قال ابن عباس خلق الله تعالى الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة فشهد لنفسه قبل أن خلق الخلق حين كان ولم تكن مياه ولا أرض ولا بحر ولا بحر فقال تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو (والملائكة) أي وشهد الملائكة فعني شهادة الله تعالى الإخبار والإعلام ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الإقرار والاعتراف بأنه لا إله إلا هو ولما كان كل واحد من هذين الأمرين يسمى شهادة حسن إطلاق لفظ الشهادة عليهما (وأولوا العلم) أي وشهد أولوا العلم بأنه لا إله إلا هو واختلفوا في أول العلم فقيل هم الأنبياء عليهم السلام لأنهم أعلم الخلق بالله تعالى وقيل هم علماء أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار وقيل هم علماء مؤمنى أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل هم علماء جميع المؤمنين (قائما بالقسط) أي بالعدل نصب على الحال والقطع أو المدح ومعناه أنه تعالى قائم بتدبير خلقه كما يقال فلان قائم بأمر فلان يعني أنه مدبر له ومتعهده لأسبابه وفلان قائم بحق فلان أي أنه مجاز له فالله مدبر أمر خلقه وقائم بأمرهم ومجاز لهم بأعمالهم (لا إله إلا هو) إنما كرر لثبات كيد وقيل أن الأول وصف وتوحيد والثاني رسم وتعليم أي قولوا لا إله إلا هو وقيل فائدة تكرارها الإعلام بأن هذه الكلمة أعظم الكلام وأشرفه فقيه حث للعباد على تكررها والاشتغال بها فإنه من اشتغل بها فقد اشتغل بأفضل العبادات (العزير) أي الغالب الذي لا يقهر (الحكيم) يعني في جميع أفعاله (إن الدين عند الله الإسلام) يعني أن الدين المرضي عند الله هو الإسلام كما قال تعالى ورضيت

(٤٢ - خازن بالبعوى - أول) والمؤمنين الإقرار (وأولوا العلم) يعني الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وقال ابن كيسان يعني المهاجرين والأنصار. وقال مقاتل علماء مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه. قال السدي والكلبي يعني جميع علماء المؤمنين (قائما بالقسط) أي بالعدل ونظم الآية شهد الله قائما بالقسط نصب على الحال وقيل نصب على النطق ومعنى قوله قائما بالقسط أي قائما بتدبير الخلق كما يقال فلان قائم بأمر فلان أي مدبر له ومتعهده لأسبابه وفلان قائم بحق فلان أي مجاز له فالله تعالى مدبر ورزق ومجاز بالأعمال (لا إله إلا هو العزيز الحكيم) إن الدين عند الله الإسلام) يعني الدين المرضي الصحيح كما قال «ورضيت لكم الإسلام ديناً» . وقال «ومن يتبع غير الإسلام ديناً

فلن يقبل منه ، وفتح الكسائي الألف من إن الدين ردا على أن الأولى تقديره شهد الله أنه لا إله إلا هو وشهد أن الدين عند الله الإسلام أو شهد الله أن الدين عند الله الإسلام بأنه لا إله إلا هو وكسر الباقون الألف على الابتداء والإسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة يقال أسلم أي دخل في السلم واستسلم . قال قتادة في قوله تعالى إن الدين عند الله الإسلام قال شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء من عند الله تعالى وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسوله ودل عليه أو أياه فلا يقبل غيره ولا يجزى إلا به . أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو عمر الفراءى أنا أبو موسى عمران بن موسى أنا الحسن بن سفيان أنا عمرو بن عمرو بن المختار حدثني أبي عن غالب القطان قال أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الأعمش وكنت أختلف إليه فلما كنت ذات ليلة أردت أن أنحدر (٣٣٠) إلى البصرة فاذا الأعمش قائم من الليل يتعهد فرب هذه الآية وشهد

الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ثم قال الأعمش وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة إن الدين عند الله الإسلام قالنا مرارا قلت لقد سمع فيها شيئا فصليت الصبح معه وودعته ثم قال قلت إني سمعتك تقرأ آية ترددها فما بلغك فيها قال لي أو ما بلغك ما فيها قالت أنا عندكم منذ سنتين لم تحذرنى قال والله لا أحذرك بها إلى سنة فكنت على بابه ذلك اليوم وأقت سنة فلما مضت السنة قلت يا أبا محمد قد مضت السنة قال حدثني أبو وائل عن عبد الله بن عمر رضي الله

لكم الإسلام ديننا وفيه رد على اليهود والنصارى وذلك لما ادعت اليهود أنه لا دين أفضل من اليهودية وادعت النصارى أنه لا دين أفضل من النصرانية رد الله عليهم ذلك فقال إن الدين عند الله الإسلام وقرئ أن الدين بفتح الهمزة ردا على أن الأولى والمعنى شهد الله أنه لا إله إلا هو وشهد أن الدين عند الله الإسلام وأصل الدين في اللغة الجزاء يقال كما تدين تدين ثم صار إسما للملة والشريعة ومعناه الإنقياد للطاعة والشريعة قال الزجاج الدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وأمرهم بالإقامة عليه والإسلام هو الدخول في السلم وهو الاستسلام والإنقياد والدخول في الطاعة وروى البغوي بسند الثعلبي عن غالب القطان قال أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الأعمش فكنت أختلف إليه فلما كان ذات ليلة أردت أن أنحدر إلى البصرة قام من الليل يتعهد فرب هذه الآية شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم قال الأعمش وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة إن الدين عند الله الإسلام قالنا مرارا قلت سمع فيها شيئا فصليت الصبح معه وودعته ثم قلت له إني سمعتك ترددها فما بلغك فيها قال والله لا أحذرك فيها إلى سنة فكنت على بابه ذلك اليوم وأقت سنة فلما مضت السنة قلت يا أبا محمد قد مضت السنة فقال حدثني أبو وائل عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ بجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل أن لعبدي هذا عندي عهدا وأنا أحق من وفي بالعهد أدخلوا عبدي الجنة . قوله عز وجل (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب في اليهود والنصارى حين تركوا الإسلام والمعنى وما اختلف الذين أوتوا الكتاب في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (لأمن بعد ما جاءهم العلم) يعني بيان نعمته وصفته في كتبهم وقال الربيع أن موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلا من خيار بني إسرائيل وأودعهم التوراة واستخاف بوشع بن فون فلما مضى القرن الأول والثاني والثالث وقعت الفرقة والاختلاف بينهم وهم الذين أوتوا الكتاب وهم من أبناء الملوك السبعين حتى أهرقوا الدماء ووقع الشر والاختلاف وذلك بعد ما جاءهم العلم يعني بيان مافي التوراة من الأحكام (بغيا بينهم) أي طلبا بينهم للملك والرياسة فسلط الله

تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله إن لعبدي هذا عندي عهدا وأنا أحق من وفي بالعهد أدخلوا عبدي الجنة قوله تعالى (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) قال الكلبي نزلت في اليهود والنصارى، حين تركوا الإسلام أي وما اختلف الذين أوتوا الكتاب في نبوة محمد ﷺ (لأمن بعد ما جاءهم العلم) يعني بيان نعمته في كتبهم . وقال الربيع بن أنس إن موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلا من أحبار بني إسرائيل فاستودعهم التوراة واستخاف بوشع بن فون فلما مضى القرن الأول والثاني والثالث وقعت الفرقة بينهم وهم الذين أوتوا الكتاب من أبناء أولئك السبعين حتى أهرقوا بينهم الدماء ووقع الشر والاختلاف وذلك من بعد ما جاءهم العلم يعني بيان مافي التوراة (بغيا بينهم) أي طلبا للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبارة . وقال محمد بن جعفر بن الزبير نزلت في نصارى نجران ومعناها وما اختلف

الذين أوتوا الكتاب يعني الإنجيل في أمر عيسى عليه السلام وفرقوا القول فيه لإيمانهم بعد ما جاءهم العلم بأن الله واحد وأن عيسى عبده ورسوله بغيا بينهم أي للمعاداة والمخالفة (ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب) قوله تعالى (فإن حاجوك) أي خاصموك يا محمد في الدين وذلك أن اليهود والنصارى قالوا لسنا على ما سمعنا به يا محمد إنما اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الإسلام ونحن عليه فقال الله تعالى (فقل أسلمت وجهي لله) أي انقدت لله وحده بقلبي ولساني وجميع جوارحي وإنما خص الوجه لأنه أكرم الجوارح للإنسان وفيه سهاؤه فاذا خضع وجهه لشيء فقد خضع له جميع جوارحه وقال القراء معناه أخلصت عملي لله (ومن اتبعني) أي ومن اتبعني فأسلم كما أسلمت ، وأبوت نافع وأبو عمرو الباء في قوله تعالى « اتبعني » على الأصل وحذفه الآخرون على الخط لأنها في المصحف بغير ياء ، وقوله (وقل للذين (٣٣١) أوتوا الكتاب والأمين) يعني العرب

(الأسلمتم) لفظه استفهام ومعناه أمر أي وأسلموا كما قال فهل أنتم منتبهون أي انتبهوا (فإن أسلموا فقد اهتدوا) فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية فقال أهل الكتاب أسلمنا فقال لليهود أتشهدون أن عزيرا عبده ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون عزيرا عليه السلام عبدا وقال للنصارى أتشهدون أن عيسى كلمة الله وعبده ورسوله قالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبدا فقال الله عز وجل (وإن تولوا فأنما عليك البلاغ) أي تبليغ الرسالة وليس عليك الهداية (والله بصير بالعباد) عالم بمن يؤمن ومن لا يؤمن - قوله تعالى (إن الذين يكفرون بآيات الله)

عليهم الجبارة وتبيل نزلت في نصارى نجران ومعناه وما اختلف الدين أوتوا الكتاب يعني الإنجيل واختلافهم كان في أمر عيسى عليه الصلاة والسلام وما ادعوا فيه من الإلحاد إلا من بعد ما جاءهم العلم يعني بأن الله تعالى واحد أحد وأن عيسى عبده ورسوله بغيا بينهم يعني المعاداة والمخالفة (ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب) فيه وعيد وتهديد لمن أصر على الكفر من اليهود والنصارى الذين جعلوا نبوة محمد ﷺ قوله عز وجل (فإن حاجوك) أي خاصموك يا محمد في الدين وذلك أن اليهود والنصارى قالوا لسنا على ما سمعنا به يا محمد إنما اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الإله لا من ومن عليه فأمر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يجتج عليهم بأنه اتبع أمر الله أي هم قرون به بقوله (فقل أسلمت وجهي لله) أي انقدت له بقلبي ولساني وجميع جوارحي وإنما خص الوجه بالذكر لأنه أشرف الجوارح للإنسان الظاهرة إذا خضع وجهه لشيء فقد خضع له سائر جوارحه وقبل أراد بالوجه العمل أي خلصت عملي لله وقصدت بعبادتي الله (ومن اتبعني) يعني ومن أسلم كما أسلمت أنا (وقل للذين أوتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (والأمين) يعني مشركي العرب (الأسلمتم) لفظه استفهام ومعناه أمر أي أسلموا (فإن أسلموا فقد اهتدوا) يعني إلى التوراة والنجاة في الآخرة فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على أهل الكتاب قالوا قد أسلمنا فقال لليهود أتشهدون أن موسى كلم الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال للنصارى أتشهدون أن عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبدا قال الله تعالى (وإن تولوا) أي عرضوا (فأنما عليك البلاغ) يعني تبليغ الرسالة. وليس عليك هدايتهم واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في الآية فذهب طائفة إلى أنها محكمة والمراد بها تسليمة النبي ﷺ لأنه كان يحرص على إيمانهم ويتألم لتركهم الإجابة وذهب طائفة إلى أنها منسوخة بآية السيف لأن المراد بها الاقتصار على التبليغ وهذا منسوخ بآية السيف (والله بصير بالعباد) يعني أنه تعالى عالم بمن يؤمن ومن لا يؤمن - قوله عز وجل (إن الذين يكفرون بآيات الله) يعني يحملون القرآن وينكروونه وهم اليهود والنصارى (ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) كان أنبياء بني إسرائيل يأتيهم الوحي ولم يكن

يحملون بآيات الله يعني القرآن وهم اليهود والنصارى (ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) قرأ حمزة ويقتلون الذين يأمرون بالألف. قال ابن جرير كان الوحي يأتي على أنبياء بني إسرائيل ولم يكن يأتيهم كتاب الله فيذكرون قومهم فيقتلون أنبياءهم فيقوم رجال ممن تبعهم وصدقهم فيذكرون قومهم فيقتلون أيضا فهم الذين يأمرون بالقسط من الناس. أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق العلبي أنا أبو عبد الله الحسين بن محمد فنجدوه الدينوري أنا أبو نصر منصور بن جعفر النهاوندي أنا أحمد بن يحيى بن الجارود أنا محمد بن عمرو بن حيان أنا محمد بن حمير أنا أبو الحسن مولى بني أسد عن مكحول عن قبيصة بن ذؤيب الخزازي عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه

وسلم ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس إلى أن انتهى إلى قوله وما لهم من ناصرين ، ثم قال رسول الله ﷺ بأبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا في أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني إسرائيل فأمروا من قتلوهم بالمعروف ونهواهم عن المنكر فقتلوهم جميعا في آخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين ذكروهم الله في كتابه وأُزِل الآيات فيهم (فبشرهم) أخبرهم (بعذاب أليم) وجميع وإنما أدخل الفاء على الباء في خبر إن لتضمن الذين معنى الشرط والجزاء لأن تقديره الذين يكفرون ويقتلون فبشرهم لأنه لا يقال إن زيد فقامم (أولئك الذين حبست أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين) وبطلان العمل في الدنيا أن لا يقبل في الآخرة أن لا يجازى عليه قواه تعالى (لم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) يعني اليهود (٣٣٢) (يدعون إلى كتاب الله) اختلفوا في هذا الكتاب . فقال قتادة هم اليهود

دعوا إلى حكم القرآن فأعرضوا عنه وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية إن الله تعالى جعل القرآن حكما فيما بينهم وبين رسول الله ﷺ فحكم القرآن على اليهود والنصارى أنهم على غير الهدى فأعرضوا عنه وقال الآخرون هو التوراة وروى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم إلى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت يا محمد فقال على ملة إبراهيم فقال إن إبراهيم كان يهوديا فقال رسول

يأتيهم كتاب لأنهم كانوا ملتزمين بأحكام التوراة فكانوا يذكرون قومهم فيقتلونهم فيقوم رجال من آباءهم وصدقهم فيذكرونهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فيقتلونهم أيضا فهم الذين يأمرون بالقسط يعني بالعدل من الناس روي البغوي بسند الثعلبي عن أبي عبيدة بن الجراح قال : قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس إلى أن انتهى إلى قوله وما لهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهواهم عن المنكر فقتلوهم جميعا في آخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين ذكروهم الله في كتابه وأُزِل الآيات فيهم (فبشرهم بعذاب أليم) وإنما دخلت الفاء في قوله فبشرهم مع أنه خبر إن لأنه في معنى الجزاء والتقدير من كفر فبشرهم بعذاب أليم يوم القيامة وهذا معمول على الاستعارة وهو أن إنذار الكفار بالعذاب قام مقام بشرى الحسنيين بالثواب وفي هذه الآية توبيخ لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان أسلافهم الذين قتلوا الأنبياء لأنهم رضوا بفعلهم (أولئك الذين حبست) أي بطلت (أعمالهم في الدنيا والآخرة) وبطلان العمل هو أن لا يقبل في الدنيا ولا يجازى عليه في الآخرة (وما لهم من ناصرين) يعني يمنعونهم من العذاب . قوله عز وجل (لم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) أنزلت في اليهود (يدعون إلى كتاب الله) يعني القرآن وذلك أن اليهود دعوا إلى حكم القرآن فأعرضوا عنه قال ابن عباس إن الله جعل القرآن حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم القرآن على اليهود والنصارى أنهم على غير الهدى فأعرضوا عنه وروى عن ابن عباس أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم إلى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت يا محمد فقال على ملة إبراهيم فقال يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبى عليه فأنزل الله هذه الآية فعلى هذا القول يكون المراد بكتاب الله التوراة وروى عنه أيضا

الله صلى الله عليه وسلم فهلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبى عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى الكلبي أن عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا وامرأة من أهل غدير زنيا ، وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمها لشرههما فيهم فرفعوا أمرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا أن يكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال له النعمان بن أوفى ويحري بن عمرو جرت عليهما يا محمد ليس عليهما الرجم فقال رسول الله ﷺ بيني وبينكما التوراة فقالوا قد أنصفتنا قال فن أعلناكم بالتوراة قالوا رجل أعور يسكن فذك يقال له ابن صوريا فأرسلوا إليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم ؟ قال أنت أعلم اليهود قال كذلك زعمون قال فدعا رسول الله ﷺ بشيء من التوراة فيها الرجم مكتوب فقال له اقرأ ، فلما أتى على آية الرجم

وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها على رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن سلام يا رسول الله قد جاوزها فقام فرفع كفه عنها ثم
قرأ على رسول الله ﷺ وعلى اليهود بأن المحسن والمحصنة إذا زنيا وقامت عليهما البيعة رجما وإن كانت امرأة حبلى تريض
حتى تضع مافي بطنها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك وانصرفوا فأنزله الله
عز وجل ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب التوراة حفظا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله (ليحكم بينهم) ثم يتولى فريق
منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم (٣٣٣) والغرور هو الإطماع

أن رجلا وامرأة من أهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم ففكر هو ارجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا
أمرهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا أن تكون عنده رخصة فحكم عليهم بالرجم
فقال النعمان بن أوفى وبحري بن عمرو جرت عليهما يا محمد وليس عليهما الرجم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة فقالوا قد أنصفت فقال من أعلمكم بالتوراة فقالوا
رجل أعور يقال له عبد الله بن صوريا يسكن فذلك فأرسلوا إليه فقدم المدينة وكان جبريل قد
وصفه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال
أنت أعلم اليهود بالتوراة قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة وقال له
اقرأ فقرأ فلما أتى على آية الرجم وضع يده عليها وقرأ ما بعدها فقال عبد الله بن سلام يا رسول الله قد
جاوزها ثم قام ورفع كفه عنها وقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود وفيها أن
المحسن والمحصنة إذا زنيا وقامت عليهما البيعة رجما وإن كانت المرأة حبلى تريض بها حتى تضع
مافي بطنها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضبت اليهود لذلك فأنزله الله
عز وجل ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يعني علمهم الذي علموه من التوراة يدعون
إلى كتاب الله يعني القرآن أو التوراة على اختلاف الروايات (ليحكم بينهم) أي ليقضى بينهم
وإضافة الحكم إلى الكتاب هو على سبيل الخماز (ثم يتولى فريق منهم) يعني الرؤساء والعلماء
(وهم معرضون) يعني عن الحق وقيل الذين تولواهم العلماء والذين أعرضوا هم الأتباع
(ذلك بأنهم) يعني ذلك التولى والإعراض إنما حصل بسبب أنهم (قالوا لن تمسنا النار إلا
أياما معدودات) تقدم تفسيره في سورة البقرة (وغرهم) أي وأطمعهم (في دينهم ما كانوا
يفترون) أي يخلفون ويكذبون قيل هو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل هو قولهم لن تمسنا
النار إلا أياما معدودات وقيل غرهم قولهم نحن على الحق وأنتم على الباطل (فكيف إذا جعناهم)
أي فكيف يكون حالهم إذا جعناهم (ليوم) أي في يوم (لأريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت)
أي لاشك فيه أنه كائن وواقع وهو يوم القيامة وفيه تهديد لهم واستعظام لما أعد لهم في ذلك
اليوم وأنهم يقعون فيها لاجل أنهم فيه وإن ما حدثوا به أنفسهم وسهلوه عليها تغل بباطل وطمع
فيها لا يكون ولا يحصل لهم قيل إن أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود
تفصحهم على رؤوس الأشهاد ثم يؤمر بهم إلى النار (وهم لا يظلمون) أي لا ينقص من حسناتهم إن كانت
لهم حسنة ولا يزد على سيئاتهم . قوله عز وجل (قل اللهم مالك الملك) قال قتادة ذكر لنا أن نبي الله

فيا لا يحصل منه شيء
(ما كانوا يفترون)
والافتراء اختلاق الكذب
قوله تعالى (فكيف إذا
جمعناهم) أي فكيف
حاشم أو كيف يصنعون
إذا جمعناهم (ليوم لا ريب
فيه) وهو يوم القيامة
(ووفيت) كوفيت (كل
نفس ما كسبت) أي
جزاء ما كسبت من خير
أو شر (وهم لا يظلمون)
أي لا ينقص من حسناتهم
ولا يزد على سيئاتهم
قوله تعالى (قل اللهم
مالك الملك) قال قتادة
ذكر لنا أن النبي صلى
الله عليه وسلم سأل ربه
أن يجعل ملك فارس
والروم في أمته فأنزله
الله تعالى هذه الآية وقال
ابن عباس رضي الله عنهما
وأنس ابن مالك رضي
الله عنه لما فتح رسول
الله صلى الله عليه وسلم
مكة وعادته ملك فارس

والروم قالت المنافقون واليهود هيهات هيهات من ابن حماد ملك فارس والروم وهم أعز وأمنع من ذلك ألم يكف محمدا
مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم فأنزله الله تعالى هذه الآية « قل اللهم مالك الملك » فلما حذف حرف النداء زيد الميم
في آخره وقال قوم للميم في معنى ومعناها اللهم آما بخير أي أقصدنا حذف منه حرف النداء ، كقولهم هلم لاينا كان أصله هل أم لاينا
ثم كثرت في الكلام فحذفت الهزمة استخفافا وربما خففوا أيضا فقالوا لاهم قوله ملك الملك يعني بامالك الملك أي مالك العباد
وما ملكوا وقيل باملك السموات والأرض وقال الله تعالى في بعض الكتب ، أنا الله ملك الماوك ومالك الملوك قلوب الملوك
ونواصهم يدي فان العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وإن عصوني جمعاتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ، ولكن توبوا إلى

أعظفهم عليكم قوله تعالى (تؤتى الملك من تشاء) قال مجاهد وسعيد بن جبير يعني ملك النبوة وقال الكلبى تؤتى الملك من تشاء محمدا وأصحابه (وتنزع الملك من تشاء) (٣٣٤) أبو جهل وصناديد قريش وقيل تؤتى الملك من تشاء العرب وتنزع الملك

صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل أن يجعل ملك فارس والروم في أمته فأزل الله هذه الآية وقال ابن عباس لما فتح رسول الله ﷺ مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيات هيات من ابن محمد ملك فارس والروم وهم أعز وأمنع من ذلك ألم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم فأزل الله تعالى هذه الآية وقيل إن اليهود قالوا والله لا نطيع رجلا جاء ينقل النبوة من بنى إسرائيل إلى غيرهم فنزلت هذه الآية قل اللهم معناه بالله لما حذف حرف النداء زيد الميم في آخره وقيل إن الميم فيه معنى آخر وهو يا الله أما بخير أى أقصدنا مالك الملك أى مالك العباد وما ملكوا وقيل مالك السموات والأرض وقيل معناه بيده الملك يؤتية من يشاء وقيل معناه مالك الملوك ووارثهم يوم لا يدعى الملك أحد غيره وفى بعض كتب الله المنزلة أنا الله ملك الملوك ومالك الملك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وإن هم عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشفقوا بسب الملوك ولكن توبوا إلى أعظفهم عليكم وقيل الملك هو القدرة والمالك هو القادر والمعنى أنه تعالى قادر على كل شيء وملك على كل مالك ومملوك وقادر ومقدور وقيل معناه مالك الملك أى جنس الملك يتصرف فيه كيف يشاء (تؤتى الملك من تشاء) يعنى النبوة لأنها أعظم مراتب الملك وذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم له الأمر على بواطن الخلق وظواهرهم والمملك ليس له الأمر إلا على ظواهر بعض الخلق وهو من بطيئه منهم وطاعة النبي واجبة على الكافة (وتنزع الملك من تشاء) يعنى بذلك نزع النبوة من بنى إسرائيل وإيتاءها محمدا صلى الله عليه وسلم فإنه لا نبى بعده ولم يشركه فى نبوته ورسالته أحد وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتنزع الملك من تشاء يعنى من أبى جهل وصناديد قريش وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتنزع الملك من تشاء يعنى إبليس وجنوده الذين كانوا فى الأرض قبل آدم (وتعز من تشاء) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة (وتذل من تشاء) يعنى اليهود بأخذ الجزية منهم ونزع النبوة عنهم وقيل تعز المهاجرين والأنصار وتذل من تشاء يعنى أباجهل وأضرابه حين قتلوا والنقوا فى قليب بدر يوم بدر وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية وقيل تعز من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر وقيل تعز من تشاء بالقناعة والرضا وتذل من تشاء بالحرص والطمع (بيدك الخير) يعنى النصر والغنيمة وقيل الألف واللام تفيد العموم والمعنى بيدك كل الخيرات . فان قلت كيف قال بيدك الخير دون الشر . قلت لأن الكلام إنما وقع فى الخير الذى يسوقه الله تعالى إلى عباده المؤمنين وهو الذى أنكرته اليهود والمنافقون فقال بيدك الخير تؤتية أوليامك على رغم أعدائك وقيل أن قوله بيدك الخير لا ينافى أن يكون بيد غيره فيكون المعنى بيدك الخير وبيدك ما سواه إلا أنه خص الخير بالذكر لأنه المنتفع به والمرغوب فيه (إنك على كل شيء قدير) يعنى من إيتاء الملك من تشاء وإنزاع من تشاء وإذلال من تشاء . قوله تعالى (تولج الليل فى النهار) الآية لما ذكر الله تعالى أنه مالك

من تشاء فارس والروم وقال السدى تؤتى الملك من تشاء أى الله الأتية عليهم الصلاة والسلام الملك وأمر العباد بطاعتهم وتنزع الملك من تشاء نزع من الجبارين وأمر العباد بخلافهم وقيل تؤتى الملك من تشاء آدم وولده وتنزع الملك من تشاء إبليس وجنوده وقوله تعالى (وتعز من تشاء وتذل من تشاء) قال عطاء تعز من تشاء المهاجرين والأنصار وتذل من تشاء فارس والروم وقيل تعز من تشاء محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى دخلوا مكة فى عشرة آلاف ظاهرين عليها وتذل من تشاء أباجهل وأصحابه حتى جزت رءوسهم وألقوا فى القليب وقيل تعز من تشاء بالإيمان والهداية وتذل من تشاء بالكفر والضلالة .

وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية وقيل تعز من تشاء بالنصرة وتذل من تشاء بالقهر وقيل تعز من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر وقيل تعز من تشاء بالقناعة والرضا وتذل من تشاء بالحرص والطمع (بيدك الخير) أى بيدك الخير والشر فاكتفى بذكر أحدهما الملك قال تعالى إسرائيل تقيمكم الحرة أى الحر والبرد فاكتفى بذكر أحدهما (إنك على كل شيء قدير) قوله تعالى (تولج الليل فى النهار)

أى تدخل الليل في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات (وتولج النهار في الليل) حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات فما نقص من أحدهما زاد في الآخر (وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم الميت يتشديد الباء هاهنا وفي الأتعام ويونس والروم وفي الأعراف ليلك ميت وفي فاطر إني بلد ميت زاد نافع أو من كان ميتا فأحييناه ولحم أخيه ميتا والأرض الميتة أحييناها فشددها والآخرون يخففونها وشدد يعقوب يخرج الحي من الميت ولحم أخيه ميتا . قال ابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة معنى الآية يخرج الحيوان من النطفة وهي ميتة ويخرج النطفة من الحيوان . وقال عكرمة والكلبي يخرج الحي من الميت أى الفرخ من البيضة وتخرج البيض من الطير . وقال الحسن وعطاء : يخرج (٢٣٥) المؤمن من الكافر ، ويخرج

الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ميت الفؤاد قال الله تعالى أو من كان ميتا فأحييناه . وقال الزجاج يخرج النبات الغض الطرى من الحب اليابس ويخرج الحب اليابس من النبات الحى النابت (وترزق من نشاء غيره حساب) من غير تضييق ولا تقتير أخيرا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنفى أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى أنا أبو جعفر عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم الهاشمى أنا محمد بن علي بن زيد الصانع أنا محمد بن أزهر أنا الحارث بن عمير أنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي

الملك أردفه بذكر قدرته الباهرة في حال الليل والنهار وفي المعاقبة بينهما وحال إخراج الحي من الميت ثم عطف عليه أنه يرزق من يشاء بغير حساب وفي ذلك دلالة على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة الخيرة لذوى الأفهام والعقول فهو قادر أن ينزع الملك من فارس والروم واليهود ويذهب ويؤتية العرب ويعزهم فتولج الليل في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة وذلك غاية طول النهار ويكون الليل تسع ساعات وذلك غاية قصر الليل (وتولج النهار في الليل) حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة وذلك غاية طول الليل (وتولج الليل في النهار) حتى يكون النهار تسع ساعات وذلك غاية قصره وقيل المراد أنه تعالى يأتي بسواد الليل عقيب ضوء النهار ويأتى بضوء النهار بعد ظلمة الليل والقول الأول أصح وأقرب إلى معنى الآية لأنه إذا نقص الليل كان ذلك القدر زيادة في النهار وبالعكس وهو معنى الواج (وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) وهو أنه تعالى يخرج الإنسان الحى من النطفة وهي ميتة ويخرج النطفة من الإنسان ويخرج الأخصر من الحب اليابس ويخرج النخلة من النواة وبالعكس وقيل معناه أنه تعالى يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لأن المؤمن حى الفؤاد والكافر ميتة (وترزق من نشاء غيره حساب) يعنى من غير تضييق ولا تقتير ، بل تبسط الرزق لمن نشاء وتوسعه عليه . قوله عز وجل (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) قال ابن عباس كان الحجاج بن عمرو وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد يبطنون بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيشمة لأولئك النفر اجتمعوا هؤلاء اليهود لا يفتونكم عن دينكم فأبى أولئك النفر إلا مبايعتهم فأمر الله تعالى هذه الآية وقيل زلت في حاطب بن أبى بلتعة وغيره ممن كان يظهر المودة للكفار مكة وقبل زلت في عبد الله بن أبى وأصحابه كانوا يتولون المشركون واليهود ويأتونهم بالأخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الله تعالى هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل ذلك وقيل إن عبادة بن الصامت

ابن أبى طالب رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران شهد الله لى قوله إن الدين عند الله الإسلام وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب مشفعات معلقات بالعرش ما بينهن وبين الله عز وجل حجاب قلن يارب تهبطننا إلى أرضك وإلى من يعصيك قال الله عز وجل لى حلفت لا يقرأ كن أحد من عبادى دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه على ما كان فيه وأسكنته في حظيرة القدس ونظرت إليه بعيني المكنونة وقضيت له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة وأعدته من كل عدو وحاسد ونصرتهم عليهم رواه الحارث بن عمرو وهو ضعيف قوله عز وجل (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) قال ابن عباس رضى الله عنه كان الحجاج بن عمرو وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد يبطنون بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيشمة لأولئك النفر

أجلبوا هؤلاء اليهود لا يفتنونكم عن دينكم فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال مقاتل نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره وكانوا يظهرون المودة للكفار مكة وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالأخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم قوله تعالى (ومن يفعل ذلك) أي موالاة الكفار في نقل الأخبار إليهم وإظهارهم على عورة المسلمين (فليس من الله في شيء) أي ليس من دين الله في شيء ثم استثنى فقال (إلا أن تتقوا منهم تقاة) يعني إلا أن تخافوا منهم مخافة (٣٣٦) قرأ مجاهد ويعقوب تقية على وزن بقية لأنهم كتبوها بالياء ولم يكتبوها

بالألف مثل حصاة ونواة وهي مصدر يقال تقيت تقية وتقى تقية وتقوى تقاة وتقى تقية ومعنى التقية كان فإذا قلت اتقيت كان المصدر الإتيان وإنما قال تتقوا من الإتيان ثم قال تقاة ولم يقل إتيان لأن معنى المتقنين إذا كان واحدا يجوز إخراج مصدر أحدهما على لفظ الآخر كقوله تعالى وتبتل إليه تبتيلا ومعنى الآية أن الله تعالى نهي المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين أو يكون المؤمن في قوم كفار يخافهم فيدارهم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان دفعا عن نفسه من غير أن يستحل دما حراما أو مالا حراما أو يظهر الكفار على

كان له حلفاء من اليهود فقال يوم الأحزاب يا رسول الله إن معي خمسمائة من اليهود وقد رأيت أن أستظهر بهم على العدو فنزلت هذه الآية وقوله «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء» يعني أنصارا وأعوانا من دون المؤمنين يعني من غير المؤمنين والمعنى لا يجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن نهي الله المؤمنين أن يوالوا الكفار أو يلاطفوهم لتقريبه بينهم أو محبة أو معاشرة والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الإيمان (ومن يفعل ذلك) يعني موالاة الكفار من نقل الأخبار إليهم وإظهار عورة المسلمين أو يودهم ويحبهم (فليس من الله في شيء) أي فليس من دين الله في شيء وقيل معناه فليس من ولاية الله في شيء وهذا أمر معقول من أن ولاية المولى معاداة أعدائه وموالاة الله وموالاة الكفار ضدان لا يجتمعان (إلا أن تتقوا منهم تقاة) أي إلا أن تخافوا منهم مخافة ومعنى الآية أن الله نهي المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين أو يكون المؤمن في قوم كفار فيداهنتهم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان دفعا عن نفسه من غير أن يستحل دما حراما أو مالا حراما أو غير ذلك من المحرمات أو يظهر الكفار على عورة المسلمين والتقية لا تكون إلا مع خوف القتل مع سلامة النية قال الله تعالى «الإيمان أكره وقلبه مطمئن بالإيمان» ثم هذه التقية رخصة فلو صبر على إظهار إيمانه حتى قتل كان له بذلك أجر عظيم وأنكر قوم التقية اليوم وقالوا إنما كانت التقية في جدة الإسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فأما اليوم فقد أعز الله الإسلام والمسلمين فليس لأهل الإسلام أن يتقوا من عدوهم قال يحيى البكاء قلت لسعيد بن جبير في أيام الحجاج أن الحسن يقول التقية باللسان والقلب مطمئن بالإيمان فقال سعيد ليس في الأمان تقية إنما التقية في الحرب وقيل إنما يجوز التقية لصون النفس عن الضرر لأن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان (ويحاذركم الله نفسه) أي ويخوفكم الله أن تعصوه بأن ترتكبوا المنهي ومخالفة المأمور به أو توالوا الكفار فتستحقوا عقابه على ذلك كله (ولم يأت الله المصير) يعني أن الله يحلركم عقابه إذا صرتم إليه في الآخرة . قوله عز وجل (قل إن تخفون ما في صدوركم) يعني ما في قلوبكم من موالاة الكفار ومودتهم وإنما ذكر الصدر لأنه وعاء القلب (أو تبدوه) يعني تبدوا مودة الكفار قولاً وفعلاً وقيل معناه إن تخفوا ما في قلوبكم من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تبدوه أي تظهروه بالحرب والمقاتلة له (يعلمه الله) أي يحفظه عليكم

عورة المسلمين والتقية لا تكون إلا مع خوف القتل وسلامة النية قال الله تعالى إلا من أكره وقلبه مطمئن ويجازيكم بالإيمان ثم هذه رخصة فلو صبر حتى قتل فله أجر عظيم وأنكر قوم التقية اليوم ، وقال معاذ بن جبل ومجاهد كان التقية في جدة الإسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين . فأما اليوم فقد أعز الله الإسلام فليس ينبغي لأهل الإسلام أن يتقوا من عدوهم وقال يحيى البكاء قلت لسعيد بن جبير في أيام الحجاج أن الحسن كان يقول لكم تقية باللسان والقلب مطمئن بالإيمان ؟ فقال سعيد ليس في الإسلام تقية إنما التقية في أهل الحرب (ويحاذركم الله نفسه) أي يخوفكم الله عقوبته على موالاة الكفار وارتكاب المنهي ومخالفة المأمور (ولم يأت الله المصير قل إن تخفوا ما في صدوركم) أي تخفوا ما في قلوبكم من موالاة الكفار قولاً وفعلاً (يعلمه الله) قال الكلبي إن تسروا ما في قلوبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من التكليب أو تظهروه بحريه وقتاله يعلمه الله

قل لما نزلت هذه الآية قال عبدالله بن أبي لأصحابه إن محمدا يجعل طاعته كطاعة الله وأمرنا أن نحبه كما أحببت النصراني عيسى بن مريم فنزل قوله تعالى (قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا) أعرضوا عن طاعتها (فإن الله لا يحب الكافرين) لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن سنان أنا فليح أنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي قالوا ومن يأتي قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن عباد أنا يزيد أنا سليمان بن حيان وأثنى عليه أنا سعيد بن ميناء قال حدثنا أو سمعت جابر (٣٣٨) بن عبدالله يقول جاءت ملائكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نام

فقال بعضهم إنه نام وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا إن لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا مثاه كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مائدة وبعث داعيا فن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المائدة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المائدة فقالوا أولوها له يفقهها فقال بعضهم إنه نام وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا أما الدار الجنة وأما الداعي محمد صلى الله عليه وسلم فن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد صلى الله عليه وسلم فرقت بين الناس. قوله تعالى (إن الله

نحبه كما أحببت النصراني عيسى بن مريم فأنزل الله عز وجل (قل أطيعوا الله والرسول) يعني أن طاعة الله متعلقة بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن طاعته لا تتم مع عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الشافعي رضي الله عنه كل أمر أوتيهي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى ذلك في التمرضة والزرور مجرى ما أمر الله به في كتابه أو نهي عنه وقال ابن عباس رضي الله عنهما فإن طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعتكم لي فأما أن تطيعوني وتعصوا محمدا فلن أقبل منكم (فإن تولوا) أي أعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فإن الله لا يحب الكافرين) أي لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم (بخ) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» (ق) عنه قال: قال رسول الله ﷺ من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن بطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني». قوله عز وجل (إن الله اصطفى آدم ونوحا) قال ابن عباس قالت اليهود نحن من أبناء إبراهيم وإسحق ويعقوب ونحن على دينهم فأنزل الله هذه الآية والمعنى أن الله اصطفى هؤلاء بالإسلام وأنتم يامعشر اليهود على غير دين الإسلام ومعنى اصطفى اختار من الصفوة وهي الخالص من كل شيء آدم هو أبو البشر عليه السلام ونوحا هو نوح بن لامك بن متوشلخ ابن أخنوخ وهو إدريس عليه السلام وحكي ابن الجوزي في تفسيره عن أبي سليمان الدمشقي أن اسم نوح السكك وإنما سمى نوحا لكثرة نوحه على نفسه (وآل إبراهيم) قيل أراد بآل إبراهيم إبراهيم نفسه وقيل آل إبراهيم إسماعيل وإسحاق ويعقوب وذلك أن الله تعالى جعل لإبراهيم أصلا لشعبتين فجعل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام أصلا للعرب ومحمد صلى الله عليه وسلم منهم فهو داخل في هذا الاصطفاء وجعل إسحاق أصلا لبني إسرائيل وجعل فيهم النبوة والملك إلى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم جمع له ولأئمة النبوة والملك إلى يوم القيامة وقيل أراد بآل إبراهيم من كان على دينه (وآل عمران) واختلفوا في عمران هذا فقيل هو عمران بن بصير بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وهو والد موسى وهارون فيكون

اصطفى آدم ونوحا) الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما قالت اليهود نحن من أبناء إبراهيم وإسحاق آل عمران

ويعقوب ونحن على دينهم فأنزل الله تعالى هذه الآية يعني إن الله اصطفى هؤلاء بالإسلام وأنتم على غير دين الإسلام. اصطفى اختار افتعل من الصفوة وهي الخالص من كل شيء. آدم أبا البشر ونوحا (وآل إبراهيم وآل عمران) قيل أراد بآل إبراهيم وآل عمران إبراهيم عليه السلام وعمران أنفسهما كقوله تعالى وبقيت مما ترك آل موسى وآل هارون يعني موسى وهارون وقال آخرون آل إبراهيم إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وكان محمد صلى الله عليه وسلم من آل إبراهيم عليه السلام وأما آل عمران فقد قال مقاتل هو عمران بن بصير بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام وآله موسى وهارون وقال الحسن ووهب هو عمران بن أشهم بن عمون من ولد سليمان بن داود عليهما السلام وآله مريم وعيسى وقيل عمران بن ماثان ولما

نخص هؤلاء بالذكر لأن الأنبياء والرسل كلهم من نسلهم (على العالمين ذرية) اشتقها من ذرا بمعنى خلق وقيل من الدر لأنه استخرجهم من صلب آدم كالدر ويسمى الأولاد والآباء ذرية فالأولاد ذرية لأنه ذراهم والآباء ذرية لأنه ذرا الأبناء منهم قال الله تعالى «وآية لهم أنا حملنا ذريتهم» أي آباءهم . ذرية نصب على معنى (٣٣٩) واصطفي ذرية (بعضها من

بعض) أي بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من بعض في التناصر وقيل بعضها على دين بعض (والله سميع عليم إذ قالت امرأة عمران) وهي حنة بنت فاقوذا أم مريم وعمران هو عمران بن ماثان وليس بعمران أي موسى عليه السلام لأن بينهما ألفا وثمانمائة سنة وقيل كان بين إبراهيم وموسى عليهما السلام ألف سنة وبين موسى وعيسى عليهما السلام ألف سنة وكان بنو ماثان رءوس بني إسرائيل وأخبارهم وملوكهم وقيل عمران ابن أشهم . قوله تعالى (رب إنى نذرت لك مافي بطني محررا) أي جعلت لك مافي بطني محررا مافي بطني محررا أي عتيقا خالصا لله مفرغا لعبادة الله ونخدمة الكنيسة لا أشغله بشئ من أمور الدنيا قيل كان المحرر عندهم إذا حرر رجل في الكنيسة فيقوم عليها ويخدمها ولا يبرح مقبلا فيها حتى يبلغ الحلم ثم يغير فإن أحب أقام فيها وإن أحب ذهب حيث شاء فإن اختار الخروج بعد أن اختار الإقامة في الكنيسة لم يكن له ذلك ولم يكن أحد من أنبياء بني إسرائيل ومن علمائهم إلا ومن أولاده محرر لخدمة بيت المقدس ولم يكن يحرق إلا الغلمان ولا تصلح الجارية لخدمة بيت المقدس لما يصيبها من الحيض والأذى فحررت أم مريم مافي بطنها وكانت القصة في ذلك على ما ذكره أصحاب السير والأخبار أن زكريا وعمران تزوجا أختين فكانت إيشاع بنت فاقوذا وهي أم يحيى عند زكريا وكانت حنة بنت فاقوذا أخت إيشاع عند عمران وهي أم مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أبست وكبرت وكانوا أهل بيت صالحين وهم من الله بمكان فينهاهي في ظل شجرة إذ بصرت بطائر يطعم فرخا فحركت نفسها بذلك للولد فدعت الله أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك على إنرزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فلما حملت بمريم حررت مافي بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها ويحك ما صنعت أرأيت إن كان مافي بطنك أنثى فلا تصلح لذلك فوقما جديعا فيهم شديد من أجل ذلك فمات عمران قبل أن تضع حنة حملها ثم قال تعالي حاكيا عنها (فتقبل مني) يعني فتقبل نذري والتقبل أخذ الشيء على الرضا وأصله من المقابلة لأنه يقابل بالجزاء وهذا سؤال من لا يريد بما فعله إلا العليل لرضا الله تعالي والإخلاص في دعائه وعبادته (إنك أنت السميع) يعني لتضرعي ودعائي (العليم) يعني بنيتي ومافي ضد يرضى قوله عز وجل

آل عمران موسى وهرون أو نفسه وقيل هو عمران بن أشيم بن أمون وقيل ابن ماثان وهو من ولد سليمان بن داود عليهما السلام وعمران هذا هو والد مريم وابنها عيسى فعلى هذا يكون المراد بآل عمران مريم وابنها عيسى عليه السلام وإنما خص هؤلاء بالذكر لأن الأنبياء والرسل من نسلهم (على العالمين) أي اختارهم واصطفاهم على العالمين بما خصهم من النبوة والرسالة (ذرية) أي اصطفى ذرية وأصلها من ذرا بمعنى خلق وقيل من الدر لأن الله تعالي استخرجهم من ظهر آدم كالدر وإنما سمي الآباء والأبناء ذرية لأن الله خلق بعضهم من بعض فالأبناء من ذرية الآباء والآباء من ذرية آدم وهو ممن ذراه الله تعالي أي خلقه (بعضها من بعض) أي بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من بعض في التناصر والتعاقد وقيل بعضها على دين بعض (والله سميع عليم) يعني أن الله تعالي سميع لأقوال العباد عليهم بنياتهم وإنما يصطفى لنبوته ورسالته من يعلم استقامته قولاً وفعلًا . قوله عز وجل (إذ قالت امرأة عمران) هي حنة بنت فاقوذا أم مريم وعمران هو عمران بن ماثان وقيل ابن أشيم وليس بعمران أبي موسى لأن بينهما ألفا وثمانمائة سنة وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل في ذلك الزمن وأخبارهم وملوكهم (رب إنى نذرت لك مافي بطني محررا) أي جعلت الحمل الذي في بطني نذرا محررا مني لك والنذر ما يوجب الإنسان على نفسه والمعنى محررا أي عتيقا خالصا مفرغا لعبادة الله ونخدمة الكنيسة لا أشغله بشئ من أمور الدنيا قيل كان المحرر عندهم إذا حرر رجل في الكنيسة فيقوم عليها ويخدمها ولا يبرح مقبلا فيها حتى يبلغ الحلم ثم يغير فإن أحب أقام فيها وإن أحب ذهب حيث شاء فإن اختار الخروج بعد أن اختار الإقامة في الكنيسة لم يكن له ذلك ولم يكن أحد من أنبياء بني إسرائيل ومن علمائهم إلا ومن أولاده محرر لخدمة بيت المقدس ولم يكن يحرق إلا الغلمان ولا تصلح الجارية لخدمة بيت المقدس لما يصيبها من الحيض والأذى فحررت أم مريم مافي بطنها وكانت القصة في ذلك على ما ذكره أصحاب السير والأخبار أن زكريا وعمران تزوجا أختين فكانت إيشاع بنت فاقوذا وهي أم يحيى عند زكريا وكانت حنة بنت فاقوذا أخت إيشاع عند عمران وهي أم مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أبست وكبرت وكانوا أهل بيت صالحين وهم من الله بمكان فينهاهي في ظل شجرة إذ بصرت بطائر يطعم فرخا فحركت نفسها بذلك للولد فدعت الله أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك على إنرزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فلما حملت بمريم حررت مافي بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها ويحك ما صنعت أرأيت إن كان مافي بطنك أنثى فلا تصلح لذلك فوقما جديعا فيهم شديد من أجل ذلك فمات عمران قبل أن تضع حنة حملها ثم قال تعالي حاكيا عنها (فتقبل مني) يعني فتقبل نذري والتقبل أخذ الشيء على الرضا وأصله من المقابلة لأنه يقابل بالجزاء وهذا سؤال من لا يريد بما فعله إلا العليل لرضا الله تعالي والإخلاص في دعائه وعبادته (إنك أنت السميع) يعني لتضرعي ودعائي (العليم) يعني بنيتي ومافي ضد يرضى قوله عز وجل

العبد إذا أعتقته وخلصته من الرق قال الكلبي ومحمد بن إسحاق وغيرهما كان المحرر إذا حرر رجل في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرحها حتى يبلغ الحلم ثم يغير إن أحب أقام فيه وإن أحب ذهب حيث شاء وإن أراد أن يخرج بعد التخيير لم يكن له ذلك ولم يكن أحد من الأنبياء والعلماء إلا من نسله محرر لبيت المقدس ولم يكن محررا إلا الغلمان ولا تصلح له الجارية لما يصيبها من

الحبض والأذى فحررت أم مريم مافي بطنها وكانت القصبة في ذلك أنز كريبا و عمران تزوجا أختين وكانت إشباع بنت فاقوذا أم يحيى عند زكريا وكانت حنة بنت فاقوذا أم مريم عند عمران وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أسدت وكانوا أهل بيت من الله بمكان فيبها في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا فتحركت بذلك فسمها للولد فدعت الله أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك على إن رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سادته وخدمه فحملت بمريم فحررت مافي بطنها ولم تعلم ماهو فقال لها زوجها ويحك ما صنعت أرايت إن كان مافي بطنك أني لا تصلح لذلك فوقعا جميعا في هم من ذلك فهلك عمران وحنة حامل بمريم (فلما وضعتها) أي ولدتها إذا هي جارية والهاء في قوله وضعتها راجعة إلى النذيرة لآلي ما ولذلك أنت (قالت) حنة وكانت (٣٤٠) . ترجو أن يكون غلاما (رب إنى وضعتها أني) اعتذارا إلى الله عز

وجل (والله أعلم بما وضعت) يجزم التاء إخبارا عن الله تعالى عز وجل وهي قراءة العامة وقرأ ابن عامر وأبو بكر ويعقوب وضعت برفع التاء جعلوها من كلام أم مريم (وليس الذكر كالأنثى) في خمسة الكنيسة والعباد الذين فيها لئبها وضعها وما يعترها من الحبض والنفاس (وإنى سميتها مريم) وهي بلغتهم العابدة والخدمة وكانت مريم من أجمل النساء في وقتها وأفضلهن (وإنى أعيدها) أمنعها وأجرها (بك) وذريتها (أولادها) من الشيطان الرجيم (والشيطان الطريد اللعين والرجيم المرى بالشهب أخير ناعبها الواحد المليحي

(فلما وضعتها) أي ولدت حملها وإنما قال وضعتها لأنه كان في علم الله أنها جارية وكانت حنة ترجو أن يكون غلاما (قالت) يعني حنة (رب إنى وضعتها أني) تريد بذلك اعتذارا إلى الله من إطلاقها النذر المتقدم فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لآعلى سبيل الإعلام لأن الله تعالى عالم بما في بطنها قبل أن تضعه (والله أعلم بما وضعت) قرئ يجزم التاء إخبارا عن الله تعالى والمعنى أنه تعالى قال والله أعلم بالشيء الذي وضعت وقرئ وضعت برفع التاء وهو من كلام أم مريم على تقدير أنها لما قالت رب إنى وضعتها أني خافت أن تكون أجبرت الله بذلك فأزالت هذه الشبهة بقولها والله أعلم بما وضعت (وليس الذكر كالأنثى) يعني في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره وليس الأنثى كالذكر والمراد منه تفضيل الذكر على الأنثى لأن الذكر يصلح للخدمة للكنيسة ولا تصلح الأنثى لذلك لضعفها وما يحصل لها من الحبض ولأنها عورة ولا يجوز لها الحضور مع الرجال وقيل في معنى الآية إن المراد منها هو تفضيل هذه الأنثى على الذكر كأنها قالت كان الذكر مطلوبا لخدمة المسجد وهذه الأنثى هي موهوبة لله تعالى وليس الذكر التي طلبت كالأنثى التي هي موهوبة لله تعالى وكانت مريم من أجمل النساء وأفضلهن في وقتها (وإنى سميتها مريم) يعني العابدة والخدمة وهو بلغتهم أرادت بهذه التسمية أن يفضلها الله على إناث الدنيا (وإنى أعيدها بك وذريتها) أي أمنعها وأجرها بك وذريتها (من الشيطان الرجيم) يعني اللعين الطريد وذلك أن حنة أم مريم لما فاتها ما كانت تطلب من أن يكون ولدها ذكرا فإذا هي أني تضرعت إلى الله تعالى أن يحفظها ويعصمها من الشيطان الرجيم وأن يجعلها من الصالحات العابدات (ق) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من نبي آدم من مولود إلا نحسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من نحسه إياه إلا مريم وابنها » ثم يقول أبو هريرة أقرؤا إن شئتم « وإنى أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » ولبخاري عنه قال كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبه بأصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب ليطعن فطعن في الحجاب . قوله عز وجل (فتقبلها ربهما بقبول حسن) يعني أن الله تعالى تقبل مريم من حنة مكان الذكر المحرر بمعنى قبل ورضى قال الزجاج الأصل في العربية

أنا أحمد بن عبد الله النعمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو الهيثم ، أنا شعيب عن الزهري تقبلها حدثني سعيد بن المسيب قال : قال أبو هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من نبي آدم مولود إلا نحسه الشيطان حين يولد فيستهل الصبي صارخا من الشيطان غير مريم وابنها » ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه « وإنى أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو الهيثم أنا شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبه بأصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب ليطعن فطعن في الحجاب » قوله (فتقبلها ربهما بقبول حسن) أي قبل الله مريم من حنة مكان المحرر وتقبل بمعنى قبل ورضى والقول مصدر قبل يقبل قبولاً ، مثل الولوغ

والوزوع ولم يأت غير هذه الثلاثة وقيل معنى التقبل التكفل في التربية والقيام بشأها (وأثبتها نباتا حسنا) معناه وأثبتها فنبتت نباتا حسنا وقيل هذا مصدر على غير المصدر أى المصائر وكذلك قوله فتقبلها ربهما بقبول حسن ومثله سائغ كتقولك تكلمت كلاما وقال جرير عن الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما فتقبلها ربهما بقبول حسن أى سلك بها طريق السعداء وأثبتها نباتا حسنا يعنى سوى خاقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تثبت في اليوم ما ينبت المولود في العام (وكفلها زكريا) قال أهل الأخبار أخذت حنة مريم حين ولدتها فلفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد فوضعتها عند الأحبار أبناء هارون ، وهم يومئذ يلون من بيت المقدس مايل الحجة من الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافس فيها الأحبار لأنها كانت بفت إمامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحقكم بها عندي خالتها فقالت (٣٤١) له الأحبار لا تفعل ذلك فانها

لو تركت لأحق الناس بها لتركت لأمها التي ولدتها لكانت تفرغ عليها فتكون عند من خرج سهمه فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا إلى نهر جار . قال السدي هو نهر الأردن فألقوا أقلامهم في الماء على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها وقيل كان على كل قلم اسم واحد منهم وقيل كانوا يكتبون التوراة فألقوا أقلامهم التي كانت بأيديهم في الماء فارتد قلم زكريا فارفع فوق الماء وانحدرت أقلامهم ورسبت في النهر قاله محمد بن إسحاق وجماعة وقيل جرى قلم زكريا مصعدا إلى أعلى الماء ورسبت في النهر قاله محمد بن إسحاق وجماعة وقيل جرى قلم زكريا مصعدا إلى أعلى الماء ورسبت في النهر قاله محمد بن إسحاق وجماعة

تقبلها بتقبل ولكن قبول محمول على قبلها قبولاً كما يقال قبلت الشيء قبولاً إذا رضيته وقال أبو عمر وليس في المصادر فعول بفتح الفاء إلا هذا ولم أسمع فيه الضم وقيل معنى التقبل والقبول واحد وهما سواء وهو أن يرى الشيء موبأخذه وقيل معنى التقبل والتكفل في التربية والقيام بشأها وإنما قال بقبول للجمع بين الأمرين يعنى التقبل الذى بمعنى التكفل والقبول الذى بمعنى الرضا (وأثبتها نباتا حسنا) معناه وأثبتها فنبتت هي نباتا حسنا قال ابن عباس في قوله تعالى «فتقبلها ربهما بقبول حسن» أى سلك بها طريق السعداء وأثبتها نباتا حسنا يعنى سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تثبت في اليوم ما ينبت المولود في عام (وكفلها زكريا) قال أهل الأخبار لما ولدت حنة مريم أخذتها فلفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما تلى الحجة من الكعبة وقالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الأحبار لأنها كانت بفت إمامهم وصاحب قربانهم فقال زكريا أنا أحق بها لأن خالتها عندي فقالت له الأحبار لو تركت لأحق الناس بها لتركت لأمها التي ولدتها ولكنها تفرغ عليها فتكون عند من خرج سهمه بها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا إلى نهر جار قيل هو الأردن فألقوا أقلامهم في الماء على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها من غيره وكان على كل قلم مكتوب اسم واحد منهم وقيل بل كانوا يكتبون التوراة فألقوا أقلامهم التي كانت بأيديهم فارفع قلم زكريا فوق الماء ووقف وانحدرت أقلامهم ثم رسبت في النهر وقيل جرى قلم زكريا مصعدا إلى أعلى وجرت أقلامهم مع جرى الماء إلى أسفل فسهمهم زكريا وقرعهم وكان زكريا رأس الأحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا قرئ بتشديد الفاء ومعناه وضمها الله زكريا وضمها إليه بالقرعة وقرئ بالتخفيف الفاء ومعناه وضمها زكريا إلى نفسه بالقرعة وقام بأمرها وهو زكريا بن أذن بن مسلم بن صدوق من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام فلما ضم زكريا مريم إلى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها المراضع وقيل ضمها إلى خالتها أم يحيى حتى إذا شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا في المسجد وجعل بابها في وسطه ولا يرقى إليه إلا بسلم ولا يصعد إليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها كل يوم فلذلك قوله تعالى (كلما دخل عليها زكريا المحراب) يعنى القرعة والمحراب أشرفت

الماء وقاله السدي وجماعة بل ثبت قلم زكريا وقام فوق الماء كأنه في طين وجرت أقلامهم في جرية الماء فسهمهم وقرعهم زكريا وكان رأس الأحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا قرأ حمزة فوعاصم والكسائي كفلها بتشديد الفاء فيكون زكريا في محل النصب أى ضمها الله وضمها إليه بالقرعة وقرأ الآخرون بالتخفيف فيكون زكريا في محل الرفع أى ضمها زكريا إلى نفسه وقام بأمرها وهو زكريا بن أذن بن مسلم بن صدوق من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم زكريا مقصورا والآخرون بمدونه فلما ضم زكريا مريم إلى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها وقال محمد بن إسحاق وضمها إلى خالتها أم يحيى حتى إذا شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا في المسجد وجعل بابها في وسطها لا يرقى إليها إلا بالسلم مثل باب الكعبة لا يصعد إليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها كل يوم (كلما دخل عليها زكريا المحراب)

وأراد بالمحراب الغرفة والمحراب أشرف المجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد ويقال للمسجد أيضا محراب وقال المبرد لا يكون المحراب إلا أن يرتقى إليه بدرجة وقال الربيع بن أنس كان زكريا إذا خرج يفتق عليها سبعة أبواب فإذا دخل عليها فتحها (وجد عندها رزقا) أي فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف (قال يامرؤم أنى لك هذا) قال أبو عبيدة معناه من أين لك هذا وأذكر بعضهم عليه وقال معناه من أي جهة لك هذا لأن السؤال عن الجهة وأين للسؤال عن المكان (قالت هو من عند الله) أي من قطف الجنة وقال أبو الحسن إن مريم من حين ولدت لم تلغم ثديا قط بل كان يأتيها رزقها من الجنة فيقول لها زكريا أنى لك هذا فنقول هو من عند الله تكلمت وهي صغيرة (إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) قال محمد (٣٤٢) بن إسحاق ثم أصابت بنى إسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها حتى

الجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد وقيل المحراب ما يرقى إليه بدرج وقيل كان زكريا يفتق عليها سبعة أبواب فإذا دخل عليها المحراب (وجد عندها رزقا) يعني فاكهة في غير وقتها فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء (قال) يعني زكريا (يامرؤم أنى لك هذا) أي من أين لك هذه الفاكهة (قالت) يعني مريم مجيبة لزكريا (هو من عند الله) يعني من الجنة وقيل إن مريم من حين ولدت لم تلغم ثديا بل كان يأتيها رزقها من الجنة يقول زكريا يامرؤم أنى لك هذا فنقول هو من عند الله تكلمت وهي صغيرة في المهد كما تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير في المهد وقال محمد بن إسحاق أصابت بنى إسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكما أنها فخرج على بنى إسرائيل فقال يا بنى إسرائيل تعاضون والله لقد كبرت سني وضعفت عن حمل بنت عمران فأياكم يكفلها بعدى فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من السنة ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لم يجحدوا من حملها بل افتتاروا عليها بالأقلام فخرج السهم لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم لمريم فحملها فعرفت مريم في وجهه شدة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن بالله الظن فإن الله سيرزقنا فصار يوسف يرزق لمساكنها منه فكان يأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فإذا أدخله عليها في المحراب أمناه الله وزاده فيدخل عليها فيقول يامرؤم أنى لك هذا فنقول هو من عند الله (إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) وهذا يحتل أن يكون من تمام كلام مريم أو ابتداء كلام من الله عز وجل ومعناه أن الله تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير لسكنته أو من غير سبب وفي هذه الآية دليل على جواز كرامات الأولياء وظهور خوارق العادات على أيديهم قال أهل الأخبار فلما رأى زكريا ذلك قال إن الذي قدر على أن يأتي مريم بالفاكهة في غير وقتها وحينها من غير سبب لتقدر أن يصلح زوجي ويهب لي ولدا في غير حينه مع الكبر وطمع في الولد. وذلك أن أهل بيته كانوا قد انقضوا وكان زكريا قد كبر وشاخ وأيس من الولد فذلك قوله عز وجل (هناك دعا زكريا ربه) يعني أنه عليه السلام دخل محرابه وأغلق الأبواب وسأل ربه الولد (قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة) يعني أنه قال يارب أعطني من عندك ولدا مباركا

ضعف زكريا عن حملها فخرج على بنى إسرائيل فقال يا بنى إسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سني وضعفت عن حمل مريم بنت عمران فأياكم يكفلها بعدى فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من السنة ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لم يجحدوا من حملها بل افتتاروا عليها بالأقلام فخرج السهم على رجل نجار من بنى إسرائيل يقال له يوسف ابن يعقوب وكان ابن عم مريم فحملها فعرفت مريم في وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن بالله الظن فإن الله سيرزقنا فجعل يوسف يرزق بمساكنها منه فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها

تقيا

فإذا أدخله عليها في الكنيسة أمناه الله فيدخل عليها زكريا فيرى عندها فضلا من الرزق ليس

بقدر ما يأتيها به يوسف فيقول يامرؤم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب قال أهل الأخبار فلما رأى ذلك زكريا قال إن الذي قدر على أن يأتي مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب لتقدر على أن يصلح زوجي ويهب لي ولدا في غير حينه على الكبر فطمع في الولد وذلك أن أهل بيته كانوا قد انقضوا وكان زكريا قد شاك وأيس من الولد قال الله تعالى (هناك) أي عند ذلك (دعا زكريا ربه) فدخل المحراب وأغلق الأبواب وناجى ربه (قال رب) أي يارب (هب لي) أعطني (من لدنك) أي من عندك (ذرية طيبة) أي ولدا مباركا تقيا صالحا راضيا والذرية تكون واحدا وجمعا ذكرنا وأنثى وهو هاهنا واحد بدليل قوله عز وجل فهب لي من لدنك وليا وإنما قال طيبة لتأنيث لفظ الذرية

(إنك سميع الدعاء) أي سامعه وقيل بحبيبه كقوله تعالى إني أنمت بربكم فاسمعون أي فأجيبوني (فنادته الملائكة) قرأ حمزة والكسائي فناداه بالياء والآخرون بالتاء لتأنيث لفظ الملائكة وللجمع مع أن المذكور إذا تقدم فعلهم وهم جماعة كان التأنيث فيها أحسن كقوله تعالى قالت الأعراب وعن إبراهيم قال كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما يذكّر الملائكة في القرآن قال أبو عبيدة إنما نرى عبد الله اختار ذلك خلافاً للمشركين في قولهم الملائكة بنات الله تعالى وروى الشعبي أن ابن مسعود رضي الله عنه قال إذا اختلفتم في التاء والياء فاجعلوها ياء وذكروا القرآن وأراد بالملائكة هاهنا جبريل عليه السلام وحده كقوله تعالى في سورة النحل ينزل الملائكة يعني جبريل بالروح والوحى ويجوز في العربية أن يخبر عن الواحد بلفظ الجمع كقولهم سمعت هذا الخبر من الناس وإنما سمع من واحد نظيره قوله تعالى الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود أن الناس يعني أبا سفيان بن حرب وقال المفضل بن سلمة إذا كان القائل رئيساً يجوز الإخبار عنه بالجمع لاجتماع أصحابه معه وكان جبريل عليه السلام رئيس الملائكة وقيل ما يبعث إلا ومعه جمع فجرى على ذلك قوله تعالى (وهو قائم يصلي ٣٤٣) في الخراب) أي في المسجد

وذلك أن زكريا كان
الخبر الكبير الذي
يقرب القربان فيفتح
باب المذبح فلا يدخلون
حتى يأذن لهم في
الدخول فينأهون قائم
يصلي في الخراب يعني
في المسجد عند المذبح
يصلي والناس ينتظرون
أن يأذن لهم في الدخول
فاذا هو برجل شاب
عليه ثياب بيض تابع
فتزع منه فناداه وهو
جبريل عليه السلام
يا زكريا (إن الله يبشرك)
قرأ ابن عامر وحمزة
إن الله بكسر الألف على
إضمار القول تقديره

تفياً صالحاً ورضياً والذرية تطلق على الواحد والجمع والذكر والأنثى والمراد بها هنا الواحد وإنما قال طيبة لتأنيث لفظ الذرية (إنك سميع الدعاء) أي سامعه وبحبيبه. قوله عز وجل (فنادته الملائكة) يعني جبريل عليه السلام وإنما أخبر عنه بلفظ الجمع تعانياً لشأنه ولأنه رئيس الملائكة وقيل أن يبعث إلا ومعه جمع من الملائكة فجرى ذلك على مجرى العادة (وهو قائم يصلي في الخراب) أي في المسجد وذلك أن زكريا عليه السلام كان الخبر الكبير الذي يقرب القربان ويفتح لهم الباب فلا يدخلون حتى يأذن لهم في الدخول فينأهون قائم يصلي في محرابه عند المذبح والناس ينتظرون أن يأذن في الدخول إذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض فتزع زكريا منه فناداه جبريل عليه السلام يا زكريا (إن الله يبشرك ببهي) أي بولد اسمه يحيى قال ابن عباس سمي يحيى لأن الله تعالى أحياه بعمره وقيل لأن الله تعالى أحياه قلبه بالإيمان وقيل لأن الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يهم بمعصية قط (مصدقا بكلمة من الله) يعني عيسى ابن مريم وإنما سمي يحيى عليه السلام كلمة لأن الله تعالى قال له كن فكان من غير أب دلالة على كمال القدرة فوقع عليه اسم الكلمة لأنه بها كان وقيل مهي كلمة لأن عيسى عليه السلام كان يرشد الخلق إلى الحقائق والأسرار الإلهية ويهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى فسمي كلمة بهذا الاعتبار وقيل سمي كلمة لأن الله تعالى بشره مريم على لسان جبريل عليه السلام وقيل لأن الله تعالى أخبر الأنبياء الذين قبله في كتبه المنزلة عليهم أنه يخلق نبياً من غير واسطة أب فلما جاء قيل هذا هو تلك الكلمة يعني الوعد الذي وعد أنه يخلقه كذلك وكان يحيى أول من آمن بعيسى وصدقته وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر وكانا ابني خالة وقتل يحيى قبل أن يرفع

فنادته الملائكة فقالت إن الله وقرأ الآخرون بالفتح بايقاع النداء عليه كأنه قال فنادته الملائكة بأن الله يبشرك قرأ حمزة يبشرك وبابه بالتخفيف كل القرآن إلا قوله فم تبشرون فانهم انفقوا على تشديدها ووافقه الكسائي هاهنا في الموضعين وفي سحان والكهف وحمصت ووافق ابن كثير وأبو عمرو في حمصت والباقون بالتشديد فنقرأ بالتشديد فهو من بشر يبشر تبشيراً وهو أعرب اللغات وأصحها دليل التشديد قوله تعالى فيبشر عبادي وبشركم باسحاق قالوا بشرناك بالحق وغيرها من الآيات ومن خفف فهو من بشر يبشروهي لغة تهامة وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه (ببهي) هو الاسم لا يجز لمعرفته وللزائد في أوله ومثلي يزيد ويعمر وجمعه يحبون مثل موسون وعيسون واختلفوا في أنه لم يسم يحيى فقال ابن عباس رضي الله عنهما لأد الله أحيا به عمره. قال قتادة لأن الله تعالى أحيا قلبه بالإيمان وقيل سمي يحيى لأنه استشهد والشهداء أحياهم وقيل معناه يموت وقيل لأن الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يعص ولم يهم بمعصية (مصدقا) نصب على الحال (بكلمة من الله) يعني عيسى عليه السلام سمي عيسى كلمة الله لأن الله تعالى قال له كن من غير أب فكان فوقع عليه اسم الكلمة وقيل سمي كلمة لأنه يهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى وقيل هي إشارة الله تعالى لمريم بعيسى عليه

السلام بكلامه على لسان جبريل عليه السلام وقيل لأن الله تعالى أخبر الأنبياء بكلامه في كتبه أنه يخلق نبيا بلا أب قسما
كلمة لخصوله بذلك الوعد وكان يحيى عليه السلام أول من آمن بعيسى عليه السلام وصدقته وكان يحيى عليه السلام أكبر من
عيسى ستة أشهر وكانا ابني خالة ثم قتل يحيى قبل أن يرفع عيسى عليه السلام وقال أبو عبيدة بكلمة من الله أي بكتاب من
الله وآياته تقول العرب أنشدني كلمة فلان أي قصيدته قوله تعالى (وسيدا) هو فعيل من ساد يسود وهو الرئيس الذي يتبع
وينتهي إلى قوله . قال المفضل أراد سيدا في الدين قال الضحاك السيد الحسن الخلق قال سعيد بن جبير السيد الذي يطيع ربه
عز وجل وقال سعيد بن المسيب (٣٤٤) السيد الفقيه العالم . وقال قتادة سيدا في العلم والعبادة والورع وقيل الخليم

الذي لا يغضبه شيء قال
مجاهد الكرم على الله
تعالى وقيل السيد التقى
قاه الضحاك قال مفيان
الورى الذي لا يحسد
وقيل الذي يفوق قومه
في جميع خصال الخير
وقيل هو القانع بما قسم
الله له وقيل هو السخي
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن سيدكم
يا بني سامة قالوا جند بن
قيس علي أنا نبخله قال
وأى داء أدوا من البخل
لكن سيدكم عمرو بن
الجموح . قوله تعالى
(وحصورا ونبيا من
الصالحين) والحضور
أصله من الحصر وهو
الحبس والحضور في قول
ابن مسعود رضي الله عنه
وابن عباس وسعيد بن جبير
وقتادة رضي الله عنهم
وعطاء والحسن : الذي

عيسى عليه السلام وقيل إن أم يحيى لقب أم عيسى وهما حاملتان فقالت أم يحيى لأم عيسى
يا مريم أشعرت أني حامل فقالت مريم وأنا أيضا حامل فقالت أم يحيى يا مريم لاني لأجد ماني
بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله يعني أن يحيى آمن بعيسى وصدق به
(وسيدا) من ساد يسود والسيد هو الرئيس الذي يتبع وينتهي إلى قوله وكان يحيى عليه السلام
سيد المؤمنين ورئيسهم في الدين والعلم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل هو الذي يطيع
ربه وقيل هو الفقيه العالم وقيل سيدا في العلم والعبادة والورع وقال السيد هو الخليم الذي لا يغضبه
شيء وقيل السيد هو الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير وقيل هو السخي قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن سيدكم يا بني سلمة قالوا جند بن قيس علي أنا نبخله قال وأي داء أدوا
من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجموح (وحصورا) قال ابن عباس وغيره من المفسرين الحضور
الذي لا يأتي النساء ولا يقرين فعل هذا هو فعول بمعنى فاعل يعني أنه حصر نفسه عن الشهوات
وأصله من الحصر وهو الحبس وقيل هو العنين وقيل هو الفقير الذي لا مال له فيكون
الحضور بمعنى المحصور يعني الممنوع من النساء قال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة الثوب
وقد تزوج مع ذلك لبغض بصره وفيه قول آخر وهو أن الحضور هو الممتنع عن الوطء مع
القدرة عليه وإنما تركه للعفة والزهد فيه وهذا القول هو الصحيح وهو قول جماعة من المحققين
وهو أليق بمنصب الأنبياء لأن الكلام إنما خرج مخرج المدح والثناء وذكر صفة النفس
في معرض المدح لا يجوز وأيضا فإن منصب النبوة يجل من أن يضاف إلى أحد منهم نقص أو آفة
فحمل الكلام على منع النفس عن الوطء مع القدرة عليه أولى من حمله على ترك الوطء
مع العجز عنه (ونبيا من الصالحين) يعني أنه من أولاد الأنبياء الصالحين . قوله عز وجل
(قال) يعني زكريا (رب) أي يارب قبل خطاب مع جبريل لأن الآية المتقدمة دلت على أن
الذين نادوهم الملائكة فعلى هذا القول يكون الرب هنا بمعنى السيد والمرئي أي ياسيدي وقيل
إنه خطاب مع الله تعالى فيكون الرب بمعنى المالك وذلك أن الملائكة لما بشروه بالولد تعجب
ورجع في لآلة ذلك التعجب إلى الله تعالى فقال رب (أني يكون لي غلام) يعني من أين يكون
وكيف يكون لي غلام (وقد بلغني الكبر) قيل هو من المقلوب ومعناه وقد بلغت الكبر وشخت

وقيل

لا يأتي النساء ولا يقرين وهو على هذا القول فعول بمعنى فاعل . يعني أنه يحصر نفسه

عن الشهوات وقال سعيد بن المسيب هو العنين الذي لا مال له فيكون المحصور بمعنى المحصور يعني الممنوع من النساء قال سعيد
ابن المسيب كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك ليكون أغض لبصره وفيه قول آخر إن الحضور هو الممتنع من الوطء
مع القدرة عليه واختار قوم هذا القول لوجهين أحدهما لأن الكلام خرج مخرج الثناء وهذا أقرب إلى استحقاق الثناء والثاني
أنه أبعد من إلحاق الآفة بالأنبياء قوله تعالى (قال رب) أي ياسيدي قال جبريل عليه السلام هذا قول الكلبي وجماعة وقيل
قاله عز وجل (أني يكون) يعني من أين يكون (لي غلام) أي أين (وقد بلغني الكبر) هذا من المقلوب أي وقد بلغت الكبر وشخت
كما تقول بلغني الجهد أي أنا في الجهد وقيل معناه وقد نالني الكبر وأدركني وأضعفتني قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد

ابن الثلثين وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين سنة وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما كان ابن عشرين وماؤه سنة
وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى (وامرأتى عاقر) أى عقيم لا تلد ويقال رجل عاقر وامرأة عاقر وقد عقر
بضم القاف يعقر عقرا وعقارة (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) فان قيل لم قال زكريا بعد ما وعده الله تعالى أن يكون لى غلام
أكان شاكا في وعده الله وفي قدرته قيل إن زكريا لما سمع النداء من الملائكة (٣٤٥) جاءه الشيطان فقال يا زكريا

إن الصوت الذى كنت
تسمعه ليس من الله إنما
هو من الشيطان ولو
كان من الله لأوحاه
إليك كما بوحي إليك
في سائر الأحوال فقال
ذلك دفعا للوسوسة
قاله عكرمة والسدى
وجواب آخر وهو أنه لم
يشك في وعده الله إنما
شك في كفيته ، أى
كيف ذلك أتجعلني
وامرأتى شابين أم ترزقا
ولدا على الكبر منا أم
ترزقني من امرأة أخرى
قاله مستظهرا لاشاكا
هذا قول الحسن قوله
تعالى (قال رب اجعل
لى آية) أى علامة أعلم
بها وقت حمل امرأتى
فأزيدنى العبادة شكرا
لك (قال آيتك أن
لا تكلم الناس) أى تكلم
عن الكلام (ثلاثة أيام)
وتقبل بكليتك على
عبادتي لأنه يجس لسانه
عن الكلام ولكنه نهى
عن الكلام وهو صحيح
سوى كما قال في سورة
مريم ألا تكلم الناس

وقيل معناه وقد نالنى الكبر وأدركنى الضعف . فان قلت كيف أنكر زكريا الولد مع تبشير
الملائكة إياه به وما معنى هذه المراجعة ولم تعجب من ذلك بعد وعد الله إياه به أكان شاكا
في وعده الله أو في قدرته . قلت لم يشك زكريا عليه السلام في وعده الله وفي قدرته إنما قال ذلك
لى سبيل الاستفهام والاستعلام والمعنى من أى جهة يكون لى الولد أ يكون بل الله العقر عن زوجتى
ورد شباتى على أو يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف فأجابه بقوله كذلك الله يفعل ما يشاء
وقال عكرمة والسدى لما سمع زكريا نداء الملائكة جاءه الشيطان وقال يا زكريا إن الصوت الذى
سمعت ليس هو من الله تعالى وإنما هو من الشيطان ولو كان من الله تعالى لأوحاه إليك كما بوحي
إليك في سائر الأمور فقال ذلك زكريا دفعا للوسوسة واعتراض على الجواب بأنه لا يجوز أن يشبهه
على الأنبياء كلام الملائكة بكلام الشيطان إذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق بأخبارهم عن الوحي
الساوى وأجيب عن هذا الاعتراض بأنه لما دلت الدلائل على صدق الأنبياء فيم يخبرون به عن
الله تعالى بواسطة الملك فلا مدخل للشيطان فيه وذلك فيما يتعلق بالدين والشرايع فأما ما يتعلق
بمصالح الدنيا وبالولد فقد يحتمل فيه حصول الوسوسة فسأل زكريا ذلك لزول هذه الوسوسة
من خاطره قال السكبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنين وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين
سنة وقال ابن عباس في رواية الضحاك كان ابن مائة وعشرين سنة وكانت امرأته بنت ثمان
وتسعين سنة فذلك قوله تعالى (وامرأتى عاقر) أى عقيم لا تلد (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) معنى
أنه تعالى قادر على هبة الولد على الكبر يفعل ما يشاء لا يعجزه شيء . قوله عز وجل (قال) يعنى
زكريا (رب اجعل لى آية) أى علامة أعلم بها وقت حمل امرأتى فأزيدنى العبادة والشكر لك (قال
آيتك) أى علامتك على الذى طلبت معرفة علمه (أن لا تكلم الناس) أى لا تقدر على تكليم الناس
(ثلاثة أيام) أى مدة ثلاثة أيام بإيائها : قال جمهور المفسرين عقد لسانه عن تكليم الناس ثلاثة أيام
مع إبقائه على قدرة التسييح والذكر ولذلك قال في آخر الآية واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى
والأبكار يعنى في أيام منعك من تكليم الناس وهذه من الآيات الباهرة والمعجزات الطاهرة لأن
قدرته على التسييح والذكر مع عجزه عن تكليم الناس بأمر الدنيا وذلك مع صحة الجسم وسلامة
الجوارح من أعظم المعجزات وإنما منع من الكلام مع الناس ليخلص في هذه الأيام لعبادة
الله تعالى وذكره ولا يشغل لسانه بشيء آخر توقرا منه على قضاء حق هذه النعمة الجسيمة
وشكرا لله على إجابته فيما طلب الآتية من أجهه وأن يكون ذلك دليلا على وجود
الحمل ليم سروره بذلك وقال قتادة إنما أمسك لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد
مشاهدة الملائكة إياه ببشارة الولد فلم يقدر على الكلام (ثلاثة أيام إلا رمزا) يعنى الإشارة
والإشارة قد تكون باليد وبالعين وبالإيماء بالرأس وكانت إشارته بالأصبع المسبحة وقيل
الرمز قد يكون باللسان من غير تبين كلام وهو الصوت الخفى شبه الهمس وقيل أراد به صوم

(٤٤) - خازن بالعوى - أول) ثلاث ليال سويا بدل عليه قوله تعالى «وسبح بالعشى والإبكار» فأمره بالذكر ونهاه
عن كلام الناس وقال أكثر المفسرين عقل لسانه عن الكلام مع الناس ثلاثة أيام وقال قتادة أمسك لسانه عن الكلام عقوبة له
لسؤاله الآية بعد مشاهدة الملائكة إياه فلم يقدر على الكلام ثلاثة أيام وقوله (لأرمزا) أى إشارة والإشارة قد تكون باللسان وبالعين
واليد وكانت إشارته بالأصبع المسبحة . قال القراء قد يكون الرمز باللسان من غير أن يبين وهو الصوت الخفى شبه الهمس

وقال عطاء لراد به صوم ثلاثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لم يشكوا ولا لامروا (وادكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار) قبل المراد بالتسبيح الصلاة والعشي ما بين زوال الشمس إلى غروب الشمس ومنه سميت صلاة الظهر والعصر صلاتي العشي والابكار ما بين صلاة الفجر إلى الضحى قوله تعالى (واذ قالت الملائكة) (يعني جبريل) (يا مريم إن الله اصطفاك) إختارك (وطهرتك) قيل من ميسم الرجال وقيل من الحيض والنفاس. قال السدي كانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب (واصطفاك على نساء العالمين) قيل على عالمي (٣٤٦) زمانها وقيل على جميع نساء العالمين في أنها ولدت بلا أب ولم يكن ذلك

لأحد من النساء وقيل بالتحريم في المسجد ولم تحرم أني أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أحمد بن رجا أخبرنا النضر عن هشام أخبرني أبي قال سمعت عبد الله بن جعفر قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول وخير نساءها مريم بنت عمران وخير نساها خديجة رضي الله عنهما ورواه وكيع وأبو معاوية عن هشام بن عروة وأشار وكيع إلى السماء والأرض أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا أحمد بن إسماعيل أخبرنا آدم أنا شعبة عن عروة بن مرة عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثلاثة أيام لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكاهوا والقول الأول أصح لموافقة أهل اللغة عليه (وادكر ربك كثيرا) وذلك لما منعه الله من الكلام في تلك المدة أمره بالذكر فقال وادكر ربك كثيرا فانك لا تمنع من ذلك ولا يحال بينك وبينه (وسبح) أي وعظم ربك ونزهه عن النقائص وقيل وصل لربك وسميت الصلاة تسبيحا لأن فيها تنزيها للرب سبحانه وتعالى (بالعشي والابكار) فأما العشي فهو ما بين زوال الشمس إلى غروبها ومنه سميت صلاتنا الظهر والعصر صلاتي العشي والابكار هو ما بين طلوع الفجر إلى الضحى. قوله عز وجل (واذ قالت الملائكة) يعني جبريل عليه السلام (يا مريم إن الله اصطفاك) أي وإختارك (وطهرتك) يعني من ميسم الرجال وقيل من الحيض والنفاس وكانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب (واصطفاك) أي وإختارك (على نساء العالمين) أي عالمي زمانها وقيل على جميع نساء العالمين. فان قلت هل فرق بين الإصطفاء الأول والثاني. قلت ذكر العلماء في معانها وجوها يتحصل منها الفرق فقيل في معنى الإصطفاء الأول أن الله تعالى إختار مريم وقبلها مندورة محررة ولم تحرم قبلها أني ولم يجعل ذلك لغيرها من النساء وأن الله بعث إليها رزقا من عنده وكتلها زكريا ومعنى الإصطفاء الثاني أن الله تعالى وهب لها عيسى من غير أب وأسمها كلام الملائكة ولم يحسل ذلك لغيرها من النساء (ق) عن علي بن أبي طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نساها مريم بنت عمران وخير نساها خديجة بنت خويلد قال أبو كريب وأشار وكيع إلى السماء والأرض قيل أراد وكيع بهذه الإشارة تفسير القمير في قوله خير نساها ومعناه أنهما خير كل النساء بين السماء والأرض قال الشيخ محيي الدين النووي والأظهر أن معناه أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها وأما التفضيل بينهما فسكوت عنه (ق) عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «كلم من الرجال كثير ولم يكلم من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» قال العلماء معناه أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق وثرید اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد وثرید مالا لحم فيه أفضل من مرقه من غير ثريد وفضل عائشة على النساء كزيادة فضل الثريد على غيره وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ احسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون» أخرجه الترمذي. قوله عز وجل (يا مريم اقنتي لربك) أي قالت الملائكة لها شفاها أي طبعي وبك

«كلم من الرجال كثير ولم يكلم من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» أخبرنا أبو بكر سعيد بن عبد الله بن أحمد الظاهري أخبرنا جندب بن عبد الرحمن بن عبد الصمد البزار أخبرنا محمد بن زكريا العذافري أخبرنا إصحاق الديري أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر بن قتادة عن أنس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «احسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وآسية امرأة فرعون» قوله تعالى (يا مريم اقنتي لربك) قالت لها الملائكة شفاها أي طبعي وبك وقال مجاهد أطيعي

القيام في الصلاة لربك والقنوت الطاعة وقيل القنوت طول القيام . قال الأوزاعي لما قالت لها الملائكة ذلك قامت في الصلاة حتى ورمت قدمها وماالت دعا وقبحا (واضحى واركمى) قيل إنما قدم السجود على الركوع لأنه كان كذلك في شريعتهم وقيل بل كان الركوع قبل السجود في الشرائع كلها وليس الواو للترتيب بل للجمع يجوز أن يقول الرجل رأيت زيدا وعمرا وإن كان قد رأى عمرا قبل زيد (مع الراكعين) ولم يقل مع الراكعات (٣٤٧) ليكون أعم وأشمل فإنه يدخل

فيه الرجال والنساء وقيل معناه مع المصلين في الجماعة قوله تعالى (ذلك من أبناء الغيب فوحيه إليك) يقول لحمد صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ذكرت من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى على نبينا وعليهم السلام من أبناء الغيب أى من أخبار الغيب فوحيه إليك رد الكناية إلى ذلك فلذلك ذكره (وما كنت يا محمد لديهم إذ يلقون أقلامهم) سهاهم في المساء للإقتراع (أيهم يكمل مريم) يحضنها ويربها (وما كنت لديهم إذ يختصمون) في كفالتها قوله تعالى (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يختصمك به ومعنى الآية إذ قالت الملائكة لمريم يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه وهو ولد يولد لك من غير بعل ولا فعل وذلك الولد (اسم المسيح عيسى ابن مريم) وقال قتادة في قوله تعالى بكلمة منه هو قوله تعالى كن فساء الله كلمة لأنه كان عن الكلمة التي هي كن كما يقال لما قدر الله من شيء هنا قدر الله وقضاء الله يعنى أن هذا الأمر عن قدره وقضائه حدث وقال ابن عباس الكلمة هي عيسى عليه السلام وإنما سمي كلمة لأنه وجد عن الكلمة التي هي كن . فان قلت أن كل مخلوق إنما يوجد بواسطة الكلمة التي هي كن فلم يخص عيسى عليه السلام بهذا الاسم

وقيل معناه أطبني القيام في الصلاة لربك قال الأوزاعي لما قالت الملائكة لها ذلك قامت حتى ورمت قدمها وماالت دعا وقبحا وحكى عن مجاهد نحوه (واضحى واركمى مع الراكعين) إنما قدم السجود على الركوع لأن الواو لا تقتضى الترتيب إنما هي للجمع كأنه قيل لما فعل الركوع والسجود وقيل إنما قدم السجود على الركوع لأنه كان كذلك في شريعتهم . وقال ابن الأنبارى أمرها أمرا عاما وحضها على فعل الخير فكأنه قال استعملى السجود في حال والركوع في حال ولم يرد تقديم السجود على الركوع بل أراد العموم بالأمر على اختلاف الحالين وإنما قال اركعى مع الراكعين ولم يقل مع الراكعات لأن لفظ الراكعين أعم فيدخل فيه الرجال والنساء والصلاة مع الرجال أفضل وأتم وقيل معناه افعلى كفعل الراكعين وقيل المراد به الصلاة في جماعة أى صلى مع المصلين في جماعة قوله عز وجل (ذلك من أبناء الغيب) يقول الله عز وجل لحمد صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ذكرت لك من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من أخبار الغيب (نوحيه إليك) أى لقلبه إليك يا محمد لأنه لا يمكنك أن تعلم أخبار الأمم الماضين إلا بوحي منا إليك وإنما قال نوحيه لأنه رد الضمير إلى ذلك فلذلك ذكر اللفظ (وما كنت) يعنى يا محمد (لديهم) هنالك عندهم (إذ يلقون أقلامهم) يعنى التي كانوا يكتبون بها في الماء لأجل الإقتراع (أيهم يكمل مريم) يعنى ربيها ويقوم بمصالحها قيل سبب منازعتهم في كفالة مريم حتى اقترعوا على ذلك أنها كانت بنت عمران وكان رئيسهم وكبيرهم فلأجل ذلك رغبوا في كفالتها وقيل لأن مريم حررت لعبادة الله وخدمة المسجد وكان أبوها قد مات فلأجل ذلك رغبوا في كفالتها (وما كنت لديهم إذ يختصمون) يعنى في كفالتها وتربيتها قوله عز وجل (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه) معناه وما كنت لديهم يا محمد إذ يختصمون وما كنت لديهم إذ قالت الملائكة يعنى جبريل عليه السلام يا مريم إن الله يبشرك والبشارة إخبار المرء بما يسره من خير بكلمة منه يعنى برسالة من الله وخبر من عنده فهو كقول القائل أتى إلى فلان كلمة سرفى بها وأخبرنى خيرا فرحت به ومعنى الآية إذ قالت الملائكة لمريم يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه وهو ولد يولد لك من غير بعل ولا فعل وذلك الولد (اسم المسيح عيسى ابن مريم) وقال قتادة في قوله تعالى بكلمة منه هو قوله تعالى كن فساء الله كلمة لأنه كان عن الكلمة التي هي كن كما يقال لما قدر الله من شيء هنا قدر الله وقضاء الله يعنى أن هذا الأمر عن قدره وقضائه حدث وقال ابن عباس الكلمة هي عيسى عليه السلام وإنما سمي كلمة لأنه وجد عن الكلمة التي هي كن . فان قلت أن كل مخلوق إنما يوجد بواسطة الكلمة التي هي كن فلم يخص عيسى عليه السلام بهذا الاسم

من الأقدار وطهر من الذنوب وقيل لأنه مسح بالبركة وقيل لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن وقيل مسحه جبريل بجناحه حتى لم يكن للشيطان عليه سبيل وقيل لأنه كان مسيح القدم لا أخص له وسمى الدجال مسيحا لأنه كان ممسوح إحدى العينين وقال بعضهم هو فعيل بمعنى الفاعل مثل علم وعلم . قال ابن عباس رضى الله عنهما سمي عيسى عليه السلام مسيحا لأنه مامسح ذا عاهة إلا برأ وقيل سمي بذلك لأنه كان يسبح في الأرض ولا يقم في مكان وعلى هذا القول تكون الميم فيه زائدة وقال إبراهيم النخعي المسيح الصديق ويكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمي الدجال والخرف من الأضداد

وسماه كلمة دون غيره . قلت أن كل مخلوق وإن وجد حدوثه وخلقه بواسطة الكلمة إلا أن هذا السبب ما هو المتعارف وما كان حدوث عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير واسطة أخرى فلا جرم كأن إضافة حدوثه إلى الكلمة أمم وأكمل وبهذا التأويل حسن أن يسمى عيسى عليه السلام نفس الكلمة لأنه حدث عنها فان قلت الضمير في قوله اسم عائد إلى الكلمة وهي مؤنثة فلم ذكر الضمير . قلت لأن المسمى بها مذكر فلهذا ذكر الضمير : فان قلت لم قال اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة الإسم منها واحد وهو عيسى وأما المسيح فلقب وابن مريم صفة . قلت الضمير في قوله اسمه يرجع إلى عيسى ولا يسمى علامة يعرف بها ويتميز عن غيره فكأنه قال الذي يعرف به ويتميز عن سواه هو مجموع هذه الثلاثة واختلفوا لم سمي عيسى عليه السلام مسيحا وهل هو اسم مشتق أو موضوع فقيل إنه موضوع واسمه بالعبرانية مشيخا فغيرته العرب وأصل عيسى أي شوع كما قالوا موسى وأصله موسى أو ميشي وقال الأكراد أنه اسم مشتق ثم ذكروا فيه وجوها قال ابن عباس سمي عيسى مسيحا لأنه ما مسح ذا عاهة إلا برأها وقيل لأنه مسح بالبركة وقيل لأنه مسح من الأقدار وطهر من الذنوب وقيل إنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن وقيل لأن جبريل عليه السلام مسح يحنأه حتى لا يكون للشيطان عليه سبيل وقيل لأنه كان يسبح في الأرض ولا يقبض بمكان فكأنه مسح الأرض أي يقطعها مساحة فعلى هذا القول تكون الميم زائدة وقيل سمي مسيحا لأنه كان مسح القدمين لأخص له ومعنى الدجال مسيحا لأنه ممسوح إحدى العينين وقيل المسيح هو الصديق وبه سمي عيسى عليه السلام وقد يكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمي الدجال فعلى هذا نكون هذه الكلمة من الأضداد . وقوله تعالى (وجيها) أي شريفا رفيعا ذا جاه وقدر (في الدنيا والآخرة) أما وجاهته في الدنيا فبسبب النبوة وأنه كان يرى الأكمة والأبرص ويحي الموتى وأما وجاهته في الآخرة فبسبب علو مرتبته عند الله وهو قوله تعالى (ومن المقربين) يعني عند الله يوم القيامة لأن لأهل الجنة منازل ودرجات ومنازل الأنبياء ودرجاتهم أعلى من سواهم وقيل فيه تقيده على علو منزلته وأنه رفعه إلى السماء (ويكلم الناس في المهدي) يعني ويكلم الناس صغيرا وهو في المهدي قبل أو ان الكلام ووقته والكلام الذي تكلم به هو ما ذكره الله عنه في سورة مريم وهو قوله إني عبد الله آتاني الكتاب الآية وتكلم ببراءة أمه مما رماها به أهل القرية من القذف ويحكى أن مريم قالت كنت إذا خلوت أنا وعيسى حدثني وحديثه فإذا شغلني عنه إنسان سبح وهو في بطني وأنا أسمع وأما تكلم ببراءة أمه مكنت بعد ذلك فلم يتكلم إلا في الوقت الذي يتكلم فيه الصغير قال ابن عباس تكلم عيسى ساعة ثم مكنت ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق (وكهلا) يعني ويكلم الناس في حال الكهولة والكهول في اللغة هو الذي اجتمعت قوته وكمل شبابه والكهول عند العرب الذي جاوز الثلاثين وقيل هو الذي ونخطه الشيب ، وهو السن الذي يستحكم فيه العقل وتنبأ فيه الأنبياء قال ابن قتيبة لما كان لعيسى ثلاثون سنة أرسله الله تعالى فكثرت في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى وقال وهب بن منبه جاءه الوحي على رأس ثلاثين سنة فكثرت في نبوته ثلاث سنين ثم رفعه الله فمعنى الآية أنه يكلم الناس وهو في المهدي ببراءة أمه وهي معجزة عظيمة ويكلم الناس في حال الكهولة بالدعوة والرسالة وقيل فيه بشارة لمريم أخبرها بأنه يبقى حتى يكمل وقيل فيه أخبار بأنه يتغير من حال إلى حال ولو كان إلها كما زعمت النصارى لم يدخل عليه التغيير

(وجيها) أي شريفا رفيعا
ذا جاه وقدر (في الدنيا
والآخرة ومن المقربين)
عند الله (ويكلم الناس
في المهدي) صغيرا قبل
أو ان الكلام كما ذكره
في سورة مريم قال إني
عبد الله آتاني الكتاب
الآية حكى عن مجاهد
قال : قالت مريم كنت
إذا خلوت أنا وعيسى
عليه السلام حدثني
وحديثه فإذا شغلني عنه
إنسان سبح في بطني
وأنا أسمع قوله (وكهلا)
قال مقاتل يعني إذا
اجتمعت قوته قبل أن
يرفع إلى السماء وقال
الحسين بن الفضل
وكهلا بعد نزوله من
السماء وقيل أخبرها أنه
يبقى حتى يكمل وكلامه
بعد الكهولة أخبار عن
الأشياء المعجزة وقيل
وكهلا نبيا بشرها بنبوة
عيسى عليه السلام
وكلامه في المهدي معجزة
وفي الكهولة دعوة وقال
مجاهد وكهلا أي حلما
والعرب تمدح الكهولة
لأنها لمخالفة الوسطى في
احتناك السن واستحكام
العقل وجودة الرأي

والتجربة (ومن الصالحين) أي هو من العباد الصالحين (فالترب) ياسيدى تقول له جبريل وقيل تقول لله عز وجل (أني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر) ولم يصبني رجل قالت ذلك تعجبا إذ لم تكن جرت العادة بأن يولد ولد لأب له (قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا) أراد كون الشيء (فإنما يقول له كمن فيكون) (٣٤٩) كما يريد قوله تعالى (ويعلمه

الكتاب) قرأ أهل المدينة وعاصم ويعتوب بالياء لقوله تعالى كذلك الله يخلق ما يشاء وقيل رده على قوله إن الله يبشرك ويعلمه وقرأ الآخرون بالنون على التعظيم كقوله تعالى ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك قوله الكتاب أي الكتابة والخط (والحكمة) العلم والفقه (والتوراة والإنجيل) علمه الله التوراة والإنجيل (ورسولا أي وجعله رسولا) (إلى بني إسرائيل) قيل كان رسولا في حال الصبا وقيل إنما كان رسولا بعد البلوغ وكان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف وآخرهم عيسى عليهما السلام فلما بعث قال (إني) قال النكسائي إنما فتح لأنه أوقع الرسالة عليه وقيل معناه بأن (قد جئتكم بآية) علامة (من ربكم) تصدق قولي وإنما قال بآية وقد أتى بآيات لأن الكل دل على شيء واحد وهو صدقه في الرسالة فلما قال ذلك

ففيه رد على النصارى الذين يدعون فيه الألوهية وقال الحسن بن الفضل وكهلا يعني ويكلم الناس كهلا بعد نزوله من السماء وفي هذه نص على أنه سينزل من السماء إلى الأرض ويقتل الدجال وقال مجاهد الكهل الحكيم والعرب تمدح الكهولة لأنها الحالة الوسطى في احتناك السن واستحكام العقل وجودة الرأي والتجربة (ومن الصالحين) يعني أنه من العباد الصالحين مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وغيرهم من الأنبياء وإنما خصم أوصاف عيسى عليه السلام بكونه من الصالحين بعد ما وصفه بالأوصاف العظيمة لأن الصلاح من أعظم المراتب وأشرف المقامات لأنه لا يسمى المرء صالحا حتى يكون مواظبا على التمسك بالصلح والطريق الأكمل في جميع أقواله وأفعاله فلما وصفه الله تعالى بكونه وجهيا في الدنيا والآخرة ومن المقربين وأنه يكلم الناس في المهدي وكهلا أردفه بقوله ومن الصالحين ليكمل له أعلى الدرجات وأشرف المقامات. قوله عز وجل (قالت) يعني مريم (رب) يعني ياسيدى تقول له جبريل لما بشرها بالولد وقيل تقول لله عز وجل (أني يكون لي ولد) أي من أين يكون لي ولد (ولم يمسسني بشر) أولم يصبني رجل وإنما قالت ذلك تعجبا لاشكا في قدرة الله تعالى إذ لم تكن العادة جرت أن يولد ولد من غير أب (قال كذلك الله يخلق ما يشاء) يعني هكذا يخلق الله منك ولدا من غير أن يمسك بشر فيجعله آية للناس وعبرة فانه يخلق ما يشاء ويصنع ما يريد وهو قوله (إذا قضى أمرا فإنما يقول له كمن فيكون) يعني كما يريد (ويعلمه الكتاب) يعني الكتابة والخط باليد (والحكمة) يعني العلم والسنة وأحكام الشرائع (والتوراة) يعني التي أنزلت على موسى (والإنجيل) يعني الذي أنزل عليه وهذا أخبار من الله تعالى لمريم ما هو قاعل بالولد الذي بشرها به من الكرامة وعلو المنزلة (ورسولا إلى بني إسرائيل) أي وجعله رسولا إلى بني إسرائيل وكان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى بن مريم عليه السلام فلما بعث إليهم قال (إني قد جئتكم بآية من ربكم) يعني بعلامة من ربكم على صدق قولي وإنما قال بآية وقد جاء بآيات كثيرة لأن الكل دل على شيء واحد وهو صدقه في الرسالة فلما قال ذلك عيسى لبني إسرائيل قالوا ما هذه الآية قال (إني أخلق) أي أصور وأقدر (لكم من الطين كهيئة الطير) والهيئة الصورة المهيأة من قولهم هيات الشيء إذا قدرته وأصلحته (فأنفخ فيه) أي في الطين المهيأة المصور (فيكون طيرا) قرىء بلفظ الجمع لأن الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنتين والجمع وقرىء فيكون طائرا على التوحيد على معنى يكون ما أنفخ فيه طائرا أو ما أخلقه يكون طائرا وقيل أنه لم يخلق غير الخفاش وهو الذي يطير في الليل وإنما خص الخفاش لأنه من أكمل الطير خلقا وذلك لأنه يطير بلا ريش وله أسنان ويقال إن الأنثى منه لها ثدي وتبيض ذكروا أن عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة وأظهر لهم المعجزات أخذوا يمتعون عليه فطلبوا منه أن يخلق لهم خفاشا فأخذ طينا وصوره كهيئة الخفاش ثم نفخ فيه فآدا هو طير يطير بين السماء والأرض قال وهب كان يطير مادام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عنهم سقط ميتا ليميز فعل الخلق من فعل الخالق وهو الله تعالى ويعلم أن الكمال لله تعالى (باذن الله) معناه بتكوين الله وتحليته والمعنى إني أعمل

عيسى عليه السلام لبني إسرائيل قالوا ما هي قال (إني) قرأنا في كسر الألف على الاستئناف وقرأ الباقون بالفتح على معنى إني (أخلق) أي أصور وأقدر (لكم من الطين كهيئة الطير) قرأ أبو جعفر كهيئة الطائر هاهنا وفي المائة والهيئة الصورة المهيأة من قولهم هيات الشيء إذا قدرته وأصلحته (فأنفخ فيه) أي في الطير (فيكون طيرا باذن الله) قراءة الأكثرين بالجمع لأنه يخلق طيرا كثيرا وقرأ

أهل المدينة ويعقوب فيكون طائرا على الواحد ههنا وفي سورة المائدة ذهبوا إلى نوع واحد من الطير لانه لم يخلق غير الخفاش وإنما خص الخفاش لانه أكمل الطير خلقا لأن له ثديا وأستانا وهي تحيض . قال وهب كان يطير مادام الناس ينظرون إليه فاذا غاب عن أعينهم سقط ميتا لانه يزر فعل الخلق من فعل الخالق وليعلم أن الكمال لله عز وجل قوله تعالى (وأرى الأكمة والأرصى) أى أشقى ما وصحبه أو اختلقت في الأكمة قال ابن عباس رضى الله عنهما وقناة هو الذى ولد الأعمى وقال الحسن والسدى هو الأعمى وقال عكرمة هو الأعمش وقال مجاهد هو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والأرصى هو الذى به وضوح وإنما خص هذين لأنهما ذاءان عيماان وكان الغالب (٣٥٠) في زمن عيسى عليه السلام الطب فأراهم الله المعجزة من جنس ذلك قال وهب ربما

اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفا من أطاق منهم أن يبلغه بلغة ومن لم يطق مشى إليه عيسى عليه السلام وكان يداويهم بالدعاء على شرط الإيمان قوله تعالى (وأحي الموتى باذن الله) قال ابن عباس رضى الله عنه . اقدأحيا أربعة أنفس عازروا بن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح فأما عازر فكان صديقا له فأرسلت أخته إلى عيسى عليه السلام أن أخاك عازر يموت وكان بيته وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه وقد مات منذ ثلاثة أيام فقال لأخته انطلقى بنا إلى قبره فانطلقت معهم إلى قبره فدعا الله تعالى فقام عازرو وذكه بقطر

هذا التصور أنا فأما خلق الحياة فيه فهو من الله تعالى على سبيل إظهار المعجزة على يد عيسى عليه السلام (وأرى الأكمة والأرصى) أى وأشقى الأكمة والأرصى وأصحهما واختلنوا في الأكمة فقال ابن عباس هو الذى ولد الأعمى وقيل هو الأعمى وإن كان أبصر وقيل هو الأعمى وهو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والأرصى هو الذى به وضوح وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام الطب فأراهم المعجزة من جنس ذلك إلا أنه ليس في علم الطب إبراء الأكمة والأرصى فكان ذلك معجزة له ودليلا على صدقه وقال وهب ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى في اليوم الواحد نحو خمسين ألفا فن أطلق أن يمضى إليه مشى ومن لم يطق مشى عيسى عليه السلام إليه وكان يداويهم بالدعاء على شرط الإيمان برسالته (وأحي الموتى باذن الله) قال ابن عباس قد أحيأ أربعة أنفس عازروا بن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح وكلهم نبي وولده إلا سام بن نوح فأما عازر فكان صديقا لعيسى عليه السلام فأرسلت إليه أخته عازر أن أخاك عازر يموت وكان بيننا مسيرة ثلاثة أيام فأتاه عيسى وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقال لأخته انطلقى بنا إلى قبره فانطلقت بهم إلى قبره فدعا الله عيسى فقام عازر حيا باذن الله تعالى فخرج من قبره وعاش وولد له وأما ابن العجوز فإنه مر به وهو ميت على عيسى عليه السلام يحمل على السرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن أعناق الرجال وليس ثيابه وأتى أهله وعاش وولد له وأما ابنة العاشر فكان أبوها يأخذ العشور من الناس وماتت بالأمس فدعا الله عيسى فأحيأها بدعوته فعاشت وولدها وأما سام بن نوح فإن عيسى جاء إلى قبره ودعا الله باسمه الأعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيرون في ذلك الزمان فقال قد قامت الساعة فقال عيسى عليه السلام لا ولكن دعوتك باسم الله الأعظم ثم قال له مت فقال بشرط أن يعذبني الله من سكرات الموت مرة أخرى فدعا الله عيسى ففعل (وأنبشكم) يعنى وأخبركم (بما تأكلون) أى مما لم أعانيه (وما تدخرون في بيوتكم) أى وما ترفعونه فتخبئونه في بيوتكم لنا نأكلوه فيما بعد ذلك قبل كان عيسى عليه السلام يخبر الرجل بما أكل البارحة وما يأكله اليوم وما يدخره للعشاء وقيل كان في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع آبؤهم ويقولون للبلاد انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا فخرج من قبره وولد له وأما ابن العجوز فإنه مر به ميتا على عيسى عليه السلام وقد

على سرير يحمل فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن أعناق الرجال وليس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله فبقى وولد له وأما ابنة العاشر فكان والدتها رجلا يأخذ العشور ماتت له بنت بالأمس فدعا الله عز وجل فأحيأها وبقيت وولدت وأما سام بن نوح عليه السلام فإن عيسى عليه السلام جاء إلى قبره فدعا باسم الله الأعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيرون في ذلك الزمان فقال قد قامت القيامة قال لا ولكن دعوتك باسم الله الأعظم ثم قال له مت فقال بشرط أن يعذبني الله من سكرات الموت فدعا الله ففعل قوله تعالى (وأنبشكم) أى أخبركم (بما تأكلون) مما لم أعانيه (وما تدخرون) ترفعونه (في بيوتكم) حتى تأكلوه وقيل كان يخبر الرجل بما أكل البارحة وبما يأكل اليوم وما يدخره

للعشاء . وقال السدي كان عيسى عليه السلام في الكتاب يحدث القلمان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد اكل اهلك
كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا فينتطلق الصبي الي اهلك ويبيكي عليهم حتى يعطوه (٣٥١) ذلك الشيء فيقولون من

أخبرك بهذا فيقول عيسى
عليه السلام فحبسوا
صبيانهم عنه وقالوا
لا تلعبوا مع هذا الساحر
فجمعوهم في بيت
فجاء عيسى عليه السلام
يطلبهم فقالوا ليسوا هاهنا
فقال فاق في هذا البيت
قالوا خنازير قال عيسى
كذلك يكونون ففتحوا
عليهم فاذا هم خنازير
ففسا ذلك في بني اسرائيل
فهت به بنو اسرائيل
فلما خافت عليه أمه
حملته على حمار لها
وخرجت هاربة إلى
مصر وقال قتادة إنما
كان هذا في المائدة
وكانت خونا ينزل عليهم
أيضا كانوا كلن والسوي
وأمروا أن لا يخونوا
ولا يخبئوا للغد فخاؤوا
وخبئوا للغد فجعل
عيسى يخبرهم بما أكلوا
من المائدة وما ادخروا
منها فسخهم الله خنازير
قوله تعالى (إن في ذلك)
الذي ذكرت (آية لكم
إن كنتم مؤمنين ومصداقا)
عطف على قوله ورسولا
(لما بين يدي من التوراة
ولأحل لكم بعض الذم
حرم عليكم) من اللحوم

وقد رفعوا لك كذا فينتطلق الصبي فيبيكي على أهله حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون من أخبرك
بهذا فيقول عيسى فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لا تلعبوا مع ذلك الساحر وجمعوهم في بيت فجاء
عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا هنا فقال وما في البيت قالوا خنازير فقال كذلك يكونون ففتحوا عليهم
الباب فاذا هم خنازير ففسا ذلك في بني اسرائيل وظهر فهموا به فخافت عليه أمه فحملته على
حمار لها وخرجت هاربة إلى مصر وقال قتادة إنما كان هذا في نزول المائدة وكان خونا ينزل
عليهم أي كانوا فيه من طعام الجنة وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا الغد فخاؤوا ودخروا فكان
عيسى عليه السلام يخبرهم بما أكلوا من المائدة وما ادخروا منها فسخهم الله خنازير وفي هذا
دليل قاطع على صحة نبوة عيسى عليه السلام ومعجزة عظيمة له وهي أخباره عن المغيبات مع
ما تقدم له من الآيات الباهرات من إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله تعالى وإخباره
عن الغيوب باعلام الله إياه ذلك وهذا مما لا سبيل لأحد من البشر عليه إلا الأنبياء عليهم السلام
فإن قلت قد يخبر المنجم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق . قلت إن المنجم والكاهن لا يد لكل
واحد منهما من مقدمات يرجع إليها ويعتمد في أخباره عليها أما المنجم فإنه يستعين على ذلك
بواسطة معرفة الكواكب وامتزاجاتها أو بواسطة حساب الزملا أو نحو ذلك وقد يخطيء في كثير
مما يخبر به وأما الكاهن فإنه يستعين برائد من الجن وقد يخطيء أيضا في كثير مما يخبر به وأما
أخبار الأنبياء عليهم السلام عن المغيبات فليس إلا بالوحي الساوي وهو من الله تعالى وليس ذلك
باستعانة بواسطة حساب ولا غيره فحصل الفرق (إن في ذلك) يعني الذي تقدم ذكره من خلق
الطير من الطين بإذن الله إبراء الأكمة والأبرص والإخبار عن المغيبات (آية لكم) أي لعل
ودلالة على صدق أني رسول من الله إليكم (إن كنتم مؤمنين) يعني مصدقين بذلك (ومصدقا)
قيل أنه عطف على قوله ورسولا وقيل أنه عطف على أني قد جئتكم بآية من ربكم والمعنى وجئتكم
مصدقا (لما بين يدي من التوراة) وذلك لأن الأنبياء عليهم السلام يصدق بعضهم بعضا فكل واحد
منهم يصدق الذي قبله ويصدق بما أنزل الله من الكتب والشرايع والأحكام فلماذا قال عيسى
عليه السلام مصدقا لما بين يدي من التوراة (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) قال وهب بن
منبه أن عيسى كان على شريعة موسى عليهما السلام وكان بسبب ويستقبل بيت المقدس وقال
لبنى اسرائيل إنني لم أدعكم إلى خلاف حرف مما في التوراة إلا لأحل لكم بعض الذي حرم عليكم
وأضع عنكم الآصار وذلك إن الله تعالى كان قد حرم على اليهود بعض الأشياء عقوبة لهم على
بعض ما صدر منهم من الخيانات كما قال تعالى « فيظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت
لهم فيبقى ذلك التحريم مستمرا على اليهود إلى أن جاء عيسى عليه السلام فرقع عنهم تلك التشديدات
التي كانت عليهم وقال قتادة كان الذي جاء به عيسى النبي من الذي جاء به موسى وكان قد حرم
عليهم فيما جاء به موسى لحوم الإبل والثروب والشحوم وأشياء من الطير والخيثان زاد بعضهم
فجاءهم عيسى بالتخفيف وأحلها لهم وقال آخرون إن عيسى عليه السلام رفع كثيرا من أحكام
التوراة ورفع السبب ووضع الأحد وكان ذلك كله بأمر الله فكان ذلك ناسخا لتلك الأحكام

والشحوم . وقال أبو عبيدة أراد بالبعض الكحل يعني كل الذي حرم عليكم وقد يذكر البعض ويراد به الكحل كقول لييد :

تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها

يعني كل النفوس قوله تعالى (وجنتكم بأية من ربكم) يعني ما ذكر من الآيات وإنما وحدها لأنها كلها جسد واحد في الدلالة على رسالته (فاتقوا الله وأطيعوا) (٣٥٢) إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما أحسن عيسى) أي وجد

قال الفرعاء قال أبو عبدة عرف وقال مقاتل رأى (منهم الكفر) وأرادوا قتله استنصر عليهم (قال من أنصاري إلى الله) وقال السدي كان سبب ذلك أن عيسى عليه السلام لما بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل وأمره بالدعوة فقتله بنو إسرائيل وأخرجوه فخرج هو وأمه يسيحان في الأرض فنزل في قرية على رجل فأضافهما وأحسن إليهما وكان لتلك المدينة ملك جبار متعدد فجاء ذلك الرجل يوما معها حزينا فدخل منزله ومرم عند أمه فقالت لها مريم ما شأن زوجك أراه كثيرا قالت لا تسأليني قالت أخبريني لعل الله يفرج كربته قالت إن لنا ملكا يجعل على كل رجل منا يوما أن يطعمه وجنوده ويستقيم الخمر فان لم يفعل عاقبه اليوم نوبتنا وليس عندنا سعة لذلك فقالت عيسى إن يدعو له فيكفي ذلك ثم قالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى إن فعلت ذلك وقع شر فقالت مريم لابن أبي فانه قد أحسن إلينا وأكرمنا فقال عيسى قولي له إذا قرب ذلك الوقت فاملا قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمني ففعل الرجل ذلك ثم دعا الله عيسى عليه السلام فتحول ماء القدور مرقا ولحما وماء الخواوي خمر لم تر الناس مثله فلما جاء الملك وأكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من أين لك هذا الخمر فقال الرجل هو من أرض كذا فقال الملك إن خمرى من تلك الأرض وليست مثل هذه فقال هي من أرض أخرى فلما رآه الملك اختلط شدد عليه فقال الرجل إنا أخبرك أن عندي غلاما لا يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه وأنه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرًا وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه في ملكه وقد مات قبل ذلك بأيام وكان يحبه حبا شديدا فقال الملك إن رجلا دعا الله تعالى حتى صار الماء خمرًا بدعوته ليستجيب له في إحياء ابني فطلب عيسى وكلامه في ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه إن عاش وقع شر فقال الملك لا أبالي اليس أراه فقال عيسى إن أنا أحييته تركني أنا وأمي نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكة الرجل فقد عاش فبادروا إلى السلاح وقالوا قد أكلنا هذا الملك حتى إذا دنا أجله يريد أن يستخلف علينا ابنة لياكلنا كما أكلنا أبوه فقتلوه وظهر أروع عيسى فقتلوه وكفروا به وقيل أن اليهود كانوا عارفين بأنه المسيح المبشر به في التوراة وأنه يسوع دينهم فلما أظهر عيسى الدعوة أشد ذلك عليهم فأخذوا في أذاه وطلبوا قتله وكفروا به فاستنصر عليهم كما أخبر الله عز وجل عنه بقوله (قال) يعني عيسى عليه السلام (من أنصاري إلى الله) أي مع الله وقيل معناه إلى

والشرائع والناسخ والمنسوخ حق وصدق (وجنتكم بأية من ربكم) أي بحجة واضحة شاهدة على صحة رسالتي ثم خوفهم بقوله (فاتقوا الله) يعني بامعشر بني إسرائيل فيها أمركم به ونهاكم عنه (وأطيعوا) يعني فيها أدعواكم إليه لأن طاعة الرسول من توابع تقوى الله وما أدعواكم إليه هو قولي (إن الله ربي وربكم فاعبدوه) لأن جميع الرسل كانوا على دين واحد وهو التوحيد ولم يختلفوا في الله تعالى وفي هذه الآية حجة بالغة على نصارى وفد تجران ومن قال يقولهم من سائر النصاري بأخبار الله عن عيسى عليه السلام أنه كان يرثا مما نسيه إليه النصاري وأنه كان عبد الله وخصه بنبوته ورسالته ثم ختم ذلك بقوله (هذا صراط مستقيم) يعني التوحيد. قوله عز وجل (فلما أحسن عيسى منهم الكفر) أي وجد وعرف وقيل رأى والإحساس عبارة عن وجدان الشيء بالحاسة والمعنى أنهم تسكروا بكلمة الكفر فأحسن ذلك عيسى منهم وعرف إصرارهم عليه وعزمهم على قتله (ذكر سبب القصة) قال أهل الأخبار والسير لما بعث الله عيسى إلى بني إسرائيل وأمره بإظهار رسالته والدعاء إليه ففروا وأخرجوه من بينهم فخرج هو وأمه يسيحان في الأرض فنزل في قرية على رجل فأضافهما وأحسن إليهما وكان لتلك القرية ملك جبار متعدد فجاء ذلك الرجل في بعض الأيام وهو مهوم حزينا فدخل منزله ومرم عند أمه فقالت مريم ما شأن زوجك أراه كثيرا حزينا فقالت لا تسأليني فقالت مريم أخبريني لعل الله أن يفرج كربته قالت المرأة إن لنا ملكا جبارا وقد جعل على كل رجل منا يوما يطعمه فيه هو وجنوده ويستقيم الخمر وإن لم يفعل ذلك عاقبه اليوم نوبتنا وليس عندنا سعة لذلك فقالت لها قولي له لا يهتم لتلك فانا أمر ابني أن يدعو له فيكفي ذلك ثم قالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى إن فعلت ذلك وقع شر فقالت مريم لابن أبي فانه قد أحسن إلينا وأكرمنا فقال عيسى قولي له إذا قرب ذلك الوقت فاملا قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمني ففعل الرجل ذلك ثم دعا الله عيسى عليه السلام فتحول ماء القدور مرقا ولحما وماء الخواوي خمر لم تر الناس مثله فلما جاء الملك وأكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من أين لك هذا الخمر فقال الرجل هو من أرض كذا فقال الملك إن خمرى من تلك الأرض وليست مثل هذه فقال هي من أرض أخرى فلما رآه الملك اختلط شدد عليه فقال الرجل إنا أخبرك أن عندي غلاما لا يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه وأنه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرًا وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه في ملكه وقد مات قبل ذلك بأيام وكان يحبه حبا شديدا فقال الملك إن رجلا دعا الله تعالى حتى صار الماء خمرًا بدعوته ليستجيب له في إحياء ابني فطلب عيسى وكلامه في ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه إن عاش وقع شر فقال الملك لا أبالي اليس أراه فقال عيسى إن أنا أحييته تركني أنا وأمي نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكة الرجل فقد عاش فبادروا إلى السلاح وقالوا قد أكلنا هذا الملك حتى إذا دنا أجله يريد أن يستخلف علينا ابنة لياكلنا كما أكلنا أبوه فقتلوه وظهر أروع عيسى فقتلوه وكفروا به وقيل أن اليهود كانوا عارفين بأنه المسيح المبشر به في التوراة وأنه يسوع دينهم فلما أظهر عيسى الدعوة أشد ذلك عليهم فأخذوا في أذاه وطلبوا قتله وكفروا به فاستنصر عليهم كما أخبر الله عز وجل عنه بقوله (قال) يعني عيسى عليه السلام (من أنصاري إلى الله) أي مع الله وقيل معناه إلى

قالت فلما أبالي فانه قد أحسن إلينا وأكرمنا فقال عيسى عليه السلام فقولني له إذا اقترب ذلك فاملا قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمني ففعل ذلك فدعا الله تعالى عيسى عليه السلام فتحول ماء القدور مرقا ولحما وماء الخواوي

خمر لم ير الناس مثله قط فلما جاء الملك أكل قلعها شرب الخمر قال من أين هذا الخمر قال من أرض كذا قال الملك فان
 خمرى من تلك الأرض وليست مثل هذه قال هي من أرض أخرى فلما خلط على الملك شدد عليه قال فأننا أخبرك عندي
 غلام لا يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه وأنه دعا الله فجعل الماء خبزا ومرقا ولحما وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فثابت
 قبل ذلك بأيام وكان أحب الخلق إليه فقال إن رجلا دعا الله حتى جعل الماء خبزا لينجاء به إلى حتى يحيى ابني ، فدعا عيسى
 فكلمه في ذلك فقال عيسى لا تفعل فإنه إن عاش وقم شر قال الملك لا أبالي أليس أراه حيا فقال عيسى إن أحببته تركوني وأبى
 نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا إلى السلاح وقالوا أكلنا هذا حتى
 إذا دنا موته يريد أن يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكل أبوه فاقتلوا فذهب عيسى وأمه فر بالحواريين وهم يصطادون
 السمك فقال ماتصنعون فقالوا نصطاد السمك قال أفلا تمشون حتى نصطاد الناس قالوا من أنت قال عيسى ابن مريم عبد الله
 ورسوله من أنصاري إلى الله قامنوا به وانطلقوا معه قوله تعالى «من أنصاري إلى الله» قال السدي وابن جرير مع الله تعالى تقول
 العرب الذود إلى الذود بل أي مع الذود كما قال الله تعالى ولاتأكلوا أموالكم إلى أموالكم أي مع أموالكم وقال الحسن
 وأبو عبيدة إلى بمعنى في أي من أعوان في الله أي في ذات الله وسبيله. وقيل إلى في موضعها معناها من يضم نصرته إلى نصرته الله لي
 واختلوا في الحواريين . قال مجاهد والسدي كانوا صيادين يصطادون السمك سموا حواريين لبياض ثيابهم وقيل كانوا ملاحين
 وقال الحسن كانوا قصارين سموا بذلك لأنهم كانوا يحورون الثياب أي يبيضونها وقال عطاء سلمت مريم عيسى عليه السلام
 إلى أعمال شتى فكان آخر ما دفعته إلى الحواريين وكانوا قصارين وصباغين (٣٥٣) فدفعته إلى رئيسهم ليتعلم منه

فاجتمع عنده ثياب
 وعرض له سفر فقال
 لعيسى إنك قد تعلمت
 هذه الحرفة وأنا خارج
 في سفر ولا أرجع إلى عشرة
 أيام ، وهذه ثياب
 مختلفة الألوان وقد علمت
 كل واحد منها يحيط على

أن أبين أمر الله وأظهر دينه وقيل إلى بمعنى في أي في ذات الله وسبيله وقيل إلى في موضعها والمعنى
 من يضم نصرته إلى نصرته الله (قال الحواريون نحن أنصار الله) وذلك أن عيسى عليه السلام لما
 دعا بني إسرائيل إلى الله تعالى وتمردوا عليه وكفروا به فخرج يسوع في الأرض فرجعه اعة بصطادون
 السمك وكانوا اثني عشر ورئيسهم شمعون ويعقوب فقال عيسى عليه السلام ماتصنعون قالوا
 نصيد السمك قال أفلا تمشون حتى نصيد الناس قالوا ومن أنت قال أنا عيسى بن مريم عبد
 الله ورسوله فسألوه آية تدلهم على صدقه وكان شمعون قد رمى بشبكته في الماء فدعا الله عيسى
 فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تمتزق من كثرتة فاستعانوا بأهل سفينة أخرى

(٤٥ - خازن بالبغوي - أول) اللون الذي يصبغ به فأحب أن تكون فارغا منها وقت قدومي وخرج فطبخ
 عيسى حبا واحدا على لون واحد وأدخل ج. يع الثياب وقال فما كوني بأذن الله على ما أريد منك فقدم الحواري والثياب كلها
 في الحب فقال ما فعلت فقال فرغت قال أين هي قال في الحب قال كلها قال نعم قال لقد أفسدت تلك الثياب قال قم فانظر
 فأخرج عيسى ثوبا أحمر وثوبا أصفر وثوبا أخضر إلى أن أخرجها على الألوان التي أرادها فجعل الحواري يتعجب ويعلم أن
 ذلك من الله فقال للناس تعالوا فانظروا قامن به هو وأصحابه فهم الحواريون وقال الضحاك سموا حواريين لصفاء قلوبهم
 وقال ابن المبارك سموا به لما عليهم من أثر العبادة ونورها وأصل الحور عند العرب شدة البياض يقال رجل أحور وامرأة
 حوراء أي شديدة بياض العين وقال السكابي وعكرمة الحواريون هم الأصفياء وهم كانوا أصفياء عيسى عليه السلام وكانوا
 اثني عشر رجلا . قال روح بن أبي القاسم سألت قتادة عن الحواريين ؟ قال هم الذين تصلح لهم الخلافة وعنه أيضا أنه قال
 الحواريون هم الوزراء وقال الحسن الحواريون الأنصار والحواري الناصر والحواري في كلام العرب، خاصة الرجل الذي
 يستعين به فيما ينويه أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف - أخبرنا
 محمد بن إسماعيل أخبرنا الحميدي أخبرنا سفيان أخبرنا محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنه ما يقول
 ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم
 إن لكل نبي حواريًا وحواري الزبير . قال سفيان الحواري الناصر قال معمر قال قتادة إن الحواريين كلهم من قریش
 أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وحمزة وجعفر وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي
 وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهم أجمعين (قال الحواريون نحن أنصار الله) أعوان دين الله ورسوله

وملأوا السفينتين من السمك فعند ذلك آمنوا به وانطلقوا معه واختلف في الخواريين فقيل كانوا يصطادون السمك فلما آمنوا بعيسى صاروا يصطادون الناس ويهدونهم إلى الدين ، سموا خواريين لبياض ثيابهم يقال حورت الشيء بمعنى بيضته وقيل كانوا قضاة سموا بذلك لأنهم كانوا يحورون الثياب أي يبيضونها وقيل إن مريم سلمت عيسى إلى أعمال شتى فكان آخر من سلمته إليه الخواريين وكانوا قضاة وصباغين فدفعته إلى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى إنك قد تعلمت هذه الصنعة وأنا خارج إلى السفر ولأرجع لي عشرة أيام وهذه ثياب عثانة الألوان وقد علمت كل واحد منها يخط على اللون الذي يصبغ به فأريد أن تفرغ منها وقت وقدمي وخرج المعلم إلى سفره فطبخ عيسى حيا واحدا على لون واحد وأدخل فيه جميع الثياب وقال كوني بأذن الله على ما أريد منك ثم قدم الخواري والثياب كلها في الحب فقال لعيسى ما فعلت قال قد فرغت منها قال وأين هي قال في الحب قال كلها قال نعم قال لقد أقدمت على الثياب قال عيسى لا ولكن قم فانظر وقام عيسى وأخرج ثوبا أحمر وثوبا أخضر وثوبا أصفر وثوبا أسود حتى أخرجها كلها على الألوان التي يريد الخواري فجعل الخواري يتعجب من ذلك وعلم أن ذلك من الله تعالى فقال للناس تعالوا فانظروا فآمن به هو وأصحابه وهم الخواريون وقيل سموا خواريين لصفاء قلوبهم ولما ظهر عليهم من أثر العبادة ونورها وقيل الخواريون الأصفياء وكانوا أصفياء عيسى وخاصته وقيل الخواريون هم الخلفاء وقيل هم الوزراء وكانوا خلفاء عيسى ووزرائه وقيل الخواريون هم الأنصار والخواري الناصر والخواري الرجل الذي يستعان به (ق) عن جابر بن عبد الله قال نذب النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم نذبهم فانتدب الزبير ثم نذبهم فانتدب الزبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم أن لكل نبي خواريا وخواري الزبير قال الخواريون نحن أنصار الله يعني أنصار دين الله ورسوله وأعوانه (آمنوا بالله) أي صدقنا بأن الله ربنا ورب كل شيء (واشهد) يعني أنت يا عيسى (بأننا مسلمون) قيل معناه واشهد بأننا متقادون لما تريد من نصرتك والذب عنك ومستسلمون لأمر الله عز وجل وقيل هو إقرارهم بأن دينهم الإسلام وأنه دين عيسى وكل الأنبياء قبله لا اليهودية والنصرانية (ربنا آمننا بما أنزلت) يعني قال الخواريون بعد إظهار عيسى عليهم بأنهم مسلمون ربنا آمننا بما أنزلت يعني بكتابتك الذي أنزلته على عيسى عليه السلام (واتبعنا الرسول) يعني عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين) يعني الذين شهدوا لأبياتك بالصدق واتبعوا أمرك ونهيتك فأثبت أسماءنا مع أسمائهم واجعلنا في عدادهم ومعهم فيما تكلمهم به وهذا يقتضي أن يكون للشاهدين الذين سألو الخواريون أن يكونوا معهم مزيد فضل عليهم فلهذا قال ابن عباس في قوله فاكتبنا مع الشاهدين أي مع محمد صلى الله عليه وسلم وأمه لأنهم اخصوصون بتلك الفضيلة فانهم يشهدون للرسول بالبلاغ وقيل مع الشاهدين يعني النبيين لأن كل نبي شاهد على أمته قوله عز وجل (ومكروا) يعني كفار بني إسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر وأصل المكروا صرف الغير عما يقصده بضرب من الحيلة وقيل هو السعي بالفساد في الحفية فأما مكروهم بعيسى فانهم دبروا في قتله وهو ابه وذلك أن عيسى عليه السلام بعد أن أخرجه قومه هو وأمرجع مع الخواريين وصاح فيهم بالدعوة وأظهر رسالته إليهم فهوا يقتله والفتك به فذلك مكروهم والمكروا من الخلق الحبث والخديعة والحيلة (ومكر الله) أي جازاهم على مكروهم فسمى الجزاء باسم الابتداء لأنه

(آمننا بالله واشهد) يا عيسى (بأننا مسلمون) ربنا آمننا بما أنزلت من كتابك (واتبعنا الرسول) عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين) الذين شهدوا لأبياتك بالصدق وقال عطاء مع النبيين لأن كل نبي شاهد أمته وقال ابن عباس رضي الله عنهما مع محمد صلى الله عليه وسلم وأمه لأنهم يشهدون للرسول بالبلاغ قوله تعالى (ومكروا) يعني كفار بني إسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر دبروا في قتل عيسى عليه السلام وذلك أن عيسى عليه السلام بعد إخراج قومه إياه وأمه عاد إليهم مع الخواريين وصاح فيهم بالدعوة فهوا يقتله وتواطوا على الفتك به فذلك مكروهم قال الله تعالى (ومكروا)

والله خير الماكرين) فالمكر من الخافقين الخبيث والخديعة والحيلة والمكر من الله استدراج العبد واخذة بغته من حيث لا يعلم كما قال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وقال الزجاج مكر الله عز وجل مجازاتهم على مكرهم فسمى الجزاء باسم الابتداء لأنه في مقابله كقوله تعالى الله يستهزئ بهم وهو يخادعهم ومكر الله (٣٥٥) تعالى خاصة بهم في هذه الآية

وفي مقابله وقيل مكر الله استدراج العبد واخذة بغته من حيث لا يحسب ومكر الله في هذه الآية خاصة هو القاء الشبه على صاحبهم الذي قتل قال ابن عباس أن عيسى عليه السلام استقبل رهطاً من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقتلوه وأمه فلما سمع عيسى ذلك فرغ لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وساروا إليه ليقتلوه فبعث الله عز وجل جبريل فأدخله خوخة في سقفها روزنة فرفعه الله من تلك الروزنة وأمر يهوداً ملك اليهود رجلاً من أصحابه يقال له ططيانوس أن يدخل الخوخة فيقتله فيها فلما دخل لم ير عيسى وأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها وأتى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا أنه عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه وقال وهب بن منبه إن اليهود طرقت عيسى في بعض الليل ونصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فأظلمت الأرض وأرسل الله عز وجل الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى عليه السلام الخواريين تلك الليلة وأوصاهم وقال ليكفرون بي أحدكم قبل أن يصبح الديك ويبيغني بدهام بسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأتى أحد الخواريين إلى اليهود وقال ما تجعلون لي إن دلتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودطم عليه فلما دخل البيت الذي فيه المسيح ألقى الله شبه عيسى عليه ورفع الله عيسى عليه السلام وأخذ الذي دل عليه فقال أنا الذي دلتكم عليه فلم يأنفتوا إلى قوله فقتلوه وصلبوه وهم يظنون أنه عيسى فلما صلب الذي ألقى الله عليه شبه عيسى جاءت مريم وامرأة أخرى كان عيسى دعا لها فأرأها الله من الجنون بدعوته فجعلتا تكيان عدا المصاب فجاها عيسى عليه السلام وقال علي من تكيان إن الله عز وجل قد رفعني ولم يصبني إلا خير وهذا شيء شبه فم فلما كان بعد سبعة أيام قال الله تعالى لعيسى أبطأ إلى مريم المجدلانية وهو اسم موضع نسبت إليه فانه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن عليك أحد حزنها ثم تجتمع لك الخواريين فيهم في الأرض دعاة إلى الله عز وجل فأهبطه الله عز وجل إليها فاشتعل الجبل نورا حين هبط فجمعت له الخواريين فيهم دعاة في الأرض ثم رفعه الله فقلت الليلة التي تدخن فيها النصارى فلما أصبح الخواريون تكلم كل واحد منهم ببلغه من أرسله عيسى إليهم فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله (والله خير الماكرين) يعني وهو أفضل المجازين بالسيرة العاقبة وقال السدي إن اليهود حبست عيسى عليه السلام في بيت ومعه عشرة من الخواريين فدخل عليهم رجل منهم وكان قد ناقى فأتى الله عليه شبه عيسى فأخذ وقتل وصلب وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله عيسى عليه السلام قال لأصحابه أيكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل منهم أنا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفع له وكساه الریش وأبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة وهو معهم حول العرش وصار إنسا ملكيا أرضيا سماويا قال أهل التاريخ حدثت مريم بعيسى ولما ثلاث عشرة سنة وولدت له بيت لحم من أرض أورى شلم لمضى خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل وأوحى الله

في مقابله وقيل مكر الله استدراج العبد واخذة بغته من حيث لا يحسب ومكر الله في هذه الآية خاصة هو القاء الشبه على صاحبهم الذي قتل قال ابن عباس أن عيسى عليه السلام استقبل رهطاً من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقتلوه وأمه فلما سمع عيسى ذلك فرغ لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وساروا إليه ليقتلوه فبعث الله عز وجل جبريل فأدخله خوخة في سقفها روزنة فرفعه الله من تلك الروزنة وأمر يهوداً ملك اليهود رجلاً من أصحابه يقال له ططيانوس أن يدخل الخوخة فيقتله فيها فلما دخل لم ير عيسى وأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها وأتى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا أنه عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه وقال وهب بن منبه إن اليهود طرقت عيسى في بعض الليل ونصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فأظلمت الأرض وأرسل الله عز وجل الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى عليه السلام الخواريين تلك الليلة وأوصاهم وقال ليكفرون بي أحدكم قبل أن يصبح الديك ويبيغني بدهام بسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأتى أحد الخواريين إلى اليهود وقال ما تجعلون لي إن دلتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودطم عليه فلما دخل البيت الذي فيه المسيح ألقى الله شبه عيسى عليه ورفع الله عيسى عليه السلام وأخذ الذي دل عليه فقال أنا الذي دلتكم عليه فلم يأنفتوا إلى قوله فقتلوه وصلبوه وهم يظنون أنه عيسى فلما صلب الذي ألقى الله عليه شبه عيسى جاءت مريم وامرأة أخرى كان عيسى دعا لها فأرأها الله من الجنون بدعوته فجعلتا تكيان عدا المصاب فجاها عيسى عليه السلام وقال علي من تكيان إن الله عز وجل قد رفعني ولم يصبني إلا خير وهذا شيء شبه فم فلما كان بعد سبعة أيام قال الله تعالى لعيسى أبطأ إلى مريم المجدلانية وهو اسم موضع نسبت إليه فانه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن عليك أحد حزنها ثم تجتمع لك الخواريين فيهم في الأرض دعاة إلى الله عز وجل فأهبطه الله عز وجل إليها فاشتعل الجبل نورا حين هبط فجمعت له الخواريين فيهم دعاة في الأرض ثم رفعه الله فقلت الليلة التي تدخن فيها النصارى فلما أصبح الخواريون تكلم كل واحد منهم ببلغه من أرسله عيسى إليهم فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله (والله خير الماكرين) يعني وهو أفضل المجازين بالسيرة العاقبة وقال السدي إن اليهود حبست عيسى عليه السلام في بيت ومعه عشرة من الخواريين فدخل عليهم رجل منهم وكان قد ناقى فأتى الله عليه شبه عيسى فأخذ وقتل وصلب وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله عيسى عليه السلام قال لأصحابه أيكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل منهم أنا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفع له وكساه الریش وأبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة وهو معهم حول العرش وصار إنسا ملكيا أرضيا سماويا قال أهل التاريخ حدثت مريم بعيسى ولما ثلاث عشرة سنة وولدت له بيت لحم من أرض أورى شلم لمضى خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل وأوحى الله

عليه شبه عيسى عليه السلام فلما خرج ظنوا أنه عيسى عليه السلام فقتلوه وصلبوه ، قال وهب طرقت عيسى في بعض الليل ونصبوا خشبة ليصلبوه فأظلمت الأرض فأرسل الله الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى الخواريين تلك الليلة وأوصاهم ثم قال ليكفرون بي أحدكم قبل أن يصبح الديك ويبيغني بدهام بسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأتى أحد الخواريين إلى اليهود فقال لهم ما تجعلون لي إن دلتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودطم عليه ولما دخل البيت ألقى الله

عليه شبه عيسى ورفع عيسى واتخذ الذي دلم عليه فقال أنا الذي دلتكم عليه فلم يلتفتوا إلى قوله وقتلوه وصلبوه وهم يظنون أنه عيسى فلما صلب شبه عيسى جاءت مريم وامرأة كان عيسى دعا لها فأبرأها الله من الجنون تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى عليه السلام فقال لهما علام تبكيان إن الله تعالى قدر عني ولم يصبني إلا خير وإن هذا شيء شبه لم فلما كان بعد سبعة أيام قال الله عز وجل لعيسى عليه السلام اهبط على مريم المجدلانية اسم موضع في جبلها فإنه لم يبد أحد عليك بكاءها ولم يحزن عليك أحد حزنها (٣٥٦) وليجتمع لك الحواريون فيهم في الأرض دعاة إلى الله عز وجل فأهبطه

إلى عيسى على رأس ثلاثين سنة ورفع الله من بيت المقدس ليلة القدر من رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين. قوله عز وجل (إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إني) اختلنا في معنى التوفي هنا على طريقتين: فالطريق الأول أن الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير وذكر في معناها وجوها: الأول معناه أني قابضك ورافعك إلى من غير موت من قوتهم قوتيت الشيء واستوفيته إذا أخذته وقبضته تاما والمقصود منه هنا أن لا يصل أعداؤه من اليهود إليه بقتل ولا غيره. الوجه الثاني أن المراد بالتوفي النوم ومنه قوله عز وجل الله يتوفى الأتقي حين موتها والتي لم تمت في منامها فجعل النوم وفاة وكان عيسى قد تام فرفعه الله وهو تام ثلاثا يلحمه خوف فعني الآية إني منيتمك ورافعك إلى الوجه الثالث أن المراد بالتوفي حقيقة الموت، قال ابن عباس معناه إني ميمتك قال وهب بن منبه أن الله ترفى عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم أحياه ثم رفعه إليه وقبل أن التصاري يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفع له إليه. الوجه الرابع أن الواو في قوله ورافعك إلى لا تميز الترتيب والآية تدل على أن الله تعالى يفعل به ما ذكر فأما كيف يفعل ومتى يفعل فالأمر فيه موقوف على الدليل وقد ثبت في الحديث أن عيسى سينزل ويقتل الدجال وسنذكره إن شاء الله تعالى. الوجه الخامس قال أبو بكر الواسطي معناه إني متوفيك عن شهواتك وعن حظوظ نفسك ورافعك إلى ذلك أن عيسى عليه السلام لما رفع إلى السماء صارت حاله حالة الملائكة في زوال الشهوة. الوجه السادس أن معنى التوفي أخذ الشيء موافقا لولا علم الله تعالى أن من الناس من يخطر بباله أن الذي رفعه الله إليه هو روحه دون جسده كما زعمت التصاري أن المسيح رفع لاهوته بعنى روحه وبقي في الأرض ناسوته يعني جسده فرد الله عليهم بقوله إني متوفيك ورافعك إلى فأخبر الله تعالى أنه رفع بنامه إلى السماء بروحه وجسده جميعا الطريق الثاني أن في الآية تقديم وتأخيرا فقديره إني رافعك إلى ومطهرتك من الدين كفرؤا وموتفك بعد انزالك إلى الأرض وقيل لبعضهم هل تجد نزول عيسى إلى الأرض في القرآن قال نعم قوله تعالى وكهلا وذلك لأنه لم يكتمل في الدنيا وإنما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء (ق) عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد زاد وفي رواية حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة أقرموا إن شئتم وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته وفي رواية

الله عليها فاشتعل الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحواريون فيهم في الأرض دعاة ثم رفعه الله عز وجل إليه وتلك الليلة هي التي تدخن فيها التصاري فلما أصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى إليهم فذلك قوله تعالى ومكر واومر القوا الله خير الماكرين. وقال السدي إن اليهود حبسوا عيسى في بيت وعشرة من الحواريين فدخل عليهم رجل منهم ليقتله فألقى الله عليه شبهه وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله عيسى عليه السلام قال لأصحابه أيكم يقذف عليه شهبي فإنه مقتول فقال رجل من القوم أنا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى عليه السلام ورفع له إليه وكساه الله الريش وألبسه الثور وقطع عنه لذة الطعام والمشرب وطار

مع الملائكة فهو معهم حول العرش وصار إنسيا ملكيا سماويا أرضيا. قال أهل التاريخ حدثت مريم بعيسى كيف ولدت ثلاث عشرة سنة فولدت عيسى بيت لحم من أرض أورى شلم لمضى خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل فأوحى الله إليه على رأس ثلاثين سنة ورفع الله من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان ودواين ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين فتوفيت مريم عليها السلام وهي بنت اثنين وخمسين سنة (إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إني) اختلنا في معنى التوفي هنا قال الحسن والكلمبي وابن جرير إني قابضك ورافعك من الدنيا إلى من غير

وت يدك عليه قوله تعالى فلما توفيتني اى قبضتني الى السماء وانا حى لان قومه انما تصروا بعد رفعه لابتعد موته فعلى هذا للتوفى
أوبلان أحدهما الى رافعك الى وقيام يذالوا ملك شيئا من قوهم توفيت منه كذا وكذا واستوفيته إذا أخذته تاما والآخر الى
متسلمك من قوهم توفيت منه كذا أن تسلمته وقال الربيع بن أنس المراد بالتوفى النوم وكان عيسى قد نام فرفعه الله نائما الى
السماء معناه أن منيةك ورافعك الى كما قال الله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل أى يلبسكم بالليل + وقال بعضهم المراد بالتوفى
الموت وروى على بن طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن معناه انى يميتك يدك عليه قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت فعلى
هذا له تأويلان : أحدهما ما قاله وهب توفى الله عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم أحياه ثم رفعه الله إليه وقال محمد بن إسحاق
إن النصارى يزعمون أن الله تعالى توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفع له إليه (٣٥٧) والآخر ما قاله الضحاك

وجماعة إن في هذه الآية
تقدما وتأخيرا معناه انى
رافعك الى ومظهرك
من الدين كفروا
ومتوفيك بعد إنزالك
من السماء أخبرنا
عبد الواحد بن أحمد
اسلمى أخبرنا عبد الرحمن
ابن أنى شرح أخبرنا
أبو القاسم عبد الله بن
محمد بن عبد العزيز البغوى
أخبرنا على بن الجعد
أخبرنا عبد العزيز بن
عبد الله بن أنى سلمة
الماجشون عن ابن شهاب
عن سعيد بن المسيب
عن أنى هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال
والذى نفس محمد بيده
ليوشكن أن ينزل فيكم
ابن مريم حكما عدلا
يكسر الصليب ويقتل

كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم وفى رواية فأمركم منكم قال ابن أنى ذوق
تدرى ما أمكم منكم قالت فأخبرنى قال فأمركم كتاب ربكم عز وجل وبسنة بيكم صلى الله عليه
وسلم وفى أفراد مسلم من حديث الثواس بن سمعان قال فيينا هما كذلك إذ بعث الله المسيح
ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرق دمشق . عن أنى هريرة أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال إيس بنى وبينه بنى عيسى نبي وأنه نازل فاذا رأيدوه فاعرفوه فانه رجل مربوع
الى الحمرة والبياض ينزل بين مضرتين كأن رأسه يقطر زان لم يصبه بلل فيناتل الناس على
الإسلام فيلق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله الملل في زمانه كلها إلا الإسلام
ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون أخرجه
أبو داود ونقل بعضهم أن عيسى عليه السلام يدفن في حجرة رسول الله ﷺ فيقوم أبو بكر
وعمر يوم القيامة بين نبيين محمد وعيسى عليهما السلام . قواه عز وجل (ومظهرك من الذين
كفروا) يعنى مخرجك من بينهم ومنجيتك منهم (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى
يوم القيامة) يعنى وجاعل الذين اتبعوك في التوحيد وصدقوا قولك وهم أهل الإسلام من أمة
محمد صلى الله عليه وسلم فوق الذين كفروا بالعز والنصر والغلبة بالحجة الظاهرة وقيل هم
الحواريين الذين اتبعوا عيسى على دينه وقيل هم النصارى فهم فوق اليهود وذلك لأن ملك
اليهود قد ذهب ولم يبق لهم مملكة وملك النصارى باق فعلى هذا القول يكون الإتيان بمعنى
الحبة والإدعاء لا اتباع الدين لأن النصارى وإن أظهروا متابعة عيسى عليه السلام فهم أشد
مخالفة اموذلك أن عيسى عليه السلام لم يرض بماهم عايد من الشرك والقول الأول هو الأصح
لأن الذين اتبعوه هم الذين شهدوا له بأنه عبد الله ورسوله وكلمته وهم المساون وملكهم
باق الى يوم القيامة (ثم الى مرجعكم) يعنى يقول الله عز وجل الى مرجع الفريقين في الآخرة
الذين اتبعوا عيسى وصدقوا به والذين كفروا به (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) يعنى من

الخنزير ويضع الجزية ويفض المال حتى لا يقبله أحد . وروى عن أنى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ في نزول عيسى
عليه السلام إراقا وتهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون
وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى في القرآن قال نعم قوله وكهلا وهو لم يكتمل في الدنيا وإنما معناه وكهلا بعد نزوله من
السماء قوله تعالى (ومظهرك من الذين كفروا) أى مخرجك من بينهم ومنجيتك منهم (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى
يوم القيامة) قال فنادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي هم أهل الإسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه في التوحيد من أمة محمد
ﷺ وهو فوق الذين كفروا ظاهرين قاهرين بالعزة والمنعة والحجج وقال الضحاك يعنى الحواريين فوق الذين كفروا وقيل هم أهل
الروم وقيل أراد بهم النصارى أى فهم فوق اليهود الى يوم القيامة فان اليهود قد ذهب ملكهم وملك النصارى دائم الى قريب
من قيام الساعة فعلى هذا يكون الإتيان بمعنى الادعاء والحبة لا اتباع الدين (ثم الى مرجعكم) في الآخرة (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون)

من الدين وأمر عيسى (فأما الذين كفروا فأعد لهم عذابا شديدا في الدنيا) بالقتل والسبي والجزية والذلة (والآخرة) أي وفي الآخرة بالنار (وما هم من ناصرين) (٣٥٨) وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفهم أجورهم) قرأ ورش والحسن

وحفص بالياء والباقون بالنون أي يوفهم أجور أعمالهم (والله لا يحب الظالمين) أي لا يرحم الكافرين ولا يثني عليهم الجليل (ذلك) أي هذا الذي ذكرته لك من الخبر عن عيسى ومريم والحواريين (تملوه عليك) يعني تخبرك به تلاوة جبريل عليك (من الآيات والذكر الحكيم) يعني القرآن والذكر الذي الحكيم وقال مقاتل الذكر الحكيم أي الحكم المنوع من الباطل وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ وهو معلق العرش من درة بيضاء وقيل من الآيات أي من العلامات الدالة على نبوتك لأنها أخبار لا يعلمها إلا ترى كتاب الله أو من يوحى إليه وأنت أي لا تقرأ (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم) الآية نزلت في وفد نجران ، وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ مالك تشتم صاحبنا قال وما أقول قالوا اتقول إنه عبد الله قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلامه ألفاها إلى مريم العذراء

الحق في أمر عيسى ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى (فأما الذين كفروا) الذين جحدوا نبوة عيسى وخالفوا ملته وقالوا فيه ما قلوا من الباطل ووصفوه بما لا ينبغي من سائر اليهود والنصارى (فأعد لهم عذابا شديدا في الدنيا) يعني بالقتل والسبي والذلة وأخذ الجزية منهم (والآخرة) أي وأعد لهم في الآخرة بالنار (وما هم من ناصرين) يعني ما تعين بمعنوهم من عذابنا (وأما الذين آمنوا) يعني بعيسى عليه السلام وصدقوا بنبوته وأنه عبد الله ورسوله وكلامه (وعملوا الصالحات) يعني عملوا بما فرضت عليهم وشرعت لهم (فيوفهم أجورهم) يعني جزاء أعمالهم لا يتقص منه شيء (والله لا يحب الظالمين) أي لا يحب من ظلم غيره حقاً له أو وضع شيئاً في غير موضعه والمعنى أنه تعالى لا يرحمهم ولا يثني عليهم بجبريل ثم قال تعالى (ذلك) يعني الذي ذكرته لك من أخبار عيسى وأمه مريم والحواريين وغير ذلك من القصص (تملوه عليك) أي تخبرك به يا محمد على لسان جبريل وإنما أضاف ما تلاوه جبريل عليه السلام إلى نفسه سبحانه وتعالى لأنه من عنده وبأمره من غير تفاوت أصلاً فإضافته إليه (من الآيات) يعني من القرآن وقيل الآيات يعني العلامات الدالة على نبوتك يا محمد لأنها أخبار لا يعلمها إلا من يقرأ ويكتب أولي يوحى إليه وأنت أي لا تقرأ ولا تكتب فثبت أن ذلك من الوحي السماوي الذي أنزل عليك (والذكر الحكيم) أي الحكم المنوع من الباطل قيل المراد من الذكر الحكيم القرآن لأنه حاكم يستفاد منه جميع الأحكام وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ الذي منه نزلت جميع كتب الله على رسوله وهو لوح من درة بيضاء معلق بالعرش قوله عز وجل (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) الآية أجمع أهل التفسير أن هذه الآية نزلت في حجة نصارى وفد نجران قال ابن عباس أن رهطاً من أهل نجران قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما شأنك تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا عيسى تزعم أنه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجل أنه عبد الله فقالوا له فهل رأيت له مثلاً أو أنبت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل عليه السلام فقال قل لهم إذا أتوك إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب وقيل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم إنه عبد الله ورسوله وكلامه ألفاها إلى مريم العذراء يقول فغضبوا وقالوا يا محمد هل رأيت إنساناً قط من غير أب فأزل الله تعالى (إن مثل عيسى عند الله) أي في الخلق والإنشاء في كونه خلقه من غير أب كمثل آدم في كونه خلقه من تراب من غير أب وأم ومعنى الآية أن صفة خلق عيسى من غير أب كصفة آدم في كونه خلقه من تراب لا من أب وأم فمن أقر بأن الله خلق آدم من التراب اليابس وهو أبلغ في القدرة فلم لا يقر بأن الله خلق عيسى من مريم من غير أب بل الشأن في خلق آدم أعجب وأعغرب وتم الكلام عند قوله كمثل آدم لأنه تشبيه كامل ثم قال تعالى خلقه من تراب فهو خير مستأنف على جهة التفسير لحال خلق آدم في كونه خلقه من تراب أي قدره جسداً من طين (ثم قال له كن) أي أنشأ خلقاً بالكلمة وكذلك عيسى أنشأ خلقاً بالكلمة فعلى هذا القول ذكروا في الآية إشكالا وهو أنه تعالى قال خلقه من تراب ثم قال له كن فهذا يقتضي أن يكون خلق آدم

البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت إنساناً قط من غير أب فأزل الله تعالى هذه الآية إن مثل عيسى عند متقنعا

الله في كونه خلقه من غير أب كمثل آدم لأنه خلق من غير أب وأم (خلقه من تراب ثم قال له) يعني لعيسى عليه السلام (كن)

فيكون) يعني فكان فان قيل ماعنى قوله خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون خلقا ولا تكونين بعد الخلق قبل معناه خلقه ثم أخبركم أنى قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة (٣٥٩) وهو مثل قول الرجل أعطيتك

اليوم درهما ثم أعطيتك أمس درهما أى ثم أخبرك أنى أعطيتك أمس درهما وفيما سبق من التثليل دليل على جواز القياس لأن القياس هو رد فرع إلى أصل نوع شبه، وقد رد الله تعالى خلق عيسى إلى آدم عليهم السلام بوع شبه قوله تعالى (الحق من ربك) أى هو الحق وقيل جاءك الحق من ربك (فلا تكن من الممتريين) أى الشاكن الخطاب مع النبي ﷺ والمراد أمته قوله عز وجل (فن حاجك فيه) أى جادلك فى أمر عيسى وفى الحق (من بعد ما جاءك من العلم) بأن عيسى عبد الله ورسوله (فقل تعالوا) أصله تعالوا فتلوا من العلو فاستفقت الضمة على الياء فحدثت قال القراء بمعنى تعال كأنه يقول ارتفع (ندع) حزم لجواب الأمر وعلامة الجزم سقوط الواو (أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) قيل أبناءنا أراد بالأبناء الحسن والحسين وبالنساء فاطمة وبالنفس نفسه صلى الله عليه وسلم وعليها رضى الله عنه وقيل هو على العموم لجماعة أهل الدين (ثم نبئيل) قال ابن عباس تنضرع فى الدعاء وقيل معناه تجتهد ونبالغ فى الدعاء وقيل معناه تلتمس والابتهاج يقال لعتان بقال عليه هيلة أى لعنة الله (فنجعل لعتة الله على الكاذبين) يعنى منا ومنكم فى أمر عيسى قال المقسرون لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم إلى المباحلة قالوا حتى ترجع ونظر فى أمرنا ثم تأتيتك عدا فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رأيهم ماترى يا عبد المسيح قال لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدا نبي مرسل ولئن فعلتم ذلك لئلكن فان أبيتهم إلا الإقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

مغذما على قوله كن ولا تكونين بعد الخلق. وأجيب عن هذا الإشكال بأن الله تعالى أخبر بأنه خلقه من تراب لا من ذكر وأنثى ثم ابتداء خبرا آخر فقال لى أخبركم أيضا أنى قلت له كن فكان من غير ترتيب فى الخلق كما يكون فى الولادة ويحتمل أن يكون المراد أنه تعالى خلقه جسدا من تراب ثم قال له كن بشرا فكان يصح التظلم وقيل الضمير فى قوله كن رجع إلى عيسى عليه السلام وعلى هذا فلا إشكال فى الآية. فان قلت كيف شبه عيسى عليه السلام بآدم فى أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لأن المماثلة مشاركة فى بعض الأوصاف ولأنه شبه به فى أنه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما فى ذلك نظيران لأن الوجود من غير أب وأم أعرب فى العادة من الوجود من غير أب فشبّه الغريب بالأعرب ليكون أقطع للمخضم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أعرب مما استغرب. وحكى أن بعض العلماء أسر فى بعض بلاد الروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لأنه لأب له قال فآدم أولى لأنه لأب له ولا أم قالوا وكان يجي الموتى فقال حزقيل أولى لأن عيسى أحيا أربعة نفر وأحيا حزقيل أربعة آلاف قالوا وكان يبرئ الأكمه والأبرص قال فحزقيل أولى لأنه طبخ وأحرق ثم قام سلبا وقوله كن (فيكون) قال ابن عباس معناه كن فكان فأريد بالمستقبل الماضى وقيل معناه ثم قال له كن واعلم يا محمد أن ما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة (الحق من ربك) الذى أخبرتك به من تمثيل عيسى بآدم هو الحق من ربك (فلا تكن من الممتريين) أى من الشاكن إن ذلك كذلك وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته لأنه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فهو كقوله تعالى يا أيها النبي إذا طلقتم النساء والمعنى فلا تكن من الممتريين يا أيها السامع كالتنا من كان هذا التثليل والبرهان الذى ذكر فهو من باب التبييض لزيادة الثبات والطمأنينة. قوله عز وجل (فن حاجك فيه) أى فن جادلك فى عيسى وقيل فى الحق (من بعد ما جاءك من العلم) يعنى بأن عيسى عبد الله ورسوله (فقل تعالوا) أى هذا هو المراد منه الخبيء وأصله من العلو بالرأى والعزم كما تقول تعال ننظر هذه المسئلة (ندع أبناءنا وأبنائكم) أى يدع كل منا ومنكم أبناءه (ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) قيل أراد بالأبناء الحسن والحسين وبالنساء فاطمة وبالنفس نفسه صلى الله عليه وسلم وعليها رضى الله عنه وقيل هو على العموم لجماعة أهل الدين (ثم نبئيل) قال ابن عباس تنضرع فى الدعاء وقيل معناه تجتهد ونبالغ فى الدعاء وقيل معناه تلتمس والابتهاج يقال لعتان بقال عليه هيلة أى لعنة الله (فنجعل لعتة الله على الكاذبين) يعنى منا ومنكم فى أمر عيسى قال المقسرون لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم إلى المباحلة قالوا حتى ترجع ونظر فى أمرنا ثم تأتيتك عدا فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رأيهم ماترى يا عبد المسيح قال لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدا نبي مرسل ولئن فعلتم ذلك لئلكن فان أبيتهم إلا الإقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاطمة وأنفسنا عنى نفسه وعليها رضى الله عنه والعرب تسمى ابن عم الرجل نفسه كما قال الله تعالى ولا تلبسوا أنفسكم يريد إخوانكم وقيل هو على العموم لجماعة أهل الدين (ثم نبئيل) قال ابن عباس رضى الله عنهما أى تنضرع فى الدعاء وقال الكلبي تجتهد ونبالغ فى الدعاء وقال السكسافى وأبو عبيدة نبئيل والابتهاج يقال لعتان بقال عليه هيلة أى لعنته (فنجعل لعتة الله على الكاذبين)

منا ومنتكم في امر عيسى فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم إلى المباهلة قالوا حتى يرجع ونظروا في أمرنا ثم نأتيتك غمدا فخلا بعضهم ببعض فقالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى قال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدا نبي مرسل والله لا أعز قوم نبياً قط فعاش كبيرهم وتوت صغيرهم ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فإن أبيتن إلا الإقامة على ما أنتم عليه (٣٦٠) من القول في صاحبكم ، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فاتوا رسول الله

ﷺ وقد غمدا رسول الله ﷺ فمنا للحسين أخذوا بيد الحسن وفاطمة ثمشى خلفها وعلى خلفها وهو يقول لهم إذا أتاد دعوت فأموتوا فقال أمسقت نجران يا معشر النصارى إلى لأرى وجوها لو سألو الله أن يزبل جيلا من مكانه لأزاه فلا تبهتوا فتهلكوا ولا يبق على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا لاعنك وأن تتركك على دينك وثبت على ديننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أبيتن المباشلة فأسلموا بكن لكم بالله مسلمين وعليكم فأموتوا فقالوا فإني أتأذكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكننا نصالحك على أن لا نعزوا ولا نخيفنا ولا نؤذي إليك كل عام أثنى حلة أنفا في صفر وألغا في

وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة ثمشى خلفه وعلى يمشى خلفها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم إذا دعوت فأموتوا فلما رأهم أسقف نجران قال يا معشر النصارى إلى لأرى وجوها لو سألو الله أن يزبل جيلا لأزاهم من مكانه فلا تبهتوا فتهلكوا ولا يبق على وجه الأرض نصراني فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أبيتن المباشلة فأسلموا بكن لكم بالله مسلمين وعليكم فأموتوا فقالوا ذلك فقال إلى أنا جز فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكننا نصالحك على أن لا نعزونا ولا نخيفنا ولا نؤذي عن ديننا وأن نؤذي إليك في كل سنة أثنى حلة ألف في صفر وألغا في رجب زاد في رواية وثلاثا وثلاثين درعا عادية وثلاثة وثلاثين بغيرا وأربعا وثلاثين فرسا غازية فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذي نفسي بيده إن العذاب قد نزل على أهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قرودة وخنازير ولا يضطرم عليهم الوادي نارا ولا ستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا ، فان قلت ما كان دعاؤه إلى المباشلة إلا لتبيين الصادق من الكاذب منه ومن خصمه وذلك يختص به ويمن بياهله فما معنى ضم الأبناء والنساء في المباشلة . قلت ذلك أكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرا على تعريض أعزته وأولاد كبيه وأحب الناس إليه فلذلك ضمهم في المباشلة ولم يقتصر على تعريض نفسه لذلك وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك استئصال إن تمت المباشلة وإنما خص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وأصدقهم بالقلب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل وإنما قدمهم في الذكر على النفس لثبته بملك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يروا أحدا من موافق ومخالف أنهم أجابوا إلى المباشلة لأنهم عرفوا صحة نبوته وما يدل عليها في كتبهم . قوله تعالى (إن هذا) يعني الذي قص عليك يا محمد من خبر عيسى عليه السلام وأنه عبد الله ورسوله (هو القصص الحق) وأصله من القصص وهو تتبع الأثر والقصص الخبر الذي تتابع فيه المعاني (وما من إله إلا الله) إنما دخلت من لتوكيد النفي والمعنى أن عيسى ليس بآله كما زعمت النصارى فقيه رد عليهم ونفي جميع من ادعى من المشركين أنهم آفة وإثبات الإلهية لله تعالى وحده لا شريك له في الإلهية (وإن الله ذو العزيز) أي الغالب المنتقم ممن عصاه وخالف أمره وادعى معه إلها آخر (الحكيم) يعني في تدبيره وفيه رد على النصارى لأن عيسى لم يكن كذلك (فإن تولوا) يعني فإن عرضوا عن الإيمان ولم يقبلوه (فإن الله علم بالفسدين) أي الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس إلى عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد لهم .

وجب فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذي نفسي بيده إن العذاب قد نزل على أهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قرودة وخنازير ولا يضطرم عليهم الوادي نارا ولا ستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا قال الله تعالى (إن هذا هو القصص الحق) النبا الحق (وما من إله إلا الله) ومن صلة تقديره وما إله إلا الله (وإن الله ذو العزيز الحكيم فإن تولوا) عرضوا عن الإيمان (فإن الله علم بالفسدين) قوله

الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس إلى عبادة غير الله (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) الآية قال المفسرون قدم وفد نجران المدينة فالتفتوا مع اليهود فاختلفوا في إراهم عليه السلام فرزعت النصارى أنه كان نصرانيا وهم على دينه وأولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه وأولى الناس به فقال لهم رسول الله ﷺ كلا الفريقين برئ من إراهم ودينه بل كان حنيفيا مسلما وأنا على دينه وأولى الناس به فاتبعوا دينه الإسلام فقالت اليهود يا محمد ما تريد إلا أن ننخلك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا وقالت النصارى يا محمد ما تريد إلا أن نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فأزل الله تعالى قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء والعرب تسمى كل قصة لها شرح كلمة ومنه سميت القصيدة كلمة سواء عدل بيننا وبينكم مستوية أي أمر مستو يقال دعا فلان إلى السواء أي إلى النصفة، وسواء كل شيء وسطه ومنه قوله تعالى قرأه في سواء الجحيم وإنما قيل للنصفة سواء لأن عدل الأمور وأفضلها أوسطها ، سواء (٣٦١) نعت لكلمة إلا أنه مصدر

والمصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث فإذا فتحت السين مددت وإذا كسرت أو صممت قصرت كقولته تعالى «مكنا سوي» ثم فسر الكلمة فقال (أن لا نعبد إلا الله) ومحل إن رفع على إصغار هي وقال الزجاج رفع بالابتداء وقيل محله نصب بزع حرف الصلة معناه بأن لا نعبد إلا الله وقيل محله خفض بدلا من الكلمة أي تعالوا إلى كلمة أن لا نعبد إلا الله (ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) كما فعلت اليهود والنصارى قال الله تعالى واتخذوا أحيارهم وورهبانهم

لهم . قوله عز وجل (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) قال المفسرون لما قدم وفد نجران المدينة اجتمعوا باليهود واختصموا في إراهم صلى الله عليه وسلم فرزعت النصارى أنه كان نصرانيا وهم على دينه وأولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه وأولى الناس به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برئ من إراهم ودينه بل كان حنيفيا مسلما وأنا على دينه فاتبعوا دينه الإسلام فقالت اليهود ما تريد إلا أن ننخلك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا وقالت النصارى يا محمد ما تريد إلا أن نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فأزل الله عز وجل قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة يعنى فيها انصاف ولا ميل فيها لأحد على صاحبه والعرب تسمى كل قصة أو قصيدة لها أول وآخر وشرح كلمة سواء أي عدل لا يختلف فيها التوراة والإنجيل والقرآن وتفسير الكلمة قوله (أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) وذلك أن النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح وأشركوا به وهو قوطم أب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة واتخذوا أحيارهم وورهبانهم أربابا من دون الله وذلك أنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الشرك ويسجدون لهم فهذا معنى اتخاذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله فثبت أن النصارى قد جمعوا بين هذه الثلاثة أشياء ومعنى الآية قل يا محمد لليهود والنصارى هلموا إلى أمر عدل نصف وهو أن لا نقول عزير ابن الله ولا نقول المسيح ابن الله لأن كل واحد منهما بشر مخلوق مثلنا ولا نطيع أحيارنا وورهباننا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع إلى ما شرع ولا يسجد بعضنا لبعض لأن السجود لغير الله حرام فلا تسجد لغير الله وقيل معناه ولا نطيع أحدا في معصية الله (فان تولوا) يعنى فان أعرضوا عما أمرتهم به (فقولوا) أنتم هؤلاء (اشهدوا بأننا مسلمون) أي مخلصون بالتوحيد لله والعبادة له (ف) عن ابن عباس أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان

(٤٦) - خازن بالبعوى - أول

أربابا من دون الله ، وقال عكرمة هو صبيد بعضهم لبعض أي لا تسجد لغير الله وقيل معناه لا نطيع أحدا في معصية الله (فان تولوا فقولوا اشهدوا) أي فقولوا أنتم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم لم تشهدوا (بأننا مسلمون) مخلصون بالتوحيد أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أبو الهيثم الحكيم بن نافع أخبرنا شعيب بن الزهرى أخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهو بايليا فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به مع دحية بن خليفة الكلبي وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصري فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله

ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم لإسلم يؤتلك الله اجره
مرتين فان توليت فانما عليك إثم (٣٦٢) الأريسين وبأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد

إلا الله ولا نشرك به شيئا
ولا يتخذ بعضنا بعضا
أربابا من دون الله فان
تولوا فقولوا اشهدوا بأنا
مسلمون ، قوله تعالى
(يا أهل الكتاب لم تحاجون
في إبراهيم) زعمون أنه
كان على دينكم وإنما
دينكم اليهودية والنصرانية
وقد حدثت اليهودية بعد
نزول التوراة والنصرانية
بعد نزول الإنجيل (وما
أنزلت التوراة والإنجيل
إلا من بعده) أي بعد
إبراهيم بزمان طويل
وكان بين إبراهيم
وموسى ألف سنة وبين
موسى وعيسى ألفا سنة
(أفلا تعقلون) بطلان
قولكم قوله تعالى
(ها أنتم) بتلحين الهمة
حيث كان مدنى وأبو عمرو
والياقون بالهمزة فواختلفوا
في أصله فقال بعضهم
أصله أنتم وهاء تنبيه ،
وقال الأخفش أصله
أنتم فقلبت الهمزة
الأولى هاء كمنوع
هرقت الماء وأرقت
(هؤلاء) أصله أولاء
دخلت عليه هاء التنبيه
وهو موضع النداء يعني
يا هؤلاء أنتم (حاججتم

وكنار قريش فأتوه وهو بابلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول
الله صل الله عليه وسلم الذي بعث به مع دحية الكلبي إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه
فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على
من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتلك الله اجره مرتين فان توليت
فانما عليك إثم الأريسين وبأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله
ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا
مسلمون لفظ الحديث أحد روايات البخارى وقد أخرجه بأطول من هذا وفيه زيادة قوله
اليريسين وفي رواية الأريسين والأريسين الأكار وهو الزراع والفلاح وقيل هم أتباع عبد الله
ابن أريس رجل كان في الزمن الأول بعثه الله فخالفه قوم موقيل هم الأروسيون وهم نصارى
أتباع عبد الله بن أروس وهم الأروسة وقيل هم الأريسون بضم الهمزة وهم الملوك الذين يخالفون
أنبياءهم وقيل هم المنبخرتون وقيل هم اليهود والنصارى الذين صدقتهم عن الإسلام واتبعوك
على كفرك . قوله عز وجل (يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم) قال ابن عباس اجتمع عند
النبي صلى الله عليه وسلم نصارى نجران وأخبار اليهود فتنازعوا عنده فقالت الأخبار ما كان
إبراهيم إلا يهوديا وقالت النصارى ما كان إبراهيم إلا نصرانيا فأنزل الله فيهم بأهل الكتاب
لم تحاجون في إبراهيم (وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده) ومعنى الآية اليهود والنصارى
لما اختصموا عند رسول الله ﷺ في شأن إبراهيم عليه السلام وادعت كل طائفة أنه كان منهم
وعلى دينهم فبرأ الله عز وجل إبراهيم مما ادعوا فيه وأخبر أن اليهودية والنصرانية إنما حدثتا
بعد نزول التوراة والإنجيل وإنما نزل بعد إبراهيم بزمان طويل فكان بين إبراهيم وبين موسى
ونزول التوراة عليه خمسمائة سنة وخمسة وسبعون سنة وبين موسى وعيسى ألف وستائة والثلاثون
وثلاثون سنة وقال ابن إسحاق كان بين إبراهيم وموسى خمسمائة سنة وخمس وستون سنة وبين
موسى وعيسى ألف سنة وتسعمائة وعشرون سنة وأورد على هذا التأويل أن الإسلام أيضا إنما
حدث بعد إبراهيم وموسى وعيسى بزمان طويل وكذلك إنزال القرآن إنما نزل بعد التوراة
والإنجيل فكيف يصح ما ادعيت في إبراهيم أنه كان حنيفيا مسلما وأجيب عنه بأن الله عز وجل
أنجز في القرآن بأن إبراهيم كان حنيفيا مسلما وليس في التوراة والإنجيل أن إبراهيم كان يهوديا
أو نصرانيا فصح وثبت مادعاء المسلمون وبطل مادعاء اليهود والنصارى وهو قوله تعالى
(أفلا تعقلون) يعني بطلان قولكم بامعشر اليهود والنصارى حتى لا يجادلوا مثل هذا الجدل
المحال (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه وهو موضع النداء يعني يا هؤلاء والمراد بهم أهل الكتابين يعني
بامعشر اليهود والنصارى (حاججتم) أي جادلتم وخاصتم (فيا لكم به علم) يعني فبا وجدتم
في كتبكم وأنزل عليكم بيانه في أمر موسى وعيسى وادعيتم أنكم على دينهما وقد أنزلت التوراة
والإنجيل عليكم (فلم تحاجون فبا ليس لكم به علم) يعني أنه ليس في كتابكم أن إبراهيم كان

فبا لكم به علم فلم تحاجون فبا ليس لكم به علم) يعني في أمر موسى وعيسى وادعيتم أنكم على دينهما وقد أنزلت
التوراة والإنجيل عليكم فلم تحاجون فبا ليس لكم به علم وليس في كتابكم أنه كان يهوديا أو نصرانيا وقيل حاججتم فبا لكم به علم يعني
في أمر محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم وجدوا أنه في كتبهم فجادلوا فيه بالباطل فلم تحاجون في إبراهيم وليس في كتابكم ولا

علم لكم به (والله يعلم وانتم لا تعلمون) ثم برآ الله تعالى إبراهيم مما قالوا فقال (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) والحنيف المائل عن الأديان إلى الدين المستقيم وقيل (٣٦٣)

يهوديا أو نصرانيا (والله يعلم) يعني ما كان إبراهيم عليه من الدين (وانتم لا تعلمون) يعني ذلك والمعنى وانتم جاهلون بما تقولون في إبراهيم ثم برآه الله عز وجل عما قالوا فيه واعلمهم أن إبراهيم يرى من دينهم فقال تعالى (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا) يعني لم يكن كما ادعوه فيه ثم وصفه بما كان عليه من الدين فقال تعالى (ولكن كان حنيفا مسلما) يعني مائلا عن الأديان كلها إلى الدين المستقيم وهو الإسلام وقيل الحنيف الذي يوجد ويختن ويضحى ويستقبل الكعبة في صلواته وهو أحسن الأديان وأسهلها وأحبها إلى الله عز وجل (وما كان من المشركين) يعني الذين يعبدون الأصنام وقيل فيه تعريض بكون النصارى مشركين لقولهم باهية المسيح وعبادتهم له . قوله عز وجل (إن أولى الناس بإبراهيم) يعني أخصهم به وأقربهم منه (للذين اتبعوه) يعني الذين كانوا في زمانه وآمنوا به واتبعوا شريعته (وهذا النبي) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا) يعني هذه الأمة الإسلامية (والله ولي المؤمنين) يعني بالنصر والمعونة عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ إن لكل نبي ولادة من النبيين وإن وليي أبي وخليلي ربي إبراهيم ثم قرأ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين أخرجه الترمذي وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ورواه محمد بن إسحاق عن ابن شهاب بإسناده حديث هجرة الحبشة قال لما هاجر جعفر بن أبي طالب وأناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وكان من أمر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا إن لنا في الدين عند النجاشي من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نارا ممن قتل منكم بيدنا فاجتمعوا مالا وأهدوه إلى النجاشي لعله يدفع إليكم من عنده من قومكم وليتدب لذلك رجلا من ذوى رأيكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن أبي معيط معهما الهدايا الأدم وغيره فركبا البحر حتى أتيا الحبشة فلما دخلوا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالوا له إن قومنا لك ناصحون شاكرون ولأصحابك محبون وأنهم بعونا إليك لتحرك هؤلاء الذين قدموا عليك لأنهم قوم رجل كذاب خرج يزعم أنه رسول الله ولم يتابعه أحد منا إلا السفهاء وإننا كنا قد ضيقنا عليهم الأمر وألجاناهم إلى شعب بأرضنا لا يدخل عليهم أحد ولا يخرج منهم أحد فقتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليه الأمر بعث إليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكتك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم إلينا لنكفيهم قال وآية ذلك أنهم إذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يعيرونك بالتحية التي تحييها بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله تعالى فقال النجاشي مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بأمان الله وذمته فنظر عمرو إلى صاحبه فقال ألا تسمع كيف يرطون بحزب الله وما أجابهم به الملك فساءها ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص ألا ترى أنهم يستكبرون أن يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما منعكم أن تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من أتاني من الآفاق قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكتك وإننا كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الأوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا فأمرنا بالتحية التي رضىها الله وهي السلام تحية

الحنيف الذي يوجد ويختن ويستقبل الكعبة وهو أسهل الأديان وأحبها إلى الله عز وجل قوله تعالى (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه) أي من اتبعه في زمانه وملته بعده (وهذا النبي) يعني

محمدا صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا) يعني من هذه الأمة (والله ولي المؤمنين) روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ورواه محمد بن إسحاق عن ابن شهاب بإسناده حديث هجرة الحبشة لما هاجر جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وكان من أمر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا إن لنا في الدين هم عند النجاشي من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نارا ممن قتل منكم بيدنا فاجتمعوا مالا وأهدوه إلى النجاشي لعله يدفع إليكم من عنده من قومكم وليتدب

لذلك رجلا من ذوى رأيكم ، فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد أو عمارة بن أبي معيط مع الهدايا الأدم وغيره فركبا البحر وأتيا الحبشة فلما دخل على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالوا له إن قومنا لك ناصحون شاكرون ولأصحابك محبون

ولأنهم يعنوننا إليك لتعذرنا هؤلاء الذين قدموا عليك لأنهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم أنه رسول الله ولم يتابعه أحد منا إلا السفهاء وإنما كنا قد ضيقنا (٣٦٤) عليهم الأمر وألجأناهم إلى شعب بأرضنا لا يدخل عليهم أحد ولا يخرج

أهل الجنة فعرف النجاشي أن ذلك حق وأنه في التوراة والإنجيل قال أيكم الخائف يستأذن عليك حزب الله قال جعفر أنا قال فتكلم به قال إنك ملك من ملوك الأرض من أهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وإنما أحب إن أجب عن أصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم أحدهما وليتصت الآخر فنسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذين الرجلين أعبيد نحن أم أحرار فإن كنا عبيدا قد أبقنا من أربابنا فردنا عليهم فقال النجاشي أعبيد أم أحرار فقال بل أحرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية فقال جعفر سلهما هل أرقنا دما بغير حق فيمنع منا فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي إن كان قطارا فعلى قضاؤه فقال عمرو لأولا قيراط فقال النجاشي فما تطلبون منهم قال كنا وإياهم على دين واحد وأمر واحد على دين آباؤنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا قوما لنرفعهم إينا فقال النجاشي وما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي أتبعوه فقال جعفر أما الدين الذي كنا عليه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة وأما الذي تحولنا إليه فهو دين الله الإسلام جاءنا به من عند الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك ثم أمر النجاشي بضرب الناقدوس فضرب فاجتمع إليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي أنشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى هل تحبون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا قالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه فقال يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويأمرنا بحسن الجوار وصلوة الرحم وير اليتم ويأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له فقال له اقرأ على مما يقرأ عليكم فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي وأصحابه من الدمع وقالوا زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فأراد عمرو أن يغضب النجاشي فقال أنهم يشتمون عيسى وأمه فقال النجاشي فما تقولون في عيسى وأمه فقرأ عليهم سورة مريم فلما أتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي من سواكه قدر ما يقدر العين وقال والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا ثم أقبل على جعفر وأصحابه فقال اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي يقول آمنون من سيكم أو إذا كم غرم ثم قال أبشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب إبراهيم فقال عمرو يا نجاشي ومن حزب إبراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاءوا من عنده ومن اتبعهم فأنكر ذلك المشركون وادعوا دين إبراهيم ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه وقال إنما هديتكم إلى رشوة فاقبضوها فإن الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة قال جعفر فأنصرفنا فكنا في خبر جوار وأنزل الله عز وجل في ذلك اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصوصتهم في إبراهيم وهو في المدينة ان أولى الناس بإبراهيم للذين أتبعوه وهذا النبي، والذين آمنوا والله ولي المؤمنين . قوله تعالى

منهم أحد قتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليهم الأمر بعث إليك ابن عمه ليضد عليك دينك وملكك ورعيته فأحلزهم وادفعهم إينا لثكنيتكمهم قالوا آية ذلك أنهم إذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وستنك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله فقال النجاشي مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بأمان الله وذمته فنظر عمرو بن العاص إلى صاحبه فقال ألا تسمع كيف يرطون بحزب الله وما أجابهم به النجاشي فساءها ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له ؟ فقال عمرو بن العاص ألا ترى أنهم يشكرون أن يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما منعكم أن تسجدوا لي

وحيوني بالتحية التي يحييني بها من آتائي من الآفاق قالوا

(ودت)

تسجد لله الذي خلقك وملكك وإنما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الأوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا وأمرنا بالتحية التي

رضيها الله وهي السلام تحية أهل الجنة فمر من النجاشي أن ذلك حق وأنه في التوراة والإنجيل ، قال أباكم الهانئ يستأذن عليك
 حزب الله قال جعفر أنا قال فتكلم قال إنك مثلك من ملوك أهل الأرض ومن أهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام
 ولا الظلم وأنا أحب أن أجيب عن أصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم أحدهما ولينصت الآخر فتسمع معاورتنا ؟ فقال عمرو
 لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذين الرجلين أعييدن أم أحرار كرام ، فان كنا عبيدا أبقنا من أربابنا فاردنا إليهم
 فقال النجاشي أعييدهم أم أحرار فقال عمرو بل أحرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية ثم قال جعفر سل هل أهرقنا دما
 بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة فقال جعفر سلها هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي
 إن كان قنطارا فعلى قضاؤه فقال عمرو لا ولا قيراطا . قال النجاشي فما تطلبون منهم قال عمرو كنا وهم على دين واحد وأمر
 واحد على دين آباؤنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا إليك قومهم لتدفعهم إلينا فقال النجاشي ما هذا الدين الذي كنتم عليه
 والدين الذي اتبعتموه أصدقني فقال جعفر أما الدين الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة وأما
 الذي نحولنا إليه فدين الله الإسلام جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب عيسى ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر
 لقد تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك ثم أمر النجاشي فضرب بالنفاقوس فاجتمع عليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده
 قال النجاشي أنشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى (٣٦٥) وبين يوم القيامة نبي مرسل

فقالوا اللهم نعم قد
 بشرنا به عيسى وقال
 من آمن به فقد آمن بي
 ومن كفر به فقد كفر
 بي فقال النجاشي لجعفر
 ماذا يقول لكم هذا
 الرجل وما يأمركم به
 وما ينهاكم عنه فقال
 يقرأ علينا كتاب الله
 ويأمر بالمعروف وينهى
 عن المنكر ويأمرنا بحسن
 الجوار وصلة الرحم وبر
 اليتيم ويأمرنا بأن نعبد الله

(ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم) نزلت في معاذ بن جبل ، وحذيفة بن اليان ، وعمار
 ابن ياسر حين دعاهم اليهود إلى دينهم فنزلت فيهم وودت طائفة أي تمت جماعة من أهل الكتاب
 يعني اليهود لو يضلونكم يعني عن دينكم ويردونكم إلى الكفر (وما يضلون إلا أنفسهم) لأن
 المؤمنين لا يقابون قلوبهم فيحصل عليهم الإثم بتمنيهم لإضلال المؤمنين (وما يشعرون) يعني
 أن وبال الإضلال يعود عليهم لأن العذاب يضاعف لهم بسبب ضلالهم وتمنى لإضلال المسلمين
 وما يقدرون على ذلك إنما يضلون أمثالهم وأتباعهم وأشياعهم (يا أهل الكتاب) الخطاب لليهود
 (لم تكفروا بآيات الله) يعني القرآن وقيل المراد آيات الله الواردة في التوراة والإنجيل من
 نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وسبب كفرهم بالتوراة والإنجيل على هذا القول هو
 تحريفهم وتبديلهم ما فيها من بيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته والشارة بنبوته لأنهم
 ينكرون ذلك ،

وحده لا شريك له فقال اقرأ على ما يقرأ عليكم فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي وأصحابه
 من السمع وقالوا زدنا يا جعفر من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فأراد عمرو أن يغضب النجاشي فقال
 لهم يشنون عيسى وأمه فقال النجاشي ماتقولون في عيسى وأمه فقرأ جعفر عليهم سورة مريم فلما أتى على ذكر مريم
 وعيسى عليهما السلام رفع النجاشي ففته من سواكه قلبه ما يقضى الأمين فقال والله ما زاد المسيح على ماتقولون مثل هذا
 ثم أقبل على جعفر وأصحابه فقال اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي يقول آمنون من سبكم أو إذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا
 دهورة اليوم على حزب إبراهيم قال عمرو يا نجاشي ومن حزب إبراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاءوا من عنده
 ومن تبعهم فأنكر ذلك المشركون وادعوا دين إبراهيم ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه وقال إنما حديثكم
 إلى رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا فكننا في خير دار وأكرم جوار وأنزل الله تعالى
 في ذلك اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصوصتهم في إبراهيم وهو بالمدينة إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه
 وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين قوله عز وجل (وودت طائفة من أهل الكتاب) نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن
 اليان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود إلى دينهم ، فنزلت وودت طائفة أي تمت جماعة من أهل الكتاب يعني اليهود (لو
 يضلونكم) يستنونونكم عن دينكم ويردونكم إلى الكفر (وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون) يا أهل الكتاب لم تكفروا بآيات الله

يعني القرآن وبيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم (وأنتم تشهدون) ان نعته في التوراة والإنجيل مذكور (يا اهل الكتاب لم
تلبسوا الحق بالباطل) تخططون الإسلام باليهودية والنصرانية وقيل لم تخططون الإيمان بعيسى عليه السلام وهو الحق بالكفر
بمحمد صلى الله عليه وسلم (٣٦٦) وهو الباطل وقيل لم تخططون التوراة التي أنزلت على موسى بالباطل الذي حرقتموه

وكتبتموه بأيديكم
(وتكذبون الحق وأنتم تعلمون) أن محمدا صلى الله عليه وسلم ودينه حق (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا) الآية .
قلل الحسن وقناة والسدي توطأ اثنا عشر حجرا من يهود خيبر وقرى عربية ، وقال بعضهم لبعض أدخلوا في دين محمد صلى الله عليه وسلم أول النهار باللسان دون الاعتقاد ثم اكفروا آخر النهار وقولوا إنا نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ليس هو بذلك المنعوت وظهور لنا كذبه فإذا فعلتم ذلك شك أصحابنا في دينهم وأنهموه فقالوا إنهم أهل كتاب وهم أعلم منا به فيرجعون عن دينهم وقال مجاهد ومقاتل والكلبي هذا في شأن القبلة لما صرفت إلى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الأشرف

(وأنتم تشهدون) يعني أن نعته وصفته مذكور في التوراة والإنجيل وذلك أن أحبار اليهود كانوا يكتبون الناس نعتهم وصفته فإذا خلا بعضهم ببعض أظهروا ذلك فيما بينهم وشهدوا أنه حق يا أهل الكتاب لم تلبسوا الحق بالباطل (وذلك أن علماء اليهود والفصاري كانوا يعلمون بقاومهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله وأن دينه حق وكانوا ينكرون ذلك بالسنتهم وكانوا يجتهدون في الفاء الشبهات والتشكيكات وذلك أن الساعى في إخفاء الحق لا يقدر على ذلك إلا بهذه الأمور فتولاه تعالى « لم تلبسوا الحق بالباطل » معناه تحريف التوراة وتبديلها فيخططون الحرف الذي كتبوه بأيديهم بالحق المنزّل وقيل هو خلط الإسلام باليهودية والنصرانية وذلك أنهم توطأوا على إظهار الإسلام في أول النهار والرجوع عنه في آخره والمراد بذلك تشكيك الناس وقيل إنهم كانوا يقولون إن محمدا صلى الله عليه وسلم معترف بصحة نبوة موسى وأنه حق ثم إن التوراة دالة على أن شرع موسى لا ينسخ فهذا من تلبساتهم على الناس (وتكذبون الحق) يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في التوراة (وأنتم تعلمون) يعني أنه رسول من عند الله وأن دينه حق وإنما كتبتهم الحق عنادا وحسدا وأنتم تعلمون ما تستحقون على كتاب الحق من العقاب . قوله عز وجل (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره) وهذا نوع آخر من تلبسات اليهود وقيل توطأوا اثنا عشر حجرا من يهود خيبر وقرى عربية فقال بعضهم لبعض أدخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون اعتقاد القلب ثم أكفروا آخر النهار وقولوا إنا نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فوجدنا أن محمدا ليس هو بذلك المنعوت وظهور لنا كذبه فإذا فعلتم ذلك شك أصحابنا في دينه وأنهموه وقالوا إنهم أهل الكتاب وأعلم به منا فيرجعون عن دينهم وقيل هذا في شأن القبلة وذلك أنه لما صرفت إلى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الأشرف لأصحابه آمنوا بالذي أنزل على محمد في أمر الكعبة وصلوا إليها أول النهار ثم اكفروا وارجعوا إلى قبلكم آخر النهار لعلمهم يرجعون فيقولون هؤلاء أهل كتاب وهم أعلم فيرجعون إلى قبلتنا فأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على سرهم وأنزل هذه الآية ووجه النهار أوله والوجه مستقبل كل شيء لأنه أول ما يواجه منه وأنشدوا في معناه .

من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار

وقوله (لعلمهم يرجعون) يعني عنه أي إنا ألقينا هذه الشبهة لعلمهم يشكون في دينهم فيرجعون عنه وما دبوا هذه الحيلة أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بها فلم تتم لهم ولم يحصل لها أثر في قلوب المؤمنين وأولا هذا الإعلام من الله تعالى لئلا كان رعبا أثر ذلك في قلوب بعض من كان في إيمانه ضعف قواه تعالى (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) هذا متصل بالأول وهو من

لأصحابه آمنوا بالذي أنزل على محمد من أمر الكعبة وصلوا إليها أول النهار ثم اكفروا وارجعوا إلى قبلكم آخر النهار لعلمهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم فيرجعون إلى قبلتنا فأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم وأنزل وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا (بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار) أوله سمى وجهها لأنه أحسنه ، وأول ما يواجه الناظر فبراه (واكفروا آخره لعلمهم يرجعون) فيشكون ويرجعون عن دينهم (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) هذا متصل بال من لأه قول اليهود بعضهم لبعض ولا تؤمنوا أي ولا تصدقوا إلا لمن تبع دينكم أي وافق ملتكم واللام في لمن صلة أي لا تصدقوا

إلا من تبع دينكم اليهودية كقوله تعالى اقل عسى أن يكون ردت لكم أي ردكم (قل إن الهدي هدى الله) هذا خبر من الله تعالى أن البيان بيانه ثم اختلفوا فيه فمنهم من قال هذا كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الأول إخبار عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعناه ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل (٣٦٧) ما أوتيتم من العلم والكتاب

والحكمة والآيات من المن والسلوى وخلق البحر وغيرها من الكرامات ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم لأنكم أصح ديناً منهم وهذا معنى قول مجاهد وقيل إن اليهود قالت لسفلةهم ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) من العلم أي ثلاثاً يؤتى أحد ولا فيه مضرة كقوله تعالى بين الله لكم أن تضلوا أي لثلاثاً تضلوا يقولون لا تصدقوهم ثلاثاً يعلموا مثل ما علمتم فيكون لكم الفضل عليهم في العلم أو ثلاثاً يحاجوكم عند ربكم فيقولوا عرفتم أن ديننا حق وهذا معنى قول ابن جريج وقرأ الحسن والأعمش إن يؤتى بكسر الألف فيكون قول اليهود تاماً عند قوله إلا لمن تبع دينكم وما بعده من قول الله تعالى إن الهدي هدى الله (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) وتكون أن بمعنى الجحد أي ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم بأمة محمد من الدين والهدى (أو يحاجوكم عند ربكم) يعني إلا أن يحاجوكم أي اليهود بالباطل فيقولوا نحن أفضل منكم وقوله عند ربكم أي عند فعل ربكم وقيل أوفى قوله أو يحاجوكم بمعنى حتى ومعنى الآية ما أعطى الله أحداً مثل ما أعطيتم بأمة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرأ ابن كثير أن يؤتى بالمد على الاستفهام وحينئذ يكون في الكلام اختصار تقديره أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم بامعش اليهود من الكتاب والحكمة فتحسدونه ولا يؤمنون به هذا قول قتادة والربيع قالوا هذا من قول الله تعالى قل يا محمد إن الهدي هدى الله لأن أنزل كتاباً مثل كتابكم وبعث نبياً مثل نبيكم حسدتموه وكفرتهم به قل إن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء وقوله أو يحاجوكم على هذه القراءة رجوع إلى خطاب المؤمنين وتكون أو بمعنى إن لأنها حرفا شرط وجزاء يوضع أحدهما موضع الآخر والمعنى وأن يحاجوكم بامعش المؤمنين عند ربكم قل يا محمد إن الهدي هدى الله ونحن عليه ويحتمل أن يكون الجميع خطاباً للمؤمنين ويكون نظم الآية أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم بامعش المؤمنين فان حسدكم فقل إن الفضل بيد الله فان حاجوكم فقل إن الهدي هدى الله ويحتمل أن يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله أعلمهم يرجعون وقوله ولا تؤمنوا من كلام الله تعالى ثبت به قلوب المؤمنين لثلاثاً يشكوا عند تلبس اليهود وتزويرهم في دينهم يقول الله عز وجل ولا تصدقوا بامعش المؤمنين إلا لمن تبع دينكم ولا تصدقوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الدين والفضل ولا تصدقوا أن يحاجوكم عند ربكم أو يقدروا على ذلك فان الهدي هدى الله وإن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء والله واسع عليم فتكون الآية كلها خطاباً للمؤمنين

قول اليهود يقول بعضهم لبعض ولا تؤمنوا أي ولا تصدقوا إلا لمن تبع دينكم أي وافق ما تدكم النبي أنتم عليها وهي اليهودية واللام في لمن صلة كقوله ردت لكم أي ردكم (قل إن الهدي هدى الله) أي إن الدين دين الله والبيان بيانه وهذا خبر من الله تعالى ثم اختلفوا فيه فمنهم من قال هذا كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الأول وهو إخبار عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعنى الآية ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والحكمة والكتاب والآيات من خلق البحر وإنزال المن والسلوى عليكم وغير ذلك من الكرامات ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم لأنكم أصح ديناً منهم فلما أخبر الله تعالى عن اليهود بذلك قال في أثناء ذلك قل إن الهدي هدى الله والمعنى أن الذي أنتم عليه إنما صار ديناً بحكم الله وأمره فإذا أمر بدين آخر وجب اتباعه والافتقار لحكمه لأنه هو الذي هدى إليهم وأمر به وقيل معناه قل لهم يا محمد إن الهدي هدى الله وقد جئتكم به ولن ينفعكم في دفعه هذا الكيد الضعيف وقرأ الحسن والأعمش إن يؤتى بكسر الألف فيكون قول اليهود تاماً عند قوله إلا لمن تبع دينكم وما بعده من قول الله تعالى والمعنى قل يا محمد إن الهدي هدى الله (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) وتكون أن بمعنى الجحد أي ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم بأمة محمد من الدين والهدى (أو يحاجوكم عند ربكم) يعني إلا أن يحاجوكم أي اليهود بالباطل فيقولوا نحن أفضل منكم وقوله عند ربكم أي عند فعل ربكم وقيل أوفى قوله أو يحاجوكم بمعنى حتى ومعنى الآية ما أعطى الله أحداً مثل ما أعطيتم بأمة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرأ ابن كثير أن يؤتى بالمد على الاستفهام وحينئذ يكون في الكلام اختصار تقديره أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم بامعش اليهود من الكتاب والحكمة فتحسدونه ولا يؤمنون به هذا قول قتادة والربيع قالوا هذا من قول الله تعالى قل يا محمد إن الهدي هدى الله لأن أنزل كتاباً مثل كتابكم وبعث نبياً مثل نبيكم حسدتموه وكفرتهم به قل إن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء وقوله أو يحاجوكم على هذه القراءة رجوع إلى خطاب المؤمنين وتكون أو بمعنى إن لأنها حرفا شرط وجزاء يوضع أحدهما موضع الآخر والمعنى وأن يحاجوكم بامعش المؤمنين عند ربكم قل يا محمد إن الهدي هدى الله ونحن عليه ويحتمل أن يكون الجميع خطاباً للمؤمنين ويكون نظم الآية أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم بامعش المؤمنين فان حسدكم فقل إن الفضل بيد الله فان حاجوكم فقل إن الهدي هدى الله ويحتمل أن يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله أعلمهم يرجعون وقوله ولا تؤمنوا من كلام الله تعالى ثبت به قلوب المؤمنين لثلاثاً يشكوا عند تلبس اليهود وتزويرهم في دينهم يقول الله عز وجل ولا تصدقوا بامعش المؤمنين إلا لمن تبع دينكم ولا تصدقوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الدين والفضل ولا تصدقوا أن يحاجوكم عند ربكم أو يقدروا على ذلك فان الهدي هدى الله وإن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء والله واسع عليم فتكون الآية كلها خطاباً للمؤمنين

ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم (أو يحاجوكم عند ربكم) يعني إلا أن يحادلكم اليهود بالباطل فيقولوا نحن أفضل منكم فقوله عز وجل عند ربكم أي عند فعل ربكم بكم وهذا معنى قول سعيد بن جبير والحسن والكلبي ومقاتل وقال القراء ويجوز أن يكون أو بمعنى حتى كما يقال تعلق به أو يعطيك حقتك ومعنى الآية ما أعطى أحد مثل ما أعطيتم بأمة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرأ ابن كثير أن يؤتى بالمد على الاستفهام وحينئذ يكون فيه اختصار تقديره

أن يؤتى أحد ما أوتيتهم بامعشر اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونه ولا تؤمنون به هذا قول قتادة والربيع فالأهل هذا من قول الله تعالى يقول قل لهم يا محمد إن الهدى هدى الله بأن أنزل كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا حسدتموه وكفرتم به (قل إن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء والله واسع عليم) قوله أو يحاجوكم على هذه القراءة رجوع إلى خطاب المؤمنين وتكون أو بمعنى إن لأيهما حرقا شرط وجزاء يوضع أحدهما موضع الآخر أي لو أن يحاجوكم بامعشر المؤمنين عند ربكم فقل يا محمد إن الهدى هدى الله ونحن عليه ويجوز أن يكون الجميع خطابا للمؤمنين ويكون نظم الآية أن يؤتى أحدهما ما أوتيتهم بامعشر المؤمنين حسدوكم فقل إن الفضل بيد الله وإن حاجوكم فقل إن الهدى هدى الله ويجوز أن يكون الخبر عن اليهود قدم عند قوله لعلمهم يرجعون وقوله تعالى ولا تؤمنوا من كلام الله (٣٦٨) يثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم

عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا ولا يشكوا وقوله تعالى (قل إن الفضل) يعني قل لهم يا محمد إن التوفيق للإيمان والهابة للإسلام (بيد الله) أي أنه مالك له وقادر عليه دونكم ودون سائر خلقه (يؤتية من يشاء) يعني الفضل الذي هو دين الإسلام يعطيه من يشاء من عباده ويوفق له من أراد من خلقه وفيه تكذيب لليهود في قولهم أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتهم فقال الله تعالى ردا عليهم قل لهم ليس ذلك إليهم وإنما الفضل بيد الله يؤتية من يشاء وأصل الفضل في اللغة الزيادة وأكثر ما يستعمل في زيادة الإحسان والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير (والله واسع) أي ذو سعة يتفضل على من يشاء (عليم) أي بمن يتفضل عليه وهو للفضل أهل (يختص برحمته) يعني بنبوته ورسالته وقيل بدينه الذي هو الإسلام وقيل بالقرآن (من يشاء) يعني من خلقه وفيه دليل على أن النبوة لا تحصل إلا بالاختصاص والفضل لا بالاستحقاق لأنه تعالى جعلها من باب الاختصاص وللفاعل أن يفعل ما يشاء إلى من يشاء بغير استحقاق (والله ذو الفضل العظيم) قوله عز وجل (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك) الآية زلت في اليهود أخبر الله عز وجل أن فيهم أمانة وخيانة وقسمهم قسمين والقنطار عبارة عن المال الكثير والدينار عبارة عن المال القليل يقول منهم من يؤد الأمانة وإن كثرت مثل عبدالله بن سلام وأصحابه ومنهم من لا يؤديها وإن قلت وهم كفار أهل الكتاب مثل كعب بن الأشرف وأصحابه قال ابن عباس في هذه الآية أودع رجل من قريش عبد الله بن سلام ألفا ومائتي أوقية من ذهب فأداها إليه فذلك قوله تعالى (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك) يعني فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فخانه وجحدته ولم يؤده إليه وقيل أهل الأمانة هم النصارى وأهل الخيانة هم اليهود لأن مذهبهم أن يجل قتل من خالفهم في أمر الدين وأخذ ماله بأي طريق كان (إلا مادمت عليه قائما) قال ابن عباس يريد تقوم عليه وتطالبه بالإلحاح والخصومة والملازمة وقيل معناه إلا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه متوكلا

في دينهم ويقول لا تصدقوا بامعشر المؤمنين إلا لمن اتبع دينكم ولا تصدقوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتهم من العلم والدين والفضل ولا تصدقوا أن يحاجوكم في دينكم عند ربكم أي يفتروا على ذلك فإن الهدى هدى الله وإن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء والله واسع عليم فتكون الآية كلها خطابا لله للمؤمنين عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا قوله (يختص برحمته) أي بنبوته (من يشاء والله ذو الفضل العظيم) قوله تعالى (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك) الآية زلت في اليهود ، أخبر الله تعالى أن فيهم أمانة وخيانة والقنطار عبارة

عن المال الكثير والدينار عبارة عن المال القليل يقول منهم من يؤدى الأمانة وإن كثرت ومنهم من لا يؤديها عليه وإن قلت قال مقاتل ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك هم مؤمنوا أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك) يعني كفار اليهود ككعب بن الأشرف وأصحابه وقال جويرير عن الضحاك عن ابن عباس في قوله عز وجل (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك) يعني عبد الله بن سلام أودعه رجل ألفا ومائتي أوقية من ذهب فأداها إليه ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك يعني فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فخانه قوله يؤده إليك قرأ أبو عمرو وأبو بكر وحزمة يؤده ولا يؤده ونصله ونوته ونوله ساكنة الهاء قرأ أبو جعفر وقالون ويعقوب بالاختلاس كسرا والباقون بالإشباع كسرا فن سكن الهاء قال لأنها وضعت في موضع الجزم ، وهو الباء الذاهبة ومن اختلس فاكتفى بالكسرة عن الباء ومن أشبع فعلى الأصل لأن الأصل في الهاء الأشباع (إلا مادمت عليه قائما)

قال ابن عباس ملحا يريد يقوم عليه يطالبه بالإلحاح وقال الضحاك مواظبا أي تواظب عليه بالافتضاء وقيل أراد أودعته ثم استرجعته وأنت قائم على رأسه لم تفارقه رده إليك فإن فارقته وأخرته أنكره ولم يؤده (ذلك) أي ذلك الاستحلال والحياة (بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل) أي في مال العرب إنهم وخرج كقوله تعالى «لما على الخسنيين من سبيل» وذلك أن اليهود قالوا أموال العرب حلال لنا لأنهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم في كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم وقال الكلبي قالت اليهود إن الأموال كلها كانت لنا فما في يد العرب منها فهو لنا وإنما ظلمونا وغصبونا فلا سبيل علينا في أخذنا إياه منهم وقال الحسن وابن جريج ومقاتل بايع اليهود رجالا من المسلمين في الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم بقية أموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لأنكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا (٣٦٩) وبينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك

في كتابهم فكذبهم الله عز وجل وقال عز من قائل (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) ثم قال ردا عليهم (بلى) أي ليس كما قالوا بل عليهم سبيل ثم ابتداء فقال (من أوفى) أي ولكن من أوفى (بعهده) أي بعهد الله الذي عهد إليه في التوراة من الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن وأداء الأمانة وقيل الهاء في عهده راجعة إلى الموفى (واتقى) الكفر والخيانة ونقض العهد (فإن الله يحب المتقين) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل

عليه بالمطالبة له والتعنيف بالرفع إلى الحاكم وإقامة البيعة عليه وقيل أراد أنه إن أودعته شيئا ثم استرجعته منه في الحال وأنت قائم على رأسه لم تفارقه رده عليك وإن أخرت استرجاع ما أودعته وأنكره ولم يرده عليك (ذلك) أي سبب ذلك الاستحلال والحياة (بأنهم قالوا) يعني اليهود (ليس علينا في الأميين سبيل) يعني أنهم يقولون ليس علينا إنهم ولا حرج في أخذ مال العرب وذلك أن اليهود قالوا أموال العرب حلال لنا لأنهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم في كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم وقيل إن اليهود قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه والحلق لنا عبيد فلا سبيل علينا إذا أكلنا أموال عبيدنا وقيل أنهم قالوا إن الأموال كلها كانت لنا فما في يد العرب فهو لنا وإنما هم ظلمونا وغصبوها منا فلا سبيل علينا في أخذها منهم بأي طريق كان وقيل إن اليهود كانوا يبايعون رجالا من المسلمين في الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم بقية أموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لأنكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم فكذبهم الله تعالى فقال (ويقولون على الله الكذب) يعني اليهود (وهم يعلمون) يعني أنهم كاذبون ثم إنه تعالى رد على اليهود قولهم فقال (بلى) أي ليس الأمر كما قالوا بل عليهم سبيل ولفظة بلى تجرد نفي ما قبلها فعلى هذا يحسن الوقوف عليها ثم يتبدى من أوفى أي ولكن (من أوفى بعهده) أي بعهد الله الذي عهد إليه في التوراة من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الذي أنزل عليه وبأداء الأمانة إلى من اتتمنه عليها وقيل الهاء في قوله بعهده راجعة إلى الموفى (واتقى) يعني الكفر والخيانة ونقض العهد (فإن الله يحب المتقين) يعني الذين يتقون الشرك (ق) عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا اتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر وفي رواية إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر. قوله عز وجل (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) قال عكرمة نزلت هذه الآية في أخبار اليهود ورؤسائهم

(٤٧ - خازن بالبغوي - أول)

أنا قبيصة بن عقبة أنا سفيان عن الأعمش عن عبد الله ابن مرة عن مسروق عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا اتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر» قوله تعالى (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) قال عكرمة نزلت في رؤس اليهود كتموا ما عهد الله إليهم في التوراة في شأن محمد ﷺ وهدلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا أنه من عند الله لئلا يفوتهم المآكل والرشا التي كانت لهم من أتباعهم أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو عوافة عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ من حلف على يمين صبر يقتطع بها «مال امرئ» مسلم لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان، فأنزل الله تعالى تصديق ذلك «إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا» إلى آخر الآية فدخل الأشعث بن

فبئس فقال ما يحدثكم أبو عبد الرحمن فقالوا كذا وكذا فقال في أنزلت كانت لي بئر في أرض ابن عم لي فأنبت رسول الله ﷺ
فحدثته فقال هات بينك أو يمينة قلت إذا يحلف عليها يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين
صبر وهو فيها فاجر يقطع بها مال امرئ مسلم لئى الله يوم القيامة وهو عليه غضبان، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر
ابن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودى أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا قتيبة بن سعيد، أنا أبو
الأحوص عن سماك بن حرب عن علقمة بن والى بن حجر عن أبيه قال جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة إلى النبي
فقال الحضرمي يا رسول الله إن هذا (٣٧٠) قد غلبني على أرض لي كانت لأبي فقال الكندي هي أرضي في يدي

أبي رافع وكنانة بن أبي الخثيم وكعب بن الأشرف وحي بن أخطب الذين كذبوا ما عهد الله إليهم
في التوراة في شأن محمد صلى الله عليه وسلم فبدلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا أنه من عند الله
لثلاثونهم الرشا والمآكل التي كانوا يأخذونها من أتباعهم وسفقتهم وقيل نزلت في ادعاء اليهود
الذين قالوا إنه ليس علينا في الأميين سبيل وكتبوا ذلك بأيديهم وحلفوا أنه من عند الله وقيل نزلت
في الأشعث بن قيس ونخصم له (ق) عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
«من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لئى الله وهو عليه غضبان» قال عبد الله ثم قرأ عينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله عز وجل «إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا
قليلاً» إلى آخر الآية وفي رواية «قال من حلف على يمين صبر يقطع بها مال امرئ مسلم لئى الله وهو
عليه غضبان فأنزل الله تصديق ذلك إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلاً الآية فدخل
الأشعث بن قيس الكندي فقال ما يحدثكم أبو عبد الرحمن قلنا كذا وكذا فقال صدق في نزلت
كان بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمتنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم شاهدك أو يمينة قلت إنه إذا يحلف لا يئى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حلف على يمين صبر يقطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لئى الله وهو عليه غضبان ونزلت
إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلاً إلى آخر الآية وأخرجه الترمذي وأبو داود وقالوا
إن الحكومة كانت بين الأشعث وبين رجل يهودى وقيل نزلت هذه الآية في رجل أقام سلعة
في السوق فحلف لقد أعطى بها مالم يعطه (خ) عن عبد الله بن أبي أوفى أن رجل أقام سلعة وهو
في السوق فحلف بالله لقد أعطى بها مالم يعطه ليوقع فيها رجلاً من المسلمين فنزلت إن الذين
يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلاً إلى آخر الآية وقيل الأقرب حمل الآية على الكيل فقوله
تعلى إن الذين يشترون بعهد الله يدخل فيه جميع ما أمر الله به ويدخل فيه العهود والمواثيق
المأخوذة من جهة الرسل ويدخل فيه ما يلزم الرجل نفسه من عهد وميثاق فكل ذلك من عهد
الله الذي يجب الوفاء به ومعنى إن الذين يشترون يستبدلون بعهد الله يعنى الأمانة وأيمانهم يعنى
الكاذبة ثمنا قليلاً يعنى شيئاً يسيراً من حطام الدنيا وذلك لأن المشتري يأخذ شيئاً ويعطى شيئاً

أزرها ليس له فيها حق
فقال النبي صلى الله عليه
وسلم للحضرمي ألك يمينة
قال لا قال فلاك يمينة
قال يا رسول الله إن
الرجل فاجر لا يئى على
ما حلف عليه قال ليس
لك منه إلا ذلك فانطلق
ليحلف فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما أدرا
أما لئن حلف على ماله
ليأكله ظلماً لياقين
الله وهو عنه معرض
ورواه عبد الملك بن عمير
عن علقمة بن قيس هو امرؤ
القيس بن عابس الكندي
ونخصمه ربيعة بن عبدان
ودوى لما هم أن يحلف
نزلت هذه الآية فامتنع
امرؤ القيس أن يحلف
وأقر لخصمه حقه ودفعه
إليه أخبرنا أبو الحسن
محمد بن محمد السرخسي
أخبرنا زاهر بن أحمد

السرخسي أنا أبو مصعب عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن سعيد بن كعب عن
أخيه عبد الله بن كعب بن مالك عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله
عليه الجنة وأوجب له النار قالوا وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله قال وإن كان قضيياً من أراك قالها ثلاث مرات أخبرنا
عبد الواحد بن أحمد الملبحي أنا أحمد بن عبد الله التميمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمرو بن محمد أنا هشام بن
محمد أنا العوام بن حوشب عن إبراهيم بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبي أوفى أن رجلاً أقام سلعة وهو في السوق فحلف
بالله لقد أعطى بها مالم يعط ليوقع فيها رجلاً من المسلمين فنزلت «إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلاً» قوله
تعلى إن الذين يشترون أى يستبدلون بعهد الله وأراد الأمانة وأيمانهم الكاذبة ثمنا قليلاً أى شيئاً قليلاً من حطام الدنيا

(أولئك لا خلاق لهم) لأنصيب لهم (في الآخرة) ونعيمها (ولا يكلمهم الله) كلاما بنفعهم ويسرهم وقيل هو بمعنى الغضب كما يقول الرجل إني لا أكلم فلانا إذا كان غضب عليه (ولا ينظر إليهم يوم القيامة) أي لا يرحمهم ولا يحسن إليهم ولا ينيلهم خيرا (ولا يزكّيهم) أي لا يثني عليهم بالجليل ولا يطهرهم من الذنوب (ولهم عذاب أليم) أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد القارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا محمد بن جعفر عن شعبة عن علي بن مدرك عن أبي زرعة عن خرشة ابن الحر عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي (٣٧١) قال ثلاث لا يكلمهم

الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم قال قرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات فقال أبو ذر خابوا وخسروا من هم يارسول الله قال: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب وفي رواية المسبل إزاره أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أسيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي أنا أبو نصر محمد بن حمدويه المروزي أنا حمود بن آدم المروزي أنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم: رجل حلف يمينا على مال مسلم فاقطعه ورجل حلف على يمين بعد صلاة العصر

فكل واحد من يعطى والمأخوذ ثمنا للآخر فهذا معنى الشراء (أولئك) يعني من هذه صفتهم (لا خلاق لهم في الآخرة) أي لأنصيب لهم في الآخرة ونعيمها وجميع منافعها (ولا يكلمهم الله) يعني كلاما يسرهم به أو بنفعهم وقيل هو بمعنى الغضب (ولا ينظر إليهم يوم القيامة) أي لا يرحمهم ولا يحسن إليهم ولا ينيلهم خيرا (ولا يزكّيهم) أي ولا يطهرهم من الذنوب ولا يثني عليهم بجليل (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم: رجل حلف على سلعته لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقطع بها مال امرئ مسلم ورجل منع فضل ماله فيقول الله له اليوم أمنعتك فضلي كما منعت فضل مالم تعمل يدك (م) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم قال قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقلت خابوا وخسروا من هم يارسول الله قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب والمنان ما أعطى والمسبل إزاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب (م) عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار فقالوا يارسول الله وإن كان شيئا يسيرا قال وإن كان قضيبا من أراك قوله عز وجل (ولأن منهم) يعني من اليهود (لفريقا) يعني طائفة وجه اعقوهم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحبي بن أخطب وأبو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر (بلوون) أي يعطفون ويميلون وأصل اللى القتل من قولك لويت يده إذا فتنها (أستنتهم بالكتاب) يعني بالتحريف والتغيير والتبديل وتحريف الكلام تقليبه عن وجهه لأن المحرف يلوى لسانه عن سنن الصواب بما يأتي به من عند نفسه قال الواحدى ويحتمل أن يكون المعنى يلوون بأستنتهم الكتاب لأنهم يحرفون الكتاب عما هو عليه بأستنتهم فيأتون به على القلب ونقل الإمام فخر الدين عن الفصالح قال يلوون بأستنتهم معناه أن يعدلوا إلى اللفظة فيحرفونها في حركات الإعراب تحريفا يتغير به المعنى وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية فلما فعلوا ذلك في الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة كان ذلك هو المراد من قوله يلوون بأستنتهم بالكتاب وقيل إنهم غيروا صفة النبي ﷺ من التوراة وبدلوها وآية الرجم وغير ذلك مما بدلوها وغيروا (لتحسيوه من الكتاب) يعني لتظنوا أن الذي حرفوه وبدلوه من الكتاب الذي أنزله الله أنبيائه (وما هو الكتاب) يعني ذلك الذي يزعمون أنه من الكتاب ما هو منه (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) يعني

أنه أعطى بسلعته أكثر مما أعطى وهو كاذب ورجل منع فضل ماله فان الله تعالى يقول اليوم أمنعتك فضلي كما منعت فضل مالم تعمل يدك قوله تعالى (وإن منهم لفريقا) يعني من أهل الكتاب لفريقا أي طائفة وهم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحبي بن أخطب وأبو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر (يلوون بأستنتهم بالكتاب) أي يعطفون بالتحريف والتغيير وهو ما غيروا من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغير ذلك يقال لوى لسانه عن كذا أي غيره (لتحسيوه) أي لتظنوا ما حرفوا (من الكتاب) الذي أنزله الله تعالى (وما هو من الكتاب) ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله

ويقولون على الله الكذب عمدا (وهم يعلمون) أنهم كاذبون وقال الضحاك عن ابن عباس أن الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك أنهم حرفوا التوراة والإنجيل وألحقوا بكتاب الله ما ليس منه قوله تعالى (ما كان لبشر أن يؤتية الله الكتاب) الآية قال مقاتل والضحاك ما كان لبشر يعني عيسى عليه السلام وذلك أن نصارى نجران كانوا يقولون إن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربا فقال تعالى ما كان لبشر يعني عيسى أن يؤتية الله الكتاب أى القرآن وذلك أن أبا رافع القرظي من اليهود والرئيس من نصارى أهل عمدا أن يؤتية الله الكتاب (٣٧٢)

نجران قالوا يا محمد تريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله أن أمر بعبادة عمر الله وما بذلك أمرني الله وما بذلك بعثني فأنزله الله تعالى هذه الآية ما كان لبشر أى ما ينبغي لبشر كقوله تعالى ما يكون لنا أن نتكلم بهذا أى ما ينبغي لنا والبشر جميع بنى آدم لا واحد له من لفظه كالقوم والجيش ووضع موضع الواحد والجمع أن يؤتية الله الكتاب (والحكم) الفهم والعلم وقيل إمضاء الحكم عن الله عز وجل (والنبوة) الميزة الرفيعة بالأنبياء (ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا) أى ولكن يقول كونوا (ربانيين) اختفوا فيه قال علي وابن عباس والحسن كونوا فقهاء علماء وقال قتادة حكما وعلماء وقال سعيد بن جبير العالم الذى

الذى يقولونه ويغيرونه وإنما كرر هذا بلفظين مختلفين مع اتحاد المعنى لأجل التأكيذ (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) يعنى أنهم كاذبون وقال ابن عباس إن الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك أنهم حرفوا التوراة والإنجيل وألحقوا في كتاب الله ما ليس فيه . قوله عز وجل (ما كان لبشر أن يؤتية الله الكتاب الحكم والنبوة) قيل إن نصارى نجران قالوا أن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربا فقال الله تعالى ردا عليهم ما كان لبشر يعنى عيسى عليه السلام أن يؤتية الله الكتاب يعنى للإنجيل وقال ابن عباس في قوله تعالى ما كان لبشر يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم أن يؤتية الله الكتاب يعنى القرآن وذلك إن أبا رافع من اليهود والسيد من نصارى نجران قالوا يا محمد تريد أن نعبدك ونتخذك ربا قال معاذ الله إن أمر بعبادة غير الله وما بذلك أمرني الله وما بذلك بعثني فأنزله الله هذه الآية ما كان لبشر أى ما ينبغي لبشر وهو جميع بنى آدم لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط ووضع موضع الواحد والجمع أن يؤتية الله الكتاب والحكم يعنى الفهم والعلم وقيل هو إمضاء الحكم من الله تعالى والنبوة يعنى الميزة الرفيعة (ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) ومعنى الآية أنه لا يجمع لرجل نبوة مع القول للناس كونوا عبادا لي من دون الله وكيف يدعو الناس إلى عبادة نفسه دون الله وقد أتاه الله ما أتاه من الكتاب والحكم والنبوة وذلك أن الأنبياء موصون بصفات لا يحصل معها ادعاء الألهية والربوبية منها إن الله تعالى أتاهم الكتب السماوية ومنها إيتاء النبوة ولا يكون إلا بعد كمال العلم وكل هذه تمنع من هذه الدعوى (ولكن كونوا ربانيين) يعنى ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فأضمر القول على حسب مذهب العرب في جواز الاختيار إذا كان في الكلام ما يدل عليه واختلفوا في معنى الرباني فقال ابن عباس معناه كونوا فقهاء علماء وعنه كونوا فقهاء معلمين وقيل معناه حكماء حلما وقيل الرباني الذى يربي الناس بصغار العلم وكباره وقيل الرباني العالم الذى يعمل بعلمه وقيل الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي وقيل الرباني الذى جمع بين علم البصيرة والعلم بسياسة الناس ولما مات ابن عباس رضى الله عنهما قال محمد بن الحنفية اليوم مات رباني هذه الأمة قال سيبويه الرباني المنسوب إلى الرب بمعنى كونه عالما به ومواظبا على طاعته وزيادة الألف والنون فيه للدلالة على كمال هذه الصفة وقال المبرد الربانيون أرباب العلم واحدهم ربان وهو الذى يربي العلم ويربي الناس أى يعلمهم وينصحهم والألف والنون للمبالغة فعلى قول سيبويه الرباني منسوب إلى الرب على معنى التخصص بعرفة الرب وطاعته وعلى قول المبرد الرباني مأخوذ من التربية

يعمل بعلمه وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس فقهاء معلمين وقيل الرباني الذى يربي الناس بصغار العلم قبل كباره وقال عطاء حكما وعلماء ونصحاء لله في خاتمه قال أبو عبيدة سمعت رجلا عالما يقول الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي العارفت بالأنبياء الأمة ما كان وما يكون وقيل الربانيون فوق الأحيار والأخبار فوق العلماء والربانيون الذين جمعوا مع العلم البصائر بسياسة الناس قال المؤرخ كونوا ربانيين تدبنون لربكم من الربوبية كان في الأصل ربي فأدخلت الألف للتفخيم ثم أدخلت النون لسكون الألف كما قيل صنعاني وبهراني وقال المبرد هم أرباب العلم سموه به لأنهم يربون العلم ويقومون به ويربون المعلمين بصغار العلوم قبل كبارها وكل من قام باصلاح الشيء وإتمامه فقد ربه يربه واحدها ربان كما

الله عنه أنه قال هو الذي يربي علمه بعلمه قال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس اليوم مات ريان هذه الأمة (بما كنتم) أي بما أنتم كنتموه تعالى من كان في المهدي صبيبا أي من هو في المهدي (تعلدون الكتاب) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسافي تعلدون بالتشديد من التعليم وقرأ الآخرون تعلدون بالتخفيف من العلم كقوله (وبما كنتم تدرسون) أي نقرءون قوله (ولا يأمركم) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بن نصيب الراء عطفا على قوله ثم يقول فيكون مردودا على البشر أي ولا يأمركم على البشر وقيل على إضمار أن أي ولا أن يأمركم ذلك البشر وقيل على إضمار أن أي ولا أن يأمركم ذلك البشر وقرأ اليقون بالرفع على الاستئناف معناه ولا يأمركم الله وقال ابن جريج وجماعة ولا يأمركم محمد (أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) كفعل قریش والصائبين حيث قالوا الملائكة بنات الله

وقيل الربانيون هم ولادة الأمر والعلماء وهما الفريقان اللذان يطاعان ومعنى الآية على هذا التأويل لأدعوكم إلى أن تكونوا عبادا لي ولبيكن أدعوكم إلى أن تكونوا ملوكا وعلماء ومعلمين الناس الخير ومواظبين على طاعة الله وعبادته وقال أبو عبيدة أحسب إن هذه الكلمة ليست عربية إنما هي عبرانية أو سريانية وسواء كانت عربية أو عبرانية فهي تدل على الذي علم وعمل بما علم وعلم الناس طريق الخير . وقوله تعالى (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) أي كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين وبسبب دراستكم الكتاب فدللت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانيا فمن اشتغل بالعلم والتعليم لأجل المقصود ضاع علمه وخاب سعيه . قوله عز وجل (ولا يأمركم) قرئ بنصب الراء عطفا على قوله ثم يقول فيكون مردودا على البشر وقيل على إضمار أن أي ولا أن يأمركم وقرئ برفع الراء على الاستئناف وهو ظاهر ومعناه ولا يأمركم الله وقيل لا يأمركم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ولا يأمركم عيسى وقيل ولا يأمركم الأنبياء (أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) يعني كفعل قریش والصائبين حيث قالوا الملائكة بنات الله وكفعل اليهود والنصارى حيث قالوا في المسيح والعزير ما قالوا وإنما خص الملائكة والنبيين بالذكر لأن الذين وصفوا بعبادة غير الله عز وجل من أهل الكتاب لم يحك عنهم إلا عبادة الملائكة وعبادة المسيح وعزير فلهذا المعنى خصهم بالذكر (أيا أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) إنما قاله على طريق التعجب والإنكار يعني لا يقول هنا ولا يفعله . قوله عز وجل (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) قال الزجاج موضع إذ نصب والمعنى واذكر في أقاصيصك إذ أخذ الله وقال الطبري معناه واذكروا بأهل الكتاب إذ أخذ الله يعني حين أخذ الله ميثاق النبيين وأصل الميثاق في اللغة عقد يؤكد بيمين ومعنى ميثاق النبيين ما وثقوا به على أنفسهم من طاعة الله فيما أمرهم به ونهاهم عنه وذكروا في معنى أخذ الميثاق وجهين: أحدهما أنه مأخوذ من الأنبياء والثاني أنه مأخوذ منهم من غيرهم فلهذا السبب اختلفوا في المعنى بهذه الآية فذهب قوم إلى أن الله تعالى أخذ الميثاق من النبيين خاصة قبل أن يبلغوا كتاب الله ورسالاته إلى عباده أن يصدق بعضهم بعضا وأخذ العهد على كل نبي أن يؤمن بمن يأتي بعده من الأنبياء وينصره إن أدركه وإن لم يدركه أن يأمر قومه بنصرته إن أدركوه فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى ومن عيسى أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وهذا قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس وقيل إنما أخذ الميثاق من النبيين في أمر محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وهو قول علي وابن عباس وقتادة والسدي فعلى هذا القول اختلفوا فقيل إنما أخذ الله الميثاق على أهل الكتاب الذين أرسل إليهم النبيين ويدل عليه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وإنما كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم مبعوثا إلى أهل الكتاب دون النبيين وإنما أطلق هذا اللفظ عليهم لأنهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لأننا أهل كتاب والنبيون منا وقيل أخذ الله الميثاق على النبيين وأممهم جميعا في أمر محمد صلى الله عليه وسلم فاكتفى بذكر الأنبياء لأن العهد مع المتبوع عهد مع الأتباع وهو قول ابن عباس قال علي بن أبي طالب ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأخذ هو العهد على قومه ليؤمنن به ولتنبعن وهم أحياء لينصرنه وقيل إن المراد من الآية أن الأنبياء كانوا يأخذون العهد والميثاق على أمتهم

بعد إذ أنتم مسلمون) قاله على طريق التعجب والإنكار يعني لا يقول هذا قوله عز وجل (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين

لما أتيتكم من كتاب وحكمة (قرأ حذرة لما يكسر اللام وقرأ الآخرون بفتحها فن كسر اللام فهي لام الإضافة دخلت على ما الموصولة ومعناه الذي يريد للذي أتيتكم أي أخذ ميثاق النبيين لأجل الذي أتاهم من الكتاب والحكمة وأنهم أصحاب الشرائع ومن فتح اللام فمعناه الذي أتيتكم بمعنى الخبر وقبل بمعنى الجزاء أي لئن أتيتكم ومهما أتيتكم وجواب الجزاء قوله لتؤمنن به قوله لما أتيتكم قرأ نافع وأهل المدينة أتيناكم على التعظيم كما قال وأتينا داود زبوراً وأتينا الحكم صيباً وقرأ الآخرون بالتاء لموافقة الخط ولقوله وأنا معكم واختلفوا في المعنى بهذه الآية فذهب قوم إلى أن الله تعالى أخذ الميثاق على النبيين خاصة أن يبلغوا كتاب الله ورسائله إلى عباده وأن يصدق بعضهم بعضاً وأخذ العهود على كل نبي أن يؤمنن بمن يأتي بعده من الأنبياء (٣٧٤) وينصره إن أدركه فإن لم يدركه أن يأمر قومه بنصرته إن أدركه فأخذ

الميثاق من موسى أن يؤمن يعيسى ومن عيسى أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال الآخرون بما أخذ الله الميثاق منهم في أمر محمد صلى الله عليه وسلم في هذا اختلفوا فذهب من قال إنما أخذ الميثاق على أهل الكتاب الذين أرسل منهم النبيين ، وهذا قول مجاهد والربيع الأثرى إلى قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وإنما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثاً إلى أهل الكتاب دون النبيين يدل عليه أن في قراءة عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب وإنما القراءة المعروفة

بأنه إذا بعث محمداً ﷺ أن يؤمنوا به وينصروه وهذا قول كثير من المفسرين وقوله (لما أتيتكم من كتاب وحكمة) قرئ بفتح اللام من لما ويكسرهما مع التخفيف في القراءتين فن قرأ بفتح اللام قال معنى الآية وإذا أخذ الله ميثاق النبيين من أجل الذي أتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول يعني ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة لتؤمنن به للذي عندكم في التوراة من ذكره ومن قرأ بكسر اللام جعل قوله لتؤمنن به من أخذ الميثاق كما يقال أخذت ميثاقتك لتضعن لأن أخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف فكان معنى الآية وإذا استحلقت الله النبيين للذي أتاهم من كتاب وحكمة متى جاءهم رسول مصدق لما معهم ليؤمنن به ولينصرنه وقوله (ثم جاءكم رسول) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معكم) وذلك أن الله وصفه في كتب الأنبياء المتقدمة وشرح فيها أحواله فإذا جاءت صفاته وأحواله مطابقة في كتبهم المنزلة فقد صار مصدقاً لها فيجب الإيمان به والالتقياد لقوله ولما قوله (لتؤمنن به) لام القسم تقديره والله لتؤمنن به (ولتنصرنه) قال البغوي قال الله عز وجل للأنبياء حين استخراج الذرية من صلب آدم والأنبياء فيهم كالمصائب أخذ عليهم الميثاق في أمر محمد ﷺ أقررتهم وأخذتم على ذلكم إصري الآية وقال الإمام فخر الدين الرازي يحتمل أن يكون هذا الميثاق ما قرر في عقولهم من الدلائل الدالة على أن الالتقياد من الله واجب فإذا جاء رسول وظهرت المعجزات الدالة على صدقه فإذا أخبرهم بعد ذلك أن الله أمر الخلق بالإيمان به عرفوا عند ذلك وجوبه بتقرير هذا الدليل في عقولهم فهذا هو المراد من الميثاق (قال أقررتهم) يعني قال الله تعالى أقررتهم بالإيمان به والتنصر له وإن فسرنا بأن أخذ الميثاق كان على الأمم كان معناه قال كل نبي لأمة أقررتهم وذلك لأنه تعالى أضاف أخذ الميثاق إلى نفسه وإن كان النبيون أخذوه على الأمم فذلك طلب هذا الإقرار وأضافه إلى نفسه وإن وقع من الأنبياء والمقصود أن الأنبياء بالغوا في إثبات هذا الميثاق وتأكيده على الأمم وطالبوهم بالقبول وأكدوا ذلك بالإشهاد (وأخذتم على ذلكم إصري) أي عهدى والإصر العهد الثقيل وقيل سمي العهد إصرًا لأنه مما يؤصر أي يشد ويعقد

وإذا أخذ الله ميثاق النبيين فأراد إن الله أخذ ميثاق النبيين أن يأخذوا الميثاق إلى أنهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويصدقوه وينصروه إن أدركوه وقال بعضهم أراد أخذ الله الميثاق على النبيين وأمرهم جميعاً في أمر محمد ﷺ فاكتفى بذكر الأنبياء لأن العهد على المتبوع عهد على الاتباع وهذا معنى قول ابن عباس وقال علي بن أبي طالب لم يعث الله نبياً آدم ومن بعده إلا أخذ عليه الميثاق والعهد في أمر محمد وأخذ العهود على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه قوله (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم (لتؤمنن به ولتنصرنه قال) يقول الله تعالى للأنبياء حين استخراج الذرية من صلب آدم عليه السلام والأنبياء فيهم كالمصائب والشرح وأخذ منهم الميثاق في أمر محمد ﷺ (أقررتهم وأخذتم على ذلكم إصري) أي قبلتم على ذلكم العهد الثقيل

(قالوا)

(قالوا أقرنا قول الله تعالى (فاشهدوا) أي فاشهدوا أنتم على أنفسكم وعلى أتباعكم (وأنا معكم من الشاهدين) عليكم وعليهم وقال ابن عباس فشهد أي فاعلموا وقال سعيد بن المسيب قال الله تعالى للملائكة فاشهدوا عليهم كناية عن غير مذكور (فن تولى بعد ذلك) الإقرار (فأولئك هم الفاسقون) العاصون الخارجون عن الإيمان قوله عز وجل (أفغير دين الله يبغون) وذلك أن أهل الكتاب اختلفوا فادعى كل واحد أنه على دين إبراهيم عليه السلام واختصموا إلى رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ كلا الفريقين يرى من دين إبراهيم عليه السلام فغضبوا وقالوا لا أرضى بقضائك (٣٧٥) ولأن أخذ بدنياك فأنزل الله تعالى أفغير

دين الله يبغون . قرأ أهل البصرة وحفص عن عاصم يبغون بالياء لقوله تعالى وأولئك هم الفاسقون وقرأ الآخرون بالتاء لقوله تعالى لما آتيتكم (وله أسلم) خضع وانقاد (من في السموات والأرض طوعا وكرها) فالطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما كان بمشقة وإياء من النفس واختفوا في قوله طوعا وكرها . قال الحسن أسلم أهل السموات طوعا وأسلم من في الأرض بعضهم طوعا وبعضهم كرها خوفا من السيف والسبي . وقال مجاهد طوعا المؤمن وكرها ذلك الكافر بدليل والله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال وقيل على يوم الميثاق حين قال لهم ألسن بربكم

(قالوا أقرنا) أي قال النبيون أقرنا بما ألزمتنا من الإيمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من كتبك (قال فاشهدوا) يعني قال الله عز وجل للشاهدين فاشهدوا يعني أنتم على أنفسكم وقيل على أمتكم وأتباعكم الذين أخذتم عليهم الميثاق وقيل قال الله للملائكة فاشهدوا فهو كناية عن غير مذكور . وقيل معناه فاعلموا وبنوا لأن أصل الشهادة العلم والبيان (وأنا معكم من الشاهدين) يعني قال الله يامعشر الأنبياء وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعلى أتباعكم أو قال للملائكة وأنا معكم من الشاهدين عليهم (فن تولى) أي عرض عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصرته (بعد ذلك) الإقرار (فأولئك هم الفاسقون) أي الخارجون عن الإيمان والطاعة . قوله عز وجل (أفغير دين الله يبغون) وذلك أن أهل الكتاب اختلفوا فادعى كل فريق منهم أنه على دين إبراهيم عليه السلام فاختلفوا إلى النبي ﷺ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين يرى من دين إبراهيم فغضبوا وقالوا لا أرضى بقضائك ولا تأخذ بدنياك فأنزل الله أفغير دين الله الهدى للاستفهام والمراد منه الانكار والتوبيخ يعني أبعده أخذ الميثاق عليهم ووضوح الدلائل لهم أن دين إبراهيم هو دين الإسلام تبغون قرى بالتاء على خطاب الحاضر أي أفغير دين الله تطلبون يامعشر اليهود والنصارى وقرى بالياء على الغيبة ردا على قوله فن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون (وله أسلم) أي خضع وانقاد (من في السموات والأرض طوعا وكرها) الطوع الانقياد والاتباع بسهولة وانكره ما كان من ذلك بمشقة وإياء من النفس واختفوا في معنى قوله طوعا وكرها فقيل أسلم أهل السموات طوعا وأسلم بعض أهل الأرض طوعا وبعضهم كرها من خوف القتل والسبي وقيل أسلم المؤمن طوعا وانقاد الكافر كرها وقيل هذا في يوم أخذ الميثاق حين قال ألسن بربكم قالوا بلى فن سبقت له السعادة قال ذلك طوعا ومن سبقت له الشقاوة قال ذلك كرها وقيل أسلم المؤمن طوعا فنتعه إسلامه يوم القيامة والكافر يسلم كرها عند الموت في وقت اليأس فلم ينفعه ذلك في القيامة وقيل أنه لا سبيل لأحد من الخلق إلى الامتناع على الله في مراده فأما المسلم فينقاد لله فيما أمره أو نهاه عنه طوعا . وأما الكافر فينقاد لله كرها في جميع ما يقتضى عليه ولا يمكنه دفع قضائه وقدره عنه (وإليه ترجعون) قرى بالتاء والياء والمعنى أن مرجع الخلق كلهم إلى الله يوم القيامة ففيه وعيد عظيم لمن خالفه في الدنيا . قوله عز وجل (قل آمننا بالله) لما ذكر الله عز وجل في الآية المتقدمة أخذ الميثاق على الأنبياء في تصديق الرسول الذي يأتي مصدقا لما معهم بين في هذه

قالوا بلى فقال بعضهم طوعا وبعضهم كرها وقال قتادة المؤمن من أسلم طوعا فنتعه الإيمان والكافر أسلم كرها في وقت اليأس فلم ينفعه الإسلام قال الله تعالى « فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا » وقال الشعبي هو استعاضتهم به عند اضطرابهم كما قال الله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وقال الكلبي طوعا الذي واد الإسلام وكرها الذين أجبروا على الإسلام ممن يسى منهم فيجاء بهم في السلاسل (وإليه ترجعون) قرأ بالياء حنص عن عاصم ويعقوب كما قرأ يبغون بالياء وقرأ الآخرون بالتاء فيهما إلا أبو عمرو فإنه قرأ يبغون بالياء وترجعون بالتاء قال لأن الأول خاص والثاني عام لأن مرجع جميع الخلق إلى الله عز وجل قوله تعالى (قل آمننا بالله

الآية أن من صفة محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لما معهم فقال تعالى قل آمنا بالله وإنما وحده
 الضمير في قوله قل وجمع في قوله آمنا بالله لأنه إنما خاطبه بلفظ الواحد ليدل هذا الكلام على
 أنه لا يبلغ هذا التكليف عن الله تعالى إلى الخلق إلا هو ثم قال آمنا بالله تنبيها على أنه حين قال
 هذا القول وافقه أصحابه فحسن الجمع في قوله آمنا ومعنى الآية قل يا محمد صدقنا بالله أنه ربنا
 وإنه لا إله لنا غيره ولا رب سواه وإنما قدم الإيمان بالله على غيره لأنه الأصل (وما أنزل
 علينا) يعني وقل يا محمد وصدقنا أيضا بما أنزل علينا من وحيه وتنزيله وإنما قدم ذكر القرآن
 لأنه أشرف الكتب وأنه لم يجر فك ولم يبدل وغيره جرف وبدل (وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل
 وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى) إنه خص هؤلاء الأنبياء بالذكر لأن أهل
 الكتاب يعترفون بوجودهم ولم يختلفوا في نبوتهم والأسباط هم أولاد يعقوب الاثنا عشر وكانوا
 أنبياء ثم جمع جميع الأنبياء فقال (والنبيون) أي وما أوتى النبيون (من ربهم لانفرق بين أحد
 منهم) وذلك أن أهل الكتاب يؤمنون ببعض النبيين ويكفرون ببعض فأمر الله عز وجل نبيه
 محمدا صلى الله عليه وسلم أن يخبر عن نفسه وعن أمته أنه يؤمن بجميع الأنبياء . فان قلت لم
 عدى أنزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيها تقدم من مثلها في البقرة بحرف الانتهاء . قلت
 لوجود المعنيين جميعا لأن الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى الرسل فجاء تارة بأحد المعنيين
 وتارة بالمعنى الآخر (ونحن إله مسلمون) أي موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكا
 في عبادتنا . قوله عز وجل (ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) يعني أن الدين المقبول
 عند الله هو دين الإسلام وإن كل دين سواه غير مقبول عنده لأن الدين الصحيح ما يأمرك الله به
 ويرضى عن فاعله ويشيئه عليه (وهو في الآخرة من الخاسرين) يعني الذين وقعوا في الخسارة وهو
 حرمان الثواب وحصول العقاب وروى ابن جرير الطبري عن عكرمة في قوله ومن يتبع غير
 الإسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن مسلمون فقال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله
 عليه وسلم قل لهم والله على الناس حج البيت فلم يججوا . قوله عز وجل (كيف يهدي الله
 قوما كفروا بعد إيمانهم) نزلت في اثني عشر رجلا ارتدوا عن الإسلام وخرجوا من المدينة
 وأتوا مكة كفارا منهم الحارث بن سويد الأنصاري وطعمه بن أبيرق وحجوج ابن الأسلم وقال
 ابن عباس نزلت في اليهود والنصارى وذلك أن اليهود كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
 يستفتحون به على الكفار ويقولون به ويقولون قد أظل زمان نبي مبعوث فلما بعث محمد
 صلى الله عليه وسلم كفروا به بغيا وحسدا ومعنى كيف يهدي الله كيف يرشد الله للصواب
 ويوفق للإيمان قوما كفروا أي جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم أي تصدقهم
 بإياه وإقرارهم به وبما جاء به من عند ربه (وشهدوا أن الرسول حق) يعني وبعد أن أقروا وشهدوا
 أن محمدا رسول الله إلى خلقه وأنه حق وصدق (وجاءهم البينات) يعني الحجج والبراهين
 والمعجزات الدالة على صحة نبوته التي بثتها نبوة (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي
 لا يوفقهم إلى الحق والصواب لما سبق في علمه تعالى أنهم ظالمون وقيل لا يهديهم في الآخرة إلى
 الجنة والثواب وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين .
 قوما كفروا إنما هو مختص بأولئك المرتدين عن الإسلام ثم أنه تعالى عم ذلك الحكم في آخر

وما أنزل علينا وما أنزل
 على إبراهيم وإسماعيل
 وإسحاق ويعقوب
 والأسباط وما أوتى موسى
 وعيسى والنبيون من
 ربهم لانفرق بين أحد
 منهم ونحن له مسلمون)
 ذكر الملل والأديان
 واضطراب الناس فيها
 ثم أمر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أن يقول
 آمنا بالله الآية قوله
 (ومن يتبع غير الإسلام
 دينا فلن يقبل منه)
 نزلت في اثني عشر رجلا
 ارتدوا عن الإسلام
 وخرجوا من المدينة وأتوا
 مكة كفارا منهم الحارث
 بن سويد الأنصاري
 فنزلت فيهم ومن يتبع
 غير الإسلام دينا فلن
 يقبل منه (وهو في الآخرة
 من الخاسرين كيف
 يهدي الله قوما كفروا بعد
 إيمانهم) لفظه استفهام
 ومعناه جحد أي لا يهدي
 الله وقيل معناه كيف
 يهديهم الله في الآخرة إلى
 الجنة والثواب وشهدوا
 أن الرسول حق وجاءهم
 البينات والله لا يهدي
 القوم الظالمين .

اولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) وذلك أن الحارث بن سويد لما لحق بالكفار ندم فأرسل إلى قومه أن سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ففعلوا ذلك فأرسل الله تعالى: (إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم) لما كان منه فحملها إليه رجل من قومه وقرأها عليه فقال الحارث إنك والله فيما علمت لصدوق وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصدق منك وإن الله

عز وجل لأصدق الثلاثة
فرجع الحارث إلى المدينة
وأسلم وحسن إسلامه
قوله عز وجل (إن الذين
كفروا بعد إيمانهم ثم
ازدادوا كفرا) قال
قتادة والحسن نزلت
في اليهود كفروا بعيسى
عليه السلام والإنجيل
بعد إيمانهم بأنبيائهم ثم
ازدادوا كفرا محمد
صلى الله عليه وسلم
والقرآن وقال أبو العالية
نزلت في اليهود والنصارى
كفروا محمد صلى الله
عليه وسلم لما رآه بعد
إيمانهم بنعته وصفته
في كتبهم ثم ازدادوا كفرا
يعني ذنوبا في حال كفرهم
قال مجاهد نزلت في
جميع الكفار أشركوا
بعد إقرارهم بأن الله
خالقهم ثم ازدادوا كفرا
أي أقاموا على كفرهم
حتى هلكوا عليه قال
الحسن ثم ازدادوا كفرا
كلما نزلت آية كفروا
بها فازدادوا كفرا وقيل ثم
ازدادوا كفرا بقولهم
نترى بص محمد رب

آية فقال: والله لا يهدي القوم الظالمين، يعني جميع الكفار المرتدين عن الإسلام والكافر الأصلي وإنما سمي الكافر ظالما لأنه وضع العبادة في غير موضعها (أولئك جزاؤهم) يعني الذين كفروا بعد إيمانهم (أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها) أي في عذاب اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أي لا يؤخرون عن وقت العذاب لا يؤخر عنهم من وقت إلى وقت ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال (إلا الذين تابوا من بعد ذلك) يعني من بعد ارتدادهم وكفرهم وذلك آل الحارث بن سويد الأنصاري لما لحق بالكفار ندم على ذلك فأرسل إلى قومه أن سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ففعلوا ذلك فأرسل الله تعالى إلى الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الآية فبعث بها إليه أخوه الجلوس مع رجل من قومه فأقبل إلى المدينة ثانيا وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن إسلامه (وأصلحوا) أي وضوا إلى التوبة الأعمال الصالحة فينبى أن التوبة وحدها لا تنفي حتى يضاف إليها العمل الصالح وقيل معناه وأصلحوا بإيمانهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات والطاعات (فإن الله غفور رحيم) أي غفور لقبائهم في الدنيا بالستر رحيم في ذنوبهم بالغفو وقيل غفور بإزالة العذاب رحيم بإعطاء الثواب. قوله عز وجل (إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن نقبل توبتهم) نزلت في اليهود وذلك أنهم كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى وغيره من أنبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعني كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت في اليهود والنصارى وذلك أنهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما رآه بعد إيمانهم به قبل مبعثه لما ثبت عندهم من نعته وصفته في كتبهم ثم ازدادوا كفروا يعني ذنوبا في حال كفرهم وقيل نزلت في جميع الكفار وذلك أنهم أشركوا بالله بعد إقرارهم بأن الله خالقهم ثم ازدادوا كفرا يعني باقائهم على كفرهم حتى هلكوا عليه وقيل زيادة كفرهم هو قولهم نترى بص محمد رب المنون وقيل نزلت في أحد عشر رجلا من أصحاب الحارث بن سويد الذين ارتدوا عن الإسلام فلما رجع الحارث إلى الإسلام أقاموا على كفرهم بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما بدالنا ومتى أردنا الرجعة ينزل فينا مثل ما نزل في الحارث فلما فتح رسول الله ﷺ مكة فن دخل منهم في الإسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم على كفره إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية. فان قلت قد وعد الله قبول التوبة ممن تاب فما يعني قوله لن نقبل توبتهم. قلت اختلف المفسرون في معنى قوله لن نقبل توبتهم فقال الحسن وعطاء وقتادة والسدي لن نقبل توبتهم حين يحضرهم الموت وهو وقت الحشرجة لأن الله تعالى قال «وليس التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال أني تبت الآن» فان الذي يموت على الكفر لا تقبل توبته كأنه قال أن اليهود أو الكفار أو المرتدين الذين فعلوا

(٤٨ - خازن بالبعوى - أول) المنون قال الكلبي نزلت في أحد عشر من أصحاب الحارث بن سويد

لما رجع الحارث إلى الإسلام أقاموا على الكفر بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما بدالنا فأتى أردنا الرجعة نزل فينا ما نزل في الحارث فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فن دخل منهم في الإسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم كافرا إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية فان قيل قد وعد الله قبول توبة من تاب فما معنى قوله (لن نقبل توبتهم)

وأولئك هم الضالون) قيل لن تقبل توبتهم إذا رجعوا في حال المعاينة كما قال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن وقيل هذا في أصحاب الحارث بن سويد حيث أعرضوا عن الإسلام وقالوا نترهبس بمحمد ريب المنون فان ساعده الزمان يرجع إلى دينه لن تقبل توبتهم لن يقبل ذلك لأنهم مترهبون غير محققين وأولئك هم الضالون قوله عز وجل (٢٧٨) (إن الذين كفروا وماتوا وهم كافرين لن يقبل من أحدهم ملء الأرض) أي

ما فعلوا ثم ماتوا على ذلك لن تقبل توبتهم وقال ابن عباس أنهم الذين ارتدوا وعزموا على إظهار التوبة لستر أحوالهم والكفر في ضمائرهم وقال أبو العالية هم قوم تابوا من ذنوب علموها في حال للشرك ولم يتوبوا من الشرك فان توبتهم في حال الشرك غير مقبولة وقال مجاهد لن تقبل توبتهم إذا ماتوا على الكفر وقال ابن جرير الطبري معنى لن تقبل توبتهم أي مما زادوا من الكفر على كفرهم بعد إيمانهم لأن الله تعالى لما وعد أن يقبل التوبة عن عباده وأنه قابل توبة كل تائب من كل ذنب لقوله تعالى «إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم» علم أن المعنى الذي لا يقبل التوبة منه غير المعنى الذي يقبل التوبة منه فعلى هذا فالذي لا يقبل التوبة منه هو الإزداد على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله منه توبة ما أقام على كفره لأن الله تعالى لا يقبل عمل مشرك ما أقام على شركه فاذا تاب من شركه وكفره وأصلح فان الله كما وصف نفسه غفور رحيم. وقوله تعالى (وأولئك هم الضالون) يعني هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم ثم زادوا كفرا وهم الذين ضلوا عن سبيل الحق وأخطؤوا منهجه. قوله عز وجل (إن الذين كفروا وماتوا وهم كافرين) قال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل من كان من أصحاب الحارث بن سويد حبا في الإسلام فنزلت هذه الآية فيمن مات منهم على الكفر وقيل نزلت فيمن مات كافرا من جميع أصناف اليهود والنصارى وعبدة الأصنام فالآية عامة في جميع من مات على الكفر (فلن يقبل أحدهم ملء الأرض ذهابا) أي قدر ما مملأ الأرض من شرقها إلى غربها (ولو افتدى به) قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة وقيل الواو على حافها وفائدتها أنها للعطف والتقدير لو تقرب إلى الله بملء الأرض ذهابا وقد مات على كفره لم ينفعه ذلك وكلما لو افتدى من العذاب بملء الأرض ذهابا لن يقبل منه وهذا أكد في التغليب لأنه تصرح بنفي القبول من جميع الوجوه. فان قلت الكافر لا يملك شيئا في الآخرة فما وجه قوله فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهابا قلت الكلام ورد على سبيل الفرض والتقدير والمعنى لو أن للكافر قدر ملء الأرض ذهابا يوم القيامة لبدله في تخليص نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على شيء من ذلك وقيل معناه لو أن الكافر أنفق في الدنيا ملء الأرض ذهابا ثم مات على كفره لم ينفعه ذلك لأن الطاعة مع الكفر غير مقبولة (أولئك) إشارة إلى من مات على الكفر (لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) يعني مانعين يمنعونهم من العذاب (ق) عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك مافي الأرض جميعا من شيء أكنت تقدي به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من ذلك وأنت في صلب آدم أن لا تشرك في شيئا فأبيت إلا أن تشرك في قوله تعالى (لن تتألموا) قال ابن عباس يعني الجنة وقيل البر هو التقوى وقيل

قدر ما مملأ الأرض من شرقها إلى غربها (ذهبا) نصب على التفسير كفوقهم عشرون درهما (ولو افتدى به) قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة (أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن بشر أخبرنا شعبة عن أبي عمران قال سمعت أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال يقول الله لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة أرأيت لو أن لك مافي الأرض جميعا من شيء أكنت تقدي به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من ذلك وأنت في صلب آدم أن لا تشرك في شيئا فأبيت إلا أن تشرك في قوله تعالى (لن تتألموا)

(البر) يعني الجنة قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقال مقاتل

هو ابن حيان التقوى وقيل الطاعة وقيل الخير وقال الحسن لن تكونوا أبرارا أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا أبو بكر أحمد ابن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن حماد الصالحي قال أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق عن عهد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عليكم بالصدق فان الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال

الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا قوله تعالى (حتى تنفقوا مما تحبون) أي من أحب أموالكم إليكم روى الضحاك عن ابن عباس أن المراد منه أداء الزكاة وقال مجاهد والكلمة هذه الآية نسختها آية الزكاة وقال الحسن كل إنفاق يتبغى به المسلم وجه الله حتى التمره ينال به هذا البر وقال عطاء (٣٧٩) لن تنالوا البر أي شرفه إلا

والتقوى حتى تتصدقوا وأنتم أصحاب الأنبياء أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول كان أبو طلحة الأنصاري أكثر الأنصار بالمدينة مالا وكان أحب ماله إليه يبرحا وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس فلما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن الله تعالى يقول في كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وإن أحب أموالى إلى بربها وإنها صدقة لله أرجو برها وذخريها عند الله فضعها يارسول الله

هو الطاعة وقيل معناه لن تنالوا حقيقة البر ولن تكونوا أبرار حتى تنفقوا مما تحبون وقيل معناه لن تنالوا بر الله وهو ثوابه وأصل البر التوسع في فعل الخير يقال بر العبد ربه أي توسع في طاعته قاله من الله الثواب ومن العبد الطاعة وقد يستعمل في الصدق وحسن الخلق لأنهما من الخير المتوسع فيه (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الصدق يهدي إلى البر وأن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإن المكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا (م) عن النواص بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس منك فعل هذا يكون المعنى عيبكم بالأعمال الصالحة حتى تكونوا أبرارا وتدخلوا في زمرة الأبرار ومن قال إن لفظ البر هو الجنة فقال معنى الآية لن تنالوا ثواب البر المؤدى إلى الجنة (حتى تنفقوا مما تحبون) يعني من جيد أموالكم أنفسها عندكم قال الله تعالى ولا تبهموا الخبيث منه تنفقون وقيل هو أن تنفق من مالك ما أنت محتاج إليه قال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (ق) عن أبي هريرة قال أتى رسول الله ﷺ رجل فقال يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال إن تصدقت وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وأمل الغنى ولا تهمل حتى إذا بلغت الخلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا إلا وقد كان واختلفوا في هذا الإتيان قال ابن عباس هو الزكاة المفروضة والمعنى لن تنالوا حتى تنحجوا زكاة أموالكم فعلى هذا القول قيل إن الآية منسوخة بآية الزكاة وفيه بعدا لأنه ترغيب في إخراج الزكاة وقال ابن عمر المراد بها سائر الصدقات وقال الحسن كل شيء أنفقته المسلم من ماله مما يتبغى به وجه الله ويطلب ثوابه حتى التمره فإنه يدخل في قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (ق) عن أنس بن مالك قال كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا وكان أحب أمواله إليه يبرحا وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس فلما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن الله تعالى يقول في كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وإن أحب أموالى إلى بربها وذخريها عند الله فضعها يارسول الله حيث شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال راجح أو قال ذلك مال راجح أرى أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة أفعلى يارسول الله فقسما أبو طلحة في أقاربه وبنى عمه قوله بخ بخ هي كلمة تقال عند المدح والرضا وتشكر برها لله بالغة وهي هبة على السكون فإذا وصلت جرت ونوت فقلت بخ بخ قوله مال راجح أي ذو ربح وفي الرواية الآخري ذلك مال راجح بالياء معناه بروح عليك نفعه وثوابه ويبرحا اسم موضع

الله حيث شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال راجح وقد سمعت ما قلت لها وإن أرى أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة أفعلى يارسول الله فقسما أبو طلحة في أقاربه وبنى عمه وروى عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبي موسى الأشعري أن يتتبع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت فدعا بها فأعجبته فقال عمر إن الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فأعتقها عمر وعن حمزة بن عبد الله بن عمر قال

خطرت على قلب عبد الله بن عمر هذه الآية لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال ابن عمر فذكرت ما أعطاني الله عز وجل
فما كان شيء أعجب إلى من فلانة هي حرة لوجه الله تعالى قال ولولا أني لأعود في شيء أعجبتني الله لشكحتها (وما تنفقوا من شيء
فان الله به عليم) أي يعلمه ويجازي به قوله تعالى (كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن
تنزل التوراة) سبب نزول هذه (٣٨٠) الآية أن اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنك تزعم أنك على

بالمدينة وهو حائط كان لأبي طلحة وروى عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري
أن يتابع له بجارية من سبي جلولاء يوم فتحت فلما جاءت أعجبتني فقال عمر إن الله عز وجل
يقول لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فأعنتها عمر وعن حمزة بن عبد الله بن عمر أن
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خطرت على قلبه هذه الآية لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
قال عبد الله فذكرت ما أعطاني الله تعالى فما كان شيء أحب إلى من فلانة فقلت هي
حرة لوجه الله تعالى قال ولولا أني لأعود في شيء جعلته الله لشكحتها وعن عمرو بن دينار
قال لما نزلت هذه الآية لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس يقال
غاسيل كان يجلبها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يا رسول الله فأعطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة فقال يا رسول الله إنما أردت أن أتصدق
بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبلت صدقتك وفي رواية كأن زيدا أوجد في نفسه فلما
رأى ذلك منه النبي ﷺ قال أما إن الله قد قبلها وروى أن أباذر نزل به ضيف فقال للراعي الذي
غير لبلى فجاء بناقته هزولة فقال للراعي غناتي فقال الراعي وجدت غير الإبل فحلها فذكرت
يوما حاجتكم إليه فقال إن يوم حاجتي إليه ليوم أوضع في حفرتي وقوله تعالى (وما تنفقوا من
شيء) يعني من أي شيء كان من طيب تحبونه أو من خبيث تكرهونه (فان الله به عليم) أي
يعلمه ويجازيكم به . قوله عز وجل (كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل
على نفسه من قبل أن تنزل التوراة) سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه
وسلم إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان إبراهيم لا يأكل لحوم الإبل وألبانها وأنت تأكل
ذلك كله فقلت على ملته فقال النبي ﷺ كان ذلك حلالا لإبراهيم قالوا كل ما حرمه اليوم
كان ذلك حراما على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا فأمر الله عز وجل كل الطعام كان حلالا
لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه وهو يعقوب من قبل أن تنزل التوراة يعني ليس
الأمر على ما تدعيه اليهود من تحريم لحوم الإبل على إبراهيم بل كان ذلك حلالا على إبراهيم
واسماعيل وإسحاق ويعقوب وإنما حرمه يعقوب بسبب من الأسباب وبقيت تلك الحرمة في أولاده
فأنكر اليهود ذلك فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وطلب منهم أن
يستخرجوا منها أن ذلك كان حراما على إبراهيم فعجزوا عن ذلك واقتضحوا وبأن كتبهم فيها
دعوا من حرمة هذه الأشياء على إبراهيم وقيل إن اليهود أنكروا شرع محمد ﷺ وادعوا
أن النسخ غير جائز فأبطل الله ذلك عليهم وأخبر أن كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل إلا ما حرم
إسرائيل على نفسه فذلك الذي حرمه على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى أولاده
فقد حصل النسخ وبطل قول اليهود بأن النسخ غير جائز فأنكرت اليهود ذلك وقالوا بل كان
ذلك حراما من زمن آدم إلى هذا الوقت فألزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار
التوراة وقال إن التوراة ناطقة بأن بعض أنواع الطعام إنما حرم بسبب أن إسرائيل حرمه على

ملة إبراهيم وكان إبراهيم
لا يأكل لحوم الإبل
وألبانها وأنت تأكلها
فقلت على ملته فقال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان ذلك حلالا
لإبراهيم عليه السلام
فقالوا كل ما حرمه اليوم
كان ذلك حراما على
نوح وإبراهيم حتى انتهى
إلينا فأمر الله تعالى هذه
الآية كل الطعام كان
حلالا لبني إسرائيل ما
سوى الميتة والدم فإنه لم
يكن حلالا قط إلا
ما حرم إسرائيل على
نفسه وهو يعقوب عليه
السلام من قبل أن تنزل
التوراة يعني ليس الأمر
على ما قالوا من حرمة
لحوم الإبل وألبانها على
إبراهيم بل كان الكل
حلالا لبني إسرائيل
وإنما حرمها إسرائيل
على نفسه قبل نزول
التوراة يعني ليست في
التوراة حرمتها واحتلتها
في الطعام الذي حرمه
يعقوب على نفسه وفي سببه

قال أبو العالية وعطاء ومقاتل والكلبي كان ذلك الطعام لحما الإبل وألبانها ، وروى أن يعقوب مرض
مرضا شديدا فطال سقمه فندر لنن عافاه الله من سقمه ليحرم من أحب الطعام والشراب إليه وكان أحب
الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها فحرمها ما وقال ابن عباس ومجاهد وتنادة والسبي والضحاك هي العروق وكان السبب في ذلك
أنه اشكى عرق النسا وكان أصل وجعه فيها روى جوير عن الضحاك أن يعقوب كان نذر إن وهبه الله اثني عشر ولدا وأنى من

بيت المقدس صحيفا أن يذبح آخرهم فتلغاه ملك من الملائكة فقال يا يعقوب إنك رجل قوى فهل لك في الصراع فصارعه فلم يصرع واحدا منهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النساء من ذلك ، ثم قال له الملك أما أتى لو شئت أن أصرعك لنعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لأنك كنت ندرت إن أتيت بيت المقدس صحيفا ذبحت آخر ولدك فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجا فلما قدمها يعقوب أراد ذبح ولده ونسي ما قال له الملك (٣٨١) فأقاه الملك وقال إنما غمزتك

نفسه فخاف اليهود من الفضيحة وامتنعوا من إحصار التوراة فحصل بذلك كذبهم وأنهم ينسبون إلى التوراة ما ليس فيها وبطل قوسم بأن النسخ غير جائز وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان رجلا أميا لم يقرأ الكتب ولم يعرف ما في التوراة فلما أخبر أن ذلك ليس في التوراة علم أن الذي أخبر به صلى الله عليه وسلم وحى من الله تعالى وقوله تعالى ككل الطعام يعني كل أنواع الطعام أو سائر المنعمات كان حلالا أي حلالا لآبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم عليهم السلام واختلفوا في الذي حرم يعقوب على نفسه قيل حرم لحوم الأبل وألبانها وروى الطبري بسنده عن ابن عباس «أن عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من سقمه لبحرم من أحب الطعام والشراب إليه وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها فقالوا اللهم نعم وقال ابن عباس هي العروق وكان سبب ذلك أنه اشتكى عرق النساء وكان أصل وجعه فياروى عن الضحاك أن يعقوب كان نذر لئن وهب الله له اثني عشر ولدا أو أتى بيت المقدس صحيفا أن يذبح أحدهم وفي رواية آخرهم فتلغاه ملك من الملائكة وقال يا يعقوب إنك رجل قوى فهل لك في الصراع فعالجهم فلم يصرع أحدهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النساء من ذلك ثم قال أما أتى لو شئت أن أصرعك لنعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لأنك قد ندرت إن أتيت بيت المقدس صحيفا ذبحت آخر ولدك فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجا فلما قدم يعقوب بيت المقدس أراد ذبح ولده ونسي ما قال له الملك فأقاه الملك وقال له إنما غمزتك لا يخرج وقد وفي نذرك فلا سبيل لك إلى ذبح ولدك وقال ابن عباس في آخرين أقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من أخيه العيص وكان يعقوب رجلا بطشا قويا فأتته ملك في صورة رجل فظن يعقوب أنه لص فعالجته أن يصصره فغمز الملك فخذ يعقوب وصعد إلى السماء ويعقوب ينظر إليه فهاج به عرق النساء ولقي من ذلك بلاء وشدة وكان لا ينام بالليل من الوجع ويبيت وله زقاة أي صياح فحلف يعقوب لئن شفاه الله أن لا يأكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق ويخرجونها من اللحم ولا يأكلونها وقيل لما أصاب يعقوب ذلك وصف له الأطباء أن يجنب لحوم الإبل فحرمها يعقوب على نفسه وقيل إنما حرم يعقوب لحوم الجزور فحرم الله تعالى وسأل ربه أن تنجز ذلك فحرمه الله على ولده وهو ظاهر الآية لأن الله تعالى قال ككل الطعام كان حلالا لآبني إسرائيل ثم استثنى ما حرم إسرائيل على نفسه فوجب بحكم الاستثناء أن يكون ذلك حراما على بني إسرائيل أما قوله من قبل أن تنزل التوراة فعنه أن قبل إنزال التوراة كان كل أنواع الطعام حلالا لآبني إسرائيل سوى ما حرمه إسرائيل على نفسه أما بعد نزول التوراة

للمخرج وقد وفي نذرك فلا سبيل لك إلى ولدك وقال ابن عباس وعجابه وقناة والسدى أقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من أخيه عيصو وكان رجلا بطشا قويا فلقته ملك فظن يعقوب أنه لص فعالجته أن يصصره فغمز الملك فخذ يعقوب ثم صعد إلى السماء ويعقوب عليه السلام ينظر إليه فهاج به عرق النساء ولقي من ذلك بلاء وشدة وكان لا ينام بالليل من الوجع ويبيت وله زقاة أي صياح فحلف يعقوب لئن شفاه الله أن لا يأكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق ويخرجونها من اللحم وروى جوير عن الضحاك عن ابن عباس لما أصاب يعقوب عرق النساء وصف له الأطباء أن يجنب لحوم الإبل فحرمها

يعقوب على نفسه وقال الحسن حرم إسرائيل على نفسه لحم الجزور تعبد الله تعالى فسأل ربه أن يجيز له ذلك فحرمها الله على ولده ثم اختلفوا في هذا الطعام المحرم على بني إسرائيل بعد نزول التوراة فقال السدى حرم الله عليهم في التوراة ما كانوا يحرمونه قبل نزولها وقال عطية إنما كان محرما عليهم بتحريم إسرائيل فانه قد قال إن عافاني الله لا آكله ولا يأكله ولدي ولم يكن محرما عليهم في التوراة وقال الكلبي لم يحرمه الله عليهم في التوراة وإنما حرم عليهم بعد التوراة بقلهم

كما قال الله تعالى فيظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقال الله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر إلى أن قال ذلك جزيناهم ببعضهم وإنما لصادقون وكانت بنو إسرائيل إذا أصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا وأوصب عليهم رجزا وهو الموت والضحاك لم يكن شيء من ذلك حراما عليهم ولا حرمه الله في التوراة وإنما حرموه على أنفسهم ثم أضفوا تحريمه إلى الله فكذبهم الله عز وجل فقال (قل) يا محمد (فأتوا بالتوراة فانلوها) حتى يتبين لكم أنه كما قلت (إن كنتم صادقين) فلم يأتوا فقال الله عز وجل (فمن أفرى على الله الكذب من بعد ذلك فما أتوا بالتوراة فانلوها) حتى يتبين لكم أنه كما قلت (إن كنتم صادقين) فلم يأتوا فقال الله عز وجل (فمن أفرى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون) قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) أي لم يدع مع الله إلها آخر ولا عبدا سواه. قوله عز وجل (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة) سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو أفضل من الكعبة وأقدم وهو مهاجر الأنبياء وقتلتهم وأرض الخمر وقال المسلمون بل الكعبة أفضل فأنزل الله هذه الآية وقيل لما ادعت اليهود والنصارى أنهم على ملة إبراهيم أكذبهم الله تعالى وأحبر أن إبراهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وأمرهم باتباعه فقال تعالى في الآية المتقدمة فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وكان من أعظم شعائر ملة إبراهيم الحج إلى الكعبة ذكر في هذه الآية فضيلة البيت ليبرع عليها إيجاب الحج وقوله إن أول بيت وضع للناس الأول هو الفرد السابق المتقدم على ما سواه وقيل هو اسم للشيء الذي يوجد ابتداء سواء حصل عبته شيء آخر أول يحصل والمعنى إن أول بيت وضع للناس أي وضعه الله موضعا للطاعات والعبادات وقبله للصلاة وموضعا للحج والظواهر تزداد فيه الخيرات وثواب الطاعات وكونه وضع للناس الذي يبكة

فقد حرم الله تعالى عليهم أشياء كثيرة من أنواع الطعام ثم اختلفوا في حال هذا الطعام أحرم على بني إسرائيل بعد نزول التوراة فقال السدي حرم الله عليهم في التوراة ما كانوا حرموه على أنفسهم قبل نزولها وقال عطية إنما كان حراما عليهم بتحريم إسرائيل فإنه قال إن عافاني الله تعالى لا يأكله ولدي ولم يكن ذلك محرما عليهم في التوراة وقال السكابي لم يحرمه الله في التوراة وإنما حرم عليهم بعد نزول التوراة لظلمهم كما قال تعالى فيظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر إلى أن قال ذلك جزيناهم ببعضهم وإنما لصادقون وكانت بنو إسرائيل إذا أصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا وأوصب عليهم رجزا وهو الموت والضحاك لم يكن شيء من ذلك حراما عليهم ولا حرمه الله في التوراة وإنما حرموه على أنفسهم لإتباعا لأبيهم ثم أضفوا تحريمه إلى الله فكذبهم الله عز وجل فقال (قل) يا محمد (فأتوا بالتوراة فانلوها) أي فافرقوها وما فيها حتى يتبين أن الأمر كما قلتم (إن كنتم صادقين) يعني فيما ادعيتهم فلم يأتوا بها وخالقوا الفضيحة فقال تعالى (فمن أفرى على الله الكذب) الافتراء اختلاق الكذب والافتراء الكذب والقذف والافساد وأصله من فرى الأديم إذا قطعه لأن الكاذب يقطع القول من غير حقيقة له في الوجود (من بعد ذلك) أي من بعد ظهور الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب ولم يكن محرما قبله (فأولئك هم الظالمون) أي هم المستحقون للذباب لأن كفرهم ظلم منهم لأنفسهم ولمن أضلوه عن الدين من بعدهم وهذا رد على اليهود وتكذيب لهم حيث أرادوا إراءة ساحتهم فيما بقي عليهم مما نطق به القرآن من تعدد مساوئهم التي كانوا يرتكبوها (قل صدق الله) يعني قل صدق الله يا محمد فيها أن خبر أن ذلك النوع من الطعام صار حراما على إسرائيل وأولاده بعد أن كان حلالا لهم فصح القول بالنسخ وبطل قول اليهود وقيل معناه صدق الله في قوله أن لحوم الإبل وأبناها كانت محلة لإبراهيم عليه السلام وإنما حرمت على بني إسرائيل بسبب تحريمها إسرائيل على نفسه وقيل صدق الله في أن سائر الأطعمة كانت محلة على بني إسرائيل وإنما حرمت على اليهود جزاء على قبائح أفعالهم فقيه تعريض بكاتب اليهود والمعنى ثبت أن الله تعالى صادق فيما أنزل وأحبر وأنتم كاذبون بالمشركين اليهود (فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا) أي اتبعوا ما يدعونكم إليه محمد صلى الله عليه وسلم من ملة إبراهيم وهي الإسلام وهو الدين الصحيح وهو الذي عليه محمد ومن آمن معه وإنما دعاهم إلى ملة إبراهيم لأنها ملة محمد صلى الله عليه وسلم (وما كان من المشركين) أي لم يدع مع الله إلها آخر ولا عبدا سواه. قوله عز وجل (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة) سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو أفضل من الكعبة وأقدم وهو مهاجر الأنبياء وقتلتهم وأرض الخمر وقال المسلمون بل الكعبة أفضل فأنزل الله هذه الآية وقيل لما ادعت اليهود والنصارى أنهم على ملة إبراهيم أكذبهم الله تعالى وأحبر أن إبراهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وأمرهم باتباعه فقال تعالى في الآية المتقدمة فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وكان من أعظم شعائر ملة إبراهيم الحج إلى الكعبة ذكر في هذه الآية فضيلة البيت ليبرع عليها إيجاب الحج وقوله إن أول بيت وضع للناس الأول هو الفرد السابق المتقدم على ما سواه وقيل هو اسم للشيء الذي يوجد ابتداء سواء حصل عبته شيء آخر أول يحصل والمعنى إن أول بيت وضع للناس أي وضعه الله موضعا للطاعات والعبادات وقبله للصلاة وموضعا للحج والظواهر تزداد فيه الخيرات وثواب الطاعات وكونه وضع للناس الذي يبكة

للناس يعني يشترك فيه جميع الناس كما قال تعالى وسواء العاكف فيه والبادية . فان قلت كيف
 اضافته الى نفسه مرة في قوله وطهر بيتي و اضافته للناس اخرى بقوله وضع للناس . قلت اما
 اضافته الى نفسه فملى سبيل التشريف والتعظيم له كقوله ناقة الله واما اضافته الى الناس فلانه
 يشترك فيه جميع الناس لانه موضع حجهم وقبلة صلاتهم للذي بيكته قيل هي مكة نفسها
 والعرب تعاقب بين الباء والميم ايتولون ضربة لازب ولازم وقيل بكة اسم لموضع البيت
 ومكة اسم للبلاد وفي اشتقاق بكة وجهان: أحدهما أنه من البك الذي هو عبارة عن الدفع يقال
 بكة بكة إذا دفعه وزاحمه والبا قال سعيد بن جبير سميت بكة لأن الناس يتباكون فيها أي
 يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر ومجاهد وقتادة الوجه الثاني سميت بكة
 لأنها تبك أعناق الجبابرة أي تدبقتها ولم يقصدها جبار بسوء إلا قصمه الله تعالى وهذا قول
 عبد الله بن الزبير وأما مكة فسميت بذلك لقلة ماؤها من قول العرب ملك الفصيل ضرع أمه
 وامتكه إذا مص كل ما فيه من اللبن وقيل لأنها نمك الذنوب أي تزيلها وسميت مكة أم رحم
 لأن الرحمة تنزل بها والحاطمة لأنها تحطم من استخلف بحرمتها أو لأن الناس يحطم بعضهم
 بعضها من الرحمة وسميت أم القرى لأنها أصل كل بلدة ومن تحتها دحيت الأرض واختلفت
 العلماء في كون البيت أول بيت وضع للناس على قولين . أحدهما أنه أول في الوضع والبناء قال
 مجاهد خلق الله هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرضين وفي رواية عنه إن الله خلق موضع
 البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرض بالقي عام وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات
 والأرض خلقه قبل الأرض بالقي عام وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الأرض من
 تحته وهذا قول ابن عمر ومجاهد وقتادة والسدي وقيل هو أول بيت بنى على الأرض وروى
 عن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أن الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت
 المعمور وأمر الملائكة أن يطوفوا به ثم أمر الملائكة الذين في الأرض أن يبنوا بيتا في الأرض
 على مثاله وقدره فبنوا هذا البيت واسمه الضراح وأمر من في الأرض أن يطوفوا به كما يطوف
 أهل السماء بالبيت المعمور وروى أن الملائكة بنوه قبل خلق آدم بالقي عام وكانوا يحجونه
 فلما حجه آدم قالت له الملائكة برحمتك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالقي عام وقال
 ابن عباس هو أول بيت بناه آدم في الأرض قيل إن آدم لما أعيط إلى الأرض استرحش وشكا
 الوحشة فأمره الله تعالى ببناء الكعبة فبناها وطاف بها وبقى ذلك البناء إلى زمان نوح عليه السلام
 فلما كان الطوفان رفع الله البيت إلى السماء وبقى موضع البيت أكمة بيضاء إلى أن بعث الله
 إبراهيم عليه السلام فأمره ببنائه . القول الثاني أن المراد من الأولية كون هذا أول بيت وضع
 للناس مباركا ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى للذي بيكة مباركا وروى أن رجلا قام
 إلى علي بن أبي طالب فقال ألا تخبرني عن البيت أهو أول بيت وضع في الأرض قال لا قد كان
 قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا وهدى وفيه مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا
 وقال الحسن : وهو أول مسجد عبد الله فيه وقال مطرف هو أول بيت وضع للعبادة وقال
 الضحاك : هو أول بيت وضع فيه البركة وأول بيت وضع للناس يحج إليه وأول بيت جعل
 قبلة للناس (ق) عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع
 في الأرض قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال المسجد الأقصى قلت كم بينهما قال أربعون عاما
 ثم الأرض لك مسجدا فحينئذ أدركت الصلاة فصل زاد البخاري فان الفضل فيه وقوله (مباركا)

مباركا) سبب نزول
 هذه الآية أن اليهود
 قالوا للمسلمين : بيت
 المقدس قبلتنا وهو
 أفضل من الكعبة
 وأقدم وهو مهاجر
 الأنبياء وقال المسلمون :
 بل الكعبة أفضل فأنزل
 الله تعالى هذه الآية وإن
 أول بيت وضع للناس
 للذي بيكة مباركا .

(وهدي للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا) وليس شيء من هذه الفضائل لبیت المقدس . واختلف العلماء في قوله تعالى « إن أول بيت وضع للناس للذي » فقال بعضهم هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض خلقه قبل الأرض بألfi عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض من تحته هذا قول عبد الله ابن عمر ومجاهد وقتادة والسدي وقال بعضهم هو أول بيت بنى في الأرض روى عن علي بن الحسين أن الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور فأمر الملائكة أن يطوفوا به ثم أمر الملائكة الذين هم سكان الأرض أن يبنيوا في الأرض بيتا على مثاله وقدره فبنوه واسمه الضراح ، وأمر من في الأرض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور . وروى أن الملائكة بنوه قبل خلق آدم بألfi عام فكانوا يحجونه فلما حججه آدم قالت له الملائكة برجحك يا آدم حججنا هذا البيت قبلك بألfi عام وروى عن ابن عباس أنه قال أراد (٣٨٤) به أنه أول بيت بناه آدم في الأرض وقيل هو أول بيت مبارك وضع هدي للناس

يعني ذا بركة وأصل البركة النمو والزيادة وقيل هو ثبوت الخير الالهي فيه وقيل هو أول بيت خص بالبركة وزيادة الخير وقيل لأن الطاعات وسائر العبادات تنضاعف وتزداد ثوابها عنده (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام » (وهدي للعالمين) يعني أنه قبلة للمؤمنين يبتدون به إلى جهة صلاتهم وقيل لأن فيه دلالة على وجود الصانع المختار لما فيه من الآيات التي لا يقدر عليها غيره وقيل هو هدي للعالمين إلى الجنة لأن من قصده بأن صلى إليه أو حججه فقد أوجب الله تعالى له الجنة برحمته . قوله تعالى (فيه آيات بينات) أي فيه دلالات واضحات على حرمة ومزيد فضله ثم اختلفوا في تفسير تلك الآيات فقيل هي قوله مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا وقيل الآيات غير المذكورة وهي ما يدل على فضل هذا البيت منها أن الطير لا يطير فوق الكعبة في الهواء بل ينحرف عنها إذا وصل إليها يمينا وشمالا ومنها أن الوحوش لا تؤذي بعضها في الحرم حتى الكلاب لا تسيح الظباء ولا تصطادها ومنها أن الطير إذا مرض منه شيء استشفى بالكعبة ومنها تعجيل العقوبة لمن انتهك حرمة البيت وما قصده جباريسوء إلا أهلكه الله كما أهلك أصحاب القيل وغيرهم ومن الآيات التي فيه الحجر الأسود والمترم والحطيم وزمزم ومشاعر الحج التي فيه كلها من الآيات ومنها أن الأمر ببناء هذا البيت هو الجليل والمهندس له جبريل والباقي هو إبراهيم الخليل والمساعد في بنيانه هو إسماعيل فهذه فضيلة عظيمة لهذا البيت . قوله تعالى (مقام إبراهيم) يعني الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت وكان فيه أثر قدمي إبراهيم فاندرس من كثرة المسح بالأيدي (ومن دخله كان آمنا) قيل لما كانت الآيات المذكورة عقيب قوله إن أول بيت وضع للناس موجودة في جميع الحرم علم أن المراد بقوله ومن دخله كان آمنا جميع الحرم ويدل عليه أيضا دعوة إبراهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد آمنا يعني من أن يهاج فيه وكانت العرب يقتل بعضهم بعضا

بعد الله فيه ويحج إليه وقيل هو أول بيت جعل قبلة للناس وقال الحسن والكلبي معناه أن أول مسجد ومتعبد وضع للناس يروى ذلك عن علي ابن أبي طالب قال الضحاك أول بيت وضع فيه البركة وقيل أول بيت وضع للناس يعبد الله فيه كما قال الله تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع يعني المساجد أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن إسماعيل أنا موسى بن إسماعيل أخبرنا عبد الواحد أن الأعمش أخبرنا إبراهيم ابن يزيد الشيباني عن أبيه قال سمعت أبا ذر يقول

« قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولا قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال المسجد الأقصى قلت كم كان بينهما ويعبر قال أربعون سنة ثم قال أيها أدركت الصلاة بعد فصل فإن الفضل فيه ، قوله تعالى للذي بيكة . قال جماعة هي مكة نفسها وهو قول الضحاك والعرب تعاقب بين الباء والميم فتقول سبد رأسه وسجده وضربة لازب ولازم وقال الآخرون بيكة موضع البيت في مكة ومكة اسم البلد كله وقيل بيكة موضع البيت والمطاف سميت بيكة لأن الناس يبنوا بيك فيها أي يزدحون بيك بعضهم بعضا ويمر بعضهم بين يدي بعض وقال عبد الله بن الزبير سميت بيكة لأنها بيك أعناق الجبارة أي تدققها فلم يقصدها جبار بسوا إلا قصمه الله وأما مكة سميت بذلك لثقله ماؤها من قول العرب ملك القصيل ضرع أمه وأمتك إذا امتص كل ما فيه من اللبن وتدعى أم رحم لأن الرحمة تنزل بها مباركا نصب على الحال أي ذا بركة وهدي للعالمين لأنه قبلة للمؤمنين فيه آيات بينات قرأ ابن عباس آية بيئته على الواحد وأراد مقام إبراهيم وحده وقرأ الآخرون آيات بينات بالجمع فذكر منها مقام إبراهيم

وهو الحجر الذي قام عليه إبراهيم وكان أثر قدميه فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيدي ومن تلك الآيات في البيت الحجر الأسود والخطيم وزمزم والمشاعر كلها وقيل مقام إبراهيم جميع الحرم ومن الآيات في البيت أن الظير تطير فلا تعلق فوقه وأن الجارحة إذا قصدت صيدا فاذا دخل الصيد الحرم كفت عنه وأنه بلد صلب إليه الأنبياء والمرسلون والأولياء والأبرار وأن الطاعة والصدقة فيها تضاعف بمائة ألف. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد بن الحسن بن أحمد الخفائي أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج أخبرنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري أنا مالك بن أنس عن زيد بن رباح أخبرنا عبد الله بن عبد الله الأغر عن أبي عبد الله الأعمش عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» قوله عز وجل «ومن دخله كان آمنا» من أن يهاج فيه وذلك بدعاء إبراهيم عليه السلام حيث قال «رب اجعل هذا بلدا آمنا» وكانت العرب في الجاهلية يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض ومن دخل الحرم أمن من القتل والغارة وهو المراد من الآية على قول الحسن وقتادة وأكثر (٣٨٥) المفسرين قال الله تعالى «أو لم يروا

أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم» وقيل المراد به أن من دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله ﷺ كان آمنا وقيل أنه كما قال الله تعالى «أو لم يروا المسجد الحرام إن شاء الله آمين» وقيل هو خبر بمعنى الأمر تقديره ومن دخله فأمنوه كقوله تعالى «فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج» أي لا رفثوا ولا فسقوا حتى ذهب بعض أهل العلم إلى أن من وجب عليه قتل قصاصا أو حدا فالتجأ إلى الحرم فلا يستوفى منه فيه ولكنه لا يطعم ولا يبائع ولا

ويغير بعضهم على بعض وكان من دخل الحرم آمن من القتل والغارة وهو المراد من حكم الآية على قول أكثر المفسرين قال الله تعالى «أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم» وقيل في معنى الآية ومن دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله ﷺ كان آمنا وقيل هو خبر بمعنى الأمر تقديره ومن دخله فأمنوه وهو قول ابن عباس حتى ذهب أبو حنيفة إلى أن من وجب عليه القتل قصاصا كان أو حدا فالتجأ إلى الحرم فإنه لا يستوفى منه القصاص أو الحد في الحرم لكنه لا يطعم ولا يبائع ولا يشارى ولا يكلم ويضيق عليه حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد خارج الحرم وقال الشافعي إذا وجب عليه القصاص خارج الحرم ثم لجأ إلى الحرم استوفى منه في الحرم. وأجمعوا على أنه لو قتل في الحرم أو سرق أو زنى فإنه يستوفى منه الحد في الحرم عقوبة له وقيل في معنى الآية ومن دخله معظما له متقربا بذلك إلى الله تعالى كان آمنا من العذاب يوم القيامة وقيل ومن دخله كان آمنا من الذنوب التي اكتسبها قبل ذلك. قوله عز وجل (ولله على الناس حج البيت) أي والله على الناس فرض حج البيت والحج أحد أركان الإسلام (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان» فعهد النبي صلى الله عليه وسلم الحج من أركان الإسلام الخمسة ومن استطاع إليه سبيلا» يعني وفرض الحج واجب على ما استطاع من أهل التكليف ووجد السبيل إلى حج البيت الحرام.

(فصل) في فضل البيت والحج والعمرة (ق) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أول بيت وضع للناس مباركا يصلى فيه الكعبة قلت ثم أي قال المسجد الأقصى قلت كم بينهما قال أربعون عاما» عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «نزل الحجر

(٤٩) - خازن باليغوى - أول) يشارى حتى يخرج منه فيقتل قاله ابن عباس وبه قال أبو حنيفة وذهب قوم إلى أن القتل الواجب بالشرع يستوفى فيه أما إذا ارتكبت الجريمة في الحرم فيستوفى فيه عقوبته بالاتفاق وقيل معناه ومن دخله معظما له متقربا إلى الله عز وجل كان آمنا يوم القيامة من العذاب. قوله عز وجل (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) أي والله فرض واجب على الناس حج البيت قرأ أبو جعفر وحزرة الكسائي وحفص حج البيت بكسر الحاء في هذا الحرف خاصة وقرأ الآخرون بفتح الحاء وهي لغة أهل الحجاز وهما لغتان فصيحتان ومعناها واحد والحج أحد أركان الإسلام. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن موسى أنا حنظلة بن أبي سفيان عن عكرمة بن خالد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج». قال أهل العلم وأوجب الحج خمس شرائط: الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والاستطاعة فلا يجب على الكافر ولا على المجنون ولو حجا

بأنفسهما لا يصح لأن الكافر ليس من أهل القرية ولا يحكم لفعل المخنون ولا يجب على الصبي ولا على العبد ولو حج سعي
 يفعل أو عبد يصح حجها تطوعا ولكن لا يسقط به فرض الإسلام عنها فلو بلغ الصبي أو أعتق العبد بعد ما حج واجتمع
 في حقه شرائط وجوب الحج عليه أن يحج ثانيا ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى «من استطاع إليه سبيلا» غير أنه لو
 تكلف فحج بسقط عنه فرض الإسلام والاستطاعة نوعان: أحدهما أن يكون قادرا مستطيعا بنفسه والآخر أن يكون مستطيعا
 بغيره أما الاستطاعة بنفسه فأن يكون (٣٨٦) قادرا بنفسه على الذهاب ووجد الزاد والراحلة. أخبرنا عبد الوهاب

بن محمد الكسائي
 الخطيب ثنا عبد العزيز
 بن أحمد الخلال ثنا
 أبو العباس الأصم أخبرنا
 الربيع بن سليمان أخبرنا
 الشافعي أخبرنا سعيد بن
 مسلم عن إبراهيم بن يزيد
 عن محمد بن عباد بن
 جعفر قال قعدنا إلى
 عبد الله بن عمر فسمعت
 يقول «سأل رجل رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 فقال ما الحاج؟ قال
 الشح الثقل فقام رجل
 آخر فقال يا رسول الله
 أي الحج أفضل؟ قال
 العج والشح فقام رجل
 آخر فقال يا رسول الله
 ما السبيل؟ قال زاد
 وراحلة وتفصيله أن
 يجد راحلة تصلح مثله
 ووجد الزاد للذهب
 والرجوع فاضلا عن
 نفقة عياله ومن تزمه
 نفقتهم وكسوتهم لذهابه
 ورجوعه وعن دين يكون
 عليه ووجد رفقته يخرجون
 في وقت جرت عادة أهل بابه بالخروج في ذلك الوقت فان خرجوا قبله
 أو سحروا الخروج إلى وقت لا يصلون إلا أن يقطعوا كل يوم أكثر من مرحلة لا يلزمهم الخروج في ذلك الوقت ويشترط أن
 يكون الطريق آمنا، فان كان فيه خوف من عدو مسلم أو كافر أو رصد يطلب شيئا لا يلزمه، ويشترط أن تكون المنازل
 المدروسة معمورة يجد الزاد والماء فان كان زمان جنوبة تفرق أهلها أو غارت مياهها فلا يلزمه الحج ولو لم يجد الراحلة
 لكنه قادر على المشي أو لم يجد الزاد ولكن يمكنه أن يكتسب في الطريق لا يلزمه الحج ويستحب لو فعل وعند مالك

بن محمد الكسائي
 الخطيب ثنا عبد العزيز
 بن أحمد الخلال ثنا
 أبو العباس الأصم أخبرنا
 الربيع بن سليمان أخبرنا
 الشافعي أخبرنا سعيد بن
 مسلم عن إبراهيم بن يزيد
 عن محمد بن عباد بن
 جعفر قال قعدنا إلى
 عبد الله بن عمر فسمعت
 يقول «سأل رجل رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 فقال ما الحاج؟ قال
 الشح الثقل فقام رجل
 آخر فقال يا رسول الله
 أي الحج أفضل؟ قال
 العج والشح فقام رجل
 آخر فقال يا رسول الله
 ما السبيل؟ قال زاد
 وراحلة وتفصيله أن
 يجد راحلة تصلح مثله
 ووجد الزاد للذهب
 والرجوع فاضلا عن
 نفقة عياله ومن تزمه
 نفقتهم وكسوتهم لذهابه
 ورجوعه وعن دين يكون
 عليه ووجد رفقته يخرجون

فصل : في أحكام تتعلق بالحج

قال العلماء: الحج واجب على كل مسلم وهو أحد أركان الإسلام الخمسة ولوجوب الحج
 خمس شرائط الإسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة، ولا يجب على الكافر والمخنون ولو

حجا

في وقت جرت عادة أهل بابه بالخروج في ذلك الوقت فان خرجوا قبله
 أو سحروا الخروج إلى وقت لا يصلون إلا أن يقطعوا كل يوم أكثر من مرحلة لا يلزمهم الخروج في ذلك الوقت ويشترط أن
 يكون الطريق آمنا، فان كان فيه خوف من عدو مسلم أو كافر أو رصد يطلب شيئا لا يلزمه، ويشترط أن تكون المنازل
 المدروسة معمورة يجد الزاد والماء فان كان زمان جنوبة تفرق أهلها أو غارت مياهها فلا يلزمه الحج ولو لم يجد الراحلة
 لكنه قادر على المشي أو لم يجد الزاد ولكن يمكنه أن يكتسب في الطريق لا يلزمه الحج ويستحب لو فعل وعند مالك

مرض غير مرجو الزوال

لكن له مال يمكنه أن يستأجر به من يحج عنه يجب عليه أن يستأجر أو لم يكن له مال بل بذل له ولده أو أجنبي الطاعة في أن يحج عنه يلزمه أن يأمره إذا كان يعتمد صدقه لأن وجوب الحج يتعلق بالاستطاعة ويقال في العرف فلان مستطيع لبناء دار وإن كان لا يفعله بنفسه وإنما يفعله بماله وأعوامه وعند أبي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة وعند مالك لا يجب على المعضوب في المال، وحجة من أوجبه ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن سليمان بن يسار عن عبد الله بن عباس أنه قال وكان الفضل بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه

حجها لم يصح لأن الكافر ليس من أهل القرية ولا حكم لقول المجنون ولا يجب على الصبي والعبد ولو حج صبي يعقل أو حج عبد صح حجها تطوعا ولا يسقط القرض فإذا بلغ الصبي وعنت العبد واجتمع فيهما شرائط الحج وجب عليهما أن يحجا ثانيا ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، فلو تكلفت غير المستطيع الحج وحج صح حججه وسقط عنه فرض حجة الإسلام والاستطاعة نوعان: أحدهما أن يكون مستطيعا بنفسه والآخر أن يكون مستطيعا بغيره فأما المستطيع بنفسه فهو أن يكون قويا قادرا على الذهاب ووجد الزاد والراحلة لما تقدم من حديث ابن عمر في الزاد والراحلة قال ابن المنذر وحديث الزاد والراحلة لا يثبت لأنه ليس بمتصل وإنما المرفوع مارواه إبراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وإبراهيم متروك الحديث قال يحيى بن معين إبراهيم ليس بثقة قال ابن المنذر واختلف العلماء في قوله تعالى من استطاع إليه سبيلا فقالت طائفة الآية على العموم إذ لا تعلم خبر اثبات عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا إجماعا لأهل العلم بوجوب أن تستثنى من ظاهر الآية بعضا فعلى كل مستطيع الحج يجد إليه السبيل بأي وجه كانت الاستطاعة الحج على ظاهر الآية قال: وروينا عن عكرمة أنه قال الاستطاعة الصحة، وقال الضحاك إذا كان شابا صحيحا فليؤجر نفسه بأكله وعقبه حتى يقضى نسكه وقال مالك الاستطاعة على إطاعة الناس الرجل يجد الزاد والراحلة ولا يقدر على المشى وآخر يقدر على المشى على رجله وقالت طائفة الاستطاعة الزاد والراحلة كذلك قال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وأحمد بن حنبل واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم وقال الشافعي الاستطاعة وجهان: أحدهما أن يكون الرجل مستطيعا بيده واجدا من ماله ما يبلغه الحج فتكون استطاعته تامة فعليه فرض الحج. والثاني لا يقدر أن يثبت على الراحلة وهو قادر على من يطعمه إذا أمره أن يحج عنه أو قادر على مال ويجد من يستأجره فيحج عنه فيكون هذا ممن لزمه فرض الحج. أما حكم الزاد والراحلة فهو أن يجد راحلة تصلح له ووجد من الزاد ما يكفيه لذهابه ورجوعه فاضلا عن نفقته ونفقة من تلزمه نفقتهم وكسوتهم وعن دين إن كان عليه ووجد رفقة يخرجون في وقت جرت العادة بخروج أهل البلد في ذلك الوقت فان خرجوا قبله أو أخرؤا الطرود إلى وقت لا يصلون إلا بقطع أكثر من مرحلة لا يلزمه الخروج معهم. ويشترط أن يكون الطريق آمنا فان كان فيه خوف من عدو مسلم أو كافر أو رصدى يطلب الخفارة لا يلزمه. ويشترط أن تكون منازل الماء مأهولة معدودة يجد فيها ما جرت العادة بوجوده من الماء والزاد فان تفرق أهلها يجذب أو غارت مياهها فلا يلزمه الخروج ولو لم يجد الراحلة وهو قادر على المشى أو لم يجد الزاد وهو قادر على الاكتساب لا يلزمه الحج عند من جعل وجدان الزاد والراحلة شرطا لرجوب الحج ويستحب له أن يفعل ذلك ويلزمه الحج عند مالك وأما المستطيع بغيره فهو أن يكون الرجل عاجزا بنفسه بأن كان

فجعل الفضل ينظر إليها وتنتظر إليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصره وجه الفضل إلى الشق الآخر فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه؟ قال نعم.

زمناً أوبه مرض لا يرجى برؤه وله مال يمكنه أن يستأجر من يحج عنه فيجب عليه أن يستأجر من يحج عنه وإن لم يكن له مال وبذل له ولده أو أجنبي الطاعة في أن يحج عنه لزمه الحج إن كان يعتمد على صدقه لأن وجوب الحج متعلق بالاستطاعة. وعند أبي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة وعند مالك لا يجب على من غصب ماله وحجته من أوجب الحج ببذله الطاعة ما روى عن ابن عباس قال «كان الفضل بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر قالت يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يركب على الرحلة فأحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع» أخرجه في الصحيحين. قوله تعالى (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) يعني ومن جحد ما ألزمه الله من فرض حج بيته وكفريه فان الله غني عنه وعن حججه وعمله وعن جميع خلقه وقيل نزلت فيمن وجد ما يحج ثم مات ولم يحج فهو كفر به لما روى عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من ملك زادا أو رحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً وذلك أن الله تعالى يقول والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً» أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وفي إسناده مقال وهلال بن عبد الله مجهول والحارث يضعف في الحديث وقيل هو الذي إن حج لم يره برا وإن قعد لم يره وإنما وقيل نزلت في اليهود وغيرهم من أصحاب الملل حيث قالوا إذا مسلمون فنزلت وقده على الناس حج البيت فلم يحجوا وقالوا الحج إلى مكة غير واجب وكفروا به فنزلت ومن كفر فان الله غني عن العالمين فعلى هذه الأقوال تكون هذه الآية متعلقة بما قبلها وقيل إنه كلام مستأنف ومعناه ومن كفر بالله واليوم الآخر فان الله غني عن العالمين. قوله عز وجل (قل يا أهل الكتاب) قيل الخطاب لعلماء أهل الكتاب الذين علموا صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لجميع أهل الكتاب اليهود والنصارى الذين أنكروا نبوته (لم تكفرون بآيات الله) يعني الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه حق وصدق والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دللتكم على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بآيات الله القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم (والله شهيد على ما تعملون) أي والله شهيد على أعمالكم فيجازيكم عليها (قل يا أهل الكتاب) لم تصدقوا عن سبيل الله من آمن) يعني لم تصدقوا عن دين الله من آمن وكان صدمهم عن سبيل الله بالقاء الشبهة والشكوك وذلك بانتكارهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم (تبغونها عوجاً) يعني زيغاً وميلاً عن الحق والعوج بالكسر الزيغ والميل عن الاستواء في الدين والقول والعمل وكل ما لا يري فأمأ الشيء الذي يري كالحائط والقناة ونحو ذلك يقال فيه عوج بفتح العين والهاء أو قوله تبغونها عائنة على السبيل والمعنى لم تطلبوا الزيغ والميل في سبيل الله بالقاء الشبهة في قلوب الضعفاء (وأنتم شهداء) قال ابن عباس يعني وأنتم شهداء أن نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته مكتوب في التوراة وأن دين الله الذي لا يقبل غيره هو الإسلام وقيل معناه وأنتم تشهدون المعجزات التي تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد لهم وذلك

من كفر بالله واليوم الآخر وقال سعيد بن المسيب نزلت في اليهود حيث قالوا الحج إلى مكة غير واجب وقال السدي هو من وجد ما يحج به ثم لم يحج حتى مات فهو كفر به. أخرجه أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرنا أبو الحسن الكوفي أخبرنا أبو بكر محمد بن عمرو أخبرنا سهيل بن عمارة أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا شريك عن ليث عن عبد الرحمن بن سابط عن أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً» قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب) لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم تصدقوا عن سبيل الله) أي لم تصدقوا عن دين الله (من آمن تبغونها) زيغاً وميلاً يعني لم تصدقوا

عن سبيل الله باغين لما عوجا قال أبو عبيدة العوج بالكسر في الدين والقول والعمل والعوج بالفتح أنهم الجدار وكل شخص قائم (وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون) إن في التوراة مكتوباً نعت محمد صلى الله عليه وسلم وأن دين

الله الذي لا يقبل غيره هو الإسلام . قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) قال زيد بن أسلم مر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين فر على نفر من الأوس والخزرج في مجلس جمعهم يتحدثون فغاضه مارأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال قد اجتمع ملائني قبيلة هذه البلاد لا والله مالنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار فأمر شابا من اليهود كان معه فقال اعمد إليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعث وما كان قبله وأنشدهم بعض (٣٨٩) ما كانوا يتناولوا فيه من الأشعار

وكان بعث يوما اقتتل
فيهم فيه الأوس مع الخزرج
وكان الظفر فيه للأوس
على الخزرج فتعل وتكلم
فتكلم القوم عند ذلك
فتنازعوا وتفاخروا حتى
تواثب رجلان من
الحيين على الركب أوس
ابن قبيطى أحد بني حارثة
من الأوس وجبار بن
صخر أحد بني سلمة من
الخزرج فتناولوا ثم قال
أحدهما لصاحبه إن شئت
والله رددتها الآن جذعة
وغضب الفريقان جميعا
وقالا قد فعلنا السلاح
والله موعدهم الظاهر
وهي الحرة فخرجوا
جميعا إليها وانضمت
الأوس والخزرج بعضهم
إلى بعض على دعواهم
التي كانوا عليها في
الجاهلية فبأن ذلك
رسول الله ﷺ فخرج
إليهم فيمن معه من
المهاجرين حتى جاءهم
فقال ﷺ يا معشر المسلمين

أنهم كانوا يجتهدون ويحتالون بالقاء الشبهة في قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل الله والتصديق
بمحمد صلى الله عليه وسلم فلذلك قال الله تعالى «وما الله بغافل عما تعملون» . قوله عز وجل
(يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) الآية قال زيد بن أسلم مر شاس
ابن قيس اليهودي وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين فر بنفر من الأوس
والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فيه فغاضه مارأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام
بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية وقال قد اجتمع ملائني قبيلة هذه البلاد والله مالنا
معهم إذا اجتمعوا من قرار فأمر شابا من اليهود كان معه فقال له اعمد إليهم واجلس معهم
ثم ذكرهم يوم بعث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا يتناولون فيه من الأشعار وكان
يوم بعث يوما اقتتل فيهم الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج ففعل فتكلم
القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب وهما أوس بن
قبيطى أحد بني حارثة من الأوس وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج فتناولوا فقال
أحدهما لصاحبه إن شئت والله رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا
السلاح موعدهم الظاهر وهي الحرة فخرجوا إليها وانضمت الأوس والخزرج بعضهم
إلى بعض على دعواهم في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن
معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد
إذ أكرمكم الله بالإسلام وقطع عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم إلى ما كنتم عليه كفارا
الله اعرف القوم أنها نزع من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا
واعتنق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قال جابر
فأريت يوما أقبح أولا وأحسن آخر من ذلك اليوم فأقول الله عز وجل «يا أيها الذين آمنوا
إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب» يعني شاسا اليهودي وأصحابه (بردوكم بعد إيمانكم
كافرين) والكفر يوجب الهلاك في الدنيا بوقوع العداوة والبغضاء وهيجان الفتنة والحرب
وسفك الدماء وفي الآخرة النار ثم قال تعالى (وكيف تكفرون) وأنتم تتلى عليكم آيات الله
وفيهكم رسوله) وكلمة كيف كلمة تعجب والتعجب إنما يليق بمن لا يعلم السبب وذلك على الله
محال فالمراد منه المنع والتعليق وذلك لأن تلاوة آيات الله وهي القرآن حالا بعد حال وكون
رسول الله ﷺ فيكم يرشدكم إلى مصالحكم وذلك يمنع من وقوع الكفر فكان وقوع الكفر

أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم ترجعون إلى ما كنتم
عليه كفارا الله اعرف القوم أنها نزع من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق بعضهم بعضا
ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين فأقول الله تعالى هذه الآية «يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا
من الذين أوتوا الكتاب» يعني شاسا وأصحابه (بردوكم بعد إيمانكم كافرين) قال جابر فأريت قط يوما أقبح أولا ولا أحسن
آخر من ذلك اليوم ثم قال الله تعالى على وجه التعجب (وكيف تكفرون) يعني ولم تكفرون (وأنتم تتلى عليكم آيات الله) القرآن
(وفيهكم رسوله) محمد صلى الله عليه وسلم : قال قتادة في هذه الآية علمان بيان كتاب الله ونبي الله أما نبي الله فقد مضى وأما

كتاب الله فقد أبواه بين أظهركم رحمة من الله ونعمة . أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميري أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو الفضل الحسن بن يعقوب بن يوسف العدل أخبرنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب العبدي أنا أبو جعفر بن عوف أخبرنا أبو حيان يحيى بن سعيد بن حبان عن يزيد بن حبان قال سمعت يزيد بن أرقم قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر بوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيبه وأنا تارك فيكم (٣٩٠) ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به

فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي . قوله تعالى (ومن يعصم بالله) أى يمنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته (فقد هدى إلى صراط مستقيم) طريق واضح وقال ابن جرير (ومن يعصم بالله أى يؤمن بالله وأصل العصمة المنع فكل مانع شيئا فهو عاصم له . قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) قال مقاتل بن حيان كان بين الأوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فأصلح بينهم فانتخر بعده منهم رجلا نعلية ابن غنم من الأوس وأسعد بن زرارة من الخزرج فقال الأوسى

منهم يعيدا على هذا الوجه قال قتادة في هذه الآية علمان بينان كتاب الله تعالى ونبي الله صلى الله عليه وسلم أما نبي الله فقد مضى وأما كتاب الله تعالى فقد أبواه الله بين أظهركم رحمة منه ونعمة (م) عن زيد بن أرقم قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بما يدعى لخارين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ الناس وذكرهم ثم قال : أما بعد ألا أيها الناس إنما أنا بشر بوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وإنى تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي وقوله تعالى (ومن يعصم بالله) أى يمنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته وأصل العصمة الامتناع من الوقوع في آفة ، وفيه حث لهم في الالتجاء إلى الله تعالى في دفع شر الكفار عنهم (فقد هدى إلى صراط مستقيم) أى إلى طريق واضح وهو طريق الحق المؤدى إلى الجنة . قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) . قال مقاتل بن حيان كان بين الأوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فأصلح بينهم فانتخر بعد ذلك منهم رجلا نعلية بن غنم من الأوس وأسعد بن زرارة من الخزرج فقال الأوسى منا خزيمه بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن أفلح حمى الدبر ومنا سعد بن معاذ الذى اهتز عرش الرحمن له ورضى الله بحكمه في بنى قريظة وقال الخزرجى منا أربعة أحكموا القرآن أبى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الأنصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وأنشدا الأشعار وتفاخرا فجاء الأوس والخزرج ومعهم السلاح فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فأصلح بينهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) قال ابن عباس هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر وبلا كبر فلا ينسى . وقال مجاهد هو أن يجاهد وفى الله حق جهاده ولا تأخذكم فى الله لومة لائم وتقوموا لله بالقسط ولو على أنفسكم وآبائكم وأبنائكم وعن أنس قال لا يبقى الله عبد حق تقاته حتى يخرن لسانه وقيل حق تقاته يعنى واجب تقواه وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم . واختلف العلماء فى هذا القدر من هذه الآية هل هو منسوخ أم لا على قولين أحدهما أنه منسوخ وذلك أنه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين وقالوا يارسول الله ومن يقوى على هذا فأنزل الله تعالى الناسخ وهو قوله تعالى فى سورة التغابن (فاتقوا الله ملاستظعنم)

وهنا

منا خزيمه بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة

غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن أفلح حمى الدبر ومنا سعد بن معاذ الذى اهتز عرش الرحمن له ورضى الله بحكمه فى بنى قريظة . وقال الخزرجى منا أربعة أحكموا القرآن أبى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الأنصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وأنشدا الأشعار وتفاخرا فجاء الأوس والخزرج ومعهم السلاح فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) وقال عبد الله بن مسعود وابن عباس هو أن يطاع فلا يعصى وقال مجاهد أن يجاهدوا فى سبيل الله حتى جهاده ولا تأخذكم فى الله لومة لائم وتقوموا لله

بالقسط ولو على أنفسكم وآبائكم وأبنائكم وعن أنس أنه قال لا يتقى الله عبد حتى يتقاه حتى يحزن لسانه قال أهل التفسير لما نزلت هذه الآية شق ذلك عليهم فقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فأنزل الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فتسخت هذه الآية وقال مقاتل ليس في آل عمران من الممسوخ إلا هذه الآية (ولا تموتن إلا (٣٩١) وأنتم مسلمون) أي مؤمنون

وقيل مخلصون مفوضون
أموركم إلى الله عز وجل
وقال الفضيل محسون
الظن بالله أخبرنا
عبد الواحد بن أحمد
المليحي أنا أبو بكر
العبدوسي أخبرنا

أبو بكر بن محمد بن
حمدون بن خالد بن
يزيد أخبرنا سليمان بن
يوسف أخبرنا وهب بن
جرير ، أنا شعبة عن
الأعمش عن مجاهد عن
عبد الله بن عباس رضى
الله عنهما قال : قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم : يا أيها الناس اتقوا
الله حتى تقفائه ، فلو أن
قطرة من الزقوم قطرت
على الأرض لأمرت
على أهل الدنيا معيشتهم
فكيف بمن هو طامه
وليس له طعام غيره .

قوله عز وجل (واعتصموا
بحبل الله جميعا) الحبل
السبب الذي يتوصل به
إلى البغية وسمى الإيمان
حبلًا لأنه سبب يتوصل
به إلى زوال الخوف .
واختلفوا في معناه هاهنا
قال ابن عباس معناه

وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والسدى . والقول الثاني أنها محكمة غير
منسوخة وهو رواية عن ابن عباس أيضا وبه قال طاوس وموجب هذا الاختلاف يرجع إلى
معنى الآية فمن قال إنها منسوخة قال حتى تقفائه هو أن يأتي العبد بكل ما يجب لله ويستحقه فهذا
يعجز العبد عن الوفاء به فتحصيله ممتنع ومن قال بأنها محكمة قال إن حتى تقفائه أداء ما يلزم
العبد على قدر طاقته فكان قوله تعالى اتقوا الله ما استطعتم مفسرا لحق تقفائه لا تأسخا ولا خصصا
فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حتى تقفائه وقيل معنى حتى تقفائه كما يجب أن يتقَى وذلك بأن
يجتنب جميع معاصيه وقيل في معنى قول ابن عباس هو أن يطاع فلا يعصى هذا صحيح والذي
يصلح من العبد على سبيل السهو والتسيان غير قادح فيه لأن التكليف في تلك الحال مرفوع
عنه وكذلك قوله وأن يشكر فلا يكفر فواجب على العبد حضور ما أنعم الله به عليه بالبال وأما
عند السهو فلا يجب عليه وكذلك قوله وأن يذكر فلا ينسى فإن هذا إنما يجب عند الدعاء
والعبادة لا عند السهو والتسيان . وقوله تعالى (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) لفظ النهي واقع
على الموت والمعنى واقع على الأمر بالإقامة على الإسلام والمعنى كونوا على الإسلام فإذا ورد
عليكم الموت صادفكم على ذلك وقيل هذا في الحقيقة نهى عن ترك الإسلام المعنى لا تتركوا
الإسلام فإن الموت لا يد منه فنهى جاءكم صادفكم وأنتم على الإسلام لأنه لما كان متمسكًا اثبات
على الإسلام حتى إذا أتاهم الموت أتاهم وهم على الإسلام صار الموت على الإسلام بمنزلة ما قد
دخل في إمكانهم وقيل معناه ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون مخلصون مفوضون إلى الله أموركم
تحسون الظن به عز وجل . عن ابن عباس وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية
اتقوا الله حتى تقفائه ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون فقال لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار
الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معيشتهم فكيف بمن تكون طعامه ، أخرجه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح . قوله عز وجل (واعتصموا بحبل الله جميعا) أي تمسكوا بحبل الله
والحبل هو السبب الذي يتوصل به إلى البغية وسمى الإيمان حبلًا لأنه سبب يتوصل به إلى زوال
الخوف وقيل حبل الله هو السبب الذي به يتوصل إليه فعلى هذا اختلفوا في معنى الآية فقال
ابن عباس معناه تمسكوا بدين الله لأنه سبب يتوصل إليه وقيل حبل الله هو القرآن لأنه أيضا
سبب يتوصل إليه . وفي أفراد مسلم من حديث زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : ألا وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن
تركه كان على ضلالة الحديث عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا القرآن هو حبل
الله المتين وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ، وذكره البيهقي بغير سند وقال
ابن مسعود هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به وإن ماتكروهون
في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة وقيل بحبل الله يعني بأمر الله وطاعته (ولا تفرقوا)
يعني كما تفرقت اليهود والنصارى وقيل ولا تفرقوا يعني كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين

تمسكوا بدين الله ، وقال ابن مسعود هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به وإن ماتكروهون في الجماعة
والطاعة خير مما تحبون في الفرقة وقال مجاهد وعطاء بعهد الله وقال قتادة والسدى هو القرآن وروى عن ابن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء النافع وعصمة الله لمن تمسك به ونجاة
لمن اتبعه ، وقال مقاتل بن حيان بحبل الله أي بأمر الله وطاعته (ولا تفرقوا) كما افرقت اليهود والنصارى . أخبرنا أبو الحسن

السرخسي ثنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ، وأن تناصحوا من ولي الله أمركم ويسخط لكم ثلاثا قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال ، قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم) قال محمد بن إسحاق بن يسار وغيره من أهل الأخبار كانت الأوس والخزرج أخوين لأب وأم فوقع بينهما عداوة بسبب قتل قتيل بينهم فتطاوت تلك العداوة والحرب بينهم عشرين ومائة سنة إلى أن أطفأ الله عز وجل ذلك بالإسلام وألف بينهم برسوله محمد صلى الله عليه وسلم وكان سبب ألفتهم أن سويد بن الصامت أخا بني عمرو بن عوف وكان شريفا يسميه قومه الكامل لجلده ونسبه قدم مكة حاجا أو معتمرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وأمر بالدعوة فتصدى له حين سمع به ودعاه إلى الله عز وجل وإلى الإسلام فقال له سويد فلعل الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذي معك فقال حيلة لقمان يعني حكيمته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها على فرضها فقال إن هذا كلام حسن ومعنى أفضل من هذا قرآن أنزل الله على نورا وهدى فتلا عليه القرآن ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد منه ولم ينفر وسر بذلك وقال إن هذا القول حسن ثم انصرف إلى المدينة فلم يلبث أن قتله الخزرج قبل يوم بعثت قومه ليقتلوه لأنه قد قتل وهو مسلم ثم قدم أبو الجيسر أنس بن رافع ومعه فئة من بني الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتصقون الحلاف من قريش علي قوم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله صلى الله (٣٩٢) عليه وسلم أتاهم فجلس إليهم وقال هل لكم إلى خير مما جئتم له ؟ قالوا

يعادي بعضكم بعضا ويقتل بعضكم بعضا قيل معناه لا تتحدوا ما يكون عنه التفرق ويؤول معه الاجتماع والألفة التي أنتم عليها ففيه النهي عن التفرق والاختلاف والأمر بالاتفاق والاجتماع لأن الحق لا يكون إلا واحدا وما عداه يكون جهلا وضلالا وإذا كان كذلك وجب النهي عن الاختلاف في الدين وعن الفرقة لأن كل ذلك كان عادة أهل الجاهلية فنها عنه وروى البغوي بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا وأن تناصحوا من ولي الله أمركم ، ويسخط لكم ثلاثا قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال ، قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم

وما فلك قال أنا رسول الله بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن لا يشركوا بالله شيئا وأنزل الله على الكتاب ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن فقال إياس بن معاذ وكان غلاما حدثا أي قوم هذا والله خير مما جئتم له فأخذ أبو الجيسر حفنة من البطحاء

فأصبحتم

فغضب بها وجه إياس وقال دعنا منك فلم يردى لقد جئنا لغير هذا فصمت إياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا إلى المدينة وكانت وقعة بعثت بين الأوس والخزرج ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن ملك فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه وإعزاز نبيه خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فلقى عند العقبة رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر أسعد بن زرارة وعوف بن الحارث وهو بن عفران ورافع بن مالك العجلاني وقطبة بن عامر بن خريدة وعقبة بن عامر بن باني وجابر بن عبد الله فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال أمن موالى يهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون حتى أكلكم قالوا بلى فجلسوا معهم فلما هم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن قالوا وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام أن يهودا كانوا معهم يهودا وكانوا أهل كتاب وعلم وهم كانوا أهل أوثان وشرك وكانوا إذا كان منهم شيء قالوا لمن نبيا الآن مبعوث قد أظلم زمانه تبعه وفتنكم معه قتل عاد وإدم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله عز وجل قال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه ؟ فأجابوه وصدقوه وأسلموا وقالوا إنا قد تركنا قومنا وبينهم من العداوة والشر ما بينهم وحبسنا الله أن يجمعهم بك وستقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك فان جمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وراجعين إلى بلادهم قد آمنوا به ﷺ فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها

ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان العام المقبل أتى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، وهم أسعد بن زرارَةَ وعوف بن معاذ ابنا عفراء ورافع بن مالك العجلاني وذكوان بن عبد القيس وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة وعباس بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر وهؤلاء خزرجيون وأبو الميثم بن النبهان وعويم بن ساعدة من الأوس فلقوه بالعقبة وهي بيعة العقبة الأولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء على أن لا يشركون بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزوروا إلى آخر الآية فازوفيتهم فلكم الجنة وإن غشيتهم شيئاً من ذلك فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له وإن ستر عليكم فأمركم إلى الله إن شاء عذبكم وإن شاء غفر لكم قال وذلك قبل أن يفرض عليهم الحرب قال فلما انصرف القوم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين ، وكان مصعب يسمى بالمدينة المقرئ وكان منزله على أسعد بن زرارَةَ ، ثم إن أسعد بن زرارَةَ خرج بمصعب فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر فجلسا في الحائط واجتمع إليهما رجال ممن أسلم ؟ فقال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما فإن أسعد بن زرارَةَ ابن خالتي ولولا ذلك لكفيتك وكان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدي قومهما من بني عبد الأشهل وهما مشركان فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إلى مصعب وأسعد وهما جالسان في الحائط فلما رآه أسعد بن زرارَةَ قال لمصعب هذا والله سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب إن يجلس أكلمه قال فوقف عليهما متشئناً فقال ماجاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا اغز لا إن كانت لكما في أنفسكما حاجة فقال له مصعب أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرا قبلته وإن كرهته كف عنك ماتكروه قال أنصفت ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن فقالوا والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشرافه وتسهيله ثم قال ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين قالوا له تغتسل وتظهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين فقام واغتسل وظهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم قام وركع ركعتين (٣٥٣) ثم قال لهما إن ورائي رجلا إن

اتبعكم لم يتخلف عنه أحد
من قومه وسأرسله إليكم
الآن هو سعد بن معاذ



(٥٠ - خازن بالغوي - أول) ثم أخذ حربته فانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديتهم ؟ فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قال أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب من عنديكم فلما وقف على النادي قال : قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً وقد نهيتهما فقالا فافعل ما أحببت ، وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارَةَ ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتي ليخفروك فقام سعد مغضباً يبادر للذي ذكره له من بني حارثة فأخذ الحربة ثم قال والله ما أراك أغنيت شيئاً فلما رأتهما مطمئنين عرف أن أسيدا إنما أراد أن يسمع منهما فوقف عليهما متشئناً ثم قال لأسعد بن زرارَةَ اولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني تغشانا في دارنا إنما نكره فقال أسعد لمصعب جاءك والله سيد قومه وإن اتبعك لم يخالفك منهم أحد فقال له مصعب أو تصعد فتسمع فإن رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ماتكروه قال سعد أنصفت ثم ركز الحربة فجلس فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن قالوا فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشرافه وتسهيله ثم قال لهما كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالوا له تغتسل وتظهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام واغتسل وظهر ثوبه ثم تشهد شهادة الحق وركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلاً قالوا الخلف بالله لقد يرجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عنديكم فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الأشهل كيف تعالون أمرى فيكم قالوا أسيدنا وأفضلنا وأباؤنا آمننا ننتبه قال فان كلام رجالكم ونساءكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فما أسى في الدار لبني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا أسلم أو مسلمة ورجع أسعد بن زرارَةَ ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارَةَ فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم يبق دهر من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت الشاعر وكانوا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الإسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومضى بدر واحد والخندق قال ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة وخرج معه من الأنصار من المسلمين سبعون رجلاً مع حججاج قومهم من أهل الشرك حتى

قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق وهي بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت تلك الليلة التي واعدنا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر أخبرنا وكنا نكتم عن معنا من المشركين من قومنا أمرنا فكلماناه وقلنا له يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرفنا وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون خطيبا لنا غدا ودعونا إلى الإسلام فأسلم وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة وكان نقيبا فبنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم تنسلل مستخفين نسلل القضا حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امرأتان من نساتنا نسيبة بنت كعب بن عمارة إحدى نساء بني النجار وأسما بنت عمرو بن عدى أم منيع إحدى نساء بني سلمة فاجتمعنا بالشعب تنتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا وهو مع عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له فلما جلسنا كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب إنما يسبون هذا الحي من الأنصار خزرجها وأوسها إن محمدا صلى الله عليه وسلم منا حيث قد علمتم وقد منعنا من قومنا ممن هو على مثل رأينا وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وإنه قد أتى إلا الانتطاع إليكم والحق بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتكم إليه وما نعوذ من مخالفته فأنتم وما نعوذ من ذلك وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخادلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة قال فلما قدمنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شئت قال فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنلا القرآن ودعا إلى الله تعالى ورغب في الإسلام ثم قال أبا يعك على أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأبناكم قال فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعك مما تمنع منه أرونا فبايعنا يا رسول الله فحن أهل الحرب وأهل الحلقة ورثاها كآبرا عن كآبر ؟ قال فأعرض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان (٣٩٤) فقال يا رسول الله إن بيننا وبين الناس حبالا يعني اليهود وإننا قطعوه

فهل صيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لا بل الأبد الأبد الدم والهدم الهدم أنتم مني وأنا منكم أحارب من حاربتهم وأسلم من أسلمتهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا كفلاء على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم فأخرجوا اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس قال عاصم بن عمرو بن قتادة إن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري يا معشر الخزرج هل تدرون علام تباعون هذا الرجل إنكم تباعونه على حرب الأحمر والأسود فإن كنتم ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة وأشرفكم قتلا أسلمتموه فإن الآن فهو والله إن فعلمت حزبي في الدنيا والآخرة وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتكم إليه على نهب الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير في الدنيا والآخرة قالوا فانا نأخذ على مصيبة الأموال وقتل الأشراف قالوا فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا قال الجنة قال بسط يدك بسط يده فبايعوه وأول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة صوتا ماسمعه قط يا أهل الحياجب هل لكم في مذمم والصبا قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عدو الله هذا أرب العقبة اسمع أي عدو الله أما والله لأفرغن لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفضوا إلى رجالكم فقال العباس بن عباد بن نضلة والذي بعثك بالحق لئن شئت لخيبتن غدا على أهل مني بأسيا فانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رجالكم قال فرجعنا إلى مضاجعنا فذمنا عليها حتى أصبحنا فلما أصبحنا عدت علينا جله قريش حتى جاءونا في منازلنا فقالوا يا معشر الخزرج بلغنا أنكم جئتم صاحبنا هنا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا فإنه والله ماسحى من العرب أبغض إلينا أن ينشب بالحرب بيننا وبينهم منكم قال فانبعث من هناك من مشرك قومنا يخلفون لهم بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه وصدقوا لم يعادوا وبعضنا ينظر إلى بعض القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة الخزومي وعليه نعلان جديدان قال فقلت له كلمة كأتى أريد أن أشرك القوم بها

قالوا يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلي (٣٩٥) هذا القتي من قريش قال فسمعها

الحارث فخلعهما من
رجليه ثم رمى بهما إلى
فقال والله لتعلمتما قال
يقول أبو جابر رضي
الله عنه من والله لقد
أحفظت القتي فأرود إليه
نعليه قال لا أردهما قال
والله يا أبا صالح والله
لئن صدق القائل لأسلمنه
قال ثم انصرف الأنصار
إلى المدينة وقد شدوا
العقد فلما قدموها
أظهروا الإسلام بها وبلغ
ذلك قريشا فأدوا أصحاب
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأصحابه
إن الله تعالى قد جعل
لكم إخوانا ودارا تأمنون
فيها وأمرهم بالمجرة إلى
المدينة والحقوا بإخوانهم
من الأنصار فأول من
هاجر إلى المدينة أبو سلمة
ابن عبد الأسد المخزومي
ثم عامر بن ربيعة ثم
عبد الله بن جحش ثم
تتابع أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم أرسالا
إلى المدينة فجمع الله
أهل المدينة أوسها
وخزرجها بالإسلام
وأصلح ذات بينهم بنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى «وإذا كروا
نعمة الله عليكم أيام عشر
الأنصار» إذ كنتم أعداء»

(فأصبحتم بنعمته إخوانا) قال محمد بن إسحاق وغيره من أهل الأخبار كان الأوس والخزرج أخوين
لأب وأم فوعدت بينهما عداوة قتيل ثم تظاولت تلك العداوة والحروب بينهم مائة وعشرين سنة إلى أن
أظفأ الله ذلك بالإسلام وألف بينهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم. وسبب ذلك أن سويد بن الصامت أخا بني
عمرو بن عوف وكان شريفا بسميه قومه الكامل لجلده ونسبه قدم مكة حاجا أو معتمرا وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وأمر بالدعوة فتصدى له النبي حين سمع به ودعاه إلى الله عز
وجل وإلى الإسلام فقال له سويد فلعل الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما الذي معك؟ قال مجلد لقمان يعني حكمة لقمان فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم أعرضها على فعرضها عليه فقال إن هذا الكلام حسن ومعنى أفضل من
هذا قرآن أنزل الله عز وجل على نورا وهدى فتلا عليه القرآن ودعاه إلى الإسلام فلم يعد
منه وقال إن هذا القول قول حسن ثم انصرف إلى المدينة فلم يلبث أن قتله الخزرج يوم بعث
فيهم إياس بن معاذ بن مسعود الخلف من قريش على قومهم من الخزرج فلما سمع بهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم وجلس إليهم وقال لهم هل لكم إلى خير مما جئتم له قالوا
وما هو؟ قال أنا رسول الله قد بعثني الله إلى العباد أدعوهم إلى أن لا يشركوا بالله شيئا وأنزل على
الكتاب ثم ذكر الإسلام وتلا عليهم القرآن قال إياس بن معاذ وكان غلاما حدثا أي قوما هذا
والله خير مما جئتم له فأخذ أبو الخيس حفنة من البطحاء فضرب بها وجه إياس وقال دعنا
منك فلعمرى لقد جئنا لغير هذا فصمت إياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم
وإنصرفوا إلى المدينة فكانت وقعة بعث بين الأوس والخزرج فلم يلبث إياس بن معاذ أن
هلك فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه وإعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الموسم الذي أتى فيه نفر من الأنصار فعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان يصنع
في كل موسم فلقى عند العقبة رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر أسعد بن زرارة
وعوف بن الحارث وهو ابن عفران ورافع بن مالك العجلاني وقطبة بن عامر بن خزيمة وعقبة
ابن عامر بن بلي وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال أمن موالى اليهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون حتى أكلمكم
قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن قال
وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام أن يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وهم
أهل أوثان وشرك وكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا إن نبيا الآن مبعوث قد أظلم زمانه سنتبعه
وذلكم معه قتل عاد وإرم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله
عز وجل قال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله أنه النبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقكم
إليه فأجابوه وصدقوه وأسلموا معه وقالوا إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشرا
ما بينهم فمضى الله أن يجمعهم بك وستقدم عليهم وتدعوهم إلى أمرك فان يجمعهم الله عليك فلا
رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم فلما قدموا
المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم فلم ترق
دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان العام المقبل
قبل الإسلام فآلف بين قلوبكم الإسلام (فأصبحتم) أي فصرتم (بنعمته) برحمته ودينه الإسلام (إخوانا) في الدين والولاية بينكم

وافى الموسم من الأتصار اثنا عشر رجلا وهم أسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفراء ورافع
 ابن مالك العجلاني وذكوان بن عبد القيس وعبادة بن الصامت وزيد بن ثعلبة وعباس
 ابن عباد وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر فهؤلاء خزرجيون وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة
 من الأوس فلقوه بالعقبة وهي العقبة الأولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على
 بيعة النساء على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزني ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين
 بهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف الآية فان وقيتن فلكنم لجنة وإن
 عشتن شيئا من ذلك فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة وإن ستر عليكم فأمركم إلى الله عز وجل
 إن شاء عليكم وإن شاء غفر لكم قال وذلك قبل أن يفرض الحرب ، قال فلما انصرف
 القوم بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم
 الإسلام ويفقههم في الدين وكان يسمى مصعب بالمدينة المقرئ وكان منزله على أسعد بن زرارة
 ثم إن أسعد بن زرارة خرج ومصعب فدخل به حائطا من حوائط بني ظفر فجلسا في الحائط
 واجتمع إليهما رجال ممن أسلم فقال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير انطلق إلى هذين الرجلين
 اللذين أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما فان أسعد بن خالتي وأولا ذلك لكفتيكه وكان
 سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدى قومهما من بني عبد الأشم ل وهما بعد مشركان فأخذ
 أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إلى مصعب وأسعد وهما جالسان في الحائط فلما رآه أسعد بن
 زرارة قال لمصعب هذا سيد قومك قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب إن يجلس أكلمه
 فلما وقف عليهما متشئا وقال ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا اعتر لا إن كانت لكما في أنفسكما
 حاجة قال له مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وإن كرهته كفت عنك ماتكروه ؟
 قال أنصفت ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن قال والله
 لعرفنا الإسلام في وجهه قبل أن يتكلم من إشرافه وتسهله ثم قال ما أحسن هذا وأجمله كيف
 تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين قالوا تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تصلي
 ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم صلى ركعتين ثم قال إن ورائي رجلا
 إن تبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن سعد بن معاذ ثم أخذ حربته
 فانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديبهم فلما نظر سعد إلى أسيد مقبلا قال أحلف بالله
 لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندهم فلما وقف أسيد على النادى قال له سعد
 ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقال لا تفعل إلا ما أحببت
 وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك
 ليحقروك فقام سعد مغضيا للذي ذكره من بني حارثة فأخذ الحربة ثم قال والله ما أراك أغويت
 شيئا فانصرف إليهما فلما رأهما مطمئنين عرف أن أسيدا إنما أراد أن يسمع منهما فوقف
 عليهما متشئا ثم قال لأسعد بن زرارة لولا ما بيني وبينك من القرابة مارمت هنا مني تغشانا
 في دارنا بما فكره وقد كان قال أسعد لمصعب جاءك والله سيد قومك إن تبعك لم يخالفك أحد
 منهم فقال له مصعب أو تقعد فتسمع فان رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا
 عنك ماتكروه فقال سعد أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه مصعب الإسلام وقرأ
 عليه القرآن قالوا فعرفنا والله الإسلام في وجهه قبل أن يتكلم من إشرافه وتسهله ثم قال

كيف تصنعون إذا أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالوا تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم
 تصلي ركعتين فقام واغتسل وظهر ثوبه وشهد شهادة الحق وركع ركعتين ثم أخذ حريته وأقبل
 عامدا إلى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رأوه مقبلا قالوا تخلف بالله لقد رجع سعد
 إليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلا وقف عليهم قال يابني عبد الأشهل كيف تغلزون
 أمرى فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمتنا تقيية قال فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام
 حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فما أمسى في دار بنى الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلم ومسلمة
 ورجع أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير إلى منزل أسعد فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام
 حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ومسلمات إلا ما كان من دار
 أمية بن زيد وخطمة ووائل ووافق ذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسات الشاعر وكانوا
 يسمعون منه ويظلمونه فوقفت بهم عن الإسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
 المدينة ومضى بدر وأحد والخندق قالوا ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة وخرج معه من
 الأنصار المسلمين سبعون رجلا مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فوجدوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق وهي بيعة العقبة الثانية قال كعب
 ابن مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر أخبرناه وكنا نكتم من معنا من المشركين
 من قومنا أمرنا فكلمناه وقلنا يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وإننا نرغب
 بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ودعوتنا إلى الإسلام فأسلم فأخبرناه بميعاد رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة وكان نقيبا فبينما تلك الليلة مع قومنا في رجالنا حتى
 إذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم تتسلل مستخفين تدال القضا
 حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امرأتان من نساءنا نسيبة بنت
 كعب أم عمارة إحدى نساء بنى النجار وأسماء بنت عمرو بن عدى أم منيع إحدى نساء
 بنى سامة فاجتمعنا بالشعب تنتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا معه عمه العباس
 ابن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له فلما
 جلسنا كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال: يا معشر الخزرج وكانت العرب يسمون
 هذا الحى من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها إن محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه عن قومنا
 ممن هو على مثل رأينا وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وإنه قد أتى إلا الانقطاع إليكم واللتحق
 بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتوه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحماتم به من ذلك
 وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة
 قال فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شئت فتكلم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا إلى الله عز وجل ورغب في الإسلام ثم قال أبايعكم على أن
 تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم ونساءكم وأبناءكم قال فأخذ البراء بن معمر يديه ثم قال والذي بعثك بالحق
 نبيا لمتعنك مما تمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله فمحن أهل الحرب وأهل الحلقة ورثتهما
 كائرا عن كابر فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن الشيبان

فقال يارسول الله إن بيننا وبين الناس حيالا يعني عهدا وإنا قاطعوها فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم والهدم والهدم أنتم مني وأنا منكم أحارب من حاربتم وأسلم من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا كفلاء على قومهم بما فيهم ككفالة الحوارين لعيسى بن مريم فأخرجوا اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس قال عاصم بن عمرو بن قتادة إن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس ابن عباد بن نضلة الأنصاري يامعشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرفكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهو والله خزي في الدنيا والآخرة وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه على نهك الأموال وقتل الأشراف فخلوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فإنا نأخذ على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يارسول الله إن نحن وفينا قال الجنة قالوا إيست يدك فيسط يده فبايعوه وأول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تابع القوم قال فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت ما سمعته قط يا أهل الحياحب هل لكم في مدمم والصبابة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا غموا الله هذا أرب العقبة يعني شيطان العقبة اسمع أي غموا الله أما والله لأفرغن لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفضوا إلى رحالكم فقال العباس ابن عباد بن نضلة والذي بعثك بالحق لئن شئت لتميلن على أهل مني بأسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تؤمر بذلك ولكن أرجعوا إلى رحالكم فرجعنا إلى مضاجعنا فذمنا عليها حتى أصبحنا فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاءونا في منازلنا فقالوا يامعشر الخزرج باعنا أنكم جنتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا وإنه والله ما جئنا من العرب أبغض إلينا أن تلشب الحرب بيننا وبينه منكم قال فتابعت من هناك من مشركي قوما يخلتون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه وصدقوا لم يعلموا به وبعضنا ينظر إلى بعض وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة الخزومي وعليه نعلان جديدان قال فقلت له كلمة كأتى أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوه يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا القتي من قريش قال فسمعها الحارث فخلعهما من رجله ورمى بهما إلى وقال والله لئن تعلمنهما قال أبو جابر مه والله أحفظت القتي فأردد إليه فعليه قال فقلت لا أردعها قال والله يا أبا صالح لئن صدق القائل لأصلبه قال ثم انصرف الأنصار إلى المدينة وقد شدوا العقد فلما قدموها أظهروا الإسلام بها وبلغ ذلك قريشا فأذوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه إن الله قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون فيها فأمرهم بالهجرة إلى المدينة والتحقوا بإخوانهم من الأنصار فأول من هاجر إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد الخزومي ثم عامر بن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تابعوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلوا إلى المدينة ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فجمع الله عز وجل أهل المدينة أوسها وخزرجها بالإسلام وأصلح ذات بينهم بنيه عليه الصلاة والسلام وأنزل الله عز وجل واذكروا يعني يامعشر الأنصار نعمة الله عليكم يعني بالإسلام

(وكنتم) يامعشر الأوس والخزرج (على شفا حفرة من النار) أي على طرف حفرة مثل شفا البئر، معناه وكنتم على طرف حفرة من النار ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا على كفركم (فأنقذكم) الله (منها) بالإيمان (كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتسكن منكم أمة) أي ولتكونوا أمة ومن صلة ليست للتبويض كقوله تعالى «فاجتنبوا الرجس من الأوثان» لم يرد اجتناب بعض الأوثان بل أواد فاجتنبوا الأوثان واللام في قوله ولتسكن لام الأمر (يدعون إلى الخير) إلى الإسلام (وبأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) أخبرنا إسماعيل (٣٩٩) من عبد القاهر قال أنا عبد الغافر بن

عبد قال أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثنا أبو بكر محمد بن أبي شيبة أخبرنا وكيع عن سفيان عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: قال أبو سعيد رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقي قال أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني أخبرنا محمد بن عمرو الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشي عن أبي حنيفة أخبرنا علي بن حجر أخبرنا إسماعيل بن جعفر أنا عمرو بن أبي عمرو عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشهل عن حذيفة أن

إذ كنتم أعداء، يعني قبل الإسلام وفألف بين قلوبكم، يعني بالإسلام وببنيته عليه الصلاة والسلام فأصبحتم بنعمته إخوانا يعني فصرتم برحمته وبدينه الإسلام إخوانا في الدين والولاية بعد العداوة (وكنتم) يامعشر الأوس والخزرج (على شفا حفرة من النار) يعني على طرف حفرة مثل شفا البئر ليس بينكم وبين الوقوع في النار إلا أن تموتوا على كفركم (فأنقذكم منها) أي فخلصكم بالإيمان من الوقوع في النار (كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) قوله تعالى (ولتسكن منكم أمة يدعوون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) اللام في قوله ولتسكن لام الأمر أي لتسكن منكم أمة دعاة إلى الخير وقبل إن كلمة من في قوله منكم للتبيين لا للتبويض وذلك لأن الله عز وجل أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة في قوله تعالى «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» فيجب على كل مكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إما بيده أو بلسانه أو بقلبه (م) عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» فعلى هذا يكون معنى الآية كونوا أمة دعاة إلى الخير أمرين بالمعروف وناهين عن المنكر ومن قال بهذا القول يقول إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به واحد سقط الفرض عن الباقي وقيل إن من هنا للتبويض وذلك لأن في الأمة من لا يقدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعجزه وضعفه فحسن إدخال لفظ من في قوله ولتسكن منكم أمة يدعوون إلى الخير وقيل إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما يختص بالعلماء ولاة الأمر فعل هذا يكون المعنى ليسكن بعضكم أمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر (خ) عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذي في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا أو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم تؤذنا من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعا» والخبر المذكور في الآية هو كل شيء «رغب فيه من الأفعال الحسنة وقيل هو هنا كناية عن الإسلام والمعنى لكن أمة أي جماعة دعاة إلى الإسلام وإلى كل فعل حسن يستحسن في الشرع والعقل وقيل الدعوة إلى فعل الخير يندرج تحتها نوعان: أحدهما الترغيب في فعل ما ينبغي وهو الأمر بالمعروف والثاني الترغيب في ترك ما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر فذكر الحسن أولا وهو الخير ثم أتبعه بنوعه بالغة في البيان والمعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ضد ذلك وهو ما عرف بالعقل والشرع قبحه وقوله تعالى (وأولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره.

النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم» أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن حمش الزبائدي أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا علي بن الحسين الدرناجوري أخبرنا أبو النعمان أخبرنا عبد العزيز بن مسلم المفسريلي أنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقول: يا أيها الناس إنكم تفرمون هذه الآية «يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا أهديتهم» وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول: إن الناس إذ رأوا منكرا فلم يفتروا بوشك أن يعتمهم الله تعالى بعقابه أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمرو بن حفص بن غياث أخبرنا أبي أنا الأعمش حدثني الشعبي أنه سمع النعمان بن بشير رضي الله عنه يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل المذاهن في حدود الله تعالى والواقع فيها كمثل قوم استهموا وصفيته فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم (٤٠٠) في أعلاها فكان الذي في أسفلها يمر بالماء على الذين في أعلاها فتأذوا به

فأخذ فأسا فجعل ينثر أسفل السفينة فاتوه فقالوا مالك قال تأذيتني ولا بد لي من الماء فإن أخذوا على يديه أتجوه وأجوا أنفسهم وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم . قوله تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) قال أكثر المفسرين هم اليهود والنصارى وقال بعضهم المبتدعة من هذه الأمة وقال أبو أمامة رضي الله بن شداد وقف أبو أمامة وأنا معه على رموس الحرورية على درج جامع دمشق فذرفت عيناه ثم قال كلاب أهل النار وكانوا مؤمنين فكفروا بعد إيمانهم ، شر قتيل تحت أديم السماء وخير قتيل تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء قلت فما شأنك دمعت عينك قال رحمة لهم كانوا من أهل الإسلام فكفروا بعد إيمانهم ثم أخذ بيدي وقال إن بأرضي منهم كثير وفي رواية ثم قرأ بعد قوله فكفروا بعد إيمانهم ولا تكونوا كالذي تفرقوا واختلفوا إلى قوله أكثر ثم بعد إيمانكم ورواه الترمذي عن أبي غالب قال رأى أبو أمامة رموسا منصوبة على درج دمشق فقال أبو أمامة كلاب أهل النار شر قتيل تحت أديم السماء خير قتيل من قتلوه ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه إلى آخر الآية قلت لأبي أمامة أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاث مرات أو أربع مرات حتى عد سبحا ما حدثتك كونه وقال فيه هذا حسن وقوله تعالى (من بعد ما جاءهم البينات) يعني الحجج الواضحات فعلموها ثم خالفوها وإنما قال جاءهم ولم يقل جاءتهم لجواز حذف علامة التأنيث من الفعل في التقديم تشبيها بعلامة التثنية والجمع (وأولئك لهم عذاب عظيم) يعني هؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا عذاب عظيم في الآخرة وفيه زجر عظيم للمؤمنين عن التفرق والخلاف عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة شبرا فمدرج في ريقه الإسلام من عنقه أخرجه أبو داود وأراد بريقة الإسلام عقد الإسلام وأصله أن الريق حيل فيه عدة عرا يشدها الغم الواحدة من العرى بريقة وروى البغوي بسنده عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يسكن بجوحة الجنة فعليه بالجماعة فإن الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد بجوحة الجنة وسطها والفذ هو الواحد . قوله عز وجل (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) يعني اذكروا يوم تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة وقيل تبيض وجوه المخاضين وتسود وجوه المناقذين وفي بياض الوجوه وسوادها قولان أحدهما إن البياض كناية عن القرح والسرور والسواد كناية عن الغم والحزن

ابن محمد الصفار حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر بن عبد الله بن عمير وهذا عن عبد الله بن الزبير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومن سره أن يسكن بجوحة الجنة فعليه بالجماعة فإن الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد وقوله تعالى (وأولئك لهم عذاب عظيم) يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) يوم نضب على الظرف أي في يوم وانتصاب الظرف على التشبيه بالمفعول يريد تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين

وقيل تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ هذه الآية قال تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس إذا كان يوم القيامة رفع لكل قوم ما كانوا يعملونه فيسعى كل قوم إلى ما كانوا يعبدونه وهو قوله تعالى «توله ماتولى» فإذا انتهوا إليه جزوا فتسود وجوههم من الحزن وتبقى أهل القبلة واليهود والنصارى لم يعرفوا شيئا مما رفع لهم فيأتيهم الله (٤٠١) فيسجد له من كان يسجد

في الدنيا مطيعا مؤمنا
ويبقى أهل الكتاب
والمنافقون لا يستطيعون
السجود ثم يؤذن لهم
فيرفعون رؤوسهم ووجوه
المؤمنين مثل الثلج بياضا
والمنافقون وأهل الكتاب
إذا نظروا إلى وجوه
المؤمنين حزنوا حزنا
شديدا فاسودت وجوههم
فيقولون ربنا مالنا سودت
وجوهنا فوالله ما كنا
مشركين فيقول الله
للملائكة انظروا كيف
كذبوا على أنفسهم ،
قال أهل المعاني :
بياض الوجوه : إشراقها
واستبشارها وسرورها
بعملها وبثواب الله
واسودادها : حزنها
وكآبتها وكسوفها
بعملها وبعباب الله بدل
عليه قوله تعالى «وللذين
أحسنوا الحسنى وزيادة
ولا يرهق وجوههم قتر
ولا ذلة» وقال تعالى
«والذين كسبوا السيئات
جزاء سنية بمثلها
وترهقهم ذلة» وقال
«وجود يومئذ ناضرة إلى

وبها مجاز مستعمل يقال لمن نال بغيته وظفر بمطلوبه ابيض وجهه يعنى من السرور
والفرح ولمن ناله مكروه اسود وجهه وأريد لونه يعنى من الحزن والغم قال الله تعالى « وإذا
بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا» يعنى من الحزن فعلى هذا بياض الوجوه إشراقها وسرورها
واستبشارها بعملها وذلك أن المؤمن إذا ورد القيامة على ما قدم من خير وعمل صالح استبشر
بثواب الله ونعمه عليه فإذا كان كذلك وسم وجهه بياض اللون وإشراقه واستنارتته وبيضت
صحيفته وأشرقت وسعى النور بين يديه وعن يمينه وشماله . وأما الكافر والظالم إذا ورد القيامة
على ما قدم من قبيح عمل وسينات حزن واغم أعله بعداب الله فإذا كان كذلك وسم وجهه
بسواد اللون وكودته واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ
بفضل الله وسعة رحمته من الظلمات والقول الثانى بياض الوجوه وسوادها أن أهل الموقف إذا رأوا
نحصل في الوجه فيبيض وجه المؤمن ويكسى نورا ويسود وجه الكافر ويكسى ظلمة لأن لفظ
البياض والسواد حقيقة فهما والحكمة فى بياض الوجوه وسوادها أن أهل الموقف إذا رأوا
بياض وجه المؤمن عرفوا أنه من أهل السعادة وإذا رأوا سواد وجه الكافر عرفوا أنه من
أهل الشقاوة (فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتهم بعد إيمانكم فلو قوا العذاب بما كنتم
تكفرون) أى فيقال لهم أكفرتهم والهزة للتوبيخ والتعزير . فان قلت كيف قال أكفرتهم بعد
إيمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين فن المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم . قلت اختلف العلماء
فى ذلك فروى عن أبى بن كعب أنه قال أراد به الإيمان يوم أخذ الميثاق حين قال لهم ألمست
بربكم ؟ قالوا بلى فأمن الكل فكل من كفر فى الدنيا فقد كفر بعد الإيمان وقال الحسن هم
المنافقون وذلك أنهم تكلموا بالإيمان بألسنتهم وأنكروه بقلوبهم وقال عكرمة هم أهل الكتاب
وذلك أنهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث أنكروه وكفروا به وقيل
هم الذين ارتدوا زمن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم وهم أهل الردة (ق) عن ابن مسعود قال
قال رسول الله ﷺ «أنا فرطكم على الحوض وليرفعن إلى رجال منكم حتى إذا أهويت إليهم
لأننا لم نختلجوا دونى فأقول أى رب أصحابى فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (ق) عن أنس
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «وليردن على الحوض رجال ممن صاحبتنى حتى إذا رفعوا
إلى اختلجوا دونى فلاقولن أى رب أصحابى أصحابى فيقال لي لا تدري ما أحدثوا بعدك» زاد فى رواية
فأقول «صفا لمن بدل بعدى» (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يرد على
يوم القيامة رهط من أصحابى أو قال من أمتى فيجلون عن الحوض فأقول يارب أصحابى فيقول
إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أديبارهم القهقرى» وقيل هم الخوارج الذين خرجوا
على على بن أبى طالب وقتلهم وهم الحرورية (م) عن زيد بن وهب أنه كان فى الجيش الذين كانوا

(٥١ - خازن بالبغوي - أول) ربه ناظرة ووجوه يومئذ باسرة « وقال «وجود يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة
ووجوه يومئذ عليها غبرة» (فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتهم بعد إيمانكم) معناه يقال لهم أكفرتهم بعد إيمانكم (فلو قوا العذاب
بما كنتم تكفرون) فان قيل كيف قال أكفرتهم بعد إيمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين قيل حكى عن أبى بن كعب أنه قال أراد به الإيمان
يوم الميثاق حين قال لهم ربهم ألمست بربكم قالوا بلى فيقول أكفرتهم بعد إيمانكم يوم الميثاق وقال الحسن هم المنافقون تكلموا

بالإيمان بالسنتهم وأنكروا بقلوبهم وقال عكرمة لهم أهل الكتاب آمنوا بأبيائهم ومع محمد صلى الله عليه وسلم قيل أن بيعت فلما بعث كفروا به وقال قوم هم من أهل قبلتنا وقال أبو أمامة هم الخوارج وقال قتادة هم أهل البدع أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي (٤٠٢) أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا سعيد بن أبي مريم عن نافع

مع علي لما ساروا إلى الخوارج فقال علي : أيها الناس إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يخرج قوم من أمي يقرءون القرآن ليس قراءتكم إلي قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلي صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلي صيامهم بشيء يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا يجاوز صلاتهم تراقيم يقرءون من الإسلام كما يقرء السهم من الرمية » وفي رواية سويد بن غفلة عنه يقرءون القرآن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يقرءون من الدين كما يقرء السهم من الرمية فأبنا لقبية وهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة (ق) عن بشير بن عمرو قال قلت لسهل بن حنيف هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج شيئا قال سمعته يقول وأهوى يده إلى العراق ويخرج منهم قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيم يقرءون من الإسلام مروق السهم من الرمية ، وقيل هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة كالقدرية ونحوهم ومن قال بهذا القول يقول كفرهم بعد إيمانهم هو خروجهم من الجماعة ومفارقتهم في الاعتقاد (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا » وقال الحرث الأعور سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول علي المنبر إن الرجل ليخرج من أهله فما يثوب إليهم حتى يعمل عملا يستوجب به الجنة وإن الرجل ليخرج من أهله فما يعود إليهم حتى يعمل عملا يستوجب به النار ثم قرأ يوم تبيض وجوه الآية ثم نادى هم الذين كفروا بعد الإيمان ورب الكعبة . وقوله تعالى (وأما الذين ابيضت وجوههم) يعني المؤمنين المطيعين لله عز وجل (ففي رحمة الله) يعني في جنة الله وإنما سميت الجنة رحمة لأنها دار رحمة وفيه إشارة إلى أن العبد وإن عمل بالطاعات لا يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى (هم فيها خالدون) قيل إنما كرر كلمة في لأن في كل واحدة منهم معنى غير الأخرى المعنى أنهم في رحمة الله وأنهم في الرحمة خالدون (تلك آيات الله) يعني القرآن وقيل هذه الآيات التي تقدمت (نتلوها عليك بالحق) أي بالمعنى الحق لأن المتلو حق (وما الله يريد ظلما للعالمين) يعني لا يعاقب أحدا بغير جرم واستحقاق للعقوبة وإنما ذكر الظلم هنا لأنه قد تقدم ذكر العقوبة في قوله فأما الذين أسودت وجوههم إلى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أخبر أنهم إنما وقعوا فيها وقعوا فيه بسبب أفعالهم المنكرة وأنه لا يظلم أحدا من خلقه (ولله مافي السموات وما في الأرض) لما ذكر الله أنه لا يريد ظلما للعالمين لأنه لا حاجة به إلى الظلم وذلك أن الظالم إنما يظلم غيره ليزداد مالا أو عزا أو سلطانا أو يتم نقصا فيه بما يظلم به غيره ولما كان الله عز وجل مستغنيا عن ذلك وله صفة الكمال أخبر أن له مافي السموات وما في الأرض وأن جميع مافيها ملكه وأهلها عبيده وإذا كان كذلك يستحيل في حقه سبحانه وتعالى أن يظلم أحدا من خلقه لأنهم عبيده وفي قبضته ثم قال (ولى الله ترجع الأمور) يعني وإليه مصير جميع الخلق

ابن عمر حدثني ابن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنى على الخوض حتى أنظر من يرد على منكم وسيؤخذ فأس دونى فأقول يارب منى ومن أمي فيقال هل شعرت بما عملوا بعدك فوالله ما رجوا يرجعون على أعقابهم » ، وقال الحرث الأعور سمعت عليا رضي الله عنه على المنبر يقول : إن الرجل ليخرج من أهله فما يعود إليهم حتى يعمل عملا يستوجب به الجنة ، وإن الرجل ليخرج من أهله فما يعود إليهم حتى يعمل عملا يستوجب به النار ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الآية ثم نادى هم الذين كفروا بعد الإيمان ورب الكعبة أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقي أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشمهيني أنا علي

ابن حجر أنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا » قوله تعالى (وأما الذين ابيضت وجوههم) هؤلاء أهل الطاعة (ففي رحمة الله) هم فيها خالدون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين والله مافي السموات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور

المؤمن والكافر والطائع والعاصي فيجازى الكل على قدر استحقاقهم ولا يظلم أحدا منهم .
 قوله عز وجل (كنتم خير أمة) سبب نزول هذه الآية أن مالك بن الصيف ووهب بن هودا
 اليهوديين قالوا لعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسلم مولى حذيفة: نحن أفضل
 منكم وديننا خير من دينكم الذي تدعوننا إليه فأنزله الله هذه الآية واختلفت في لفظة كان فقيل
 هي بمعنى الحدوث والوقوع والمعنى حدثتم ووجدتم وخلفتم خير أمة وقيل كان هنا ناقصة وهي
 عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض ولا تدل على انقطاع طارىء بدليل قوله «وكان الله
 غفورا رحيمًا» فعلى هذا التقدير يكون المعنى: كنتم في علم الله خير أمة وقيل كنتم مذكورين في الأسم
 الماضية بأنكم خير أمة وقيل كنتم في اللوح المحفوظ موصوفين بأنكم خير أمة وقيل معناه كنتم
 منذ آمنتم خير أمة وقيل قوله خير أمة تابع لقوله «فأما الذين ابيضت وجوههم» والتقدير أنه
 يقال لهم عند دخول الجنة كنتم في دنياكم خير أمة فلهذا استحققت ما أنتم فيه من بياض الوجوه
 والنعيم المقيم وقيل كنتم بمعنى أنتم وقيل يحتمل أن يكون كان بمعنى صار فعنى قوله كنتم أى صرتم
 خير أمة. فأما المخاطبون بهذا من هم ففيه خلاف قال ابن عباس في قوله كنتم خير أمة هم الذين
 هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن عمر بن الخطاب قال لو شاء
 الله تعالى لقال أنتم فكنا كلنا ولكن في خاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع
 مثل ما صنعتم كانوا خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال الضحاك
 هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني به كانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله عز
 وجل المسلمين باتباعهم وطاعتهم (ق) عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري أذكر بعد
 قرني قرنين أو ثلاثة ثم إن بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويحونون ولا يؤتمنون وينذرون
 ولا يوفون ويظهر فيهم السمن زاد في رواية «ويخلفون ولا يستحلفون» (ق) عن ابن مسعود
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم
 يحيى قوم تسبق شهادة أحدهم بيمينه ويمينه شهادته» قوله خير الناس قرني يعني أصحابي والقرن أهل
 كل زمان مأخوذ من الافتران فكأنه الزمان الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم
 وقيل القرن أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة (ق) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدا أفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» النصيف
 النصف وقال ابن عباس في رواية عطاء في قوله كنتم خير أمة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال
 الزجاج قوله كنتم خير أمة الخطاب فيه مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عام
 في كل أمة ونظيره قوله كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص فان كل ذلك خطاب مع
 الحاضرين بحسب اللفظ ولكنه عام في حق الكل كذا ههنا عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده
 أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى «كنتم خير أمة أخرجت للناس» قال أنتم تنمون
 سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى «أخرجته الترمذي وقال حديث حسن وأصل الأمة
 الجماعة المجتمع على الشيء. وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هم الجماعة الموصوفون بالإيمان بالله عز
 وجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كل
 أمي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن أبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»

(كنتم خير أمة)

أخرجت للناس) قال عكرمة ومقاتل نزلت في ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم وذلك أن مالك بن الصيف ووهب بن يهود اليهوديين قال لهم نحن أفضل منكم وديننا خير مما تدعوننا إليه فأزل الله تعالى هذه الآية ، وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما كنتم خير أمة أخرجت للناس ، هم الذين هاجروا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وقال جويرية عن الضحاك هم أصحاب محمد ﷺ خاصة الرواة والدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم وروى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كنتم خير أمة أخرجت للناس تكون لأولنا ولا تكون لآخرنا أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أنا أبو محمد (٤٠٤) عبد الرحمن بن شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أخبرنا شعبة

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله لا يجمع أمتي أو قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار » أخرجه الترمذي عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل » أخرجه أبو داود عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل أمتي كمثل المطر لا يدري آخره خير أم أوله » أخرجه الترمذي وله عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم » وله عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسير قالركب المسرع المجد ثلاثاً ثم إنهم يتضاغطون عليه حتى تكاد منا كبهم تزول » قال الترمذي سألت محمداً يعني البخاري عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال لخالد بن أبي بكر منا كبير عن سالم بن عبد الله زاد غيره في الحديث وهم شركاء الناس في سائر الأبواب عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أمتي من يشفع في الفئام من الناس ومنهم من يشفع في القبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للواحد » أخرجه الترمذي (خ) عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف حياطين متأسكين آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر » عن أبي أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « وعدني ربي أن يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً لحساب عليهم ولا عذاب ومع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حيات من حيات ربي » أخرجه الترمذي وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « إن الجنة حُرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي » وقوله تعالى (أخرجت للناس) معناه كنتم خير الأمم المخرجة للناس في جميع الأعصار ومعنى أخرجت أظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وقيل معناه كنتم للناس خير أمة أخرجت (خ) عن أبي هريرة قال كنتم خير أمة أخرجت للناس قال خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام وقيل أخرجت صلة والتقدير كنتم خير أمة للناس وقيل معناه ما أخرج للناس أمة خير من أمة محمد صلى الله عليه وسلم

عن أبي جزة قال سمعت زهدم بن مضرب بن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران لا أدري أذكر النبي صلى الله عليه وسلم بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً ثم إن بعدهم قوما يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون ويتلوتون ولا يوفون ويظهر فيهم السن ، وهذا الإسناد عن علي بن الجعد أخبرنا شعبة وأبو معاوية عن الأعمش عن ذكوان عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أففق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وقال الآخرون جميع المؤمنين من هذه الأمة

(تأمرون)

وقوله كنتم أي أتم كقوله تعالى « واذكروا إذ كنتم قليلاً ، وقال في موضع آخر « واذكروا إذ أنتم قليل » وقيل معناه كنتم خير أمة عند الله في اللوح المحفوظ وقال قوم قوله للناس صلة قوله خير أمة أي أتم خير أمة للناس قال أبو هريرة معناه كنتم خير الناس للناس تجيئون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الإسلام قال قتادة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر نبي بعده بالقتال بهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في دينهم فهم خير أمة للناس وقيل قوله للناس صلة قوله أخرجت معناه ما أخرج الله للناس أمة خير من أمة محمد ﷺ أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله الحسين بن محمد الحافظ أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن حبيش المقرئ أنا علي بن زنجويه أخبرنا سلمة بن شبيب أنا عبد الرزاق أنا معمر بن بهز بن حكيم

عن أبيه عن جده والله مع النبي ﷺ يقول في قوله تعالى «كنتم خير أمة أخرجت للناس» قال إنكم بتدعون سبعين أمة أنتم محبرها وأكرمها على الله عز وجل أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المايحي أنا معشر بن إبراهيم بن محمد الفيركي أخبرنا أبو عبد الله محمد بن زكريا بن يحيى أخبرنا أبو الصلت أخبرنا حماد بن زيد أخبرنا علي بن زيد عن أبي نصر عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ألا وإن هذه الأمة توفى سبعين أمة هي خيرها وأكرمها على الله عز وجل» أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد أنا الفضل بن الفضل أخبرنا خليفة الفضل بن الجباب قال عبد الرحمن يعني ابن المبارك أخبرنا حماد بن يحيى الأشجج أنا ثابت البناني عن أنس رضي (٤٠٥) الله عنه قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم مثل أمي مثل المظفر لا يدري أوله خير أم آخره أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو محمد الخزازي أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد ابن عدي أخبرنا محمد ابن عيسى التميمي أخبرنا عمر بن أبي سلمة أخبرنا صدقة بن عبد الله عن زهير بن محمد عن عبد الله ابن عقيل عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن الجنة حُرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الأمم كلهم حتى تدخلها أمي» أخبرنا أبو سعيد الشريحي قال أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي

(تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) هذا كلام مستأنف والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسومهم ويقوم بمصالحهم والمعروف هو التوحيد والمنكر هو الشرك والمعنى تأمرون الناس بقول لا إله إلا الله وتنهونهم عن الشرك (وتؤمنون بالله) أي وتصدقون بالله وتخلصون له التوحيد والعبادة. فإن قلت لم قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله في التذكر مع أن الإيمان يلزم أن يكون مقدما على كل الطاعات والعبادات؟ قلت الإيمان بالله أمر يشترك فيه جميع الأمم المؤمنة وإنما فضلت هذه الأمة الإسلامية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على سائر الأمم وإذا كان كذلك كان المؤثر في هذه الخيرية هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأما الإيمان بالله فهو شرط في هذا الحكم لأنه ما لم يوجد الإيمان لم يصر شيء من الطاعات مقبولا فثبت أن الموجب لهذه الخيرية لهذه الأمة هو كونهم أمرا بالمعروف فانهين عن المنكر فلهذا السبب حسن تقديم ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الإيمان وقوله تعالى (ولو آمن أهل الكتاب) يعني ولو آمن اليهود والنصارى بمحمد ﷺ وبالدين الذي جاء به (لكان خيرا لهم) يعني مما هم عليه من اليهودية والنصرانية وإنما حماهم على ذلك حب الرياسة واستتباع العوام واو أنهم آمنوا حصلت لهم الرياسة في الدنيا والآخرة وهو دخول الجنة (منهم) يعني من أهل الكتاب (المؤمنون) يعني عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أساءوا من اليهود والنجاشي وأصحابه الذين أساءوا من النصارى (وأكثرهم الفاسقون) أي المتعدون في الكفر وقيل إن الكافر قد يكون عدلا في دينه وهؤلاء مع كفرهم فاسقون. قوله عز وجل (لن يضرركم إلا أذى) سبب نزول هذه الآية أن رؤساء اليهود عمدوا إلى من آمن منهم مثل عبد الله بن سلام وأصحابه فأذوهم لإسلامهم فأنزل الله تعالى لن يضرركم إلا أذى يعني لن يضرركم أيها المؤمنون هؤلاء اليهود إلا أذى يعني باللسان من طعنهم في دينكم أو تهديد أواقفاء شبهة وتشكيك في القلوب وكل ذلك يوجب الأذى والغم (وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار) يعني منهزمين مغلوبين (ثم لا ينصرون) يعني لا يكون لهم النصر عليكم بل تنصرون عليهم وفيه تثبيت لمن أسلم من أهل الكتاب لأنهم كانوا يؤذونهم بالقول ويهدونهم ويؤخونهم فأعلمهم الله تعالى أنهم لا يقدر أن يجاوزوا

أنا أبو عبد الله الحسين بن محمد أخبرنا أبو القاسم عمر بن محمد بن عبد الله بن حاتم الترمذي أخبرنا جدي لأبي محمد ابن عبد الله بن مروزق أنا عفان بن مسلم أنا عبد العزيز بن مسلم أخبرنا أبو سنان يعني ضرار بن مرة عن محارب بن دثار عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أهل الجنة عشرون ومائة صفت ثمانون من هذه الأمة» قوله تعالى (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) أي الكافرون قوله تعالى (لن يضرركم إلا أذى) قال مقاتل إن رموس اليهود عمدوا إلى من آمن منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه فأذوهم فأنزل الله تعالى هذه الآية لن يضرركم أيها المؤمنون هؤلاء اليهود إلا أذى باللسان وعيدا وطمعانا وقيل كلمة كفسر تتأذون بها (وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار) منهزمين (ثم لا ينصرون) بل يكون لكم النصر

عليهم (ضربت عليهم الذلة أينما تقفوا) حيث ما وجدوا (الإيجل من الله) يعني أينما وجدوا استضعفوا وقتلوا أو سبوا فلا يؤمنون بالإيجل عهد من الله تعالى بأن يسلموا (وحبل من الناس) من المؤمنين ببذل جزية أو أمان يعني إلا أن يعتصموا بحبل الله فيأمنوا قوله تعالى (ويأبوا بغضب من الله) رجوعا به (٤٠٦) (وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون

الأنبياء بغيب حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) قوله تعالى (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة) قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل لما آمن عبد الله بن سلام وأصحابه قالت أحبار اليهود ما آمن محمد صلى الله عليه وسلم إلا شرارنا ولو لا ذلك لما تركوا دين آباؤهم فأنزل الله تعالى هذه الآية واختلّفوا في وجهها فقال قوم فيه اختصار تقديره ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة وأخرى غير قائمة فترك الأخرى اكتفاء بذكر أحد الفريقين وقال الآخرون تمام الكلام عند قوله ليسوا سواء وهو وقف لأنه قد جرى ذكر الفريقين من أهل الكتاب في قوله تعالى (منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) ثم قال ليسوا سواء يعني المؤمنين والفاسقين ثم وصف الفاسقين فقال لن يضروكم إلا أذى ووصف المؤمنين

الاذى بالقول إلى غيره من الضرر ثم وعدم الغلبة والانتقام منهم وأن عاقبتهم الخذلان والذل فقال تعالى (ضربت عليهم الذلة) يعني جعلت الذلة ملصقة بهم كالشيء يضرب على الشيء فيلصق به والمراد بالذلة قتلهم وسبهم وغنيمة أموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لأنهم ذلة وصغار وقيل ذلتهم أنك لا ترى في اليهود ملكا قاهرا ولا رئيسا معتبرا بل هم مستضعفون في جميع البلاد (أينما تقفوا) أي حبيبا وجدوا وصودقوا (الإيجل من الله) يعني إلا يهد من الله وهو أن يسلموا فترول عنهم الذلة (وحبل من الناس) يعني المؤمنين ببذل الجزية والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس وهو ذمة الله وعهده وذمة المسلمين وعهدهم لا عزلهم إلا هذه الواحدة وهي التجاؤم إلى الذمة لما قبلوه من بذل الجزية. وإنما سمي العهد حبلًا لأنه سبب يوصل إلى الأمن وزال الخوف (ويأبوا بغضب من الله) يعني رجعوا بغضب من الله واستوجبه وقيل أصله من البواء وهو المكان والمعنى أنهم مكثوا في غضب من الله وحلوا فيه (وضربت عليهم المسكنة) يعني كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون في المسكنة غير خارجين منها قال الحسن المسكنة هي الجزية وذلك لأن الله تعالى أخرج المسكنة عن الاستثناء وذلك يدل على أنها باقية عليهم والباقي عليهم هو الجزية فدل على أن المسكنة هي الجزية وقيل المراد بالمسكنة هو أن اليهودي يظهر من نفسه الفقر وإن كان غنيا موسرا (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب (بأنهم) أي بسبب أنهم (كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغيب حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أي ذلك الذي نزل بهم بسبب عصيانهم لله عز وجل وتعديهم لحدوده فنزل بهم ما نزل قوله عز وجل (ليسوا سواء) قال ابن عباس لما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه قالت أحبار اليهود ما آمن محمد صلى الله عليه وسلم إلا شرارنا ولو لا ذلك ما تركوا دين آباؤهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وفي قوله ليسوا سواء قولان أحدهما أنه كلام تام يوقف عليه والمعنى أهل الكتاب الذي سبق ذكرهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ليسوا سواء وقيل معناه لا يستوى اليهود وأمة محمد صلى الله عليه وسلم القائمة بأمر الله الثابتة على الحق والقول الثاني أن قوله ليسوا سواء متعلق بما بعده ولا يوقف عليه وقوله (من أهل الكتاب أمة قائمة) فيه اختصار وإضمار والتقدير ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة ومنهم أمة مذمومة غير قائمة فترك ذكر الأمة الأخرى اكتفاء بذكر أحد الفريقين وهذا على مذهب العرب أن ذكر أحد الضدين يغني عن ذكر الآخر قال أبو ذؤيب -

دعاني إليها القلب أتى امرؤ لها مطيع فلا أدري أرشد طلابها

أراد أم غير رشد فاكفي بذكر أحد الرشدتين دون الآخر وقال الزجاج لا حاجة إلى إضمار الأمة المذمومة لأنه قد جرى ذكر أهل الكتاب بقوله كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغيب حق فأعلم الله أن منهم أمة قائمة فلا حاجة بنا إلى أن نقول وأمة غير قائمة إنما ابتداء بذكر

فعل

بقوله أمة قائمة وقيل قوله من أهل الكتاب

ابتداء كلام آخر لأن ذكر الفريقين قد جرى ثم قال ليس هذان الفريقان سواء ثم ابتداء فقال من أهل الكتاب قال ابن مسعود رضي الله عنه لا يستوى اليهود وأمة محمد صلى الله عليه وسلم القائمة بأمر الله الثابتة على الحق المستقيمة وقوله تعالى أمة

قائمة قال ابن عباس أي مهتدية قائمة على أمر الله لم يضعوه ولم يتركوه وقال مجاهد عادلة وقال السدي مطيعة قائمة على كتاب الله وحده وقيل قائمة في الصلاة وقيل الأمة الطريقة ومعنى الآية أي ذروا أمة أي ذروا طريقة مستقيمة (يتلون آيات الله) يقرءون كتاب الله وقال مجاهد يتبعون (آناء الليل) ساعاته واحدها إلى وآناء (٤٠٧) مثل نحى وأحماه وإلى وآناء

مثل معي وأمعاء وأنى
مثل منا وأمناء (وهم
يسجلون) أى يصلون
لأن التلاوة لا تكون في
السجود واختلفوا في
معناها ، فقال بعضهم
هى قيام الليل وقال ابن
مسعود صلاة العتمة
يصلونها ولا يصلها من
سواهم من أهل الكتاب
وقال عطاء وليسوا سواء
من أهل الكتاب أمة
قائمة الآية يريد أربعين
رجلا من أهل نجران
من العرب واثنين وثلاثين
من الحبشة ، وثمانية من
الروم كانوا على دين
عيسى وصدقوا محمدا
صلى الله عليه وسلم وكان
من الأنصار منهم عدة
قبل قدوم النبي صلى الله
عليه وسلم ، منهم أسعد بن
زرارة ، البراء بن معرور
ومحمد بن سلمة وأبو قيس
ابن صرمة بن أنس كانوا
موحدين يقتلون بما
الجنابة ويقومون بما
عرفوا من شرائع الخنيفية
حتى جاءهم الله تعالى
بالنبي صلى الله عليه وسلم
فصدقوه ونصروه قوله
تعالى (يؤمنون بالله

فعل الأكر منهم وهو الكفر والمشاقة ثم ذكر من كان مينا ثم فعلهم فقال ليسوا سواء
من أهل الكتاب أمة قائمة قال ابن عباس قائمة أي مهتدية قائمة على أمر الله تعالى لم يضعوه ولم
يتركوه وقيل قائمة أي عادلة وقيل قائمة على كتاب الله عز وجل وحدوده وقيل قائمة في الصلاة
(يتلون آيات الله) أى يقرءون كتاب الله عز وجل (آناء الليل) يعنى ساعاته (وهم يسجدون)
يعنى يصلون ، عبر بالسجود عن الصلاة لأن التلاوة لا تكون في السجود وقيل : هى صلاة التهجد
بالليل وقيل هى صلاة العشاء لأن اليهود لا يصلونها وقيل يحتمل أنه أراد بالسجود الخضوع
والخشوع لأن العرب تسمى الخشوع سجودا وقال عطاء فى قوله تعالى ليسوا سواء من أهل الكتاب
أمة قائمة يريد أربعين رجلا من أهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من
الروم كانوا على دين عيسى عليه الصلاة والسلام وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا به
وكانوا عدة نفر من الأنصار منهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن سلمة وأبو قيس
صرمة بن أنس كانوا قبل الإسلام موحدين يقتلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرائع
الخنيفية حتى جاءهم الله عز وجل بالنبي صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وصدقوه ، ثم وصفهم الله
تعالى بصفات ما كانت في اليهود فقال (يؤمنون بالله واليوم الآخر) وذلك لأن إيمان أهل الكتاب
فيه شرك ويصفون اليوم الآخر بغير ما يصفه المؤمنون وقيل إن الإيمان بالله يستلزم الإيمان
بجميع أنبيائه ورسله واليهود يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون ببعض والإيمان باليوم الآخر
يستلزم الحذر من فعل المعاصي واليهود لا يحترزون منها فلم يحصل الإيمان الخالص بالله واليوم
الآخر (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) يعنى غير مدهنيين كما يدهن اليهود بعضهم
بعضا وقيل يأمرؤن بالمعروف يعنى بتوحيد الله تعالى والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
وينهون عن المنكر يعنى عن الشرك وعن كم صفة محمد ﷺ (ويسارعون فى الخيرات) أى
يبادرون إليها خوفاً من الموت وذلك أن من رغب فى أمر سارع إليه وقام به غير متوان عنه وقيل
يسارعون فى الخيرات غير متناقلين ولا كسالى (وأولئك) إشارة إلى الموصوفين بما وصفوا به
(من الصالحين) أى من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله عز وجل ورضى عنهم
واستحقوا ثنائه عليهم ، وذلك لأن الإصلاح ضد الفساد فإذا حصل الإصلاح للإنسان فقد حصل
له أعلى الدرجات وأكمل المقامات وقيل يحتمل أن يراد بالصالحين المسلمون والمعنى أولئك الذين
تقدم وصفهم من جملة المسلمين . قواه عز وجل (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) قرئ بالياء
لأن الكلام متصل بما قبله من ذكر مؤمنى أهل الكتاب وذلك أن اليهود لما قالوا لعبد الله بن
سلام وأصحابه إنكم تحسرون بسبب هذا الدين الذى دخلتم فيه فأخبر الله تعالى أنهم فازوا
بالدرجات العلى وما فعلوه من خير يجازيهم به ولا يمنع من خصوص السبب يوم الحكم فيدخل
فيه كل فاعل للخير وقرئ بالياء على أنه ابتداء كلام وهو خطاب لجميع المؤمنين ويدخل
فيه مؤمنوا أهل الكتاب أيضا ومعنى الآية وما تفعلوا من خير أبها المؤمنون فلن تكفروه أى
فلن تعلموا ثوابه ولن تجرموه أو تمنعوه بل يشكر لكم ويجازيكم به (والله عليم بالمتقين) فيه

واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه
قرأ حمزة والكسائي وحض بالياء فيما إخبار عن الأمة القائمة وقرأ الآخرون بالياء فيما لقوله كنتم خير أمة وأبو عمرو يرى
القراءتين جميعا ومعنى الآية وما تفعلوا من خير فلن تعلموا ثوابه بل يشكر لكم ويجازون عليه (والله عليم بالمتقين) بالمتقين

بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على أنه لا يفوز عنده إلا أهل الإيمان والتقوى . قوله عز وجل (إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) قال ابن عباس: يريد بنى قريظة والنضير وذلك أن رؤساء اليهود مالوا إلى تحصيل الأموال في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما كان مقصودهم بمعاداة تحصيل الرياسة والأموال فقال الله عز وجل ؛ لن تغني عنهم أموالهم وقيل : نزلت في مشركي قريش فإن أبا جهل كان كثير الافتخار بالأموال وأنفق أبو سفيان مالا كثيرا في يوم بدر وأحد على المشركين وقيل : أن الآية عامة في جميع الكفار لأن اللفظ عام ولا دليل يوجب التخصيص فوجب إجراء اللفظ على عمومته ومعنى الآية إن الذين كفروا لن تغني أي تدفع عنهم أموالهم بالفدية لو افتدوا بها من عذاب الله ولا أولادهم بالثبارة وإنما خص الأموال والأولاد بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالأولاد (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وإنما جعلهم من أصحابهم لأنهم أهلها لا يخرجون منها ولا يفارقونها كصاحب الرجل لا يفارقه (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا) قيل: أراد نفقات أبي سفيان وأصحابه بدر وأحد على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل: أراد نفقة اليهود على علمائهم قال مجاهد: يعني جميع نفقات الكفار في الدنيا وصدقاتهم وقيل أراد نفقات المرابي الذي لا يريد بما ينفق وجه الله تعالى وذلك لأن اتفاقهم المال إما أن يكون لمنافع الدنيا أو لمنافع الآخرة فإن كان لمنافع الدنيا لم يبق له أثر في الآخرة في حق المسلم فضلا عن الكافر وإن كان لمنافع الآخرة كمن يتصدق ويعمل أعمال البر فإن كان كافرا فإن الكفر يحبط لجميع أعمال البر فلا ينفع بما أنفق في الدنيا لأجل الآخرة وكذلك المرابي الذي لا يريد بما أنفق وجه الله تعالى فإنه لا ينفعه في الآخرة ثم ضرب لذلك الإنفاق مثلا فقال تعالى (كمثل ريح فيها صر) فيه وجهان: أحدهما وهو قول أكثر المفسرين ، وأهل اللغة إن الصر البرد الشديد وبه قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد ، والوجه الثاني أن الصر هو السموم الحارة التي تقتل وهو رواية عن ابن عباس وبه قال ابن الأباري من أهل اللغة وعلى الوجهين فالتشبيه صحيح والمقصود منه حاصل لأنها سواء كان فيها برد فهي مهلكة أو حر فهي مهلكة أيضا (أصابته) يعني الريح التي فيها صر (حرث قوم) أي زرع قوم (ظلموا أنفسهم) يعني بالكفر والمعاصي ومنع حق الله فيه (فأهلكته) يعني فأهلك الريح الزرع ومعنى الآية مثل نفقات الكفار في ذهابها وقت الحاجة إليها كمثل زرع أصابته ريح باردة فأهلكته أو نار فأحرقته فلم ينفع به أصحابه . فإن قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا وأبطال ثوابهم وعدم الانتفاع به الحرث الذي هلك بالريح فكيف شبهه بالريح المهلكة للحرث ؟ قلت هو من التشبيه المركب وهو ما حصلت فيه المشابهة بين ما هو المقصود من الجملتين وإن لم تحصل المشابهة بين أجزاء الجملتين فعلى هذا زال الإشكال ومن التشبيه ما حصلت فيه المشابهة بين المقصود من الجملتين وبين أجزاء كل واحدة منهما فإن جعلنا هذا المثل من هذا القسم ففيه وجهان: أحدهما أن يكون التقدير مثل الكفر في إهلاك ما ينفقون كمثل الريح المهلكة للحرث . الوجه الثاني مثل ما ينفقون كمثل مهلك الريح وهو الحرث والمقصود من ضرب هذا المثل هو تشبيه ما ينفقون بشئ يذهب بالكلية ولا يبقى منه شيء . وقوله تعالى (وما ظلمهم الله) يعني بأن لم يقبل نفقاتهم (ولكن أنفسهم يظلمون) يعني أنهم عصوا الله

من الله شيئا أي من عذاب الله وخصهما بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالأولاد (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وإنما جعلهم من أصحابهم لأنهم أهلها لا يخرجون منها ولا يفارقونها كصاحب الرجل لا يفارقه (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا) قيل: أراد نفقات أبي سفيان وأصحابه بدر وأحد على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل: أراد نفقة اليهود على علمائهم قال مجاهد: يعني جميع نفقات الكفار في الدنيا وصدقاتهم وقيل أراد نفقات المرابي الذي لا يريد بما ينفق وجه الله تعالى وذلك لأن اتفاقهم المال إما أن يكون لمنافع الدنيا أو لمنافع الآخرة فإن كان لمنافع الدنيا لم يبق له أثر في الآخرة في حق المسلم فضلا عن الكافر وإن كان لمنافع الآخرة كمن يتصدق ويعمل أعمال البر فإن كان كافرا فإن الكفر يحبط لجميع أعمال البر فلا ينفع بما أنفق في الدنيا لأجل الآخرة وكذلك المرابي الذي لا يريد بما أنفق وجه الله تعالى فإنه لا ينفعه في الآخرة ثم ضرب لذلك الإنفاق مثلا فقال تعالى (كمثل ريح فيها صر) فيه وجهان: أحدهما وهو قول أكثر المفسرين ، وأهل اللغة إن الصر البرد الشديد وبه قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد ، والوجه الثاني أن الصر هو السموم الحارة التي تقتل وهو رواية عن ابن عباس وبه قال ابن الأباري من أهل اللغة وعلى الوجهين فالتشبيه صحيح والمقصود منه حاصل لأنها سواء كان فيها برد فهي مهلكة أو حر فهي مهلكة أيضا (أصابته) يعني الريح التي فيها صر (حرث قوم) أي زرع قوم (ظلموا أنفسهم) يعني بالكفر والمعاصي ومنع حق الله فيه (فأهلكته) يعني فأهلك الريح الزرع ومعنى الآية مثل نفقات الكفار في ذهابها وقت الحاجة إليها كمثل زرع أصابته ريح باردة فأهلكته أو نار فأحرقته فلم ينفع به أصحابه . فإن قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا وأبطال ثوابهم وعدم الانتفاع به الحرث الذي هلك بالريح فكيف شبهه بالريح المهلكة للحرث ؟ قلت هو من التشبيه المركب وهو ما حصلت فيه المشابهة بين ما هو المقصود من الجملتين وإن لم تحصل المشابهة بين أجزاء الجملتين فعلى هذا زال الإشكال ومن التشبيه ما حصلت فيه المشابهة بين المقصود من الجملتين وبين أجزاء كل واحدة منهما فإن جعلنا هذا المثل من هذا القسم ففيه وجهان: أحدهما أن يكون التقدير مثل الكفر في إهلاك ما ينفقون كمثل الريح المهلكة للحرث . الوجه الثاني مثل ما ينفقون كمثل مهلك الريح وهو الحرث والمقصود من ضرب هذا المثل هو تشبيه ما ينفقون بشئ يذهب بالكلية ولا يبقى منه شيء . وقوله تعالى (وما ظلمهم الله) يعني بأن لم يقبل نفقاتهم (ولكن أنفسهم يظلمون) يعني أنهم عصوا الله

(فأهلكته) فمعنى الآية مثل نفقات الكفار وذهابها وقت الحاجة إليها ، كمثل زرع أصابته ريح باردة فاستحقوا فأهلكته أو نار فأحرقته ، فلم ينفع أصحابه منه شيء (وما ظلمهم الله) بذلك (ولكن أنفسهم يظلمون) بالكفر والمعصية

فوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم) الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فأُزِلَ الله تعالى هذه الآية بينهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم وقال مجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهاهم (٤٠٩) الله تعالى عن ذلك فقال يا أيها

الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم أي أولياء وأصفياء من غير أهل ملتكم وبطانة الرجل خاصته تشبها ببطانة الثوب التي تلي بطنه لأنهم يستبطنون أمره ويطلعون منه على ما لا يطلع عليه غيرهم . ثم بين العلة في النهي عن مباطنتهم فقال جل ذكره (لا يألونكم خبالا) أي لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد ، والخبال : الشر والفساد ونصيب خبالا على المفعول الثاني لأن يألو يتعدى إلى مفعولين ، وقيل يزرع الخفافض أي بالخبال كما يقال أوجعته ضربا (ودواماعتم) أي يودون ما يشق عليكم من الضر والشر والهلاك والعت المشقة (قد بدت البغضاء) أي البغض معناه ظهرت إماراة العداوة (من أفواهم) بالشيمة والوقيعه في المسلمين وقيل باطلاع المشركين على أسرار المسلمين

فاستحقوا عقابه فأبطل نفاقهم وأهلك حرثهم وقيل ظفروا أنفسهم حيث لم يأتوا بتفقاتهم مستحقة لقبول . قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) الآية قال ابن عباس كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فأُزِلَ الله عز وجل هذه الآية ونهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم وبدل على صحة هذا القول أن الآيات المتقدمة فيها ذكر اليهود فتكون هذه الآية كذلك وقيل كان قوم من المؤمنين يواصلون المنافقين ويفشون إليهم الأسرار ويطلعونهم على الأحوال الخفية فنهاهم الله عن ذلك وحجة هذا القول أن الله ذكر في سياق هذه الآية قوله (وإذا لقوكم قالوا آملوا إذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) وهذه صفة المنافقين لاصفة اليهود وقيل المراد بهذه جميع أصناف الكفار وبدل على صحة هذا القول معنى الآية لأن الله تعالى قال لا تتخذوا بطانة من دونكم فنع المؤمنين أن يتخذوا بطانة من دون المؤمنين فيكون ذلك تبيها عن جميع الكفار والبطانة خاصة الرجل المطلع على سره واشتقاقه من بطانة الثوب بدلالة قولهم لبست فلانا إذا اختصصته ويقال فلان شعاري وداري والشعار الذي يلي الجسد وكذلك البطانة والحاصل أن الذي يخصه الإنسان بزيد القرب يسمى بطانة لأنه يستبطن أمره ويطلع منه على ما لا يطلع عليه غيره (من دونكم) قبل من صلة زائدة والتقدير لا تتخذوا بطانة دونكم وقيل من للتبيين أي لا تتخذوا بطانة من دون أهل ملتكم والمعنى لا تتخذوا أولياء ولا أصفياء من غير أهل ملتكم ثم بين سبحانه وتعالى علة النهي عن مباطنتهم فقال تعالى (لا يألونكم خبالا) يعني لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد وهو الخبال لأن أصل الخبال الفساد والضرر الذي يلحق الإنسان فيورثه نقصان العقل (ودواماعتم) أي يودون عنكم وهو ما يشق عليكم من الضر والشر والهلاك والعت المشقة (قد بدت البغضاء من أفواهم) أي ظهرت العداوة من أفواهم بالشيمة والوقيعه بين المسلمين وقيل هو إطلاع المشركين على أسرار المؤمنين (وما تحق صدورهم) يعني من العداوة والغيظ (أكبر) أي أعظم مما يظهوره (قد بينا لكم الآيات) يعني الدالة على وجوب الإخلاص في الدين من موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين (إن كنتم تعلمون) يعني ما بين لكم فتعظون به . قوله تعالى (هأنتم) هأنتم كناية للمخاطبين من الذكور (أولاء) اسم للمشار إليهم في قوله (تحبونهم) والمعنى أنتم أيها المؤمنون تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للأسباب التي بينكم وبينهم من القرابة والرضاع والمصاهرة والحلف (ولا يحبونكم) يعني اليهود لما بينكم وبينهم من مخالفة الدين وقيل تحبونهم يعني تريدون لهم الإسلام وهو خير الأشياء ولا يحبونكم لأنهم يريدون لكم الكفر وهو شر الأشياء لأن فيه هلاك الأبد وقيل هم المنافقون تحبونهم لما أظهروا من الإيمان وأنتم لا تعلمون مافي قلوبهم ولا يحبونكم لأن الكفر ثابت في قلوبهم وقيل تحبونهم

(٥٢ - حازن بالبعوى - أول) (وما تحق صدورهم) من العداوة والغيظ (أكبر) أعظم (قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعلمون هأنتم) هأنتم كناية للمخاطبين من الذكور (أولاء) اسم للمشار إليه يريد أنتم أيها المؤمنون (تحبونهم) أي تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للأسباب التي بينكم وبينهم من القرابة والرضاع والمصاهرة (ولا يحبونكم)

لما بينكم من مخالفة الدين وقال مقاتل هم المنافقون يحبهم المؤمنون لما أظهروا من الإيمان ولا يعلمون ما في قلوبهم (وتؤمنون بالكتاب كله) يعني بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بكتابتكم (وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا) وكان بعضهم مع بعض (عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) يعني أطراف الأصابع وأحدثها أتملة بضم الميم وفتحها من الغيظ لما يرون من التلافت المؤمنين واجتماع كلمتهم وعض الأنامل (٤١٠) عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الأمثال وإن لم يكن ثم عض

وذلك بأن نقشوا إليهم أسراركم ولا يحبونكم أي لا يفعلون مثل ذلك معكم (وتؤمنون بالكتاب كله) يعني وهم لا يؤمنون وإنما ذكر الكتاب بلفظ الواحد والمراد به الجمع لأنه ذهب به إلى الجنس كقوله كثر الدرهم في أيدي الناس والمعنى أنكم تؤمنون بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بشئ من كتابكم (وإذا لقوكم قالوا آمنا) يعني أن الدين وصفهم في هذه الآية بهذه الصفات إذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا كما آمنكم وصدقنا كصدقكم وهذه صفة المنافقين وقيل هم اليهود (وإذا خلوا) أي خلا بعضهم إلى بعض (عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) الأنامل جمع أتملة وهي طرف الأصبع والمعنى أنه إذا خلا بعضهم ببعض أظهروا العداوة وشدة الغيظ على المؤمنين لما يرون من التلافتهم واجتماع كلمتهم وصلاحتهم وعض الأنامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الأمثال وإن لم يكن هناك عض كما يقال عض يده من الغيظ والغضب (قل موتوا بغيظكم) هذا دعاء عليهم أن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به وذلك لما يرون من قوة الإسلام وعزة أهله وماله في ذلك من الذل والخزي والمعنى ابتوا إلي الممات بغيظكم (إن الله عليم بذات الصدور) يعني به الخواطر القائمة بالقلب والدواعي والصورف الموجودة فيه وهي لكونها حالة في القلب منتسبة إليه كقوله عن ذوات الصدور والمعنى أنه تعالى عالم بكل ما يحصل في قلوبكم من الخواطر فأخبرهم أنه عليم بما يسرونه من عض الأنامل غيظا إذا خلوا وأنه عليم بما هو أخفى منه وهو ما يسرونه في قلوبهم . قوله عز وجل (إن تمسكم) أي تصبكم أيها المؤمنون وأصل المس باليد ثم يسمى كل ما يصل إلى شئ ما ساله على سبيل التشبيه كما يقال مسه نصب وتعب أي أصابه (حسنة) المراد بالحسنة هنا منافع الدنيا مثل ظهوركم على عدوكم وإصابتكم غنيمة منهم وتتابع الناس في الدخول في دينكم وخصب في معيشتكم (تسؤم) أي تحزنهم وتغيبهم والسوء ضد الحسن (وإن تصبكم سيئة) أي مساة من إختلاف سرية لكم أو إصابة عدو منكم أو إختلاف يقع بينكم أو غدر ونكبة ومكره بصيبيكم (يفرحوا بها) أي بما أصابكم من ذلك المكروه (وإن تصبروا) يعني على أذاهم وقيل إن تصبروا على طاعة الله وما ينالكم فيها من شدة (وتنتقوا) أي تحافوا ريبكم وقيل وتنتقوا ما نالكم عنه وتوكلوا عليه (لا يضركم) أي لا ينقصكم (كيدهم) أي عداوتهم ومكرهم (شيئا) أي لأنكم في عناية الله وحفظه (إن الله بما يعملون) قرىء بالياء على الغيبة والمعنى أنه عالم بما يعملون من عداوتكم وأذاكم فيعاقبهم عليه وقرىء بالياء على خطاب الحاضر والمعنى أنه عالم بما تعملون أيها المؤمنون من الصبر والتقوى فيجازيكم عليه (محيط) أي عالم بجميع ذلك حافظ لا يعزب عنه شئ منه . قوله عز وجل (وإذا غدوت من أهلك تبوئ المؤمنون مقاعد للقتال) قال جمهور المفسرين إن هذا كان في يوم أحد وهو

(قل موتوا بغيظكم) أي ابتوا إلي الممات بغيظكم (إن الله عليم بذات الصدور) أي بما في القلوب من خير وشر وقوله تعالى (إن تمسكم) أي تصبكم أيها المؤمنون (حسنة) بظهوركم على عدوكم وغنيمة تناولوها منهم وتتابع الناس في الدخول في دينكم وخصب في معيشتكم (تسؤم) تحزنهم (وإن تصبكم سيئة) مساة باختلاف سرية لكم أو إصابة عدو منكم وإختلاف يكون بينكم أو جذب أو نكبة (يفرحوا بها) وإن تصبروا (على أذاهم) وتنتقوا (تحافوا ريبكم) لا يضركم (أي لا ينقصكم) كيدهم شيئا (قرأ ابن عامر وابن كثير ونافع وأهل البصرة لا يضركم بكسر الضاد خفيفة يقال همار يضرير ضيرا وهو جزم على

قول

جواب الجزاء وقرأ الباقون بضم الضاد وتشديد

الراء من ضر يضر ضرا مثل رد بردا وفي رفعه وجهان: أحدهما أنه أراد الجزم وأصله يضرركم فأدغمت الراء في الراء ونقلت ضمة الراء الأولى إلى الضاد وضمت الثانية لإتباعها. والثاني أن يكون لا بمعنى ليس ويضم فيه الفاء تقديره وإن تصبروا وتنتقوا فليس يضرركم كيدهم شيئا (إن الله بما يعملون محيط) أي عالم. قوله تعالى (وإذا غدوت من أهلك تبوئ المؤمنون مقاعد للقتال) قال الحسن هو يوم بدر وقال مقاتل يوم الأحزاب وقال سائر المفسرين هو يوم أحد وقال مجاهد والسكابي والواقدي وغدار رسول

الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة رضي الله عنها يمشى على رجله إلى أحد فجعل يصف أصحاب القتال كما يقوم القدر وقال
محمد بن إسحاق والسدي عن رجلهما إن المشركين تزولوا بأحد يوم الأربعاء فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بزولهم
استشار أصحابه ودعا عبداً بن أبي سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله بن أبي وأكثر الأنصار يارسول الله
أقم بالمدينة لا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا إلى عدو قط إلا أصاب منا (٤١١) ولا دخلها علينا إلا أصابنا منه فكيف

وأنت فينا فدعهم
يارسول الله فإن أقاموا
أقاموا بشر مجلس وإن
دخلوا قاتلهم الرجال
في وجوههم ورماهم
النساء والصبيان بالحجارة
من فوقهم وإن رجعوا
رجعوا خائبين فأعجب
رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا الرأي وقال
بعض أصحابه يارسول
الله اخرج بنا إلى هذه
الأكلب لا يرون أنا
جنبنا عنهم وضعفنا وقال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وإن رأيت في منامي
بقرا مذبوحة فأولتها
خيبراً ورأيت في ذباب
سيفي ثلماً فأولتها هزيمة
ورأيت أني أدخلت
يدي في درع حصينة
فأولتها المدينة فإن رأيت
أن تقبوا بالمدينة وكان
يعجبه أن يدخلوا عليهم
بالمدينة فيقاتلوا في الأزقة
فقال رجل من المسلمين
من قاتلهم يوم بدر
وأكرمهم الله بالشهادة

قول عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عباس والزهري وقتادة والسدي والربيع وابن
إسحاق وقال الحسن ومجاهد ومقاتل إنه يوم الأحزاب ونقل عن الحسن أيضاً أنه يوم بدر قال
ابن جرير الطبري الأول أصح لقوله تعالى إذ همت طافتان منكم أن تفشلا وقد اتفق العلماء
أن ذلك كان يوم أحد قال مجاهد والكلبي والواقدي غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة
فمشى على رجله إلى أحد فجعل يصف أصحاب القتال كما يقوم القدر قال محمد بن إسحاق والسدي
عن رجلهما إن المشركين تزولوا بأحد يوم الأربعاء فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بزولهم استشار أصحابه ودعا عبد الله بن أبي سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد
الله بن أبي وأكثر الأنصار يارسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى
عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصابنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم يارسول الله
فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان
بالحجارة من فوقهم وإن رجعوا رجعوا خائبين فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا
الرأي وقال بعض أصحابه يارسول الله اخرج بنا إلى هذه الأكلب ثلماً بروا أنا جنبنا عنهم
وضعفنا وخفتناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاني قد رأيت في منامي بقرا فأولتها
خيبراً ورأيت في ذباب سيفي ثلماً فأولتها هزيمة ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها
المدينة فإن رأيت أن تقبوا بالمدينة وتدعوهم فإن أقاموا أقاموا بشر وإن دخلوا علينا المدينة قاتلناهم
فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة فيقاتلهم في الأزقة فقال رجل من
المسلمين ممن قاتلهم يوم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد أخرج بنا إلى أعدائنا فلم يزالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم من حبهم لقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم منزله ولبس لأمته فلما رأوه قد لبس السلاح ندعوا وقال بس ما صنعنا
نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه فقاموا واعتلوا إليه وقالوا يارسول
الله اصنع ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لني أن يلبس لأمته فيضعها حتى
يقاتل وكان قد قام المشركون بأحد يوم الأربعاء والخميس وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الجمعة بعد ما صلى بأصحابه الجمعة وكان قد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار فضلى
عليه ثم خرج عليهم فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للتصنيف من شوال سنة ثلاث من
الحجيرة وقيل كان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره وأصحابه إلى أحد وأمر عبد الله بن جبير
على الرماة وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من ورائنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اثبتوا في هذا المقام فإذا عاينوكم ولوا الأدبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ولما

يوم أحد اخرج بنا إلى أعدائنا فلم يزالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حبهم لقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله ولبس لأمته فلما رأوه قد لبس السلاح ندعوا وقالوا بس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه فقاموا واعتلوا إليه وقالوا اصنع ما رأيت فقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لني أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل ، وكان قد أقام المشركون بأحد يوم الأربعاء والخميس فراح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعد ما صلى بأصحابه الجمعة وقدمات في ذلك اليوم رجل من الأنصار فضلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إليهم فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت

خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عبد الله بن أبي بن سلول شق عليه ذلك وقال لأصحابه
 أطاع الولدان وعصاني ثم قال لأصحابه إن محمدا إنما يظفر بعدوه بكم وقد وعد أصحابه إن أعداءهم
 إذا عابتهم انهزموا فإذا رأيت أعداءهم فانهزموا أنتم فابتعوا نكمت فيصير الأمر إلى خلافت ماقاله
 محمد لأصحابه فلما التقى الجوعان وكان عسكر المسلمين الفأ وكان المشركون ثلاثة آلاف اتخذ
 عبد الله بن أبي بن سلول بثلاثة من أصحابه من المنافقين وبنى مع رسول الله ﷺ نحو سبعمائة
 من أصحابه فقواهم الله تعالى ونبتهم حتى هزموا المشركين فلما رأى المؤمنون انهزام المشركين
 طمحو في ألسنة تكون هذه الواقعة كوقعة بدر فطلبوا المديريين وخالفوا أمر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فأراد الله أن يقطعهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مثله من مخالفة رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وليعلموا أن ظفرهم يوم بدر إنما كان بركة طاعة الله وطاعة رسوله ثم إن الله
 تعالى نزع الرعب من قلوب المشركين ففكروا راجعين على المسلمين فانهزم المسلمون وبنى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من أصحابه منهم أبو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد وكسرت
 ربيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشج وجهه يومئذ وكان من أمر عزه أحد ما كان فذلك
 قوله تعالى « وإذ غدوت من أهلك » أي واذكر إذ غدوت من أهلك يعني منزل عائشة ففيه منقبة
 عظيمة لعائشة رضي الله عنها لقوله من أهلك فنص الله تعالى على أنها من أهله تبويء المؤمنين
 أي تزول المؤمنين مقاعد للقتال أي مواضع ومواطن للقتال وقيل تتخذ عسكرا للقتال (والله
 سميع) يعني لا أقوالكم (عليم) يعني بنيانكم وضائركم . قوله عز وجل (إذ همت طائفتان منكم
 أن تفشلا) أي تجينا وتضعفا عن القتال والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس
 وكانا جناحي العسكر وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى أحد في ألف رجل
 وقيل في تسعمائة وخمسين رجلا وكان المشركون ثلاثة آلاف فلما بلغوا الشوط اتخذ عبد الله
 بن أبي بثلث الناس ورجع في ثلثائة وقال علام تقتل أنفسنا وأولادنا فتبعه أبو جابر السلمي وقال
 أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله بن أبي لو نعلم قتالا لاتبعناكم وحث الطائفتان بالانصراف
 مع عبد الله بن أبي فعصمهم الله فثبتوا ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس
 أضروا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا فذكرهم الله عظيم نعمته عليهم فقال إذ همت
 طقتان منكم أن تفشلا (والله وليهما) أي ناصرهما وحافظهما ومتولى أمرهما بالتوفيق والعصمة .
 فان قلت المهم العزم على فعل الشيء والآية تدل على أن الطائفتان قد عزمتا على القتل وترك
 القتال وذلك معصية فكيف مدحهما الله تعالى بقوله والله وليهما . قلت المهم قد يراد به العزم
 وقد يراد به حديث النفس وإذا كان كذلك فحمل المهم على حديث النفس هنا أولى والله تعالى
 لا يؤخذ بحديث النفس وبعضه قول ابن عباس إنهم أضروا أن يرجعوا فلما عزم الله لهم
 على الرشد ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدحهم الله تعالى بقوله والله وليهما (ق) عن
 جابر قال نزلت فينا إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما قال نحن الطائفتان بنو حارثة
 وبنو سلمة وما يسرني أنها لم تنزل لقول الله والله وليهما ففيه الاستبشار بما حصل لهم من الشرف
 العظيم وإنزاله فيهم آياته لاطمئنة مقصحة بأن الله وليهم وأن تلك الهمة التي هموها ما أخرجتهم
 من ولاية الله تعالى . وقوله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) التوكل تفعل من وكل أمره إلى

أهلك أي واذكر إذ
 غدوت من أهلك تبويء
 تزول المؤمنين مقاعد للقتال
 أي مواطن ومواضع
 للقتال يقال بوأت القوم
 إذا وطنتهم وتبوءواهم
 إذا تواطوا وقال الله تعالى
 « ولقد بوأنا بنبي إسرائيل
 مبوأ صدق » وقال « أن
 تبوا لقومكما بمصر بيوتهم
 وقيل تتخذ معسكرا
 (والله سميع عليم)
 همت طائفتان منكم أن
 تفشلا أي تجينا وتضعفا
 بتخلفا والطائفتان
 بنو سلمة من الخزرج
 وبنو حارثة من الأوس
 وكانا جناحي العسكر
 وذلك أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم خرج
 إلى أحد في ألف رجل
 وقيل في تسعمائة وخمسين
 رجلا فلما بلغوا الشوط
 اتخذ عبد الله بن أبي بثلث
 الناس ورجع في ثلاثمائة
 وقال علام تقتل
 أنفسنا وأولادنا فتبعهم
 أبو جابر السلمي وقال
 أنشدكم بالله في نبيكم
 وفي أنفسكم فقال عبد الله
 بن أبي لو نعلم قتالا
 لاتبعناكم وحث بنو سلمة
 وبنو حارثة بالانصراف
 مع عبد الله بن أبي
 فعصمهم الله فلم ينصرفوا

فذكرهم الله عظيم نعمته فقال عز وجل « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » (والله وليهما)
 ناصرهما وحافظهما (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد

بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل انا محمد بن يوسف عن ابن عيينة عن عمرو (٤١٣) عن جابر قال : نزلت

هذه الآية فينا إذ همت طائفتان منكم أن يمشيا والله وليهما بنى سادة وبنى حارثة وما أحب أنها لم تنزل والله يقول والله وليه اء قوله تعالى (واتقوا الله نصرته يوم بدر) والمدينة وهو اسم لموضع ووليه الأكرهون وقيل اسم لبئر هناك وقيل كانت بئر بئرنا لرجل يقال له بدر قاله الشعبي وأتقوا الله عليه يذكر الله تعالى في هذه الآية منته عليهم بالنصرة يوم بدر (وأنتم أذلة) جمع ذليل وأراد به قلة العدد فانهم كانوا ثلاثة وثلاثون رجلا فنصرهم فمع قلة عددهم وعددهم (فاتقوا الله لعنكم الله) فاتقوا الله لأن يكفركم في هذه الآية فقال قتادة كان يوم بدر أمدهم الله تعالى بألف من الملائكة كما قال الله سبحانه وتعالى (واتقوا الله نصرته يوم بدر) فاتقوا الله لعنكم الله لأن يكفركم في هذه الآية فقال قتادة كان يوم بدر أمدهم الله تعالى بألف من الملائكة كما قال

غيره إذا اعتمد عليه في كفايته والقيام به وقيل التوكل هو العجز والاعتماد على الغير وقيل هو تفويض الأمر إلى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره فأمر الله عباده المؤمنين أن لا يتركلوا إلا عليه وأن لا يفوضوا أمرهم إلا إليه . قوله عز وجل (ولقد نصركم الله بيدر) بيدر اسم موضع بين مكة والمدينة معروف وقيل هو اسم لبئر هناك وكانت البئر لرجل يقال له بيدر فسميت به وذكر الله المؤمنين منته عليهم بالنصر يوم بدر (وأنتم أذلة) جمع ذليل وهو جمع قلة وأراد به قلة العدد فان المسلمين كانوا ثلثائة وبضعة عشر وفي رواية وثلاثة عشر رجلا والمراد بذلتهم ضعف الحال وقلة السلاح والمركوب والمال وعدم القدرة على مقاومة العدو وذلك أنهم خرجوا على نواضح وكان النصر منهم يتعقب على البعير الواحد وكان أكثرهم رجالة ولم يكن معهم إلا فرس واحد وكان عدوهم من كفار قريش في حال الشكرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس وكان معهم السلاح والشوكة فنصر الله المؤمنين مع قتلهم على عدوهم مع كثرتهم (فاتقوا الله) يعني في الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (لعنكم تشكرون) يعني يتقواكم ما أنعم به عليكم من نصرته . قوله عز وجل (إذ تقول للذين آمنوا أن يكفركم أن يكفركم بثلثة آلاف من الملائكة منزلين) اختلف المفسرون في أن هذا الوعد بانزال الملائكة هل حصل يوم بدر أو يوم أحد على قولين أحدهما أنه كان يوم بدر قال قتادة كان هذا يوم بدر أمدهم الله بألف من الملائكة كما قال الله سبحانه وتعالى (واتقوا الله نصرته يوم بدر) فاتقوا الله لعنكم الله لأن يكفركم في هذه الآية فقال قتادة كان يوم بدر أمدهم الله تعالى بألف من الملائكة كما قال الله سبحانه وتعالى (واتقوا الله نصرته يوم بدر) فاتقوا الله لعنكم الله لأن يكفركم في هذه الآية فقال قتادة كان يوم بدر أمدهم الله تعالى بألف من الملائكة كما قال

(بثلثة آلاف من الملائكة منزلين بل إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة)

وأيضاً أن الكفار كانوا يوم بدر ألفاً أو ما يقرب منهم وكان المسلمون على الثلث من ذلك فانهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر فأُنزل الله يوم بدر الفاً من الملائكة في مقابلة عدد الكفار فوقع النصر يومئذ للمسلمين واغزبة للكفار وكان عند المسلمين يوم أحد ألفاً وعند الكفار ثلاثة آلاف فناسب أن يكون المدد يومئذ للمسلمين ثلاثة آلاف من الملائكة ليكون ذلك مقابلاً لعدد الكفار كما في يوم بدر. وأجيب عن الاحتجاج الأول لهذا القول بأن الله تعالى أمدهم يوم بدر بألف كما ذكر في سورة الأنفال ثم لما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإمداد كرز لكفار قريش شق عليهم وعدوا بأن يمدوا بثلاثة آلاف وخمسة آلاف لتتوى قلوبهم بذلك. وأجيب عن الثاني وهو أن الكفار كانوا يوم بدر الفاً فأُنزل الله الفاً وفي يوم أحد كانوا ثلاثة آلاف فأُنزل الله ثلاثة آلاف بأن هذا تقرب حسن والله أن يزيد ما شاء في أي وقت شاء ولهذا قال عكرمة في قوله تعالى «بلى إن تصبروا وتتقوا ويا تؤمكم من فورهم هذا» قال يوم بدر قال ولم يصبروا ولم يتقوا يوم أحد فلم يمدوا ولو أمدوا لم يهزموا يومئذ وقيل لم يصبروا ولم يتقوا إلا في يوم الأحزاب فأمدهم الله بالملائكة حتى حاصروا قريظة (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت «لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج إليهم قال فإني أرى ما هنا وأشار إلي بنى قريظة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إليهم» (ق) عن أنس رضي الله عنه قال «كأنني أنظر إلى الغبار ساطعاً في زقاق بني غنم موكب جبريل عليه السلام حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة وقال عبد الله بن أبي أوفى كنا محاصرين قريظة والنضير ما شاء الله فلم يفتح علينا فرجنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل فهو يغسل رأسه إذ جاءه جبريل عليه السلام فقال أوضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة أوزارها فدعا رسول الله ﷺ بخرقة فلف بها رأسه ولم يغسله ثم نادى فينا فمدنا حتى أتينا قريظة والنضير فيومئذ أمدنا الله تعالى بثلاثة آلاف من الملائكة ففتح لنا فتحاً يسيراً» وقال ابن جرير الطبري وأولى الأقوال بالصواب أن الله تعالى أخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قال للمؤمنين «ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة» فوعدهم بثلاثة آلاف من الملائكة مدد لهم ثم وعدهم بخمسة آلاف إن صبروا لأعدائهم واتقوا ولا دالة في الآية على أنهم أمدوا بهم ولا هل أنهم لم يمدوا بهم فقد يجوز أن الله أمدهم وقد يجوز أن لا يكون أمدهم ولا يثبت ذلك إلا بنص تقوم به الحجة في ذلك وقد ثبت بنص القرآن أنهم أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة كما في سورة الأنفال وأما يوم أحد فاللدلالة على أنهم لم يمدوا أيمن منها بأنهم أمدوا وذلك أنهم لو أمدوا لم يهزموا ولم يزل منهم ما نيل منهم. فان قلت فما تصنع بحديث سعد بن أبي وقاص المتقدم في يوم أحد وأمر أي ملكين عن يمين النبي ﷺ وشماله قلت إنما كما ذلك للنبي ﷺ خاصة لأنه صبر ولم يهزم كما انهزم أصحابه يوم أحد وأما التفسير فقوله تعالى إذ تقول للمؤمنين فعل قول من قال إن هذا كان يوم بدر قال نظم الآية ولقد نصركم الله بيدر وأنتم أدلة إذ تقول للمؤمنين ومن قال هذا يوم أحد يقول نظم الآية إن الله ذكر قصة أحد ثم أتبعه بقوله ولقد نصركم الله بيدر وأنتم أدلة فكذلك هو قادر أن ينصركم في سائر المواطن ثم رجع إلى قصة أحد فقال تعالى إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ومعنى الكفاية هو سد الخلة والقيام بالأمر مع بلوغ المراد أن يمدكم ربكم بالإمداد إعانة الجيش فما كان على جهة القوة والإعانة يقال أمده إمداداً وما كان على جهة الزيادة يقال

(موسمين) فصبروا يوم بدر واتقوا فأمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة كما وعد قال الحسن وهو لاء الخمسة آلاف رده المؤمنين إلى يوم القيامة قال ابن عباس ومجاهد لم تقابل الملائكة في المعركة إلا يوم بدر وفيها سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقتلون وإنما يكونون عددا ومددا قال محمد بن إسحاق لما كان يوم أحد انجلى القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقي سعد ابن مالك يرمى وفي شاب بتبديل له كلما فنى التبديل أتاه به فشره فقال أرم يا أبا إسحاق مرتين فلما انجلت المعركة سئل عن ذلك الرجل فلم يعرفه أحد . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله أنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده عن سعد بن أبي وقاص قال « رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقانلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال (٤١٥) ومارأيتهما قبل ولا بعد » رواد مسلم

فيه مده مدا وقيل المد في الشر والإمداد في الخير بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين وإنما وعدهم الله بزول الملائكة لتقوي قلوبهم ويتقوا بنصر الله ويعزموا على الثبات بلى تصديق لوعده الله أي بلى بمدكم وقيل بلى لإيجاب لما بعد أن يعني يكفيناكم الإمداد بهم فأوجب الكتابة أن تصبروا أي على لقاء عدوكم وتتقوا يعني معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم وبأنوكم يعني المشركين من فورهم هذا قال ابن عباس ابتداء الأمر يوجد فيه ثم يوصل بآخر فن قال معنى من فورهم من وجههم أراد ابتداء عجزهم يوم بدر ومن قال معناه من غضبهم أراد ابتداء غضبهم لقتالهم يوم بدر لأنهم رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم يوم بدر بمدكم وبكم بخمسة آلاف من الملائكة لم يرد خمسة آلاف سوى الثلاثة المتقدمة بل أراد معهم فن قال إن هذا الإمداد كان يوم بدر قال إن الله تعالى أمدهم بألف فلما سمعوا أن كرز بن جابر المخاري يريد أن يمد المشركين فشق على المسلمين ذلك قال النبي ﷺ لله سامعين أن يكفيناكم أن يمدكم ربكم الآية على تقدير أن يحيى للمشركين المدد فلما لم يمدوا لم يمد الله المسلمين بغير الف وروى ابن الجوزي في تفسيره عن جابر بن مطعم عن علي بن أبي طالب قال بينا أمدنا امتح من قلب بدر جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها إلا التي قبلها ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها إلا التي كانت قبلها فكانت الريح الأولى جبريل نزل في الفين من الملائكة وكانوا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل في ألفين من الملائكة وكانوا عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم والريح الثالثة إسماعيل نزل في ألف من الملائكة عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عن يساره وهزم الله أعداءه ومن الناس من ضم العدد القليل إلى الكثير فقال لأن الله تعالى ذكر الألف في سورة الأنفال وذكر هنا ثلاثة آلاف وخمسة آلاف فيكون مجموع تسعة آلاف وإن حملناه على غزوة أحد فيكون المجموع ثمانية آلاف لأنه ليس فيها ذكر الألف المفردة (موسمين) قرىء بفتح الواو وبكسرهما فن فتح الواو أراد أن اتقوسومهم ومعناه معلمين قدسوموا فيهم مسومون والسومة والسيا العلامة وهذه العلامة بعلمها الفارس يوم اللقاء يعرف بها قال عنترة .

وكانوا قد مدوا بألف ، وقال الآخرون إنما وعد الله تعالى المسلمين يوم بدر إن صبروا على طاعته واتقوا محارمه أن يمدهم أيضا في حروبهم كلها فلم يصبروا إلا يوم الأحزاب فأمدهم حين حاصروا قريظة والنضير قال عبد الله بن أبي أوفى « كنا محاصري قريظة والنضير ماشاء الله فلم ينتج علينا فرجعنا ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل فهو يغسل رأسه إذ جاءه جبريل عليه السلام فقال وضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة أوزارها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة فلف بها رأسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا حتى أتينا قريظة والنضير فيومئذ أمدنا الله تعالى بثلاثة آلاف من الملائكة ففتح لنا فتحا يسيرا ، وقال الضحاك وكريمة كان هذا يوم أحد وعدهم الله للدد إن صبروا فلم يصبروا فلم يمدوا . قوله تعالى أن يمدكم ربكم الإسلام لإعانة الجهمش بالجهش وقيل ما كان على جهة القوة والإعانة يقال فيه أمده إمدادوما كان على جهة الزيادة يقال فيه مده

وكانوا قد مدوا بألف ، وقال الآخرون إنما وعد الله تعالى المسلمين يوم بدر إن صبروا على طاعته واتقوا محارمه أن يمدهم أيضا في حروبهم كلها فلم يصبروا إلا يوم الأحزاب فأمدهم حين حاصروا قريظة والنضير قال عبد الله بن أبي أوفى « كنا محاصري قريظة والنضير ماشاء الله فلم ينتج علينا فرجعنا ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل فهو يغسل رأسه إذ جاءه جبريل عليه السلام فقال وضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة أوزارها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة فلف بها رأسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا حتى أتينا قريظة والنضير فيومئذ أمدنا الله تعالى بثلاثة آلاف من الملائكة ففتح لنا فتحا يسيرا ، وقال الضحاك وكريمة كان هذا يوم أحد وعدهم الله للدد إن صبروا فلم يصبروا فلم يمدوا . قوله تعالى أن يمدكم ربكم الإسلام لإعانة الجهمش بالجهش وقيل ما كان على جهة القوة والإعانة يقال فيه أمده إمدادوما كان على جهة الزيادة يقال فيه مده

مداومته قوله تعالى «والبحر عنده» وقيل المد في الشر والإمداد في الخير يدل عليه قوله تعالى «ومحمد في طغيانهم - سونمده من العذاب مدا» وقال في الخبر «إني ممدكم بالثمن من الملائكة منزلين» وقال «وأمددناكم بأموال ودين» . قوله تعالى «ثلاثة آلائح من الملائكة منزلين» قرأ ابن عامر بتشديد الزاي على التثنية لقوله تعالى «ولو أنزلنا إليهم الملائكة» وقرأ الآخرون بالتخفيف دليله قوله تعالى «ولو أنزل علينا الملائكة» وقوله «وأنزل جنودا لم تروها» ثم قال «بلى تمدكم أن تصبروا لعدوكم وتتقوا مخالفة نبيكم ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والحسن وأكثر المفسرين من وجههم هذا وقال مجاهد والضحاك من غضبهم هذا لأنهم إنما رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم ليوم بدر بمددكم ربكم خمسة آلاف من الملائكة لم يرد خمسة آلاف سوى (٤١٦) ما ذكر من ثلاثة آلاف بل أراد معهم ، وقوله مسومين أي معلمين قرأ

ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو ، وقرأ الآخرون بفتحها فمن كسر الواو فأراد أنهم سوما خيلهم ومن فتحها أراد به أنفسهم والتسويم الإعلام من السومة وهي العلامة . واختلفوا في تلك العلامة فقال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفر وقال علي وابن عباس رضي الله عنهم عمائم بيض قد أرسلوها بين أشام بن عمرو والسكبي عليهم عمائم صفر مرخاة علي أكتافهم وقال هشام بن عمرو والسكبي عليهم عمائم صفر مرخاة علي أكتافهم ، وقال الضحاك وقتادة كانوا قد أعادوا بالعهن في

فتعرفوني أنني أنا ذلكم شاكي سلاح في الحوادث معلم

ومن كسر الواو نسب الفعل إلى الملائكة والمعنى أنهم أعلموا أنفسهم بعلامات مخصوصة أو أعلموا خيلهم واختلفوا في تلك العلامة فقال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق وعليهم عمائم صفر وقال علي وابن عباس كان عليهم عمائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم وقال هشام بن عمرو والسكبي كانت عليهم عمائم صفر مرخاة علي أكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد أعادوا بالعهن يعني بالصوف المصبوغ في نواصي خيلهم وأذاقها وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر تسوموا فإن الملائكة قد تسومت بالصوف الأبيض في قلائسهم ومغافرهم ذكره البغوي بغير سند وقيل كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فزالت الملائكة كذلك وقيل كانوا قد تسوموا أنفسهم بسيا القتال . قوله تعالى (وما جعله الله) يعني هذا الوعد والمدد (إلا بشرى لكم) يعني بشارة بأنكم تنصرون فتسبشرون به (ولتطمئنن) أي ولتسكن (قلوبكم به) أي فلا تجزع من كثرة عدوكم وقلة مددكم (وما النصر إلا من عند الله) يعني لا تخيلوا النصر على الملائكة والجند وكثرة العدد فإن النصر من عند الله لا من عند غيره والغرض أن يكونوا يتكلمون على الله لا على الملائكة الذين أمداوهم وفيه تنبيه على الإعراض عن الأسباب والإقبال على مسبب الأسباب (العزير الحكيم) يعني فاستعينوا به وتوكلوا عليه لأن العزير وهو كمال القدرة والقوة والحكم وهو كمال العلم فلا تخفى عليه مصالح عباده (ليقطع طرفا من الذين كفروا) هذا متعلق بقوله ولقد نصركم الله يندر والمعنى أن المقصود من نصركم يندر ليقطع طرفا أي ليهلك طائفة من الذين كفروا وقيل معناه ليهدم ركنًا من أركان الشرك بالقتل والأسر فقتل يوم بدر من قاداتهم وساداتهم سبعون وأسر سبعون ومن حمل الآية على غزوة أحد قال قد قتل منهم ستة عشر وكان النصر فيه للمسلمين حتى خالفوا أمر رسول الله ﷺ (أو يكبتهم) أصل الكبت في اللغة صرع الشيء على وجهه والمعنى أنه يصرعهم على وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة أو الأهلاك أو اللعن والحزى

(فبئسوا)

نواصي الخيل وأذاقها وروى أن النبي صلى الله

عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر تسوموا فإن الملائكة قد تسومت بالصوف الأبيض في قلائسهم ومغافرهم (وما جعله الله) يعني هذا الوعد والمدد (إلا بشرى لكم) أي بشارة لتسبشروا به (ولتطمئنن) ولتسكن (قلوبكم به) فلا تجزعوا من كثرة عدوكم وقلة مددكم (وما النصر إلا من عند الله الحكيم) يعني لا تخيلوا النصر على الملائكة والجند فإن النصر من الله تعالى فاستعينوا به وتوكلوا عليه لأن العزير والحكم له قوله تعالى (ليقطع طرفا من الذين كفروا) يقول لقد نصركم الله ليقطع طرفا أي لكي يهلك طائفة من الذين كفروا وقال السدي معناه ليهدم ركنًا من أركان الشرك بالقتل والأسر فقتل من قاداتهم وساداتهم يوم بدر سبعون وأسر سبعون ومن حمل الآية على حرب أحد ، فقد قتل منهم ستة عشر وكانت النصر للمسلمين حتى خالفوا أمر الرسول ﷺ فانقلب عليهم (أو يكبتهم) قال السكبي يهزمهم وقال يمان يصرعهم لو جههم

قال السدي بلغتهم وقال أبو عبيدة مهلكهم وقيل يحزنهم والمنكوبت الحزين وقيل يكيدهم أي يصيب الحزن والغيظ اكبادهم والثاء والدال يعاقبان كما يقال سبت رأسه وسبده إذا حلقه وقيل يكبتهم بالخبية (٤١٧) (فيتقلبوا خائنين) لم ينالوا شيئا

بما كانوا يرجون من الظفر بكم . قوله تعالى (ليس لك من الأمر شيء) الآية . اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقال قوم نزلت في أهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل بئر معونة في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد ليعلموا الناس القرآن والعلم أميرهم المنذر بن عمرو وقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وحدا شديدا وقت شهر في الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن والستين فنزلت ليس لك من الأمر شيء . أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا حيان بن موسى أخبرنا عبد الله بن عبد الله بن المبارك أخبرنا معمر بن الزهري قال حدثني سالم عن أبيه سمع رسول الله

(فيتقلبوا خائنين) أي بالخبية لم ينالوا شيئا من الذي أملوه من الظفر بكم . قوله عز وجل (ليس لك من الأمر شيء) أو يتوب عليهم أو يعذبهم) اختلف في سبب نزول هذه الآية فقيل إنها نزلت في أهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله ﷺ إلى بئر معونة وهي بين مكة وعسفان وأرض هذيل وذلك في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد بعثهم ليعلموا الناس القرآن والعلم وأمر عليهم المنذر بن عمرو وقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله ﷺ من ذلك وحدا شديدا وقت شهر في الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن (خ) عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد فأنزل الله تعالى عليه ليس لك من الأمر شيء إلى قوله فانهم ظالمون (ق) عن أبي هريرة قال لما رفع رسول الله ﷺ رأسه من الركعة الثانية قال اللهم أجمع الوليد بن الوليد وسلمة ابن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف زاد في رواية اللهم العن فلانا وفلانا لأحياه من العرب حتى أنزل الله تعالى ليس لك من الأمر شيء الآية ساهم في رواية يونس اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله قال ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون وقيل إنها نزلت يوم أحد ثم اختلفوا في سببها فقيل إن عتبة بن أبي وقاص شج وجه رسول الله ﷺ وكسر ربايعيته (ق) عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت ربايعيته وشج في رأسه فجعل يسالت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا ربايعيته وهو يدعوهم إلى الله فأنزل الله تعالى : ليس لك من الأمر شيء . وقيل أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو عليهم بالاستئصال فنزلت هذه الآية وذلك لعلمه أن أكثرهم يسلمون وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما وقف على عمه حمزة ورأى ما صنعوا به من المثلة أراد أن يدعو عليهم فنزلت هذه الآية وقال العلماء وهذه الأشياء كلها محتملة فلا يبعد حمل الآية في النزول على كلها ومعنى الآية ليس لك من أمر مصالح عبادي شيء إلا ما أوحى إليك فان الله تعالى هو مالك أمرهم فلما أن يتوب عليهم ويهديهم فيسلموا أو يهلكهم ويعذبهم إن أصروا على الكفر وقيل ليس لك مسألة هلاكهم والدعاء عليهم لأنه تعالى أعلم بمصالحهم فربما تاب على من يشاء منهم وقيل معناه ليس لك من أمر خلق شيء إلا ما وافق أمرى إنما أنت عبد مبعوث لا تذاكرهم ومجاهدتهم وقيل إن قوله أو يتوب عليهم معطوف على قوله ليقطع طرفا وقوله ليس لك من الأمر شيء كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الأمر شيء بل الأمر أمري في ذلك كله قال بعض العلماء والحكمة في منعه صلى الله عليه وسلم من الدعاء عليهم ولعنهم أن الله تعالى علم من حال بعض الكفار أنه سيسلم فيتوب عليهم أو سيولد من بعضهم ولد يكون مسلما براتقيا فلا أجل لهذا المعنى منعه الله تعالى من الدعاء عليهم لأن دعوته ﷺ بجاية فلو دعا عليهم بالهلاك هلكوا جميعا لكن اقتضت

فإنهم ظالمون) وقال قوم زلت يوم أحد . أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أخبرنا مسلم بن الحجاج أخبرنا عبد الله بن مسلم بن قعنب أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت ربا عيته يوم أحد وشج في رأسه فجعل يسلك الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم وكسروا ربا عيته وهو يدعوهم إلى الله عز وجل فأرسل الله تعالى ليس لك من الأمر شيء » وعن عبد الله بن عمر (٤١٨) رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ يوم أحد اللهم العن أبا سفيان

اللهم العن الحارث بن هشام اللهم العن صفوان ابن أمية فنزلت ليس لك من الأمر شيء أوتوب عليهم فأسلموا وحسن إسلامهم وقال سعيد بن المسيب ومحمد ابن إسحاق لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يوم أحد ما بأصحابهم من جدع الأذان والأنوف وقطع المذاكير قالوا لئن أدانا الله تعالى منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا ولننلن بهم مثله لم يملها أحد من العرب بأحد فأرسل الله تعالى هذه الآية ، وقيل أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو عليهم بالاستقصاء فنزلت هذه الآية وذلك لعلمه فيهم بأن كثيرا منهم يساءون. قوله تعالى وليس لك من الأمر شيء أي ليس إليك فاللام بمعنى

حكمة الله وما سبق في علمه لإيقاعهم ليتوب على بعضهم وسيخرج من بعضهم ذرية صالحة مؤمنة وبهلك بعضهم بالقتل والموت وهو قوله أو يعذبهم فيحتمل أن يكون المراد بعذابهم في الدنيا وهو القتل والأسر وفي الآخرة وهو عذاب النار (فإنهم ظالمون) هو كالتعليل لعذابهم والمعنى إنما يعذبهم لأنهم ظالمون ثم قال تعالى (ولله ما في السموات وما في الأرض) هذا تأكيد لما قبله من قوله ليس لك من الأمر شيء والمعنى إنما يكون لمن له ما في السموات وما في الأرض وليس ذلك إلا الله تعالى وليس لأحد معه أمر (يعقر لمن يشاء) بفضله ورحمته (ويعذب من يشاء) بعدله يحكم فيهم بما يشاء لا منازع له في حكمه ولا معارض له في فعله (والله غفور رحيم) يعني أنه تعالى يستر ذنوب عباده ويغفرها لهم ويرحمهم بترك العقوبة عنهم عاجلا وإنما فعل ذلك على سبيل التفضل والإحسان إلى عباده لا على سبيل الوجوب عليه لأنه تعالى لو أدخل جميع خلقه الجنة لكان ذلك برحمته ولو أدخل جميع خلقه النار كان ذلك بعدله لكن بجانب المغفرة والرحمة غالب . قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة) أراد به ما كانوا يفعلونه في الجاهلية عند حلول الدين من زيادة المال وتأخير الأجل كان الرجل في الجاهلية إذا كان له على إنسان دين فإذا جاء الأجل ولم يكن للمدينون ما يؤدى قال له صاحب الدين زدنى في المال حتى أزيلك في الأجل فربما فعلوا ذلك مرارا فيصير الدين أضعافا مضاعفة فهى الله عز وجل عن ذلك وحرم أصل الربا ومضاعفته (واتقوا الله) يعني في أكل الربا فلا تأكلوه (لعلكم تفلحون) أي لكي تسعدوا بثوابه في الآخرة لأن الفلاح يتوقف على التقوى فلو أكل ولم يتق لم يحصل الفلاح، وفيه دليل على أن أكل الربا من الكبائر ولهذا أعقبه بقوله تعالى (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) يعني واتقوا أيها المؤمنون أن تستحلوا شيئا مما حرم الله فإن من استحل شيئا مما حرم الله فهو كافر بالإجماع ويستحق النار بذلك قال ابن عباس هذا تهديد للمؤمنين أن يستحلوا ما حرم الله عليهم من الربا وغيره مما أوجب الله فيه النار قال بعضهم إن هذه الآية أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه ويحذروا محارمه وقال الواحدى في هذه الآية تقوية لرجاء المؤمنين رحمة من الله تعالى لأنه قال أعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين دون المؤمنين (وأطيعوا الله) يعني فيما أمركم به أو نهاكم عنه من أكل الربا وغيره (والرسول) أي وأطيعوا الرسول أيضا فإن طاعته طاعة الله قال محمد بن إسحاق في هذه الآية معاتبه للذين عصوا رسول الله ﷺ يوم أحد

لئى كقولته تعالى وبنا إتناه منا منادى ينادى للإيمان أى إلى الإيمان وقوله تعالى أوتوب عليهم قال بعضهم معناه (لعلكم حتى يتوب عليهم أو إلا أن يتوب عليهم وقيل هو نسق على قوله ليقطع طرفاه وقوله ليس لك من الأمر شيء اعتراض بين الكلامين ونظم الآية ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكتبهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ليس لك من الأمر شيء بل الأمر أمرى في ذلك كله ثم قال (ولله ما في السموات وما في الأرض) يعقر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة) أراد به ما كانوا يفعلونه عند طول أجل الدين من زيادة المال وتأخير الطلب (واتقوا الله) في أمر الربا فلا تأكلوه (لعلكم تفلحون) ثم خوفهم فقال (واتقوا النار التي أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول

تعلمكم رحمون) لكي ترجعوا (وسارعوا) قرأ أهل المدينة والشام سارعوا بلا واو (إلى مغفرة من ربكم) بادروا وسابقوا إلى الأعمال التي توجب المغفرة قال ابن عباس رضي الله عنهما إلى الإسلام وروى عنه إلى التوبة وبه قال عكرمة وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى أداء الترائف وقال أبو العالية إلى الهجرة وقال الضحاك إلى الجهاد وقال مقاتل إلى الأعمال الصالحة ، وروى عن أنس بن مالك أنها التكبيرة الأولى (وجنة) (٤١٩) أي وإلى جنة (عرضها السموات

والأرض) أي عرضها كعرض السموات والأرض كما قال في سورة الحديد ووجنة عرضها كعرض السماء والأرض أي سعتها وإنما ذكر العرض على المبالغة لأن طول كل شيء في الأكثر والأغلب أكثر من عرضه يقول هذه صفة عرضها فكيف طولها قال الزهري وإنما وصف عرضها فأما طولها فلا يعلمه إلا الله وهذا على التثنية لأنها كالسموات والأرض لا غير معناه كعرض السموات السبع والأرضين السبع عند ظنكم كقولته تعالى «خالدين فيها مادامت السموات والأرض» يعني عند ظنكم ولأما فهما زائدتان وروى عن طارق عن ابن شهاب أن ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب وعنده أصحابه رضي الله عنهم قالوا أرايتم قوله وجنة

(لعلكم ترجعون) أي لكي ترجعوا ولا تعذبوا إذا أعلمتم الله ورسوله فإن طاعة الله مع معصية رسوله ليست بطاعة . قوله عز وجل (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم) يعني وبادروا وسابقوا إلى ما يوجب المغفرة من ربكم وهي الأعمال الصالحة المأمور بفعلها قال ابن عباس إلى الإسلام ووجهه أن الله تعالى ذكر المغفرة على سبيل التذكير والمراد منه المغفرة العظيمة وذلك لا يحصل إلا بسبب الإسلام لأنه يجب ما قبله وعن ابن عباس أيضا إلى التوبة لأن التوبة من الذنوب توجب المغفرة وقال علي بن أبي طالب إلى أداء الترائف لأن اللفظ مطلق فيعم الكل وكذا وجه من قال إلى جميع الطاعات وروى عن أنس بن مالك وسعيد بن جبير أنها التكبيرة الأولى يعني تكبيرة الإحرام وقيل إلى الإخلاص في الأعمال لأن المقصود من جميع العبادات هو الإخلاص وقيل إلى الهجرة وقيل إلى الجهاد (وجنة) أي وسارعوا إلى جنة وإنما فصل بين المغفرة والجنة لأن المغفرة هي إزالة العقاب والجنة هي حصول الثواب وقيل إشعارا بأنه لا بد من المسارعة إلى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة إلى الأعمال الصالحة المؤدية إلى الجنة (عرضها) أي عرض الجنة (السموات والأرض) يعني كعرض السموات والأرض لأن نفس السموات والأرض ليس عرضا للجنة والمراد سعتها وإنما خص العرض للمبالغة لأن الطول في العادة يكون أكثر من العرض يقول هذه صفة عرضها فكيف بطولها والمراد وصف الجنة بالسعة والبسط فشبّهت بأوسع شيء علمه الناس وذلك أنه لو جعلت السموات والأرض طبقا طبقات وصل البعض ببعض حتى يكون طبقا واحدا كان ذلك مثل عرض الجنة فأما طولها فلا يعلمه إلا الله تعالى وقيل المراد بالعرض السعة كما تقول العرب بلاد عريضة أي واسعة عظيمة قال الشاعر :

كان بلاد الله وهي عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل

والأصل فيه أن ما اتسع عرضه لم يضق ولم يندق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة . وروى أن هرقل أرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض فأين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار قبل معناه والله أعلم بذلك أنه إذا دار الفلك حصل النهار في جانب والليل في ضد ذلك الجانب فكذلك الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفلى . وروى طارق بن شهاب أن ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنده أصحابه فقالوا أرايتم قولكم وجنة عرضها السموات والأرض فأين النار فقال عمر بن الخطاب أرايتم إذا جاء الليل فأين يكون النهار وإذا جاء النهار فأين يكون الليل فقالوا إنها مثلها في التوراة ومعناه حيث يشاء الله تعالى . فان قلت قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وأراد بالذي وعدنا به الجنة ومذهب

عرضها السموات والأرض فأين النار فقال عمر أرايتم إذا جاء الليل أين يكون النهار وإذا جاء النهار أين يكون الليل فقالوا إنها مثلها في التوراة ومعناه أنه حيث يشاء الله . فان قيل قد قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وأراد بالذي وعدنا به الجنة ومذهب عرضها السموات والأرض كما أخبر وسئل أنس بن مالك رضي الله عنه عن الجنة أي السماء أم في الأرض فقال أي أرض

وسماء تسع الجنة فقليل فأين هي قال فوق السموات السبع تحت العرش . قال قتادة كانوا يرون الجنة فوق السموات السبع تحت العرش ولأن جهنم تحت الأرضين السبع (أعدت لعمدة بن الذين يدقون في السراء والضراء) أي في اليسر والعسر أول ما ذكر من أخلاقهم الموجبة للجنة (٤٣٠) ذكر السخاوة . أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي

أخبرنا أبو عمرو الفراء
أخبرنا أبو الهيثم أحمد
ابن إسحاق بن العنبري
أخبرنا أبو عبد الله بن
إزم الغوي بمكة
أخبرنا أبو صالح بن
أيوب الهاشمي أخبرنا
إبراهيم بن سعد أخبرنا
سعيد بن محمد عن يحيى
ابن سعيد عن الأعرج
عن أبي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« السخي قريب من الله
قريب من الجنة قريب
من الناس بعيد من النار
والبخيل بعيد من الله
بعيد من الجنة بعيد من
الناس قريب من النار
والجاهل سخي أحب
إلى الله من عابد بخيل »
(والكاظمين الغيظ)
أي الجارعين الغيظ
عند امتلاء نفوسهم منه
والكظم حبس الشيء
عند امتلائه وكظم الغيظ
أن يمتلئ غيظا فيرده
في جوفه ولا يظهره ومنه
قوله تعالى « إذ التلوب
لدى الخناجر كاظمين »

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرنا أبو عمرو الفراء أخبرنا أبو محمد
الأسدي بن محمد الأسفرائيني أخبرنا أبو عبد الله بن محمد زكريا العلاني أخبرنا روح بن عبد المؤمن أخبرنا أبو عبد الرحمن
لمتري أخبرنا سعيد بن أبي أيوب قال حدثني أبو مرحوم عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا و يقدر على أن ينفقه دعاء الله يوم القيامة على راس الخلائق حتى يخيره من أي الخور
يستطيع

شاه (والعاقين عن الناس) قال الكلبي عن الملوكين سوء الأدب وقال زيد بن أسلم ومقاتل عن ظلمهم وأساء إليهم (والله يحب المحسنين) عن الثوري الإحسان أن تحسن إلى المسمى قال الإحسان إلى المحسن متاجرة قوله تعالى (والذين إذا فعلوا فاحشة) قال ابن مسعود قول المؤمنين يا رسول الله كانت بنو إسرائيل أكرم على الله (٤٢١) هنا كان أحدهم إذا أذنب

أصبح وكفارة ذنبه
مكتوبة في عتبه بابه اجدع
أذنك أو أذنك افعل كذا
وكذا فسكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فأنزل الله تعالى هذه الآية
وقال عطاء نزلت في تيهان
النخار وكنيته أبو معبد أمته
امرأة حسناء تبتاع منه
تمر فقال لها إن هذا التمر
ليس بجيد وفي البيت
أجود منه فذهب بها إلى
بيته فضمها إلى نفسه
وقبلها فقالت له اتق الله
فتركها وندم على ذلك
فأتى النبي صلى الله عليه
وسلم وذكر ذلك له
فنزلت هذه الآية
وقال مقاتل والكلبي آتى
رسول الله صلى الله عليه
وسلم بين رجائين أحدهما
من الأنصار والآخر من
ثقيف فخرج الثقيفي في
غزاة فاستخلف الأنصاري
علي أهله فاشترى لهم
اللحم ذات يوم فلما
أرادت المرأة أن تأخذ

يستطيع أن ينقذه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء
أخرجه الترمذي وأبو داود (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس
الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وروى عن عائشة رضي الله تعالى
عنها أن خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاه (والعاقين عن الناس)
يعني إذا جنى عليهم أحدا لم يؤاخذوه فتكون الآية على العموم وقيل أراد بالناس المماليك
لسوء أدب يقع منهم فتكون على الخصوص وقيل يعفون عن ظلمهم وأساء إليهم وهو قريب
من القول الأول (والله يحب المحسنين) يحتدل أن تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويحتدل
أن تكون للعهد فتكون إشارة إلى المذكورين في الآية والإحسان إلى الغير إنما يكون بإيصال
النفع إليه أو بدفع الضرر عنه وقيل الإحسان أن تحسن لمن أساء إليك فإن الإحسان إلى المحسن
متاجرة وقيل المحسن هو الذي يعم بإحسانه كل أحد كالشمس والمطر والريح وقيل الإحسان
وقت الإمكان وليس عليك في كل وقت إحسان وقيل الإحسان هذه الخصال المذكورة في هذه
الآية فمن فعلها فهو محسن. ولما كانت هذه الخصال إحسانا إلى الغير ذكر الله ثوابها بقوله والله
يحب المحسنين فإن محبة الله تعالى للعبد أعظم درجات الثواب. قوله عز وجل (والذين إذا
فعلوا فاحشة) قال ابن مسعود رضي الله عنه قال المؤمنون للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول
الله كانت بنو إسرائيل أكرم على الله منا كان أحدهم إذا أذنب ذنبا أصبحت كفارة ذنبه
مكتوبة على عتبه بابه اجدع أنفك أو أذنك افعل كذا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل
الله هذه الآية وروى عطاء عن ابن عباس أنها نزلت في تيهان النخار أمته امرأة حسناء تبتاع منه
تمر فقال لها إن هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه
وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك
فنزلت هذه الآية في رواية أبي صالح عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آتى بين
رجلين أحدهما أنصاري والآخر ثقيفي فخرج الثقيفي في غزوة واستخلف أخاه الأنصاري على
أهله فاشترى لهم ذات يوم لحما فلما أرادت المرأة أن تأخذه منه دخل على أترها وقبل يدها
ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فلما رجع الثقيفي لم يستقبله الأنصاري
فسأل امرأته عن حاله فقالت لأكثر الله في الإخوان مثله وذكرت له الخان والأنصاري
يسبح في الجبال تالبا مستغفرا فطلبه الثقيفي حتى وجده فأتى به إلى أبي بكر وجاء أن يجد عنده
راحة وفرجا فقال الأنصاري هلكت وذكر القصة فقال أبو بكر ويحك أما علمت أن الله
تعالى يبار للغازي مالا يبار للمقيم ثم لقيما عمر فقال لهما مثل ذلك فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لهما مثل مقالتهما فأنزل الله عز وجل (والذين إذا فعلوا فاحشة) يعني فعلة فاحشة خارجة
عما أذن الله فيه والفاحشة ما عظم قبحة من الأعمال والأقوال وأصل النحش التبعس والمخرج

منه دخل على أترها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فلما رجع الثقيفي لم يستقبله
الأنصاري فسأل امرأته عن حاله فقالت لأكثر الله في الإخوان مثله ووصفت له الحال والأنصاري يسبح في الجبال تالبا
مستغفرا فطلبه الثقيفي حتى وجده فأتى به أبا بكر وجاء أن يجد عنده راحة وفرجا فقال الأنصاري هلكت وذكر القصة فقال
أبو بكر ويحك أما علمت أن الله تعالى يبار للغازي مالا يبار للمقيم ثم أتيا عمر رضي الله عنه فقال مثل ذلك فأتيا النبي صلى

الله عليه وسلم فقال له مثل مقاتل ما فأتزل الله تعالى هذه الآية والذين إذا فعلوا فاحشة، يعني قبيحة خارجة عما أذن الله تعالى فيه وأصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا (أو ظلموا أنفسهم) مادون الزنا من القبلة والمعانقة والنظر واللمس وقال مقاتل والكلمة (٤٢٢) الفاحشة مادون الزنا من قبلة أو لمسة أو نظرة فيما لا يحل أو ظلموا أنفسهم

عن الحد، قال جابر الفاحشة الزنا. وقوله تعالى (أو ظلموا أنفسهم) ظلم النفس هو مادون الزنا مثل القبلة والمعانقة واللمس والنظر وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة وقيل الفاحشة ما يكون فعله كاملا في القبح وظلم النفس هو أي ذنب كان (ذكروا الله) يعني ذكروا وعيد الله وعقابه وأن الله يسألكم عن ذلك يوم التزج الأكبر وقيل ذكروا جلال الله الموجب للحياة منه وقيل ذكروا الله باللسان عند الذنوب وهو قوله تعالى (فاستغفروا لذنوبهم) يعني لأجل ذنوبهم فتأبوا منها وأقموا عنها ناديهن على فعلها عازمين أن لا يعودوا إليها وهذه شروط صحة التوبة المقبولة (ومن يغفر الذنوب إلا الله) وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة وأن الثابت من الذنب عنده كمن لا ذنب له وأنه لا مفرج للمذنبين إلا إلى فضله وكرمه وإحسانه وغفوره رحمة وفيه تنبيه على أن العبد لا يطلب المغفرة إلا منه وأد القادر على عقاب المذنب وكذلك هو القادر على إزالة ذلك العقاب عنه فثبت أنه لا يجوز طلب المغفرة إلا منه (ولم يصروا على ما فعلوا) يعني ولم يبقوا على الذنوب ولم يثبتوا عليها ولكن تابوا منها وأنابوا واستغفروا وقيل الأصرار هو ترك الاستغفار عن أي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وأخرجه أبو داود وقال حديث حسن غريب وعنده عوض ولو عاد وأوفى (وهم يعلمون) قال ابن عباس وهم يعلمون أنها معصية وأن لهم ربا يغفروا وقيل وهم يعلمون أن الأصرار ضار وقيل معناه وهم يعلمون أن الله يملك مغفرة الذنوب وقيل وهم يعلمون أن الله لا يتعاطمه العفو عن الذنوب وإن كثرت وقيل معناه وهم يعلمون أنهم إن استغفروا غفر لهم قال ثابت البناني بلغني أن إبليس بكى حين نزلت هذه الآية والذين إذا فعلوا فاحشة إلى آخرها .

(فصل في فضل الاستغفار)

عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال إن كنت إذا سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فعني الله منه ماشاء أن يتفنى وإذا حدثني أحد من الصحابة استخلفته فإذا حلف لي صدقته وإنه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد مؤمن أو قال ما من رجل يذنب ذنبا فيقوم فيتعلم ثم يصل ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له ثم قرأ هذه الآية والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله إلى آخر الآية وأخرجه أبو داود والترمذي وقال هذا حديث قد رواه غير واحد عن عثمان بن المغيرة فرفعه ورواه مسعر وسفيان عن عثمان بن المغيرة فرفعه ولم يرفعه ولا يعرف لاسماء إلا هذا الحديث عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا وورقه من حيث لا يحتسب أخرجه أبو داود (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر

أنا يحيى بن يحيى أنا عبد الحميد بن عبد الرحمن عن عثمان بن واقد العمري عن أبي نصر قال لقيت موليا لم يكره رضي الله عنه فقلت له سمعت من أبي بكر شيئا قال نعم سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة (وهم يعلمون) قال ابن عباس والحسن ومقاتل والكلمة وهم يعلمون أنها معصية وقيل وهم يعلمون أن الإصرار ضار وقال الضحاك وهم يعلمون أن الله يملك مغفرة الذنوب وقال الحسين بن الفضل إن له ربا يغفر الذنوب وقيل وهم يعلمون أن الله لا يتعاطمه العفو عن الذنوب وإن كثرت وقيل وهم يعلمون أنهم إن استغفروا غفر

بالمعصية وقيل فعلوا فاحشة الكبار أو ظلموا أنفسهم بالصغار وقيل فعلوا فاحشة فعلا أو ظلموا أنفسهم قولوا ذكروا الله أي ذكروا عباد الله وإن الله سألهم وقال مقاتل بن حيان ذكروا الله باللسان عند الذنوب (فاستغفروا لذنوبهم) ومن يغفر الذنوب إلا الله (أي يغفر الله) ولم يصروا على ما فعلوا أي لم يبقوا ولم يثبتوا عليه ولكن تابوا وأنابوا واستغفروا وأصل الأصرار الثبات على الشيء قال الحسن إتيان العبد ذنبا عما أصرار حتى يتوب وقال السدي الإصرار السكوت وترك الاستغفار أخبرنا عبد الواحد المايثي أنا أحمد بن عبد الله التميمي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزباني أخبرنا حميد بن زنجب

لهم (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) ثواب المطيعين أخيراً
 عبد الواحد بن أحمد المايحي أنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزياتي أنا حميد بن زنجويه أنه عفا بن مسلم أنا
 أبو عروانة أنا عثمان بن المغيرة عن علي بن ربيعة الأسدي عن أسماء بن الحكم الفزاري قال سمعت علياً رضي الله عنه يقول إنني
 كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً يتبعني الله منه بما شاء أن يتبعني ، وإذا حدثني أحد من أصحابه
 استلفته فإذا حلفت لي صدقته وإنه حديثي أبو بكر وصدق أو بكر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما من عبد
 مؤمن يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر الله إلا غفر الله له» رواه أبو يحيى عن قتبية عن أبي عروانة زاد
 ثم قرأ ، والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية أخبرنا عبد الواحد (٤٢٣) المايحي أنا أبو منصور السمعاني

ثم (ق) عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى قال : إذا أذنب عبد ذنباً
 فقال اللهم اغفر لي ذنبي قال تبارك وتعالى أذنب عبد ذنباً علم أن له ريباً يغفر الذنب ويأخذ
 بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى إن عبد ذنب ذنباً فعلم أن
 له ريباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى
 أذنب عبد ذنباً فعلم أن له ريباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب وفي رواية عمل ما شئت قد غفرت
 لك قال عبد الأعلى لأدري أقال في الثالثة أو الرابعة عمل ما شئت عن أنس قال سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم إنك مادعوتني ورجوتني غفرت لك على
 ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي
 يا ابن آدم و أنتنني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة أخرجه
 الترمذي وقال حديث حسن عنان السماء يفتح العين قبل هو السحاب وقيل هو ما عن لك منها أي
 ما ظهر لك منها وقراب الأرض بضم القاف وروي بكسرهما والقسم أشهر وهو ما يقارب ملاءها
 عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ من قال استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب
 إليه غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف أخرجه أبو داود والترمذي والحاكم قال حديث
 حسن صحيح على شرط البخاري ومسلم عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول : كل ذنب عصى الله أن يغفره أو قال عصى أن يغفره الله إلا من مات مشركاً ومن قتل
 مؤمناً متعمداً أخرجه أبو داود اهـ قوله عز وجل (أولئك) إشارة إلى من تقدم ذكره في قوله
 تعالى والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية (جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري
 من تحتها الأنهار) معنى الآية أن المطلوب بالتوبة أمران أحدهما الأمن من العقاب وإليه الإشارة
 بتوله مغفرة من ربهم والثاني إيصال الثواب وإليه الإشارة بقوله وجنات تجري من تحتها الأنهار
 أي ذلك لهم ذخر لا يبخرس وأجر لا يوكس (خالدين فيها) أي في الجنات (ونعم أجر العاملين)

أنا أبو جعفر الزياتي
 أنا حميد بن زنجويه
 أنا هشام بن عبد الملك
 أخبرنا عماد بن إسحاق
 عن عبد الله بن أبي طلحة
 قال كان قاض بالمدينة
 يقال له عبد الرحمن بن
 أبي عمرة وسمعه يقول
 سمعت أبا هريرة يقول
 سمعت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقول : إن
 عبداً أذنب ذنباً فقال
 أي رب أذنبت ذنباً
 فغفره لي قال فقال له
 ربه عز وجل علم عبد ذنباً
 أن له ريباً يغفر الذنب
 ويأخذ به غفرت لعبد ذنباً
 ثم مكث ما شاء الله ثم
 أذنب ذنباً آخر فقال
 رب أذنبت ذنباً فاعفوه
 لي فقال ربه عز وجل علم
 عبد ذنباً أن له ريباً يغفر

الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبد ذنباً فليعمل ما شاء أخبرنا عبد الواحد المايحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي أنا حميد
 ابن زنجويه أخبرنا النعمان السدوسي أخبرنا المهدي بن ميمون أخبرنا غيلان بن جرير عن شهر بن حوشب عن معدي كرب
 عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال : يا ابن آدم إنك مادعوتني ورجوتني غفرت لك على
 ما كان منك يا ابن آدم إنك إن لقيتني بقراب الأرض خطايا لقيتني بقرابها مغفرة بعد أن لا تشرك بي شيئاً يا ابن آدم إنك إن تذنب
 حتى تبلغ ذنوبك عنان السماء ثم تستغفرتني غفرت لك أخبرنا عبد الواحد المايحي أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين الحسيني أنا
 عبد الله بن محمود بن حسن الشرفي أنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر أخبرنا إبراهيم بن الحكم بن أبان حدثني أبي
 عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : قال الله تعالى من علم أن ذنوبه على مغفرة الذنوب
 غفرت له ولا أبالي ما لم يترك شيئاً قال ثابت البناني بلغني أن إبليس يبكي حين نزلت هذه الآية والذين إذا فعلوا فاحشة إلى

آخرها قوله تعالى (قد خلت من قبلكم سنن) قال عطاء شرايع وقال الكلبي مضت لكل أمة سنة ومنهاج إذا اتبعوها رضى الله عنهم وقال مجاهد قد خلت (٤٢٤) من قبلكم سنن بالهلاك فيسن كذب قبلكم وقيل سنن أي أمم والسنة الأمة قال الشاعر :

أي ونعم ثواب المطيعين يعني الجنة . قوله عز وجل (قد خلت من قبلكم سنن) يعني قد انقضت من قبلكم سنة الله في الأمم الماضية بالهلاك والاستئصال لأنهم خالفوا الأنبياء والرسل للحرص على الدنيا وطلب لذاتها والبقاء فيها فانقرضوا ولم يبق منهم أحد وقيل في معنى السنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع لكل أمة سنة ومنهاج إذا اتبعوه رضى الله عنهم بذلك وقيل سنن أي شرايع وقيل سنن أي أمم والسنة الأمة ومعنى الآية قد مضت وسلفت منى سنن فيمن كان قبلكم من الأمم الماضية الكافرة بامهالي واستدراجي إليهم حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم الذي أجلته لإهلاكهم (فسروا في الأرض) أمر ندب لاعلى سبيل الوحوب بل المقصود تعرف أحوال الماضين بقوله (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) فرغب أمة محمد صلى الله عليه وسلم في تأمل أحوال الأمم الماضية ليصبر ذلك داعيا لهم إلى الإيمان بالله ورسوله والإعراض عن الدنيا ولذاتها وفيه أيضا زجر للكافر عن كفره لأنه إذا تأمل أحوال الكفار وإهلاكهم صار ذلك داعيا له إلى الإيمان لأن النظر إلى آثار المتقدمين له أثر في النفس كما قيل :

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

وفي هذه الآية تسلية لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جرى لهم في غزوة أحد يقول فاني إنما أمهلت الكفار حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم الذي أجلته لهم في إهلاكهم ونصر محمد ﷺ وأوليائه وهلاك أعدائه . قوله عز وجل (هذا) يعني القرآن وقيل هو اسم إشارة إلى ما تقدم من أمره ونبيه ووعدده ووعيدده (بيان الناس) يعني عامة (وهدى) يعني من الضلالة (وموعظة للمتقين) يعني خاصة وقيل في الفرق بين البيان والهدى والموعظة لأن العطف يقتضى المغايرة والبيان هو الدلالة التي تقيد لإزالة الشبهة بعد أن كانت حاصلة والهدى هو طريق الرشاد المأمور بسلكه دون طريق الغي والموعظة هي الكلام الذي يقيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين فالحاصل أن البيان جنس تحت نوعان أحدهما الكلام المهادى إلى ما ينبغي في الدين وهو الهدى والثاني الكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين وهو الموعظة وإنما خصص المتقين بالهدى والموعظة لأنهم المتشغون بهما دون غيرهم . قوله عز وجل (ولا تنهوا ولا تحزنوا) نزلت يوم أحد حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بطلب القوم مع ما أصابهم من الجراح فاشتد ذلك على المسلمين فأنزله تعالى هذه الآية موحى فيها أصحاب النبي ﷺ على الجهاد على ما أصابهم من الجراح والقتل وكان قد قتل يوم أحد من الأنصار سبعون رجلا ومن المهاجرين خمسة رجال منهم حمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصعب بن عمير ومعنى الآية ولا تنهوا أي ولا فضعفوا عن الجهاد ولا تحزنوا يعني على من قتل منكم لأنهم في الجنة (وأنتم الأعلون) يعني بالنصر والغلبة عليهم وأن العاقبة لكم وقال ابن عباس انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب فأقبل خالد بن الوليد في خيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلو علينا اللهم لا قوة لنا إلا بك فتاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى انهزموا وعلوا المسلمون الجبل فلذلك قوله تعالى (وأنتم الأعلون) وقيل وأنتم تحزنوا) هذا حث لأصحاب النبي ﷺ على الجهاد والصبر على ما أصابهم من القتل والجرح يوم أحد يقول الأعلون الله تعالى ولا تنهوا أي لا تضعفوا ولا تتجسروا عن جهاد أعدائكم بما نالكم من القتل والجرح وكان قد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة منهم حمزة بن عبدالمطلب ومصعب بن عمير وقتل من الأنصار سبعون رجلا ولا تحزنوا أي على ما فاتكم (وأنتم الأعلون)

قال الشاعر :
ما عاين الناس من فضل
كفضلكم
ولا رأوا مثلكم في سالف
السنن
وقيل معناه أهل السنن
والسنة الطريقة المتبعة
في الخير والشر يقال من
فلان سنة حسنة وسنة
سيئة إذا عمل عملا اقتدى
به فيه من خير وشر
ومعنى الآية قد مضت
وسلف منى سنن فيمن
كان قبلكم من الأمم
الماضية الكافرة بامهالي
وامتدراجي إليهم حتى
يبلغ الكتاب فيهم أجله
الذي أجلته لإهلاكهم
وإدالة أنبيائي عليهم
(فسروا في الأرض
فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين) أي آخسر
أمر المكذبين وهذا في
حرب أحد يقول الله
عز وجل فانا أمهلتهم
وأستدرجهم حتى يبلغ
أجل الذي أملت في نصرة
النبي ﷺ وأوليائه وإهلاك
أعدائه (هذا) أي هذا
القرآن (بيان للناس) عامة
(وهدى) من الضلالة
(وموعظة للمتقين) خاصة
قوله تعالى (ولا تنهوا ولا

تحزنوا) هذا حث لأصحاب النبي ﷺ على الجهاد والصبر على ما أصابهم من القتل والجرح يوم أحد يقول الأعلون الله تعالى ولا تنهوا أي لا تضعفوا ولا تتجسروا عن جهاد أعدائكم بما نالكم من القتل والجرح وكان قد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة منهم حمزة بن عبدالمطلب ومصعب بن عمير وقتل من الأنصار سبعون رجلا ولا تحزنوا أي على ما فاتكم (وأنتم الأعلون)

بأن يكون لكم العاقبة بالنصر والظفر على أعدائكم (إن كنتم مؤمنين) يعني إذ كنتم أي لأنكم مؤمنون قال ابن عباس رضي الله عنهما: انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب فأقبل (٤٢٥) خالد بن الوليد بجبل المشركين

يريد أن يعلو عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلو علينا اللهم لا قوة لنا إلا بك وثاب ففر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموها فذلك قوله تعالى وأنتم الأعلون وقال الكلبي: نزلت هذه الآية بعد يوم أحد حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بطلب القوم بعد ما أصابهم من الجرح فاشتد ذلك على المسلمين فأزل الله تعالى هذه الآية دليله قوله تعالى ولا تنهوا في ابتغاء القوم (إن يمسكم قرح) قرأه حمزة وقال الكسائي وأبو بكر قرح بضم القاف حيث جاءه قرأ الآخرون بالفتح وهما لغتان معناهما واحد كالجهد والجهد وقال القراء بالفتح اسم للجراحة وبالضم اسم لآلم الجراحة هذا خطاب مع المسلمين حيث انصرفوا من أحد مع الكتابة والخزن يقول الله تعالى لهم إن يمسكم قرح يوم أحد فقد مس القوم قرح مثل يوم بدر

الأعلون لأن حالكم خير من حالهم لأن قتلكم في الجنة وقتلهم في النار وأنتم تقتلون على الحق وهم يقتلون على الباطل وقيل وأنتم الأعلون في العاقبة لأنكم تظفرون بهم وتستولون عليهم (إن كنتم مؤمنين) أي إذ كنتم مؤمنين وقيل معناه إن كنتم مصدقين بأن ناصركم هو الله تعالى فصدقوا بذلك فإنه حتى وصدق . وقوله تعالى (إن يمسكم قرح) قرأه بضم القاف وبفتحها وهما لغتان ومعناها واحد وقيل إنه بالفتح مصدر وبالضم اسم وقيل إنه بالفتح اسم للجراحة وبالضم ألم للجراحة الآية خطاب للمسلمين حين انصرفوا من أحد مع الخزن والكتابة يقول إن يمسكم أيها المسلمون قرح يوم أحد (فقد مس القوم) يعني في يوم بدر وقيل إن الكفار قد ناهم يوم أحد مثل ما نالكم من الجراح والقتل فقد قتل منهم نيف وعشرون رجلا وكثرت الجراحات فيهم (وتلك الأيام ندأوها بين الناس) المداولة نقل الشيء من واحد إلى آخر يقال تدأولته الأيدي إذا انتقل من واحد إلى آخر ويقال الدنيا دول أي تنتقل من قوم إلى آخرين ثم منهم إلى غيرهم والمعنى أن أيام الدنيا هي دول بين الناس فيوم هؤلاء ويوم هؤلاء فكانت الدولة للمسلمين على المشركين في يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلا وأسروا سبعين وأدب المشركون من المسلمين يوم أحد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين (خ) عن البراء بن عازب قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم أحد وكانوا خمسين رجلا وهم الرماة عبد الله بن جبير فقال إن رأيتنا تحفظنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل إليكم وإن رأيتونا ناهز منا القوم ووطئناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم فهزمهم الله قال فأنا والله رأيت النساء يشندن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة أي قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله لتأتين الناس فلنصيب من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك قوله والرسول يدعوكم في أخراكم فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا فأصابوا من سبعين رجلا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيرا وسبعين قتيلًا فقال أبو سفيان أفي القوم محمد؟ ثلاث مرات فيها هم النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه ثم قال أفي القوم أم أني قحافة؟ ثلاث مرات ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب؟ ثلاث مرات ثم رجع إلى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله إن الذي عدت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك قال يوم يوم بدر والحرب سجال إنكم ستجدون في القوم مثله لم أمر بها ولم تسؤني ثم أخذ يرتجز أعل هبل أعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا تجيبوه فقالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله أعل وأجل قال أبو سفيان . إن لنا عزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم . قال البغوي وقد روى هذا المعنى عن ابن عباس وفي حديثه قال أبو سفيان يوم يوم وإن الأيام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلتنا في الجنة وقتلكم في النار قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله تعالى وإن جنودنا لهم الغالبون فكانت

(٥٤ - خازن بالبغوي - أول)

(وتلك الأيام ندأوها بين الناس) في يوم لهم ويوم عليهم أدب المشركون من المسلمين يوم أحد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا محمد بن عبد الله النعمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا

عمرو بن خالد أنا زهير أخبرنا أبو إسحاق قال سمعت البراء بن عازب يحدث قال: جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجال يوم أحد وكانوا خمسين رجلا عبد الله بن جبير فقال: وإن رأيتونا نحطفتنا الطير فلا ترحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم وإن رأيتونا هزمتا القوم أو وطنانهم فلا ترحوا حتى أرسل إليكم فهزمهم، قال فأنا والله رأيت النساء يشتدن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن وافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة، أي قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تظنون؟ فقال عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا والله لثأرتين الناس فلنصيبين من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبوا منهزمين فذلك قوله والرسول يدعوكم في أخراكم ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا فأصابوا مئتين وكان النبي صلى الله عليه وسلم (٤٣٦) وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر مائة وأربعين سبعين

يوم أحد للكفار على المسلمين مخالفتهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقوله تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا) يعني إنما جعل الدولة للكفار على المسلمين ليميز المؤمن المخلص ممن يرتد عن الدين إذا أصابته نكبة وشدة وقيل معناه وليعلم الله الذين آمنوا إنما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم أي ليعرفهم بأعيانهم إلا أن السبب العلم وهو ظهور الصبر حذف هنا وقيل معناه ليعلم الله ذلك واقعا منهم لأن الله تعالى يعلم الشيء قبل وجوده ولا يحتاج إلى سبب حتى يعلم والمعنى يقع ما علمه عيانا ومشاهدة للناس والمجازة إنما تقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل معناه ليعلم أولياء الله فأضافت علمهم إلى نفسه تفخيها وقيل معناه ليحكم الله بالامتنياز بين المؤمن والمنافق فوضع العلم موضع الحكم لأن الحكم لا يحصل إلا بعد العلم (ويتخذ منكم شهداء) يعني وليكرم قوما منكم بالشهادة ممن أراد أن يكرمهم بها وذلك لأن قوما من المسلمين فاتهم يوم بدر وكانوا يتمنون لقاء العدو وأن يكون لهم يوم كيوم بدر فيقاتلون فيه العدو ويلتصمون فيه الشهادة والشهداء جمع شهيد وهو من قتل من المسلمين بسيف الكفار في المعركة واختلفوا في معنى الشهيد فقيل الشهيد الحي لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون فأرواحهم حية حضرت دار السلام وشهيدتها وأرواح غيرهم لا تشهد لها وقيل سمي شهيدا لأن الله تعالى شهد له بالجنة وقيل سمي شهداء لأنهم يشهدون يوم القيامة مع الأنبياء والصديقين على الأمم لأن الشهادة تكون للأفضل فالأفضل من الأمة لأن منصب الشهادة منصب عظيم ودرجة عالية (والله لا يحب الظالمين) يعني المشركين وقيل هم الذين ظلموا أنفسهم بالمعاصي وقيل هم المنافقون الذين يظهرون الإيمان بالنسبة ويسرون الكفر والمعنى والله لا يحب من لا يكون ثابتا على الإيمان صابرا على الجهاد (وليعلم الله الذين آمنوا) أي وليظهرهم من ذنوبهم ويزيلها عنهم وأصل المحص في اللغة التنقية والإزالة (ومحق الكافرين) أي يشبههم ويهلكهم ومعنى الآية إن قتلتم الكافرين فهو شهادة وتطهير لكم وإن قتلتموهم فمحقهم واستئصالهم . قوله عز وجل (أم حسبتم) أي بل حسبتم وظننتم والمراد به الإنكار والمعنى لا تحسبوا أيها المؤمنون (أن تدخلوا الجنة) وتناولوا كرامتي وثوابي (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) قال الإمام فخر الدين

أسيرا وسبعين قتيلًا فقال أبو سفيان أفي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيئوه ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع إلى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله إن الذين عدت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوعك فقال يوم يوم بدر والحرب صحال أنكم ستجدون في القوم مثلة لم أمر بها ولم تؤذي ثم أخذ يرتجز أعل هيل أعل هيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا تجيئوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال: قولوا الله أعلي وأجل

قال إن لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا تجيئوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال الرازي قولوا الله مولانا ولا مولى لكم وروى هذا المعنى عن ابن عباس رضى الله عنهما وفي حديثه ، قال أبو سفيان يوم بيوم وأن الأيام دول والحرب صحال فقال عمر رضى الله عنه لاسواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله تعالى وإن جندنا لهم الغالبون وكانت يوم أحد للكفار على المسلمين مخالفتهم أمر رسول الله ﷺ قوله تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا) يعني إنما كانت هذه المداولة ليعلم أي ليرى الله الذين آمنوا فيميز المؤمن من المنافق (ويتخذ منكم شهداء) يكرم أقواما بالشهادة (والله لا يحب الظالمين) ويمحس الله الذين آمنوا (أي يظهرهم من الذنوب) ويمحق الكافرين يشبههم ويهلكهم ، معناه أنهم إن قتلوكم فهو تطهير لكم وإن قتلتموهم فهو محققهم واستئصالهم (أم حسبتم) أي أحسبتم (أن تدخلوا الجنة) ولما يعلم الله أي ولم يعلم الله (الذين جاهدوا منكم)

ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه) وذلك أن قوما من المسلمين تمنوا يوماً كيوم بدر ليقاتلوا ويستشهدوا فأراهم الله يوم أحد وقوله تمنون الموت أي سبب الموت وهو الجهاد من قبل أن تلقوه (فقد رأيتموه) يعني أسبابه (وأنتم تنظرون) فإن قيل: ما معنى قوله «وأنتم تنظرون» بعد قوله «فقد رأيتموه» قيل ذكره تأكيداً وقيل الرؤية قد تكون بمعنى العلم فقال وأنتم تنظرون ليعلم أن المراد بالرؤية النظر وقيل: معناه وأنتم تنظرون إلى محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) قال أصحاب المغازي: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالشعب من أحد في سبع مئة رجل وجعل عبد الله بن جبير وهو أخو خوات بن جبير على الرجال وكانوا خمسين رجلاً وقال «أقيموا بأصل الجبل والنضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا فإن كانت لنا (٤٢٧) أو علينا فلا ترحوا مكانكم حتى أرسل إليكم وأنا لن

نراك غالبين ما بينتم مكانكم فجاءت قريش وعلى يمينهم خالد بن الوليد، وعلى يسارهم عكرمة بن أبي جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف ويقلن الأشعار فقاتلوا حتى حبت الحرب فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفاً فقال «من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى يشخن» فأخذه أبو دجانة سحاك بن خرشة الأنصاري فلما أخذه أعم بعمامة حمراء وجعل يتختر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأنها لمشية يبعثها الله تعالى إلا في هذا

الرازي ظاهر الآية يدل على وقوع النبي على العلم والمراد وقوعه على نفي المعلوم والتقدير: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة وما يصدر الجهاد عنكم وتقديره إن العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت هذه المطابقة لاجرم حسن إقامة كل واحد منهما مقام الآخر وقال الواحدى النبي في الآية واقع على العلم والمعنى على الجهاد دون العلم وذلك لما فيه من الإيجاز في انتفاء جهاد لو كان لعلمه والتقدير: وما يكن المعلوم من الجهاد الذي أوجب عليكم فجزى النبي على العلم للإيجاز على سبيل التوسع في الكلام إذ المعنى مفهوم من غير إخلال وقال الزجاج المعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين أي ولما يعلم الله ذلك واقعا منكم لأنه يعلمه غيباً وإنما يجازيهم على عملهم وقال الطبري يقول ولما يتبين لعبادي المؤمنين المحاهد منكم على ما أمرته به (ويعلم الصابرين) يعني في الحرب وعلى ما نالكم في ذات الله عز وجل من جراح وألم ومكروه وفي هذه الآية معاتب لمن أنهزم يوم أحد والمعنى أم حسبتم أي المهزومون أن تدخلوا الجنة كما دخلها الذين قتلوا وبدلوا بهجهم لربهم عز وجل وصبروا على ألم الجراح والضرب وثبتوا لعدوهم من غير أن تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم. قوله تعالى (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه) قال ابن عباس لما أخبر الله عز وجل المؤمنين على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم عما فعل يشهدائهم يوم بدر من الكرامة رغبوا في ذلك فتمنوا قتالاً يستشهدون فيه فيلحقون بأخوانهم فأراهم الله يوم أحد فلم يلزموا أن أنهزموا إلا من شاء الله منهم فأرسل الله هذه الآية وقيل إن قوماً من المسلمين تمنوا يوماً كيوم بدر ليقاتلوا فيه ويستشهدوا فأراهم الله يوم أحد ومعنى قوله تمنون الموت أي تطلبون أسباب الموت وهو القتال والجهاد من قبل أن تلقوه أي من قبل أن تلقوه يوم أحد (فقد رأيتموه) يعني رأيتم ما كنتم تمنون والهاء في رأيتموه عائدة على الموت أي رأيتم أسبابه معنيين له شاهدين قتل من قتل من إخوانكم بين أيديكم (وأنتم تنظرون) قيل ذكره تأكيداً وقال الزجاج معناه فقد رأيتموه وأنتم بصراء كما تقول رأيت كذا وكذا وليس في عينك علة أي رأيته رؤية حقيقية وقيل معناه وأنتم تنظرون ما تمنيت فلم أنهزمت. قوله عز وجل (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) قال أهل المغازي خرج رسول الله صلى

الموضع «ففلق به هام المشركين وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين فهزموهم» وروينا عن البراء بن عازب قال فأنا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة والله لنائين الناس ولنصيبن من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم قال الزبير بن العوام فرأيت هنذا وصواحبها هاربات مصعدات في الجبل باديات خدامهن مادون أخذن شئ فلما نظرت الرماة إلى القوم قد انكشفوا ورأوا أصحابهم ينتهبون الغنيمة أقبلوا يريدون اللب فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة ورأى ظهورهم خالفة صاح في خيله من المشركين ثم حمل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من خلفهم فهزموهم وقتلهم ورمى عبد الله بن قيسه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر أنفه ورياعيته وشجه في وجهه فألقه وتفرق عنه أصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صحرة ليعلوها وكان قد ظاهر بين درعين فلم يستطع فجلس تحته طلحة حتى استوى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« أوجب طلحة » ووقعت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجذعن الأذان والأذون حتى اتخذت هند من ذلك قلائد وأعطتها وحشيا وبقرت عن كبدة حمزة ولا كتبها فلم تستطع أن تسبها فلفظتها وأقبل عبد الله بن قبيصة يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم فذبه مصعب بن عمير وهو صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قبيصة وهو يرى أنه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع إلى المشركين وقال: إني قتلتم محمدا وصاح صارخا إلا إن (٤٢٨) محمدا قد قتل ويقال إن ذلك الصارخ إبليس لعنة الله عليه فانكفأ الناس

وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى عباد الله إلى عباد الله فاجتمع إليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن أبي وقاص حتى اندقت سية قوسه ونزل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته وقال له: « أرم فذاك أبي وأمي » وكان أبو طلحة رجلا راميا شديد النزع، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثا وكان الرجل يمر بجعبة من النبل فيقول « أنثرها لأبي طلحة » وكان إذا رمى استشرف النبي صلى الله عليه وسلم لينظر إلى موضع نبله وأصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيست حين وفي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصيبت عين قتادة ابن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانها فعدت كأحسن ما كانت

الله عليه وسلم حتى نزل بالشعب من أحد في سبعمائة رجل وجعل عبد الله بن جبر على الرجالة وكانوا خمسين رجلا وقال « أقيموا بأصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من خلفنا فان كانت لنا أو علينا لا تبرحوا من مكانكم حتى أرسل إليكم فانا لن نزال غالبين ما نبتم مكانكم » وكانت قريش على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف وينشدن الأشعار فقاتلوا حتى حيت الحرب وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين فهزموهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ سيفا وقال « من يأخذ هذا السيف يحقه ويضرب به العدو حتى يتخثر حتى يتخثر » فأخذه أبو دجانة سهاك بن خرشة الأنصاري فلما أخذه أعم بعمامة حمراء وجعل يتبختر في مشيته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنها لمشية يبغيها الله تعالى ورسوله إلا في هذا الموضع » فلما نظرت الرماة إلى المشركين وقد انكشفوا ورأوا أصحابهم ينهبون الغنيمة أقبلوا يريدون النهب، فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسامير بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله وحمل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهزموهم ورمى عبد الله بن قبيصة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشبه في وجهه فأنقله وتفرق عنه أصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة ليعاوها فلم يستطع وكان قد ظاهر بين درعين فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى على الصخرة فقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوجب طلحة » ووقعت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجذعن الأذان والأذون حتى اتخذت من ذلك قلائد وأعطتها وحشيا وبقرت عن كبدة حمزة رضي الله تعالى عنه وكان قد قتل يومئذ فأخذت منها قطعة فلا كتبها فلم تسبها فلفظتها وأقبل عبد الله بن قبيصة يريد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذبه عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو يومئذ صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قبيصة وهو يرى أنه قتل رسول الله ﷺ فرجع وقال إني قد قتلتم محمدا وصاح صارخا إلا إن محمدا قد قتل ويقال إن الصارخ إبليس لعنة الله عليه فانكفأ الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إلى عباد الله إلى عباد الله » فاجتمع إليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن أبي وقاص حتى اندقت سية قوسه ونزل له رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته وقال « أرم فذاك أبي وأمي » وكان أبو طلحة رجلا راميا شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة وكان الرجل يمر معه جعبة النبل فيقول « أنثرها لأبي طلحة » وكان إذا رمى تشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم لينظر موضع نبله وأصيبت يد طلحة بن

فلما انصرف رسول الله ﷺ أدركه أبي بن خلف الجمحي وهو يقول: لا نجوت إن نجوت فقال التوم: عبيد الله يارسول الله لا يعطف عليه رجل منا؟ فقال ﷺ: « دعوه حتى إذا دنى منه وكان أبي قبل ذلك يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: عندي رمكة أعلفها كل يوم فرق ذرة أقتلك عليها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « بل أنا أقتلك إن شاء الله » فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ثم استقبله فقطعته في عنقه فخدشه خدشة فتهدأ عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول: قتلتني محمد. فحملة أصحابه وقالوا ليس عليك بأس قال بلى لو كانت هذه الطعنة

بربيعة ومضر لقتلهم ، أليس قال لي أقتلك؟ فلو بزق على بعد تلك المقالة لقتلني . فلم يلبث إلا يوما حتى مات بموضع يقال له سرف
أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أنا محمد بن إسحاق بن عمار (٤٣٩) أنا عمرو بن علي أنا أبو عاصم

عن ابن جريج عن عمرو
ابن دينار عن عكرمة عن
ابن عباس رضي الله
عنه قال «اشتد غضب
الله على من قتله نبي واشتد
غضب الله على من دمي
وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم» قالوا وفشا
في الناس أن محمدا قد قتل
فقال بعض المسلمين :
ليت لنا رسولا إلى عبد الله
ابن أبي فيأخذ لنا أمانا
من أبي سفيان ، وبعض
الصحابة جلسوا وألقوا
ما بأيديهم من الأسلحة
وقال أناس من أهل
الضفاق إن كان محمد قد
قتل فألحقوا بأيديكم الأول
فقال أنس بن النضر عم
أنس بن مالك : يا قوم
إن كان قد قتل محمد
فإن رب محمد لم يقتل ،
وما تصنعون بالحياة
بعد رسول الله ﷺ
فقاتلوا علي ما قاتل عليه
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وموتوا على مامات
عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ثم قال : اللهم
إني أعتذر إليك مما يقول
هؤلاء - يعني المسلمين
وأبرأ إليك مما جاء به
هؤلاء - يعني المنافقين

عبيد الله فيست حين وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ
حتى وقعت على وجهه فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادت أحسن ما كانت فلما
انصرف رسول الله ﷺ أدركه أبي بن خلف الجمحي وهو يقول لا نجوت إن نجوت فقال
القوم يا رسول الله ألا يعطف عليه رجل منا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «دعوه» حتى إذا
دنى منه وكان أبي قبل ذلك يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول عندي رمكة أعلقها كل
يوم فرق ذرة أقتلك عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بل أنا أقتلك إن شاء الله» فسادني
منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب من الحارث بن الصمة ثم استقبله وطعنه في عنقه
وخدشه خدشة فحقت عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتلني محمد فاحتلمه أصحابه
وقالوا ليس عليك بأس فقال بل لو كانت هذه الطعنة بريعة ومضر لقتلتهم أليس قال لي أنا
أقتلك؟ فلو بزق على بعد ذلك المقالة لقتلني بها فلم يلبث بعد ذلك إلا يوما حتى مات بموضع
يقال له سرف (خ) عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اشتد غضب الله
على من قتله نبي في سبيل الله اشتد غضب الله على قوم أدموا وجه نبي الله» قالوا وفشا في الناس
أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل وقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي
فيأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وجلس بعض الصحابة وألقوا ما بأيديهم وقال أناس من المنافقين
إن كان محمد قد قتل فالحقوا بأيديكم الأول وقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم إن
كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ﷺ فقاتلوا علي
ما قاتل عليه وموتوا على مامات عليه ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء - يعني المسلمين -
وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انطلق إلى الصخرة وهو يدعو الناس فأول من عرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم كعب بن مالك قال قد عرفت عينيه زهران تحت المغفر فنادت بأعلى صوتي يا معشر
المسلمين أيسروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار إلي أن أسكت فأنحازت إليه طائفة
من أصحابه فلامهم النبي صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا يا رسول الله فديناك بأبائنا وأمهاتنا
أنا الخبير بأنك قد قتلت فرجعت قلوبنا فوايتنا مدبرين فأزل الله عز وجل «وما محمد إلا رسول
قد خلت من قبله الرسل» ومعنى الآية فسيخلو محمد كما خلت الرسل من قبله فكما أن أتباعهم
بقوا متمسكين بأيديهم بعد خلو أنبيائهم فعليكم أنتم أن تتركوا أيديهم بعد خلوهم لأن الغرض
من بعث الرسول تبليغ الرسالة وإلزام الحجج لوجوده بين ظهراني قومه ومحمد اسم علم لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وفيه إشارة إلى وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه وهو الذي كثرت خصاله
الحمودة والمستحق لجميع الحماد لأنه الكامل في نفسه صلى الله عليه وسلم فأكرم الله عز وجل
نبيه صلى الله عليه وسلم فسماه باسمين مشتقين من اسمه الحمود سبحانه وتعالى فسماه محمدا وأحمد
وق ذلك يقول حسان بن ثابت :

لم تر أن الله أرسل عبده ببرهانه والله أعلى وأمجده
أعز عليه للنبوة خاتم من الله مشهور بلوح ويشهد

ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق إلى الصخرة وهو يدعو الناس فأول من عرف رسول
الله ﷺ كعب بن مالك قال : عرفت عينيه تحت المغفر زهران تحت المغفر فنادت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين أيسروا هذا رسول الله

صلى الله عليه وسلم فأشار إلى أن اسكت فأتاحت إليه طائفة من أصحابه فلامهم النبي صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا
يا نبي الله فدينناك بآبائنا وأمهاتنا أتنانا الخبر بأنك قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مديريين . فأنزل الله تعالى : وما محمد إلا رسول
قد خلت من قبله الرسل ، (٤٣٠) ومحمد هو المستغرق لجميع المحامد لأن الحمد لا يستوجه إلا الكامل والتحميد

فوق الحمد فلا

يستحقه إلا المستولى على
الأمر في الكمال وأكرم
الله نبيه وصفه باسمين
مشقين من اسمه جل
جلاله محمد وأحمد ،
وفيه يقول حسبان
ابن ثابت :

ألم تر أن الله أرسل
عبده

برهانه والله أعلى
وأجسد

وشق له من اسمه
ليجمله

فلو العرش محمود
وهذا محمد

قوله تعالى (أفان مات
أو قتل انقلبتم على

أعقابكم ؟) أي رجعت إلى
دينكم الأول (ومن

ينقلب على عقبيه) ويرتد
عن دينه (فلن يضرب الله

شيئا) بارتداده وإنما ضرب
نفسه (وسيجزى الله

الشاكرين وما كان لنفس
أن تموت) قال الأخصس :

اللام في نفس منقولة من
تموت تقديره : وما كان

نفس لتموت (إلا بإذن الله)
بقضائه وقنوه وميل

بعلمه وقيل : بأمره
(كتابا مؤجلا) أي

كتب لكل نفس أجلا لا يقدر أحد على تغييره أو تأخيرها

وشق له من اسمه ليجمله فلنو العرش محمود وهذا محمد

(ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لي خمسة أسماء أنا محمد
وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا
العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وسماه الله رؤفا رحيا (م) عن أبي موسى الأشعري قال كان
رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء فقال « أنا محمد وأنا أحمد وأنا الملقى ونبي التوبة ونبي الرحمة »
قوله الملقى هو آخر الأنبياء الذي لا نبي بعده والرسول هو المرسل ويكون بمعنى الرسالة والمراد
به هنا المرسل بدليل قوله تعالى « وإنك لمن المرسلين » (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟)
يعني أنقلبون على أعقابكم إن مات محمد أو قتل وترجعون إلى دينكم الأول يقال لكل من
رجع إلى ما كان عليه رجوع وراءه وتكص على عقبيه وحاصل الكلام إن الله تعالى بين أن
موت محمد صلى الله عليه وسلم أو قتله لا يوجب ضعفا في دينه ولا الرجوع عنه بدليل موت
سائر الأنبياء قبله وأن أتباعهم ثبتوا على دين أنبيائهم بعد موتهم (ومن ينقلب على عقبيه)
يعني يرتد عن دينه ويرجع إلى الكفر (فلن يضرب الله شيئا) يعني بارتداده لأن الله تعالى لا يضرب
كفر الكافرين لأنه تعالى غنى عن العالمين وإنما يضرب المرتد والكافر نفسه (وسيجزى الله
الشاكرين) يعني الثابتين على دينهم الذين لم ينقلبوا عنه لأنهم شكروا نعمة الله عليهم بالإسلام
وثبتهم عليه فساهم الله شاكرين لما فعلوا والمعنى وسيثيب الله من شكره على توفيقه وهدايته
وروى ابن جبير عن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه في قوله « وسيجزى الله الشاكرين » قال
الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه وكان على يقول أبو بكر أمين الشاكرين وأمين أخبار الله
وكان أشكرهم وأحبهم إلى الله تعالى . قوله عز وجل (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله)
أي بأمر الله وقضائه وقنوه وعلمه وذلك أن الله تعالى يأمر ملك الموت بقبض الأرواح فلا
يموت أحد إلا بإذن الله تعالى وأمره والمراد من الآية تحريض المؤمنين على الجهاد وتشجيعهم
على لقاء العدو بأعلامهم بأن الجبن لا ينفع وأن الخلد لا يدفع المقلوب وأن أحدا لا يموت قبل
أجله وإن خاض المهالك واقتحم المعارك وإذا جاء الأجل لم يدفع الموت بحيلة فلا فائدة في الخوف
والجبن . وفي الآية أيضا ذكر حفظ الله رسوله صلى الله عليه وسلم عند غلبة العدو وتحليصه منهم
عند التفاهم عليه وإسلام أصحابه له فأجابه الله تعالى من عدوه سلما مسلما لم يضربه شيء (كتابا
مؤجلا) يعني مؤقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر . والمعنى أن الله تعالى كتب لكل نفس أجلا
لا يقدر أحد على تغييره أو تأخيرها أو تأخيرها وقيل الكتاب هو اللوح المحفوظ لأن فيه آجال جميع
الخلق (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها) يعني من يرد بعمله وطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها
ما يكون جزاء لعمله والمعنى نؤته منها ما يشاء على ما قدرناه له نزلت في الذين تركوا المركز يوم
أحد وطلبوا الغنيمة (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) يعني من يرد بعمله الآخرة نؤته ثوابه فيها
نزلت في الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد . واعلم أن هذه الآية وإن نزلت

كتب لكل نفس أجلا لا يقدر أحد على تغييره أو تأخيرها أو تأخيرها أي كتب كتابا (ومن يرد ثواب الدنيا في الجهاد
نؤته منها) يعني من يرد بطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها ما يكون جزاء لعمله ، يرد نؤته منها ما يشاء ما قدرناه له كما قال « من كان يريد
العاجلة عجلنا له فيها ما يشاء لمن يريد » نزلت في الذين تركوا المركز يوم أحد طلبا للغنيمة (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها)

أى أراد بعمله الآخرة قيل: أراد الذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا (وسنجزى الشاكرين) أى المؤمنين المطيعين.
أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي ، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن موسى بن الصلت أنا أبو إسحاق إبراهيم
عبد الصمد الهاشمي ، أنا أبو يحيى محمد بن عبد الله بن يزيد بن عبد الرحمن بن المقرئ أنا أبو الربيع بن صبيح عن يزيد الرقاشي
عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له
شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشنت عليه أمره ولا يأتيه منها إلا ما كتب الله
له» أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن أبي توبة الزراد ، أخبرنا أبو بكر محمد (٤٣١) بن إدريس بن محمد الجرجاني

وأبو أحمد محمد بن
أحمد بن علي المعلم
الهروي قالوا : أخبرنا
أبو الحسن علي بن عيسى
الماليني ، أخبرنا أبو العباس
الحسن بن سفيان النسوي
أخبرنا حسان بن موسى
وعبد الله بن أسماء ابن
أخي جويرية بن أسماء
قالا أخبرنا عبد الله بن
البارك عن يحيى بن سعيد
عن محمد بن إبراهيم
التيهي عن علقمة بن
وقاص الليثي عن عمر بن
المخاطب رضى الله عنه
قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وإنما
الأعمال بالنيات وإنما
لكل امرئ ما نوى فمن
كانت هجرته إلى الله
ورسوله فهجرته إلى
الله ورسوله ومن كانت
هجرته إلى دنيا يصيبها

في الجهاد خاصة لكنها عامة في جميع الأعمال وذلك لأن الأصل في ذلك كله يرجع إلى نية العبد
فإن كان يريد بعمله الدنيا فليس له جزاء إلا فيها وكذلك من أراد بعمله الدار الآخرة فجزاؤه
أيضا فيها (ق) عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول «إنما الأعمال بالنيات» وفي رواية «بالتنية وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله
ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يزوجها» وفي رواية
ويذكرها فهجرته إلى ما هاجر إليه ، وروى البغوي بسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال «من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا راغمة
ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشنت عليه أمره ولا يأتيه منها إلا
ما كتب الله له» . وقوله تعالى (وسنجزى الشاكرين) يعنى المؤمنين المطيعين الذين لم يشغلهم
شئ عن الجهاد ولم يريدوا بأعمالهم إلا الله تعالى والدار الآخرة . قوله عز وجل (وكأين من
نبي) أى وكم من نبي (قتل معه) وقرئ «قاتل معه» فن قرأ قتل بضم القاف فله أوجه : أحدها
أن يكون القتل راجعا على النبي وحده فعلى هذا يكون الوقف على قتل لأنه كلام تام وفيه
إضمار تقديره قتل ومعه ربيون كثير ويكون معناه قتل حال ما كان معه ربيون كثير والمعنى
أن كثيرا من الأنبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ما هوتوا في دينهم وما استكانوا بل استمروا
على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي لكم أن تكونوا مثلهم . الوجه الثاني أن القتل قال
النبي ومن معه من المرابين ويكون المراد البعض ويكون قوله «فما وهوا» راجعا إلى الباقيين
والمعنى وكأين من نبي قتل وبعض من كان معه فما ضعف الباقيون لقتل من قتل من إخوانهم بل
مضوا على جهاد عدوهم فكان ينبغي لكم أن تكونوا كذلك . الوجه الثالث أن يكون القتل
قال المرابين لا النبي والمعنى وكأين من نبي قتل من كان معه وعلى دينه ربيون كثير ومن قرأ قاتل
معه ربيون كثير فالمعنى وكأين من نبي قاتل معه العدد الكثير من أصحابه فأصابهم من عدوهم
قروح وجراحات فما وهوا لما أصابهم بل استمروا على جهاد عدوهم لأن الذى أصابهم إنما
هو في سبيل الله وطاعته وإقامته دينه ونصرة نبيه فكان ينبغي لكم أن تفعلوا مثل ذلك بأمة
محمد وحجة هذه القراءة ماروى عن سعيد بن جبير أنه قال ما سمعنا أن نبيا قتل في القتال وقوله
(ربيون كثير) قال ابن عباس جموع كثيرة وقيل الربيون الألوف وقيل الربية الواحدة عشرة

أو امرأة يزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه « قوله تعالى (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير) قرأ ابن كثير وكأين بالمد
والهزة على وزن كاعن وتلين الهزة أبو جعفر وقرأ الآخرون وكأين بالهزة والتشديد على وزن كعين ومعناه وكم وهي
كاف التشديد ضمت إلى أى الاستفهامية ولم يقع التنوين صورة في الخط إلا في هذا الحرف خاصة ويقف بعض القراء على وكأين
بلا نون والآخرون على الوقف بالنون قوله قاتل قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة بضم القاف وقرأ الآخرون قاتل فن قرأ
قاتل فلقوله فما وهوا ويستحيل وصفهم بأنهم لم يهتوا بعد ما قتلوا لقول سعيد بن جبير : ما سمعنا أن نبيا قتل في القتال ، ولأن قاتل
أعم . قال أبو عبيدة إن الله تعالى إذا حمد من قاتل كان من قتل داخل فيه وإذا حمد من قتل لم يدخل فيه غيرهم فكان قاتل
أعم . ومن قرأ قتل فله ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون القتل راجعا إلى النبي وحده فيكون تمام الكلام عند قوله قتل ويكون في

الآية إضمار معناه ومعه ربيون كثير كما يقال قتل فلان معه جيش كثير أى ومعه. والوجه الثاني أن يكون القتل نال النبي ومن معه من الريين ويكون المراد بعض من معه تقول العرب قتلنا بنى فلان وإنما قتلوا بعضهم ويكون قوله وفما هنوا راجعا إلى الباقيين والوجه الثالث أن يكون القتل (٤٣٢) للريين لا غير وقوله ربيون كثير قال ابن عباس ومجاهد وقتادة جمع

كثيرة وقال ابن مسعود الريون الأوف وقال الكلبي الرية الواحدة عشرة آلاف وقال الضحاك الرية الواحدة ألف وقال الحسن فقهاء علماء وقيل هم الاتباع والريانيون والرييون الولاية الرعية وقيل منسوب إلى الرب وهم الذين يمدون الرب (فما وهوا) أى فاجبنوا (ما أصابهم في سبيل الله وما ضغفوا) عن الجهاد بما نالهم من ألم الجراح وقتل الأصحاب (وما استكانوا) قال مقاتل وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم وقال السدي وما ذلوا وقال عطاء: وما تضرعوا ونال أبو العالية وما جبنوا ولكن صبروا على أمر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم (والله يحب الصابرين) قوله تعالى (وما كان قولهم) نصب على خبر كان والاسم في أن قالوا ومعناه وما كان قولهم عند قتل

آلاف وقيل ألف وقيل ربيون يعنى فقهاء علماء وقيل الريون هم الأتباع (فما وهوا) أى فاجبنوا عن الجهاد في سبيل الله (ما أصابهم في سبيل الله وما ضغفوا) يعنى عن مجاهدة عدوهم بما نالهم من ألم الجراح وقتل الأصحاب (وما استكانوا) يعنى وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم ولكنهم صبروا على أمر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم وهذا تعريض بما أصابهم يوم أحد من الوهن والانسكاس عند الارتجاج بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعفهم عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبى في طلب الأمان مع أبى سفيان والمقصود من الآية حكاية ماجرى لسائر الأنبياء وأتباعهم لتقتدى هذه الأمة بهم وترغب الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد (والله يحب الصابرين) يعنى في الجهاد والمعنى أن من صبر على تحمل الشدائد في طلب الآخرة ولم يظهر الجزع والعجز فإن الله تعالى يجبه ومحبة الله تعالى للعبد عبارة عن إرادة لإكرامه وإعزازه وإرسال الثواب له وإدخاله الجنة مع أوليائه وأصفيائه ثم قال تعالى (وما كان قولهم) يعنى قول الريين (إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) فيدخل فيه جميع الصغار والكبار (وإسرافنا في أمرنا) يعنى ما أسرفنا فيه فخطبنا إلى العظام من الذنوب لأن الإسراف الإفراط في الشيء ومجاوزه فالحد فيه فيكون المعنى اغفر لنا ذنوبنا الصغار منها والكبار (وثبت أقدامنا) لكي لا نزل عند لقاء العدو وذلك يكون بإزالة الخوف والرجب من قلوبهم (وانصرفنا على القوم الكافرين) لأن النصر على الأعداء لا يكون إلا من عند الله بين الله تعالى أنهم كانوا مستعدين عند لقاء العدو بالدعاء والتضرع وطلب الإعانة والنصر من الله تعالى والغرض منه أن يقتدى بهم في هذه الطريقة الحسنة أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقول هلا فعلتم مثل ما فعلوا وقتلتم مثل ما قتلوا (فأتاكم الله ثواب الدنيا) يعنى النصر والغنمة وقهر الأعداء والثناء الجميل وغفران الذنوب والخطايا (وحسن ثواب الآخرة) يعنى الجنة وما فيها من النعيم المقيم وإنما خص ثواب الآخرة بالحسن تفيها على إجلاله وعظمته لأنه غير زائل ولم يشب بتنغيص ولم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلته ولأنه سريع الزوال مع ما يشوبه من التنغيص (والله يحب المحسنين) يعنى الذين يفعلون مثل ما فعل هؤلاء وهذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يقولوا مثل هذا عند لقاء العدو وفيه دققة لطيفة وهي أنهم لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم مسيئين ساءم الله تعالى محسنين . قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا) يعنى اليهود والنصارى وقيل المنافقين وذلك في قولهم للمؤمنين عند المزمعة يوم أحد ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم وقيل معناه أن تطيعوهم فيما يأمرونكم به من ترك الجهاد (يردوكم على أعقابكم) يعنى يرجعوك إلى أمركم الأول وهو الكفر والشرك بالله بعد الإيمان به لأن قبول قولهم في الدعوة إلى الكفر كفر (فتقبلوا خاسرين)

نبيهم (إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) أى الصغار (وإسرافنا في أمرنا) أى الكبار (وثبت أقدامنا) يعنى كي لا نزل (وانصرفنا على القوم الكافرين) فيقول هلا فعلتم مثل ذلك يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (فأتاكم الله ثواب الدنيا) النصر والغنمة (وحسن ثواب الآخرة) أى الأجر والجنة (والله يحب المحسنين) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا) يعنى اليهود والنصارى وقال على رضى الله عنه يعنى المنافقين في قولهم للمؤمنين عند المزمعة ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم (يردوكم على أعقابكم) يرجعوك إلى أول أمركم من الشرك بالله (فتقبلوا خاسرين)

ثم قال (بل الله مولاكم) ناصركم وحافظكم على دينكم الإسلام (وهو خير الناصر من سئل في قلوب الذين كفروا الرعب) وذلك أن أباسفيان والمشركون لما ارتحلوا يوم أحد متوجهين نحو مكة انطلقوا حتى إذا بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم، ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك قذف الله قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا به فذلك قوله تعالى «سئل في قلوب الذين كفروا الرعب الخوف قرأ أبو جعفر وابن عامر والكسائي ويعقوب الرعب بضم العين وقرأ الآخرون بسكونها (بما أشركوا بالله) (٤٣٣) فلم ينزل به سلطانا) حجة

وربها (وما أوهم النار وبئس مثوى الظالمين) مقام الكافرين قوله تعالى (ولقد صدقكم الله وعده) قال محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة من أحد قد أصابهم ما أصابهم قال ناس من أصحابه من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر؟ فأزل الله تعالى ولقد صدقكم الله وعده بالنصر والظفر وذلك أن الظفر كان لا مسلمين في الابتداء (إذ تحسونهم بأذنه) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وجعل عيين وهو جبل عن يساره وأقام عليه الرماة وأمر عليهم عبد الله ابن جبير وقال لهم واحموا ظهورنا فإن رأيتونا

يعنى مغبونين في الدنيا والآخرة أما خسار الدنيا فهو طاعة الكفار والتذلل للأعداء وأما خسار الآخرة فهو دخول النار وحرمان دار القرار (بل الله مولاكم) أى وليكم وناصركم وحافظكم فاستمعوا به (وهو خير الناصر من) يعنى أنه تعالى قادر على نصركم والمعنى أنكم إنما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم وهم عاجزون عن نصر أنفسهم فضلا عن غيرهم فاطلبوا النصر من الله تعالى فهو خير الناصر من. قوله عز وجل (سئل في قلوب الذين كفروا الرعب) وذلك أن أباسفيان ومن معه ارتحلوا يوم أحد متوجهين إلى مكة فلما بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم ارجعوا إليهم فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك أتى الله في قلوبهم الرعب يعنى الخوف الشديد حتى رجعوا عما هموا به فعلى هذا القول يكون الوجود لقاء الرعب في قلوب الكفار مخصوصا بيوم أحد وقيل إنه عام وإن كان السبب خاصا لقوله صلى الله عليه وسلم «نصرت بالرعب مسيرة شهر» فكانه قال سئل في قلوب الذين كفروا الرعب منكم حتى تفهروهم ويظهر دينكم على سائر الأديان وقد فعل الله ذلك بفضله وكرمه حتى صار دين الإسلام ظاهرا على جميع الأديان والممل كما قال الله تعالى ليظهره على الدين كله (بما أشركوا بالله) يعنى إنما كان لقاء الرعب في قلوبهم بسبب إشراكهم بالله (ملم ينزل به سلطانا) يعنى حجة وبرهان وسميت الحجة سلطانا لأن السلطان مشتق من السليط وهو ما يستصبح به وقيل السلطان القوة والقدرة وسميت الحجة سلطانا لقوتها على دفع الباطل (وما أوهم النار) لما بين الله تعالى حال الكفار في الدنيا وهو لقاء الرعب والخوف في قلوبهم بين حالهم في الآخرة فقال تعالى «وما أوهم النار» أى مسكنهم (وبئس مثوى الظالمين) أى المسكن الذى يستقرون به يقيمون فيه وكلمة بئس تستعمل في جميع المذام والمعنى وبئس مقام الظالمين الذين ظلموا أنفسهم باكتساب ما أوجب لهم عذاب النار والإقامة فيها. قوله عز وجل (ولقد صدقكم الله وعده) قال محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أحد إلى المدينة وقد أصابهم ما أصابهم قال ناس من الصحابة من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فأزل الله تعالى «ولقد صدقكم الله وعده» يعنى بالنصر والظفر وذلك أن الظفر كان لا مسلمين في الابتداء وقيل إن الله وعد المؤمنين النصر بأحد فنصرهم فلما خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا الغنيمة هزموا (إذ تحسونهم) يعنى إذ تغلبوا الكفار قتلا ذريعا وقيل معنى تحسونهم تستأصلوهم بالقتل (بأذنه) يعنى يعلم الله وأمره وقيل بقضاء الله وقدره (حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم) قال

(٥٥ - خازن بالغوى - أول)

قد غنمنا فلا تشركونا وإن رأيتونا نقتل فلا تنصرونا وأقبل المشركون فأخذوا في القتال فجعل الرماة برشقون خيل المشركين بالنبل والمسلمون يضربونهم بالسيف حتى ولوا هارين فذلك قوله تعالى «إذ تحسونهم بأذنه» أى تغلبوهم قتلا ذريعا بقضاء الله قال أبو عبيدة الحس الاستئصال بالقتل (حتى إذا فشلتم) أى أن جبنتم وقيل معناه فلما فشلتم (وتنازعتم في الأمر وعصيتم) فالوا زائدة في وتنازعتم يعنى إذا فشلتم تنازعتم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره حتى إذا تنازعتم في الأمر وعصيتم فشلتم ومعنى التنازع الاختلاف وكان اختلافهم أن الرماة اختلفوا حين انهزم المشركون فقال بعضهم انهزم التوم فامقامنا وأقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لا تجاوزوا أمر

رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله بن جبير في نهر يسير دون العشرة فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ذلك حملوا على الرماة فقتلوا عبد الله بن جبير وأصحابه وأقبلوا على المسلمين وجاءت الرياح فصارت دهورا بعد ما كانت صبا وانقضت صفوف المسلمين (٤٣٤) واختلطوا فجعلوا يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا

القراء فيه تقديم وتأخير تقديره حتى إذا تنازعتم في الأمر وعصيتهم فسلمت وقبل معناه ولقد صدقكم الله وعده بالنصر إلى أن كان منكم القتل والتنازع والمعصية وقيل فيه معنى الشرط وجوابه محذوف تقديره حتى إذا فسلمت وتنازعتم في الأمر وعصيتهم منعكم الله النصر ومعنى فسلمت ضعفتم والقتل الضعف مع جبن ومعنى التنازع لاختلافهم وكان اختلافهم وتنازعهم أن الرماة الذين كانوا مع عبد الله بن جبير لما انهزم المشركون قال بعضهم لبعض أي قوم ما نضع بمقامنا هاهنا وقد انهزم المشركون ثم أقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لبعض لا نتجاوزوا أمر رسول الله ﷺ وثبت عبد الله بن جبير أمير القوم في نهر يسير دون العشرة ممن كان معه فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ذلك حملوا على الرماة الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير وأصحابه وأقبلوا على المسلمين وتحولت الرياح دهورا بعد ما كانت صبا وانقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا وما يشعرون بذلك من الدهش ونادى إبليس أن محمدا قد قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين قوله تعالى «وعصيتهم» يعني الرسول صلى الله عليه وسلم وخالفتم أمره (من بعد ما أراكم) الله (ما تحبون) يا معشر المسلمين من الظفر والغنيمة (منكم من يريد الدنيا) يعني الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب (ومنكم من يريد الآخرة) يعني الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود ما شعرت أن أحدًا من أصحاب النبي ﷺ يريد الدنيا حتى كان يوم أحد ونزلت هذه الآية (ثم صرفكم عنهم) أي ردكم عنهم بالمزمنة (ليبتليكم) ليبتليكم وقيل ليبتليكم ليبتليكم وهو أعلم ليتميز المؤمن من المنافق ومن يريد الدنيا ممن يريد الآخرة (ولقد عفا عنكم) يعني ولقد عفا الله عنكم أي الخالفون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستأصلكم بعد المخالفة والمعصية وقيل عفا عن عقوبتكم أيها الخالفون (والله ذو فضل على المؤمنين) وهذا من تمام نعمه على عباده المؤمنين لأنه نصرهم أولا ثم عفا عن المذنبين منهم ثانيا لأنه ذو الفضل والطول والإحسان. وفي الآية دليل على أن صاحب الكبيرة مؤمن وأن الله تعالى يعفو عنه بفضل وكرمه إن شاء لأنه سماهم مؤمنين مع ما ارتكبوه من مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي كبيرة وعفا عنهم بعد ذلك. قوله عز وجل (إذ تصعدون) قيل هو متعلق بما قبله والتقدير ولقد عفا عنكم إذ تصعدون لأن عفوه عنهم لا يبد وأن يتعلق بأمر اقترفوه وذلك الأمر هو ما بينه بقوله إذ تصعدون يعني هار بين في الجبل وقيل هو ابتداء كلام لا يتعلق له بما قبله والمعنى اذكروا إذ تصعدون قراءة الجمهور بضم التاء وكسر العين من الإصعاد وهو الذهاب في الأرض والإبعاد فيها وقرأ الحسن تصعدون بفتح التاء من الصعود وهو الارتقاء من أسفل إلى أعلى كالصعود على الجبل وعلى السلم ونحوه ، وللمفسرين في معنى الآية قولان أحدهما أنه صعودهم في الجبل عند الهزيمة والثاني أنه الإبعاد في الأرض في حال

ما يشعرون من الدهش ونادى إبليس أن محمدا قد قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين قوله تعالى «وعصيتهم» يعني الرسول صلى الله عليه وسلم وخالفتم أمره (من بعد ما أراكم) الله (ما تحبون) يا معشر المسلمين من الظفر والغنيمة (منكم من يريد الدنيا) يعني الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب (ومنكم من يريد الآخرة) يعني الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود ما شعرت أن أحدًا من أصحاب النبي ﷺ يريد الدنيا حتى كان يوم أحد ونزلت هذه الآية (ثم صرفكم عنهم) أي ردكم عنهم بالمزمنة (ليبتليكم) ليبتليكم وقيل ليبتليكم ليبتليكم وهو أعلم ليتميز المؤمن من المنافق ومن يريد الدنيا ممن يريد الآخرة (ولقد عفا عنكم) يعني ولقد عفا الله عنكم أي الخالفون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستأصلكم بعد المخالفة والمعصية والخالفون منكم لأمر نبيكم (والله ذو فضل على المؤمنين) إذ تصعدون (يعني) ولقد عفا عنكم إذ تصعدون هار بين وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي والحسن وقتادة تصعدون

بفتح التاء والعين والقراءة المعروفة بضم التاء وكسر العين والإصعاد السير في مستوى الأرض والصعود الارتفاع الهزيمة على الجبال والسطوح قال أبو حاتم يقال أصعدت إذا مضيت حياك وجهك وصعدت إذا ارتقيت في جبل أو غيره ، وقال المبرد أصعد إذا أبعده في الذهاب وكلنا القراءتين صواب فقد كان يؤمئذ من المهزمين مصعدا وصاعدا وقال الفضل صعد

وأصعد بمعنى واحد (ولا تلون على أحد) أي لا تخرجون ولا تقيمون على أحد لا يلتفت بعضكم إلى بعض (والرسول يدعوكم في أخراكم) أي في آخركم ومن ورائكم «إلى عباد الله أنا رسول الله من يكره الجنة» (فأنا بكم) فجازاكم جعل الإثابة بمعنى العقاب وأصلها في الحسنات لأنه وضعها موضع الثواب كقوله تعالى «فبشرهم بعباد أليم» جعل البشارة في العذاب ومعناه جعل مكان الثواب الذي كنتم ترجون (غما بغم) وقيل الباء بمعنى على أي غما على غم وقيل غما متصلا بغم فالغم الأول ما فاتهم مع الظفر والغنيمة والغم الثاني ما نالوا من القتل والمزيمة وقيل الغم الأول (٤٣٥) ما أصابهم من القتل والجراح .

والغم الثاني ما سمعوا أن محمدًا صلى الله عليه وسلم قد قتل فأنساهم الغم الأول وقيل الغم الأول إشراف خالد بن الوليد عليهم بتحليل المشركين والغم الثاني حين أشرف عليهم أبو سفيان وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يومئذ يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة فلما رأوه وضع رجل منهما في قوسه فأراد أن يرميه فقال «أنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحوا حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أن في أصحابه من يمتنع به فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ، وذكروا أصحابهم الذين قتلوا فأقبل أبو سفيان وأصحابه حتى وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون إليهم همهم ذلك وظنوا أنهم يميلون

المزيمة ووقت الحرب (ولا تلون على أحد) أي لا تخرجون ولا تقيمون على أحد ولا يلتفت بعضكم إلى بعض من شدة الحرب (والرسول يدعوكم في أخراكم) أي في آخركم ومن ورائكم يقول إلى عباد الله أنا رسول الله من كر أي رجع فله الجنة (فأنا بكم غما بغم) يعني فجازاكم بفراركم عن نبيكم صلى الله عليه وسلم وفشلكم عن عدوكم غما بغم فسمى العقوبة التي عاقبهم بها ثوابا على سبيل المجاز لأن لفظ الثواب لا يستعمل في الأغلب إلا في الخير وقد يجوز استعماله في الشر لأنه مأخوذ من ثاب إذا رجع فأصل الثواب كل ما يعود إلى الفاعل من جزاء فعله سواء كان خيرا أو شرا حتى حملنا لفظ الثواب على أصل اللغة كان الكلام صحيحا ومتى حملناه على الأغلب كان على سبيل المجاز فهو كقول الشاعر :

أخاف زيادا أن يكون عطاؤه أدامه سودا أو محدرجة سمرا

فجعل العطاء مكان العقاب لأن الأدام السود هي القيود الثقال والمحدرجة هي السياط والباء في قوله غما بغم بمعنى مع أو بمعنى لأن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض وقيل الباء على بابها والمعنى غما متصلا بغم واختلفوا في معنى الغمين فقيل الغم الأول هو ما فاتهم من الظفر والغنيمة والغم الثاني هو ما نالهم من القتل والمزيمة وقيل الغم الأول ما أصابهم من القتل والجراح والغم الثاني هو ما سمعوا بأن محمدًا صلى الله عليه وسلم قد قتل فأنساهم غمهم وقيل الغم الأول هو أنهم غموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخالفة أمره فجازاهم الله بذلك الغم القتل والمزيمة وقيل إن غمهم الأول بسبب إشراف خالد بن الوليد مع خيل المشركين عليهم والغم الثاني حين أشرف أبو سفيان عليهم وذلك أن أبا سفيان وأصحابه وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون إليهم غمهم ذلك وظنوا أنهم يميلون عليهم فيقتلونهم فأغمهم ذلك . قوله تعالى (لكيلا) في لفظه لا قولان أحدهما أنها باقية على أصلها ومعناها التي فعل هذا يكون الكلام متصلا بقوله ولقد عفا عنكم والمعنى ولقد عفا عنكم لكيلا (تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم) لأن عفوهم يذهب كل هم وحزن وقيل معناه فأنا بكم غما أنساهم الحزن على ما فاتكم ولا ما أصابكم وقد روى أنهم لما سمعوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل نسوا ما أصابهم وما فاتهم والقول الثاني أن لفظة لا صلة ومعنى الكلام لكي تحزنوا على ما فاتكم وأصابكم عقوبة لكم على مخالفتكم قال ابن عباس الذي فاتهم الغنيمة والذي أصابهم القتل والمزيمة (والله خير بما تعملون) أي هو عالم بجميع أعمالكم خير هاوشر ها فجازا بكم عليها . قوله عز وجل (ثم أنزل عليكم) يا معشر المسلمين (من بعد الغم) الذي أصابكم (أمة ناعسا) يعني أمتا والأمة والأمن واحد وقيل الأمن يكون مع زوال الخوف والأمنة

عليهم فيقتلونهم فأنساهم هذا ما نالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس هم أن يعلونا اللهم إن تقتل هذه العصاة لا تعبد في الأرض» ثم نذب أصحابه فرمواهم بالحجارة حتى أترأوهم وقيل إنهم غموا الرسول بمخالفة أمره فجازاهم الله بذلك الغم غم القتل والمزيمة . قوله تعالى (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم) من الفتح والغنيمة (ولا ما أصابكم) أي ولا على ما أصابكم من القتل والمزيمة (والله خير بما تعملون) يا معشر المسلمين (من بعد الغم) يعني أمتا والأمن والأمنة بمعنى واحد وقيل الأمن يكون مع زوال سبب الخوف والأمنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف هنا قائما (فاعسا) يدل من

الائمة (يغشى طائفة منكم) قرأ حمزة والكسائي تغشى بالناء ردا الى الائمة وقرأ الآخرون بالياء ردا الى النعاس . قال ابن عباس رضي الله عنهما أمنهم يومئذ بنعاس يغشاهم وإنما ينعس من يأمن والخائف لا ينام . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا إسماعيل أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن أنا حسن بن محمد أخبرنا شيان (٤٣٦) عن قتادة أخبرنا أنس أن أبا طلحة قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا

يوم أحد قال فجعل سيقى يسقط من يدي وأخذته وقال ثابت عن أنس عن أبي طلحة قال رفعت رأسي يوم أحد فجعلت ما أرى أحدا من القوم إلا وهو يميل تحت حجفته من النعاس وقال عبد الله ابن الزبير عن أبيه الزبير ابن العوام لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الحرب أرسل الله علينا النوم والله إنى لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما أسمع إلا كالحلم يقول لو كان المؤمنون على المنافقين حتى آمنوا ولم يوقع النعاس على المؤمنين دون المنافقين آية عظيمة ومعجزة باهرة لأن النعاس كان سبب أمن المؤمنين وعدم النعاس عن المنافقين كان سبب خوفهم وهو قوله تعالى (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) يعني حملتهم على أنهم يظنون أن الله لا ينصر محمدا وأصحابه وقيل إن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل وإن أمره يضحل والعنى يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به (ظن الجاهلية) أي كظن أهل الجاهلية (يقولون) يعني المنافقين (هل لنا) أي مالنا (من الأمر شيء) وذلك أنه لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في هذه الواقعة وأشار عليه أن لا يخرج من المدينة فلما خالفه النبي صلى الله عليه وسلم وخرج وقتل من قتل قيل لعبد الله بن أبي قد قتل بنو الخزرج قال هل لنا من الأمر شيء وهو استفهام على سبيل الإنكار أي مالنا أمر يطاع وقيل المراد بالأمر النصر والظفر يعني مالنا من هذا الذي يعدنا محمد به من النصر والظفر من شيء وإنما هو للمشركين (قل) يا محمد هؤلاء المنافقين (إن الأمر كله لله) يعني النصر والظفر والقضاء والقدر كله لله ويده يصرفه كيف يشاء ويدبره كيف أحب (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك) يعني من الكفر والشك في وعد الله عز وجل وقيل يخفون الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل الذي أخفوه وهو قوله تعالى حكاية عنهم (يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا) وذلك أن المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد إلى

مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف يعد باقيا والنعاس أخف من النوم والمعنى أعزبكم بما نالكم من الخوف والرعب أن أمنكم أمنا تتامون معه لأن الخائف لا يكاد ينام فأمنهم بعد خوفهم (يغشى طائفة منكم) قال ابن عباس أمنهم يومئذ بنعاس تغشاهم وإنما ينعس من يأمن والخائف لا ينام (خ) عن أنس عن أبي طلحة قال كنت فيمن تغشاهم النعاس يوم أحد حتى سقط سيقى من يدي مرارا يسقط وأخذته ويسقط فأخذته وأخرجه الترمذي عنه قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد وذكر نحو رواية البخاري وزاد والطائفة الأخرى المناقون ليس لهم هم إلا أنفسهم أجبين قوم وأرعبه وأخذ له للحق وفي رواية أخرى له قال رفعت رأسي يوم أحد فجعلت أراهم وما منهم يومئذ أحد إلا يميل تحت حجفته من النعاس فذلك قوله تعالى ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا وقال الزبير بن العوام لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف أرسل الله تعالى علينا النوم والله إنى لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما أسمع إلا كالحلم يقول لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا فقوله تعالى (يغشى طائفة منكم) يعني المؤمنين (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) يعني المنافقين أراد الله تمييز المؤمنين من المنافقين فأوقع النعاس على المؤمنين حتى آمنوا ولم يوقع النعاس على المنافقين فبقوا في الخوف وفي لقاء النعاس على المؤمنين دون المنافقين آية عظيمة ومعجزة باهرة لأن النعاس كان سبب أمن المؤمنين وعدم النعاس عن المنافقين كان سبب خوفهم وهو قوله تعالى (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) يعني حملتهم على أنهم يظنون أن الله لا ينصر محمدا وأصحابه وقيل إن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل وإن أمره يضحل والعنى يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به (ظن الجاهلية) أي كظن أهل الجاهلية (يقولون) يعني المنافقين (هل لنا) أي مالنا (من الأمر شيء) وذلك أنه لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في هذه الواقعة وأشار عليه أن لا يخرج من المدينة فلما خالفه النبي صلى الله عليه وسلم وخرج وقتل من قتل قيل لعبد الله بن أبي قد قتل بنو الخزرج قال هل لنا من الأمر شيء وهو استفهام على سبيل الإنكار أي مالنا أمر يطاع وقيل المراد بالأمر النصر والظفر يعني مالنا من هذا الذي يعدنا محمد به من النصر والظفر من شيء وإنما هو للمشركين (قل) يا محمد هؤلاء المنافقين (إن الأمر كله لله) يعني النصر والظفر والقضاء والقدر كله لله ويده يصرفه كيف يشاء ويدبره كيف أحب (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك) يعني من الكفر والشك في وعد الله عز وجل وقيل يخفون الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل الذي أخفوه وهو قوله تعالى حكاية عنهم (يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا) وذلك أن المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد إلى

حملتهم على أنهم يقال أمر مهم (يظنون بالله غير الحق) أي لا ينصر محمد وقيل ظنوا أن محمدا ^{صلى الله عليه وسلم} قد قتل

قتل (ظن الجاهلية) أي كظن أهل الجاهلية والشرك (يقولون هل لنا) مالنا لفظه استفهام ومعناه جحد (من الأمر من شيء) يعني النصر (قل إن الأمر كله لله) قرأ أهل البصرة برفع اللام عن الابتداء وخبره في لله وقرأ الآخرون بالنصب على البديل وقيل على النعت (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك) يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا) وذلك أن المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد إلى قتال أهل مكة ولم يقتل رؤسناؤنا. وقيل لو كنا على الحق ما قتلنا هاهنا قال

الضحك عن ابن عباس رضي الله عنهما : يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، يعني التكذيب بالقدر وهو قولهم «لو كان لنا من الأمر شيء ماقتلنا ههنا» (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب قضى (٤٣٧) عليهم القتل إلى مضاجعهم)

مصارعهم (وليبتلى الله) ويمتحن الله (ماني صدوركم ويمحص) يخرج ويظهر (ماني قلوبكم والله علم بذات الصدور) بما في القلوب من خير وشر (إن الذين تولوا) انهزموا (منكم) يامعشر المسلمين (يوم التقى الجمعان) جمع المسلمين وجمع المشركين يوم أحد وكان قد انهزم أكثر المسلمين ولم يبق مع النبي ﷺ إلا ثلاثة عشر رجلا ستة من المهاجرين وهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم قوله تعالى (إنما استزهم الشيطان) أي طلب زلتهم كما يقال استعجلت فلانا إذا طلبت عجلته وقيل حملهم على الزلة وهي الخطيئة وقيل أزل واستزل بمعنى واحد (يبعض ما كسبوا) أي بشؤم ذنوبهم قال بعضهم بتركهم المركز وقال الحسن ما كسبوا هو قبولهم من الشيطان ما وسوس إليهم من الهزيمة (ولقد عفا الله عنهم إن

قتال أهل مكة ولم تقتل رؤسائنا وقيل كانوا يقولون لو كنا على الحق ماقتلنا هاهنا. وعن ابن عباس في قوله تعالى يظنون بالله غير الحق، يعني التكذيب بالقدر وهو قولهم «لو كان لنا من الأمر شيء ماقتلنا ههنا» قيل إن الذي قال هل لنا من الأمر من شيء هو عبد الله بن أبي بن سلول المنافق والذي قال لو كان لنا من الأمر شيء هو معتب بن قشير (قل) أي قل يا محمد هؤلاء المنافقين (لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل) أي قضى عليهم القتل وقدر عليهم (إلى مضاجعهم) يعني إلى مصارعهم التي يصرعون بها وقت القتل ومعنى الآية أن الحنر لا يتبع مع القمار والتدبير لا يقاوم التقدير فالذين قدر عليهم القتل وقضاه وحكم به عليهم لا بد وأن يقتلوا والمعنى لو جلستم في بيوتكم لخرج منها ولظهر الذين قضى الله عليهم بالقتل وقضاه إلى حيث يقتلون فيه (وليبتلى الله ماني صدوركم) أي وليختبر ماني صدوركم ليعلمه مشاهدة كما علمه غيبا لأن الحجازة إنما تقع على ما علمه مشاهدة وقيل معناه ليعاملكم معاملته المبتلى المختبر لكم وقيل معناه ليبتلى أولياء الله ماني صدوركم فأصناف الابتلاء إليه تعظيما لشأن أوليائه المؤمنين (ويمحص الله ماني قلوبكم) قال قتادة أي يظهرها من الشك والارتياب مما يريدكم من محابب صنعه في لقاء الأئمة وصراف العدو وإظهار سرائر المنافقين فعلي هذا يكون الخطاب للمؤمنين خاصة وقيل معناه وليبين ويظهر ماني قلوبكم يعني من الاعتقاد لله ولرسوله ولذو المؤمنين من العداوة فعلي هذا يكون الخطاب للمنافقين خاصة (والله علم بذات الصدور) يعني بالأشياء الموجودة في الصدور وهي الأسرار والضمائر لأنه عالم بجميع المعلومات. قوله عز وجل (إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان) أي انهزموا وهربوا منكم يامعشر المسلمين فهو خطاب لمن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين يوم أحد بأحد وكان قد انهزم أكثر المسلمين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة عشر رجلا وقيل أربعة عشر من المهاجرين سبعة ومن الأنصار سبعة من المهاجرين أبو بكر وعمر وعلي وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم (إنما استزهم الشيطان) أي طلب زلتهم كما يقال استعجله أي طلب عجلته وقيل حملهم على الزلة وهي الخطيئة وذلك بالقاء الوسوسة في قلوبهم لأنه أمرهم بها (يبعض ما كسبوا) يعني بمعصيتهم النبي ﷺ وتركهم المركز وقيل استزهم الشيطان بتذكير خطايا سبقت لهم فكروها أن يقتلوا قبل إخلاص التوبة منها وهذا اختيار الزجاج لأنه قال لم يتولوا علي جهة العائدة ولا علي الفرار من الرجف رغبة في الدنيا وإنما ذكرهم الشيطان خطايا سلفت لهم فكروها لقاء الله إلا علي حالة برضاها (ولقد عفا الله عنهم) يعني ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا يوم التقى الجمعان فلم يعاقبهم بذلك وغفر لهم وقيل إن عثمان عوتب في هزيمة يوم أحد فقال إن ذلك وإن كان خطأ لكن الله قد عفا عنه وقرأ هذه الآية (إن الله غفور) يعني لمن تاب وأتاب (حليم) لا يعجل العقوبة ولا يستأصلهم بالقتل. قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) يعني المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه (وقالوا لإخوانهم) يعني في النفاق والكفر وقيل لإخوانهم في النسب وكانوا مسلمين (إذا ضربوا في الأرض) يعني إذا سافروا في الأرض لتجارة وغيرها (أو كانوا غزى) جمع غاز أي

الله غفور حليم يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) يعني المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه (وقالوا لإخوانهم) في النفاق والكفر وقيل في النسب (إذا ضربوا في الأرض) أي سافروا فيها لتجارة أو غيرها (أو كانوا غزى) أي غزاة جمع غاز فقتلوا

(لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك) يعنى قولهم وظنهم (حسرة في قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير) قرأ ابن كثير وحزمة والكسائي (٤٣٨) يعملون بالياء وقرأ الآخرون بالثاء (ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم)

غزاة في الكلام حذف دل المعنى على ذلك الحذف وهو إذا ضربوا في الأرض فقاتوا أو كانوا غزى فقتلوا (لو كانوا عندنا) يعنى مقيمين (ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك) يعنى قولهم وظنهم (حسرة في قلوبهم) يعنى غما وتأسفاً (والله يحيى ويميت) هذا رد لقول المنافقين لو كانوا عندنا ماتوا وما قتلوا والمعنى أن الأمر بيد الله وأن الحيى والمميت هو الله تعالى فقد يحيى المسافر والغازى ويميت المقيم والقاعد عن الغزو كما يشاء فكيف ينفع الجلوس في البيت وهل يحى أحد من الموت (والله بما تعملون بصير) يعنى أنه تعالى مطلع على ماتعملون من خير أو شر فيجازيكم به فاتقوه ولا تكونوا مثل المنافقين لأن مقصدهم تغيير المؤمنين عن الجهاد بقولهم لو كانوا عندنا ماتوا وما قتلوا فإن الله تعالى هو الحي المميت فمن قدر له البقاء لم يقتل في الجهاد ومن قدر له الموت لم يبق وإن أقام بيته عند أهله فلا تقولوا أنتم أيها المؤمنون لمن يريد الخروج إلى الجهاد لا تخرج فتقتل فلأن يموت في الجهاد فيستوجب الثواب فإن ذلك خير له من أن يموت في بيته بلا فائدة وإليه الإشارة بقوله تعالى (ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لغفرة من الله ورحمة) يعنى في العاقبة (خير مما تجمعون) يعنى من الغنائم والمعنى ولئن تم عليكم ما تخافونه من القتل في سبيل الله أو اهلاك بالموت فإن ماتنا لونه من المغفرة والرحمة بالموت والقتل في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا (ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون) يعنى إلى الله الرحيم الواسع الرحمة والمغفرة المثيب العظيم الثواب تحشرون في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم وقد قسم بعض مقامات العبودية ثلاثة أقسام فمن عبد الله خوفاً من ناره أمته الله بما يخاف وإليه الإشارة بقوله تعالى مغفرة من الله ومن عبد الله تعالى شوقاً إلى جنته أناله ما يرجو وإليه الإشارة بقوله تعالى ورحمة لأن الرحمة من أسماء الجنة ومن عبد الله شوقاً إلى وجهه الكريم لا يريد غيره فهذا هو العبد المخلص الذى يتجلى له الحق سبحانه وتعالى في دار كرامته وإليه الإشارة بقوله لإلى الله تحشرون. قوله عز وجل (فيا رحمة من الله لنت لهم) أى فبرحمة من الله وما صلت لنت لهم أى سهلت لهم أخلاقك وكثرة احتياكك ولم تسرع إليهم بتعنيف على ما كان يوم أحد منهم ومعنى فبرحمة من الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم للرفق والتلطف بهم وإن الله تعالى ألقى في قلب نبيه صلى الله عليه وسلم داعية الرحمة والملاطف حتى فعل ذلك معهم (ولو كنت ظفاً) يعنى جافياً (غليظ القلب) يعنى قاسى القلب سىء الخلق قليل الاحتمال (لانفضوا من حولك) أى لتفروا عنك وتفرقوا حتى لا يبق منهم أحد عندك (فاعف عنهم) أى تجاوز عن ذلالتهم وما أتوا يوم أحد (واستغفر لهم) أى واسأل الله المغفرة لهم حتى يشفعلك فيهم وقيل فاعف عنهم فبرحمة من الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم فبما يختص بحق الله وذلك من تمام الشفقة عليهم (وشاورهم في الأمر) أى استخرج آراءهم واعلم ما عندهم. واختلف العلماء في المعنى الذى من أجله أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالشاورة لهم مع كمال عقله وجزأه ونزول الوحي عليه ووجوب طاعته وعلى كافة الخلق فيها أجواء أو كرهوا فقبل هو عام مخصوص والمعنى وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد وذلك في أمر الحرب ونحوه من أمور الدنيا لتستظهر برأيهم فيما تشاورهم فيه وقيل أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم

قرأ نافع وحزمة والكسائي
متم بكسر الميم وقرأ
الآخرون بالضم فمن
ضمه فهو من مات
يموت كقولك من قال
يقول قلت بضم القاف
ومن كسره فهو من مات
يمت كقولك من خاف
تخاف خفت (لمغفرة
من الله) في العاقبة (ورحمة
خير مما يجمعون) من
الغنائم قراءة العامة
تجمعون بالياء لقوله
ولئن قتلتم وقرأ حفص
عن عاصم يجمعون بالياء
يعنى خيراً مما يجمع الناس
(ولئن متم أو قتلتم لإلى
الله تحشرون) في العاقبة
قوله تعالى (فببرحمة من
الله) أى فبرحمة من الله
وما صلة كقولك (فيا
تقتضهم) (لنت لهم)
أى سهلت لهم أخلاقك
وكثرة احتياكك ولم تسرع
إليهم بالغضب فيما كان
منهم يوم أحد (ولو
كنت ظفاً) يعنى جافياً
سىء الخلق قليل الاحتمال
(غليظ القلب) قال الكسائي
ظفاً في القول غليظ القلب
في الفعل (لانفضوا من
حولك) أى تفروا وتفرقوا
عندك يقال فضضتهم

فانفضوا أى فرقتهم فتفرقوا (فاعف عنهم) تجاوز عنهم ما أتوا يوم أحد (واستغفر لهم) حتى أشفعلك فيهم بشاورتهم (وشاورهم في الأمر) أى استخرج آراءهم واعلم ما عندهم من قول العرب شررت الدابة وشورتها إذا استخرجت جربها وشررت

العسل وأشرته إذا أخذته من موضعه واستخرجته . واختلفوا في المعنى الذي لأجله أمر الله نبيه ﷺ بالمشاورة مع كمال عقله
وجزالة رأيه ونزول الوحي عليه ووجوب طاعته على الخلق فيما أحبوا وكرهوا (٤٣٩) فقال بعضهم هو خاص

في المعنى أي وشاورهم
فيما ليس عندك فيه من
الله تعالى عهد وقال
الكلبي يعني ناظرهم
في لقاء العدو ومكايده
الحرب عند الغزو وقال
مقاتل وقتادة أمر الله
تعالى عشاورتهم تطيبيا
لقلوبهم فإن ذلك
أعطف لهم عليه وأذهب
لأصغابهم فإن سادات
العرب كانوا إذا لم
يشاوروا في الأمر شق
ذلك عليهم وقال الحسن
قد علم الله عز وجل أنه
ما به إلى مشاورتهم حاجة
ولكنه أراد أن يستن
به من بعده . أخبرنا
أبو طاهر المطهر بن علي
ابن عبيد الله الفارسي
قال أخبرنا أبوذر محمد
ابن إبراهيم بن علي
الصالحي أخبرنا عبد الله
ابن محمد بن جعفر أخبرنا
علي بن العباس المقافعي
أخبرنا أحمد بن محمد بن
ماهان أخبرني أبي أخبرنا
طاهر بن زيد عن عقيل
عن الزهري عن عروة
عن عائشة رضي الله عنها
قالت « ما رأيت رجلا
أكثر استشارة للرجال

عشاورتهم تطيبيا لقلوبهم فإن ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لأصغابهم فإن سادات العرب
كانوا إذا لم يشاوروا في الأمور شق ذلك عليهم وقال الحسن قد علم الله تعالى أن ما به إلى مشاورتهم
حاجة ولكن أراد أن يستن به من بعده من أمته وقبل إنما أمر بمشاورتهم ليعلم مقادير عقولهم
وأفهامهم لا ليستفيد منهم رأيا وروى البغوي بسنده عن عائشة أنها قالت ما رأيت رجلا أكثر
استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفق العلماء على أن كل ما نزل فيه وحى
من الله تعالى لم يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم . أن يشاور فيه الأمة وإنما أمر أن يشاور فيما
سوى ذلك من أمر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل أن يشاورهم في أمر الدين والدنيا
فيما لم ينزل عليه فيه شيء لأن النبي صلى الله عليه وسلم شاورهم في أسارى بدر وهو من أمر
الدين قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه
والتدبر قبل العمل يؤمنك من الندم وقال بعض الحكماء ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ومن
فوائد المشاورة أنه قد يعزم الإنسان على أمر فيشاور فيه فيبين له الصواب في قول غيره فيعلم
بذلك عجز نفسه عن الاحاطة بفنون المصالح ومنها أنه إذا لم يتنجح أمره علم أن امتناع النجاح
محض قدر فلم يلم نفسه وقال بعضهم في مدح المشاورة .

وشاور إذا شاورت كل مهذب لبيب أنتى حزم ترشد في الأمر
ولا تنك ممن يستبد برأيه فتعجز أو لاتسرخ من الفكر
لم تر أن الله قال لعبيده وشاورهم في الأمر حتما بلا نكير

قوله تعالى (فإذا عزمت) يعني على المشاورة (فتوكل على الله) أي فاستعن بالله في أمورك كلها
وثق به ولا تعتمد إلا عليه فإنه ولي الإعانة والعصمة والتسديد والمقصود أن لا يكون للعبد
اعتماد على شيء إلا على الله تعالى في جميع أموره وأن المشاورة لا تنافي التوكل (إن الله يحب
المتوكلين) يعني المتوكلين عليه في جميع أمورهم . قوله عز وجل (إن يتصرمكم الله) يعني إن يعنكم
الله بنصره ويمنعكم من عدوكم كما فعل يوم بدر (فلا غالب لكم) يعني من الناس لأن الله تعالى
هو المتولى نصركم (وإن تخذلكم) كما فعل يوم أحد فلم يتصرمكم ووكلكم إلى أنفسكم تخالفكم
أمره وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم (فمن ذا الذي ينصرمكم من بعده) أي من بعد خذلانه
(وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لاعلى غيره لأن الأمر كله لله ولاراد لقضائه ولا دافع لحكمه
فيجب أن يتوكل العبد في كل الأمور على الله تعالى لاعلى غيره وقيل التوكل أن لا تعصى الله من
أجل رزقك ولا تطلب لنفسك ناصرا غيره ولا تعملك شاهدا سواه (م) عن عمران بن حصين
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل الجنة من أمي سبعون ألفا بغير حساب قالوا ومن
هم يارسول الله قال هم الذين لا يكتوبون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلي ربهم يتوكلون فقام
عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال أرت منهم فقام آخر فقال
يا نبي الله ادع ال أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة « عن عمر بن الخطاب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خصوصا

من رسول الله ﷺ (فإذا عزمت فتوكل على الله) لاعلى مشاورتهم أي قم بأمر الله وثق به واستعنه (إن الله يحب المتوكلين) إن
يتصرمكم الله يعنكم الله ويمنعكم من عدوكم (فلا غالب لكم) مثل يوم بدر (وإن تخذلكم) بترككم فلم يتصرمكم كما كان بأحد والخذلان
العود عن النصر أو الإسلام للهلكة (فمن ذا الذي ينصرمكم من بعده) أي من بعد خذلانه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) قبل التوكل أن

لا تعصى الله من أجل رزقك وقيل أن لا طلب لنفسك ناصرا غير الله ولا رزقك خازنا غيره ولا لملك شاهدا غيره. أخبرنا
 الأستاذ الإمام أبو القاسم عبد الكرم بن هوازن القشيري أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن شجاع البزار ببغداد أخبرنا أبو بكر
 محمد بن جعفر بن محمد المهيم الأبياري أخبرنا محمد بن أبي العوام أخبرنا وهب بن جرير أخبرنا هشام بن حسان عن الحسن
 عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل سبعون ألفا من أمي الجنة بغير حساب قيل
 يا رسول الله من هم قال هم الذين (٤٤٠) لا يكتون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلي ربهم يتوكلون فقال عكاشة بن

وتروح بطانا وأخرجه الترمذي وقال حديث حسن. قوله عز وجل (وما كان لبي أن يغفل) قال
 ابن عباس نزلت هذه الآية وما كان لبي أن يغفل في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض
 القوم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فأنزله تعالى هذه الآية إلى آخرها أخرجه
 أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب وروى عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله
 عليه وسلم طلحة فغم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم الطلائع فأنزله تعالى وما كان لبي أن
 يغفل وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس في قوله تعالى وما كان لبي أن يغفل يقول ما كان لبي
 أن يقسم إلى طائفة من المؤمنين ويترك طائفة ويجوز في القسم ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه بأمر
 الله ويحكم فيه بما أنزل الله يقول ما كان الله ليجعل نبيا يغفل من أصحابه فإذا فعل ذلك النبي استنوا
 به وقال مقاتل والكلبي نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول
 النبي ﷺ من أخذ شيئا فهو له وأن لا تقسم الغنائم كما لم تقسم يوم بدر فتركوا المركز ووقعوا
 في الغنائم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألم أعهد إليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري
 قالوا تركنا ببيعة إخواننا وقوا فقال النبي ﷺ بل ظننتم أنا نفل فلا تقسم فأنزله الله هذه الآية
 وقال قتادة ذكر لنا أنها نزلت في طائفة غلبت من أصحابه وقيل إن الأقوياء ألجوا عليه بسألونه من الغنم
 فأنزله الله تعالى وما كان لبي أن يغفل يعني فيعطى قوما ويرجع آخرين بل عليه أن يقسم بينهم بالسوية
 وقال محمد بن كعب القرظي ومحمد بن إسحاق بن يسار هذا في شأن الوحي يقول وما كان لبي أن
 يكتم شيئا من الوحي رغبة أو رهبة أو مدهانة والغلول هو الحياة وأصله أخذ الشيء في خفية يقال
 غل فلان يغفل قرى بفتح الياء وضم الغين أي وما كان لبي أن يخون لأن النبوة والحياة لا يجتمعان
 لأن منصب النبوة أعظم المناصب وأشرفها وأعلاها فلا تليق به الحياة لأنها في نهاية الدناءة والخسة
 والجمع بين الصدين محال فثبت بذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخن أمته في شيء إلا من الغنائم
 ولأن الوحي وقيل المراد به الأمة لأنه قد ثبت برامة ساحة النبي صلى الله عليه وسلم من الغلول
 والحياة فدل ذلك على أن المراد بالغلول غيره وقيل اللام فيه منقولة معناه ما كان الذي ليغفل على
 نفي الغلول عن الأنبياء وقيل معناه ما كان لبي الغلول أراد ما غل نبي قط فتق عن الأنبياء الغلول
 وقيل معناه وما كان يحل لبي الغلول وإذا لم يحل له لم يفعله وحجة هذه التمرارة أنهم نسبوا النبي
 صلى الله عليه وسلم إلى الغلول في بعض الروايات فبين الله تعالى بهذه الآية أن هذه الخصلة لا تليق
 به ونفي عنه ذلك بقوله وما كان لبي أن يغفل وقرئ يغفل بضم الياء وفتح الغين وضمعتان أحدهما
 أن يكون من الغلول أيضا ومعناه وما كان لبي أن يخان أي تخونه أمته والثاني أن يكون من الإغلال

محسن يا رسول الله
 ادع الله لي أن يجعلني
 منهم قال أنت منهم ثم
 قام رجل آخر فقال
 يا رسول الله ادع الله أن
 يجعلني منهم فقال سبقك
 بها عكاشة أخبرنا أبو بكر
 محمد بن عبد الله بن
 أبي توبة قال أخبرنا محمد
 أن أحمد بن الحارث
 أخبرنا محمد بن يعقوب
 الكسائي أخبرنا عبد الله
 ابن محمود أخبرنا إبراهيم
 ابن محمد الخلال أنا عبد الله
 ابن المبارك عن حياة بن
 شرح حدثني بكر بن عمرو
 عن عبد الله بن هبيرة
 أنه سمع أبا تميم الجبشاني
 يقول سمعت عمر بن
 الخطاب رضي الله عنه
 يقول سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول
 ولو أنكم تتوكلون على الله
 حتى توكله لرزقكم كما
 يرزق الطير تغدو لها صا
 وتروح بطانا ، قوله عز
 وجل (وما كان لبي أن
 يغفل) الآية قال عكرمة

ومقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما إن هذه الآية نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر
 فقال بعض الناس أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي ومقاتل نزلت في غنائم أحد ، حين ترك الرماة المركز
 للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ شيئا فهو له وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فتركوا
 المركز ووقعوا في الغنائم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألم أعهد إليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري؟ قالوا تركنا ببيعة
 إخواننا وقوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ظننتم أنا نفل ولا تقسم فأنزله الله تعالى هذه الآية ، وقال قتادة ذكر لنا أنها

نُزِلَتْ فِي طَائِفَةٍ غَلَّتْ مِنْ أَصْحَابِهِ وَقِيلَ إِنَّ الْأَقْرَبَاءَ أُلْحُوا عَلَيْهِ بِسَأَلُونَهُ مِنَ الْمَغْنَمِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقُولَ فَيَعْمَلِي قَوْمًا وَيَمْنَعُ آخَرَ مِنْ بَلِّ عَلَيْهِ أَنْ يَقْسَمَ بَيْنَهُمْ بِالسُّبُوبِ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ هَذَا فِي الْوَحْيِ يَقُولُ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقْسَمَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ رَغْبَةً أَوْ رَهْبَةً أَوْ مَدَاهِنَةً قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقُولَ وَكَبِيرٍ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ وَعَاصِمٌ يَقُولُ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمُّ الْعَيْنِ مَعْنَاهُ أَنْ يَخُونُ وَالْمُرَادُ مِنْهُ الْأُمَّةُ وَقِيلَ اللَّامُ فِيهِ مَقْتُولَةٌ مَعْنَاهُ مَا كَانَ النَّبِيُّ لِيَقُولَ وَقِيلَ مَعْنَاهُ مَا كَانَ يَظُنُّ بِهِ ذَلِكَ وَلَا يَلِيْقُ بِهِ وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِ الْعَيْنِ وَلَهُ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْغُلُولِ أَيْ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَخَانَ ، يَعْنِي أَنْ تَخُونَهُ أُمَّتُهُ وَالْوَجْهُ الْآخَرُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْإِغْلَالِ مَعْنَاهُ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقُولَ أَنْ يَخُونُ أَيْ يَنْسَبُ إِلَى الْخِيَانَةِ (وَمَنْ يَقُولُ يَأْتُ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) قَالَ السُّكَبَكِيُّ يَمَثَلُ لَهُ ذَلِكَ الشَّيْءُ فِي النَّارِ ثُمَّ يَقَالُ لَهُ أَنْزَلْ فَخَذَهُ فَيَنْزِلُ فَيَحْمِلُهُ عَلَى ظَهْرِهِ فَإِذَا بَلَغَ مَوْضِعَهُ وَقَعَ إِلَى النَّارِ ثُمَّ يَكْلَفُ أَنْ يَنْزِلَ إِلَيْهِ فَيُخْرِجُهُ فَيُفْعَلُ ذَلِكَ بِهِ أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّرْحَسِيُّ أَخْبَرَنَا زَاهِرُ بْنُ أَحْمَدَ الْغَفْقِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الْهَاشِمِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو مُصْعَبٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ ثَوْرٍ عَنْ زَيْدِ الدَّبَلِيِّ عَنْ أَبِي الْغَيْثِ مَوْلَى بْنِ مَطْبُوحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ خَيْبَرَ فَلَمْ نَعْمَ ذَهَبًا وَلَا قِضَّةً إِلَّا الْأَمْوَالَ وَالنِّيَابَ وَالْمَتَاعَ قَالَ فَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ وَادِي الْقَرَى وَكَانَ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ وَهَبَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ أَسْوَدَ يَقَالُ لَهُ مَدْعَمٌ قَالَ فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِوَادِي الْقَرَى فَبَيْنَا مَدْعَمٌ يَحْطُرُ حِلا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُمْ عَائِرٌ فَجَاءَهُ فَأَصَابَهُ فَفَتَلَهُ فَقَالَ النَّاسُ هَيْثَا لَهُ الْحِزَّةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤٤١) كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ أَنْ

وَمَعْنَاهُ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَخُونُ أَيْ يَنْسَبُ إِلَى الْخِيَانَةِ (وَمَنْ يَقُولُ يَأْتُ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يَعْنِي بِالشَّيْءِ الَّذِي غَلَّهُ بَعِيْنُهُ يَحْمِلُهُ عَلَى ظَهْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَزِدَادَ فَضِيحَةً بِمَا يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ يَمَثَلُ ذَلِكَ الشَّيْءُ فِي النَّارِ ثُمَّ يَقَالُ لَهُ أَنْزَلْ فَخَذَهُ فَيَنْزِلُ فَيَحْمِلُهُ عَلَى ظَهْرِهِ فَإِذَا بَلَغَ مَوْضِعَهُ وَقَعَ ذَلِكَ الشَّيْءُ فِي النَّارِ فَيَكْلَفُ أَنْ يَنْزِلَ إِلَيْهِ لِيُخْرِجَهُ فَيُفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَأْتِي بِأَمِّهِ مَا غَلَّهُ فَيَجَازِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى (ثُمَّ تَوَفَّى كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ) يَعْنِي مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَالْمَعْنَى أَنْ كُلَّ كَاسِبٍ خَيْرًا كَانَ ذَلِكَ السُّكْبُ أَوْ شَرًّا فَهُوَ يَجْزِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ فِي جِزَاءِ عَمَلِهِ (وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ) يَعْنِي بَلْ يَعْدِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْجِزَاءِ فَيَجَازِي كُلَّ عَلَى عَمَلِهِ .

وَمَعْنَاهُ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَخُونُ أَيْ يَنْسَبُ إِلَى الْخِيَانَةِ (وَمَنْ يَقُولُ يَأْتُ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يَعْنِي بِالشَّيْءِ الَّذِي غَلَّهُ بَعِيْنُهُ يَحْمِلُهُ عَلَى ظَهْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَزِدَادَ فَضِيحَةً بِمَا يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ يَمَثَلُ ذَلِكَ الشَّيْءُ فِي النَّارِ ثُمَّ يَقَالُ لَهُ أَنْزَلْ فَخَذَهُ فَيَنْزِلُ فَيَحْمِلُهُ عَلَى ظَهْرِهِ فَإِذَا بَلَغَ مَوْضِعَهُ وَقَعَ ذَلِكَ الشَّيْءُ فِي النَّارِ فَيَكْلَفُ أَنْ يَنْزِلَ إِلَيْهِ لِيُخْرِجَهُ فَيُفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَأْتِي بِأَمِّهِ مَا غَلَّهُ فَيَجَازِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى (ثُمَّ تَوَفَّى كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ) يَعْنِي مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَالْمَعْنَى أَنْ كُلَّ كَاسِبٍ خَيْرًا كَانَ ذَلِكَ السُّكْبُ أَوْ شَرًّا فَهُوَ يَجْزِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ فِي جِزَاءِ عَمَلِهِ (وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ) يَعْنِي بَلْ يَعْدِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْجِزَاءِ فَيَجَازِي كُلَّ عَلَى عَمَلِهِ .

(فصل في ذكر أحاديث وردت في الغلول ووعيد الغال)

وقد تقدم أن أصل الغلول هو أخذ الشيء في خفية وأنه الخيانة إلا أنه قد صار في العرف مخصوصا بالخيانة في الغنيمة وهذا وردت الأحاديث (ق) عن أبي هريرة قال قام فينا رسول الله

(٥٦ - نخازن بالهفوى - أول) إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى ابن حبان عن أبي عمرة الأنصاري عن زيد بن خالد الجهني قال أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ توفي يوم خيبر فذكر لرسول الله ﷺ قال صلوا على صاحبكم فغيرت وجوه الناس لذلك فرعم زيد أن رسول الله ﷺ قال إن صاحبكم قد غل في سبيل الله قال فقشنا متاعه فوجدنا خروا من خروز اليهود لا يساوي درهمين أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب المروزي أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا سفيان عن الزهري عن عروة بن الزبير عن أبي حميد الساعدي قال استعمل النبي ﷺ رجلا من الأزد يقال له ابن اللثبية على الصدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدي لي فقام النبي ﷺ على المنبر فقال ما بال العامل تبعته على بعض أعمالنا فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي فهلا جلس في بيت أمه أو في بيت أبيه فينظر أهدي إليه أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منكم شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبة إن كان عبداً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة فقلها تبعر ثم رفع يده حتى رأينا عقرة يطيه ثم قال اللهم هل بلغت ثلاثا وروى قيس بن أبي حازم عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال بعثني رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فقال لاتصين شيئا إلا بادني فإنه غلول ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم قال إذا وجدتم الرجل قد غل فاحرقوا متاعه واضربوه وروى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر أحرقوا متاع الغال وضربوه قوله تعالى (ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)

صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره حتى قال لألفين أحدكم
يحيى يوم القيامة على رقبته بغير له رغاء يقول يا رسول الله أغثنى فأقول لأملكك لك شيئا قد
أبلغت لك لألفين أحدكم يحيى يوم القيامة على رقبته فرس له حميمة فيقول يا رسول الله أغثنى
فأقول لأملكك لك شيئا قد أبلغت لك لألفين أحدكم يحيى يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول
يا رسول الله أغثنى فأقول لأملكك لك شيئا قد أبلغت لك لألفين أحدكم يحيى يوم القيامة على
رقبته نفس لها صباح فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لأملكك لك شيئا قد أبلغت لك لألفين
أحدكم يحيى يوم القيامة وعلى رقبته رفاع مخمق فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لأملكك لك
شيئا قد أبلغت لك لألفين أحدكم يحيى يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله أغثنى
فأقول لأملكك لك شيئا قد أبلغت لك لفظ مسلم الرغاء صوت البعير والثغاء صوت الشاة والرفاع
التياب والصامت الذهب والنضة (ق) عن أبي هريرة قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر
فتفتح الله علينا فلم نغم ذهباً ولا ورقاً غنمنا المتاع والطعام والتياب ثم انطلقنا إلى الوادي يعني
وادي القرى ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له وجه له رجل من جذام يدعى رفاع
ابن زيد من بني الضبيب فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله
فرمى بسهم فكان فيه حفنة فقلنا هنيئاً له شملته الشهادة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كلا والذي نفس محمد بيده أن الشملة لتأتب عليه نارا أخذها من الغنم يوم خيبر
لم تصبها المقاسم قال فترع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال أصبها يوم خيبر فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم شراك من نار أو شراك من نار وفي رواية نحوه وفيه ومعه
عبد يقال له مدعم أهداه له أحد بني الضبيب وفيه إذ جاءه سهم عائر اشراك سير النعل الذي
يكون على ظهر القدم ومثله شمع النعل والسهم العائر هو السهم الذي لا يندى من رماه (خ)
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كان على نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال
له كركرة فات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا
عبادة قد غلها عن زيد بن خالد الجهني أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم توفي
فذكره لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلوا علي صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك
فقال أن صاحبكم غل في سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزاً من خرز اليهود لا يساوي درهمين
أخرجه أبو داود والنسائي عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غل
فاحرقوا متاعه واضربوه أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر أحرقوا متاع الغال وضربوه زاد في رواية ومنعه سهمه
أخرجه أبو داود قوله تعالى (أمن اتبع رضوان الله) يعني فترك الغلول فلم يغل (كن باه)
أي رجع (بسخط من الله) يعني بغضب من الله والمعنى فعل والسخط الغضب الشديد المقضي
للعقوبة وهو من الله إنزال العقوبة بمن سخط عليه وقيل في معنى الآية أن النبي صلى الله عليه
وسلم لما أمر المسلمين باتباعه والخروج معه يوم أحد اتبعه المؤمنون وتحلف عنه جماعة من
جماعة من المنافقين فأخبرنا الله تعالى بحال من اتبعه بقوله (أمن اتبع رضوان الله) وبحال من
تحلف عنه بقوله (كن باه بسخط من الله) (ومأواه جهنم وبئس المصير) يعني الغال أو المتخلف
عن النبي صلى الله عليه وسلم (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) يعني هم ذوو درجات

أمن اتبع رضوان الله
فترك الغلول (كن باه
بسخط من الله) فعل
(ومأواه جهنم وبئس
المصير هم درجات عند
الله) يعني ذوو درجات
عند الله قال ابن عباس
رضي الله عنهما يعني من
اتبع رضوان الله ومن
باه بسخط من الله
مختلفوا المنازل عند الله
فلمن اتبع رضوان الله
الذواب العظيم ولمن باه
بسخط من الله العذاب
الأكليم (والله بصير بما
يعملون)

عند الله قال ابن عباس يعني من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفو المنازل عند الله فلن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولن باء بسخط من الله العذاب الأليم والمعنى أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ليسوا سواء بل هم درجات عند الله على حسب أعمالهم وقيل الضمير في قوله هم درجات عائد على قوله أفمن اتبع رضوان الله فقط لأن الغالب في العرف استعمال الدرجات لأهل الثواب والدرجات لأهل النار ولأن الله وصف من باء بسخط من الله إن ماواه جهنم وبئس المصير فدل على أن الضمير في قوله هم درجات عند الله راجع للأول وفيه تحريض على العمل بطاعته وتحذير عن العمل بمعاصيه . قوله عز وجل (لقد من الله على المؤمنين) يعني أحسن إليهم وتفضل عليهم والمنة النعمة العظيمة وذلك في الحقيقة لا يكون إلا من الله ومنه قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين (إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) يعني من جنسهم عربيا مثلهم ولد يلداهم ونشأ بينهم يعرفون نسبه وليس حتى من أحياء العرب إلا وقد ولده وله فيهم نسب إلا بنى تغلب فانهم كانوا نصارى وقد ثبتوا على النصرانية فظهر الله رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يكون له فيهم نسب وقيل أراد بالمؤمنين جميع المؤمنين ومعنى قوله تعالى من أنفسهم أى بالإيمان والشفقة لا بالنسب ومن جنسهم ليس بملك ولا أحد من غير بنى آدم وقيل من أنفسهم يعني أنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ووجه المنة والإنعام على المؤمنين بعث الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه داعيا لهم إلى ما يخلصهم من العذاب الأليم ويوصلهم إلى الثواب في جنات النعيم وكونه من أنفسهم ومن جنسهم لأنه إذا كان اللسان واحدا سهل الأخذ عنه فيما يجب عليهم وكانوا واقفين على جميع أحواله وأفعاله يعرفون صدقه وأمانته فكان ذلك أقرب إلى تصديقه والثوق به وفي كونه من أنفسهم شرف لهم وكان فيما خطب به أبو طالب حين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها وقد حضر ذلك بنو هاشم ورؤساء مضر قوله الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئفى معد وعنصر مضر وجعلنا سدنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوبا وحراما آمنا وجعلنا الحكام على الناس وإن ابني هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتي إلا رجح وهو الله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل وقيل في وجه المنة بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم أن الخلق جبلوا على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله تعالى على خلقه وأنعم عليهم وأحسن إليهم بأن بعث فيهم رسولا من أنفسهم أتقدهم به من الضلالة وبصرهم بمن الجهالة وهداهم به إلى صراط مستقيم وإنما خص المؤمنين بالذكر لأنهم هم المنتفعون بما جاء به دون غيرهم (يتلو عليهم آياته) يعنى يقرأ عليهم كتابه الذى أنزل عليه بعد أن كانوا أهل جاهلية لم يظرف أسياعهم شيء من الوحي السماوى (وبزكهم) أى يطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والحباث (ويعلمهم الكتاب والحكمة) يعنى القرآن والسنة التى سنها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم (وإن كانوا من قبل) يعنى من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم (لنى ضلال مبين) يعنى لنى جهالة وحيرة عن الهدى عميا لا يعرفون معروفا ولا يشكرون منكرا فهداهم الله بنبيه صلى الله عليه وسلم . قوله تعالى (أولما أصابكم مصيبة) يعنى ما أصابهم يوم أحد (قد أصبتم مثلها) يعنى بيلرو ذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين وقتل المسلمون من

لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم (قيل أراد به العرب لأنه ليس حتى من أحياء العرب إلا وله فيهم من نسب إلا بنى تغلب دليله قوله تعالى وهو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم ، وقال الآخرون أراد به جميع المؤمنين ومعنى قوله تعالى من أنفسهم أى بالإيمان والشفقة لا بالنسب دليله قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم (يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا) وقد كانوا (من قبل) أى من قبل بعثته (لنى ضلال مبين أو لما) أى حين (أصابتكم مصيبة) بأحد (قد أصبتم مثلها) بيلرو ذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين وقتل المسلمون منهم بيلرو سبعين

وأسروا سبعين (قلم أتى هذا) (٤٤٤) من أين لنا هذا القتل والجزية ونحن مسلمون ورسول الله ﷺ فينا

المشركين يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وقيل إن المسلمين هزموا المشركين يوم بدر وهزمهم في أول الأمر يوم أحد ما عصوا الله ورسوله هزمهم المشركون فحصل انتهاز المشركين مرتين وانتهاز المسلمين مرة واحدة (قلم أتى هذا) أي من أين لنا هذا القتل والجزية ونحن المسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا وهو استنهام إنكار (قل هو من عند أنفسكم) يعني إنما وقعتم فيها وقعتم فيه بشؤم ذنوبكم وهو مخالفتكم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه صلى الله عليه وسلم اختار الإقامة في المدينة على الخروج إلى العدو واختاروا هم الخروج إليه وأيضا أمر الرماة بالإقامة في الموضع الذي عينهم فخالفوا وتركوا المركز لأجل الغنيمة فكان ذلك سبب القتل والجزية وروى عبيدة السلماني عن علي بن أبي طالب قال جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الفداء من الأسارى وقد أمرك أن تحيرهم بين أن يقدموا فتضرب أعناقهم وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عنتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فقالوا يا رسول الله عشارنا وإخواننا لا يلب تأخذ منهم فداءهم فتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عنتهم فقتل منهم يوم أحد سبعون عدد أسارى أهل بدر لم يستده البغوي وأسنده ابن جرير الطبري فلذلك معنى قوله (قل هو من عند أنفسكم) يعني بأخذكم الفداء واختياركم القتل لأنفسكم (إن الله على كل شيء قدير) يعني من نصركم مع الطاعة وترك نصركم مع المخالفة . قوله عز وجل (وما أصابكم) يعني من القتل والجراح والجزية (يوم التي الجمعان) يعني جمع المؤمنون وجمع المشركين وذلك بأحد يوم أحد (فيأذن الله) يعني فعلاه وقضائه وقلده وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين بما حصل لهم يوم أحد من القتل والجزية ولا تقع التسلية إلا إذا علموا أن ذلك كان واقعا بقضاء الله وقدره فحينئذ يرضون بما قضى الله عليهم (وليعلم المؤمنون وليعلم الذين نافقوا) أي ليظهر إيمان المؤمنين بشيئهم على ما لهم ويظهر نفاق المنافقين بقلة صبرهم على ما نزل بهم فالمراد من العلم بالمعلوم والتقدير ليقين المؤمن من المنافق وليتميز أحدهما من الآخر والمنافق هو الذي أظهر الإيمان بلسانه وأخسر خلافه واشتقاقه من التفق وهو السرب في الأرض النافذ ومنه نافقا اليربوع لأن له حجرا في الأرض له بابان إذا طلب من أحدهما خرج من الآخر فكذلك المنافق صنع له طريقين أحدهما إظهار الإيمان بلسانه والآخر إضمار الكفر بقلبه من أيهما طلب خرج من الآخر وقيل لأنه دخل في الإيمان من باب وخرج من باب آخر والنفاق اسم إسلامي لم تكن العرب تعرفه قبل الإسلام (وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا) المقول له عبد الله بن أبي بن سلول المنافق وأصحابه وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى أحد في ألف رجل حتى إذا كان بالشوط بين أحد والمدينة اتخذ عبد الله بن أبي بن سلول بثلاث الناس وقال ما لئدي علام نقتل أنفسنا فرجع بمن معه من المنافقين فتبعهم جابر بن عبد الله بن عمر بن حرام الأنصاري أخو بني سلمة وهو يقول يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم عند حضور عدوه فذلك قوله تعالى وقيل لهم يعني المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه تعالوا قاتلوا في سبيل الله أي لأجل دين الله وطاعته أو ادفعوا يعني عن أموالكم وأهلكم وقيل معناه تعالوا كثروا سواد المسلمين إن لم تقاتلوا سيكون ذلك دفعا وقعا للعدو (قالوا) يعني المنافقين (لو نعلم قتالا لاتبعناكم) أي لو نعلم أن اليوم يجرى فيه قتال لاتبعناكم ولم

(قل هو من عند أنفسكم) روى عبيدة السلماني عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الفداء من الأسارى وقد أمرك أن تحيرهم بين أن يقدموا فتضرب أعناقهم وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عنتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فقالوا يا رسول الله عشارنا وإخواننا لا يلب تأخذ منهم فداءهم فتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عنتهم فقتل منهم يوم أحد سبعون عدد أسارى أهل بدر فهذا معنى قوله تعالى (قل هو من عند أنفسكم) أي بأخذكم الفداء واختياركم القتل (إن الله على كل شيء قدير) وما أصابكم يوم التي الجمعان) بأحد من القتل والجراح والجزية (فيأذن الله) أي يقضاه الله وقدره (وليعلم المؤمنون) أي ويميز وقيل ليرى (وليعلم الذين نافقوا) وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله (أي لأجل

دين الله وطاعته (أو ادفعوا) عن أهلكم وحرمتكم وقال السدي أي كثروا سواد المسلمين ورابطوا إن نرجع لم تقاتلوا يكون ذلك دفعا وقعا للعدو (قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) وهو عبد الله بن أبي وأصحابه الذين انصرفوا عن أحد

وكانوا ثلاثمائة قال الله تعالى (هم للكفر يومئذ أقرب) أي إلى الكفر يومئذ أقرب (منهم للإيمان) أي إلى الإيمان (يقولون بأفواههم) يعني كلمة الإيمان (ماليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون الذين قالوا لإخوانهم) في النسب لافي الدين وهم شهداء أحد (وقعدوا) يعني قعد هؤلاء الفاتلون عن الجهاد (لو أطاعونا) وانصرفوا (٤٤٥) عن محمد صلى الله عليه وسلم وقعدوا في بيوتهم

(ماقتلوا قل) لهم يا محمد
(فأدرأوا) فادفعوا
(عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين) أن الحذر
يعني عن القدر قوله تعالى
(ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله أمواتا) الآية
قيل نزلت في شهداء بدر
وكانوا أربعة عشر رجلا
ثمانية من الأنصار وستة
من المهاجرين وقال
الآخرون نزلت في شهداء
أحد وكانوا سبعين رجلا
أربعة من المهاجرين :
حمزة بن عبد المطلب
ومصعب بن عمير وعثمان
بن شماس وعبد الله بن
جحش وسائرهم من
الأنصار أخبرنا أحمد
ابن عبد الله الصالحى أخبرنا
أبو بكر أحمد بن الحسن
الحيرى أنا حاجب بن
أحمد الطومى لنا محمد
ابن حماد أنا أبو معاوية
عن الأعمش عن عبد الله
ابن مرة عن مسروق قال
سألنا عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه عن هذه
الآية «ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله أمواتا
بل أحياء عند ربهم
يرزقون» الآية قال إنا

ترجع ولو عدوا ما تبعوهم وقيل معناه أو نحسن قتالا لا تبعنا كم (هم للكفر) يعني المنافقين إلى الكفر (يومئذ أقرب منهم للإيمان) أي الإيمان وإنما قال تعالى يومئذ لأنهم قبل ذلك اليوم لم يظهروا ما أظهروه من المعاندة والرجوع عن المسلمين وقولهم لو لم نعلم قتالا لا تبعنا كم وإنما كانوا قبل ذلك يظهرون كلمة الإسلام ويحتمون الكفر (يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم) يعني يظهرون بألسنتهم الإيمان وليس هو في قلوبهم إنما في قلوبهم الكفر والنفاق وهذه صفة المنافقين لاصفة المؤمنين لأن صفة المؤمن اخلص موطأة القلب للسان على شيء واحد وهو التوحيد (والله أعلم بما يكتمون) يعني من النفاق (الذين قالوا لإخوانهم) نزلت في عبد الله بن أبي النفاق وأصحابه وفي المراد بإخوانهم قران: أحدهما أن المراد بإخوانهم الذين استشهدوا بأحد فيكون إخوانهم في النسب لافي الدين والقول الثاني إن المراد بإخوانهم المنافقون فعلى القول الأول يكون معنى الآية الذين قالوا في إخوانهم أو عن إخوانهم الذين قتلوا بأحد لو أطاعونا ماقتلوا لأنهم بعد أن قتلوا لا يخاطبون وعلى القول الثاني يكون معنى الآية الذين قالوا وهم عبد الله بن أبي وأصحابه لإخوانهم يعني في النفاق (وقعدوا) يعني عن الجهاد (لو أطاعونا) يعني هؤلاء الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطاعونا يعني في القعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الانصراف عنه (ماقتلوا) يومئذ فرد الله تعالى عليهم بقوله (قل) يعني قل لهم يا محمد (فأدرأوا) أي فادفعوا (عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين) يعني أن الحذر لا يفتع من القدر وفي الآية دليل على أن المقتول يموت بأجله خلافا لمن يزعم أن القتل قطع على المقتول أجله (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا) قيل نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار وقال أكثر المفسرين إنها نزلت في شهداء أحد ويدل على ذلك ما روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه إنه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب ما كلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا عنا إذا أحياء في الجنة لئلا يزهوا في الجنة ولا يتكلموا عن الحرب فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون» إلى آخر الآية أخرجه أبو داود (م) عن مسروق قال سألتنا عبد الله عن هذه الآية «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون» فقال أما إنا قد سألتنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل فأطلع إليهم ربهم لإطلاعه فقال هل تشتهون شيئا قالوا أي شيء نشتهي ونحن تسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا يارب زريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى تقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا (ذكر ما يتعلق بهذا الحديث) قول مسروق سألتنا

قد سألتنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرواحهم كطير خضر ويروي في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل فأطلع إليهم ربهم لإطلاعه فقال هل تشتهون شيئا قالوا أي شيء نشتهي ونحن تسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسألوا قالوا يارب زريد أن

رُود أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا تركوا أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن محمد بن شاذان أنا جهمويه أنا صالح بن محمد أنا سليمان بن عمرو عن إسماعيل بن أمية عن عطاء (٤٤٦) بن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال لأصحابه أنه لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله عز وجل أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت وتأوى إلى قتاديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب ما كلهم وشربهم ومقبلهم ورأوا ما أعد الله لهم من الكرامة قالوا يا ليت قومنا يعلمون ما نحن فيه من النعيم ، وما يصنع الله بنا كي يرغبوا في الجهاد ولا ينكلوا عنه فقال الله عز وجل أنا محبر عندكم ومبلغ إخوانكم ففرحوا بذلك واستبشروا فأنزل الله تعالى ولا تحسن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا إلى قوله لا يضيع أجر المؤمنين ، وسمعت عبد الواحد بن أحمد المليحي قال سمعت الحسن بن أحمد القتيبي قال سمعت محمد بن عبد الله ابن يوسف قال سمعت

عبد الله كذا جاء عبد الله غير منسوب وقد نسيه بعض الناس فقال عبد الله بن عمر قد ذكره أبو مسعود الدمشقي والحميدي في مسنده عن عبد الله بن مسعود وهو الصحيح وهذا الحديث مرفوع لقوله أما إنا قد سألتنا عن ذلك فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث دليل عن أن الجنة مخلوقة الآن خلافا للمعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم تسرح من الجنة حيث شاءت وهو مذهب أهل السنة وفيه دليل على أن الأرواح باقية لا تنفني بقاء الجسد لأن الحسن يتعم ويجازي بالثواب وإن المسيء يعذب ويجازي بالعقاب قبل يوم القيامة وهو مذهب أهل السنة أيضا قوله أرواحهم في جوف طير خضر أي يجعل الله أرواح الشهداء في جوف طير خضر وهذا ليس ببعيد لاسيما مع القول بأن الأرواح أجسام لطيفة وقيل أن النعم والمعذب من الأرواح والأجساد جزء من الجسد تبقى فيه الروح وهو الذي يتلذذ بالنعيم ويتألم بالعذاب فغير مستحيل أن يصور الله تعالى ذلك الجزء طائرا ويجعل في جوف طير فتسرح في الجنة وتأوى إلى تلك القناديل وقد تعلق بهذا الحديث من يقول بالتناسخ من الميتة ويقول بانتقال الأرواح وتنعيمها في الصور الحسان المرفهة وتعذيبها في الصور القبيحة المسخرة ويزعمون أن هذا هو الثواب والعقاب وهذا ضلال بين وقول ضيف وبدعة باطلة لما في هذا القول من إبطال ما جاءت به الشرائع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث ما يرد عليهم وهو قوله حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يعنه يعني يحيي جميع جسده يوم يعنه وهو يوم القيامة والله أعلم عن جابر قال لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا منهم فقال مالي أراك منكسرا قلت يا رسول الله استشهد أبي يوم أحد وترك عيالا ودينا فقال ألا أبشرك بما لي الله به أبالك قلت بلى قال ما كلم الله أحدا قط إلا آمن وراء حجاب وإنه أحب أباك وكلمه كما حبا وقال يا عبدي تمن على أعطك قال يارب تخيبي فأقتل ثانية قال سبحانه أنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون فنزلت ولا تحسن الذين قتلوا في سبيل الله الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل أن الآية نزلت في شهداء بدر معونة وهي بدر بين مكة وعسفان وأرض هذيل قال محمد بن إسحاق عن أشياخه من أهل العلم قالوا قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسد وكان سيد بني عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له هدية فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبلها وقال إني لأقبل هدية مشرك ثم عرض عليه الإسلام وأخبره بما له فيه وما أعد الله للمؤمنين وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعده وقال يا محمد إن الذي تدعو إليّ حسن جميل فلو بعثت رجلا من أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى أمرك رجوت أن يستجروا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أخشى عليهم أهل نجد فقال أبو براء فأنهم جار فأبعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة في سبعين رجلا من خيار المسلمين وكان لهم القراء منهم الحارث بن الصمة وحرام بن ماحان وعروة بن أسامة بن الصلت ونافع بن يزيد بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر

وذلك

محمد بن إسماعيل البكري قال سمعت يحيى بن حبيب بن عرين

قال سمعت موسى بن إبراهيم قال سمعت طلحة بن خراش قال سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي يا جابر مالي أراك منكسرا قلت يا رسول الله استشهد أبي وترك عيالا ودينا قال أفلا أبشرك بما لي

الله به أباك قلت بلى يا رسول الله قال ما تكلم الله تعالى أحدا قط إلا من وراء حجاب وأنه أحيا أباك فكلمه كما فاحا قال يا عبدى
تمن على أعطك قال يارب أحبي فأقتل فيك الثانية قال الرب تبارك وتعالى إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون فأزلت فيهم
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا أخرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقى (٤٤٧) أنا أبو الحسن الطيسفونى ،

أنا عبد الله بن عمر
الجوهري أنا أحمد بن
على الكشمهينى أنا على
بن حجر أنا إسماعيل بن
جعفر أنا حميد عن أنس
رضى الله عنهم قال : قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم «مامن عبد يموت
له عند الله خير يجب أن
يرجع إلى الدنيا وأن له
الدنيا وما فيها إلا الشهيد
لمسايرى من فضل الشهادة
فانه يجب أن يرجع إلى
الدنيا فيقتل مرة أخرى»
وقال قوم نزلت هذه
الآية في شهداء بئر معونة
وكان سبب ذلك على
ماروى محمد بن إسحاق
عن أبيه إسحاق بن يسار
عن المغيرة بن عبد الرحمن
ابن الحارث بن هشام
وعبد الله بن أبي بكر بن
محمد بن عمرو بن حزم
وعن حميد الطويل عن
أنس بن مالك وغيرهم
من أهل العلم قال قدم
أبو براء عامر بن مالك
ابن جعفر ملاعب الأئمة
وكان سيد بنى عامر بن
صهصعة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم
لمدينة وأهدى إليه هدية

وذلك في سفر سنة أربع من الهجرة بعد أحد بأربعة أشهر فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي
أرض بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض أياكم يبلغ رسالة
رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان أنا فخرج بكتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل وكان على ذلك الماء فلما أتاهم حرام بن ملحان لم
ينظر عامر بن الطفيل في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا أهل
بئر معونة إني رسول رسول الله إليكم وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله
فآمنوا بالله ورسوله فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح فضربه به في جنبه حتى خرج
من الشق الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بنى عامر
على المسلمين فأبوا أن يجيئوه إلى مادعاهم إليه وقالوا لا نخفر أبا براء فقد عقد لهم عقدا
وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل بنى سليم عصبية ورعلا وذكوان فأجابوه فخرجوا حتى غشوا
القوم فأحاطوا بهم في رحاهم فمأروهم أخذوا السيوف فقاتلهم حتى قتلوا عن آخرهم إلا
كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث بين القتل فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان
في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من الأنصار أحد بنى عمرو بن عوف فلم يعلمها
بمصاب أصحابها إلا الطير تحوم على العسكر فقالوا والله إن لهذا الطير لشأنا فأقبلا لينظرا فإذا
القوم في دماثهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة فقال الأنصارى لعمرو بن أمية ماذا ترى قال
نلتحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ونخبره فقال الأنصارى لكن لا أرغب عن موطن قتل
فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل وأخذ عمرو بن أمية الضمري أسيرا فلما أخرجهم
أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقية زعم أنها كانت على أمه
فقدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا عمل أبي براء وقد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه
أخفار عامر بن الطفيل إياه وما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره وكان
فيمن أصيب عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق فروى محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة
عن أبيه أن عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رأيت بين السماء والأرض
حتى رأيت السماء من دونه قالوا هو عامر بن فهيرة قالوا وبلغ ربيعة بن أبي براء أن عامر
ابن الطفيل أخفر ذمة أبيه فحمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه . قلت وذكر
ابن الأثير الجزرى في كتاب جامع الأصول له في قسم الأسماء في ترجمة عامر بن الطفيل أن عامر
ابن الطفيل قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن بضع وثمانين سنة ولم يسلم وعاد من عنده فخرج له خراج
في أصل أذنه أخذته منه مثل النار فاشتد عليه ومات منه (ق) عن أنس قال بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم أقواما من بنى سليم إلى بنى عامر في سبعين وفي رواية أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعث خاله أخا لأم سليم واسمه حرام في سبعين راكبيا فلما قدموا قال لهم خالى

فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبلها وقال لا أقبل هدية مشرك فاسلم إن أردت أن أقبل هديتك ثم عرض عليه الإسلام
وأخبره بما له فيه وما أعد الله المؤمنين وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعث وقال يا محمد إن الذى تدعو إليه حسن جميل فلو
بعثت رجلا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني

أعشى عليهم أهل نجد فقال أبو براء أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر ابن عمرو أخا بني ساعدة في سبعين رجلا من خيار المسلمين منهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي ونافع بن يزيد بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه وذلك في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد قساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي أرض بين أرض بني عامر وحررة بني سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان أنا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل وكان على ذلك الماء فلما أتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا أهل بئر معونة إن رسول الله إليكم إنني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة (٤٤٨) ثم استصرخ عامر بن الطفيل بنى عامر على المسلمين فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم

لا يهوقالوا لن نخترأبأبراه قد عقدتم عقدا وجوارا ثم استصرخ عليهم قبائل من بني سلمة عصابة ورعلا وذكوان فأجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فراحلهم فلما رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم إلا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث بين القتلى فضلوه فيهم فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من الأنصار أحد بني عمرو أتقدمكم فإن آمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلا كنتم مني قريبا فتقدم فأمنوه فبينما هو يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ آمنوا إلى رجل منهم فقطعنه فأنفذه فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم مالوا على بقية أصحابه فتلوهم إلا رجلا أخرج سعد الجبل قال همام وأراه آخر معه فأخبر جبريل عليه السلام النبي ﷺ بهم قد أتوا ربهم فرضى عنهم وأرضاهم قال فكنا نقرأ أن بلغوا قومنا إن قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا ثم نسخ بعد فدعا عليهم أربعين صباحا على رعل وذكوان وبني عصابة الذين عصوا الله ورسوله وفي رواية إن رعلا وذكوان وبني لحيان استملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمدهم بسبعين رجلا من الأنصار كما نسميهم القراء في زمانهم كانوا يختطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى إذا كان بئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقمت عليهم شهر ايدعو في الصبح على أحياء من العرب على رعل وذكوان وعصابة وبني لحيان قال أنس فقرأنا فيهم قرآنا ثم إن ذلك رفع بلغوا قومنا إن قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا وسلم قال جاء ناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه أن أبعث معنا رجلا يعلمونا القرآن والسنة فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار وذكر نحو ما تقدم وقيل إن أولياء الشهداء وأهلهم كانوا إذا أصابتهم نعمة وخير تحسروا على الشهداء وقالوا نحن في النعمة والرخاء وآبائنا وأبائنا وإننا وإننا في القور فأزل الله تعالى هذه الآية تطيبها لقلوبهم وتنفسا عنهم وإخبارا عن حال قتلاهم فقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أي ولا تظنن الخلطاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد من أمته والمعنى لا يظن ظان إن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا يعني كأموات غيرهم ممن لم يقتل في سبيل الله

ابن عوف فلم يلبههما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على المعسكر فقالا والله إن هذا الطير لشأنا فأقبلا لينظرا فإذا القوم في دماثهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة فقال الأنصاري لعمر بن أمية ماذا ترى قال أرى أن تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره فقال الأنصاري الله أكبر لكتي ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل وأخذوا عمرو بن أمية أسيرا فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعمته عن رقبة زعم أنها كانت على أمه فقدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلما عمل أبي براء قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه إخبار عامر إياه وما أصاب رسول الله ﷺ بسببه وجواره وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة فروى محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رأيت بين السماء والأرض حتى رأيت السماء من دونه قالوا هو عامر بن فهيرة ثم بعد ذلك جعل ربيعة بن أبي براء على عامر بن الطفيل فقطعته على فرسه فقتله أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الأعلى بن حماد أنا يزيد بن زريع أنا سعيد عن قتادة عن أنس

إن مالك أن رجلا وذكوان وعصية وبني لحيان استمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على عدوهم فأمدهم بسبعين من الأنصار
كنا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يجتطون بالنهار ويصلون بالليل حتى كانوا يبرز معونة قلوبهم وغدروا بهم فبلغ النبي صلى الله
عليه وسلم فقنت شهرا يدعو في الصباح على أحياء من أحياء العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان قال أنس رضي الله
عنه فقرأنا فيهم قرآنا ثم إن ذلك رفع بلغوا عنا قومنا إنا لقيناربا فرضى عنا (٤٤٩) وأرضانهم نسخت فرفع بعد

ما قرأناه زمانا وأنزل
الله تعالى ولا تحسن الذين
قتلوا في سبيل الله أمواله
الآية وقيل إن أولياء
الشهداء كانوا إذا أصابتهم
نعمة تحسروا على الشهداء
وقالوا نحن في النعمة
وأباؤنا وأبناؤنا وإخواننا
في القبور فأمر الله تعالى
تنغيصا عنهم وإخبارا عن
حال قتلهم ولا تحسن
ولا تظنن الذين قتلوا في
سبيل الله بقرأ ابن عامر
قتلوا بآتشيدو لآخرون
بالتحذير أموالنا كأموال

من لم يتل في سبيل
الله (بل أحياء عند
ربهم) قيل أحياء في الدين
وقيل في الذكر وقيل
لأنهم برزقون بيا كلون
ويتبعون كالأحياء
وقيل لأن أرواحهم
تركع وتسجد كل ليلة
تحت العرش إلى يوم
القيامة وقيل لأن الشهيد
لا يبلى في القبر ولا تأكله
الأرض ، وقال عبيدة
بن عمير مر رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين

(بل أحياء) أي بل هم أحياء وظاهر الآية يدل على كون من قتل في سبيل الله حيا فاما أن يكون
المراد أنهم سيصبرون أحياء في الآخرة أو يكون المراد لأنهم أحياء في الحال وعلى تقدير أنهم أحياء
في الحال هل يكون المراد إثبات الحياة الروحانية أو إثبات الحياة الجثمانية فهذه ثلاثة أوجه في معنى
احتمال الحياة فن قال بالوجه الأول هو أنهم سيصبرون أحياء في الآخرة قال معنى الآية بل
هم أحياء في الذكر وأنهم يذكرون بخير أعمالهم وأنهم استشهدوا في سبيل الله وقيل بل هم
أحياء في الدين وهذا القول ليس بصواب لأن الله تعالى أثبت لهم الحياة في الحال بقوله بل أحياء
يعنى في حال ما يقتلون فانهم يحيون وهو الاحتمال الثاني واختلفوا في معنى هذه الحياة هل هي
للروح أو للجسم والروح معا فن أثبت الحياة للروح دون الجسم قال يدل على ذلك قوله صلى
الله عليه وسلم أرواح الشهداء في حواصل طير خضر فخص الأرواح دون الأجساد وقال
بعض المفسرين إن أرواح الشهداء تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش إلى يوم القيامة ومن
أثبت الحياة الروح والجسم معا قال يدل عليه سياق الآية وهو قوله عند ربهم برزقون فأخبر
الله سبحانه وتعالى أنهم برزقون وبأكلون ويتبعون كالأحياء وقيل إن الشهيد لا يبلى في قبره
ولأنه أكله الأرض كغيره وروى أنه لما أراد معاوية أن يجرى الماء على قبور الشهداء أمر أن
ينادي من كان له قتيلا فليخرجه وليحوه من هذا الموضع قال جابر فخرجنا إليهم فأخرجناهم
رطاب الأبدان فأصاب المسحة أصبع رجل منهم فانبعث دما وذكر البغوي بغير سند عن
عبيدة بن عمير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد على مصعب بن
عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم
وزورهم وسلموا عليهم فالذي نفس بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه »
وقوا تعالى (عند ربهم) يعني في عمل كرامته وفضله (برزقون) يعني من ثمار الجنة وتحفظها
(فرحين بما آتاهم الله من فضله) يعني بما أعطاهم من الثواب والكرامة والإحسان والإفضال
في دار النعيم (ويستبشرون) أي يفرحون والاستبشار هو الفرح والمرور الذي يحصل للانسان
عند البشارة (بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) يعني من إخوانهم الذين تركوهم أحياء في الدنيا
على منهج الإيمان والجهاد لعلمهم بأنهم إذا استشهدوا لحقوا بهم وذاوا من الكرامة مثل
ما نالوا فهم مستبشرون وقيل إن الشهداء سألوا الله عز وجل أن يخبر إخوانهم بما نالوا من
الخبر والكرامة ليرغبوا في الجهاد فأخبرهم الله عز وجل إن قد أنزلت على نبي محمد صلى
الله عليه وسلم وأخبرته بحالكم وما صرتم إليه من الكرامة وأن محمدا صلى الله عليه وسلم قد

(٤٧ - خازن بالبغوي - أول) انصرف من أحد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ « من
المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » ثم قال رسول الله ﷺ « أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة ألا فأتوهم
وزورهم وسلموا عليهم فالذي نفس بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه » (برزقون) من ثمار الجنة وتحفظها
(فرحين بما آتاهم الله من فضله) رزقه وثوابه (ويستبشرون) يفرحون (بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) من إخوانهم الذين
تركوهم أحياء في الدنيا على منهج الإيمان والجهاد لعلمهم أنهم إذا استشهدوا لحقوا بهم ونالوا من الكرامة ما نالوا فهم

لذلك مستبشرون (أن لاخوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمه من الله وفصل وان الله) اي ويأمن الله ، وقرأ الكسائي بكسر الألف على الاستثناء (٤٥٠) (لا يضيع أجر المؤمنين) أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد

أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وتكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرج من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة ، وقال والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة وجرحه يشعبدما اللون لون الدم والريح ريح المسك أخبرنا الإمام أبو علي الحسن بن محمد القاضي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن الزبدي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا علي بن الحسن الداريمدي أنا عبد الله بن زيد المقرئ أنا سعيد حدثني محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي

أخبر إخوانكم بذلك ففرحوا بذلك واستبشروا (أن لاخوف عليهم) يعني في الآخرة (ولا هم يحزنون) يعني على ما فاتهم من نعيم الدنيا (يستبشرون بنعمه من الله وفضل) لما بين الله تعالى أن الشهداء يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ذكر أنهم أيضا يستبشرون لأنفسهم بما رزقوا من النعيم والفضل فالاستبشار الأول كان لغرهم والاستبشار الثاني لأنفسهم خاصة (وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) يعني كما أنه تعالى لا يضيع أجر المجاهدين والشهداء كذلك لا يضيع أجر المؤمنين . فصل في فضل الجهاد في سبيل الله

(ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرج إلا جهاد في سبيل وإيمان في وتصديق برسلي فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه فإلامانال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئة حين يكلم لونه دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا ولكن لا أجدهم فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يدخلوها عني والذي نفس محمد بيده لو ددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزوا فأقتل لفظ (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اغدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها (ق) عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها عن فضالة بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يتختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر أخرجه أبو داود والترمذي عن معاذ بن جبل أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة ومن سأل الله القتل في سبيل الله صادقا من نفسه ثم مات أو قتل كان له أجر شهيد ومن جرح جرحا في سبيل الله أو نكب نكبة فأنها تحيء يوم القيامة كأعز ما كانت لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك ومن خرج به خراج في سبيل الله فإن عليه طابع الشهداء أخرجه أبو داود والنسائي وأخرجه الترمذي مرفقا في موضعين (ق) عن أبي سعيد قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي الناس أفضل قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال رجل في شعب من الشعب يعبد الله وفي رواية يتقى الله ويدع الناس من شره (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا واحتسابا وتصديقا فان شعبه وزيه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات (ق) عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أحد يدخل الجنة فيحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفي رواية لما يرى من فضل الشهادة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغفر للشهيد كل ذنب إلى الدين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما يجيد الشهيد من مس القتل إلا كما يجيد أحدكم من القرصة أخرجه الترمذي والنسائي نحوه عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته أخرجه أبو داود : قوله عز وجل (الذين استجابوا لله والرسول)

الآية

الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهيد

لا يجحد ألم القتل إلا كما يجحد أحدكم ألم القرصة قوله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول) الآية وذلك أن أباسفبان وأصحابه لما

انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرفهم وتلاوموا وقالوا لامحمدنا قتلتم ولا الكواعب أردفتم قتلتمهم حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموه ارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأراد أن يهرب العدو ويريه من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان فانتدب عصابة منهم مع (٤٥١) ما بهم من الجرح والقرح الذي

أصابهم يوم أحد ونادى نادى رسول الله ﷺ ألا لا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس فكلمه جابر بن عبد الله فقال يا رسول الله إن أبي كان قد خلقتني على إخوانتي لي سبع وقال لي يا بني أنه لا ينبغي لي ولأولئك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذي أوترك على نفسي في الجهاد مع رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم فتخلف على إخوانك فأتيتهم فخرجت معهم وإنا خرج رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم رهبا للعدو وليبلغهم أنه خرج في طلبهم فيظنوا أن قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم ومعهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان في سبعين رجلا من أصحابه حتى بلغوا حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال (ق) عن عائشة في قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرحة الذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم قالت لعروة يا ابن أخي كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر لما أصاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب يوم أحد وانصرفت المشركون خائفين أن يرجعوا فقال من يذهب في أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا كان فيهم أبو بكر والزبير قال فر برسول الله صلى الله عليه وسلم الخزاعي بحمراء الأسد كانت خزانة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتامة صفتهم معه لا يخفون عنه شيئا كان بها ومعه يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا أن الله كان قد أعفاك فيهم ثم خرج معبد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى أبا سفيان ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا على الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد أصبنا جل أصحابنا فادتهم لتكرن على بقيتهم ولنفرغن منهم فلما رأى أبو سفيان معبدا قال له ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج في أصحابه يطالبكم في جمع لم أر مثله قد يتحرقون عليكم تحرقوا وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صديعهم وفيهم من الحق عليكم شيء ألم أر مثله قط قال أبو سفيان ويك ما تقول قال والله ما أراك ترحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد أجمعتنا الكثرة عليهم للتأصل بقيتهم فقال والله إنني أناك عن ذلك فوالله لقد حملني ما رأيت على إن قلت أبيانا قال وما قلت قال قلت :

كادت تهدي من الأصوات راحتي إذ ضالت الأرض بالجرد الأبايل
تردى بأسد كرام لا تنابلة عند اللقاء ولا ميل معازيل
قلت ويل ابن حرب من لقاءكوا إذا تغططت البطحاء بالخييل

وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلا رضي الله عنهم حتى بلغوا حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال فروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعبد الله ابن الزبير يا ابن أخي أما والله أن أباك وجدك تعني أبا بكر والزبير لمن الدين قال الله عز وجل الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرحة فر برسول الله ﷺ

معبد الخزاعي بحمراء الأسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عينة نصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم
بتهامة صفتهم معه لا يخفون عنه شيئا وكان معبد يومئذ مشركا فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا
أن الله تعالى كان أعفأك منهم (٤٥٢) ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقي أبا سفيان ومن معه

بالروحاء قد أجمعوا
الرجعة إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالوا
قد أصابنا جلة أصحابه
وقادتهم لنكرن على
بقيتهم فلنفرغن منهم
فلما رأى أبو سفيان معبد
قال له ما وراءك يا معبد
قال محمد قد خرج مع
أصحابه يطلبكم في جمع
لم أر مثله قط يتحرقون
عليكم تحرقا قد اجتمع
معه من كان يخاف عنه
في يومكم وندموا على
صنيعهم وفيهم من
الحنق عليكم شيء لم أر
مثله قط قال ويك
ما تقول قال والله ما أراك
ترجل حتى ترى نواصي
الخيال قال فوالله لقد
أجمعنا الكرة عليهم
لنستأصل بقيتهم قال
فأني والله أنهاك عن ذلك
فوالله لقد حملني ما رأيت
علي أن قلت فيه آياتا :
كادت تهدم الأصوات
واحتل
لذات الأرض بالجراد
الآبيل
فذكر آياتا فرد ذلك
أبا سفيان ومن معه ومر

إني نذير لأهل السبل ضاحية لكل ذي أربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وحش يقابله وإيس يوصف ما أنذرت بالقبيل
قالوا فبني ذلك أبا سفيان ومن معه ومر ركب من عبد القيس فقال أين تريدون قالوا
تريد المدينة لأجل الميرة قال فهل أنتم مبلغون عنا عمدا رسالة وأحمل لكم إبلكم زبيبا
بعكاظ إذا وفيتموها قالوا نعم قال إذا وافيتموه فأخبروه إنا أجمعنا السبر إليه وإلى أصحابه لنستأصل
بقيتهم وانصرف أبو سفيان إلى مكة ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء
الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حسبا الله ونعم
الوكيل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة بعد ثلاثة وقال مجاهد وعكرمة
ترت هذه الآية في غزوة بدر الصغرى وذلك أن أبا سفيان يوم أحد حين أراد أن ينصرف
قال يا محمد موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لتقابل إن شئت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا وبينك إن شاء الله فلما كان العام المقبل خرج أبو سفيان في أهل
مكة حتى نزل بمجنة من ناحية من الظهران ثم أتى الله الرعب في قلبه فبدي له الرجوع فبني
نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمرا فقال له أبو سفيان يا نعيم إني قد واعدت محمدا وأصحابه
أن نلتقي بموسم بدر الصغرى وهذا عام جدب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب
اللبن وقد بدا لي أن لا أخرج البها وأكره أن يخرج محمدا ولا أخرج أنا فزيدهم ذلك جرأة
ولا أن يكون الخلف من قبلهم أحب إلي من أن يكون من قبلي فألحق بالمدينة فبسطهم وأعلمهم أنا
في جمع كثير لا طاق لهم بنا ولك عندي عشرة من الإبل أضعها لك على يد سهيل بن عمرو وبضمنها
لك قال وجاء سهيل فقال له نعيم يا أبا يزيد أتضمن لي هذه القلائص وانطلق إلى محمد فأثبته قال
نعم قال فخرج نعيم حتى أتى المدينة فوجد الناس يتجهزون لمياد أبي سفيان فقال نعيم أين
تريدون قالوا واعدنا أبا سفيان أن نلتقي بموسم بدر الصغرى فقال نعيم بنس الرأي رأيتم أتوكم
في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم إلا الشريد أفتريدون أن تخرجوا إليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم والله
لا يفلت منكم أحد ففكره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي فأما الجبان فإنه رجع وأما الشجاع فإنه
تأهب للقتال وقالوا حسبا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه حتى
وافوا بدر الصغرى وكانوا يلقون المشركين فيسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون
بذلك أن يربعوا المسلمين فيقول المؤمنون حسبا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا بدر الصغرى
وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون إليها كل عام ثمانية أيام فأقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم ببدر ينتظر أبا سفيان وقد انصرف أبا سفيان من مجنة إلى مكة فلم يلق رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأصحابه أحدا من المشركين ووافوا السوق وكان معهم تجارات وثققات فباعوا
فأصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله

والرسول

به ركب من عبد القيس فقال أين تريدون قالوا تريد المدينة قال ولم قالوا

تريد الميرة قال فهل أنتم مبلغون عنى عمدا رسالة وأحمل لكم إبلكم هذه زبيبا بعكاظ غدا إذا وافيتموها قالوا نعم قال فإذا
جئتوه فأخبروه إنا قد أجمعنا السبر إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم وانصرف أبو سفيان إلى مكة ومر الركب برسول الله

وهم بجمراء الأسد فأخبروه بالذي قاله أبو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، حسبتا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد الثالثة هذا قول أكثر المفسرين وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآية في غزوة بدر الصغرى وذلك أن أبا سفيان يوم أحد حين أراد أن ينصرف قال يا محمد بيننا وبينك وبينكم بدر الصغرى لقابل إن شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا وبينك إن شاء الله فلما كان العام المقبل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل بحجة من ناحية مر الظهران ثم أتى الله الرعب في قلبه فبدأ له الرجوع فلقى نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمرا فقال له أبو سفيان يا نعيم إني واعدت محمدا وأصحابه أن نلتقى بموسم بدر الصغرى وأن هذه عام جدب ولا يصلحنا لإلحاح زعمي فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدأ لي أن لا أخرج إليها وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فزيدهم ذلك جرأة ولأن يكون الخلف من قبلهم أحب إلى من أن يكون من قبل فألقى بالمدينة فثبطهم وأعلمهم إني في جمع كثير لا طاقة لهم بذلك عندى عشرة من الإبل أضعتها لك على يدي سهيل بن عمرو ويضمنها قال فجاء سهيل فقال له نعيم يا أبا يزيد أتضمن لي هذه القلائص من أبي سفيان وانطلق إلى محمد وأبطه قال نعم فخرج (٤٥٣) نعيم حتى أتى بالمدينة فوجد الناس

والرسول أي أجابوا الله وأطاعوه في جميع أوامره وأطاعوا الرسول أيضا (من بعدما أصابهم القرح) يعني من بعدما نالهم من ألم الجراح (للذين أحسنوا منهم واتقوا) يعني أحسنوا بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجابوه إلى الغزوة واتقوا معصيته واتخلف عنه (أجر عظيم) يعني لهم ثواب جزيل وهو الجنة . قوله عز وجل (الذين قال لهم الناس) هذه الآية متعلقة بالآية التي قبلها لأن المراد بالذين من تقدم ذكره وهم الذين استجابوا لله والرسول وفي المراد بالناس وجوه أحدها: أنه نعيم بن مسعود الأشجعي فيكون اللفظ عاما أريد به الخاص وإنما جاز لإطلاق لفظ الناس على الإنسان الواحد لأن ذلك الواحد إذا فعل فعلا أو قال قولاً ورضى به غيره حسن إضافة ذلك الفعل والقول إلى الجماعة وإن كان الفاعل واحدا فهو كقوله تعالى وإذا قتلتم نفسا والقاتل واحد . والوجه الثاني أن المراد بالناس الركب من عبد القيس قاله ابن عباس ومحمد بن إسحاق . الوجه الثالث أن المراد بالناس المنافقون وذلك أنهم لما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم يتجهز لميعاد أبي سفيان سبوا أصحابه عن الخروج معه وقالوا لهم أن تقوم قدامكم في دياركم فقتلوا الأكثر منكم فإن خرجتم إليهم لم يبق أحد منكم (إن الناس) يعني أبا سفيان وأصحابه من رؤساء المشركين (قد جمعوا لكم) يعني الجموع الكثيرة لأن العرب تسمى الجيش جمعا ويجمعونه جموعا (فأخشوهم) أي فخافوهم

يتجهزون لميعاد أبي سفيان فقال أين تريدون فقالوا واعدنا أبا سفيان أن نلتقى بموسم بدر الصغرى قال بنفس الرأي رأيكم أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم إلا الشريد أقر يدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم والله لا يفلت منكم أحد ففكره أصحاب رسول الله ﷺ الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لأخرجن ولو وحدي فأما الجبان

فانه رجع وأما الشجاع فانه تأهب للقتال وقال حسبتا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه حتى وافوا بدر الصغرى فجعلوا يلقون المشركين ويسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون أن يربعوا المسلمين فيقول المؤمنون حسبتا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا بدر وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون إليها في كل عام ثمانية أيام فأقام رسول الله ﷺ ببدر ينتظر أبا سفيان وقد انصرف أبو سفيان من حجة إلى مكة فلم يلتق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أحدا من المشركين ووافقوا السوق وكانت معهم تجارات ونفقات فباعوا وأصابوا بالدرهم درهمين فانصرفوا إلى المدينة سائرين غائمين فلذلك قوله تعالى «الذين استجابوا لله والرسول» أي أجابوا ومحل الذين خفض على صفة المؤمنين تقديره إن الله لا يضيع أجر المؤمنين المستجيبين الذين استجابوا لله والرسول (من بعدما أصابهم القرح) أي نالهم الجرح وتم الكلام هاهنا ثم ابتداء فقال (للذين أحسنوا منهم) بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجابته إلى الغزوة (واتقوا) معصيته (أجر عظيم الذين قال لهم الناس) ومحل الذين خفض أيضا مردود على الذين الأول وأراد بالناس نعيم بن مسعود في قول مجاهد وعكرمة فهو من العام الذي أريد به الخاص كقوله تعالى أم يحسدون الناس يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وحده وقال محمد بن إسحاق وجماعة أراد بالناس الركب من عبد القيس (إن الناس قد جمعوا لكم) يعني أبا سفيان وأصحابه (فأخشوهم) فخافوهم

واحدروهم فانه لا طاقة لكم بهم (فزادهم إيماناً) تصديقاً وبقينا وقوة (وقالوا حسبنا الله) أي كافينا الله (ونعم الوكيل) أي
الموكل إليه الأمور فعمل بمعنى مقبول أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد
ابن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا محمد بن بولس أخبرنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي الصحن عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال حسبنا الله (٤٥٤) ونعم الوكيل كلمة قالها إبراهيم حين ألقى في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم

حين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل (فانقلبوا) فانصرفوا (بنعمة من الله) بعافية لم يلقوا عدواً (وفضل) تجارة وريح وهو ما أصابوا في السوق (لم يمسههم سوء) لم يصبهم أذى ولا مكروه (واتبعوا رضوان الله) في طاعة الله وطاعة رسوله وذلك أنهم قالوا هل يكون هذا غزواً فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم (والله ذو فضل عظيم) قوله تعالى (إنما ذلكم الشيطان) يعني ذلك الذي قال لكم إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم من فعل الشيطان ألقى في أفواههم ليرهبوهم وتجنّبوا عنهم (يخوف أولياءه) أي يخوفكم بأوليائه وكذلك هو في قراءة أبي بن كعب يعني يخوف المؤمنين بالكافرين قال السدي يعظم أوليائه

واحدروهم فانه لا طاقة لكم بهم (فزادهم إيماناً) يعني فزاد المسلمين ذلك التخويف تصديقاً وبقينا وقوة في دينهم وثبوتاً على نصر نبيهم صلى الله عليه وسلم وفي هذه الآية دليل لمن يقول بزيادة الإيمان ونقصانه لأن الله تعالى نص على وقوع الزيادة في الإيمان (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) أي كافينا الله هو الذي يكفينا أمرهم فهو كفول امرئ القيس . وحسبك من غنى شيع وروي أي يكفيك الشيع والرى ونعم الوكيل يعني ونعم الموكل إليه في الأمور كلها وقيل الوكيل هو الكافي والمعنى يكفينا الله ونعم الكافي هو وقيل الوكيل هو الكفيل ووكيل الرجل في ماله هو الذي كنبه وقام به والوكيل في صفة الله تعالى هو الكفيل بأرزاق العباد ومصالحهم وأنه الذي يستقل بأمرهم كلها (ع) عن ابن عباس قال في قوله تعالى «إن الناس قد جمعوا لكم» إلى قوله «وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها إبراهيم حين ألقى في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم. قوله تعالى (فانقلبوا) أي فانصرفوا ورجعوا بعد خروجهم والمعنى وخرجوا فانقلبوا فحذت الخروج لأن الانقلاب يدل عليه (بنعمة من الله) أي بعافية لم يلقوا عدواً (وفضل) أي تجارة وريح وهو ما أصابوا في سوق بدر من ربح وقيل النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الآخرة (لم يمسههم سوء) أي لم يصبهم أذى ولا مكروه من قتل وجراح (واتبعوا رضوان الله) يعني في طاعة الله وطاعة رسوله وقيل إنهم قالوا هل يكون هذا غزواً فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم بمجرد خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل عظيم) يعني أنه تعالى تفضل عليهم بالتوفيق لما فعلوا وقيل تفضل عليهم بالقائه الرب في قلوب المشركين حتى رجعوا فقبله عز وجل (وإنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) يعني إنما ذلكم الخوف والمشيط هو الشيطان يخوف بالوسوسة بأن ألقى ذلك في أفواههم ليرهبوا المؤمنين ويخوفوهم ويحبوهم وقوله أولياءه يعني الشيطان يخوفكم بامعشر المؤمنين بأوليائه وقيل معناه يعظم أولياءه في صدوركم لتخافوهم وقيل معناه يخوف أولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين وأوليائه الشيطان هم الكفار والمنافقون الذين يطيعونه ويؤثرون أمره وأوليائه الله هم المؤمنون الذين لا يخافون الشيطان إذا خوفهم ولا يطيعونه إذا أمرهم (فلا تخافوهم) يعني فلا تخافوا أولياء الشيطان ولا تتعدوا عن قتالهم ولا تجنّبوا عنهم (وخافون) أي فجاهدوا في سبيل مع رسول فاني وليكم وناصركم (إن كنتم مؤمنين) أي مصدقين بوعدى إلى متكفل لكم بالنصر والظفر. قوله تعالى (ولا يخزلك الذين يسهرون في الكفر) قيل هم كفار قريش وقيل هم المنافقون وزؤساء اليهود وقيل هم قوم ارتدوا عن الإسلام والمعنى ولا يخزلك يا محمد من يسهرون في الكفر ويجمع الجوع لخارتك فإن هذا المقصود لا يحصل لهم وقيل مسارتهم في الكفر مظاهرتهم الكفار على النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى يسهرون في نصرته الكفر فلا يخزلك فعلهم فانك

في صدورهم ليخافوهم يدل عليه قراءة عبد الله بن مسعود يخوفكم أولياءه (فلا تخافوهم وخافون) منصور

في ترك أمرى (إن كنتم مؤمنين) مصدقين بوعدى لأنى متكفل لكم بالنصر والظفر. قوله عز وجل (ولا يخزلك) قرأ نافع يخزلك بضم الياء وكسر الزاي وكذلك في جميع القرآن إلا قوله لا يخزنبهم الفرع الأكبر ضده أبو جعفر وهما لغتان: حزن يخزن وأخزن يخزن لأن اللغة الغالية حزن يخزن (الذين يسهرون في الكفر) قال الضحاك هم كفار قريش ، وقال غيره

هم المنافقون يسارعون في الكفر بمظاهرة الكفار (أنهم لن يضروا الله شيئا) بمسارعتهم في الكفر (يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة) نصيبا في ثواب الآخرة فلذلك خلطهم حتى سارعوا في الكفر (ولهم عذاب عظيم إن الذين اشتروا) استبدلوا (الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا) بمسارعتهم في الكفر ، وإنما يضرون أنفسهم (ولهم عذاب أليم ولا يحسبن الذين كفروا) قرأ حزمة هذا والذي بعده بالتاء فيهما وقرأ الآخرون بالياء فن قرأ بالياء (٤٥٥) فالذين في محل الرفع على الفاعل

تقديره ولا يحسبن الكفار إيمانا لهم خيرا ومن قرأ بالتاء يعني ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا وإنما نصب على اليك من الذين ٣ (إنما نملي لهم خيرا لأنفسهم) والإملاء الإمهال والتأخير يقال عشت طويلا وتعلبت حيناً ومنه قوله تعالى واهجرني مايا أي حيناً طويلاً ، ثم ابتداء فقال (إنما نملي لهم خيراً) ثم لهم (ليزدادوا) ثم لهم عذاب مهين) قال مقاتل نزلت في مشركي مكة ، وقال عطاء في قريظة والنضير أخبرنا عبد الرحمن ابن عبد الله القفال أنا أبو منصور أحمد بن الفضل البروجردي أنا أبو أحمد بكر بن محمد ابن حمدان الصيرفي أنا محمد بن يونس أنا أبو داود الطيالسي أنا شعبة بن علي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه

منصور عليهم (أنهم لن يضروا الله شيئا) يعني بمسارعتهم في الكفر إنما يضرون أنفسهم بذلك وقيل معناه لن يضروا أولياء الله شيئا (يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة) يعني لا يجعل لهم نصيبا في ثواب الآخرة فلذلك خلطهم حتى سارعوا في الكفر وفي الآية دليل على أن الخير والشر بارادة الله تعالى وفيه رد على القدرية والمعتزلة (ولهم عذاب عظيم) يعني في الآخرة (إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان) يعني المنافقين آمنوا ثم كفروا والمعنى أنهم استبدلوا الكفر بالإيمان فكأنهم أعطوا الإيمان وأخذوا الكفر كما يفعل المشرك من إعطاء شيء وأخذ غيره بدلا عنه (لن يضروا الله شيئا) يعني باستبدلهم الكفر بالإيمان وإنما ضروا أنفسهم بذلك (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة . قوله عز وجل (ولا تحسبن الذين كفروا) قرئ تحسبن بالتاء والياء فن قرأ بالتاء فعناه ولا تحسبن يا محمد إيمانا للكفار خير لأنفسهم ومن قرأ بالياء قال معناه ولا يحسبن الكفار إيمانا لهم خيرا نزلت في مشركي مكة وقيل نزلت في يهود بني قريظة والنضير (إنما نملي لهم) الإملاء الإمهال والتأخير وأصله من الملوحة وهي المدة من الزمان والمعنى ولا يظنن الذين كفروا إن إيماننا إنهم بطول العمر والإنساء في الأجل (خير لأنفسهم) ثم قال تعالى (إنما نملي لهم) ليزدادوا إنما يعني إنما تمهلهم وتؤخر في آجالهم ليزدادوا إنما (ولهم عذاب مهين) يعني في الآخرة روي البغوي بسنده عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فأي الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وروي ابن جرير الطبري بسنده عن الأسود قال قال عبد الله ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها وقرأ (ولا تحسبن الذين كفروا) إنما نملي لهم خيرا لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إنما وقرأ نزلنا من عند الله وما عند الله خير للأبرار وقال ابن الأثيري قال جماعة من أهل العلم أنزل الله عز وجل هذه الآية في قوم يعاندون الحق سرق في علمه أنهم لا يؤمنون فقال إنما نملي لهم ليزدادوا إنما بمعاندتهم الحق وخلافهم الرسول وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيت الله يعطي على المعاصي فإن ذلك استدراج من الله لخلقك ثم تلا هذه الآية وقال الزجاج هؤلاء قوم أعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم لا يؤمنون أبدا وأن نفاقهم يزيدهم كفرا وإنما وهذه الآية حجة ظاهرة على القدرية حيث أخبر الله تعالى أنه يطيل أعمار قوم ويمهلهم ليزدادوا كفرا وإنما وغيا . قوله تعالى (ما كان الله ليبدل المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فقال الكلبي قالت قريش يا محمد تزعم أن من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وإن من أطاعك وتبعك على دينك فهو في الجنة والله عنه راض فأخبرنا بمن يؤمن بك ومن لا يؤمن بك فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرضت على أمي في صورها في الطين كما عرضت على آدم وأعامت من يؤمن بي

قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فأي الناس شر قال من طال عمره وساء عمله » قوله تعالى (ما كان الله ليبدل المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) اختلفوا فيها فقال الكلبي قالت قريش يا محمد تزعم أن من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وأن من اتبعك على دينك فهو في الجنة والله عنه راض فأخبرنا بمن يؤمن بك ومن لا يؤمن بك فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على

أمتي في صورها في الطين كما عرضت على آدم وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفر بي فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد أنه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام طعنوا في علمي لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة إلا أنا أنكم به فقام عبد الله ابن حذافة السهمي فقال من أبي يارسول الله قال حذافة فقام عمر فقال يارسول الله رضينا بالله ربنا وبالإسلام ديننا وبالقُرآن إماما وبك نبيا فاعف عنا عفا الله عنك (٤٥٦) فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهل أنتم منتهون ثم نزل عن المنبر

فأنزل الله تعالى هذه الآية واختلفوا في حكم الآية ونظمها فقال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك ومقاتل والكلبي وأكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين يعني ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه يامعشر الكفار والمنافقين من الكفر والتفان حتى يميز الخبيث من الطيب وقال قوم الخطاب للمؤمنين الذين أخرج عنهم معناه ما كان الله ليترككم يامعشر المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق فرجع من الخبر إلى الخطاب حتى يميز الخبيث وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يضم الياء وتشديد بها وكذلك التي في الأنفال وقرأ الباقون بالتخفيف يقال ما زال الشيء يميزه

ومن يكفره بي فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد أنه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام طعنوا في علمي لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة إلا أنا أنكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من أبي يارسول الله فقال حذافة فقام عمر فقال يارسول الله رضينا بالله ربنا وبالإسلام ديننا وبالقُرآن إماما وبك نبيا فاعف عنا عفا الله عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهل أنتم منتهون فأنزل الله هذه الآية وقيل إن المؤمنين سألو أن يعطوا آية يفرقون بها بين المؤمن والكافر فنزلت هذه الآية وقيل إن قوما من المنافقين ادعوا أن إيمانهم كما يمان المؤمن فأظهر الله نفاقهم يوم أحد وأنزل هذه الآية واختلفوا في معنى الآية وحكمها فقال ابن عباس وأكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين والمعنى ما كان ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه يامعشر الكفار والمنافقين من الكفر والتفان حتى يميز الخبيث من الطيب وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما كان الله ليترككم يامعشر المؤمنين على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق والتباس بعضهم ببعض حتى يميز الخبيث من الطيب يعني المنافق من المؤمن الخالص فيميز الله المؤمنين من المنافقين يوم أحد فأظهر المنافقون النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل إنما حصل التمييز يوم أحد بالفداء الجميع في الحوف والقتل والهزيمة فمن كان مؤمنا ثبت على إيمانه وتصديقه ولم يتزلزل ومن كان منافقا ظهر نفاقه وكفره وقيل في معنى الآية حتى يميز المؤمن من المنافق والكافر بالجهاد والهجرة وقيل في معنى الآية ما كان الله ليترك المؤمنين في أصلاب الرجال المشركين وأرحام النساء المشركات والمعنى ما كان الله ليترك أولادكم الذين جرى لهم الحكم بالإيمان على ما أنتم عليه من الشرك حتى يميز الخبيث من الطيب يعني يفرق بينكم وبين من في أصلابكم وأرحام نساءكم من المؤمنين فيحكم لأهل الإيمان بالجنة ولأهل الشرك والكفر والنفاق بالنار (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) الخطاب في قوله ليطلعكم لكفار قريش الذين قالوا يا محمد أخبرنا عن يؤمن بك ومن لا يؤمن والمعنى وما كان الله ليبين لكم أيها الكفار المؤمن من الكافر فيقول فلان مؤمن وفلان كافر أو منافق لأنه لا يعلم الغيب أحد غيره وإن سنة الله جارئة أنه لا يطلع على غيبه أحاد الناس فلا سبيل إلى معرفة المؤمن من الكافر والمنافق إلا بالامتحان بالآفات والمصائب فيميز المؤمن المخلص بثباته على إيمانه ويتزلزل المنافق عن المحن والهلايا وقيل في معنى الآية وما كان الله ليطلع

ميزا وميزه تمييز إذا فرقه فامتاز وإتماز هو بنفسه قال أبو معاذ إذا فرقت بين شيئين قلت مزتا ميرا فإذا كانت أشياء قلت ميزتها تمييزا وكذلك إذا جعلت الشيء الواحد شيئين قلت فرقت بالتخفيف ومنه فرقت الشعر فإن جعلته أشياء قلت فرقتة تفريقا ومعنى الآية حتى يميز المنافق من المؤمن الخالص فيميز الله المؤمنين من المنافقين يوم أحد حيث أظهروا النفاق فتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة حتى يميز الكافر من المؤمن بالهجرة والجهاد وقال الضحاك ما كان الله ليترك المؤمنين على ما أنتم عليه في أصلاب الرجال وأرحام النساء يامعشر المنافقين والمشركين حتى يفرق بينكم وبين من في أصلابكم وأرحام نساءكم من المؤمنين وقيل حتى يميز الخبيث وهو المذنب من الطيب وهو المؤمن يعني حتى تحط الأوزار عن المؤمن بما يصيبه من نكبة ومحنة ومصيبة (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) لأنه لا يعلم

محمد

الغيب أحد غير الله (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) فيطلعه على بعض علم الغيب نظيره قوله تعالى وعالم الغيب فلا يظهر
على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول، وقال السدي معناه وما كان الله ليطلع محمدا صلى الله عليه وسلم على الغيب ولكن
الله اجتباه (فآمنوا بالله ورسوله وإن تؤمنوا وتتنقوا فلنكم أجر عظيم) (٤٥٧) ولا يحسن الذين يبخلون بما آتاهم الله

من فضله هو خيرا لهم
أي ولا يحسن الباخلون
البخل خيرا لهم (بل هو)
يعني البخل (شر لهم
سيطوقون) أي سوف
يطوقون (ما بخلوا به يوم
القيامة) يعني يجعل مامنهم
من الزكاة حجة تطوق
في عنقه يوم القيامة تنهشه
من فرقه إلى قدمه
هذا قول ابن مسعود
وابن عباس وأبي وائل
والشعبي والسدي أخبرنا
عبد الواحد المليحي
أنا أحمد بن عبد الله
النعيمي أنا محمد بن
يوسف أنا محمد بن
إسماعيل أنا علي بن عبد الله
المديني أنا هاشم بن قاسم
أخبرنا عبد الرحمن بن
دينار عن أبي صالح السمان
عن أبي هريرة قال: قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومن آتاه الله مالا
فلم يؤد زكاته مثل له
يوم القيامة شجاعا أقرع
له زبيبتان يطوقه يوم
القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه
يعني شلقوه ثم يقول
أنا مالك أنا كزك ثم
تلا ولا يحسن الذين

محمدًا على الغيب فيخبركم بالمؤمن من الكافر (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) يعني ولكن
الله يصطفى ويختار من رسله من يشاء فيطلعه على ما يشاء من غيبه (فآمنوا بالله ورسوله) يعني أنه
لما قالت الدلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبق إلا الإيمان بالله ورسوله محمد صلى
الله عليه وسلم وإنما قال ورسوله على الجمع ولم يقل ورسوله على التوحيد لقوله ولكن الله يجتبي
من رسله من يشاء ولأنه إذا أقر بجميع الرسل كان مقرا بأحدهم وهذه صفة المؤمنين لأنهم
آمنوا بجميع الرسل (وإن تؤمنوا وتتنقوا) يعني وأن تصدقوا من أجيبت به رسالتي وأطعته على
ما أشاء من غيبى وأعلمته بالمنافق منكم والمؤمن المخلص وتتنقوا ريبكم فيما أمركم به ونهاكم عنه
(فلنكم أجر عظيم) يعني فلنكم بأيمانكم واتقائكم ثواب جزيل وهو الجنة . قوله عز وجل (ولا
يحسن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم) يعني ولا يحسن الذين يبخلون
البخل خيرا لهم (بل هو) يعني البخل (شر لهم) والبخل هو إمساك المكتنيات عما لا يستحق
حبيسا عنه والبخل هو الذي يكثر منه البخل والآية دالة على ذم البخل عن عبد الله بن عمر
قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح
أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالفجور ففجروا أخرجه أبو داود عن أبي سعيد الخدري قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حصلتان لا يجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق أخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقال عبد الله بن
مسعود وأبو هريرة وابن عباس في رواية أبي صالح عنه والشعبي ومجاهد نزلت هذه الآية في الذين
يبخلون أن يؤدوا زكاة أموالهم ووجد هذا القول أن أكثر العلماء ذهبوا إلى أن البخل عبارة
عن منع الواجب وأن من منع التطوع لا يكون بخيلا وبدل عليه الوعيد الشديد في سياق الآية
وهو قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به وهذا لا يكون إلا في ترك الواجب لافي التطوع وقال ابن
عباس في رواية عطية عنه وابن جريج عن مجاهد أنها نزلت في أخبار اليهود الذين كتموا صفة
محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وهذا القول هو اختيار الزجاج ووجه هذا القول أن البخل
عبارة عن منع الخير والنفع وبدخل فيه العلم كما يقال بخل فلان بعلمه وصحح الطبري القول
الأول واختاره وقوله (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) أي سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام
الطوق فإن حملنا معنى الآية على منع الزكاة والبخل بها فقد قال ابن مسعود وابن عباس يجعل
مامنهم من الزكاة حجة تطوق في عنقه يوم القيامة تنهشه من فرقه إلى قدمه وبدل على صحة هذا
التأويل ما روى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن آتاه الله مالا فلم يود
زكاته مثل له يوم القيامة شجاع أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شديقه
ثم يقول أنا مالك أنا كزك ثم تلا ولا يحسن الذين يبخلون بما آتاهم الله الآية أخرجه البخاري
قوله زبيبتان قبيل هما التكتتان السودوان فوق عيني الحية وقيل هما فقطتان يكتنفان فاهما
وقيل هما زبيبتان في شديقه وقد جاء في الحديث تفسير لهنهزمتيه بأنهما شديقه وقيل لهنهزمتان

(٥٨ - مخازن بالغيوى - أول)

يبخلون ، الآية أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن
عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمرو بن حفص بن غياث أنا أبي أنا الأعمش عن المعمر بن
سويد عن أبي ذر رضى الله عنه قال انتهيت إليه يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقال ، والذي نفسي بيده أو والذي لآله غيره

أو كما حلف ما من رجل يكون له إيل أو بقر أو غنم لا يؤدي حثها إلا أتي بها يوم القيامة أعظم ما يكون وأسمه تطوؤه بأخفافها وتنطحه بقرونها كلما جاوزت أخرها ردت عليها أولاها حتى يقضى بين الناس قال إبراهيم النخعي معنى الآية يجعل يوم القيامة في أعناقهم طوق من النار (٤٥٨) قال مجاهد يكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به في الدنيا من أموالهم

في أصل الخنك وقيل هما منحنى اللحيين أسفل من الأذنين وكله متقارب (ق) عن أبي ذر قال انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأيته قال لهم الأخصرون ورب الكعبة قال فجلست حتى جلست فلم أفتقر أن تمث فقلت يا رسول الله فذاك أبي وأمي من هم؟ قال هم الأثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا ومن بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقيل ما هم مامن صاحب إيل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمه تنطحه بقرونها وتطوؤه بأظلافها كلما نفذت أخرها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس لفظ مسلم وفرقه البخاري بمعناه في موضعين وقيل في معنى الآية أنه يجعل في أعناقهم أطواق من النار وقيل يكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به من أموالهم في الدنيا وإن حملنا تفسير البخل على البخل بالعلم وكثافته فقد قال ابن عباس في قوله سيطوفون ما بخلوا به يوم القيامة أي يعملون وزره وإثمه فيكون على طريق التمثيل كما يقال قلدتك هذا الأمر وجعلته في عنقك وقيل يجعل في رقابهم طوق من نار ويدل عليه ما روى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مثل من سئل علما يعلمه فكتمه أجم بلجام من نار أخرجه الترمذي وفي رواية أبي داود من مثل من سئل عن علم فكتمه أجمه الله بلجام من نار يوم القيامة قيل في معنى الحديث إنهم لما سألوا عن العلم فكتموه ولم يتطوؤا به بالسنة ولم يخرجوه من أفواههم عوضوا عن ذلك بلجام من نار في أفواههم عقوبة لهم والله أعلم . قوله تعالى (والله ميراث السموات والأرض) يعني أنه سبحانه وتعالى الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم فيموتون ويبقى الملك لله تعالى وقيل في معنى الآية وله ما فيها مما يتوارثه أهلها من مال جميع المالكين ويبقى الملك لله تعالى وقيل في معنى الآية وله ما فيها مما يتوارثه أهلها من مال وعلم وغير ذلك فما غلوا البخلاء يبخلون عليه بملكه ولا يتفقونه في سبيله (والله بما يعملون خبير) قرئ يعملون بالياء على الغيبة على طريقة الالتفات وهي أبلغ في الوعيد والمعنى والله بما يعملون يعني البخلاء من منعهم الحقوق خبير فيجازيهم عليه وقرئ بالياء على خطاب الحاضرين قوله عز وجل (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) قال الحسن وقتادة لما نزلت هذه الآية من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود إن الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء وذكر الحسن أن القائل هذه المقالة هو حبي بن أخطب وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن إسحاق كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر الصديق إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإلى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل أبو بكر ذات يوم بيت مدراسهم فوجد ناسا كثيرا قد اجتمعوا على فنحاص بن عاز وراء وكان من علمائهم ومعه حبر آخر يقال له أسبيع فقال أبو بكر لفنحاص اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة قمامن وصدق وأقرض الله قرضا حسنا بدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص يا أبا بكر تزعم أن

وروى عطية عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في أخبار اليهود الذين كتبوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وأراد بالبخل كتمان العلم كما قال في سورة النساء « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتفون ما آتاهم الله من فضله » ومعنى قوله سيطوفون ما بخلوا به يوم القيامة أي يعملون وزره وإثمه كقوله تعالى يعملون أوزارهم على ظهورهم (والله ميراث السموات والأرض) يعني أنه الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم فيموتون ويرثهم نظيره قوله تعالى « إنما نحن ترث الأرض ومن عليها » (والله بما تعملون خبير) قرأ أهل البصرة ومكة بالياء وقرأ الآخرون بالياء قوله تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) قال الحسن ومجاهد لما نزلت من ذا الذي يقرض الله

وبنا

قرضا حسنا قالت اليهود إن الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء وذكر

الحسن أن قائل هذا الكلام حبي بن أخطب وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن إسحاق كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر رضي الله عنه إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإلى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا

فدخل أبو بكر رضي الله عنه ذات يوم بيت مدراسهم فوجد ناسا كثيرا من اليهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص
ابن عازوراء وكان من علمائهم ومعه حبر آخر يقال له أسبيح فقال أبو بكر لفنحاص اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن
محمد رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة فأمن وصدق وأقرض الله قرضا حسنا يدرخلك
الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص يا أبا بكر زعم أن ربنا يستقرض أموالنا وما يستقرض إلا الفقير

(٤٥٩)

من الغنى فإن كان ماتقول
حقا فإن الله إذ الفقير
ونحن أغنياء وأنه ينهاتكم
عن الربا ويعطينا ولو
كان غنيا ما أعطانا الربا
فغضب أبو بكر رضي
الله عنه وضرب وجه
فنحاص ضربة شديدة
وقال والذي نفسي بيده
لولا العهد الذي بيننا
وبينك لضربت عنقك
ياعدو الله فذهب فنحاص
إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا محمد
انظر ما صنع بي صاحبك
فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لأبي بكر
رضي الله عنه ما حملك
على ما صنعت فقال
يا رسول الله إن عدو الله
قال قولا ظاهرا زعم أن
الله فقير وأنهم أغنياء
فغضبت لله فضربت
وجهه فوجد ذلك
فنحاص فأنزله الله تعالى
تكريها وردا على فنحاص
وتصدقا لأبي بكر
رضي الله عنه لقد سمع الله

ربنا يستقرض أموالنا وما يستقرض إلا الفقير من الغنى فإن كان ماتقول حقا فإن الله إذا فقير
ونحن أغنياء فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال والذي نفسي بيده لولا
العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك ياعدو الله فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر ما حملك
على ما صنعت فقال يا رسول الله إن هذا عدو الله قال قولا عظيما زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء
فغضبت لله وضربت وجهه فوجد ذلك فنحاص فأنزله الله تصديقا لأبي بكر وتكريها لفنحاص
وردا عليهم « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء » وهذه المقالة وإن كانت قد
صدرت من واحد من اليهود لكنهم يرضون بمقاتلته هذه فنسبت إلى جميعهم ولا يخلوا أن
يكونوا قالوا هذه المقالة عن اعتقاد لذلك القول أو قالوها استهزاء وأيهما كان فهذه المقالة
عظيمة القبح لا تصدر عن عاقل وإنما صدرت عن كافر متعبد في كفره وضلاله (سئمت
ماقالوا) يعني قوطم إن الله فقير ونحن أغنياء لأن ذلك كذب واقتراء والمعنى من حفظ عليهم
ماقالوا وقيل سئمت ذلك القول في صحائف أعمامهم التي تكتبها الحفظة عليهم حتى يوافقوا بها
يوم القيامة فهو وعيد وتهديد لهم (وقتلهم الأنبياء بغير حق) قيل معناه سئمت ماقال هؤلاء
اليهود ونكتب ما فعله أسلافهم فنجازى كلا الفريقين بما هو أهله وإنما نسب قتل الأنبياء إلى
اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وإنما فعله أسلافهم وأوانلهم لأنهم رضوا
بفعلهم فنسب إليهم وقيل في معنى الآية سئمت على هؤلاء ماقالوا بأنفسهم ونكتب عليهم
أيضا رضاهم بقتل آياتهم الأنبياء والفائدة في ضم قتلهم الأنبياء إلى ما وصفوا الله تعالى بالفقر
الإعلام بذلك أنهما أخوان في العظم وأن هذا القول منهم ليس بأول ما ارتكبه من العظائم
وأنهم أصلاء في الكفر والجهل والضلال وهم في ذلك سوابق وأن من قتل الأنبياء لا يعد منه
الاجترار على مثل هذا القول العظيم القبح (ونقول) يعني هؤلاء الذين قالوا هذه
المقالة (ذوقوا عذاب الحريق) أي تنتقم منهم بأن نقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق
كما أذقم المسلمين الغصص في الدنيا (ذلك) أي ذلك العذاب المحرق جزاء فعلكم حيث وصفتم
الله بالفقر وأقدمتم على قتل الأنبياء (بما قدمت أيديكم) إنما ذكر الأيدي على سبيل المجاز لأن
الفاعل هو الإنسان لا اليد إلا أن اليد لما كانت آلة الفعل حسن إسناد الفعل إليها ولأن أكثر
الأعمال يكون باليد فجعل كل عمل كالواقع بالأيدي على سبيل التغليب (وأن الله ليس بظلام
للعبيد) فيعذب بغير ذنب بل هو سبحانه وتعالى عادل ومن العدل أن يعاقب المسيء ويثوب
الحسن قوله عز وجل (الذين قالوا إن الله عهد إلينا) قال الكلبي نزلت في كعب بن الأشرف

قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء (سئمت ماقالوا) من الإفك والفرية على الله فنجازيهم به ، وقال مقاتل من حفظ
عليهم وقال الواقدي سنأمر الحفظة بالكتابة ذميره قوله تعالى وإنا له كاتبون (وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب
الحريق) قرأ حمزة سيكتب بضم الباء وقتلهم برفع اللام ويقول بالياء وذوقوا عذاب الحريق أي النار وهو بمعنى المحرق كما
يقال لهم عذاب ألم أي مؤلم (ذلك) بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد) فيعذب بغير ذنب قوله تعالى (الذين قالوا إن
الله عهد إلينا) الآية قال الكلبي نزلت في كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وزيد بن ثابت وفنحاص

ابن عازوراء وحبي بن أخطب أتوا النبي ﷺ فقال يا محمد زعم أن الله تعالى بعثك إلينا رسولا وأنزل عليك الكتاب وإن الله تعالى قد عهد إلينا في التوراة (أن لا تؤمن لرسول) بزعم أنه من عند الله (حتى يأتينا بقربان تأكله النار) فإن جئتنا به صدقناك فأنزله الله تعالى على الذين قالوا أي صبح (٤٦٠) الله قول الذين قالوا وعمل الذين خفص ردا على الذين الأول وإن الله عهد

إلينا أي أمرنا وأوصانا في كتبه أن لا نؤمن برسول أي لا تصدق رسولا يزعم أنه جاء من عند الله وحتى يأتينا بقربان تأكله النار فيكون دليلا على صدقه والقربان كل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من نسكة وصدقة وعمل صالح وهو فعلا من القرابين وكانت القرابين والغنائم لا تحل لبني إسرائيل وكانوا إذا قربوا قربانا أو غنموا غنمة جاءت نار بيضاء من السماء لادخان لها وها دوى وحفيف فتأكله وتحرق ذلك القربان وتلك الغنمة فيكون ذلك علامة القبول وإذا لم يقبل بقيت على حالها وقال السدي إن الله تعالى أمر بني إسرائيل من جاءكم يزعم أنه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد فإذا أتياكم فآمنوا بهما فأنهما يأتيان بغير قربان قال الله تعالى إقامة للحجة عليهم (قل) يا محمد (قد جاءكم) يا محمد (قد

ومالك بن صبي ووهب بن بهذا وزيد بن ثابت وفتحاص بن عازوراء وحبي بن أخطب من اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا يا محمد زعم أن الله بعثك إلينا رسولا وأنزل عليك كتابا وإن الله عهد إلينا في التوراة أن لا تؤمن لرسول يزعم أنه جاء من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار فإن جئتنا به صدقناك فأنزله الله تعالى على الذين قالوا أي صبح الله قول الذين أن الله عهد إلينا يعني أمرنا وأوصانا في كتبه (أن لا تؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) يعني فيكون ذلك دليلا على صدقه وذكر الواحدى عن السدي أنه قال إن الله تعالى أمر بني إسرائيل في التوراة من جاءكم يزعم أنه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد فإذا أتياكم فآمنوا بهما فأنهما يأتيان بغير قربان زاد غير الواحدى عنه قال وكانت هذه العادة باقية فيهم إلى مبعث المسيح عليه السلام ثم ارتفعت وزالت وقيل إن ادعاء هذا الشرط كذب على التوراة وهو من كذب اليهود وتحريفهم ويدل على ذلك أن المقصود في الدلالة على صدق النبي هو ظهور المعجزة الخارقة للعادة فأى معجزة أتى بها النبي قبلت منه وكانت دليلا على صدقه وقد أتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الباهرات الدالة على صدقه فوجب على كافة الخلق اتباعه وتصديقه والقربان كل ما يتقرب به العبد إلى الله عز وجل من أعمال البر من نكح وصدقة وذبح وكل عمل صالح ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة والصلاة قربان يعني أنها مما يتقرب بها إلى الله عز وجل وكانت القرابين والغنائم لا تحل لبني إسرائيل وكانوا إذا قربوا قربانا أو غنموا غنمة جمعوا ذلك وجاءت نار بيضاء من السماء لادخان لها وها دوى وحفيف فتأكل ذلك القربان أو الغنمة وتحرقه فيكون ذلك دليلا وعلامة على القبول وإذا لم يقبل بقي على حاله ولم تنزل نار وقال عطاء كانت بنو إسرائيل يذبحون لله فيأخذون الثروب وأطياب اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم نبيهم عليه السلام في البيت ويناجي ربه عز وجل وينو إسرائيل خارجون حول البيت فتنزل نار بيضاء لها دوى وحفيف وادخان لها فتأكل ذلك القربان ثم قال الله عز وجل مجيبا عن هذه الشبهة التي ذكرها هؤلاء اليهود وإقامة للحجة عليهم (قل) يعني قل يا محمد هؤلاء اليهود (قد جاءكم) يا معشر اليهود (رسل من قبلي) يعني مثل زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام (بالبينات) يعني بالدلائل الواضحات الدالة على صدقهم (وبالذي قلتم) يعني ما طلبوا من القربان (فلم قتلتموهم) يعني فلم قتلتم الأنبياء الذين أتوا بما طلبتم منهم مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الأنبياء وأراد بذلك فعل أسلافهم وإنما خاطب بذلك اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا راضين بفعل أسلافهم (إن كنتم صادقين) يعني في دعواكم ومعناه تكذيبهم إياك يا محمد مع علمهم بصدقك كقتل آبائهم الأنبياء مع إتيانهم بالقربان ثم قال تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم (فإن كذبوك) يعني هؤلاء اليهود (فقد كذب رسل من قبلك) يعني مثل فوح وهود وصالح وإبراهيم وغيرهم من الرسل (جاءوا بالبينات) يعني بالدلائل الواضحات والمعجزات الباهرات (والزر) أي الكتب واحدها زبور وكل كتاب فيه حكمة فهو

(رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم) من القربان (فلم قتلتموهم) يعني زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الأنبياء وأراد بذلك زبور أسلافهم فحاطبهم بذلك لأنهم رضوا بفعل أسلافهم (إن كنتم صادقين) معناه تكذيبهم إياك مع علمهم بصدقك كقتل آبائهم الأنبياء مع الإتيان بالقربان والمعجزات ثم قال عزيا لنبيه ﷺ (فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزر) قرأ ابن عامر

وبالزبر أى بالكتب المزبورة يعنى المكتوبة واحدها زبور مثل رسول ورسول (والكتاب المنير) الواضح المضيء قوله عز وجل (كل نفس منقوسة ذائفة الموت) وفي الحديث لما خلق الله تعالى آدم اشتكت الأرض لى ربه لما أخذ منها فوعدها أن يرد فيها ما أخذ منها فما من أحد إلا ويدفن في التربة التي خلق منها (وإنما توفون أجوركم) (٤٦١) توفون جزاء أعمالكم (يوم القيامة) إن خيرها فخير

وإن شرا فشر (فمن زحزح) نحي وأزيل (عن النار) وأدخل الجنة فقد فاز ظفر بالنجاة ونجاة من الخوف (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) يعنى متعة كالفأس والقدر والقصة ثم زول ولا يبقى وقال الحسن كخضرة النبات ولعب النبات لا حاصل له قال قتادة هي متاع متروكة يوشك أن تصححل بأهلها فخذوا من هذا المتاع بطاعة الله ما استطعتم والغرور الباطل أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيرى أنا حاجب ابن أحمد الطوسى أخبرنا محمد بن إسماعيل بن يحيى أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن عمرو عن أنى سلمة عن أنى حرير رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى «أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» وأقرعوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين زاد الترمذى «وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها» وأقرعوا إن شئتم «وظل ممدود ولموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها» وأقرعوا إن شئتم «فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور» . قوله عز وجل (لَتَلَوَّنَّ) اللام لام القسم تقديره والله لتبلون أى لتختبرن فتوقع عليكم المحن ليعلم المؤمن من غيره والاختيار طلب المعرفة ليعرف الجيد من الردىء وذلك في وصف الله محال لأن الله تعالى عالم بحقائق الأشياء كلها قبل أن يخلقها فعلى هذا يكون معنى الاختيار في وصف الله تعالى أنه يعامل العبد معاملة المختبر (في أموالكم) يعنى بالابتلاء في الأموال بالانقصان منها وقيل بأداء ما فرض فيها من الحقوق (وأنفسكم) يعنى بالمصائب والأمراض والقتل وفقد الأقراب والعشائر

زبور وأصله من الزبر وهو الزجر وسمى الكتاب الذي فيه الحكمة زبوراً لأنه يزبر عن الباطل ويدعو إلى الحق (والكتاب المنير) أى الواضح المضيء وإنما عطف الكتاب المنير على الزبر لشرفه وفضله وقيل أراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التوراة والإنجيل . قوله عز وجل (كل نفس ذائفة الموت) يعنى أن كل نفس مخلوقة ذائفة الموت ولا بد لها منه قبل ما نزل قل يتوفاكم ملك الموت قالوا يا رسول الله إنما نزلت في بنى آدم فأين ذكر الموت للجن والأنعام والوحوش والطيور فنزلت هذه الآية وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام اشتكت الأرض لى ربه عز وجل مما أخذ منها فوعدها أن يرد فيها ما أخذ منها فما أحد يموت إلا ويدفن في التربة التي خلق منها . فإن قلت الحور والولدان نفوس مخلوقة في الجنة لا تنبوق الموت فما حكم لفظ كل في قوله كل نفس ذائفة الموت ؟ قلت لفظة كل لا تقتضى الشمول والإحاطة بدليل قوله تعالى وأوتيت من كل شيء ولم تؤت ملك سليمان فتكون الآية من العام بخصوص ويحتمل أن يكون المراد بهم المكافئين بدليل سياق الآية وهو قوله تعالى (وإنما توفون أجوركم) يعنى توفون جزاء أعمالكم (يوم القيامة) إن كان خيرا فخير وإن كان شرا فشر (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) يعنى فمن نجى وأبعد من النار وأدخل الجنة فقد ظفر بالنجاة ونجاة من الخوف (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) يعنى أن العيش في هذه الدار الفانية يغر الإنسان بما يمنه من طول البقاء وسينقطع عن قريب فوصفت بأنها متاع الغرور لأنها تغري بديل المحبوب ونحوه للإنسان أنه يدوم وليس بدائم والمتاع كل ما استمتع به الإنسان من مال وغيره وقيل المتاع كالفأس والقدر والقصة ونحوها والغرور ما يغر الإنسان مما لا يدوم وقيل الغرور الباطل ومعنى الآية أن منفعة الإنسان بالدنيا كمنفعته بهذه الأشياء التي يستمتع بها ثم يزول عن قريب وقيل متاع متروك يوشك أن يضمحل ويزول فخذوا من هذا المتاع واعملوا فيه بطاعة الله ما استطعتم قال سعيد بن جبير هي متاع الغرور لمن لم يشغل بطلب الآخرة فأما من اشتغل بطلب الآخرة فهي له متاع ويبلغ إلى ما هو خير منها (ق) عن أنى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل «أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» وأقرعوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين زاد الترمذى «وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها» وأقرعوا إن شئتم «وظل ممدود ولموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها» وأقرعوا إن شئتم «فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور» . قوله عز وجل (لَتَلَوَّنَّ) اللام لام القسم تقديره والله لتبلون أى لتختبرن فتوقع عليكم المحن ليعلم المؤمن من غيره والاختيار طلب المعرفة ليعرف الجيد من الردىء وذلك في وصف الله محال لأن الله تعالى عالم بحقائق الأشياء كلها قبل أن يخلقها فعلى هذا يكون معنى الاختيار في وصف الله تعالى أنه يعامل العبد معاملة المختبر (في أموالكم) يعنى بالابتلاء في الأموال بالانقصان منها وقيل بأداء ما فرض فيها من الحقوق (وأنفسكم) يعنى بالمصائب والأمراض والقتل وفقد الأقراب والعشائر

شئتم «فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون» وأن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، وأقرعوا «إن شئتم» وظل ممدود ولموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما عليها «وأقرعوا إن شئتم» فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور» (لتبلون في أموالكم وأنفسكم) الآية قال عكرمة ومقاتل والكلبي وابن جرير

نزلت في الآية في أبي بكر وفتحنا من ابن عازوراء وذلك أن النبي ﷺ بعث أبا بكر إلى فنحاص بن عازوراء سيد بني قينقاع ليستمده. وكتب إليه كتابا وقال لأبي بكر رضي الله عنه لا تفتان علي بشيء حتى ترجع فجاء أبو بكر رضي الله عنه وهو متوشح بالسيف فأعطاه الكتاب فلما قرأه قال قد احتاج ربك إلى أن نمده فهم أبو بكر رضي الله عنه أن يضره بالسيف ثم ذكر قول النبي ﷺ لا تفتان علي بشيء حتى ترجع فكف فنزلت هذه الآية وقال الزهري نزلت في كعب بن الأشرف فإنه كان يهجو رسول الله ﷺ ويسب المسلمين ويحرض المشركين على النبي ﷺ وأصحابه في شعره ويسب نساء المسلمين فقال النبي ﷺ من لي يا ابن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله فقال محمد بن مسلمة الأنصاري أنا لك يا رسول الله أنا قتله قال فافعل إن قدرت على ذلك فرجع محمد بن مسلمة فكث ثلاثا لا يطعم ولا يشرب إلا ما تعلق به نفسه فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعا وقال له لم تركت الطعام والشراب قال يا رسول الله قلت قولاً ولا أدري هل أفي به أم لا فقال إنما عليك الجهد فقال يا رسول الله إنه لا بد لنا من أن نقول فيك قال قولوا ما بدنا لكم وأنتم في حل من ذلك فاجتمع في قتله محمد بن سلمة وسليمان بن سلام وأبو نائلة وكان أخوا كعب من الرضاة وعباد بن بشر والحارس بن أوس وأبو عيسى بن جبير ففشي معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقم ثم وجههم وقال انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في ليلة مقمرة فأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه فقدموا أبا نائلة فجاءه فتحدث معه ساعة وتناشد الشعر وكان أبو نائلة يقول الشعر ثم قال وحك يا ابن الأشرف إنني قد جئت لك لحاجة أريد ذكرها لك فآتم على قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل بلادنا بلاء عادتنا العرب ورمونا عن قوس واحدة وانقطعت عنا السبل حتى ضاعت العيال وجهدت الأنفس فقال كعب أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرتك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى هذا فقال أبو نائلة أن معي أصحابا أردنا أن تبعنا طعامك وترهقك ونوثق لك ونحسن في ذلك قال أترهوني أبناءكم قال إنا نستحي أن يعبر أبناءنا فيقال هذا رهينة وسقى وهذا رهينة وسقى قال أترهوني نساءكم قالوا كيف ترهقك (٤٦٢) نساءنا وأنت أجمل العرب ولا تأمنك أية امرأة تمنع منك الجمالك

خطب بهذه الآية المسلمون ليوطنوا أنفسهم على احتمال الأذى وما سيلقون من الشدائد والمصائب ليصبروا على ذلك حتى إذ لقوها لقوها وهم مستعدون بالصبر لحال برهقهم ما يرهق

واسكا ترهقك الحلقة
يعني السلاح وقد علمت
حاجتنا إلى السلاح قال

غيرهم

نعم وأراد أبو نائلة أن لا يشكر السلاح إذا رآه فوعده أن يأتيه فرجع

أبو نائلة إلى أصحابه فأخبرهم خبره فأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه ليلا فهتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس فوثب من ملحفته فقالت امرأته أسمع صوتنا يقطر منه الدم وأنت رجل محارب وأن صاحب الحرب لا ينزل في مثل هذه الساعة فنكلمهم من فوق الحصن فقال إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيحي أبو نائلة وأن هؤلاء لو وجدوني نأتما ما يقظوني وأن الكرم إذا دعى إلى طعنة بليل أجاب فنزل إليهم فتحدثوا معه ساعة ثم قالوا يا ابن الأشرف هل لك إلى أن تتأثني إلى شعب العجود نتحدث فيه بقية ليلتنا هذه قال إن شئتم فخرجوا يتأشون وكان أبو نائلة قال لأصحابه إنني نائل شعره فأشبهه ، فإذا رأيتوني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه ثم إنه شام يده في فود رأسه ثم شم يده فقال ما رأيت كالبيلة طيب عروس قط قال إنه طيب أم فلان يعني امرأته ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة فعاد لمثلها ثم أخذ بفود رأسه حتى استمكن ثم قال اضربوا عدو الله فاختلف عليه أسياقهم فلم تغن شيئا قال محمد بن مسلمة قد كرت مغولا في مسبي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار قال فوضعت في ثنودته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عاتنه ووقع عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رأسه أصابه بعض أسياقنا قال فخرجنا وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس يجرح في رأسه ونزفه الدم ثم فوقفنا له ساعة ثم أتانا بقيع آثارنا فاحتملناه فجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج إلينا فأخبرنا به بقتل كعب وجئنا برأسه إليه وتفل على جرح صاحبنا ، فرجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت اليهود وقرعتنا بعدو الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتهم به من رجال اليهود فاقتلوه فوثب محبصة بن مسعود على سفينة رجل من تجار اليهود كان يلبسهم ويأبئهم فقتله وكان حويصة ابن مسعود إذ ذاك لم يسلم وكان أسير من محبصة فلما قتله جعل حويصة يضره ويقول أي عدو الله قتلته أما والله لرب شيم في بطنك من ماله قال محبصة والله لو أمرني بقتلك من أمرني بقتله لضربت عنقك قال لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني قال نعم قال والله أن ذبنا بلغ بك هذا العجب

غيرهم ممن تصيبه الشدة بغتة فينكرها ويشتمز منها (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) قال عكرمة نزلت في أبي بكر الصديق وفتحاحص بن عازوراء وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر إلى فتحاحص سيد بني قينقاع يستمده وكتب إليه معه كتابا وقال لأبي بكر لا تفتان على بشيء حتى ترجع فجاء أبو بكر وهو متوشح بالسيف إلى فتحاحص وأعطاه الكتاب فلما قرأه قال فتحاحص قد احتاج ربك حتى نمده فهم أبو بكر أن يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفتان على بشيء حتى ترجع فنزلت الآية وقال الزهري نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وكعب بن الأشرف اليهودي وذلك أنه كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على قتالهم في شعره (ق) عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من لكعب بن الأشرف فإنه قد أذى الله ورسوله قال محمد بن مسلمة أتجأ أن أقتله قال نعم قال ابن الأثير قال فإنه فقال له وذكر ما بينهم وقال إن هذا الرجل قد أراد الصدقة وقد عانا فلما سمعه قال وأيضا والله لقتله قال إنا قد اتبعناه ونكره الآن أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير أمره قال وقد أردت أن تسلفني سلفا قال فما ترهنني أترهنني نساء كم؟ قال أنت أجمل العرب أترهنك نساءنا قال له ترهنون أولادكم قال يسب ابن أحدنا فيقال رهن في وسقين من تمر ولكن ترهنك اللامة يعني السلاح قال نعم وواعده أن يأتيه بالحارث وأبي عيسى بن جبر وعباد ابن بشر قال فجاءوا فدعوه ليلا فنزل إليهم قالت امرأته إنني لأسمع صوتا كأنه صوت دم قال إنما هو محمد ورضيعي أبو نائلة أن الكرم لو دعى إلى طعنة ليلا لأجاب قال محمد إنني إذا جاء فسوف أمد يدي إلى رأسه فإذا استمكنت منه فدونكم قال فلما نزل زل وهو متوشح فقالوا نجد منك ريح الطيب قال نعم تحمى فلا تة أعطر نساء العرب قال فتأذن لي أن اسم منه قال نعم فشم فتناول فشم ثم قال أتأذن لي أن أعود فاستمكن من رأسه ثم قال دونكم فقتلوه زاد في رواية ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وزاد أصحاب السير والمغازي فاختلف عليهم أسياهم فلم تغن شيئا قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا في سبي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا وأوقدت عليه نار قال فوضعت في ثنودته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عاتته ووقع عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس يجرح في رأسه أصابه بعض أسيافنا فخرجنا وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث ونزفها الدم فوقنا له ساعة حتى أتانا يتبع آثارنا فحملناه وجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج علينا فأخبرنا به بقتل كعب بن الأشرف وجئنا برأسه إليه وثقل على جرح صاحبنا فرجعنا إلى أهلنا وأصبحنا وقد خافت اليهود وقعتنا يدعو الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرت به من رجال اليهود فقتلوه وأنزل الله عز وجل في شأن كعب بن الأشرف اليهودي لتبطلن في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن الذين أشركوا يعني مشركي العرب أذى كثيرا يعني بالأذى قول اليهود إن الله فقير ونحن أغنياء وما أشبه ذلك من افتراءهم وكذبهم على الله ورسوله وما كان كعب بن الأشرف يهجو به النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين فهذا هو الأذى الكثير (وإن تصبروا وتمنوا) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين يعني وإن تصبروا على أذاهم وتمنوا فيها أمركم به ونهاكم عنه لأن الصبر عبارة عن احتمال الأذى والمكروه والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغي (فإن ذلك من عزم الأمور)

فأسلم حويصة فأزل الله تعالى في شأن كعب (لتبطلن) لتختبرن اللام للتأكيد، وفيه معنى القسم والتون لتأكيد القسم (في أموالكم) بالجوانح والعايات والخسران وأنفسكم بالأمراض وقيل بمصائب الأقارب والعشائر قال عطاء هم المهاجرون أخذ المشركون أموالهم ورباعهم وعذبوهم وقال الحسن هو ما فرض عليهم في أموالهم وأنفسهم من الخوق كالصلاة والصيام والحج والجهاد والزكاة (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني اليهود والنصارى (ومن الذين أشركوا) يعني مشركي العرب (أذى كثيرا وإن تصبروا) على أذاهم (وتنقوا) الله (فإن ذلك من عزم الأمور) من حق الأمور وخبرها وقال عطاء من حقيقة

الإيمان (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكفرونه) قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر بالياء
فيها القول تعالى فنبذوه وراء ظهورهم، وقرأ الآخرون بالياء فيها على إضمار القول (فنبذوه وراء ظهورهم)

أي طرحوه وضيعوه وتركوا العمل به (واشتروا به ثمنا قليلا) يعني المأكل والرشاش فبئس ما يشترون) قال قتادة هذا ميثاق أخذه الله تعالى على أهل العلم فمن علم شيئا فليعلمه وإياكم وكتبان العلم فانه هلكة وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الآية وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفى أخبرنا أبو معاذ الشاه بن عبد الرحمن أخبرنا أبو بكر عمر بن سهل وإسماعيل الدينورى أخبرنا أحمد بن محمد ابن عيسى البرقي أخبرنا أبو حذيفة موسى بن مسعود أخبرنا إبراهيم ابن طهمان عن معاذ ابن حرب عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم من علم علمه فكماله يوم القيامة بلجام من نار وقال الحسن بن عمارة أتيت

أى من صواب التدبير الذى لا شك أن الرشد فيه ولا ينبغي لعاقل تركه وأصله من قولك عزمت عليك أن تفعل كذا أى ألزمتك أن تفعله لا محالة ولا تتركه وقيل معناه فان ذلك مما قد عزم عليك فعله أى ألزمتك الأخذ به . قوله تعالى (وإذا أخذ الله) أى واذا ذكر يا محمد وقت إذ أخذ الله (ميثاق الذين أوتوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى والمراد منهم العلماء خاصة وقيل المراد بالذين أوتوا الكتاب العلماء والأخبار من اليهود خاصة وأخذ الميثاق هو التوكيد والإلزام لبيان ما أوتوه من الكتاب وهو قوله تعالى (ليبينه للناس) يعنى ليبين ما فى الكتاب ولتظهره للناس حتى يعلموه وذلك أن الله أوجب على علماء التوراة والإنجيل أن يشرحوا للناس ما فى هذين الكتابين من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ولا يكفرونه) يعنى ولا يخفون ذلك عن الناس (فنبذوه) يعنى الكتاب وقيل الميثاق (وراء ظهورهم) أى فطرحوه وضيعوه وتركوا العمل به (واشتروا به ثمنا قليلا) يعنى المأكل والرشاش التى كانوا يأخذونها من عوامهم وسفلةهم (فبئس ما يشترون) ذمهم الله تعالى على فعلهم ذلك . واعلم أن ظاهر هذه الآية وإن كان مخصوصا بعلماء أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فلا يبعد أن يدخل فيه علماء هذه الأمة الإسلامية لأنهم أهل كتاب وهو القرآن وهو أشرف الكتب قال قتادة هذا ميثاق أخذه الله تعالى على أهل العلم فمن علم شيئا فليعلمه وإياكم وكتبان العلم فانه هلكة وقال أيضا مثل علم لا يقال به كمثل كثر لا يتفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم لا يأكل ولا يشرب وقال أيضا طوبى لعالم فاطق ومستمع واع هذا علم علما فبدله وهذا سمع خيرا فقبله ووعاه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه ألبم « بلجام من نار » أخرجه الترمذى ولأنى داود « من سئل عن علم فكتمه ألبم الله بلجام من نار يوم القيامة » وقال أبو هريرة لولا ما أخذ الله عز وجل على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الآية « وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب » الآية وقال الحسن بن عمارة أتيت الزهرى بعد أن ترك الحديث فقلت على بابي فقلت أريد أن تحدثني فقال أما علمت أنى قد تركت الحديث فقلت إما أن تحدثني وإما أن أحدثك قال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عيينة عن يحيى بن الخراز قال سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا قال فحدثني أربعين حديثا . قوله عز وجل (لأنحسبن الذين يفرحون) قرئ بالياء على الخطاب أى لأنحسبن يا محمد الفارحين الذين يفرحون وقرئ بالياء على الغيبة يعنى ولا يحسبن الفارحون والمعنى لا يحسبن الذين يفرحون فرحهم منجيا لهم من العذاب نزلت هذه الآية فى المنافقين (ق) عن أبي سعيد الخدرى أن رجلا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم بخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتنقوا إليه وحلفوا له وأحبوا أن يحمدا بما لم يفعلوا فنزلت لأنحسبن الذين يفرحون بما أوتوا الآية وقيل نزلت فى اليهود (ق) عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن مروان قال اذهب يارافع

الزهرى بعد أن ترك الحديث فقلت على بابي فقلت أريد أن تحدثني فقال أما علمت أنى قد تركت الحديث فقلت ليوابه إما أن تحدثني وإما أن أحدثك فقال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عيينة عن يحيى بن الخراز قال سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا قال فحدثني أربعين حديثا (لأنحسبن الذين يفرحون

عما أتوا) الآية قرأ عاصم وحزمة والكسائي لأحسن بالثناء أي لأحسنين يا محمد الفارحين وقرأ الآخرون بالياء أي لأحسنين الفارحين فرحهم منجيا لهم من العذاب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو فلا تحسبنهم بالياء وضم الياء خبرا عن الفارحين أي فلا تحسبن أنفسهم وقرأ الآخرون بالثناء وفتح الياء أي فلا تحسبنهم يا محمد وأعاد قوله فلا تحسبنهم تأكيدا وفي حرف عبد الله ابن مسعود ولا يحسن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا بمفازة من العذاب من غير تكرار واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا سعيد بن أبي مرزوق أنا محمد بن جعفر حدثني زبير بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رجلا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم بخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتزلوا إليه

وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا افتزل لأحسنين الذين يفرحون بما أتوا الآية وأخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إبراهيم بن موسى أنا هشام بن جريح أخبرهم قال أخبرني ابن أبي مليكة أن علقمة ابن وقاص أخبره أن مروان قال لبوابه اذهب يارافع إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقل له لأن كان كل امرئ فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لتعذب أجحوم فقال ابن عباس مالكم ولهذا إنما دعا

لبوابه إلى ابن عباس فقل لأن كان كل امرئ فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل لتعذب أجحوم قال ابن عباس مالكم ولهذا الآية إنما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب ثم تلا ابن عباس «وإذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس الآية وتلا ابن عباس ولا يحسن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا» وقال ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتبه، وهو إياه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألتهم عنه واستحمدوا إليه بذلك وفرحوا بما أتوا من كتابهم إياه ما سألتهم عنه (بما أتوا) يعني يفرحون بما فعلوا (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) أي ويحبون أن يمدحهم الناس على شيء لم يفعلوه قيل عنى بذلك قوما من أجباز اليهود كانوا يفرحون بأضلالهم الناس ونسبة الناس إياهم إلى العلم قال ابن عباس «وإذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب إلى قوله ولهم عذاب أليم» يعني فنحاص وأسبيع وأشاههما من الأجباز الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا أي يقول الناس لهم علماء وليسوا بأهل علم وقيل هم اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنهم كتبوا إلى يهود العراق والشام واليمن ومن يبلغهم كتابهم من اليهود في الأرض كلها أن محمدا ليس بنبي فآثبوا على دينكم فاجتهدت كلمتهم على الكفر ففرحوا بذلك وقالوا نحن أهل الصوم والصلاة وأحبوا أن يحمدوا على ذلك وقيل فرحوا بما أتوا من تبديلهم التوراة وأحبوا أن يمدحهم الناس على ذلك وقيل أن يهود خيبر أتت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وقالوا لأصحابه نحن على رأيكم ونحن لكم ردة وليس ذلك في قلوبهم وأحبوا أن يمدحهم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون على ذلك (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) أي فلا تظننهم بمنجاة من العذاب الذي أعد الله لهم في الدنيا من القتل والأسر وضرب

(٥٩ - خازن بالبغوي - أول)

النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألتهم عن شيء فكتبه، وهو إياه فأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فبا سألتهم وفرحوا بما أتوا من كتابهم ثم قرأ ابن عباس رضي الله عنهما وإذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب كذلك إلى قوله يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال عكرمة نزلت في فنحاص وأسبيع وغيرهما من الأجباز يفرحون بأضلالهم الناس بنسبة الناس إياهم إلى العلم وليسوا بأهل العلم وقال مجاهد هم اليهود فرحوا باعجاب الناس بتبديلهم الكتاب وحمدهم إياه عليه وقال سعيد ابن جبير هم اليهود فرحوا بما أعطى الله آل إبراهيم وهم براهم ذلك وقال قتادة ومقاتل أتت يهود خيبر نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وإنا على رأيك ونحن لك ردة وليس ذلك في قلوبهم فلما أخرجوا قال لهم المسلمون ما صنعتم قالوا عرفناه وصدقناه فقال لهم المسلمون أحسنتم هكذا فافعلوا فحمدوهم ودعوا لهم فأزل الله تعالى هذه الآية وقال يفرحون بما أتوا قال الفراء بما فعلوا كما قال الله تعالى ولقد جئت شيئا فريا أي فعلت (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة) بمنجاة (من العذاب

ولهم عذاب أليم والله ملك السموات والأرض) يصرفها كيف يشاء (والله على كل شيء قدير) إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين الإسفراييني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الخافظ أنا أحمد بن عبد الجبار أنا ابن فضيل عن حصين بن عبد الرحمن عن حبيب بن أبي ثابت عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه رقد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤٦٦) فرآه استيقظ فتسوك ثم توضأ وهو يقول إن في خلق السموات والأرض

الجزية والذلة والصغار (وهم عذاب أليم) يعني في الآخرة وهذه الآية وإن كانت قد نزلت في اليهود أو المنافقين خاصة فإن حكمها عام في كل من أحب أن يحمد بما لم يفعل من الخير والصلاح أو ينسب إلى العلم وليس هو كذلك. قوله عز وجل (والله ملك السموات والأرض) يعني أنه تعالى مالك لما فيهما جميعا يتصرف فيهما كيف يشاء وفيه تكذيب لمن قال إن الله فقير ونحن أغنياء يقول الله عز وجل إن من له جميع ما حوته السموات والأرض من شيء كيف يكون فقيرا (والله على كل شيء قدير) يعني أنه تعالى قادر على تعجيل العقوبة لهم على ذلك القول ولكنه تفضل على خلقه بامهالهم. قوله عز وجل (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) قال ابن عباس إن أهل مكة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية فنزلت هذه الآية والمعنى تفكروا واعتبروا أيها الناس في خلقه وأنشأته من السموات والأرض لمعاشكم وأرزاقكم وفيما عقب من ذلك بين الليل والنهار واختلافهما في الطول والقصر فجعلتهما مختلفان ويعتقبان عليكم لكي تنصرفوا فيهما لمعاشكم تطيلون أرزاقكم في النهار وتمسكون في الليل لراحة أجسادكم فاعتبروا وتفكروا بأولي الألباب يعني ياذون العقول الصافية يعني الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار لا ينظرون إليهما نظر البهائم غافلين عما فيهما من عجائب مخلوقاته وغرائب مبتدعاته (ق) عن ابن عباس أنه بات عند ميمونة أم المؤمنين وهي خالته قال: فقلت لأتظنن إلى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرحته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في طولها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر آيات الخواتيم من سورة آل عمران ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام يصلي قال عبد الله بن عباس فقامت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقامت إلى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذني ففعلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع حتى جاء المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح وفي رواية فقامت عن يساره فأخذني فجعلني عن يمينه وفي رواية قال بت في بيت خالتي ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الأخير قعد فنظر إلى السماء فقال (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) وذكره. قوله تعالى (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) قال

حتى ختمت السورة ثم قام فصل ركعتين فأطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفيخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات ست ركعات كل ذلك يستاك ثم يتوضأ ثم يقرأ هؤلاء الآيات ثم أوتر بثلاث ركعات ثم أتاه المؤذن فخرج إلى الصلاة وهو يقول اللهم اجعل في بصري نورا وفي سمعي نورا واجعل من خلقى نورا ومن أممي نورا واجعل من فوقى نورا ومن تحتي نورا اللهم أعطني نورا ورواه كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما وزاد اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يساري نورا. قوله تعالى لآيات لأولي الألباب فقال (الذين يذكرون الله قياما

وقعودا وعلى جنوبهم) قال علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما والنخعي وقتادة هذا في الصلاة يصلي قائما على فان لم يستطع فقاعدا فان لم يستطع فعلى جنب أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد هيد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي أنا هناد أنا وكيع عن إبراهيم بن طهمان عن حسين المعلم عن عبد الله بن يزيد عن عمران بن حصين قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة المريض فدل وصلي قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب، وقال سائر المفسرين أراد به المداومة على الذكر في

علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وقتادة هذا في الصلاة يعني الذين يصلون قياما فان
عجزوا فقعودا فان عجزوا فعلى جنوبهم والمعنى أنهم لا يتركون الصلاة في حال من الأحوال بل
يصلون في كل حال (خ) عن عمران بن حصين قال كانت لي بواسير فسألت النبي صلى الله عليه
وسلم عن الصلاة فقال وصل قائما فان لم تستطع فقعادا فان لم تستطع فعلى جنب أخرجه الترمذي
وقال فيه سألت عن صلاة المريض وذكر نحوه قال الشافعي رضي الله تعالى عنه إذا صلى المريض
مضطجعا وجب عليه أن يصل على جنب ويومي برأسه إيماء وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى
يل يصل مستلقيا على ظهره فان وجد خفة قعد وحجة الشافعي ظاهر الآية وهو قوله تعالى وعلى
جنوبهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعمران ابن حصين فان لم تستطع فعلى جنب فنص على الجنب
دون غيره وقال أكثر المفسرين المراد به المداومة على الذكر في غالب الأحوال لأن الإنسان قل
أن يخلو من إحدى هذه الثلاث حالات وهي: القيام والقعود وكونه قائما على جنبه (م) عن عائشة
رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله عز وجل في كل أحيائه
وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قعد مقعدا لم يذكر
الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضطجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله
ترة ومما شئني أحد ممشي لا يذكر الله فيه إلا كانت عليه من الله ترة» أخرجه أبو داود والثرية
التقص وقيل هي هنا التبعة. وقوله تعالى (ويتفكرون في خلق السموات والأرض) أصل الفكر
إعمال الخاطر في الشيء وتردد القلب في ذلك الشيء وهو قوة متطرفة للعلم إلى المعلوم والتفكير
جريان تلك القوة بحسب نظر العقل ولا يمكن التفكير إلا في صورة في القلب ولهذا قيل
تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله إذ الله منزه أن يوصف بصورة فلذلك أخبر عن عباده
الصالحين بأنهم يتفكرون في خلق السموات والأرض وما أبدع الله فيهما من عجائب مصنوعاته
وغرائب مبدعاته ليلطم ذلك على كمال قدرة الصانع سبحانه وتعالى ويعلموا أن لهما خالقا
قادرا مدبرا حكما لأن عظم آثاره وأفعاله تدل على عظم خالقتها سبحانه وتعالى كما قيل:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وقيل إن الفكر مقلوب عن الفرك لأن الفكر مستعمل في المعاني وهو فرك الأمور ونحوها طلبا
للمعنى إلى حقيقتها وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الحشية كما يحدث الماء للزرع
النماء وما جلبت القلوب بمثل الأحران ولا استنارت بمثل الفكرة (ربنا) أي ويقولون ربنا وقيل معناه
ويتفكرون في خلق السموات والأرض قائلين ربنا (ما خلقت هذا باطلا) يعني عبثا وهزلا بل
خلقته دليلا على وحدانيتك وكمال قدرتك (سبحانك) تنزيها لك عن أن تخلق شيئا عبثا لغير
حكمة (فقتنا عذاب النار) يعني إننا قد صدقنا بوحدانيتك وإن لك الجنة ونارا فقتنا عذاب النار والمقصود
من قوله سبحانك فقتنا عذاب النار تعليم عباده كيفية الدعاء فمن أراد أن يدعو فليقدم الثناء على
الله أولا ويبدل عليه قوله سبحانك وبعد ذلك الثناء يأتي بالدعاء ويبدل عليه قوله فقتنا عذاب النار
(ربنا إنك من تدخل النار فقد أجزيت) أي أهدته وأذلته وقيل أهلكته وقيل فضحته وأبلغت
في إيذائه والخزى ضرب من الاستخفاف أو انكسار يلحق الإنسان وهو الحياء المفرط. فان
قلت قد تمسكت المعتزلة بهذه الآية وقالوا قد أخبرنا الله أنه لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه
فوجب أن كل من يدخل النار لا يكون مؤمنا لقوله إنك من تدخل النار فقد أجزيت والمؤمن

عموم الأحوال لأن
الإنسان قل ما يخلو من
إحدى هذه الحالات
الثلاث نظيره في سورة
النساء فاذا قضيت الصلاة
فاذكروا الله قياما وقعودا
وعلى جنوبكم (ويتفكرون
في خلق السموات
والأرض) وما أبدع
فيهما ليلطم ذلك على
قدرة الله ويعرفوا أن
لها صناعا قادرا مدبرا
حكما قال ابن عوان
الفكرة تذهب الغفلة
وتحدث للقلب الحشية
كما يحدث الماء للزرع
النماء وما جلبت القلوب
بمثل الأحران ولا
استنارت بمثل الفكرة
(ربنا) أي ويقولون ربنا
(ما خلقت هذا) رده إلى
الخلق فلذلك لم يقل هذه
(باطلا) أي عبثا وهزلا
بل خلقته لأمر عظيم
وانتصب باطلا يزرع
الحافض أي بالباطل
(سبحانك فقتنا عذاب
النار ربنا إنك من تدخل
النار فقد أجزيت) أي
أهدته وقيل أهلكته وقيل
فضحته لقوله تعالى
«ولا تخزون في ضيقي» فان
قيل قد قال الله تعالى

لا يخزي . قلت قد ذكر العلماء في الجواب وجوها أحدها ما روى عن أنس في تفسير قوله تعالى إنك من تدخل النار فقد أخزيته قال من مخلده وروى نحوه عن سعيد بن المسيب قال هي خاصة لمن لا يخرج منها وهذا الجواب إنما يصح على مذهب أهل السنة الذين يرون إخراج الموحدين من النار أما على مذهب المعتزلة فلا يصح هذا الجواب لأن مذهبهم أن الفاسق مخلد في النار فهو داخل في قوله تعالى فقد أخزيته ، الوجه الثاني في الجواب أن المدخل في النار مخزي في حال دخوله وإن كانت عاقبته أن يخرج منها ومعنى الآية على هذا فقد أخزيته بدخوله فيها وتعذيبه بها وبدل على صحة هذا المعنى ما روى عن عمرو بن دينار قال قدم علينا جابر بن عبد الله في عمرة فأنشيت إليه أنا وعطاء فسأته عن هذه الآية ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته فقال وما أخزاه حين أحرقه بالنار إن دون ذلك خزيا وهذا الوجه هو اختيار ابن جرير الطبري لأن من أدخل النار فقد أخزي بدخوله إياها وإن أخرج منها وذلك الخزي هو هتك الخزي وفضيحه وقال ابن الأثيري حمل الآية على العموم أولى من نقلها إلى الخصوص إذ لا دليل عليه ، الوجه الثالث في الجواب ما قاله أهل المعاني وهو أن الخزي يحتل معاني منها الإهانة والإهلاك والإبعاد وهذا للكفار ومنها الإحجال يقال خزي خزيا إذا استحي وإذا عمل عملا يستحي منه ويحجل فيكون خزي المؤمن الذي يدخل النار الحياء من المؤمنين بدخوله النار إلى أن يخرج منها وخزي الكافر الملاك بالخلود في النار وحاصل هذا الجواب أن لفظ الإخزاء مشترك بين التخجيل والإهلاك واللفظ المشترك لا يمكن حمله في طرفي النفي والإثبات على معنيين جميعا وهذا يسقط الاستدلال ، الوجه الرابع في الجواب وهو الذي اختاره الفخر الرازي وصححه أن قوله تعالى «يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه» لا يقتضي نفي الإخزاء مطلقا وإنما يقتضي أن لا يحصل الإخزاء حال ما يكونون مع النبي وهذا النفي لا يناقضه إثبات الإخزاء في الجملة لاحتمال أن يحصل ذلك الإثبات في وقت آخر والله أعلم وقوله تعالى (وما للظالمين) يعني المشركين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها (من أنصار) يعني ينصرونهم يوم القيامة ويمنعونهم من العذاب . قوله عز وجل (ربنا إنا سمعنا مناديا ينادي للإيمان) قال ابن عباس وأكثر المفسرين المنادى هو محمد صلى الله عليه وسلم وبدل على صحة هذا قوله تعالى «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة» وقوله «وداعيا إلى الله باذنه» وقال محمد بن كعب القرظي المنادى هو القرآن قال إذ ليس كل أحد تلقى النبي صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول أن كل أحد يسمع القرآن ويفهمه فاذا وفقه الله تعالى للإيمان به فقد فاز به وذلك لأن القرآن مشتمل على الرشد والهدى وأنواع الدلائل الدالة على الوحدانية فصار كالمدعى إليها واللام في الإيمان بمعنى إلى يعني ينادي إلى الإيمان (أن آمنوا بربكم فآمنوا) أي فصدقتنا (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا أي كبار ذنوبنا) وكفر عنا سيئاتنا) أي صغائر ذنوبنا وقيل أن الغفر هو السر والتغطية وكذلك التصكير فهما بمعنى واحد وإنما ذكرهما للتأكيد لأن الإلحاح في الدعاء والمبالغة فيه مندوب إليه وقيل معناه اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا في المستقبل وقيل يريد بالغفران ما يزيل بالتوبة من الذنوب وبالثكفير ما يكفر بالطاعات من الذنوب (وتوفنا مع الأبرار) يعني في جملتهم وزمرتهم والأبرار هم الأنبياء والصالحون والمعنى توفنا على مثل أعمالهم حتى نكون في درجاتهم يوم القيامة وقيل توفنا في جملة أتباعهم وأشياعهم (ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك) يعني على السنة رسلك وقيل معناه وآتانا ما وعدتنا على تصديق رسلك . فان قلت كيف سألوا الله إنجاز ما وعد والله

«يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه» ومن أهل الإيمان من يدخل النار وقد قال إنك من تدخل النار فقد أخزيته فكيف الجمع قيل قال أنس وقادة معناه إنك من مخلده في النار فقد أخزيته وقال سعيد بن المسيب هذه خاصة لمن لا يخرج منها فقد روى أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وأن الله يدخل قوما النار ثم يخرجون منها (وما للظالمين من أنصار) يعني إنا سمعنا مناديا (يعني محمدا صلى الله عليه وسلم) قاله ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وأكثر الناس وقال القرظي يعني القرآن فليس كل واحد تلقى النبي صلى الله عليه وسلم (ينادي للإيمان) إلى الإيمان (أن آمنوا بربكم فآمنوا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار) أي في جملة الأبرار (ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك) أي على السنة رسلك

(ولا تخزنا) ولا تعذبنا ولا تنهكنا ولا تفضحنا ولا تهنا (يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) فان قيل ما وجه قولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك وقد عبدوا أن الله لا يخلف الميعاد قيل لفظه دعاء ومعناه خير أي لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك تقديره فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ولا تخزنا يوم القيامة لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك من الفضل والرحمة وقيل معناه ربنا واجعلنا ممن يستحقون ثوابك وتؤتيتهم ما وعدتهم على السنة رسلك لأنهم لم يتيقنوا (٤٦٩) استحقاتهم لتلك الكرامة فسألوه

أن يجعلهم مستحقين لها وقيل إنما سألوه تعجيل ما وعدهم من النصر على الأعداء وقالوا قد علمنا أنك لا تخلف وعدك من النصر ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل خزيهم وانصرتنا عليهم قوله تعالى (فاستجاب لهم ربهم أي) أي بآتي (لا أضيع) لا أحبط (عمل منكم) أيها المؤمنون (من ذكر أو أنثى) قال مجاهد قالت أم سلمة يا رسول الله إني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فأُنزل الله تعالى هذه الآية (بعضكم من بعض) قال الكلبى في الدين والنصرة والموالاته وقيل كلكم من آدم وحواء وقال الضحاك رجالكم شكل نساءكم ونسؤكم شكل رجالكم في الطاعة كما قال والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض (فالذين هاجروا

لا يخلف الميعاد . قلت معناه أنهم طلبوا من الله تعالى التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب إنجاز الميعاد وقيل هو من باب اللجأ إلى الله تعالى والتدليل له وإظهار الخضوع والعبودية كما أن الأنبياء عليهم السلام يستغفرون الله مع علمهم أنهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم سبحانه وتعالى والتضرع إليه واللجأ إليه الذي هو سبب العبودية وقيل معناه ربنا واجعلنا ممن يستحق ثوابك وتؤتيتهم ما وعدتهم على السنة رسلك لأنهم لم يتيقنوا استحقاتهم لتلك الكرامة فسألوه أن يجعلهم مستحقين لها وقيل إنما سألوه تعجيل ما وعدهم من النصر على الأعداء وقالوا قد علمنا أنك لا تخلف الميعاد ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل هلاكهم وانصرتنا عليهم (ولا تخزنا يوم القيامة) يعني ولا تهلكنا ولا تفضحنا ولا تهنا في ذلك اليوم فان قلت قوله وآتنا ما وعدتنا على رسلك يدل على طلب الثواب ومتى حصل الثواب اندفع العقاب لا محالة فما معنى قوله ولا تخزنا وهو طلب دفع العقاب عنهم قلت المقصود من الآية طلب التوفيق على الطاعة والمعصية عن فعل المعصية كأنهم قالوا وفقنا للطاعات وإذا وفقنا لها فاعصمتنا عن فعل ما يبطلها ويوقعنا في الخزي وهو الهلاك ويحتمل أن يكون قوله ولا تخزنا يوم القيامة سببا لقوله تعالى «ويدأبهم من الله ما لم يكونوا يحسبون» فانه ربما يظن الانسان أنه على عمل صالح فاذا كان يوم القيامة ظهر أنه على غير ما يظن فيه حصل الخجل والحسرة والندامة في موقف القيامة فسألوا الله تعالى أن يزيل ذلك عنهم فقالوا (ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) . قوله تعالى (فاستجاب لهم ربهم) يعني أجاب دعاءهم وأعطاهم ما سألوه (أي) أي وقال لهم أي (لا أضيع عمل عامل منكم) يعني لا أحبط عملكم أيها المؤمنون بل أثبتكم عليه (من ذكر أو أنثى) يعني لا أضيع عمل عامل منكم ذكرا كان أو أنثى عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله ما أسمع الله تعالى ذكر النساء في الهجرة بشيء فأُنزل الله تعالى «إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض إلى والله عنده حسن الثواب» أخرجه الترمذي وغيره . وقوله تعالى (بعضكم من بعض) يعني في الدين والنصرة والموالاته وقيل كلكم من آدم وحواء وقيل بمعنى الكفاف أي بعضكم كيبعض في الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية فهو كما يقال فلان منى يعني على خاتمي وسيرتي وقيل إن الرجال والنساء في الطاعة على شكل واحد (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي) يعني المهاجرين الذين هجروا أوطانهم وأهلهم وأذاهم المشركون بسبب إسلامهم ومتابعيتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا مهاجرين إلى الله ورسوله وتركوا أوطانهم وعشائرهم لله ورسوله ومعنى في سبيلي في طاعتي ودينى وابتغاء مرضاتى وهم المهاجرون الذين أخرجهم المشركون من مكة فهاجروا طائفة إلى الحبشة وطائفة إلى المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد هجرته فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة رجع إليه من كان هاجر إلى الحبشة من المسلمين (وقاتلوا وقتلوا) يعني وقاتلوا العدو واستشهدوا في جهاد الكفار (لا تكفرون عنهم سيئاتهم) يعني لا يحون

وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي) أي في طاعتي ودينى وهم المهاجرون الذين أخرجهم المشركون من مكة (وقاتلوا وقتلوا) قرأ ابن عامر وابن كثير قتلوا بالتشديد وقال الحسن يعني أنهم قطعوا في المعركة والآخرون بالتخفيف ، وقرأ أكثر القراء وقتلوا وقتلوا يريد أنهم قاتلوا العدو ثم أنهم قتلوا وقرأ حمزة والكسائي قتلوا وقتلوا وله وجهان أحدهما معناه وقاتل من بقى منهم ومعنى قوله وقتلوا أي قتل بعضهم تقول العرب قتلنا بئني فلان وإنما قتلوا بعضهم والوجه الآخر وقتلوا وقتلوا (لا تكفرون عنهم سيئاتهم

ولادخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله (نضب على القطع قاله الكسائي وقال المراد مصدر
أى لأبيهم ثوابا (والله عنده حسن الثواب) قوله عز وجل (لا يفرنك قلب الذين كفروا في البلاد) نزلت في المشركين وذلك
أنهم كانوا في رخاء ولين من (٤٧٠) العيش يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين إن أعداء الله تعالى فيما يرى

من الخير ونحن في
الجهنم فأزل الله تعالى
هذه الآية لا يفرنك قلب
الذين كفروا في البلاد
وضربهم في الأرض
وتصرفهم في البلاد
للتجارات وأنواع
المكاسب فالخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم
والمراد منه غيره (متاع
قليل) أى هو متاع قليل
بلغة فانية وتمعنة زائلة
(ثم ما أوهم) مصيرهم
(جهنم وبئس المهاد)
الغراش (لكن الذين
اتقوا ربهم لهم جنات
تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها زلا) جزاء
وثوابا (من عند الله)
نصب على التفسير وقيل
جعل ذلك زلا (وما
عند الله خير للأبرار)
من متاع الدنيا أخبرنا
عبد الواحد المليحي
أنا أحمد بن عبد الله
النعمي أنا محمد بن يوسف
أنا محمد بن إسماعيل
أنا عبد العزيز بن عبد الله
أنا سليمان بن بلال عن
يحيى بن سعيد عن عبيد

عنهم ذنوبهم ولأغفرنا لهم ولأدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله (يعنى
ذلك الذى أعطاهم من تكثير سيئاتهم وإدخالهم الجنة ثوابا من فضل الله وإحسانه اليهم (والله
عنده حسن الثواب) وهذا تأكيد لكون ذلك الثواب الذى أعطاهم من فضله وكرمه لأنه جواد
كريم روى ابن جرير الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول إن أول ثمة تدخل الجنة فقراء المهاجرين الذين يتقى بهم المكاهرة إذا أمروا
بمعوا وأطاعوا وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى سلطان لم تقض له حتى يموت وهي في صدره
فإن الله عز وجل يدعو يوم القيامة الجنة فتأتى بزخرفها وزينتها فيقول ابن عبادى الذين قاتلوا
في سبيلى وقتلوا وأوذوا في سبيلى وجاهدوا في سبيلى، ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا
حساب وتأتى الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من
هؤلاء الذين آثرتهم علينا فيقول الرب عز وجل هؤلاء عبادى الذين قاتلوا في سبيلى وأوذوا
في سبيلى فتدخل الملائكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعمة عقبي الدار قال بعضهم
في هذه الآية تعلم من الله تعالى لعباده كيف يدعى وكيف يبتلى به ويتضرع وتشكر ربنا
من باب الانتهاء وإعلام بما يوجب حسن الإجابة وقال جعفر الصادق من حزه أمر فقال
خمس مرات ربنا نجاء الله تعالى مما نخاف وأعطاه ما أزدادوا وقرأ هذه الآية وقال الحسن حكي
الله عنهم أنهم قالوا خمس مرات ربنا ثم أخبر أنه استجاب لهم. قوله عز وجل (لا يفرنك قلب
الذين كفروا في البلاد) نزلت في المشركين وذلك أنهم كانوا في رخاء ولين من العيش يتجرون
ويتنعمون فقال بعض المؤمنين أن أعداء الله فيما يرى من الخير ونحن في الجهنم فأزل الله تعالى
هذه الآية لا يفرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الأمة لأنه صلى
الله عليه وسلم لم يفرق والمعنى لا يفرنك أيها السامع قلب الذين كفروا في البلاد يعنى ضربهم
في الأرض وتصرفهم في البلاد للتجارات وطلب الأرباح والمكاسب (متاع قليل) أى ذلك متاع
قليل وبلغة فانية وتمعنة زائلة (ثم ما أوهم) يعنى مصيرهم في الآخرة (جهنم وبئس المهاد) أى
وبئس الغراش هى : قوله تعالى (ولكن الذين اتقوا ربهم) فيما أمرهم به من العمل بطاعته واتباع
مرضاته واجتناب ما نهاهم عنه من معاصيه (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها زلا)
أى جزاء وثوابا والنزل ما يهبأ للضيف عند قدومه (من عند الله) يعنى من فضل الله وكرمه
وإحسانه (وما عند الله) يعنى من الخير والكرامة والنعيم الدائم الذى لا يتقطع (خير للأبرار)
يعنى ذلك الفضل والنعمة التى أعدها الله للمطيعين الأبرار خير مما يتقلب فيه هؤلاء الكفار
من نعيم الدنيا ومتاعها فانه قليل زائل (ق) عن عمر بن الخطاب قال جئت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاذا هو في مشربة وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها
ليف وعند رجله قرظ مصبور وعند رأسه أهب معلقة فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكت

فقال

لبن جبير أنه سمع ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال عمر بن الخطاب

رضى الله عنه جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشربة وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وتحت رأسه وسادة من
آدم حشوها ليف وإن عند رجله قرظا مصبورا وعند رأسه أهب معلقة فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكت فقال ما يبكيك
فقلت يا رسول الله إن كسرى وقبصر فيها هما فيه وأنت رسول الله ﷺ فقال أمارضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قوله عز وجل

(وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) الآية قال ابن عباس وجابر وأنس وقتادة نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة وهو بالعربية عطية وذلك أنه لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه «أخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم» (٤٧١) النجاشي فخرج إلى البقيع وكشف

له إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلى على عليج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فأرسل الله تعالى هذه الآية وقال عطاء نزلت في أهل نجران أربعين رجلا اثنان وثلاثون من أرض الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريح نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه وقال مجاهد نزلت في مؤمنى أهل الكتاب كلهم وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله (وما أنزل إليكم) يعني القرآن (وما أنزل إليهم) يعني التوراة والإنجيل (خاشعين لله) خاضعين متواضعين لله (لا يشترون) يبايعون (بآيات الله) بآيات الله (لا يشترون) يبايعون كتبتهم ولا يحرفونها ولا يكتبون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لأجل الرياسة والمأكله كنعول غيرهم من رؤساء اليهود (أولئك) إشارة إلى أن من هذه صفته من أهل الكتاب (ثم أجرهم عند ربهم) يعني لهم ثواب أعمالهم التي عملوها لله ذلك الثواب لهم عند الله يوفيه إليهم يوم القيامة (إن الله سريع الحساب) يعني إنه تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده فيجازي كل أحد على قدر عمله لأنه سريع الحساب قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) يعني على دينكم الذي أنتم عليه ولا تدعوه لشدة ولا لغيرها وأصل الصبر حبس النفس عما لا يقتضيه شرع ولا عقل والصبر لفظ عام تحته أنواع من المعاني قال بعض الحكماء الصبر على ثلاثة أقسام ترك الشكوى وقبول القضاء وصدق الرضا وقيل في معنى الآية اصبروا على طاعة الله وقيل على أداء الفرائض وقيل على تلاوة القرآن وقيل اصبروا على أمر الله وقيل اصبروا على البلاء وقيل اصبروا على الجهاد وقيل اصبروا على أحكام الكتاب والسنة (وصابروا) يعني الكفار والأعداء وجاهدوهم (ورابطوا) يعني وداوموا على جهاد المشركين واثبتوا عليه وأصل الرابطة أن يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم بحيث يكون كل من الخصمين مستعدا للقتال الآخر ثم قيل لكل مقيم يتفرغ يدفع عن رءاه مرابط وإن لم يكن له مركب مربوط (ق) عن سهل بن سعد أن

فقال ما يبكيك قلت يا رسول الله إن كسرى وقبصر فيها هم فيه وأنت رسول الله فقال أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة لفظ البخاري المشربة الغرفة والعلية والمشارب العلالى. قوله عز وجل (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم) قال ابن عباس نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة بالعربية عطية وذلك أنه لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم النجاشي فخرج إلى البقيع وكشف له إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي فصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلى على عليج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فأرسل الله تعالى هذه الآية وقبل نزلت في أربعين رجلا من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقوه وقيل نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في جميع مؤمنى أهل الكتاب وهذا القول أولى لأنه لما ذكر أحوال الكفار وأحوال أهل الكتاب وأن مضيرهم إلى النار ذكر حال من آمن من أهل الكتاب وأن مضيرهم إلى الجنة فقال تعالى وإن من أهل الكتاب يعني بعض اليهود والنصارى أهل التوراة والإنجيل لمن يؤمن بالله يعني من يقر بوحدانية الله وما أنزل إليكم يعني ويؤمن بما أنزل إليكم أي المؤمنون يعني القرآن وما أنزل إليهم يعني من الكتب المنزلة مثل التوراة والإنجيل والزبور (خاشعين لله) يعني خاضعين لله متواضعين له غير مستكبرين (لا يشترون بآيات الله) يعني لا يبيعون كتبهم ولا يحرفونها ولا يكتبون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لأجل الرياسة والمأكله كنعول غيرهم من رؤساء اليهود (أولئك) إشارة إلى أن من هذه صفته من أهل الكتاب (ثم أجرهم عند ربهم) يعني لهم ثواب أعمالهم التي عملوها لله ذلك الثواب لهم عند الله يوفيه إليهم يوم القيامة (إن الله سريع الحساب) يعني إنه تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده فيجازي كل أحد على قدر عمله لأنه سريع الحساب قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) يعني على دينكم الذي أنتم عليه ولا تدعوه لشدة ولا لغيرها وأصل الصبر حبس النفس عما لا يقتضيه شرع ولا عقل والصبر لفظ عام تحته أنواع من المعاني قال بعض الحكماء الصبر على ثلاثة أقسام ترك الشكوى وقبول القضاء وصدق الرضا وقيل في معنى الآية اصبروا على طاعة الله وقيل على أداء الفرائض وقيل على تلاوة القرآن وقيل اصبروا على أمر الله وقيل اصبروا على البلاء وقيل اصبروا على الجهاد وقيل اصبروا على أحكام الكتاب والسنة (وصابروا) يعني الكفار والأعداء وجاهدوهم (ورابطوا) يعني وداوموا على جهاد المشركين واثبتوا عليه وأصل الرابطة أن يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم بحيث يكون كل من الخصمين مستعدا للقتال الآخر ثم قيل لكل مقيم يتفرغ يدفع عن رءاه مرابط وإن لم يكن له مركب مربوط (ق) عن سهل بن سعد أن

لأجل الرياسة والمأكله كنعول غيرهم من رؤساء اليهود (أولئك) ثم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب يبايعها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) قال الحسن اصبروا على دينكم ولا تدعوه لشدة ولا ربحا وقال قتادة اصبروا على طاعة الله وقال الضحاک ومقاتل بن سليمان على أمر الله وقال مقاتل بن حيان على أداء فرائض الله تعالى وقال زيد بن أسلم على الجهاد وقال

الكلي على البلاء ، وصابروا يعني على قتال الكفار وربطوا يعني المشركين قال أبو عبيدة أي دافعوا وابتغوا والربط الشد وأصل الرباط أن يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم ثم قيل ذلك اسكلم مقيم في غير يدفع عن ورائه وإن لم يكن له مركب أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن بشر أنه سمع أبا النصر أنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال ورباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا (٤٧٢) وما فيها وما عليها وموضع سوط أجدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ورباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أجدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أجدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أجدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها (م) عن سلمان الخير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ورباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان وقيل المراد بالرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة قال أبو سلمة بن عبد الرحمن لم يكن فإذن من النبي صلى الله عليه وسلم غزو يربط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة وبذلك على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : «الأدلكم على ما يحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط» أخرجه مسلم (واقفوا الله لعلكم تفلحون) قال محمد بن كعب القرظي يقول الله عز وجل «واقفوا الله فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون» غدا إذا لقيتموني وقال أهل المعاني في معنى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اصبروا على بلائي وصابروا على نعماتي وربطوا على مجاهدة أعدائي واتقوا محبة سواني لعلكم تفلحون بلغاني وقيل اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء وربطوا في دار الأعداء واتقوا إله الأرض والسماء لعلكم تفلحون في دار البقاء وقيل اصبروا على الدنيا ومحنا رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة وربطوا على مجاهدة النفس اللوامة واتقوا ما يعقبكم الندامة لعلكم تفلحون غدا في دار الكرامة والله أعلم بممراده وأسرار كتابه .

تفسير سورة النساء مدنية

وهي مائة وخمس وسبعون آية وثلاثة آلاف وخمس وأربعون كلمة وستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفاً .

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (يا أيها الناس) خطاب للكافة فهو كقوله يا بني آدم (اتقوا ربكم) أي احذروا أمر ربكم أن تخالفوه فيما أمركم به أو نهاكم عنه ثم وصف نفسه بكمال القدرة فقال تعالى (الذي خلقكم من نفس واحدة) يعني من أصل واحد وهو آدم أبو البشر عليه السلام وإنما أنت

لروحة يروحها العبد في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أخبرنا أبو محمد محمد ابن علي بن محمد بن شريك الشافعي أنا يونس ابن عبد الله بن مسلم أبو بكر الجوردي أنا يونس بن عبد الأعلى أنا ابن وهب أخبرني عبد الرحمن ابن الحارث أنا أبو عبيدة ابن عقبة أنا شرحبيل ابن السمط أنا سلمان الخير أن رسول الله ﷺ قال «من رباط يوماً وليلة في سبيل الله كان له أجر صيام شهر مقيم ومن مات مرابطاً جرى له مثل ذلك الأجر وأجرى عليه من الرزق وأمن من الفتان» وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن لم يكن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم غزو يربط فيه الصلاة بعد الصلاة ودليل هذا التأويل ما أخبرنا أبو الحسن محمد

ابن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد التقيبه أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب أنا مالك الوصف أخبرنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «الأدلكم على ما يحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط» (واقفوا الله لعلكم تفلحون) قال بعض أرباب اللسان اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء وربطوا في دار الأعداء واتقوا إله الأرض والسماء لعلكم تفلحون في دار البقاء . (سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) يعني آدم عليه السلام

أى تساءلون به قرأ أهل الكوفة بتخفيف السين على حذف إحدى التاءين كقولهم تعالى ولا تعاونوا (والأرحام) قراءة العامة بالنصب أى واتقوا الأرحام أن تقطعوها وقرأ جزءه بالخفض أى به وبالأرحام كما يقال سألتك بالله والأرحام والقراءة الأولى أفصح لأن العرب لا تنكاد تنسق بظاهر على مكى إلا بعد أن تعيد الخافض فتقول مررت به وبزيد إلا أنه جائز مع فته (إن الله كان عليكم رقيبا) أى حافظا قوله تعالى (واتوا اليتامى أموالهم) قال مقاتل والكلبي نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ يتيم فلما بلغ اليتم طلب المال فزعم عمه فقرأوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمع العم قال أطلعنا الله وأطلعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع إليه ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فإنه يوق شح نفسه فلما قبض النبي ماله أنفقته في

أوصف على لفظ النفس وإن كان المراد به الذكر فهو كما قال بعضهم : أبوك خليفة ولدته أخرى وأنت خليفة ذاك الكمال

فإنما قال ولدته أخرى لتأنيث الخليفة (وخلق منها زوجها) يعني حواء وذلك أن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام أتى عليه النوم ثم خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو قصير فلما استيقظ رآها جالسة عند رأسه فقال لها من أنت قالت امرأة قال لماذا خلقت قالت خلقت لتسكن إلى قال إليها وأنها لأنها خلقت منه واختلقت في أى وقت خلقت حواء فقال كعب الأحبار ووهب وابن إسحاق خلقت قبل دخوله الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس إنما خلقت في الجنة بعد دخوله إليها (وبث منها) يعني نشر وأظهر من آدم وحواء (رجالا كثيرا ونساء) وإنما وصف الرجال بالكثرة دون النساء لأن حال الرجال أتم وأكمل وهذا كالتبني عن أن الالتق بحال الرجال الظهور والاستشهار وبحال النساء الاختفاء والخمول (واتقوا الله الذي تساءلون به) إنما كثر ذكر التقوى للتأكيده وأنه أهل أن يتقوا والتساؤل بالله هو كقولك أسألك بالله واحلف عليك بالله واستشفع إليك بالله (والأرحام) قرئ بفتح الميم ومعناه واتقوا الأرحام أن تقطعوها وقرئ بكسر الميم فهو كثرة سألته بالله وبالرحم وناشدته بالله وبالرحم لأن العرب كان من عاداتهم أن يقولوا ذلك والرحم القرابة وإنما استعير اسم الرحم للقرابة لأنهم خرجوا من رحم واحدة وقيل هو مشتق من الرحمة لأن القرابة بتراحمون ويعطف بعضهم على بعض وفي الآية دليل على تعظيم حق الرحم والنهي عن قطعها وبدل على ذلك أيضا الأحاديث الواردة في ذلك (ق) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعته الله (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يبسط عليه من رزقه وينسأ في أرضه فليصل رحمه قوله وينسأ في أرضه أى يؤخر له في أجله (ق) عن جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولا يدخل الجنة قاطع قال سفيان في روايته يعني قاطع رحم وعن الحسن قال من سألك بالله فاعطه ومن سألك بالرحم فاعطه وعن ابن عباس قال الرحم معلقة بالعرش فإذا أتاها الواصل بثت به وكلامه وإذا أتاها القاطع احتجبت عنه (إن الله كان عليكم رقيبا) يعني حافظا والرقيب في صفة الله تعالى هو الذي لا يغفل عما خلق فليحتمه تنص ويدخل عليه حلال وقيل هو الخافض الذي لا يغيب عنه شيء من أمر خلقه فبين بقوله «إن الله كان عليكم رقيبا أنه لا يعلم السر وأخفى» وإذا كان كذلك فهو جدير بأن يخاف ويتقوا قوله عز وجل (واتوا اليتامى أموالهم) نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم كان في حجره فلما بلغ اليتم طلب المال الذي له فزعم عمه فقرأوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال «أطلعنا الله وأطلعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع إلى اليتم ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فإنه يوق شح نفسه فلما قبض النبي ماله أنفقته في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الأجر وبنى الوزر فقالوا كيف ثبت الأجر وبنى الوزر؟ قال ثبت الأجر للغلام وبنى الوزر على أبيه والخطاب في قوله تعالى واتوا للأولياء والأوصياء واليتامى جمع يتيم وهو الصبي الذي مات أبوه واليتيم في اللغة الانفراد ومنه الدررة اليتيمة لانفرادها واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لغة لبقاء معنى الانفراد عن الآباء لكن في العرف اختص

واليتيم اسم لصغير لأب له ولا جد وإنما يدفع المال إليهم بعد البلوغ وسماهم يتامى هاهنا على معنى أنهم كانوا يتامى (ولا تبدلوا) لا تستبدلوا (الحديث بالطيب) أى ما لهم الذى هو حرام عليكم بالحلل من أموالكم واختلفوا فى هذا التبديل فقال سعيد بن المسيب والنخعي والزهرى والسدى كان أولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الرديء فربما كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة ويجعل مكانها المذرية ويأخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول شاة بشاة ودرهم بدرهم فذلك تبايلهم فهو عنه وقال عطاء هو الریح فى مال اليتيم وهو صغير لا علم له بذلك وقيل إنه ليس بإبدال حقيقة وإنما هو أخذه مستهلكا وذلك أن أهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء والصغار وإنما كان يأخذ الميراث الأكابر من الرجال وقيل هو أكل مال اليتيم عوضا عن أكل أموالهم فهو عن ذلك (ولا تأكلوا أموالكم إلى أموالكم) يعنى مع أموالكم وقيل معناه ولا تصموا أموالكم إلى أموالكم فى الإنفاق واعلم أن الله تعالى نهي عن أكل مال اليتيم وأراد به جميع التصرفات المملوكة للمال وإنما ذكر الأكل لأنه معظم المقصود (إنه كان حوبا كبيرا) يعنى أن أكل مال اليتيم من غير حق إثم عظيم والحوب الإثم. قوله عز وجل (وإن خنتم ألا تقسطوا فى اليتامى) يعنى وإن خنتم بأولياء اليتامى أن لا تعدلوا فيهم إذا نكحتهم ومن فأنكحوا غيرهن من الغراب (ق) عن عروة أنه سأل عائشة رضى الله تعالى عنهما عن قوله تعالى « وإن خنتم ألا تقسطوا فى اليتامى فأنكحوا ما طاب لكم من النساء إلى قوله أو ما ملكت أيمانكم » قالت يا ابن أختى هذه اليتيمة تكون فى حجر ولها فبرغب فى جمالها وما لها ويريد أن يقتصص صداقها فهو عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن فى إكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن قالت عائشة رضى الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأرسل الله عز وجل ويستفتونك فى النساء إلى ومرغبون أن تنكحوهن فبين الله لهم هذه الآية أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا فى نكاحها ولم يلحقوها بسنتها فى إكمال الصداق وإن كانت مرغوبة عنها فى قلة المال والجمال تركوها واتمسوا غيرها من النساء قال فكلما يتركونها حين رغبوها عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الأوفى من الصداق وقال الحسن كان الرجل من أهل المدينة تكون عنده الأيتام وفيهن من يحل له نكاحها فيترجوها لأجل مالها وهي لا تعجبه كراهية أن يدخل غريب فيشاركه فى مالها ثم يسيء صحبتها ويترفض بها إلى أن تموت فيورثها فعاب الله ذلك عنهم وأرسل هذه الآية وقال عكرمة فى روايته عن ابن عباس كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء أو أكثر فإذا صار معهما من نساء مال إلى مال يئتمته التى فى حجره فأنفقه فقيل لهم لا تزيدوا على أربع حتى لا يهوجكم إلى أخذ مالى اليتامى وقيل كانوا يخرجون عن أموال اليتامى ويرخصون فى النساء فيترجون ما شاؤا فربما عدلوا وربما لم يعدلوا فلما أنزل الله تعالى فى أموال اليتامى وآتوا اليتامى أموالهم أنزل هذه الآية وإن خنتم ألا تقسطوا فى اليتامى يقول فكما خنتم ألا

(إنه كان حوبا كبيرا) وإنما عطاها وقوله تعالى (وإن خنتم ألا تقسطوا فى اليتامى)

تقسطوا

فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) اختلفوا في تأويلهم فقال بعضهم معناه إن خفتم بأولياء اليتامى أن لا تعدلوا
فيهن إذا نكحن ومن فانكحوا غيرهن من الغرائب مثنى وثلاث ورباع أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله
النعمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو النعمان أنا شعيب عن الزهري قال كان عروة بن الزبير يحدث أنه سأل
عائشة رضي الله عنها وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء قال هي البيمة تكون في حجر وليها
فيرغب في جمالها ومالها ويريد أن يتزوجها بأدنى من سنة نساها فتها عن نكاحهن إلا أن يقسطوا من إكمال الصداق وأمروا
بنكاح من سواهن من النساء قالت عائشة رضي الله عنها ثم استفتى الناس رسول الله ﷺ فأرسل الله تعالى ويستفتونك في النساء
قل الله يفتيكم فيهن لى قوله تعالى وترغون أن تنكحوهن فيهن الله تعالى (٤٧٥) في هذه الآية أن البيمة إذا كانت

ذات جمال أو مال مرغوا
في نكاحها ولم يلحقوها
بسنها باكمال الصداق
وإذا كانت مرغوبة
عنها في قلة المال والجمال
تركوها واتسوا غيرها
من النساء قال فكما
يترونها حين يرغبون
عنها فليس لهم أن
ينكحوها إذا رغبوا
فيها، إلا أن يقسطوا لها
الأوفى من الصداق
ويعطوا حقه قال الحسن
كان الرجل من أهل
الجاهلية تكون عنده
الأيام وفيهن من يحل له
نكاحها فيتزوجها لأجل
مالها وهي لا تعجبه
كراهية أن يدخل غريب
فيشاركه في مالها ثم يمسي
صحبتها ويتربص بها أن تموت
ويرثها فعاب الله تعالى
ذلك وأرسل الله هذه

تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء ألا تعدلوا فيهن فلا تزوجوا أكثر مما يمكنكم القيام
بهن لأن النساء في الضعف كاليتامى وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي ثم
رخص الله تعالى في نكاح أربع فقال تعالى (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) يعني ما حل
لكم من النساء وامتدت الظاهرية بهذه الآية على وجوب النكاح قالوا لأن قوله فانكحوا
أمر والأمر للوجوب. وأجيب عنه بأن قوله تعالى فانكحوا إنما هو بيان لما يحل من العدد
في النكاح وتمسك الشافعي في بيان أن النكاح ليس بواجب بقوله ومن لم يستطع منكم طولا
أن ينكح إلى قوله ذلك لمن خشى العنت منكم وأن تصبروا خير لكم الآية فحكم في هذه السورة
بأن ترك النكاح خير من فعله وذلك يدل على أنه ليس بواجب ولا مندوب. وقوله تعالى
(مثنى وثلاث ورباع) معناه اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعاً أربعاً وهو غير منصرف لأنه اجتمع
فيه أمران: العدل والوصف والواو بمعنى أوفى هذا الفصل لأنه لما كانت أو بمنزلة أو النسق
جاز أن تكون الواو بمنزلة أو وقيل إن الواو أفادت أنه يجوز لكل أحد أن يختار لنفسه قسماً
من هذه الأقسام بحسب حاله فان قدر على نكاح اثنين فائتان وإن قدر على ثلاث فثلاث
وإن قدر على أربع فأربع إلا أنه يضم عدداً وأجمعت الأمة على أنه لا يجوز لأحد أن يزيد
على أربع نسوة وأن الزيادة على أربع من خصائص رسول الله ﷺ التي لا يشاركه فيها أحد
من الأمة ويدل على أن الزيادة على أربع غير جائزة وأنها حرام ما روى عن الحارث بن قيس
أو قيس بن الحارث قال أسلمت وعندي ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اختر منهن أربعاً أخرجه أبو داود عن ابن عمر أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وله
عشر نسوة في الجاهلية فأسلم مع فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن أربعاً
أخرجه الترمذي قال العلماء فيجوز للحر أن يجمع بين أربع نسوة حرراً ولا يجوز للعبد أن
ينكح أكثر من امرأتين وهو قول أكثر العلماء لأنه خطاب لمن ولي ومالك وذلك للأحرار
دون العبيد وقال مالك في إحدى الروايتين عنه وريمة يجوز للعبد أن يتزوج بأربع نسوة
واستدل بهذه الآية وأجاب الشافعي بأن هذه الآية مختصة بالأحرار ويدل عليه آخر الآية

الآية وقال عكرمة كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء والأكثر إذا صار معدماً من مؤن نسائه مال إلى
مال يتيمة التي في حجره فألفقه فقيل لا تزيدوا على أربع حتى لا يحوجكم إلى أخذ أموال اليتامى وهذه رواية طاوس عن ابن
عباس رضي الله عنهما وقال بعضهم كانوا يتخرجون عن أموال اليتامى ويتزوجون ماشاءوا وربما عدلوا
وربما لم يعدلوا فلما أنزل الله تعالى في أموال اليتامى وآتوا اليتامى أموالهم أنزل هذه الآية وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى يقول كما
خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء أن لا تعدلوا فيهن فلا تزوجوا أكثر مما يمكنكم القيام بحقهن لأن النساء
في الضعف كاليتامى وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي ثم رخص في نكاح أربع فقال فانكحوا ما طاب لكم
من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فيهن فواحدة وقال مجاهد معناه إن تخرجتم من ولاية اليتامى وأموالهم إماماً

فكذلك تخرجوا من الزنا فانكحوا النساء الحلال نكاحاً طيباً ثم بين لهم عدداً وكانوا يتزوجون ما شاءوا من غير عدد فنزل قوله تعالى «فانكحوا ما طاب لكم من النساء» أي من طاب كقوله تعالى «والسباء وما بناها» وقوله تعالى «قال فرعون وما رب العالمين» والعرب تضع من وما كل واحدة موضع الأخرى كقوله تعالى «فمن من عشي على بطنه ومنهم من عشي على رجلين» وطاب أي حل لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع معدولات عن اثنين وثلاث وأربع ولذلك لا يصرفن الواو بمعنى أو للتخفيف كقوله تعالى «أن تقوموا لله مثنى وفرادى» وقوله تعالى «أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع» وهذا إجماع أن أحداً من الأمة لا يجوز له أن يزيد على أربع نسوة وكانت الزيادة من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم لامشاركة معه لأحد من الأمة فيها وروى أن قيس ابن الحارث (٤٧٦) كان تحتها ثمان نسوة فلما زات هذه الآية قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

وطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع وأمسك أربعاً فجعل يقول للمرأة التي لم تلد بأفلاحة أدري والتي قد ولدت بأفلاحة أقبل وروى أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وعنده عشر نسوة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أمسك أربعاً وفارق سائرهن وإذا جمع الحربين أربع نسوة حرراً فإنه يجوز فأما العبد فلا يجوز له أن ينكح أكثر من امرأتين عند أكثر أهل العلم لما أخبرنا عبد الوهاب بن أحمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان بن محمد بن عبد الرحمن مولى أبي طلحة عن سليمان بن يسار عن

وهو قوله «فان خفتم» إلا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم أو العبد لا يملك شيئاً فثبت بذلك أن المراد من حكم الآية الأحرار دون العبيد. وقوله تعالى (فان خفتم) يعني فان خشيتهم (وقيل فان علمتم) (الأتعدلوا) يعني بين الأزواج الأربع (فواحدة) يعني فانكحوا واحدة (أو ما ملكت أيمانكم) يعني وما ملكتكم من السراري لأنه لا يلزم فيهن من الحقوق مثل ما يلزم في الحرائر ولا قسم لهن (ذلك أدنى) أي أقرب (أن لاتعولوا) معناه أقرب من أن لاتعولوا فحذف لفظه من لدلالة الكلام عليه ومعنى أن لاتعولوا أي لاتعملوا ولا تجوزوا وهو قول أكثر المفسرين لأن أصل العول الميل يقال عال الميزان إذا مال وقيل معناه لاتجاوزوا ما فرض الله عليكم ومنه عول الفرائض إذا تجاوزت مهامها وقيل معناه ذلك أدنى أن لاتنصوا وقال الشافعي رحمه الله تعالى معناه أن لاتكثر عيالكم وقد أنكر على الشافعي من ليس له إحاطة بلغة العرب فقال إنما يقال من كثرة العيال أعال الرجل يعيل إعالة إذا كثر عياله قال وهذا من خطأ الشافعي لأنه انفرد به ولم يوافقه عليه أحد وإنما قال هذه المقالة من أنكر على الشافعي وخطأه من غير علم له بلغة العرب فقد روى الأزهري في كتابه تهذيب اللغة عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله الأتعولوا أي لاتكثر عيالكم وروى الأزهري عن الكسائي قال عال الرجل إذا افتقر وأعال إذا كثر عياله قال ومن العرب الفصحاء من يقول عال يعول إذا كثر عياله قال الأزهري وهذا يتقوى قول الشافعي لأن الكسائي لا يحكي عن العرب إلا ما حفظه وضبطه وقول الشافعي نفسه حجة لأنه عربي فصيح والذي اعترض عليه وخطأه عجل ولم يتثبت فيما قال ولا ينبغي للحضري أن يعجل إلى إنكار ما لا يحفظه من لغات العرب هذا آخر كلام الأزهري وبسط الإمام فخر الدين الرازي في هذا الموضع من تفسيره ورد على أبي بكر الرازي ثم قال الطعن لا يصدر إلا عن كثرة الغباوة وقلة المعرفة وحكي البغوي عن أبي حاتم قال كان الشافعي أعلم بلسان العرب منا وأعله لغة ويقال هي لغة حمير وقرأ طلحة بن مصرف الأتعولوا

عبد الله بن عتبة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال ينكح العبد امرأتين ويطلق تطلقتين وتعد الأمة بضم يحضبتين فان لم تكن تحيض فبشهرين أو شهر ونصف وقال ربيعة يجوز للعبد أن ينكح أربع نسوة كالحرة (فان خفتم) خشيتهم وقيل علمتم (الأتعدلوا) بين الأزواج الأربع (فواحدة) أي فانكحوا واحدة وقرأ أبو جعفر فواحدة بالرفع (أو ما ملكت أيمانكم) يعني السراري لأنه لا يلزم فيهن من الحقوق ما يلزم في الحرائر ولا قسم لهن ولا وقف في عددهن وذكر الأيمان بيان تقديره أو ما ملكتكم وقال بعض أهل المذاهب أو ما ملكت أيمانكم أي ما ينفذ فيه أفعالكم جعله من بين الخلف لا يمين الجارحة (ذلك أدنى) أقرب (أن لاتعولوا) أي لاتجوزوا ولا تعملوا يقال ميزان عائل أي جائر ماثل هذا قول أكثر المفسرين وقال مجاهد أن لاتنصوا وقال الفراء أن لاتجاوزوا ما فرض الله عليكم وأصل العول المحاوزة ومنه عول الفرائض وقال الشافعي رحمه الله أن لاتكثر عيالكم وما قاله أحد إنما يقال أعال يعيل إعالة إذا كثر عياله وقال أبو حاتم كان الشافعي رضي الله عنه أعلم بلسان

العرب منا قلعله لغة ويقال هي لغة حمير وقرأ طلحة بن مصرف أن لا تعبلوا وهي حجة لقول الشافعي رضوان الله عليه (وأتوا النساء صدقاتهن نحلة) قال الكلبي ومجاهد هذا الخطاب للأولياء وذلك أن ولي المرأة كان إذا تزوجها فإن كانت معهم في العشرة لم يعطها من مهرها قليلا ولا كثيرا وإن كان زوجها غريبا حملوها إليه على بعير ولم يعطوها من مهرها غير ذلك فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم أن يدفعوا الحق إلى أهله قال الحضرمي وكان أولياء النساء يعطى هذا أخته على أن يعطيه الآخر أخته ولا مهر بينهما فنهوا عن ذلك وأمروا بتسمية المهر في العمد أخبرنا أبو الحسن (٤٧٧) السرخسي أنا زاهر بن أحمد

أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك ابن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عن الشغار والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته وإس بينهما صدق وقال الآخرون الخطاب للأزواج أمروا بإتيان نسائهم الصدقات المهور واحدا صدقة بنتج الصاد وضم الدال (نحلة) يعني فريضة مساة وقيل عطية وهبة وقيل نحلة يعني عن طيب نفس وأصل النحلة العطية على سبيل التبرع وهي أخص من الهبة وسى الصدقات نحلة من حيث إنه لا يجب في مقابلته غير التمتع دون عوض مالي (ق) عن عقبه بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق الشروط أن توفوا بها ما استحلتم به الفروج . وقوله تعالى (فإن طبن) يعني النساء المتزوجات (لكم) يعني للأزواج (عن شيء منه) يعني من الصدقات ومن هنا لبيان الجنس لا للتبعيض لأنها لو وهبت المرأة لزوجها جميع صدقاتها جاز (نفسا) نصب على التمييز والمعنى فإن طابت نفوسهن عن شيء من ذلك الصدقات المين فوهبن ذلك لكم فنقل الفعل من النفوس إلى أصحابها فخرجت النفس مفسرا فلذلك وحد النفس وقيل لفظه واحد ومعناه الجمع (فكلوه) يعني ما وهبه لكم (هنيئا مريئا) يعني طيبا سائعا وقيل الهنيء الطيب المساغ الذي لا ينعصه شيء والمريء الخمود العاقبة وفي الآية دليل على إباحة هبة المرأة صدقاتها وأنها تملكه ولا حق للولي فيه . قوله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) اختلفوا في هؤلاء السفهاء من هم فقيل هم النساء نهي الله الرجال أن يؤتوا النساء أموالهم سواء كن أزواجا أو بنات أو أمهات وقيل هم الأولاد خاصة بقول لا تعط ولدك السفية مالك الذي هو قيامك فيفسده عليك وقيل امرأتك وابنتك السفية قال ابن عباس لا تعمد إلى مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك وابنتك فيبكتن أو هم الذين يقومون عليك ثم تنظر إلى ما بين أيديهم أمسك مالك وأصاحبه وكن أنت

بضم التاء وهو حجة للشافعي (وأتوا النساء صدقاتهن) قال الكلبي وجماعة هذا خطاب للأولياء قال أبو صالح كان الرجل إذا تزوج أيمه أخذ صدقاتها دونها فنهاهم الله عن ذلك وقيل إن ولي المرأة كان إذا تزوجها فإن كانت معهم في العشرة لم يعطها من مهرها لاقبلا ولا كثيرا وإن كان زوجها غريبا حملوها إليه على بعير ولا يعطها من مهرها غير ذلك فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم أن يدفعوا الحق إلى أهله وقال الحضرمي كان أولياء النساء يعطى هذا أخته على أن يعطيه الآخر أخته ولا مهر بينهما وهذا هو الشغار فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بتسمية للمهر في العمد (ق) عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن الشغار في العقد والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الرجل ابنته وليس بينهما صدق وقيل الخطاب للأزواج وهذا أصح وهو قول الأكرين لأن الخطاب فيها قبل مع التاكيد وهم الأزواج أمرهم الله تعالى بإتيان نسائهم الصدقات والصدقات المهور واحدا صدقة بنتج الصاد وضم الدال (نحلة) يعني فريضة مساة وقيل عطية وهبة وقيل نحلة يعني عن طيب نفس وأصل النحلة العطية على سبيل التبرع وهي أخص من الهبة وسى الصدقات نحلة من حيث إنه لا يجب في مقابلته غير التمتع دون عوض مالي (ق) عن عقبه بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق الشروط أن توفوا بها ما استحلتم به الفروج . وقوله تعالى (فإن طبن) يعني النساء المتزوجات (لكم) يعني للأزواج (عن شيء منه) يعني من الصدقات ومن هنا لبيان الجنس لا للتبعيض لأنها لو وهبت المرأة لزوجها جميع صدقاتها جاز (نفسا) نصب على التمييز والمعنى فإن طابت نفوسهن عن شيء من ذلك الصدقات المين فوهبن ذلك لكم فنقل الفعل من النفوس إلى أصحابها فخرجت النفس مفسرا فلذلك وحد النفس وقيل لفظه واحد ومعناه الجمع (فكلوه) يعني ما وهبه لكم (هنيئا مريئا) يعني طيبا سائعا وقيل الهنيء الطيب المساغ الذي لا ينعصه شيء والمريء الخمود العاقبة وفي الآية دليل على إباحة هبة المرأة صدقاتها وأنها تملكه ولا حق للولي فيه . قوله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) اختلفوا في هؤلاء السفهاء من هم فقيل هم النساء نهي الله الرجال أن يؤتوا النساء أموالهم سواء كن أزواجا أو بنات أو أمهات وقيل هم الأولاد خاصة بقول لا تعط ولدك السفية مالك الذي هو قيامك فيفسده عليك وقيل امرأتك وابنتك السفية قال ابن عباس لا تعمد إلى مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك وابنتك فيبكتن أو هم الذين يقومون عليك ثم تنظر إلى ما بين أيديهم أمسك مالك وأصاحبه وكن أنت

ان إسحاق بن يوسف أخبرنا الليث حدثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبه بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق الشروط أن توفوا به ما استحلتم به الفروج (فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا) يعني فإن طابت نفوسهن بشيء من ذلك فوهبن منكم فنقل الفعل من النفوس إلى أصحابها فخرجت النفس مفسرا فلذلك وحد النفس كما قال الله تعالى ووضاق بهم ذرعا وقرى عينا وقيل لفظها واحد ومعناها جمع (فكلوه هنيئا مريئا) ساغاطيا يقال هأنى الطعام هنيئا يفتح الذون في الماضي وكسر هاء الغاير وقيل الهنيء الطيب المساغ الذي لا ينعصه شيء والمريء الخمد والعاقبة التام المضم الذي لا يضر قرأ أبو جعفر هنيئا مريئا بتشديد الياء فهما من غير همزة وكذلك يرى بريون وربا وكهية والآخرون بهمزونها قوله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم

التي جعل الله لكم قياما) اختلفوا في هؤلاء السفهاء فقال قوم هم النساء وقال الضحاك النساء من اسفه السفهاء وقال مجاهد
نهى الرجال أن يؤثروا النساء أموالهم وهن سفهاء سواء كن أزواجا أو بنات أو أمهات وقال الآخرون هم الأولاد قال
الزهري يقول لا تعط ولدك السفية مالك الذي هو قيامك بعد الله تعالى فيفسده وقال بعضهم هم النساء والصبيان وقال الحسن
هي امرأتك السفية وابنتك السفية وقال ابن عباس لا تعتمد على مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيها امرأتك وبنيتك
فيكونوا هم الذين يقومون عليك ثم تنظر إلى ما في أيديهم ولكن أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذي تنفق عليهم في رزقهم
ومؤنتهم قال الكلبي إذا علم (٤٧٨) الرجل أن امرأته سفية مفسدة وأن ولده سفية مفسد فلا ينبغي له أن يسلط

الذي تنفق عليهم في رزقهم ومؤنتهم وقال الكلبي إذا علم الرجل إن امرأته سفية مفسدة وإن
ولده سفية مفسد لا ينبغي له أن يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده وقال سعيد بن
مال اليتيم يكون عندك يقول لا تؤته إياه وأنفق عليه منه حتى يبلغ وإنما أضاف المال إلى الأولياء
لأنهم قوامها ومدبروها وأصل السنه الحفة واستعمل في حفة النفس لتقصان العقل في الأمور
الدينيوية والدينية والسفيه المستحق الحجر هو الذي يكون مبلرا في ماله ومفسدا في دينه فلا يجوز
لويله أن يدفع إليه ماله وقيل إن السنه المذكور في هذه الآية ليس هو صفة ذم بل لؤلاء وإنما
سموا سفهاء لحفة عقولهم ونقصان تمييزهم وضعفهم عن القيام بحفظ المال فقوله تعالى ولا
تؤثروا السفهاء يعني الجهال بموضع الحق أموالكم (التي جعل الله لكم قياما) يعني قوام معاشكم
يقول المال هو قوام الناس وقوام معاشهم كن أنت قيم أهلك أنفق عليهم ولا تؤث مالك
امرأتك وولدك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ولما كان المال سببا للقيام بالمعاش سمي به
إطلاقا لإسم المسبب على السبب على سننيل المبالغة لأنه به يقام الحج والجهاد وأعمال البر
وفكك الرقاب من النار (وارزقوهم فيها) أي أطعموهم (واكسوهم) يعني لمن يجب عليكم
رزقه وكسوته لما نهى الله عن إيتاء المال للسفيه أمر أن يجرى رزقه وكسوته وإنما قال وارزقوهم
فيها ولم يقل منها لأنه أراد اجعلوا لهم فيها رزقا والرزق من الله تعالى هو العطية من غير حد
ولأقطع ومعنى الرزق من العباد هو الأجر الموظف المعلوم لوقت معلوم محدود (وقولوا لهم قولا
معروفا) يعني قولا جميلا لأن القول الجميل يؤثر في القلب ويزيل السفه وقيل معناه عدوهم
عدة جميلة من البر والصلة قال عطاء يقول إذا رحمت أعطيتك وإن غنمت قدمت لك حظا
وقيل معناه الدعاء أي ادعوا لهم قال ابن زيد إن لم يكن ممن يجب عليك نفقته فقل له عافانا
الله وإياك بارك الله فيك وقيل معناه قولوا لهم قولا تطيب به أنفسهم وهو أن يقول الولي لليتيم
السفيه مالك عندي وأنا أمين عليه فإذا بلغت ورشدت أعطيتك مالك وقال الزجاج معناه
عدوهم مع إطفائهم وكسوتهم إياهم أمر دينهم وما يصلحهم مما يتعلق بالعلم والعمل . قوله
عز وجل (وابتلوا البتاي) الآية نزلت في ثابت بن رفاعه وفي عمه وذلك أن رفاعه مات وترك
ابنه ثابتا وهو صغير فجاء عمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له إن ابن أخي يتيم في حجرى
فاجعل لى من ماله ومنى أدفع إليه ماله فأنزل الله تعالى هذه الآية وابتلوا البتاي معنى اختبروهم

واحدا منهما على ماله
فيفسده وقال سعيد بن
جبير وعكرمة هو مال
اليتيم يكون عندك يقول
لا تؤته إياه وأنفق عليه
حتى يبلغ وإنما أضاف
إلى الأولياء فقال أموالكم
لأنهم قوامها ومدبروها
والسفيه الذي لا يجوز
لويله أن يؤتبه ماله هو
المستحق الحجر وهو
وهو أن يكون مبلرا
في ماله أو مفسدا في دينه
فقال جل ذكره ولا تؤثروا
السفهاء أى الجهال
بموضع الحق أموالكم
التي جعل الله لكم قياما
قرأ نافع وابن عامر قيا
بلا ألف وقرأ الآخرون
قياموا أصله قواما فأنقلبت
الواو ياء لا تكسار ما قبلها
وهو ملك الأمر وما يقوم
به الأمر وأراد ما هنا
قوام عيشكم الذي تعيشون
به . قال الضحاك به يقام
الحج والجهاد وأعمال البر

وبه فكك الرقاب من النار (وارزقوهم فيها) أي أطعموهم (واكسوهم) لمن يجب عليكم رزقه ومؤنته وإنما قال في عقولهم
فيها ولم يقل منها لأنه أراد أنهم جعلوا لهم فيها رزقا قال الرزق من الله العطية من غير حد ومن العباد أجر موقت محدود
(وقولوا لهم قولا معروفا) عدة جميلة وقال عطاء إذا رحمت أعطيتك وإن غنمت فلك فيه حظ وقيل هو الدعاء وقال ابن
زيد إن لم يكن ممن يجب عليك نفقته فقل له عافانا الله وإياك بارك الله فيك وقيل قولنا تطيب به أنفسهم قوله تعالى (وابتلوا
البتاي) الآية نزلت في ثابت بن رفاعه وفي عمه وذلك أن رفاعه توفي وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجاء عمه إلى النبي صلى الله
عليه وسلم وقال إن ابن أخي يتيم في حجرى فاجعل لى من ماله ومنى أدفع إليه ماله فأنزل الله تعالى هذه الآية وابتلوا البتاي أى

الختروهم في عقولهم وأديانهم وحفظهم أموالهم (حتى إذا بلغوا النكاح) أي مبلغ الرجال والنساء (فإن آتسّم) أبصرتم (منهم) (رشدا) فقال المفسر ويعني عقلا وصلحا في الدين وحفظا لأمال وعلما بما يصلح وما يصاحبه وقال سعيد بن جبير ومجاهد والشعبي لا يدفع إليه ماله وإن كان شيخا حتى يؤنس منه رشده والابتلاء مختلف باختلاف أحوالهم فإن كان ممن يتصرف في السوق فيدفع الولي إليه شيئا يسيرا من المال وينظر في تصرفه وإن كان ممن لا يتصرف في السوق فيختبره في نفقة داره والإنفاق على عبيده وإجرائه وتختبر المرأة في أمر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزائها فإذا رأى حسن تدبير وتصرفه في الأمور مرارا يعاب على القلب رشده دفع المال إليه واعلم أن الله تعالى علن زوال الحجر عن الصغير وجواز دفع المال إليه بشيئين: بالبلوغ والرشد والبلوغ يكون بأحد أشياء أربعة: اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء واثنان مختصان بالنساء أحدهما السن والثاني الاحتلام أما السن فقد استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاما كان أو جارية لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز ابن أحمد الخليل أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أخبرنا سفيان عن عبيدة عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤٧٩) عام أحد وأنا ابن أربعة عشرة سنة

فردني ثم عرضت عليه عام الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني قال نافع فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال هذا فرق ما بين المقاتلة والذرية وكتب أن يفرض لابن خمس عشرة سنة في المقاتلة ومن لم يبلغها في الذرية وهذا قول أكثر أهل العلم وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة وبلوغ الغلام باستكمال ثمان عشرة سنة وأما

في عقولهم وأديانهم وحقوق أموالهم (حتى إذا بلغوا النكاح) أي مبلغ الرجال والنساء (فإن آتسّم) أي أبصرتم وعرفتم (منهم) يعني عقلا وصلحا في الدين وحفظا لأمال وعلما بما يصلح.

(فصل في أحكام تتعلق بالحجر وفيه مسائل)

(المسئلة الأولى) الابتلاء يختلف باختلاف أحوال اليتامى فإن كان ممن يتصرف بالبيع والشراء في الأسواق يدفع إليه شيئا يسيرا من المال وينظر في تصرفه وإن كان ممن لا يتصرف في الأسواق فيختبر بنفقته على أهله وعبيده وإجرائه وتصرفه في أموال داره وتختبر المرأة في أمر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزائها فإذا رأى حسن تدبير القيم وحسن تصرفه في الأمور مرار أو غلب على الظن رشده دفع إليه ماله بعد بلوغه ولا يدفع إليه ماله وإن كان شيخا يغلب عليه السنه حتى يؤنس منه الرشد.

(المسئلة الثانية) قال الإمام أبو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة وقال الشافعي هي غير صحيحة واحتج أبو حنيفة على قوله بهذه الآية وذلك لأن قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح يقتضي أن هذا الابتلاء إنما يحصل قبل البلوغ والمراد من هذا الابتلاء اختبار حاله في جميع تصرفاته فثبت أن قوله وابتلوا اليتامى أمر للأولياء بالإذن لهم في البيع والشراء قبل البلوغ أجاب الشافعي بأن قال ليس المراد وابتلوا اليتامى الإذن لهم

الاحتلام فتعني به زوال المنى سواء كان بالاحتلام أو بالجماع أو غيرها فإذا وجدت ذلك بعد استكمال سبع سنين من أيهما كان حكم ببلوغه لقوله تعالى وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا وقال النبي ﷺ بلغا في الجزية حين بعته إلى اليمن خذ من كل عالم ديناراً وأما الإنبات وهونبات الشعو الخشن حول النرج فهو بلوغ في أولاد المشركين لما روي عن عطية القرظي قال كنت من سبي قريظة فكانوا ينظرون فمن أنبت الشعر قتل ومن لم يبت لم يقتل فكنت ممن لم يبت وهل يكون ذلك لوغا في أولاد المسلمين فيه قولان: أحدهما يكون بلوغاً كما في أولاد الكفار والثاني لا يكون بلوغاً لأنه يمكن الوقوف على مواليد المسلمين بالرجوع إلى آبائهم وفي الكفار لا يوقف على مواليدهم ولا يقبل قول آبائهم فيه لكفرهم فجعل الإنبات للذي هو إبرة البلوغ بلوغاً في حقهم وأما ما يختص بالنساء فالحيض والحبل فإذا حاضت المرأة بعد استكمال سبع سنين يحكم ببلوغها وكذلك إذا ولدت يحكم ببلوغها قبل الوضع ستة أشهر لأنها أقل مدة الحمل وأما الرشد فهو أن يكون مصلحاً في دينه وماله والصلاح في الدين هو أن يكون محتجباً عن التواخس والمعاصي التي تسقط العدالة، والصلاح في المال هو أن لا يكون مبسواً والتبذير هو أن ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمدة دينية ولا مثوبة أخروية أو لا يجسن التصرف فيها فيعيب في البيوع فإذا بلغ الصبي وهو مفسد في دينه وغير مصلح لأماله دام الحجر عليه ولا يدفع إليه المال ولا ينفذ تصرفه وعند أبي حنيفة رضي الله

عنه إذا كان مصلحا لماله زال الحجر عنه وإن كان مفسدا في دينه وإذا كان مفسدا لماله قال لا يدفع إليه المالك حتى يبلغ حسنا وعشرين سنة غير أن تصرفه يكون (٤٨٠) فإذا قبله والقرآن حجة لمن استدام الحجر عليه لأن الله تعالى قال

في التصرف حال الصغر بدليل قوله فان آنستم منهم رشدا (فادفعوا إليهم أموالهم) وإنما تدفع إليهم أموالهم بعد البلوغ وإيتناس الرشد فثبت بموجب هذه الآية أنه لا يدفع إليه ماله حال الصغر فوجب أن لا يصح تصرفه حال الصغر وإنما المراد من الابتلاء هو اختيار عقله واستكشاف حاله في معرفة المصالح والمفاسد .

(المسئلة الثالثة) في بيان البلوغ وذلك بأربعة أشياء اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء واثنان يختصان بالنساء أما الاثنان يشترك فيهما الرجال والنساء فأحدهما بالنسب فإذا استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاما كان أو جارية بقوله ما روى عن ابن عمر قال عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فردني ثم عرضت عليه عام الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني وأخرجاه في الصحيحين وهذا قول أكثر أهل العلم وقال أبو حنيفة بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة وبلوغ الغلام باستكمال ثمان عشرة سنة والثاني الاحتلام وهو إزال المني الدافق سواء أنزل باحتلام أو جماع فإذا وجد ذلك من الصبي أو الجارية حكم ببلوغه لقوله تعالى وإذا بلغ الأطفال متكم الحلم ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ نخذ من كل حلم دينارا أما نيات الشعر الحشن حول الفرج فهو يدل على البلوغ في أولاد المشركين ما روى عن عطية القرظي قال كنت من سبي قريظة فكانوا ينظرون فمن أنبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت وهل يكون ذلك علامة عن البلوغ في أولاد المسلمين فيه قولان: أحدهما أنه يكون بلوغا كما في أولاد المشركين والثاني لا يكون ذلك بلوغا في حق أولاد المسلمين لأنه يمكن الوقوف على موليد أولاد المسلمين والرجوع إلى قول آبائهم بخلاف الكفار فإنه لا يوثق على مواليدهم ولا يقبل في ذلك قول آبائهم لسكنهم فجعلت الإنيات الذي هو أمانة البلوغ بلوغا في حقهم وأما الذي يختص بالنساء فهو الحيض والحبل فإذا حاضت الجارية بعد استكمال تسع سنين حكم ببلوغها وكذلك إذا ولدت حكم ببلوغها قبل الوضع بستة أشهر لأنها أقل مدة الحمل .

(المسئلة الرابعة) في بيان الرشد وهو أن يكون مصلحا في دينه وماله فالصلاح في الدين هو اجتناب الفواحش والمعاصي التي تستتبطها العداة والصلاح في المال هو أن لا يكون ميارا والتبذير أن يتفق ماله فيها لا يكون فيه عمدة دنيوية ولا ثروة أخروية أو لا يحسن التصرف فيعيب في البيع والشراء فإذا بلغ الصبي وهو مفسد لماله ودينه لم ينفك عنه الحجر ولا ينفذ تصرفه في ماله وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة إذا كان مصلحا لماله زال عنه الحجر وإن كان مفسدا لدينه وإذا كان لما مفسدا لا يدفع إليه المالك حتى يبلغ خمسة وعشرين سنة غير أنه ينفذ تصرفه قبله والقرآن حجة الشافعي في استدامة الحجر عليه لأن الله تعالى قال فان آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم أمر بدفع المال بعد البلوغ وإيتناس الرشد والفاسق لا يكون رشيدا وبعد بلوغه حسنا وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالإتفاق غير رشيد فوجب أن لا يجوز دفع المال إليه كما قبل بلوغ هذا السن .

حتى إذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا (فادفعوا إليهم أموالهم) أمر بدفع المال إليهم بعد البلوغ وإيتناس الرشد والفاسق لا يكون رشيدا وبعد بلوغه حسنا وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالإتفاق غير رشيد فوجب أن لا يجوز دفع المال إليه كما قبل بلوغ هذا السن وإذا بلغ وأونس منه الرشد زال الحجر عنه ودفع إليه المال رطلا كان أو امرأة تزوج أو لم يتزوج وعند مالك رحمه الله تعالى إن كانت امرأة لا يدفع المال إليها مالم تتزوج فإذا تزوجت دفع إليها ولكن لا ينفذ تصرفها إلا بإذن الزوج مالم تكبر وتجرب وإذا بلغ الصبي رشيدا وزال الحجر عنه ثم عاد سفيا نظر فان عاد ميارا لماله حجر عليه وإن عاد مفسدا في دينه فعلى وجهين: أحدهما يعاد الحجر عليه كما يستدام الحجر عليه إذا بلغ بها. والصفة والثاني لا يعاد لأن حكم الدوام أقوى من حكم الابتداء وعند أبي حنيفة رحمه

الله تعالى لا حجر على الحر العاقل البالغ بحال والدليل على إثبات الحجر من اتفاق الصحابة رضي الله عنهم ما روى عن هشام بن عروة عن أبيه أن عبد الله بن جعفر ابتاع أرضا سبعة بدين ألف درهم فقال هل لأبني عثمان فلا حجرن عليك فأتى ابن جعفر الزبير فأعلمه بذلك فقال الزبير أنا شريكك فقال عثمان كيف أحجر على رجل في بيع شريكك

ليه الزبير فكان ذلك اتفاقاً منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير في دفعه قوله تعالى (ولانا كلوها) بامعشر الأولياء
(اسرافاً) بغير حق (وبداراً) أي مبادرة (أن يكبروا) وأن في محل نصب (٤٨١) يعني لا تبادروا بكبرهم ورشدهم

حذر أن يلبسوا
فيلزمكم تسليمها إليهم
ثم بين ما يحل لهم من
مالهم فقال (ومن كان
غنيا فليستعفف) أي
ليمتنع من مال اليتيم فلا
يرزؤه قليلاً ولا كثيراً
والعفة الامتناع مما لا يحل
(ومن كان فقيراً) محتاجاً
إلى مال اليتيم وهو يحفظه
ويتعده (فليأكل
بالمعروف) أخبرنا محمد
ابن الحسن المرزوقي
أخبرنا أبو سهل محمد
ابن عمر السنجري أخبرنا
الإمام أبو سليمان الخطابي
أخبرنا أبو بكر بن داسة القمار
أخبرنا أبو داود السجستاني
أخبرنا حميد بن مسعدة
أن خالد بن الحارث
حدثهم أخبرنا حسين
يعني المعلم عن عمرو بن
شعيب عن أبيه عن جده
رضي الله عنهم أن رجلاً
أتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال إني فقير
وليس لي شيء ولي يتيم
فقال أكل من مال يتيمك
غير مسرف ولا مبادر
ولا متائل واختلفوا
في أنه هل يلزمه القضاء

(المسئلة الخامسة) إذا بلغ الصبي أو الجارية وأونس منه الرشد زال عنه الحجر ودفع إليه ماله
سواء تزوج أو لم يتزوج وقال مالك إن كانت امرأة لا يدفع إليها المال ما لم تزوج فإذا تزوجت
دفع إليها ماله ولا ينفذ تصرفها إلا باذن الزوج ما لم تكبر وتجرّب .

(المسئلة السادسة) إذا بلغ الصبي رشيداً زال عنه الحجر فلو عاد سبقها ينظر فإن كان ميلاً
لماله حجر عليه وإن كان مقسداً في دينه فمولى وجهين: أحدهما أن يعاد عليه الحجر كما يستدام إذا
بلغ وهو بهذه الصفة . والثاني لا يحجر عليه لأن حكم الدوام أقوى من حكم الابتداء وعند أبي حنيفة
لا حجر على الحر العاقل البالغ بحال والدليل على إثبات الحجر من اتفاق الصحابة ما روى عن
هشام بن عروة عن أبيه أن عبد الله بن جعفر ابتاع أرضاً سبعة بستان ألف درهم فقال على لأبني
عثمان ولأحجرن عليك فأتى ابن جعفر الزبير فأعلمه بذلك فقال الزبير أنا شريكك في بيعك فأتى
على عثمان فقال أحجر على هنا فقال الزبير أنا شريكك فقال عثمان كيف أحجر على رجل في بيع
شريكه فيه الزبير فكان اتفاقاً منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير لدفعه وقوله تعالى (ولا
تأكلوها إسرافاً) الخطاب للأولياء يعني بامعشر الأولياء لأننا كلوا أموال اليتامى بغير حق (وبداراً
أن يكبروا) يعني لا تبادروا بكبرهم ورشدهم فتفرطوا في إنفاقها وتجاوزون نفق كما نشتهي قبل أن
يكبروا فيلزمكم تسليمها إليهم ثم بين تعالى حال الأولياء وقسمهم قسمين فقال تعالى (ومن كان غنياً
فليستعفف) أي فليمتنع من أكل مال اليتيم ولا يرزؤه قليلاً ولا كثيراً (ومن كان فقيراً) يعني محتاجاً
إلى مال اليتيم وهو يحفظه (فليأكل بالمعروف) روى أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن
جده أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني فقير وليس لي شيء ولي يتيم فقال كل من مال
يتيمك غير مسرف ولا مبدر ولا متائل واختلف العلماء في حكم هذه الآية فروى عن عمرو بن
عباس وابن جبير وأبي العالية وعبيدة السلماني وأبي وائل ومجاهد ومقاتل أنه يأخذ من مال اليتيم
على وجه القرض واختلفوا في أنه هل يلزمه القضاء فذهب قوم إلى أنه يلزمه القضاء إذا أيسر
وهو المراد من قوله تعالى فليأكل بالمعروف والمعروف القرض أي يستقرض من مال اليتيم إذا
احتاج إليه فإذا أيسر قضاءه وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب إني أنزلت نفسي
من مال الله بمنزلة مال اليتيم إن استغنيت استعفت وإن أفقرت أكلت بالمعروف فإذا أيسرت قضيت
وقال قوم لأصمان عليه ولا قضاء بل يكون ما يأكله كالأجرة له على عمله وهو قول الحسن والشعبي
والنخعي وقتادة قال الشعبي لا يأكله إلا أن يضطر إليه كما يضطر إلى الميتة ثم القائلون بجواز
الأكل من مال اليتيم اختلفوا في قوله فليأكل بالمعروف فقال عطاء وعكرمة يأكل بأطراف
أصابعه ولا يسرف ولا يكتسى منه ولا يلبس الكتان ولا الخلل لكن يأكل ما يسد به الجوع
ويلبس ما يستر به العورة وقال الحسن يأكل من تمر نخله ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضاء عليه
فأما الذهب والفضة فلا يأخذ منه شيئاً فإن أخذ وجب عليه رده وقال الكلبي المعروف هو ركوب
الدابة وخدمة الخادم وليس له أن يأكل من ماله شيئاً وروى أن رجلاً قال لابن عباس إن لي يتيماً
وإن له إبلاً فأشرب من لبن إبلة فقال ابن عباس إن كنت تبغى ضالة إبله وتمتأجر بها وتليط

(٦١ - خازن بالبغوي - أول)

فذهب بعضهم إلى أنه يقضى إذا أيسر وهو المراد
من قوله فليأكل بالمعروف والمعروف القرض أي يستقرض من مال اليتيم إذا احتاج إليه فإذا أيسر قضاءه وهو قول
مجاهد وسعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إني أنزلت نفسي من مال الله تعالى بمنزلة مال اليتيم إن استغنيت

الفقر قيل هذا خطاب للذين يجاسون عند المريض وقد حضره الموت فيقول له انظر لنفسك فان اولادك وورثتك لا يفتنون عنك شيئا قدم لنفسك اعنتق وتصديق واعط فلانا كذا حتى ياتي على عامة ماله ففهم الله عن ذلك وامرهم بان امروه بالنظر لولده ولا يزيد على الثلث في وصيته ولا يجحف والمعنى كما انكم تكرهون بقاء اولادكم في الضعف والجوع من غير مال فاحشوا الله ولا تحملوا المريض على ان يحرم اولاده الصغار من ماله وحاصل هذا الكلام كما انك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه لأخيك المسلم وكما أنه لو كان هذا القاتل هو الموصي لسره أن يخفه من يحضره على حفظ ماله لولده ولا يدعهم من يحضرته على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عالة مع ضعفهم وعجزهم وقال الكلبي هذا الخطاب لولادة اليتيم يقول من كان في حجره يتيم فليحسن إليه وليأت في حقه ما يجب أن يفعل بنزته من بعده قوله تعالى (فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً) أي عدلاً والسديد العدل والصواب من القول وهو أن يأمره بأن يتصدق بما دون الثلث ويحلف بالبقية لورثته قوله تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتيم ظلماً) قال مقاتل وابن حبان نزلت في رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولي مال يتيم وكان اليتيم ابن أخيه فأكله فأنزل الله هذه الآية إن الذين يأكلون أموال اليتيم ظلماً يعني حراماً بغير حق (إنما يأكلون في بطونهم نارا) يعني سيئاً كلون يوم القيامة فسمى الذين يأكلون نارا بما يتول إليه أمرهم يوم القيامة قال السدي يبعث آكل مال اليتيم ظلماً يوم القيامة وهب النار يخرج من فيه ومن مسماعه وأذنيه وعينه وأفقه يعرفه من رآه يأكل مال اليتيم وفي حديث أبي سعيد الخدري قال حدثني النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسرى به قال نظرت فإذا أنا بقوم لهم مشافر كشافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم جعل في أفواههم صحرا من نار يخرج من فيه ومن مسماعه وأذنيه وعينه وأفقه يعرفه من رآه يأكل مال اليتيم ظلماً وإنما يأكلون في بطونهم نارا وقيل إنما ذكر أكل النار على سبيل التمثيل والتوسع في الكلام والمراد أن أكل مال اليتيم ظلماً يفضي به إلى النار وإنما خص الأكل بالذكر وإن كان المراد سائر أنواع الإنلافات وجميع التصرفات الرديئة المتعلقة للمال لأن الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم فعبّر عن جميع ذلك بالأكل لأنه معظم المقصود وإنما ذكر البطون لئلا يكيد فهو كقولك رأيت بعيني وسمعت بأذني (وسيصلون سعيراً) يعني بأكلهم أموال اليتيم

علي عامة ماله ففهم الله تعالى من ذلك وأمرهم أن يأمروه أن ينظر لولده ولا يزيد في وصيته على الثلث ولا يجحف بورثته كما أنه لو كان هذا القاتل هو الموصي لسره أن يخفه من يحضره على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عالة مع ضعفهم وعجزهم وقال الكلبي هذا الخطاب لولادة اليتيم يقول من كان في حجره يتيم فليحسن إليه وليأت في حقه ما يجب أن يفعل بنزته من بعده قوله تعالى (فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً) أي عدلاً والسديد العدل والصواب من القول وهو أن يأمره بأن يتصدق بما دون الثلث ويحلف بالبقية لورثته قوله تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتيم ظلماً) قال مقاتل وابن حبان نزلت في رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولي مال يتيم وكان اليتيم ابن أخيه فأكله فأنزل الله هذه الآية إن الذين يأكلون أموال اليتيم ظلماً يعني حراماً بغير حق (إنما يأكلون في بطونهم نارا) يعني سيئاً كلون يوم القيامة فسمى الذين يأكلون نارا بما يتول إليه أمرهم يوم القيامة قال السدي يبعث آكل مال اليتيم ظلماً يوم القيامة وهب النار يخرج من فيه ومن مسماعه وأذنيه وعينه وأفقه يعرفه من رآه يأكل مال اليتيم وفي حديث أبي سعيد الخدري قال حدثني النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسرى به قال نظرت فإذا أنا بقوم لهم مشافر كشافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم جعل في أفواههم صحرا من نار يخرج من فيه ومن مسماعه وأذنيه وعينه وأفقه يعرفه من رآه يأكل مال اليتيم ظلماً وإنما يأكلون في بطونهم نارا وقيل إنما ذكر أكل النار على سبيل التمثيل والتوسع في الكلام والمراد أن أكل مال اليتيم ظلماً يفضي به إلى النار وإنما خص الأكل بالذكر وإن كان المراد سائر أنواع الإنلافات وجميع التصرفات الرديئة المتعلقة للمال لأن الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم فعبّر عن جميع ذلك بالأكل لأنه معظم المقصود وإنما ذكر البطون لئلا يكيد فهو كقولك رأيت بعيني وسمعت بأذني (وسيصلون سعيراً) يعني بأكلهم أموال اليتيم

يقال صلى التهار يصلها صلياً وصلوا قال الله تعالى إلا من هو صال الجحيم (٤٨٥) وقرأ ابن عامر وأبو بكر بضم

الباء أى يدخلون النار
ويحرقون نظيره قوله
تعالى « فسوف نصليه
نارا ساصيله سقره » وفي
الحديث قال النبي ﷺ
« رأيت ليلة أسرى بي
قوما هم مشافر كمشافر
الإبل إحداهما قالصة
على منحريه والأخرى
على بطنه وخزنة النار
يلقمونهم جمر جهنم
وصخرها فقلت :
يا جبريل من هؤلاء؟ قال
الذين يأكلون أموال
اليتامى ظلماً قوله تعالى
(يوصيكم الله في أولادكم
للذكر مثل حظ الأنثيين)
الآية اعلم أن الوراثة
كانت في الجاهلية
بالذكورة والقوة فكانوا
يورثون الرجال دون
النساء والصبيان فأبطل
الله ذلك بقوله للرجال
نصيب مما ترك الوالدان
والأقربون الآية وكانت
أيضاً في الجاهلية وإبتداء
الإسلام بالخالفه قال
الله تعالى « والذين عقدت
أيمانكم فأنوهم نصيبهم »
ثم صارت الوراثة
بالمهجرة قال الله تعالى
« والذين آمنوا ولم
يهاجروا مالكم من
ولايتهم من شيء حتى
يهاجروا » فتنسخ ذلك كله وصارت الوراثة بأحد الأمور الثلاثة : بالنسب والتكاح أو الولاء والمعنى بالنسب أن القرابة يرث

ظلماً والسعيبر النار الموقدة المسعرة ولما نزلت هذه الآية نقل ذلك على الناس واحترزوا من
مخالطة اليتامى وأمواهم بالكيفية فشق ذلك على اليتامى فنزل قوله تعالى « وإن تخالطوهم فآخؤا نكم »
وقد توهم بعضهم أن قوله « وإن تخالطوهم » ناسخ لهذه الآية وهذا غلط ممن توهمه لأن هذه الآية
واردة في المنع من أكل أموال اليتامى ظلماً وهذا لا يصبر منسوخاً لأن أكل مال اليتيم بغير
حق من أعظم الآثام وقوله « وإن تخالطوهم فآخؤا نكم » وارد على سبيل الإصلاح في أموال اليتامى
والإحسان إليهم وهو من أعظم القرب . قوله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ
الانثيين) اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فروى عن جابر قال مرضت فأثاني رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعودني وأبو بكر وهما يمسيان فوجداني أغشى على فتوضأ رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم صب وضوءه على فأفقت فإذا النبي صلى الله عليه وسلم جالس فقلت يا رسول الله كيف أصنع
في مالي كيف أقضي في مالي فلم يجبني بشيء حتى نزلت آية الميراث وفي رواية فقلت لا يرثني إلا كلاله
فكيف الميراث؟ فنزلت آية الفرائض وفي رواية أخرى فنزلت « يوصيكم الله في أولادكم » وفي رواية
أخرى فلم يرد على شيئاً حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم أخرجه البخاري ومسلم
وقال مقاتل والكاظمي نزلت في أم كحة امرأة أوس بن ثابت وبيناته وقال عطاء نزلت في سعد
ابن الربيع النقيب استشهد يوم أحد وترك بنتين وامرأة وأخاً (ق) عن جابر رضى الله عنه قال
جاءت امرأة سعد بن الربيع بابتئها من سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول
الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك يوم أحد شهيدا وأن عمهما أخذ مالهما فلم يدع
لهما مالا ولا ينكحان إلا ولهما مال قال يقضى الله في ذلك فنزلت آية الميراث فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى عمهما فقال اعط ابنتي سعد الثلثين واعط أمهما الثلث وما بقي فهو لك
أخرجه الترمذي وقال السدي كان أهل الجاهلية لا يورثون الجوارى ولا الضعفاء من الغلمان
لا يرث الرجل من ولده إلا من أطاق القتال فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر وترك امرأة
وخمس بنات فجاء الوراثة وأخذوا ماله فشكت امرأته إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل الله تعالى
هذه الآية الكريمة وقبل الشروع في تفسير هذه الآية الكريمة تقدم فصولاً تتضمن أحكام
الفرائض وأصول قواعدها .

فصل في الحث على تعليم الفرائض

اعلم أن علم الفرائض من أعظم العلوم قدراً وأشرفها ذكراً وأفضلها ذكراً وهي ركن من
أركان الشريعة وفرع من فروعها في الحقيقة اشتغل الصدر الأول من الصحابة بتحصيلها وتكديدها
في فروعها وأصولها ويكنى في فضلها أن الله عز وجل تولى قسمتها بنفسه وأنزلها في كتابه مبينة
من محل قدسه وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليمها فيما رواه أبو هريرة قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعلموا الفرائض والقرآن وعلّموا الناس فإن مقبوض » أخرجه
الترمذي وقال فيه اضطراب وأخرجه أحمد بن حنبل وزاد فيه فاني امرؤ مقبوض والعلم مرفوع
ويوشك أن يختلف اثنان في الفريضة فلا يجدان أحداً يخبرهما عن أبي هريرة قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « تعلموا الفرائض وعلّمواها فانه نصف العلم » وهو أول علم ينسى وهو أول
شيء ينزع من أمي أخرجه ابن ماجه والدارقطني .

يهاجروا » فتنسخ ذلك كله وصارت الوراثة بأحد الأمور الثلاثة : بالنسب والتكاح أو الولاء والمعنى بالنسب أن القرابة يرث

علي عامة ماله فنهاهم الله تعالى من ذلك وامرهم ان يأمروه ان ينظر لولده ولا يزيد في وصيته على الثلث ولا يجحف بورثته كما أنه لو كان هذا الفائل هو الموصي لسره ان يحثه من يحضرته على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عائلة مع ضعفهم وعجزهم وقال الكلبي هذا الخطاب لولادة اليتامى يقول من كان في حجره يتيم فليحسن إليه وليأت في حقه ما يجب أن يفعل بئرته من بعده قوله تعالى (فليتقوا الله وليقوا قولاً سديداً) أي عدلاً والسديد العدل والصواب من القول وهو أن يأمره بأن يتصدق بما دون الثلث ويخلف الباقي لورثته قوله تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) قال مقاتل وابن حبان نزلت في رجل من بني غطفان له مرثد بن زيد ولي مال من أخيه وهو يتيم صغير فأكله فأنزله الله تعالى فيه وإن الذين يأكلون أموال اليتيم ظلماً أي حراماً بقدر حق (إنما يأكلون في بطونهم ناراً)

التقر قيل هذا خطاب للذين يجاسون عند المريض وقد حضره الموت فيقول له انظر لنفسك فان اولادك وورثتك لا يفتنون عنك شيئا قدم لنفسك اعنتي وتصديق واعط فلان لولده ولا يزيد على الثلث في وصيته ولا يجحف والمعنى كما أنكم تكرهون بقاء اولادكم في الضعف والجوع من غير مال فاحشوا الله ولا تحملوا المريض على أن يحرم اولاده الصغار من ماله وحاصل هذا الكلام كما أنك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه لأخيك المسلم وكما أنه لو كان هذا الفائل هو الموصي لسره أن يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عائلة يتكففون الناس مع ضعفهم وعجزهم وقيل هو الرجل يحضره الموت ويريد أن يوصي بشيء فيقول له من حضره من الرجال اتق الله وامسك أموالك لولدك فيمنعونه من الوصية لأقربيه المحتاجين وقيل الآية محتمل أن تكون خطاباً لمن حضر أجله ويكون المقصود نهي عن تكثير الوصية لئلا تبقى ورثته فقراء ضعافاً ضالعين بعد موته ثم إن كانت هذه الآية نزلت قبل تقدير الثلث كان المراد منها أن لا يجعل الوصية مستغرقة للتركة وإن كانت قد نزلت بعد تقدير الثلث كان المراد منها أن يوصي بالثلث أو بأقل منه إذا خاف على ورثته كما روي عن كثير من الصحابة أنهم أوصوا بالنليل لأجل ذلك وكانوا يقولون الخمس في الوصية أفضل من الربع والربع أفضل من الثلث وقد ورد في الصحيح الثلث والثلث كثير لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عائلة يتكففون الناس يعني يسألونهم بأكفهم وقيل هو خطاب لأولياء اليتامى والمعنى وليخش من خافت على ولده من بعده موته أن يضيع مال اليتيم الضعيف الذي هو ذرية غيره إذا كان في حجره والمقصود من الآية أن من كان في حجره يتيم فليحسن إليه وليه أو وصيه وليفعل به ما يجب أن يفعل بأولاده من بعده (فليتقوا الله) يعني في الأمر الذي تقدم ذكره (وليقولوا قولاً سديداً) يعني عدلاً وصواباً فالقول السديد من الجائزين عند المريض هو أن يأمره أن يتصدق بدون الثلث ويترك الباقي لولده وورثته وأن لا يجحف في وصيته والقول السديد من الأوصياء وأولياء اليتامى أن يكلمهم وهم كما يكلمون اولادهم ولا يؤذوهم بقول ولا فعل قوله عز وجل (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) قال مقاتل وابن حبان نزلت في رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولي مال يتيم وكان اليتيم ابن أخيه فأكله فأنزله الله هذه الآية إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً يعني حراماً بغير حق (إنما يأكلون في بطونهم ناراً) يعني سبأ كلون يوم القيامة فسمى الذين يأكلون ناراً بما يتول إلى أمرهم يوم القيامة قال السدي يبعث آكل مال اليتيم ظلماً يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأذنيه وعينه وأنفه يعرفه من رآه يأكل مال اليتيم وفي حديث أبي سعيد الخدري قال حدثني النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسرى به قال نظرت فإذا أنا بقوم لهم مشافر كشافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرًا من نار يخرج من أسافلهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً وإنما كلون في بطونهم ناراً وقيل إنما ذكر أكل النار على سبيل التمثيل والتوسع في الكلام والمراد أن أكل مال اليتيم ظلماً يقضي به إلى النار وإنما خص الأكل بالذكر وإن كان المراد سائر أنواع الإلتفافات وجميع التصرفات الرديئة المتلفة للمال لأن الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم فعبر عن جميع ذلك بالأكل لأنه معظم المقصود وإنما ذكر البطون للتأكيد فهو كقولك رأيت بعيني وسمعت بأذني (وسيسألون سعيراً) يعني بأكلهم أموال اليتامى

يقال صلى النهار يصلها صلياً وصلوا قال الله تعالى إلا من هو صال الجحيم (٤٨٥) وقرأ ابن عامر وأبو بكر بضم

الباء أى يدخلون النار
ويحرقون نظيره قوله
تعالى « فسوفت نصليه
نارا سأصليه مقروء وفي
الحديث قال النبي ﷺ
« رأيت ليلة أسري بي
قوما لهم مشافر كشافر
الإبل إحداهما قالصة
على منخرية والأخرى
على بطنه وخزنة النار
يلقمونهم جمر جهنم
وصخرها فقلت :
يا جبريل من هؤلاء؟ قال
الذين يأكلون أموال
اليتامى ظلماً قوله تعالى
(يوصيكم الله في أولادكم
للذكر مثل حظ الأنثيين)
الآية اعلم أن الوراثة
كانت في الجاهلية
بالذكورة والقوة فكانوا
يورثون الرجال دون
النساء والصبيان فأبطل
الله ذلك بقوله وللرجال
نصيب مما ترك الوالدان
والأقربون الآية وكانت
أيضاً في الجاهلية وابتداء
الإسلام بالخالفه قال
الله تعالى «والذين عقدت
أيمانكم فآتوهم نصابهم»
ثم صارت الوراثة
بالهجرة قال الله تعالى
«والذين آمنوا ولم
يهاجروا مالكم من
ولائهم من شئ حتى

ظلما والسعير النار الموقدة المسعرة ولما نزلت هذه الآية نقل ذلك على الناس واحتزروا من
عاطلة اليتامى وأموالهم بالكلية فشق ذلك على اليتامى فنزل قوله تعالى «وإن تخالطوهم فآخؤا نكم»
وقد توهم بعضهم أن قوله وإن تخالطوهم ناسخ لهذه الآية وهذا غلط ممن توهمه لأن هذه الآية
واردة في المنع من أكل أموال اليتامى ظلماً وهذا لا يصير منسوخاً لأن أكل مال اليتيم بغير
حق من أعظم الآثام وقوله وإن تخالطوهم فآخؤا نكم وارد على سبيل الإصلاح في أموال اليتامى
والإحسان إليهم وهو من أعظم القرب. قوله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ
الأنثيين) اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فروى عن جابر قال مرضت فأثاني رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعودني وأبو بكر وهما يمسيان فوجداني أغشى على فتوضأ رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم صب وضوءه على فأفقت فإذا النبي صلى الله عليه وسلم جالس فقلت يا رسول الله كيف أصنع
في مالي كيف أقضي في مالي فلم يجبني بشئ حتى نزلت آية الميراث وفي رواية فقلت لا يرثني إلا كلاله
فكيف الميراث؟ فنزلت آية الفرائض وفي رواية أخرى فنزلت «يوصيكم الله في أولادكم» وفي رواية
أخرى فلم يرد على شيئاً حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم أخرجه البخاري ومسلم
وقال مقاتل والكاظمي نزلت في أم كحة امرأة أوس بن ثابت وبيناته وقال عطاء نزلت في سعد
ابن الربيع الثقفي استشهد يوم أحد وترك بنتين وامرأة وأخاً (ق) عن جابر رضي الله عنه قال
جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتها من سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول
الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك يوم أحد شهيدا وأن عمهما أخذ مالهما فلم يدع
لهما مالا ولا ينكحان إلا ولهما مال قال يقضى الله في ذلك فنزلت آية الميراث فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى عمهما فقال اعط ابنتي سعد الثلثين واعط أمهما الثلث وما بقي فهو لك
أخرجه الترمذي وقال السدي كان أهل الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الضعفاء من الغلمان
لا يرث الرجل من ولده إلا من أطاق القتال فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر وترك امرأة
وخمس بنات فجاء الوراثة وأخذوا ماله فشكت امرأته إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل الله تعالى
هذه الآية الكريمة وقبل الشروع في تفسير هذه الآية الكريمة تقدم فصولاً تتضمن أحكام
الفرائض وأصول قواعدها .

فصل في الحث على تعلم الفرائض

اعلم أن علم الفرائض من أعظم العلوم قدراً وأشرفها ذكراً وأفضلها ذكراً وهي ركن من
أركان الشريعة وفرع من فروعها في الحقيقة اشتغل الصدر الأول من الصحابة بتحصيلها وتكليفها
في فروعها وأصولها ويكنى في فضلها أن الله عز وجل تولى قسمتها بنفسه وأنزلها في كتابه مبينة
من محل قدسه وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليمها فيما رواه أبو هريرة قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تعلموا الفرائض والقرآن وعلّموا الناس فإني مقبوض» أخرجه
الترمذي وقال فيه اضطراب وأخرجه أحمد بن حنبل وزاد فيه فإني امرؤ مقبوض والعلم مرفوع
ويوشك أن يختلف اثنان في الفريضة فلا يجدان أحداً يخبرهما عن أبي هريرة قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم «تعلموا الفرائض وعلّموا فإنه نصف العلم» وهو أول علم ينسى وهو أول
شئ ينزع من أمتي أخرجه ابن ماجه والدارقطني .

بها جروا فاسخ ذلك كله وصارت الوراثة بأحد الأمور الثلاثة : بالنسب والنكاح أو الولاء والمعنى بالنسب أن القرابة يرث

بعضهم من بعض لقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله والمعنى بالنكاح ان احد الزوجين يرث صاحبه وبالولاء ان المعتق وعصبته يرثون المعتق فنذكر بعون الله تعالى فضلا وجزا في بيان من يرث من الأقارب وكيفية توريث الورثة فنقول إذا مات ميت وله مال فيبدأ بتجهيزه ثم بقضاء ديونه ثم بانفاذ وصاياه فما فضل بقسم بين الورثة على ثلاثة أقسام: منهم من يرث بالفرض ومنهم من يرث بالتعصيب ومنهم من يرث بهما جميعا فمن يرث بالنكاح لا يرث إلا بالفرض ومن يرث بالولاء لا يرث إلا بالتعصيب فأما من يرث بالقرابة فهم من يرث بالفرض كالبنات والأخوات والأمهات والجدات وأولاد الأم ومنهم من يرث (٤٨٦) بالتعصيب كالبنين والأخوة وبنى الأعمام وبنينهم ومن يرث بهما

كالأب يرث بالتعصيب إذا لم يكن للميت ولد فان كان للميت ابن فيرث الأب بالفرض السادس وإن كان للميت بنت فيرث الأب السادس بالفرض ويأخذ الباقي بعد نصيب البنت بالتعصيب وكذلك الجد وصاحب التعصيب من يأخذ جميع المال عند الانفراد ويأخذ ما فضل عن أصحاب القرائض وجملة الورثة سبعة عشر: عشرة من

فصل في بيان أحكام القرائض

إذا مات الميت وله مال يبدأ بتجهيزه من ماله ثم تقضى ديونه إن كان عليه دين ثم تنفذ وصاياه وما فضل بعد ذلك من ماله يقسم بين ورثته والوارثون من الرجال عشرة: الابن وابن الابن وإن سفل والأب والجد وإن علا والأخ سواء كان لأب أو لأم وابن الأخ للأب والجد أو للأب وإن سفل والعم للأب والجد أو للأب وإن سفل. وإن سفلوا والزوج والمعتق. والوارثات من النساء سبع: البنت وبنت الابن وإن سفلت. والأم والجدة وإن علت. والأخت من كل الجهات. والزوجة والمعتقة وستة من هؤلاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير وهم: الأيوان والوالدان والزوجان لأنه ليس بينهم وبين الميت واسطة ثم الورثة ثلاثة أصناف: صنف يرث بالفرض المحرد وهم الزوجان والبنات والأخوات والأمهات والجدات وأولاد الأم وصنف يرث بالتعصيب وهم: البنون والأخوة وبنوهم والأعمام وبنوهم وصنف يرث بالتعصيب تارة وبالفرض أخرى وهما: الأب والجد فيرث بالتعصيب إذا لم يكن للميت ولد فان كان له ابن ورث الأب بالفرض السادس وإن كانت بنت ورث السادس بالفرض وأخذ الباقي بالتعصيب والعصبة اسم لمن يأخذ جميع المال إذا انفرد ويأخذ ما فضل عن أصحاب القرائض.

فصل

وأساب الإرث ثلاثة: نسب ونكاح وولاء فالنسب القرابة يرث بعضهم بعضا والنكاح هو أن يرث أحد الزوجين من صاحبه بسبب النكاح والولاء هو أن المعتق وعصبته يرثون المعتق والأسباب التي تمنع الميراث أربعة: اختلاف الدين فالكافر لا يرث المسلم ولا المسلم يرث الكافر لما روى عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم أخرجه في الصحيحين فأما الكفار فيرث بعضهم بعضا مع اختلاف ملتهم وأديانهم لأن الكافر كله ملة واحدة وذهب بعضهم إلى أن اختلاف الملل والكفر يمنع التوارث أيضا حتى لا يرث اليهودي من النصراني ولا النصراني من الجوسي وإلى هذا ذهب الزهري والأوزاعي وأحمد وإسحاق لما روى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا توارث بين أهل ملتين أخرجه الترمذي

الرجال وسبع من النساء فمن الرجال الابن وابن الابن وإن سفل والأب والجد أبو الأب وإن علا والأخ سواء كان لأب أو لأم وابن الأخ للأب أو للأب وإن سفل والعم للأب والجد أو للأب

وقال

وأبناؤهما وإن سفلوا والزوج ومولى العتاق ومن النساء البنت وبنت الابن وإن سفلت والجدة أم

الأم وأم الأب والأخت سواء كانت لأب أو لأم أو لأم والزوجة ومولاة العتاق وستة من هؤلاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير: الأيوان والوالدان والزوجان لأنه ليس بينهم وبين الميت واسطة والأسباب التي توجب حرمان الميراث أربعة اختلاف الدين والرق والقتل وعمى الموت ونعني باختلاف الدين أن الكافر لا يرث المسلم والمسلم لا يرث الكافر لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أخبرنا الشافعي، أنا ابن عبيدة عن الزهري عن علي بن حسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم فأما الكفار فيرث بعضهم من بعض مع اختلاف ملتهم لأن الكفر كله ملة واحدة لقوله تعالى والذين كفروا

بعضهم أولياء بعض، وذهب بعضهم إلى أن اختلاف المثل في الكفر يمنع التوارث حتى لا يرث اليهودي النصراني ولا النصراني الجوسني، وإليه ذهب الزهري والأوزاعي وأحمد وإسحاق لقول النبي صلى الله عليه وسلم «لا يتوارث أهل ملتين شتى» وقوله الآخرون على الإسلام مع الكفر. وأما الكفر فكله ملة واحدة فتورث بعضهم من (٤٨٧) بعض لا يكون فيه إثبات التوارث

بين أهل ملتين شتى والرقيق لا يرث أحدا ولا يرثه أحد لأنه لا ملك له لا فرق فيه بين التمن والمدبر والمكاتب وأم الولد والقتل يمنع الميراث عمدا كان أو خطأ لما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «القاتل لا يرث» ونعني بعمرى الموت أن المتوارثين إذا عمي موتها بأن غرقا في ماء أو انهدم عليهما بناء فلم يرث أيهما سبق موته فلا يرث أحدهما من الآخر بل ميراث كل واحد منهما لمن كان حياته يقينا بعد موته من ورثته والسهام المحدودة

وقال حديث غريب . عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا يتوارث أهل ملتين شتى» أخرجه أبو داود وحمله الآخرون على الإسلام والكفر لأن الكفر عندهم ملة واحدة فتورث بعضهم من بعض لا يكون فيه إثبات التوارث بين ملتين شتى والرقق يمنع الإرث لأن الرقيق ملك ولا ملك له فلا يرث ولا يورث والقتل يمنع الإرث عمدا كان أو خطأ لما روى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «القاتل لا يرث» أخرجه الترمذي وقال هذا حديث لا يصح والذي عليه العمل عند أهل العلم أن القاتل لا يرث سواء كان القتل عمدا أو خطأ وقال بعضهم إذا كان القتل خطأ فإنه يرث وهو قول مالك وعمى الموت وهو أن يخفى موت المتوارثين وذلك بأن غرقا أو انهدم عليهما بناء فلم يرث أيهما سبق موته فلا يرث أحدهما الآخر بل يكون إرث كل واحد منهما لما كانت حياته يقينا بعد موته من ورثته .

فصل: والسهام المحدودة

والسهام المحدودة في الفرائض المذكورة في كتاب الله عز وجل ستة: النصف والربع والثلثان والثلث والسدس فالنصف فرض خمسة: فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب أو بنت الابن عند عدم بنت الصلب وفرض الأخت الواحدة للآب والأم وفرض الأخت الواحدة للآب إذا لم يكن ولد لآب وأم والربع فرض الزوج من الولد وفرض الزوجة مع عدم الولد والثلثان فرض الولد والثلثان فرض البنين فصاعدا أو بنات الابن عند عدم بنات الصلب وفرض الأختين فصاعدا للآب والأم أو للآب والثلث فرض ثلاثة: فرض الأم إذا لم يكن للميميت ولد ولا إثنان من الأخوة والأخوات إلا في مستلثين: أحدهما زوج وأبوان والأخرى زوجة وأبوان فإن للأم فيهما ثلث الباقي بعد نصيب الزوج أو الزوجة وفرض الإثنتين فصاعدا من أولاد الأم ذكرهم وأنثاهم فيه سواء وفرض الجد مع الأخوة إذا لم يكن في المسئلة صاحب فرض وكان الثلث للجد خيرا من المقاسمة مع الأخوة والسلس فرض سبعة: فرض الأب إذا كان للميت ولد وفرض الأم إذا كان للميت ولد أو ولد ابن أو إثنان من الأخوة والأخوات وفرض الجد إذا كان للميت ولد ومع الأخوة إذا كان في المسئلة صاحب فرض وكان السلس خيرا من المقاسمة مع الإخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من أولاد الأم ذكرها كان أو أنثى وفرض بنات الابن مع بنت الصلب تسكئة الثلثين وفرض الأخوات للآب مع الأخت للآب والأم تسكئة الثلثين (ق) عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأول رجل ذكر» (خ) عن ابن عباس قال كان المال للولد والوصية للوالدين ففسخ الله من ذلك ما أحب فجعل

يكن ولد لآب وأم والربع فرض اثنين فرض الزوج إذا كان للميت ولد وفرض الزوجة إذا لم يكن للميت ولد والثلث فرض البنين للصلب فصاعدا ولبنتي الابن فصاعدا عند عدم ولد الصلب وفرض الأختين لآب وأم أو للآب فصاعدا والثلث فرض ثلاثة: فرض الأم إذا لم يكن للميت ولد ولا إثنان من الإخوة والأخوات إلا في مستلثين أحدهما زوج وأبوان والثانية زوجة وأبوان فإن للأم فيهما ثلث ما بقي بعد نصيب الزوج أو الزوجة وفرض لاثنتين فصاعدا

من أولاد الأم ذكرهم وأنتاهم فيه سواء وفرض الجدمع الأخوة إذا لم يكن في المسئلة صاحب فرض وكان الثلث خيرا للجد من المقاسمة مع الإخوة وأما السدس ففرض سبعة: فرض الأب إذا كان للميت ولد وفرض الأم إذا كان للميت ولد واثنان من الإخوة والأخوات وفرض الجد إذا كان للميت ولد ومع الإخوة والأخوات إذا كان في المسئلة صاحب فرض وكان السدس خيرا للجد من المقاسمة مع الإخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من أولاد الأم ذكرا كان أو أنثى وفرض بنات الابن إذا كان للميت بنت واحدة للصلب تكملة للثلاثين وفرض الأخوات للأب إذا كان للميت أخت واحدة لأب وأم تكملة للثلاثين: أخبرنا عبد الواحد (٤٨٨) الملبحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن

إسماعيل أخبرنا مسلم بن إبراهيم أنا وهيب بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والخمسة الفرائض بأهلها فما بقى فهو لأولى رجل ذكره وفي الحديث دليل على أن بعض الورثة يحجب البعض والحجب نوعان: حجب نقصان وحجب حرمان فأما حجب النقصان فهو أن الولد أو ولد الابن يحجب الزوج من النصف إلى الربع والزوجة من الربع إلى الثلث من الأم وأما الحجب الثاني وهو حجب الحرمان فهو أن الأم تسقط الجدات وأولاد الأم وهم الأخوة للأم يسقطون بأربعة بالأب والجد وإن علا وبالولد وولد الابن وأولاد الأب والأم وهم الأخوة للأب والأم يسقطون بثلاثة بالأب والابن وابن الابن وإن سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبه قال مالك والأوزاعي والشافعي وأحمد وأولاد الأب يسقطون بهؤلاء الثلاثة وبالأخ للأب والأم وذهب قوم إلى أن الأخوة يسقطون جميعا بالجد كما يسقطون بالأب وهو قول أبي بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وأبي الدرداء وعائشة وبه قال الحسن وعطاء وطاوس وأبو حنيفة والأقرب من العصباء يسقط الأبعد منهم فأقربهم الابن ثم ابن الابن وإن سفل ثم الأب ثم الجد وإن علا فإن كان مع الجد أحد من الأخوة والأخوات للأب والأم أو للأب يشتركان في الميراث فإن لم يكن جد فلأخ للأب والأم ثم الأخ للأب ثم بنو الأخوة يقدم أقربهم سواء كان لأب وأم أو لأب فإن استويا في الدرجة فالذي هو لأب وأم أولى ثم العم لأب وأم ثم بنوهم على ترتيب بنى الأخوة ثم عم الأب ثم عم الجد على الترتيب فإن لم يكن أحد من عصابات النسب وعلى الميت ولا فالميراث للمعتق فإن لم يكن حيا فلعصبات المعتق وأربعة من الذكور يعصبون الإناث: الابن وابن الابن والأخ للأب والأم والأخ للأب فلو مات عن ابن وبنت أو عن أخت وأخت لأب وأم أو لأب يكون المال

للذكر مثل حظ الأنثيين وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث وجعل للمرأة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع اهـ.

فصل

روى عن زيد بن ثابت قال ولد الأبناء بمنزلة الأبناء إذا لم يكن دونهم ابن ذكرهم كذكرهم وأنثاهم كأنثاهم يرثون كما يرثون ويحجبون كما يحجبون ولا يرث ولد ابن مع ابن ذكر فإن ترك ابنة وابن ابن ذكر كان للثمن النصف ولابن الابن ما بقى لقوله صلى الله عليه وسلم والخمسة الفرائض بأهلها فما بقى فهو لأولى رجل ذكره وفي الحديث دليل على أن بعض الورثة يحجب البعض والحجب نوعان: حجب نقصان وحجب حرمان. أما الأول وهو حجب النقصان فهو أن الولد وولد الابن يحجب الزوج من النصف إلى الربع والزوجة من الربع إلى الثلث من الأم من الثلث إلى السدس وكذلك الاثنان من الأخوة والأخوات يحجبون الأم من الثلث إلى السدس. وأما الثاني وهو حجب الحرمان فهو أن الأم تسقط الجدات وأولاد الأم وهم الأخوة للأم يسقطون بأربعة بالأب والجد وإن علا وبالولد وولد الابن وأولاد الأب والأم وهم الأخوة للأب والأم يسقطون بثلاثة بالأب والابن وابن الابن وإن سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبه قال مالك والأوزاعي والشافعي وأحمد وأولاد الأب يسقطون بهؤلاء الثلاثة وبالأخ للأب والأم وذهب قوم إلى أن الأخوة يسقطون جميعا بالجد كما يسقطون بالأب وهو قول أبي بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وأبي الدرداء وعائشة وبه قال الحسن وعطاء وطاوس وأبو حنيفة والأقرب من العصباء يسقط الأبعد منهم فأقربهم الابن ثم ابن الابن وإن سفل ثم الأب ثم الجد وإن علا فإن كان مع الجد أحد من الأخوة والأخوات للأب والأم أو للأب يشتركان في الميراث فإن لم يكن جد فلأخ للأب والأم ثم الأخ للأب ثم بنو الأخوة يقدم أقربهم سواء كان لأب وأم أو لأب فإن استويا في الدرجة فالذي هو لأب وأم أولى ثم العم لأب وأم ثم بنوهم على ترتيب بنى الأخوة ثم عم الأب ثم عم الجد على الترتيب فإن لم يكن أحد من عصابات النسب وعلى الميت ولا فالميراث للمعتق فإن لم يكن حيا فلعصبات المعتق وأربعة من الذكور يعصبون الإناث: الابن وابن الابن والأخ للأب والأم والأخ للأب فلو مات عن ابن وبنت أو عن أخت وأخت لأب وأم أو لأب يكون المال

الإخوة والأخوات للأم يسقطون بأربعة: بالأب والجد وإن علا وبالولد وولد الابن وإن سفل وأولاد الأب والأم يسقطون بثلاثة: بالأب والابن وابن الابن وإن سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبه قال مالك والشافعي والأوزاعي وأحمد وإسحاق رحمهم الله: وأولاد الأب يسقطون بهؤلاء الثلاثة وبالأخ للأب والأم وذهب قوم إلى أن الأخوة جميعا يسقطون بالجد كما يسقطون بالأب وهو قول أبي بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وأبي الدرداء وعائشة رضي الله عنهم وبه قال الحسن وعطاء وطاوس وأبو حنيفة رحمهم الله وأقرب العصباء يسقط الأبعد من العصبية وأقربهم الابن ثم ابن الابن وإن سفل ثم الأب ثم الجد أبو الأب

وإن علا فإن كان مع الجد أحد من الإخوة والأخوات للأب والأم أو للأب فيشتركان في الميراث فإن لم يكن جد فالأخ
للأب والأم ثم الأخ للأب ثم بنو الأخوة يقدم أقرههم سواء كان لأب وأم أو لأب فإن استويا في الدرجة فالذي هو لأب
وأم أولى ثم العم للأب والأم ثم العم للأب ثم بنوهم على ترتيب بنو الإخوة ثم عم الأب ثم عم الجد على هذا الترتيب فإن
لم يكن أحد من عصبات النسب وعلى الميت ولاء فالميراث للمعتق فإن لم يكن حيا فلعصبات المعتق وأربعة من الذكور
يعصبون الإناث: الابن وابن الابن والأخ للأب والأم والأخ للأب حتى لو ماتت عن ابن وبنت أو عن أخ وأخت لأب
وأم أو لأب فإنه يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الأنثيين ولا يفرض للبنت والأخت وكذلك ابن الابن يعصب من في
درجته من الإناث ومن فوقه إذا لم تأخذ من الثلثين شيئا حتى لو ماتت عن بنتين وبنت ابن فلبنتين الثلثان ولا شيء لبنت الابن
فإن كان في درجتها ابن ابن أو أسفل منها ابن ابن كان الباقي بينهما للذكر مثل حظ الأنثيين والأخت للأب والأم أو للأب
تسكون عصبه مع البنت حتى لو ماتت عن بنت وأخت كان النصف للبنت (٤٨٩) والباقي للأخت فلو ماتت عن

بنتين وأخت فلبنتين
الثلثان والباقي للأخت
والدليل عليه ما أخبرنا
عبد الواحد المليحي
أنا أحمد بن عبد الله
النعيمي أنا محمد بن
يوسف، أنا محمد بن
إسماعيل أنا آدم أنا شعبة
أنا أبو قيس قال سمعت
هزيل بن شرحبيل قال
سئل أبو موسى عن
ابنة وبنت ابن وأخت
فقال للبنت النصف
وللأخت النصف واثت
ابن مسعود فسيتابعني
فسئل ابن مسعود وأخبر
بقول أبي موسى فقال
لقد ضالت إذا وما أنا
من المهتدين أنضى فيها بما

بينهما للذكر مثل حظ الأنثيين ولا يفرض للبنت والأخت وكذلك ابن الابن يعصب من في درجته
من الإناث ومن فوقه إذا لم يأخذ من الثلثين شيئا حتى لو ماتت عن بنتين وبنت ابن فلبنتين
الثلثان ولا شيء لبنت الابن فإن كان في درجتها ابن ابن أو أسفل منها ابن ابن كان الباقي
بينهما للذكر مثل حظ الأنثيين والأخت للأب والأم أو للأب تسكون مع البنت عصبه حتى
لو ماتت عن بنت وأخت كان للبنت النصف والباقي وهو النصف للأخت ولو ماتت عن بنتين
وأخت كان للبنتين الثلثان والباقي للأخت ويدل على ذلك ما روى عن هزيل بن شرحبيل قال
سئل أبو موسى عن ابنة وابنة ابن وأخت فقال: للابنة النصف وللأخت النصف واثت ابن
مسعود. فسئل ابن مسعود وأخبر بقول أبي موسى فقال ابن مسعود: لقد ضللت وما أنا من المهتدين
ثم قال اقضى فيها بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم للإبنة النصف ولابنة الابن السدس
تسكلمة الثلثين وما بقى فللأخت فأخبر أبو موسى بقول ابن مسعود فقال لا تسألوني مادام بما
الخبر فيكم أخرجه البخاري. وأما التفسير فقوله تعالى يوصيكم الله أي يعهد إليكم ويفرض
عليكم في أولادكم يعني في أمر من أولادكم إذا تمم والوصية من الله إيجاب وإنما بدأ الله تعالى
بذكر ميراث الأولاد لأن تعلق قلب الإنسان بولده أشد من تعلقه بغيره فلهذا قدم الله ذكر
ميراثهم للذكر مثل حظ الأنثيين يعني أن الولد الذكر له من الميراث ضعفا سهما الأنثى فللذكر
سهمان وللأنثى سهم فلو حصل مع الأولاد غيرهم من الورثة من أهل الفروض كالأبوين

(٦٢ - حازن بالبعوى - أول) قضى به رسول الله ﷺ للبنت النصف ولابنة الابن السدس تسكلمة الثلثين وما بقى
فللأخت فأخبرنا أبو موسى فأخبرنا بقول ابن مسعود رضي الله عنه فقال لا تسألوني مادام هذا الخبر فيكم رجعتنا إلى تفسير الآية
واختلفوا في سبب نزولها أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل
أخبرنا أبو الوليد أنا شعبة عن محمد بن المنكدر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وأنا مريض لا أعقل فتوضأ
وصب على من وضوئه فغسلت فقلت يارسول الله لمن الميراث إنما يرثني كلاله فنزلت آية الفرائض وقال مقاتل والكلبي نزلت
في أم كحة امرأة أوس بن ثابت وبنته وقال عطاء استشهد سعد بن الربيع النقيب يوم أحد وترك امرأة وبنتين وأخا فأخذ
الأخ المال فأقت امرأة سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يابتي سعد فقالت يارسول الله أن هاتين ابنتي سعد وأن سعدا
قتل يوم أحد شهيدا وأن عمهما أخذ مالهما ولا تنكحان إلا ولهما مال فقال رسول الله ﷺ أرجعي ففعل الله سبحانه في ذلك
فنزل يوصيكم الله إلى آخرها فدعا رسول الله ﷺ عمهما فقال أعط ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن وما بقى فهو لك فهو أول
ميراث قسم في الإسلام قوله عز وجل يوصيكم الله في أولادكم أي يعهد إليكم ويفرض عليكم في أولادكم أي في أمر أولادكم إذا

أخذوا فروضهم وما بقي بعد ذلك كان بين الأولاد للذكر مثل حظ الأنثيين (فان كن) يعني المبركات من الأولاد (نساء فوق الثنتين) يعني ذين فصاعدا (فلهن ثلثا مارك) وأجمعت الأمة على أن للبتين الثنتين إلا ماروي عن ابن عباس أنه ذهب إلى ظاهر الآية وقال: الثلثان فرض الثلاث من البنات لأن الله تعالى قال «فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا مارك» فجعل الثنتين للنساء إذا زدن على الثنتين. وعنده أن فرض الثنتين النصف كفرض الواحدة وأجيب عنه بوجوده فيها حجة مله الجهور أيضا: الوجه الأول أن الله تعالى قال «وإن كانت واحدة فلها النصف فجعل النصف للواحدة» وذلك يفتي حصول النصف نصيبا للبتين. الوجه الثاني في الآية تقديم وتأخير والتقدير: فان كن نساء اثنتين فما فوقهما فلهن الثلثان. الوجه الثالث أن لفظة فوق هاهنا صلة والتقدير فان كن نساء اثنتين فهو كقوله «فاضربوا فوق الأعناق» يعني فاضربوا الأعناق وإنما سمى الاثنتين نساء بلفظ الجمع، لأن العرب تطلق على الاثنتين جماعة بدليل قوله تعالى «فقد صغت قلوبكما». الوجه الرابع قال علماء الجمهور: وإنما أعطيتا البنتين الثلثين بتأويل القرآن لأن الله تعالى جعل للبت الواحدة النصف بقوله تعالى «وإن كانت واحدة فلها النصف» وجعل للأخت الواحدة النصف بقوله «إن أمروا هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف مارك» ثم جعل للأختين الثلثين بقوله «فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان» فلما جعل للأختين الثلثين علمنا أن للبتين الثلثين قياسا على الأختين. الوجه الخامس أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالثلثين لابنتي سعد بن الربيع وهذا نص وأصح في المسألة. قوله تعالى «وإن كانت واحدة» يعني البنت واحدة (فلها النصف) يعني فرضا لها (ولأبويه) يعني أبي الميت كناية عن غير المذكور وهما والداه (لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد) يعني أن للأب والأم مع وجود الولد أو ولد الابن لكل واحد منهما سدس الميراث واعلم أن اسم الولد يقع على الذكر والأنثى فإذا مات الميت وترك أبوين وولدا ذكرا واحدا كان أو أكثر أو ترك بنات فان للأم السدس بالفرض وللأب السدس مع الولد الذكر بالفرض ومع البنات له السدس بالتعصيب وهو الباقي من التركة وله مع البنت الواحدة السدس بالفرض والباقي بالتعصيب (فان لم يكن له ولد) يعني للميت (وورثه أبواه فلائمه الثلث) يعني أن الميت إذا مات عن أبوين وليس له وارث سواهما فان الأم تأخذ الثلث بالفرض وتأخذ الأب باقي المال بالفرض والتعصيب فيكون المال بينهما اثلاثا للذكر مثل حظ الأنثيين فان كان مع الأبوين أحد الزوجين فيفرض للأم ثلث الباقي بعد نصيب الزوج أو الزوجة (فان كان له) يعني للميت (إخوة) يعني ذكورا أو إناثا (فلائمه السدس) يعني لأم الميت سدس التركة إذا كان معها أب وأجمع العلماء على أن الثلاثة يحبون الأم من الثلث إلى السدس وأن الأخ الواحد والأخت الواحدة لا تحجب الأم من الثلث إلى السدس واختلفوا في الأخوين فلا أكثرون من الصحابة يقولون الأخوين يحببان الأم من الثلث إلى السدس وهذا قول عمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت والجمهور. وقال ابن عباس لا تحجب الأخوة الأم من الثلث إلى السدس إلا أن يكونوا ثلاثة قال ابن عباس لعثمان لم صار الأخوان يردان الأم من الثلث إلى السدس وإنما قال الله تعالى «فان له إخوة» والأخوان في لسان قومك ليسا بإخوة فقال عثمان: يا بني إن قومك حججوها بأخوين ولا يستطيع نقد أمر قد كان قبلي وإنما نشأ هذا

فصاعدا فوق صلة كقوله تعالى فاضربوا فوق الأعناق (فلهن ثلثا مارك وإن كانت) يعني البنت (واحدة) قراءة العامة على خبر كان رفعها أهل المدينة على معنى إن وقعت واحدة (فلها النصف ولأبويه) يعني لأبوي الميت كناية عن غير المذكور (لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد) أراد أن الأب والأم يكون لكل واحد منهما سدس الميراث عند وجود الولد أو ولد الابن والأب يكون صاحب فرض (فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلائمه الثلث) قرأ حمزة والكسائي فلائمه بكسر الهجمة استئالا للضممة بعد الكسرة وقرأ الآخرون بالضم على الأصل (فان كان له إخوة) اثنان أو أكثر ذكورا وإناثا (فلائمه السدس) والباقي يكون للأب إن كان معها أب وإخوة لاميراث لهم مع الأب وإنكهم يحبون الأم من الثلث إلى السدس، وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يحجب الإخوة الأم من الثلث إلى السدس إلا أن يكونوا ثلاثة لأن الله تعالى قال فان كان له إخوة فلائمه

الاختلاف

بجيبون الأم من الثلث إلى السدس، وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يحجب الإخوة الأم من الثلث إلى السدس إلا أن يكونوا ثلاثة لأن الله تعالى قال فان كان له إخوة فلائمه

السدس ولا يقال للإثنين إخوة فنقول اسم الجمع قد يقع على التثنية لأن الجمع ضم شيء على شيء فهو موجود في الاثنين كما قال الله تعالى فقد صفت قلوبكما ذكر القلب بالفظ الجمع وأضافه إلى اثنين قوله تعالى (من بعد وصية يوصي بها أو دين) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر يوصي بفتح الصاد على ما لم يسم فاعله وكذلك (٤٩١) الثانية ووافق حنص في الثانية

والاختلاف لأنهم اختلفوا في أقل الجمع وفيه قولان: أحدهما أن أقل الجمع اثنان وهو قول أبي بكر الباقلاني. وحجة هذا القول أنك إذا جمعت واحد إلى واحد فهما جماعة لأن أصل الجمع ضم شيء إلى شيء وقال ابن الأنباري. التثنية عند العرب أول الجمع ومشهور في كلامهم إيقاع الجمع على التثنية فمن ذلك قوله تعالى «وكنا لحكمهم شاهدين» وهما داود وسليمان عليهما السلام ومنه قوله تعالى «وقد صفت قلوبكما» يريد قلبا كما. والقول الثاني أن أقل الجمع ثلاثة وهو قول جمهور العلماء وهو الأصح وإنما حجب العلماء الأم بالأخوين لدليل اتفقوا عليه وهو أن لفظ الأخوة يطلق على الأخوين فما زاد وذلك جائز في اللغة كما تقدم ثم إن الأخوة إذا حججوا الأم من الثلث إلى السدس فانهم لا يرثون شيئا البتة بل يأخذ الأب الباقي كرجل مات عن أبوين وأخوين فإن للأم السدس والباقي وهو خمسة أسداس للأب سدس بالفريضة والباقي بالتعصيب قال قتادة: وإنما حجب الأخوة الأم من غير أن يرثوا مع الأب شيئا معونة للأب لأنه يقوم بشأنهم ويتفق عليهم دون الأم (من بعد وصية يوصي بها أو دين) يعني أن هذه الأنصبة والسهام إنما تقسم بعد قضاء الدين وإنفاذ وصية الميت في ثلثه وذكر الوصية مقدم على الدين في اللفظ لاني الحكم لأن لفظه أولا توجب الترتيب وإنما هي لأحد الشيتين كأنه قال من بعد أحدهما مفردا أو مضموما إلى الآخر قال على رضي الله عنه إنكم تفرعون الوصية قبل الدين وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية وهذا إجماع على أن الدين مقدم على الوصية والإرث مؤخر عنهما لأن الدين حق على الميت والوصية حق له وهما يتقدمان على حق الورثة. قوله تعالى (أبائكم وأبنائكم لا تدرعون أيهم أقرب لكم نفعا) قيل هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وأنصبتهم وبين قوله فريضة من الله ولا تعلق لمعناه بمعنى الآية ومعنى هذا الكلام في قول ابن عباس إن الله عز وجل يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فأطوكم الله من الآباء والأبناء أرفعكم درجة فإن كان الوالد أرفع درجة من ولده رفع الله درجة ولده إليه وإن كان الولد أرفع درجة من والديه رفع الله إليه والديه لتقر بذلك أعينهم فقال تعالى ولا تدرعون أيهم أقرب لكم نفعا لأن أحدهما لا يعرف منفعة صاحبه له في الجنة وسبقه إلى منزلة عالية تكون سببا لرفعه إليها وقيل إن هذا الكلام ليس معترضا بينهما ومعناه متعلق بمعنى الآية بقول أبائكم وأبنائكم يعني الذين يرثونكم لا تدرعون أيهم أقرب لكم نفعا أي لا تعلمون أيهم أنفع لكم في الدين والدنيا فنسبكم من يظن أن الأب أنفع له فيكون الإبن أنفع له ومنسبكم من يظن أن الإبن أنفع له فيكون الأب أنفع له ولكن الله هو الذي دبر أمركم على ما فيه المصلحة لكم فاتبعوه ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فتعظون من لا يستحق مالا يستحق من الميراث وتمنعون من يستحق الميراث (فريضة من الله) يعني ما قدر من الموارث لأهلها فريضة واجبة (إن الله كان عليا حكيا) يعني كان عليا بالأشياء قبل خلقها حكيا فيما قدر من القرائض وفرض من الأحكام وقيل معناه عليا بخلقته قبل أن يخلقهم حكيا حيث فرض للصغار مع الكبار ولم يخص

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أطوكم الله عز وجل من الآباء والأبناء أرفعكم درجة يوم القيامة والله تعالى يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فإن كان الوالد أرفع درجة في الجنة رفع الله إليه ولده وإن كان الولد أرفع درجة رفع الله إليه ولده لتقر بذلك أعينهم (فريضة من الله) أي ما قدر الله من الموارث (إن الله كان عليا) بأمور العباد (حكيا) ينصب الأحكام قوله تعالى

(ولكم نصف ما ترك أزواجكم (٤٩٢) إن لم يكن لمن ولد فان كان لمن ولد فلكم الربع ممن تركن من بعد وصية

الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل وفي معنى لفظة كان ثلاثة أقوال: أحدها أن الله تعالى كان عليها بالأشياء قبل خلقها ولم يزل كذلك الثاني حكى الزجاج عن سيبويه أنه قال إن القوم لما شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وفضلا قبل لهم إن الله كان كذلك ولم يزل الله على ما شاهدتم. الثالث قال الخليل الخبر عن الله عز وجل يمثل هذه الأشياء كالخبر بالحال والاستقبال لأن صفات الله تعالى لا يجوز عليها الزوال والتقلب. قوله عز وجل (ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لمن ولد فان كان لمن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين) هذا ميراث الأزواج من الزوجات وقول تعالى في ميراث الزوجات من الأزواج (ولهن) يعني للزوجات (الربع مما تركن) إن لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركن من بعد وصية توصون بها أو دين) هذا ميراث الزوجات وإذا كان للرجل أربع نسوة فهن يشتركن في الربع والثمن قوله تعالى (وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة) تورث كلالة ونظم الآية وإن كان رجل أو امرأة يورث كلالة وهو نصب على المصدر وقيل على خبر مالم يسم فاعله وتقديره وإن كان رجل يورث ماله كلالة واختلفوا في الكلالة فذهب أكثر الصحابة إلى أن الكلالة من لا ولد له ولا والده روى عن الشعبي قال سئل أبو بكر الصديق عن الكلالة فقال سأقول فيها قولاً برأى فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فني ومن الشيطان أراه ما خلا الوالد والولد فلما استخلف عمر قال إنى لا أستحي من الله أن أرد شيئاً قاله أبو بكر وهذا قول علي وابن مسعود وزيد بن ثابت وإحدى الروايتين عن عمر وابن عباس وهذا القول هو الصحيح المختار ويدل على صحته أن اشتقاق الكلالة من كالت الرحم بين فلان وفلان إذا تباعدت القرابة بينهم فسميت القرابة البعيدة كلالة من هذا الوجه وقيل إن الكلالة في أصل اللغة عبارة عن الإحاطة ومنه الأكليل لإحاطته بالرأس فمن عد الوالد والولد من القرابة إنما سموا كلالة لأنهم كالدائرة المحيطة بالإنسان أما نسبة الولادة فليست كذلك لأن فيها تنوع البعض عن البعض وتولد البعض من البعض فهو كالشيء الواحد الذي يتزايد على نسق واحد فأما القرابة المغايرة لقرابة الولادة وهم الأخوة والأخوات والأعمام والعمات وغيرهم فانما يحصل نسبهم اتصال إحاطة بالنسب اليه فثبت بذلك أن الكلالة عبارة عن عد الوالد والولد والرواية الأخرى عن عمر وابن عباس أن الكلالة من لا ولد له وبه قال طاوس واحتج لهذا القول بقوله تعالى وقل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وبنيانه عند عامة العلماء مأخوذ من حديث جابر بن عبد الله لأن الآية نزلت فيه ولم يكن له يوم تزولها أب ولا ابن لأن أباه قتل يوم أحد وآية الكلالة نزلت في آخر عمر النبي صلى الله عليه وسلم فصار شأن جابر بياناً لمراد الآية التي نزلت في آخر السورة لتزولها فيه واختلفوا في أن الكلالة اسم لمن؟ فمنهم من قال هو اسم للميت وهو قول علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس لأنه مات عن ذهاب طريقه فكل عمود نسبه وقيل هو اسم للحى من الورثة وهو قول أبي بكر الصديق وعليه جمهور العلماء الذين قالوا إن الكلالة من دون الوالد والولد ويدل عليه حديث جابر إنما يرثي كلالة أي يرثي ورثة ليسوا بولد ولا والد فان كان المراد بالكلالة الميت الموروث فلما يرثه غير الوالد والولد وإن

يوصين بها أو دين) هذه في ميراث الأزواج (ولهن الربع) يعني للزوجات الربع (مما تركن) إن لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركن من بعد وصية توصون بها أو دين) هذا ميراث الزوجات وإذا كان للرجل أربع نسوة فهن يشتركن في الربع والثمن قوله تعالى (وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة) تورث كلالة ونظم الآية وإن كان رجل أو امرأة يورث كلالة وهو نصب على المصدر وقيل على خبر مالم يسم فاعله وتقديره وإن كان رجل يورث ماله كلالة واختلفوا في الكلالة فذهب أكثر الصحابة إلى أن الكلالة من لا ولد له ولا والده روى عن الشعبي قال سئل أبو بكر رضى الله عنه عن الكلالة فقال إنى سأقول فيها برأى فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فني ومن الشيطان أراه ما خلا الوالد والولد فلما استخلف عمر رضى الله عنه ما قال إنى لأستحي

من الله إن أرد شيئاً قاله أبو بكر رضى الله عنه وذهب طاوس إلى أن الكلالة من لا ولد له وهو إحدى الروايتين عن كان

أنزلها الله في أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله. وقوله تعالى (من بعد وصية يوصي بها أو دين) تقدم تفسيره وفي شيء من الأحكام يذكر هنا وذلك أن ظاهر الآية يدل على جواز الوصية بكل المال ويبيعهه وفي معنى الآية ما روى عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه» وفي رواية له شيء يريد أن يوصي به أن يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليالٍ إلا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مررت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك إلا وعندى وصيتي مكتوبة أخرجه في الصحيحين في ظاهر الآية والحديث ما يدل على إطلاق الوصية لكن ورد في السنة ما يدل على تقييد هذا المطلق وتخصيصه وهو قوله صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن أبي وقاص قال قلت لثلاث ليالٍ إن نذر ورثتك أغنياء خير من أن تنذرهم عالة يتكفون الناس أخرجه في الصحيحين. في هذا الحديث دليل على أن الوصية لا تجوز بأكثر من الثلث وأن النقصان عن الثلث جائز ولا تجوز الوصية لو ارث ويدل عليه ما روى عن عمرو ابن خارجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن الله عز وجل أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لو ارث والولد للفراش وللعاهر الحجر» أخرجه الترمذي والنسائي عن أبي أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لو ارث أخرجه أبو داود. وقوله تعالى (غير مضار) يعني غير مدخل الضرر على الورثة بما جاوزة الثلث في الوصية وهو أن يوصى بأكثر من الثلث وقيل هو أن يوصى بدين ليس عليه أو يقر بماله أو أكثر ماله لأجنبي ويترك ورثته عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ أبو هريرة من بعد وصية يوصي بها أو دين إلى قوله وذلك هو الفوز العظيم أخرجه أبو داود والترمذي وقال قتادة كره الله تعالى الضرار في الحياة وعند الموت فنهى عنه وقدم فيه وقيل إن الإضرار في الوصية من الكبائر لأن مخالفة أمر الله عز وجل كبيرة وقد نهى الله عن الإضرار في الوصية فدل على أن ذلك من الكبائر، وأعلم أن الأولى بالإنسان أن ينظر عند الموت في قدر ما يخلف من المال ومن يخلف من الورثة ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فإن كان ماله قليلا وفي الورثة كثرة فالأولى به أن لا يوصي بشيء لقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص «إنك إن نذر ورثتك أغنياء خير من أن تنذرهم عالة يتكفون الناس» وإن كان في المال كثرة أوصى بحسب المال وبحسب الورثة وحاجتهم بعده في الفلقة والكثرة. وقوله تعالى (وصية من الله) أي فريضة من الله وقيل عهدا من الله إليكم فيما يجب لكم من ميراث من مات منكم (والله عليم) يعني أنه عالم بمصالح عباده ومضارهم وبما يفرض عليهم من الأحكام وقيل عليم بمن يجور في وصيته ومن لا يجور (حليم) يعني أنه تعالى ذو حلم وذو أناة في ترك العقوبة عن جار في وصيته وقال أبو سليمان الخطابي الحليم ذو الصفة والأناة الذي لا يستغزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل والحليم هو الصنوح مع القدرة المتأني الذي لا يعجل بالعقوبة. قوله عز وجل (تلك حدود الله) يعني الأحكام التي تقدم ذكرها في هذه السورة من مال اليتيم والوصايا والأحكام والمواريث وإنما سماها حدودا لأن الشرائع كالحودود المصروفة للمكافئين فلا يجوز لهم أن يتجاوزوها وقال ابن عباس يريد ما حد الله من فرائضه (ومن يطع الله ورسوله) يعني في شأن المواريث ورضي بما قسم الله وحكم عليه (يدخله جنتنا تجري من تحتها الأنهار) يعني ذلك الفوز العظيم (ومن يعص الله ورسوله ولم يرض بقسمة الله ورسوله) يعني ويتجاوز ما أمر الله تعالى به (يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) قرأ أهل المدينة وابن عامر ندخله جنتنا وندخله ناراً وفي سورة الفتح ندخله ونعذبه وفي سورة التغابن نكفر وندخله وفي سورة الطلاق ندخله بالنون

النساء في بيان الفرائض أنزلها في الولد والوالد والأم والآية الثانية في الزوج والزوجة والإخوة والأخوات من الأم والآية التي ختم بها سورة النساء في الأخوة والأخوات من الأب والأم والآية التي ختم بها سورة الأنفال أنزلها في أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله (من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار) أي غير مدخل الضرر على الورثة بما جاوزة الثلث في الوصية فإن الحسن هو أن يوصى بدين ليس عليه (وصية من الله والله عليم حليم) قال قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الموت ونهى عنه وقدم فيه (تلك حدود الله) يعني ما ذكر من الفرائض المحلولة (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنتنا تجري من تحتها الأنهار) خالد بن زيد في ذلك الفوز العظيم (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) قرأ أهل المدينة وابن عامر ندخله جنتنا وندخله ناراً وفي سورة الفتح ندخله ونعذبه وفي سورة التغابن نكفر وندخله وفي سورة الطلاق ندخله بالنون

ليهن ولما الآخرون بالياء قوله عز وجل (واللآئى يأتين الفاحشة) (بمعنى الزنا) (٤٩٥) (من نسأؤنكم فاستشهدوا

عليهن أربعة منكم) يعنى من المسلمين وهذا خطاب للحكام أى فاطلبوا عليهن أربعة من الشهود فيه بيان أن الزنا لا يثبت إلا بأربعة من الشهود (فان شهدوا فامسكوهن) فاحبسوهن (في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا) وهذا كان فى أول الإسلام قبل نزول الحدود وكانت المرأة إذا زنت حبست فى البيوت حتى تموت ثم نسخ ذلك فى حق البكر بالجلد والتغريب وفى حق الثيب بالجلد والرحم أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز ابن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أخبرنا الشافعى رضى الله عنه أخبرنا عبد الوهاب بن بونس عن الحسن بن عباد بن الضامت رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال «خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا» وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرحم» قال الشافعى رضى الله عنه وقد حدثني الثقة أن الحسن كان يدخل بيته وبين عبادة حطان الرقاشي فلا أدري أدخله عبد الوهاب فنزل عن كتابي

فان قلت كيف قطع للعاصي بانخلود فى النار فى هذه الآية وهل فيها دليل للمعزلة على قوطم إن العصاة والفساق من أهل الإيمان يخلدون فى النار . قلت قال الضحاك المعصية هنا الشرك وزوى عكرمة عن ابن عباس فى معنى الآية من لم يرض بقسمة الله ويتعد ما قال الله يدخله نارا وقال الكلبي يكفر بقسمة الموارث ويتعد حدود الله استحلالات إذا ثبت ذلك فمن رد حكم الله ولم يرض بقسمة كفر بذلك وإذا كفر كان حكمه حكم الكفار فى الخلود فى النار إذا لم يتب قبل وفاته إذا مات وهو مصر على ذلك كان مغلدا فى النار بكفره فلا دليل فى الآية للمعزلة والله أعلم . قوله تعالى (واللآئى) هو جمع التى وهى كلمة يخبر بها عن المؤنثة خاصة (بأتين الفاحشة) يعنى يفعلن الفاحشة يقال آتيت أمرا قبيحا إذا فعلته والفاحشة فى اللغة الفعلة القبيحة وقيل الفاحشة عبارة عن كل فعل أو قول يعظم قبحه فى النفوس ويقبح ذكره فى الألسنة حتى يبلغ الغاية فى جملته وذلك مخصوص بشهوة الفرج الحرام ولذلك أجمعوا على أن الفاحشة هاهنا هى الزنا وإنما سمى الزنا فاحشة لزيادة قبحه (من نسأؤنكم) قيل هن الزوجات وقيل المراد بين جنس النساء (فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) يعنى من المسلمين وهذا خطاب للأزواج أى اطلبوا أربعة من الشهود ليشهدوا عليهن وقيل هو خطاب للحكام أى استمعوا شهادة أربع عليهن . ويشترط فى هذه الشهادة العدالة والذكورة قال عمر بن الخطاب إنما جعل الله الشهود أربعة ستمرا يستركم به دون فواحشكم (فان شهدوا) يعنى الشهود بالزنا (فأمسكوهن فى البيوت) أى فاحبسوهن فى البيوت والحكمة فى حبسهن أن المرأة إنما تنقع فى الزنا عند الخروج والبروز للرجال فإذا حبست فى البيت لم تقدر على الزنا (حتى يتوفاهن الموت) يعنى تتوفاهن ملائكة الموت عند انقضاء آجالهن (أو يجعل الله لهن سبيلا) وهذا الحكم كان فى أول الإسلام قبل نزول الحدود كانت المرأة إذا زنت حبست فى البيت حتى تموت ثم نسخ الحبس بالحدود وجعل الله لهن سبيلا (م) عن عبادة بن الصامت قال «كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه حكم كرب لذلك وترى وجهه فأترى الله عليه ذات يوم فبقي كذلك فلما سرى عنه قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرحم» .

(فصل) اتفق العلماء على أن هذه الآية منسوخة ثم اختلفوا فى ناسخها فذهب بعضهم إلى أن ناسخها هو حديث عبادة بن الصامت المتقدم وهذا على مذهب من يرى نسخ القرآن بالسنة وذهب بعضهم إلى أن الآية منسوخة بآية الحد التى فى سورة النور وقيل إن هذه الآية منسوخة بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد وقال أبو سليمان الخطابي لم يحصل النسخ فى هذه الآية ولا فى الحديث وذلك لأن قوله تعالى «فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا» يدل على إمساكهن فى البيوت ممدودا إلى غاية أن يجعل الله لهن سبيلا وأن ذلك السبيل كان مجعلا فلما قال صلى الله عليه وسلم «خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا» الحديث صار هذا الحديث بيانا لتلك الآية المحملة لاناخها لها . وأجمع العلماء على جلد البكر الزانى مائة ورحم المخضن وهو الذى اجتمع فيه أربعة أوصاف البلوغ والعقل والحرية والإصابة فى نكاح صحيح وهو الثيب واختلفوا فى جلد الثيب ورحمه فذهب طائفة إلى أنه يجب الجمع بينهما وبه قال على بن أبى طالب رضى الله عنه والحسن وإسحاق بن راهويه وداود وأهل الظاهر وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه جلد شريحة الهمدانية يوم الخميس ورحمها يوم الجمعة وقال جلدتها بكتاب الله ورحمها

عنه وقد حدثني الثقة أن الحسن كان يدخل بيته وبين عبادة حطان الرقاشي فلا أدري أدخله عبد الوهاب فنزل عن كتابي

العلم فأخبروني أن علي بن أبي حمزة قال في جواب سؤاله عن رجل أهدى امرأته ثوبا من ثيابها فباعتها بثمنها فقال رسول الله ﷺ أما والذي نفسي بيده لأفضين بينكما بكتاب الله أما غمك وجارتك فرد عليك وأما إنك فعليه جلد مائة وتغريب عام واغد يا أنيس على امرأة هذا أي امرأتنا الأسلمى أن يأتي امرأة الآخر فإن اعترفت فأرجعها ففعلنا عليها فاعترفت فرجعها أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله حدثني إبراهيم بن سعد عن صالح بن ابن شهاب عن عبيد بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس قال: قال عمر رضي الله عنه أن الله تعالى بعث محمدا ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله تعالى آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده وأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله تعالى فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله تعالى في كتابه والرجم في كتاب الله تعالى حتى على (٤٩٧) من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة

والتعبير بالقول باللسان فلما نزلت الحدود وثبتت الأحكام نسخ ذلك الأذى بالآية التي في سورة النور وهي قوله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بها رافة في دين الله) الآية فثبت الجلد على البكر بنص الكتاب وثبت الرجم على الثيب المحصن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ما عزا وكان قد أحصن وسواء في هذا الحكم المسلم واليهودي لأنه ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وكانا قد أحصنا وقال أبو حنيفة لا رجم على اليهودي لأن المشرك ليس بمحصن وأجيب عنه بأن المراد بهذا الإحصان إحصان العفاف لا إحصان الفرج . قوله تعالى (إنما التوبة على الله) يعني التوبة التي يقبلها الله تعالى فيكون على بمعنى عند وقيل على بمعنى من أي من الله وقال أهل المعاني إن الله تعالى وعد قبول التوبة من المؤمنين في قوله كتب ربكم لي نفس الرحمة وإذا وعد الله شيئا أنجز ميعاده وصدق فيه فعني قوله على الله أوجب على نفسه من إيجاب أحد عليه لأنه تعالى يفعل ما يريد (للذين يعملون السوء) يعني الذنوب والمعاصي سميت سوما لسوء عاقبتها إذا لم يقب منها (بجهالة) قال قتادة أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن كل شيء عصى الله به فهو جهالة عمدا كان أو غيره وكل من عصى الله فهو جاهل وقال ابن عباس من عمل السوء فهو جاهل من جهالته عمل السوء فكل من عصى الله سمى جاهلا وسمى فعله جهالة وإنما سمى من عصى الله جاهلا لأنه لم يستعمل مامعه من العلم بالثواب والعقاب وإذا لم يستعمل ذلك سمى جاهلا بهذا الاعتبار وقيل معنى الجهالة أنه ما أتى الإنسان بالذنوب مع العلم بأنه ذنب لكنه يجهل عقوبته وقيل معنى الجهالة هو اختيار اللذة الفانية على اللذة الباقية (ثم يتوبون من قريب) يعني يتوبون بعد الإقلاع عن الذنب بزمان قريب لثلاث بعد في زمرة المصرين وقيل التريب أن يتوب في صحته قبل مرض موته وقيل قبل موته وقيل قبل معاينة ملك الموت ومعاينة أهوال الموت وإنما سميت هذه المدة قريبة لأن كل ما هو آت قريب وفيه تنبيه على أن عمر الإنسان

أركان الحبل أو الاعتراف وجملة حد الزنا أن الزاني إذا كان محصنا وهو الذي اجتمعت فيه أربعة أوصاف: العقل والبلوغ والحرية والإصابة بالنكاح الصحيح فحده الرجم مسلما كان أو ذميا وهو المراد من الثيب المذكور في الحديث وذهب أصحاب الرأي إلى أن الإسلام من شرائط الإحصان ولا يرجم الذي وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رجم يهوديين زنيا وكانا قد أحصنا وإن كان الزاني غير محصن بأن لم يجتمع فيه هذه الأوصاف نظر إن كان غير بالغ أو كان مجنوناً

(٦٣ - خازن بالبغوي - أول) فلا حد عليه وإن كان حرا عما قبلها غير أنه لم يحصن بنكاح صحيح فعليه جلد مائة وتغريب عام وإن كان عبد فعليه جلد خمسين وتغريبه قولان إن قلنا بتغريب فيه قولان أصحهما نصف سنة كما يجلد خمسين على نصف حد لحر قوله تعالى (إنما التوبة على الله) قال الحسن يعني التوبة التي يقبلها فيكون على بمعنى عند وقيل من الله (للذين يعملون السوء بجهالة) قال قتادة أجمع أصحاب رسول الله ﷺ على أن كل ما عصى به الله فهو جهالة عمدا كان أو لم يكن وكل من عصى الله فهو جاهل وقال مجاهد المراد من الآية العمدة قال الكلبي لم يجهل أنه ذنب لكنه جهل عقوبته وقيل معنى الجهالة اختياره اللذة الفانية على اللذة الباقية (ثم يتوبون من قريب) قيل معناه قبل أن يحيط السوء بحسنه فيحبطها وقال السدي والكلبي التريب أن يتوب في صحته قبل مرض موته وقال عكرمة قبل الموت وقال الضحاك قبل معاينة ملك الموت أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا

ابن ثوبان وهو عبد الرحمن ابن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
عن النبي ﷺ قال إن الله تعالى (٤٩٨) يقبل توبة العبد ما لم يعر غيرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور

ولا طال فهو قليل وأن الإنسان يتوقع في كل ساعة ولحظة نزول الموت به عن ابن عمر أن النبي
الله صلى عليه وسلم قال إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يعر غيرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور
المشروب في قم المريض فيردده في الخلق ولا يصل إليه ولا يتدر على بلعه وذلك عند بلوغ الروح
إلى الحلقوم وروى البيهقي بسنده عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
«إن الشيطان قال وعزتك يارب لأرح أغوى عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم» فقال الرب
تبارك وتعالى وعزتي وجلالي وارفعني في مكاني لأزال أعقر لهم ما استغفروني وقيل في معنى الآية
أن القريب هو أن يتوب الإنسان قبل أن يحيط السوء بحسناته فيحبطها (فأولئك يتوب الله عليهم
يعني يقبل توبتهم) وكان الله عليا حكما قال ابن عباس علم ما في قلوب عباده المؤمنين من التصديق
واليقين فحكم بالتوبة قبل الموت ولو بقدر فوافق ناقة وقيل في معنى الآية علم أنه إنما أتى بتلك
المعصية باستيلاء الشهوة والجهالة عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها وأتاب عن قريب . قوله عز
وجل (وليس التوبة للذين يعملون السيئات) قال ابن عباس يريد الشرك وقال أبو العالية وسعيد
ابن جبير هم المنافقون وقال سفیان الثوري هم المسلمون الأخرى أنه قال ولا الذين يموتون
وهم كفار (حتى إذا حضر أحدهم الموت) يعني وقع في النزاع وعابن ملائكة الموت وهو حالة
السوق حين تساق الروح للخروج من جسده (قال إني تبت الآن) قال المحققون قرب الموت لا يمنع
من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الأحوال التي لا يمكن معها الرجوع إلى الدنيا بحال
ولذلك لم تقبل توبة فرعون ولا إسماعيل وهو قوله تعالى حتى إذا أدركه العرق قال آمنت أنه لا إله
إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وبدل
على ذلك أيضا قوله تعالى «فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا» فإن قلت قد تعلق الوعيدية بهذه
الآية وقالوا أخبر الله تعالى إن عصاة المؤمنين إذا أعملوا أمرهم إلى انقضاء آجالهم حصلوا على
عذاب الآخرة مع الكفار لأن الله تعالى جمعهم في قوله أولئك أعذنا لهم عذابا أليبا وأيضا أنه
تعالى أخبر أنه لا توبة لهم عند معاينة الموت وأسبابه . قلت ليس الأمر على ما زعموا فقد روى عن
ابن عباس في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات يريد الشرك وقال سعيد بن جبير نزلت
الآية الأولى في المؤمنين يعني قوله إنما التوبة على الله والوسطى في المنافقين يعني قوله وليست التوبة
والأخرى في الكافرين يعني قوله ولا الذين يموتون وهم كفار وإذا كانت الآية نازلة في المنافقين
والكفار فلا وجه حملها على المؤمنين وعلى تقدير أن تكون الآية نازلة في عصاة المؤمنين فقد روى عن
ابن عباس في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات الآية ثم أنزل الله تعالى بعد ذلك إن الله لا يغفر أن
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فحرم الله المغفرة على من مات وهو كافر وأرجأ أهل التوحيد إلى
مشيئته ولم يؤيسهم من المغفرة فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة في حق المؤمنين . وقوله تعالى
(ولا الذين يموتون وهم كفار) معناه لا توبة للكفار إذا ماتوا على كفرهم وإنما لم تقبل توبتهم في الآخرة
لرفع التكليف في الآخرة ومعاينة ما وعدوا به من العقاب (أولئك أعذنا لهم) أي هيأنا لهم
(عذابا أليبا) قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا يجعل لكم أن تراثوا النساء كرها) نزلت في أهل

محمد بن محمد ابن سمعان
أنا أبو جعفر ابن محمد
ابن أحمد بن عبد الجبار
الزياتي أنا حميد بن زنجويه
أنا أبو الأسود أنا ابن
هبة عن دراج عن أبي
الهيثم عن أبي سعيد
الخدري رضي الله عنهما
أن رسول الله ﷺ قال
«إن الشيطان قال وعزتك
يارب لا أرح أغوى
عبادك ما دامت أرواحهم
في أجسادهم» فقال الرب
عز وجل وعزتي وجلالي
وارفعني في مكاني لأزال
أعقر لهم ما استغفروني قوله
تعالى (فأولئك يتوب الله
عليهم وكان الله عليا
حكما وليست التوبة
للذين يعملون السيئات)
يعني المعاصي (حتى إذا
حضر أحدهم الموت)
ووقع في النزاع (قال إني
تبت الآن) وهي حالة
السوق حتى يساق بروحه
لا يقبل من كافر إيمان
ولا من عاص توبة قال
الله تعالى فلم يك ينفعهم
إيمانهم لما رأوا بأسنا
ولذلك لم ينفع الإيمان
فرعون حين أدركه
العرق (ولا الذين يموتون

وهم كفار أولئك أعذنا) أي هيأنا وأعدنا لهم عذابا أليبا (يا أيها الذين آمنوا لا يجعل لكم أن تراثوا النساء كرها) نزلت في أهل المدينة
المدينة كانوا في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا مات الرجل وله امرأة جاهلية من غيرها أو قريبة من ذوى عصبته فأتى ثوبه على تلك
المرأة أو على خباتها فصار أحق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق الأول الذي أصدقها الميت وإن

شاء زوجها غيره واحدا صداقها وإن شاء عضلها ومنعها من الأزواج يضارها لتفتدي منه بما ورثته من الميت أو تموت هي
فبرئها فإن ذهبت المرأة إلى أهلها قبل أن يأتي عليها ولي زوجها ثوبه فهي أحق بنفسها فكانوا على هذا حتى توفي أبو قيس بن
الأسلم الأنصاري وترك امرأته كبيشة بنت من الأنصارية فقام ابن له من غيرها يقال له حصن وقال مقاتل بن حيان اسمه
قيس بن أبي قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها لتفتدي منه فأتمت كبيشة رسول
الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن أبا قيس توفي وورث نكاحي إني فلا ينفق (٤٩٩) على ولا يدخل في ولا يدخل سبيلي

المدينة وذلك أنهم كانوا في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا مات الرجل وخلف امرأة جاء ابنه
من غيرها أو قريبه من ذوى عصبه فألقى ثوبه على تلك المرأة أو على خباتها فصار أحق بها
من نفسها ومن غيره فإن شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق الأول الذي أصدقها الميت
وإن شاء زوجها غيره وأخذ هو صداقها وإن شاء عضلها ومنعها من الأزواج يضارها بذلك
لتفتدي منه بما ورثت من الميت أو تموت هي فبرئها فإن ذهبت المرأة إلى أهلها قبل أن يأتي
عليها ولي زوجها ثوبه كانت أحق بنفسها وكانوا على ذلك حتى توفي أبو قيس بن الأسلم
الأنصاري وترك امرأته كبيشة بنت من الأنصارية فقام ابن له من غيرها يقال له حصن
وقيل اسمه قيس بن أبي قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم ينفق عليها يضارها
بذلك لتفتدي منه فأتمت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له يا رسول الله إن أبا قيس
توفي وورث نكاحي إني فلا هو ينفق على ولا هو يدخل في ولا يدخل سبيلي فقال أقعدى في بيتك
حتى يأتي أمر الله فيك فأرسل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا يحمل لكم أن تزوا النساء كراهة يعني
ميراث نكاح النساء وقيل في معناه أن تزوا أموالهن كراهة يعني وهن كرائم (ولا تعضوهن)
أي ولا تمنعهن من الأزواج وأصل العضل المنع (لتذهبوا ببعض ما آتيتن وهن) يعني لتضجر
فتفتدي ببعض ما لها قيل هو خطاب للأزواج قال ابن عباس هذا في الرجل تكون له امرأة وهو
كاره لها ولصحبتهي ولها عليه مهر فيضارها لتفتدي منه وترد إليه ماساق إليها من المهر فنهى الله
عن ذلك وقيل كان الرجل يطلق امرأته ثم يرجعها ثم يطلقها يضارها بذلك فهو عن ذلك وهو
خطاب لأولياء الميت فنهاهم الله عن عضل المرأة ثم قال تعالى (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) يعني
فحينئذ يحل لكم إضرارهن ليفتدين منكم واختلفوا في الفاحشة المبينة فقيل هي الشوز وسوء
الخلق وإيذاء الزوج وأهله وقيل الفاحشة هي الزنا يعني أن المرأة إذا نشرت أو زنت حل
للزوج أن يسألها الخلع وقيل كانت المرأة إذا أصابت فاحشة أخذ منها زوجها ماساق إليها
وأخرجها ففسخ الله ذلك بالحدود (وعاشروهن بالمعروف) قيل هو راجع للكلام الذي قبله
والمعنى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف هو الإجمال في القول والميت والتفقة
وقيل هو أن تصنع لها كما تحب أن تصنع لك (فإن كرهتهن وهن) يعني فإن كرهتم عشرتهن
وصحبتهن وآثرتم فراقهن (فمسي أن تكرر دو شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) قال ابن عباس
ربما رزق منها ولدا صالحا فجعل الله في ولدها خيرا كثيرا فتقلب تلك الكراهة محبة والفرقة
رغبة وقيل في الآية نذب إلى إمساك المرأة مع الكراهية لها لأنه إذا كرهه صحبتها وتحمل ذلك

فقال أقعدى في بيتك
حتى يأتي فيك أمر الله
فأرسل الله تعالى هذه
الآية يا أيها الذين آمنوا
لا يحمل لكم أن تزوا النساء
كراهة قرأ حمزة والكسائي
كراهة كراهة الكاف هاها
وفي التوبة، وقرأ الباقر
بالفتح، قال الكسائي
هراغتان قال القراء الكره
بالفتح ما كرهه عليه وبالضم
ما كان من قبل نفسه من المشقة
(ولا تعضوهن لتذهبوا
ببعض ما آتيتن وهن)
أي لا تمنعهن من
الأزواج ليضجرن
فتفتدين ببعض ما
لها قيل هو خطاب
للأزواج قال ابن
عباس هذا في الرجل
تكون له امرأة وهو
كاره لها ولصحبتهي
ولها عليه مهر فيضارها
لتفتدي منه وترد إليه
ماساق إليها من المهر
فنهى الله عن ذلك
وقيل كان الرجل يطلق
امرأته ثم يرجعها ثم
يطلقها يضارها بذلك
فهو عن ذلك وهو
خطاب لأولياء الميت
فنهاهم الله عن عضل
المرأة ثم قال تعالى
(إلا أن يأتين بفاحشة
مبينة) يعني فحينئذ
يحل لكم إضرارهن
ليفتدين منكم
واختلفوا في الفاحشة
المبينة فقيل هي الشوز
وسوء الخلق وإيذاء
الزوج وأهله وقيل
الفاحشة هي الزنا
يعني أن المرأة إذا
نشرت أو زنت حل
للزوج أن يسألها
الخلع وقيل كانت
المرأة إذا أصابت
فاحشة أخذ منها
زوجها ماساق إليها
وأخرجها ففسخ الله
ذلك بالحدود
(وعاشروهن بالمعروف)
قيل هو راجع للكلام
الذي قبله والمعنى
آتوا النساء صدقاتهن
نحلة وعاشروهن
بالمعروف هو الإجمال
في القول والميت
والتفقة وقيل هو أن
تصنع لها كما تحب أن
تصنع لك (فإن كرهتهن
وهن) يعني فإن كرهتم
عشرتهن وصحبتهن
آثرتم فراقهن
(فمسي أن تكرر دو
شيئا ويجعل الله فيه
خيرا كثيرا) قال ابن
عباس ربما رزق منها
ولدا صالحا فجعل الله
في ولدها خيرا كثيرا
فتقلب تلك الكراهة
محبة والفرقة رغبة
وقيل في الآية نذب
إلى إمساك المرأة مع
الكراهية لها لأنه إذا
كرهه صحبتها وتحمل ذلك

فحينئذ يحل لكم إضرارهن ليفتدين منكم واختلفوا في الفاحشة قال ابن مسعود وقد أدهى الشوز وقال بعضهم وهو قول الحسن هي الزنا
يعني المرأة إذا نشرت أو زنت حل للزوج أن يسألها الخلع وقال عطاء كان الرجل إذا أصابت امرأته فاحشة أخذ منها ماساق إليها وأخرجها
ففسخ ذلك بالحدود وقرأ ابن كثير وأبو بكر مبينة ومبينات بفتح الياء ووافق أهل المدينة والبصرة في مبيئات والباقر بكسر ها (وعاشروهن
بالمعروف) قال الحسن راجع إلى أول الكلام يعني وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف والمعاشرة بالمعروف هي الإجمال
في القول والميت والتفقة وقيل هي أن يصنع لها كما تصنع له (فإن كرهتهن وهن فمسي أن تكرر دو شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا

قيل هو ولد صالح أو يعطفه (٥٠٠) الله عليها (وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج) أراد بالزوج الزوجة

المكروه طلبا للآداب وأنفق عليها وأحسن هو صحبتها استحق الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى وقيل في معنى الآية إنكم إن كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فرعا جعل الله في تلك المفارقة لمن خيرا كثيرا وذلك بأن تخلص من هذا الزوج الكاره لها وتزوج غيره خيرا منه . قوله عز وجل (وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج) الخطاب للرجال وأراد بالزوج الزوجة قال المفسرون لما ذكر الله في الآية الأولى مضارة الزوجات إذا آتين بفاحشة وهي إما التشوز أو الزنا بين في هذه الآية تحريم المضارة إن لم يكن من قبلها تشوز ولا زنا ونهى عن بئس الرجل حتى المرأة إذا أراد طلاقها واستبدال غيرها (وآتينم إحداهن قنطارا) يعني وكان ذلك الصداق مالا كثيرا وفي الآية دليل على جواز المغالاة في المهور روى أن عمر قال على المنبر ألا تغالوا في مهور نساءكم فقامت امرأة فقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وأنت تمنعنا وتلت الآية فقال كل الناس أفنه منك يا عمر وفي رواية امرأة أصابت وأمير أخطأ ورجع عن كراهة المغالاة وقد تغالى الناس في صدقات النساء حتى بلغوا الأكوف وقيل إن خير المهور أيسرها وأسهلها (فلا تأخذوا منه شيئا) يعني من القنطار الذي آتيتوهن لو جعلتم ذلك القدر لمن صدقا فلا تأخذوا منه شيئا وذلك أن سوء العشرة إما أن يكون من قبل الزوج أو من قبل الزوجة فإن كان من قبل الزوج وأراد طلاق المرأة فلا يحل له أن يأخذ شيئا من صدقتها وإن كان التشوز من قبل المرأة جاز له ذلك (تأخذوا منه شيئا) استفهام بمعنى التوبيخ (بيتانا) يعني ظلما وقيل باطلا (وإنما مبيتا) يعني تأخذونه مبهتين آتين فلا تفعلوا مثل هذا الفعل مع ظهور قبحة في الشرع والعقل ثم قال تعالى (وكيف تأخذونه) كلمة تعجب والمعنى لأى وجه تفعلون . مثل هذا الفعل وكيف يلدن بالعاقل أن يسترده شيئا بذله لزوجته عن طيب نفس وقيل هو استفهام معناه التوبيخ والتعظيم لأخذ المهر بغير حنه ثم ذكر السبب في ذلك فقال تعالى (وقد أفضى بعضكم إلى بعض) أصل الإفضاء في اللغة الوصول يقال أفضى إليه أى وصل إليه ثم للمفسرين في معنى الإفضاء في هذه الآية قولان : أحدهما أنه كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس ومجاهد والسدى واختيار الزجاج وابن قتيبة ومذهب الشافعى لأن عنده أن الزوج إذا طلق قبل المسيس فله أن يرجع بنصف المهر وإن خلاها والقول الثاني في معنى الإفضاء هو أن يخلوها وإن لم يجمعا وقال الكلبي الإفضاء أن يكون معها في لحاف واحد جامعها أولم يجمعا وهذا القول هو اختيار القراء ومذهب أبي حنيفة أن الخلوة الصحيحة عنده تنقير المهر (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) قيل هو قول العاقدة عند العقد زوجته على ما أخذ الله للنساء على الرجال من إمساك معروف أو تسريح بإحسان وقال الشعبي وعكرمة هو ما روى عن النبي ^{صلى الله عليه وسلم} أنه قال اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحلتم فروجهن بكلمة الله سمعته على النبي ^{صلى الله عليه وسلم} (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) قال المفسرون كان أهل الجاهلية يتزوجون أزواج آبائهم فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية روى أنه لما توفي أبو قيس وكان من صالحى الأنصار خطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت إنى اتخذتكم ولما وأنت من صالحى قومك ولكنى آتى رسول الله صلى

إذا لم يكن من قبلها تشوز ولا فاحشة (وآتينم) أعطينم (إحداهن قنطارا) وهو المال الكثير صدقا (فلا تأخذوا منه) من القنطار (شيئا) أى تأخذونه استفهام بمعنى التوبيخ (بيتانا) أى مبيتا وإنما مبيتا انتصاهما من وجهين : أحدهما بنزع الخافض والثاني بالإضمار تقديره تصيبون في أخذ بيتانا وإنما ثم قال (وكيف تأخذونه) على طريق الاستعظام (وقد أفضى بعضكم إلى بعض) أراد به المجامعة ولكن الله حبي يكنى وأصل الإفضاء الوصول إلى الشيء من غير واسطة (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) قال الحسن وابن سيرين والضحاك وقنادة وهو قول الولي عند العقد زوجته على ما أخذ الله للنساء على الرجال من إمساك معروف أو تسريح بإحسان وقال الشعبي وعكرمة هو ما روى عن النبي ^{صلى الله عليه وسلم} أنه قال اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله تعالى واستحلتم فروجهن بكلمة الله تعالى قوله

عز وجل (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) كان أهل الجاهلية ينكحون أزواج آبائهم قال الأشعث ابن سوار توفي أبو قيس وكان من صالحى الأنصار فخطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت إنى اتخذتكم ولما وأنت من صالحى الله

قومك ولكنني آتني رسول الله ﷺ أستأمره فأنته فأخبرته فأنزل الله تعالى ولا تتكحروا ما تكح آباؤكم من النساء (الإمام سلف)
قبل بعد ما سلف وقيل معناه لكن ما سلف أي ماضى في الجاهلية فهو معفو عنه (إنه كان فاحشة) أي أنه فاحشة وكان فيه صفة
والفاحشة أقبح المعاصي (ومقتنا) أي يورث مقت الله والمقت أشد البغض (وساء سيلا) وبئس ذلك طريقا وكانت العرب
تقول لولد الرجل من امرأة أبيه مقيت وكان منهم الأشعث بن قيس وأبو معيط (٥٠١) بن أبي عمرو بن أمية أخبرنا

محمد بن الحسن المروزي
أخبرنا أبو سهل محمد
ابن عمرو السجزي
أنا الإمام أبو سليمان
الخطاطي أنا أحمد بن
حشام الحضرمي أنا أحمد
ابن عبد الجبار العطاردي
عن حفص بن غياث
عن أشعث بن سوار عن
عدي بن ثابت عن البراء
ابن عازب قال مر في
خالي ومعه لواء فقلت
أين تذهب قال بعثني
النبي صلى الله عليه وسلم
إلى رجل تزوج امرأة
أبيه آتية برأسه قوله تعالى
(حرمت عليكم أمهاتكم)
الآية بين الله تعالى في
هذه الآية المحرمات
بسبب الوصلة، وجملة
المحرمات في كتاب الله
تعالى أربع عشرة: سبع
بالنسب وسبع بالسبب
فأما السبع بالسبب
فهي اثنتان بالرضاع
وأربع بالصهرية والسابعة
المحرمات وهن ذوات
الأزواج، وأما السبع
بالنسب فقوله تعالى

الله عليه وسلم وأستأمره فأنته فأخبرته فأنزل الله عز وجل ولا تتكحروا ما تكح آباؤكم من النساء (الإمام سلف)
سلف) يعني الإمام في الجاهلية قبل نزول التحريم فإنه معفو عنه (إنه كان فاحشة) وإنما سماه
فاحشة لأن زوجة الأب في منزلة الأم ونكاح الأمهات حرام فلما كان ذلك كذلك سماه الله
فاحشة لأنه من أقبح المعاصي (ومقتنا) يعني أنه يورث المقت من الله وهو أشد الغضب وغاية
الغضب والخسارة (وساء سيلا) أي وبئس طريقا لأنه يؤدي إلى مقت الله والعرب تسمى ولد
الرجل من امرأة أبيه مقيتا وكان منهم الأشعث بن قيس وأبو معيط بن أبي عمرو بن أمية روى
الغوي بسنده عن البراء بن عازب قال مر في خالي ومعه لواء فقلت أين تذهب قال بعثني النبي
صلى الله عليه وسلم إلى رجل تزوج امرأة أبيه آتية برأسه. قوله عز وجل (حرمت عليكم أمهاتكم)
بين الله عز وجل في هذه الآية المحرمات من النساء بسبب الوصلة إما بسبب أو نسب (خ) عن
ابن عباس قال حرم من النساء سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ حرمت عليكم أمهاتكم الآية فجعلت
المحرمات من النساء بنص الكتاب أربعة عشر صنفا فأما المحرمات بالنسب فقوله حرمت عليكم
أمهاتكم جمع أم وأصل أمهات أمات وإنما زيدت الهاء لتوكيد الأم هي الوالدة القرية ويدخل
في حكمها كل امرأة رجع النسب إليها من جهة الأب أو من جهة الأم بدرجة أو بدرجات وهي
جميع الجدات وإن علون فيحرم نكاح الأم وجميع الجدات (وبناتكم) والبت عبارة عن
كل أنثى رجع نسبها إليك بالولادة بدرجة أو درجات باناث كبت البنت وإن سفلت وكذا
بنت الابن (وأخواتكم) جمع أخت وهي عبارة عن كل امرأة شاركتك في أصلك فتدخل فيه
لأخوات من الأب والأم والأخوات من الأب والأخوات من الأم (وعماتكم) جمع عمه وهي
كل امرأة شاركت أبك في أصله وهن جميع أخوات الأب وأخوات آبائه وإن علون وقد
تكون العمه من جهة الأم أيضا وهي أخت أبي الأم (وخالاتكم) جمع خالة وهي كل امرأة
شاركت الأم في أصلها فيدخل فيه جميع أخوات الأم وأخوات أمهاتها وقد تكون الخالة من
جهة الأب أيضا وهي أخت أم الأب (وبنات الأخ وبنات الأخت) وهي عبارة عن كل امرأة
لأخيك أو لأختك عليها ولادة يرجع نسبها إلى الأخ أو الأخت فيدخل فيهن جميع بنات أولاد
الأخ والأخت وإن سفلن فهذه الأصناف السبعة محرمة بسبب النسب بنص الكتاب وجملة
أنه يحرم على الرجل أصوله وفصوله وأول فصل من كل أصل بعده أصل
فالأصول هن الأمهات والجدات والفصول هن البنات وبنات الأولاد وفصول أول أصوله
هن الأخوات وبنات الإخوة والأخوات وأول فصل من كل أصل بعده أصل هن العمات
والخالات وإن علون قال العلماء كل امرأة حرم الله نكاحها بالنسب والرحم فحرمها مؤيدة
لا تحل بوجه من الوجوه. الصنف الثاني المحرمات بالسبب وهن سبع الأول والثاني المحرمات

حرمت عليكم أمهاتكم وهي جمع أم ويدخل فيه الجدات وإن علون من قبل الأم ومن قبل الأب (وبناتكم) وهي
جمع البنت ويدخل فيهن بنات الأولاد وإن سفلن (وأخواتكم) جمع الأخت سواء كانت من قبل الأب والأم أو من
قبل أحدهما (وعماتكم) جمع العمه ويدخل فيهن جميع أخوات آبائك وأجدادك وإن علوا (وخالاتكم) جمع
خالة ويدخل فيهن جميع أخوات أمهاتك وجداتك (وبنات الأخ وبنات الأخت) ويدخل فيهن بنات أولاد الأخ والأخت

وإن سفن وجملته أنه يحرم على الرجل أصوله وفصوله وأول أصوله وأول فصل من كل أصل بعده والأصول هي
 الأمهات والجدات والفصول: البنات وبنات الأولاد وفصول أول أصوله هي: الأخوات وبنات الإخوة والأخوات وأول
 فصل من كل أصل بعده من العمات والخالات وإن علون. وأما الحرمات بالرضاع فقوله تعالى (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم
 وأنحواتكم من الرضاعة) وجملته أنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد
 أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن دينار عن سليمان بن يسار عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج
 النبي ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر
 ابن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي قال أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن عن
 عائشة زوج النبي ﷺ أنها أخبرتها (٥٠٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عندها وأنها سمعت صوت رجل

يستأذن في بيت حفصة
 فقالت عائشة رضي الله
 عنها قلت يا رسول الله
 هذا رجل يستأذن في
 بيتك فقال رسول الله
 ﷺ أراه فلانا لعم حفصة
 من الرضاعة فقلت
 يا رسول الله لو كان فلانا
 حيا لعمها من الرضاعة
 أبدخل على فقال رسول
 الله ﷺ نعم إن الرضاعة
 تحرم ما يحرم من الولادة
 وإنما ثبت حرمة الرضاع
 بشرطين: أحدهما أن
 يكون قبل استكمال
 المولود حولين لقوله تعالى
 والوالدات يرضعن
 أولادهن حولين كاملين
 وروى عن أم سلمة رضي
 الله عنها قالت قال وكان
 رسول الله ﷺ لا يحرم
 من الرضاع إلا ما فتق

الأمعاء وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال لا رضاع إلا ما أنشأ العظم وأثبت اللحم وإنما يكون هذا
 في حال الصغر وعند أبي حنيفة رضي الله عنه مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالى ووحمله وفضاله ثلاثون شهرا وهو عند الأكرين
 لأقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع وأقل مدة الحمل ستة أشهر. والشرط الثاني أن يوجد خمس رضعات متفرقات بروى
 ذلك عن عائشة رضي الله عنها وبه قال عبد الله بن الزبير وإليه ذهب الشافعي رحمه الله تعالى وذهب أكثر أهل العلم إلى أن
 قليل الرضاع وكثيره محرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب وإليه ذهب سفيان الثوري ومالك والأوزاعي
 وعبد الله بن المبارك وأصحاب الرأي واحتج من ذهب إلى أن القليل لا يحرم بما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو سعيد
 محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو العباس الأصم أنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنا أنس بن عياض عن هشام بن عروة عن
 أبيه عن عبد الله بن الزبير يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم المصاة من الرضاع والمصاة هكذا روى بعضهم

هذا الحديث ورواه عبد الله بن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو
أصح صحاح أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي
مكر محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت : كان فيما أنزل من
القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي (٥٠٣) رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ

من القرآن ، وأما
المحرمات بالصهرية فتقوله
(وأمهات نسائكم)
وجملته أن كل من عقد
التكاح على امرأة فتحرم
على التكاح أمهات
المنكوحة وجداتها وإن
علون من الرضاعة
والنسب بنفس العقد
(وربائبكم اللاتي في
حجوركم من نسائكم
اللاتي دخلتم بين

الربائب جمع ربيبة وهي
بنت المرأة سميت ربيبة
لربيته إياها وقوله في
حجوركم أي في تربيتكم
يقال فلان في حجر فلان
إذا كان في تربيته دخلتم
بين أي جامعته وهن
ومحرم عليه أيضا بنات
المنكوحة وبنات أولادها
وإن سفن من الرضاع
والنسب بعد الدخول
بالمشكوحة حتى لو فارقت
المشكوحة قبل الدخول
بها أو ماتت جاز له أن
يتكح بنتها ولا يجوز له
أن يتكح أمها لأن

« أن رجلا من بني عامر بن صعصعة قال يا نبي الله هل تحرم الرضعة الواحدة قال لا (م) عن
عائشة قالت كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من ثم نسخت بخمس
معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن قولا فتوفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن يحتمل أنه لم يبلغها نسخ ذلك وأجمعوا على أن هذا
لا يبطل فهو مما نسخ تلاوته وبقي حكمه وذهب جمهور العلماء إلى أن قليل الإرضاع وكثيره
يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب وإليه ذهب الثوري والأوزاعي
ومالك وابن المبارك وأبو حنيفة وأحمد في أحد الروايتين عنه والرواية الأخرى كذهب الشافعي
واحتج مذهب الجمهور بمطلق الآية لأنه عمل بعوم القرآن وظاهره ولم يذكر عددا وأجاب
الشافعي ومن وافقه في هذه المسئلة بأن السنة مبينة للقرآن مفسرة له . وقوله تعالى (وأمهات
نسائكم) يعني إذا تزوج الرجل بامرأة حرمت عليه أمها الأصلية وجميع جداتها من قبل
الأب والأم كما في النسب والرضاع أيضا ومذهب أكثر الصحابة وجميع التابعين وكل العلماء
أن من تزوج امرأة حرمت عليه أمها بنفس العقد سواء دخل بها أو لم يدخل بها وذهب جمع
من الصحابة إلى أن أم المرأة إنما تحرم بالدخول بابنتها وهو قول علي وزيد بن ثابت وابن
عمرو بن الزبير وجابر وأظهر الروايات عن ابن عباس والعمل اليوم على القول الأول وهو مذهب
الجمهور ويدل على ذلك ما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال أيما رجل نكح امرأة فلا يحل له تكاح ابنتها وإن لم يكن دخل بها فابنتكح
ابنتها وأيما رجل نكح امرأة فلا يحل له أن يتكح أمها دخل بها أو لم يدخل أخرجه الترمذي
وقوله تعالى (وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بين فان لم تكونوا دخلتم
بين فلا جناح عليكم) الربائب جمع ربيبة وهي بنت المرأة من رجل آخر سميت ربيبة لربيته
في حجر الرجل وقوله دخلتم بين كناية عن الجماع لأنفس العقد فيحرم على الرجل بنات
امرأته وبنات أولادها وإن سفن من النسب والرضاع بعد الدخول بالزوجة فلو فارقت زوجته قبل
الدخول بها أو ماتت قبل دخوله بها جاز أن يتزوج بنتها ولا يجوز له أن يتزوج أمها لأن الله تعالى أطلق
تحريم الأمهات وعلق تحريم البنات بالدخول بالأمر وقوله تعالى (وحلالل أناسكم) يعني أزواج أمهاتكم
واحدتها حليل والرجل حليل مميما بذلك لأن كل واحد منهما يحل لصاحبه وقبل لأن كل واحد منهما
يحل حيث يحل لصاحبه في إزار واحد وقبل لأن كل واحد منهما يحل إزار صاحبه من الحل بفتح الحاء
وجملته أنه يحرم على الرجل أزواج أمهاته وأبنائه وأولاده وإن سفنوا من النسب والرضاع وذلك
بنفس العقد (الذين من أصلابكم) وإنما قال من أصلابكم احترازا من التبني ليعلم أن زوجة

الله تعالى أطلق تحريم الأمهات وقال في تحريم الربائب (فان لم تكونوا دخلتم بين فلا جناح عليكم) يعني في تكاح بناتهن إذا
فارقت. ومن أو منى وقال على رضي الله عنه أم المرأة لا تحرم إلا بالدخول بالبنات كالربيبة (وحلالل أناسكم الذين من أصلابكم)
يعني أزواج أمهاتكم واحدتها حليلة والذكر حليل مميما بذلك لأن كل واحد منهما يحل لصاحبه، وقيل مميما بذلك لأن كل
واحد منهما يحل حيث يحل لصاحبه من الحل وهو النزول وقيل إن كل واحد منهما يحل إزار صاحبه من الحل وهو ضد
العقد وجملته أنه يحرم على الرجل حلالل أمهاته وأبنائه وأولاده وإن سفنوا من الرضاع والنسب بنفس العقد وإنما قال من

أصلا بكم ليعلم أن حليلة المتبني لا تحرم على الرجل الذي تبناه فان النبي ﷺ تزوج امرأة زيد بن حارثة ، وكان زيد قد تبناه رسول الله ﷺ والرابع من المحرمات بالصهرية حليلة الأب والجد وإن علا فيحرم على الولد وولد الولد بنفس العقد سواء كان الأب من الرضاع أو من النسب لقوله تعالى «ولا تذكحوا مانكح آباؤكم من النساء» وقد سبق ذكره وكل امرأة تحرم عليك بعقد النكاح تحرم بالوطء في ملك اليمين والوطء بشبهة النكاح حتى لو وطئ امرأة بالشبهة أو جارية بملك اليمين فتحرم على الواطئ أم الموطوءة وابنتها وتحرم الموطوءة على أبي الواطئ وعلى ابنته ولو زنى بامرأة فقد اختلف فيه أهل العلم فذهبت جماعة إلى أنه لا تحرم على الزاني أم الزاني بها (٥٠٤) وابنتها ولا تحرم الزانية على أبي الزاني وابنته وهو قول علي وابن مسعود

المتبني لا تحرم على الرجل الذي تبناه لأنه كان في صدر الإسلام بمنزلة الابن فتسخ الله ذلك وقال تعالى «ادعوهم لأبائهم» وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة زيد بن حارثة وكان قد تبناه فقال المشركون تزوج زوجة ابنته فأزل الله تعالى وما جعل أديعاءكم أبناءكم وقال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم وقوله تعالى (وأن تجمعوا بين الأختين) يعني لا يجوز للرجل أن يجمع بين الأختين في نكاح واحد سواء كانت الإخوة بينهما إخوة نسب أو رضاع والجمع بين الأختين يقع على ثلاثة أوجه: أحدهما أن يجمع بينهما بعقد واحد فهذا العقد فاسد لا يصح فلو تزوج إحدى الأختين ثم تزوج الأخرى بعدها فهذاها يحكم ببطلان نكاح الثانية فلو طلق الأولى طلاقا بائنا جاز له نكاح أختها، الوجه الثاني من صور الجمع بين الأختين هو أن يجمع بينهما بملك اليمين فلا يجوز له أن يجمع بينهما في الوطء فإذا وطئ إحداهما حرمت عليه الثانية حتى يحرم الأولى ببيع أو هبة أو عتق أو كتابة، الوجه الثالث من صور الجمع بين الأختين هو أن يتزوج إحداها ويشترى الأخرى فيملكها بملك اليمين فذهب بعض العلماء إلى أنه لا يجوز الجمع بينهما لأن ظاهر هذه الآية يقتضي تحريم الجمع مطلقا فوجب أن يحرم الجمع بينهما على جميع الوجوه وذهب بعضهم إلى جوازه والقول الأول أصح وأولى لما روي قبيصة بن ذؤيب أن رجلا سأل عثمان عن أختين مملوكتين لرجل هل يجمع بينهما فقال عثمان أحلتهما آية وحرمتها آية فأما أنا فلا أحب أن أصنع ذلك فخرج من عنده فأتى رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عنه فقال أما أنا فلو كان لي من الأمر شيء لم أبجد أحد فعل ذلك إلا جعلته نكالا قال ابن شهاب أراه على ابن أبي طالب قال مالك أنه بلغه عن الزبير بن العوام مثل ذلك أخرجه مالك في الموطأ وقوله تعالى (إلا ما قد سلف) يعني لكن ما قد مضى فإنه معفو عنه بدليل قوله تعالى (إن الله كان عفورا رحيفا) وقيل أن فائدة هذا الاستثناء أن نكحة الكفار صحيحة فلو أسلم عن أختين قبل له أختهم شئت وبدل على ذلك ما روى عن الضحاك بن فروز عن أبيه قال قلت يا رسول الله إن أسلمت وتعتق أختان قال طلق أختهم شئت أخرجه أبو داود .

(فروع تتعلق بحكم الآية . الأول) لا يجوز الجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها

للرجل أن يجمع بين الأختين في النكاح سواء كانت الإخوة بينهما بالنسب ويدل
أبوالرضاع فإذا نكح امرأة ثم طلقها بائنا جاز له نكاح أختها وكذلك لو ملك أختين بملك اليمين لم يجز له أن يجمع بينهما في الوطء فإذا وطئ إحداها لم يملك له وطء الأخرى حتى يحرم الأولى على نفسه وكذلك لا يجوز أن يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الماشي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها» قوله تعالى (إلا ما قد سلف) يعني لكن ما مضى فهو معفو عنه لأنهم كانوا يفعلونه قبل الإسلام وقال عطاء والسدي إلا ما كان من يعقوب عليه السلام فإنه جمع بين ليا أم يهودا وراحيل أم يوسف وكانتا أختين (إن الله كان عفورا رحيفا)

وابن عباس رضي الله عنهما وبه قال سعيد بن المسيب وعروة والزهرى وإليه ذهب مالك والشافعي رحمهم الله تعالى وذهب قوم إلى التحريم يروى ذلك عن عمران بن حصين وأبي هريرة رضي الله عنهما وبه قال جابر بن زيد والحسن وهو قول أصحاب الرأي ولو مس امرأة بشهوة أو قبلها فهل يجعل ذلك كاللحول في إثبات حرمة المصاهرة وكذلك لو مس امرأة بشهوة فهل يجعل كالوطء في تحريم الربيبة فيه قولان أصحهما ، وهو قول أكثر أهل العلم أنه تثبت به الحرمة والثاني لا تثبت كما لا تثبت بالنظر بالشهوة قوله تعالى (وأن تجمعوا بين الأختين) لا يجوز

لايجل للغير نكاحهن قبل

مفارقة الأزواج وهذه السابعة من النساء اللائي حرمن بالسبب قال أبو سعيد الخدري نزلت في نساء كنانة هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن أزواج فزوجهن بعض المسلمين ثم قدم أزواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال إلا ما ملكت إيمانكم يعني السبايا اللواتي سبين ولهن أزواج في دار الحرب فيحل للملئكهن وطؤهن بعد الاستبراء لأن بالسبي يرتفع النكاح بينها وبين زوجها قال أبو سعيد الخدري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين جيشا إلى أوطاس ، فأصابوا سبايا من أزواج من المشركين ففكروا غشيانهن فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال عطاء أراد بقوله إلا ما ملكت إيمانكم أن تكون أمة في نكاح عبده فيجوز أن ينزعها منه وقال ابن مسعود أراد أن يبيع الجارية المزوجة فتقع الفرقه بينها وبين زوجها ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشتري وطؤها وقيل أراد بالمحصنات

ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ولا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وإخوتها أخرجه في الصحيحين قال بعض العلماء في حديث ما يحرم الجمع كل امرأتين بينهما قرابة أو لبن لو كان ذلك بينك وبين المرأة لم يجز لك نكاحها لم يجز لك الجمع بينهما .

(الفرع الثاني) المحرمات بالنسب سبعة أصناف ذكرت في الآية نسقا والمحرمات بالسبب صنفان : صنف يحرم بالرضاع وهن الأمهات والأخوات على ما تقدم ذكره وصنف يحرم بالمصاهرة وهن أم المرأة وحليلة الابن وزوجة الأب وقد تقدم ذكرها في قوله تعالى ولا تتكحوا ما نكح آبائكم من النساء الآية والربائب على التفصيل المذكور والجمع بين الأختين .

(الفرع الثالث) التحريم الحاصل بسبب المصاهرة إنما يحصل بنكاح صحيح فلو زنى بامرأة لم تحرم عليه أمها ولا بنتها لو أراد أن يتزوج من وكذلك لا تحرم المزنيها على آباء الزاني ولا أبنائه إنما تتعلق الحرمة بنكاح صحيح أو بنكاح فاسد يجب لها به الصداق ونجب عليها العدة ويلحق به الولد وهذا قول علي وابن عباس وبه قال سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهري وإليه ذهب مالك والشافعي وبقية الفقهاء الحجازي وذهب قوم إلى أن الزنا يتعلق به تحريم المصاهرة يروى ذلك عن عمران بن حصين وأبي هريرة وبه قال جابر بن زيد والحسن وأهل العراق ولو لمس امرأة أجنبية بشهوة أو قبلها بشهوة هل يجعل ذلك كالدخول في إثبات تحريم المصاهرة وكذلك لو لمس امرأة أجنبية بشهوة هل يجعل ذلك كالموطء في تحريم الربيبة؟ فيه قولان : أحدهما أنه تثبت به حرمة المصاهرة وهو قول أكثر أهل العلم والثاني لا تثبت به كما لا تثبت بالنظر بشهوة. قوله تعالى (والمحصنات) يعني وحرمت المحصنات (من النساء) وأصل الإحصان في اللغة المنع والإحصان بالنسبة للمرأة العفيفة ويطلق الإحصان على المرأة ذات الزوج والحرمة والعفيفة والمرأة المسلمة والمراد من الإحصان في قوله والمحصنات ذوات الأزواج من النساء فلا يجز لأحد نكاحهن قبل مفارقة أزواجهن وهذه هي السابعة من النساء التي حرمن بالسبب قال أبو سعيد الخدري نزلت هذه الآية في نساء كنانة هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن أزواج فزوجهن بعض المسلمين ثم قدم أزواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال تعالى (إلا ما ملكت إيمانكم) يعني السبايا اللواتي سبين ولهن أزواج في دار الحرب فيحل للملئكهن وطؤهن بعد الاستبراء لأن بالسبي يرتفع به النكاح بينها وبين زوجها قال أبو سعيد الخدري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا إلى أوطاس فأصابوا سبايا من المشركين ففكروا غشيانهن فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن مسعود أراد أنه إذا باع الجارية المزوجة فتقع الفرقه بينها وبين زوجها ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشتري وطؤها وقال عطاء أراد بقوله إلا ما ملكت إيمانكم أن تكون أمة في نكاح عبده فيجوز له أن ينزعها منه وقيل أراد بالمحصنات من النساء الحرائر ومعناه أن ما فوق الأربع منهن فإنه عليكم حرام إلا ما ملكت إيمانكم فإنه لا عدد عليكم في الجوارى ولا حصر (كتاب الله عليكم) يعني حرمت عليكم أمهاتكم وكتب عليكم هذا كتابا وقيل معناه الزموا كتاب الله وقيل معناه كتابا من الله عليكم بمعنى كتب الله تحريم ما حرم عليكم من ذلك وتجلييل ما حلل كتابا

(٦٤ - خازن بالبغوي - أول) الحرائر ومعناه إن ما فوق الأربع حرام منهن إلا ما ملكت إيمانكم فإنه لا عدد عليكم في الجوارى قوله تعالى (كتاب الله عليكم) نصب على المصدر أي كتب الله عليكم وقيل نصب على الإغراء

(وأحل لكم ما وراء ذلكم) يعنى وأحل الله لكم ما سوى ذلكم الذى ذكر من المحرمات يظهر هذه الآية يقتضى حل ما سوى المذكورين من الأصناف المحرمات ، لكن قد دل الدليل من السنة بتحريم أصناف آخر سوى ما ذكر فن ذلك أنه يحرم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها ومن ذلك المطلقة ثلاثا لا تحل لزوجها الأول حتى تنكح زوجا غيره ومن ذلك نكاح المعتدة فلا تحل للأزواج حتى تنقضى عدتها ومن ذلك أن من كان فى نكاحه حرة لم يجز له أن يتزوج بأمة والقادر على طول الحرية لم يجز له أن يتزوج بالأمة ومن ذلك أن من كان عنده أربع نسوة حرم عليه أن يتزوج بخامسة ومن ذلك الملاعبة فانها محرمة على الملاعن بالتأييد فهذه أصناف من المحرمات سوى ما ذكر فى الآية فعلى هذا يكون قوله تعالى وأحل لكم ما وراء ذلكم ورد بلفظ العموم لكن العموم دخله التخصيص فيكون عاما مخصوصا . وقوله تعالى (أن تبتغوا بأموالكم) فيه إضمار تقديره وأحل لكم أن تبتغوا أى تطلبوا بأموالكم أن تنكحوا بصدائق أو تشتروا بثمن وفى الآية دليل على أن الصداق لا يتقدر بشئ فيجوز على القليل والكثير لإطلاق قوله تعالى أن تبتغوا بأموالكم (محصنين) يعنى متزوجين وقيل متعففين (غير مسافحين) يعنى غير زانين والسفاح الفجور وأصله من السفح وهو الصب وإنما سمي الزنا سفاحا لأن الزانى لا غرض له إلا صب النطفة فقط . قوله تعالى (فما استمتعتم به منهن) اختلفوا فى معناه فقال الحسن ومجاهد أراد ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بنكاح صحيح لأن أصل الاستمتاع فى اللغة الانتفاع وكل ما انتفع به فهو متاع (فأتوهن أجورهن) يعنى مهورهن وإنما سمي المهر أجرا لأنه بدل المنافع ليس بدل الأعيان كما سمي بدل منافع الدار والديانة أجرا . وقال قوم المراد من حكم الآية هو نكاح المتعة وهو أن ينكح امرأة إلى مدة معلومة بشئ معلوم فاذا انقضت تلك المدة بانت منه بغير طلاق ويستبرىء رحمها وليس بينهما ميراث وكان هذا فى ابتداء الإسلام ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة فحرمها (م) عن سيرة بن معبد الجهنى أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم فى الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك لى يوم القيامة فن كان عنده منهن شئ فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتهن وهن شيئا وإلى هذا ذهب جمهور العلماء من الصحابة فن بعدهم أى أن نكاح المتعة حرام والآية منسوخة واختلفوا فى ناسخها فقبل نسخها بالسنة وهو ما تقدم من حديث سيرة الجهنى (ق) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الخمر الإنسانية» وهذا على مذهب من يقول إن السنة تنسخ القرآن ومذهب الشافعى أن السنة لا تنسخ القرآن فعلى هذا يقول إن ناسخ هذه الآية قوله تعالى فى سورة المؤمنون «والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين» والمنسوخة فى المتعة ليست زوجة ولا ملك يمين واختلفت الروايات عن ابن عباس فى المتعة فروى عنه أن الآية محكمة وكان يرخص فى المتعة قال عمارة سألت ابن عباس عن المتعة أسقح هى أم نكاح؟ فقال لا سفاح ولأنكاح قلت فما هى قال متعة؟ قال الله تعالى فما استمتعتم به منهن قلت هل لها عدة قال نعم؟ حيضة قلت هل يتوارثان قال لا وروى أن الناس لما ذكروا الأشعار فى فتيان ابن عباس بالمتعة قال قائلهم الله أنا ما فتيت باباحتها على الإطلاق

والكسافى وحفص أهل بضم الألف وكسر الحاء لقوله حرمت عليكم وقرأ الآخرون بالنصب أى أحل الله لكم ما وراء ذلكم أى ما سوى ذلكم الذى ذكرت من المحرمات (أن تبتغوا) تطلبوا (بأموالكم) أن تنكحوا بصدائق أو تشتروا بثمن (محصنين) أى متزوجين أو متعففين (غير مسافحين) أى غير زانين مأخوذ من سفح الماء وصبه وهو المنى (فما استمتعتم به منهن) اختلفوا فى معناه فقال الحسن ومجاهد أراد ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بالنكاح الصحيح (فأتوهن أجورهن) أى مهورهن وقال آخرون هو نكاح المتعة وهو أن تنكح امرأة إلى مدة فاذا انقضت تلك المدة بانت منه بلا طلاق ويستبرىء رحمها وليس بينهما ميراث وكان ذلك مباحا فى ابتداء الإسلام ثم نهى عنه رسول الله ﷺ أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر ابن محمد القارمى أنا محمد

ابن عيسى الجلودى أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا محمد بن عبد الله بن نمير أنا أنس بن مالك أنا عبد العزيز بن عمر حدثنى الربيع بن سبرة الجهنى أن أباه حدثه أنه كان مع رسول الله ﷺ فقال يا أيها الناس إني كنت

أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله تعالى قد حرم ذلك إلى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله، ولا تأخّلوا مما آتتكموهن شيئا، أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبد الله والحسن ابني محمد بن علي عن أبيهما عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن كل لحوم الحمر الإنسية، وإلى هذا ذهب عامة أهل العلم (٥٠٧) أن نكاح المتعة حرام والآية

منسوخة وكان ابن عباس رضي الله عنهما يذهب إلى أن الآية محكمة وترخص في نكاح المتعة روى عن أبي نصره قال سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن المتعة فقال أما تقرأ في سورة النساء فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فقلت لا قرأها هكذا قال ابن عباس هكذا أنزل الله ثلاث مرات وقيل إن ابن عباس رضي الله عنهما رجعا عن ذلك وروى سالم عن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال ما بال أقوام ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لأجد رجلا نكحها إلا رجتمه بالحجارة وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي رضي

لسكن قلت إنما نحل للمضطر كما نحل الميتة له وروى أنه رجعا عنه وقال بتحريمها وروى عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله فما استمتعتم به منهن إنها صارت منسوخة بقوله وبأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن، وروى سالم بن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لأجد رجلا نكحها إلا رجتمه بالحجارة وقال هدم المتعة: النكاح والطلاق والعدة والميراث قال الشافعي لا أعلم في الإسلام شيئا أحل ثم حرم ثم أحل ثم حرم غير المتعة وقال أبو عبيد المسلمون اليوم مجمعون على أن متعة النساء قد نسخت بالتحريم نسخها الكتاب والسنة هذا قول أهل العلم جميعا من أهل: الحجاز والشام والعراق من أصحاب الأثر والرأي وأنه لا رخصة فيها للمضطر ولا غيره قال ابن الجوزي في تفسيره وقد تكلف قوم من مفسري القرآن فقالوا المراد بهذه الآية نكاح المتعة ثم نسخت بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن متعة النساء وهذا تكلف لا يحتاج إليه لأن النبي صلى الله عليه وسلم أجاز المتعة ثم منع منها فحرمها فكان قوله منسوخا بقوله وأما الآية فإنها لم تتضمن جواز المتعة لأنه تعالى قال فيها أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فدل ذلك على الشكاح الصحيح قال الزجاج ومعنى قوله فما استمتعتم به منهن فما نكحتموه على الشروط التي جرت وهو قوله محصنين غير مسافحين أي عاقدين التزويج وقال ابن جرير الطبري أولى التأويلين في ذلك بالصواب أول من تأوله فما نكحتموه منهن فجامعتهن فأتوهن أجورهن لقيام الحجة بتحريم الله تعالى متعة النساء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى فأتوهن أجورهن يعني مهورهن (فريضة) يعني لازمة وواجبة (ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة) اختلفوا فيه فمن حمل ما قبله على نكاح المتعة قال أراد إتيانها إذا عقد عقدا إلى أجل على مال فاذا تم الأجل فإن شاءت المرأة زادت في الأجل وزاد الرجل في الأجر وإن لم يراضيا فارقها وقد تقدم أن ذلك كان جائزا ثم نسخ وحرم ومن حمل الآية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به يعني من الإبراء من المهر والافتداء والاعتياض وقال الزجاج معناه لا جناح عليكم أن تهب المرأة للزوج مهرها وأن يهب الرجل للمرأة التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب عليه (إن الله كان عليما) يعني بما يصلحكم أي الناس في ما كحكم وغيرها من سائر أموركم (حكيا) يعني فيما دبر لكم من التدبير وفيما يأمركم به وينهاكم عنه ولا يدخل حكمه خلل ولا زلل.

الله عنه يقول لا أعلم في الإسلام شيئا أحل ثم حرم ثم أحل ثم حرم غير المتعة قوله تعالى فأتوهن أجورهن أي مهورهن (فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة) فمن حمل ما قبله على نكاح المتعة قال أراد إتيانها إذا عقدت إلى أجل بمال فاذا تم الأجل فإن شاءت المرأة زادت في الأجل وزاد الرجل في المال وإن لم يراضيا فارقها ومن حمل الآية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من الإبراء عن المهر والافتداء والاعتياض (إن الله كان عليما حكيا).

(فصل : في قدر الصداق وفيما يستحب منه)

اعلم أنه لا تقدير لأكثر الصداق لقوله تعالى وآتيتهم إحداهن قنطارا فلانا أخذوا منه شيئا والمستحب أن لا يغالي فيه قال عمر بن الخطاب ألا لا تغالوا في صدقة النساء فانها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان أولاكم بها نبي الله صلى الله عليه وسلم ما علمت رسول الله (٤٠٨) صلى الله عليه وسلم تكح شيئا من نسائه ولا أنكح شيئا من بناته على أكثر

(فصل في قدر الصداق وما يستحب منه)

اعلم أنه لا تقدير لأكثر الصداق لقوله تعالى (وآتيتهم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا) والمستحب أن لا يغالي فيه قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ألا لا تغالوا في صدقة النساء فانها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان أولاكم بها نبي الله صلى الله عليه وسلم ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم تكح شيئا من نسائه ولا أنكح شيئا من بناته على أكثر من اثني عشر أوقية أخرجه الترمذي ولأبي داود ونحوه (م) عن أبي سلمة قال سألت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت كان صداقه لأزواجه اثني عشر أوقية ونشا قالت أتدرى ما اللش؟ قلت لا قالت نصف أوقية فذلك خمسمائة درهم واختلف العلماء في أقل الصداق فذهب جماعة إلى أنه لا تقدير لأقله بل كل ما جاز أن يكون مبيعا أو ثمنا جاز أن يكون صداقا وهو قول ربيعة وسفيان الثوري والشافعي وأحمد وإسحاق وقال قوم بتقدير الصداق بنصاب السرقة وهو قول مالك وأبي حنيفة غير أن نصاب السرقة عند مالك ثلاث دراهم وعند أبي حنيفة عشرة دراهم والدليل على أن الصداق لا يتقدر ما روي عن سهل بن سعد الساعدي قال جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت يا رسول الله قد وهبت نفسي لك فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر فيها وضوبه ثم طأطا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فلما رأته المرأة أنه لم يتنص فيها شيئا جلست فقام رجل من أصحابه فقال يا رسول الله إن لم تكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال فهل عندك من شيء؟ فقال لا والله يا رسول الله فقال اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئا فذهب ثم رجع فقال لا والله ما وجدت شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ولو خاتما من حديد فذهب ثم رجع فقال لا والله يا رسول الله ولا خاتما من حديد ولكن إزارى هذا قال سهل ماله رداء فلها نصفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصنع بإزارك إن لبسته لم يكن عليها منه شيء وإن لبسته لم يكن عليك منه شيء فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم موليا فأمر به فدعا له فلما جاء قال ما ذامعك من القرآن قال معي سورة كذا وسورة كذا عددها قال تقرأهن عن ظهر قلب قال نعم قال اذهب فقد ملكتها بما معك من القرآن وفي رواية فقد زوجتكها تعلمها من القرآن وفي رواية فقد أنكحها بما معك من القرآن أخرجاه في الصحيحين وهذا لفظ الحميدي . ففي هذا الحديث دليل على أنه لا تقدير لأقل الصداق لأنه هل تجد شيئا فهذا يدل على جواز أي شيء كان من المال ثم قال ولو خاتما من حديد ولا قيمة له إلا القليل الثافه وفيه دليل على أنه يجوز أن يجعل تعليم القرآن صداقا وهو

من اثني عشرة أوقية أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا جعفر بن محمد المفلس أنا هارون بن إسحاق أنا يحيى بن محمد الحارثي أنا عبد العزيز ابن محمد عن يزيد بن عبد الله بن الهادي عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة قال سألت عائشة رضي الله عنها كم كان صداق النبي صلى الله عليه وسلم لأزواجه قالت كان صداقه لأزواجه اثني عشرة أوقية ونشا قالت أتدرى ما اللش؟ قلت لا قالت نصف أوقية فذلك خمسمائة درهم هذا صداق النبي ﷺ لأزواجه أما أقل الصداق فقد اختلفوا فيه فذهب جماعة إلى أنه لا تقدير لأقله بل ما جاز أن يكون مبيعا أو ثمنا جاز أن يكون

قول

صداقا وهو قول ربيعة وسفيان الثوري والشافعي وأحمد

وإسحاق قال عمر بن الخطاب ثلاث قبضات زبيب مهر وقال سعيد بن المسيب لو أصدقها سوطا جاز ، وقال قوم بتقدير بنصاب السرقة وهو قول مالك وأبي حنيفة ، غير أن نصاب السرقة عند مالك ثلاثة دراهم وعند أبي حنيفة عشرة دراهم والدليل على أنه لا يتقدر ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي قال أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة ، فقالت

بارسول الله إني وهبت نفسي لك فقامت طويلا فقام رجل فقال يا رسول الله زوجتيها إن لم تكن لك فيها حاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عندك من شيء تصدقها قال ما عندي إلا إزارى هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أعطيتها إياه جلست للإزار لك فالتمس شيئا فقال ما أجده فقال فالتمس ولو خاتما من حديد فالتمس فلم يجد شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل معك من القرآن شيء قال نعم سورة كذا وسورة كذا السور سماها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد زوجتكها بما معك من القرآن وفيه دليل على أن لا تقدر لأقل الصداق لأنه قال التمس شيئا وهذا يدل على جواز أى شيء كان من المال وقال ولو خاتما من حديد ولا قيمة للحديد إلا القليل الشافى وفي الحديث دليل على أنه يجوز أن يجعل تعليم القرآن صداقا وهو قول الشافى رحمه الله وذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يجوز وهو قول أصحاب (٤٠٩) الرأى وكل عمل جاز الاستحجار

عليه من البناء والخطابة وغير ذلك من الأعمال جاز أن يجعل صداقا ولم يجوز أبو حنيفة رضى الله عنه أن يجعل منفعة الحر صداقا والحديث بحجة لمن جوزه بعد ما أخبر الله تعالى عن شعب عليه السلام حيث زوج ابنته من موسى عليه السلام على العمل فقال إني أريد أن أنكحكما إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرتي ثمانى حجج قوله تعالى (ومن لم يستطع منكم طولا) أى فضلا وسعة (أن ينكح المحصنات الحرائر) المؤمنات (المؤمنات) قرأ الكسائي المحصنات بكسر الصاد حيث كان لإاقرله في هذه السورة والمحصنات من النساء

قول الشافى ومنه أصحاب الرأى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أعطي في صداق امرأة ملاء كفيه سويفا أو تمرا فقد استحل أحرجه أبو داود عن عبد الله بن عامر عن أبيه أن امرأة من بنى فزارة تزوجت على نعلين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضيت من نفسك ومالك بتعلين قالت نعم فأجازة أخرجه الترمذى وقال عمر بن الخطاب ثلاث قبضات من زبيب مهر . قوله عز وجل (ومن لم يستطع منكم طولا) يعنى فضلا وسعة وإنما سمى الغنى طولا لأنه ينال به من المراد ما لا ينال مع النقر والطول هنا كناية عما يصرف إلى المهر والنفقة (أن ينكح المحصنات) يعنى الحرائر (المؤمنات) فمما ملكت أيمانكم) يعنى جارية أحيك المؤمن فان الإنسان لا يجوز له أن يتزوج بجارية نفسه (من فتياتكم المؤمنات) المعنى من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة فليتزوج الأمة المؤمنة والفتيات الجوارى المملوكات جمع فتاة يقال للأمة فتاة والعبدقنى وفى الآية دليل على أنه لا يجوز للحر نكاح الأمة إلا بشرطين: أحدهما أن لا يجد مهر حرة لأنه جرت العادة فى الإمامة بخفيف مهورهن ونفقتهن وسبب ذلك اشتغالهن بخدمة ساداتهن. والشرط الثانى وهو خوف العنت على نفسه وهو قوله تعالى ذلك لمن خشى العنت منكم قال ابن عباس هو الزنا وهذا قول جابر وابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس ومسروق ومكحول وعمرو بن دينار وإليه ذهب مالك والشافى وأحمد وروى عن على والحسن البصرى وابن المسيب ومجاهد والزهري أنه يجوز للحر أن ينكح الأمة وإن كان موسرا وهو مذهب أبى حنيفة إلا أن يكون فى نكاحه حرة والسبب فى منع الحر من نكاح الأمة إلا عند خوف العنة إن الولد يتبع الأم فى الرق والحرية وإذا كانت الأم رقيقة كان الولد رقيقا وذلك نقص فى حق الحر وفى حق ولده ولأن حق السيد أعظم من حق الزوج فربما احتاج الزوج إليها فلا يجد إليها سبيلا لأن للسيد حبسها لخدمته ولأن مهرها ملك السيد فلا تقدر على هبته من زوجها ولا أن تبرئه منه بخلاف الحرة فلها السبب منع الله من نكاح الأمة إلا على سبيل الرخصة والاضطرار ويجوز للعبد نكاح الأمة وإن كان فى نكاحه حرة وعند أبى حنيفة لا يجوز له إذا كانت تحت حرة

وقرأ الآجرون بفتح جميعها (فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم) إمائكم (المؤمنات) أى من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة فليتزوج الأمة المؤمنة وفيه دليل على أنه لا يجوز للحر نكاح الأمة إلا بشرطين: أحدهما أن لا يجد مهر حرة والثانى أن يكون خائفا على نفسه من العنت وهو الزنا فقوله تعالى فى آخر الآية ذلك لمن خشى العنت منكم وهو قول جابر رضى الله عنه وبه قال طاوس وعمرو بن دينار وإليه ذهب مالك والشافى وجوز أصحاب الرأى للحر نكاح الأمة إلا أن تكون تحت نكاح حرة. أما العبد فيجوز له نكاح الأمة وإن كان فى نكاحه حرة أو أمة وعند أبى حنيفة رضى الله عنه لا يجوز إذا كانت تحت حرة كما يقول فى الحر وفى الآية دليل على أنه لا يجوز للمسلم نكاح الأمة الكتابية لأنه قال فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات جوز نكاح الأمة بشرط أن تكون مؤمنة . وقال فى موضع آخر وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب أى الحرائر جوز نكاح الكتابية بشرط أن تكون حرة وجوز

اصحاب الرأي للمسلم نكاح الامة الكتابية وبالانفاق يجوز وطؤها بملك اليمين (والله اعلم بايمانكم) اى لا تتعرضوا للباطن في
 الايمان وخذلوا بالظاهر فان الله اعلم بايمانكم (بعضكم من بعض) قيل بعضكم اخوة لبعض وقيل كلكم من نفس واحدة فلا
 تستنكفوا من نكاح الائمة (فانكحوهن) يعنى الائمة (باذن اهلهم) اى مواليهم (وآتوهن اجورهن) ظهورهن (بالمعروف)
 من غير مظل وضرار (محصنات) عفاف بالنكاح (غير مسافحات) اى غير زانيات (ولا متخذات اخدان) اى احياب
 تزنون بهن في السر قال الحسن المسافحة هي ان كل من دعاها تبعته وذات خدن اى تختص بواحد لا تزني الائمة ، والعرب
 كانت تحرم الاولى وتجاوز الثانية (٥١٠) (فاذا احصن) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بفتح الألف والصاد ،

أى حفظن فروجهن
 وقال ابن مسعود أسلمن
 وقرأ الآخرون أحصن
 بضم الألف وكسر
 الصاد أى تزوجهن
 (فان أتبن بفاحشة) يعنى
 الزنا (فعليهن نصف
 ما على المحصنات) أى
 ما على الحرائر الأبكار
 إذا زين (من العذاب)
 يعنى الحد فيجلد الرقيق
 إذا زنى خمسين جلدة
 وهل يغرب فيه قولان :
 فان قلنا يغرب فيغرب
 نصف سنة على القول
 الأصح ولا رجم على
 العبيد روى عن عبد الله
 ابن عباس بن أبي ربيعة
 قال أمرني عمر بن الخطاب
 رضى الله عنه في فتنة من قرئش
 فجلدنا ولائد من ولائد
 الائمة خمسين في الزنا ولا
 فرق في حد المملوك
 بين من تزوج أو لم
 يتزوج عند أكثر أهل

كما يقول في الحر وفي الآية دليل على أنه لا يجوز للمسلم حرا كان أو عبدا نكاح الامة الكتابية
 لقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات يفيد جواز نكاح الامة المؤمنة دون الكتابية لأن فيها نوعين
 من النقص وهما : الرق والكفر بخلاف الامة المؤمنة لأن فيها نقصا واحدا وهو الرق وهذا قول
 مجاهد والحسن وإليه ذهب مالك والشافعي وقال أبو حنيفة يجوز التزوج بالامة الكتابية وبالانفاق
 يجوز وطء الامة الكتابية بملك اليمين وقوله تعالى (والله اعلم بايمانكم) قال الزجاج أى عملوا
 على الظاهر في الإيمان فانكم متعبدون بما ظهر والله يتولى السرائر والحقائق وقيل معناه لا تتعرضوا
 للباطن في الإيمان وخذلوا بالظاهر فان الله اعلم بايمانكم (بعضكم من بعض) يعنى إنكم كلكم
 من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الائمة عند الضرورة وإنما قيل فهم ذلك لأن العرب
 كانت تفتخر بالأنساب والأحساب ويسمون ابن الامة المحجين فأعلم الله تعالى أن ذلك أمر
 لا يلتفت إليه فلا يتداخلنكم شموخ وأتفة من التزوج بالائمة فانكم متساوون في النسب إلى
 آدم وقيل إن معناه إن دينكم واحد وهو الإيمان وأنتم مشتركون فيه ففى وقع لأحدكم الضرورة
 جاز له أن يتزوج بالامة عند خوف العنت وقال ابن عباس يريد إن المؤمنين بعضهم أكفأ
 بعض (فانكحوهن باذن اهلهم) يعنى اخطبوا لإمامه إلى ساداتهن وانفق العلماء على أن نكاح
 الامة بغير إذن سيدها باطل لأن الله تعالى جعل إذن السيد شرطا في جواز نكاح الامة (وآتوهن
 اجورهن) يعنى مهورهن (بالمعروف) يعنى من غير مظل ولا ضرار وقيل معناه وآتوهن مهور
 أمثالهن وأجمعوا على أن المهر للسيد لأنه ملكه وإنما أضيف إتياء المهر إلى الائمة لأنه بمن
 يضعهن (محصنات) يعنى عفاف (غير مسافحات) يعنى غير زانيات (ولا متخذات اخدان)
 جمع خدن وهو الصاحب الذى يكون معك في كل أمر ظاهر وباطن وأكثر ما يستعمل فيمن
 يصاحب بشهوة يقال خدن المرأة وخذلها يعنى خدبها الذى زنى بها في السر قال الحسن المسافحة
 هي التي كل من دعاها تبعته وذات اخدان هي التي تختص بواحد ولا تزنى مع غيره وكانت
 العرب في الجاهلية تحرم الاولى وتجاوز الثانية فلما كان الفرق معتبرا عندهم لاجرم أن الله تعالى
 أفرد كل واحد من هذين القسمين بالذكر ونص على تحريمهما معا (فاذا احصن) قرئ بفتح
 الألف والصاد ومعناه حفظن فروجهن وقيل معناه أسلمن وقرأ حفص بضم الألف وكسر
 الصاد ومعناه زوجن (فان أتبن بفاحشة) يعنى زنا (فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب)

العلم ، وذهب بعضهم إلى أنه لا حد على من لم يتزوج من المماليك إذا زنى لأن الله
 تعالى قال (فاذا احصن) فان أتبن بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ، وروى ذلك عن ابن عباس رضى الله
 عنهما وبه قال طاووس ومعنى الإحصان عند الآخرين الإسلام وإن كان المراد منه التزوج فليس المراد منه أن التزوج شرط
 لوجوب الحد عليه بل المراد منه التنبيه على أن المملوك وإن كان محصنا بالتزوج فلا رجم عليه إنما حده الجلد بخلاف الحر
 فعند الامة ثابت بهذه الآية ويبان أنها تجلد في الحد هو ما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي
 أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله حدثني الليث عن سعيد بن المقبري عن أبيه عن أبي هريرة

رضي الله عنهم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا (٥١١) زنت أمة أحدكم فتيبن زناها فيجلدها المحم

يعنى فعلى الإمامة اللاتى زنتى نصف ماعلى الحرائر الأبيكار إذا زنتى من الجلد ويجلد العبد للزنا إذا زنا خمسين جلدة ولا فرق بين المملوك المتزوج وغير المتزوج فإنه يجلد خمسين ولا رجم عليه هذه قول أكثر العلماء وبروى عن ابن عباس وقال طاوس أنه لا حد على من لم يتزوج من المماليك إذا زنى لأن الله تعالى قال فإذا أحصن والذي لم يتزوج ليس بمحصن وأجيب عنه بأن معنى الإحصان عند الأكرين الإسلام وإن كان المراد منه التزوج فليس المراد منه أن التزوج شرط لوجوب الحد عليه بل المراد منه التضييه على أن المملوك وإن كان محصنا فلا رجم عليه إنما حده الجلد بخلاف الحر فحد الأمة ثابت بهذه الآية وبيان أنه بالجلد لا بالرحم ثابت بالحديث وهو ماروى عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وإذا زنت أمة أحدكم فتيبن زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم إن زنت فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم إن زنت الثالثة فتيبن زناها فليبعها ولو يجبل من شعره أخرجاه فى الصحيحين قوله ولا يثرب عليها أى لا يعبرها والتثريب التأبين والتعير والاستقصاء فى اللوم قال الشيخ محي الدين النواوى وهذا البيع المأمور به فى الحديث مستحب وليس بواجب عندنا وعند الجمهور وقال داود وأهل الظاهر هو واجب وفيه جواز بيع الشيء التمين بالتمن الحقيق وهذا البيع المأمور به يلزم صاحبه أن يبين حالها للمشتري لأنه عيب والأخبار بالعيب واجب فان قيل كيف يكره شيئا ويرتضيه لأخيه المسلم فالجواب لعلها تستعفف عند المشتري بأن يعفها بنفسه أو يصونها بهيئته أو بالإحسان إليها أو بزواجها أو غير ذلك والله أعلم (ذلك) إشارة إلى نكاح الأمة (لن خشى العنت منكم) يعنى الزنا والمعنى ذلك لن خشى أن تحمله شدة الشقى والغلظة وشدة الشهوة على الزنا وإنما سمي الزنا بالعنت لما يعقبه من المشقة وهى شدة العزوبة فأباح الله تعالى نكاح الأمة بثلاثة شروط: عدم القدرة على نكاح الحررة وخوف العنت وكون الأمة مؤمنة (وأن تصبروا) يعنى عن نكاح الإمام متعففين (خير لكم) يعنى كيلا يكون الولد عبدا رقيقا (والله غفور رحيم) وهذا كالتوكيد لما تقدم يعنى أنه تعالى غفر لكم ورحمكم حيث أباح لكم ما أنتم محتاجون إليه قوله تعالى (يريد الله ليبين لكم) اللام فى قوله ليبين معناه أن يبين وقيل معناه يريد لإزالة هذه الآيات من أجل أن يبين لكم دينكم ويوضح لكم شرعكم ومصالح أموركم وقيل يبين لكم ما يقربكم منه وقيل يبين أن الصبر على نكاح الإمام خير لكم (ويهديكم) أى ويرشدكم (سنن الدين من قبلكم) أى شرائع من قبلكم فى تحريم الأمهات والبنات والأخوات فإنها كانت محرمة على من قبلكم وقيل معناه ويرشدكم إلى الملة الحنيفية وهى ملة إبراهيم عليه السلام (ويتوب عليكم) يعنى ويتجاوز عنكم ما أصبتم قبل أن يبين لكم ويرجع بكم عن المعصية التى كنتم عليها إلى طاعته وقيل لما بين لنا أمر الشرائع والمصالح وأرشدنا إلى طاعته فرجما وقع منا تقصير وتفريط فيما أمر به وبينه فلا جرم أنه تعالى قال ويتوب عليكم (والله عليم) يعنى بمصالح عبادة فى أمر دينهم ودنياهم (حكيم) يعنى فيما دبر من أمورهم

ولا يثرب عليها ثم إن زنت فيجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم إن زنت الثالثة فتيبن زناها فليبعها ولو يجبل من شعره قوله تعالى (ذلك) يعنى نكاح الأمة عند عدم الطول (لن خشى العنت منكم) يعنى الزنا يريد المشقة بغلبة الشهوة (وأن تصبروا) عن نكاح الإمام متعففين (خير لكم) كيلا يخلق الولد رقيقا (والله غفور رحيم) قوله تعالى (يريد الله ليبين لكم) أى أن يبين لكم كقوله تعالى وأمرت لأعدل بينكم أى أن أعدل وقوله وأمرنا لنسلم لرب العالمين وقل فى موضع آخر وأمرت أن أسلم ومعنى الآية يريد الله أن يبين لكم أى يوضح لكم شرائع دينكم ومصالح أموركم قال عطاء يبين لكم ما يقربكم منه قال الكلبي يبين لكم (ويهديكم) ويرشدكم (سنن) شرائع (الدين من قبلكم) فى تحريم الأمهات والبنات والأخوات فإنها كانت محرمة على من قبلكم

وقيل ويهديكم الملة الحنيفية وهى ملة إبراهيم عليه السلام (ويتوب عليكم) ويتجاوز عنكم ما أصبتم قبل أن يبين لكم وقيل يرجع بكم من المعصية التى كنتم عليها إلى طاعته وقيل يوفتكم للتوبة (والله عليم) بمصالح عبادة فى أمر دينهم ودنياهم (حكيم)

ليأدر من أمورهم (والله يريد أن يتوب عليكم) إن وقع منكم تقصير في أمر دينكم (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا)
عن الحق (مبلا عظيم) باتباعكم ما حرم عليكم واختلفوا في الموصوفين باتباع الشهوات فقال السدي هم اليهود والنصارى، وقال
بعضهم هم الجوس لأنهم يحلون نكاح الأخوات وبنات الأخ والأخت وقال مجاهد هم الزناة يريدون أن تميلوا عن الحق فزنون
كما زنون وقيل هم كما زنون وقيل هم جميع أهل الباطل (يريد الله أن يخفف عنكم) يسهل عليكم في أحكام الشرع وقسهل
كما قال جل ذكره ويضع (٥١٢) عنهم إصرهم وقال النبي ﷺ بعثت بالدين الحنيفية السمحة السهلة (وخلق

الإنسان ضعيفا) قال
طاوس والشكبي وغيرهما
في أمر النساء لا يصبر
عنهن وقال ابن كيسان
خلق الإنسان ضعيفا
بستهياه وادهو شهوته وقال
الحسن هو أنه خلق من
ماء مهين بيانه قوله تعالى
الله الذي خلقكم من
ضعف قوله تعالى (بأيها
الذين آمنوا لآنا كلوا
أموالكم بينكم بالباطل)
بالحرمان يعني بالربا والقمار
والغصب والسرقة والحياة
ونحوها وقيل هو العقود
الفاسدة (إلا أن تكون
تجارة) قرأ أهل الكوفة
تجارة نصب على خبر
كان أي إلا أن تكون
الأموال تجارة وقرأ
الآخرون بالرفع أي
إلا أن تقع تجارة (عن
راض منكم) أي بطيبة
نفس كل واحد منكم
وقيل هو أن يميز كل
واحد من المتبايعين صاحبه
بعد البيع، فيلزم وإلا

(والله يريد أن يتوب عليكم) قال ابن عباس معناه يريد أن يخرجكم من كل ما يكره إلى ما يحب ويرضى
وقيل معناه بدل لكم على ما يكون سببا لتوبتكم التي يغفر لكم بها ما سلف من ذنوبكم وقيل معناه إن وقع منكم
تقصير في دينه فيتوب عليكم ويغفر لكم (ويريد الذين يتبعون الشهوات) قيل هم اليهود والنصارى
وقيل هم اليهود خاصة لأنهم يقولون إن نكاح بنت الأخت من الأب حلال وقيل هم الجوس لأنهم
يستحلون نكاح الأخوات وبنات الإخوة فلما حرمهن الله قالوا إنكم تحلون بنت الخالة وبنت
العمة والخالة والعمة عليكم فأنكحوا بنات الأخ والأخت فنزلت هذه الآية وقيل هم الزناة
يريدون أن تكونوا مثلهم (أن تميلوا) يعني عن الحق وقصد السبيل بالمعصية (مبلا عظيما) يعني
بأيهاكم ما حرم الله عليكم (يريد الله أن يخفف عنكم) يعني ليسهل عليكم أحكام الشرائع فهو
عام في كل أحكام الشرع وجميع ما يسهل لنا وسهله علينا إحسانا منه إينا وتفضلا واطفا علينا
ولم يشغل التكليف علينا كما تفعلها على بني إسرائيل فهو كقولته تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد
بكم العسر وقوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وكما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال بعثت بالحنيفية السمحة . وقوله تعالى (وخلق الإنسان ضعيفا) يعني في قلة الصبر
عن النساء فلا صبر له عنهن وقيل إنه لضعفه يستهيه هواء فهو ضعيف العزم عن قهر الهوى وقيل
هو ضعيف في أصل الخلقة لأنه خلق من ماء مهين . قوله عز وجل (بأيها الذين آمنوا لآنا كلوا
أموالكم بينكم بالباطل) يعني بالحرمان الذي لا يحل في الشرع كالربا والقمار والغصب والسرقة
والحياة وشهادة الزور وأخذ المال باليمين الكاذبة ونحو ذلك وإنما خص الأكل بالذكر ونهى
عنه تنبيها على غيره من جميع التصرفات الواقعة على وجه الباطل لأن معظم المقصود من المال
الأكل وقيل يدخل فيه أكل مال نفسه بالباطل ومال غيره أما أكل ماله بالباطل فهو إنفاقه
في المعاصي وأما أكل مال غيره فقد تقدم معناه وقيل يدخل في أكل المال الباطل جميع العقود
الفاسدة . وقوله تعالى (إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) هذا الاستثناء منقطع لأن التجارة
عن تراض ليست من جنس أكل المال بالباطل فكان إلاها هنا بمعنى لكن يحل أكله بالتجارة
عن تراض يعني بطيبة نفس كل واحد منكم وقيل هو أن يخبر كل واحد من المتبايعين صاحبه
بعد البيع فيلزم وإلا فلهما الخيار ما لم يتفرقا لما روى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال إذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وكانا جميعا أو يخبر أحدهما الآخر
فإن خير أحدهما الآخر فتابعا على ذلك فقد وجب البيع وإن تفرقا بعد أن تبايعا ولم يترك واحد
منهما البيع فقد وجب البيع أخرجاه في الصحيحين . وقوله تعالى (ولا تقتلوا أنفسكم) أي لا يقتل

فلهما الخيار ما لم يتفرقا لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب بعضكم
عن مالك عن زافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال للمتبايعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ما لم يتفرقا إلا بيع
الخيار (ولا تقتلوا أنفسكم) قال أبو عبيدة أي لا تهلكوها كما قال ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقيل لا تقتلوا أنفسكم بأكل المال بالباطل
وقيل أراد به قتل المسلم نفسه أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا
الربيع أنا الشافعي أنا ابن عيينة عن أيوب عن أبي قلابة عن ثابت بن الضحاك أن رسول الله ﷺ قال من قتل نفسه بشيء

في الدنيا عذب به يوم القيامة. حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي أخبرنا أبو معاذ عبد الرحمن المزني أنا أبو إسحاق إبراهيم بن حماد القاضي أنا أبو موسى الزمن أنا وهب بن جرير أخبرنا أي قال سمعت الحسن أخبرنا جندب بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «جرح رجل فيمن كان قبلكم فلم يأخذ سكيناً فحزبها بيده فما رقا الدم حتى مات فقال الله عز وجل يادرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة»، وقال الحسن لا تقتلوا أنفسكم يعني إخوانكم أى لا يقتل بعضهم بعضاً (إن الله كان بكم رحيماً) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا سليمان بن حرب أنا شعبة عن علي بن مدرك قال سمعت أبا زرعة (٥١٣) ابن عمرو بن جرير عن جده

قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع «استنصت الناس ثم قال لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» (ومن يفعل ذلك) يعنى ماسبق ذكره من الحرمات (عدواناً وظلماً) فالعدوان مجاوزة الحد والظلم وضع الشيء فى غير موضعه (فسوف نصليه) ندخله فى الآخرة (نارا) يصلى فيها (وكان ذلك على الله يسيراً) هينا قوله تعالى (إن تجتنبوا كبار ما تنهون عنه) اختلفوا فى الكبار التى جعل الله اجتنابها تكفيراً للصغار أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن مقاتل

بعضكم بعضاً وإنما قال أنفسكم لأنهم أهل دين واحد فهم كنفوس واحدة وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فى حجة الوداع «ألا لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» وقيل إن هذا نهى للإنسان عن قتل نفسه (ق) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدًا مخلداً فيها أبداً ومن تحسنى سماً فقتل نفسه فمسمه فى يده يتمحسها فى نار جهنم خالدًا مخلداً فيها أبداً ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدًا مخلداً فيها أبداً» قوله يتردى التردى هو الوقوع من موضع عال إلى أسفل قوله يتوجأ يقال وجأته بالسكين إذا ضربته بها وهو يتوجأ بها أى يضرب بها نفسه (ق) عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان برجل جراح فقتل نفسه فقال الله تبارك وتعالى يادرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة وفى رواية قال كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فحزبها بيده فما رقا الدم حتى مات فقال الله تعالى يادرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة وقيل فى معنى قتل الإنسان نفسه أن لا يفعل شيئاً يستحق به القتل مثل أن يقتل فيقتل به فيكون هو الذى تسبب فى قتل نفسه وقيل معناه لا تقتلوا أنفسكم بأكل المال بالباطل وقيل معناه ولا تهلكوا أنفسكم بأن تعملوا عملاً ربما أدى إلى قتلها (إن الله كان بكم رحيماً) يعنى أنه تعالى من رحمته بكم نهاكم عن كل شئ تستوجبون به مشقة أو محنة وقيل إنه تعالى أمر بنى إسرائيل يقتل أنفسهم ليكون ذلك توبة لهم وكان بكم يأمة محمد رحيماً حيث لم يكلفكم تلك الشكايف الشاقة الصعبة (ومن يفعل ذلك) يعنى ماسبق ذكره من قتل النفس المحرمة لأن الضمير يعود إلى أقرب المذكورات وقيل إنه يعود إلى قتل النفس وأكل المال بالباطل لأنها المذكوران فى آية واحدة وقيل إنه يعود إلى كل ما نهى الله عنه من أول السورة إلى هنا (عدواناً وظلماً) يعنى يتجاوز الحد فيضع الشيء فى غير موضعه فلذلك قيده بالعدوان والظلم لأنه قد يكون القتل بحق وهو القصاص وكذلك قد يكون أخذ المال بحق فلهاذا السبب قيده بالوعيد وما كان على وجه العفو وإن الظالم وهو قوله تعالى (فسوف نصايه نارا) أى ندخله فى الآخرة نارا يصلى فيها (وكان ذلك على الله يسيراً) أى هيناً لأنه تعالى قادر على ما يريد. قوله عز وجل (إن تجتنبوا كبار ما تنهون عنه) اجتناب الشئ المباحة عنه وتركه جانباً والكبيرة ما كبر وعظم من الذنوب وعظمت عقوبته وقبل ذكر التفسير نذكر الأحاديث الواردة فى الكبار فمن ذلك

(٦٥) خازن بالبغوى - أول) أنا النضر أخبرنا شعبة أنا فراس قال سمعت الشعبي عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الكبار: الإشراف بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن إسماعيل أنا مسدد أنا بشر بن الفضل أنا الجريري عن عبد الرحمن ابن بكرة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أنبئكم بأكبر الكبار قالوا بلى يا رسول الله قال الإشراف بالله عز وجل وعقوق الوالدين وجلس وكان متكئاً فقال ألا وقول الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت» أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار أنا أحمد بن عيسى البرقى أنا

محمد بن كثير أنا سفيان الثوري عن الأعمش ومنصور وواصل الأجدب ، عن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله رضي الله عنهما قال قلت يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله قال أن تدعو لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أي قال أن تزني بحليلة جارك فأمر أنزل الله تعالى تصديقها والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون الآية أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله حدثني سليمان بن ثور بن زيد عن أبي الغيث أنا أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال واجتنبوا السبع (٥١٤) الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس

التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربوا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أكبر الكبائر: الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله والياس من روح الله أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي أنا علي بن الجعد أنا شعبة عن سعيد بن إبراهيم قال سمعت حميد بن عبد الرحمن يحدث عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ من الكبائر أن يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله وكيف يسب الرجل والديه قال نعم يسب الرجل أباه ويسب أمه وعن سعيد بن جبير أن رجلا سأل ابن عباس عن الكبائر أسبع هي قال هي إلى السبع مائة أقرب ، لأنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار وقال كل شيء عصى الله به فهو كبيرة فمن عمل شيئا منها فليستغفر الله فإن الله لا يجلد في النار من هذه الأمة إلا من كان راجعا عن الإسلام أو جاحدا فريضة أو مكذبا بقدر وقال علي بن أبي طالب كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب فهو كبيرة وقال سفيان الثوري الكبائر ما كان فيه المظالم فيما بينك وبين العباد والصغار ما كان بينك وبين الله تعالى لأن الله تعالى كريم يعفو ويحسب لذلك بما روى عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينادى مناد من

ماروى عن أبي بكره قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ألا أبئكم بأ أكبر الكبائر ثلاثا فثنا بلى يا رسول الله قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وألوشهادة الزور وقول الزور وكان متكئا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت ، أخرجاه في الصحيحين (ق) عن أنس بن مالك قال وذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر فقال: الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقال ألا أبئكم بأ أكبر الكبائر قول الزور أو قال شهادة الزور (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم والزنا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات (خ) عن ابن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم عند الله؟ قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت إن ذلك لعظيم ثم أي قال أن تقتل ولدك عاقبة أن يطعم معك قلت ثم أي قال تزاني بحيلة جارك (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس » وفي رواية أن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما الكبائر؟ قال: « الإشراك بالله قال ثم ماذا قال اليمين الغموس قلت وما اليمين الغموس قال الذي يقطع مال امرئ مسلم بيمين هو فيها كاذب » (ق) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا وهل يشتم الرجل والديه؟ قال نعم: يسب الرجل أباه أو أمه وفي رواية من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه وذكر الحديث وقال عبد الله بن مسعود أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله والياس من روح الله وعن سعيد بن جبير أن رجلا سأل ابن عباس عن الكبائر أسبع هي قال هي إلى السبع مائة أقرب وفي رواية إلى السبعين أقرب إلا أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار وقال كل شيء عصى الله به فهو كبيرة فمن عمل شيئا منها فليستغفر الله فإن الله لا يجلد في النار من هذه الأمة إلا من كان راجعا عن الإسلام أو جاحدا فريضة أو مكذبا بقدر وقال علي بن أبي طالب كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب فهو كبيرة وقال سفيان الثوري الكبائر ما كان فيه المظالم فيما بينك وبين العباد والصغار ما كان بينك وبين الله تعالى لأن الله تعالى كريم يعفو ويحسب لذلك بما روى عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينادى مناد من

أباه ويسب أمه » وعن سعيد بن جبير أن رجلا سأل ابن

عباس عن الكبائر أسبع هي قال هي إلى السبع مائة أقرب ، لأنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار وقال كل شيء عصى الله به فهو كبيرة فمن عمل شيئا منها فليستغفر الله فإن الله لا يجلد في النار من هذه الأمة إلا راجعا عن الإسلام أو جاحدا فريضة أو مكذبا بقدر وقال عبد الله بن مسعود ما نهى الله تعالى عنه في هذه السورة إلى قوله « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ، فهو كبيرة وقال علي بن أبي طالب هي كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب وقال الضحاك ما أوعده الله عليه حدا في الدنيا أو عذابا في الآخرة وقال الحسن بن الفضل ما ساء الله في القرآن كبيرا أو عظيما نحو قوله تعالى إنه

بطنان

كان حوبا كبيرا. إن قتلهم كان خطأ كبيرا. إن الشرك لظلم عظيم. إن كيدكن عظيم. هب حانك هذا بيتان عظيم. إن ذلكم كان عند الله عظيما، قال سفيان الثوري الكبائر ما كان فيه المظالم بينك وبين عباد الله تعالى والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى لأن الله كريم يعفو واحتج بما أخبرنا الشيخ أبو القاسم عبد الله بن علي الكرماني أنا أبو طاهر محمد بن محمد الزياتي أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن سعيد أنا الحسن بن داود البلخي أنا يزيد بن هارون أنا حميد الطويل عن أنس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى منادى من بطنان العرش يوم القيامة، يا أمة محمد إن الله عز وجل قد عفا عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات توابوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي، وقال مالك بن مغول الكبائر ذنوب أهل البدع والسيئات ذنوب أهل السنة وقيل الكبائر ذنوب العمدة والسيئات الخطأ والسييان وما أكره عليه وحديث النفس المرفوع عن هذه الأمة وقيل الكبائر ذنوب المستحلبين مثل ذنب إبليس والصغائر ذنوب المستغفرين مثل (٥١٥) ذنب آدم عليه السلام وقال

السدي الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب لكبائر والسيئات مقدماتها وتوابها مما يجتمع فيه الصالح والفاسق مثل النظرة واللسة والقيلة وأشباهاها قال النبي صلى الله عليه وسلم العيان تزنيان والبدان تزنيان والرجلان تزنيان ويصدق ذلك الفرج أويكذبه وقيل الكبائر ما يستحتره العباد والصغائر ما يستعظمونه فيخافون مواقفته كما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو الوليد أنا مهدي بن ميمون بن

بطنان العرش يوم القيامة يا أمة محمد إن الله قد عفا عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات توابوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي، وقال مالك بن مغول الكبائر ذنوب أهل البدع والسيئات ذنوب أهل السنة وقيل الكبائر ذنوب العمدة والسيئات الخطأ والسييان وما استكروهوا عليه وحديث النفس المرفوع عن هذه الأمة وقال السدي الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب والسيئات مقدماتها وتوابها التي يقع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة واللسة وأشباه ذلك (ق) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كتب علي ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطأ والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أويكذبه لفظ مسلم وقيل الكبائر الشرك وما يؤدي إليه وما دونه فهو من السيئات فمن ثبت بما تقدم من الأدلة أن من الذنوب كبائر وصغائر وإلى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف وثبت بدلائل الكتاب والسنة وإذا ثبت انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر فقولته تعالى إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه هي كل ذنب عظيم فحبه وعظمت عقوبته إما في الدنيا بالحدود وإما في الآخرة بالعذاب عليه (تكفر عنكم سيئاتكم) يعني نسترها عليكم حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل لأن أصل التكفير السر والتغطية فصغار الذنوب تكفر بالحسنات ولا تكفر كبارها إلا بالتوبة والإقلاع عنها كما ورد في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن زاد في رواية ما لم تغش الكبائر وزاد في رواية أخرى ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر أخرجه مسلم. وقوله تعالى (وندخلكم مدخلا كريما) يعني حسنا شريفا وهو الجنة والمعنى إذا اجتنبت الكبائر وأتيت الطاعات تدخلكم مدخلا تكرمون فيه. قوله عز وجل (ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) أصل التمني إرادة الشيء وقبض حصول ذلك الأمر المرغوب فيه ومنه حديث النفس بما يكون وما لا يكون وما لا يكون وقيل التمني تقدير الشيء في النفس وتصوره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد

غيبان عن أنس قال إنكم ترون لون أعمالهم أذق في أعينكم من الشعر إن كنا نعد ما على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات وقيل الكبائر الشرك وما يؤدي إليه وما دون الشرك فهو من السيئات قال الله تعالى إن الله لا يفرق بينك وبينه ويعترف مادون ذلك لمن يشاء (تكفر عنكم سيئاتكم) أي من الصلاة إلى الصلاة ومن الجمعة إلى الجمعة ومن رمضان إلى رمضان أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغفار بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن محمد بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج حدثني هارون بن سعيد الأيلي أنا ابن وهب عن أبي صحران عمر بن إسحاق مولى زائدة حدثه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، قوله تعالى (وندخلكم مدخلا كريما) أي حسنا وهو الجنة قرأ أهل المدينة مدخلا بفتح الميم هاهنا وفي الحج وهو موضع الدخول، وقرأ الباقون بالضم على المصدر بمعنى الإدخال قوله تعالى (ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) الآية قال محاهد قالت

أم سلمة يارسول الله إن الرجال يغزون ولا تغزوا ولهم ضعف مالنا من الميراث فلو كنا رجالا غزونا كما غزوا وأخذنا من الميراث مثل ما أخذوا فنزلت هذه الآية وقيل لما جعل الله عز وجل للذكر مثل حظ الأنثيين في الميراث قالت النساء نحن أحق وأحوج إلى الزيادة من الرجال لأننا ضعيفات وهم أقوى وأقدر على طلب المعاش منا فأرسل الله تعالى ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقال قتادة (٥١٦) والسدى لما أنزل الله قوله للذكر مثل حظ الأنثيين قال الرجل إنا نرجوا

يكون عن رؤية وأكثر التفتي تصور ما لا حقيقة له وقيل التفتي عبارة عن إرادة ما يعلم أو يظن أنه لا يكون، عن مجاهد عن أم سلمة قالت قلت يارسول الله يغزوا الرجال ولا تغزوا النساء وإنما لنا نصف الميراث فأرسل الله تعالى ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال مجاهد وأرسل إن المسلمين والمسلمات وكانت أم سلمة أول ظعية قدمت المدينة مهاجرة أخرجه الترمذي وقال هذا حديث مرسل وقيل لما جعل الله للذكر مثل حظ الأنثيين من الميراث قالت النساء نحن أحق وأحوج إلى الزيادة من الرجال لأننا ضعيفات وهم أقوى وأقدر على طلب المعاش منا فأرسل الله تعالى هذه الآية وقيل لما نزل قوله للذكر مثل حظ الأنثيين قالت الرجال إنا نرجو أن نفضل على النساء في الحسنات في الآخرة فيكون لنا أجرنا على ضعف أجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث وقالت النساء إنا نرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كما لنا في الميراث النصف من نصيبهم فنزلت هذه الآية والتفتي على قسمين: أحدهما أن يتمنى الإنسان أن يحصل له مال غيره مع زوال تلك النعمة عن ذلك الغير فهذا القسم هو الحسد وهو مذموم لأن الله تعالى يقيض نعمة على من يشاء من عباده وهذا الحاسد يعترض على الله تعالى فيما فعل وربما اعتقد في نفسه أنه أحق بتلك النعمة من ذلك الإنسان أيضا فهذا اعتراض على الله أيضا وهو مذموم. القسم الثاني أن يتمنى مثل مال غيره ولا يجب أن يزول ذلك المال عن الغير وهذا هو الغبطة وهذا ليس بمذموم ومن الناس من منع منه أيضا قال لأن تلك النعمة ربما كانت مفسدة في حقه في الدين والدنيا قال الحسن لا يتمنى مال فلان ولا تدرى لعل هلاكك في ذلك المال فيعلم العبد أن الله عز وجل أعلم بمصالح عباده فليرض بقضائه ولتكن أمنيته الزيادة من عمل الآخرة وليقل اللهم اعطني ما يكون صلاحا في ديني ودنياي ومعادي. وقوله تعالى (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) قال ابن عباس يعني بما ترك الوالدان والأقربون من الميراث يقول للذكر مثل حظ الأنثيين وقيل هذا الاكتساب في الآخرة يعني أن الرجال والنساء في الأجر في الآخرة سواء لأن الحسنات بعشر أمثالها والسنة بمثلها يستوي في ذلك الرجال والنساء وإن فضل الرجال في الدنيا على النساء وقيل للنساء نصيب مما اكتسبن من طاعة الأزواج وحفظ الفروج قوله تعالى (واسألو الله من فضله) قرأ ابن كثير والكسائي وسلو وسل إذا كان قبل السين واو أو فاه بغير همز ونقل حركة الحذرة إلى السين والباقون يسكون السين مهموزا فهى الله تعالى عن التمنى

أن نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة فيكون أجرنا على الضعف من أجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث فقال الله تعالى (للرجال نصيب مما اكتسبوا) من الأجر (وللنساء نصيب مما اكتسبن) معناه أن الرجال والنساء في الأجر في الآخرة سواء وذلك أن الحسنات تكون بعشرة أمثالها يستوي فيها الرجال والنساء وإن فضل الرجال في الدنيا على النساء وقيل معناه للرجال نصيب مما اكتسبوا من أمر الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن من طاعة الأزواج وحفظ الفروج قوله تعالى (واسألو الله من فضله) قرأ ابن كثير والكسائي وسلو وسل إذا كان قبل السين واو أو فاه بغير همز ونقل حركة الحذرة إلى السين والباقون يسكون السين مهموزا فهى الله تعالى عن التمنى

لما فيه من دواعي الحسد. والحسد: أن يتمنى الرجل زوال النعمة عن صاحبه سواء تمنى لنفسه أم لا وهو حرام والغبطة على أن يتمنى لنفسه مثل ما لصاحبه وهو جائز قال الكلبى لا يتمنى الرجل مال أخيه ولا امرأته ولا شاد مولى لكن ليقل اللهم ارزقني مثله وهو كذلك في الثوراة وذلك في القرآن قوله واسألو الله من فضله قال ابن عباس واسألو الله من فضله أى من رزقه، وقال سعيد بن جبير من عباده فهو سؤال التوفيق للعبادة. قال سفيان بن عيينة لم يأمر بالمسألة إلا ليعطى (إن الله كان بكل شيء عليا)

ولكل جعلنا موالى، أى ولكل واحد من الرجال والنساء جعلنا موالى أى عصبية يعطون (مما ترك الوالدان والأقربون) الوالدان والأقربون هم المورثون وقيل معناه ولكل جعلنا موالى أى ورثة مما ترك أى من الذين تركوهم ويكون ما بمعنى من ثم فسر الموالى فقال الوالدان والأقربون أى هم الوالدان والأقربون فعلى هذا (٥١٧) القول الوالدان والأقربون هم

على المحمل فى الطلب فإن الله تعالى علم بما يصلحه فلا يتمنى غير الذى قدر له . قوله تعالى (ولكل) يعنى من الرجال والنساء (جعلنا موالى) يعنى ورثة من بنى عم وأخوة سائر العصبات (مما ترك) يعنى يرثون مما ترك (الوالدان والأقربون) من ميراثهم فعلى هذا الوالدان والأقربون هم المورثون وقيل معناه ولكل جعلنا موالى أى ورثة مما ترك وتكون أى بمعنى يعنى من من تركهم الميت ثم فسر الموالى فقال الوالدان والأقربون فعلى هذا الوالدان والأقربون هم الوارثون والمعنى ولكل شخص جعلنا ورثة ممن تركهم وهم والداه وأقربوه والقول الأول أصح لأنه مروى عن ابن عباس وغيره (والذين عاقدت أيمانكم) وقرئ عقلت بغير ألف مع التخفيف والمعاقدة المخالفة والمعاهدة والأيمان جمع يمين يحتمل أن يراد بها القسم أو اليد أوهما جميعا وذلك أنهم كانوا إذا تحالفوا أخذ كل واحد منهم بيد صاحبه وتحالفوا على الوفاء بالعهد والتمسك بذلك العقد وكان الرجل يخالف الرجل فى الجاهلية ويعاقده فيقول دى دمعك وهدى هدمك وأرى ثأرك وحرى حربك وسلمى سلمك وترثى وأرثك وتطلب بى وأطلب بك وتعقل عنى وأعقل عنك فيكون لكل واحد من الحليفين السدس فى مال الآخر وكان الحكم ثابتا فى الجاهلية وابتداء الإسلام فذلك قوله تعالى (فآتوهم نصيبهم) يعنى أعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ الله هذا الحكم بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله وقال ابن عباس نزلت هذه الآية فى الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار لما قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة دون النسب والرحم فلما نزلت ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان نسختها ثم قال والذين عاقدت أيمانكم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصى له وفى رواية أخرى عنه قال والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم كان الرجل يخالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث أحدهما كالآخر فنسخ ذلك بسورة الأنفال فقال وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبني بهذه الآية ثم نسخ ذلك وذهب قوم إلى أن الآية ليست منسوخة بل حكمها باقى والمراد بقوله والذين عاقدت أيمانكم الحلفاء والمراد من قوله فآتوهم نصيبهم يعنى من النصرة والنصيحة والموافاة والمصافاة ونحو ذلك فعلى هذا لا تكون منسوخة وقيل نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق عن داود بن الحصين قال كنت أقرأ على أم سعد بنت الربيع وكانت يتيمه فى حجر أبى بكر الصديق فقراءت والذين عاقدت أيمانكم فقالت لا تقرأ والذين عاقدت أيمانكم إنما نزلت فى أبى بكر وابنه عهد الرحمن حين أبى الإسلام فحلف أبو بكر أن لا يورثه فلما أسلم أمره الله أن يؤتبه نصيبه أخرجه أبو داود على هذا فلا نسخ أيضا فمن قال أن حكم الآية باقى قال إنما كانت المعاقدة فى الجاهلية على النصرة لا غير والإسلام لم يغير ذلك وبدل عليه ماروى عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا حلف فى الإسلام وأيما حلف كان فى الجاهلية لم يزد»

الوارثون (والذين عقلت أيمانكم) قرأ أهل الكوفة عقلت بلا ألف أى عقلت لهم أيمانكم وقرأ الآخرون عاقدت أيمانكم والمعاقدة المخالفة والمعاهدة والأيمان جمع يمين من اليد والقسم وذلك أنهم كانوا عند المخالفة يأخذ بعضهم بيد بعض على الوفاء والتمسك بالعهد ومخالفهم أن الرجل كان فى الجاهلية يعاقد الرجل فيقول دى دمعك وثرى ثأرك وحرى حربك وسلمى سلمك وترثى وأرثك وتطلب بى وأطلب بك وتعقل عنى وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من مال الحليف وكان ذلك فى ابتداء الإسلام فذلك قوله تعالى (فآتوهم نصيبهم) أى أعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ ذلك بقوله تعالى (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) وقال إبراهيم ومجاهد أراد فآتوهم نصيبهم من

النصر والرفد ولا ميراث لهم وعلى هذا تكون هذه الآية غير منسوخة لقوله تعالى «أوفوا بالعقود» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبة يوم فتح مكة «لا تحذثون حلفا فى الإسلام وما كان من حلف فى الجاهلية فتمسكوا فيه فإنه لم يزد» الإسلام لإشدة وقال ابن عباس رضى الله عنهما أنزلت هذه الآية فى الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار حين قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة دون الرحم فلما نزلت «ولكل جعلنا موالى» نسخت

ثم قال والذين عقدت إيمانكم فآتوهم نصيبهم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث فيوصى له وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون النبي وهذه الآية فيه ثم نسخ (إن الله كان على كل شيء شهيدا الرجال قوامون على النساء) الآية نزلت في سعد بن الربيع وكان من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير قاله مقاتل وقال السكابي امرأته حبيبة بنت محمد بن مسلمة وذلك أنها نشرت عليه فظلمها فانطلق أبوها معها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أفرشته كريمة فظلمها فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فجاء جبريل عليه السلام فقال النبي

عليه السلام فقال النبي ^{عليه السلام} أرجعوا هذا جبريل أتاني بشيء فأنزل الله هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير ورفع القصاص قوله تعالى والرجال قوامون على النساء أي مساطون على تأديبهن والقوام والقيم بمعنى واحد والقوام أبلغ وهو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب (بما فضل الله بعضهم على بعض) يعني فضل الرجال على النساء بزيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجمعة والجماعات وبالأمارة لأن منهم الأنبياء والخلفاء والأئمة ومنها أن الرجل يتزوج بأربع نسوة ولا يجوز للمرأة غير زوج واحد ومنها زيادة النصيب في الميراث والتعصيب في الميراث وبيده الطلاق والنكاح والرجعة وإليه الانتساب فكل هذا يدل على فضل الرجل على النساء ثم قال تعالى (وبما أنفقوا من أموالهم) يعني وبما أعطوا من مهور النساء والنفقة عليهن عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها وأخرجه الترمذي (فالصالحات) يعني الحسنات العاملات بالخير (قانتات) أي مطيعات لأزواجهن وقيل مطيعات لله (حافظات للغيب) أي أزواجهن في غيبة أزواجهن لتلايق الزوج العار بسبب زناها ويلحق به الولد الذي هو من غيره وقيل معناه حفظ سر زوجها وحفظ ماله وما يجب على المرأة من حفظ متاع البيت في غيبة زوجها عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله أي النساء خير قال التي تسره إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه في نفسها ولا ماله بما يكره أخرجه النسائي ورواه البنوي بسند الثعلبي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في ماله ونفسها ثم تلا الرجال قوامون على النساء الآية وقوله تعالى (بما حفظ الله) يعني بما

الإسلام إلا شدة أخرجه مسلم . وقوله تعالى (إن الله كان على كل شيء شهيدا) قال عطاء يريد أنه لم يقب عنه علم ما خلق ورأفعل هذا الشهيد بمعنى الشاهد والمراد منه علمه بجميع الأشياء وقيل الشهيد هو الشاهد على انطلق يوم القيامة بكل ما عملوه فعلى هذا الشاهد بمعنى الخبر وفيه وعد للطامعين ووعيد للعصاة المخالفين . قوله عز وجل (الرجال قوامون على النساء) نزلت في سعد بن الربيع وكان من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير ويقال امرأته بنت محمد بن مسلمة وذلك أنها نشرت عليه فظلمها فانطلق أبوها معها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أفرشته كريمة فظلمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لتقتص من زوجها فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرجعوا هذا جبريل أتاني فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير ورفع القصاص قوله تعالى والرجال قوامون على النساء أي مساطون على تأديبهن والقوام والقيم بمعنى واحد والقوام أبلغ وهو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب (بما فضل الله بعضهم على بعض) يعني فضل الرجال على النساء بزيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجمعة والجماعات وبالأمارة لأن منهم الأنبياء والخلفاء والأئمة ومنها أن الرجل يتزوج بأربع نسوة ولا يجوز للمرأة غير زوج واحد ومنها زيادة النصيب في الميراث والتعصيب في الميراث وبيده الطلاق والنكاح والرجعة وإليه الانتساب فكل هذا يدل على فضل الرجل على النساء ثم قال تعالى (وبما أنفقوا من أموالهم) يعني وبما أعطوا من مهور النساء والنفقة عليهن عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها وأخرجه الترمذي (فالصالحات) يعني الحسنات العاملات بالخير (قانتات) أي مطيعات لأزواجهن وقيل مطيعات لله (حافظات للغيب) أي أزواجهن في غيبة أزواجهن لتلايق الزوج العار بسبب زناها ويلحق به الولد الذي هو من غيره وقيل معناه حفظ سر زوجها وحفظ ماله وما يجب على المرأة من حفظ متاع البيت في غيبة زوجها عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله أي النساء خير قال التي تسره إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه في نفسها ولا ماله بما يكره أخرجه النسائي ورواه البنوي بسند الثعلبي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في ماله ونفسها ثم تلا الرجال قوامون على النساء الآية وقوله تعالى (بما حفظ الله) يعني بما

حفظهن

بالدية وقيل بالنبوة (وبما أنفقوا من أموالهم) يعني إعطاء المهور والنفقة أخبرنا أحمد بن عبد الله

الصالحى أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفيار أنا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي أنا أبو حذيفة أنا سفيان عن الأعمش عن أبي ظبيان عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها وقوله تعالى (فالصالحات قانتات) أي مطيعات (حافظات للغيب) أي حافظات لأزواجهن وقيل حافظات لزوجهم (بما حفظ الله) قرأ أبو جعفر بما حفظ الله بالتصبي أي

يحفظهن الله في الطاعة وقراءة العامة بالرفع أي بما حفظهن الله بايضاء الأرواح يحقهن وأمرهم بأداء المهر والنفقة ، وقيل حافظات للغيب يحفظ الله أخبارنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي (٥١٩) أنا أبو عبد الله بن فنجويه

أخبارنا عمر بن الخطاب أنا محمد بن إسحاق المسوحى أنا الحارث بن عبد الله أنا أبو معشر عن سعيد عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في ما لها ونفسها ثم تلا الرجال قوامون على النساء الآية (واللاتي تخافون نشوزهن) عصيانهن وأصل النشوز التكبر والارتفاع ومنه التشر للوضع المرتفع (فعاوهن) بالتخويف من الله والوعظ بالقول (واهجروهن) بمعنى إن لم ينز عن ذلك بالقول فاهجروهن (في المضاجع) قال ابن عباس يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها وقال غيره يعزل عنها إلى فراش آخر (واضربوهن) بمعنى إن لم ينز عن ذلك بالقول فاضربوهن ضربا غير مبرح ولا شأنين وقال الشافعي الضرب مباح وتركه أفضل عن عمرو بن الأحرص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فذكر في الحديث قصة فقال ألا فاستوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا أخرجه الترمذي زيادة فيه قوله عوان جمع عانية أي أسيرة شبه المرأة ودخولها تحت حكم زوجها بالأسير والضرب المبرح الشديد الشاق . وقوله (فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) أي لا تطلبوا عليهن طريقة تحتجون بها عليهن إذا قمن بواجب حقكم عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه قال : أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت أخرجه أبو داود قوله ولا تقبح أي لا تقل قبحك الله (ق) عن عبد الله بن زمعة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم لعله يجامعها أو قال يضاجعها من آخر اليوم عن إياس بن عبد الله بن أبي ذئب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضربوا النساء فجاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال زبرت النساء على أزواجهن فزخص في ضربهن فأطاف بالرسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون أزواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بال محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم أخرجه أبو داود لإياس بن عبد الله هذا قد اختلف في صحته وقال البخاري لا يعرف له صحبة قوله زبرت يقال زبرت المرأة النبي ﷺ أنه قال : حق المرأة أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت (فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) أي لا تتجنوا عليهن الذنوب وقال ابن عيينة لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بأيديهن

حفظهن الله حين أوصى بهن الأزواج وأمرهم بأداء المهر والنفقة اليهن (ق) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج ما في الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء وقيل في معنى الآية بما حفظهن الله وعصمهن ووقفهن لحفظ الغيب وقيل بما حفظ الله من حقوقهن على أزواجهن حيث أمرهم بعدل فيهن وإمساكنهن بمعروف أو تسريحهن بإحسان (واللاتي تخافون) أي تعادون وقيل تظنون (نشوزهن) أي شرورهن وأصل النشوز الارتفاع ونشوز المرأة هو بغضها لزوجها ورفع نفسها عن طاعتها والتكبر عليه وقيل دلالات النشوز قد تكون بالقول والفعل . فالقول مثل إن كانت تليينه إذا دعاها وتخضع له إذا خاطبها والفعل مثل إن كانت تقوم له إذا دخل عليها وتسرع إلى أمره إذا أمرها فإذا خالفت هذه الأحوال بأن رفعت صوتها عليه أو لم تجبه إذا دعاها ولم تبادر إلى أمره إذا أمرها دل ذلك على نشوزها على زوجها (فعاوهن) يعني إذا ظهر منهن أمارات النشوز فعظوهن بالتخويف بالقول وهو أن يقول لها اتقي الله وخافيه فان لى عليك حقا وارجمي عما أنت عليه واعلمي أن طاعتي فرض عليك ونحو ذلك فان أضرت على ذلك هجرها في المضجع وهو قوله تعالى (واهجروهن في المضاجع) يعني إن لم ينز عن ذلك بالقول فاهجروهن في المضاجع قال ابن عباس هو أن يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها وقيل هو أن يعزل عنها إلى فراش آخر (واضربوهن) يعني إن لم ينز عن المجران فاضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شأنين قيل هو أن يضربها بالسواك ونحوه وقال الشافعي الضرب مباح وتركه أفضل عن عمرو بن الأحرص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فذكر في الحديث قصة فقال ألا فاستوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا أخرجه الترمذي زيادة فيه قوله عوان جمع عانية أي أسيرة شبه المرأة ودخولها تحت حكم زوجها بالأسير والضرب المبرح الشديد الشاق . وقوله (فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) أي لا تطلبوا عليهن طريقة تحتجون بها عليهن إذا قمن بواجب حقكم عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه قال : أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت أخرجه أبو داود قوله ولا تقبح أي لا تقل قبحك الله (ق) عن عبد الله بن زمعة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم لعله يجامعها أو قال يضاجعها من آخر اليوم عن إياس بن عبد الله بن أبي ذئب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضربوا النساء فجاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال زبرت النساء على أزواجهن فزخص في ضربهن فأطاف بالرسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون أزواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بال محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم أخرجه أبو داود لإياس بن عبد الله هذا قد اختلف في صحته وقال البخاري لا يعرف له صحبة قوله زبرت يقال زبرت المرأة النبي ﷺ أنه قال : حق المرأة أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت (فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) أي لا تتجنوا عليهن الذنوب وقال ابن عيينة لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بأيديهن

النبي ﷺ أنه قال : حق المرأة أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت (فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) أي لا تتجنوا عليهن الذنوب وقال ابن عيينة لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بأيديهن

(إن الله كان عليا كبيرا) متعاليا (٥٢٠) من أن يكلف العباد مالا يطيقونه ، وظاهر الآية يدل على أن الزوج لجمع

عليها بين الوعد والهجرا
والضرب فذهب بعضهم
إلى ظاهرها وقال إذا
ظهر النشوز جمع بين
هذه الأفعال وحمل
الخوف في قوله واللائي
تخافون نشوزهن على العلم
كقوله تعالى فمن خافت
من موص جنتا أي علم
ومنهم من حمل الخوف
على الخشية لأعلى حقيقة
العلم كقوله تعالى وإما
تخافن من قوم خيانة
وقال هذه الأفعال على
ترتيب الجرائم فإن
خافت نشوزها بأن
ظهرت أمارته منها من
المخاشنة وسوء الخلق
وعظها فإن أبدت النشوز
هجرها فإن أصرت على
ذلك ضربها قوله تعالى
(وإن خفتم شقاق بينهما)
يعني خلافا بين الزوجين
والخوف بمعنى اليقين
وقيل هو بمعنى الظن
يعني إن ظننتم شقاق
بينهما وجعلته أنه إذا
ظهر بين الزوجين
شقاق واشتبه حالهما
فلم يفعل الزوج الصفيح
ولا الفرقة ولا المرأة
تأدية الحق ولا القدية
وخرجا إلى مالا يحل
قولا وفعلنا بعث الإمام
حكما من أهله إليه وحكما

على زوجها إذا نشزت واجترأت عليه وأطاف بالشيء أحاط به. ففي هذه الأحاديث دليل على
أن الأولى ترك الضرب للنساء فإن احتاج إلى ضربها لتأديب فلا يضربها ضربا شديدا وليكن
ذلك مفرقا ولا يوالى بالضرب على موضع واحد من بدنها وليتق الوجه لأنه يجمع الخاسن ولا
يبلغ بالضرب عشرة أسواط وقيل ينبغي أن يكون الضرب بالمندبل واليد ولا يضرب بالسوط
والعصا وبالجملة فاللتخفيف بأبلغ شيء أولي في هذا الباب واختلفت العلماء فقال بعضهم حكم
الآية مشروع على الترتيب فإن ظاهر اللفظ وإن دل على الجمع إلا أن مجرى الآية يدل على
الترتيب قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يعظها بلسانه فإن انتهت فلا سبيل له عليها
فإن أبت هجر مضجعهما فإن أبت ضربها فإن لم تتعظ بالضرب بعث الحكم وقال الآخرون هذا
الترتيب مراعى عند خوف النشوز أما عند تحقق النشوز فلا بأس بالجمع بين الكل وقيل له
أن يعظها عند خوف النشوز وهل له أن يهجرها فيه احتمال ذلك وله عند ظهور النشوز أن
يعظها وأن يهجرها أو يضربها عن عمر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
«لا يسأل الرجل قيم ضرب امرأته» أخرجه أبو داود (ق) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة
حتى تصبح» وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «والذي نفسي بيده ما من رجل
يدعوا امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها» وفي
رواية «إذا باتت مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح» وفي أخرى «حتى ترجع عن
طلاق بن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا دعى الرجل امرأته إلى حاجته فلتأته وإن
كانت على النور أخرجه الترمذي وله عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
قال «لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه فانتك الله فانتك الله فانتك
هود خيل عندك يوشك أن يفارقك إلينا» وله عن أم سلمة قالت قال: رسول الله صلى الله عليه
وسلم «أما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة» وقوله تعالى فإن أظنكم يعني فإن رجعت
عن النشوز إلى طاعتكم عند هذا التأديب فلا تبغوا عليهن سبيلا يعني فلا تطلبوا عليهن الضرب
والهجران على سبيل التعنت والإبداء وقيل معناه أزيوا عنهن التعرض بالأذى والتوبيخ
ولا تجنوا عليهن الذنوب وقيل معناه لا تكفوهن محبتكم فإن القلب ليس بأبديين (إن الله كان
عليا كبيرا) العلي الكبير في صفة الله تعالى معناه الرفيع الذي يعلو عن وصف الواسفين ومعرفة
العارفين العلي بالإطلاق الذي يستحق جميع صفات المدح والتكبير هو المستغنى عن غيره
وذلك هو الله تعالى الموصوف بالجلال والعظمة والكبرياء وكبر الشأن الذي يصغر كل أحد
لكبريائه وعظمته تعالى والمعنى إن الله متعال من أن يكلف عباده مالا يطيقونه وقيل إن النساء
وإن ضعفن عن دفع ظلم الرجال عنهن فإن الله على كبير قادر على أن ينتصف من من ظلمهن
من الرجال وقيل معناه أن الله مع حاوه وكبريائه يقبل توبة العاصي إذا تاب ويغفر له فإذا تاب
المرأة من نشوزها فالأولى بكم أن تقبلوا توبتها وتركوا معانيتها واعلموا أن قدرته عليكم أعظم
من قدرتكم على من تحت أيديكم فأنتم أحق بالعفو عن من جنى عليكم . قوله تعالى (وإن خفتم) يعني
وإن علمتم وتيقنتم وقيل معناه الظن أي ظننتم (شقاق بينهما) يعني بين الزوجين وأصل الشقاق
المخالفة وكون كل واحد من المتخالفين في شق غير شق صاحبه أو يكون أصله من شق العصا

كان رغبته في الصلح أو في الفرقة ثم يجتمع الحكمان فيشذان ما يجتمع عليه (٥٢١) وأما من الصلح فذلك

وقد أن يقول كل واحد من الزوجين ما يشق على صاحبه مماعه وذلك أنه إذا ظهر بين الزوجين شقاق ومخالفة واشتبه حالهما ولم يفعل الزوج الصلح ولا الصلح ولا الفرقة وكذلك الزوجة لا تؤدي الحق ولا الفدية وخرجا إلى ما لا يحل قولاً وفعلًا. قوله تعالى (فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها) اختلفوا في مخاطبتين بهذا ومن المأمور ببعثة الحكمين لقبيل المخاطب بذلك هو الإمام أو نائبه لأن تنفيذ الأحكام الشرعية إليه وقيل المخاطب بذلك كل أحد من صالحى الأمة لأن قوله تعالى فابعثوا خطاب الجمع وليس حمله على البعض أولى من حمله على البقية فوجب حمله على الكل فعلى هذا يجب أن يكون أمرا لآحاد الأمة سواء وجد الإمام أو لم يوجد فللصالحين أن يبعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها وأيضًا فهذا يجرى مجرى دفع الضرر فلكل واحد أن يقوم به وقيل وهو خطاب للزوجين فإذا حصل بينهما شقاق بعثا حكمين حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها (إن يريدوا إصلاحًا) يعنى الحكمين وقيل الزوجين (يوفق الله بينهما) يعنى بين الزوجين وقيل بين الحكمين (إن الله كان عليهما خيرًا) أخبرنا عبد الوهاب عممة الخطيب أنا عبد العزيز ابن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا الثقفى عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة أنه قال في هذه الآية وإن خففتم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها قال جاء رجل وامرأة إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه ومع كل واحد منهما قوم من الناس فأمرهم على رضى الله عنه فبعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها قال جاء رجل وامرأة إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه ومع كل واحد منهما قوم من الناس فأمرهم على رضى الله عنه فبعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها ثم قال للحكمين تدريان ما عليكما إن رأيتما أن تجعما جمعنا وإن رأيتما أن تفرقا فارقا فقالت المرأة رضيت بكتاب الله بما على فيه ولى وقال الرجل أما الفرقة فلا قال على كذبت والله حتى تقر بمثل ما أقرت به قال الشافعي والمستحب أن يبعث الحاكم عدلين ويعلمهما حكمين والأولى أن يكون واحد من أهله وواحد من أهلها لأن أقاربها أعرف بحالها من الأجانب وأشد طلبا للإصلاح فإن كانا أحبيبين جاز وفائدة الحكمين أن كل واحد منهما يتخلو بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال ليعرف أن رغبته في الإقامة على النكاح أوفى المفارقة ثم يجتمعان فيفعلان ما هو الصواب من اتفاق أو طلاق أو خلع والحكماء ان يكيلان للزوجين وهل يجوز لهما تنفيذ أمر يلزم الزوجين دون رضاهما وإذنتهما في ذلك مثل أن يطلق حكم الرجل أو يفدى حكم المرأة بشئ من مالها فللشافعي في ذلك قولان أحدهما أنه لا يجوز إلا برضاها وليس لحكم الزوج أن يطلق إلا بإذنه ولالحكم المرأة أن يتخلع بشئ من مالها إلا بإذنها وهو مذهب أبى حنيفة وأحمد لأن عليا توقف حين لم يرض الزوج وذلك حين قال أما الفرقة فلا فقال له على كذبت حتى تقر بمثل ما أقرت به فثبت أن تنفيذ الأمر وقوف على إقراره ورضاهما ومعنى قول على للزوج كذبت أى است بمنصف في دعوى كذا حيث لم تقر بمثل ما أقرت به من الرضا بحكم كتاب الله لها وعليها والتول الثاني أنه يجوز بعث الحكمين دون رضاهما ويجوز لحكم الزوج أن يطلق دون رضاهما ولحكم الزوجة أن يتخلع دون رضاهما إذا رأيا الصلح في ذلك كالحاكم يحكم بين الخصمين وإن لم يكن على وفق مرادهما وبه قال مالك ومن قال بهذا القول قال ليس المراد من قول على للزوج حتى تقر أن رضاه شرط بل معناه أن المرأة لما رضيت بما في كتاب الله تعالى فقال الرجل أما الفرقة فلا يعنى تبست الفرقة في كتاب الله فقال له على كذبت حتى أنكرت أن تكون الفرقة في كتاب الله بل هي في كتاب الله فان قوله تعالى يوفق الله بينهما يشتمل على الفراق وعلى غيره لأن التوفيق أن يخرج كل واحد منهما من الإثم والوزر ويكون نارة ذلك بالفراق وقارة بصلح حالهما والوصلة. وقوله تعالى (إن الله كان عليهما خيرًا) يعنى أن الله تعالى يعلم كيف يوفق بين المختلفين

وإذا أن يقول كل واحد من الزوجين ما يشق على صاحبه مماعه وذلك أنه إذا ظهر بين الزوجين شقاق ومخالفة واشتبه حالهما ولم يفعل الزوج الصلح ولا الصلح ولا الفرقة وكذلك الزوجة لا تؤدي الحق ولا الفدية وخرجا إلى ما لا يحل قولاً وفعلًا. قوله تعالى (فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها) اختلفوا في مخاطبتين بهذا ومن المأمور ببعثة الحكمين لقبيل المخاطب بذلك هو الإمام أو نائبه لأن تنفيذ الأحكام الشرعية إليه وقيل المخاطب بذلك كل أحد من صالحى الأمة لأن قوله تعالى فابعثوا خطاب الجمع وليس حمله على البعض أولى من حمله على البقية فوجب حمله على الكل فعلى هذا يجب أن يكون أمرا لآحاد الأمة سواء وجد الإمام أو لم يوجد فللصالحين أن يبعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها وأيضًا فهذا يجرى مجرى دفع الضرر فلكل واحد أن يقوم به وقيل وهو خطاب للزوجين فإذا حصل بينهما شقاق بعثا حكمين حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها (إن يريدوا إصلاحًا) يعنى الحكمين وقيل الزوجين (يوفق الله بينهما) يعنى بين الزوجين وقيل بين الحكمين (إن الله كان عليهما خيرًا) أخبرنا عبد الوهاب عممة الخطيب أنا عبد العزيز ابن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا الثقفى عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة أنه قال في هذه الآية وإن خففتم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها قال جاء رجل وامرأة إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه ومع كل واحد منهما قوم من الناس فأمرهم على رضى الله عنه فبعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها قال جاء رجل وامرأة إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه ومع كل واحد منهما قوم من الناس فأمرهم على رضى الله عنه فبعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها ثم قال للحكمين تدريان ما عليكما إن رأيتما أن تجعما جمعنا وإن رأيتما أن تفرقا فارقا فقالت المرأة رضيت بكتاب الله بما على فيه ولى وقال الرجل أما الفرقة فلا فقال على كذبت والله حتى تقر بمثل ما أقرت به قال الشافعي والمستحب أن يبعث الحاكم عدلين ويعلمهما حكمين والأولى أن يكون واحد من أهله وواحد من أهلها لأن أقاربها أعرف بحالها من الأجانب وأشد طلبا للإصلاح فإن كانا أحبيبين جاز وفائدة الحكمين أن كل واحد منهما يتخلو بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال ليعرف أن رغبته في الإقامة على النكاح أوفى المفارقة ثم يجتمعان فيفعلان ما هو الصواب من اتفاق أو طلاق أو خلع والحكماء ان يكيلان للزوجين وهل يجوز لهما تنفيذ أمر يلزم الزوجين دون رضاهما وإذنتهما في ذلك مثل أن يطلق حكم الرجل أو يفدى حكم المرأة بشئ من مالها فللشافعي في ذلك قولان أحدهما أنه لا يجوز إلا برضاها وليس لحكم الزوج أن يطلق إلا بإذنه ولالحكم المرأة أن يتخلع بشئ من مالها إلا بإذنها وهو مذهب أبى حنيفة وأحمد لأن عليا توقف حين لم يرض الزوج وذلك حين قال أما الفرقة فلا فقال له على كذبت حتى تقر بمثل ما أقرت به فثبت أن تنفيذ الأمر وقوف على إقراره ورضاهما ومعنى قول على للزوج كذبت أى است بمنصف في دعوى كذا حيث لم تقر بمثل ما أقرت به من الرضا بحكم كتاب الله لها وعليها والتول الثاني أنه يجوز بعث الحكمين دون رضاهما ويجوز لحكم الزوج أن يطلق دون رضاهما ولحكم الزوجة أن يتخلع دون رضاهما إذا رأيا الصلح في ذلك كالحاكم يحكم بين الخصمين وإن لم يكن على وفق مرادهما وبه قال مالك ومن قال بهذا القول قال ليس المراد من قول على للزوج حتى تقر أن رضاه شرط بل معناه أن المرأة لما رضيت بما في كتاب الله تعالى فقال الرجل أما الفرقة فلا يعنى تبست الفرقة في كتاب الله فقال له على كذبت حتى أنكرت أن تكون الفرقة في كتاب الله بل هي في كتاب الله فان قوله تعالى يوفق الله بينهما يشتمل على الفراق وعلى غيره لأن التوفيق أن يخرج كل واحد منهما من الإثم والوزر ويكون نارة ذلك بالفراق وقارة بصلح حالهما والوصلة. وقوله تعالى (إن الله كان عليهما خيرًا) يعنى أن الله تعالى يعلم كيف يوفق بين المختلفين

ابن يوسف انا محمد بن اسماعيل انا عمرو بن زرارة انا عبد العزيز بن ابي حازم عن ابيه عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي انا عبد الله بن محمد انا ابراهيم بن عبد الله الخلال انا عبد الله بن مبارك عن يحيى بن ابيوب عن عبد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن ابي امامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ومن مسح رأس يتييم لم يمسحه الا الله كان له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة ومن أحسن إلى يتيمة أو يتييم (٥٢٣) عنده كنت أنا وهو في الجنة

كهايتين وقرن بين أصبعيه وقوله تعالى (والجار ذى القربى) أى ذى القرابة (والجار الجنب) أى البعيد الذى ليس بينك وبينه قرابة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن ابن ابي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز اليفوى أنا عبد الله بن الجعد أنا شعبة عن ابي عمران الجوفى قال سمعت طلحة قال قالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله إن لى جارين فالى أيهما أهدى؟ قال لى أقرهما منك بابا أخبرنا الأستاذ الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن التشيرى أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفرائينى أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق أنا يزيد ابن سنان، أخبرنا عثمان ابن عمر أخبرنا أبو عامر الخراز عن ابي عمران

إلى اليتيم وإنما أمر بالإحسان إليهم لأن اليتيم مخصوص بنوعين من العجز والصغر وعدم المشفق والمسكين هو الذى يركبه ذل الفاقة والفقر فتمسك لذلك (خ) عن سهل بن سعد قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال وكالقائم الذى لا يفتر وكالصائم الذى لا يفطر وقوله تعالى (والجار ذى القربى والجار الجنب) أى وأحسنوا إلى الجار ذى القربى وهو الذى قرب جواره منك والجار الجنب هو الذى بعد جواره عنك وقيل الجار ذو القربى هو القريب والجار الجنب هو الأجنبي الذى ليس بينك وبينه قرابة: (ق) عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وعن عائشة مثله (خ) عن عائشة رضى الله عنها قالت «قلت يا رسول الله إن لى جارين فالى أيهما أهدى قال لى أقرهما بابا منك» (م) عن ابي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك» وفى رواية قال أوصانى خليلي صلى الله عليه وسلم «قال إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر إلى أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف» (ق) عن ابي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله؟ قال الذى لا يأمن جاره بوائقه» وللمسلم «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه» البوائق الغوائل والشُرور (ق) عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بانساء المؤمنات لا تخفرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة» معناه ولو أن تهدى إليها فرسن شاة وهو الظلف وأراد به الشىء الحقيق (ق) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» وقوله تعالى (والصاحب بالجنب) قال ابن عباس هو الرفيق فى السفر وقيل هى المرأة تكون معك إلى جنبك وقيل هو الذى يصحبك رجاء تفعلك. عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وقوله تعالى (وابن السبيل) يعنى المسافر المحتار بك الذى قد انقطع به وقال الأكثرون المراد بابن السبيل الضيف يمر بك فكرمه وتحسن إليه (ق) عن ابي شريح خويلد ابن عمرو العدوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر

الجوفى عن عبد الله بن الصامت عن ابي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تخفرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق وإذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وأغرف لجيرانك منها» أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا محمد بن منهل أنا يزيد بن زريع أنا عمرو بن محمد عن ابيه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» قوله تعالى (والصاحب بالجنب) يعنى الرفيق فى السفر قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وقتادة وقال حلى وعبد الله والنخعي هو المرأة تكون معك إلى جنبه وقال ابن جريح وابن زيد هو الذى يصحبك رجاء تفعلك (وابن السبيل)

قبل هو المسافر لانه ملازم السبيل والاكثرون على أنه الضيف. أخبرنا الأستاذ الإمام أبو القاسم عبد الكرم بن هوازن النشيري أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفراييني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق أنا شعيب بن عمرو الدمشقي أخبرنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار أنه سمع نافع بن جبير عن أبي شريح الخراعي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن لي جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقبل خيرا أو ليصمت» أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا مصعب بن مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي شريح الكعبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقبل خيرا أو ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام وما كان بعد ذلك فهو صدقة ولا يدخل أن (٥٢٤) بشئ أي أن يقيم عنده حتى يخرج منه قوله تعالى (وماملكت أيمانكم) أي المماليك

أحسنوا إليهم أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو العباس الطحان أنا أبو أحمد بن محمد بن قريش أنا علي بن عبد العزيز المكي أنا أبو عبيدة القاسم بن سلام أنا يزيد بن همام عن قتادة عن صالح بن الخليل عن سفيان بن عيينة عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقبل خيرا أو ليصمت» زاد في رواية ولا يدخل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤتمه قال يارسل الله وكيف يؤتمه قال يقيم عنده ولا شيء عنده يقره به» قوله جائزته يومه وليلته الجائزة العطية أي يقرى الضيف ثلاثة أيام ثم يعطيه ما يجوز به من منهل إلى منهل وقيل هو أن يكرم الضيف فإذا سافر أعطاه ما يكفيه يوما وليلة حتى يصل إلى موضع آخر وقرله أن يقيم عند أخيه حتى يؤتمه أي يوقعه في الإنم لأنه إذا أقام عنده ولم يقره أتم بذلك . وقوله تعالى (وماملكت أيمانكم) يعني المماليك فأحسنوا إليهم والإحسان إليهم أن لا يكرههم مالا بطيئون ولا يؤذيهم بالكلام الخشن وأن يطعمهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون إليه بقدر الكفاية عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا يدخل الجنة سيئ الملكة» أخرجه الترمذي عن رافع بن مكيت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حسن الملكة ثماء وسوء الخلق شؤم أخرجه أبو داود وله عن علي بن أبي طالب قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم «الصلاة الصلاة تقوا الله فيما ملكت أيمانكم» (ق) عن المروزي بن سويد قال رأيت أبا ذر وعلمه حلة وعلى غلامه حلة مثلها فسأته عن ذلك فذكر أنه سأل رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبهره بأمره فألقى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم «إنك أمر قبيح جاهلية قلت على ساعتي هذه من كبر السن قال نعم هم إخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا تكلموهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه» . وقوله تعالى (إن الله لا يحب من كان مختالا) المختال المتكبر العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحق الناس (فخورا) الفخور هو الذي يفتخر على الناس ويعدد مناقبه تكبر أو تطلوا على من ورنه وقيل هو الذي يفتخر على عباد الله بما أعطاه الله من نعمه ولا يشكر عليها

أحسنوا إليهم أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو العباس الطحان أنا أبو أحمد بن محمد بن قريش أنا علي بن عبد العزيز المكي أنا أبو عبيدة القاسم بن سلام أنا يزيد بن همام عن قتادة عن صالح بن الخليل عن سفيان بن عيينة عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقبل خيرا أو ليصمت» زاد في رواية ولا يدخل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤتمه قال يارسل الله وكيف يؤتمه قال يقيم عنده ولا شيء عنده يقره به» قوله جائزته يومه وليلته الجائزة العطية أي يقرى الضيف ثلاثة أيام ثم يعطيه ما يجوز به من منهل إلى منهل وقيل هو أن يكرم الضيف فإذا سافر أعطاه ما يكفيه يوما وليلة حتى يصل إلى موضع آخر وقرله أن يقيم عند أخيه حتى يؤتمه أي يوقعه في الإنم لأنه إذا أقام عنده ولم يقره أتم بذلك . وقوله تعالى (وماملكت أيمانكم) يعني المماليك فأحسنوا إليهم والإحسان إليهم أن لا يكرههم مالا بطيئون ولا يؤذيهم بالكلام الخشن وأن يطعمهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون إليه بقدر الكفاية عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا يدخل الجنة سيئ الملكة» أخرجه الترمذي عن رافع بن مكيت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حسن الملكة ثماء وسوء الخلق شؤم أخرجه أبو داود وله عن علي بن أبي طالب قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم «الصلاة الصلاة تقوا الله فيما ملكت أيمانكم» (ق) عن المروزي بن سويد قال رأيت أبا ذر وعلمه حلة وعلى غلامه حلة مثلها فسأته عن ذلك فذكر أنه سأل رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبهره بأمره فألقى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم «إنك أمر قبيح جاهلية قلت على ساعتي هذه من كبر السن قال نعم هم إخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا تكلموهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه» . وقوله تعالى (إن الله لا يحب من كان مختالا) المختال المتكبر العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحق الناس (فخورا) الفخور هو الذي يفتخر على الناس ويعدد مناقبه تكبر أو تطلوا على من ورنه وقيل هو الذي يفتخر على عباد الله بما أعطاه الله من نعمه ولا يشكر عليها

ابن حفص أنا أبو أما الأعمش عن المروزي عن أبي ذر رضي الله عنه قال رأيت أبا ذر وعلمه برد وعلى غلامه برد فقلت لو أخذت هذا فلبسته كانا حلة وأعطيته ثوبا آخر فقال كان بيني وبين رجل كلام وكانت أمه أعجبية فقلت منها فذكرني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي وسأيت فلانا قلت نعم قال أفنلت من أمه قلت نعم قال : إنك أمر قبيح جاهلية قلت على ساعتي هذه من كبر السن؟ قال نعم هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه» أخبرنا الإمام أبو علي الحسين محمد القاضي أنا أبو طاهر الزبدي أخبرنا أبو بكر محمد بن عمرو بن حفص الشاجر أنا سهل بن عمرو أنا يزيد بن هارون أخبرنا صدقة بن موسى عن فرقة السنجي عن مرة الطيب عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا يدخل الجنة سيئ الملكة» (إن الله لا يحب من كان مختالا) المختال المتكبر والفخور

الذي يفخر على الناس بغير الحق تكبرا ذكر هذا بعد ما ذكر من الحقوق لأن المكبر يمنع الحق تكبرا أخبرنا حسان بن سعيد
اليميني أنا أبو ظاهر الزياتي أنا محمد بن الحسن القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام ابن منبه
أنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بينما رجل (٥٢٥) يقبخر في بردين وقد أعجبهته

فإنه تحسف الله به
الأرض فهو يتجلجل
فيها إلى يوم القيامة أخبرنا
أبو الحسن السرخسي
أنا زاهر بن أحمد أنا
أبو إسحاق الطاشي
أنا أبو مصعب عن مالك
عن نافع عن عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما
أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال «من جر
ثوبه خيلاء لا ينظر الله
إليه يوم القيامة» (الذين
يبخلون) البخل في كلام
العرب منع السائل من
فضل ماله وفي الشرع
منع الواجب (ويأمرون
الناس بالبخل) قرأ
حمزة والكسائي بالبخل
بفتح الباء والخاء وكذلك
في سورة الحديد. وقرأ
الآخرون بضم الباء
وسكون الخاء نزلت
في اليهود بخلوا ببيان
صفة محمد صلى الله عليه
وسلم وكتبوها وقال سعيد
ابن جبير هذا في كتاب العلم
وقال ابن عباس رضي
الله عنهما ما نزلت
في كردم بن زيد وحبي
ابن أخطب ورفاعة بن
زيد بن ثابت وأسامة
ابن حبيب ونافع بن أبي

وإنما حتم الله هذه الآية بهذين الوصفين المذمومين لأن الختال الفخوريانف من أقاربه
الفقراء ومن جبراته الضعفاء فلا يحسن اليهم ولا يلقى بنظره عليهم ولأن الختال هو المشكر
ومن كان متكبرا فلا يقوم بحق الناس (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال «لا ينظر الله تعالى يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء» (ق) عن أبي هريرة رضي الله
تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطورا»
(ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «بينما رجل يمشي
في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته ختال في مشيته إذ تحسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة»
(خ) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «بينما رجل ممن كان قبلكم يجر إزاره
من الخيلاء تحسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة» (ق) عن أبي هريرة رضي الله
تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والفخر والخيلاء في الفدادين من أهل
الوهر والسكينة في أهل الغم الفدادون هم الفلاحون والحراثون وأصحاب الإبل والبقر المستكبرون
منهم ما المتكبرون على الناس بهما قوله عز وجل (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) نزلت
في اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم فكتموه أو على هذا يكون المراد بالبخل
كتان العلم وقال ابن عباس نزلت في كردم بن زيد وحبي بن أخطب ورفاعة بن زيد بن ثابت
أسامة بن حبيب ونافع بن أبي نافع ويحيى بن عمر وكانوا يأتون رجلا من الأنصار ويخاطبونهم
يقولون لهم لا تنفقوا أموالكم فانا نحشى عليكم الفقر ولا تدرؤن ما يكون فأمر الله عز وجل
هذه الآية وقيل يحتمل أن يكون المراد بالبخل كتان العلم ومنع المال لأن البخل في كلام العرب
منع السائل من فضل ماله وإسكاف المتعنتات وفي الشرع البخل عبارة عن إسكاف الواجب
ومنه وإذا كان ذلك أمكن حمله على منع المال ومنع العلم (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله)
يعني اليهود كتتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما عندهم من العلم وقيل هم الأغنياء الذين
كتتموا الغنى وأظهروا الفقر وبخلوا بالمال (وأعدنا للكافرين) يعني الجاحدين نعمة الله عليهم
(عذابا مهينا) يعني في الآخرة عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخصلتان لا يحبهما إن في مؤمن: البخل وسوء الخلق أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله
عز وجل (والذين ينفقون أموالهم رياء الناس) يعني للبخاز والسمعة وليقال ما أخاهم وما أجودهم
لا يريدون بما أنفقوا وجه الله تعالى (م) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول: قال الله تبارك وتعالى وأنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه
غيري تركته وشركه نزلت هذه الآية في اليهود وقيل في المنافقين لأن الرياء ضرب من النفاق
وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين أموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يؤمنون
بالله ولا يوم الآخر) يعني ولا يصدقون بتوحيد الله ولا بالمعاد الذي فيه جزاء الأعمال أنه كان

نافع ويحمر بن عمر وكانوا يأتون رجلا من الأنصار ويخاطبونهم فيقولون لا تنفقوا أموالكم فانا نحشى عليكم الفقر ولا تدرؤن ما يكون
فأمر الله تعالى هذه الآية (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) يعني المال وقيل يبخلون بالصدقة (وأعدنا للكافرين عذابا مهينا)
والذين ينفقون أموالهم رياء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) محل الذين نصب عطف على الذين الأول وقيل يخفص

عطف على قوله وأعتدنا للكافرين نزلت في اليهود وقال السدي في المنافقين وقيل مشركي مكة المنفقين على عداوة الرسول ﷺ
 (ومن يكن الشيطان له قرينا) صاحبا وخليلا (فساء قرينا) أي قبس الشيطان قرينا وهو نصب على التفسير وقيل على التقطع
 بالقائه الألف واللام كما تقول نعم رجلا عبد الله وكما قال تعالى بنس للظالمين بدلا وساء مثلا (وماذا عليهم) أي ما الذي عليهم
 وأي شيء عليهم (لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليا إن الله لايظلم مثقال ذرة) ونظمه وماذا
 عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا فان الله لايظلم أي لا يخس ولا ينقص أحدا من ثواب عمله مثقال ذرة وزن الذرة هي
 الخلة الحمراء الصغيرة وقيل الدر أجزاء الهباء في الكوة وكل جزء منها ذرة ولا يكون لها وزن وهذا مثل يريد أن الله لا يظلم
 شيئا كما قال في آية أخرى إن الله لا يظلم الناس شيئا أخبرنا أحمد بن عبد الله الناصحي أنا أبو عمر بكر بن محمد المزني أنا أبو
 بكر محمد بن عبد الله الحفيد أنا الحسين بن الفضل البجلي أنا عفان أنا حمام أنا قتادة عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال «إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطيها في الدنيا ويجزيها في الآخرة» قال وأما الكافر فيقطع بحسناته في
 الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يعطيها خيرا أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو الطيب الربيع بن محمد بن
 أحمد بن حاتم البزار الطوسي أنا أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن يحيى حدثهم أخبرنا عبد الرزاق (ح) وأخبرنا أبو
 سعيد عبد الله بن أحمد الظاهري (٥٢٦) أخبرنا جدي أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار، أنا أبو بكر

(ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) يعني من يكن للشيطان صاحبه وخليلا قبس صاحب
 وبس الخليل الشيطان وإنما اتصل الكلام هنا بذكر الشيطان تقريرا لهم على طاعة الشيطان
 والمعنى من يكن عمله بما سول له الشيطان قبس العمل عمله وقيل هذا في الآخرة يجعل الله
 الشياطين قراءهم في النار بقرن مع كل كافر شيطان في سلسلة من النار ثم وبخهم الله تعالى
 وعبرهم على ترك الإيمان فقال تعالى (وماذا عليهم) يعني وأي شيء عليهم وأي وبال وتبعة
 تلحقهم (لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) أي أي وبال عليهم في الإيمان بالله
 والإنفاق في سبيله وإتقائه مرضاته (وكان الله بهم عليا) يعني لا ينفي عليه شيء من أعمال هؤلاء
 الذين ينفقون أموالهم لأجل الرياء والسمعة فيه وعيد وتهديد لهم . قوله عز وجل (إن الله
 لا يظلم مثقال ذرة) نظم الكلام وماذا عليهم لو آمنوا وأنفقوا فان الله لا يظلم ولا يخس ولا
 ينقص أحدا من ثواب عمله مثقال ذرة يعني وزن ذرة وقال ابن عباس الذرة رأس نملة حمراء
 وقيل الذرة كل جزء من أجزاء الهباء الذي يكون في الكوة إذا كان فيها ضوء الشمس لا وزن
 لها وهذا مثل ضرب به الله تعالى لأقل الأشياء والمعنى أن الله تعالى لا يظلم أحدا شيئا من قليل ولا كثير

محمد بن زكريا العذافري
 أخبرنا إسحاق بن إبراهيم
 الدرري أنا عبد الرزاق
 أنا معمر عن يزيد بن
 أسلم عن عطاء بن يسار عن
 أبي سعيد الخدري رضي
 الله عنه قال: قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 «إذا خلع المؤمنون من
 النار وأمنوا فما مجادلة
 أحدكم لصاحبه في الحق
 يكون له في الدنيا بأشد
 مجادلة من المؤمنين

لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار» قال يقولون ربنا إخواننا كانوا يصاون معنا

فخرج

ويصومون معنا ويحجون معنا فأدخلتهم النار قال فيقول الله لهم اذهبوا فأخرجوا من عرفم منهم فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم
 لأن كل البار صورهم فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف سابقه ومنهم من أخذته إلى كعبه فيخرجونهم ، فيقولون ربنا قد
 أخرجنا من أمرتنا قال ثم يقول ثم أخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من الإيمان ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار حتى
 يقول من كان في قلبه مثقال ذرة من خير قال أبو سعيد رضي الله عنه من لم يصدق هذا فليقرأ هذه الآية «إن الله لا يظلم مثقال
 ذرة وإن تلت حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما» قال فيقولون ربنا أخرجنا من أمرتنا فلم يبق في النار أحد فيه خير
 ثم يقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون وبني أرحم الراحمين قال فيقبض قبضة من النار أو
 قال قبضتين من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا لله خيرا قط قد احترقوا حتى صاروا حمما فيؤتى بهم إلى ماء الحياة فيصب
 عليهم فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل قال فخرج أجسادهم مثل المؤازر في أعناقهم الخاتم مكتوب فيه هؤلاء عشقاء
 الله فيقال لهم ادخلوا الجنة فأتيتهم أو رأيتهم من شيء فهو لكم قال فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين ؟ قال
 فيقول فان عندي لكم أفضل منه فيقولون ربنا وما أفضل من ذلك فيقول رضاي عنكم فلا أخط عليكم أبدا أخبرنا أبو بكر
 محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم

ابن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن أبيث بن سعد حدثني عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن المعافري ثم الجبلي قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول الله أتنتكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتى الحافظون؟ فيقول لا يارب فيقول أظلمك كتبتى الحافظون؟ فيقول لا يارب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا (٥٢٧) عبده ورسوله فيقول

احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول إنك لا تطعم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وانقلت البطاقة قال فلا يتقل مع اسم الله شيء وقال قوم هذا في الخصوم وروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى مناد ألا من كان يطلب مظلمة فليجيء إلى حقه فليأخذها فيخرج المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فليأخذ منه وإن كان صغيرا ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ويؤتى بالعرب فينادى مناد على رؤوس الأولين والآخرين هذا فلان ابن فلان فمن كان

فخرج الكلام على أصغر شيء يعرفه الناس (وإن تك حسنة يضاعفها) يعني الحسنة بعشر أمثالها وقيل هذا عند الحساب فمن بقي له من الحسنات مثقال ذرة ضاعفها الله له إلى سبعمائة وإلى أجر عظيم قال قتادة لأن تفضل حسنتي على سيئاتي بمثقال ذرة أحب إلي من الدنيا وما فيها (م) عن أنس بن مالك في قوله تعالى إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطي بها في الدنيا ويجزي بها في الآخرة وأما الكافر فيعطي بحسنات قد عمل بها في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزي بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنتكر من هذا شيئا أظلمك كتبتى الحافظون؟ فيقول لا يارب فيقول أظلمك كتبتى الحافظون؟ فيقول لا يارب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال فانك لا تطعم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وانقلت البطاقة ولا يتقل مع اسم الله شيء أخرجه الترمذي (ق) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يضرب الجسر على جهنم وتحمل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شوكة يقال لها السمدان فيهر المؤمنون كطرف العين وكالبرقي وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فجاج مسلم ومخدوش ومرسل ومكدوش في نار جهنم حتى إذا خلف المؤمنون من النار فواللذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد منا شدة لله في استنصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار وفي رواية فما أنتم بأشد مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمنين يؤمنون للجبار إذا رؤوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصاؤون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صومهم على النار فيخرجون خلفا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلفا كثيرا ثم يقولون ربنا لم ندر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلفا كثيرا ثم يقولون ربنا

له عليه حتى فليات إلى حقه فيأخذها ويقال آت هؤلاء حقوقهم فيقول يارب من أين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله عز وجل للملائكة انظروا في أعماله الصالحة فأعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة ياربنا بقي له مثقال ذرة من حسنة فيقول ضعفوها لعبيدي وأدخلوه بقضل رحمتي الجنة ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها وإن كان عبدا شقيا قالت الملائكة إذنا فنيت حسنته وبقي طالون فيقول الله عز وجل عدلوا من سيئاتكم فأضيفوها إلى سيئاته ثم صكوا له صكوا إلى النار فعنى الآية على هذا التأويل إن الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على الخصم بل يأخذ له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يبييه عليها ويضعفها له فإلك قوله تعالى (وإن تك حسنة يضاعفها) قرأ أهل الحجاز

لم ندر فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه
 فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم ندر فيها خيرا وكان أبو سعيد يقول إن لم تصدقوني بهذا
 الحديث فافروا إن شئتم إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لده
 أجرا عظيما فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا
 أرحم الراحمين فيمبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما
 فيلتهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا
 ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخضر وما يكون منها
 إلى الظل يكون أبيض فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ
 فيرقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه
 ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فإرأيتوه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا
 من العالمين فيقول لكم عندي أفضل من هذا فيقولون ربنا أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول
 رضائي فلا أخط عليكم بعده أبدا لفظ مسلم وهو بعض حديث وقال بعضهم هذه الآية واردة
 في الخصوم ويدل عليه ما روى عن عبد الله بن مسعود قال إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين
 والآخريين ثم نادى مناد من عند الله إلا من كان يطلب مظلمة فليجيء إلى حقه فليأخذه قال
 فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فليأخذ منه وإن كان صغيرا
 ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى قوله تعالى «فاذا نفيخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا
 يتساءلون» ويؤتى بالعبد وينادى مناد على رؤوس الأولين والآخريين هذا فلان ابن فلان من
 كان له عليه حق فليأت إلى حقه ثم يقال له آت هؤلاء حقوقهم فيقول أي رب من أين وقد
 ذهبت الدنيا؟ فيقول الله تبارك وتعالى للملائكة انظروا في أعماله الصالحات فأعطوهم منها فإن
 بنى مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة بارئنا وهو أعلم بذلك أعطيتنا كل ذي حق حقه وبقى
 له مثقال ذرة من حسنة فيقول للملائكة ضعفوها لعبدي وأدخلوه بفضل رحمتي الجنة
 ومصداق ذلك في كتاب الله «إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تلك حسنة يضاعفها ويؤت من
 لده أجر عظيم» أي الجنة وإن كان عبدا شقيا قالت الملائكة إنا فنيت حسناته وبنى طالبون
 كثير فيقول الله تبارك وتعالى «دخلوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته ثم اكتبوا له كتابا إلى
 النار» أخرجه اليعقوبي بغير سند عن ابن مسعود موقوفا عليه وأسنده ابن جرير الطبري عن ابن
 مسعود فعنى الآية على هذا التأويل إن الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على خصمه بل يأخذها
 له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يثيبه عليها ويضاعفها له فذلك قوله تعالى «وإن تلك حسنة
 يضاعفها» أي يجعلها أضعافا كثيرة (ويؤت من لده) يعني من عنده (أجرا عظيما)
 يعني الجنة والمعنى ويعط من عنده أجرا عظيما يعني عوضا من حسنة وذلك العوض هو الجنة
 وقال أبو هريرة إذا قال الله عز وجل أجر عظيم فمن يقدر قدره قوله تعالى (فكيف إذا جئنا
 من كل أمة بشهيد) يعني فكيف يكون حال هؤلاء المشركين والمنافقين يوم القيامة إذا جئنا
 من كل أمة بشهيد قال ابن عباس يريد بئسها والمعنى أنه يؤتى بنى كل أمة يشهد عليها ولها
 (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء شهداء) يعني تشهد على هؤلاء الذين سمعوا القرآن وشوخطبوا
 به بما عملوا (ق) عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ على القرآن فقلت

حسنة بالرفع أي وإن
 توجد حسنة وقرأ
 الآخرون بالنصب على
 معنى وإن تلك زنة الذرة
 حسنة يضاعفها أي
 يجعلها أضعافا كثيرة
 (ويؤت من لده أجر
 عظيما) قال أبو هريرة
 رضي الله عنه إذا قال
 الله تعالى أجرا عظيما
 فمن يقدر قدره قوله تعالى
 (فكيف إذا جئنا من كل
 أمة بشهيد) أي فكيف
 الحال وكيف يصنعون
 إذا جئنا من كل أمة
 بشهيد يعني بنبيها يشهد
 عليهم بما عملوا (وجئنا
 بك) يا محمد (على
 هؤلاء شهداء) شاهدة
 يشهد على جميع الأمة
 على من رآه ومن لم يره
 أخبرنا عبد الواحد المليحي
 أنا أحمد بن عبد الله
 النعماني أنا محمد بن يوسف
 أنا محمد بن إسماعيل
 أنا محمد بن يوسف ،
 أنا سفيان عن الأعمش
 عن إبراهيم عن عبيدة
 عن عبد الله بن مسعود
 رضي الله عنه قال: قال
 لي رسول الله صلى الله
 عليه وسلم اقرأ على
 قلت يا رسول الله اقرأ
 عليك وعليك أنزل

وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك لأن فالتفت إليه فاذا عيناه تلهرفان قوله عز وجل (يومئذ) يوم القيامة (يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض) قرأ أهل المدينة وابن عامر تسوى بفتح التاء وتشديد السين على معنى تسوى فأدغمت التاء الثالثة في السين وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء وتخفيف السين على حذف تاء التفعّل كقوله تعالى لا تكلم نفس إلا بأذنه وقرأ الآخرون بضم التاء وتخفيف السين على المجهول أي أو سويت بهم الأرض وصاروا هم والأرض شيئا واحدا قال قتادة وأبو عبيدة يعني لو تحرقت الأرض فساخوا فيها وعادوا إليها كما خرجوا عنها ثم تسوى بهم أي عليهم الأرض وقيل ودوا لو أنهم لم يبعثوا لأهم إنما نقلوا من التراب وكانت الأرض مستوية عليهم وقال الكلبي يقول الله عز وجل للبهائم والوحوش والطيور والسباع كونوا ترابا فتسوى بهم الأرض فعند ذلك يتمنى الكافر (٥٢٩) أن لو كان ترابا كما قال الله تعالى

ويقول الكافر باليقين كنت ترابا (ولا يكتنون الله حديثا) قال عطاء ودوا وتسوى بهم الأرض وأنهم لم يكونوا كتموا أمر محمد صلى الله عليه وسلم ولا نعتة وقال الآخرون بل هو كلام مستأنف يعني ولا يكتنون الله حديثا لأن ما عملوه لا يخفى على الله ولا يقدر أن لا يخفى على الله ولا يكتنون الله حديثا لأن جوارحهم تشهد عليهم وقال سعيد ابن جبير قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما إن أجد في القرآن أشياء تختلف على قال هات ما تختلف عليك قال فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ولا يكتنون الله حديثا

يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال إني أحب أن أسمعه من غيري قال فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن قال فالتفت إليه فاذا عيناه تلهرفان زاد مسلم شهيدا مادمت فيهم أو قال ما كنت فيهم شك أحد رواه . وقوله تعالى (يومئذ) يعني يوم القيامة (يود) أي يتمنى (الذين كفروا) يعني جحدوا وحادانية الله تعالى (وعصوا الرسول) يعني فيها أمرهم به من توحيد الله عز وجل (لو تسوى بهم الأرض) يعني لو صاروا فيها وسويت عليهم وقيل أنهم ودوا أن لن يبعثوا لأهم إنما كانوا في الأرض وهي مستوية عليهم وقال الكلبي يقول الله تعالى للبهائم والوحوش والطيور والسباع كونوا ترابا فتسوى بهم الأرض فعند ذلك يتمنى الكافر أن لو يكون ترابا (ولا يكتنون الله حديثا) قال ابن عباس في رواية عطاء ودوا لو تسوى بهم الأرض وأنهم لم يكونوا كتموا أمر محمد صلى الله عليه وسلم ولا كفروا به ولا نافقوه فعلى هذا القول يكون الكتمان ما كتبهوا في الدنيا من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعتة وهو كلام متصل بما قبله وقيل هو كلام مستأنف قال سعيد بن جبير سألت رجلا من عباس فقال إني أجد في القرآن أشياء تختلف على قال هات ما تختلف عليك قال منها قوله تعالى ولا يكتنون الله حديثا ومنها قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا فقال يغفروا لله تعالى لأهل الإسلام ذنوبهم ويدخلهم الجنة فيقول المشركون تعالوا نقول ما كنا مشركين فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء أن يغفروا لهم فيختم على أفواههم وتنطق أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك عرفوا أن الله لا يكتنم حديثا وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض فلا تختلف عليك القرآن فان كلام من عند الله وقال الحسن إنها مواطن لا يتكلمون ولا تسمع إلا مما وفي مواطن يشكرون ويكذبون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء في مواطن يعترفون على أنفسهم وهو قوله تعالى فاعترفوا بذنوبهم وفي مواطن لا يتساءلون وفي مواطن يسألون الرجعة وآخر تلك المواطن أن يختم على أفواههم وتتكلم جوارحهم

(٦٧ - خازن باليقين - أول) وقال والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا وقال أم السباء بناها إلى قوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها وذكر خلق السماء قبل الأرض ثم قال أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين إلى قوله طائعين فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء وقل وكان الله غفورا رحيما وكان الله عزيزا حكيمًا فكانه كان ثم مضى فقال ابن عباس رضي الله عنهما فلا أنساب في النسخة الأولى قال الله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله فلا أنساب عند ذلك ولا يتساءلون ثم في النسخة الآخرة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون وأما قوله ما كنا مشركين ولا يكتنون الله حديثا فان الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم فيقول المشركون تعالوا نقل لم تكن مشركين فيختم على أفواههم وتنطق أيديهم فعند ذلك عرفوا أن الله لا يكتنم حديثا وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ودحاها أن أخرج منها الماء والمرعى

وخلق الجبال والأكام وما بينهما في يومين آخرين ثم دحا الأرض في يومين فخلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام وخالقت السموات في يومين وكان الله غفورا رحيا أي لم يزل كذلك فلا يختلف عليك القرآن فان كلاهما عند الله وقال الحسن أنها مواطن. ففي مواطن لا يتكلمون ولا تسمع إلا همسا وفي موضع يتكلمون ويكذبون ويقولون ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفي مواطن يعترفون على أنفسهم وهو قوله فاعترفوا بذنوبهم وفي مواطن لا يتساءلون وفي مواطن يتساءلون الرجعة وآخر تلك المواطن أن يجتمع على أفواههم (٥٣٠) وتتكلم جوارحهم وهو قوله تعالى ولا يكتنون الله حدينا قوله عز وجل

(يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) الآية والمراد من السكر السكر من الخمر عند الأكثرين وذلك أن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه صنع طعاما ودعا ناسا من أصحاب النبي ﷺ وأنهم بخمر فشربوها قبل تحريم الخمر وسكروا فحضرت صلاة المغرب فقدموا رجلا ليصلي بهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبدوا ما تعبدون محذوف لاهكذا إلى آخر السورة فأزل الله تعالى هذه الآية وكانوا بعد نزول هذه الآية يجتنبون السكر أوقات الصلاة حتى نزل تحريم الخمر وقال الضحاك ابن مزاحم أراد به سكر النوم نهى عن الصلاة عند غلبة النوم أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو القاسم جعفر بن محمد ابن المفلس أنا هرون بن

فهو قوله تعالى ولا يكتنون الله حدينا. قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) جمع سكران (حتى تعالوا ما تقولون) سبب نزول هذه الآية ما روى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال صنع لنا ابن عوف طعاما فدعانا فأكلنا وسقانا خرا قبل تحريم الخمر فأخذت منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت قل يا أيها الكافرون أعبدوا ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فخلطت فزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وأخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وأخرجه أبو داود ولقظه أن رجلا من الأنصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف فسقاهما قبل أن تحرم الخمر فحضرت الصلاة فأمرهم علي في المغرب فقرأ قل يا أيها الكافرون فخلط فيها فزلت الآية لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس أن رجلا كانوا يأتون الصلاة وهم سكارى قبل أن تحرم الخمر فقال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فعلى هذا في المراد بالصلاة قولان: أحدهما أنه نفس الصلاة ذات الركوع والسجود وهو قول الأكثرين المعنى لا تنصوا وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون. والقول الثاني أن المراد بالصلاة موضع الصلاة وهو المسجد وإطلاق لفظ الصلاة على المسجد محتمل فيكون من باب حذف المضاف والمعنى لا تقربوا مواضع الصلاة وأنتم سكارى وحذف المضاف جائز سائغ وبدل عليه قوله تعالى لخدمت صوامع وبيع وصلوات والمراد بالصلوات مواضعها ثبت أن إطلاق لفظ الصلاة والمراد موضعها جائز واعلم أن هذا النهى عن قربان الصلاة في حالة السكر إنما كان قبل تحريم الخمر فكانوا يشربونها في غير أوقات الصلاة ثم نزل تحريم الخمر بعد ذلك ونسخت هذه الآية وقال الضحاك المراد بالسكر سكر النوم يعني لا تقربوا الصلاة عند غلبة النوم وبدل عليه ما روى عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إذا نعت أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر ربه فيسب نفسه وأخرجه في الصحيحين. وقوله تعالى (ولا جنبيا) يعني ولا تقربوا الصلاة وأنتم جنب والجنب يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه أمم جرى مجرى المصدر الذي هو الإجتنب وأصل الجنبية البعد سمي الذي أصابته الجنابة جنبا لأنه يتجنب الصلاة والمسجد وقيل لجنبته الناس حتى يغتسل (إلا عابري سبيل) العابر هاهنا فاعل من العبور وهو قطع الطريق من هذا الجانب إلى الجانب الآخر واختلف العلماء في معنى قوله إلا عابري سبيل على قولين: أحدهما إن المراد بالعبور هو العبور في المسجد وذلك أن قوما من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد فتصيبهم

إصاق المحدثاني أخبرنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا نعت أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس، لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه» قوله تعالى (حتى تعالوا ما تقولون ولا جنبيا) نصيب على الحال يعني ولا تقربوا الصلاة وأنتم جنب يقال جنب ورجل جنب وامرأة جنب ونساء جنب وأصل الجنابة البعد وسمى جنبا لأنه يتجنب موضع الصلاة أو جنبته الناس وبعده منهم حتى يغتسل قوله تعالى (إلا عابري سبيل)

حتى تغتسلوا) اختلفوا في معناه فقال إلا أن تكونوا مسافرين ولا تجدون الماء فتيمموا منع الجنب من الصلاة حتى يغتسل إلا أن يكون في سفر ولا يجد ماء فيصلي بالتيمم وهذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد رضي الله عنهم وقال الآخرون بل المراد من الصلاة موضع الصلاة كقوله تعالى وبيع وصلوات ومعناه لا تقربوا المسجد وأنتم جنب إلا يجتازن فيه للخروج منه مثل أن ينام في المسجد فيجنب أو يصيبه جنابة والماء في المسجد أو يكون طريقه عليه فيمر به ولا يقيم. وهذا قول عبد الله بن مسعود وسعيد بن المسيب والضحاك والحسن وعكرمة (٥٣١) والنخعي والزهرى وذلك أن قوما

من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة والاماء عندهم ولا يمر لهم إلا في المسجد فرخص لهم في العبور واختلف أهل العلم فيه فأباح بعضهم المرور فيه على الإطلاق وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعي رحمهم الله ومنع بعضهم على الإطلاق وهو قول أصحاب الرأي وقال بعضهم يتيمم لما روي فيه أما المكث فيه فلا يجوز عند أكثر أهل العلم لما روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول

الجنابة ولا ماء عندهم ولا يمر لهم إلا في المسجد فرخص لهم العبور فيه فعلى هذا القول يكون المراد بالصلاة موضع الصلاة والمعنى لا تقربوا المسجد وأنتم جنب إلا يجتازن فيه للخروج منه أو للدخول فيه مثل أن يكون قد نام في المسجد فأجنب فيجب الخروج منه أو يكون الماء في المسجد فيدخل إليه أو يكون طريقه عليه فيمر فيه من غير إقامة وهذا قول ابن مسعود وأتس بن مالك والحسن وسعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وعطاء الخرساني والنخعي والزهرى وإليه ذهب الشافعي وأحمد. القول الثاني أن المراد من قوله إلا عابري سبيل المسافرون والمعنى لا تقربوا الصلاة وأنتم جنب إلا أن تكونوا مسافرين ولم تجدوا الماء فتيمموا ففتح الجنب من الصلاة حتى يغتسل إلا أن يكون في سفر ولا ماء معه فيتيمم ويصلي إلى أن يجد الماء فيغتسل وهذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة فمن جعل عابري السبيل المسافرين منع الجنب من العبور في المسجد وهو مذهب أبي حنيفة وصحح ابن جرير الطبري الواحدى القول الأول ويدل على صحته وجهان: أحدهما أن المسافر الجنب لا تصح صلواته بدون التيمم ولم يذكر التيمم هاهنا فيحتاج إلى إضمار شيئين: عدم الماء وذكر التيمم وعلى القول الأول لا يحتاج إلى إضمار شيء: الوجه الثاني أن الله تعالى ذكر حكم السفر وعدم الماء وجواز التيمم بعد هذا فلا يحل هذا على حكم معاد في الآية ويدل على أن جميع القراء استحسنا الوقف على قوله (حتى تغتسلوا) يعنى إلى أن تغتسلوا وفيه دليل على أن حكم الجنابة باق على الجنب إلى غاية هي الاغتسال.

(فصل في أحكام تتعلق بالآية)

الله ﷺ قال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فأنى لأهل المسجد لحائض ولا جنب وجوز أحمد المكث فيه وضعف الحديث لأن راويه مجهول وبه قال الزنى ولا يجوز للجنب الطواف كما لا يجوز له الصلاة

اختلف العلماء في العبور في المسجد فاباحة قوم على الإطلاق وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعي ومنعه بعضهم على الإطلاق وهو قول أصحاب الرأي وقال قوم يتيمم للعبور في المسجد واختلف العلماء في المكث في المسجد أيضا للجنب فمنعه أكثر أهل العلم وقالوا لا يجوز للجنب المكث في المسجد بخال لما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه بيوت أصحابه شارعة في المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيئا رجاء أن تنزل فمهر خصه فخرج إليهم بعد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فأنى لأهل المسجد لحائض ولا جنب أخرجه أبو داود وجوز أحمد المكث في المسجد بشرط الوضوء وبه قال المزني من أصحاب الشافعي وأجاب أحمد عن حديث

ولا يجوز له قراءة القرآن أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البيهقي أنا علي بن الجعد أنا شعبة أخبرني عمر بن مرة قال سمعت عبد الله بن سلامة يقول دخلت على علي رضي الله عنه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى الحاجة ويأكل معنا اللحم ويقرأ القرآن وكان لا يعجبه ولا يحجزه عن القرآن شيء ليس الجنابة وغسل الجنابة يجب بأحد الأمرين: إما بزول المنى أو بالنقاء الختانين وهو تغيب الحشفة في الفرج وإن لم ينزل وكان الحكم في الابتداء أن من جامع امرأته فأكمل لا يجب عليه الغسل ثم صار ملسوخا أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أن

ابو موسى الأشعري سأل عائشة رضي الله عنها عن التفاء الختانين فقالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقى الختانان أو مس الختان فقد وجب الغسل قواه تعالى (وإن كنتم مرضى) جمع مريض وأراد به مرضا يضربه إمساس الماء مثل الجدري ونحوه أو كان على موضع الطهارة جراحة يخاف من استعمال الماء فيها التلغف أو زيادة الوجع ، فإنه يصبى بالتييمم وإن كان الماء موجودا (٥٣٢) وإن كان بعض أعضاء طهارته صحيحا والبعض جريحا غسل الصحيح منها

عائشة بأنه في رواه مجهول وقال عبد الحن لا يثبت من قبل إسناده واستدل أحمد لمذهبه بما روى عن عطاء بن يسار قال رأيت رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون في المسجد وهم مجنونون إذا توضؤوا وضوء الصلاة أخرجه سعيد بن منصور في مسنده واحتج لمذهب الجمهور به يوم الآيه وبما روى عن أم سلمة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم صرحة هذا المسجد فنادى بأعلى صوته أن المسجد لا يجلب لجنب ولا حائض أخرجه ابن ماجه ويحرم على الجنب أيضا الطواف وقراءة القرآن كما يحرم عليه فعل الصلاة ويدل على ذلك أيضا ما روى عن علي بن أبي طالب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته ثم يخرج فيقرأ القرآن ويأكل كل معنا اللحم ولا يحجبه وربما قال ولا يحجزه من القرآن شيء ليس الجناية أخرجه أبو داود والترمذي والبرمذني ولفظه كان يقرأ القرآن على كل حال ما لم يكن جنبا وقال حديث حسن صحيح عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ الجنب ولا الحائض ولا النساء من القرآن شيئا ، أخرجه الدارقطني ويجب الغسل بأحد شيئين: بأنزال المني وهو الماء الدافق أو بإصلاح الحشفة في الفرج وإن لم ينزل ويدل على ذلك ما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلال ولا يذكر احتلاما قال يغتسل وعن الوجه يرى أنه احتلم ولا يجد بلالا قال لا غسل عليه قالت أم سلمة والمرأة ترى ذلك أعليها غسل؟ قال نعم؟ أخرجه أبو داود والترمذني (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل» زاد في رواية وإن لم ينزل . وقوله تعالى (وإن كنتم مرضى) جمع مريض وأراد به المرض الذي يضرب معه إمساس الماء مثل الجدري وإحراق النار ونحو ذلك وإن كان على بعض أعضائه جراحة أو به قروح يخاف من استعمال الماء التلغف أو زيادة الوجع فإنه يتييمم ويصلى مع وجود الماء وإن كان بعض أعضائه صحيحا وبعضها جريحا غسل الصحيح وتهييم للجريح في الوجه واليدين لما روى عن جابر قال خرجنا في سفرنا فأصاب رجلا منا حجرا فشججه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه هل يجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتنل فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذا لم يعلموا فأنما شفاء العي السؤل إنما كان يكفيه أن يتييمم ويعصر أو قال يعصب شك الراوي على جرحه خرقه ثم مسح عليه ويفسل سائر جسده أخرجه أبو داود والدارقطني ولم يجوز أصحاب الرأي الجمع بين الغسل والتهييم قالوا إذا كان أكثر أعضائه أو بدنه صحيحا غسل الصحيح ولا يتييم عليه وإن كان الأكثر جريحا اقتصر على التيمم والحديث حجة لمن أوجب الجمع بين الغسل والتهييم . قوله تعالى (أو على سفر) يعني أو كنتم مسافرين وأراد به السفر الطويل والقصير

وتيمم للجريح لما أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز الغاشاني أنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمر المؤدري أنا داود سليمان بن الأشعث السجستاني أنا موسى بن عبد الرحمن الأنطاكي أنا محمد بن سلمة عن الزبير بن حزيق عن عطاء بن جابر ابن عبد الله قال خرجنا في سفر فأصاب رجلا منا حجر فشججه في رأسه فاحتلم فسأل أصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ قالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتنل فأتى فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك قال قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذا لم يعلموا فأنما شفاء العي السؤل إنما كان يكفيه أن يتييمم ويعصر أو يعصب شك؟ موسى على جرحه خرقه ثم مسح عليها ويفسل

سائر جسده ولم يجوز أصحاب الرأي الجمع بين التيمم والغسل وقالوا إن كان أكثر أعضائه صحيحا وعدم غسل الصحيح ولا يتييم عليه وإن كان الأكثر جريحا اقتصر على التيمم والحديث حجة لمن أوجب الجمع بينهما قوله تعالى (أو على سفر) أراد أنه إذا كان في سفر طويلا كان أو قصيرا وعدم الماء فإنه يصبى بالتهييم ولا إعادة عليه لما روى عن أبي ذر قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم إن المسلم وإن لم يجد الماء عشر سنين فإذا وجد الماء فلينبهه بشره فإن

ذلك خيرا ما إذا لم يكن الرجل مريضا ولا في سفر لكنه عدم الماء في موضع لا يعدم فيه الماء غالبا بأن كان في قرية انقطع ماؤها فإنه يصلى بالتيمم ثم يعيد إذا قدر على الماء عند الشافعي وعند مالك والأوزاعي لإعادة عليه وعند أبي حنيفة رضي الله عنهما يؤخر الصلاة حتى يجد الماء قوله تعالى (أو جاء أحد منكم من الغائط) أراد به إذا أحدث والغائط اسم للمطمئن من الأرض وكانت عادة العرب إتيان الغائط للأحدث فكفى عن الحدث بالغائط (٥٣٣) (أو لامستم النساء) قرأ حمزة

والنكسائي لمستم هاهنا وفي المائدة وقرأ الباقون لامستم النساء واختلفوا في معنى اللبس والملازمة فقال قوم هو الخامة وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وكفى باللبس عن الجماع لأن الجماع لا يحصل إلا باللبس وقال قوم هما إتيان الغائط البشريين سواء كان بجماع أو غير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي واختلف الفقهاء في حكم هذه الآية فذهب جماعة إلى أنه إذا أفضى الرجل بشيء من بدنه إلى شيء من بدن المرأة ولا حائل بينهما ينتقض وضوءهما وهو قول ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهما وبه قال الزهري والأوزاعي والشافعي رضي الله عنهما وقال مالك والليث بن سعد وأحمد وإسحاق إن كان اللبس بشهوة فنقض

وعدم الماء فإنه يتيمم ويصلى ولا إعادة عليه لما روي عن أبي ذر قال اجتمعت غنيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبا ذر ابد فيها قبلت إلى الرينة فكانت تصدني الجنابة فأمكنك الخمس والست فأبوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو ذر فسكت فقال ثكالك أمك يا أبا ذر لأمكنك الويل فدعا بجارية سوداء فجاءت بعس فيه ماء فسترته بثوب واستترت بالراحلة فاغتسلت فكأنني القيظ عني جبلا فقال الصميد الطيب وضوء المسلم ولو إلى عشر سنين فإذا وجدت الماء فأمسه جلدك فان ذلك خير أخرجه أبو داود العس قدح من فخار يجعل فيه الماء للوضوء والاعتسال. أما إذا لم يكن الرجل مريضا ولا على سفر وعدم الماء في موضع لا يعدم فيه غالبا فإنه يتيمم ويصلى ثم يعيد إذا وجد الماء وقدر عليه وبه قال الشافعي وقال مالك والأوزاعي لإعادة عليه وقال أبو حنيفة يؤخر الصلاة حتى يجد الماء. وقوله تعالى (أو جاء أحد منكم من الغائط) الغائط المكان المطمئن من الأرض وجمعه الغيطان وكانت عادة العرب إتيان الغائط للأحدث فكفوا به عن الحدث وذلك أن الرجل منهم كان إذا أراد قضاء الحاجة طلب غائطا من الأرض يعني مكانا منخفضا من الأرض يحجبه عن أعين الناس فسمى الحدث بهذا الاسم فهو من باب تسمية الشيء باسم مكانه. وقوله تعالى (أو لامستم النساء) قرئ هنا وفي سورة المائدة لامستم النساء ولمستم بغير ألف واختلف العلماء في معنى الملازمة على قولين أحدهما أنه الجماع وهو قول علي وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ووجه هذا القول أن الله تعالى كفى باللبس عن الجماع لأن اللبس يوصل إليه قال ابن عباس إن الله حي كريم يكفى عن الجماع بالملازمة والقول الثاني أن المراد باللبس هنا التقاء البشريين سواء كان بجماع أو بغير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي ووجه هذا القول أن اللبس حقيقة في اللبس باليد فأما حمله على الجماع فجواز والأصل حمل الكلام على الحقيقة لا على الهاز. وأما قراءة من قرأ أو لامستم فالملازمة مفاعلة من اللبس لا تتدل على الخامة أيضا على الإطلاق لأنه قد ورد في الحديث النهي عن بيع الملازمة قال أبو عبيدة في معناها هي أن يقول إذا لمست ثوبي أو لمست ثوبك فقد وجب البيع فالملازمة في الحديث بمعنى اللبس باليد وإذا كانت مستعملة في غير الخامة لم يدل قوله تعالى (أو لامستم النساء) على صريح الجماع بل حمل على الأصل الموضوع له وهو اللبس باليد.

فصل في أحكام تتعلق بالآية وفيه مسائل

(المسئلة الأولى): إذا أفضى الرجل بشيء من بدنه إلى شيء من بدن المرأة ولا حائل بينهما انتقض وضوءهما وهو قول ابن مسعود وابن عمر وبه قال الزهري والأوزاعي والشافعي لما روي الشافعي بسنده عن ابن عمر أنه قال قبلة الرجل امرأته وجسها بيده من الملازمة فمن قبل امرأته

الطهر وإن لم يكن بشهوة فلا ينتقض وقال قوم لا ينتقض الوضوء باللبس بحال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثوري وقال أبو حنيفة رضي الله عنه لا ينتقض إلا إذا أحدث الانتشار واحتج من لم يوجب الوضوء باللبس بما أخرجه أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الخاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبد الله عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت كنت أنام بين يدي رسول الله

صلى الله عليه وسلم ورجلاي في قبلته فاذا سجد غمزني فقبضت رجلي واذا قام بسطتهما قالت والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح
اخبرنا أبو الحسن السرخسي ان ازا هر ابن احمد انا ابو اسحاق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن يحيى بن مسعود عن محمد
ابن ابراهيم بن الحارث التيمي ان عائشة رضى الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كنت نائمة الى جنب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ففقدته من (٥٣٤) الليل فلمسته بيدي فوقعت يدي على قدميه وهو ساجد وهو يقول وعود

أوجسها بيده فعليه الوضوء أخرجه مالك في الموطأ قال الشافعي وبلغنا عن ابن مسعود مثله وقال
مالك واليث بن سعد وأحمد وإسحاق إذا كان اللمس بشهوة انتقض الوضوء وإن لم يكن بشهوة
فلا ويدل عليه ما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل امرأة
من نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ قال عروة ومن هي إلا أنت فضحكت أخرجه أبو داود
وأجيب عن هذا الحديث بأنه ليس بثابت قال الترمذي إنه لا يصلح إسناده بحال وسمعت محمد
ابن إسماعيل يضعف هذا الحديث وقال حبيب بن ثابت لم يسمع من عروة وضعف يحيى بن سعيد
القطان هذا الحديث وقال هو شبه لاشيء وفيه ضعف من وجه آخر وهو أن عروة هذا ليس
بعروة بن الزبير ابن أخت عائشة إنما هو شيخ مجهول قال البيهقي يعرف بعروة المزني وإنما الخفوظ
عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صائم كنا رواه الثقات عن عائشة وقال
أبو حنيفة لا ينتقض الوضوء باللمس إلا أن يحدث الانتشار وقال قوم لا ينتقض بحال وهو قول
ابن عباس وبه قال الحسن والثوري واحتج من لم يوجب الوضوء باللمس بما روى عن عائشة أنها
قالت «كنت أنام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاي في قبلته فاذا سجد غمزني فقبضت
رجلي فاذا قام بسطتهما والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح» أخرجاه في الصحيحين وأجاب من
أوجب الوضوء باللمس عن هذا الحديث بأنه يمتثل أن يكون غمزه لها على حائل .

(المسئلة الثانية) : اختلف قول الشافعي في لمس المحرم كالأم والبنت والأخت أو أجنبية صغيرة
فأصح القولين عنه أنه لا ينتقض الوضوء به والثاني أنه ينتقض الوضوء به ومأخذ القولين عند
أصحاب الشافعي التردد بين التعلق بعموم الآية في قوله أو لامستم النساء أو النظر إلى المعنى في النقض
باللمس وهو تحرك الشهوة فان أخذنا بعموم الآية فينتقض الوضوء بلمس المحرم وإن أخذنا
بالمعنى فلا ينتقض وفي الملموس قولان والملموس هو الذي لا فعل منه في المباشرة رجلا كان أو
امرأة واللامس هو التاعل اللمس وإن لم يقصد المباشرة فأحد القولين أنه ينتقض وضوء اللامس
والملموس لعموم الآية لأنه لمس وقع بين الرجل والمرأة فينتقض وضوءهما معا والآخر الثاني أنه ينتقض
وضوء اللامس دون الملموس لما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت «فقدت رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليلة من الفرائض فأنتمسته فوضعت يدي على أخمص قدميه وهو ساجد وهما
منصوبتان وهو يقول : اللهم إني أعود برضائك من سخطك ومعافائك من عقوبتك وأعود بك
منك لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» أخرجه مسلم فلو انتقض وضوءه صلى
الله عليه وسلم لقطع الصلاة ولو لمس شعر امرأة أو منها أو ظفرها فلا وضوء عليه .

(المسئلة الثالثة في الحدث) وهو الخارج من السيلين عينا كالبول والغائط أو أورا كالريح
ونحوها فاذا حصل شيء من ذلك فلا تصح صلاته ما لم يتوضأ أو يقيمه عند عدم الماء لم يروى

برضائك من سخطك
ومعافائك من عقوبتك
وأعود بك منك لأحصى
ثناء عليك أنت كما أثنيت
على نفسك و اختلف
قول الشافعي رضى الله
عنه فيها لو لمس امرأة من
محارمه كالأم والبنت
والأخت أو لمس أجنبية
صغيرة أصح القولين
أنه لا ينتقض الوضوء
لأنها ليست بمحل الشهوة
كما لو لمس رجلا
واختلف قوله في انتقاض
وضوء الملموس على
قولين : أحدهما ينتقض
لاشترائيهما في الالتذاذ
كما يجب الغسل عليهما
بإحداه والثاني لا ينتقض
لحديث عائشة رضى الله
عنها حيث قالت فوقع
يدي على قدميه وهو ساجد
ولو لمس شعر امرأة أو
منها أو ظفرها لم ينتقض
وضوءه عنده واعلم أن
الحديث لا تصح صلاته
ما لم يتوضأ إذا وجد الماء
أو يقيمه إذا لم يجد الماء
أخبرنا حسان بن سعيد

المنيعي أخبرنا أبو طاهر الزبدي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد ابن يوسف
السامي أنا عبد الرزاق أنا معمر بن مهران بن ميمونة أنا أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
«لأنقل صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ» والحدث هو خروج الخارج من أحد الفرجين عينا كان أو أورا أو الغلبة على العقل
بجنون أو إغماء على أي حال كان وأما النوم فذهب الشافعي رضى الله عنه أنه يوجب الوضوء إلا أن ينام قاعدا ممكنا فلا وضوء

عليه لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز الخلال أنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أنا الشافعي أنا الثقة عن حميد الطويل عن أنس رضي الله عنهما قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشاء فينأمون أحسبه قال قعودا حتى تحقق رءوسهم ثم يصلون ولا يتوضئون وذهب قوم إلى أن النوم يوجب الوضوء بكل حال ، وهو قول أبي هريرة رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها وبه قال الحسن وإسحاق (٥٣٥) والمزني وذهب قوم إلى أنه

لو نام قائما أو قاعدا أو ساجدا فلا وضوء عليه حتى ينأم مضطجعا وبه قال الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي واختلنوا في مس الفرج من نفسه أو من غيره فذهب جماعة إلى أنه يوجب الوضوء وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس وسعد

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » فقال رجل من أهل حضر موت ما يحدث يا أبا هريرة ؟ قال فساء أو ضراط أخرجاه في الصحيحين أما خروج اللجاسة من غير السبيلين كالقصد والحجامة والرغافة والقيء ونحوها فذهب قوم إلى أنه لا وضوء من خروج هذه الأشياء يروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وبه قال عطاء وطاوس والحسن وابن المسيب وإليه ذهب مالك والشافعي لما روى عن أنس قال « احتججتم رسول الله ﷺ فصلى ولم يتوضأ ولم يزد على غسل محجمه » أخرجه الدارقطني وذهب قوم إلى إيجاب الوضوء من ذلك منهم سفیان الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وأحمد وإسحاق واتفق هؤلاء على أن خروج الليل منه لا ينقض الوضوء ويدل على انتقاض الوضوء بخروج هذه الأشياء ما روى عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء « أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء فتوضأ قال معدان فقلت ثوبان في مسجد دمشق فذكرت له ذلك فقال صدق أنا صليت له وضوءه » أخرجه الترمذي وقال هو أصح شيء في هذا الباب .

(المسئلة الرابعة) من نواقض الوضوء زوال العقل يجنون أو لإغماء أو نوم لما روى عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « العين وكاء السه فمن نام فليتوضأ » أخرجه أبو داود وابن ماجه ويستثنى من ذلك النوم اليسير قاعدا مغضيا بمحل الحدث إلى الأرض ويدل على ذلك ما روى عن أنس قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشاء الأخيرة حتى تحقق رءوسهم ثم يصلون ولا يتوضئون أخرجه أبو داود وذهب قوم إلى أن النوم لا ينقض الوضوء بكل حال وهو قول أبي هريرة وعائشة وبه قال الحسن وإسحاق والمزني وذهب قوم إلى أنه لو نام قائما أو قاعدا أو ساجدا وهو في الصلاة فلا وضوء عليه حتى يضطجع وبه قال سفیان الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي لما روى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ليس على من نام ساجدا وضوء حتى يضطجع فإذا اضطجع استرخت مفاصله » أخرجه أحمد بن حنبل وضعف بعضهم هذا الحديث .

ابن أبي وقاص وأبي هريرة وعائشة رضي الله عنها وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وعروة ابن الزبير وإليه ذهب الأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق وكذلك المرأة تمس فرجها غير أن الشافعي رضي الله عنه يقول لا ينتقض إلا أن تلمس يظن الكف أو

(المسئلة الخامسة) من نواقض الوضوء مس الفرج من نفسه أو غيره فذهب قوم إلى أنه يوجب الوضوء وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وإليه ذهب الأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق غير أن الشافعي قال ينتقض الوضوء إذا لمس يظن الكف والرجل والمرأة في ذلك سواء ويدل على ذلك ما روى عن بسرة بنت صفوان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من مس ذكره فلا يصل حتى يتوضأ » أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح ولأبي داود والنسائي نحوه وعن أم حبيبة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من مس فرجه فليتوضأ » أخرجه ابن

بطون الأصابع واحتجوا بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الحاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر محمد بن

عمرو بن حزم أنه سمع عروة بن الزبير يقول دخلت على مروان بن الحكم فذكرنا ما يكون منه الوضوء فقال مروان من مس الذكر الوضوء فقال عروة ما علمت ذلك فقال مروان أخبرني بسرة بنت صفوان أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا مس أحدكم ذكره فليتوضأ » وذهب جماعة إلى أنه لا يوجب الوضوء روى ذلك عن علي وابن مسعود وأبي الدرداء وحذيفة وبه قال الحسن وإليه ذهب الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي واحتجوا بما روى عن طلق بن علي رضي الله عنه أن

النبي ﷺ سئ عن مس الرجل ذكره فقال هل هو الألبضة منك. ويروى هل هو الألبضة أو مضغة منه؟ ومن أوجب الوضوء منه قال هذا منسوخ بحديث يسرة لأن أبا هريرة يروي أيضا أن الوضوء من مس الذكر وهو متأخر الإسلام وكان قدوم طلق ابن علي على رسول الله ﷺ أول زمن الهجرة حين كان بيني المسجد واختلفوا في خروج النجاسة من غير الفرجين بالفصد والحجامة وغيرهما من التيء ونحوه فذهب جماعة إلى أنه لا يوجب الوضوء روى ذلك عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وبه قال عطاء وطاوس والحسن وسعيد بن المسيب وإليه ذهب مالك والشافعي رحمهما الله، وذهبت جماعة إلى إيجاب الوضوء بالتيء والرعاف والفصد والحجامة منهم سفيان الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وأحمد وإسحاق، واتفقوا على أن التقليل منه وخروج الریح من غير السبيلين لا يوجب الوضوء ولو أوجب الوضوء كثيره لأوجب قبله الوضوء كالفرج (فلم نجدوا ماء فتيموا) (إعلم أن التيمم من خصائص هذه الأمة روى حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء» وكان بدء التيمم ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد (٥٣٦) السرخسي أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن

عبد الصمد الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بدات الجيش انتقطع عقدي في فأقام رسول الله ﷺ على إلتامه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس أبو بكر رضي

ماجه وصححه أحمد وأبو زرعة وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من أفضى بيده إلى ذكره وليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء» أخرجه أحمد بن حنبل وذهب قوم إلى أن مس الذكر لا يوجب الوضوء وهو قول علي وابن مسعود وأبي الدرداء وحذيفة وبه قال الحسن وإليه ذهب الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي واحتجوا بما روى عن طلق بن علي قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل كأنه بدوي فقال «يا نبي الله ما ترى في مس الرجل ذكره بعدما توضأ قال هل هو الألبضة أو قال بضعة منه؟» أخرجه أبو داود ولترمذني والنسائي نحوه بمعناه وأجاب من أوجب الوضوء على من مس الذكر عن حديث طلق بن علي بأن قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في أول الهجرة وهو بيني المسجد وأبو هريرة من آخرهم إسلاما وقد روى انتقاض الوضوء بمس الذكر فصار حديث أبي هريرة ناسخا لحديث طلق بن علي وأيضا فإن حديث طلق يرويه عنه ابنه قيس بن طلق وهو ليس بالقوي عند أهل الحديث. وقوله تعالي (فلم نجدوا ماء فتيموا صعيدا طيبا) أعلم أن التيمم من خصائص هذه الأمة خصصها الله تعالي به ليسهل عليهم أسباب العبادة ويدل على ذلك ما روى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء» أخرجه مسلم وكان سبب بدء التيمم ما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت وخرجنا مع رسول الله

الله عنه فقالوا ألا ترى ما صنعت عائشة أقامت رسول الله ﷺ وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر رضي الله عنه ورسول الله ﷺ وأضع رأسه على فخذي قد نام فقال أحببت رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت فعاتبني أبو بكر رضي الله عنه وقال ما شاء الله أن يقول: وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا بمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصبح على غير ماء أنزل الله تعالي آية التيمم فتيموا فقال أسيد بن حضير وهو أحد الثقباء ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر قالت عائشة رضي الله عنها فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته وأخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبيد بن إسماعيل أنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء فلما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم شكوا ذلك إليه فنزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير جزاك الله خيرا فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل الله لك منه خرجا وجعل للمسلمين فيه بركة فتيموا أي أقصدوا (صعيدا طيبا) أي ترابا طيبا ظاهرا نظيفا قال ابن عباس رضي الله عنهما الصعيد هو التراب واختلف أهل العلم فيما يجوز به التيمم

صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عندنا
فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم
ماء فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا ألا ترى إلى ما صنعت عائشة برسول الله صلى الله
عليه وسلم وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله
عليه وسلم وأضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس
وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة فعائني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل
يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعي من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على
فخذتي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء فأزل الله عز وجل آية
التيمم فتييموا فقال أسيد بن حضير وهو أحد النقباء ماهي بأول بركتكم يا آل أبي بكر قالت
عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العمد تحته أخرجاه في الصحيحين قولها بالبيداء
البيداء: المغازة والتفر وكل صحراء فهي ببيداء وجمعها بيد وذات الجيش اسم لموضع وهو على
بريد من المدينة وقولها فبعثنا البعير أي أترناه قوله تعالى «فلم تجدوا ماء» هو معطوف على إقبله
والمعنى أو جاء أحد منكم من الغائط أو لاسم النساء فظلمتم الماء لتطهروا به فلم تجدوه يعني
فأعوزكم فلم تجدوه بثمن ولا بغير ثمن لأن الحديث مأمور بالتطهر بالماء فإذا أعوزه الماء عدل
عنه إلى التيمم بعد طلب الماء قال الشافعي إذا دخل وقت الصلاة طلب الماء فإن لم يجده تيمم
وصلى ثم إذا دخل وقت الصلاة الثانية وجب عليه الطلب مرة أخرى. وقال أبو حنيفة لا يجب
عليه الطلب للصلاة الثانية حجة الشافعي قوله تعالى فلم تجدوا ماء فعدم الوجدان مشعر بسبق
الطلب فلا بد في كل مرة من سبق الطلب وأجمعوا على أنه لو وجد الماء لكنه يحتاج إليه
لعطشه أو عطش حيوان محترم فإنه يجوز له التيمم مع وجدان ذلك الماء وقوله تعالى فتييموا
صعيدا طيبا أصل التيمم في اللغة القصد يقال تيممت فلانا إذا قصدته وهو في الشرع عبارة عن
أفعال مخصوصة عند عدم الماء لتأدية الصلاة واختلفوا في الصعيد الطيب فقال قتادة الصعيد
الأرض التي ليس فيها شجر ولا نبات وقال ابن زيد الصعيد المستوي من الأرض وكذلك قال
الليث الصعيد الأرض المستوية التي لا شئ فيها وقال الفراء الصعيد هو التراب وكذلك قال
أبو عبيد في قوله صلى الله عليه وسلم «إنا كم والقعود بالصعدات» قال الصعدات الطرق مأخوذ
من الصعيد وهو التراب وقيل الصعيد وجه الأرض البارز وهو اختيار الزجاج قال الصعيد
وجه الأرض ولأنه أكان في الموضع تراب أولا لأن الصعيد ليس هو التراب إنما هو وجه
الأرض ونقل الربيع عن الشافعي في تفسير الصعيد قال لا يقع اسم الصعيد إلا على تراب ذي
غبار فأمر البطحاء الغليظة والرقيقة فلا يقع عليها اسم الصعيد فإن خالطه تراب أو ملى يكون
له غبار كالذي خالطه هو الصعيد قال ولا يتيمم بنورة ولا كحل ولا زرنبيخ كل هذا حجارة
هذا كلام الشافعي في تفسير الصعيد وهو القدوة في اللغة وقوله في ذلك حجة وقد وافقه على
ذلك الفراء وأبو عبيدة في أنه التراب وجميع الأقوال في الصعيد صحيحة في اللغة لكن المراد
به هنا التراب وقد قال ابن عباس في قوله صعيدا هو التراب. واختلف أهل العلم فيما يجوز به
التيمم فذهب الشافعي إلى أنه يختص بما وقع عليه اسم التراب مما له غبار يعلق بالوجه واليد
لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال وجعلت في الأرض مسجدا وترابها طهورا فخص التراب

فذهب الشافعي رحمه
الله تعالى إلى أنه يختص
بما يقع عليه اسم التراب
فما يعلق باليد منه غبار لأن
النبي صلى الله عليه وسلم
قال وجعلت تربتها لنا
طهورا وجوز أصحاب
الرأي التيمم بالزرنبيخ
والجص والنورة وغيرها
من طبقات الأرض حتى
قالوا لو ضرب يديه
على صخرة لا غبار عليها
أو على التراب ثم نفع
فيه حتى زال التراب
كله فمسح به وجهه ويديه
صح تيممه وقالوا
الصعيد وجه الأرض
لما روى عن جابر رضي
الله عنه: أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال وجعلت
في الأرض مسجدا وطهورا

بالظهور ولأن الله تعالى وصف الصعيد بالطيب والطيب من الأرض هو الذي بنيت فيها بدليل قوله والبلد الطيب يخرج نباته فعلى هذا مالا يثبت ليس بطيب ولنا أيضا قوله تعالى في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه وكلمة من للتبويض هنا ولايتأتى ذلك في الصخر الذي لا تراب عليه وأيضا فإنه يقال للغبار صعيد لأنه مأخوذ من الصعود وهو الارتفاع ولا يكون ذلك في الصخر وما أشبهه وذهب أبو حنيفة ومالك إلى أنه يجوز التيمم بكل ما هو من جنس الأرض كالرمل والحصى والنورة والزرنيخ ونحو ذلك حتى لو ضرب يده على صخرة ملساء لا غبار عليها صح تيممه عندهم واحتج أبو حنيفة ومن وافقه بظاهر الآية قالوا لأن التيمم هو القصد والصعيد اسم لما تصاعد من الأرض فقوله تعالى فتيموا صعيدا طيبا أي اقصدا أرضا فوجب أن يكون هذا القدر كافيا وأجيب عنه بما تقدم من الدليل في قوله منه وإن لفظة من تكون للتبويض قالوا ولما روى عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأجيب عنه بأن هذا مجمل يفسره ما تقدم من حديث حذيفة في تخصيص التراب والمفسر يقضي على الجمل وجوز بعضهم التيمم بكل ما هو متصل بالأرض من شجر ونبات ونحو ذلك قالوا لأن اسم الصعيد يقع على ما تصاعد على الأرض وأجيب عنه بما تقدم من الأدلة وقوله تعالى (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) الوجه المسموح في التيمم هو المخلود في الوضوء واختلاف العلماء فيما يجب مسحه من اليد فذهب أكثر أهل العلم منهم ابن عمر وابنه سالم والحسن وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي أنه يمسح الوجه واليدين إلى المرفقين بضربتين وصورة ذلك أن يضرب كفيه على التراب ويمسح بهما وجهه ولا يجب إيصال التراب إلى منابت الشعور ثم يضرب ضربة أخرى ويفرق أصابعه فيمسح يديه إلى المرفقين ويدل على ذلك ما روى عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم «التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين» رواه البيهقي ولم يضعفه وروى الشافعي عن إبراهيم بن محمد عن أبي الخويرث عن الأعمرج عن ابن الصمة قال مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد علي حتى قام إلى الجدار فحتمه بعضا كانت معه ثم وضع يده على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد علي هذا حديث منقطع لأن الأعمرج وهو عبد الرحمن بن هرم لم يسمع هذا من ابن الصمة وإنما سمعه من عمير مولى ابن عباس عن ابن الصمة وكذا هو مخرج في الصحيحين عن عمير مولى ابن عباس قال دخلنا على أبي جهيم بن الحارث فقال أبو جهيم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جمل فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم حتى أقبل على الجار فوضع يده على الحائط فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام ولأبي داود عن نافع قال انطلقت مع ابن عمر في حاجة إلى ابن عباس فلما ألقينا قضى حاجته فكان من حديثه يومئذ أن قال مر رجل في سكة من سكك المدينة فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من غائط أو بول فسلم عليه الرجل فلم يرد عليه حتى إذا كاد الرجل أن يتوارى في السكة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على حائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة أخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد عليه السلام وقال لم يمنعني إن أردت عليك أولا إلا أنني لم أكن على طهر وفي رواية فمسح ذراعيه إلى المرفقين فهذا أبو ماتي هذا الباب فإن البيهقي أشار إلى صحة إسناده وفيه دليل على الحكمين يعني مسح الوجه واليدين بضربتين وإيصال المسح إلى المرفقين وفيه دليل على أن التيمم لا يصح ما لم يعلق بالوجه واليدين غبار التراب لأن النبي صلى الله عليه وسلم حث الجدار بالعصى ولو كان مجرد الضرب كافيا

وهذا مجمل
وحديث حذيفة في
تخصيص التراب مفسر
والمفسر من الحديث
يقضي على الجمل وجوز
بعضهم بكل ما هو متصل
بالأرض من شجر ونبات
ونحوهما وقال إن الصعيد
اسم لما تصاعد على وجه
الأرض والقصد إلى
التراب شرط لصحة
التيمم لأن الله تعالى قال
فتيمموا والتيمم القصد
حتى لو وقف في مهب
الريح فأصاب الغبار وجهه
ونوى لم يصح قوله
تعالى (فامسحوا بوجوهكم
وأيديكم

إن الله كان عفوا غفورا) اعلم أن مسح الوجه واليدين واجب في التيمم (٥٣٩) واختلفوا في كيفية فذهب أكثر

أهل العلم إلى أنه يمسح
الوجه واليدين مع المرفقين
بضربتين يضرب كفيه
على التراب فيمسح بهما
جميع وجهه ولا يجب
إيضال التراب إلى
ماتحت الشعور ثم
يضرب ضربة أخرى
فيمسح بديه إلى المرفقين
لما أخبرنا عبد الوهاب
ابن محمد بن الخطيب
أنا عبد العزيز بن أحمد
الخلال أنا أبو العباس
الأصم أنا الربيع أنا
الشافعي أنا إبراهيم بن
محمد عن أبي الحويرث
عن الأعرج عن أبي
الصمة قال مررت على
النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يبول فسلمت عليه
فلم يرد علي حتى قام
إلى جدار فحنه بعصا
كانت معه ثم وضع يديه
على الجدار فمسح وجهه
وذراعيه ثم رد علي
السلام ففيه دليل على
وجوب مسح اليدين
إلى المرفقين كما يجب
غسلهما في الوضوء إلى
المرفقين ودليل على أن
التيمم لا يصح ما لم يعلق
باليد غبار التراب لأن
النبي صلى الله عليه وسلم
لم يمسح اليدين إلى المنكبين لما روى عن عمار

لما كان حته وذهب الزهري إلى أنه يمسح اليد إلى المنكبين ويدل على ذلك ما روى عن عمار بن ياسر
قال تمسحوا وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر فضربوا بأكفهم
الصعيد ثم مسحوا بوجوههم مسحة واحدة ثم عادوا فضربوا بأكفهم الصعيد مرة أخرى فمسحوا
بأيديهم كلها إلى المناكب والإباط ثم يطون أيديهم أخرجه أبو داود وذهب جماعة إلى أن التيمم
ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول علي وابن عباس وبه قال الشعبي وعطاء وكحول وإليه
ذهب الأوزاعي ومالك وأحمد وإسحاق وداود الظاهري واحتجوا بما روى عن عمار بن ياسر قال
بعثنى النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة فأجبت فلم أجد الماء فسرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة
ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال إنما يكفيك أن تقول بيدك هكذا ثم
ضرب بيديه الأرض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه وباطنهما ووجهه
وفي رواية أن تقول هكذا وضرب بيديه الأرض فنفض يديه فمسح وجهه وكفيه أخرجه
في الصحيحين وجملة إن اليد اسم لهذه الجارحة وحدها عند بعض أهل اللغة من أطراف
الأنامل إلى الكوع وهذا هو المقطوع في حد السرقة وقال أبو إسحاق الزجاج حدها من أطراف
الأنامل إلى الكتف فمن ذهب إلى أن الممسوح في التيمم هو الكف قال إن حد اليد هو المقطوع
في حد السرقة ومن ذهب إلى أن الممسوح في التيمم إلى المناكب والآباط نظر إلى أن مسمى
اليد يطلق على جميعها ومن ذهب إلى أن الممسوح في التيمم إلى المرفقين قال إن التيمم يدل عن
الوضوء واليد المغسولة في الوضوء هي الممسوحة في التيمم فيحمل المطلق الذي في قوله تعالى
فامسحوا بوجوهكم وأيديكم على المقيد الذي في قوله تعالى في آية الوضوء فاغسلوا وجوهكم
وأيديكم إلى المرافق وأجاب من ذهب إلى هذا عن حديث عمار بأن المراد منه بيان صورة
الضرب وليس المراد منه جميع ما يحصل به التيمم .

(فصل) وأركان التيمم خمسة : الأول تراب طاهر خالص له غبار يعلق بالوجه واليدين
ويجوز بالرمل إذا كان عليه غبار. الثاني قصد الصعيد فلو تعرض لمهب الريح لم يكفه أو بمحبه
غيره باذنه مع مجزء جاز وإن كان قادرا فوجهان . الثالث نقل التراب إلى الوجه واليدين. الرابع
نية استباحة الصلاة فلو نوى رفع الحدث لم يصح وأكمله أن ينوي استباحة الفرض والنقل .
الخامس مسح الوجه واليدين إلى المرفقين بضربتين والترتيب ولا يصح التيمم لصلاة لا بعد
دخول وقتها ولا يجوز الجمع بين صلاتي فرض تيمم واحد وهو قول علي وابن عباس وابن
عمر وبه قال الشعبي والشعبي وقتادة وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وذهب جماعة
إلى أن التيمم كالوضوء فيجوز تقديمه على الوقت ويجوز أن يصلى به ماشاء من الفرائض ما لم
يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والزهري والثوري وأصحاب الرأي وانفقوا على أنه
يجوز أن يصلى بتيمم واحد ماشاء من التوافل قبل الترض وبعده إلى أن يدخل وقت الصلاة
الأخرى وأن يقرأ القرآن إن كان جنباً ويشترط طلب الماء في السفر بأن يطلبه في رحله وعند
رفقائه وإن كان في صحراء ولا حائل دون نظره نظره حواليه وإن كان دون نظره حائل قريب
من تل أو جندا رأوا نحوه عدل عنه لأن الله تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ولا يقال لم يجد
إلا لمن طلب ولا يشترط طلب عند أي حنيفة فإن رأى الماء ولا يقدر عليه لما نفع من عدو أو
سبي يمنع من الذهاب إليه أو كان الماء في بئر وليس معه آلة الاستقاء فهو كالعدم في تيمم
ويصلى ولا إعادة عليه والله أعلم . وقوله تعالى (إن الله كان عفوا) يعني يتجاوز عن ذنوب
عباده ويعفو ويصفح عنهم (غفورا) ستورا على عباده يغفر الذنوب ويسرها وفيه تنبيه على
بالعصا ولو كان مجرد الضرب كافيا لما كان حته وذهب الزهري إلى أنه يمسح اليدين إلى المنكبين لما روى عن عمار

قال تيممنا إلى المناكب وذلك حكاية فعله لم ينقله عن النبي صلى الله عليه وسلم كما روى أنه قال أجنبت فتيممكت في
 التراب فلما سألت النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالوجه والكفين وذهب جماعة إلى أن التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين
 وهو قول علي وابن عباس رضي الله عنهم وبه قال الشعبي وعطاء بن أبي رباح ومكحول ، وإليه ذهب الأوزاعي وأحمد
 وإسحاق واحتجوا بما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله الأيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا آدم
 أنا شعبة أخبرنا الحكم عن زر عن سعيد بن عبد الرحمن بن أزي عن أبيه قال جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 فقال إني أجنبت فلم أصب الماء فقال عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب أما تذكر إنا كنا في سفر أنا وأنت فأما أنت فلم تصل
 وأما أنا فتيممكت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان يكفيت هكذا ضرب
 النبي صلى الله عليه وسلم بكفيه الأرض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه وقال محمد بن إسماعيل أنا محمد بن كثير عن
 شعبة بأسناده فقال عمار لعمر رضي الله عنه تيممكت فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يكفيك الوجه والكفان وفي الحديث
 دليل على أن الجنب إذا لم يجد الماء يصلى بالتيمم وكذلك الخائف والفساء إذا طهرنا وعدمتا الماء ، وذهب عمر وابن مسعود
 رضي الله عنهما إلى أن الجنب لا يصلى بالتيمم بل يؤخر الصلاة إلى أن يجد الماء فيغتسل وحمله قوله تعالى أو لمستم النساء على
 اللمس باليد دون الجماع وحديث عمار رضي الله عنه حجة وكان عمر نسي ما ذكر له عمار فلم يفتح بقوله ، وروى أن ابن
 مسعود رضي الله عنه رجوع عن قوله وجوز التيمم للجنب والدليل عليه أيضا ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا
 عبدالعزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا إبراهيم بن محمد عن عباد بن منصور عن أبي رجا
 العطاردي عن عمران بن حصين رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر رجلا كان جنبا أن يتيمم ثم يصلى فإذا وجد
 الماء اغتسل وأخبرنا عمر بن (٥٤٠) عبدالعزيز أنا أبو القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي التؤلؤي أنا أبو داود

السجستاني أنا مسدد أنا خالد الواسطي عن خالد
 الخذاء عن أبي عمرو
 ابن بجدان عن أبي زر

رضي الله عنهم قال اجتمعت غنيمة من الصدقة عند رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال يا أباذر أريد فيها فيدوت إلى الربرة وكانت تصدني الجبابرة فأمكنك الخمس والست فأبى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال أبوذر فسكت فقال ولئن كنت أملك يا أباذر لأملك الويل فداء تجارية سوداء فجاءت بعس فيه
 ماء فسترته بيوب واستترت بالراحلة فاغتسلت فكأنني ألقيت عني جبلا فقال الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو إلى عشر سنين
 فإذا وجدت الماء فأمسه جلده فان ذلك خير ومسح الوجه واليدين في التيمم تارة يكون بدلا عن غسل بعض أعضاء الطهارة
 بأن يكون على بعض أعضاء طهارته جراحة لا يمكنه غسل محلها فعليه أن يتيمم بدلا عن غسله ولا يصح التيمم للصلاة الوقت
 إلا بعد دخول الوقت ولا يجوز أن يجمع بين فريقتين يتيمم واحد لأن الله تعالى قال وإذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم
 إلى أن قال فلم تجدوا ماء فتيمموا فظاهر الآية يدل على وجوب الوضوء أو التيمم إذا لم يجد الماء عند كل صلاة إلا أن الدليل
 قد قام في الوضوء فإن النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم فتح مكة الصلوات بوضوء واحد فبقي التيمم على ظاهره وهذا قول علي وابن عباس
 وابن عمر رضي الله عنهم وبه قال الشعبي والنخعي وقتادة وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وذهب جماعة إلى أن التيمم
 كالطهارة بالماء يجوز تقديمه على وقت الصلاة ويجوز أن يصلى به ماشاء من القرائن ما لم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب
 والحسن والزهرى والثوري وأصحاب الرأي وانفقوا على أنه يجوز أن يصلى يتيمم واحد مع المبريضة ماشاء من النوافل قبل
 للمريضة وبعدها وأن يقرأ القرآن إن كان جنبا وإن كان تيممه بعذر السفر وعدم الماء فيشترط طلب الماء وهو أن يظلم في
 رحله ومن رفقائه وإن كان في صحراء ولا حائل دون نظره حوله وإن كان دون نظره حائل قريب من تل أو جدار عند
 حده لأن الله تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ولا يقال لم يجد إلا لمن طلب وعند أبي حنيفة رضي الله عنه طلب الماء ليس بشرط
 فإن رأى الماء ولكنه بينه وبين الماء حائل من عدو أو سبيع يمنعه من الذهاب إليه أو كان الماء في البئر وليست معه آلة الاستقاء
 فهو كالمعلوم يصلى بالتيمم وللإعادة عليه قوله عز وجل (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) يعني يهود المدينة

أن الله تعالى رخص لعباده أمر العبادات ودررها عليهم لأن من كانت عبادته أن يغفر الذنوب
 ويعفو عنها كان أولى بأن يرخص للعاجزين أمر العبادات قوله عز وجل (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا
 من الكتاب) نزلت في يهود المدينة وقال ابن عباس نزلت في رفاة بن زيد ومالك بن دحشم

اليهوديين

قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دحشم كانا إذا تكلم رسول الله ﷺ لويبا لسانهما وعاباه فأُنزل الله تعالى هذه الآية (يشترون) يستبدلون (الضلالة) يعني بالهدى (٥٤١) (ويريدون أن تضلوا السبيل) أي عن

السبيل يامعشر المؤمنين (والله أعلم بأعدائكم)
منكم فلا تنصحوهم فانهم أعداؤكم (وكفى بالله وليا وكييا بالله نصيرا) قال الزجاج اكنفوا بالله وليا واكنفوا بالله نصيرا (من الذين هادوا) قيل هي متصلة بقوله ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل هي مستأنفة معناه من الذين هادوا من يعرفون كونه تعالى وما من إلا له مقام معلوم أي من له منزلة معلومة يريد فريق (يعرفون الكلم) يغيرون الكلم (عن مواضعه) يعني صفة محمد ﷺ قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت اليهود يأتون رسول الله ﷺ ويسألونه عن الأمر فيخبرهم به فيرى أنهم يأخذون بقوله فإذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه وقيل المراد بالتحريف القاء الشبهة الباطلة والنأويلات الفاسدة وهو تحريف اللفظ عن معناه الحق إلى معنى باطل (ويقولون سمعنا وعصينا) يعني سمعنا قولك وعصينا أمرك وذلك أنهم كانوا إذا أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بأمر قالوا في الظاهر سمعنا وقالوا في الباطن عصينا وقيل إنهم كانوا يظهرون ذلك القول عنادا واستخفافا (واسمع غير مسمع) هذه كلمة تحتل المدح والذم فأما معناها في المدح اسمع غير مسمع مكروها وأما معناها في الذم فانهم كانوا يقولون اسمع منا ولا نسمع منك وقيل إنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون في أنفسهم لاسمعت وقيل معناه غير مقبول منك ما تدعو إليه وقيل معناه غير مسمع جوابا يوافقك ولا كلاما ترفضيه (وراعنا) أي ويقولون راعنا يريدون بذلك نسبة إلى الرعونة وقيل معناه أرعنا سمعك أي اصرف سمعك إلى كلامنا وأنصت إلى قولنا ومثل هذا لا يخاطب به الأنبياء بل إنما يخاطبون بالإجلال والتعظيم والتبجيل والتفخيم (ليا بالسنتهم وطعنا في الدين) أصله لويبا لأنه من لويت الشيء إذا فتلته والمعنى أنهم يفتلون الحق فيجعلونه باطلا لأن راعنا من المراعاة فيجعلونه من الرعونة وكانوا يقولون لأصحابهم إنما نشتمه ولا يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فأظهره الله تعالى على عيب ضارهم ومافى قلوبهم من العداوة والبغضاء ثم قال تعالى (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا) يعني ولو أنهم قالوا بدل سمعنا وعصينا سمعنا وأطعنا (واسمع) يعني بدل قوهم لاسمعت (وانظرنا) يعني بدل قوهم راعنا أي

اليهوديين كانا إذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويبا ألسنتهما وعاباه فأُنزل الله تعالى ألم تر يعني ألم ينته علمك يا محمد إلى هؤلاء الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يعني أعطوا حظا من علم التوراة وذلك أنهم عرفوا نبوة موسى من التوراة وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم منها فلذلك أتى عن النبي صلى الله عليه وسلم قول للتعويض وقيل إنهم عداوا التوراة ولم يؤتوا العمل بها (يشترون الضلالة) يؤثرون تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ليأخذوا بذلك الرشوة يحصل لهم الرئاسة وإنما ذكر بلفظ الشراء لأنه استبدال شيء بشيء وقيل فيه إضمار يعني يستبدلون الضلالة بالهدى (ويريدون) يعني اليهود (أن تضلوا السبيل) يعني عن السبيل والمعنى أنهم يتوصلون إلى إضلال المؤمنين والتلبيس عليهم لكي يجتنبوا الإسلام (والله أعلم بأعدائكم) يعني أنه سبحانه وتعالى أعلم بكنية مافى قلوب اليهود من العداوة والبغضاء لكم يامعشر المؤمنين فلا تنصحوهم فانهم أعداؤكم (وكفى بالله وليا) يعني متوليا أمركم والقائم به ومن كان الله تعالى وليه لم يضره أحد (وكفى بالله نصيرا) يعني فهو ينصركم عليهم فثقوا بولايته ونصره . وقوله تعالى (من الذين هادوا) قيل هو بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب والتقدير ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل هو متعلق بما قبله والتقدير وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا وقيل هو ابتداء كلام وفيه حذف تقديره من الذين هادوا قوم (يعرفون الكلم) أي يزبلونه ويغيرونه ويبدلونه (عن مواضعه) يعني يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقال ابن عباس كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن الأمر فيخبرهم به فيرى أنهم يأخذون بقوله فإذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه وقيل المراد بالتحريف القاء الشبهة الباطلة والنأويلات الفاسدة وهو تحريف اللفظ عن معناه الحق إلى معنى باطل (ويقولون سمعنا وعصينا) يعني سمعنا قولك وعصينا أمرك وذلك أنهم كانوا إذا أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بأمر قالوا في الظاهر سمعنا وقالوا في الباطن عصينا وقيل إنهم كانوا يظهرون ذلك القول عنادا واستخفافا (واسمع غير مسمع) هذه كلمة تحتل المدح والذم فأما معناها في المدح اسمع غير مسمع مكروها وأما معناها في الذم فانهم كانوا يقولون اسمع منا ولا نسمع منك وقيل إنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون في أنفسهم لاسمعت وقيل معناه غير مقبول منك ما تدعو إليه وقيل معناه غير مسمع جوابا يوافقك ولا كلاما ترفضيه (وراعنا) أي ويقولون راعنا يريدون بذلك نسبة إلى الرعونة وقيل معناه أرعنا سمعك أي اصرف سمعك إلى كلامنا وأنصت إلى قولنا ومثل هذا لا يخاطب به الأنبياء بل إنما يخاطبون بالإجلال والتعظيم والتبجيل والتفخيم (ليا بالسنتهم وطعنا في الدين) أصله لويبا لأنه من لويت الشيء إذا فتلته والمعنى أنهم يفتلون الحق فيجعلونه باطلا لأن راعنا من المراعاة فيجعلونه من الرعونة وكانوا يقولون لأصحابهم إنما نشتمه ولا يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فأظهره الله تعالى على عيب ضارهم ومافى قلوبهم من العداوة والبغضاء ثم قال تعالى (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا) يعني ولو أنهم قالوا بدل سمعنا وعصينا سمعنا وأطعنا (واسمع) يعني بدل قوهم لاسمعت (وانظرنا) يعني بدل قوهم راعنا أي

يقولون للنبي ﷺ اسمع ثم يقولون في أنفسهم لاسمعت (وراعنا) أي ويقولون راعنا يريدون به النسبة إلى الرعونة (ليا بالسنتهم) تحريفا (وطعنا) قدحا (في الدين) لأن قوهم راعنا من المراعاة وهم يعرفونه يريدون به الرعونة (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا)

أى انقار إليهما مكان قوام راعنا (لكان خيرا لهم وأقوم) أى أعدل وأصوب (ولكن لعنهم الله بكثرهم فلا يؤمنون إلا قليلا)
إلا نقرأ قليلا منهم وروى عبد الله بن سلام ومن أسلم معه منهم قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا الكتاب) يخاطب اليهود (آمنوا
بما نزلنا) يعنى القرآن (مصدق لما معكم) يعنى التوراة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كلف أخبار اليهود عبد الله بن سوريا
وكعب بن الأشرف فقال يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلوا الله واتقوا الله إنكم لتعلمون أن الذى حثتكم به الحق قالوا

ما نعرف ذلك وأصروا
على الكفر وأزالت هذه
الآية (من قبل أن نطمس
وجوهها) قال ابن عباس
تبعها كخف البعير
وقال قتادة والضحاك
نعيا والمراد بالوجه
العين (فتردها على
أدبارها) أى نطمس
الوجه فتردها على القفا
وقبل يجعل الوجود منابت
الشرك ووجه التردد لأن
منابت شعور آدميين
في أدبارهم دون وجوههم
وقيل معناه نحو آثارها
وما فيها من أدنى وعين
وقم وحاجب وتجعلها
كالإقفاء وقيل تجمل
عينية على الإقفاء فيمشى
قهقرى روى أن عبد الله
ابن سلام رضى الله عنه لما
سمع هذه الآية جاء إلى
النبي صلى الله عليه وسلم
قبل أن يأتى أهله وبادع على
وجهه وأسلم وقال
يا رسول الله ما كنت
أرى أن أصل إليك حتى
يتحول وجهى في قفاى
وكذلك كعب الأخبار

أى انظر إلينا (لكان خيرا لهم) يعنى عند الله (وأقوم) يعنى أعدل وأصوب (ولكن لعنهم الله)
يعنى طردهم وأبعدهم عن رحمته (بكثرهم) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم (فلا يؤمنون
إلا قليلا) يعنى فلا يؤمن من اليهود إلا نقرأ قليل مثل عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل أراد بذلك القليل
هو اعتراضهم بأن الله خلقهم ورزقهم. قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا الكتاب) يخاطب لليهود (آمنوا
بما نزلنا) يعنى القرآن (مصدق لما معكم) يعنى التوراة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كلف أخبار اليهود
عبد الله بن سوريا وكعب بن الأشرف فقال يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلوا الله واتقوا الله إنكم لتعلمون
إن الذى حثتكم به الحق قالوا ما نعرف ذلك وأصروا على الكفر فأزول الله هذه الآية وأمرهم
بالإيمان وقرن بهذا الأمر الوعيد الشديد فقال تعالى (من قبل أن نطمس وجوهها) أصل الطمس
إزالة الأثر بالحو وذكروا في المراد بالطمس هاهنا وجهين : أحدهما أن يحمل على حقيقته
والثانى أن يحمل على مجازة أما من حملة على الحقيقة فقال هو محو تخطيط صور
الوجه قال ابن عباس يجعلها كخف البعير وقيل نعيا فيكون المراد بالوجه العين
(فتردها على أدبارها) يعنى تبعها على هيئة أدبارها وهى الإقفاء وقيل تدبرها فنجعل الوجوه
إلى خلف والإقفاء إلى قدام وإنما جعل الله هذا عقوبة لهم لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة
والنصيحة وعنه هذا يحصل لهم الغم وتكثر الحسرات فعلى هذا يكون هذا الوعيد مختصا
بيوم القيامة. وأما من حمل الطمس على انقار فقال المراد به نطمسها عن الهدى فتردها على
أدبارها يعنى على ضالتها وقيل المراد بالطمس طمس القلب والبصيرة فتردها على أدبارها
يعنى بتغيير أحوالهم فتلبسهم الصغار والذئبة بعد العز وقيل المراد بالطمس محو آثارهم من المدينة
وردهم إلى أذرعات وأريحاء من أرض الشام من حيث جاءوا وهو إجلال بنى النضير فان قلت
قد أوعدهم وهددهم بطمس الوجوه إن لم يؤمنوا ولم يؤمنوا فلم يفعل بهم ذلك قلت هذا
الإشكال إنما يرد على من فسر الطمس بتغيير الوجوه ومحو تخطيطها وحمله على الحقيقة
والجواب عنه إن هذا مشروط بعدم الإيمان وقد آمن منهم ناس فرجع عن الباقيين وروى أن
عبد الله بن سلام لما سمع هذه الآية جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتى
أهله فأسلم وقال يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهى إلى
قفاى وكذلك روى عن كعب الأخبار أنه لما سمع هذه الآية في خلافة عمر بن الخطاب
أسلم وقال يارب أسلمت مخافة أن يصيبنى وعيد هذه الآية فكان هذا الوعيد مشروطا
بأن لا يؤمن أحد منهم وهذا الشرط لم يوجد لأنه آمن منهم جمع كثير في زمن النبي صلى الله
عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه ففقد الشرط لفوات المشروط وقيل إن الطمس باق
في اليهود فيكون فيهم طمس ومسح قبل يوم القيامة وقيل إنه تعالى جعل الوعيد بأحد شيتين

لما سمع هذه الآية أسلم في زمن عمر رضى الله عنه فقال يارب آمنت يارب أسلمت مخافة
أب بصيبي وعيد هذه الآية فان قيل قد أوعدهم الله بالطمس إن لم يؤمنوا ولم يؤمنوا ولم يفعل بهم ذلك قيل هذا الوعيد باق
ويكون طمس ومسح في اليهودية قبل قيام الساعة وقيل هذا كان وعيد بشرط فلما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه دفع ذلك

لمع الباقيين وقيل أراد به في القيامة وقال مجاهد أراد بقوله نطمس وجوها أي تركهم في الضلالة فيكون المراد طمس وجه القلب والرد عن بصائر الهدى على أدبارها في الكفر والضلالة وأصل الطمس المحو والإفساد والتحويل وقال ابن زيد نحو أنزهم من وجوههم وتواصهم التي هم بها فردوها على أدبارها حتى يعودوا إلى حيث جاءوا منه وهو الشام وقال قد مضى ذلك وتأوله في إجلاله بنى النصير إلى أذرعات وأريحاء من الشام) أو نلهم (٥٤٣) كما لعنا أصحاب السبت)

فجعلهم قردة وخنزير
(وكان أمر الله مفعولا)
(إن الله لا يغفر أن يشركه
به) قال الكلبي نزلت
في وحشي بن حرب
وأصحابه وذلك أنه لما
قتل حمزة كان قد جعل
له على قتله أن يعتق فلم
يوف له بذلك فلما قدم
مكة ندم على صنيعه هو
وأصحابه فكتبوا إلى رسول
الله ﷺ إنا قد ندمنا على
الذي صنعنا وأنه ليس
بعتنا عن الإسلام إلا
أنا سمعناك تقول وأنت
بمكة، والذين لا يدعون
مع الله إلها آخر الآيات
وقد دعونا مع الله إلها
آخر وقتلنا النفس التي
حرم الله وزيننا فلولا
هذه الآيات لا تبعناك
فنزلت إلا من تاب وآمن
وعمل عملا صالحا الآيتين
فبعث بهما رسول الله
ﷺ إليهم فلما قرءوا
كتبوا إليه إن هذا شرط
شديد نخاف أن لا نعمل
صالحا فنزل إن الله

إما بالطمس أو باللعة وهو قوله تعالى (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) أي نجعلهم قردة كما فعلنا بأوثانهم وقيل المراد من لعنهم الطرد والإبعاد من الرحمة والكتابة في لعنهم تعود إلى الخطابين في قوله تعالى يا أيها الذين أتوا الكتاب وهذا على طريقة الالتفات كما في قوله تعالى حتى إذا كنتم في القللك وجرين بهم يريح طيبة وقد يحتمل أن يكون معناه من قبل أن نطمس وجوها فردوها ونلعن أصحاب الوجوه فنجعل الكتابة في قوله أو نلعنهم عن ذكر أصحاب الوجوه إذا كان في الكلام دلالة عليهم. وقوله تعالى (وكان أمر الله مفعولا) يعني لا يبد وأن يقع بهم ذلك إن لم يؤمنوا فلا راد لحكمه ولا ناقض لأمره على معنى أنه لا يمنع عليه شيء يريد أن يفعله وقيل معناه وكان مأمور الله مفعولا والأمر هنا في موضع المأمور سمي أمرا لأنه عن أمره كان. قوله عز وجل (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) قال ابن جرير الطبري معناه يا أيها الذين أتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا فإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فعلى هذا يكون في الآية دلالة على أن اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع وقيل أن الآية نزلت في وحشي وأصحابه وذلك لما قتل حمزة رضي الله عنه ورجع إلى مكة ندم هو وأصحابه فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا ندمنا على ما صنعنا وأنه ليس بعتنا عن الإسلام إلا إنا سمعناك بمكة تقول والذين لا يدعون مع الله إلها آخر إلى آخر الآيات وقد دعونا مع الله إلها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزيننا فلولا هذه الآيات لا تبعناك فنزلت إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآيتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فلما قرءوا وحما كتبوا إليه إن هذا شرط شديد ونخاف أن لا نعمل عملا صالحا فنزلت إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث إليهم فبعثوا إنا نخاف أن لا نكون من أهل المشيئة فنزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فبعث بها إليهم فدخلوا في الإسلام ورجعوا إلى النبي ﷺ فقبل منهم ثم قال لو وحشي أخبرني كيف قتلت حمزة؟ فلما أخبره قال ويحك غيب وجهك عني فالحق بالشام فكان به إلى أن مات وقيل لما نزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية قام رجل فقال يا رسول الله والشرك؟ فسكت ثم قام إليه مرتين أو ثلاثا فنزلت هذه الآية ومعنى الآية أن الله لا يغفر لمشرك مات على شركه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء يعني ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء من أصحاب الذنوب والآثام. ففي الآية دليل على أن صاحب الكبيرة إذا مات من غير توبة فإنه في خطر المشيئة إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة بمنه وكرمه وإن شاء عذبه بالنار ثم أدخله الجنة برحمته وإحسانه لأن الله تعالى وعد المغنرة لما دون الشرك فإن مات على الشرك فهو مخلد في النار لقوله إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفي الآية رد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لا يجوز في الحكمة أن يغفر

لا يغفر أن يشرك به (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فبعث بها إليهم فبعثوا إليه إنا نخاف أن لا نكون من أهل المشيئة فنزلت وقيل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فبعث بها إليهم فدخلوا في الإسلام ورجعوا إلى النبي ﷺ فقبل منهم ثم قال لو وحشي أخبرني كيف قتلت حمزة؟ فلما أخبره قال ويحك غيب وجهك عني فالحق بالشام فكان بها إلى أن مات وقال أبو مجاز عن ابن عمر رضي الله عنهما نزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية قام رجل فقال والشرك يا رسول الله

من دينه شيء ثم قرأ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم الآية قوله تعالى (بل الله يزكي) أي يظهر ويبرئ من الذنوب ويصلح (من يشاء ولا يظلمون شيئا) وهو اسم لما في شق النواة والقطمير اسم للثمرة التي على (٥٤٥) النواة والتبرام للتقرة التي

على ظهر النواة وقبل القتل من القتل وهو ما يجعل بين الإصبعين من الوسخ عند القتل قوله تعالى (انظر) يا محمد (كيف يفترون على الله) يخشقون على الله (الكذب) في تغييرهم كتابه (وكنى به) بالكذب (إنما مينا) قوله تعالى (ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) فيها فقال عكرمة هما صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله وقال أبو عبيدة هما كل معبود يعبد من دون الله قال الله تعالى أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال عمر الجبت السحر والطاغوت الشيطان وهو الجبت الأوثان والطاغوت شياطين الأوثان ولكل صنم شيطان يعبر عنه فيغير به الناس وقال محمد بن سيرين الجبت ومكحول الكاهن والطاغوت الساحر وقال سعيد بن جبير وأبو العالية الجبت الساحر بلسان الجبشة والطاغوت الكاهن وروى عن عكرمة

أزكياهم لأنهم برموا أنفسهم من الذنوب قال تعالى ردا عليهم (بل الله يزكي من يشاء) فيجعله زاكيا (ولا يظلمون شيئا) يعني أن الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تلك الزكية من غير ظلم وقيل معناه إن الذين زكاهم الله لا ينتصون من ثواب طاعتهم شيئا والقتيل المقتول وسمى ما يكون في شق النواة فتبلا لكونه على هيئته وقيل القتل هو ما تفتله بين أصابعك من وسخ وغيره وبضرب به المثل في الشيء الحثير الذي لا قيمة له (انظر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد إلى هؤلاء اليهود (كيف يفترون على الله الكذب) يعني قولهم أنهم لا ذنوب لهم وتركيبهم أنفسهم (وكنى به) أي بذلك الكذب (إنما مينا) قوله عز وجل (ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) نزات في كعب بن الأشرف وسبعين راكبا من اليهود قدموا مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشا على النبي صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب بن الأشرف على أبي سفيان فأحسن ميثاقه ونزل باقي اليهود على قريش في دورهم أهل مكة أنهم فقال لهم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن أن يكون هذا مكر منكم فان أردتم أن نخرج معكم فاسجدوا إلى هذين الصنمين ففعلوا ذلك فلذلك قوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب بن الأشرف لأهل مكة ليحج منكم ثلاثون رجلا ومنا ثلاثون فنزلق أعبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهنن على قتال محمد ففعلوا ثم قال أبو سفيان لكمب بن الأشرف إنك امرؤا تترأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فأبنا أهدي سيلا نحن أم محمد؟ فقال كعب أعرض على دينكم فقال أبو سفيان نحن فنحز للحجيج الكوما ونستقيم الماء ونقرى الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ومحمد فارق دين آياته وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقل كعب أنتم والله أهدي سيلا مما عليه محمد فأرزل الله تعالى ألم تر بعني يا محمد إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يعني كعب بن الأشرف وأصحابه اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت يعني سجدوا للصنمين واختلف العلماء فيهما فقيل الجبت والطاغوت كل معبود دون الله تعالى وقيل هما صنمان كانا قريش وهما اللذان سجد اليهود لهما لمروسة قريش وقيل الجبت اسم للأصنام والطاغوت شياطين الأصنام ولكل صنم شيطان يعبر فيها ٧ ويكلم الناس فيغفرون بذلك وقيل الجبت الكاهن والطاغوت الساحر عن قطن بن قبيصة عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت أخرجه أبو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة هي زجر الطير وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا خرج لأمر زجر طير فاذا أخذ ذات اليمين مضى في حاجته وإذا أخذ ذات الشمال رجع فتهوا عن ذلك والطرق هو ضرب الحجارة والحصا على طريق الكهانة فتهوا عنه والطيرة هو أن يتطير بالشيء فيرى الشؤم فيه والشؤم منه وقيل هو من التطير وهو زجر الطائر والخط هو ضرب الرمل لاستخراج الضمير وقيل الجبت كل ما جرم الله تعالى والطاغوت كل ما يظني الإنسان وقيل الجبت هو حبي بن أخطب والطاغوت كعب بن الأشرف اليهوديان وكانا طاغية اليهود

(٦٩ - مخازن بالبعوى - أول) الجبت بلسان الجبشة شيطان وقال الضحاك الجبت حبي بن أخطب والطاغوت كعب ابن الأشرف دليله قوله تعالى يريدون أن يتحاكوا إلى الطاغوت أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسن بن بشران

ألا إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن عوف العبدى عن حيان عن قطن بن قبيصة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «العيافة والطرق والطيبة من الجيت» وقيل الجيت كل ما حرم الله والطاغوت كل ما بطغى الإنسان (ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) قال المفسرون خرج كعب بن الأشرف في سبعين راكبا من اليهود إلى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشا على رسول الله ﷺ ويتقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب على أبي سفيان فأحسن مناهه ونزلت اليهود في دور قريش فقال أهل مكة إنكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نؤمن أن يكون هذا مكرا منكم فان أردتم أن نخرج معكم فاصعدوا لذين الصنبن وآمنوا بهما ففعلوا ذلك فذلك قوله تعالى يؤمنون بالجهت والطاغوت ثم قال كعب لأهل مكة ليحيى منكم ثلاثون ومنا ثلاثون ، فنزلق أكبادنا بالكعبة فتماهد رب هذا البيت (٥١٦) لنجهنن على قتال محمد ففعلوا ثم قال أبو سفيان لكعب إنك امرؤ تقرأ

(ويقولون) يعني كعب بن الأشرف وأصحابه (الذين كفروا) يعني لكفار قريش (هؤلاء) يعني أنتم يا هؤلاء (أهدى من الذين آمنوا سبيلا) يعني طريقا (أولئك الذين لعنهم الله) يعني كعب بن الأشرف وأصحابه (ومن يلعن الله) يعني يطرده من رحمته (فلن نجد له نصيرا) يعني ينصره . قوله تعالى (أم لم نصيب من الملك) هذا استفهام إنكار يعني ليس لهم من الملك شيء البتة وذلك أن اليهود كانوا يقولون نحن أولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فأكذبهم الله تعالى وأبطل دعواهم (فاذا لا يؤتون الناس نقيرا) هذا جواب وجزاء لمضمر تقديره ولئن كان لهم نصيب وحظ من الملك فلا يؤتون الناس منه نقيرا وصفهم بالبخل في هذه الآية ووصفهم بالبخل في الآية المتقدمة ووصفهم بالحسد في الآية الآتية وهذه الحاصل كلها مذمومة فكيف يدعون الملك وهي حاصلة فيهم والنقير هو النقطة التي تكون على ظهر النواة ومنها تبت النخلة ويضرب به المثل في الشيء الخفي النافه الذي لا قيمة له . قوله عز وجل (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) أصل الحسد تمنى زوال النعمة عن هو مستحق لها وربما يكون ذلك مع سعي في زوالها ووصف الله اليهود بشر خصلة وهي الحسد والمراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم وحده وإنما جاز أن يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد لأنه صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والبركة ما لا يجتمع مثله في جماعة ومن هذا القبيل يقال فلان أمة وحده يعني أنه يقوم مقام أمة وقيل المراد بالناس النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لأن لفظ الناس جمع وحمله على الجمع أولى والمراد بالفضل النبوة لأنها أعظم المناصب وأشرف المراتب وقيل حسدوه على ما أحل الله له من النساء وكان له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان نبيا لشغله أمر النبوة عن الاهتمام بأمر النساء فأكذبهم الله تعالى ورد عليهم بقوله (فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة) يعني أنه قد حصل في أولاد إبراهيم صلى الله عليه وسلم جماعة كثيرون جمعوا بين الملك والنبوة مثل داود وسليمان عليهما السلام فلم يشغلهم الملك عن أمر النبوة والمعنى كيف يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم

الكتاب وتعلم ونحن أميون لا تعلم فأينا أهدى طريقا نحن أم محمد؟ قال كعب أعرضوا على دينكم فقال أبو سفيان نحن نتحرر للحجج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ومحمد فارق دين آباءه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا التديم ودين محمد الحديث فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد وأصحابه فأنزل الله تعالى ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يعني

كعبا وأصحابه يؤمنون بالجهت والطاغوت يعني الصنبن ويقولون للذين كفروا أبي سفيان وأصحابه هؤلاء أهدى من الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم سبيلا ديننا (أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن نجد له نصيرا أم لهم) يعني لهم واليم صلة (نصيب) حظ (من الملك) وهذا على جهة الإنكار يعني ليس لهم من الملك شيء ولو كان لهم من الملك شيء (فاذا لا يؤتون الناس نقيرا) حسدهم ويخلفهم. النقير النقطة التي تكون في ظهر النواة ومنها تبت النخلة وقال أبو العالية هو نثر الرجل الشيء بطرف أصبعيه كما ينقر الدرهم (أم يحسدون الناس) يعني اليهود ويحسدون الناس قال قتادة المراد بالناس العرب حسدهم اليهود على النبوة وما أكرمهم الله تعالى بمحمد ﷺ وقيل أراد محمدا ﷺ وأصحابه وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وجماعة المراد بالناس رسول الله ﷺ وحده حسدوه على ما أحل الله له من النساء وقالوا ماله لهم إلا النكاح وهو المراد من قوله (على ما آتاهم الله من فضله) وقيل حسدوه على النبوة ، وهو المراد من الفضل المذكور في الآية (فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة) أراد بال إبراهيم داود وسليمان وبالكتاب ما أنزل الله

لبيهم وبالْحِكْمَةِ النبوة (وآيتناهم ملكا عظيما) فمن فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان عليهما السلام بكثرة النساء فإنه كان لسليمان ألف امرأة ثلاثمائة حرة وسبعمائة سرية وكان لداود مائة امرأة ولم يكن يومئذ لرسول الله ﷺ إلا تسع نسوة فلما قال لهم ذلك سكنوا قال الله تعالى (فمنهم من آمن به) يعني بمحمد ﷺ وهم عبد الله بن سلام وأصحابه (ومنهم من صد عنه) أعرض عنه ولم يؤمن به (وكفى بجهنم سعيرا) وقودا وقيل الملك العظيم ملك سليمان وقال السدي الماء في قوله من آمن به وصد عنه راجعة إلى إبراهيم وذلك أن إبراهيم زرع ذات سنة وزرع الناس فهلك زرع الناس وزكا زرع إبراهيم عليه السلام فاحتاج إليه الناس فكان يقول من آمن بي أعطيته (٥١٧) فمن آمن به أعطاه ومن لم يؤمن

به منعه قوله تعالى (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا) (كلمة) (نضجت) (أحرقت) (جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) غير الجلود المحترقة قال ابن عباس رضي الله عنهما يدلون جلودا بيضاء كأمثال القراطيس وروى أن هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله عنه فقال عمر رضي الله عنه للتارئ أعدها فأعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في كل ساعة مائة مرة فقال عمر رضي الله عنه هكذا سمعت رسول الله ﷺ قال الحسن تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا

على ما آتاه الله من فضله وقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وأنهم لاتبصرون والمراد بالكتاب التوراة وبالْحِكْمَةِ النبوة (وآيتناهم ملكا عظيما) يعني فلم يشغلهم عن النبوة فمن فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان بكثرة النساء فإنه كان لداود مائة امرأة وسليمان ألف امرأة ثلاثمائة حرة وسبعمائة سرية ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ إلا تسع نسوة ولما لم يكن ذلك مستبعدا في حقهم ولا نقصا في نبوتهم فلا يكون مستبعدا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ولا نقصا في نبوته (فمنهم) يعني من اليهود (من آمن به) أي بالنبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل إليه كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومنهم من صد عنه) أي أعرض عنه ولم يؤمن به (وكفى بجهنم سعيرا) يعني وكفى في عذاب من لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم سعيرا. قوله تعالى (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا) هذا وعيد من الله عز وجل للذين أقاموا على كفرهم وتكذيبهم بما أنزل الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود وغيرهم من سائر الكفار والمعنى إن الذين جحدوا ما أنزلت على رسول محمد من آيات الدالة على توحيدى وصدق رسول محمد صلى الله عليه وسلم سوف نصليهم نارا أي ندخلهم نارا نشويهم فيها (كلمة) (نضجت) (جلودهم) يعني احترقت (بدلناهم جلودا غيرها) يعني غير الجلود المحترقة قال ابن عباس يدلون جلودا بيضاء كأمثال القراطيس وروى أن هذه الآية قرئت عند عمر ابن الخطاب فقال عمر للتارئ أعدها فأعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في كل ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره البغوي بغير سند وقال الحسن تأكلهم النار في كل يوم سبعين ألف مرة (ق) عن أبي هريرة يرفعه ما بين منكبى الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع (م) عنه قال: قال رسول الله عليه وسلم «ضرس الكافر أو قال ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام». فان قلت كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم تعص؟ قلت يعاد الجلد الأول في كل مرة وإنما قال جلودا غيرها لتبدل صفتها كما تقول صغت من خاتمي خاتما غيره، فالثاني هو الأول غير أن الصناعة بدلت الصفة وقيل إن العذاب للجملته الحساسة وهي النفس التي عصت فإذا كان كذلك فغير مستحيل إن الله يخلق للكافر في كل ساعة من الجلود

فيعودون كما كانوا أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا معاذ بن أسيد أنا الفضل بن موسى أنا الفضيل عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ما بين منكبى الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد بن عيسى الجلودى أنا إبراهيم ابن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا شريح بن يونس أنا حميد بن عبد الرحمن عن الحسن بن صالح عن هرون بن سعد عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام» فان قيل كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم تعصه قيل يعاد الجلد الأول في كل مرة وإنما قال جلودا غيرها لتبدل صفتها كما تقول صنعت من خاتمي خاتما غيره فالخاتم الثاني هو الأول إلا أن الصناعة تبدلت ولكن يترك أخاه

صيحاً ثم بعد مدة يراه مريضاً دنفاً فيقول أنا غيري الذي عهدت وهو عين الأول إلا أن صفته تغيرت ، وقال السدي يبدل
الجلد جلداً غيره من لحم الكافر (٥٤٨) ثم يعاد الجلد لما ثم يخرج من اللحم جلداً آخر وقيل يعذب الشخص

ملا عصى لتحرق ويصل إليها إليه وقيل المراد بالجلود السراويل وهو قوله وسراويلهم من
قطران ، والمعنى كلما نضجت سراويلهم واحترقت بدناهم سراويل من قطران غيرها لأن
الجلود لو احترقت لفنيت وفي فنائها راحتها وقد أخبر الله عنهم أنهم لا يموتون فيها ولا يخفف
عنهم من عذابها ولأن الجلد أحد أجزاء الجسم فنبت أن التبديل إنما هو للسراويل وقيل يبدل
الجلد من نفس الكافر فيخرج من لحمه جلداً وقيل إن الله تعالى يلبس أهل النار جلوداً
لأنهم لتكون زيادة في عذابهم كلما احترق جلد بدلم جلداً غيره ، وقوله تعالى (ليذوقوا
العذاب) أي إنما فعلنا بهم ذلك ليجدوا ألم العذاب وكرهه وشدته وإنما أتى بلفظ الذوق مع
ما يناهض من عظم العذاب الذي قالوه إخباراً بأن إحساسهم به في كل حال فاحساس الذائق
في تجديده وجدان الذوق من غير نقصان في الإحساس (إن الله كان عزيزاً) يعني في انتقامه ممن ينتقم
من خلقه لا يغلبه شيء ولا يتمتع عليه أحد (حكياً) يعني في تدبيره وقضائه وأنه لا يفعل إلا ما هو
الصواب (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم) يعني سوف ندخلهم يوم القيامة (جنات
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) يعني باقون فيها (أبدان) يعني ذلك الخلود بغير نهاية ولا انقطاع
(لهم فيها) يعني في الجنات (أزواج مطهرة) يعني مطهرات من الحيض والنفاس وسائر أقدار
الدنيا (وندخلهم ظلاً ظليلاً) كنيئنا ذلك الظل لانتسخه الشمس ولا يؤذيهم فيه حر ولا يبرد وذلك
الظل وظل الجنة . فان قلت إذا لم يكن في الجنة شمس يؤذي حرها فافائدة وصفها بالظل الظليل ؟
قلت إنما خاطبهم بما يعقلون ويعرفون وذلك لأن بلاد العرب في غاية الحرارة فكان الظل عندهم
من أعظم أسباب الراحة واللذة فهو كقولهم وهم رزقهم فيها بكره وعشياً . قوله عز وجل (إن الله
يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) قال البغوي نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار
وكان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب البيت
وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المتفتح فقتل له إنه مع عثمان فطلب منه رسول
الله المتفتح فأبى وقال لو علمت إنه رسول الله لم أمنعه المتفتح فلوى على بن أبي طالب يده وأخذ
منه المتفتح ودخل الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج
سأله العباس أن يعطيه المتفتح وأن يجمع له بين السقاية والسدانة فأرسل الله هذه الآية فأمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم علياً أن يرد المتفتح إلى عثمان ويعتذر إليه ففعل ذلك فقال له عثمان أكرهت
ثم جئت ترفق فقال علي لقد أنزل الله عز وجل في شأنك قرآناً وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد
أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فأسلم فكان المتفتح معه إلى أن مات فدفعه إلى أخيه شيبه
فالمفتاح والسدانة في أولادهم إلى يوم القيامة . قلت وفيما ذكره البغوي رحمه الله من إسلام عثمان
ابن طلحة يوم الفتح ومنعه المتفتح وقوله لو أعلم أنه رسول الله لم أمنعه المتفتح ونظر الصحيح
ما حكاه أبو عمر بن عبد البر وابن منده وابن الأثير أن عثمان بن طلحة هاجر إلى المدينة في هجرة
الحديبية سنة ثمان مع خالد بن الوليد ولقيهما عمرو بن العاص مقبلاً من عند النجاشي فرافقهما
وهاجر معهما فلما رأهم النبي صلى الله عليه وسلم قال رمتمكم مكة بأفلاذ كبدها يعني أنهم وجوه

في الجلد لا الجلد بدليل
أنه قال ايدوقوا العذاب
ولم يقل لتذوق وقال
عبد العزيز بن يحيى إن الله
عز وجل يلبس أهل النار
جلوداً لأنهم فيكون زيادة
عذاب عليهم كذا احترق
جلد بدلم جلداً غيره
كما قال سراويلهم من
قطران فالسراويل تؤلمهم
وهي لا تألم قوله تعالى
(ليذوقوا العذاب إن الله
كان عزيزاً حكماً) والذين
آمنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من
تحتها الأنهار خالدين
فيها أبداً لهم فيها أزواج
مطهرة وندخلهم ظلاً
ظليلاً) كنيئنا لانتسخه
الشمس ولا يؤذيهم حر
ولا يبرد قوله تعالى (إن
الله يأمركم أن تؤدوا
الأمانات إلى أهلها)
نزلت في عثمان بن طلحة
الحجبي من بني عبد الدار
وكان سادن الكعبة
فلما دخل النبي ﷺ
مكة يوم الفتح أغلق عثمان
باب البيت وصعد السطح
فطلب رسول الله ﷺ

المفتاح فقتل إنه مع عثمان فطلبه منه رسول الله فأبى
وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنع المتفتح فلوى على رضى الله عنه يده فأخذ منه المتفتح فتح الباب فدخل رسول الله
ﷺ البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأله العباس المتفتح أن يعطيه ويجمع له بين السقاية والسدانة فأرسل الله تعالى

هذه الآية فأمر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عليا
 أن يرد المفتاح إلى عثمان
 ويعتذر إليه ففعل ذلك
 على رضى الله عنه فقال
 له عثمان أكرهت وآذيت
 ثم جئت رقيق فقال على
 لقد أزل الله تعالى في
 شأنك قرآنا وقرأ عليه
 الآية فقال عثمان أشهد
 أن لا إله إلا الله وأشهد
 أن محمدا رسول الله
 وكان المفتاح معه فلما
 مات دفعه إلى أخيه شيبة
 فللمفتاح والسدانة في
 أولادهم إلى يوم القيامة
 وقيل المراد من الآية
 جميع الأمانات أخبرنا
 أبو طاهر محمد بن على
 الزاد أنا أبو بكر محمد
 ابن إدريس الجرجاني
 وأبو أحمد بن محمد
 ابن أحمد العلم الهروي
 قال أنا أبو الحسن على
 ابن عيسى المساليني
 أنا الحسن بن سفيان
 القسوي ، أنا شيبان بن
 أبي شيبة أخبرنا أبو هلال
 عن قتادة عن أنس
 رضى الله عنه قال قلما
 خطبنا رسول الله صلى
 الله عليه وسلم إلا قال ولا
 لا إيمان لمن لا أمانة له
 ولا دين لمن لا عهد له ،

أهل مكة فأسلموا وسلم عثمان بن طلحة المفتاح للنبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فردده النبي
 صلى الله عليه وسلم إليه وقال خذوها يا بني طلحة خالدة مخلدة لا ينزعها منكم إلا ظلم ولم يذكروا
 سؤال العباس السدانة والله أعلم وثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر قال أقبل النبي صلى
 الله عليه وسلم عام الفتح وهو مردف أسامة على القصواء ومعه بلال وعثمان حتى أتيا عند البيت
 ثم قال لعثمان اتقنا بالمفتاح فجاءه بالمفتاح ففتح الباب وذكر الحديث وذكر ابن الجوزي في تفسير
 هذه الآية من رواية أبي صالح عن ابن عباس قال إن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طلب
 مفتاح البيت من عثمان بن طلحة فذهب ليعطيه إياه فقال العباس بأبي أنت وأمي أجمعه إلى
 مع السقاية فكف عثمان يده مخافة أن يعطيه العباس فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح
 فأعاد العباس قوله وكف عثمان يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح إن كنت تؤمن
 بالله واليوم الآخر فقال ما كره يا رسول الله بأمانة الله فأخذ المفتاح ففتح الباب ونزل جبريل
 بهذه الآية فدعا عثمان ودفعه إليه ففي هذه الرواية أيضا ما يدل على تقدم إسلام عثمان بن طلحة
 على فتح مكة لأن قوله صلى الله عليه وسلم لعثمان إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر يدل على
 ذلك فعلى هذا القول يكون الخطاب في قوله إن الله يأمركم بالعدل وهو إن
 الله أمره أن يرد مفتاح البيت إلى عثمان بن طلحة وقيل الخطاب في قوله إن الله يأمركم أن تؤدوا
 الأمانات إلى أهلها لولاة أمور المسلمين من الأمراء والحكام وغيرهم ويدل على ذلك سياق
 الآية وهو قوله وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ومعنى الآية إن الله يأمركم بأولاد
 الأمور أن تؤدوا ما اتتمتم عليه من أمور رعيتم وأن تؤفهم حقوقهم وأن تعدلوا بينهم
 وقيل إن الآية عامة في جميع الأمانات ولا يمتنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل
 في ذلك جميع الأمانات التي يحملها الإنسان وينقسم ذلك إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول رعاية
 الأمانة في عبادة الله عز وجل وهو فعل المأمورات وترك المنهيات قال ابن مسعود الأمانة لازمة
 في كل شئ حتى في الوضوء والغسل من الجنابة والصلاة والزكاة والصوم وسائر أنواع العبادات .
 القسم الثاني هو رعاية الأمانة مع نفسه وهو ما أنعم الله به عليه من سائر أعضائه فأمانة اللسان
 حفظه من الكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك وأمانة العين غضنها عن الخارم وأمانة السمع أن
 لا يشغله بسماع شئ من اللهو والفحش والأكاذيب ونحوه ثم سائر الأعضاء على نحو ذلك .
 القسم الثالث هو رعاية أمانة العبد مع سائر عباد الله تعالى فيجب عليه رد الودائع والعواري
 إلى أربابها الذين ائتمنوه عليها ولا يخونهم فيها عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث
 حسن غريب ويدخل في ذلك وفاء الكيل والميزان فلا يظفف فيها وما يدخل في ذلك أيضا عدل
 الأمراء والملوك في الرعية ونصح العلماء للامة فكل هذه الأشياء من الأمانة التي أمر الله عز
 وجل بأدائها إلى أهلها وروى البيهقي بسنده عن أنس قال قلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم إلا قال لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له . وقوله تعالى (وإذا حكمتم بين الناس
 أن تحكموا بالعدل) يعنى وإن الله يأمركم أن تحكموا بين الناس بالعدل فيجب على الحاكم
 أن يأخذ الحق ممن وجب عليه لمن وجب له وأصل العدل هو المساواة في الأشياء فكل ما خرج
 عن الظلم والاعتداء سمى عدلا قال بعض العلماء يقبى للقاضي أن يسوى بين الخصمين في خمسة
 قوله تعالى (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) أى بالتقسط

(إن الله نعم) أي نعم الشيء الذي (يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الزياتي أنا حميد بن زنجويه أنا ابن عباد بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال والمقسطون عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن وكلنا يديه يمين هم الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولواه أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم (٥٥٠) منه مجلسا إمام عادل وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم

عذابا إمام جائر
قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) اختلافوا في أولى الأمر قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهم هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد ودليله قوله تعالى وأوردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين استنبطونه منهم وقال أبو هريرة هم الأمراء والولاة وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدى الأمانة فإذا فعل ذلك فحتى على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا

أشياء في الدخول عليه والجلوس بين يديه والإقبال عليهما والامتناع منهما والحكم بالحق فيما لهما وعليهما وحاصل الأمر فيه أن يكون مقصود الحاكم بحكمته إيصال الحق إلى مستحقه وأن لا يمتزج ذلك بغيره آخر (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولواه) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأذناهم عنده مجلسا إمام عادل وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه مجلسا إمام جائر) أخرجه الترمذي وقوله تعالى (إن الله نعماء يعظكم به) وهو أداء الأمانات والحكم بالعدل (إن الله كان سميعا بصيرا) يعني أنه تعالى سميع لما تقولون وبصير بما تفعلون فإذا حكمتم فهو يسمع حكمكم وإذا أديتم الأمانة فهو يبصر فعلكم. قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) (ق) عن ابن عباس قال لما نزل قوله (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) الآية قال نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي إذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية وقال السدي نزلت في خالد بن الوليد وذلك أنه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية وفيها عمار بن ياسر فلما قربوا من القوم هربوا منهم وجاء رجل إلى عمار قد أسلم فأمنه عمار فرجع الرجل فجاء خالد فأخذ مال الرجل فقال عمار إنني قد أسلمت فقال خالد أنجبر علي وأنا الأمير فتنازعا وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجاز أمان عمار ونهاه أن يجبر الثانية على أمير فأنزل الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم وأصل الطاعة الانقياد وهو امتثال الأمر فطاعة الله عز وجل امتثال أمره فيما أمر والالتقياد لذلك الأمر وطاعة الله واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واجبة أيضا لقوله تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فأوجب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الخلق واختلف العلماء في أولى الأمر الذين أوجب طاعتهم بقوله وأولى الأمر منكم يعني وأطيعوا أولى الأمر منكم قال ابن عباس

أخبرنا أبو علي حسان بن سعد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد و
ابن محمش الزياتي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القنطاري أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر بن همام بن منبه أنا أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسدد أنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله حدثني نافع عن عبيد الله رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن محمد الراودي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد أخبرني عبيدة بن الوليد بن عباد أن أباه أخبره عن

عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى آفة
علينا وعلى أن لا تنازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم أخبرنا أبو عبد الله عبد الرحمن بن
عبيد الله بن أحمد الففال أنا أبو منصور أحمد بن الفضل البروجردى أنا أبو بكر بن محمد بن محمد بن همدان الصيرفي أنا محمد بن
يونس الكندي قال أخبرنا أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي التياح عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لأبي ذر اسمع وأطع ولو لعبد حبشي كان رأسه زبيبة أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد
الجراحي أنا أبو العباس أنا محمد بن أحمد الخبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا موسى بن عبد الرحمن الكندي أنا زيد بن الحبيب
أنا معاوية بن صالح حدثني سليم بن عامر قال سمعت أبو إمامة رضي الله عنه (٥٥١) يقول سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يخطب في حجة
الوداع فقال يا أيها الله
وصلوا خمسكم وصوموا
شهركم وأدوا زكاة
أموالكم وأطيعوا إذا
أمركم تدخلوا جنتكم
وقبل المراد أمر السرايا
أخبرنا عبد الواحد بن
أحمد المليحي أنا أحمد
بن عبد الله النعمي أنا محمد
بن يوسف أنا محمد بن
إسماعيل أنا صدقة بن
الفضل أنا حجاج بن
محمد عن يعلى بن مسلم
عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس في قوله تعالى
أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول وأولى الأمر منكم
قال نزلت في عبيد الله
بن خذافة بن قيس بن
عدي إذ بعثه النبي صلى الله
عليه وسلم في غزوة بدر

وجابهم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وجو قول الحسن والضحاك ومجاهد
وقال أبو هريرة الأمراء والولاة وهي رواية عن ابن عباس أيضا قال علي بن أبي طالب حتى
على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدى الأمانة فإذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا
ويطيعوا (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطاعني فقد أطاع الله
ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني (ق)
عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وعلى المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو
كره إلا أن يؤمر بمعصية الله فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة (بخ) عن أنس بن مالك أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه
زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله وقال ميهون بن مهران هم أمراء السرايا والبغوث وهي رواية عن
ابن عباس أيضا ووجه هذا القول إن الآية نازلة فيهم وقال عكرمة أراد بأولى الأمر أبا بكر
وعمر لما روى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إني لأدرى ما بقاني فيكم فاقتدوا
بالمذنبين من بعدى أبي بكر وعمر» أخرجه الترمذي وقيل هم جميع الصحابة لما روى عن عمر قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أصحابي كالنجوم أيهم اقتديتم اهتديتم» أخرجه زرارة
في كتابه وروى البغوي بسنده عن الحسن بن أنس قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
«مثل أصحابي في أمي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا بالملح» قال الحسن قد ذهب ملحننا فكيف
نصلح قال الطبري وأولى الأقوال بالصلح قول من قال هم الأمراء والولاة لصحة الأخبار
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان لله عز وجل طاعة
للمساءة مصاحبة وقال الزجاج وجملة أولى الأمر من يقوم بشأن المسلمين في أمر دينهم وجميع
مأدى إليه صلاحهم قال العلماء طاعة الإمام واجبة على الرعية مادام على الطاعة فإذا زال
عن الكتاب والسنة فلا طاعة له وإنما تجب طاعته فيما وافق الحق وقواه تعالى (فإن تنازعتم

عكرمة أراد بأولى الأمر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما حدثنا أبو المظفر محمد بن أحمد التهمي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان
ابن القاسم أخبرنا خزيمة بن سليمان بن حيدر الأظربلسي أنا عمرو بن أبي غزرة بالكوفة أخبرنا ثابت بن موسى العابد عن
سفيان ابن عيينة عن عبد الملك بن عمرو عن ربعي عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إني لأدرى
ما بقاني فيكم فاقتدوا بالمذنبين من بعدى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما» وقال عطاء بن الساجي المصنف في أخبار
بدر قوله تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الآية أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي قوبة أنا أبو طاهر
محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي قال أخبرنا عبد الله بن محمود أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الحلال
أنا عبد الله بن المبارك عن إسماعيل المكي عن الحسن بن أنس بن مالك رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل أصحابي
في أمي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا بالملح» قال الحسن قد ذهب ملحننا فكيف نصلح قوله عز وجل (فإن تنازعتم

اختلفتم (في شيء) من أمر دينكم والتنازع اختلاف الآراء وأصله من النزاع فكان المتنازعين يتجادبان ويثانغان (فردوه إلى الله والرسول) أي إلى كتاب الله وإلى رسوله مادام حيا وبعد وفاته إلى سنته والرد إلى الكتاب والسنة واجب إن وجد فيهما فإن لم يوجد فسيده الاجتهاد وقيل الرد إلى الله تعالى والرسول أن يقول لما لا يعلم الله ورسوله أعلم (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك) أي الرد إلى الله والرسول (خير وأحسن تأويلا) أي أحسن مآلا وعاقبة قوله تعالى (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكوا إلى الطاغوت) الآية قال الشعبي كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودي نتحاكم إلى محمد لأنه عرفته أنه لا يأخذ الرشوة ولا يميل في الحكم وقال المنافق نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ويميلون في الحكم فانفقا على أن يأتيا كاهنا في جهينة فينحاكما إليه فنزلت هذه الآية قال جابر كانت الطواغيت التي يتحاكمون إليها واحد في جهينة وواحد في أسلم وفي كل حي واحد كهان وقال الكلبي عن أبي صالح وابن عباس نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي نتطلق إلى محمد وقال المنافق بل إلى كعب ابن الأشرف وهو الذي سماه الله الطاغوت فأبى اليهودي أن يخاصمه إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك أتى معه (٥٥٢) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقض رسول الله صلى الله عليه وسلم

في شيء) يعني اختلفتم في شيء من أمر دينكم والتنازع اختلاف الآراء وأصله من النزاع الحجة وهو أن كل واحد من المتنازعين ينزع الحجة لنفسه (فردوه إلى الله والرسول) أي ردوا ذلك الأمر الذي تنازعتم فيه إلى كتاب الله عز وجل وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم مادام حيا وبعد وفاته فردوه إلى سنته والرد إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجب إن وجد ذلك الحكم في كتاب الله أخذ به فإن لم يوجد في كتاب الله ففي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإن لم يوجد في السنة فسيده الاجتهاد وقيل الرد إلى الله ورسوله أن يقول لما لا يعلم الله ورسوله أعلم (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) يعني افعلوا ذلك الذي أمرتكم به إن كنتم تؤمنون بالله وإن طاعته واجبة عليكم وتؤمنون بالميعاد الذي فيه جزاء الأعمال قال العلماء في الآية دليل على أن من لا يعتقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا بالله واليوم الآخر (ذلك خير) يعني رد الحكم إلى الله ورسوله خير (وأحسن تأويلا) يعني وأحمد عاقبة وقيل معناه ذلك أي ردكم ما اختلفتم فيه إلى الله ورسوله أحسن تأويلا منكم له وأعظم أجرا. قوله عز وجل (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكوا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) قال ابن عباس نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي

للبيودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا إلى عمر رضى الله عنه فأتيا عمر فقال اليهودي اختصمت أنا وهذا إلى محمد فنقض لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم أنه يخاصم إليك فقال عمر رضى الله عنه للمنافق أكن ذلك؟ قال نعم قال لهما رويد كما حتى أخرج إليكما فدخل عمر البيت وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج

فصرب به المنافق حتى برد وقال هكذا أضى بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت هذه الآية وقال نطلق جبريل أن عمر رضى الله عنه فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق وقال السدي كان ناس من اليهود أسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية إذا قتل رجل من بني قريظة رجلا من بني النضير قتل به أو أخذ دية مائة وسق وتمر وإذا قتل رجل من بني النضير رجلا من قريظة لم يقتل به وأعطى دية ستين وسقا وكانت النضير وهم حلفاء الأوس أشرف وأكثر من قريظة وهم حلفاء الخزرج فاجاء الله بالإسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاخصموا في ذلك فقالت بنو النضير كنا وأنتم قد اصطلحنا على أن نقتل منكم ولا تقتلونا منا ودينتكم ستون وسقا وديننا مائة وسق فنحن نعطيكم ذلك فقالت الخزرج هذا شيء كنتم فعلتموه في الجاهلية لسكنرتكم وقتلتنا فتمرتونا ونحن وأنتم اليوم إخوة وديننا ودينكم واحد فلا فضل لكم علينا فقال المنافقون منهم انطلقوا إلى أبي ردة الكاهن الأسلمي وقال المسامون من الفريقين لا بل إلى النبي ﷺ وأبي المنافقون وانطلقوا إلى أبي ردة ليحكم بينهم فقال أعظمووا اللقمة يعني الحظ فنالوا لك عشرة أوسق قال لا بل مائة وسق ديني فأبوا أن يعطوه إلا عشرة أوسق وأبى أن يحكم بينهم فأنزل الله تعالى آيتي قصاص وهذه آية (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) يريدون أن يتحاكوا إلى الطاغوت يعني إلى أبي ردة الكاهن أو كعب بن الأشرف (وقد أمروا أن يكفروا به

نطلق إلى محمد وقال المنافق بل نطلق إلى كعب بن الأشرف وهو الذي سباه الله الطاغوت فأبى اليهودي
 أن يخاصمه إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك أتى معه إلى رسول الله ﷺ
 فقضى رسول الله ﷺ لليهودي فاما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا إلى عمر فأتيا عمر
 فقال اليهودي اختصمت أنا وهذا إلى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم أنه مخاصمي
 إليك فقال عمر للمنافق أكذاك قال نعم فقال لهما عمر رويدا حتى أخرج إليكما فدخل عمر البيت
 وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا أقضى بين من لم
 يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت هذه الآية وقال جبريل إن عمر فرق بين الحق والباطل
 فسمى الفاروق وقال السدي كان ناس من اليهود قد أسلموا ونافق بعضهم وكادت قريظة
 والنضير في الجاهلية وكانت قريظة حلفاء الخزرج والنضير حلفاء الأوس وكان إذا قتل رجل
 من بني قريظة رجلا من بني النضير قتل به أو أخذت دينه مائة وسق من تمر وإذا قتل رجل
 من بني النضير رجلا من قريظة لم يقتل به وأعطى دينه ستين وسقا فلما جاء الإسلام وهاجر
 النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاختصموا في ذلك
 فقال بنو النضير كنا وأنتم قد اصطللحنا على أن نقتل منكم ولا تقتلوا منا وديننا مائة وسق ودينكم
 ستون وسقا فنحن نعطيك ذلك فقالت الخزرج هذا شيء كنتم فعلتموه في الجاهلية لكثرتكم
 وقتلنا فقهرتمونا على ذلك فالיום نحن إخوة في الدين فلا فضل لكم علينا فقال المنافقون منهم
 نطلق إلى أبي بردة الكاهن الأسلمي وقال المسلمون من الفريقين بل نطلق إلى النبي صلى الله
 عليه وسلم فأبى المنافقون وانطلقوا إلى أبي بردة الكاهن ليحكم بينهم فقال أطعموا النخلة يعني
 الخطر فقالوا لك عشرة أوسق فقال لأبل مائة وسق ديني فأبوا أن يعطوه إلا عشرة أوسق
 وأبى أن يحكم بينهم فأنزل الله عز وجل آية القصص وأنزل هذه الآية وألم تر إلى الذين يزعمون
 أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك الزعم والرغم بضم الزاي وفتحها لغتان وأكثر
 ما يستعمل الزعم بمعنى القول الذي لا يتحقق وقيل هو حكاية قول يكون مظنة للكذب ولذلك
 قيل زعم مطية الكذب والمراد به في هذه الآية الكذب لأن الآية نازلة في المنافقين وظاهر
 الآية يدل على أنها نازلة في الذين نافقوا من مؤمنى أهل الكتاب وبدل عليه قوله آمنوا بما أنزل
 إليك وما أنزل من قبلك يرون أن يتحاكموا إلى الطاغوت يعني كعب بن الأشرف في قول
 ابن عباس سباه الله طاغوتا لإفراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
 هو أبو بردة الكاهن في قول السدي وقد أمروا أن يكفروا به يعني بالطاغوت لأن الكفر
 بالطاغوت إيماناً بالله عز وجل (ويريد الشيطان أن يضلهم) يعني عن طريق الهدى والحق (ضلالا
 بعيدا وإذا قيل لهم) يعني للمنافقين (تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول) يعني هادوا إلى حكم
 الله الذي أنزله في كتابه وإلى الرسول ليحكم بينكم به (رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا)
 يعني يعرضون عنك وعن حكايتك إعراضا وأي إعراض وإنما عرض المنافقون عن حكم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم لأنهم عدوا أنه صلى الله عليه وسلم كان يحكم بينهم بالحق الصريح
 ولا يقبل الرشاش قوله عز وجل (فكيف إذا أصابتهم مصيبة) يعني فكيف حال هؤلاء المنافقين
 وكيف يصنعون إذا أصابتهم مصيبة يعجزون عنها (عما قدمت أيديهم) يعني نصيبهم عقوبة
 بسبب ما قدمت أيديهم وهو التحاكم إلى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا وعبد لهم

ويريد الشيطان أن
 يضلهم ضلالا بعيدا
 وإذا قيل لهم تعالوا إلى
 ما أنزل الله وإلى الرسول
 رأيت المنافقين يصدون
 عنك صدودا (أي
 يعرضون عنك إعراضا
 فكيف إذا أصابتهم
 مصيبة) هذا وعبد
 أي فكيف يصنعون إذا
 أصابتهم مصيبة (بما
 قدمت أيديهم) يعني
 عقوبة صدودهم وقيل
 هي كل مصيبة تصيب
 جمع المنافقين في الدنيا
 والآخرة وتم الكلام
 هاهنا ثم عاد الكلام
 إلى ما سبق يخبر عن فعلهم
 فقال

(ثم جاءوك) يعني يتحاجون الى الطاغوت ثم جاءوك أي يحثونك يخلفون وقيل أراد بالمصيبة قتل عمر رضي الله عنه المنافق
ثم جاءوا يطلبون دينه (يخلفون بالله (٥٥٤) إن أردنا) ما أردنا بالعدول عنه في الحاكمة أو بالترافع إلى عمر (إلا

إحسانا وتوفيقا) قال
الكلبي إلا إحسانا في التوفيق
وتوفيقا صوابا وقال
ابن كيسان حقا وعدلا
نظيره ليجلن إن أردنا
إلا الحسنى وقيل هو
إحسان بعضهم إلى بعض
وقيل هو تقرب الأمر
من الحق لا التضاء على
مر الحكم والتوفيق هو
موافقة الحق وقيل هو
التأليف والجمع بين
الخصمين (أولئك الذين
يعلم الله ما في قلوبهم)
من النفاق أي علم أن ما في
قلوبهم خلاف ما في
ألسنتهم (فأعرض عنهم)
أي عن عقوبتهم وقيل
فأعرض عنهم عن قبول
علمهم (وعظهم)
باللسان (وقل لهم في
أنفسهم قولا بليغا) قيل
هو التخويف بالله وقيل
أن يوعدهم بالقتل إن
لم يتوبوا. قال الحسن
القول البليغ أن يقول
لهم إن أظهرتم ما في قلوبكم
من النفاق قتلتم لأنه يبلغ
من نفوسكم كل مبلغ
وقال الضحاك فأعرض
عنهم وعظهم في الملا وقال
لهم في أنفسهم قولا بليغا
في السر والخلاء وقيل

على سوء صنيعهم ورضاهم بحكم الطاغوت دون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
المصيبة هي قتل عمر لذلك المنافق وقيل هي كل مصيبة تصيب المنافقين في الدنيا والآخرة
(ثم جاءوك) يعني المنافقين حين تصيبهم المصائب يمتدرون إليك (يخلفون بالله إن أردنا) أي
ما أردنا يتحاجونا إلى غيرك (إلا إحسانا) يعني في التحاكم إلى غيرك لإساءة (وتوفيقا) يعني
بين الخصمين لا مخالفة لك في حكمك وقيل جاء أولياء المنافق الذي قتله عمر يطلبون دينه وقالوا
ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا في حكمه ويوفق بينه وبين خصمه وما نخطر
ببالنا أنه يحكم بما حكم به من قتل صاحبنا فأهدر الله ذلك المنافق (أولئك الذين يعلم الله ما في
قلوبهم) يعني من النفاق (فأعرض عنهم) يعني عن عقوبتهم وقيل عن قبول عذرهم (وعظهم)
يعني باللسان والمراد زجرهم بالوعظ عن النفاق والكفر والكذب وتخويفهم بعداب الآخرة
(وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا) يعني بليغا يؤثر في قلوبهم موقعه وهو التخويف بالله عز وجل
وقيل هو أن يوعدهم بالقتل إن لم يتوبوا من النفاق وقيل هو أن يقول إن أظهرتم ما في قلوبكم
من النفاق قتلتم لأن هذا القول يبلغ في نفوسهم كل مبلغ وقيل معناه فأعرض عنهم في الملا وقال
لهم في أنفسهم إذا خلوت بهم قولا بليغا أي اغلظ لهم في القول خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا
لهم بالنصيحة لأنها في السر أجمع وقيل هذا الإعراض منسوخ بآية القتال وقد تكلم العلماء
في حد البلاغة فقال بعضهم البلاغة إيصال المعنى إلى الفهم في أحسن صورة من اللفظ وقيل
البلاغة حسن العبارة مع صحة المعنى وقيل البلاغة سرعة الإنجاز مع الإفهام وحسن التصرف
من غير إدجار وقيل أحسن الكلام ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه وقيل خير الكلام ما شوق
أوله إلى سماع آخره وقيل لا يستحق الكلام اسم البلاغة إلا إذا طابق لفظه معناه ومعناه لفظه
ولم يكن لفظه إلى السمع أسبق من معناه إلى القلب وقيل المراد بالقول البليغ في الآية أن يكون
حسن الألفاظ حسن المعاني مشتتلا على الترغيب والترهيب والإعذار والإنذار والوعيد
والوعيد بالثواب والعقاب فإن الكلام إذا كان كذلك عظم وقعه في القلوب وأثر في النفوس .
قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول) قال الزجاج لفظه من هنا صلة مؤكدة والمعنى وما أرسلنا
رسولا (إلا ليطاع أذن الله) يعني بأمر الله والمعنى إنما وجبت طاعة الرسول بأمر الله
لأن الله أذن في ذلك وأمر به وقيل معناه يعلم الله وقضائه أي طاعته تكون بأذن الله لأنه
أذن فيه فتكون طاعة الرسول طاعة الله ومعصيته معصية الله والمعنى وما أرسلنا من رسول
إلا فرضت طاعته على من أرسلته إليهم وأذن يا محمد من الرسل الذين فرضت طاعتهم على
من أرسلوا إليهم فبِهِ توبيخ وتقرير للمنافقين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورضوا بحكم الطاغوت (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) يعني الذين تحاجوا إلى الطاغوت
ظالموا أنفسهم بالتحاكم إليه (جاءوك) يعني جاءوك تالين من النفاق والتحاكم إلى الطاغوت
متصلين مما ارتكبوا من المخالفة (فاستغفروا الله) يعني من ذلك الذنب بالإخلاص وبالغوا
في الاعتذار إليك من إبدائك رد حكمك والتحاكم إلى غيرك (واستغفروا الله) يعني

هذا منسوخ بآية القتال قوله عز وجل (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بأذن الله) أي بأمر الله لأن طاعة الرسول وجبت
بأمر الله قال الزجاج ليطاع بأذن الله لأن الله قد أذن فيه وأمر به وقيل لا ليطاع كلام تام كاف بأذن الله تعالى أي يعلم الله وقضائه
أي وقوع طاعته يكون بأذن الله (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) يتحاجهم إلى الطاغوت (جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول)

لوجدوا الله توابا رحيبا (قوله تعالى) فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك (الآية أخبرنا عبد الواحد الميحي أنا أحمد بن عبد الله
التميمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو الثمان أنا شعيب عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير أن الزبير رضي
الله عنه كان يحدث أنه خاصم رجلا من الأنصار قد شهد بدر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كأنه يستقيان
به كلامه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك فغضب الأنصاري ثم قال يا رسول الله إن كان
ابن عمك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق ثم أحسب للماء حتى يرجع إلى الجدر فاستوعى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥٥٥) أشار على الزبير رأيا أي أراد سعة له

وللأنصار فلما أحفظ
الأنصاري رسول الله
صلى الله عليه وسلم
استوعى للزبير حقه في
صریح الحكم قال عروة
قال الزبير والله ما أحسب
هذه الآية إلا نزلت في
ذلك فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكوك فيما شجر
بينهم الآية وروى أن
الأنصاري الذي خاصم
الزبير كان اسمه (١)
حاطب بن أبي بلتعة فلما
خرجوا مرا على المقداد
فقال لمن كان القضاء
فقال الأنصاري قضى
لابن عمه ولوى شقيقه
ففظن له يهودى كان مع
المقداد ؟ فقال قاتل الله
عؤلاء يشهدون أنه
رسول الله ثم يتهونونه في
قضاء يقضى بينهم وأيم
الله لقد أذنبنا ذنبا مرة
في حياة موسى عليه
السلام فدعاني موسى

من مخالفته والتحاكم إلى غيره وإنما قال واستغفر لهم ولم يقل واستغفرت لهم لإجلالا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونفخيا له وتعظيما لاستغفاره وآتهم إذا جاءوه فقد جاءوا من
خصه الله برسالته وجعله سفيرا بينه وبين خلقه ومن كان كذلك فإن الله تعالى لا يرد شفاعته
فلهذا السبب عدل إلى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب إلى لفظ الغيبة (لوجدوا الله توابا
رحيبا) يعنى لو أنهم تابوا من ذنوبهم ونفاقهم واستغفرت لهم لعدوا أن الله يتوب عليهم
ويتجاوز عنهم ورحمهم . قوله عز وجل (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيما شجر بينهم)
نزلت هذه الآية في الزبير بن العوام ورجل من الأنصار (ق) عن عروة بن الزبير عن أبيه
أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الأنصاري سرح
الماء يمر فأبى عليه فاخصما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم للزبير اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك فغضب الأنصاري ثم قال يا رسول الله إن كان
ابن عمك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم أحسب للماء
حتى يرجع إلى الجدر فقال الزبير والله إنى لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكوك فيما شجر بينهم زاد البخارى فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حينئذ للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد أشار على الزبير رأيا أي
أراد سعة له وللأنصار فلما أحفظ الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى رسول
الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم قال الزبير والله ما أحسب هذه الآية نزلت
إلا في ذلك قوله في شراج الحرة الشراج مسايل الماء التي تكون من الجبل وتنزل إلى السهل
الواحدة شرجة يسكون الرءاء والحرة الأرض الحمراء المنلبسة بالحجارة السود وقوله فتلون
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى تغير وقوله فلما أحفظ أى أغضب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقوله حتى يرجع إلى الجدر هو بفتح الجيم يعنى أصل الجدار وقوله فاستدعى
له أى استوفى له حقه في صريح الحكم وهو أن من كان أرضه أقرب إلى فم الوادى فهو أولى
بأول الوادى وحقه تمام السقى فرسول الله صلى الله عليه وسلم أذن للزبير فى السقى على وجه
المساحة فلما أبى خصمه ذلك ولم يعترف بما أشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المساحة
لأجله أمر الزبير باستيفاء حقه على التمام وحمل خصمه على مر الحق فعلى هذا القول تكون

إلى التوبة منه فقال اقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفا في طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما
والله إن الله ليعلم منى الصدق ولو أمرنى محمد أن أقتل نفسي لفعلت فأنزل الله في شأن حاطب بن أبي بلتعة فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكوك وقال مجاهد والشعبي نزلت في بشر المنافق واليهودى الذين اختصا إلى عمر رضى الله عنه قوله تعالى فلا أى ليس
الأمر كما يزعمون أنهم مؤمنون ثم لا يرضون بحكمك ثم استأنف القسم وربك لا يؤمنون ويجوز أن يكون لاقى قوله فلا صلة
كما في قوله فلا أقسم حتى يحكوك أى يحكوك حكما (فيما شجر بينهم) أى اختلف واختلط من أمورهم والتبس عليهم حكمه
(١) قوله اسمه حاطب فيه نظر فان حاطبا مهاجرى بدرى لا أنصارى اهـ ومصححه .

ومنه الشجر لالتفاف أغصانه بعضها ببعض (ثم لا يجحدوا في أنفسهم حرجا) قال مجاهد شكوا وقال غيره ضيقا (مما قضيت) قال الضحاك إنما أي يأتون بانكارهم (٥٥٦) ما قضيت (ويسلموا تسليا) أي يتقادوا لأمرك انقيادا قوله تعالى

الآية مستأنفة لاتعاق لها بما قبلها قال البغوي وروى أنها لما خرجوا مرا على المقداد فقال لمن كان القضاء قال الأنصاري لابن عمته ولوى شدة فظن له يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمون في قضاء يقضى بينهم وأيم الله لقد أذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعا موسى إلى التوبة منه فقال فاقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلنا سبعين ألفا في طاعة ربنا حتى رضينا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله إن الله ليعلم مني الفسوق ولو أمرني محمد أن أقتل نفسي لفاعت وقال مجاهد والشعبي نزلت هذه الآية في بشر المنافق واليهودي اللذين اختصا إلى الطاغوت وعلى هذا القول تكون الآية متصلة بما قبلها فلا وربك معناه فوربك فعلى هذا تكون لامزيدة لتأكيد معنى القسم وقيل إن لارد لكلام سبق كأنه قال ليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم فقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم يعني فيما اختلفوا فيه من الأمور وأشكل عليهم حكمه وقيل فيما التبس عليهم يقال شاجر في الأمر إذا نازعه فيه وأصله التداخل والإختلاط وشجر الكلام إذا دخل بعضه في بعض واختلف (ثم لا يجحدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت) يعني ضيقا مما قضيت وقبل شكيا فيما قضيت بل يرضوا بقضائك (ويسلموا تسليا) يعني ويتقادوا لأمرك انقيادا أولا يعارضونك في شيء من أمرك وقيل معناه يسلموا ماتنازعوا فيه لحكمك قوله عز وجل (ولو أنا كتبنا عليهم) أي فرضنا وأوجبنا عليهم الضمير في عليهم يعود على المنافقين وقيل يعود الضمير على الكافة فيدخل فيه المنافق وغيره (أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم) يعني كما كتبنا على بني إسرائيل القتل والخروج من مصر (ما فعلوه إلا قليل منهم) معناه لم يفعله إلا القليل منهم نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك أن رجلا من اليهود قال والله لقد كتب الله علينا القتل والخروج ففعلنا فقال ثابت والله لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا وهو من القليل الذي استثنى الله وقيل لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمر بن ياسر وابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل الذين ذكروهم الله والله لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال «إن من أمتي لرجالا الإيمان في قلوبهم أثبت من الجبال الرواسي» ومن قال أن الضمير في عليهم يعود إلى المنافقين فلك معنى ما فعلوه إلا قليل منهم يعني رياء وسمعة والمعنى إن ما كتبنا عليهم إلا طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه ولو أننا كتبنا عليهم القتل والخروج من الدور والوطن ما كان فعله إلا أن يرضوا منهم وقرئ (الإقليات منهم) بالنصب وتقديره إلا أن يكون قليلا منهم (ولو أنهم فعلوا ما بوعدوا به) يعني ولو أنهم فعلوا ما كلفوا به من طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه (لكان خيرا لهم) يعني في الدنيا والآخرة وإنما سمى ذلك التكليف وعظا لأن أوامر الله تعالى وتكاليفه مقررة بالوعد والوعيد والثواب والعقاب وما كان كذلك يسمى وعظا (وأشد تنبيها) يعني تحقيقا وتصديقا لإيمانهم والمعنى أن ذلك أقرب إلى إثبات إيمانهم وتصديقهم (وإذا لأنبأهم من لدنا أجرا عظيما) يعني ثوابا وافرا جزيلا وإذا جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ماذا يكون من هذا الخبر والتنبيات قال هو أن توثيقهم

(ولو أنا كتبنا) أي فرضنا وأوجبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم (كما أمرنا بني إسرائيل) أو اخرجوا من دياركم (كما أمرنا بني إسرائيل بالخروج من مصر) (ما فعلوه) معناه ما كتبنا عليهم إلا طاعة الرسول والرضا بحكمه ولو كتبنا عليهم القتل والخروج عن الدور ما كان يفعله (إلا قليل منهم) نزلت في ثابت بن قيس وهو من القليل الذي استثنى الله قال الحسن ومقاتل لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمر بن ياسر وعبد الله بن مسعود وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم القليل والله لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال «إن من أمتي لرجالا الإيمان في قلوبهم أثبت من الجبال الرواسي» قرأ ابن عامر وأهل الشام لا قليلا بالنصب على الاستثناء وكذلك هو في صحف أهل الشام وقيل فيه إضمار تقديره إلا أن يكون قليلا منهم وقرأ الآخرون قليل بالرفع على الضمير الفاعل في قوله فعلوه تقديره إلا نفر قليل فعلوه (ولو أنهم فعلوا ما بوعدوا به) يؤمرون به من طاعة الرسول والرضا بحكمه (لكان خيرا لهم وأشد تنبيها) تحقيقا أو تصديقا لإيمانهم (وإذا لأنبأهم من لدنا أجرا عظيما) ثوابا وافرا

من
الرسول والرضا بحكمه (لكان خيرا لهم وأشد تنبيها) تحقيقا أو تصديقا لإيمانهم (وإذا لأنبأهم من لدنا أجرا عظيما) ثوابا وافرا

(ولهديتناهم صراطا مستقيما) أى إلى الصراط المستقيم قوله تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين) الآية نزلت في ثوبان مولى رسول الله ﷺ وكان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم قد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير أنى إن لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى أفاك ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك لأنك ترفع مع النبيين وإنى إن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك وإن لم أدخل الجنة لأراك أبدا (٥٥٧) فنزلت هذه الآية وقال قتادة

قال بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف يكون الحال في الجنة وأدت في الدرجات العلا ونحن أسفل منك وكيف نراك فأرسل الله تعالى هذه الآية ومن يطع الله في أداء الفرائض والرسول في السنن فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين أى لا تنوهم رؤية الأنبياء ومجالستهم لأنهم يرفعون إلى درجة الأنبياء (والصدقيين) وهم أفاضل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والصديق المبالغ في الصدق (والشهداء) قيل هم الذين استشهدوا في يوم أحد وقيل الذين استشهدوا في سبيل الله وقال عكرمة النبيون هاهنا محمد صلى الله عليه وسلم والصديق أبو بكر والشهداء عمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم (والصالحين) سائر الصحابة رضي الله عنهم

من لدنا أجرا عظيما (ولهديتناهم صراطا مستقيما) قال ابن عباس معناه ولأرشدناهم إلى دين مستقيم يعنى دين الإسلام وقيل معناه ولهديتناهم إلى الأعمال الصالحة التى تؤدى إلى الصراط المستقيم وهو الصراط الذى يمر عليه المؤمنون إلى الجنة لأن الله تعالى ذكر الأجر العظيم أولا ثم ذكر الصراط المستقيم بعده لأنه هو المؤدى إلى الجنة . قوله عز وجل (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) الآية نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير أنى إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى أفاك ثم أنى إذا ذكرت الآخرة أخاف لا أراك لأنك ترفع إلى عليين مع النبيين وإنى أخاف إن دخلت الجنة كنت في منزلة هى أدنى من منزلتك وإن لم أدخل الجنة لأراك أبدا فنزلت هذه الآية وقيل إن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال وأنت يا رسول الله في الدرجات العلى ونحن أسفل منك فكيف نراك فأرسل الله تعالى هذه الآية ومن يطع الله يعنى في أداء الفرائض واجتناب النواهي والرسول أى ويطع الرسول في السنن التى سننها فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم يعنى بالهداية والتوفيق في الدنيا وبدخول الجنة في الآخرة (من النبيين) يعنى أن المطيعين مع النبيين في الجنة لا تنوهم رؤية الأنبياء في الجنة ومجالستهم لأنهم يكونون في درجاتهم في الجنة لأن ذلك يقتضى التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول (والصدقيين) الصديق الكثير الصدق فعيل من الصدق والصديقون هم أتباع الرسل الذين اتبعوهم على مناهجهم بعدهم حتى لحقوا بهم وقيل الصديق هو الذى صدق بكل الدين حتى لا يخالطه فيه شك والمراد بالصدقيين في هذه الآية أفاضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كآبى بكر فإنه هو الذى سمي بالصديق من هذه الأمة وهو أفضل أتباع الرسل (والشهداء) هم الذين استشهدوا في سبيل الله وقيل هم الذين استشهدوا يوم أحد (والصالحين) جمع صالح وهو الذى استوت سريرته وتلايقته في الخير وقيل الصالح من اعتقاده صواب وعمله في سنة وطاعة وقيل المراد بالنبيين هنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالصدقيين أبو بكر والشهداء عمر وعثمان وعلى وبالصالحين سائر الصحابة (وحسن أولئك) يعنى المشار إليهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وفيه معنى التعجب كأنه قال وما أحسن أولئك (رفيقا) يعنى في الجنة والرفيق الصاحب سمي رفيقا لارتفاقك به وبصحبته وإنما وحد الرفيق (وحسن أولئك رفيقا) يعنى رفقاء في الجنة والعرب تضع الواحد موضع الجمع كقوله تعالى ثم نخرجكم طفلا أى أطفالا ويولون

الدبر أى الأدبار أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد الحسن بن أحمد الخلدى أنا أبو العباس السراج أنا قتيبة ابن سعيد أنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله الرجل يحب قوما ولم يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم المراء مع من أحب أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى وأبو عمر ومحمد بن عبد الرحمن التسوى قالوا أخبرنا أحمد ابن الحسن الحيرى أنا أبو العباس الأصم أنا أبو يحيى زكريا بن يحيى المروزى أنا سفيان بن عيينة عن الزهرى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رجل يا رسول الله متى الساعة قال وما أعددت لها قال لا شيء إلا أنى أحب الله ورسوله قال فأنت مع

من أحببت (ذلك الفضل من الله وكفى بالله علما) أى بثواب الآخرة وقيل من أطاع رسول الله وأحبه وفيه بيان أنهم لن ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم وإنما نالوها بفضل الله عز وجل أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى نا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى أنا حاجب بن أحمد الطوسى أنا عبد الرحيم بن منيب أنا يعلى بن عبيد عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قاربوا وسددوا واعلموا أنه لا ينجو أحد منكم بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بفضل منه ورحمة » (٥٥٨) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) من عدوكم أى عدتكم

والتكم من السلاح والحذر والحذر واحد كالمثل والمثل والشبه والشبه (فانفروا) أخرجوا (ثبات) أى سرايا متفرقين سرية بعد سرية ، والثبات جماعات فى تفرقة واحداً ثبة (أو انفروا جميعاً) أى مجتمعين كلكم مع النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (وإن منكم لاجتماعهم مع أهل الإيمان فى الجنسية والنسب وإظهار الإسلام لافى حقيقة الإيمان ليطئن أى ليتأخرون وليتناقلن عن الجهاد وهو عبد الله بن أبى المنافق واللام فى ليطئن لام القسم والتبطله المتأخر عن الأمر يقال ما أبطأ بك أى ما أحررك عنو ويقال أبطأ إبطاء وبطأ

وهو صفة الجمع لأن العرب تعبر به عن الواحد والجمع وقيل معناه وحسن كل واحد من أولئك رفيقا (ق) عن أنس أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال متى الساعة قال وما أعددت لها قال لا شئ إلا لى أحب الله ورسوله فقال أنت مع من أحببت قال أنس فافرحنا بشئ أشد فرحا بقول النبي صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت قال أنس فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحجى إياهم وإن لم أعمل بأعمالهم . وقوله تعالى (ذلك) إشارة إلى ما تقدم ذكره من وصف الثواب (الفضل من الله) يعنى الذي أعطى الله المطيعين من الأجر العظيم (وكفى بالله علما) يعنى بجزء من أطاعه وقيل معناه وكفى بالله علما بعباده فهو يوفقه لمطاعته وفيه دليل على أنهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل إنما نالوها بفضل الله تعالى ورحمته ويدل عليه ما روى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بفضل ورحمة » لفظ البخارى ولمسلم نحوه . قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) الحذر احتراز من مخوف والمعنى احذروا واحترزوا من عدوكم ولا تمسكوه من أنفسكم وقيل المراد بالحذر هنا السلاح يعنى خذوا سلاحكم وعدتكم لقتال عدوكم وإنما سمي السلاح حذرا لأن به يتقى ويحذر وقيل معناه احذروا عدوكم ولتقاتل أن يقول إذا كان المقدور كائنا فما يمنع الحذر فالجواب عنه بأنه لما كان الكل بقضاء الله وقدره كان الأمر بأخذ الحذر من قضاء الله وقدره (فانفروا ثبات) أى اخرجوا سرايا متفرقين سرية بعد سرية (أو انفروا جميعاً) يعنى أو اخرجوا جميعاً كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم إلى جهاد عدوكم (وإن منكم لاجتماعهم مع أهل الإيمان فى الجنسية والنسب وإظهار الإسلام لافى حقيقة الإيمان والمعنى وإن منكم لمن ليتأخرون وليتناقلن عن الجهاد وهو عبد الله بن أبى المنافق وكان رأس المنافقين (فان أصابتكم مصيبة) أى قتل وهزيمة (قال) يعنى هذا المنافق (قد أنعم الله على) يعنى بالنعوذ (إذ لم أكن معهم) يعنى مع المؤمنين (شهيدا) يعنى حاضر الواقعة فيصيبني ما أصابهم (ولئن أصابكم فضل من الله) أى فتح وغنيمة (ليقولن) يعنى هذا المنافق (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) أى معرفة ومودة فى الدين والمعنى كأنه ليس من أهل دينكم وذلك أن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين فى الظاهر (باليتنى كدت معهم) فى تلك الغزوة التى غم فيها المؤمنون (فأفوز فوزا عظيما) أى فأخذ نصيبا وافرا من الغنيمة . قوله عز وجل

(فليقاتل)

يطئى تبطله (فان أصابتكم مصيبة) أى قتل وهزيمة (قال قد أنعم الله على)

بالنعوذ (إذ لم أكن معهم شهيدا) أى حاضر فى تلك الغزوة فيصيبني ما أصابهم (ولئن أصابكم فضل من الله) فتح وغنيمة (ليقولن) هذا المنافق وفيه تقديم وتأخير وقوم كأن لم يكن بينكم وبينه مودة متصل بقوله فان أصابتكم مصيبة فتدبره فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على إذ لم أكن معهم شهيدا (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) أى معرفة قرأ ابن كثير وحفص ويعقوب سكن بالتاء والباقون بالياء أى ولئن أصابكم فضل من الله يقولن (باليتنى كدت معهم) فى تلك الغزوة (فأفوز فوزا عظيما) أى أخذ نصيبا وافرا من الغنيمة وقوله فأفوز نصب على جواب التنى بالفاء كما تقول وددت أن أقوم فيتبعني الناس قوله تعالى

(فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) قيل نزلت في المنافقين ومعنى يشرون أى يشتررون أى يشتررون الذين يختارون الدنيا على الآخرة ومعناه آمنوا ثم قاتلوا وقيل نزلت في المؤمنين المخلصين معناه فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون أى يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة ويختارون الآخرة (ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل) أى يستشهد (أو يغلب) يظفر (فسوف نؤتيه) فى كلا الوجهين (أجرا عظيما) ويدعم أبو عمرو والكسائي الباء فى الفاء حيث كان (٥٥٩) أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد

السرخسي أنا زاهر ابن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وتكمل الله لمن جاهد في سبيل الله لا يخرج من بيته إلا للجهاد في سبيله وتصديق كلمته أن يدخل الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنمة أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشمهني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل ابن جعفر أنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الجاهد في سبيل

(فليقاتل في سبيل الله) هذا خطاب للمنافق أى فليخلص الإيمان وليقاتل في سبيل الله وقيل هو خطاب للمؤمنين المخلصين أى فليقاتل المؤمنون في سبيل الله (الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) أى يبيعون يقال شريت بمعنى بعث لأنه استبدال عوض بعوض والمعنى فليقاتل المؤمنون الكافرين الذين يبيعون حياتهم فى الدنيا بثواب الآخرة وما وعد الله فيها لأهل الإيمان والطاعة وقيل معناه فليقاتل فى سبيل الله المؤمنون الذين يبيعون الحياة الدنيا ويختارون الآخرة وثوابها على الدنيا القانية (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل) أى فيستشهد (أو يغلب) يعنى يظفر بعادوه من الكفار (فسوف نؤتيه) يعنى فى كلا الحالتين الشهادة أو الظفر نؤتيه فيهما (أجرا عظيما) يعنى ثوابا وافرا (ق) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرج إلا لجهاد فى سبيله وإيمان فى تصديق برسلى فهو على ضمان أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنمة. لفظ مسلم. قوله عز وجل (وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله) قال المفسرون هذا حص من الله على الجهاد فى سبيله لاستنقاذ المؤمنين المستضعفين من أيدى الكفار وفيه دليل على أن الجهاد واجب والمعنى لا عذر لكم فى ترك الجهاد وقد بلغ حال المستضعفين ما يبلغ من الضعف والأذى (والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) قال ابن عباس يريد أن قوما من المؤمنين استضعفوا فحبسوا وعذبوا وقيل كان هؤلاء بمكة يلقون من المشركين أذى شديدا وكان أهل مكة قد اجتهدوا أن يفتنوا قوما من المؤمنين عن دينهم بالأذى لهم وكانوا مستضعفين فى أيديهم ولم يكن لهم بمكة قوة يمتنعون بها من المشركين فعلى هذا يكون معنى الآية وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله وفى خلاص المستضعفين وقال ابن عباس معناه وعن المستضعفين لأن المراد صرف الأذى عنهم (خ) عن ابن عباس فى قوله وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين الآية قال كنت أنا وأبى من المستضعفين وفى رواية ابن أبى مليكة قال تلا ابن عباس إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال كنت أنا وأبى ممن عذر الله أنا من الولدان وأبى من النساء فعلى هذه الرواية الثانية من حديث ابن عباس يكون معنى والمستضعفين إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فإنهم ممن عذر الله فى ترك القتال والولدان جمع وليد وهو الصبي الصغير (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية) يعنى مكة (الظالم أهلها) يعنى الظالم أهلها أنفسهم بالشرك لقوله تعالى: إن الشرك لظلم عظيم وذلك أن المستضعفين لما منعهم المشركون من الهجرة من مكة إلى المدينة دعو الله عز وجل فقالوا ربنا أخرجنا من هذه القرية

الله كمثل القانت الصائم الذى لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجعه الله إلى أهله بما يرجعه من غنمة وأجر أو يتوفاه فيدخله الجنة قوله تعالى (وما لكم لا تقاتلون) لا تجاهدون (فى سبيل الله) فى طاعة الله يعاتبهم على ترك الجهاد (والمستضعفين) أى عن المستضعفين وقال ابن شهاب فى سبيل المستضعفين لتخليصهم وقيل فى تخليص المستضعفين من أيدى المشركين وكان بمكة جماعة من الرجال والنساء والولدان يلقون من المشركين أذى كثيرا (الذين) يدعون و (يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) يعنى مكة (الظالم) أى المشرك (أهلها) يعنى القرية التى من صفتها أن أهلها مشركون وإنما خفض الظالم لأنه نعت

للأهل فلما عاد أهل إلى القرية صار الفعل لها كما يقال مررت برجل حسنة عينه (واجعل لنا من لدنك وليا) أي معي يلى أمرنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) أي من يمنع العدو عنا فاستجاب الله دعوتهم فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ولي عليهم عتاب بن أسيد وجعله الله لهم نصيرا ينصف المؤمنين المظلومين من الظالمين قوله تعالى (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) أي في طاعته (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) أي في طاعة الشيطان (فقاتلوا) أيها المؤمنون (أولياء الشيطان) أي حزبه وجنوده وهم الكفار (٥٦٠) (إن كيد الشيطان) مكروه (كان ضعيفا) كما فعل يوم بدر لما رأى الملائكة

خاف أن يأخذوه فهرب وخطبهم قوله تعالى (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) الآية قال الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الأسود الكندي وقدامة ابن مظعون الجمحي وسعد بن أبي وقاص وجماعة كانوا يلقون من المشركين بمكة أذى كثيرا قيل أن يهاجروا ويقولون يا رسول الله إئذ لنا في قتالهم فأنهم قد آذونا فيقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا أيديكم فإني لم أؤمر بقتالهم (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فلما هاجروا إلى المدينة وأمرهم الله بقتال المشركين شق ذلك على بعضهم قال الله تعالى (فلما كتب) فرض عليهم القتال إذا فريق

يعني مكة الظالم أهلها بالشرك (واجعل لنا من لدنك وليا) يعني وليا يلى أمرنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) يعني يبصرنا ويمنعنا من العدو فاستجاب الله دعاءهم وجعل لهم من لدنك خير ولي وخير ناصر وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتولى أمرهم ونصرهم واستنقذهم من أيدي المشركين يوم فتح مكة واستعمل عليهم عتاب بن أسيد وكان ابن ثمان عشرة سنة فكان ينصر المظلومين على الظالمين ويأخذ للضعيف من القوى. قوله عز وجل (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) يعني في طاعة الله وإعلاء كلمته وابتغاء مرضاته (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) يعني في طاعة الشيطان (فقاتلوا أولياء الشيطان) أي فقاتلوا أيها المؤمنون حزب الشيطان وجنوده وهم الكفار (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) الكيد السعي في الفساد على جهة الاحتيال ويعني بكيد ما كاد المؤمنين به من تخويفه أولياء الكفار يوم بدر وكونه ضعيفا لأنه خذل أولياء الكفار لما رأى الملائكة قد نزلت يوم بدر وكان النصر لأولياء الله وحزبه على أولياء الشيطان وإدخال كان في قوله ضعيفا لنا كيد ضعف كيد الشيطان. قوله عز وجل (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) قال الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الأسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن أبي وقاص وجماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يلقون من المشركين أذى كثيرا بمكة قبل أن يهاجروا فكانوا يقولون يا رسول الله إئذ لنا في قتالهم فأنهم قد آذونا فيقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا أيديكم فإني لم أؤمر بقتالهم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يعني قيل لهم كفوا أيديكم عن قتالهم وأدوا ما فرض عليكم من الصلاة والزكاة وفيه دليل على أن فرض الصلاة والزكاة كان قبل فرض الجهاد (فلما كتب عليهم القتال) أي فرض عليهم جهاد المشركين وأمروا بالخروج إلى بدر (إذا فريق منهم) يعني إذا جماعة من الذين سألو أن يفرض عليهم الجهاد (يخشون الناس) يعني يخافون مشركي مكة (كخشية الله أو أشد خشية) أو بمعنى الواو يعني وأشد خشية (وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال) يعني لما فرضت علينا الجهاد (لولا أخرتنا إلى أجل قريب) يعني هلا تركتنا ولم تفرض علينا القتال حتى نموت بأجلنا والقاتلون لهذا القول هم المنافقون لأن هذا القول لا يليق بالمؤمنين وقيل قاله بعض المؤمنين وإنما قالوا ذلك خوفا وجبنا لاعتقادنا ثم إنهم تابوا من هذا القول (قل) أي قل لهم يا محمد (متاع الدنيا قليل) يعني أن منفعتها والاستمتاع بالدنيا قليل لأنه فان زائل (والآخرة) يعني وثواب الآخرة (خير لمن اتقى) يعني اتقى الشرك ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم

(ولا

منهم يخشون الناس) يعني يخشون مشركي مكة (كخشية الله)

أي كخشيتهم من الله (أو أشد) أكبر (خشية) وقيل معناه وأشد خشية (وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال) الجهاد (لولا) هلا (أخرتنا إلى أجل قريب) يعني الموت أي هلا تركتنا حتى نموت بأجلنا واختلفوا في هؤلاء الذين قالوا ذلك فقيل قاله قوم من المنافقين لأن قوله لم كتب علينا القتال لا يليق بالمؤمنين وقيل قاله جماعة من المؤمنين لم يكونوا راضين في العلم قالوا خوفنا وجبنا لاعتقادنا ثم تابوا وأهل الإيمان يتفاضلون في الإيمان وقيل هم قوم كانوا مؤمنين ، فلما فرض عليهم القتال نافقوا من الجبن وتخلفوا عن الجهاد (قل) يا محمد (متاع الدنيا) أي منفعتها والاستمتاع بها (قليل والآخرة) (خير) أفضل (لمن اتقى)

الشرك ومعصية الرسول (ولا تظلمون فتبلا) قرأ ابن كثير وأبو جعفر وحمزة والكسائي بالياء والباقون تظلمون بالثاء
 أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن معاوية السدي لاني أخبرنا الأصم أنا عبد الله بن محمد
 ابن شاذان أنا محمد بن بشر العبدي أنا مسعر بن كدام عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم حدثني المنصور بن شداد
 قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فليظنر يم يرجع » قوله عز وجل
 (أبنا تكونوا يدرككم الموت) أي ينزل بكم الموت نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتل أحد لو كانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا
 فرد الله تعالى عليهم بقوله أبنا تكونوا يدرككم الموت (ولو كنتم في بروج مشيدة) والبروج الحصون

والقلاع والمشيدة المرفوعة
 المطوية قال قتادة معناه
 في قصور محصنة وقال
 عكرمة مجصصة والشيد
 الجص (وإن تصبهم
 حسنة) نزلت في اليهود
 والمنافقين وذلك أنهم
 قالوا لما قدم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم المدينة
 مازلنا نعرف النقص
 في ثمارنا ومزارعنا منذ
 قدم علينا هذا الرجل
 وأصحابه قال الله تعالى
 وإن تصبهم يعني اليهود
 حسنة أي خصب ورخص
 في السعر (يقولوا هذه من
 عند الله) لنا (وإن تصبهم
 سيئة) يعني الجذب
 وغلاء الأسعار (يقولوا
 هذه من عندك) أي من
 شؤم محمد وأصحابه وقيل
 المراد بالحسنة الظفر
 والغنيمة يوم بدر وبالسيئة
 القتل والحزيمة يوم أحد
 يقولوا هذه من عندك

(ولا تظلمون فتبلا) أي ولا تتقصون من أجوركم قدر فتيل (م) عن المستورد بن شداد قال :
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه وأشار
 يعني بالسبابة في اليم فليظنر يم يرجع » . قوله عز وجل (أبنا تكونوا يدرككم الموت) نزلت
 في المنافقين الذين قالوا في قتل أحد لو كانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا ففرد الله عليهم بهذه الآية
 وقيل نزلت في الذين قالوا ربنا لم نكتب علينا القتال فرد الله عليهم بقوله تعالى (أبنا تكونوا يدرككم
 الموت) يعني ينزل بكم الموت فيبين تعالى أنه لا خلاص لهم من الموت وإذا كان لا بد لهم من الموت
 كان القتل في سبيل الله وجهاد أعدائه أفضل من الموت على التراش لأن الجهاد موت تحصل به
 سعادة الآخرة ثم بين تعالى أنه لا بد لهم من الموت وأنه لا ينجي منه شيء بقوله (ولو كنتم في بروج
 مشيدة) البروج في كلام العرب الحصون والقلاع والمشيدة المرفوعة المطوية وقيل هي المطوية
 بالشيء وهو الجص (إن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله) نزلت في المنافقين واليهود وذلك
 أن المدينة كانت ذات خير وأرزاق ونعم عند مقام النبي صلى الله عليه وسلم فلما ظهر نفاق
 المنافقين وعناد اليهود أمسك الله عنهم بعض لإمسك فقال المنافقون واليهود مازلنا نعرف النقص
 في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه فقال الله تعالى (وإن تصبهم يعني المنافقين
 واليهود حسنة أي خصب في ثمار ورخص في السعر يقولوا هذه من عند الله يعني من قبل الله (وإن
 تصبهم سيئة) أي جذب في الثمار وغلاء في السعر (يقولوا هذه من عندك) يعني من شؤم محمد
 وأصحابه وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل والحزيمة يوم أحد ومعنى
 من عندك أنت الذي حملتنا عليه يا محمد فعلى هذا القول يكون هذا إخبارا عن المنافقين خاصة
 (قل) أي قل لهم يا محمد (كل من عند الله) يعني الحسنة والسيئة والخصب والجذب والغنيمة
 والحزيمة والظفر والقول فأما الحسنة فإنعام من الله وأما السيئة فإبتلاء منه (قال هؤلاء القوم)
 أي فما شأن هؤلاء القوم المنافقين واليهود الذين قالوا ما قالوا (لا يكادون يفقهون حديثنا) يعني
 لا يفقهون معاني القرآن وأن الأشياء كلها من الله عز وجل خيرها وشرها . قوله تعالى
 (ما أصابك من حسنة) يعني من خير ونعمة (فمن الله) يعني من فضل الله عليك يتفضل به
 إحسانا منه إليك (وما أصابك من سيئة) يعني من شدة ومكروه ومشقة وأذى (فمن نفسك)

(٧١ - تخازن بالبعوى - أول) أي أنت الذي حملتنا عليه يا محمد فلي دلتما يكون هذا من قول
 المنافقين (قل) أي يا محمد (كل من عند الله) أي الحسنة والسيئة كلها من عند الله ثم عيرهم بالجهل فقال (قال هؤلاء القوم)
 يعني المنافقين واليهود (لا يكادون يفقهون حديثنا) أي لا يفقهون قولنا وقيل الحديث ها هنا هو القرآن أي لا يفقهون معاني القرآن
 قوله قال هؤلاء قال الفراء كثرت في الكلام هذه الكناية حتى توهموا أن اللام متصلة بها وأنها أحرف واحد فوصلوا اللام
 بما بعدها في بعضه ووصلوها في بعضه والاتصال القراءة ولا يجوز الوقف على اللام لأنها لام تافضة قوله عز وجل (ما أصابك
 من حسنة) خير ونعمة (فمن الله وما أصابك من سيئة) بلية أو أمر تكرهه (فمن نفسك) أي بذنوبك والخطاب للنبي صلى الله
 عليه وسلم والمراد غيره فظنوه قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وتعلق أهل القدر بظاهر هذه الآية فتألموا

في الله تعالى السيئة عن نفسه ونسبها إلى العبد فقال وما أصابك من سيئة فمن نفسك ولا متعلق لهم فيه لأنه ليس المراد من الآية حسنات الكسب ولا سيئاته من الطاعات والمعاصي بل المراد منهم ما يصيبهم من النعم والحنن وذلك ليس من فعلهم بدليل أنه نسبها إلى غيرهم ولم (٥٦٢) ينسبها إليهم فقال ما أصابك ولا يقال في الطاعة والمعصية أصابني وإنما يقال

أصبتها ويقال في الحنن أصابني بدليل أنه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى وإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطبروا بموسى ومن معه فلما ذكر حسنات الكسب وسيئاته نسبها إليه ووعد عليها الثواب والعقاب فقال ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها وقيل معنى الآية ما أصابك من حسنة من النصر والظفر يوم بدر فمن الله أي من فضل الله وما أصابك من سيئة من القتل والهزيمة يوم أحد فمن نفسك أي يعني قبلتوب أصحابك وهو مخالفتهم لك فان قيل كيف وجه الجمع بين قوله قل كل من عند الله وبين قوله فمن نفسك قيل قوله قل كل من عند الله أي الحبيب والنصر والهزيمة كلها من عند الله وقوله فمن نفسك أي وما أصابك

يعني فمن قبل نفسك وبذنب اكتسبته نفسك استوجبت ذلك به وفي المخاطب بهذا الكلام قولان: أحدهما أنه عام وتقديره ما أصابك أي الإنسان والثاني أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به من غيره من الأمة والنبي صلى الله عليه وسلم يرى لأن الله عز وجل قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقد عصمه من حين البعثة فهو معصوم فيما يستقبل حتى يموت، وبذلك على أن المراد بهذا الخطاب غيره قوله عز وجل «يا أيها النبي إذا طلقم النساء خاطبهن وحده ثم جمع الكل به» وله إذا طلقم النساء فعني قوله فمن نفسك أي عقوبة الذنبك يا ابن آدم كذا قاله قتادة وقال الكلبي ما أصابك من خير فأنه هداك له وأعانتك فيه وما أصابك من أمره كرهه فبذنبك عقوبة لذلك الذنب وقد تعلق بظاهر هذه الآية القدرية وقالوا في الله السيئة عن نفسه ونسبها إلى الإنسان بقوله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ولا متعلق لهم بها لأنه ليس المراد من الآية حسنة الكسب من الطاعات ولا السيئة المكتسبة من فعل المعاصي بل المراد من الحسنة والسيئة في هذه الآية ما يصيب الإنسان من النعم والحنن وذلك ليس من فعل العبد لأنه لا يقال في الطاعة والمعصية أصابني وإنما يقال أصبتها ويقال في النعم والحنن أصابني بدليل أنه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطبروا بموسى ومن معه ولما ذكر الله حسنات الكسب وسيئاته ووعد عليها بالثواب والعقاب فقال تعالى «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها» فيقول لهذا قول القدرية وقال بعضهم لو كانت الآية على ما يقول أهل النذر لقال ما أصبت من حسنة وما أصبت من سيئة ولم يقل ما أصابك لأن العادة جرت بقول الإنسان أصابني خير أو مكروه وأصبت حسنة أو سيئة وقيل في معنى الآية ما أصابك من حسنة أي النصر والظفر يوم بدر فمن الله أي من فضل الله وما أصابك من سيئة أي من قتل وهزيمة يوم أحد فمن نفسك يعني قبلتوب أصحابك وهو مخالفتهم إياك . فان قلت كيف وجه الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله وما أصابك من سيئة فمن نفسك فأضاف السيئة إلى فعل العبد في هذه الآية . قلت أما إضافة الأشياء كلها إلى الله تعالى في قوله وقيل كل من عند الله فعل الحتمية لأن الله تعالى وهو خالقها وموجدها وأما إضافة السيئة إلى فعل العبد فعل المحازر تقديره وما أصابك من سيئة فمن الله بذنب نفسك عقوبة لك وقيل إضافة السيئة إلى فعل العبد على سبيل الأدب فهو كقوله تعالى وإذا مرضت فهو يشفين فأضاف المرض إلى نفسه على طريق الأدب ولا يشك عاقل أن الممرض هو الله تعالى وقيل هذه متصلة بما قبلها وفيه إضمار وتقديم وتأخير تقديره قال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثنا ويقولون ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله وقال ابن الأباري في معنى الآية ما أصابك الله به من حسنة وما أصابك به من سيئة فالفعلان راجعان إلى الله تعالى . قوله تعالى (وأرسلناك للناس رسولا) يعني وأرسلناك يا محمد إلى كافة الناس رسولا لتبلغهم رسالتي وما أرسلناك به

من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك كما قال الله تعالى وما أصابكم من مصيبة فمما كسبت أيديكم يدل عليها ما روى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا كتبها عليك وقال بعضهم هذه الآية متصلة بما قبلها والقول فيه مضمرة تقديره قال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثنا يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله (وأرسلناك) يا محمد (للناس رسولا)

وكنى بالله شهيدا) على إرسالك وصدقك وقيل كنى بالله شهيدا على أن الحسنة والسيدة كلها من الله تعالى قوله تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول من أطاعني فقد أطاع الله ومن أحبني فقد أحب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذة ربا كما اتخذت النصراني عيسى (٥٦٣) ابن مريم ربا فأنزل الله تعالى

من يطع الرسول فقد أطاع الله أي من يطع الرسول فيما أمره فقد أطاع الله (ومن تولى) عن طاعته (فما أرسلناك) بإمحمد (علمهم حفيظا) أي حافظا ورقيبا بل كل أمورهم إلى قبل نسخ الله عز وجل هذا بآية السيف وأمره بقتال من خالف الله ورسوله (ويقولون طاعة) يعني المنافقين يقولون باللسان للرسول صلى الله عليه وسلم إنا آمننا بك فرنا فأمرك طاعة قال النحويون أي أمرنا وشأننا أن نطيعك (فاذا رزوا) خرجوا (من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول) قال قتادة والسكبي بيت أي غير وبدل الذي عهد إليهم النبي صلى الله عليه وسلم ويكون التثبيت بمعنى التبديل وقال أبو عبيدة والقتبي معناه قالوا وقدروا ليلا غير ما أعطوك نهارا وكل ما قدر بايل فهو ميت وقال أبو الحسن الأخصس تقول العرب للشيء إذا قدر بيت يشهونه بتقدير بيوت كعمر (والله يكتب) أي بيت ويحفظ (مايبوتون) مايزورون

ولست رسولا إلى العرب خاصة كما قال بعض اليهود بل أنت رسول إلى الخلق كافة العرب وغيرهم (وكنى بالله شهيدا) يعني على إرسالك للناس كافة فما يلغى لأجد أن يخرج عن طاعتك واتباعك وقيل معناه وكنى بالله شهيدا على أن الحسنة والسيدة من الله قوله عز وجل (من يطع الرسول فقد أطاع الله) سبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من أطاعني فقد أطاع الله ومن أحبني فقد أحب الله» فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذة ربا كما اتخذت النصراني عيسى ابن مريم ربا فأنزل الله هذه من يطع الرسول يعني فيما أمر به ونهى عنه فقد أطاع الله يعني أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى لأنه هو أمر بها وقال الحسن جعل الله طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعته وقامت به الحجة على المسلمين وقال الشافعي إن كل فريضة فرضها الله في كتابه كالخج والصلاة والزكاة لولا بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ما كنا نعرف كيف نأتمها ولا كان يمكننا أداء شيء من العبادات وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة الشريفة كانت طاعته على الحقيقة طاعة لله (ومن تولى) أي عرض عن طاعته (فما أرسلناك عليهم - حفيظا) يعني حافظا تحفظ أعمالهم عليهم بل كل أمرهم إلى الله قال المفسرون وكان هذا قبل أن يؤمر بالقتال ثم نسخ ذلك بآية القتال قوله تعالى (ويقولون طاعة) نزلت في المنافقين وذلك أن المنافقين كانوا يقولون باللسان رسول الله صلى الله عليه وسلم آمننا بك وصدقناك فرنا فأمرك طاعة أي أمرنا وشأننا طاعة (فاذا رزوا من عندك) أي خرجوا من عندك (بيت طائفة منهم غير الذي تقول) التثبيت كل أمر يفعل بالليل يقال هذا أمر مبيت إذا دبر بليل وقضى بليل فقد بيت والمعنى أنهم قالوا وقدروا أمرا بالليل غير الذي أعطوك بالنهار من الطاعة وقيل معنى بيت غير وبدل طائفة منهم غير الذي تقول يعني غير الذي عهدت إليهم فعلى هذا يكون التثبيت بمعنى التبديل وإنما خص طائفة من المنافقين بالتثبيت في قوله منهم وكلمة من للتبويض لأنه تعالى علم أن منهم من يبتى على كفره ونفاقه ومنهم من يرجع عنه ويتوب فخص من يصبر على النفاق والذكر وقيل إن طائفة منهم اجتمعوا في الليل وبيتوا ذلك القول فخصهم بالذكر (والله يكتب) أي بيت ويحفظ عليهم (مايبوتون) يعني مايزورون ويغيرون ويقدمون وقال ابن عباس يكتب مايسرون من النفاق (فأعرض عنهم) أي لاتعاقبهم بإمحمد ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وخطهم في ضلالتهم فأنا منتقم منهم وقيل لانغتر باسلامهم (وتوكل على الله) أي فوض أمرك إلى الله في شأنهم فإن الله يكفيك أمرهم وينتقم لك منهم (وكنى بالله وكيفا) يعني ناصر لك عليهم قوله عز وجل (أفلا يتدبرون القرآن) أصل التدبر النظر في عواقب الأمور والتفكير في إدبارها ثم استعمل في كل تفكير وتأمل يقال تدبرت الشيء أي نظرت في عاقبته ومعنى تدبر القرآن تأمل معانيه والتفكير في حكمه وتبصر ما فيه من الآيات قال ابن عباس أفلا يتدبرون القرآن فيتفكرون فيه فيرون تصديق بعضه لبعض وما فيه من الموعظ والذكر والأمر والنهي

ويغيرون ويقدمون وقال الضحاك عن ابن عباس يعني مايسرون من النفاق (فأعرض عنهم) بإمحمد ولا تعاقبهم وقيل لا تخبر بأسمائهم منع الرسول صلى الله عليه وسلم من الإخبار بأسماء المنافقين (وتوكل على الله وكنى بالله وكيفا) أي اتخذوه وكيفا وكنى بالله وكيفا وناصر قوله تعالى (أفلا يتدبرون القرآن) يعني أفلا يتفكرون في القرآن والتدبر هو النظر في آخر الأمر ودبر كل

شيء آخره (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) أى تفاوتنا وتناقضا كثيرا قاله ابن عباس وقيل لو وجدوا فيه
أى فى الإخبار عن الغيب بما كان (٥٦٤) وبما يكون اختلافا كثيرا أفلا يتفكرون فيه فيعرفوا بعدم التناقض فيه

وإن أحدا من الخلق لا يقدر عليه قال العلماء إن الله تعالى احتج بالقرآن والتدبر فيه على صحة
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والحجة فى ذلك من ثلاثة أوجه أحدها فصاحته التى عجز الخلاق
عن الإتيان بمثالها فى أسلوبه . الثانى لإخباره عن الغيوب وهو ما يطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه
وسلم على أحوال المنافقين وما يخونونه من مكرمهم وكيدهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك من
الأخبار عن أحوال الأولين وأخبارهم وما يأتى فى المستقبل من أمور الغيب التى لا يعلمها إلا الله
تعالى . الثالث سلامته من الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى (ولو كان من عند غير
الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) قال ابن عباس يعنى تفاوتنا وتناقضا وفى رواية عنه لو كان من
عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وقيل معناه لوجدوا فى إخباره عن الغيب بما يكون
وبما قد كان اختلافا كثيرا لأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى وإذا كان كذلك ثبت أنه من عند
الله وأنه ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا من حيث البلاغة والفصاحة والمعنى لو كان من عند مخلوق لكان على قياس الكلام
المخلوق بعضه فصيح بليغ حسن وبعضه مردود ركيك قاسد فلما كان القرآن جميعه على
منهاج واحد فى الفصاحة والبلاغة ثبت أنه من عند الله والمعنى أفلا يتفكرون فى القرآن فيعرفوا
بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر به عن الغيوب أنه كلام الله عز وجل وأن ما يكون من عند
غير الله لا يخالف عن تناقض واختلاف فلما كان القرآن ليس فيه تناقض واختلاف علم أنه من
عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه سواه . قوله تعالى (وإذا جاءهم أمر من
الأمّن أو الخوف أذاعوا به) وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعث البيوت والسرايا
فاذا غلبوا أو غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يشعرون ويتحدثون به قبل أن
يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعون به قلوب المؤمنين فأترل الله تعالى هذه
الآية وإذا جاءهم يعنى المنافقين أمر من الأمّن يعنى جاءهم خبر بفتح وغنيمه أو الخوف يعنى
القتل والغزيمه أذاعوا به أى أفشوا ذلك الخبر وأشاعوه بين الناس يقال أذاع السر وأذاع به
إذا أشاعه وأظهره قال الشاعر :

أذاع به فى الناس حتى كأنه بعلياء نار أو قدت بثقوب

(ولو ردوه) يعنى الأمر الذى تحدثوا به (إلى الرسول) يعنى أنهم لم يتحدثوا به حتى يكون
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يتحدث به ويظهره (وإلى أولى الأمر منهم) يعنى ذوى
العقول والرأى والبصيرة بالأمور منهم وهم كبار الصحابة كآبى بكر وعمر وعثمان وعلى وقيل هم
أمرء السرايا والبعوث وإنما قال منهم على حسب الظاهر ولأن المنافقين كانوا يظهرون الإيمان
فلذا قال وإلى أولى الأمر منهم (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) أى يستخرجون تدبيره بذكائهم
وفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب وما ينبغى لها ومكائدها وهم العلماء الذين علموا
ما ينبغى أن يكتم من الأمور وما ينبغى أن يذاع منها والنبط الماء الذى يخرج من البئر أول
ما تحضر واستنباطه استخراجها فاستعبر لما يخرج الرجل بفضل ذكائه وصفاء ذهنه وفطنته
من المعانى والتدبير فيما يعرض ويهم ويقال استنبط الفقيه المسألة إذا استخراجها باجتهاده وفهمه

وصدق ما يخبر به أنه كلام
الله تعالى لأن ما لا يكون
من عند الله لا يخلو عن
تناقض واختلاف قوله
تعالى (وإذا جاءهم أمر
من الأمّن أو الخوف
أذاعوا به) وذلك أن النبى
صلى الله عليه وسلم كان
يعث السرايا فاذا غلبوا
أو غلبوا بادر المنافقون
يستخبرون عن حالهم
فيشعرون ويتحدثون به قبل
أن يحدث به رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فيضعون به قلوب
المؤمنين فأترل الله تعالى
وإذا جاءهم يعنى المنافقين
أمر من الأمّن أى الفتح
والغنيمه أو الخوف القتل
والغزيمه أذاعوا به
أشاعوه وأفشوه (ولو
ردوه إلى الرسول) المراد به
ولم يتحدثوا به حتى يكون
النبى صلى الله عليه وسلم
هو الذى يحدث به (وإلى
أولى الأمر منهم) أى
ذوى الرأى من الصحابة
مثل آبى بكر وعمر وعثمان
وعلى رضى الله عنهم
(لعلمه الذين يستنبطونه
منهم) أى يستخرجونه
وهم العلماء أى علموا
ما ينبغى أن يكتم وما ينبغى

أن يفشى والاستنباط الاستخراج يقال استنبط الماء إذا استخراجها وقال عكرمة يستنبطونه أى يخرجون عليه ويسألون
وقال الضحاك يتبعونه يريد الذين سمعوا تلك الأخبار من المؤمنين والمنافقين لوردوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى ذوى

الراى والعلم لعلمه الذين يستنبطونه منهم أى يحبون أن يعلموه على حقيقته كما هو (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان) ألمكم (إلا قليلا) فان قيل كيف استثنى القليل ولولا فضله لاتبع الكمل الشيطان قيل هو راجع إلى ما قبله قيل معناه أذاعوا به إلا قليلا لم يفشه وعنى بالقليل المؤمنين وهذا قول الكلبي واختيار الثراء وقال لأن علم السر إذ ظهر عليه المستنيط وغيره والإذاعة قد تكون في بعض دون بعض وقيل لعلمه الذين يستنبطونه منهم (٥٦٥) إلا قليلا ثم قوله ولولا فضل الله

عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان، كلام تام وقيل فضل الله الإسلام ورحمته القرآن يقول لولا ذلك لاتبعتم الشيطان إلا قليلا وهم قوم اختلفوا قبل مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم وزول القرآن مثل زيد بن عمرو ابن نفيل وورقة بن نوفل وجماعة سواهما وفي الآية دليل على جواز القياس فان من العلم ما يدرك بالتلاوة والرواية وهو النص ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس على المعاني المودعة في النصوص قوله تعالى (فقاتل في سبيل الله لاتكلف إلا نفسك) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم واعد أباسفيا بن بدر الصغرى في ذى القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس إلى الخروج فكرهه بعضهم فأنزله الله هذه الآية فقاتل في سبيل الله يعنى لاتكلف إلا نفسك (فقاتل في سبيل الله لاتكلف إلا نفسك) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم واعد أباسفيا بن بدر الصغرى في ذى القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس إلى الخروج فكرهه بعضهم فأنزله الله عز وجل فقاتل في سبيل

وفي الآية دليل على جواز القياس وأن من العلم ما يدرك بالنص وهو الكتاب والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس عليهما ومعنى الآية ولو أن هؤلاء المنافقين والمذيعين ردوا الأمر من الأمن والخوف إلى الرسول وإلى أولى الأمر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعدوا حقيقته ذلك منهم وإنهم أولى بالبحث عنه فإنهم أعلم بما ينبغي أن يشاع أو يكتم . قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) يعنى ولولا فضل الله عليكم بعبدة محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن ورحمته بالتوفيق والهداية (لاتبعتم الشيطان) يعنى لبتيم على الكفر والضلالة (إلا قليلا) اختلف العلماء في هنا الاستثناء وإلى ماذا يرجع فقيل هو راجع إلى الإذاعة وهو قول ابن عباس والتقدير وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به إلا قليلا فأخرج بعض المنافقين والمؤمنين عن هذه الإذاعة لأنهم لم يذيعوا ماعداً ومن أمر السرايا وهذا القول اختيار الفراء وابن جرير الطبري وقيل هو راجع إلى المستنبطين وهو قول الحسن وقتادة واختاره ابن قتبية وتقديره لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلا فعلى هذين القولين في الآية تقديم وتأخير وقيل إنه راجع إلى اتباع الشيطان وهو قول الضحاك واختاره الزجاج وعلوم أن صرف الاستثناء إلى ما يابيه ويتصل به أولى من حصره إلى الشيء البعيد وتقديره وأولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا منكم وهم قوم آمنوا واهتدوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة الأيادي . قوله تعالى (فقاتل في سبيل الله لاتكلف إلا نفسك) نزلت في مواعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم أباسفيا بن حرب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد موسم بدر الصغرى بعد حرب أحد وذلك في ذى القعدة فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى الخروج فكرهه بعضهم فأنزله الله هذه الآية فقاتل في سبيل الله يعنى لاتدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين لاتكلف إلا نفسك يعنى لاتكلف فرض غيرك بل جاهد في سبيل الله ولو وحدك فان الله ناصرك لالجناد وقد وعدك النصر عليهم وهو لا يخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكباً إلى بدر الصغرى فكفاهم الله القتال ورجعوا سالمين وعاتب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية على ترك الجهاد والخروج معه في الآية دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أشجع الناس وأعلمهم بأموال القتال ومكايده لأن الله تعالى أمره بالقتال وحده ولولم يكن أشجع الناس لما أمره بذلك ولقد اقتدى به أبو بكر الصديق في قتال أهل الردة من بني حنيفة الذين منعوا الزكاة فخرج على الخروج إلى قتلهم ولو وحده (وحرض المؤمنين) يعنى حضهم على الجهاد ورضهم في الثواب وليس عليهم إلا التحريض فحسب لا التعنيف بهم (عسى الله) أى لعل الله (أن يكف بأمن الذين كفروا) يعنى لعل الله أن يمنع بأمن الكفار وشذنتهم وقد فعل وذلك أن

الله لاتكلف إلا نفسك أى لاتدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين ولو وحدك فان الله قد وعدك النصر وعاتبهم على ترك القتال والفاء في قوله تعالى فقاتل جواب عن قوله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يصاب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً فقاتل (وحرض المؤمنين) على القتال أى حضهم على الجهاد ورضهم في الثواب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكباً فكفاهم الله القتال فقال جل ذكره (عسى الله) أى لعل الله (أن يكف بأمن الذين كفروا) أى قتال المشركين

وعسى من الله واجب (والله أشد بأسا) أى أشد حولة وأعظم سلطانا (وأشد تنكيلا) أى عوبة قوله عز وجل (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) أى نصيب منها قال ابن عباس رضى الله عنهما الشفاعة الحسنة هى الإصلاح بين الناس والشفاعة السيئة هى المشى بالنميمة بين الناس وقيل الشفاعة الحسنة هى حسن القول فى الناس ينال به الثواب والخير والسيئة هى الغيبة وإساءة القول فى الناس ينال به الشر وقوله (كفل منها) أى من وزرها وقال مجاهد فى شفاعة الناس بعضهم لبعض ويؤجر الشفيع على شفاعته وإن لم يشفع أخبرنا أحمد بن عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل (٥٦٦) أما سيان الثوري عن أبي بردة أخبرني جدى أبو بردة عن أبيه عن موسى رضى الله

عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاءه رجل يسأل أو طالب حاجة أقبل علينا بوجهه فقالوا أشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان رسوله ما شاءه قوله تعالى (وكان الله على كل شيء مقبلا) قال ابن عباس رضى الله عنهما مقبلا أى مجازيا قال الشاعر :
وذى ضغن كفتت الذنس
عنه

عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاءه رجل يسأل أو طالب حاجة أقبل علينا بوجهه فقالوا أشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان رسوله ما شاءه قوله تعالى (وكان الله على كل شيء مقبلا) قال ابن عباس رضى الله عنهما مقبلا أى مجازيا قال الشاعر :
وذى ضغن كفتت الذنس
عنه

وذى ضغن كفتت الشر عنه وكنت على إساءته مقبلا

يعنى قادرا على الإساءة إليه وقيل معناه شاهدا أو حفيظا على الأشياء (ف) عن أبي موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فجاء رجل يسأل فأقبل علينا بوجهه وقال اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان رسوله ما شاءه وفى رواية كان إذا جاءه طالب حاجة أقبل على جلسائه وقال اشفعوا تؤجروا وذكره قوله عز وجل (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها) التحية تفعله من حيا وأصلها من الحياة ثم جعل السلام تحية لكونه خارجا عن حصول الحياة وسبب الحياة فى الدنيا أو فى الآخرة والتحية أن يقال حيالك الله أى جعل لك حياة وذلك أخبار ثم يجعل دعاء وهذه اللفظة كانت العرب تقولها فلما جاء الإسلام بذلك بالسلام وهو المراد به فى الآية يعنى إذا سلم عليكم المسلم فأجيبوه بأحسن مما سلم عليكم به وإنما اختير لفظ السلام على لفظه حيالك الله لأنه أتم وأحسن وأكمل لأن معنى السلام السلامة من الآفات فإذ دعا الإنسان بطول الحياة بغير سلامة كانت حياته مذمومة منغصة وإذا كان فى حياته سليما كان أتم وأكمل فلهذا السبب اختير لفظ السلام (أو ردوها) يعنى أوردوا عليه كما سلم عليكم

وذى ضغن كفتت الذنس
عنه
وكنى على إساءته مقبلا
وقال مجاهد شاهدا وقال
قناة حافظا وقيل معناه
على كل حيوان مقبلا
أى بوصل القوت إليه
وجاء فى الحديث كنى بالمرء
إنما أن يضيع من يقوت
وبقوت قوله تعالى
(وإذا حييتم بتحية

إن)

فحيوا بأحسن منها أو ردوها) التحية دعاء بطول الحياة والمراد

بالتحية هنا السلام بقوله إذا سلم عليكم مسلم فأجيبوا بأحسن منها أو ردوها كما سلم فإذا قال السلام عليكم فقل وعليكم السلام ورحمة الله وإذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقل وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وإذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقل وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيئا فقال ابن عباس إن السلام ينهى إلى البركة وروى عن عمران بن حصين أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال النبي صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال هشرون ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون وأعلم أن السلام سنة ورد السلام

وجب عليه أن يسلم على الحاضرين لقوله صلى الله عليه وسلم «أفشوا السلام» والأمر للوجوب أو يكون ذلك سنة متأكدة لأن السلام من شعار أهل الإسلام فيجب إظهاره أو يتأكد استحبابه أما الرد على المسلم فقد أجمع العلماء على وجوبه ويدل عليه قوله تعالى «وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها» والأمر للوجوب لأن في ترك الرد إهانة للمسلم فيجب ترك الإهانة فإن كان المسلم عليه واحداً وجب عليه الرد وإذا كانوا جماعة كان رد السلام في حقهم فرض كفاية فلو رد واحد منهم سقط فرض الرد عن الباقي وإن تركوه كلهم أثموا. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يجزى عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزى عن الجاوس أن يرد أحدهم» أخرجه أبو داود .

(المسئلة الثالثة في آداب السلام) السنة أن يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير» وفي رواية للبخاري قال «يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد والقليل على الكثير» وإذا تلاقى رجلان فالمبتدئ بالسلام هو الأفضل لما روي عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أوتي الناس بالله عز وجل من بدأهم بالسلام» أخرجه أبو داود والترمذي وانقله قال قيل يا رسول الله الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام قال «أولهما بالله» قال الترمذي حديث حسن ويستحب أن يبدأ بالسلام قبل الكلام والحاجة والسنة إذا مر بجماعة صبيان صغار أن يسلم عليهم لما روي عن أنس أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلها أخرجاه في الصحيحين وفي رواية لأبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على غلمان يلعبون فسلم عليهم وأما السلام على النساء فإن كن جمعا جالسات في مسجد أو موضع فيستحب أن يسلم عليهن إذا لم يخفن على أنفسهن أو عليهن فتنة لما روي عن أسماء بنت يزيد قالت مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم علينا أخرجه أبو داود وفي رواية الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوماً وعصبية من النساء تعود فألوى بيده للتسليم قال الترمذي حديث حسن وإذا مر على امرأة مفردة أجنبية فإن كانت جميلة فلا يسلم عليها ولو سلم فلا ترد هي عليه لأنه لم يستحق الرد وإن كانت عجوزاً لا يخاف عليه ولا عاينها الفتنة سلم عليها وترد هي عليه وحكم النساء مع النساء كحكم الرجال مع الرجال في السلام فيسلم بعضهم على بعض .

منه حسياً أي محاسباً
مجازياً وقال مجاهد
حفيظاً وقال أبو عبيدة
كافياً يقال حسياً هذا
أي كفاً .

(المسئلة الرابعة في الأحوال التي يكره السلام فيها) فمن ذلك الذي يبول أو يتغوط أو يجامع ونحو ذلك لا يسلم عليه فلو سلم فلا يستحق المسلم جواباً لما روي عن ابن عمر «أن رجلاً مر برسول الله صلى الله عليه وسلم يبول فسلم عليه فلم يرد عليه» أخرجه مسلم قال الترمذي إنما يكره إذا كان على الغائط أو البول ويكره التسليم على من في الحمام وقيل إن كانوا مترددين بالمأزر سلم عليهم وإلا فلا، ويكره التسليم على النائم والناعس والمصلي والمؤذن والتالي في حال الصلاة والأذان والتلاوة ويكره الابتداء بالسلام في حال الخطبة لأن الجالسين مأمورون بالإنتصاف للخطبة ويكره أن يبدأ المبتدع بالتسليم عليه وكذلك المعلن بفسق وكذلك الظلمة ونحوهم فلا يسلم على هؤلاء .

قوله تعالى (الله لا إله إلا هو ليجمعنكم) اللام لام القسم تقديره والله ليجمعنكم في الموت وفي القيامة) وسميت القيامة قياماً لأن الناس يقومون من قبورهم قال الله تعالى يوم يخرجون من الأجداد سراعا وقيل لقيامهم إلى الحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين (لأريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً) أي قولاً ووعداً وقرأ حمزة والكسائي أصدق، وكل صادسا كنة بعدها دال بإشمام الأري (فألكم في المناققين ففتن) اختلفوا في سبب نزولها فقال قوم نزلت في الذين تخلفوا يوم أحد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم فإنهم منافقون وقال بعضهم إعف عنهم فإنهم تكلموا بالإسلام أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي (٥٦٩) أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن

إسماعيل أنا أبو الوليد أنا شعبة عن عدي بن ثابت قال سمعت عبد الله بن يزيد يحدث عن زيد بن ثابت قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى أحد رجعت ناس ممن خرج معه وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة تقولنقاتلهم وفرقة تقولناتفألهم فنزلت فالك في المناققين ففتن والله أركسهم بما كسبوا وقال إنها طيبة تنفي الذنوب كما تنفي النار خبث الغضة وقال مجاهد قوم خرجوا إلى المدينة وأسلموا ثم ارتدوا واستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا وأقاموا بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقاتل يقول هم منافقون وة ثل

(المسئلة الخامسة في حكم السلام على أهل الذمة: اليهود والنصارى) اختلف العلماء فيه فذهب أكثرهم إلى أنه لا يجوز ابتدأؤهم بالسلام وقال بعضهم إنه ليس بحرام بل هو مكروه كراهة تنزيه ويدل على ذلك ما روى عن أنى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا تبدعوا اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه» أخرجه مسلم وإذا سلم يهودى أو نصرانى على مسلم فيرد عليه ويقول عليك بغير واو العطف لما روى عن أنس أن يهودياً أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال السام عليكم فرد عليه القول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هل تدرون ما قال؟ قالوا الله ورسوله أعلم سلم ياتى الله قال لا ولكنه قال كذا وكذا ردوه على فردوه فقال قلت السام عليكم قال نعم ياتى الله فقال صلى الله عليه وسلم عند ذلك إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا عليك أى عليك ما قلت» أخرجه الترمذى فلو أتى بواو العطف وميم الجمع فقال وعليكم جاز لأننا نجاب عليهم في الدعاء ولا يجابون علينا ويدل على ذلك ما روى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر عليه ناس من اليهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقال «وعليكم» فقالت عائشة وغضبت ألم تسمع ما قالوا؟ قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وأنا نجاب عليهم ولا يجيبون علينا أخرجه مسلم وإذا مر المسلم على جماعة فيهم مسلمون ويهود ونصارى يسلم عليهم ويقصد بتسليمه المسلمين لما روى عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين واليهود فسلم عليهم أخرجه الترمذى . قوله عز وجل (الله لا إله إلا هو ليجمعنكم) هذه لام القسم تقديره والله الذى لا إله إلا هو ليجمعنكم الله في الموت وفي القيامة (لن يوم القيامة) يعنى إلى يوم الحشر والبعث سميت القيامة قياماً لقيام الناس من قبورهم بعد الموت وقيل لقيامهم للحساب نزلت هذه الآية في منكرى البعث (لأريب فيه) يعنى لاشك في ذلك اليوم أنه كائن (ومن أصدق من الله حديثاً) يعنى لأحد أصدق من الله فانه لا يخلف الميعاد ولا يجوز عليه الكذب والمعنى أن القيامة كائنة لاشك فيها ولا ريب . قوله عز وجل (فألكم في المناققين ففتن) اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقيل نزلت في الذين تخلفوا يوم أحد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتلهم يا رسول الله فإنهم منافقون وقال بعضهم أعف عنهم فإنهم قد تكلموا

(٧٢ - مخازن باليقوى - أول) يقول هم مؤمنون وقال بعضهم نزلت في ناس من قريش قدموا المدينة وأسلموا ثم ندموا على ذلك فخرجوا كهيئة المنتزهين حتى تباعدوا من المدينة فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا على الذى فارقتك عليه من الإيمان ولكننا اجتورينا المدينة واشبهنا إلى أرضنا ثم إنهم خرجوا في تجارة لهم نحو الشام فبلغ ذلك المسلمين فقال بعضهم نخرج إليهم فنقتلهم وأخذنا ما همهم لأنهم رغبوا عن ديننا وقالت طائفة كيف تقتلون قوماً على دينكم إن لم يملوا ديارهم وكان هذا بعين النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لا ينسب واحداً من الفريقين فنزلت هذه الآية وقال بعضهم هم قوم أسلموا بمكة ثم لم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين فنزلت فالكم يا معشر المؤمنين في المناققين ففتن أى صرتم فيهم ففتن

أى فرقتين (والله أركسهم) أى نكسهم ورددهم إلى الكفر (بما كسبوا) بأعمالهم غير الزاكية (أريدون أن يهدوا) أى أن ترشدوا (من أضل الله) وقيل معناه أتقولون (٥٧٠) أن هؤلاء مهتدون وقد أضلهم الله (ومن يضل الله) أى ومن

بكلمة الإسلام (ق) عن زيد بن ثابت قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد رجوع ناس من خرج معه فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ففتنهم قالت فرقة تقتلهم وقالت فرقة لا تقتلهم فنزلت فما لكم في المنافقين ففتنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها طيبة تنفى الرجال كما تنفى الكبر خبث الحديد وقيل نزلت في قوم خرجوا إلى المدينة وأسلموا ثم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا وأقاموا بمكة فاختلف المسلمون بينهم فقاتل يقول هم منافقون وقيل يقول هم مؤمنون وقيل نزلت في ناس من قريش قلدوا المدينة وأسلموا ثم ندموا على ذلك فخرجوا كهيئة المتزهبين فلما بعدوا عن المدينة كتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا على الذي فارقتك عليه من الإيمان ولكننا اجتورنا المدينة واشتقنا إلى أرضنا ثم إنهم خرجوا في تجارة إلى الشام فيبلغ ذلك المسلمين فقال بعضهم نخرج إليهم ونقتلهم ونأخذ ما معهم لأنهم رغبوا عن ديننا وقالت طائفة منهم كيف تقتلون قوما على دينكم وإن لم يذروا ديارهم وكان هذا بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما كت لا ينهى أحدان فريقتين فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين وقيل نزلت في عبد الله ابن أبي بن سلول المنافق لما تكلم في حديث الإفك ومعنى الآية فما لكم يا معشر المؤمنين في المنافقين ففتن أى صرتم في أمرهم فرقتين فرقة تذب عنهم وفرقة تباينهم وتعادهم فهى الله الفرقة الذين يذبون عنهم وأمر المؤمنين جميعا أن يكونوا على منهاج واحد في التباين لهم والتبري منهم ثم أخبر عن كفرهم بقوله (والله أركسهم) يعنى نكسهم في كفرهم وارتدادهم ورددهم إلى أحكام الكفار (بما كسبوا) أى بسبب ما اكتسبوا من أعمالهم الخبيثة وقيل بما أظهروا من الارتداد بعد ما كانوا على النفاق (أريدون أن يهدوا من أضل الله) هذا خطاب للفتنة التى دافعت عن المنافقين والمعنى أبتغون أيها المؤمنون هداية هؤلاء المنافقين الذين أضلهم الله عن الهدى (ومن يضل الله) يعنى عن الهدى (فلن تجد له سبيلا) يعنى فلن تجد له طريقا تهديه فيها إلى الحق والهدى . قوله تعالى (ودوا) يعنى تمنى أولئك الذين رجعوا عن الإيمان إلى الارتداد والكفر (لو تكفرون) يعنى تكفرون أنتم يا معشر المؤمنين (كما كفروا فتكفونون سواء) فى الكفر (فلا تتخذوا منهم أولياء) يعنى من الكفار منع المؤمنين من موالاتهم (حتى يهاجروا) يعنى يسلموا أو يهاجروا (فى سبيل الله) معكم وهى هجرة أخرى والهجرة على ثلاثة أوجه: الأولى هجرة المؤمنين فى أول الإسلام وهى قوله تعالى للفقراء المهاجرين وقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ونحوها من الآيات وهجرة المؤمنين وهى الخروج فى سبيل الله مع رسول الله ﷺ صابرين محتسبين كما حكى هاهنا وفى هذه الآية منع موالات المؤمنين من موالات

يضل الله عن الهدى (فلن تجد له سبيلا) أى طريقا إلى الحق قوله تعالى (ودوا) يعنى أولئك الذين رجعوا عن الدين تمنوا (لو تكفرون) كما كفروا فتكفونون سواء) فى الكفر وقوله فتكفونون لم يرد به جراب التمنى لأن جواب التمنى بالقاء منصوب إنما أراد التمسق أى ودوا لو تكفرون وودوا لو تكفونون سواء مثل قوله «ودوا لو تدهن فيدهنون» أى ودوا لو تدهن وودوا لو تدهنون (فلا تتخذوا منهم أولياء) منع عن موالاتهم (حتى يهاجروا فى سبيل الله) معكم قال عكرمة هى هجرة أخرى والهجرة على ثلاثة أوجه: هجرة المؤمنين فى أول الإسلام وهى قوله تعالى للفقراء المهاجرين وقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ونحوها من الآيات وهجرة المؤمنين وهى الخروج فى سبيل الله مع رسول الله ﷺ صابرين محتسبين كما حكى هاهنا وفى هذه الآية منع موالات المؤمنين من موالات

المنافقين حتى يهاجروا فى سبيل الله وهجرة سائر المؤمنين ما نهى الله عنه وهى ما قال النبي ﷺ على المهاجر من هجر ما نهى الله عنه وقوله تعالى (فان تولوا) أعرضوا عن التوحيد والهجرة (فخذوهم) أى خذوهم أسارى ومه يقال للأسير أخيد (واقتلوهم حيث وجدتموهم) فى الحن والحرم (ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا) ثم استثنى طائفة منهم فقال

(لا الذين يصلون إلى قوم) وهذا الاستثناء يرجع إلى القتل لآل الموالات لأن موالات الكفار والمنافقين لا يجوز بحال ومعنى يصلون أي يتسبون إليهم ويتصلون بهم ويدخلون فيهم بالخلف والجوار وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريدون يلجئون إلى قوم (بينكم وبينهم ميثاق) أي عهد وهم المسلمون وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رادع هلال بن عويمر الأسلمي قبل خروجه إلى مكة على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل إلى هلال من قومه وغيرهم ولجأ إليه فلهم من الجوار مثل ما هلال وقال الضحاك عن ابن عباس أراد بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق بنى بكر بن (٥٧١) زيد بن مائة كانوا في الصلح

والهدنة وقال مقاتل هم خزاعة وقوله (أو جاءوكم) أي يتصلون بقوم جاءوكم (حصرت صدورهم) أي ضاقت صدورهم قرأ الحسن ويعقوب حصرت منضوية منونة أي ضيقة صدورهم يعني القوم الذين جاءوكم وهم بنو مدليج كانوا عاهدوا قريشا أن لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا أن لا يقاتلواهم حصرت ضاقت صدورهم (أن يقاتلوكم) أي عن قتالكم للعهد الذي بينكم وبينهم (أو يقاتلوا قومهم) يعني من آمن منهم ويجوز أن يكون معاه أنهم لا يقاتلونهم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم يعني قريشا قد ضاقت صدورهم لذلك وقال بعضهم أو بمعنى الواو كأنه يقول إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حصرت صدورهم أي قد حصرت صدورهم عن قتالهم

على أعدائكم لأنهم أعداء ثم استثنى الله عز وجل طائفة منهم فقال تعالى (إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) هذا الاستثناء يرجع إلى القتل لآل الموالات لأن موالات الكفار والمنافقين لا يجوز بحال ومعنى يصلون يتسبون إليهم أو يلتصقون إليهم بالخلف والجوار وقال ابن عباس يريدون يلجئون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أي عهد وهم المسلمون وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رادع هلال بن عويمر الأسلمي عند خروجه إلى مكة على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل إلى هلال من قومه وغيرهم ولجأ إليه فلهم الجوار مثل ما هلال وفي رواية عن ابن عباس قال أراد بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق بنى بكر بن زيد مائة كانوا في الصلح والهدنة وقيل هم خزاعة والمعنى أن من دخل في عهد من كان داخلا في عهدكم فهم أيضا داخلون في عهدكم (أو جاءوكم حصرت صدورهم) يحتدل أن يكون عطف على الذين وتندبره إلا الذين يتصلون بالمعاهدين أو يتصلون بالذين حصرت صدورهم فلا تقتلواهم وقيل يحتدل أن يكون عطف على صفة قوم وتندبره إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم عهد أو يصلون إلى قوم حصرت صدورهم فلا تقتلواهم ومعنى حصرت أي ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون قتالكم لأنكم مسلمون ولا يريدون قتالكم لأنهم أقاربهم وهم بنو مدليج وكانوا عاهدوا أن لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا أن لا يقاتلواهم (أن يقاتلوكم) يعني ضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذي بينكم وبينهم (أو يقاتلوا قومهم) يعني من آمن منهم وقيل معناه أنهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم فقد ضاقت صدورهم لذلك عن قتالكم والقتال معكم وهم قوم هلال الأسلمي وبنو بكر نسي الله عن قتال هؤلاء المرتدين إذا اتصلوا بأهل عهد المسلمين لأن من انضم إلى قوم ذوى عهد فله حكمهم في حقن الدم وذلك أن الله تعالى أوجب قتال الكفار إلا من كان معاهدا أو لجأ إلى معاهد أو ترك القتال لأنه لا يجوز قتل هؤلاء وعلى هذا القول فالقول بالنسخ لازم لأن الكافر وإن ترك القتال فقتاله جائز وقال جماعة من المفسرين معاهدة المشركين وموآدعتهم في هذه الآية منسوخة بآية السيف وذلك لأن الله تعالى لما أعز الإسلام وأهله أمر أن لا يقبل من شركى العرب إلا الإسلام أو القتل (ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم) يذكر الله تعالى منته على المسلمين بكف بأس المعاهدين وذلك لما أتى الله الرعب في قلوبهم وكفهم عن قتالكم ومعنى التسليط هنا تقوية قلوبهم على قتال المسلمين ولكن قدف الله الرعب في قلوبهم وكفهم عن المسلمين (فان اعترلوكم) يعني فان اعترلوكم عن قتالكم (فلم يقاتلوكم) ويقال فلم يقاتلوكم يوم فتح مكة مع قومهم (وألقتوا إليكم السلم) بمعنى الانقياد والصلح فانقادوا واستسلموا (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) يعني بالقتال والقتال قال بعض

والقتال معكم ، وهم قوم دلال الأسلمي وبنو بكر نسي الله سبحانه عن قتال هؤلاء المرتدين إذا اتصلوا بأهل عهد للمسلمين لأن من انضم إلى قوم ذوى عهد فله حكمهم في حقن الدماء قوله تعالى (ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم) يذكر منته على المسلمين بكف بأس المعاهدين يقول إن ضيق صدورهم عن قتالكم لما أتى الله في قلوبهم من الرعب وكفهم عن قتالكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم مع قومهم (فان اعترلوكم) أي اعترلوكم قتالكم (فلم يقاتلوكم) ومن اتصل بهم ويقال يوم فتح مكة لم يقاتلوكم مع قومهم (وألقتوا إليكم السلم) أي الصلح فانقادوا واستسلموا (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) أي طريقا

بالتقتل والقتال قوله تعالى (ستجدون آخرين) قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما هم أسد وغطفان كانوا حاضري المدينة تكلموا بالإسلام رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا أسلمت فيقول آمنت بهذا القرد وهذا العقب والخنفساء وإذا لقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا إنا على دينكم يريدون بذلك إلا من في الفريقين وقال الضحاح عن ابن عباس : هم بنو عبد الدار كانوا بهذه الصفة (يريدون أن يأمنوكم) فلا تتعرضوا لهم (ويأمنوا قومهم) فلا يتعرضوا لهم (كلما ردوا إلى الفتنة) أي دعوا إلى الشرك (أركسوا فيها) أي رجعوا وعادوا إلى الشرك (فإن لم يعز لوكم) أي فإن لم يكفوا عن قتالكم حتى تسبوا إلى مكة (ويلقوا إليكم السلم) أي المفادة والصلح (ويكفوا أيديهم) ولم يقبضوا أيديهم عن قتالكم (فخذوهم) أسراء (واقتلوهم حيث ثقتوهم) أي وجدتموهم (وأولئك) أي أهل هذه الصفة (جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) أي حجة بيينة ظاهرة بالقتل والقتال قوله تعالى (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا) الآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وذلك أنه أتى رسول الله صلى الله (٥٧٢) عليه وسلم بمكة قبل الهجرة فأسلم ثم خافت أن يظهر إسلامه لأهله فخرج

هاربا إلى المدينة وتحصن في أطم من أطامها فجزعت أمه لذلك جزعا شديدا وقالت لإبنها الحارث وأبي جهل بن هشام وهما أخواه لأمه والله لا يظلمني سقف ولا أدوق طعاما ولا شرابا حتى تأتوني به فخرجاني طلبه وخرج معهما الحارث بن زيد بن أبي أنيسة حتى أتوا المدينة فأتوا عياشا وهو في الأطم قالا له أنزل فان أمك لم يؤوها سقف بيت يعدك وقد حلفت ألا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا حتى ترجع إليها ولك عهد الله عابنا أن

لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك وبين دينك فلما ذكروا له جزع أمه وأوتقوا له حتى نزل إليهم فأخرجوه من المدينة ثم أوتقوه بنسعة فجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به على أمه فلما آتاهها قالت والله لأحلك من وثاقت حتى تكف بالذي آمنت به ثم تركوه موثقا مطروحا في الشمس ماشاء الله فأعطاهم الذي أرادوا فأتاهم الحارث بن زيد فقال باعياش أهذا الذي كنت عليه فوالله لئن كان هدى لفد تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لألقاك خاليا أبدا إلا قتلتك ثم إن عياشا أسلم بعد ذلك وهاجر ثم أسلم الحارث بن زيد بعده وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عياش حاضرا يومئذ ولم يشعر بإسلامه فبينما عياش يسير يظهر قباه إذ لقي الحارث فقتله فقال الناس ويحك أي شيء قد صنعت أنه قد أسلم رجعت عياش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله قد كان من أمري وأمر الحارث ما قد علمت وإني لم أشعر بإسلامه حتى قتلته فنزل (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا) الآية خطأ وهذا نهى عن قتل المؤمن كقوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله (إلا خطأ) استثناء منقطع معناه لكن إن وقع خطأ

(ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة) أي فعلية إعتاق رقبة مؤمنة كفارة (ودية مسلمة) كاملة (إلى أهله) أي إلى أهل القاتل الذين يرثونه (إلا أن يصدقوا) أي يتصدقوا بالدية فيعفوا ويتركوا الدية (فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) أراد به إذا كان الرجل مسلماً في دار الحرب منفرداً مع الكفار فقتله من لم يعلم بإسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة وقيل المراد منه إذا كان المقتول مسلماً في دار الإسلام وهو من نسب قوم كفار وقربته في دار الحرب حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لأهله وكان الحارث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين (٥٧٣) وكان فيه تحرير رقبة ولم يكن

فيه دية لأنه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد قوله تعالى (وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة) أراد به إذا كان المقتول كافراً ذمياً أو معاهداً يجب فيه الدية والكفارة تكون بإعتاق رقبة مؤمنة سواء كان المقتول مسلماً أو معاهداً رجلاً كان أو امرأة حراً كان أو عبداً وتكون في مال القاتل (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) والقاتل إن كان واجداً للرقبة أو قادراً على تحصيلها بوجود ثمنها فاضلاً عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الإعتاق ولا يجوز أن ينتقل إلى الصوم فإن عجز عن تحصيلها فعليه صوم شهرين متتابعين فإن أفطر يوماً متعمداً في خلال الشهرين أو

حتى تأتياي به فخرج في طلبه وخرج معهما الحارث بن زيد بن أبي أنيسة حتى أتوا المدينة فأتوا عياشاً وهو في الأطم فقالوا أنزل فإن أمك لم يؤوها ستف بعدك وقد حلفت لائماً كل ولا تشرب حتى ترجع إليها ولك عهد الله علينا أن لا نكرهك على شيء يحول بينك وبين دينك فلما ذكروا له جزع أمه وأوثقوا له العهد بالله نزل إليهم فأخرجوه من المدينة وأوثقوه بسبعة وجلدته كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به على أمه فلما أتتها قالت لا أحلك من وثاقتك حتى تكفر بالذي آمنت به ثم تركوه موثقاً في الشمس ماشاء الله فأعطاهم الذي أرادوا فأثاه الحارث بن زيد فقال يا عياش أهذا الذي كنت عليه لئن كان هدى لقد تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لأفكك خالياً إلا قتلتك ثم إن عياشاً أسلم بعد ذلك وهاجر وأسلم الحارث بن زيد من بعده وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عياش حاضراً يومئذ ولم يشعر بإسلامه فبينما عياش يسير بظهر قباء إذ لقي الحارث فقتله فقال لهم ناس وبعثك يا عياش أي شيء صنعت إنه قد أسلم فرجع عياش إلى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله إنه كان من أمري وأمر الحارث ما قد علمت وإني لم أشعر بإسلامه حتى قتلته فنزل وما كان المؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ومعنى الآية وما كان المؤمن أن يقتل مؤمناً البتة وما كان له سبب جواز قتله وقيل معناه ما كان له ذلك فيها أثاره من ربه وعهد إليه ففيه تحريم قتل المؤمن من كل وجه وقوله تعالى إلا خطأ استثناء منقطع معناه لكن إن وقع خطأ فتحرير رقبة وقيل معناه ما كان المؤمن أن يقتل مؤمناً البتة إلا أن يخطئ المؤمن فكفارة خطئه ما ذكر من بعد والخطأ فعل الشيء من غير قصد وتعمد (ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة) يعني فعلية إعتاق رقبة مؤمنة كفارة (ودية مسلمة إلى أهله) أي وعليه دية كاملة مسلمة إلى أهل القاتل الذين يرثونه (إلا أن يصدقوا) يعني إلا أن يتصدق أهل القاتل على القاتل بالدية ويعفو عنه (فإن كان) يعني المقتول (من عدو قوم لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) أراد أنه إذا كان رجل مسلم في دار الحرب وهو منفرد مع قوم كفار فقطه من لم يعلم بإسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة وقيل المراد منه إنه إذا كان المقتول مسلماً في دار الإسلام وهو من نسب قوم كفار وأهله الذين يرثونه في دار الحرب وهم حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لأهله وكان الحارث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه الكفارة وتحرير رقبة مؤمنة دون الدية لأنه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد (وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) أي عهد (فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة) يعني أنه إذا كان المقتول كافراً ذمياً أو معاهداً أو ذمياً فنجب فيه الدية والكفارة (فمن لم يجد) يعني الرقبة (فصيام شهرين متتابعين)

نسي النية أو نوى صوماً آخر وجب عليه استئناف الشهرين وإن فصل يوماً بعذر مرض أو سفر فهل ينقطع التتابع؟ اختلف أهل العلم فيه فهم من قال ينقطع وعليه استئناف الشهرين وهو قول النخعي وأظهر قول الشافعي رضي الله عنه لأنه أفطر مختاراً ومنهم من قال لا ينقطع وعليه أن يبني وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبي، ولو حاضت المرأة في خلال الشهرين أفطرت أيام الحيض ولا ينقطع التتابع فإذا طهرت بنت على ما أصابت لأنه أمر مكتوب على النساء لا يمكن الاحترار عنه فإن عجز عن الصوم فهل يخرج عنه باطعام ستين مسكيناً فيه قولان: أحدهما يخرج كما في كفارة الظهار. والثاني لا يخرج لأن الشرع

لم يذكر له بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين (توبة من الله) أى جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطأ (وكان الله عليا) بمن قتل خطأ (حكيا) فيها حكم به عليكم ، أما الكلام في بيان الدية فاعلم أن القتل على ثلاثة أنواع : عمد محض وشبه عمد وخطأ محض ، أما المحض فهو أن يقصد قتل إنسان (٥٧٤) بما يقصد به القتل غالبا فقتله ففيه القصاص عند وجود التكافؤ أو دية

مغلظة في مال القاتل حالة وشبه العمد أن يقصد ضربه بما لا يموت مثله من ذلك الضرب غالبا بأن ضربه بعضا خفيفة أو حجر صغير ضربة أو ضربتين فمات فلا قصاص فيه بل يجب فيه دية مغلظة على عاقلته مؤجلة إلى ثلاث سنين والخطأ المحض هو أن لا يقصد قتله بل قصد شيئا آخر فأصابه فمات منه فلا قصاص فيه بل يجب دية مخففة على عاقلته مؤجلة إلى ثلاث سنين والخطأ المحض هو أن لا يقصد قتله بل قصد شيئا آخر فأصابه فمات منه فلا قصاص فيه بل يجب دية مخففة على عاقلته مؤجلة إلى ثلاث سنين وتجب الكفارة كلها وعند أبي حنيفة رضى الله عنه قتل العمد لا يوجب الكفارة لأنه كبيرة كسائر الكبائر ودية الحر المسلم مائة من الإبل فإذا عدت الإبل وجبت قيمتها من الدراهم أو الدنانير في قول وفى قول يجب بدل مقدر منها وهو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم وبذل على ذلك ماروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم قال وكانت دية أهل الكتاب يومئذ على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلف عمر فقام خطيبا فقال إن الإبل قد غلت فترضها عمر على أهل الذهب ألف دينار وعلى أهل الورق اثني عشر ألف درهم وعلى أهل البقر مائتي بقرة وعلى أهل الشاة أثنى شاة وعلى أهل الحبل مائتي حلة قال وترك دية أهل الكتاب فلم يرفعها فيما رفع من الدية أخرجه أبو داود فذهب قوم إلى أن الواجب في الدية مائة من الإبل أو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصرى وبه قال مالك والشافعى وذهب قوم إلى أنها مائة من الإبل أو ألف دينار أو عشرة آلاف درهم وهو قول سفیان الثوري وأصحاب الرأي ودية المرأة نصف دية الذكر الحر ودية أهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم إن كان كتابيا وإن كان مجوسيا فخمسة الثلث ثمانمائة درهم وهو قول سعيد بن المسيب وإليه ذهب الشافعى وذهب قوم إلى أن دية الذى والمعاهد مثل دية المسلم روى ذلك عن ابن مسعود وهو قول سفیان الثوري وأصحاب الرأي وقال قوم دية الذى نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك وأحمد والأصل فى ذلك ماروى عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر أخرجه أبو داود وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عقل أهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى أخرجه الترمذى فمن ذهب إلى أن دية أهل الذمة ثلث دية المسلم أجاب عن هذا الحديث بأن الأصل فى ذلك كان النصف ثم رفعت زمن عمر

أى فعله صيام شهرين متتابعين بدلا عن الرقية (توبة من الله) يعنى جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطأ (وكان الله عليا) يعنى بمن قتل خطأ (حكيا) يعنى فيها حكم به عليه من الدية والكفارة .

فصل فى أحكام تتعلق بالآية وفيه مسائل

(المسئلة الأولى : فى بيان صفة القتل) قال الشافعى القتل على ثلاثة أقسام : عمد وشبه عمد وخطأ ، أما العمد المحض فهو أن يقصد قتل إنسان بما يقتل به غالبا فقتل به ففيه القصاص عند وجود التكافؤ أو دية حالة مغلظة فى مال القاتل . وأما شبه العمد فهو أن يقصد ضرب إنسان بما لا يقتل بمثله غالبا مثل أن ضربه بعضا خفيفة أو رماء بحجر صغير فمات فلا قصاص عليه وتجب عليه دية مغلظة على عائلته مؤجلة إلى ثلاث سنين . وأما الخطأ المحض فهو أن لا يقصد قتله بل قصد شيئا آخر فأصابه فمات منه فلا قصاص عليه وتجب فيه دية مخففة على عاقلته مؤجلة إلى ثلاث سنين ومن صور قتل الخطأ أيضا أن يقصد رمى مشرك أو كافر فيصيب مسلما أو يقصد قتل إنسان يظنه مشركا أن كان عليه لباس المشركين أو شعارهم فالصورة الأولى خطأ فى الفعل والثانية خطأ فى القصد .

(المسئلة الثانية : فى حكم الديات) فدية الحر المسلم مائة من الإبل فإذا عدت الإبل فتجب قيمتها من الدراهم أو الدنانير فى قول وفى قول بدل مقدر وهو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم وبذل على ذلك ماروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم قال وكانت دية أهل الكتاب يومئذ على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلف عمر فقام خطيبا فقال إن الإبل قد غلت فترضها عمر على أهل الذهب ألف دينار وعلى أهل الورق اثني عشر ألف درهم وعلى أهل البقر مائتي بقرة وعلى أهل الشاة أثنى شاة وعلى أهل الحبل مائتي حلة قال وترك دية أهل الكتاب فلم يرفعها فيما رفع من الدية أخرجه أبو داود فذهب قوم إلى أن الواجب فى الدية مائة من الإبل أو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصرى وبه قال مالك والشافعى وذهب قوم إلى أنها مائة من الإبل أو ألف دينار أو عشرة آلاف درهم وهو قول سفیان الثوري وأصحاب الرأي ودية المرأة نصف دية الذكر الحر ودية أهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم إن كان كتابيا وإن كان مجوسيا فخمسة الثلث ثمانمائة درهم وهو قول سعيد بن المسيب وإليه ذهب الشافعى وذهب قوم إلى أن دية الذى والمعاهد مثل دية المسلم روى ذلك عن ابن مسعود وهو قول سفیان الثوري وأصحاب الرأي وقال قوم دية الذى نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك وأحمد والأصل فى ذلك ماروى عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر أخرجه أبو داود وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عقل أهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى أخرجه الترمذى فمن ذهب إلى أن دية أهل الذمة ثلث دية المسلم أجاب عن هذا الحديث بأن الأصل فى ذلك كان النصف ثم رفعت زمن عمر

مغلظة فى مال القاتل حالة وشبه العمد أن يقصد ضربه بما لا يموت مثله من ذلك الضرب غالبا بأن ضربه بعضا خفيفة أو حجر صغير ضربة أو ضربتين فمات فلا قصاص فيه بل يجب فيه دية مغلظة على عاقلته مؤجلة إلى ثلاث سنين والخطأ المحض هو أن لا يقصد قتله بل قصد شيئا آخر فأصابه فمات منه فلا قصاص فيه بل يجب دية مخففة على عاقلته مؤجلة إلى ثلاث سنين وتجب الكفارة كلها وعند أبي حنيفة رضى الله عنه قتل العمد لا يوجب الكفارة لأنه كبيرة كسائر الكبائر ودية الحر المسلم مائة من الإبل فإذا عدت الإبل وجبت قيمتها من الدراهم أو الدنانير فى قول وفى قول يجب بدل مقدر منها وهو ألف دينار أو اثني عشر ألف درهم لما روى عن عمر رضى الله عنه فرض الدية على أهل

دية

الذهب ألف دينار وعلى أهل الورق اثني عشر ألف درهم

وذهب قوم إلى أن الواجب فى الدية مائة من الإبل أو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصرى رضى الله عنهما وبه قال مالك وذهب قوم إلى أنها مائة من الإبل أو ألف دينار أو عشرة آلاف درهم وهو

قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي ودية المرأة نصف دية الرجل ودية أهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم إن كان كتابيا وإن كان
مجوسيا فخمسة الدية روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف درهم ودية المجوسي ثمانمائة درهم
وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وإليه ذهب الشافعي رضي الله عنه وذهب (٥٧٥) قوم إلى أن دية الذمي والمعاهد

مثل دية المسلم وروى ذلك
عن ابن مسعود رضي الله
عنه وهو قول سفيان
الثوري وأصحاب الرأي
وقال قوم دية الذمي
نصف دية المسلم ، وهو
قول عمر بن عبد العزيز
وبه قال مالك وأحمد
رحمهما الله والدية في
العمد الخض وشبه العمد
مغلظة بالسن فيجب
ثلاثون حقة وثلثون
جذعة وأربعون خلفه
في بطونها أولادها وهو
قول عمر بن الخطاب
وزيد بن ثابت رضي الله
عنهما وبه قال عطاء
وإليه ذهب الشافعي رضي
الله عنه لما أخبرنا
عبد الوهاب بن محمد
الخطيب أنا عبد العزيز
ابن أحمد الخلال أنا
أبو العباس الأصم أنا
الربيع أنا الشافعي رضي
الله عنه أنا ابن عيينة عن
علي بن زيد بن جدعان
عن القاسم بن ربيعة عن
عبد الله بن عمر رضي
الله عنهما أن رسول الله
ﷺ قال ألا إن في قتل
العمد الخطأ بالسوط
والعصا مائة من الإبل
معاظلة منها أربعون خلفه

دية المسلم ولم ترفع دية الذمي فبقيت على أصلها وهو قدر الثلث من دية المسامحين والدية في قتل
العمد وشبه العمد مغلظة فتجب ثلاثون حقة وثلثون جذعة وأربعون خلفه في بطونها أولادها
وهذا قول عمر وزيد بن ثابت وبه قال عطاء وإليه ذهب الشافعي لما روى عن عمرو بن شعيب
عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متعمدا دفع إلى أولياء المقتول
فإن شاءوا قتلوا وإن شاءوا أخذوا الدية وهي ثلاثون حقة وثلثون جذعة وأربعون خلفه
وما صلحو عليه فهو لهم وذلك لتشديد العقل أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
وعن عقبة بن أوس عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله
عليه وسلم يوم الفتح فقال «ألا وإن قتل العمد بالسوط والعصا والحجر مائة من الإبل أربعون
ثنية إلى بازل عامها كلهن خلفه» وفي رواية أخرى ألا إن كل قتل خطأ العمد أو شبه العمد
قتيل السوط والعصا مائة من الإبل فيها أربعون في بطونها أولادها أخرجه النسائي
وذهب قوم إلى أن الدية المغلظة أربع وخمسون بنت مخاض وخمسون بنت
لبون وخمسون بنت حقة وخمسون بنت حقة وهذا قول الزهري وربيعه وإليه ذهب
مالك وأحمد وأصحاب الرأي. وأما دية الخطأ فمخففة وهي أخماس بالاتفاق غير أنهم اختلفوا
في تقسيمها فذهب قوم إلى أنها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون بنت لبون
وعشرون حقة وعشرون جذعة وهذا قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهري
وربيعة وبه قال مالك والشافعي وأبدل قوم أبناء اللبون بنات مخاض برون ذلك عن ابن مسعود
وبه قال أحمد وأصحاب الرأي والدية في قتل الخطأ وشبه العمد على العاقلة وهم العصبات من
الذكور ولا يجب على الجاني منها شيء لأن النبي ﷺ أوجبها على العاقلة ودية الأعضاء
والأطراف حكها ميين في كتب الفقه ودية أعضاء المرأة على النصف من دية أعضاء الرجل
والله أعلم .

(المسألة الثالثة : في حكم الكفارة) الكفارة إعتاق رقبة مؤمنة وتجب في مال القاتل سواء
كان المقتول مسلما أو معاهدا رجلا كان أو امرأة حرا كان أو عبدا فمن لم يجد الرقبة فعليه
صيام شهرين متتابعين فالقاتل إن كان واجدا للرقبة أو قادرا على تحصيلها بوجود الثمن فاضلا
عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الإعتاق ولا يجوز له أن ينتقل إلى الصوم
فمن عجز عن الرقبة أو عن تحصيل ثمنها فعليه صوم شهرين متتابعين فإن أفطر يوما متعمدا
في خلال الشهرين أو نسي النية أو نوى صوما آخر وجب عليه استئثاف الشهرين وإن أفطر يوما
بعذر مرض أو سفر هل ينقطع التتابع؟ اختلف العلماء فيه فمنهم من قال ينقطع التتابع وعليه
استئثاف الشهرين وهو قول النخعي وأظهر قول الشافعي لأنه أفطر مختارا ومنهم من قال لا ينقطع
التتابع وإليه أن يبنى وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبي ولو حاضت المرأة في خلال
الشهرين فطرت أيام الحيض ولا ينقطع التتابع فإذا ظهرت بنت لأنه أمر كتبه الله على النساء

في بطونها أولادها وذهب قوم إلى أن الدية المعاظلة ، أربع وخمسون بنت مخاض وخمسون بنت لبون وخمسون
وعشرون حقة وخمسون جذعة وهو قول الزهري وربيعه وبه قال مالك وأحمد وأصحاب الرأي وأما دية الخطأ فمخففة
وهي أخماس بالاتفاق غير أنهم اختلفوا في تقسيمها فذهب قوم إلى أنها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون

ابن ليون وعشرون حقة وعشرون جلدعة وهو قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهري وربيعه ، وبه قال مالك
والشامي رحمهم الله وأبى قوم بنى اللبون بينات الخاض يروى ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه وبه قال أحمد وأصحاب الرأي
ودية الأعراف على هذا التقدير (٥٧٦) ودية المرأة فيها على النصف من دية الرجل والدية في قتل الخطأ وشبه العمد

على العاقلة وهم عصبات
الناتل من الذكور ولا
يجب على الجاني منها شيء
لأن النبي صلى الله عليه
وسلم أوجبها على العاقلة
قوله تعالى (ومن يقتل
مؤمنا متعمدا) الآية
نزلت في مقيس بن صبيبة
الكندي وكان قد أسلم
هو وأخوه هشام فوجد
أخاه هشاما قتيلا في بني
النجار فأتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فذكر له ذلك فأرسل
رسول الله صلى الله عليه
وسلم معه رجلا من بني
فهر إلى بني النجار أن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يأمركم إن علمتم
قاتل هشام بن صبيبة
أن تدفعوه إلى مقيس
فيقتص منه وإن لم تعلموا
أن تدفعوا إليه دية
فأبلغهم الفهرى ذلك
فقالوا سمعا وطاعة لله
ولرسوله والله ما نعلم له
قاتلا ولكننا نؤدى دية
فأعطوه مائة من الإبل
ثم انصرفا راجعين نحو
المدينة فأتى الشيطان
مقيسا فوسوس إليه فقال
تقبل دية أخيك فتكون
عليك سبة أقتل الذي

ولا يمكن الاحتراز عنه فإن عجز عن الصوم فهل ينتقل عنه إلى الإطعام فيطعم ستين مسكينا
ففيه قولان : أحدهما إنه ينتقل إلى الإطعام كما في كفارة الظهر . والثاني لا ينتقل لأن الله تعالى لم
يذكر له بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين توبة من الله فنص على الصوم وجعل ذلك عقوبة
لقتل الخطأ والله أعلم . قوله عز وجل (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم) نزلت في مقيس
ابن صبيبة الكندي وكان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد أخاه هشاما قتيلا في بني النجار فأتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من
بني فهر إلى بني النجار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم إن علمتم قاتل هشام بن صبيبة
أن تدفعوه إلى أخيه مقيس فيقتص منه وإن لم تعلموه ادفعوا إليه دية فبلغهم الفهرى ذلك
فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله ما نعلم له قاتلا ولكن نؤدى إليه دية . فأعطوه مائة من الإبل
فانصرفا راجعين نحو المدينة فأتى الشيطان مقيسا فوسوس إليه فقال له تقبل دية أخيك لتكون
عليك سبة أقتل الفهرى الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهرى فرماه
بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا من الإبل وساق بقيتها راجعا إلى مكة كافرين وقال في ذلك :

قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار أرباب قارع
وأدركت ثاري واضطجعت موسدا وكنت إلى الأصنام أول راجع

فنزلت فيه ومن يقتل مؤمنا متعمدا يعني قاصدا لقتله فجزاؤه جهنم (خالدا فيها) يعني يكفره
وارتداده وهو الذي استثناه النبي ﷺ يوم فتح مكة عن أمنه من أهلها فقتل وهو متعلق بأستار
الكعبة (وغضب الله عليه) يعني لأجل كفره وقتله المؤمن متعمدا (ولعنه) يعني وطرده عن رحمته
(وأعد له عذابا عظيما) اختلف العلماء في حكم هذه الآية هل هي منسوخة أم لا ؟ وهل لمن قتل
مؤمنا متعمدا توبة ؟ أم لا فروى عن سعيد بن جبيرة قال قلت لابن عباس أئمن قتل مؤمنا متعمدا
من توبة قال لا ؟ فتأوت عليه الآية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون
النفس التي حرم الله إلا بالحق إلى آخر الآية قال هذه آية مكية نسختها آية مدنية ، ومن يقتل
مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم وفي رواية قال اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن فرحلت إلى ابن
عباس فقال نزلت في آخر ما نزل ولم ينسخها شيء موثق رواية أخرى قال ابن عباس نزلت هذه
الآية بالمدينة والذين لا يدعون مع الله إلها آخر إلى قوله مها نأفعل المشركون وما يعني عنا الإسلام
وقد هدلنا بالله وقد قتلنا النفس التي حرم الله وأتينا الفواحش فأرسل الله تعالى : «إلا من تاب وآمن
وعمل عملا صالحا» إلى آخر الآية زاد في رواية فأما من دخل في الإسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له
أخرجاه في الصحيحين وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه ناظر ابن عباس في
هذه الآية فقال من أين لك أنها محكمة ؟ فقال ابن عباس تنكأث الوعيد فيها وقال ابن مسعود إنها
محكمة وما تزداد إلا شدة وعن خارجة بن زيد قال سمعت زيد بن ثابت يقول أنزلت هذه
الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها بعد التي في الفرقان والذين لا يدعون مع

مكة تكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهرى فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا وساق بقيتها راجعا إلى مكة الله
كافرا فنزل فيه ومن يقتل مؤمنا متعمدا (فجزاؤه جهنم خالدا فيها) بكفره وارتداده وهو الذي استثناه النبي ﷺ يوم فتح مكة
عن أمنه فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة قوله تعالى (وغضب الله عليه ولعنه) أي طرده عن الرحمة (وأعد له عذابا عظيما)

اختتموا في حكم هذه الآية فحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قاتل المؤمن عمدا لا توبة له فقيل له اليس قد قال الله في سورة الفرقان ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، إلى أن قال ، ومن يفعل ذلك يلق آثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب ، فقال كانت هذه في الجملة ، وذلك (٥٧٧) أن أناسا من أهل الشرك كانوا

قد قتلوا وزنوا فأثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إن الذي تدعوا إليه ليس له نفعنا إن لما عملنا كفارة فنزلت «والذين لا يدعون مع الله الها آخر» إلى قوله إلا من تاب وآمن فهذه لأولئك وأما التي في النساء فالرجل إذا عرف الإسلام وشرائعه ، ثم قتل مسلما متعمدا فجزاؤه جهنم وقال زيد بن ثابت لما نزلت التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر عجبنا من ليها قلبنا سبعة أشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة وأراد بالغليظة هذه الآية وباللينة آية الفرقان وقال ابن عباس رضي الله عنهما تلك آية مكية وهذه مدنية نزلت ولم ينسخها شيء والذي عليه الأكرهون وهو مذهب أهل السنة إن قاتل المسلم عمدا توبته مقبولة لقوله تعالى «وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا» وقال إن الله

الله لها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق بسطة أشهر أخرجه أبو داود والنسائي وزاد النسائي في رواية بئانية أشهر وقال زيد بن ثابت لما نزلت هذه الآيات في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر عجبنا من ليها قلبنا سبعة أشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة وأراد بالغليظة هذه الآية التي في سورة النساء وباللينة آية الفرقان وذهب الأكرهون من علماء السلف والخلف إلى أن هذه الآية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقال بعضهم نسخها التي في الفرقان وليس هذا القول بالقوى لأن آية الفرقان نزلت قبل آية النساء والمتقدم لا ينسخ المتأخر وذهب جمهور من قال بالنسخ إلى أن ناسخها الآية التي في النساء أيضا وهي قوله تعالى «إن الله لا يغير أن يشركه به ويغير ما دون ذلك لمن يشاء» وأجاب من ذهب إلى أنها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج في الصحيحين بأن هذه الآية خير عن وقوع العذاب بمن فعل ذلك الأمر المذكور في الآية والنسخ لا يدخل الإخبار ولئن سلمنا أنه يدخلها النسخ لكن لجمع بين الآيتين يمكن ، بحيث لا يكون بينهما تعارض ، وذلك بأن يحمل مطلق آية النساء على تقييد آية الفرقان فيكون المعنى فجزاؤه جهنم إلا من تاب وقال بعضهم ما ورد عن ابن عباس إنما هو على سبيل التشديد والمبالغة في الزجر عن القتل فهو كما روى عن سفيان بن عيينة أنه قال إن لم يقتل له لا توبة لك وإن قتل ثم ندم وجاء تابيا يقال له لك توبة وقيل أنه قد روى عن ابن عباس مثله وروى عنه أيضا أن توبته تقبل وهو قول أهل السنة وبدل عليه الكتاب والسنة . أما الكتاب فقوله تعالى «وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا» ثم اهتدى وقوله إن الله يغير الذنوب جميعا وأما السنة فما روى عن جابر بن عبد الله قال جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما الموجبتان؟ قال ومن مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك به شيئا دخل النار أخرجه مسلم (ق) عن عباد بن الصامت قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق وفي رواية ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا بهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه فبايعناه على ذلك .

فصل

وقد تعاقبت المعزلات والوعيدية بهذه الآية لصحة مذهبهم على أن الناسق مخلد في النار وأجاب علماء السنة بأن الآية نزلت في كافر قتل مسلما وهو مقبس بن صبابه فتكون الآية على هذا مخصوصة وقيل هذا الوعيد لمن قتل مسلما مستحلا لقتله ومن استحله قتل مسلم كان كافرا وهو مخلد في النار بسبب كفره وعن أبي مجلز في قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه فإن شاء الله أن يتجاوز عن جزائه فعل أخرجه أبو داود وقيل إن الغلو لا يقتضي التأييد بل معناه دوام الحالة التي هو عليها وبدل عليه قول العرب للأيام خوالد وذلك لطول مكثها

(٧٣ - خازن بالبغوي - أول) لا يغير أن يشركه ويغير ما دون ذلك لمن يشاء وما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما فهو تشديد ومبالغة في الزجر عن القتل كما روى عن سفيان بن عيينة أنه قال إن لم يقتل له لا توبة لك وإن قتل ثم جاء يقال لك توبة وروى مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما وليس في الآية متعلق لمن يقول بالتخلد في النار بارتكاب الكبائر لأن الآية نزلت في قاتل وهو كافر وهو مقبس بن صبابه وقيل إنه وعيد لمن قتل مؤمنا مستحلا لقتله بسبب إيمانه ومن

ومن استحل قتل أهل الإيمان لإيمانهم كان كافرا مخلدا في النار وقيل قوله تعالى فجزاؤه جهنم خالدا فيها مغناه هي جزاؤه إن جزاؤه ولكنه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له بكرمه فانه وعد أن يغفر لمن يشاء حتى أن عمرو بن عبيد جاء إلى أبي عمرو بن العلاء فقال له هل يخلف الله وعده؟ فقال لا فقال أليس قد قال الله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها؟ فقال له أبو عمرو ابن العلاء من العجم آتيت يا أبا عثمان أن العرب لا تعد إلا خلافت في الوعيد خلفا وذلما وإنما تعد إخلافت الوعد خلفا وذلما وأنشد
ولني وإن أوعده أو وعده تخلف إيعادي ومنجز موعدى

والدليل على أن غير الشرك لا يوجب التحليل في النار ما روينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو الهيثم أنا شعيب عن الزهري قال (٥٧٨) أخبرني أبو إدريس عائذ الله بن عبد الله أن عبادته بن الصامت رضى الله عنه

والله أعلم . قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) الآية قال ابن عباس نزلت في رجل من بني مرة بن عوف يقال له مرداس بن نهبك وكان من أهل فدك لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة اللبني فهربوا منه وأقام ذلك الرجل المسلم فلما رأى الخيل خافت أن لا يكونوا مسلمين فألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل ، فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف أنهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله عليكم فتغشاها أسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وكان قد سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلوه وإرادة مامعه؟ ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسامة بن زيد هذه الآية فقال أسامة استغفر لي يا رسول الله فقال كيف أنت بلا إله إلا الله يقولها ثلاث مرات قال أسامة فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكررها حتى وددت أني أكن أسلمت إلا يومئذ ثم استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعتق رقبة وروى أبو ظبيان عن أسامة قال قلت يا رسول الله إنما قلنا خوفا من السلاح

وكان شهد بدرًا وهو أحد الثقباء ليلة العقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه بابعوني علي أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تمسقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا بيهتان يفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فموجب الدنيا فهو كفاة له ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه فبايعناه على ذلك قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم

فقال

في سبيل الله فتبينوا) الآية قال الكلبي

عن أبي صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الآية في رجل من بني مرة بن عوف يقال له مرداس بن نهبك وكان من أهل فدك مسلما لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة اللبني فهربوا وأقام الرجل لأنه كان على دين المسلمين فلما رأى الخيل خافت أن يكونوا من غير أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد هو إلى الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فلما سمع التكبير عرف أنهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاها أسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وكان قد سبقهم قبل ذلك الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلوه وإرادة مامعه؟ ثم قرأ هذه الآية على أسامة

ابن زيد فقال يا رسول الله استغفرتي فقال فكيف بلا إله إلا الله قالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال أسامة فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ ثم إن رسول الله ﷺ استغفرتي بعد ثلاث مرات وقال أعتق رقبة وروى أبو ظبيان عن أسامة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله إنما قال خوفا من السلاح قال أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفا أم لا؟ وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومعه غنم له فسلم عليهم قالوا ما سلم عليكم (٥٧٩) إلا ليتعوذ منكم فقاموا وقتلوه

وأخذوا غنمه فأتوا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأزول الله تعالى هذه الآية «يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله» يعني إذا سافرتهم إلى الجهاد فتبينوا من البيان يقال تبينت الأمر إذا تأمته قبل الإقدام عليه وقرئ فتبينوا من التثبت وهو خلاف المجازة والمعنى ففقدوا وتثبتوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر وتعرفوا حقيقة الأمر الذي تقدمون عليه (ولا تقولوا لمن أتى إليكم السلام) يعني التحية يعني لا تقولوا لمن حياكم بهذه التحية أنه إنما قالها تعودا فتقدموا عليه بالسيف لتأخذوا ماله ولكن كفوا عنه وأقبلوا منه ما أظهره لكم وقرئ السلم بفتح السين من غير ألف ومعناه الاستسلام والانقياد أي استسلم وانقاد لكم وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل السلام والسلم بمعنى واحد أي لا تقولوا لمن سلم عليكم (لست مؤمنا) يعني لست من أهل الإيمان فتتلوه بذلك قال العلماء إذا رأى الغزاة في بلد أو قرية أو حي من العرب شعار الإسلام يجب أن يكفوا عنهم ولا يغيروا عليهم لما روى عن عصام المزني قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيشا أو سرية يقول لهم إذا رأيتم مسجدا أو سمعتم مؤذنا فلا تتناولوا أحدا أخرجه أبو داود والترمذي وقال أكثر الفقهاء لو قال اليهودي أو النصراني أنا مؤمن لا يحكم بأعمانه لأنه يدعي أن الذي هو عليه إيمان ولو قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فعند بعض العلماء لا يحكم بالإسلام حتى يبرأ من دينه الذي كان عليه ويعترف أنه دين اطل وذلك لأن بعض اليهود يزعم أن محمدا رسول إلى العرب خاصة لأنه رسول إلى كافة الخلق؛ فإذا اعترف أنه رسول إلى كافة الخلق وأن الذي كان عليه من اليهود أو النصر باطل صح إسلامه وحكم بصحته وقوله تعالى (تبتغون عرض الحياة الدنيا) يعني تطلبون العنينة التي هي من حطام الدنيا سريعة الفساد والذهاب وعرض الدنيا منافعها ومتاعها (فعند الله مغامم كثيرة) أي غنائم كثيرة من رزقه يغنمكموها يعنيكم بها عن قتل من يظهر الإسلام ويتعوذ به. وقيل معناه فعند الله ثواب كثيرة لمن اتقى قتل المؤمن (كذلك كنتم من قبل) يعني كما كان هذا الذي أتى إليكم السلام فقلتم له لست مؤمنا فقلتم: ود كنتم أنتم من قبل يعني من قبل أن بعز الله دينه كنتم تستخفون أنتم بدينكم كما استخفى هذا الذي قتله. وه بدينه من قومه حللوا على نفسه منهم وقيل معناه كذلك كنتم تأمنون في قومكم بهذه الكلمة فلا تحضروا من قائلها ولا تقتلوه وقيل معناه كذلك كنتم من قبل مشركين (فمن الله عليكم) يعني بالإسلام والهداية فلا تقتلوا من قال لا إله إلا الله وقيل معناه من عليكم باعلان الإسلام بعد الاختفاء؛ وقيل من عليكم بالتوبة (فتبينوا) أي ولا تعجلوا بقتل مؤمنا وهو تأكيد للأمر بالتبين (إن الله كان بما تعملون خبيراً) يعني فلا تتهاونوا في القتل وكونوا متحيزين من ذلك

فقال أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفا أم لا؟ وفي رواية عن ابن عباس قال مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم فسلم عليهم فقالوا إنما سلم عليكم ليتعوذ منكم فقاموا إليه فقتلوه وأخذوا غنمه فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأزول الله عز وجل هذه الآية «يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله» يعني إذا سافرتهم إلى الجهاد فتبينوا من البيان يقال تبينت الأمر إذا تأمته قبل الإقدام عليه وقرئ فتبينوا من التثبت وهو خلاف المجازة والمعنى ففقدوا وتثبتوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر وتعرفوا حقيقة الأمر الذي تقدمون عليه (ولا تقولوا لمن أتى إليكم السلام) يعني التحية يعني لا تقولوا لمن حياكم بهذه التحية أنه إنما قالها تعودا فتقدموا عليه بالسيف لتأخذوا ماله ولكن كفوا عنه وأقبلوا منه ما أظهره لكم وقرئ السلم بفتح السين من غير ألف ومعناه الاستسلام والانقياد أي استسلم وانقاد لكم وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل السلام والسلم بمعنى واحد أي لا تقولوا لمن سلم عليكم (لست مؤمنا) يعني لست من أهل الإيمان فتتلوه بذلك قال العلماء إذا رأى الغزاة في بلد أو قرية أو حي من العرب شعار الإسلام يجب أن يكفوا عنهم ولا يغيروا عليهم لما روى عن عصام المزني قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيشا أو سرية يقول لهم إذا رأيتم مسجدا أو سمعتم مؤذنا فلا تتناولوا أحدا أخرجه أبو داود والترمذي وقال أكثر الفقهاء لو قال اليهودي أو النصراني أنا مؤمن لا يحكم بأعمانه لأنه يدعي أن الذي هو عليه إيمان ولو قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فعند بعض العلماء لا يحكم بالإسلام حتى يبرأ من دينه الذي كان عليه ويعترف أنه دين اطل وذلك لأن بعض اليهود يزعم أن محمدا رسول إلى العرب خاصة لأنه رسول إلى كافة الخلق؛ فإذا اعترف أنه رسول إلى كافة الخلق وأن الذي كان عليه من اليهود أو النصر باطل صح إسلامه وحكم بصحته وقوله تعالى (تبتغون عرض الحياة الدنيا) يعني تطلبون العنينة التي هي من حطام الدنيا سريعة الفساد والذهاب وعرض الدنيا منافعها ومتاعها (فعند الله مغامم كثيرة) أي غنائم كثيرة من رزقه يغنمكموها يعنيكم بها عن قتل من يظهر الإسلام ويتعوذ به. وقيل معناه فعند الله ثواب كثيرة لمن اتقى قتل المؤمن (كذلك كنتم من قبل) يعني كما كان هذا الذي أتى إليكم السلام فقلتم له لست مؤمنا فقلتم: ود كنتم أنتم من قبل يعني من قبل أن بعز الله دينه كنتم تستخفون أنتم بدينكم كما استخفى هذا الذي قتله. وه بدينه من قومه حللوا على نفسه منهم وقيل معناه كذلك كنتم تأمنون في قومكم بهذه الكلمة فلا تحضروا من قائلها ولا تقتلوه وقيل معناه كذلك كنتم من قبل مشركين (فمن الله عليكم) يعني بالإسلام والهداية فلا تقتلوا من قال لا إله إلا الله وقيل معناه من عليكم باعلان الإسلام بعد الاختفاء؛ وقيل من عليكم بالتوبة (فتبينوا) أي ولا تعجلوا بقتل مؤمنا وهو تأكيد للأمر بالتبين (إن الله كان بما تعملون خبيراً) يعني فلا تتهاونوا في القتل وكونوا متحيزين من ذلك

تعالى (لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا) يعني تطلبون الغنم والعنينة وعرض الدنيا منافعها ومتاعها (فعند الله مغامم) أي غنائم (كثيرة) وقيل ثواب كثيرة لمن اتقى قتل المؤمن (كذلك كنتم من قبل) قال سعيد بن جبير كذلك كنتم تنكروا وإيمانكم من المشركين (فمن الله عليكم) باظهار الإسلام وقال قتادة كنتم ضلالا من قبل فمن الله عليكم بالهداية وقيل معناه كذلك كنتم من قبل تأمنون في قومكم بلا إله إلا الله قبل الهجرة فلا تحيفوا من قائلها فمن الله عليكم بالحجرة (فتبينوا) أن تقتلوا مؤمنا (إن الله كان بما تعملون خبيراً) قلت إذا رأى الغزاة في بلد أو قرية شعار الإسلام فعليهم أن يكفوا عنهم فإن النبي ﷺ كان إذا غزا

هو ما كان سمع أذا ناكف عنهم وإن لم يسمع أغار عليهم. أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا صفيان عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن ابن عمام عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث سرية قال: إذا رأيتم مسجدا أو سمعتم أذانا فلا تفتلن أحداه قوله تعالى (لا يستوي القاعدون من المؤمنين) الآية أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله العربي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا إبراهيم بن سعد الزهري حدثني صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه قال. رأيت مروان بن الحكم خالسا في المسجد فأقبلت حتى جلست إلى جنبه فأخبرنا أن يزيد بن ثابت رضي الله عنه أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ر (٥٨٠) أملى عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله قال

مخاطبين فيه. قوله عز وجل (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) الآية (خ) عن زيد بن ثابت قال «أملى على النبي صلى الله عليه وسلم» ولا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم» فجاءه ابن أم مكتوم وهو يعلها على فقال والله يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان رجلا أعمى فأنزله الله تعالى عليه وفخله على فخذى ثقلت على حتى خفت أن ترص فخذى ثم سرى عنه فأزل الله عز وجل غير أولي الضرر (ق) عن البراء بن عازب «لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فجاء بكتف فكتفها وشكا ابن أم مكتوم ضرارته فنزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر» وفي رواية أخرى «لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين قال النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا فلانا فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم فقال يا رسول الله أنا ضرر فزالت مكانها لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله هذه الرواية الثانية أخرجهما ابن الأثير في كتابه جامع الأصول وأضافها إلى البخاري ومسلم ولم أجدها في كتاب الجمع بين الصحيحين للحديث وفي هذه الآية فضل الجهاد في سبيل الله والحث عليه فقوله تعالى «لا يستوي القاعدون من المؤمنين» يعني لا يعدل المختلفون عن الجهاد في سبيل الله من المؤمنين المجاهدين في سبيل الله غير أولي الضرر يعني أولي الثمارة والضعف في البدن والبصر فانهم يساؤون المجاهدين لأن العذر أقدمهم عن الجهاد (م) عن جابر قال «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن بالمدينة رجالا ما سرتهم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم المرض» (خ) عن أنس قال «رجعنا من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا إلا وهم معنا حبسهم العذر» (خ) عن ابن عباس قال لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون إليها. وقوله تعالى (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) يعني فضيلة في الآخرة قال ابن عباس أراد بالقاعدين هنا أولي الضرر فضل الله المجاهدين

فجاء ابن أم مكتوم وهو يعلها على فقال يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان رجلا أعمى فأنزله الله تعالى عليه وفخله على فخذى ثقلت على حتى خفت أن ترص فخذى ثم سرى عنه فأزل الله (غير أولي الضرر) قوله الآية في فضل الجهاد والحث عليه فقال لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن الجهاد غير أولي الضرر قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي بنصب الراء أي إلا أولي الضرر وقرأ الآخرون برفع الراء على نعت القاعدين يريد لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولي الضرر أي غير أولي الثمارة والضعف في البدن والبصر

(والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) أي ليس المؤمنون القاعدون عن الجهاد من غير عذر والمؤمنون والمجاهدون سواء غير أولي الضرر فانهم يساؤون المجاهدين لأن العذر أقدمهم. أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحرى أنا حاجب بن أحمد الطومى أنا عبد الرحيم بن منيب أنا يزيد بن هارون أخبرنا حميد الطويل عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك فدننا من المدينة فقال إن في المدينة لأقواما ما سرتهم من مسير ولا قطعتم من واد إلا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر» وروى القاسم عن ابن عباس قال لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر، والخارجون إلى بدر قوله تعالى (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) أي فضيلة وقيل أراد بالقاعد هاهنا أولي الضرر فضل الله المجاهدين عليهم درجة لأن المجاهد

بأشرف الجهاد مع النية وأولى الضرر كانت لهم نية واسكنهم لم يباشروا فزولوا عنهم بدرجة (وكلا وعد الله الحسنى) يعنى الجنة
 بآيمانهم وقال مقاتل يعنى المجاهد والقاعد المعذور (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجر اعظيما) يعنى على القاعدين من غير
 عذر (درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غنورا رحيم) قال ابن محيرز في الآية هي سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو
 الفرس الجواد المضمّر سبعين خريفا . وقيل الدرجات هي الإسلام والجهاد والهجرة والشهادة فاز بها المجاهدون أخبرنا
 أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك (٥٨١) الشافعي أنا عبد الله بن مسلم

أبو بكر الجورندي أنا
 يونس بن عبد الأعلى
 أنا ابن وهب حدثني
 أبو هانئ الخولاني عن
 أبي عبد الرحمن الجبلي
 عن أبي سعيد الخدري
 رضي الله عنه أن رسول
 الله ﷺ قال يا أبا سعيد
 من رضي بالله ربا
 وبالإسلام ديناً وبمحمد
 نبياً وحيث له الجنة قال
 فمعب لها أبو سعيد
 فقال أعدها على يا رسول
 الله فأعدها عليه ثم قال
 وأخرى يرفع الله بها العبد
 مائة درجة في الجنة
 ما بين كل درجتين كما
 بين السماء والأرض قال
 وهاهي يا رسول الله؟ قال
 الجهاد في سبيل الله ثلاثاً
 أخبرنا الإمام أبو علي
 الحسين بن محمد القاضي
 أنا أوالقاسم إبراهيم بن
 محمد بن علي النباه أنا أبي
 أنا أبو الحسن علي بن
 أحمد بن صالح المظفر
 أنا محمد بن يحيى أنا شرح

على أولى الضرر درجة لأن المجاهد بأشرف الجهاد بنفسه وماله مع النية وأولوا الضرر كانت لهم نية
 ولم يباشروا الجهاد فزولوا عن المجاهدين درجة (وكلا) يعنى كلا من المجاهدين والقاعدين (وعد
 الله الحسنى) يعنى الجنة بآيمانهم (وفضل الله المجاهدين) يعنى في سبيل الله (على القاعدين) يعنى الذين
 لا عذر لهم ولا ضرر (أجر اعظيما) يعنى ثوابا جزيلاً . ثم فسر ذلك الأجر العظيم فقال تعالى (درجات
 منه) قال قتادة كان يقال للإسلام درجة وأهجرة في الإسلام درجة والجهاد في الهجرة درجة
 والقتل في الجهاد درجة وقال ابن زيد الدرجات هي سبع وهي التي ذكرها الله في سورة براءة حين
 قال ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله إلى قوله «ولا يقطعون وأديبا إلا
 كتب الله لهم» وقال ابن محيرز الدرجات سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس الجواد
 المضمّر سبعين سنة (م) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال «من رضي بالله ربا وبالإسلام
 ديناً وبمحمد رسولا وحيث له الجنة فتمعجب لها أبو سعيد فقال أعدها على يا رسول الله فأعدها
 عليه ثم قال وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض
 قال وماهي يا رسول الله؟ قال الجهاد في سبيل الله» (ح) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم «من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج كان حقا على
 الله أن يدخله الجنة جاهداً في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها فقالوا أولئك الناس يقولون؟
 فقال إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء
 والأرض فإذا سألت الله فاسأله الفردوس الأعلى فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن
 ومنه تفرج أنهار الجنة» فان قلت قد ذكر الله عز وجل في الآية الأولى درجة واحدة وذكر في
 هذه الآية درجات فواجه الحكمة في ذلك؟ قلت أما الدرجة الأولى فلتنفصيل المجاهدين
 على القاعدين بوجود الضرر والعذر . وأما الثانية فلتنفصيل المجاهدين على القاعدين من غير ضرر
 ولا عذر فضلوا عليهم بدرجات كثيرة وقيل يحتدل أن تكون الدرجة الأولى درجة المدح والتعظيم
 والدرجات درجات الجنة ومنازلها كما في الحديث والله أعلم . قوله تعالى (ومغفرة) يعنى لذنوبهم
 يستترها ويصفح عنها (ورحمة) يعنى رافة بهم (وكان الله غفورا) يعنى لذنوب عباده المؤمنين
 (رحيماً) يعنى بهم يتفضل عليهم برحمته ومغفرته عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما
 ينسب عن ربه عز وجل قال «قال إنما عبد من عبادة يخرج مجاهداً في سبيل الله ابتغاء مرضاتي صفت
 له إن أرجعته أرجعه بما أصاب من أجر أو غنيمة وإن قبضته غفرت له ورحمته أخرجه الناساني

بن النعمان الزبيدي عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من آمن بالله ورسوله
 وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله عز وجل أن يدخله الجنة جاهداً في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها
 قالوا يا رسول الله أفلا نسلو الناس بذلك قال إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين الدرجتين كما بين
 السماء والأرض فإذا سألت الله فاسأله الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفرج أنهار الجنة»
 واعلم أن الجهاد في الجملة فرض غير أنه يتقسم إلى فرض العين وفرض الكفاية ففرض العين أن يدخل الكفار دار قوم
 من المؤمنين فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له من أهل تلك البلدة الخروج إلى عدوهم حراً كان أو عبداً غنياً

كان أو فقيرا دفعه عن أنفسهم وعن جيرانهم وهو في حق من بعد منهم من المسلمين فرض على الكفاية فان لم يقع الكفاية
 من نزل بهم يجب على من بعد منهم من المسلمين عونهم وإن وقعت الكفاية بالنازلين بهم فلا فرض على الأبعدين إلا على
 طريق الاختيار ولا يدخل في هذا التسم العبيد والفقراء ومن هذا القبيل أن يكون الكفار قارين في بلادهم ، وعلى الإمام أن
 لا يدخل كل سنة عن غزوة بغزوها (٥٨٢) بنفسه أو بسراياه حتى لا يكون الجهاد معطلا والاختيار لا يطبق الاجتهاد

فصل

اعلم أن الجهاد ينقسم إلى : فرض عين وفرض كفاية ففرض العين أن يدخل العدو دار قوم
 من المؤمنين وبلادهم فيجب على كل مكلف من الرجال من لا عذر له ولا ضرر به من أهل تلك
 البادية الخروج إلى عدوهم دفعا عن أنفسهم وعن أهلهم وجيرانهم وسواء في ذلك الحر والعبد
 والغني والفقير فيجب على الكفاية وهو في حق من بعد عنهم من المسلمين فرض كفاية فان لم تقع
 الكفاية بمن نزل بهم العدو فتجب مساعدتهم على من قرب منهم من المسلمين أو بعد عنهم ، وإن
 وقعت الكفاية بالمنزول بهم فلا فرض على الأبعدين إلا على طريق الاختيار ولا يدخل في هذا
 الفرض يعني فرض الكفاية الفقراء والعبيد وإذا كان الكفار قادرين في بلادهم فعلى الإمام أن
 لا يدخل كل سنة من غزاة بغزوهم فيها إما بنفسه أو سراياه حتى لا يبطل الجهاد والاختيار. والمطبق
 الجهاد مع وقوع الكفاية بغیره لا يتعد عنه ولكن لا يفرض عليه لأن الله تعالى وعد المجاهدين
 والقاعدین الثواب بقله «وكلا وعدنا الله الحسنى» ولو كان فرضا على الكفاية لاستحق القاعدون عن
 الجهاد العقاب لا الثواب والله أعلم . قوله تعالى (إن الذين توفاهم الملائكة ظلمى أنفسهم) الآية
 نزلت في أناس تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد
 ابن المغيرة وأشباهاهم فلما خرج المشركون إلى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فأرسل الله
 تعالى هذه الآية «إن الذين توفاهم الملائكة» يعني ملك الموت وأعوانه وهم ستة : ثلاثة منهم يلون
 قبض أرواح المؤمنين وثلاثة يلون قبض أرواح الكفار وقيل أراد به ملك الموت وحده وإنما
 ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كما يخاطب الواحد بالجمع وفي التورى هنا قولان : أحدهما
 أنه قبض أرواحهم. الثاني حشرهم إلى النار فعلى القول الثاني يكون المراد بالملائكة الربانية الذين
 يلون تعذيب الكفار «ظلمى أنفسهم» يعني بالشرك وقيل بالمقام في دار الشرك وذلك لأن الله تعالى
 لم يقبل الإسلام من أحد بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر إليه ثم نسخ ذلك بعد فتح
 مكة بقوله صلى الله عليه وسلم «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية» أخرجاه في الصحيحين وقيل
 ظلمى أنفسهم بخروجهم مع المشركين يوم بدر وتكبير سوادهم حتى قتلوا معهم فضربت الملائكة
 وجوههم وأدبارهم (الواقيم كنتم) سؤال توبيخ وتقرير يعني قالت الملائكة لهؤلاء الذين قتلوا
 في أى الفريقين كنتم أم في فريق المسلمين أم في فريق المشركين فاعتذروا بالضعف عن مقاومة المشركين
 وهو قوله تعالى إخبارا عنهم (قالوا كنا مستضعفين) يعني عاجزين (في الأرض) يعني في أرض
 مكة (قالوا) يعني قال لهم الملائكة (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) يعني إلى المدينة

مع وقوع الكفاية بغیره
 أن لا يتعد عن الجهاد
 ولكن لا يفرض لأن
 الله تعالى وعد المجاهدين
 والقاعدین الثواب في هذه
 الآية فقال «وكلا وعد
 الله الحسنى» ولو كان فرضا
 على الكفاية لاستحق
 القاعد العقاب لا الثواب
 قوله تعالى (إن الذين
 توفاهم الملائكة ظلمى
 أنفسهم) الآية نزلت
 في ناس من أهل مكة
 تكلموا بالإسلام ولم
 يهاجروا منهم : قيس بن
 الفاكه بن المغيرة وقيس
 ابن الوليد بن المغيرة
 وأشباهاهما فلما خرج
 المشركون إلى بدر خرجوا
 معهم فقتلوا مع الكفار
 فقال الله تعالى وإن الذين
 توفاهم الملائكة أراد به
 ملك الموت وأعوانه أو
 أراد ملك الموت وحده
 كما قال تعالى «قل يتوكل
 ملك الموت الذى وكل
 بكم» والعرب قد تخاطب
 الواحد بلفظ الجمع

ظلمى أنفسهم بالشرك وهو نصب على الحال أى في حال ظلمهم قيل أى بالمقام في دار الشرك لأن الله تعالى ونحروا
 لم يقبل الإسلام بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلا بالهجرة ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم «لا هجرة بعد
 الفتح» وهؤلاء قتلوا يوم بدر وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وقالوا لهم فيم كنتم فذلك تعالى (قالوا فيم كنتم) أى في ماذا
 كنتم أو في أى الفريقين كنتم أم في المسلمين أم في المشركين؟ سؤال توبيخ وتقرير فاعتذروا بالضعف عن مقاومة أهل الشرك
 (قالوا كنا مستضعفين) عاجزين (في الأرض) يعني أرض مكة (قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) يعني إلى المدينة

وتخرجوا من مكة من بين أهل الشرك فأكذبهم الله تعالى وأعلمنا بكذبهم وقال (فأولئك مأواهم) منزلمهم (جهنم وساءت مصيرا) أي ينس المصير إلى جهنم ثم استثنى أهل العذر منهم فقال (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة) لا يتدرون على حيلة ولا على نفقة ولا على قوة الخروج منها (ولا يهتدون سبيلا) أي لا يعرفون طريقا إلى الخروج وقال مجاهد لا يعرفون طريق المدينة (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) يتجاوز عنهم (٥٨٣) عنهم وعسى من الله واجب لأنه

للإطماع والله تعالى إذا أطمع عبدا وصله إليه (وكان الله عفوا غفورا) قال ابن عباس رضي الله عنهما كنت أنا وأمي ممن عذر الله يعني المستضعفين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بدعوة هؤلاء المستضعفين في الصلاة (ق) عن أبي هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم أرحم الوالدين الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم أشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف . قوله عز وجل (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراعما كثيرا وسعة) قال الزجاج معنى مراعما مهاجرا يعني يجد في الأرض مهاجرا يعني أن المهاجر لقومه والمراعم ما بمنزلة واحدة وإن اختلف اللفظان وهو مأخوذ من الرغام وهو التراب يقال رغم أنفه إذا التصق بالتراب وذلك لأن الأنف عضو شريف والتراب ذليل حقير فجعلوا قولهم رغم أنفه كناية عن حصول الذل له ويقال راغمت فلانا بمعنى هجرته وعاديته ولم أبال به رغم أنفه ويقوى ذلك قول بعض أهل اللغة هو الخروج من بلاد الله وبرغم أنفه وقيل معناه أن الرجل إذا خرج عن قومه خرج مراعما لهم أي مغاضبا لهم ومقاطعا وقال الفراء المراعم المضطرب والمذهب في الأرض وأنشد الزجاج في المعنى:

إلى بلد غير دائي الخلل بعيد المراعم والمضطرب

فعل هذا يكون معنى الآية يجد مذهباً يذهب إليه إذا رأى ما يكرهه هذا قول أهل اللغة في معنى المراعمة وقال ابن عباس يجد متحولاً يتحول إليه من أرض إلى أرض ، وقال مجاهد يجد منزحاً عما يكره وقيل يجد منتقلاً ينقلب إليه وقيل المراعمة والمهاجرة واحدة يقال راغمت قومي أي هاجرتهم وسببت المهاجرة مراعمة لأنه يهاجر قومه برغمهم وقوله وسعة يعني في الرزق وقيل يجد سعة من الضلالة إلى الهدى وقيل يجد سعة في الأرض التي يهاجر إليها قال ابن عباس لما نزلت الآية التي قبل هذه سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير مريض يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما أنا ممن استثنى الله عز وجل وإني لأجد حيلة ولي من المال ما يبلغني إلى المدينة وأبعد منها والله لا أبيت الليلة مكة أخرجوني فخرجوا به يحملونه على سرير حتى

المستضعفين من المؤمنين اللهم أشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها سنين كسني يوسف يظهر بذلك قوله تعالى (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراعما كثيرا وسعة) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما مراعما أي متحولاً يتحول إليه وقال مجاهد منزحاً عما يكره وقال أبو عبيدة المراعمة المهاجر يقال راغمت قومي وهاجرتهم وهو المضطرب والمذهب قيل سميت المهاجرة مراعمة لأن من يهاجر برغم قومه وسعة أي في الرزق وقيل سعة من الضلالة إلى الهدى وروى أنه لما نزلت هذه الآية سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير مريض يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما أنا ممن

استغنى الله عز وجل وإني لأجد حيلة ولي من المال ما يلغني المدينة وأبعد منها والله لا أبيت اللبلة بمكة أخرجوني فخرجوا به يحملونه على سرير حتى أتوا به التميم فأدركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبيابك على ما يابك عليه رسولك فمات قبله خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وإني المدينة لكان أتم وأوفى أجرا وضحك المشركون وقالوا ما أدرك هذا ما طب فأزل الله (ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله قبل باوغه إلى مهاجرة (فقد وقع) أي وجب (أجره على الله) بإيجابه على نفسه فضلا منه (وكان انه غرارا حيا) قوله عز وجل (وإذا ضربتم في الأرض) أي (ليس عليكم جناح) أي حرج ولهم (أن تقصروا من الصلاة) أي (تقصروا من الصلاة) يعني من أربعة ركعات صلاة الظهر والعصر

توا به التميم فأدركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبيابك على ما يابك رسولك ثم مات قبيل خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وإني المدينة لكان أتم وأوفى أجرا وضحك المشركون وقالوا ما أدرك ما طلب فأزل الله عز وجل (ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت) يعني قبل بلوغه إلى مهاجرة (فقد وقع أجره على الله) يعني فقد وجب أجر هجرته على الله بإيجابه على نفسه بحكم الوعد والفضل والكرم لا وجوب استحقاق ونحوه قال بعض العلماء ويدخل في حكم الآية من قصد فعل طاعة من الطاعات ثم عجز عن إتمامها كتب الله له ثواب تلك الطاعة كاملا وقال بعضهم إنما يكتب له أجر ذلك القدر الذي عمل وأتى به، أما تمام الأجر فلا والقول الأول أصح لأن الآية إنما نزلت في معرض الترغيب في الهجرة وأن من قصدها ولم يبلغها بل مات دونها فقد حصل له ثواب الهجرة كاملا فكذلك كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على إتمامها كتب الله له ثوابها كاملا (وكان الله غفورا رحيما) يعني ويغفر الله له ما كان منه من التعمد قبل الهجرة إلى أن يخرج مهاجرا . قوله عز وجل (وإذا ضربتم في الأرض) يعني إذا سافرتم فيها (فليس عليكم جناح) أي حرج ولهم (أن تقصروا من الصلاة) يعني من أربع ركعات إلى ركعتين وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء، وأصل التقصر في اللغة التضييق وقيل هو ضم الشيء إلى أصله وفسر ابن الجوزي التقصر بالتقصير ولم أره لأحد من أهل التفسير والتعريف معنى قصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض ركعاتها أو بعض أركانها ترخيصا وهذا السبب ذكره في تفسير قصر الصلاة المذكورة في الآية قوانين: أحدهما أنه في عدد الركعات وهو الصلاة الرباعية إلى ركعتين والقول الثاني أن المراد بالتقصير إدخال التخفيف في أدائها وهو أن يكتبي بالإيماء والإشارة عن الركوع والسجود والقول الأول أصح ويدل عليه لفظة من في قوله أن تقصروا من الصلاة ولفظة من هنا للتبويض وذلك يوجب جواز الاقتصار على بعض الصلاة فثبت بهذا أن تفسير التقصر باستطاب بعض ركعات الصلاة أولى (إن خفتم أن يفتنكم) يعني يفتنكم ويقتلكم في الصلاة (الذين كفروا) ذهب داود الظاهري إلى أن جواز التقصر مخصوص بحال الخوف واستدل على صحة مذهبه بقوله تعالى إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ولأن عدم الشرط يقتضي عدم المشروط فعلى هذا لا يجوز التقصر عند الأمن ولا يجوز رفع هذا الشرط بخبر الأحاد لأنه يقتضي نسخ القرآن بخبر الواحد، وذهب جمهور أهل العلم إلى أن التقصر في حال الأمن في السفر جائز ويدل عليه ما روى عن يعلى بن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقد أمن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال وصدق الله بها عليكم فأقبلوا صدقته أخرجهم مسلم وعن عبد الله بن خالد بن أسيد أنه قال لابن عمر كيف تقصرون الصلاة وإنما قال الله تعالى ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقال ابن عمر يا ابن أخي وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا ونحن في ضلال فعلمنا فكان فيما علمنا أن أمرنا أن نصل ركعتين في السفر أخرجهم التمسائي وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة إلى مكة لا يخاف إلا رب العالمين فصل ركعتين أخرجهم التمسائي وأجاب الجمهور عن قوله تعالى إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ولا يلزم عند عدم الشرط عدم المشروط فقوله تعالى إن خفتم يفتنكم أن عند عدم الخوف لا يحصل رخصة التقصر

نظيره قوله تعالى على تخوف من فرعون ومثلهم أن يقتلهم أي يقتلهم (إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) أي ظاهر العداوة
اعلم أن قصر الصلاة في السفر جائز باجماع الأمة واختلفوا في جواز الإتمام (٥٨٥) فذهب أكثرهم إلى أن القصر

وإذا كان كذلك كانت الآية ساكتة عن حال الأمن فإثبات الرخصة حال الأمن بخبر الواحد
يكون إثباتا للحكم سكنت عنه القرآن وذلك غير ممنوع وإنما الممنوع لإثبات الحكم بخبر الواحد على
خلاف ما دل عليه القرآن . فان قلت إذا كان هذا الحكم ثابتا في حال الأمن والخوف؛ فما فائدة
تقييده بحال الخوف؟ قلت إنما نزلت الآية على غالب أسفار النبي صلى الله عليه وسلم وأكثرها لم يخل
عن خوف العدو فذكر الله عز وجل هذا الشرط من حيث إنه الأغلب في الوقوع . وقوله تعالى
(إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) أي ظاهر العداوة فلعلمي بهذا رخصت لكم في قصر الصلاة
لئلا يجردوا إلى قتلكم واغتيا لكم سبيلا وإنما قال عدوا ولم يقل أعداء لأنه يستوي فيه الواحد والجمع .
(فصل في أحكام تتعلق بالآية وفيه مسائل)

(المسئلة الأولى) في حكم القصر قصر الصلاة في حالة السفر جائز باجماع الأمة وإنما اختلفوا
في جواز الإتمام في حال السفر فذهب أكثر العلماء إلى أن القصر واجب في السفر وهو قول عمر
وعلى وابن عمر وجابر وابن عباس وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك
وأبي حنيفة وبدل عليه ماروي عن عائشة قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم أتمها
في الحضر وأقرت صلاة السفر على الفريضة الأولى وفي رواية أخرى قالت فرض الله الصلاة
حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر أخرجاه
في الصحيحين وذهب قوم إلى جواز الإتمام في السفر ولكن القصر أفضل بروي ذلك عن عثمان
وسعد بن أبي وقاص وإليه ذهب الشافعي وأحمد وهو رواية عن مالك أيضا وبدل على ذلك ماروي
البعوي بسند الشافعي عن عائشة قالت كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر وأتم
وعن عائشة أنها اعتمدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة حتى إذا قدمت
مكة قالت يا رسول الله بأي أنت وأبي قصرت وأتممت وصمت وأفطرت؟ قال أحسنت يا عائشة
وما عاب على أخرجه النسائي وظاهر القرآن يدل على ذلك لأن الله تعالى قال فليس عليكم جناح
أن تقصروا من الصلاة ولقطة ولا جناح إنما تستعمل في الرخصة لافها يكون حتما ، وأجيب عن
حديث عائشة فرض الله الصلاة ركعتين بأن معناه فرضت ركعتين أولا وزيد في صلاة الحضر
ركعتان على سبيل التحم وأقرت صلاة السفر على جواز الاقتصار عليها وثبت جواز الإتمام بدليل
آخر فوجب المصير إليه لممكن الجمع بين الأحاديث ودلائل الشرع ؛

(المسئلة الثانية) اختلف في صلاة المسافر إذا صلى ركعتين ركعتين هل هي مقصورة أم غير
مقصورة فذهب قوم إلى أنها غير مقصورة وإنما فرض صلاة المسافر ركعتان تمام غير قصر بروي
ذلك عن ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وإليه ذهب سعيد بن جبير والسدني وأبو حنيفة
فعلى هذا يكون معنى القصر المذكور في الآية هو تخفيف ركوعها وسجودها وقد تقدم الجواب عنه
وذهب قوم إلى أنها مقصورة وليست بأصل ، وهو قول مجاهد وطاوس ، وإليه ذهب الشافعي
وأحمد .

(المسئلة الثالثة) ذهب الشافعي ومالك وأحمد والجمهور ، إلى أنه يجوز القصر في كل سفر

(٧٤ - خازن بالبعوي - أول)
عليه وسلم قصر الصلاة وأتم وظاهر القرآن يدل على ذلك لأن
الله تعالى قال فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ولقطة ولا جناح إنما يستعمل في الرخص لانها يكون حتما تظاهر الآية
بوجوب أن القصر لا يجوز إلا عند الخوف وليس الأمر على ذلك إنما نزلت الآية على غالب أسفار النبي صلى الله عليه وسلم وأكثرها لم يخل

عن خوفك العاد والتقصير جائز في السفر في حال الأمن عند عامة أهل العلم ؛ والدليل عليه ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا مسلم بن خالد وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي داود عن ابن جريح أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار عن عبد الله بن باباه عن يعلى بن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إنما قال الله تعالى أن تقصروا من الصلاة إن خفتن أن يفتنكم الذين كفروا وقد أمن الناس فقال عمر رضي الله عنه عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله ﷺ فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا عبد الوهاب بن أيوب السخيتاني عن محمد بن سيرين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة آمنا لا يخاف إلا الله فصلى ركعتين وذهب قوم إلى أن ركعتي المسافر ليستا بقصر إنما القصر أن يصلي ركعة واحدة في الخوف بروى ذلك عن جابر رضي الله عنه (٥٨٦) وهو قول عطاء وطاوس والحسن ومجاهد وجعلوا شرط الخوف

المذكور في الآية باقيا وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الاقتصار على ركعة واحدة لا يجوز خائفا كان أو آما واختلف أهل العلم في مسافة القصر فقالت طائفة يجوز القصر في السفر الطويل والقصر روى ذلك عن أنس رضي الله عنه وقال عمرو بن دينار قال لي جابر بن زيد أقصر بعرفة . أما عامة أهل العلم فانهم لا يجوزون القصر في السفر القصير واختلفوا في حد الطويل الذي يجوز فيه القصر فقال الأوزاعي مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران في مسيرة أربعة برد هي ستة عشر فرسخا وإليه ذهب مالك وأحمد وإسحاق وقول الحسن والزهرى قريب من ذلك فانهما قلا مسيرة يومين ، وإليه ذهب الشافعي فقال مسيرة ليلتين قاصدتين ستة عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة أميال فتكون ثمانية وأربعين ميلا بالهاشمي والميل ستة آلاف ذراع والذراع أربعة وعشرون أصبعاً معترضة معتدلة والأصبع ست شعيرات معترضات معتدلات ، وقال الثوري وأبو حنيفة وأهل الكوفة لا قصر في أقل من ثلاثة أيام .

فصل

قبل قوله تعالى «إن خفتن أن يفتنكم الذين كفروا» كلام متصل بما بعده منفصل عما قبله وتقديره وإن خفتن روى عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال نزل قوله تعالى فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة هذا القدر ثم بعد حول سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فتزل إن خفتن أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا وإذا كنت فيهم الآية ومثل هذا في القرآن كثير يجيء الخبر بتمامه ثم ينسق عليه خبر آخر هو في الظاهر كالم متصل به وهو منفصل عنه . قوله عز وجل (وإذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة) الآية روى عن ابن عباس وجابر أن

المذكور في الآية باقيا وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الاقتصار على ركعة واحدة لا يجوز خائفا كان أو آما واختلف أهل العلم في مسافة القصر فقالت طائفة يجوز القصر في السفر الطويل والقصر روى ذلك عن أنس رضي الله عنه وقال عمرو بن دينار قال لي جابر بن زيد أقصر بعرفة . أما عامة الفقهاء فلا يجوزون القصر في السفر القصير واختلف في حد ما يجوز به القصر فقال الأوزاعي مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم

يقصران ويفطران في أربعة برد وهي ستة عشر فرسخا وإليه ذهب مالك وأحمد وإسحاق وهو قول الحسن والزهرى قريب من ذلك فانهما قلا مسيرة يومين وإليه ذهب الشافعي رضي الله عنه قال مسيرة ليلتين قاصدتين وقال في موضع ستة وأربعون ميلا بالهاشمي وقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي مسيرة ثلاثة أيام وقيل قوله إن خفتن أن يفتنكم الذين كفروا متصل بما بعده من صلاة الخوف فتزل إن خفتن أن يفتنكم الذين كفروا من الصلاة هذا القدر ثم بعد حول سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فتزل إن خفتن أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا وإذا كنت فيهم الآية ومثل في القرآن كثير أن يجيء الخبر بتمامه ثم ينسق عليه خبر آخر وهو في الظاهر كالم متصل به وهو منفصل عنه كقوله تعالى «والآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين» وهذه حكاية عن امرأة العزيز وقوله وذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيبة وإخبار عن يوسف عليه السلام قوله تعالى (وإذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة) روى الكوفي عن أبي صالح عن ابن عباس وجابر رضي الله عنهم أن المشركين لما رأوا رسول

الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا إلى الظهر يصلون جميعا ندموا إلا كانوا أكبو عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آياتهم وأبنائهم يعني صلاة العصر فإذا قاموا فيها فشدوا عليهم فاقتلهم فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إنها صلاة الخوف وإن الله عز وجل يقول وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فعمله صلاة الخوف وجعلته أن العدو إذا كانوا في معسكرهم في غير ناحية القبلة ، فيجعل الإمام القوم فرقتين فتقف طائفة وجاه العدو تحرسهم ويشرع الإمام مع طائفة في الصلاة فإذا صلى بهم ركعة قام وثبت قائما حتى أتوا صلاتهم وذهبوا إلى وجاه العدو ، ثم أتت الطائفة الثانية فصلى بهم الركعة الثانية وثبت جالسا حتى أتوا لأنفسهم الصلاة ثم يسلم بهم وهذه رواية سهل بن أبي حنيفة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى كذلك بذات الرقاع وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحاق أنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الماشقي أنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن رومان عن صالح بن خوات عن صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف أن طائفة صفت معه وصفت طائفة وجاه العدو فصلى بالنبي معه ركعة ثم ثبت قائما فأتموا لأنفسهم ثم انصرفوا فصغروا وجاه العدو وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا وأتموا لأنفسهم ثم سلم بهم قال مالك وذلك أحسن ما سمعت في صلاة الخوف وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسدد أنا يحيى عن شعبة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن صالح بن خوات عن سهل بن أبي حنيفة رضى الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا وذهب قوم إلى أن الإمام إذا قام إلى الركعة الثانية تذهب الطائفة الأولى في خلال الصلاة إلى وجاه العدو وتأتي الطائفة الثانية فيصلى بهم الركعة الثانية ويسلم وهم لا يسلمون بل يندبون إلى وجاه العدو (٥٨٧) وتعود الطائفة الأولى فتتم صلاتها

ثم تعود الطائفة الثانية فتتم صلاتها وهذه رواية عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كذلك وهو قول أصحاب الرأي

المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا إلى الظهر يصلون جميعا ندموا أن لا كانوا أكبو عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آياتهم وأمهاتهم يعني صلاة العصر فإذا قاموا إليها فشدوا عليهم فاقتلهم فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إنها صلاة الخوف وإن الله عز وجل يقول وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فعمله صلاة الخوف وروى عن أبي عياش الزرقي في سبب نزول هذه الآية قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسحاق الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحمدي أنا أبو عيسى الترمذي أنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب أنا يزيد بن زريع أنا معمر بن الزهري عن سالم عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخوف باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الأخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا فقاموا في مقام أولئك وجاء أولئك فصلى بهم ركعة أخرى ثم سلم بهم فقام هؤلاء فصلوا ركعتهم وكلنا الروايتين صحيحة فذهب قوم إلى أن هذا من الاختلاف المباح وذهب الشافعي رضى الله عنه إلى حديث سهل بن أبي حنيفة لأنه أشد موافقة لظاهر القرآن وأحوط للصلاة وأبلغ في حراسة العدو وذلك لأن الله تعالى قال وإذا صدقوا فليكونوا من ورائكم أي إذا صلوا ثم قال ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا وهنا يدل على أن الطائفة الأولى قد صلوا وقال فليصلوا معك ومقتضاه أن يصلوا تمام الصلاة فظاهره يدل أن كل طائفة تغارق الإمام بعد تمام الصلاة والاحتياط لأمر الصلاة ، من حيث أنه لا يكثر فيها العمل والذهاب والخروج والاحتياط لأمر الحرب من حيث إنهم إذ لم يكونوا في الصلاة كان أمكن للحرب والضرب والحرب إن اجتاجوا إليه ولو صلى الإمام أربع ركعات بكل طائفة ركعتين جاز أن الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين الإسفرائيني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ قال أنا الصاعقاني أنا عفان بن مسلم ثنا أبان العطار عن يحيى بن أبي كثير عن أنس بن مالك عن جابر بن عبد الله قال أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بذات الرقاع وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بشجرة فأخذ سيف نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخترطه فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنتخفتني؟ قال لا قال فمن يمنعك مني؟ قال الله يمنعني منك قال فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأغمد السيف وعلقه فنودي بالصلاة قال فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا فصلى بالطائفة الأخرى ركعتين قال فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتان

أخبرنا عبد الوهاب بن الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أخبرني الثقة بن
 عليه أو غيره عن يونس عن الحسن عن جابر رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالناس صلاة الظهر
 صلاة الخوف بطن نخل فصلى بطائفة ركعتين ثم سلم ثم جاءت طائفة أخرى فصلى بهم ركعتين ثم سلم وروى عن حذيفة بن
 الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الخوف أنه صلى بهؤلاء ركعة وبهؤلاء ركعة ولم يقضوا ورواه زيد بن ثابت وقال
 كانت للقوم ركعة واحدة وللنبي صلى الله عليه وسلم ركعتان وتأوله قوم على صلاة شدة الخوف وقالوا الفرض في هذه الحالة
 ركعة واحدة وأكثر أهل العلم على أن الخوف لا ينقص عدد الركعات وإن كان العدو في ناحية القبلة في مستوى إن حملوا عليهم
 رؤوم صلى الإمام بهم جميعا وحرسوا في السجود كما أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد الفاضل أنا أبو نعيم الإسفرايني
 أنا أبو عوانة الخافظ أنا عمار أنا يزيد بن هارون أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء عن جابر رضي الله عنهما قال صلى
 رسول الله ﷺ صلاة الخوف فصفنا خلفه صفين والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم
 ركع وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخرا في الركعة
 الأولى فقام الصف المؤخر في نحو (٥٨٨) العدو فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي

يليه انحدر الصف
 المؤخر بالسجود ثم قاموا
 ثم تقدم الصف المؤخر
 وتأخر المقدم ثم ركع
 النبي صلى الله عليه وسلم
 وركعنا جميعا ثم رفع
 رأسه من الركوع ورفعنا
 جميعا ثم انحدر بالسجود
 والصف الذي يليه الذي
 كان مؤخرا في الركعة
 الأولى وقام الصف المؤخر
 في نحر العدو فلما قضى
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم السجود والصف

وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فصلينا الظهر فقال المشركون لقد أصبنا غرة وفي
 رواية غفلة ولو حملنا عليهم وهم في الصلاة فنزلت الآية بين الظهر والعصر قوله تعالى وإذا كنت
 فيهم هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وإذا كنت يا محمد في أصحابك وشهدت معهم
 القتال فأقت لهم الصلاة (فلتقم طائفة منهم معك) يعني إذا حان وقت الصلاة وأقتها لأصحابك
 فاجعلهم فرقتين فلتقف فرقة منهم معك فتصلي بهم (ولياخذوا أسلحتهم) اختلفوا في هؤلاء الذين
 أمرهم الله بأخذ السلاح فقبل أرادهم الذين قاموا معه إلى الصلاة فانهم يأخذون أسلحتهم في الصلاة
 فعلى هذا القول إنما يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة ولا يؤدي به من إلى جنبه كالسيف
 والخنجر وذلك لأنه أقرب إلى الاحتياط وأمن للعدو من الإقدام عليهم فان كان السلاح يشغل
 يركته وثقله عن الصلاة كالترس الكبير أو يؤدي من إلى جنبه كالرمح فلا يأخذه وقبل أراد
 بهم الطائفة الذين بقوا في وجه العدو فانهم يأخذون أسلحتهم للحراسة وقيل يحتمل أن يكون
 أمرا للفرقتين بحمل السلاح لأن ذلك أقرب إلى الاحتياط (فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم)
 يعني إذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم وفرغوا من الصلاة فليكونوا من ورائكم يعني فليصبروا إلى المكان
 الذي هو في وجه العدو وللحراسة (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا) يعني ولتأت الطائفة التي كان في وجه

الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي

صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا قال جابر رضي الله عنه كما يصنع حرمكم هؤلاء بأمرائكم واعلم أن صلاة الخوف جائزة
 بعد الرسول صلى الله عليه وسلم عند عامة أهل العلم ويحكي عن بعضهم عدم الجواز ولا وجه له وقال الإمام أحمد بن حنبل
 رحمة الله عليه كل حديث روي في أبواب صلاة الخوف فالعمل به جائز روي فيها ستة أوجه أو سبعة أوجه وقال مجاهد في
 سبب نزول هذه الآية عن أبي عياش الزرق قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد
 فصلينا الظهر فقال المشركون لقد أصبنا غرة لو حملنا عليهم وهم في الصلاة فنزلت الآية بين الظهر والعصر قوله تعالى وإذا
 كنت فيهم أي شهيدا معهم فأقت لهم الصلاة (فلتقم طائفة منهم معك) أي فلتقف كقولك تعالى وإذا أظلم عليهم قاموا أي وقفوا
 (ولياخذوا أسلحتهم) واختلفوا في الذين يأخذون أسلحتهم فقال بعضهم أراد هؤلاء الذين وقفوا مع الإمام يصلون ويأخذون
 الأسلحة في الصلاة فعلى هذا إنما يأخذها إذا كان لا يشغله عن الصلاة فلا يؤدي من بجنبه فإذا شغله حركته وثقلته عن الصلاة
 كالجعبة والترس الكبير أو كان يؤدي من بجنبه كالرمح فلا يأخذه وقيل وليأخذوا أسلحتهم أي الباقون الذين قاموا في وجه
 العدو (فاذا سجدوا) أي صلوا (فليكونوا من ورائكم) يريد مكان الذين هم وجه العدو (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا) وهم

العدو (فليصلوا معك) الركعة الثانية التي بقيت عليك ويتموا بقية صلاتهم (وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) يعني إن الله تعالى جعل الحذر وهو التحرز والتهيؤ آلة يستعملها الغازي في دفع العدو فلذلك جعله مأخوذاً مع السلاح . فان قلت لم ذكر في أول الآية الأسلحة فقط وذكر هنا الحذر والأسلحة . قلت لأن العدو قلما ينتبه للمسلمين في أول الصلاة بل يظنون كونهم قائمين في المحاربة والمقاتلة فإذا قاموا إلى الركعة الثانية ظهر للكفار أن المسلمين في الصلاة فحينئذ ينتهزون الفرصة في الإقدام على المسلمين فلا جرم أن الله تعالى أمرهم في هذا الموضع بزيادة الحذر من الكفار مع أخذ الأسلحة (ووالذين كفروا) يعني تمنى الكفار (لوتغفلون) يعني لو وجدوكم غافلين (عن أسلحتكم وأمتعتكم) يعني حوائجكم التي بها بلاغكم في أسفاركم فتسهون عنها (فيميلون عليكم ميلة واحدة) يعني فيقصدونكم ويعملون عليكم حملة واحدة وأنتم مشتغولون بصلاتكم عن أسلحتكم وأمتعتكم فيصيرون منكم غرة فيقتلونكم .

(فصل في أحكام تتعلق بالآية وصفة صلاة الخوف وفيه مسائل)

(المسئلة الأولى) قال أبو يوسف والحسن ابن زياد من أصحاب أبي حنيفة صلاة الخوف كانت خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لغيره بعده فعلها وقال المزني من أصحاب الشافعي كانت ثابتة ثم نسخت واحتجوا لصحة هذا القول بأن الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) وظاهر هذا يدل على أن إقامة الصلاة مشروطة بكون النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فدل على تخصيصه بها ولأن كلمة إذا تفيد الشرط وذهب جمهور العلماء والفقهاء إلى أن هذا الحكم لما ثبت في حق النبي صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الآية وجب أن يثبت في حق غيره من أمته لقوله تعالى «فاتبعوه» ولقوله صلى الله عليه وسلم «صاوا كما رأيتموني أصلي» ولأن ذلك إجماع الصحابة على فعلها وقد روى عن علي بن أبي طالب أنه صلى صلاة الخوف بأصحابه ليلة الهرير وكذلك أبو موسى صلى بأصحابه صلاة الخوف وكذلك حذيفة ابن اليمان صلاها بأصحابه بطبرستان وليس هؤلاء مخالف من الصحابة وأجيب عن قوله تعالى (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) بأن هذا وإن كان قد خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فإن سائر أمته داخلون في هذا الحكم فهو كقوله «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء» إلا أن يردنص بتخصيصه صلى الله عليه وسلم بحكم دون أمته كقوله تعالى «خالصة لك من دون المؤمنين» ونظير قوله وإذا كنت فيهم قوله «خذ من أموالهم صدقة» وإذا كان هو المخاطب بها وقد ثبت حكم أخذ الزكاة بان بعده من الأنمة كان كذلك قوله وإذا كنت فيهم وأجيب عن لفظة إذا: بأن مقتضاها الثبوت عند الثبوت وأما العدم عند العدم فغير مسلم .

(المسئلة الثانية) قال الخطابي صلاة الخوف أنواع صلاها النبي صلى الله عليه وسلم في أيام مختلفة وأشكال متباينة يتحرى في ذلك كله ما هو الأحوط للصلاة وأبلغ في الحراسة فهي مع اختلاف صورها متفقة المعنى فمن أنواع صلاة الخوف ما إذا كان العدو في غير جهة القبلة . فرق الإمام أصحابه فرقتين فتصف طائفة وجاه العدو فتحرس ويصلي بالطائفة الأخرى ركعة فإذا قام إلى الثانية أتوا لأنفسهم وذهبوا إلى وجاه العدو فيحرسون وتأتى الطائفة الثانية التي كانت تحرس فيصلي بهم الركعة الثانية ويثبت جالساً في التشهد حتى يتموا لأنفسهم الصلاة ثم يسلم بهم ويدل على ذلك ما روى عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوان عن علي بن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم

الذين كانوا في وجه العدو
(فليصلوا معك وليأخذوا
حذرهم وأسلحتهم)
قبل هؤلاء الذين أتوا
وقبل هم الذين صلوا
(ووالذين كفروا) يتمنى
الكفار (لوتغفلون) أى
لو وجدوكم غافلين (عن
أسلحتكم وأمتعتكم
فيميلون عليكم ميلة
واحدة) فيقصدونكم

وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف أن طائفة صفت معه وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبث قائما وأتموا لأنفسهم ثم انصرفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا فأتموا لأنفسهم ثم سلم بهم أخرجاه في الصحيحين الذي صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم هو سهل بن أبي حنيفة وقد أخرجاه من رواية أخرى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه وذكر نحوه وهذا هو مختار الشافعي لأنه أشد موافقة لظاهر القرآن وأحوط للصلاة وأبلغ في حراسة العدو، وأما كونه أشد موافقة لظاهر القرآن فإن قوله ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فإصلوا معك يدل على أن الطائفة الأولى قد صلت وقوله فإصلوا معك ظاهره يدل على أن جميع صلاة الطائفة الثانية حصلت مع الإمام وكونها أحوط لأمر الصلاة من حيث إنه لا يكثر فيها العمل من الخيء والذهاب وكونها أحوط لأمر الحرب والحراسة من حيث إنه إذا لم يكونوا في الصلاة كان أمكن للحراسة والكر والفرو والحرب إن احتاجوا إليه وذهب قوم إلى أن الطائفة الأولى تصلى مع الإمام ركعة ثم تذهب إلى وجه العدو فتحرس وهم في صلاتهم ثم تأتي الطائفة الثانية فتصلى مع الإمام الركعة الثانية ويسلم الإمام ولا يسلمون هم بل يذهبون إلى وجه العدو وترجع الطائفة الأولى إلى موضع الإمام فتتقضى بقية صلاتها ثم تذهب ثم تأتي الطائفة الثانية إلى موضع الإمام فتتقضى بقية صلاتها يروى ذلك عن ابن مسعود وهو مذهب أبي حنيفة ويدل على ذلك ما روى عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف قال فكبر فصلى خلفه طائفة منا وطائفة مواجهة للعدو فركع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا ولم يسلموا وأقبلوا على العدو فصفوا مكانهم وجاءت الطائفة الأخرى فصفوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعة وسجدتين ثم سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم ركعتين وأربع سجرات ثم قامت الطائفتان فصلى كل إنسان منهم لنفسه ركعة وسجدتين أخرجه الترمذي قال أبو بكر السني سمع الزهري من ابن عمر ولم يسمع هذا منه والذي أخرجاه في الصحيحين عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الأخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا في مواضعهم مقبلين على العدو وجاء أولئك فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة وفي رواية أخرى قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف في بعض أيامه فقامت طائفة معه وطائفة بازاء العدو فصلى بالذين معه ركعة وجاء الآخرون فصلى بهم ركعة وقضت الطائفتان ركعة ركعة وهذه الرواية المخرجة في الصحيحين أخذ الأوزاعي وأشهب المالكي وهو جازر عند الشافعي أيضا ثم قيل إن الطائفتين قضوا ركعتهم الباقية معا وقيل متفرقين وهو الصحيح والفرق بين الروایتين أن الطائفة الأولى أدركت أول الصلاة وهي في حكم من خلف الإمام. وأما الطائفة الثانية فلم تدرك أول الصلاة والمسبوق فيها يقضى كالمفرد في حكم صلاته.

ويحملون عليكم حملة
واحدة

(مسئلة الثالثة) فيما إذا كان العدو في ناحية القبلة وصورة هذه الصلاة ما روى عن جابر ابن عبد الله قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصفنا صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف

رخص في وضع السلاح

في حال المطر والمرضى لأن السلاح يتقل حمله في هاتين الحالتين (وخذوا حذرکم) أي راقبوا العدو كيلا يتغفلوكم والحذر ما يتق به من العدو وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في رسول

الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه غزا محاربا وبني إمار فزولوا ولا يرون من العدو أحدا فوضع الناس أسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له قد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء ترش فحال الوادي بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أصحابه فجلس رسول الله ﷺ في ظل شجرة فبصر به غورث بن الحارث المخزومي فقال قتلني الله إن لم أقتله ثم أخذ من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم على رأسه وقد أتته من غمده فقال يا محمد من يمنعك مني الآن؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت فاهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكب لوجهه من زلجة زلجها فندر السيف من يده فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ السيف ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن؟ فقال لأحد فقال أتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأعطيتك سيفك فقال لا ولكن أشهد أن لا أقاتلك أبدا ولا أعين عليك عدوا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث لأنت خير مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجل أنا أحق بذلك منك فرجع غورث إلى أصحابه فقالوا له وبلك يا غورث ما منعك منه فقال والله لقد أهويت إليه بالسيف لأضربه به فو الله ما أدري من زلجتي بين كنتي فخررت لوجهي وذكر حواء لهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي إلى أصحابه وأخبرهم الخبر وقرأ هذه الآية ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى قال ابن عباس كان عبد الرحمن بن عوف جريحا فزالت فيه أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذرکم يعني من

الذي يابه وقام الصف المؤخر في نحو العدو فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم السجود وقام الصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخرا في الركعة الأولى فقام الصف المؤخر في نحو العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا قال جابر كما يصنع حرسكم هؤلاء بأمراتهم أخرجه مسلم بنهما وأخرج البخاري طرفا منه أنه صلى صلاة الخوف مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة السابقة غزوة ذات الرقاع وبهذا الحديث أخذ الشافعي ومن وافقه فيما إذا كان العدو في جهة القبلة .

(المسئلة الرابعة) إذا اشتد الحرب والتحم القتال صلاوا رجالا وركبانا يؤمنون بالركوع والسجود إلى أي جهة كانت هذا مذهب الشافعي ومذهب أبي حنيفة أنهم لا يصلون في هذه الحالة فاذا آمنوا فقصوا ما فاتهم من الصلاة ولصلاة الخوف صور أخر مذكورة في كتب الفقه وليس هذا موضعها والله أعلم . وقوله تعالى (ولا جناح عليكم) أي ولا إثم ولا حرج عليكم (إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) قال ابن عباس رخص الله لهم في وضع السلاح في حال المطر وحال المرض لأن السلاح يتقل حمله في هاتين الحالتين (وخذوا حذرکم) يعني راقبوا عدوكم ولا تغفلوا عنه أمرهم الله بالتحفظ والتحرز والاحتياط لئلا يتجرأ العدو عليهم قال ابن عباس نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أنه غزا بني محارب وبني إمار فزولوا ولا يرون من العدو أحدا فوضع الناس السلاح فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة حتى قطع الوادي والسماء ترش بالمطر فسال الوادي فقال السبيل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أصحابه فجلس تحت شجرة فبصر به غورث بن الحارث المخزومي فقال قتلني الله إن لم أقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم على رأسه وقد سل السيف من غمده وقال يا محمد من يمنعك مني الآن؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت فاهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكب لوجهه من زلجة زلجها فندر السيف من يده فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ السيف ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن؟ فقال لأحد فقال أتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأعطيتك سيفك فقال لا ولكن أشهد أن لا أقاتلك أبدا ولا أعين عليك عدوا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث لأنت خير مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجل أنا أحق بذلك منك فرجع غورث إلى أصحابه فقالوا له وبلك يا غورث ما منعك منه فقال والله لقد أهويت إليه بالسيف لأضربه به فو الله ما أدري من زلجتي بين كنتي فخررت لوجهي وذكر حواء لهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي إلى أصحابه وأخبرهم الخبر وقرأ هذه الآية ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى قال ابن عباس كان عبد الرحمن بن عوف جريحا فزالت فيه أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذرکم يعني من

عليه وسلم (الله) ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت ثم أهوى بالسيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضرب به فانكب لوجهه من زلجة زلجها بين كنتيه ، وندر سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه ثم

فأقام العشاء حين سقط الشفق قال وصلى التجر من الغد والقاتل يقول طلعت الشمس أو لم تطلع وصلى الظهر قريبا من وقت العصر بالأمس وصلى العصر والقاتل يقول قد احمرت الشمس وصلى المغرب قبل أن يغيب الشفق وصلى العشاء بعدما ذهب ثلث الليل الأول ثم قال ابن السائل عن وقت الصلاة فقال الرجل أنا يار رسول الله قال «ما بين هذين الوقتين وقت». قوله تعالى (ولا تنهوا في ابتغاء القوم) الآية سبب نزولها أن أبا سفيان رضى الله عنه وأصحابه لما رجعوا يوم أحد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طائفة في آثارهم فشكوا ألم الجراحات فقال الله تعالى «ولا تنهوا في ابتغاء القوم» أى لا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب القوم أبى سفيان وأصحابه (إن تكونوا تألمون) تتوجعون من الجراح (فأنهم يألمون) (٥٩٣) أى يتوجعون بمعنى الكفار

(كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) أى وأنتم مع ذلك تألمون من الأجر والثواب في الآخرة والنصر في الدنيا ما لا يرجون وقال بعض المفسرين المراد بالرجاء الخوف لأن كل راج خائف أن لا يدركه مأموله ومعنى الآية ترجون من الله أى تخافون من الله أى تخافون من عذاب الله ما لا يخافون قال الفراء رحمه الله ولا يكون الرجاء بمعنى الخوف إلا مع الجحد كقوله تعالى «قل للذين آمنوا يفتروا للذين لا يرجون أيام الله أى لا يخافونه وقال تعالى «مالكم لا ترجون الله وقاراه أى لا تخافون الله عظمته ولا يجوز رجوتك بمعنى خفتك ولا خفتك وأنت تريد رجوتك (وكان

قوله تعالى (ولا تنهوا في ابتغاء القوم) سبب نزول هذه الآية أن أبا سفيان وأصحابه لما رجعوا يوم أحد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم فشكوا من ألم الجراحات فقال الله تعالى ولا تنهوا عنى ولا تضعفوا ولا تنهوا في ابتغاء القوم يعنى في طلب أبى سفيان وأصحابه ثم أورد عليهم الحجية في ذلك والزمهم بها فقال تعالى (إن تكونوا تألمون فأنهم يألمون كما تألمون) يعنى أن حصول الألم قدر مشترك بينكم وبينهم وليس ما تكابدون من الوجع وألم الجراح مختصا بكم بل هم كذلك فإذا لم يكن الألم مانعا لهم عن قتالكم فكيف يكون مانعا لكم عن قتالهم وكيف لا تصيرون مثل صبرهم مع أنكم أولى بالصبر منهم لأنكم مقرون بالخشى والنشر والثواب والعقاب والمشركون لا يقرون بذلك كله فأنتم أيها المؤمنون أولى بالجهاد منهم وهو قوله تعالى (وترجون من الله ما لا يرجون) يعنى وتألمون من الله من الثواب في الآخرة ما لا يرجون وقيل ترجون النصر والظفر في الدنيا وإظهار دينكم على الأديان كلها (وكان الله عليا حكيا) يعنى أنه تعالى لا يأمركم بشيء إلا وهو يعلم أنه مصلحة لكم. قوله عز وجل (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعا من جارية له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى داره ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وماله بها من علم فقال أصحاب الدرع لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودى فأخذوه فقال اليهودى دفعها إلى طعمة بن أبيرق زاد في الكشاف وشهد له جماعة من اليهود قال البغوى وجاء بنو ظفر قوم طعمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاقب اليهودى وأن يقطع يده فأرسل الله هذه الآية وقيل إن زيد بن السمين أودع الدرع عند طعمة فجحده طعمة فأرسل الله هذه الآية إنا أنزلنا إليك يعنى يا محمد الكتاب يعنى القرآن بالحق يعنى بالصدق وبالامر والنهى والفصل (لتحكم بين الناس بما أراك الله) يعنى بما علمك الله وأوحى إليك وإنما سمى العلم البقيني رؤية لأنه جرى مجرى الرؤية في قوة الظهور روى عن عمر أنه قال لا يقولن

(٧٥ - خازن بالبغوى - أول) الله عليا حكيا) قوله تعالى (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس ما أراك الله) الآية روى الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعا من جارية له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وماله بها من علم فقال أصحاب الدرع لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودى فأخذوه منه فقال اليهودى دفعها إلى طعمة بن أبيرق فجاء بنو ظفر وهم قوم طعمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا له إنك إن لم تفعل افتضح صاحبنا فهم رسول الله صلى

الدرع في جراب فيه نخالة فخرق الجراب حتى كان يتأثر منه النخالة طول الطريق فجاء به إلى دار زيد السمين وتركه على بابه وحمل الدرع إلى بيته فلما أصبح صاحب الدرع جاء على أثر النخالة إلى دار زيد السمين فأخذه وحمله إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطع يد زيد اليهودى وقال مقاتل إن زيدا السمين أودع درعا عند طعمة فجعلها طعمة فأزل الله تعالى هذه الآية فقال إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق بالأمر والنهى والفصل لتحكم بين الناس بما أراك الله ما علمك الله وأوحى إليك (ولا تكن للخائنين طعمة خصصا) معينا مدافعا عنه (واستغفر الله) مما هممت به من معاقبة اليهودى وقال مقاتل واستغفر الله من جدالك عن طعمة (إن الله كان غفورا رحبا ولا يجادل) لا تخاصم (عن الذين يفتنون أنفسهم) أى يفتنون أنفسهم بالحياة والسرقة (إن الله لا يحب

أحدكم قضيت بما أراى الله فان الله لم يجعل ذلك إلا لئيبه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجهد رأيه لأن الرأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا ، لأن الله تعالى كان يرى إياه وإن رأى أحدنا يكون ظنا ولا يكون علما قال المحققون دلت هذه الآية على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يحكم إلا بالوحي الإلهى والنص المنزل عليه (ولا تكن) يعنى بالمحمد (لاخائنين خصصا) يعنى ولا تكن لأجل الخائنين وهم قوم طعمة تخاصم عنهم وتجادل عن طعمة مدافعا عنه ومعينا له (واستغفر الله) يعنى مما هممت به من معاقبة اليهودى وقيل من جدالك عن طعمة (إن الله كان غفورا) يعنى لذنوب عباده بسترها عليهم ويفقرها لهم (رحبا) يعنى بعباده المؤمنين .

(فصل)

وقد تمسك بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنب من الأنبياء وقالوا لو لم يقع من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب لما أمر بالاستغفار والجواب عما تمسكوا به من وجوه : أحدها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل المنهى عنه في قوله ولا تكن للخائنين خصصا ولم يخاصم عن طعمة لما سأله قومه أن يذب عنه وأن يلحق السرقة باليهودى فتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وانتظر ما يأتيه من الوحي السماوى والأمر الإلهى فزلت هذه الآية وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن طعمة كذب وأن اليهودى بريء من السرقة وإنما مال صلى الله عليه وسلم إلى نصره طعمة وهم بذلك بسبب أنه في الظاهر من المسلمين فأمره الله بالاستغفار لهذا القدر الوجه الثانى أن قوم طعمة لما شهدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة طعمة من السرقة ولم يظهر في الحال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدر في شهادتهم هم بأن يقضى على اليهودى بالسرقة فلما أطلع الله على كذب قوم طعمة عرفت أنه لو وقع ذلك الأمر لكان خطأ في نفس الأمر فأمره الله بالاستغفار منه وإن كان معذورا ، الوجه الثالث يحتمل أن الله تعالى أمره بالاستغفار لقوم طعمة لتبهم عن طعمة فإن استغفاره صلى الله عليه وسلم يحتمل أن يكون لذنب قد سبق قبل النبوة وأن يكون لذنوب أمته . الوجه الرابع أن درجة النبي صلى الله عليه وسلم أعلى الدرجات ومنصبه أشرف المناصب فلعلو درجته وشرف منصبه وكمال معرفته بالله عز وجل فما يقع منه على وجه التأويل أو السهو أو أمر من أمور الدنيا فإنه ذنب بالنسبة إلى منصبه صلى الله عليه وسلم كما قيل حسبات الأبرار حسبات المقربين . وذلك بالنسبة إلى منازلهم ودرجاتهم والله أعلم . قوله تعالى (ولا تجادل عن الذين يخفون أنفسهم) يعنى ولا تجادل بالمحمد عن الذين يفتنون أنفسهم بالحياة وهم طعمة ومن عاونه وذنب عنه من قومه وإنما سماهم خائنين لأن من أقدم على ذنب فقد خان نفسه لأنه أوقعها في العذاب وحرمها من الثواب ولهذا قيل لمن ظلم غيره إنما ظلم نفسه وقيل المراد بهذا الجمع كل من خان خيانة أى فلا تخاصم الخائن ولا تجادل عنه (إن الله لا يحب من كان خوانا أثيا) يعنى خوانا بسرقة الدرع أثيا برمييه اليهودى وهو برىء وإنما قال تعالى خوانا أثيا على المبالغة لأنه تعالى علم من طعمة الإفراط في الخيانة وركوب المآثم ويدل على ذلك أنه لما نزل فيه القرآن لحق مكة مرتدا عن دينه ثم هدا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته فسقط عليه حجر من الحائط فلما أصبحوا أخرجوه من مكة فلقى ركبا فعرض لهم وقال ابن السبيل ومنقطع به فحملوه حتى إذا جن عليه الليل عدا عليهم فسرقهم ثم انطلق فركبوا في طلبه فأدركوه فرموه بالحجارة حتى مات ، ومن كانت هذه

والمراد به غير ذكره تعالى «فان كنت في شك مما أنزلنا إليك» والاستغفار في حق الأنبياء بعد النبوة على أحد الوجوه الثلاثة :
إما لذنب تقدم على التوبة أو لذنوب أمته وقرابته أو لمباح جاء الشرع بتحريمه فيتركه بالاستغفار فالاستغفار يكون معناه
السمع والطاعة لحكم الشرع (يستخفون من الناس) أي يستترون ويستحيون (٥٩٥) من الناس ٤ يريد بنى ظفر

ابن الحارث (ولا يستخفون
من الله) أي لا يستترون
ولا يستحيون من الله
(وهو معهم إذ يبيتون)
يتقولون ويؤلفون
والتيببت تدبير الفعل ليلا
(مالا يرضى من القول)
وذلك أن قوم طعمة
قالوا فيما بينهم ترفع
الأمر إلى النبي ﷺ فإنه
بسمع قوله وبمبته لأنه
مسلم ولا يسمع من اليهودي
لأنه كافر فلم يرض الله
ذلك منهم (وكان الله
بما يعملون عيضا) ثم
يقول لقوم طعمة (هأنتم
هؤلاء) أي يا هؤلاء
(جادلتم) أي جادلتم
(عنهم) يعني عن طعمة
وفي قراءة أبي بن كعب
عنه (في الحياة الدنيا)
والجدال شدة المخاصمة
من الجدال وهو شدة
القتل فهو يريد قتل
الخصم عن مذهبه
بطريق الحجاج وقيل
الجدال من الجدالة وهي
الأرض فكان كل
واحد من الخصمين
يروم قهر صاحبه
وصرعه على الجدالة

حاله كان كثير الحياة والإثم فذلك وصفه الله تعالى بالمبالغة في الحياة والإثم قال بعضهم إذا
عثر من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات. ويروى عن عمر أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت
أمه تكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه يا أمير المؤمنين فقال كذبت إن الله
لا يؤخذ عبده في أول مرة. قوله عز وجل (يستخفون من الناس) يعني يستترون حياء من
الناس يريد بذلك بنى ظفر من الحرث وهم قوم طعمة بن أبيرق (ولا يستخفون من الله) يعني
ولا يستترون من الله ولا يستحيون منه وأصل الاستخفاء الاستتار وإنما فسر الاستخفاء
بالاستحياء على المعنى لأن الاستحياء من الناس يوجب الاستتار منهم (وهو معهم) يعني والله
معهم بالعلم والقدرة ولا يخفى عليه شيء من حالهم لأنه تعالى لا يخفى عليه خافية. وكفى بذلك
زجرا للإنسان عن ارتكاب الذنوب (إذ يبيتون مالا يرضى من القول) يعني يضمرن ويقدرن
ويزورن في أذهانهم وأصل التيببت تدبير الفعل بالليل وذلك أن قوم طعمة قالوا فيما بينهم
ترفع الأمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يسمع قول طعمة ويقبل بمبته لأنه مسلم ولا يسمع
قول اليهودي لأنه كافر فلم يرض الله تعالى بذلك منهم فأطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم
وما هموا به (وكان الله بما يعملون محيطا) يعني أنه تعالى لا يخفى عليه شيء من أسرار عباده
وهو مطلع عليهم ومحيط بهم لا يخفى عليه خافية (هأنتم هؤلاء) هاء للتثنية يعني يا هؤلاء الذين
هو خطاب لقوم من المؤمنين كانوا يذنبون عن طعمة وعن قومه (جادلتم عنهم) يعني خاصمتم
عنهم بسبب أنهم كانوا يرونهم في الظاهر مسلمين وأصل الجدال شدة القتال لأن كل واحد
من الخصمين يريد أن يقتل صاحبه عما هو عليه والمعنى هبوا إنكم خاصمتم وجادلتم
عن طعمة وقومه في الحياة الدنيا وقيل هو خطاب لقوم طعمة وفي قراءة ابن مسعود : جادلتم عنه
والمعنى هبوا أنكم خاصمتم عن طعمة في الحياة الدنيا (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) يعني إذا أخذ
بعذابه فهو استنفهام بمعنى التوبيخ والتقريع (أمن يكون عليهم وكيلا) يعني يحافظا ومحاميا عنهم
من بأس الله إذا نزل بهم. قوله تعالى (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه) نزلت هذه الآية في ترغيب
طعمة في التوبة وعرضها عليه وقيل نزلت في قومه الذين جادلوا عنه وقيل هي عامة في كل
مسيء ومدنّب لأن خصوص السبب لا يمنع من إطلاق الحكم ومعنى الآية (ومن يعمل سوءا
يمى به غيره كما فعل طعمة بالسرقه من قنادة وإنما خص ما يتعدى إلى الغير باسم السوء لأن
ذلك يكون في الأكثر إصلا للضرر إلى الغير أو يظلم نفسه يعني فيما يختص به من الحلف
الكاذب ونحو ذلك وقيل معناه (ومن يعمل سوءا أي قبيحا أو يظلم نفسه برميه البريء وقيل
السوء كل ما يأتى به الإنسان والظالم هو الشرك فما دونه (ثم يستغفر الله) يعني من ذنوبه (يجادل
الله غفورا رحيا) في هذه الآية دليل على حكيم : أحدهما أن التوبة مقبولة عن جميع الذنوب
الكبائر والصغار لأن قوله (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه عم الكل) والحكم الثاني إن ظاهر
الآية يقتضى أن مجرد الاستغفار كاف وقال بعضهم إنه مقيد بالتوبة لأنه لا يرفع الاستغفار

(فمن يجادل الله عنهم) يعني عن طعمة (يوم القيامة) إذا أخذ الله بعذابه (أم من يكون عليهم وكيلا) كقيل أي من الذي يذب
عنهم ويتولى أمرهم يوم القيامة ثم استأنف فقال (ومن يعمل سوءا) يعني السرقه (أو يظلم نفسه) برميه البريء وقيل (ومن يعمل
سوءا أي شركا أو يظلم نفسه) أي يتب إليه ويستغفره (يجادل الله غفورا رحيا) يعرض التوبة

مع الاصرار على الذنوب (ومن يكسب إنثما) يعني ومن يعمل ذنبا يأثم به (فإنثما يكسبه على نفسه) يعني إنثما يعود وبال كسبه عليه والكسب عبارة عما يفيدجر منفعة أو دفع مضرة فكأنه تعالى يقول يأثم الإنسان إن الذنب الذي ارتكبه إنثما عادت مضرته عليك فإني منزء عن الضر والنفع فأكثر من الاستغفار ولا تباؤس من قبول التوبة فإني لغفار لمن تاب وهذه الآية نزلت في طعمة أيضا (وكان الله عليا) يعني بسارق الدرع (حكيا) يعني إذا حكم عليه بالقطع وقيل معناه عليا بما في قلب عبده عند إقدامه على التوبة حكيا تقتضي حكمته أن يتجاوز عن الثابت ويغفر له ويقبل توبته (ومن يكسب خطيئة أو إنثما) قيل إن الخطيئة هي الصغيرة من الذنوب والإثم هو الكبيرة وقيل الخطيئة هي الذنب المختص بفاعله والإثم الذنب المتعدى إلى الغير وقيل إن الخطيئة هي سرقة الدرع والإثم هو يمينه الكاذبة (ثم يرم به بريثا) يعني ثم يقذف بما جناه بريثا منه وهو نسبة السرقة إلى اليهود ولم يسرق. فان قلت الخطيئة والإثم اثنان فكيف وحده الضمير في قوله ثم يرم به. قلت معناه ثم يرم بأحد هذين المذكورين بريثا وقيل معناه ثم يرم بهما فاكتفى بأحدهما عن الآخر وقيل أنه يعود الضمير إلى الإثم وحده لأنه أقرب مذكور وقيل أن الضمير يعود إلى الكسب ومعناه ثم يرم بما كسب بريثا (فقد احتدل بهتانا) البهتان من البهت وهو الكذب الذي يتحجر في عظمه (وإنثما ميينا) يعني ذنبا بينا لأنه يكسب الإثم آثم ويرمي به البرئ باهت فقد جمع بين الأمرين. قوله عز وجل (ولو لا فضل الله عليك ورحمته) هذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن أبيرق وقومه حيث لبسوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر صاحبهم. فتقوله تعالى فلو لا فضل الله عليك يعني يا محمد بالنبوة ورحمته يعني بالعصمة وما أوحى إليك من الإطلاع على أسرارهم فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (لمت طائفة منهم) يعني من بني ظنروهم قوم طعمة (أن يضلوك) يعني عن القضاء بالحق وتوحي طريق العدل وقيل معناه يخطئوك في الحكم ويلبسوا عليك الأمر حتى تدفع عن طعمة وذلك لأن قوم طعمة عرفوا أنه سارق ثم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يدفع عنه وينزله عن السرقة ويرى بها اليهودي (وما يضلون إلا أنفسهم) يعني أن وبال ذلك يرجع عليهم بسبب تعاونهم على الإثم وبشهادتهم له أنه بري ومفهم لما قدموا على ذلك رجع وباله عليهم (وما يضر ونك من شيء) يعني أنهم وإن سعوا في القائل في الباطل فأنت ما وقعت فيه لأنك بنيت الأمر على ظاهر الحال وما خطر ببالك أن الأمر على خلاف ذلك وقيل معناه وما يضر ونك من شيء في المستقبل فوعده الله بإدانة العصمة وإنه لا يضره أحد (وأنزله الله عليك الكتاب) يعني القرآن (والحكمة) يعني القضاء بهما يعني وأوجب بهما بناء الحكم على الظاهر فكيف يضر ونك بالقائل في الشهات (وعلمك ما لم تكن تعلم) يعني من أحكام الشرع وأمور الدين وقيل علمك من علم الغيب ما لم تكن تعلم وقيل معناه وعلمك من نخصيات الأمور وأطلعك على ضائر القلوب وعلمك من أحوال المتناقضين وكيدهم ما لم تكن تعلم (وكان فضل الله عليك عظيما) يعني ولم ينزل فضل الله عليك يا محمد عظيما فاشكره على ما أولاك من إحسانه ومن عليك بنبوته وعلمك ما أنزل عليك من كتابه وحكمته وعصمك ممن حاول إضلالك فان الله هو الذي تولاك بفضله وشمك باحسانه وكفالك عائلة من أرادك بسوء في هذه الآية تنبيه من الله عز وجل لتنبه محمد صلى الله عليه وسلم على ما حباه من الطافة وما شمله من فضله وإحسانه ليقيم

على طعمة في هذه الآية يكسبه على نفسه) فإنثما يضر به نفسه (وكان الله عليا) سارق الدرع (حكيا) حكم بالطع على السارق (ومن يكسب خطيئة) أي سرقة الدرع (أو إنثما) يمينه الكاذبة (ثم يرم به) أي يقذف بما جنى (بريثا) منه وهو نسبة السرقة إلى اليهودي (فقد احتدل بهتانا) البهتان هو البهت وهو الكذب الذي يتحجر في عظمه (وإنثما ميينا) أي ذنبا بينا وقوله ثم يرم به ولم يقل بهما بعد ذكر الخطيئة والإثم رد الكناية إلى الإثم أو جعل الخطيئة والإثم كالأشياء الواحد قوله تعالى (ولو لا فضل الله عليك ورحمته) يقول للنبي ﷺ (لمت) لقد همت أي أضمرت (طائفة منهم) يعني قوم طعمة (أن يضلوك) يخطئوك في الحكم ويلبسوا عليك الأمر حتى تدافع عن طعمة (وما يضلون إلا أنفسهم) يعني يرجع وباله عليهم (وما يضر ونك من شيء) يريد أن ضرره يرجع إليهم

(وأنزله الله عليك الكتاب) يعني القرآن (والحكمة) يعني القضاء بالوحي (وعلمك ما لم تكن تعلم) بواجب من الأحكام وقيل من علم الغيب (وكان فضل الله عليك عظيما)

قوله تعالى (لاخبر في كثير من نجواهم) يعني قوم طعمة وقال مجاهد الآية عامة في حق جميع الناس والنجوى هي الإسراو
في التدبير وقيل النجوى ما يتفرد بشديده قوم سرا كان أوجها فعني الآية لاخبر في كثير مما يدبرونه بينهم (إلا من أمر بصدقة)
أي إلا في نجوى من أمر بصدقة فالنجوى يكون متصلا وقيل النجوى ما هنا الرجال المتناجون كما قال الله تعالى وإذ هم نجوى إلا
من أمر بصدقة وقيل هذا استثناء منقطع يعني لكن من أمر بصدقة أي حث عليها (أو معروف) أي بطاعة الله وما يعرفه الشرع
وأعمال البر كلها معروف لأن العقول تعرفها (أو إصلاح بين الناس) (٥٩٧) أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى

أنا أبو بكر بن أحمد
الحسن الحبرى أجازى
ابن أحمد الطوسى أنا
محمد بن حماد أنا أبو معاوية
عن الأعمش عن عمرو
ابن مرة عن سلم هو ابن
أبي الجعد عن أم الدرداء
رضي الله عنها قالت: قال
رسول الله ﷺ «الأنخيركم
بأفضل من درجة الصيام
والصدقة والصلاة قال:
قلنا بل قال إصلاح ذات
الدين وأن إفساد ذات
الدين هي الخالقة» أخبرنا
أحمد بن عبد الله الصالحى
أنا أبو الحسين على بن
محمد بن عبد الله بن
بشران أنا إسماعيل بن
محمد الصفار أنا أحمد
ابن منصور الرمادى ثنا
عبد الرزاق ثنا معمر
عن الزهرى عن حميد
ابن عبد الرحمن عن أمه
أم مكتوم بنت عقبة

بواجب حقه . قوله تعالى (لاخبر في كثير من نجواهم) يعني من نجوى قوم طعمة وقيل هي
عامة في جميع ما يتناجى الناس به والنجوى هي الإسراو في التدبير وقيل النجوى ما يتفرد
بتديده قوم سرا كان ذلك أوجها وناجيته ساررته وأصله أن يجلو في نجوة من الأرض
وقيل أصله من النجى والمعنى لاخبر في كثير مما يدبرونه ويتناجون فيه (إلا من أمر بصدقة)
يعنى إلا في نجوى من أمر بصدقة وقيل معناه لاخبر فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث
إلا فيما كان من أعمال الخير وقيل هو استثناء منقطع تقديره لكن من أمر بصدقة وحث عليها
(أو معروف) يعني أو أمر بطاعة الله وما يبيزه الشرع وأعمال البر كلها معروف لأن العقول تعرفها
(أو إصلاح بين الناس) يعني الإصلاح بين المتباينين والمتخاصمين ليراجعا إلى ما كانا فيه من
الآلفة والاجتماع على ما أذن الله فيه وأمره . عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
«الأنخيركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال إصلاح
ذات الدين وإن فساد ذات الدين هي الخالقة» أخرجه الترمذى وأبو داود وقال الترمذى وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «هي الخالقة لأقول تحاقى الشعر ولكن تحلق الدين» (خ)
عن سهل بن سعد أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأخبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال «أذهبوا بنا نصلح بينهم» (ق) عن أم مكتوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ليس الكذاب الذى يصلح بين اثنين أو قال بين الناس
فيقول خيرا أو ينسى خيرا» زاد مسلم في روايته له قالت ولم أسمعه يرخص فى شيء مما يقول الناس
إلا فيما فى ثلاث: معنى الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها
(ومن يفعل ذلك) معنى هذه الأشياء التى ذكرت (ابتغاء مرضاة الله) يعنى طلب رضاه لأن
الإنسان إذا فعل ذلك خالصا لوجه الله نفعه وإن فعله رياء وسمعة لم ينفعه ذلك لقوله صلى الله
عليه وسلم «إنما الأعمال بالنيات» الحديث (فسوف تؤتبه) يعنى فى الآخرة إذا فعل ذلك ابتغاء
مرضاة الله (أجرا عظيما) لاحد له لأن الله مياء عظيما وإذا كان كذلك فلا يعلم قدره إلا الله
قوله عز وجل (ومن يشاقق الرسول) نزلت فى طعمة أيضا وذلك لأنه لما سرق وظهرت عليه
السرقة خاف على نفسه القطع والفضيحة فهرب إلى مكة كافرا مرتدا عن الدين فأنزله الله
عز وجل فيه «ومن يشاقق الرسول» يعنى يخالفه فى التوحيد والإيمان وأصله من المشاققة وهى كون
كل واحد منهما فى شق غير شق الآخر (من بعد ما تبين له الهدى) أى وضح له التوحيد
والحدود وظهر له صحة الإسلام وذلك لأن طعمة كان قد تبين له بما أنزل فيه وأظهر من

وكانت من المهاجرات الأولى قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول «ليس الكذاب من أصلح بين الناس فقال خيرا أو نعى
خيرا» قوله تعالى (ومن يفعل ذلك) أى هذه الأشياء التى ذكرها (ابتغاء مرضاة الله) أى طلب رضاه (فسوف تؤتبه) فى الآخرة
(أجرا عظيما) قرأ أبو عمرو وحزمة يؤتبه بالياء يعنى يؤتبه الله وقرأ الآخرون بالنون قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول) نزلت
فى طعمة بن أيرق وذلك أنه لما ظهرت عليه السرقة خاف على نفسه من قطع اليد والفضيحة فهرب إلى مكة وارتد عن الدين
فقال تعالى (ومن يشاقق الرسول) أى يخالفه (من بعد ما تبين له الهدى) من التوحيد والحلول

(ويتبع غير سبيل المؤمنين) أي غير طريق المؤمنين (نوله ماتولى) أي نكله في الآخرة إلى ماتولى في الدنيا (وأنصله جهنم وساءت مصيرا) روى أن طعمة بن أبيرق (٥٩٨) نزل على رجل من بنى سليم من أهل مكة يقال له الحجاج بن علاط فقتل

بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع أن يدخل ولا أن يخرج حتى أصبح فأخذ ليقتل فقال بعضهم دعوه فإنه قد لجأ إليكم فركوه فأخرجوه من مكة فخرج مع تجار من قضاة نحو الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم وهرب فطلبوه وأخلوه ورموه بالحجارة حتى قتره فصار قبره تلك الحجارة وقيل إنه ركب سفينة إلى جدة فسرق فيها كيسا فيه دنائير فأخذ فألقى في البحر وقيل إنه نزل في حرة بنى سليم وكان يعبد صنائهم إلى أن مات فأزل الله تعالى فيه (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) أي ذهب عن الطريق وحرم الخبز كله وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية نزلت في شيخ من الأعراب جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

سرقته ما يدل على صحة دين الإسلام فعادى الرسول ﷺ وأظهر الشقاق ورجع عن الإسلام (ويتبع غير سبيل المؤمنين) يعني ويتبع غير طريق المؤمنين وما هم عليه من الإيمان ويتبع عبادة الأوثان (نوله ماتولى) أي نكله في الآخرة إلى ماتولى في الدنيا ونتركه وما اختار لنفسه (وأنصله جهنم) يعني ونلزمه جهنم وأصله من الصلى وهو لزوم النار وقت الاستدقاء (وساءت مصيرا) يعني وبئس المرجع إلى النار روى أن الشافعي مثل عن آية من كتاب الله تدل على أن الإجماع حجة فقرأ القرآن ثلثمائة مرة حتى استخرج هذه الآية وهي قوله تعالى (ويتبع غير سبيل المؤمنين) وذلك لأن اتباع غير سبيل المؤمنين وهي مفارقة الجماعة حرام فوجب أن يكون اتباع سبيل المؤمنين ولزوم جماعتهم واجبا وذلك لأن الله تعالى ألحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين فثبت بهذا أن إجماع الأمة حجة. قوله عز وجل (إن الله لا يغفر أن يشرك به) نزلت في طعمة بن أبيرق أيضا لكونه مات مشركا وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في شيخ من الأعراب جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا نبي الله إني شريك في الذنوب غير أني لم أشرك بالله منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أواقع المعاصي جرأة على الله عز وجل وماتوهت طرفة عين أي أعجز الله هربا وإني لنادم تائب مستغفر فأحالي عند الله فأزل الله هذه الآية (إن الله لا يغفر أن يشرك به) فهنا نص صريح بأن الشرك غير مغفور إذا مات صاحبه عليه لأنه قد ثبت أن المشرك إذا تاب من شركه وآمن قبلت توبته وصح إيمانه وغفرت ذنوبه كلها التي عملها في حال الشرك (ويغفر ما دون ذلك) يعني ما دون الشرك (لمن يشاء) يعني لمن يشاء من أهل التوحيد قال العلماء لما أخبر الله أنه يغفر الشرك بالإيمان والتوبة علمنا أنه يغفر ما دون الشرك بالتوبة وهذه المشيئة فيمن لم يقب من ذنوبه من أهل التوحيد فإذا مات صاحب الكبيرة أو الصغيرة من غير توبة فهو على خطر المشيئة إن شاء غفر له وأدخله الجنة بفضل رحمة وإن شاء عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) يعني فقد ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله إذا مات على شركه. فان قلت لم كررت هذه الآية بلفظ واحد في موضعين من هذه السورة وما فائدة ذلك. قلت فائدة ذلك التأكيد أولان الآية المتقدمة نزلت في سبب ونزلت هذه الآية في سبب آخر وهو أن الآية المتقدمة (١) نزلت في سبب سرقة طعمة بن أبيرق ونزلت هذه الآية في سبب ارتداده وموته على الشرك. قوله عز وجل (إن يدعو من دونه إلا إنانا) نزلت في أهل مكة يعني ما يعبدون من دون الله إلا إنانا لأن كل من عبد شيئا فقد دعاه لحاجته وفي قوله إنانا أقوال أحدها إنهم كانوا يسمون أصنامهم بأسماء الإناث فيقولون اللات والعزى ومناة قال الحسن كانوا يقولون لصم كل قبيلة أنى بنى فلان (١) قوله وهو أن الآية المتقدمة الخ الذي ذكره عند الآية المتقدمة أنها نزلت في أهل الكتاب المتقدم ذكرهم قبل الآية أو في قاتل حمزة وأصحابه أو في جواب رجل سأل عن الشرك لما نزل قوله تعالى فقل يا عبادي الآية ولم يقدم لسرقة طعمة ذكرا على أنه لا يظهر أن تكون سبب نزول الآية كما هو ظاهره.

فقال يا نبي الله إني شريك في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أواقع المعاصي جرأة على الله وما توهمت طرفة عين إني أعجز الله هربا وإني لنادم تائب مستغفر فإذا حالي فأزل الله تعالى هذه الآية قوله تعالى (إن يدعو من دونه إلا إنانا) نزلت في أهل مكة أي ما يعبدون كتوبه تعالى وقال

ربكم ادعوني أي اعبدوني دليل قوله تعالى وإن الدين يستعبرون عن عبادتي قوله من دونه أي من دون الله إلا إننا أراد بالإناث الأوثان لأنهم كانوا يسمونها بأمم الإناث فيقولون اللات والعزى ومناة وكانوا يقولون لضم كل قبيلة أنثى بنى فلان فكان في كل واحدة منهم شيطان يترأى للسنة والكهنة ويكلمهم ولذلك قال (وإن يدعون إلا شيطانا مريدا) هذا قول أكثر المفسرين يدل على صحة التأويل وإن المراد بالإناث الأوثان قراءة ابن عباس رضي الله عنه أن يدعون من دونه إلا أننا جمع الوثن فصبر الواو همزة وقال الحسن وقتادة إلا إننا أي مواتا لا روح فيه لأن أصنامهم (٥٩٩) كانت من الجمادات سخاها إنانا

لأنه يخبر عن الموات كما يخبر عن الإناث ولأن الإناث أدون الجلوس كما أن الموات أرذل من الحيوان وقال الضحاك أراد بالإناث الملائكة وكان بعضهم يعبدون الملائكة تورية ولون الملائكة إناث كما قال الله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا قوا. وإن يدعون إلا شيطانا مريدا أي وما يعبدون إلا شيطانا مريدا لأنهم إذا عبدوا الأصنام فقد أطاعوا الشيطان والمريد المارد وهو المتمرد العاقى الخارج عن الطاعة وأراد إبليس لعنه الله أي أبعده الله من رحمته (وقال) يعني قال إبليس (لأخذن من عبادك نصيبا مفروضا) فما أطيع فيه إبليس فهو مفروضه وفي بعض التفسير من كل ألف واحد لله تعالى وتسعمائة

والقول الثاني إننا يعني أمواتا قال الحسن كل شيء لا روح فيه كالحجر والخشب هو إناث قال الزجاج والموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث تقول هذه الحجر تعجبني وهذه الدرهم تنعني ولأن الأنثى أنزل درجة من الذكر والميت أنزل درجة من الحي كما أن الموات أنزل من الحيوان وقد يطلق اسم الأنثى على الجمادات والقول الثالث إن بعضهم كان يعبد الملائكة ويقول من بنات الله (وإن يدعون) أي وما يعبدوا (إلا شيطانا مريدا) قال ابن عباس لكل صنم شيطان يدخل في جوفه وترأى للسنة والكهنة ويكلمهم فلذلك قال الله تعالى وإن يدعون إلا شيطانا مريدا، وقيل هو إبليس لأنه أغواهم وأغراهم على عبادتها وأطاعوه فجمعت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو المتمرد العاقى الخارج عن الطاعة (لعنه الله) أي أبعده الله وطرده عن رحمته (وقال) يعني إبليس (لأخذن من عبادك نصيبا مفروضا) يعني حظا مقننا معلوما فكل ما أطيع فيه إبليس فهو نصيبه ومفروضه وأصل المرض القطع وهذا النصيب هم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وساوسه (ولأضلنهم) عن طريق الحق والمراد به التزيين والوسوسة وإفليس إليه من الإضلال شيء قال بعضهم لو كانت الضلالة إلى إبليس لأضل جميع الخلق (ولأمنينهم) قال ابن عباس يريد تسويق التوبة وتأخيرها وقال الكلبي أنهم أنه لاجنة ولانار ولا بعث وقيل أمنينهم إدراك الجنة مع عمل المعاصي وقيل أزين لهم ركوب الأهواء والأهوال الداعية إلى العصيان وقيل أمنينهم طول البقاء في الدنيا وتعميرها ليؤثروها على الآخرة (ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام) يعني يقطعونها ويشقونها وهي البحيرة وذلك أنهم كانوا يشقون آذان الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها ولا يردونها عن ماء ولا مرعى وسول لهم إبليس إن هذا قربة (ولأمرنهم فليغيرن خلق الله) قال ابن عباس يعني دين الله وتغيير دين الله هو تحليل الحرام وتحريم الحلال وقيل تغيير خلق الله هو تغيير الفطرة التي فطر الخلق عليها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وكل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه وقيل يحتمل أن يحمل هذا التغيير على تغيير أحوال تتعلق بظاهر الخلق مثل الوشم ووصل الشعر ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ولعن الله الواشيات والمستوشيات والمتمصصات والتتفلجات للحسن المغيرات خلق الله أخرجاه من رواية ابن مسعود وهما عن أسماء قالت ولعن النبي صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة، وقيل تغيير خلق الله هو الاختصاص وقطع الآذان حتى أن بعض

وتسعة وتسعون لإبليس وأصل الفرض في اللغة القطع ومنه الفرضة في النهر وهي الثلمة تكون فيه وفرض القوس والشرك للشق الذي يكون فيه الوتر والخيط الذي يشده الشرك (ولأضلنهم) يعني عن الحق أي لأغوينهم بقوله إبليس وأراد به التزيين وإفليس لايه من الإضلال شيء كما قال لأزين لهم في الأرض (ولأمنينهم) قبل أمنينهم ركوب الأهواء وقيل أمنينهم أن لاجنة ولا نار ولا بعث وقيل أمنينهم إدراك الآخرة مع ركوب المعاصي (ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولأمرنهم فليغيرن خلق الله) قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن المسيب والضحاك يعني دين الله نظيره قوله تعالى لا تبدل خلق الله أي لدين الله يريد وضع الله في الدين بتحليل الحرام وتحريم الحلال بوقال عكرمة وجماعة من المفسرين فليغيرن خلق الله

بالخصاء والوشم وقطع
 الآذان حتى حرم
 بعضهم الخصاء وجوز
 بعضهم في البهائم لأن فيه
 عرضا ظاهرا وقيل تغير
 خلق الله هو أن قد تعالى
 خلق الأنعام للركوب
 والأكل فحرموها وخلق
 الشمس والقمر والأحجار
 لخدمة العباد فعبدها من
 دون الله (ومن يتخذ
 الشيطان وليا من دون الله)
 أر بباطيعه (فقد خسر
 خسرا مبينا يعدم
 ويميتهم) فوعده وتمنيته ما
 يوقعه في قلب الإنسان
 من طول العمر ونيل
 الدنيا وقد يكون
 بالتخويف بالفقر فيمنعه
 من الإنفاق وصلة
 الرحم كما قال الله تعالى
 «الشيطان يعدم الفقر»
 ويميتهم بأن لا يبعث ولا جنة
 ولا نار (وما يعدم
 الشيطان إلا غرورا) أي
 باطلا (أولئك مأواهم
 جهنم ولا يخرجون عنها
 محيضا) أي مفرا ومعدلا
 عنها قوله تعالى (والذين
 آمنوا وعملوا الصالحات
 سندخلهم جنات تجري
 من تحتها الأنهار) أي من
 تحت الغرف والمساكن
 (خالدين فيها أبدا)

في هذا المعنى فقال :

وهم الأقل إذا تعد عشرة والأكثر إذا تعد السؤدد
 وقيل إن إبليس لما لم ينل من آدم ما أراد رأى الجنة والنار وعلم أن هذه أهلا وهذه أهلا قال
 لا أتخذ من عبادك نصيبا مفروضا يعني الذين هم أهل النار . السؤال الثاني : من أن إبليس العلم
 بالعواقب حتى يقول ولا أضلنهم ولأغوينهم ولأؤنبينهم ولأمرنهم ، وقال في الأعراف ولا تجد
 أكثرهم شاكرين وقال في بني إسرائيل لا تحتسكن ذريته إلا قليلا فالجواب من ثلاثة أوجه : أحدها
 أن إبليس ظن أن تقع منهم هذه الأمور التي يريدونها منهم فحصل له ما ظنه وبدل على ذلك قوله
 تعالى ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه . الوجه الثاني : قال ابن الأنباري المعنى لأجتهدن
 ولأحرصن في ذلك أنه كان يعلم الغيب . الوجه الثالث : قال الماوردي من الجائز أن يكون قد علم
 ذلك من الملائكة يخبر من الله تعالى أن أكثر الخلائق لا يؤمنون . وقوله تعالى (يعدم ويميتهم)
 يعني الشيطان يعد حزبه وأولياءه ويميتهم فوعده وتمنيته إياهم ما يوقع في قلب الإنسان من طول
 العمر ونيل ما أراد من الدنيا ومن نعيمها ولذاتها وكل ذلك غرور فيجب على العاقل أن لا يلتفت
 إلى شيء منها فربما لم يظلم عمره ولم يحصل له ما أراد منها ولئن طال عمره وحصل مقصوده فالموت
 وراءه ينقص عليه ما هو فيه وقيل يعدم ويميتهم بأن لا جنة ولا نار ولا بعث فاجتهدوا في تحصيل
 اللذات الدنيوية (وما يعدم الشيطان إلا غرورا) يعني باطلا وضلالا (أولئك) يعني الذين اتخذوا
 الشيطان وليا (مأواهم جهنم) يعني مرجعهم ومستقرهم جهنم (ولا يخرجون عنها) يعني عن جهنم
 (محيضا) يعني مفرا ومعدلا يعني لا يبعدون عنها إلى غيرها ولا بد لهم من ورودها والخلد فيها ولما
 ذكر وعيد الكفار أتبعه بوعيد المؤمنين فقال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
 جنات تجري من تحتها الأنهار) يعني من تحت المساكن والغرف (خالدين فيها) يعني في الجنات (أبدا)

وعند الله حتماً ومن أصدق من الله قبلاً) قوله تعالى (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب) الآية قال مسروق وقتادة
والضحاك أراد ليس بأمانيكم أيها المسلمون ولا أماني أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى وذلك أنهم افتخروا فقال أهل الكتاب
نبينا قبل نبيكم وكتابتنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الأنبياء وكتابتنا يقضى على الكتب وقد
آمننا بكتابتكم ولم تؤمنوا بكتابتنا فنحن أولى وقال مجاهد أراد بقوله ليس بأمانيكم (٦٠١) بامشركي أهل الكتاب وذلك

أنهم قالوا لا بعث ولا
حساب وقال أهل
الكتاب إن تمسنا
النار إلا أياماً معدودة
ولن يدخل الجنة إلا
من كان هوداً أو نصارى
فأنزل الله تعالى «ليس
بأمانيكم أي ليس الأمر
بأماني وإنما الأمر بالعمل
الصالح (من يعمل سوءاً
يجز به) قال ابن عباس
وسعيد بن جبير وجماعة
الآية عامة في حق كل
عامل وقال الكلبي
عن أبي صالح عن ابن
عباس رضي الله عنهم لما
نزلت هذه الآية شقت
على المسلمين وقالوا
يا رسول الله وأينا لم
يعمل سوءاً غيرك فكيف
الجزاء؟ قال «منه ما يكون
في الدنيا فمن يعمل حسنة
فله عشر حسنات ومن
جوزى بالسيئة نقصت
واحدة من عشر وبقيت
له تسع حسنات فويل
لمن غلبت آحاده أعشاره»
وأما من يكون جزؤه
في الآخرة فيقابل بين

بلا انتهاء ولا غاية والأبد عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا انقطاع له ولا يتجزأ كما يتجزأ
غيره من الأزمنة لأنه لا يقال أبد كذا كما يقال زمن كذا وفي قوله «خالدين فيها أبداً» دليل على
أن الخلود لا يفيد التأييد والدوام لأنه لو أفاد ذلك لزم التكرار وهو خلاف لأصل فعلم من ذلك
أن الخلود عبارة عن طول الزمان لأعلى الدوام فلما أتبع الخلود بالأبد علم أنه يراد به الدوام
الذي لا ينقطع. وقوله عز وجل (وعد الله حقاً) يعني وعد الله ذلك الذي ذكر وعداً حقاً (ومن
أصدق من الله قبلاً) يعني ليس أحد أصدق من الله وهو تأكيد بليغ لقوله «وعد الله حقاً» قوله
تعالى (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب) الأمنية أفعولة من التمنية والتفني تقدر رشيء في النفس
وتصوره فيها والأمنية هي الصورة الحاصلة في النفس من تمنى الشيء إذا وقع في نفسه وأراده. في
المخاطب بقوله «ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب» قولان: أحدهما أنه خطاب للمسلمين وأهل
الكتاب اليهود والنصارى وذلك أنهم افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابتنا قبل كتابكم
فنحن أولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الأنبياء وكتابتنا يقضى على الكتب وقد آمننا بكتابتكم
ولم تؤمنوا بكتابتنا فنحن أولى بالله منكم. والقول الثاني أنه خطاب لمشركي مكة في قولهم لا تبعث ولا
نحاسب وخطاب لأهل الكتاب في قولهم لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة والمعنى ليس الأمر بالأماني
إنما الأمر بالعمل الصالح (من يعمل سوءاً يجز به) قال الضحاك يقول ليس لكم ما تمنيتم وليس
لأهل الكتاب ما تمنوا ولكن من عمل سوءاً يعني شركاً فمات عليه يجز به النار وقال الحسن
هذا في حق الكفار خاصة لأنهم يجازون بالعقاب على الصغير والكبير ولا يجزي المؤمن بسوء
عمله يوم القيامة ولكن يجزي بأحسن عمله ويتجاوز عن سيئاته ويدل على صحة هذا القول سياق
الآية وهو قوله (ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً) وهذا هو الكافر، فأما المؤمن فله ولي
ونصير. وقال آخرون هذه الآية في حق كل من عمل سوءاً من مسلم ونصراني وكافر قال
ابن عباس هي عامة في حق كل من عمل سوءاً يجز به إلا أن يتوب قبل أن يموت فيتوب الله عليه
وقال ابن عباس في رواية أبي صالح عنه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين مشقة شديدة
وقالوا يا رسول الله وأينا من لم يعمل سوءاً غيرك فكيف الجزاء؟ قال «منه ما يكون في الدنيا فمن
يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزى بالسيئة نقصت واحدة من عشر حسناته وبقيت له
تسع حسنات فويل لمن غلبت آحاده أعشاره. وأما من كان جزؤه في الآخرة فيقابل بين حسناته
وسيئاته فيبقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل فيعطى الجزاء في الجنة فيؤتى كل ذي فضل
فضله ويدل على صحة هذا القول ما روي عن أبي هريرة قال لما نزلت من يعمل سوءاً يجز به بلغت
من المسلمين مبلغاً شديداً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قاربوا وسددوا في كل ما يصاب»

(٧٦ - خازن بالبغوي - أول)

حسناته وسيئاته فبقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل
فيعطى الجزاء في الجنة فيؤتى كل ذي فضل فضله. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ثنا أبو بكر محمد بن أحمد العبدوسي ثنا
أبو بكر أحمد بن سليمان الفقيه ببغداد ثنا يحيى بن جعفر بن الزبير قال والحارث بن محمد قال لا تثاروح هو ابن عبادة ثنا موسى
ابن عبيدة أخبرني مولى بن سباع قال سمعت عبد الله بن عمر يحدث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال «كنت عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأزلت عليه هذه الآية من يعمل سوءاً يجز به» (ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً) قال رسول الله

يا أبا بكر ألا أقرئك آية أنزلت على؟ قال قلت بلى قال فأقرئتها قال ولا أعلم إلا أنى وجدت إنقساماً في ظهري حتى تمطيت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦٠٢) مالك يا أبا بكر فقلت يا رسول الله بأني أنت وأنى وأين لم يعمل سوءاً

المسلم كفارة حتى النكبة يتكبتها والشوكة يشاكها وأخرجه مسلم وعن أبي بكر الصديق قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت من يعمل سوءاً يجز به ولا يجده من دون الله ولياً ولا نصيراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ألا أقرئك آية أنزلت على قلت بلى يا رسول الله قال فأقرئتها فلا أعلم إلا أنى وجدت إنقساماً في ظهري فتمطيت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنك يا أبا بكر؟ قلت يا رسول الله بأني أنت وأنى وأين لم يعمل سوءاً وإنما يجزون بأعمالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما أنت يا أبا بكر والمؤمنون فمجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس عليكم ذنوب. وأما الآخرون فيجتمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي إسناده مقال وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي بكر وإيس له إسناده صحيح وقوله ولا يجده من دون الله ولياً ولا نصيراً قال ابن عباس يريد ولياً بمنعه ولا نصيراً ينصره فإن قلنا إن هذه الآية خاصة في حق الكفار فتأويلها ظاهر وإن قلنا إنها في حق كل عامل سوء من مسلم وكافر فإنه لا ولي لأحد من دون الله يوم القيامة ولا ناصر. فالمؤمنون لا ولي لهم غير الله وشفاعته الشافعين تكون باذن الله فليس يمنع أحد أحداً عن الله وقوله تعالى (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) قال مسروق لما نزلت من يعمل سوءاً يجز به قال أهل الكتاب نحن وأنتم سواء فنزلت هذه الآية قال المفسرون بنى الله تعالى بهذه الآية فضيلة المؤمنين على غيرهم ولقطة من في قوله من الصالحات للتبعيض لأن أحداً لا يقدر أن يستوعب جميع الصالحات بالعمل فإذا عمل بعضها استحق الثواب (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً) النقرة نقيراً في ظهر النواة ومنها ثبت النخلة قال ابن عباس يريد لا ينقصون قدر نقرة النواة وهذا على سبيل المبالغة في نبي الظلم ووعده بتوفية جزاء أعمالهم من غير نقصان قوله عز وجل (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) لما بين الله تعالى أن الجنة لمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن شرح الإيمان وبين فضله فقال تعالى (ومن أحسن ديناً يعني ومن أحكم ديناً والدين هو المشتمل على كمال العبودية والخضوع والانقياد لله عز وجل وهو الذي كان عليه إبراهيم صلى الله عليه وسلم. واعلم أن دين الإسلام مبنى على أمرين: أحدهما الاعتقاد وإليه الإشارة بقوله (أسلم وجهه لله) يعني انقاد لله وخضوع له في سره وعلايته وقيل معناه إخلاص طاعته لله وقيل فوض أمره إلى الله. الأمر الثاني من مباني الإسلام العمل وإليه الإشارة بقوله (وهو محسن) يعني في عمله لله فيدخل فيه فعل الحسنات والمفروضات والطاعات وترك السيئات وقال ابن عباس في تفسير قوله (وهو محسن) يريد هو موحد لله عز وجل لا يشرك به شيئاً قال العلماء وإنما صار دين الإسلام أحسن الأديان لأن فيه طاعة الله ورضاه وهما أحسن الأعمال. وإنما خص الوجه بالذكر في قوله (أسلم وجهه لله) لأنه أشرف الأعضاء فإذا انقاد الوجه لله وخضع له فقد انقاد الله جميع الأعضاء لأنها تابعة له (واتبع ملة إبراهيم) يعني دين إبراهيم عليه السلام (حنيفاً) يعني مسلماً مخلصاً والحنيف المائل ومعناه المائل عن الأديان كلها إلى الإسلام لأن كل ماسواه من الأديان باطل وحنيفاً يجوز أن يكون حالاً لإبراهيم ويجوز أن يكون حالاً للمتبع كما تقول رأيت راعياً قال

إنا نجزيون بكل سوء عملناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنت يا أبا بكر وأصحابك المؤمنون فمجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليست لكم ذنوب وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا يوم القيامة قوله تعالى (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً) أى مقدار النقر وهو النقرة التي تكون في ظهر النواة قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأهل البصرة وأبو بكر يدخلون بضم الياء وفتح الخاء هاءنا وفي سورة مريم وحم المؤمن زاد أبو عمرو يدخلونها في سورة فاطر وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الخاء روى الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال لما نزلت وليس بآمانيتكم ولا آمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به قال أهل الكتاب نحن وأنتم سواء فنزلت هذه الآية (ومن يعمل من الصالحات) الآية أيضاً (ومن أحسن ديناً) أحكم ديناً (من أسلم وجهه لله) أى أخلص عمله لله وقيل فوض أمره إلى الله (وهو محسن) أى موحد (واتبع ملة إبراهيم) بنى دين إبراهيم عليه السلام (حنيفاً) أى مسلماً مخلصاً قال ابن عباس رضى الله عنهما ومن دين إبراهيم الصلاة إلى

ابن
أحسن ديناً) أحكم ديناً (من أسلم وجهه لله) أى أخلص عمله لله وقيل فوض أمره إلى الله (وهو محسن) أى موحد (واتبع ملة إبراهيم) بنى دين إبراهيم عليه السلام (حنيفاً) أى مسلماً مخلصاً قال ابن عباس رضى الله عنهما ومن دين إبراهيم الصلاة إلى

الكعبة والطواف بها ومناسك الحج وإنما خص بها إبراهيم لأنه كان مقبولا عند الأمم أجمع وقيل لأنه بعث على ملة إبراهيم وزيدت له أشياء (واتخذ الله إبراهيم خليلا) صفيا والخلة صفاء المودة وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما كان إبراهيم عليه السلام أبا الضيفان وكان منزله على ظور الطريق بضييف من مر به من الناس فأصاب الناس سنة فحشروا إلى باب إبراهيم عليه السلام يطلبون الطعام وكانت الميرة له كل سنة من (٦٠٣) صديق له بمصر فبعث غلمانا

بالإبل إلى الخليل الذي بمصر فقال خليله لعله انه لو كان إبراهيم عليه السلام إنما يريد لنفسه لاحتمالنا ذلك له فقد دخل علينا ما دخل على الناس من الشدة فرجع رسل إبراهيم عليه السلام ففروا ببطحاء سهلة فقالوا فيما بينهم لو أنا حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس أنا قد جئنا بميرة فانا نستحي أن نمر بهم وإلينا فارغة فثلثوا تلك الغرائر سهلة ثم أتوا إبراهيم فأعلموه وسارة نائمة فاهتم إبراهيم لمكان الناس ببابه فعلمته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ما جاء الغلمان قالوا بلى قالت فما جاء وابشئ قالوا بلى فقامت إلى الغرائر ففتحتها فاذا هي ملاء بأجود دقيق حواري يكون فأمرت الخبازين فخبزوا وأطعموا الناس فاستيقظ إبراهيم

ابن عباس ومن دين إبراهيم عليه السلام الصلاة إلى الكعبة والطواف ومناسك الحج والختان ونحو ذلك. فان قلت ظاهر هذه الآية يقتضي أن شرع محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس شرع إبراهيم عليه السلام وعلى هذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم شرع مستقل به وليس الأمر كذلك فما الجواب؟ قلت إن شرع إبراهيم وملكته داخلان في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملكته مع زيادات كثيرة حسنة خص الله بها محمد صلى الله عليه وسلم فمن اتبع ملة محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتبع ملة إبراهيم لأنها داخلية في ملة محمد عليه السلام وشرع إبراهيم داخل في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وإنما قال تعالى «واتبع ملة إبراهيم» لأن إبراهيم صلى الله عليه وسلم كان يدعو إلى توحيد الله وعبادته وهذا خصه بالذكر لأنه كان مقبولا عند جميع الأمم فان العرب كانوا يفتخرون بالالتساب إليه وكذا اليهود والنصارى فاذا ثبت هذا وأن شرعه كان مقبولا عند الأمم وأن شرع محمد عليه السلام وملكته هو شرع إبراهيم وملكته لزم الخلق الدخول في دين محمد عليه السلام وقبول شرعه وملكته. وقوله تعالى (واتخذ الله إبراهيم خليلا) يعني صفيا والخلة صفاء المودة وقيل الخلة الافتقار والانقطاع فخليل الله المنقطع إليه وسمى إبراهيم خليلا لأنه انقطع إلى الله في كل حال. وقيل الخلة الاختصاص والاصطفاء وسمى إبراهيم خليلا لأنه والى في الله وعادى في الله وقيل لأنه تخلق بأخلاق حسنة وخلال كريمة وقيل الخليل المحب الذي ليس في محبته خلل وسمى إبراهيم خليل الله لأنه أحبه محبة كاملة ليس فيها نقص ولا خلل وأنشد في معنى الخلة التي هي بمعنى المحبة:

قد تحللت مسلك الروح مني وبه سمي الخليل خليلا

وقيل الخليل من الخلة بفتح الخاء وهي الحاجة سميت خلة للاختلال الذي يلحق الإنسان فيها وسمى إبراهيم خليلا لأنه جعل فقره وفاقته وحاجته إلى الله تعالى. وخلة الله للعبد هي تمكينه من طاعته وعصمته وتوفيقه وسر خلة رصده والثناء عليه فقد أنى الله عز وجل على إبراهيم عليه السلام وجعله إماما للناس يقتدى به. واختلوا في السبب الذي من أجله اتخذ الله إبراهيم خليلا فقال ابن عباس كان إبراهيم عليه السلام أبا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق بضييف من مر به من الناس فأصاب الناس شدة فحط فقصد الناس باب إبراهيم يطلبون منه الطعام، وكانت الميرة تأتيه من صديق له بمصر فبعث إبراهيم غلمانا إلى خليلاه الذي بمصر فقال خليله لعله ان إبراهيم لو كان إبراهيم يريد إنماء الطعام لنفسه احتلمنا ذلك له وقد دخل علينا مثل ما دخل على الناس من الشدة فرجع غلمان إبراهيم بغير طعام ففروا ببطحاء من الرمل سهلة فقالوا أو حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس أنا قد جئنا بالميرة فانا نستحي أن نمر بهم وإلينا فارغة فثلثوا من ذلك الرمل الغرائر التي معهم ثم أتوا إلى إبراهيم عليه السلام فأعلموه وسارة نائمة فاهتم لذلك لمكان الناس ببابه فعلمته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ما جاء الغلمان قالوا

فوجد ربح الطعام فقال ياسارة من أين هذا؟ قالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله قال فيومئذ اتخذ الله إبراهيم خليلا قال الزجاج معنى الخليل الذي ليس في محبته خلل والخلة الصداقة فسمى خليلا لأن الله أحبه واصطناه وقيل هو من الخلة وهي الحاجة سمي خليلا أي فقيرا إلى الله لأنه لم يجعل فقره وفاقته إلا إلى الله عز وجل والأول أصح لأن قوله «واتخذ الله إبراهيم خليلا» يقتضي الخلة من الجانبين ولا يتصور الحاجة من الجانبين. حدثنا أبو المظفر محمد بن أحمد

بلى قالت فجعوا بهىء قالوا نعم فقامت إلى الغرائر ففتحها فإذا هي ملائى بأجود دقيق يكون حواري فأمرت الخبازين فخبزوا وأطعموا الناس فاستيقظ إبراهيم فوجد ربح الطعام فقال يا سارة من أين لكم هذا؟ فقالت من عند خليلك المصرى فقال هذا من عند خليل الله قال فيومئذ اتخذ الله خليلاً وقيل لما أراه الله ملكوت السموات والأرض وحاج قومه في الله ودعاهم إلى ترحيمه ومنعهم من عبادة النجوم والشمس والقمر والأوثان وبذل نفسه للإلقاء في النيران وبذل ولده للقربان وماله للضيقات اتخذ الله خليلاً وجعله إماماً للناس يقتدى به وجعل النبوة فيه وفي ذريته وقيل إن إبراهيم عليه السلام لما كسر الأصنام وعادى قومه في الله عز وجل اتخذ الله خليلاً وتبيل لما دخل عليه الملائكة فظنهم ضيفاً فقترب إليهم عجللاً مشوباً وقال كلوا على شرط أن تسبوا الله في أوله وتحمدوه في آخره فقال جبريل أنت خليل الله فمن يومئذ سمي إبراهيم خليل الله (م) عن أنس قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا خير البرية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك إبراهيم خليل الله .

فصل

وقد اتخذ الله محمداً صلى الله عليه وسلم خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً فقد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «لو كنت متخذاً خليلاً غيري لآخذت أبا بكر خليلاً» وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم «لو كنت متخذاً خليلاً لآخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخى وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً أخرجه مسلم؛ فقد ثبت بهذين الحديثين الخلة للنبي صلى الله عليه وسلم وزاد على إبراهيم عليه السلام بأهبة فحمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه فقد جاء في حديث عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ألا وأنا حبيب الله ولا فخره أخرجه الترمذى بأطول منه . قوله تعالى (ولله مافي السموات وما في الأرض) قال أهل المعاني لما دعا الله الخلق إلى طاعته وعبادته والاعتقاد لأمره بين سعة ملكه ليرغب الخلق إليه بالطاعة له وإنما قال مافي السموات وما في الأرض ولم يقل من لأنه ذهب به مذهب الجلس والذي يعقل إذا ذكر وأريد به الجفن ذكر لفظه ما (وكان الله بكل شيء محيطاً) يعني عالماً علم إحاطة وهو العلم بالشئ من كل وجه حتى لا يشد عنه نوع إلا علمه وقيل يجوز أن يكون معناه محيطاً بالقدرة عليه . قوله عز وجل (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن) الآية قال ابن عباس نزلت في بنات أم كحة وقد تقدمت قصتهن في أول السورة وقالت عائشة هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وهو وليها فيرغب في نكاحها إذا كانت ذات جمال ومال بأقل من سنة صداقتها وإذا كانت غير مرغوب فيها لقلة الجمال والمال تركها ، وفي رواية قالت هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وقد شركته في ماله فيرغب عنها فلا يترجها لدمامتها ويكره أن يزوجه غيرها فيدخل عليه وبشرکه في ماله فيحبسها حتى تموت فنهاهم الله عن ذلك وأزل هذه الآية فقال ويستفتونك يعني ويستخبرونك يا محمد في شأن النساء وحالهن والاستفتاء طلب الفتوى وهو إظهار ما أشكل من الأحكام الشرعية وكشفه وتبيينه قال المفسرون والذي استفتوه فيه هو ميراث النساء وذلك أنهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الأولاد فلما نزلت آية الميراث قالوا يا رسول الله كيف ترث المرأة والصغير؟ فأجابهم بهذه الآية «قل الله يفتيكم فيهن» يعني قل يا محمد

النبى ثنا أبو محمد عبد الرحمن (٦٠٤) بن عثمان بن القاسم ثنا خيشمة ابن سليمان بن حبيصرة الأطرابلسى ثنا أبو قلابة الرقاشى ثنا بشر بن عمر ثنا شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كنت متخذاً خليلاً لآخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخى وصاحبي ولقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً» قوله عز وجل (ولله مافي السموات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطاً) أى أحاط علمه بجميع الأشياء قوله تعالى (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن) الآية قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الآية في بنات أم كحة وميراثهن عن أبيهن وقد مضت القصة في أول السورة وقالت عائشة رضى الله عنها هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وهو وليها فيرغب في نكاحها إذا كانت ذات جمال ومال بأقل من سنة صداقتها وإذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركها وفي رواية هي اليتيمة

تكون في حجر الرجل قد شركته في ماله فيرغب عنها أن يزوجه غيرها فيدخل عليه في الله ماله فيحبسها حتى تموت فبشرهاهم الله عن ذلك قوله عز وجل «ويستفتونك» أى يستخبرونك، في النساء قل الله يفتيكم فيهن .

(وما ينزل عليكم في الكتاب) قبل معناه ويفتيكم في ما ينزل عليكم وقيل بفتيكم (٦٠٥) في ما ينزل عليكم يريد الله بفتيكم

فبين وكتابه بفتيكم
فبين وهو قوله
عز وجل « وآتوا اليتامى
أموالهم » قوله (في يتامى
النساء) هذا إضافة الشيء
إلى نفسه لأنه أراد باليتامى
النساء (اللاتي لا توثقن)
أي لا تعطين (ما كتب
لهن) من صدقاتهن
(وترغبون أن تنكحوهن)
أي في نكاحهن لما هن
وجماهن بأقل من صدقاتهن
وقال الحسن وجماعة أراد
لا توثقن حقهن من الميراث
لأنهم كانوا لا يورثون النساء
« وترغبون أن تنكحوهن »
أي عن نكاحهن لدمامتهن
(والمستضعفين من ولدان)
يريد ويفتيكم في
المستضعفين من ولدان
وهم الصغار أن تعطوهم
حقوقهم لأنهم كانوا
لا يورثون الصغار يريد
ما ينزل عليكم في باب
اليتامى من قوله « وآتوا
اليتامى أموالهم » يعني بإعطاء
حقوق الصغار (وأن
تقوموا لليتامى بالقسط)
أي ويفتيكم في أن تقوموا
لليتامى بالقسط بالعدل
في مهورهن وموارثهن
(وما تفعلوا من خير
فإن الله كان به عليما)
يجاز بكم عليه . قوله تعالى
(وإن امرأة خافت

الله يفتيكم في شأن النساء وحالهن (وما ينزل عليكم في الكتاب) يعني يفتيكم فيما ينزل عليكم والمعنى
أن الله يفتيكم في النساء بما أنزل في كتابه عليكم وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ والعرض منه
معظم حال هذه الآية التي تنزل عليكم وأنها في اللوح المحفوظ وأن العدل والإنصاف في حقوق اليتامى
من أعظم الأمور عند الله تعالى التي تجب مراعاتها وأن الخلل بها ظالم (في يتامى النساء) قبل معناه
في النساء اليتامى وقيل في اليتامى أولاد النساء ، لأن الآية نزلت في يتامى أم كعدة (اللاتي لا توثقن
ما كتب لهن) يعني مفروض لهن من الميراث وهذا على قول من يقول إن الآية نازلة في ميراث
اليتامى والصغار وعلى القول الآخر معناه ما كتب لهن من الصدقات (وترغبون أن تنكحوهن)
يعني وترغبون في نكاحهن لما هن وجماهن بأقل من صدقاتهن وقيل معناه وترغبون عن نكاحهن
لقبحهن ودمامتهن وتمسكوهن رغبة في أموالهن (ق) عن عائشة قالت هذه اليتيمة تكون في حجر
ولها فیرغب في جمالها ومالها ويريد أن ينقص صدقاتها فقها عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن
في إكمال الصدقات وأمروا بنكاح من سواهن قالت عائشة رضي الله عنها فاستفتى الناس رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأنزل الله عز وجل يستنوتك في النساء إلى قوله وترغبون أن
تنكحوهن . فبين لهم أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبت في نكاحها ولم يحقها بسنتها
في إكمال الصدقات وإذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجهد لتركها والنسوا غيرها قال فكما
يركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبت فيها إلا أن يقسطوا لها ويعطوها
حقوقها الأولى من الصدقات . وقوله تعالى (والمستضعفين من ولدان) يعني ويفتيكم في المستضعفين
من ولدان وهم الصغار أن تعطوهم حقوقهم لأن العرب في الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار أيضا
فنهاهم الله عن ذلك وأمروهم أن يعطوهم حقوقهم من الميراث (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) يعني
بالعدل في مهورهن وموارثهن (وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما) يعني فيجاز بكم عليه .
قوله تعالى (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا) (ق) عن عائشة في قوله تعالى « وإن
امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا » قالت نزلت في المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها
فيريد طلاقها ويتزوج غيرها فتقول له امسكني لا تطلقني ثم تزوج غيرها وأنت في حل من النفقة
على والقسم لي قالت فذلك قوله تعالى « فلا جناح عليهما أن يتصالحا بينهما صلحا والصلح خير »
وقيل نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة ويقال اسمها خولة وفي زوجها سعد بن الربيع ويقال
له رافع بن خديج تزوجها وهي شابة فلما كبرت تزوج عليها امرأة أخرى شابة وآثرها عليها
وجنبا الأولى فأتت ابنة محمد بن مسلمة تشكو زوجها إلى رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية
وقيل كان رجل له امرأة قد كبرت وله منها أولاد فأراد أن يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني
ودعني أقوم على أولادي واقسم لي كل شهرين إن شئت وإن شئت فلا تقسم لي فقال إن كان
يصلح ذلك فهو أحب إلى فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك فأنزل الله هذه الآية وإن امرأة
خافت ، يعني علمت وقيل ظنت وقيل بل المراد نفس الخوف لأن الخوف لا يحصل إلا عند ظهور
الأمارات الدالة على وقوعه من بعلها يعني من زوجها . والبعل هو السيد وسُمي الزوج بعلا لأنه
سيد المرأة . نشوزا يعني بغضا وقيل هو ترك مضاجعتها وأصله من التشز وهو المربع من الأرض
والنشوز قد يكون من الزوجين وهو أن يكره كل واحد منهما صاحبه فنشوز الزوج هو أن

من بعلها نشوزا أو إعراضا) الآية نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة ، وفي زوجها سعد بن الربيع
ويقال رافع بن خديج تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج عليها امرأة شابة وآثرها عليها وجنبا ابنة محمد

ابن مسleme فانت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت إليه فنزلت فيها هذه الآية وقال سعيد بن جبير كان رجل له امرأة قد
كبرت وله منها أولاد فأراد أن يطلقها ويزوج عليها غيرها فقالت لا تطلقني ودعني أقوم على أولادي واقسم لي من كل
شهر إن شئت وإن شئت فلا تقسم لي فقال إن كان يصلح ذلك فهو أحب إلى فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له
ذلك فأنزله الله تعالى «وإن امرأة خافت من بعلها» أي من زوجها «نشوزاً» أي بغضاً قال الكلبي يعني ترك مضاجعتها أو
إعراضاً بوجهه عنها وقلة مجالستها (فلا جناح عليهما) أي على الزوج والمرأة (أن يصالحا) أي يتصالحا وقرأ أهل الكوفة أن
يصلحا من الإصلاح (بينهما صلحا) يعني في القسم والنفقة وهو أن يقول الزوج لها إنك قد دخلت في السن ، وإني أريد أن
أزوج امرأة شابة جميلة أو رها (٦٠٦) عليك في القسمة ليلاً ونهاراً فإن رضيت بهذا فأقسمي وإن كرهت خلعت
سبيلك فإن رضيت

كانت هي المحسنة ولا
تجبر على ذلك وإن لم
ترض بدون حقها كان
على الزوج أن يوفيقها
حقها من القسم والنفقة
أو يسرحها باحسان فإن
أمسكها ووفأها حقها
مع كراهية فهو محسن
وقال سليمان بن يسار
في هذه الآية عن ابن
عباس رضي الله عنهما
فإن صالحته عن بعض
حقها من القسم والنفقة
فذلك جائز ما رضيت
فإن أنكرته بعد الصلح
فذلك لها ولها حقها وقال
مقاتل ابن حبان في هذه
الآية هو أن الرجل
يكون تحت المرأة الكبيرة
فيزوج عليها الشابة
فيقول لا كبير أعطيتك
من مالي نصيباً على أن

يعرض عن المرأة وهو قوله تعالى «أو إعراضاً» يعني بوجهه عنها أو يعسر في وجهها أو يترك مضاجعتها
أو يسيء عشرتها أو يشتغل بغيرها وقيل المراد من النشوز إظهار الخشونة في القول والفعل والمراد
من الإعراض السكوت عن الخبر والشر والإيذاء بل يعرض عنها بوجهه أو يشتغل بغيرها (فلا
جناح عليهما) يعني فلا حرج ولا إثم على الزوج والمرأة (أن يصالحا) من المصالحة ، وقرئ أن
يصلحا بضم الياء وكسر اللام من الإصلاح (بينهما صلحا) يعني في القسمة والنفقة وهو أن يقول
الزوج لامرأة إنك قد كبرت ودخلت في السن ، وأنا أريد أن أزوج امرأة جميلة شابة أو رها
عليك في القسمة ليلاً ونهاراً فإن رضيت فأقسمي وإن كرهت ذلك فأرقتك وخلعت سبيلك فإن
رضيت بذلك كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك وإن لم ترض بدون حقها كان على الزوج أن
يوفيقها حقها من القسم والنفقة أو يسرحها باحسان وإن أمسكها ووفأها حقها مع الكراهة لها كان هو
المحسن قال ابن عباس فإن صالحته على بعض حقها من القسمة والنفقة جاز وإن أنكرت ذلك
بعد الصلح كان ذلك لها ولها حقها (والصلح خير) يعني إقامتها بعد تحجيرها إياها والمصالحة على
ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة عن ابن عباس قال «خشيت سودة أن يطلقها رسول
الله ﷺ فقالت لا تطلقني وامسكني واجعل لي يوماً لعائشة ففعل فزلت - فلا جناح عليهما أن يصالحا
بينهما صلحا والصلح خير - فما اصطلاحا عليه من شيء فهو جائز» أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة يومين يومها وبوم سودة
(وأحضرت الأنفس الشح) الشح أقبح البخل ، وحقيقته الحرص على منع الخير ، وإنما قال
وأحضرت الأنفس الشح لأنه كالأمر اللازم للنفوس لأنها مطبوعة عليه ، ومعنى الآية أن كل
واحد من الزوجين يشح بنصيبه من الآخر فالمرأة تشح على مكانها من زوجها والرجل يشح عليها
بنفسه إذا كان غيرها أحب إليه منها (وإن تحسنا وتتقوا) هذا خطاب للأزواج يعني وإن تحسنا
أيها الأزواج الصالحة والعشرة وتتقوا الله في حق المرأة فإنها أمانة عندكم وقيل معناه وإن تحسنا
بالإقامة معها على الكراهة وتتقوا ظلمها والجور عليها .

أقسم لهذه الشابة أكثر مما أقسم لك فترضى بما اصطلاحا عليه فإن آبت أن ترضى فعليه أن يعدل بينهما (فإن)
في القسم وعن علي رضي الله عنه في هذه الآية قال تكون المرأة عند الرجل فتنبو عينه عنها من دمامة أو كبير فتسكبه فرفته
فإن أعطته من مالها فهو له حل وإن أعطته من أيامها فهو حل له (والصلح خير) يعني إقامتها بعد تحجيرها إياها والمصالحة
على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة، كما يروى أن سودة رضي الله عنها كانت امرأة كبيرة وأراد النبي صلى
الله عليه وسلم أن يفارقها فقالت لا تطلقني وكفاني أن أبعث في نسائك وقد جعلت نوبتي لعائشة رضي الله عنها فأمسكها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان يقسم لعائشة يومين يومها وبوم سودة رضي الله عنهما قوله تبارك وتعالى (وأحضرت الأنفس
الشح) يريد شح كل واحد من الزوجين بنصيبه من الآخر، والشح أقبح البخل وحقيقته الحرص على منع الخير (وإن تحسنا)
أي تصلحوا (وتتقوا) الجور وقيل هذا خطاب مع الأزواج أي وإن تحسنا بالإقامة معها على الكراهية وتتقوا ظلمها

(فان الله كان بما تعملون خبيراً) فيجزئكم بأعمالكم قوله تعالى (ولن نستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) أي لن تقدرُوا أن تسووا بين النساء في الحب وميل القلب (ولو حرصتم) على العدل (فلا تميلوا) أي إلى التي تحبونها (كل الميل) في القسم والشفقة أي لا تتبعوا أهواءكم أفعالكم (فتدروها كالمعاقبة) أي فتدعوا الأخرى كالمعلقة لأيماء ولا ذات بعل. وقال قتادة كالحبوسة وفي قراءة أبي بن كعب كأنها مسجونة وروى عن أبي قلابة أن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك ورواه بعضهم عن أبي قلابة عن عبد الله بن زيد (٣٠٧) عن عائشة رضي الله عنها

متصلاً وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل (وإن تصلحوا وتشتوا) الجور (فان الله كان غفوراً رحيماً) وإن يفرقا (يعنى الزوج والمرأة بالطلاق) يغن الله كلا من سمته (من رزقه) يعنى المرأة بزواج آخر (وإن يفرقا) يغن الله كلا من سمته (يعنى من آخرى) وكان الله واسعاً (حكماً) واسع الفضل والرحمة حكماً فيما أمر به ونهى عنه وجملة حكم الآية أن الرجل إذا كانت تحته امرأتان أو أكثر فإنه يجب عليه التسوية بينهما في القسم فان ترك التسوية بينهما في فعل القسم عصى الله تعالى وعليه القضاء للمظلومة والتسوية

(فان الله كان بما تعملون خبيراً) يعنى فيجازيكم بأعمالكم. قوله عز وجل (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) يعنى ولن تقدرُوا أن تسووا بين النساء في الحب وميل القلب لأن ذلك مما لا تقدرُونَ عليه وليس من كسبكم (ولو حرصتم) يعنى على العدل والتسوية بينهما وقيل معناه ولو حرصتم على ذلك (فلا تميلوا كل الميل) يعنى إلى التي تحبونها في القسم والشفقة والمعنى أنكم اسم من يمين عن حصول التفاوت في الميل القلبي لأن ذلك خارج عن قدرتكم ووسعكم ولكنكم من يمين عن إظهار ذلك الميل في القول والفعل عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه مائل (وعن عائشة قالت) كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل فيقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك يعنى القلب أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وقوله تعالى (فتدروها كالمعاقبة) يعنى فتدعوا الأخرى التي لا تميلون إليها كالمعلقة لأيماء ولا ذات بعل كالشيء المعلق لاهو في السماء ولا على الأرض. وقيل معناه فتدروها كالمسجونة لاهي مخصصة فتزوج ولا هي ذات بعل فيحسن إليها (وإن تصلحوا) يعنى بالعدل في القسم (وتشتوا) يعنى الجور في القسم (فان الله كان غفوراً) يعنى لما حصل من الميل إلى بعضهن دون بعض (رحمياً) يعنى بكم حيث لم يكلفكم ما لا تقدرُونَ عليه (وإن يفرقا) يعنى إن لم يصطلحوا وأرادا الفرقة (يعنى الله كلا من سمته) يعنى من من فضله ورزقه والمعنى يعنى الزوج بامرأة أخرى والمرأة بزواج آخر. وقيل معناه يعوض الزوج بما يجب والمرأة بما تحب ويوسع عليهما وفي هذا تسوية لكل واحد من الزوجين بعد الطلاق (وكان الله واسعاً) يعنى واسع الفضل والرحمة وقيل واسع القدرة والعلم والرزق وقيل هو الغنى الذي وسع جميع مخلوقاته غناه (حكماً) يعنى فيما أمر به ونهى عنه.

فصل فيما يتعلق بحكم الآية

وجملته أن الرجل إذا كان تحته امرأتان أو أكثر يجب عليه التسوية بينهما في القسم فان ترك التسوية بينهما في فعل القسم عصى الله عز وجل في ذلك وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط في البيوتة أما في الجماع فلا لأن ذلك يدور على النشاط وميل القلب وليس ذلك إليه ولو كان في نكاحه حرة وأمة قسم للحرة ليلتين وللأمة ليلة واحدة. وإذا تزوج جديدة على قديمات كمن عنده فانه يخص الجديدة بأن يبيت عندها سبع ليال إن كانت الجديدة بكراً وإن كانت ثيباً خصها بثلاث ليال ثم إنه يستأنف القسم ويسوي بينهما ولا يجب عليه قضاء عوض هذه الليالي

شرط في البيوتة أما في الجماع فلا لأنه يدور على النشاط وليس ذلك إليه. ولو كانت في نكاحه حرة وأمة فانه يبيت عند الحرة ليلتين وعند الأمة ليلة واحدة. وإذا تزوج جديدة على قديمات عنده يخص الجديدة بأن يبيت عندها سبع ليال على التوالي إن كانت بكراً وإن كانت ثيباً فثلاث ليال ثم يسوي بعد ذلك بين الكل ولا يجب قضاء هذه الليالي للقديمات. أخبرنا عبد الواحد المريحي ثنا أحمد بن عبد الله التميمي ثنا محمد بن وسيف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يومسف بن راشد ثنا أبو أسامة ثنا سفيان الثوري ثنا أيوب وخالده عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه قال من السنة إذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعة قسم. وإذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثاً ثم قسم. قال أبو قلابة وأوشق لقلت إن أنس رفعه إلى النبي صلى

الله عليه وسلم. وإذا أراد الرجل سفر حاجة فيجوز له ان يحمل بعض نسائه مع نفسه بعد أن يقرع بينهن فيه ثم لا يجب عليه أن يقضى للباقيات مدة سفره وإن طالت إذا لم يزد مقامه في بلده على مدة المسافرين والدليل عليه ما أنجزنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب ثنا عبدالعزيز بن أحمد (٦٠٨) الخلال ثنا أبو العباس الأحمم ثنا الربيع ثنا الشافعي ثنا عبيد بن محمد بن

علي بن شافع عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت «كان رسول الله ﷺ إذا أراد السفر أقرع بين نسائه فأبتهن خرج مهنها خرج بها». أما إذا أراد سفر نقلة فليس له تخصيص بعضهن لبالقرعة ولا بغيرها قوله تعالى (والله ماقى السموات وماقى لأرض) عبيدا ومكيا (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني أهل التوراة والإنجيل وسائر الأمم المتقدمة في كتبهم (ولياكم) بأهل القرآن في القرآن (أن اتقوا الله) أى وحدوا الله وأطيعوه (وإن تكفروا) بما أوصاكم الله به (فإن لله ماقى السموات وماقى الأرض) قيل فإن لله ملائكة فى السموات والأرض هي أطوع له منكم (وكان الله غنيا) عن جميع خلقه غير محتاج إليهم إلى طاعتهم (حميدا) محمودا على نعمه عليهم (والله ماقى السموات وماقى الأرض) وكفى بالله دافعا ومجيرا. فإن قلت الفائدة فى تكرير قوله تعالى (والله ماقى السموات وماقى الأرض) قلت الفائدة فى ذلك أن لكل آية معنى يخص به، أما الآية الأولى فعناها فإن لله ماقى السموات وماقى الأرض وهو يوصيكم بتقوى الله فاقبلوا وصيته وقيل لما قال تعالى (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته) بين أن له ماقى السموات وماقى الأرض وأنه قادر على إغناء جميع الخلائق وهو المستغنى عنهم. وأما الآية الثانية فانه تعالى قال (وإن تكفروا فإن لله ماقى السموات وماقى الأرض) والمراد أنه تعالى منزه عن طاعات الطائعين وعن ذنوب المذنبين وأنه لا يزداد جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي. وقيل لما بين أن له ماقى السموات وماقى الأرض وقال بعد ذلك (وكان الله غنيا حميدا) فلما مراد منه أنه تعالى هو الغنى وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون فهو يعطيكم لأن له ماقى السموات وماقى الأرض. وأما الثالثة فقال تعالى (والله ماقى السموات وماقى الأرض) وكفى بالله وكيفا، أى فتوكلوا عليه ولا تتوكلوا على غيره فإنه المالك لما فى السموات والأرض. وقيل تكريرها تعبيدا لما هو موجب تقواه لتقواه وتطيعوه ولا تعصوه لأن التقوى والخشية أصل طاعتهم (حميدا) محمودا على نعمه (والله ماقى السموات وماقى الأرض) وكفى بالله

للقديمت وبدل على ذلك ما روى أبو قلابة عن أنس قال «من السنة إذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعا وقسم وإذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثا وقسم» قال أبو قلابة ولو شدت لقلت إن أنسا رفعه إلى النبي ﷺ أخرجاه فى الصحيحين. وإذا سافر الرجل إلى سفر حاجة جازله أن يحمل معه بعض نسائه بشرط أن يقرع بينهن ولا يجب عليه أن يقضى للباقيات عوض مدة سفره وإن طالت إذا لم يزد مقامه فى البلد على مدة المسافرين وبدل على ذلك ما روى عن عائشة قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد السفر أقرع بين نسائه فأبتهن خرج مهنها خرج بها». أما إذا أراد سفر نقلة فليس له تخصيص بعضهن لبالقرعة ولا بغيرها قوله تعالى (والله ماقى السموات وماقى لأرض) عبيدا ومكيا (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني أهل التوراة والإنجيل وسائر الأمم المتقدمة فى كتبهم (ولياكم) بأهل القرآن فى القرآن (أن اتقوا الله) أى وحدوا الله وأطيعوه (وإن تكفروا) بما أوصاكم الله به (فإن لله ماقى السموات وماقى الأرض) وكفى بالله دافعا ومجيرا. فإن قلت الفائدة فى تكرير قوله تعالى (والله ماقى السموات وماقى الأرض) قلت الفائدة فى ذلك أن لكل آية معنى يخص به، أما الآية الأولى فعناها فإن لله ماقى السموات وماقى الأرض وهو يوصيكم بتقوى الله فاقبلوا وصيته وقيل لما قال تعالى (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته) بين أن له ماقى السموات وماقى الأرض وأنه قادر على إغناء جميع الخلائق وهو المستغنى عنهم. وأما الآية الثانية فانه تعالى قال (وإن تكفروا فإن لله ماقى السموات وماقى الأرض) والمراد أنه تعالى منزه عن طاعات الطائعين وعن ذنوب المذنبين وأنه لا يزداد جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي. وقيل لما بين أن له ماقى السموات وماقى الأرض وقال بعد ذلك (وكان الله غنيا حميدا) فلما مراد منه أنه تعالى هو الغنى وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون فهو يعطيكم لأن له ماقى السموات وماقى الأرض. وأما الثالثة فقال تعالى (والله ماقى السموات وماقى الأرض) وكفى بالله وكيفا، أى فتوكلوا عليه ولا تتوكلوا على غيره فإنه المالك لما فى السموات والأرض. وقيل تكريرها تعبيدا لما هو موجب تقواه لتقواه وتطيعوه ولا تعصوه لأن التقوى والخشية أصل

طاعتهم (حميدا) محمودا على نعمه (والله ماقى السموات وماقى الأرض) وكفى بالله

كل

وكيفا) قال عكرمة عن ابن عباس يعنى شهيدا أن فيها عبيدا وقيل دافعا ومجيرا. فإن قيل فأى فائدة فى تكرار قوله تعالى (والله ماقى السموات وماقى الأرض) قيل لكل واحد منهما وجه. أما الأول فعناها ماقى السموات وماقى الأرض وهو يوصيكم بالتقوى فاقبلوا وصيته. وأما الثانى فيقول فإن لله ماقى السموات وماقى الأرض وكان الله غنيا أى هو الغنى وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون

وأما الثالث فيقول والله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله كيبلا أي له الملك فالتخذه وكبلا ، ولاتتوكلوا على غيره قوله تعالى (إن يشأ يذهبكم) يهلككم (أيها الناس) يعني الكفار (وآيات بآخريه) (٦٠٩) يقول بغيركم خير منكم وأطوع

(وكان الله على ذلك قديرا) قادرا (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) يريد من كان يريد بعمله عرضا من الدنيا ولا يريد بها الله عز وجل آتاه الله من عرض الدنيا أو دفع عنه فيها ما أراد الله وليس له في الآخرة من ثواب ومن أراد بعمله ثواب الآخرة آتاه الله من الدنيا ما أحب وجزاه الجنة في الآخرة قوله تعالى (وكان الله سميعا بصيرا) أي الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) يعني كونوا قائمين بالشهادة بالقسط أي بالعدل لله وقال ابن عباس رضي الله عنهما كونوا قوامين بالعدل في الشهادة على من كانت له (ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) في الرحم أي قولوا الحق ولو على أنفسكم بالإقرار أو الوالدين والأقربين فأقيموا عليهم ولا تحابوا لغناه ولا ترحموا فقيرا لغناه

كل خير . قوله عز وجل (أن يشأ يذهبكم أيها الناس) قال ابن عباس يريد المشركين والمنافقين (وآيات بآخريه) بغيركم هم خير منكم وأطوع له فقيه تهديد للكفار والمعنى أنه يهلككم أيها الكفار كما أهلك من كان قبلكم ، إذ كفروا به وكذبوا رسله (وكان الله على ما ذلك قديرا) يعني وكان الله على ذلك الإهلاك وإعادة غيركم قادرا بليغا في القدرة لا يمنع عليه شيء أراد لم يزل ولا يزال موصوفاً بالقدرة على جميع الأشياء . قوله تعالى (من كان يريد ثواب الدنيا) يعني من كان يريد بعمله عرضا من الدنيا نزلت في مشركي العرب وذلك أنهم كانوا يقررون بالله تعالى خالئهم ولا يقررون بالبعث يوم القيامة فكانوا يقررون إلى الله ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها وقيل نزلت في المنافقين لأنهم كانوا لا يصدقون بيوم القيامة ، وإنما كانوا يطلبون يجاهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عاجل الدنيا وهو ما ينالونه من الغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) يعني الذين يطلبون بأعمالهم وجهادهم ثواب الدنيا وما ينالونه من الغنيمة محظنون في قصدهم لأن الله عنده ثواب الدنيا وثواب الآخرة فلو كانوا عقالا لطلبوا ثواب الآخرة حتى يحصل لهم ذلك ويحصل لهم ثواب الدنيا على سبيل التبعية والمعنى أن من أراد بعمله الدنيا آتاه الله منها ما أراد وصرفت عنه من شرها ما أرا وليس له ثواب في الآخرة يحزى به ، ومن أراد بعمله وجه الله وثواب الآخرة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة يؤتيه من الدنيا ما قدر له ويجزيه في الآخرة خير الجزاء (وكان الله سميعا) يعني لأقوالهم وما يسرونه من طلب ثواب الدنيا (بصيرا) يعني بنياتهم وما في قلوبهم وقيل بصيرا بمن يطلب الدنيا بعمله وبمن يطلب الآخرة بعمله . قوله عز وجل (أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) قال السدي إن فقيرا أو غنيا اختصا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكان صغوه مع الفقير يرى أن الفقير لا يظلم الغني فأمر الله هذه الآية وأمر بالقيام بالقسط مع الغني والفقير وقيل إن هذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن أبيرق فهي خطاب لقومه الذين جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل ، فأمرهم الله تعالى أن يكونوا قائمين بالقسط شاهدين لله على كل حال ولو على أنفسهم وأقاربهم فقال تعالى (وكونوا قوامين بالقسط والقوام مبالغة في القيام بالعدل في جميع الشهادات واجتناب الجور فيها قال ابن عباس كونوا قوامين بالعدل في جميع الشهادات على من كانت شهادة الله يعني أقيموا شهادتكم لوجه الله كما أمركم فيها فيقول الحق في شهادته (ولو على أنفسكم) يعني ولو كانت الشهادة على أنفسكم أمر الله العبد أن يشهد على نفسه بالحق وهو أن يقر على نفسه وذلك الإقرار يسمى شهادة في كونه موجبا للحق عليه (أو الوالدين والأقربين) يعني ولو كانت الشهادة على الوالدين والأقربين من ذوى رحمه أو أقاربه والمعنى قولوا الحق ولو على أنفسكم أو على الوالدين أو الأقارب فأقيموا الشهادة عليهم لله تعالى ولا تحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا فقيرا لغناه (إن يكن) يعني المشهود عليه (غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما) يعني منكم والمعنى كما أمرهم إلى الله تعالى فهو أعلم بهم وبحالهم وإنما قال بهما على التثنية لأن رد الضمير إلى المعنى دون التفظ يعني فالله أولى بالغني والفقير (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) يعني فلا تتبعوا الهوى واتقوا الله أن تعدلوا عن الحق في أداء الشهادة وقيل معناه أتركوا متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل ، لأن العدل

(٧٧ - خازن بالبغوى - أول) على المشهود وعليه وإن كان غنيا ولا مشهود له وإن كان فقيرا فالله أولى بهما منكم ، أي كلوا أمرها إلى الله وقال الحسن معناه الله أعلم بهما (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) أي لا تجوروا وتميلوا إلى الباطل من الحق

ثم آمنوا بانزوراة ثم كفروا بعبسى عليه السلام ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو في جميع أهل الكتاب آمنوا بليهم ، ثم كفروا به وآمنوا بالكتاب الذي نزل عليه ثم كفروا به وكفروا به تركهم إياه ، ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هذا في قوم مرتدين آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ومثل هذا هل تقبل توبته حتى عن علي رضي الله عنه أنه لا تقبل توبته بل يقتل لقوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم وأكثر أهل (٣١١) العلم على قبول توبته وقال مجاهد

ثم ازدادوا كفرا أي ماتوا عليه (لم يكن الله ليغفر لهم) ما أقاموا على ذلك (ولا ليهدبهم سيلا) أي طريقا إلى الحق فان قيل ما معنى قوله لم يكن الله ليغفر لهم ومعلوم أنه لا يغفر الشرك وإن كان أول مرة قيل معناه أن الكافر إذا أسلم أول مرة ودام عليه يغفر له كغفره السابق فان أسلم ثم كفر ثم أسلم ثم كفر لا يغفر له كغفره السابق الذي كان يغفر له لو دام على الإسلام

عباس نزلت في اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم آمنوا بعد ذلك ثم كفروا بعبسى والإنجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل أنهم آمنوا بموسى ثم كفروا بعده ثم آمنوا بدادود ثم كفروا بعبسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المنافقين وذلك أنهم آمنوا ثم كفروا بعد الإيمان ثم آمنوا بعبسى بالسننهم وهو إظهارهم الإيمان لتجربى عليهم أحكام المؤمنين ثم ازدادوا كفرا بعبسى على الكفر وقيل بذنوب أحدثوها في الكفر وقيل هم قوم آمنوا ثم ارتدوا إلى الكفر ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا بعبسى بعبسى عليه وذلك لأن من شكر ربه من الإيمان بعد الكفر والكفر بعد الإيمان مرات كثيرة يدل على أنه لا وقع للإيمان في قلبه ، ومن كان كذلك لا يكون مؤمنا بالله إيمانا صحيحا وازدادهم الكفر هو استهزؤهم وتلاعبهم بالإيمان ومثل هذا التلاعب بالدين هل تقبل توبته أم لا؟ حتى عن علي بن أبي طالب أنه قال لا تقبل توبته بل يقتل وذهب أكثر أهل العلم إلى أن توبته مقبولة . وقوله تعالى (لم يكن الله ليغفر لهم) يعني ما أقاموا على الكفر وماتوا عليه وذلك لأن الله تعالى أخبر أنه يغفر الكفر إذا تاب منه بقوله قل للذين كفروا أن ينتهوا يعني عن الكفر يغفر لهم ما قد سلف بعبسى من كفرهم (ولا ليهدبهم سيلا) يعني طريق هدى وقيل لا يجعلهم بكفرهم مهتدين . قوله تعالى (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليبا) يعني أخبرهم يا محمد وإنما وضع بشر مكان أخبرتهم كما بهم وقيل البشارة كل خير تتغير به بشرة الوجه سارا كان ذلك الخبر أو غير سار وقيل معناه اجعل موضع بشارتك لهم العذاب لأن العرب قول تحيتك الضرب أي هذا بدل من تحيتك قال الشاعر :

وخيل قد دلفت لها خيل تحية بينهم ضرب وجميع

ثم وصف الله تعالى المنافقين فقال تعالى (الذين يتخلون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) يعني يتخلون اليهود أو إياه وأنصارا وبطانة من دون المؤمنين وذلك أن المنافقين كانوا يقولون أن محمدا لا يتم أمره فياؤون اليهود فقال الله تعالى ردا على المنافقين (أيتفقون عندهم العزة) يعني يطلبون من اليهود العزة والمعونة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (فان العزة لله جميعا) يعني فان القوة والقدرة والغلبة لله جميعا وهو الذي يعز أولياءه وأهل طاعته كما قال تعالى هو الله العزة وأرسوله ولاء المؤمنين (وقد نزل عليكم) يا معشر المسلمين (في الكتاب) يعني القرآن (أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستنهزأ بها) قال المفسرون الذي أنزل عليهم في النهي عن مجالستهم هو قوله تعالى في سورة الأنعام وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، وهذا أنزل بمكة لأن المشركين كانوا يخوضون في القرآن ويستنهزون به في مجالستهم ثم أن أخبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان المنافقون يجلسون إليهم ويخوضون معهم في الاستهزاء بالقرآن فنهى الله المؤمنين عن القعود معهم بقوله (فلا تقعدوا معهم

(بشر المنافقين) أي أخبرهم يا محمد (بأن لهم عذابا أليبا) الإشارة كل خير يتغير به بشرة الوجه سارا كان أو غير سار وقال الزجاج معناه اجعل في موضع بشارتك لهم العذاب كما تقول العرب تحيتك الضرب وعتابك السيف أي بدلا لك من التحية ثم وصف المنافقين فقال

(الذين يتخلون الكافرين أولياء) يعني يتخلون اليهود أولياء وأنصار أو بطانة (من دون المؤمنين أيتفقون عندهم العزة) أي المعونة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل يطلبون عندهم القوة (فان العزة) أي الغلبة والقوة والقدرة (لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب) قرأ عاصم ويعقوب نزل يفتح النون والنون وكسر الراء أي عليكم في الكتاب (أن إذا سمعتم آيات الله) يعني القرآن (يكفر بها ويستنهزأ بها فلا تقعدوا معهم) يعني مع الذين

يستزهون (حتى يخوضوا في حديث غيره) أى يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ، وهذا إشارة إلى ما أنزل الله في سورة الأنعام «وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره» وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع إلى يوم القيامة (إنكم إذا مثلهم) أى إن قدتم عندهم وهم يخوضون (٦١٢) ويستزهون ورضيتم به فأنتم كفار مثلهم وإن خاضوا في حديث غيره

حتى يخوضوا في حديث غيره) يعنى يأخذوا في حديث آخر غير الاستهزاء بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع إلى يوم القيامة (إنكم إذا مثلهم) يعنى أنكم يأبها الجالسون مع المستهزئين بآيات الله إذا رضيتم بذلك فأنتم وهم في الكفر سواء قال العلماء وهذا يدل على أن من رضى بالكفر فهو كافر ومن رضى بمنكر أو خالط أهله كان في الإثم بمنزلة من رضى به وإن لم يباشره فإن جلس إليهم ، ولم يرض بفعلهم بل كان ساخط له وإنما جلس على سبيل التقية والخوف فالأمر فيه أهون من المجالسة مع الرضا وإن جلس مع صاحب بدعة أو منكر ولم يخض في بدعته أو منكره فيجوز الجلوس معه مع الكراهة وقيل لا يجوز بحال والأول أصح (إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا أى أنهم اجتمعوا في الدنيا على الاستهزاء بآيات الله وكذلك يجتمعهم في عذاب جهنم يوم القيامة قوله عز وجل (الذين يربصون بكم) نزلت في المنافقين والمعنى ينتظرون ما يحدث بكم من خير أو شر (فإن كان لكم فتح من الله) أى ظفر على عدوك ، وغنيمة تنالونها منهم (قالوا) يعنى المنافقين لكم (ألم نكن معكم) يعنى في الوقعة والفتح فأعطونا من الغنيمة وقيل معناه ألم نكن على دينكم وفي الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة (وإن كان للكافرين نصيب) أى دولة وظهور على المسلمين (قالوا) يعنى المنافقين للكفار (ألم نستحوذ عليكم) الاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة يقال استحوذ فلان على فلان أى غلب عليه والمعنى ألم تغلبكم ونتمكن منكم ومن قتالكم وأسركم ثم لم نفعل ذلك وقيل معناه ألم تغلبكم على رأيكم (ونتمنعكم من المؤمنين) يعنى في صلاتهم والدخول في دينهم وقيل معناه ألم تدفع المؤمنين بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا لإياكم بأخبارهم وأسرارهم فهاتوا نصيبا مما أصبتم منهم ومراد المنافقين إظهار المنة على الكفار . فإن قلت لم سمى ظفر المؤمنين فتحا وسمى ظفر الكافرين نصيبا . قلت تعظيما لشأن المؤمنين ونخبسا لحظ الكافرين لأن ظفر المؤمنين أمر عظيم تفتح له أبواب السماء حتى ينزل النصر على المسلمين وأما ظفر الكفار فما هو إلا حظ دنيء ونصيب نحسيس لا يبقى منه إلا ما نالوه في الدنيا ولم في الآخرة العقوبة الشديدة على ذلك النصيب الذى نالوه من المسلمين (فإن الله يحكم بينكم يوم القيامة) يعنى الفريقين فريق المؤمنين وفريق المنافقين والمعنى إنما وضع السيف عن المنافقين في الدنيا للأجل كرامتهم بل أشرف عذابهم إلى يوم القيامة (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) فيه قولان: أحدهما وهو قول على بن أبى طالب وابن عباس أن المراد به يوم القيامة بدليل أنه عطف على قوله فإنه يحكم بينكم يوم القيامة روى أن رجلا سأل على بن أبى طالب عن هذه الآية «وأن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا» وهم يقتلوننا فقال ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا. والقول الثانى

فلا بأس بالفتور معهم مع الكراهة وقال الحسن لا يجوز الفتور معهم وإن خاضوا في حديث غيره لقوله تعالى «وإنما يسئلك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين» والأكثر على الأول وآية الأعمام مكية وهذه مدنية والتأخر أولى قوله (إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يربصون بكم) ينتظرون بكم الدوائر يعنى المنافقين (فإن كان لكم فتح من الله) يعنى ظفر وغنيمة (قالوا) لكم (ألم نكن معكم) على دينكم في الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة (وإن كان للكافرين نصيب) يعنى للكافرين نصيب (دولة وظهور على المسلمين) (قالوا) يعنى المنافقين للكافرين (ألم نستحوذ عليكم) والاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة قال الله تعالى «استحوذ عليهم الشيطان» أى استولى

أن

وغلب يقول ألم تخبركم بعورة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ونظركم على سرهم

قال المراد يقول المنافقون للكفار ألم تغلبكم على رأيكم (ونتمنعكم) ونصرفكم (من المؤمنين) أى عن الدخول في حملتهم وقيل معناه ألم نستول عليكم بالنصرة لكم ونتمنعكم من المؤمنين ، أى تدفع عنكم دولة المؤمنين بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا لإياكم بأخبارهم وأمورهم ومراد المنافقين بهذا الكلام إظهار المنة على الكافرين (فإن الله يحكم بينكم يوم القيامة) يعنى بين أهل الإيمان وأهل النفاق (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) قال على في الآخرة وقال عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم أى

حجة وقيل ظهورا على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) أي يعاملونه معاملة الخادعين وهو خادعهم أي مجازيهم على خداعهم وذلك أنهم يعطون نور يوم القيامة (٣١٣) كما للمؤمنين فيمضي المؤمنون

بنورهم على الصراط
ويطفأ نور المنافقين (وإذا
قأوا إلى الصلاة) يعني
المنافقين (قاموا كسالى)
أي متقابلين لا يريدون
بها الله فإن رآهم أحد
صاوا وإلا انصرفوا فلا
يصلون (يرامون الناس)
أي يقعون ذلك مراعاة
للناس لا اتباعا لأمر الله
(ولا يذكر الله إلا
قليلًا) قال ابن عباس
رضي الله عنهما والحسن
إنما قال ذلك لأنهم
يفعلونها رياء وسمعة ولو
أرادوا بذلك القليل
وجه الله تعالى لكان كثيرا
وقال قتادة إنما قل ذلك
المنافقين لأن الله تعالى لم
يقبله وكل ما قبل الله فهو
كثير (مذبذبين بين ذلك)
أي مترددين متحيرين
بين الكفر والإيمان
(لا إلى هؤلاء ولا إلى
هؤلاء) أي ليسوا من
المؤمنين فيجب لهم
ما يجب للمؤمنين وليسوا
من الكفار فيؤخذ
منهم ما يؤخذ من الكفار
(ومن يضل الله قلن تجد
له سبيلا) أي طريقا إلى
الهدى أخبرنا إسماعيل بن
عبد القاهر الجرجاني قال

أن هذا في الدنيا والمعنى أن حجة المؤمنين غالبية في الدنيا على الكافرين وليس لأحد أن يغلبهم بالحجة
وقيل معناه إن الله لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بأن محمود ولذا المؤمنون بالكيفية حتى يستبيحوا
بيضتهم فلا يبقى أحد من المؤمنين وقيل معناه إن الله لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بالشرع فإن
شريعة الإسلام ظاهرة إلى يوم القيامة ويتفرع على ذلك مسائل من أحكام الفقه منها أن الكافر
لا يرث المسلم ومنها أن الكافر إذا استولى على مال المسلم لم يملكه بدليل هذه الآية ومنها أن
الكافر ليس له أن يشتري عبدا مسلما ومنها أن المسلم لا يقتل بالذم بدليل هذه الآية . قوله
تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) يعني يعاملون الله وهو يخادعهم على خداعهم
وقيل معناه يخادعون رسول الله ﷺ لأنهم يظهرون له الإسلام ويبطنون له الكفر وهو
خداعهم يعني والله مجازيهم بالعقاب وقيل إنهم يعطون نورا يوم القيامة كما يعطى المؤمنون
فيمضي المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفأ نور المنافقين (وإذا قاموا إلى الصلاة) يعني المنافقين
(قاموا كسالى) يعني متقابلين وسبب هذا الكسل أنهم يتعبون بها لأنهم لا يريدون بفعلها ثوابا
ولا يريدون بها وجه الله عز وجل ولا يخافون على تركها عقابا لأن الداعي إلى فعلها خوف الناس
فلذلك وقع فعلها على وجه الكسل والفتور (يرامون الناس) يعني أنهم لا يقومون إلى الصلاة
إلا لأجل الرياء والسمعة للأجل الدين ولا يرون أنها واجبة عليهم قال قتادة والله لولا الناس
ما صلى منافق (ولا يذكر الله إلا قليلا) قال ابن عباس إنما قل ذلك لأنهم يفعلونه رياء وسمعة
ولو أرادوا بذلك القليل وجه الله لكان كثيرا وقيل لأن الله لم يقبله ولو قبله لكان كثيرا وقيل
المراد بذكر الله الصلاة والمعنى أنهم لا يصلون إلا قليلا لأنهم متى لم يكن معهم أحد من المؤمنين
فلا يصلون وإذا كانوا مع المؤمنين يتكفون فعلها (مذبذبين بين ذلك) يعني متحيرين مترددين
بين الكفر والإيمان لأنهم ليسوا مع المؤمنين المخلصين ولا مع المشركين المصريحين بالشرك
وهو قوله تعالى (لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) يعني ليسوا من المؤمنين حتى يجب لهم ما يجب
للمؤمنين وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار (ومن يضل الله قلن تجد له
سبيلا) يعني طريقا إلى الهدى (ق) عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال مثل المنافق كمثل
الشاة العائرة بين الغنمين تعبر إلى هذه مرة وإلى هذه مرة قوله كمثل الشاة العائرة بالعين المهملة ومعناه
المتحيرة المترددة لا تدري لأى الغنمين تتبع ومعنى تعبر تردد وتذهب يمينا وشمالا مرة إلى هذه مرة
إلى هذه لا تدري إلى أين تذهب وهذا مثل المنافق مرة على المؤمنين ومرة مع الكافرين أو ظاهره
مع المؤمنين وباطنه مع الكافرين . قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء
من دون المؤمنين) لما ذم الله عز وجل المنافقين بقوله مذبذبين بين ذلك نهى الله المؤمنين أن
يتخذوا بأخلاق المنافقين يقول لا تولوا الكفار من دون أهل ملتكم ودينكم فتكونوا كمن
أوجبت له النار من المنافقين والسبب في هذا النهي أن الأنصار بالمدينة كانوا من يهود بني النضير

أخبرنا عبد الغافر بن محمد القارسي أنا محمد بن عيسى الجلودى أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا محمد
ابن المنفى أنا عبد الوهاب يعني الثقفى أنا عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة العائرة
بين الغنمين تعبر إلى هذه مرة وإلى هذه مرة قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) نهى الله

أؤمنين عن موالاته الكفار وقال (أريدون أن نجعلوا الله عليكم سلطانا مبيئا) أى حجة بيئة في عذابكم ثم ذكر منازل المنافقين فقال جل ذكره (إن المنافقين) (٦١٤) في الدرك الأسفل من النار) قرأ أهل الكوفة في الدرك بسكون الراء والقون

وقريظة حلف ومودة ورضاع فقالوا يارسول الله من ننوي؟ فقال المهاجرين (أريدون أن نجعلوا الله عليكم سلطانا مبيئا) يعنى أريدون أيها المتخذون الكفار أولياء أن نجعلوا الله عليكم حجة بيئة باتخاذكم الكفار أولياء من دون المؤمنين فتسوجبوا بذلك النار ثم بين مقر النار من المنافقين فقال تعالى (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) يعنى في الطبق الذى في قعر جهنم والدر سبع دركات بعضها فوق بعض سميت طبقات جهنم دركات لأنها متدركة متتابعة وقيل الدرك بيت مففل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم وقيل هي توابيت من حديد مقللة عليهم في النار . فان قلت لم كان المنافق أشد عذابا من الكافر قلت أن المنافق مثل الكافر في الكفر وزيادة وهو أنه ضم إلى كفره نوعا آخر من الكفر أخبث منه وهو الاستهزاء بالإسلام والمسلمين وإفشاء أسرار المسلمين ونقلها إلى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب المنافقين أشد عذابا من الكفار والمنافق من أظهر الإيمان وأبطن الكفر وقيل هو الذى يصف الإسلام بلسانه ولا يعمل بشرائعه ولا يتقيد بقبوده ولا يدخل تحت أحكامه وأمانته من ارتكب ما ينسق به منافقا قللة ليظ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أتمن خان فإن هذه الحاصل صفات المنافقين فن فعلها فقد تشبه بالمنافقين . وقوله تعالى (ولن تجد لهم نصيرا) يعنى ولن تجد يا محمد هؤلاء المنافقين نصرا ينصروهم من عذاب الله إذا نزل بهم ثم استثنى الله عز وجل من تاب من تاب من المنافقين فقال تعالى (إلا الذين تابوا) يعنى من التفاق (وأصلحوا) يعنى أصلحوا الأعمال فعملوا بما أمر الله به وأدوا فرائضه وانتهوا عما نهاهم عنه (واعتصموا بالله) يعنى وتمسكوا بعهده الله ووثقوا به (وأخلصوا دينهم لله) يعنى وأخلصوا طاعتهم وأعمالهم التي عملوها لله وأرادوه بها ولم يريدوا رياء ولا سمعة فهذه الأمور الأربعة إذا حصلت فقد كمل الإيمان فلذلك قال تعالى (فأولئك) يعنى التائبين من التفاق (مع المؤمنين) يعنى في الجنة وقيل مع بمعنى من أى المؤمنين (وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) يعنى في الآخرة . قوله تعالى (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم) هنا استفهام تقرير معناه أنه تعالى لا يعذب الشاكر المؤمن فان تعذيبه لا يزيد في ملكه وتركه عقوبته لا ينقص من سلطانه لأنه الغنى الذى لا يحتاج إلى شيء من ذلك فان عاقب أحدا فانما يعاقبه لأمر أوجه العدل والحكمة فان قتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أنقذتم أنفسكم من عذابه قال أهل المعاني فيه تقديم وتأخير تقديره إن آمنتم وشكرتم لأن الإيمان مقدم على سائر الطاعات ولأن الشكر لا ينفع مع عدم الإيمان ولأن الواو لا توجب الترتيب وقيل هو على أصله والمعنى أن العاقل ينظر بعين بصيرته أولا إلى ما عليه من النعمة العظيمة في إنجاده وخلقه فيشكر على ذلك شكرا عظيما مبهما ثم إذا تمم النظر ثانيا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم عليه فأمن به ثم شكره شكرا مفصلا فكان ذلك الشكر المبهم مقدما على الإيمان فلذلك قدم الشكر على الإيمان في الذكر (وكان الله شاكرا) يعنى مثيبا عباده المؤمنين موفيا أجورهم والشكر من الله الرضا بالقليل من أعمال عباده وأضعاف الثواب عليه وقيل لما أمر الله عباده بالشكر سمى الجزاء شكرا على سبيل الاستعارة فالمراد من الشاكر في صفة الله تعالى كونه مثيبا على الشكر (عليا) يعنى بحق شكركم

بفتحها وهما لغتان كالظمن والظمن والنهر والنهر قال ابن مسعود رضى الله عنه في الدرك الأسفل في توابيت من حديد مقللة في النار وقال أبو هريرة بيت مقل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم (ولن تجد لهم نصيرا) مانعا من العذاب (إلا الذين تابوا) من التفاق وأمتوا (وأصلحوا) عملهم (واعتصموا بالله) وثقوا بالله (وأخلصوا دينهم لله) أراد الإخلاص بالقلب لأن التفاق كفر القلب فزواله يكون بإخلاص القلب (فأولئك مع المؤمنين) قال الفراء من المؤمنين (وسوف يؤت الله المؤمنين) في الآخرة (أجرا عظيما) يعنى الجنة وحديث الباء من يؤت في الخط لسقوطها في اللفظ وسقوطها في اللفظ اسكون اللام في الله قوله تعالى (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم) أى إن شكرتم نعماءه (وآمنتم) به فيه تقديم وتأخير تقديره إن آمنتم وشكرتم لأن الشكر لا ينفع مع عدم الإيمان

وهذا استفهام بمعنى التقرير معناه أنه لا يعذب المؤمن الشاكر فان تعذيبه عباده لا يزيد في ملكه وتركه عقوبتهم وإيمانكم على فعلهم لا ينقص من سلطانه والشكر ضد الكفر والكفر ستر النعمة والشكر إظهارها (وكان الله شاكرا عليا) فالشكر

من الله تعالى هو الرضى بالقليل من عبادته وإضعاف الثواب عليه والشكر من العبد الطاعة ومن الله الثواب قوله (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) يعنى لا يحب الله الجهر بالسوء ولا غير الجهر به أيضا من القول يعنى من القول القبيح إلا من ظلم قيل هو استثناء متصل والمعنى إلا الجهر من ظلم وقيل هو استثناء منقطع ومعناه لكن المظلوم يجوز أن يجهر بظلم الظالم قال العلماء لا يجوز إظهار أحوال الناس المستورة المكتومة لأن ذلك يصير سببا لوقوع الناس في الغيبة ووقوع ذلك الشخص في الريبة لكن من ظلم فيجوز له إظهار ظلمه فيقول سرق منى أو غصب ونحو ذلك وإن شتم جاز له أن يشتم بمثله ولا يزيد شيئا على ذلك ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ماقالا فعلى الأول وفي رواية فعلى البادئ منهما حتى يعتدى المظلوم أخرجه مسلم قال ابن عباس لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوما فإنه قد أُرخص له أن يدعو على من ظلمه وذلك قوله إلا من ظلم وإن صبر فهو خير له وقال الحسن البصرى هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه ولكن ليقل اللهم أعني عليه اللهم استخرج لي حق اللهم حل بيني وبين ما يريد ونحوه من الدعاء وقيل نزلت الآية في الضيف إذا نزل بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله أن يشكو ما صنع به قال مجاهد هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج من عنده فيقول أساء ضيافتي وقال مقاتل نزلت في أبي بكر الصديق وذلك أن رجلا نال منه النبي صلى الله عليه وسلم حاضرا فسكت عنه أبو بكر مرارا ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر يا رسول الله شتمني فلم تغفل له شيئا حتى إذا رددت عليه قلت قال إن ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت ونزلت هذه الآية (وكان الله سميعا) يعنى لدعاء المظلوم (عليها) بما في قلبه فليتق الله ولا يقل إلا الحق . قوله تعالى (إن تبدوا خيرا) قال ابن عباس يريد من أعمال البر كالصيام والصدقة والضيافة والصلة وقيل معناه إن تبدوا خيرا بدلا من السوء (أو تحفوه) يعنى تحفوا الخير فلم تظهروه وقيل معناه إن تبدوا حسنة فتعملوا بها تكتب لكم عسرا وإن هم بها ولم يعملها كتبت له واحدة وقيل إن جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة في قسمين: أحدهما صدق النية مع الحق. والثاني التخلق مع الخلق فالذى يتعلق بالخلق ينحصر في قسمين: أيضا وهما إيصال نفع إليهم في السر والعلانية وإليه الإشارة بقوله تعالى (إن تبدوا خيرا أو تحفوه) أو رفع ضرر عنهم وإليه الإشارة بقوله تعالى (أو تعفوا عن سوء) فيدخل في هاتين الكلمتين جميع أعمال البر وجميع دفع الضرر وقيل المراد بالخير المال والمعنى إن تبدوا الصدقة فتعطوها الفقراء جهرا أو تخفوها فتعطوها سرا أو تعفوا عن مظلمة (فإن الله كان عفوا قديرا) يعنى لم يزل ذا عفو مع قدرته على الانتقام فأعفوا أنتم

وإيمانكم فيجازيكم على ذلك . قوله عز وجل (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) قال أهل المعاني يعنى أنه تعالى لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر به أيضا من القول يعنى من القول القبيح إلا من ظلم قيل هو استثناء متصل والمعنى إلا الجهر من ظلم وقيل هو استثناء منقطع ومعناه لكن المظلوم يجوز أن يجهر بظلم الظالم قال العلماء لا يجوز إظهار أحوال الناس المستورة المكتومة لأن ذلك يصير سببا لوقوع الناس في الغيبة ووقوع ذلك الشخص في الريبة لكن من ظلم فيجوز له إظهار ظلمه فيقول سرق منى أو غصب ونحو ذلك وإن شتم جاز له أن يشتم بمثله ولا يزيد شيئا على ذلك ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ماقالا فعلى الأول وفي رواية فعلى البادئ منهما حتى يعتدى المظلوم أخرجه مسلم قال ابن عباس لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوما فإنه قد أُرخص له أن يدعو على من ظلمه وذلك قوله إلا من ظلم وإن صبر فهو خير له وقال الحسن البصرى هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه ولكن ليقل اللهم أعني عليه اللهم استخرج لي حق اللهم حل بيني وبين ما يريد ونحوه من الدعاء وقيل نزلت الآية في الضيف إذا نزل بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله أن يشكو ما صنع به قال مجاهد هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج من عنده فيقول أساء ضيافتي وقال مقاتل نزلت في أبي بكر الصديق وذلك أن رجلا نال منه النبي صلى الله عليه وسلم حاضرا فسكت عنه أبو بكر مرارا ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر يا رسول الله شتمني فلم تغفل له شيئا حتى إذا رددت عليه قلت قال إن ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت ونزلت هذه الآية (وكان الله سميعا) يعنى لدعاء المظلوم (عليها) بما في قلبه فليتق الله ولا يقل إلا الحق . قوله تعالى (إن تبدوا خيرا) قال ابن عباس يريد من أعمال البر كالصيام والصدقة والضيافة والصلة وقيل معناه إن تبدوا خيرا بدلا من السوء (أو تحفوه) يعنى تحفوا الخير فلم تظهروه وقيل معناه إن تبدوا حسنة فتعملوا بها تكتب لكم عسرا وإن هم بها ولم يعملها كتبت له واحدة وقيل إن جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة في قسمين: أحدهما صدق النية مع الحق. والثاني التخلق مع الخلق فالذى يتعلق بالخلق ينحصر في قسمين: أيضا وهما إيصال نفع إليهم في السر والعلانية وإليه الإشارة بقوله تعالى (إن تبدوا خيرا أو تحفوه) أو رفع ضرر عنهم وإليه الإشارة بقوله تعالى (أو تعفوا عن سوء) فيدخل في هاتين الكلمتين جميع أعمال البر وجميع دفع الضرر وقيل المراد بالخير المال والمعنى إن تبدوا الصدقة فتعطوها الفقراء جهرا أو تخفوها فتعطوها سرا أو تعفوا عن مظلمة (فإن الله كان عفوا قديرا) يعنى لم يزل ذا عفو مع قدرته على الانتقام فأعفوا أنتم

وزيد بن أسلم إلا من ظلم بفتح الظاء واللام معناه لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول وقيل معناه لا يحب الله بالجهر بالسوء من القول لكن يجهره من ظلم والقراءة الأولى هي المعروفة (وكان الله سميعا) لدعاء المظلوم (عليها) بعقاب الظالم قوله تعالى (إن تبدوا خيرا) يعنى حسنة فيعمل بها كتبت له عسرا ، وإن هم بها ولم يعملها كتبت له حسنة واحدة وهو قوله (أو تحفوه) وقيل المراد من الخير المال يريد أن تبدوا صدقة تعطونها جهرا أو تخفوها فتعطونها سرا (أو تعفوا عن سوء) أى عن مظلمة (فإن الله كان عفوا قديرا) فهو أولى بالتجاوز عنكم يوم القيامة قوله عز وجل (إن الذين

يكفرون بالله ورسله) الآية نزلت في اليهود وذلك أنهم آمنوا بموسى عليه السلام والتوراة وعزبر وكفروا بعمى والإنجيل وبمحمد
والقرآن (ويريدون أن يفرقوا بين (٦١٦) الله ورسله ويقولون تؤمن ببعض وتكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا

عن ظلمكم واقتلوا بسنة الله عز وجل يعف عنكم يوم القيامة لأنه أهل للتجاوز والعفو عنكم
وقبل معنته إن الله كان عفوا لمن عفا على إبطال الثواب إليه . قوله عز وجل (إن الدين
يكفرون بالله ورسله) نزلت في اليهود وذلك أنهم آمنوا بموسى والتوراة وكفروا بعمى والإنجيل
وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك أن اليهود آمنوا
بموسى وكفروا بعمى ومحمد والنصارى آمنوا بعمى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم
أجمعين (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون تؤمن ببعض وتكفر ببعض) يعنى ويريدون
أن يفرقوا بين الإيمان بالله والإيمان برسله ولا يصح الإيمان بالله مع التكذيب ببعض رسله
(ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) يعنى بين الإيمان ببعض دون البعض يتخذون مذهبا
يذهبون إليه ودينًا يدينون به (أولئك) يعنى من هذه صفتهم (هم الكافرون حقا) يعنى يقينا وإنما
قال ذلك توكيدا للكفرهم ثلاثتهم متوهم أن الإيمان ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم وليعلم
أن الكفر ببعض الأنبياء كالكفر بكلهم لأن الدليل الذى يدل على ثبوت البعض وهو المعجزة لزم
منه أنه حيث وجدت المعجزة حصلت النبوة وقد وجدت المعجزة لجميع الأنبياء فلزم الإيمان
بجميعهم (واعتدنا) يعنى وهبنا (للكافرين عذابا مهينا) يعنى يهانون فيه (والذين آمنوا بالله ورسله)
يعنى والذين صدقوا بوحداية الله ونبوة جميع أنبيائه وأن جميع ما جاءوا به من عند الله حق
وصدق (ولم يفرقوا بين أحد منهم) يعنى من الرسل بل آمنوا بجميعهم وهم المؤمنون (أولئك)
يعنى من هذه صفتهم (سوف يؤتوهم أجورهم) يعنى جزاء إيمانهم بالله ويومئذ يجمع كتبه ورسله (وكان
الله غفورا رحيا) يعنى أنه تعالى لما وعدهم بالثواب أخبرهم أنه يتجاوز عن سيئاتهم ويغفر هاتم
وبرحمهم فهو كالترغيب لليهود والنصارى في الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لأنهم إذا آمنوا
غفر لهم ما كان منهم في حال الكفر . قوله تعالى (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من
السماء) يعنى يسألك يا محمد أهل الكتاب وهم اليهود وذلك أن كعب بن الأشرف وفتاح بن
عازوراء من اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت نبيا فأتنا بكتاب جملة واحدة
من السماء كما أتى موسى بالتوراة وقيل سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم
كتابا مختصا بهم وقيل سألوه أن ينزل عليهم كتابا إلى فلان وكتابا إلى فلان ليشهدا لك بأنك
رسول الله وكان هذا السؤال من اليهود سؤال تعنت واقتراح لاسؤال استرشاد وانقياد والله
تعالى لا ينزل الآيات على اقتراح العباد ولأن معجزة النبي ﷺ كانت قد تقلعت وظهرت
فكان طلب الزيادة من باب التعنت . وقوله تعالى (فقد سألو موسى أكبر من ذلك) يعنى
أعظم من الذى سألوك يا محمد ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقرير لليهود حيث
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال تعنت والمعنى لا تعظم عليك يا محمد مسئلتهم
ذلك فانهم من فرط جهلهم واجترأتهم على الله لو أتيتهم بكتاب من السماء لما آمنوا بك وإنما
أسند السؤال إلى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وإن وجد هذا السؤال
من آباؤهم الذين كانوا في أيام موسى عليه السلام لأنهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم
ومشاكلتهم في التعنت (فقالوا) يعنى إسلاف هؤلاء اليهود (أرنا الله جهرة) يعنى عيانا والمعنى

بين ذلك سبيلا) أى دينا
بين اليهودية والإسلام ،
ومذهبا يذهبون إليه
(أولئك هم الكافرون
حقا) حقق كفرهم ليعلم
أن الكفر ببعضهم
كالكفر بجميعهم
(واعتدنا للكافرين عذابا
مهينا والذين آمنوا بالله
ورسله) كلهم (ولم
يفرقوا بين أحد منهم)
يعنى بين الرسل وهم
المؤمنون يقولون لا يفرق
بين أحد من رسله
(أولئك سوف يؤتوهم
أجورهم) بإيمانهم بالله
وكتبه ورسله قرأ حفص
عن عاصم يؤتوهم بالياء
أى يؤتوهم الله والياقون
بالنون (وكان الله غفورا
رحيا) قوله تعالى (يسألك
أهل الكتاب) الآية
وذلك أن كعب بن
الأشرف وفتاح بن
عازوراء من اليهود
قالا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم إن كنت نبيا
فأتنا بكتاب جملة من
السماء كما أتى به موسى
عليه السلام فأنزل الله
عليه بسألك أهل الكتاب
(أن تنزل عليهم كتابا من
السماء) وكان هذا السؤال
منهم سؤال تحمك

واقترح لاسؤال انقياد والله تعالى لا ينزل الآيات على اقتراح العباد قوله (فقد سألو موسى أكبر من ذلك) أى
أعظم من ذلك يعنى السبعين الذى خرج بهم موسى عليه السلام إلى الجبل (فقالوا أرنا الله جهرة) أى عيانا قال أبو عبيدة

معناه قالوا جهرة أرنا الله (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخاها العجل) (٦١٧) يعني لها (من بعدما جاءتهم

أرناه تره جهرة وذلك أن سبعين من بني إسرائيل خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام إلى الجبل فقالوا ذلك وعند تقدمت القصة في سورة البقرة (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) يعني بسبب ظلمهم وسواهم الرؤية (ثم اتخاها العجل) يعني لها وهم الذين خلفهم موسى مع أخيه هرون حين خرج إلى ميقات ربه (من بعد ما جاءتهم البيئات) يعني الدلالات الواضحات الدالة على صدق موسى وهي : العصا واليد وخلق البحر وغير ذلك من المعجزات الباهرة (فعفونا عن ذلك) يعني عن ذلك الذنب العظيم فلم نستأصل عبدة العجل والمقصود من هذا تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى أن هؤلاء الذين يطلبون منك يا محمد أن تنزل عليهم كتابا من السماء إنما يطلبونه عنادا ولجاجا فإني قد أنزلت النوراة جملة واحدة على موسى وآبته من المعجزات الباهرات والآيات البيئات ما فيه كفاية ثم إنهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد وعبدوا العجل وكل ذلك يدل على جهلهم وأنهم يجبولون على اللجاج والعناد وفي قوله فعفونا عن ذلك استدعاء إلى التوبة والمعنى أن أولئك الذين أجرموا لما تابوا عفونا عنهم فتوبوا أنتم نعت عنكم (وآتينا موسى سلطانا سلطانا مبينا) يعني حجة واضحة تدل على صدقه وهي المعجزات الباهرات التي أعطاها الله عز وجل لموسى عليه السلام قوله عز وجل (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) يعني ورفعنا فوقهم الجبل المسمى بالطور بسبب أخذ ميثاقهم وذلك أن بني إسرائيل امتنعوا من قبول التوراة والعمل بما فيها فرفع الله فوقهم الطور حتى أظلمهم ليخافوا فلا يتقصوا العهد والميثاق (وقلنا لهم والطور يظلمهم) ادخلوا الباب سجدا فخالفوا ودخلوا وهم يزحفون على آمتاهم (وقلنا لهم لا تعبدوا في السبت) يعني وقلنا لهم لا تجاوزوا في يوم السبت إلى ما لا يحل لكم فيه وذلك أنهم نهوا أن يصطادوا السمك في يوم السبت فاعتدوا واصطادوا فيه وقيل المراد به النهي عن العمل والكسب في يوم السبت (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) يعني وأخذنا منهم عهدا مؤكدا شديدا بأن يعادوا بما أمرهم الله به وأن يقتوا عما نهاهم الله عنه ثم إنهم نقضوا ذلك الميثاق وهو قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم) يعني فبما نقضهم ميثاقهم والمعنى فبسبب نقضهم ميثاقهم لعناهم وضعفنا عليهم وقلنا بهم ما فعلنا (وكفرهم بآيات الله) يعني ونجحودهم بآيات الله الدالة على صدق أنبيائه (وقتلهم الأنبياء) يعني بعد قيام الحجج والدلالة على صحة نبوتهم (بغير حق) يعني بغير استحقاق لذلك القتل (وقوام قلوبنا غلف) يعني ويقولهم على قلوبنا أغشية وغشاوة فهي لا تفقه ما تقول جمع أغلف وقيل جمع غلاف يعني قلوبنا أوعية للعلم فلا حاجة بنا إلى ما تدعوننا إليه فرد الله عليهم بقوله (بل طبع الله عليها بكفرهم) يعني بل ختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم (فلا يؤمنون إلا قليلا) يعني لإيمانهم بموسى والتوراة وكفرهم بما سواه من الأنبياء والكتب وقيل لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا وقيل المراد بالقليل هو عبد الله بن سلام وأصحابه والذين آمنوا من اليهود . قوله تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتان عظيم) يعني حين رموها بالزنا وذلك أنهم أنكروا قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير أب ومذكر قدرة الله كافر فلما رد بقوله وبكفرهم هو إنكارهم قدرة الله تعالى والمراد بقولهم على مريم بهتان عظيم هو رميهم بإياها بالزنا وإنما سماه بهتان عظيم لأنه قد ظهر عند ولادة مريم من المعجزات ما يدل على برائتها من ذلك فلهاذا السبب وصف الله قول اليهود على مريم بالبهتان العظيم . قوله

البيئات فعفونا عن ذلك) ولم نستأصلهم قيل هنا استدعاء إلى التوبة معناه أن أولئك الذين أجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا أنتم حتى نعتو عنكم (وآتينا موسى سلطانا مبينا) أي حجة بيينة من المعجزات وهي الآيات التسع (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعبدوا في السبت) قرأ أهل المدينة بتشديد الدال وفتح العين نافع برواية ورش وبجزءها الآخرون ومعناه لا تعبدوا ولا تظلموا باصطياد الخيتان فيه (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم) أي فنقضهم وما صلة كتقوله تعالى فبما رحمة من الله ونحوها (وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم) أي ختم عليها (فلا يؤمنون إلا قليلا) يعني ممن كذب الرسل لا يمن طبع على قلبه لأن من طبع الله على قلبه لا يؤمن أبدا ، وأراد بالقليل عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل معناه (٧٨ - حازن بالبعوى - أول) لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتان عظيم) حين رموها

بالزنا (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما صلبوه ولكن شبه لهم) وذلك أن الله تعالى أتى شبه عيسى عليه السلام على الذي دل اليهود عليه وقيل إنهم حبسوا عيسى عليه السلام في بيت وجعلوا عليه رقبيا فألقى الله تعالى شبه عيسى عليه السلام على الرقيب فقتلوه وقيل غير ذلك كما ذكرنا في سورة آل عمران قوله تبارك وتعالى (وإن الذين اختطفوا فيه) في قتله (لئى شك منه) أى في قتله قال الكلبي اختلافهم فيه هو إن اليهود قالت نحن قتلناه وقالت طائفة من النصارى نحن قتلناه وقالت طائفة منهم ما قتله هؤلاء ولا هؤلاء بل رفعه الله إلى السماء ونحن ننظر إليه وقيل كان الله تعالى أتى شبه عيسى عليه السلام على وجه صطيافوس ولم يلقه على جسده فاختلطوا فيه فقال بعضهم قتلنا عيسى فان الوجه وجه عيسى عليه السلام وقال بعضهم لم نقتله لأن جسده ليس جسدي عيسى عليه السلام

فاختلطوا قال السدي اختلافهم من حيث إنهم قالوا إن كان هذا

عز وجل (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله) ادعت اليهود أنهم قتلوا عيسى عليه السلام وصدقهم النصارى على ذلك فكذبهم الله عز وجل جميعا ورد عليهم بقوله (وما صلبوه) وفي قوله رسول الله قولان: أحدهما أنه من قول اليهود فيكون المعنى أنه رسول الله على زعمه. والقول الثاني أن من قول الله لأعلى وجه الحكاية عنهم وذلك أن الله تعالى أبدل ذكرهم في عيسى عليه السلام القول القبيح بالقول الحسن رفعا لدرجته عما كانوا يذكرونه من القول القبيح. وقوله تعالى (ولكن شبه لهم) يعنى أتى شبه عيسى على غيره حتى قتل وصلب واختلف العلماء في صفة التشبيه الذى شبه على اليهود في أمر عيسى عليه السلام فروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه أنه قال: أتى اليهود عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فأحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله تعالى كلهم على صورة عيسى فقتلوا لهم محرّمونا لتبرزن لنا عيسى أو لتقتلنكم جميعا فقال عيسى لأصحابه من بشرى نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم أنا فخرج إليهم فقال أنا عيسى وقد صوره الله تعالى على صورة عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه فنم ثم شبه لهم وظنوا أنهم قد قتلوا عيسى وظنت النصارى مثل ذلك ورفع الله عز وجل عيسى عليه السلام من يومه ذلك وفي رواية أخرى عن وهب أن عيسى عليه السلام قال لأصحابه ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصبح الديك ثلاث مرات وليبعضى بنى إبراهيم يسيرة وليأكلن ثمنى فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأخذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا هذا من أصحاب عيسى فجدد وقال ما أنا بصاحبه فركوه ثم أخذوا آخر فجدد كذلك فلما أصبح أتى بعض الحواريين إلى اليهود وكان منافقا فقال ما تبطلوننى إن أنا دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فدفعهم عليه فألقى الله شبه عيسى على ذلك المنافق الذى دل عليه فأخذوه وقتلوه وصلبوه وهم يظنون أنه عيسى وقال قتادة إن أعداء الله اليهود زعموا أنهم قتلوا عيسى وصلبوه وذكر لنا أن نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام قال لأصحابه أيكم يقذف عليه شهبي وله الجنة فانه مقتول فقال رجل منهم أنا يابني الله فأخذ ذلك وقتل وصلب ورفع الله عز وجل عيسى إلى السماء وقيل إن اليهود حبسوا عيسى في بيت وجعلوا عليه رقبيا يحفظه فألقى الله شبه عيسى على ذلك للرقيب فأخذ فقتل وصلب فرقع الله عز وجل عيسى في ذلك الوقت قال الطبري وأولى الأقوال بالصواب ما ذكرنا عن وهب ابن منبه من أن شبه عيسى أتى على جميع من كان مع عيسى في البيت حين أحيط بهم من غير مشكلة عيسى إليهم ذلك ولكن ليخزي الله بذلك اليهود ويتغذبه نبيه عيسى عليه السلام من كل مكروه أرادوه به من قتل وغيره وليبتلى الله من أراد ابتلاءه من عباده ويحتمل أن يكون أتى شبه على بعض أصحابه بعد ما تفرق عنه أصحابه ورفع الله عيسى عليه السلام وبني ذلك فأخذ وقتل وصلب وظن أصحابه واليهود أن الذى قتلوه وصلبوه هو عيسى لما رأوا من شبه به وخفى أمر عيسى عليهم وكانت حقيقة ذلك الأمر عند الله فلذلك قال تعالى « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » (وإن الذين اختلطوا فيه) يعنى في قتل عيسى وهم اليهود (لئى شك منه) يعنى من قتله وذلك أن اليهود قتلوا ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان قد أتى الشبه على وجه ذلك الشخص دون جسده فلما قتلوه نظروا إلى جسده فوجدوه غير جسدي عيسى فقالوا الوجه وجه عيسى والجسد جسدي غيره فهذا هو اختلافهم فيه وقيل إن اليهود لما حبسوا عيسى وأصحابه في البيت دخل عليه رجل منهم ليخرجه

عيسى فأين صاحبنا وإن كان : لما صاحبنا فأين عيسى قال الله تعالى (ما لهم به من علم) من حيثيته أنه قتل أولم يقتل (إلا اتباع الظن) لكنهم يتبعون الظن في قتله قال الله جل جلاله (وما قتلوه يقينا) أي ما قتلوا عيسى يقينا (بل رقع الله إليه) وقيل قوله يقينا يرجع إلى ما بعده . قوله وما قتلوه كلام تام تقديره بل رقع الله إليه يقينا والهاء فيها قتلوه كناية عن عيسى عليه السلام ، وقال القراء رحمه الله معناه وما قتلوا الذي ظنوا أنه عيسى يقينا وروى عن ابن عباس (٦١٩) رضي الله عنهما معناه وما

قتلوا ظنهم يقينا ،
(وكان الله عز ورا) متبعا
بالنقمة من اليهود (حكيا)
حكم باللعنة والغضب
عليهم فسلط عليهم
ينطويوس بن اسبسيانوس
الرومي فقتل منهم مقتلة
عظيمة قوله تعالى (وإن
من أهل الكتاب إلا
ليؤمنن به قبل موته)
أي وما من أهل الكتاب
إلا ليؤمنن بعيسى عليه
السلام هذا قول أكثر
المفسرين وأهل العلم
وقوله قبل موته اختلفوا
في هذه الكناية فقال عكرمة
ومجاهد والضحاك والسدي
أنها كناية عن الكتابي
ومعناه وما من أهل
الكتاب أحد إلا ليؤمنن
بعيسى عليه السلام قبل
موته إذا وقع في اليأس
حين لا ينفعه إيمانه سواء
احترق أو غرق أو تردى
في بئر أو سقط عليه جدار
أو أكله صبيح أو مات
فجأة وهذه رواية علي بن
طلحة عن ابن عباس رضي

إليهم فأنى الله شبه عيسى على ذلك الرجل فأخذ وقتل ورفع الله عز وجل عيسى إلى السماء
وفقدوا صاحبهم فقالوا إن كنا قتلنا المسيح فأين صاحبنا؟ وإن كنا قتلنا صاحبنا فأين المسيح
عيسى؟ فهذا هو اختلافهم فيه وقيل إن الذين اختلفوا فيه هم النصارى فبعضهم يقول إن القتل وقع
على ناسوت عيسى دون لاهوته وبعضهم يقول وقع القتل عليهما جميعا وبعضهم يقول رأياه
قتل وبعضهم يقول رأياه رفع إلى السماء فهذا هو اختلافهم فيه قال الله تعالى (ما لهم به من علم)
يعني أنهم قتلوا من قتلوا على شك منهم فيه ولم يعرفوا حقيقة ذلك المقتول هل هو عيسى أو غيره
(إلا اتباع الظن) يعني لكن يتبعون الظن في قتله ظنا منهم أنه عيسى لاعن علم وحقيقة (وما قتلوه
يقينا) قال ابن عباس يعني لم يقتلوا ظنهم يقينا فعلى هذا القول تكون الهاء في قتلوه عائدة على الظن
والمعنى ما قتلوا ذلك الظن يقينا ولم يزل ظنهم ولم يرتفع ما وقع لهم من الشبه في قتله فهو كقول
العرب قتله عداء وقلته يقينا يعني علمه علماً تاماً وأصل ذلك أن القتل للشيء يكون عن قهر واستيلاء
وغلبة ومعنى الآية على هذا لم يكن علمهم بقتل عيسى علماً تاماً كاملاً إنما كان ظنا منهم إنهم
قتلوه ولم يكن ذلك حقيقة وقيل إن الهاء في قتلوه عائدة على عيسى والمعنى وما قتلوا المسيح يقينا
كما ادعوا أنهم قتلوه وقيل إن قوله يقينا يرجع إلى ما بعده تقديره وما قتلوه (بل رقع الله إليه)
يقينا والمعنى أنهم لم يقتلوا عيسى ولم يصلوه ولكن الله عز وجل رفعه إليه وظهره من الذين كفروا
وخلصه ممن أرادوا بسوء وقد تقدم كيف كان رفعه في سورة آل عمران بما فيه كفاية . وقوله تعالى
(وكان الله عز ورا) يعني في اقتداره على من يشاء من عباده (حكيا) يعني في إنجاء عيسى عليه السلام
وتخليصه من اليهود وقيل عز ورا يعني متبعا منتقما من اليهود فسلط عليهم ينطويوس بن اسبسيانوس
الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة حكيا حكم باللعنة والغضب على اليهود حيث ادعوا هذه الدعوى
الكاذبة . قوله تعالى (وإن من أهل الكتاب) يعني وما من أحد من أهل الكتاب (إلا ليؤمنن به)
يعني بعيسى عليه السلام وأنه عبد الله ورسوله وروحه كلمته هذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين
وقال عكرمة في قوله إلا ليؤمنن به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لا وجه له لأنه لم
يجر للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الآية حتى يرجع الضمير إليه قول الأكثرين الأولى
لأنه تقدم ذكر عيسى عليه السلام فكان عود الضمير إليه أولى (قبل موته) اختلف المفسرون
في هذا الضمير إلى من يرجع فقال ابن عباس وأكثر المفسرين إن الضمير يرجع إلى الكتابي
والمعنى وما من أحد من أهل الكتاب إلا آمن بعيسى قبل موت ذلك الكتابي ولكن يكون ذلك
الإيمان عند الحشر حين لا ينفعه إيمانه قال ابن عباس معناه إذا وقع في اليأس حين لا ينفعه
إيمانه سواء احترق أو تردى من شاق أو سقط عليه جدار أو أكله صبيح أو مات فجأة فقتل له
أرأيت إن خر من فوق بيت قال يتكلم به في الهواء فتبيل له أرأيت إن ضربت عنقه قال يتلجلج

الله عنهم قال فتبيل لابن عباس رضي الله عنهما أرأيت إن من خر من فوق بيت قال يتكلم به في الهواء قال فتبيل أرأيت
إن ضربت عنق أحدكم قال يتلجلج به لسانه وذهب قوم إلى إن الهاء في موته كناية عن عيسى عليه السلام معناه وإن من
أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى عليه السلام وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد إلا آمن
به حتى تكون الملة واحدة ملة الإسلام وروينا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « بوشك أن ينزل

به لسانه وقال شهر بن حوشب إن اليهودي إذا حضره الموت ضربت الملائكة بأجنحتها وجهه
 ودبره وقالوا يا عدو الله أنك موسى نبياً فكذبت به فيقول آمنت إنه عبد الله ورسوله وتقول
 للنصراني أنك عيسى نبياً فرمت إنه الله وابن الله فيقول آمنت أنه عبد الله فأهل الكتابين يؤمنون
 به ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الإيمان وذهب جماعة من أهل التفسير إلى أن الضمير يرجع إلى
 عيسى عليه السلام وهو رواية عن ابن عباس أيضاً والمعنى وما من أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن
 بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان فلا يبق أحد من أهل الكتابين
 إلا آمن بعيسى حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام قال عطاء إذا نزل عيسى إلى الأرض
 لا يبق يهودي ولا نصراني ولا أحد يعبد غير الله إلا آمن بعيسى وأنه عبد الله وكلمته ويدل على صحة
 هذا القول ما روى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الذي نفسى بيده لا يؤمن
 أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال
 حتى لا يقبله أحد» زاد في رواية «وحتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها» ثم يقول
 أبو هريرة «اقرأ وإن شئتم وإن من أهل الكتاب إلا يؤمن به قبل موته» الآية وفي رواية قال: قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم «والله لينزل فيكم ابن مريم حكماً عادلاً فيكسر الصليب وليقتل الخنزير
 وليضع الجزية وليتركن القلاص فلا يسمى عليها وليذهب الشحاء والتباغض والثامد وليدعون
 إلى المال فلا يقبله أحد» أخرجه في الصحيحين. ففي هذا الحديث دليل على أن عيسى ينزل في آخر
 الزمان في هذه الأمة ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه لا ينزل نبياً برسالة مستقلة
 وشريعة ناصئة بل يكون حاكماً من حكام هذه الأمة وإماماً من أئمتهم لقوله صلى الله عليه
 وسلم فيكسر الصليب يعني يكسر حقيبة ويطلب ما تزعمه النصارى من تعظيمه وكذلك قتله
 الخنزير وقوله ويضع الجزية يعني لا يقبلها من يدها من اليهود والنصارى ولا يقبل من أحد إلا
 الإسلام أو القتل وعلى هذا قد يقال هذا خلاف ما هو حكم الشرع اليوم فإن الكتابي إذا بال
 الجزية وجب قبولها منه ولم يجز قتله ولا إجباره على الإسلام والجواب أن هذا الحكم ليس مستمر إلى
 يوم القيامة بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى عليه السلام وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم
 بنسخه وليس الناسخ هو عيسى عليه السلام بل الناسخ لهذا الحكم هو نبينا محمد صلى الله عليه
 وسلم لأنه هو المين للنسخ وأن عيسى عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فدل
 على أن الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله أعلم.
 قال الزجاج هذا القول بعيد يعني قول من قال إن أهل الكتاب يعيسى إنما يكون عند
 نزوله في آخر الزمان قال لعموم قوله تعالى «وإن من أهل الكتاب إلا يؤمن به» قال والذين
 يبقون يؤمنون يعني عند نزوله شرذمة قليلة منهم وأجاب أصحاب هذا القول يعني الذين يقولون
 إن إيمان أهل الكتاب بعيسى إنما يكون عند نزوله في آخر الزمان بأن هذا على العموم ولكن
 المراد بهذا العموم الذين يشاهدون ذلك الوقت ويدركون نزوله فيؤمنون به ويكون معنى الآية
 وما من أحد من أهل الكتاب أدرك ذلك الوقت إلا آمن بعيسى عند نزوله من السماء وصحح
 الطبري هذا القول وقال عكرمة في معنى الآية «إن من أهل الكتاب إلا يؤمن بمحمد صلى الله
 عليه وسلم قبل موت الكتابي فلا يموت يهودي ولا نصراني حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم
 وذلك عند الحشرجة حتى لا ينفعه إيمانه» وقوله تعالى «(يوم القيامة يكون عليهم شهيدا)» يعني

فيكم ابن مريم حكماً عادلاً
 يكسر الصليب ويقتل
 الخنزير ويضع الجزية
 ويفيض المال حتى لا يقبله
 أحد ويهلك في زمانه المثل
 كلها إلا الإسلام ويقتل
 الدجال فيبكت في الأرض
 أربعين سنة ثم يتوفى
 ويصلى عليه المسلمون ،
 وقال أبو هريرة أقرأوا
 «إن شئتم وإن من أهل
 الكتاب إلا يؤمن به»
 قبل موته قبل موت
 عيسى بن مريم ثم يعيدها
 أبو هريرة ثلاث مرات
 وروى عن عكرمة
 أن إماماً في قوله يؤمن
 به كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم
 يقول لا يموت كتابي حتى
 يؤمن بمحمد صلى الله
 عليه وسلم وقيل هي
 راجعة إلى الله عز وجل
 يقول وإن من أهل الكتاب
 إلا يؤمن بالله عز وجل
 قبل موته عند المعايمة
 حين لا ينفعه إيمانه قوله
 تعالى «(يوم القيامة يكون)
 يعني عيسى عليه السلام
 (عليهم شهيدا)» أنه قد
 بلغهم رسالة ربه وأقر
 بالعبودية على نفسه كما
 قال تعالى مخبراً عنه
 وكنت عليهم شهيدا
 ما دمت فيهم وكل نبي
 شاهد على أمته قال الله تعالى «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا»

يكون عيسى عليه السلام شاهدا على اليهود أنهم كذبوه وطلعتوا فيه وعلى النصارى أنهم اتخذوه
ربا وأشركوا به ويشهد على تصديق من صدقه منهم وآمن به قال قتادة معناه إذ لم يكون شهدنا
يوم القيامة إنه قد بلغ رسالة ربه وأقر على نفسه بالعبودية . قوله عز وجل (فَيُظَلِّمُ مِنَ الدِّينِ
هَادُوا) يعني فبسبب ظلم منهم (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) يعني ما حرمنا عليهم الطيبات
التي كانت حلالا لهم إلا بظلم عظيم ارتكبوه وذلك الظلم هو ما ذكره من نقضهم الميثاق وما
عدد عليهم من أنواع الكفر والكبائر العظيمة مثل قولهم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة وكتوبهم
أرنا الله جهرة وكبادتهم العجل فبسبب هذه الأمور حرم الله عليهم طيبات كانت حلالا لهم
وهي ما ذكره في سورة الأنعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية وقال الطبري
في معنى الآية فحرمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذي واتوا ربهم به وكفروا بآيات الله
وقتلوا أنبيائهم وقالوا البهتان على مريم وفعالوا ما وصفهم الله به في كتابه طيبات من المأكل وغيرها
التي كانت لهم حلالا عقوبة لهم بظلمهم الذي أخبر الله عنهم في كتابه وروى عن قتادة قال عوقب
القوم بظلم ظلوده وبغى بغوه وحرمت عليهم أشياء بيغيمهم وظلمهم ونقل الواحدى وابن الجوزى
عن مقاتل قال كان الله حرم على أهل التوراة أن يأكلوا الربا ونهاهم أن يأكلوا أموال الناس
ظلما فأكلوا الربا وأكلوا أموال الناس ظلما بالباطل وصدوا عن دين الله وعن الإيمان بحمد
صلى الله عليه وسلم فحرم الله عليهم عقوبة لهم ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي
ظفر الآية قال الواحدى فأما وجه تحريم الطيبات عليهم كيف ومتى كان وعلى لسان من حرم عليهم
فلم أجد فيه شيئا انتهى إليه فتركته ولقد أنصف الواحدى فيما قال فان هذه الآية في غاية الإشكال
ويبانه إن الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه وقد ذكر المفسرون في معنى الظلم المذكور
في الآية ما تقدم ذكره وكلها ذنوب في المستقبل . فان قلت علم الله تعالى وقوع هذه الذنوب منهم
قبل وقوعها أحرم عليهم ما حرم من الطيبات التي كانت لهم حلالا عقوبة لهم على ما سبق منهم
قات جوابه ما تقدم وهو أن الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه ولهذا لم يذكر الإمام فخر الدين
في تفسير هذه الآية ما ذكره المفسرون بل ذكر تفسيرها إجماليا فقال اعلم أن أنواع الذنوب
محصورة في نوعين: الظلم للخلق والإعراض عن الدين الحق، أما ظلم الخلق فإنه الإشارة بقوله
(وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد تبوا عنه) ثم إنهم مع ذلك في غاية الحرص
على طلب المال فتارة يحصلونه بطريق الربا مع أنهم قد تبوا عنه وتارة يحصلونه بطريق الرشا
وهو المراد بقوله (وأكلهم أموال الناس بالباطل) فهذه الأربعة هي الذنوب التي شدد عليها
بسببها في الدنيا والآخرة، أما التشديد في الدنيا فهو ما تقدم من تحريم الطيبات عليهم وأما التشديد
في الآخرة فهو المراد بقوله تعالى (وأعدنا للكافرين منهم عذابا أليما) قال المفسرون إنما
قال منهم لأن الله علم إن قوما منهم سيؤمنون فيؤمنون من العذاب . قوله تعالى (لكن الراسخون
في العلم منهم) يعني من اليهود وهذا استثناء استثنى الله عز وجل من آمن من أهل الكتاب ممن
تقدم وصفهم وصفهم في الآيات التي تقدمت فيبين فيما تقدم حال كفار اليهود والجهال منهم
وبين في هذه الآية حال من هداه لدينه منهم وأرشدته للعمل بما علم فقال لكن الراسخون في العلم
ولكن هنا بمعنى الامتدراك والاستثناء والراسخون في العلم الثابتون في العلم البالغون فيه أولوا
البصائر الثابتة والعقول الصافية وهم عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من أهل الكتاب

قوله عز وجل (فيظلم من
الذين هادوا) وهو ما تقدم
ذكره من نقضهم الميثاق
وكفروهم بآيات الله وبهتانهم
على مريم وقولهم إنا قلنا
المسيح (حرمنا عليهم
طيبات أحلت لهم) وهي
ما ذكر في سورة الأنعام
فقال وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذي ظفر وظلم
الآية فيظلم من الذين
هادوا وهو ما ذكرنا
(وبصدهم) وبصدهم
أنفسهم وغيرهم (عن
سبيل الله كثيرا) أى عن
دين الله صمدا كثيرا
(وأخذهم الربا وقد تبوا
عنه) في التوراة (وأكلهم
أموال الناس بالباطل)
من الرشا في الحكم والمأكل
التي يصيبونها من عوامهم
عاقبتهم بأن حرمنا عليهم
طيبات وكانوا أكلموا ارتكبا
كبيرة حرم عليهم شيء
من الطيبات التي كانت
حلالا لهم قال الله تعالى
وذلك جزيناهم بيغيمهم
والإصداقون (وأعدنا
للكافرين منهم عذابا
أليما) لكن الراسخون في
العلم منهم) يعني ليس كل
أهل الكتاب بهذه الصفة
لكن الراسخون المبالغون
في العلم منهم أولوا البصائر وأراد به الذين أسلموا من علماء

يعنى القرآن (وما أنزل من قبلك) يعنى سائر الكتب المنزلة (والمقيمين الصلاة) اختلفوا في وجه انتصاب فحكي عن عائشة رضى الله عنها وأبان بن عثمان أنه غلط من الكتاب ينفى أن يكتب والمقيمون الصلاة . وكذلك قوله في سورة المائدة « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابغون » وقوله « هذا لساحران » قالوا ذلك خطأ من الكتاب وقال عثمان إن في المصحف لنا ستيه العرب بالسنتها فقيل له ألا تغيره فقال دعوه فإنه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وعمامة الصحابة وأهل العلم على أنه صحيح واختلفوا فيه قيل هو نصب على المدح وقيل نصب على إضمار فعل تقديره أعنى المقيمون الصلاة وهم المؤتون الزكاة وقيل موضعه خفض واختلفوا في وجهه فقال بعضهم معناه لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة وقيل معناه يؤمنون بما أنزل إليك ولك المقيمون الصلاة ثم قوله (والمؤتون الزكاة)

لأنهم رخصوا في العلم وعرفوا حقيقته فأوصلهم ذلك إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والمؤمنون) يعنى بالله ورسوله (يؤمنون بما أنزل إليك) يعنى بالقرآن الذى أنزل إليك (وما أنزل من قبلك) يعنى ويؤمنون بسائر الكتب التى أنزلها الله على أنبيائه من قبلك يا محمد وفي المراد بالمؤمنين هاهنا قولان: أحدهما إنهم أهل الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون في العلم منهم وهم المؤمنون. والذول الثانى أنهم المهاجرون والأنصار من هذه الأمة فيكون قوله والمؤمنون ابتداء كلام مستأنف يؤمنون بما أنزل إليك يعنى أنهم يصدقون بالقرآن الذى أنزل إليك يا محمد وما أنزل من قبلك (والمقيمون الصلاة) اختلف العلماء في وجه نصبه فحكي عن عائشة وأبان ابن عثمان أنه غلط من الكتاب ينفى أن يكتب والمقيمون الصلاة وقال عثمان إن في المصحف لنا ستيه العرب بالسنتهم فقيل له أولا تغيره؟ فقال دعوه فإنه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وذبح عامة الصحابة وسائر العلماء من بعدهم إلى أنه لفظ صحيح ليس فيه من خطأ من كاتب ولا غيره وأجيب عما روى عن عثمان بن عفان وعن عائشة وأبان بن عثمان بأن هذا بعيد جدا لأن الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك فكيف يتركون في كتاب الله لنا يصلحه غيرهم فلا ينفى أن ينسب هذا إليهم قال ابن الأنبارى ما روى عن عثمان لا يصلح لأنه غير متصل ومحال أن يؤخر عثمان شيئا فنادا يصلحه غيره ولأن القرآن منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت المحن فيه؟ وقال الرنخشري في الكشاف ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوع لحن في خط المصحف وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب يعنى كتابا سيويه ولم يعرف مذاهب العرب وما هم في النصب على الاختصاص والمدح من الافتنان وهو باب واسع قد ذكره سيويه على أمثلة وشواهد وربما غي عليه أن السابقين الأولين كانوا أبعدهم في الغيرة على الإسلام وذبح الطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله عز وجل ثمة يسدها من بعدهم وخرقا برؤيه من يلحن بهم ثم اختلف العلماء في المقيمون الصلاة أهم الراسخون في العلم أم غيرهم؟ على قولين: أحدهما إنهم هم وإنما نصب على المدح والمعنى أذكر المقيمون الصلاة وهم المؤتون الزكاة قالوا والعرب تفعل ذلك في صفة الشيء الواحد ونعته وإذا تطاولت بمدح أو ذم فرمما خالفوا بين إعراب أوله وأوسطه أحيانا ثم رجعوا بآخره إلى إعراب أوله وربما أجروا إعراب آخره على إعراب أوسطه وربما أجروا ذلك على نوع واحد من الإعراب واستشهدوا على معنى الآية :

لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبون معاهد الأزر

وهذا على معنى أذكر النازلين وهم الطيبون ومن هذا المعنى تقول جاعني قومك الطاعمين وهم المعينون . والقول الثانى أن المقيمون الصلاة غير الراسخين في العلم وموضع المقيمون الصلاة خفض بالعطف على قوله تعالى بما أنزل إليك فعلى هذا القول يكون معنى الآية « والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك بالمقيمون الصلاة وهم الأنبياء لأنه لم يحل شرع أحد منهم عن إقامة الصلاة وقيل المراد بهم الملائكة لأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وصحح الزجاج القول الأول واختاره وصحح الطبرى القول الثانى واختاره . وقوله تعالى (والمؤتون الزكاة) عطف على المؤمنون لأنه من صفتهم (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى والمصدقون

رجوع إلى التسق الأول (والمؤمنون بالله واليوم الآخر)

أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما) قرأ حمزة سيؤتيهم بالياء والباقون بالنون قوله تعالى (إنا أوحينا إليك) هنا بناء على ما سبق من قوله «بذلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء» فلما ذكر الله عيوبهم وذنوبهم وغضبوا وجحدوا كل ما أنزل الله عز وجل، وقالوا «ما أنزل الله على بشر من شيء» فنزل «وما قدروا الله حق قدره» إذ قالوا «ما أنزل الله على بشر من شيء» وأنزل «إنا أوحينا إليك» (كما أوحينا إلى نوح والنبين من بعده) فذكر عدة (٦٢٣) من الرسل الذين أوحى إليهم، وبدأ

بوحداية الله تعالى وبالبعث بعد الموت وبالثواب وبالعقاب (أولئك) يعني من هذه الأوصاف صفته (سنؤتيهم أجرا عظيما) يعني سنعطيهم على ما كان منهم من طاعة الله واتباع أمره ثوابا عظيما وهو الجنة. قوله عز وجل (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبين من بعده) قال ابن عباس قال سكن وعدي بن زيد يا محمد ما تعلم إن الله أنزل على بشر من شيء من بعد موسى فأنزل الله هذه الآيات وقيل هو جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم كتابا من السماء جملة واحدة فأجاب الله عز وجل عن سؤالهم بهذه الآية فقال (إنا أوحينا إليك يا محمد كما أوحينا إلى نوح والنبين من بعده) والمعنى إنكم بأممعتشر اليهود تفكرون بشبهة نوح وبجميع الأنبياء المذكورين في هذه الآية وهم اثنا عشر نبيا والمعنى أن الله تعالى أوحى إلى هؤلاء الأنبياء وأنهم بأممعتشر اليهود معترفون بذلك وما أنزل الله على أحد من هؤلاء المذكورين كتابا جملة واحدة مثل ما أنزل على موسى فلما لم يكن عدم إنزال الكتاب جملة واحدة على أحد هؤلاء الأنبياء قادحا في نبوته فكذلك لم يكن إنزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قادحا في نبوته بل قد أنزل عليه كما أنزل عليهم قال المفسرون وإنما بدأ الله عز وجل بذكر نوح عليه السلام لأنه أول نبي بعث بشريعة وأول نذير على الشرك وأنزل الله عز وجل عليه عشر صحائف وكان أول من عذبت أمته لردم دعوته وأهلك أهل الأرض بدعائه وكان أبا البشر كما دم عليهما السلام وكان أطول الأنبياء عمرا عاش ألف سنة لم تنقص قوته ولم يشب ولم تنقص له سن وصبر على أذى قومه طول عمره ثم ذكر الله الأنبياء من بعده جملة بقوله تعالى «والنبين من بعده» ثم خص جماعة من الأنبياء بالذكر لشر فهم وفضلهم فقال (وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط) وهم أولاد يعقوب وكانوا اثني عشر (وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتيناد داود زبور) يعني وآتيناد داود كتابا مزبورا يعني مكيوبا وقيل الزبور بالفتح اسم الكتاب الذي أنزل على داود وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل كلها تسيب وتغيب وتمجيد وثناء على الله عز وجل ومواعظ وكان داود عليه السلام يخرج إلى البرية فيقوم ويقرأ الزبور وتقوم علماء بني إسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التي في الجبال فيقيم بين يديه وترقرق الطير على رموس الناس وهم يستمعون لقراءة داود ويتمجدون منها فلما قارف الذنب زال عنه ذلك وقيل له كان ذلك أسس الطاعة وهذا ذلك المعصية (ق) عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو رأيتي البارحة وأنا أستمع لقراءةك لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود» قال الحميدي زاد البرقاني قلت والله يا رسول الله لو علمت إنك تسمع لقراءتي لحبرت لك نجيرا، التحبير تحسين الصوت بالقراءة قال بعض العلماء إنما لم يذكر موسى في هذه

بذكر نوح عليه السلام لأنه كان أبا البشر مثل آدم عليه السلام قال الله تعالى «وجعلنا ذريته هم الباقين» ولأنه أول نبي من أنبياء الشريعة وأول نذير على الشرك، وأول من عذبت أمته لردم دعوته وأهلك أهل الأرض بدعائه وكان أطول الأنبياء عمرا وجعلت معجزته في نفسه لأنه عمر ألف سنة فلم تنقص له سن ولم تشب له شعرة ولم ينقص له قوة ولم يصبر على أذى قومه ما صبر هو على طول عمره قوله تعالى (وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط) وهم أولاد يعقوب (وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتيناد داود زبور) قرأ الأعمش وحمزة زبور والزبور بضم الزاي حيث كان بمعنى جمع زبور أي آتينا داود كتابا وصفا مزبورا أي مكتوبا وقروا الآخرون

بفتح الزاي وهو اسم الكتاب الذي أنزل الله تعالى على داود عليه السلام وكان فيه التحميد والتمجيد والثناء على الله عز وجل وكان داود يبرز إلى البرية فيقوم ويقرأ الزبور ويقوم معه علماء بني إسرائيل فيقومون خلفه ويقوم الناس خلف العلماء ويقوم الجن خلف الناس الأعظم فالأعظم والشياطين خلف الجن، وتجيء الدواب التي في الجبال فيقيم بين يديه تعجبا لما يسمعه منه والطير ترقرق على رموسهم فلما قارف الذنب لم يرد ذلك وتفروا من حوله فقيل له ذلك أسس الطاعة وهذه وحشة

الآية لأن الله أنزل عليه التوراة جملة واحدة وكان المقصود بذكر من ذكر من الأنبياء في الآية أنه لم ينزل على أحد منهم كتابا جملة واحدة فلهذا لم يذكر موسى عليه السلام . قوله تعالى (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل) لما نزلت هذه الآية المتقدمة قالت اليهود الملموس لم يذكر لآ أنزل الله هذه الآية وفيها ذكر موسى عليه السلام والمعنى وأوحينا إلى رسل قد قصصناهم عليك من قبل يعني سميناهم في القرآن وعرفناك أخبارهم وإلى من بعثوا وما ورد عليهم من قومهم (ورسلاهم نقصصهم عليك) أي لم نسمهم لك ولم نعرفك أخبارهم قال أهل المعاني الذين نوه الله بذكرهم من الأنبياء يدل على تفضيلهم على من لم يذكر ولم يسم . وقوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) يعني مخاطبه مخاطبة من غير واسطة لأن تأكيد كالم بالمصدر يدل على تحقيق الكلام وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك لأن أفعال الحجاز لا تؤكد بالمصادر فلا يقال أراد الخاطبة يسقط إرادة وهذا رد على من يقول إن الله خلق كلاما في محل فسمع موسى موسى ذلك الكلام وقال الفراء العرب تسمى كل ما يوصل إلى الإنسان كلاما بأي طريق وصل لكن لا تحققه بالمصدر وإذا حقق بالمصدر لم يكن إلا حقيقة الكلام فدل قوله تعالى تكليما على أن موسى قد سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة وروى الطبري بسنده من عدة طرق عن كعب الأخبار قال لما كلم الله موسى عليه السلام كلمه بالألسنة كلها قبل كلامه يعني كلام موسى بلسانه فجعل موسى يقول يارب لأفهم حتى كلمه بلسانه آخر الألسنة فقال يارب هكذا كلامك قال لو سمعت كلامي يعني على وجهه لم تك شيئا قال موسى يارب هل في خلقك شيء يشبه كلامك قال لا وأقرب خلقي شها بكلامي أشد ما سمع الناس من الصواعق قال بعض العلماء كإن الله تعالى خص موسى عليه السلام بالتكليم وشرفه به ولم يكن ذلك قادحا في نبوة غيره من الأنبياء فكذلك إنزال التوراة عليه جملة واحدة لم يكن قادحا في نبوة من أنزل عليه كتابه متفرقا من الأنبياء . قوله عز وجل (رسلا مبشرين ومنذرين) يعني إيا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والبيبين من بعده ومن أولئك النبيين أرسلت رسلا إلى خلقي مبشرين من أطاعني وأنبع أمري وصنقرسلى بالثواب الجزيل في الجنة ومنذرين من عصاني وخالف أمري وكذب رسلي بالعذاب الأليم في النار وقيل هو جواب عن سؤال اليهود إنزال الكتاب جملة واحدة والمعنى أن المقصود من بعثة الرسول هو إرشاد الخلق إلى معرفة الله وتوحيده والإيمان به والاشتغال بعبادته وإتذار من خالف ذلك وهذا المقصود يحصل بإنزال الكتاب جملة واحدة وبإنزاله نجوما متفرقة بل إنزاله متفرقا أولى وذلك أن النفوس قبل بعثة الرسل وإنزال الكتب عليهم لم تكن تعرف شيئا من العبادات ولم تألفها فاذا نزل الكتاب جملة واحدة وفيه جميع التكليفات حصل في بعض نفوس العباد نفور من تلك التكليفات وتنقل عليهم كما أخبر الله عن قوم موسى بقوله تعالى «وإذلقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذلوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه» فلم يقبلوا أحكام التوراة إلا بعد شدة فلهذا السبب كان إنزال القرآن نجوما متفرقة أولى . وقوله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) يعني بعد إرسال الرسل وإنزال الكتب والمعنى لئلا يحتج الناس على الله في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا ما أرسلت إلينا رسولا وما أنزلت علينا كتابا ففيه دليل على أنه لو لم يعث الرسل لكان للناس عليه حجة

ذكرنا أنا الحسن بن حماد بن سعيد الأموي عن طلحة ابن يحيى عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال قال لي رسول الله ﷺ لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك لقد أعطيت مزارا من مزارير آل داود فقال أما والله يا رسول الله لو علمت أنك تستمع لحبرته تعبيراً وكان عمر رضى الله عنه إذا رآه يقول ذكرنا يا أبو موسى فيقرأ عنده قوله تعالى (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل) أي وكما أوحينا إلى نوح وإلى الرسل رسلا نصب ينزع حرف الصفة وقيل معناه وقصصنا عليك رسلا وفي قراءة أبي ورسل قد قصصناهم عليك من قبل (ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما) قال الفراء العرب تسمى ما يوصل إلى الإنسان كلاما بأي طريق وصل ولكن لا تحققه بالمصدر فإذا حقق بالمصدر لم يكن إلا حقيقة الكلام كالإرادة يقال أراد فلان إرادة ويد حقيقة الإرادة يقال أراد الجدار ولا يقال أراد الجدار إرادة لأنه مجاز غير حقيقة قوله تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فيقولوا ما أرسلت إلينا رسولا وما أنزلت إلينا كتابا ، وفيه دليل على أن الله تعالى لا يعذب

في ترك

رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون

لناس على الله حجة بعد الرسل) فيقولوا ما أرسلت إلينا رسولا وما أنزلت إلينا كتابا ، وفيه دليل على أن الله تعالى لا يعذب

عبد الواحد المليح
 أنا أحمد بن عبد الله
 النعمي أنا محمد بن يوسف
 أنا محمد بن إسماعيل
 ثنا موسى بن إسماعيل
 أنا أبو عوافة أنا عبد الملك
 عن وراذ كاتب المغيرة
 قال قال سعد بن عبادة
 رضي الله عنه: أو رأيت
 رجلا مع امرأتي لضربته
 بالسيف غير مصفح فبلغ
 ذلك رسول الله ﷺ فقال
 «أتعجبون من غيرة سعد
 والله لأنا أغبر منه والله
 أغبر مني ومن أجل غيرة
 الله حرم الفواحش
 ما ظهر منها وما بطن ولا
 أحد أحب إليه العذر
 من الله ومن أجل ذلك
 بعث المنذرين والمبشرين
 ولا أحد أحب إليه
 المدحة من الله ومن أجل
 ذلك وعد الله الجنة قوله
 تعالى (لكن الله يشهد
 بما أنزل إليك) قال ابن
 عباس رضي الله عنهما وأن
 رؤساء مكة أتوا رسول
 الله ﷺ فقالوا يا محمد
 سألتنا عنك اليهود وعن
 صفتك في كتابهم فزعموا
 أنهم لا يعرفونك ودخل
 عليه جماعة من اليهود
 فقال لهم إني والله أعلم أنكم
 تعلمن أني رسول الله

في ترك التوحيد والطاعة وفي دليل على أن الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل كما قال تعالى
 وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه دليل بلذهب أهل السنة على أن معرفة الله تعالى لا تثبت
 إلا بالسمع لأن قوله ولولا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يدل على أن قبل بعثة الرسل
 تكون لهم الحجة في ترك الطاعات والعبادات . فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة
 قبل الرسل والخلق معجوبون بما نصب من الأدلة التي النظر فيها موصل إلى معرفته وواحدانيته
 كما قيل : وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
 قلت الرسل منبهون من رقاد الغفلة والجهالة ويبعثون الخلق إلى النظر في تلك الدلائل التي
 تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ويميّنون لما وهم وساطق بين الله تعالى وخلقه ويميّنون أحكام
 الله تعالى التي افترضها على عباده ومبشرون رسالته إليهم (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قال سعد
 بن عبادة لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال
 «أتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغبر منه والله أغبر مني ومن أجل ذلك بعث الله الفواحش
 ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين . وقوله
 شخص أحب إليه المدحة من الله ، ومن أجل ذلك وعد الجنة لفظ البخاري وفي لفظ مسلم ولا
 تعالى (وكان الله عزيزا) يعني في انتقامه ممن خالف أمره وعصى رسوله (حكيمًا) يعني في إرساله الرسل
 قوله تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل إليك) قال ابن عباس دخل على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم جماعة من اليهود فقال لهم إني والله أعلم أنكم تعلمن أني رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فأنزل
 الله هذه الآية وفي رواية عن ابن عباس أن رؤساء مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
 يا محمد إنا سألنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم فزعموا أنهم لا يعرفونك فأنزل الله عز وجل
 لكن الله يشهد بما أنزل إليك يعني إن جحدك هؤلاء اليهود يا محمد وكفروا بما أوحينا إليك وقالوا
 ما أنزل الله على بشر من شيء فقد كذبوا فيما ادعوا فان الله يشهد لك بالنبوة ويشهد بما أنزل إليك
 من كتابه ووحيه والمعنى أن اليهود وإن شهدوا أن القرآن لم ينزل عليك يا محمد لكن الله يشهد
 بأنه أنزل عليك وشهادة الله إنما عرفت بسبب أنه أنزل هذا القرآن البالغ في الفصاحة والبلاغة إلى
 حيث عجز الأولون والآخرون عن معارضته والإيمان بمثله فكان ذلك معجزا وإظهار المعجزة
 شهادة يكون المدعي صادقا لا يجرم قال الله تعالى لكن الله يشهد لك يا محمد بالنبوة بواسطة هذا
 القرآن الذي أنزله عليك (أنزله يعلمه) يعني أنه تعالى لما قال لكن الله يشهد بما أنزل إليك بين
 صفة ذلك الإنزال وهو أنه تعالى أنزله يعلم تام وحكمة بالغة وقيل معناه أنزله وهو عالم بأنك أهل
 لإنزاله عليك وأنت مياقه إلى عباده وقيل معناه أنزله بما علم من مصالح عباده في إنزاله عليك
 (والملائكة يشهدون) يعني يشهدون بأن الله أنزله عليك ويشهدون بتصديقك وإنما عرفت شهادة
 الملائكة لأن الله تعالى إذا شهد بشيء شهدته الملائكة بذلك الشيء عوقد ثبوت أن الله يشهد بأنه أنزله
 يعلمه فلذلك الملائكة يشهدون بذلك (وكنت بالله شهيدا) يعني وحسبك يا محمد أن الله يشهدك
 وكنت بالله شهيدا وإن لم يشهد مع أحد غيره ففيه تسلية للنبي ﷺ عن شهادة أهل الكتاب له فان
 الله يشهد له وملائكته كذلك . قوله عز وجل (إن الذين كفروا) يعني جحدوا نبوة محمد صلى
 الله عليه وسلم وهم اليهود (وصلوا عن سبيل الله) يعني منعوا غيرهم عن الإيمان به بكتبان صفة

صلى الله عليه وسلم (قد ضلوا ضلالا بعيدا إن الذين كفروا وظلوا) قيل إنما قال وظلوا اتبع ظلمهم بكفرهم تأكيداً وقيل معناه كفروا بالله وظلموا محمداً ^{عليه السلام} بكتمان نعته (٦٢٦) (لم يكن لئلا يغفر لهم ولا يهديهم طريقاً) يعني دين الإسلام (الإلحاح)

جهنم) يعني اليهودية (بخالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يسيراً) وهذا في حق من سبق حكمه فيهم أنهم لا يؤمنون (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم) تقديره فآمنوا بكن الإيمان خيراً لكم (وإن تكفروا فإن الله مافى السوات والأرض وكان الله عابياً حكياً يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) نزلت في النصارى وهم أصناف أربعة: اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقسية فقالت اليعقوبية عيسى هو الله وكذلك الملكانية وقالت النسطورية عيسى هو ابن الله والت المرقسية ثالث ثلاثة فانزل الله تعالى هذه الآية ويقال الملكانية يقولون عيسى هو الله واليعقوبية يقولون بن الله والنسطورية يقولون ثلث ثلاثة علمهم رجل من اليهود يقال له بولص من اليهودية إن شاء الله تعالى وقيل يحتمل أن يكون المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى جميعاً فانهم غلوا في أمر عيسى عليه السلام. فأما اليهود فانهم بالغوا في التقصير في أمره حتى حطوه عن منزلته حيث جعلوه مولوداً غير رشدة وغلّت النصارى في رفع عيسى عن منزلته ومقداره حيث جعلوه إلهاً فقال الله تعالى ردا عليهم جميعاً يا أهل الكتاب (لا تغلوا في دينكم) وأصل الغلو مجاوزة الحد وهو في الدين حرام والمعنى لا تنرطوا في أمر عيسى ولا تحطوه عن منزلته ولا ترفعوه فوق قبره ومنزلته (ولا تقولوا على الله إلا الحق) يعني لا تقولوا إن له شريكاً وولداً وقيل معناه لا تصفوه

والقاء الشبهات في قلوب الناس وهو قولهم لو كان محمداً رسولاً لأتى بكتاب من السماء جملة واحدة كما أتى موسى بالتوراة (قد ضلوا ضلالاً بعيداً) يعني عن طريق الهدى (إن الذين كفروا وظلموا) يعني كفروا بالله وظلموا محمداً صلى الله عليه وسلم بكتمان صفته وظلموا غيرهم بالقاء الشبهة في قلوبهم (لم يكن الله ليغفر لهم) يعني لمن علم منهم أنهم يموتون على الكفر وقيل معناه لم يكن الله ليسر عليهم قبائح أفعالهم بل يفضحهم في الدنيا ويعاقبهم عليها بالقتل والسبي والجلد في الآخرة بالنار وهو قوله تعالى (ولا يهديهم طريقاً) يعني ينجون فيه من النار وقيل ولا يهديهم طريقاً إلى الإسلام لأنه قد سبق في علمه أنهم لا يؤمنون (الإلحاح) يعني لكنه تعالى يهديهم إلى طريق يؤدي إلى جهنم وهي اليهودية لما سبق في علمه أنهم أهل لذلك (خالدين فيها) يعني في جهنم (أبداً) وكان ذلك على الله يسيراً) يعني هيناً. قوله عز وجل (يا أيها الناس) هذا خطاب عام يدخل فيه جميع الكفار من اليهود والنصارى وعبادة الأصنام وغيرهم وقيل هو خطاب لمشركي العرب (قد جاءكم الرسول) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم (بالحق) يعني بدين الإسلام الذي أرقضاه الله لعباده وقيل جاء بالقرآن الذي هو الحق (من ربكم) يعني من عند ربكم (فآمنوا خيراً لكم) يعني فآمنوا بما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم بكن الإيمان بذلك خيراً لكم يعني من الكفر الذي أنتم عليه (وإن تكفروا) يعني وأن تجحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذبوا بما جاءكم من الحق من ربكم (فإن لله مافى السوات والأرض) يعني فإن الله هو الغنى عن إيمانكم لأن له مافى السموات والأرض ملكاً وعبداً ومن كان كذلك لم يكن محتاجاً إلى شيء وأنه قادر على من يشاء (وكان الله عابياً) يعني بما يكون منكم. لا تخفى عليه شيء من أعمال عباده فيجزى كل عامل بعمله (حكياً) يعني في تكليفكم مع علمه بما يكون منكم. قوله عز وجل (يا أهل الكتاب) نزلت هذه الآية في النصارى وذلك أن الله تعالى لما أجاب عن شبه اليهود فبدأ بتقديم من الآية اتبع ذلك بإبطال ما تعتقده النصارى وأصناف النصارى أربعة: اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقسية، فأما اليعقوبية والملكانية فقالوا في عيسى أنه الله وقالت النسطورية إنه ابن الله وقالت المرقسية ثالث ثلاثة وقيل إنهم يقولون إن عيسى جوهز واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وأنهم يريدون بأقنوم الأب الذات وأقنوم الابن عيسى وأقنوم روح القدس الحياة الحاملة فيه فتقديره عندهم الإله ثلاثة، وقيل إنهم يقولون في عيسى ناسوتية وألوهية فناسوتيته من قبل الأم وألوهيته من قبل الأب تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً يقال إن الذي أظهر هذا للنصارى رجل من اليهود يقال له بولص تنصر ودس هذا في دين النصارى ليضلهم بذلك وستأق قصته في سورة التوبة إن شاء الله تعالى وقيل يحتمل أن يكون المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى جميعاً فانهم غلوا في أمر عيسى عليه السلام. فأما اليهود فانهم بالغوا في التقصير في أمره حتى حطوه عن منزلته حيث جعلوه مولوداً غير رشدة وغلّت النصارى في رفع عيسى عن منزلته ومقداره حيث جعلوه إلهاً فقال الله تعالى ردا عليهم جميعاً يا أهل الكتاب (لا تغلوا في دينكم) وأصل الغلو مجاوزة الحد وهو في الدين حرام والمعنى لا تنرطوا في أمر عيسى ولا تحطوه عن منزلته ولا ترفعوه فوق قبره ومنزلته (ولا تقولوا على الله إلا الحق) يعني لا تقولوا إن له شريكاً وولداً وقيل معناه لا تصفوه

ي يجوز أن تكون نزلت في اليهود والنصارى فانهم

بالحلول

جميعاً غلوا في أمر عيسى فاليهود بالتقصير والنصارى مجاوزة الحد وأصل الغلو مجاوزة الحد وهو في الدين حرام قال الله تعالى (لا تغلوا في دينكم) لأنه ادوا في دينكم فتغفروا على الله الكذب (ولا تقولوا على الله إلا الحق) لا تقولوا إن له شريكاً وولداً

(إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكله ته) وهي قوله «كن فكان بشرا من غير أب وقيل غيره» (ألقاها إلى مريم) أي أعلمها وأخبرها بها كما يقال ألقيت إليك كلمة حسنة (وروح منه) قيل هو روح كسائر الأرواح ، إلا أن الله تعالى أضافه إلى نفسه تشريفا وقيل الروح هو النفخ الذي نفخه جبريل عليه السلام في درع مريم فحملته باذن الله تعالى سمى النفخ روحا لأنه ربح يخرج من الروح وأضافه إلى نفسه لأنه كان بأمره وقيل روح منه أي ورحمة (٣٢٧) فكان عيسى عليه السلام

بالحلول والاتحاد في بدن الإنسان وترها الله تعالى عن ذلك ، ولما منعهم الله من الغلو في دينهم أرشدهم إلى طريق الحق في أمر عيسى عليه السلام فقال تعالى (إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله) يقول إنما المسيح هو عيسى بن مريم ليس له نسب غير هذا وأنه رسول الله فمن زعم غير هذا فقد كفر وأشرك (وكلمته) هي قوله تعالى كن فكان بشرا من غير أب ولا واسطة (ألقاها إلى مريم) يعني أوصلها إلى مريم (وروح منه) يعني أنه كسائر الأرواح التي خلقها الله تعالى وإنما أضافه إلى نفسه على سبيل التشريف والتكريم كما يقال بيت الله وناقة الله وهذه نعمة من الله يعني أنه تفضل بها وقيل الروح هو الذي نفخ فيه جبريل في جيب درع مريم فحملت باذن الله . وإنما أضافه إلى نفسه بقوله منه لأنه وجد بأمر الله قال بعض المفسرين إن الله تعالى لما خلق أرواح البشر جعلها في صلب آدم عليه السلام وأمسك عنده روح عيسى عليه السلام فلما أراد الله أن يخلقها أرسل بروحه مع جبريل إلى مريم فنفخ في جيب درعها فحملت بعيسى عليه السلام وقيل إن الروح والريح متقاربان في كلام العرب فالروح عبارة عن نفخ جبريل عليه السلام وقول منته يعني إن ذلك النفخ كان بأمره وإذنه وقيل أدخل النكرة في قوله وروح على سبيل التعظيم والمعنى روح وأي روح من الأرواح القدسية العالية المطهرة وقوله منه إضافته تلك الروح إلى نفسه لأجل التشريف والتكريم (ق) عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» . وقوله تعالى (فآمنوا بالله ورسوله) يعني فصدقوا بأهل الكتاب بوحدانية الله وأنه لا ولد له وصدقوا رسوله فيما جاءكم به من عند الله وصدقوا بأن عيسى عليه السلام من رسل الله فآمنوا به ولا يجعلوه إله وقوله تعالى (ولا تقولوا ثلاثة) يعني ولا تقولوا الآلهة ثلاثة وذلك أن النصارى يقولون أب وابن وروح القدس وقيل إنهم يقولون إن الله بالجواهر ثلاثة أقانيم وذلك أنهم أثبتوا ذاتا موصوفة بصفات ثلاثة بدليل أنهم يجوزون على تلك الذات الحلول في عيسى وفي مريم فأثبتوا ذاتا متعددة ثلاثة وهذا هو محض الكفر . فلهذا قال الله تعالى ولا تقولوا ثلاثة (انتهاوا خيرا لكم) يعني يكون الانتهاء عن هذا القول خيرا لكم من القول بالتثليث ثم نزه الله تعالى نفسه عن قول النصارى بالتثليث فقال تعالى (إنما الله إله واحد) ثم نزه نفسه عن الولد فقال (سبحانه أن يكون له ولد) يعني لا ينبغي أن يكون له ولد لأن الولد جزء من الأب وتعالى الله عن التجزئة ، وعن صفات الخلدوث (له مافي السموات ومافي الأرض) يعني أنه تعالى له ملك السموات والأرض وما فيهما عبيده وملكه وعيسى ومريم من جملة من فيهما فهما عبيده وملكه فإذا كانا عبيدين له فكيف يعقل مع هذا أن له ولدا أو زوجة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ؟ وهذا بيان لتثريبه مما نسب إليه

رحمة لمن تبعه وأمن به وقيل الروح الوحي أوحى إلى مريم بالبشارة وإلى جبريل عاياه السلام إن كن فكان ، كما قال الله تعالى « ينزل الملائكة بالروح من أمره » يعني بالوحي وقيل أراد بالروح جبريل عليه السلام معناه كلمته ألقاها إلى مريم وألقاها أيضا ، روح منه بأمره وهو جبريل عليه السلام كما قال تنزل الملائكة والروح يعني جبريل فيها وقال فأرسلنا إليها روحنا يعني جبريل أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أنا صدقة بن الفضل ، أنا الوليد بن الأوزاعي حدثنا عمرو بن هاني حدثني جنادة بن أمية عن عبادة قرظي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من شهد

لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الجنة على ما كان من العمل» (فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة) أي ولا تقولوا لهم بثلاثة وكانت النصارى : تقول أب وابن وروح القدس (انتهاوا خيرا لكم) تقدره انتهاوا يكن الانتهاء خيرا لكم (إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد) واعلم أن التثني لا يجوز لله تعالى لأن التثني إنما يجوز لمن تصوره له ولد) له مافي السموات ومافي الأرض

وكنى بالله وكيلا) قوله تعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله) وذلك أن وفد نجران قالوا يا محمد إنك تعيب صاحبنا فتقول إنه عبد الله ورسوله (٦٢٨) فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنه ليس بعار لعيسى عليه السلام أن يكون عبداً لله فنزل لن يستنكف

عبد الله فنزل لن يستنكف

المسيح لن يأنف ولن

يتعظم والاستنكاف

التكبر مع الأنفة (ولا

الملائكة المقربون) وهم

حملة العرش لا يأنفون

أن يكونوا عبيد الله

ويستدل بهذه الآية من

يقول بتفضيل الملائكة

عن البشر لأن الله تعالى

ارتقى من عيسى إلى

الملائكة ولا يرتقى إلا

إلى الأعلى لا يقال

لا يستنكف فلان من كذا

ولا عبده إنما يقال فلان

لا يستنكف من هذا

ولا مولاه ولا حجة لهم

فيه لأنه لم يقل ذلك رفعا

لمقامهم على مقام البشر

بل ردا على الذين يقولون

الملائكة آفة كما رد على

النصارى قولهم المسيح

ابن الله وقال ردا على

النصارى بزعمهم فأنهم

يقولون بتفضيل الملائكة

قوله تعالى (ومن يستنكف

عن عبادته ويستكبر

فسيحشرهم إليه جميعاً)

قبل الاستنكاف هو

التكبر مع الأنفة

والاستكبار هو العلو

والتكبر من غير أنفة

(فأما الذين آمنوا وعملوا

الصالحات فيوفيهم أجورهم

من الولد والمعنى أن جميع ما في السموات والأرض خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزء

منه؟ لأن التجزئة إنما تصح في الأجسام والله تعالى منزّه عن صفات الأعراض والأجسام (وكنى

بالله وكيلا) يعني أنه تعالى كاف في تدبير جميع خلقه فلا حاجة له إلى غيره وكل الخلق محتاجون

إليه وفقراء إليه وهو غني عنهم . وقوله تعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله) وذلك

أن وفد نجران قالوا يا محمد إنك تعيب صاحبنا فتقول إنه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم

إنه ليس بعار على عيسى أن يكون عبد الله فنزل لن يستنكف المسيح يعني لن يأنف ولن يتعظم

والاستنكاف الاستكبار مع الأنفة يقال نكفت من كذا واستنكفت منه أي أنفت منه وأصله

من نكفت الشيء نخيته ونكفت الدمع إذا نخيته بأصبعك من خدك والمعنى لن يتنقبض ولن

يمتنع ولن يأنف المسيح أن يكون عبد الله (ولا الملائكة المقربون) يعني ولن يستنكف الملائكة

المقربون وهم حملة العرش والكرويون وأفاضل الملائكة مثل: جبريل وميكائيل وإسرافيل

وعزرائيل أن يكونوا عبيد الله لأنهم في ملكه ومن جملة خلقه وقيل لما ادعت النصارى في عيسى

أنه ابن الله وذلك لما رأوا منه خوارق العادات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير

ذلك من المعجزات أجاب الله تعالى عن هذه الشبهات التي وقعت للنصارى بأن عيسى من شرف

قدره وكرامته لن يستنكف أن يكون عبداً لله وكذلك الملائكة المقربون فأنهم مع كرامتهم وعلو

منزلتهم لن يستنكفوا أن يكونوا عبيد الله وقد يستدل بهذه الآية من يقول بتفضيل الملائكة

على البشر ووجه الدليل أن الله تعالى ارتقى من عيسى إلى الملائكة ولا يرتقى إلا من الأدنى إلى الأعلى

ولا حجة لهم فيه والجواب عنه أن الله تعالى لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل ردا

على من يقول إن الملائكة بنات الله أو أنهم آفة كما رد على النصارى قولهم إن المسيح ابن الله

وقاله أيضا ردا على النصارى فأنهم يقولون بتفضيل الملائكة يعني كما أن المسيح عبد الله فكذلك

الملائكة عبيد الله . وقوله تعالى (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) يعني ومن يتعظم عن

عبادة الله ويأنف من التذلل لله والخضوع والطاعات من جميع خلقه (فسيحشرهم إليه جميعاً)

يعني فسيبعثهم يوم القيامة لموعدهم الذي وعدهم حيث لا يملكون لأنفسهم شيئا (فأما الذين آمنوا

وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم) يعني يوفيهم جزاء أعمالهم الصالحة (ويزيدهم من فضله) يعني

ويزيدهم على ما أعطاهم من الثواب على أعمالهم الصالحة من التضعيف على ذلك ما لا عين رأت

ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وأما الذين استكفوا واستكبروا) يعني الذين أنفقوا

وتكبروا عن عبادة الله تعالى (فيعذبهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله) يعني من سوى الله

لأنفسهم (ولياً) يعني ينجيهم من عذابه (ولا نصيراً) يعني ولا فاصراً ينصرهم منه ، ويدفع عنهم

عقوبته بقى في الآية سؤال وهو أن التفصيل غير مطابق للمفصل لأن التفصيل اشتمل على ذكر

فريقين : وهو قوله (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فيوفيهم أجورهم وأما الذين استكفوا

واستكبروا) والمفصل اشتمل على ذكر فريق واحد وهو قوله (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر)

والجواب أنه لا إشكال فيه فهو مثل قولك جمع الإمام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساء وحمله

ومن خرج عليه نكل به ، وصحة ذلك لوجهين : أحدهما أنه حذف ذكر أحد الفريقين للدلالة

على أن قوله (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) هو الذي استكفوا واستكبروا) قوله عز وجل

ويزيدهم من فضله) من تضعيف ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وأما الذين

استكفوا واستكبروا) عن عبادته (فيعذبهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً) قوله عز وجل

التفصيل عليه لأن ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني، والوجه الثاني أن الإحسان إلى غيرهم مما يفهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قال ومن يستكف عن عبادته ويستكبر فيعذبهم بالحسرة والغم إذا رأوا أجور المطيعين العاملين لله تعالى. قوله عز وجل (يا أيها الناس) خطاب للكافة (قد جاءكم برهان من ربكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به من البينات من ربه عز وجل وإنما سماه برهانا لما معه من المعجزات الباهرات التي تشهد بصدقه ولأن البرهان دليل على إقامة الحق وإبطال الباطل والنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك ولأنه تعالى جعله حجة قاطعة قطع به عن جميع الخلاق (وأزانا إليكم نورا مبينا) يعني القرآن وإنما سماه نورا لأن به تبين الأحكام كما تبين الأشياء بالنور بعد الظلام ولأنه سبب وقوع نور الإيمان في القلب فسماه نورا لهذا المعنى (فأما الذين آمنوا بالله) يعني صدقوا بواحدانية الله وما أرسل من رسول وأنزل من كتاب (واعتصموا به) يعني بالله في أن يثبتهم على الإيمان ويصونهم عن زيغ الشيطان، وقيل في معنى واعتصموا به أي وتمسكوا بالتور وهو القرآن الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فسيدخلهم في رحمة منه) يعني فسيدخلهم في رحمته التي ينجيهم بها من ألم عذابه قال ابن عباس الرحمة الجنة (وفضل) يعني ما يفضل به عليهم بعد إدخالهم الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ويهديهم إليه صراطا مستقيما) يعني ويوفقهم لإصابة فضله الذي تفضل به عليهم ويسددهم لسلوك منجى من أنعم عليه من أهل طاعته وبرشددهم لدينه الذي ارتضاه لعباده وهو دين الإسلام. قوله تعالى (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) نزلت في جابر بن عبد الله الأنصاري (ق) عن جابر ابن عبد الله قال مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يعوداني ماشيين فأغشى على فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب على من وضوئه فأفقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف أصنع في مالي؟ كيف أقضي في مالي؟ فلم يرد علي شيئا حتى نزلت آية الميراث (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) وفي رواية فقلت يا رسول الله إنما يرثني كلالة فنزلت آية الميراث قال شعبة فقلت لحمد بن المنكدر يستفتونك (قل الله يفتيكم في الكلالة) قال هكذا نزلت وفي رواية للترمذي وكان لي تسع أخوات حتى نزلت آية الميراث (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) ولأبي داود قال اشتكيت وعندى سبع أخوات فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنضح في وجهي فأفقت فقلت يا رسول الله ألا أوصي لأخواني بالثلثين؟ قال أحسن قلت بالشرط؟ قال أحسن ثم خرج وتركني فقال يا جابر لأرأك ميتا من جعل هذا وإن الله قد أنزل فيمن الذي لأخوانك فجعل لمن الثلثين قال فكان جابر يقول أنزلت هذه الآية في (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) وروى الطبري عن قتادة أن الصحابة أهمهم شأن الكلالة فسألوا عنها نبي الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وروى عن ابن سيرين قال نزلت (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) والنبي صلى الله عليه وسلم في سير له وإلى جنبه حذيفة بن اليمان قبلها النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة وبلغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه فلما استخلف عمر سأل حذيفة عنها ورجا أن يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة والله لأنك لعاجز إن ظننت إن إمارتك تحملني أن أحدثك فيها ما لم أحدثك يومئذ فقال عمر لم أرد هذا رحمك الله. وأما التفسير فقوله تعالى يستفتونك يعني يسألونك ويستخبرونك عن معنى الكلالة يا محمد قل الله يفتيكم في الكلالة يعني أن الله هو بخبركم عما سألكم عنه من أمر

(يا أيها الناس) قد جاءكم برهان من ربكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم هذا قول أكثر المفسرين وقيل هو القرآن والبرهان والحجة (وأزانا إليكم نورا مبينا) يعني القرآن (فأما الذين آمنوا بالله) واعتصموا به (يعني بالله) واعتصموا به من زيغ الشيطان (فسيدخلهم في رحمة منه) يعني (وفضل) يعني الجنة (ويهديهم إليه صراطا مستقيما) قوله تعالى (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) نزلت في جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريض لا أعقل، وتوضأ وصب على من وضوئه فقلت فقلت يا رسول الله قلن الميراث؟ إنما يرثني كلالة فنزلت (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) وقد ذكر معنى الكلالة وحكم الآية في أول السورة وفي هذه الآية بيان حكم ميراث الأخوة للأب والأم وللأب قوله يستفتونك أي يستخبرونك ويسألونك

قل الله يفتيكم في الكلالاة (إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها) يعني إذا ماتت الأخت فجميع ميراثها للأخ (إن لم يكن لها ولد) فإن كان لها ابن فلا شيء للأخ وإن كان ولدها أنثى فلا شيء للأخ ما فضل عن فرض البنات (فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) (٦٣٠) أراد اثنتين فصاعدا وهو إن من مات وله أخوات فلهن الثلثان

(وإن كانوا أخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين) (بين الله لكم أن تضلوا) قال الفراء رحمه الله عليه وأبو عبيدة معناه أن لا تضلوا وقيل معناه يبين الله لكم كراهة أن تضلوا (والله بكل شيء عليم) أنجبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن رجاء أنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء بن رباح عن أبي هريرة قال ، آخر سورة نزلت كاملة براءة وآخر آية نزلت خاتمة سورة النساء يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالاة، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن آخر آية نزلت آية الربا وآخر سورة نزلت إذا جاء نصر الله والفتح وروى عنه أن آخر آية نزلت قوله تعالى «واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله» وروى بعد ما نزلت سورة النصر عاش النبي صلى الله عليه وسلم عاما ، ونزلت بعدها سورة براءة

الكلالة وقد تقدم في أول السورة الكلام على معنى الكلالاة من حيث الاشتقاق وغيره وأن اسم الكلالاة يقع على الوارث وعلى الموروث فإن وقع على الوارث فهم من سوى الوالد والولد وإن وقع على الموروث فهو من مات ولا يرثه أحد الأبوين ولا أحد الأولاد . قوله تعالى (إن امرؤ هلك) يعني مات سمي الموت هلاكا لأنه إعدام في الحقيقة (ليس له ولد) يعني ولا والد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ويدل على المحذوف أن السؤال في الفتيا إنما كان في الكلالاة وقد تقدم أن الكلالاة من ليس له ولد ولا والد (وله أخت) يعني ولذلك الهالك أخت وأراد بالأخت من أبيه وأمه أو من أبيه (فلها نصف ما ترك) يعني فلأخت الميت نصف تركته وهو فرضها إذا انفردت وباقى المال لبيت المال إذا لم يكن للميت عصبية وهذا مذهب زيد بن ثابت وبه قال الشافعي وعند أبي حنيفة وأهل العراق برد الباقي عليها فإذا كان للميت بنت أخذت النصف بالفرض وتأخذ الأخت النصف الباقي بالتعصيب لا بالفرض لأن الأخوات مع البنات عصبية . وقوله تعالى (وهو يرثها إن لم يكن له ولد) يعني أن الأخت إذا ماتت وترك أختا من الأب والأم أو من الأب فإنه يستغرق جميع ميراث الأخت إذا انفرد ولم يكن للأخت ولد وهذا أصل في جميع العصبيات واستغرقهم جميع المال ، فأما الأخ من الأم فإنه صاحب فرض لا يستغرق جميع المال وقد تقدم بيانه (فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) أراد بنتين فصاعدا وهو أن من مات وترك أختين أو أخوات فلهن الثلثان مما ترك الميت (وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين) يعني وإن كان المتركون من الإخوة رجالا ونساء فللذكر منهم نصيب اثنين من إخوة الإناث (بين الله لكم أن تضلوا) يعني يبين الله لكم هذه الفرائض والأحكام لئلا تضلوا وقيل معناه كراهية أن تضلوا وقيل بين الله الضلالة لتجنبوها (والله بكل شيء عليم) يعني من مصالح عباده التي حكم بها من قسمة الموارث وبيان الأحكام وغير ذلك لأن عامه محيط بكل شيء (ق) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال إن آخر سورة نزلت آية التوبة وإن آخر آية نزلت آية الكلالاة وفي رواية لمسلم قال آخر آية نزلت يستفتونك وروى عن ابن عباس أن آخر آية نزلت آية الربا وآخر سورة نزلت إذا جاء نصر الله والفتح وروى عنه أن آخر آية نزلت «واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله» وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزول سورة النصر سنة ونزلت بعدها سورة براءة وهي آخر سورة نزلت كاملة فعاش بعدها ستة أشهر هكذا ذكره البيهقي وفيه نظر لأنه قد ثبت في الصحيحين من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث في الحججة التي أمره عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر ألا يبيع بعد العام

مشرك

وهي آخر سورة نزلت كاملة فعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها ستة أشهر ثم نزلت في طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالاة، فسببت آية التعصيب ثم نزلت وهو واقف بعرفة واليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي وبعث

شرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم أردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب
 فأمره أن يؤذن ببراءة قال أبو هريرة فأذن معنا في أهل منى ببراءة ألا لا ينجح
 بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكانت حجة أبي بكر هذه
 سنة تسع قبل حجة الوداع بسنة قال البهوي ثم نزلت في طريق
 حجة الوداع وبستمونك قل الله بفتنكم في الكلاله فسميت
 آية الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم أكملت
 لكم دينكم فعاش بعدها أحدًا وثمانين يوما ثم نزلت
 آية الرأثم نزلت «واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله»
 عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها أحدًا
 وعشرين يوما وهذا آخر تفسير سورة
 النساء والله أعلم بمراده
 وأسرار كتابه

بعدها أحدًا وثمانين يوما
 ثم نزلت آيات الربا
 ثم نزلت «واتقوا يوما
 ترجعون فيه إلى الله»
 فعاش بعدها أحدًا
 وعشرين يوما.

تم الجزء الأول من تفسير الخازن
 ويليه الجزء الثاني
 وأوله : تفسير سورة المائدة

فهرست الجزء الأول

من تفسير القرآن العظيم للإمام علي بن محمد المعروف بالخازن

	صفحة
مقدمة الكتاب وهي تتضمن ثلاثة فصول	٢
الفصل الأول في فضل القرآن وتلاوته وتعليمه	٤
الفصل الثاني في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم، ووعيد من أوفى القرآن فنيه ولم يتعهده	٦
الفصل الثالث في جمع القرآن وترتيب نزوله وفي كونه نزل على سبعة أحرف	٧
فصل في معنى التفسير والتأويل	١٤
القول في الاستعاذة	١٤
(تفسير سورة الفاتحة)	١٥
فصل في ذكر فضلها	١٦
فصل في حكم البسملة وفيه مستلثان	١٨
فصل في آمين وحكم الفاتحة وفيه مستلثان	٢٤
(تفسير سورة البقرة)	٢٥
فصل في فضلها	٢٥
فصل في ماهية الملائكة وقصة خلق آدم عليه السلام	٤٥
ذكر سياق قصة فرق البحر بيني لإسرائيل	٥٧
ذكر القصة في ميعاد موسى عليه السلام وذهابه للمناجاة	٥٩
ذكر الإشارة إلى قصة أهل السيت	٦٨
ذكر الإشارة إلى قصة ذبح البقرة	٧٠
فصل في حكم القتل إذا وجد في موضع ولم يعرف قاتله	٧٣
فصل في القول بعصمة الملائكة	٩٠
فصل في حكم النسخ	٩٣
فصل في ذكر أحاديث وردت في ثواب أهل البلاء وأجر الصابرين	١٢٩
فصل في اختلاف العلماء في حكم السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة	١٣٢
فصل فيما يتعلق بهذه الآية من الحكم، أي قوله تعالى (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة) الخ	١٣٤
فصل في حكم هذه الآية، أي قوله تعالى (فمن اضطر غير باغ) الخ. وفيه مسائل	١٤١
فصل في حكم هذه الآية، أي قوله تعالى (ومن كان مريضاً) الخ. وفيه مسائل	١٥٥
فصل في فضل شهر رمضان وفضل صيامه	١٥٧

- ١٦٠ فصل في فضل الدعاء وآدابه
 ١٦٤ فصل في حكم الاعتكاف
 ١٦٦ فصل في حكم أكل المال بالباطل
 ١٧٢ فصل في اتفاق الأئمة على وجوب الحج النحر
 ٢٠٩ فصل في تحريم الخمر ووعيد من شربها
 فصل في أحكام تتعلق بالحج
 ٢١١ فصل في الكلام على الميسر
 ٢١٧ فصل في حكم هذه الآية أي قوله تعالى (يستلوثك عن المغيص) الخ . وفيه مسائل
 ٢٢١ فصل في بيان حكم هذه الآية أي قوله تعالى (لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم) الخ .
 وفيه مسائل
 ٢٢٥ فصل في أحكام العدة . وفيه مسائل
 ٢٢٩ فصل في حكم الخلع . وفيه مسائل
 ٢٣٧ فصل في حكم عدة المتوفى عنها زوجها والإحداد . وفيه مسائل
 ٢٤١ فصل في بيان حكم هذه الآية أي قوله تعالى (ومتموهن على الموضع قدره) الخ . وفيه فروع
 ٢٤٤ فصل في ذكر اختلاف العلماء في الصلاة الوسطى
 ٢٥٣ ذكر الإشارة إلى قصة الملائكة مع بني إسرائيل مع نبيهم
 ٢٦٧ فصل في فضل آية الكرسي
 ٢٩٨ فصل في حكم الريا . وفيه مسائل
 ٣٠٣ فصل في ثواب إنظار المعسر والوضع عنه وتشديد أمر الدين والأمر بتفضله
 ٣١٦ (تفسير سورة آل عمران)
 ٣٥٢ ذكر سبب القصة المتعلقة بقوله تعالى (فلما أحسن عيسى) الخ
 ٣٨٥ فصل في فضل البيت والحج والعمرة
 ٣٨٦ فصل في أحكام تتعلق بالحج
 ٤٢٢ فصل في فضل الاستغفار
 ٤٤١ فصل في ذكر أحاديث وردت في الغلول ووعيد المغال
 ٤٥٠ فصل في فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله
 ٤٧٢ (تفسير سورة النساء)
 ٤٧٩ فصل في أحكام تتعلق بالحجر . وفيه مسائل
 ٤٨٥ فصل في الحث على تعليم الفرائض
 ٤٨٦ فصل في بيان أحكام الفرائض
 ٤٨٦ فصل أسباب الإرث
 ٤٨٧ فصل في النهام المحلولة في الفرائض
 ٤٨٨ فصل فيما روى عن زيد بن ثابت من أن ولد الأبناء بمنزلة الأبناء

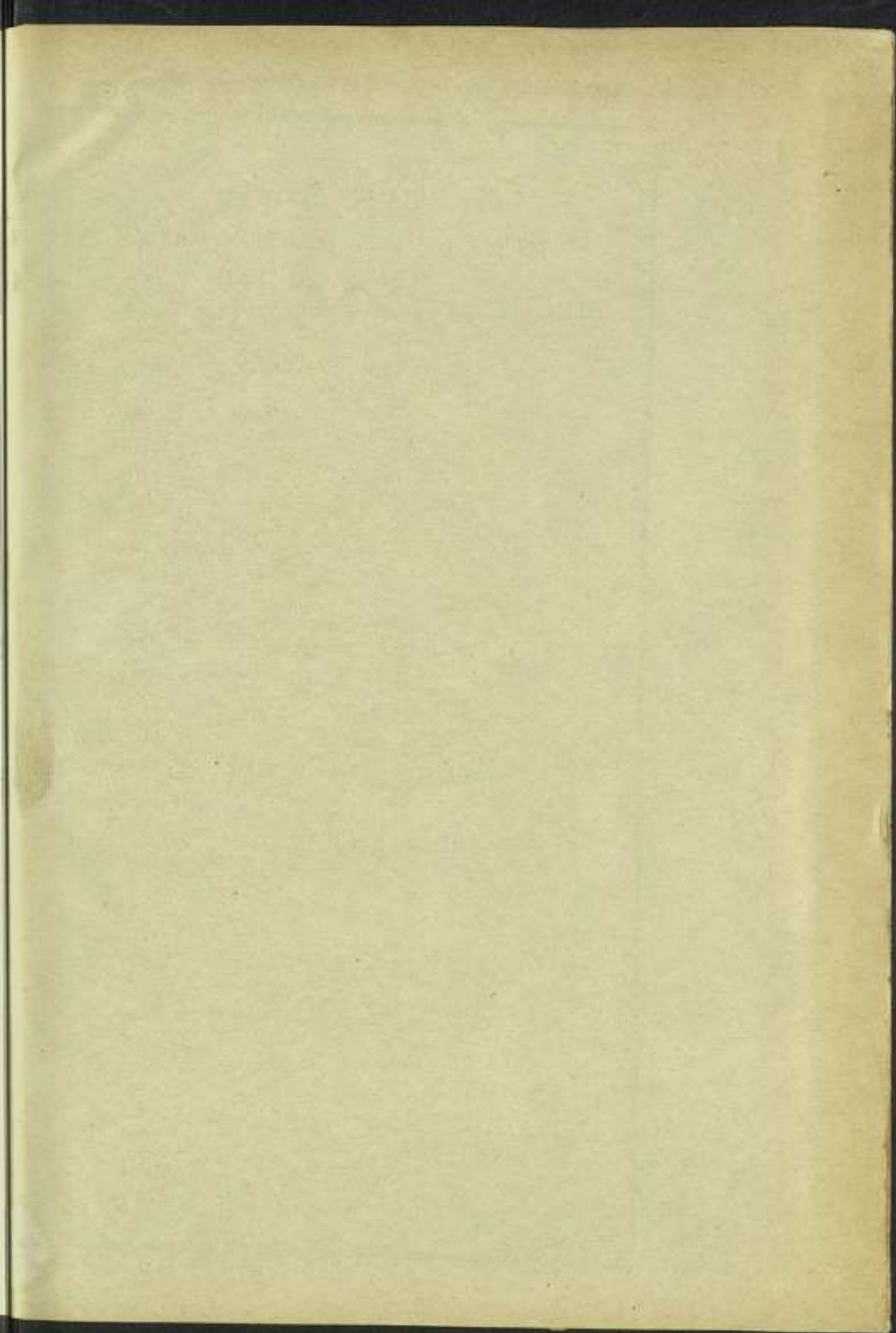
- ٤٩٥ فصل في اتفاق العلماء على أن هذه الآية ، أى قوله تعالى (واللاتى يأتين الفاحشة من نساءكن) منسوخة
- ٥٠٨ فصل في قدر الصداق وما يستحب منه
- ٥٣١ فصل في أحكام تتعلق بالآية أى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى)
- ٥٣٣ فصل في أحكام تتعلق بالآية أى قوله تعالى (وإن كنتم مرضى أو على سفر) الخ
- ٥٣٩ فصل في أركان التيمم
- ٥٦٧ فصل في فضل السلام والحث عليه
- ٥٦٧ فصل في أحكام تتعلق بالسلام وفيه مسائل
- ٥٧٤ فصل في أحكام تتعلق بالآية أى قوله تعالى (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ)
- ٥٧٧ فصل وقد تعلققت المعترلة والوصيدية بهذه الآية أى قوله تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمدا)
- ٥٨٢ فصل اعلم أن الجهاد ينقسم إلى فرض عين وفرض كفاية الخ
- ٥٨٥ فصل في أحكام تتعلق بآية (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) الخ
- ٥٨٦ فصل قيل قوله تعالى (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) كلام متصل بما بعده الخ
- ٥٨٩ فصل في أحكام تتعلق بالآية أى قوله تعالى (وإذا كنت فيهم) الخ وصفة صلاة الخوف وفيه مسائل
- ٥٩٤ فصل وقد تمسك بهذه الآية من يرى جواز صلوات الذنوب من الأنبياء أى قوله تعالى (واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما)
- ٦٠٤ فصل وقد اتخذ الله محمدا صلى الله عليه وسلم خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا
- ٦٠٧ فصل فيما يتعلق بالقسم بين الزوجات

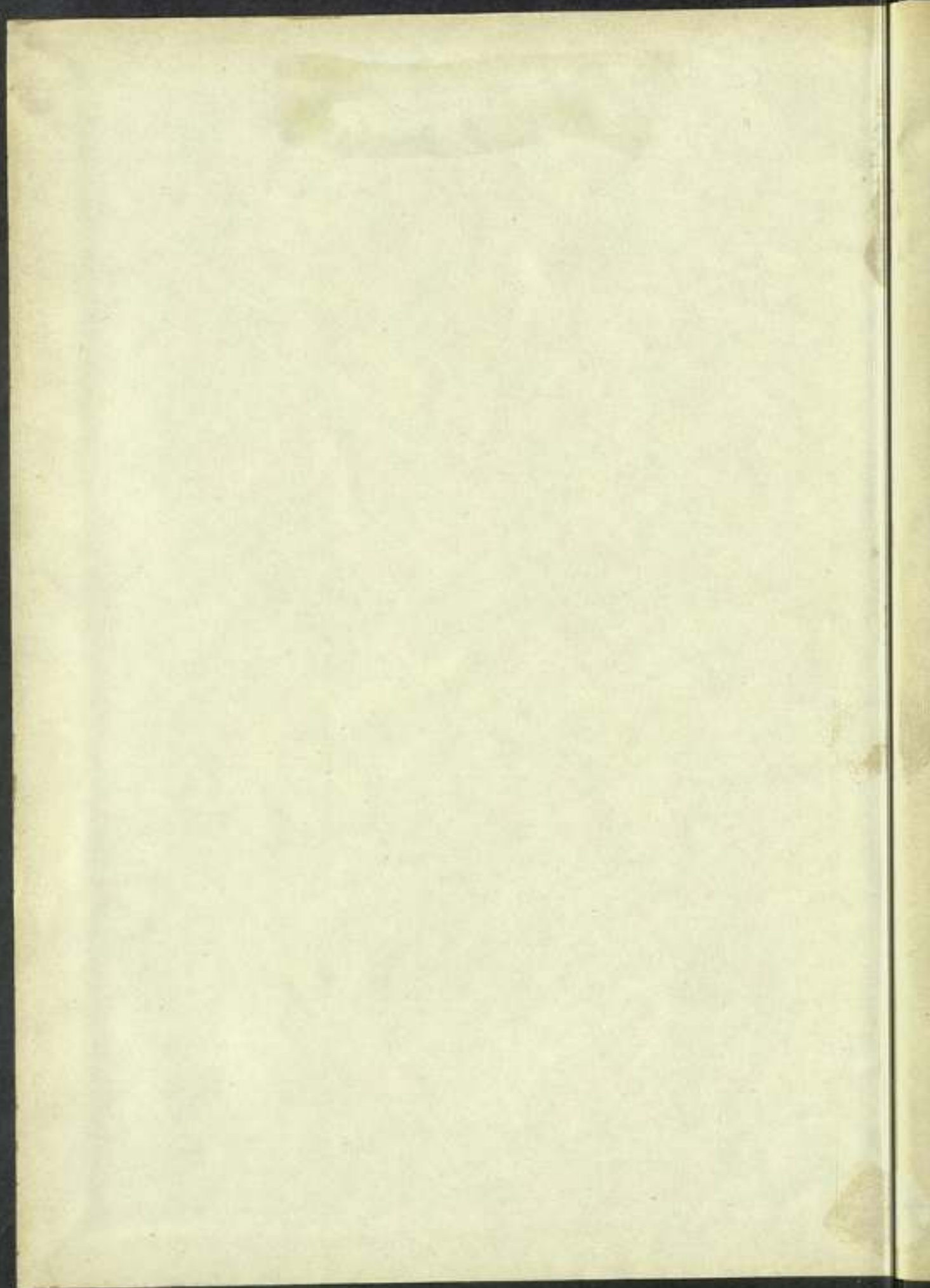
فهرست الجزء الأول

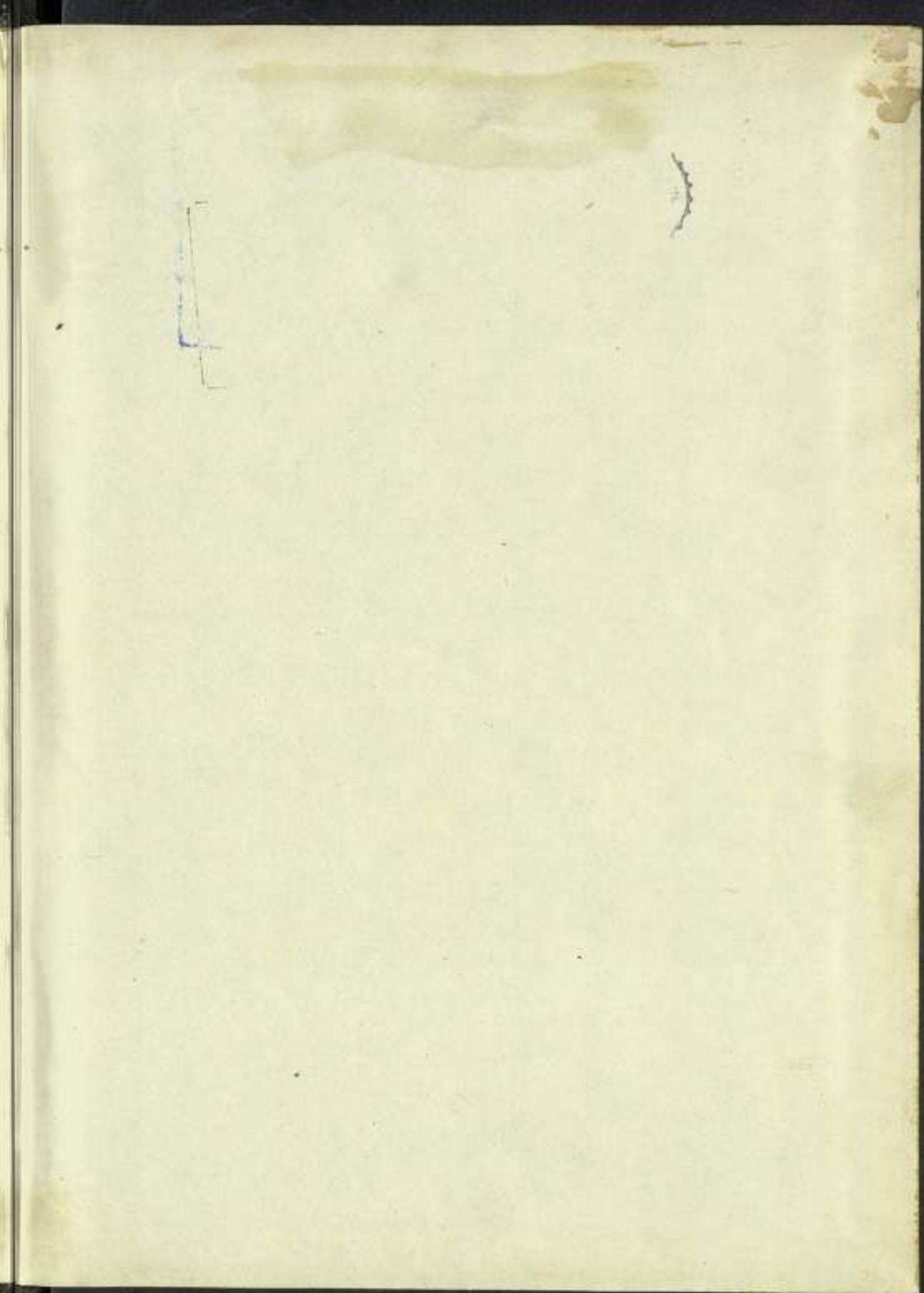
من كتاب معالم التنزيل لخبى السنة أبى محمد الحسين القراء البقوى
(الذى بهامش الخازن)

	صفحة
مقدمة الكتاب	٢
فصل فى فضائل القرآن وتعليمه	٨
فصل فى فضائل تلاوة القرآن	١٠
فصل فى وعيد من قال فى القرآن برأيه من غير علم (سورة الفاتحة)	١٣ ١٥
فصل فى فضل فاتحة الكتاب (سورة البقرة)	٢٤ ٢٥
ذكر سياق قصة فرق البحر لبنى إسرائيل	٥٧
ذكر القصة فى ميعاد موسى عليه السلام وذهابه للمناجاة	٥٩
ذكر الإشارات إلى قصة أهل السبت	٦٨
ذكر الإشارة إلى قصة ذبح البقرة (سورة آل عمران)	٦٩ ٣١٦
ذكر سبب القصة المتعلقة بقوله تعالى (فلما أحسن عيسى) الخ	٣٥٢
(سورة النساء)	٤٧٢

(تمت)







K.O.B. LIBRARY

297.207/I139L2A-v.1-c.1
ابن الخازن الشيفر، علاء الدين علي بن
تفسير الخازن، الشمس لباب التأويل

AMMAN UNIVERSITY OF DEARUT LIBRARIES



0100001

297.207
I139L2A
v.1

